شرح الشفاء

لعلي القاري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل القرآن شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين * وشقي به من كان اشفى على شفا جرف جهنم من الكافرين * والصلاة والسلام على سيد المرسلين وسيد الاولين والآخرين * وعلى آله واصحابه الطيبين الطاهرين * واتباعه واشياعه اجمعين الى يوم الدين (اما بعد) فيقول افقر العباد الى كرم ربه البارى * علي بن سلطان محمد القارى * لما رأيت كتاب الشفاء * في شمائل صاحب الاصطفاء * اجمع ما صنف في بابه مجملا من الاستيفاء * لعدم امكان الوصول الى انتهاء الاستقصاء * قصدت ان اخدمه بشرح يشرح بعض ما يتعلق به من تحقيق الاعراب والبناء * رجاء ان اسلك في سلك مسالك العلماء يوم الجزاء * فاقول وبالله التوفيق * وبتأييده ظهور التحقيق * ان المصنف رحمه الله تعالى كان وحيد زمانه * وفريد اوانه * متفننا لعلوم الحديث واللغة والنحو والآداب * وعالما بايام العرب والانساب * ومن تصانيفه المفيدة الاكمال في شرح مسلم كمل به المعلم * في شرح مسلم للمازري ومنها مشارق الانوار فسر به غريب الحديث ومنها الشفا في حقوق المصطفى ومنها شرح حديث ام زرع الى غير ذلك وله اشعار لطيفة متضمنة لمضامين منيفة مولده منتصف شعبان سنة ست وتسعين واربعمائة وتوفي يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة وقيل في شهر رمضان سنة اربع واربعين وخمسمائة قال (بسم الله الرحمن الرحيم) اقتداء بالكلام المجيد واقتفاء بالحديث المجيد ثم قال (اللهم صل على محمد وآله) اي واتباعه المتضمنين لاصحابه (وسلم) وهذا طريق المغاربة حيث يأتون بالتصلية والتحية بين البسملة والحمدلة كما في الشاطبية ولعل فيه اشعارا بان البسملة المشتملة على نعت الالوهية وصفات الرحمانية والرحيمية بمنزلة شطر الشهادتين من كلمة التوحيد ولابد من انضمام الشطر الآخر لاتمام معنى التمجيد ليترتب على توفيق تحصيل هذا المقام مقام التحميد ثم في بعض النسخ المصححة قبل قوله الحمد لله (قال الفقيه) وفي نسخة الشيخ الفقيه (القاضي الامام الحافظ ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض) بكسر العين (اليحصبي) بتثليث الصاد والفتح اخف وبه ثبتت رواية الشاطبي وهو نسبة الى يحصب بن مالك قبيلة من حمير باليمن (رحمة الله تعالى عليه) ولاشك ان هذا الادخال من المقال صدر من بعض ارباب الكمال من تلاميذ المصنف او من بعده ولكن اللائق في محله ان يأتي به قبل البسملة ليقع الكل من مقوله ولعله تحاشى من تقديم ذكره فوقع وهم في حقه فالاولى ان يعمل مثل هذا العنوان وراء الكتاب على قصد البيان او يعلم آخر او لون مغاير في هذا المكان ثم تحقيق مباحث البسملة والحمدلة وما يتعلق بهما من وجوه التكملة قد كثر في تصانيف العلماء وتآليف الفضلاء وقد ذكرنا طرفا منها في بعض تصانيفنا كما هو دأب البلغاء والمقصود بعون الملك المعبود هو ان المصنف قال (الحمد لله) بالجملة الاسمية لافادة الديمومة لان الفعل دال على اقتران مدلوله بزمان والزمان لا ثبات له فكذا ما قارنه واللام فيه للاستغراق عند اهل السنة خلافا للمعتزلة اذ كل كمال انما هو لله سبحانه

(وتعالى)

وتعالى فى حقيقة الحال اوطريقة المآل (المتفرد باسمه الاسمى) وفى نسخة المنفرد من باب التفعل بمعنى المتوحد فالهما واحد فى المعنى وان اختلفا فى المبنى والاسمى افعل التفضيل من السمو وهو الارتفاع اى الممتاز عن المشاركة فى اسمه الاعلى والاضافة للتعميم فان لله الاسماء الحسنى وكل واحد منها فى مرتبته هو الاعلى والاغلى واغرب الشمنى فى تفسير الاسمى بالعالى (المختص) صفة لله كالمتفرد ويجوز قطعهما بنصبهما اورفعهما اى المخصوص (بالملك الاعز الاحمى) اى الموصوف باختصاص الاستيلاء على البلاد والعباد باطنا وظاهرا على وجه الاعزية الذى لا يحوم حوله ذل ومغلوبية لانه فى غاية المنعة ونهاية الحماية بحيث لا يقربه احد اولا وآخرا والملك بضم الميم فانه ابلغ من كسرها وعليه النسخ المصححة والاصول المعتمدة وقال التلمسانى هو بضم الميم وكسرها (الذى ليس دونه) اى قريب منه (منتهى) اى موضع غاية ومحل نهاية فيفيد معنى البقاء فانه اول قديم بلا ابتداء وآخر كريم بلا انتهاء اوالمراد انه ليس للقرب منه نهاية يدركها احد ولو كان من اهل العناية وبلايمه قوله (ولا وراءه مرمى) مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم ليس وراء الله مرمى ولا منتهى اى ليس غيره اوبعده مقصد للورى واصل المرمى بفتح الميمين موضع الرمى شبه بالغرض والهدف الذى ينتهى اليه سهم الرامى قال النابغة * وليس وراء الله للمرء مذهب * وفى النهاية اى ليس بعد الله لطالب مطلب فاليه انتهت العقول ووقفت فليس وراء معرفته والايمان به غاية تقصد وحاصل الجملتين انه تعالى ليس فى جهة ولا حيز ومسافة ليكون للقرب غاية وللبعد منه نهاية واما القرب والبعد الثابت فى نحو حديث ولا مقرب لما باعدت ولا مباعد لما قربت فانما هو القرب والبعد المعنوى لا الصورى والحسى وانما كمال القرب فى الحب بحيث لا يشهد السالك الا الله ويفنى عن شهود ماسواه حتى يفنى عن نفسه ويبقى ببقاه ونهاية البعد هو الغفلة عن الله على وجه يشاركه ما خلقه وسواه (الظاهر) اى بالادلة الدالة على وجوده وكمال كرمه وجوده لعين الحقيقة فى شهوده يقينا وقطعا (لا تخيلا) اى لا ظنا بالقوة الخيالية (ووهما) بسكون الهاء اى ولا وهما كما فى نسخة مصححة ولا غلطا بالقوة الوهمية والمراد ان الله تعالى ظاهر بصفاته لدلالة مصنوعاته وظهوره لا بالبس على جهة ظن ووهم منا بل ظهورا يغلب نورا ادركناه بعيون بصائرنا فى الدنيا وسيرونه الاحباء بعيون ابصارهم فى العقبى والحاصل ان جميع المخلوقات دالة على وجود الوهيته وتحقيق وحدانيته

فنى كل شئ له آية * تدل على انه واحد

(الباطن) وفى نسخة والباطن اى باعتبار ذاته دون صفاته (تقدسا) اى تنزها فانه كما قال الغزالى وغيره كل ما خطر ببالك فالله وراء ذلك (لا عدما) بضم فسكون لغة فى المفتوحتين اى لا فقدا وعدما اذ لا يقتضى عدم ظهوره نفى وجوده ونوره لانه قد ثبت بالدليل القطعى قدمه وما ثبت قدمه استحال عدمه والتحقيق المتضمن للتدقيق على وجه التوفيق انه باطن لا يدرك احد حقيقة ذاته ولا يحيط احد بكنه صفاته وهذا بالنسبة الى ماسواه فانه لا يعرف الله الا الله ونصبهما على التمييز واما قول الدلجى المفاد تعليل لكونه باطنا فهو وان كان صحيحا فى هذا المبنى لكن التعليل لا يصح بحسب المعنى فى قوله (وسع كل شئ رحمة وعلما) اى احاط بكل شئ رحمته وعلمه فان كل شئ لا يستغنى عن رحمته ايجادا وامدادا وعلمه شامل للجزئيات والكليات احصاء واعدادا والجملة مقتبسة من قوله تعالى ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما والاقتباس ان يتضمن الكلام شيئا من القرآن اوالحديث على وجه لا يكون فيه اشعار بانه منه (واسبغ) اى اكمل بالرحمة الخاصة والعلم المختص بالهداية (على اوليائه) اى المؤمنين على قدر كمالاتهم ومراتب حالاتهم (نعما) بكسر ففتح جمع نعمة وفى نسخة بضم فسكون مقصورا لغة فى النعمة لكنه يكتب بالياء مع انه غير ملايم لقوله (عما) بضم المهملة وتشديد الميم جمع عميمة وهى العامة الشاملة التامة ووهم من قال من المحشين انها جمع عمة فانه يقال نخل عم ونخلة عميمة والحاصل ان رحمته وسعت كل شئ فى امر الدنيا لكن له رحمة خاصة بار باب العقبى كما قال ورحمتى وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون الآية وكذا علمه بكل شئ محيط بمعنى المعية كما قال وهو معكم اينما كنتم ونحن اقرب اليه من حبل الوريد لكن لارباب الخصوص معية خاصة كما يدل عليه قول موسى عليه الصلاة والسلام ان معى ربى وقول نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم للصديق الاكبر رضى الله تعالى عنه لا تحزن ان الله معنا وتأمل التفرقة بين الكلامين فان الثانى مشير الى مقام جمع الجمع والاول مشير الى مقام التفرقة والمنع واما ماذكره الدلجى من ان تصدير هذه الفقرة بالواو الموضوعة للجمع دون ما قبلها مع ان اجراء الصفات المتعاقبة على موصوف واحد مشعرة به يلوح بزيادة جمعية وارتباط معية ففيه مناقشة خفية لان اجراء الصفات المفردة يؤتى بها من غير واو والجمعية فى الجمل الاسمية كقوله تعالى وهو الغفور الودود مع جواز اتيان العاطف بخلاف الجمل الفعلية ولهذا قال (وبعث) اى ارسل الله (فيهم) اى فى اوليائه ولاجل احبائه ولذا قيل انه لم يرسل فى الحقيقة الى اعدائه ثم المؤمنون هم المراد باوليائه لقوله تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم (رسولا) اى نبيا مرسلا امر بتبليغ الرسالة موصوفا بكونه (من انفسهم)

بعضهم اعداء من بغضهم انهم في الواشري دون لشكي فحكم الالهي (اشدهم) بفتح الفاء وانصب السين اي اشدهم واسعهم في نحوهم فالاول جمع انفس بسكون الفاء وثانى اصل من النفس وجمع بجمعها كالآتي في الآية بهما ونصب انفسهم على انه مفعول سولا او بدلا وصالح وفي بعض الحواشي متبعا برفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي هو نفسهم من نفس بالضم صار مرغوبا فيطلب (عربا وعجما) بضم فسكون فيهما وهو لغة في فتحيهما والمراد بالعرب هنا اعم من سكان البادية والحاضرة كما ان المراد بالعجم ضد العرب الشامل لاهل الفرس والترك والهند وغيرهم ونصبهما على التمييز وقال الدلجي حالان لازمان من ضمير انفسهم وردها بيانا للنوعين المفوضين واما قول بعضهم في حاشيته ونفسهم بفتح الفاء اي اعلاهم وخيارهم وهو من النفاسة ولايته وزنتها لان انفسهم لما كان الاولى قطعا ولعله مبني على ان لفظ انفسهم لم يكن مكررا فحسب والا فانه اراد عدم جواز الضم في انفسهم الثاني فلا كلام فيه الا ان تعليله لا يصح ولعل المراد مخالفة المعنى (وازكاهم) اي اطهرهم وانماهم (محتدا) بفتح الميم وكسر الفوقية اي اصلا وطبعا (ومنمى) بفتح الميم مصدر ميمي اي مولدا ونشأة وارتفاعا وقد ذكر الحلبي وغيره انه اذا كان الفعل معتل اللام مثل رمى فقياس المصدر منه مفعل مثل المنمى والمرمى مرمى ومسعى مسعى انتهى وفيه ان مصدر الثلاثي المجرد مطلقا يجيء على مفعل بفتح العين فيهما مطردا كالقتل ومضرب ومشرب كما في الشافية فلا وجه لتقييده بالمعتل ثم هذا المقيد بمتحرك اسمي الزمان والمكان منه والله اعلم واغرب الدلجي انهما اسما مكان فحتد من حتد اذا اقام والمراد بهما مكة المشرفة فان الامكنة تشرف بما في شرف الاخلاق وطهارتها وحسن الافعال ونعاتها (وارجحهم) بالنصب عطفا على انفسهم الثاني اي ارزنهم (عقلا) اي تعقلا (وحلما) اي تحملا (واوفرهم) اي اتمهم (علما وفهما) وفي نسخة بالعكس رعاية للحلم والفهم هو العلم وسرعة ادراك الشيء فالحمل على المعنى الثاني اولى واختلف في حقيقة العقل والاقرب قول القاضي ابي بكر العقل علم ضروري بوجوب الواجبات وجواز الجائزات واستحالة المستحيلات ولعله اراد به تعريف العقل الكامل والله تعالى اعلم وقيل الفهم ازالة الوهم (واقواهم) اي اشدهم وفي نسخة اوهاهم اي ازيدهم (يقينا) اي علما زال فيه الريب تحقيقا (وعزما) اي اهتماما بالمطالب فيه رخصة ما مقبل جدا وقيل صبرا (واشدهم) اي اتمهم كما في نسخة صحيحة راءه) اي زيادة رحمة (ورحما) بضم فسكون اي رحمة وعطفا قال تعالى واقرب رحما قرأ الشامي بضم الحاء والباقون بسكونها وفي نسخة منصور وهو تعميم بعد تخصيص لاتحاد دلالة لفظي كما ذكره الحلبي وفيه ايماء الى قوله تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم ثم من قوله لا تخيلا ووهما الى هنا منصوبات على التمييز خلافا لما بعده ولذا فصله بقوله (زكاه) بتشديد الكاف اي طهره (روحا وجسما) فهما بدلان من الضمير لانه عينهما لا غيرهما على خلاف التمييز وقال الدلجي تمييزان حولا عن كونهما مفعولين واراد هذه النكتة بلا عاطف دون ما قبلها لكمال الانقطاع بينهما لاختلافهما ثبوتا وسلبا انتهى وهو وهم منه ونشأ له صدرت عنه لان هذا الكلام انما يصح لو عطف في زكاه وتركه المصنف في حاشاه ثم المراد بالجسم الجسد وهو جسم كثيف ظاهري بخلاف الروح فانه جسم لطيف باطني اما تزكية روحه صلى الله عليه وسلم فلكونه اشرف الارواح المطهرة لا من اشرفها كما قال الحنفي فانه كما قال صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله روحي وصار الارواح انما خلق ببركة روحه ونور وجوده كما روي لولاك لولاك لما خلقت الافلاك فانه صحيح معنى ولو ضعف مبنى واما تزكية جسده فلشق جبريل عليه السلام صدره واخراج حظ الشيطان منه وغسله بماء زمزم لا بماء الجنة كما قاله الحنفي لانه لم يصح رواية بجمع بينهما دراية ويمكن ان يكون الروح والجسم كنايتين عن الخلق والخلق فانهما مركبان من جانب الحق واغرب الحنفي حيث قال في رأفة ورحما اشترط من اجاز العطف ان لابد من زيادة معنى في المعطوف وقال هنا فيه دلالة على جواز العطف وان تغاير اللفظان والمعنى واحد من غير زيادة وابعد الحلبي حيث تبعه في الموضعين وقال هنا وهذا لا زائد ولا مساوي ولعله نقل ذلك فليصح انتهى وقد بينت لك الفرق بين الرأفة والرحمة واما الفصل بين الروح والجسد فظاهر لما مر فضلا عن الفضلاء الخاصة (وحاشاه) اي نزهه الله وبرأه (عيبا ووصما) بعطفهما على ما صرح به في القاموس فهو تخصيص بعد تعميم خلافا لمن زعم انهما متساويان وتبعه الحلبي والدلجي ثم نصبهما على نزع الخافض اي من عيب ووصم (وآتاه) بالمد اي اعطاه الله تعالى (حكمة) وهي في الاصل ما يمنع من الجهالة فانها مأخوذة من الحكمة بفتحتين وهي اللجام المانع من الشرود اي علما بالشرائع المشتملة على الحكم المبنية على الاتقان والاحكام (وحكما) بضم فسكون اي قضاء بالاحكام قال الحنفي وتبعه الدلجي فيه تجنيس التحريف وهو قريب من احدهما والصواب التطريف وهو ان يختلف اللفظان في اعداد الحروف وتكون الزيادة في الآخر على ما في شرح مختصر التلخيص ثم هما منصوبان على المفعولية الثانية واقرب التلمساني بقوله هما مترادفان جمعهما للتأكيد (وفتح به) اي فتح الله تعالى بسبب نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (اعينا عميا) اي عن رؤية الحق وهو بضم

(فيكون)

فسكون جمع عمياء بفتح فسكون ممدودا وابعد التلمسانى حيث قال عميا صفة للاعين وهو جمع اعمى وقال المحشى كان الاولى ان يأتى بجمع كثرة لكن قد يأتى جمع القلة بمعنى الكثرة كقوله تعالى جنات عدن بمعنى جنان وقد تأتى الكثرة بمعنى القلة كقوله تعالى ثلاثة قروء اى اقراء وتبعه الحلبى وقال الاولى ان يأتى به جمع كثرة لكنه تبع الحديث الصحيح والمراد به هنا وبالحديث الكثرة انتهى وقال الحافظ العسقلانى الكثرة العددية من الامور النسبية فيحتمل ان يكون العدول عن جمع الكثرة فى الحديث الى جمع القلة للاشارة الى ان الكفار اكثر من المسلمين (وقلوبا) جمع قلب وسمى به لتقلبه فى ايدى مقلب القلوب كما قال الشاعر

﴿وما سمى الانسان الا لنسيه * ولا القلب الا انه يتقلب﴾

(غلفا) بضم فسكون جمع اغلف كانه جعل فى غلاف فهو لا يعى وقالوا قلوبنا غلف اى ذوات غلف لا تعى كلمة الحق ولا تفهمها لانها لا تصل اليها (وآذانا) بمد الهمزة جمع اذن (صما) بضم فتشديد ميم جمع صماء لا اصم كما سبق اى لا تسمع النصيحة والحاصل انه صلى الله تعالى عليه وسلم اتاهم بآيات واضحة ومعجزات لائحة فانجلت ابصارهم ووعت قلوبهم وقبلت اسماعهم (فآمن به) اى صدق بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وما جاء به (وعزره) اى عظمه ووقره وهو بتشديد الزاى ووهم التلمسانى حيث قال تخفف وتشدد ففى القاموس العزر اللوم والتعزير التعظيم او المعنى منعه من عدوه اذ اصل العزر المنع ومنه التعزير لانه يمنع من معاودة القبيح (ونصره) اى ايده واعانه ايماء الى قوله تعالى لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه والضمير فى الآية يجوز ان يكون لكل منهما والاظهر ان يكون الى الاخير فان الايمان به متضمن للاول فتأمل ثم الفاعل قوله (من) اى الذى (جعل الله تعالى له فى مغنم السعادة) اى فى غنائم السعادة الايمانية وحيز السيادة الايقانية (قسما) بكسر فسكون اى حظا ونصيبا مقسوما واما بفتح القاف فهو مصدر (وكذب به) اى كفر بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وصدف عن آياته) اى اعرض عن معجزاته البرهانية او مال عن قبول آياته القرآنية (من كتب الله) اى قدر وقضى واوجب (عليه الشقاء) بالمد مفتوحا ويكسر اى الشقاوة كما فى نسخة وهى الاولى من الاولى كما لا يخفى وقال التلمسانى الشقاء العذاب وهو ممدود انتهى ولا يخفى عدم الملائمة بالمقابلة للسعادة مع ان صاحب القاموس قال الشقاء الشدة والعسر ويمد والظاهر ان معناه التعب كما فسر به قوله تعالى فتشقى وقوله ما انزلنا عليك القرآن لتشقى لا بمعنى العذاب المتعارف والله اعلم (حتما) اى حتما مقضيا يعنى وجوبا محتما لازما لا بدله من فعله ولا تبديل ولا تحويل فيه اصلا وقطعا (ومن كان فى هذه) اى فى الدنيا الدنية التى هى محل تحصيل الكمالات الدينية (اعمى) اى عن الامور العلمية والعملية او عن طريق الحق وبصيرة الصدق (فهو فى الآخرة اعمى) فاعل او خبر اى فهو فيها اعمى بالطريق الاولى او اشد عمى مما كان فى الدنيا او اعمى عن النجاة ورؤية سبيل اهل الهدى والحاصل ان اعمى فى الموضعين افعل وصف والمعنى من كان فى الدنيا لا يبصر طريق هدايته لا يرى فى العقبى سبيل عنايته وقيل اعمى الثانى للتفضيل كاجهل وابله ولهذا عطف عليه فى الآية واضل سبيلا ولم يمله ابو عمرو ويعقوب لان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه فى حكم المتوسط كما فى اعمالكم ولا يبعد ان يراد بالعمى فى الدنيا الجهالة والضلالة فى الامور الدينية وكونه اعمى فى الآخرة بالطريق الصورية والمعنوية (صلى الله تعالى عليه) جملة خبرية مبنى انشائية معنى (صلاة تنمو) بفتح فسكون فضم من النمو اى تزيد عددا دائما (وتنمى) بصيغة المجهول من الانماء اى ويزيدها الله او يزيد ثوابها ابدا والمعنى تزيد فى نفسها او يزاد فيها وفى نسخة صحيحة بدل الاولى تنمى كترمى بالياء بدل الواو وهو الاولى من جهة صنيع الجناس المستحسن فى المبنى مع انه اللغة الاشهر عند الاكثر ففى الصحاح نمى المال وغيره ينمى نماء وربما قالوا ينمو نموا وانماه الله تعالى انماء انتهى وفى غالب النسخ الصحيحة تنمو بالواو وعن الخليل انه الافصح وبهذا يتبين ان قول الحلبى وفى لغة ينمو وهو ضعيف عو الضعيف لمخالفة الجمهور ولمعارضة شيخه مجد الدين الفيروزآبادى صاحب القاموس حيث قال نما ينمو زاد كنمى ينمى واما ما نقل عن الكسائى لم اسمعه بالواو الا من اخوين من بنى سليم ثم سألت بنى سليم فلم يعرفوه فالجواب عنه انه على تسليم صحته يكون لغة لغيرهم ومن حفظ حجة على من لم يحفظ (وعلى آله) اى اتباعه ولذا لم يقل واصحابه وفى نسخة وصحبه على انه تخصيص بعد تعميم او المراد بالآل اقاربه والعطف لزيادة التشريف والتكريم (وسلم) بفتح اللام عطف على صلى (تسليما) اى تسليما عظيما ووقع فى بعض النسخ زيادة كثيرا وهو مخل بالسجع المرعى فى الفواصل ثم ظاهر آية يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما دال على وجوب الصلاة والسلام عليه كلما ذكر وكذا حديث من ذكرت عنده فلم يصل على دخل النار فابعده الله تعالى وحديث رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل على وبه قال الطحاوى من الحنفية والحليمى من الشافعية واللخمى من المالكية وابن بطة من الحنابلة والجمهور على انها فى العمر فرض مرة والمحققون على انها فرض فى كل مجلس ذكره صلى الله

أيضاً في محله وسلم والله تعالى أعلم (أما بعد) بضم الدال مبنياً لحذف المضاف اليه ونية معناه وجوزوا نونه منونا وقال الطالب
ونصبها أجازه هشام وقال النحاس انه غير معروف ورفعها منونة وكذا نصبها انتهى وذكر النووي في باب الجمعة
من شرح مسلم انه اختلف العلماء في اول من تكلم بأما بعد فقيل داود عليه الصلاة والسلام وقيل يعرب بن قحطان
وقيل قس بن ساعدة وقال بعض المفسرين او كثير منهم انه فصل الخطاب الذي اوتيه داود وقال المحققون فصل
الخطاب الفصل بين الحق والباطل انتهى وفي الكشاف ويدخل فيه يعني في فصل الخطاب اما بعد فان المتكلم اذا اراد
ان يخرج الى الغرض المسوق اليه فصل بينه وبين ذكر الله تعالى بقوله اما بعد انتهى وفي غريب مالك للدارقطني
بسند ضعيف ان يعقوب عليه الصلاة والسلام لما جاءه ملك الموت قال من جملة كلامه اما بعد فانا اهل بيت موكل
بنا البلاء وهذا يدل على ان اول من تكلم به يعقوب لا داود عليهما الصلاة والسلام ونظير فصل الخطاب كلمة هذا فانه
يفصل بها بين الكلامين كقوله تعالى هذا وان للطاغين لشر مآب اي الامر هذا او هذا كما ذكر او خذ هذا او هذا الامر
ثم قيل واما نظير المخفي بقوله تعالى هذا وان للمتقين لحسن مآب فمعناه عن لفظة التنزيل وهو قوله تعالى هذا ذكر
وهو ليس من هذا الباب نعم نظيره ما قال الشاعر

﴿ هذا وكم لي بالجنينة سكرة • انا من بقاياخمرها مخمور ﴾

فانه اشار بهذا الى كلام تقدم ثم استأنف كلاما ثانيا والله تعالى اعلم (ثم اعلم ان قس بن ساعدة الايادي بضم القاف
وتشديد المهملة بليغ حكيم ومنه الحديث يرحم الله قساً اني لارجو يوم القيامة ان يبعث امة وحده (قيل هو اول
من كتب من فلان الى فلان وبعد سطر لقوله تعالى انه من سليمان واول من خطب معتمدا على عصا واول من اقر بالبعث
من غير سماع قيل انه عاش ستمائة سنة وقد رآه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بسوق عكاظ وهو راكب جملا له
احمر وورد يرحم الله قساً انه كان على دين ابي اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام رواه الطبراني عن غالب بن ابجر
وفي رواية يرحم الله قساً كأني انظر اليه على جمل اورق تكلم بكلام له حلاوة ولا احفظه رواه الازدي في الضعفاء
عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ومن قوله ايها الناس اسمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت
آت ثم هو من اهل الفترة واما يعرب بن قحطان فهو ابو اليمن وقيل هو اول من تكلم بالعربية وههنا قولان آخران
في اول من قال اما بعد فقيل كعب بن لؤي وقيل سحبان وهو بليغ يضرب به المثل لكن هذا القول غير صحيح لان
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقولها في خطبته وهو قبل سحبان اجماعا لانه كان في زمن معاوية ولا يجيب
عنه بانه اول من قالها بعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الاسلام لا يخفى بعده لان الظاهر ان الصحابة رضي الله
عنهم كانوا يذكرونها في خطبهم بعد ما سمعوها منه صلى الله تعالى عليه وسلم في خطبته والله تعالى اعلم (اشرق الله)
اي اضاء ونور (قلبي وقلبك بانوار اليقين) اي بانواع انواره من علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين على قدر مراتب
العارفين في مبادي الدين والاصل في انور الظهور (واعلم ان مقتضى القواعد العربية واستعمال الفصلاء الادبية
ايراد الفاء بعد اما بعد بل بعد بعد ايضا اما لتقدير اما واما لتوهم اما مع دفع توهم الاضافة وافادة الدلالة التعقيبية
وقد قال سيبويه ان معنى اما بعد مهما يكن من شيء بعد فعين اتيان الفاء الجزائية وسيأتي في قوله فانك فالجمل
المذكور جملة دعائية اعتراضية واما قول الطيبي في قوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين يعملون فليس في محله
لان اما هذه تفصيلية لا شرطية (ولطف لي ولك) باللام فيهما على الاصول الصحيحة لا بالباء الموحدة (بما) اي
بمثل ما وفي نسخة كما (لطف باوليائه) فما مصدرية وفي نسخة صحيحة بما لطف لاوليائه فما موصولة وفي نسخة بعباده
(المتقين) والباء بمعنى اللام ويحتمل التضمين في العبارتين ففي الاولى قوله تعالى ان ربي لطيف لما يشاء وفي الثانية
الله لطيف بعباده يرزق من يشاء واللطف بفتح الفاء من اللطف وهو على ما في الجمل بمعنى الرفق والرأفة وعلى
ما في الصحاح بمعنى التوفيق والعصمة وقيل بمعنى الهداية واما بالضم فمعناه دق وصغر والالطف ما قال بعضهم من
ان اللطف في اللغة الرفق وهو من الله تعالى زيادة بر وللامام ما يرزق عن الاوهام منها هدايتهم الايمان والاسلام
وتوفيقهم لطاعاته ومراعاة الاحكام وكفهم عن المعاصي والآثام وتيسير اسباب الراحات الدنيوية والاخروية
عليهم ودفع المضار المانعة عنهم وجلب المنافع اليهم ثم التقوى هو التوقي عن مخالفة المولى (الذين شرفهم) اي الله تعالى
كما في نسخة (بنزل قدسه) بضمتين ويسكن الثاني فيهما الا ان السكون في الثاني اقل وفي الاول اكثر ثم النزل
ما يهيأ للضيف من الكرامة لاجله وقيل النزل المنزل وبه فسر قوله تعالى جنات الفردوس نزلا وقد جزم الحلبي بانه
مراد المصنف هنا والظاهر انه لا مانع من الجمع كما اشار اليه صاحب القاموس انه بالضمتين المنزل وما هيئ للضيف
ان ينزل عليه كالنزيل والمعنى بالنزل المحل المقدس من الدنس وفي نسخة بنور قدسه وهو اظهر معنى لان المراد به

ونحابعده مقامات العارفين فى الدنيا وان كانت سبب درجات فى العقبى فلا يلايم تفسير نزل قدسه بالجنة لنزاهتها عن الكدورات الدنيوية كما اختاره الدلجى ثم قال ويجوز ان يريد به ما يهيأ لهم من الطعام اذا دخلوها الوارد به نزل اهل الجنة زيادة كبد الحوت واما ما شوقى ولكم فيها ما تدعون نزلا فحال من ضمير تدعون تلويحا بان ما يتمونه بدعائهم بالنسبة الى عطائهم مما لا يخطر ببالهم كالنزل للضيف (واوحشهم) من الوحشة ضد الاستيناس اوحشه فاستوحش اى جعلهم ذوى وحشة (من الخليقة) وفى نسخة من بين الخليقة (بانسه) لان الاستيناس بالناس من علامة الافلاس ولا يمكن دفع العوائق الا بقطع العلائق فالمعنى ابعدهم الله تعالى عن الخليقة وقربهم منه على مراعاة الشريعة والطريقة والحقيقة فيكونون كائنين بائنين قريبين غريبين عرشيين فرشيين مع الخلق فى الصورة ومع الحق فى السريرة كما هو دأب الانبياء وعادة الاولياء به آنسون ومن غيره آيسون (وخصهم من معرفته) اى جعلهم اهل الخصوص من اجل معرفته وفى نسخة بمعرفته اى جعلهم مخصوصين بها بحيث لا يلتفتون الى معرفة غيره اصلا (ومشاهدة عجائب ملكوته) فعلوت من الملك بزيادة الواو والتاء للمبالغة وفرق بين الملك والملكوت اذا اجتمعا بان يخص الاول بظاهر الملك والثانى بباطنه او الاول بالعالم السفلى والآخر بالعالم العلوى قال الله تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وقال عز وجل فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ ومعنى المشاهدة المعاينة واغرب التلمسانى حيث فسرها بالحضور مع قوله مصدر شاهد بمعنى رأى ثم العجائب جمع عجيب وهو ما يتعجب فيه من الامر الغريب (وآثار قدرته) اى من مطالعة مصنوعاته (بما ملأ قلوبهم حبرة) بفتح المهملة وسكون الموحدة اى مسرة من الحبور وهو السرور وقيل معناها النعم والكرامة ومنه قوله تعالى فهم فى روضة يحبرون اى ينعمون ويسرون ويكرمون ثم الجار متعلق بخص او بالمشاهدة وما مصدرية اوموصولة وقلوبهم مفعول به وحبرة مفعول ثان كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حق الكفار يوم الاحزاب ملأ الله قبورهم نارا اومنصوب بنزع الخافض وايصال الفعل كقوله تعالى لا لأن جهنم من الجنة وقيل منصوب على التميز واما ما ذكره التلمسانى من انه يقال بفتح الباء الموحدة وتسكينها فوهم لان الفتح انما جاء بدون التاء على ما فى القاموس او بضم الحبرة وهى سرور ظهر حبره اى اثره على وجوههم فكساها بهاء وجمالا وفى الحديث يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسبره وبكسرهما وقد يفتحان اى بهاؤه وجماله (وولّه) بالتشديد (عقولهم) اى جعلها والهة بتدبرها وتفكرها (فى عظمته) وفى نسخة من عظمته (حيرة) اى ذوات تحير بما غشاها من ضياء جمال وبهاء كمال وفى نسخة وودعقولهم اى تركها متحيرة ولا يخفى صنعة التجنيس بين حبرة وحيرة (فجعلوا همهم به) اى بالله ودينه قائمين بحقوق الوهيته ووظائف عبوديته (واحدا) اى همّا واحدا اشارة الى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم من جعل الهموم همّا واحدا كفاه الله تعالى هم الدنيا والآخرة والمراد بالهم هنا القصد والهمة والعزم والجزم التام ولا يبعد ان يكون بمعنى الحزن الموجب للاهتمام فى سبيل الله او بسبب دينه فالضمير له سبحانه وابعد التلمسانى فى جعل الضمير للوله المفهوم من وله (ولم يروا) اى لم يعتقدوا ولم يبصروا (فى الدارين غيره مشاهدا) بضم الميم وفتح الهاء اى مشهودا لانه كما قال بعض العارفين من ارباب الاسرار ليس فى الدار غيره ديار وقال آخر من اصحاب الشهود سوى الله والله ما فى الوجود وزاد ابو يزيد على من سواه وقال ليس فى جبتى غير الله ومن هذا المقام المحقق منصور الحلاج نطق وقال انا الحق وقال مجنون بنى عامر فى هذا المعنى

(انا من اهوى ومن اهوى انا * نحن روحان حللنا بدنا)

فهذا مقام وحال لارباب الكمال بلا حلول ولا اتحاد ولا اتصال ولا انفصال ويؤيد هذا المقال قول الملك المتعال كل شئ هالك الا وجهه ويقويه ما ورد عن النبى النبيه عليه الصلاة والسلام اصدق كلمة قالها لبيد * الا كل شئ ما خلا الله باطل * وفى نسخة بكسر الهاء وهو لطيف جدا موافق للفظ واحد فانه يفيد بانضمام الفتح لارباب الفتوح انه شاهد ومشهود كما انه حامد ومحمود وقد علم كل اناس مشربهم وفهم كل طائفة مذهبهم وكل حزب بما لديهم فرحون ولعل بعض ارباب النسخ استنكر لفظ مشاهدا فاسقطه مع انه لم يتم بدونه التسجيع بقوله واحدا وكانهم اكتفوا بلفظ غيره حالة وقفه (فهم بمشاهدة جماله وجلاله يتنعمون) وفى اصل التلمسانى يتنعمون اى يتعيشون والمعنى انهم بمطالعة صفات انعامه ولائه ونعوت بلائه وابتلائه يتلذذون فاستوى عندهم المحنة والمحنة فى ثبوت كمال المحبة خلافا للناقصين فى المودة على ما اخبر الله تعالى فى حقهم من الحرف بقوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خيرا طمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه وفى هذا الحال قال بعض ارباب الكمال

(وليس لى فى سواك حظ * فكيف ما شئت فاختبرنى)

وفي النقضة اشارة خفية الى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان قلوب بني آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن اي بين صفتي الجمال والجلال ومعنى البسط والقبض المعبر عنهما بالبقاء والفناء والتفرقة والجمع وامثال ذلك من اصطلاحات الصوفية والسادات السنية وفي كثير من النسخ الصحيحة كماله بدل جلاله وهو غير ملايم لمقابله لان الكمال هو الجمع بين الجمال والجلال وقد يوجه بانه من بيان الاخص بعد الاعم والله تعالى اعلم ثم لما رقى الى اعلى المقامات وهو مشاهدة الذات تنزل الى ملاحظة الصفات فان تلك الحالة العالية قد تكون لحظة ولمحة لا تستمر في الازمنة الماضية فقال (وبين آثار قدرته) اي من صفات الافعال (وعجائب عظمته) اي من صفات الذات ولو قال وانوار عظمته لكان له وجه حسن في بلاغته (يترددون) اي تارة الى هذا ينظرون واخرى بهذا ينتظرون بخلاف اهل الحجب والغفلة فانهم في ريبهم يتحيرون (وبالانقطاع اليه) لقوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا (والتوكل عليه) لقوله عز وعلا فاتخذه وكيلا (يتعززون) وفيه اشارة لطيفة الى انهم الى غيره لا يتذللون لانهم بما آتاهم الله تعالى يرضون ويقنعون (لهجين) بفتح فكسر اي حال كونهم مولعين ملازمين ومواظبين مداومين متمسكين (بصادق قوله) من اضافة الصفة الى الموصوف اي بقوله الصادق المطابق (قل الله) اي موجودا ومعبودا ومشهودا وقل الله وليس في الكون سواه (ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) اي اترك اهل الغفلة واللعب والاشتغال بما لا يعنيهم في دينهم وما لا تحملهم على الحضور مع ربهم حال كونهم في شروعهم في الباطل وهو ما سوى الحق يضيعون اعمارهم و يخربون آثارهم عبثا بلا فائدة عائدة في امر اوليهم وفي حال اخراهم وهذا المعنى الذي اومى اليه الشيخ من الاشارات الصوفية لا ينافي ما ذكره المفسرون وارباب العربية من ان لفظ الجلالة فاعل لفعل مقدر او مبتدأ خبره محذوف لما يدل عليه السياق والسباق بالاتفاق لانه جواب عن سؤال تقدم في قوله تعالى في حق اليهود وما قدروا الله حق قدره اي ما عظموه حق عظمته او ما عرفوه حق معرفته اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس الى ان قال قل الله اي امتنعوا عن الجواب وعجزوا عن الكلام الصواب قل الله اي انزل الكتاب وفي هذا كفاية لاولي الالباب (فذلك) سبق انه جواب اما والجملة الدعائية معترضة بينهما (كررت على السؤال) اي راجعته واكثرته (في مجموع) اي في مصنف يجمع فيه صنف من الشمائل النبوية ومؤلف تجتمع فيه نوع من الفضائل المصطفوية (يتضمن التعريف) اي يحتوي الاعلام (بقدر المصطفى عليه الصلاة والسلام) اي بتعظيمه كقوله تعالى وما قدروا الله حق قدره وتوهم الحلبي بان المراد بالقدر هو المقدار فقال لو قال ببعض قدره لكان احسن والمراد بالمصطفى المختار المجتبى المرتضى لحديث مسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم وهذا بحسب النسب واما بطريق الحسب فلقوله تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ولقوله تعالى وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار ولا شك انه الفرد الاكمل في هذا المعنى (وما يجب له من توقير) اي ويتضمن بيان ما يجب له من تعظيم واحترام (واكرام وما) اي وبيان اي شيء (حكم من لم يوف) بالتخفيف ويجوز التشديد اي من لم يكمل ولم يوقر (واجب عظيم ذلك القدر) الاضافة بيانية اي القدر الواجب من تعظيم ذلك القدر العظيم (او قصر) اي او ما حكم من فرط (في حق منصبه) بفتح الميم وكسر الصاد اي مقامه (الجليل) بالجيم وهو الشريف المنيف (قلامة ظفر) بضم فسكون واختير للسجع والا فضمتين هو الافصح ويجوز بكسر الفاء ايضا وسكون الفاء ايضا وقد قرئ بهن في الآية لكن السكون مطلقا شاذ والقلامة بالضم ما يسقط من الظفر وهو كناية عن الشيء الحقير والامر اليسير (وان اجمع لك ما لاسلافنا) اي لعلمائنا المتقدمين (وائمتنا) اي لمشايخنا المتأخرين (في ذلك من مقال) اي فيما ذكر من وجوب تعظيم قدره والحكم فيمن صدر عنه خلافه من الاقوال (وابينه) اي المقال (بتنزيل صور وامثال) اي بتصوير صور وامثال وتقرير محامل يزول به الاشكال ايضاحا للمعنى وايصالا الى الذهن في المبنى (فاعلم) اي ايقن وتنبه ايها المخاطب (اكرمك الله تعالى) اي كما قصدت اكرام النبي المكرم (انك حملتني) بتشديد الميم اي كلفتني بالحمل (من ذلك) اي الامر الذي سألتني (امرا امرا) بفتح الهمزة في الاول وكسرها في الثاني اي امرا شاقا او شيئا عظيما وامامو قوله تعالى لقد جئت شيئا امرا اي عجبا او منكرا (وارهقني) اي اوقعني (فيما ندبتني) اي دعوتني (اليه عسرا) بضم فسكون وبضم اي امرا عسيرا لا اقدر عليه من التعسر ضد السهو واليسر كما قيل في قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام ولا ترهقني من امري عسرا (وارقيني) اي اصعدني واطلعني من الترقي بمعنى الصعود وهو رباعي وفي القاموس رقي اليه كرضي رقيا صعد كارتقى وترقى او مهموز حيث قال وقأ في الدرجة صعد لكن النسخ المصححة بالمركز تؤيد الاول فتأمل والحاصل انهما لغتان والاول هو الاشهر في البيان واما قول التلمساني يهمز و يسهل والهمز افصح وقيل التسهيل فيتوهم منه ان الاصل هو الهمزة وهو غير صحيح لان التسهيل بمعنى الابدال غير مطابق لقواعد الاعلال فانه انما يكون على طبق ما قبله

من الحركة كما لا يخفى على ارباب الكمال والله تعالى اعلم بالحال بما كلفتنى مرتقى بضم مصدرا اى ارتقاء (صعبا)
اى شديد اوليس كما توهم التلمسانى بقوله وكان المعنى ارقيتنى فارتقيت مرتقى صعبا اى محلا عسيرا حيث جعل
المرتقى اسم مكان فاحتاج الى تقدير فارتقيت والله تعالى اعلم (ملاء قلبى رعبا) بضم فسكون وبضم اى خوفا وفزعا
ووقع فى اصل التلمسانى خوفا ورعبا فقال معناهما واحد لكنه مخالف لسائر الاصول من النسخ المصححة ثم الضمير
فى ملاء راجع الى ما او المرتقى والثانى اقرب لكن يؤيد الاول قوله (فان الكلام فى ذلك) اى المكلف (يستدعى
تقرير اصول) اى تمهيد قواعد مقررة (وتحرير فصول) اى وتشييد فروع محررة مما يجب له صلى الله تعالى عليه وسلم
ويجوز ويمتنع كما سيأتى (والكشف) اى ويستدعى البيان (عن غوامض) جمع غامضة وهى ما لا يدرك الا بعد روية
(ودقائق) جمع دقيقة وهى ادق مما قبلها مما يدق فهمه فى كل قضية (من علم الحقائق) بيان لما قبلها وهى جمع الحقيقة
وهى الامور الثابتة من الادلة النقلية والعقلية وقد ابعد الحلبى والتلمسانى فى عطف الكشف على الكلام مع
عدم ظهور خبره فى المقام (مما يجب) اى اثباته (للنبى عليه السلام و يضاف اليه) اى وجوبا (او يمتنع او يجوز) اى
اطلاقه (عليه ومعرفة النبى والرسول) اى بالحدود الفارقة بينهما ومعرفة مجرورة معطوفة على مدخول عن او من
او منصوبة على انها معمولة ليستدعى ايضا (والرسالة والنبوة) بالجر لا غير والمراد بهما الحال لان فهما مغايران
لما قبلهما (والمحبة والخلة) بضم الخاء وهما نعمتان كاملتان ما اجتمعتا فى غير نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (وخصائص
هذه الدرجة العلية) بالجر جمع خصيصة وهى ما يختص به الشخص والدرجة المنزلة والمرتبة والرفعة ودرجات
الجنة ارفع منازلها والدرجات ضد الدركات وقد سومح فى التسجيع بين العلية وما قبلها فانه من الامور
الرعية ثم رأيت ابن السكيت قال العلية بفتح العين وكسر اللام وكسر العين وسكون اللام فتعين
الثانى لموافقة المرام (وههنا) اى وفى هذه المواضع المذكورة فها للتنبيه وهنا اسم اشارة للمكان القريب
(مهامه فيح) اى مفازات واسعة ومهامه بفتح الميم الاولى وكسر الثانية جمع مهمه بفتحتين مفازة بعيدة وخلاء
ليس فيه ماء والفيح بكسر الفاء جمع فيحاء بفتح ومد لا جمع افيح كما توهمه التلمسانى اى الارض الواسعة (تحار)
بفتح التاء اى تتحير (فيها) اى فى سبيل معرفتها الافهام ذوى النهى كما قد تحار فى سير المفازة المحسوسة اذا سلكتها
(القطا) وهو بفتح القاف مقصور طير يضرب به المثل فى كمال الهداية فيقال هو اهدى من القطا سمى بصوته وقد قيل
انه يترك فراخه ويطلب الماء مسيرة عشرة ايام واكثر فيرده ويرجع فيما بين طلوع الفجر وظهور الشمس ولا يخطئ صادرا
ولا واردا وهو اسم جنس وقول الجوهرى على ما نقله الحلبى وغيره انه جمع قطاة فيه تجوز والحاصل ان القطا يعرف
فى المجاهل مظان المياه فلا يكاد يخطئها فاذا رأت الماء قالت قطاقطا فتعرف العرب دنو الماء ولهذا يقال فلان اصدق
من القطا (وتقصر) بضم الصاد (بها) وفى نسخة فيها (الخطى) بضم ففتح جمع الخطوة بضم وفتح اى تعجز فى تلك المفازة
او بسيرها الخطوات من الاعياء (ومجاهل) بفتح الميم وكسر الهاء عطفا على مهامه وهو جمع مجهل للمكان الذى لا علم
فيه يهتدى به (تضل) بفتح فكسر اى تضيع وتهلك (فيها الاحلام) بالفتح جمع الحلم بالكسر اى العقول (ان لم تهتد) اى
الاحلام (بعلم علم) بفتح العين واللام فى اول وبكسر فسكون فى الثانى اى بعلامة يعلم بها فالعلم بمعنى العلوم او المراد به
نوع من العلوم واغرب الحلبى بقوله الظاهر ان المراد بالعلم الجبل وابعد محش آخر بقوله المراد به الراية ولعل محمل
كلامهما قصد الاستعارة بهما وقال الدلجى من اضافة المشبه به الى المشبه من التشبيه المؤكد اى بعلم كالعلم (ونظر
سديد) بسين مهملة اى وتأمل على صوب صواب (ومداحض) بالرفع اى مزالق (تزل) بفتح فكسر فتشديد (بها)
اى بسببها او فيها (الاقدام ان لم تعتمد) اى الاقدام مجازا او اصحابها (على توفيق من الله وتأييد) بيا ثين اى تقوية واعانة
على نيل المراد من التحقيق (لكنى) اى مع هذا كله من صعوبة الحال ومزلة اقدام الرجال بحيث كاد قبولها ان يكون
من المحال تحملت المقال وقبلت السؤال (لما رجوته) بكسر اللام وتخفيف الميم على ان اللام للعلة وما موصوفة
او موصولة وهو بصيغة المتكلم وفى نسخة بالخطاب وهو بعيد ولا يبعد ان يضبط لما بفتح اللام وتشديد الميم على الظرفية
كما عليه جمهور القراء فى قوله تعالى لما صبروا الا انه يمنعه وجود من البيانية بعده والحاصل ان خبر لكن مقدر كما اشرنا
اليه وقوله (لى ولك) متعلق برجوته (فى هذا السؤال والجواب) اى بسببهما لف ونشر غير مرتب وقدم نفسه فى الدعاء
لانه الادب المستحب وقدم السؤال لان وجوده مقدم على الجواب وشهوده (من نوال) بيان لما اى حصول حسن
منال وطيب حال ومآل فى الدنيا (وثواب) اى وتحصيل جزاء وعطاء فى العقبى (بتعريف قدره الجسيم وخلقه
العظيم) بضمتين وبسكون الثانى اى بسبب تبيينهما (وبيان خصائصه) اى فضائله المختصة (التى لم تجتمع قبل) اى
قبل خلقه (فى مخلوق) ومن المعلوم استحالة وجود مثله بعده (وما يدان) اى وبيان ما يطاع (الله تعالى به) اى ويتخذ

ديا (من حقه الذي هو ارفع الحقوق) اي بعد حق الحق (ليستيقن) متعلق بتعريف اي ليثبت او يتيقن (الذين اوتوا الكتاب) اي نبوته ايقانا يريد العلماء به (ويزداد) اي بذلك (الذين آمنوا ايمانا) يريد العوام او الاعم والله اعلم ثم قوله ليستيقن علة لقوله تعريف قدره وبيان خصائصه واما قول التلمساني اي لكي افعل لما رجوته وليستيقن فخالف للنسخ المصححة حيث لم يوجد فيها الواو العاطفة (ولما) عطف على لما رجوته اي ولاجل ما (اخذ الله على الذين اوتوا الكتاب) اي من الميثاق وفي نسخة ميثاق الذين اوتوا الكتاب اي من العلماء (ليبينه) بفتح اللام على انه جواب للقسم الذي ناب عنه قوله اخذ الله ميثاق الذين اي استحلفهم والمعنى ليظهرن امر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم جيد (للناس ولا يكتمونه) اي شيئا منه وهو المناسب للمقام او الضمير للكتاب وهو مشتمل على المرام وفي بعض النسخ بالخطاب فيهما وهو صحيح وقد قرأ بهما السبعة في الكتاب فالياء لغيبتهم والتاء حكاية لمخاطبتهم وتتمة الآية المقتبس منها فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون وعن علي كرم الله تعالى وجهه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا (ولما) اي وللحديث الذي (حدثنا به ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه رحمه الله تعالى بقراءتي عليه) وهو هشام بن احمد بن هشام بن خالد الاندلسي الوقشي بفتح الواو والقاف وبالشين المعجمة نسبة الى وقش قرية من قرى طليطلة بالاندلس الكناني الفقيه الحافظ ولد سنة ثمان واربعمائة واشتغل بالفنون وقرأ على المشايخ ومهر في النحو والعربية واللغة وفنون الادب واعتنى بالحديث قال القاضي عياض كان في غاية الضبط والاتقان وله تنبيهات وردود على كبار المصنفين في بعضها يقال وكان له نظر في الاصول واتهم بالاعتزال وكان من المتفننين في ضروب المعارف وكان يعرف الفرائض والهندسة وغيرهما ومات في جمادى الآخرة سنة تسع وثمانين واربعمائة كذا ذكره الحلبي وقال التلمساني وهو هشام بن احمد بن هشام الهلالي يعرف بابن بقوة بالباء الموحدة المفتوحة والقاف الساكنة بعدها واو مفتوحة وتاء مقلوبة في الوقف هاء وهو امام حافظ وشيخ من شيوخه الذين اعتمد على النقل عنهم في هذا الكتاب وغيره وكثرت الروايات عنه في اسانيد القاضي رحمه الله تعالى وتكرر السماع عليه ذكره الحافظ ابو محمد بن عبد الله الحجري وابو العباس احمد بن زمر اتفق وللقاضي رحمه الله تعالى شيخ آخر على نحو هذا الاسم هو القاضي ابو الوليد هشام بن احمد بن سعيد الكناني الوقشي الضابط صاحب كتاب غريب الموطأ جليل انفع كثير القدر والله تعالى اعلم (قال) اي هشام (حدثنا الحسين بن محمد) زاد في نسخة الجياني بجيم مفتوحة وسكون تحتية فهمزة ممدودة فنون فياء نسبة وهو الحافظ ابو علي الغساني وسيأتي ترجمته مبسوطة كذا ذكره الحلبي وقال التلمساني له كتب مفيدة جدا توفي سنة ثمان وتسعين واربعمائة (حدثنا ابو عمر) بضم العين (النمري) بفتح النون والميم نسبة الى نمر بكسر الميم وهو ابو قبيلة والفتح في النسب استيحاشا لتوالي الكسرات وهو حافظ المغرب وشيخ الاسلام ابو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي الاندلسي الشاطبي ولد في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستين وثلاثمائة وترجمته شهيرة وتصانيفه كثيرة توفي بشاطبة ليلة الجمعة سلخ شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين واربعمائة واستكمل خمسا وتسعين سنة وخمسة ايام واعلم انه وقع في اصل التلمساني زيادة حدثنا ابو بكر احمد بن علي بن ثابت الخطيب الشيباني الحريري البغدادي مات في ذي الحجة سنة ثمان وستين واربعمائة حتى قال الناس مات في هذه السنة حافظ المشرق وحافظ المغرب يعنون ابا بكر الخطيب وابا عمر رحمهما الله تعالى (حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن) اي القرطبي من قدماء شيوخ ابن عبد البر قال الذهبي في الميزان كان تاجرا صدوقا في ابن داسه والكبار كذا ذكره الحلبي وقال التلمساني يعرف بابن الزيات شيخ ابي عمر بن عبد البر روى عنه في المسند الكبير (حدثنا ابو بكر محمد بن بكر) اي ابن محمد بن عبد الرزاق بن داسه بمهملتين وتخفيف التائية عند الجمهور البصري وهو احد رواة ابي داود وعنه مشهور الترجمة وقد روى عنه بالاجازة ابو نعيم الاصبهاني (حدثنا سليمان ابن الاشعث) وهو الامام الحافظ صاحب السنن ابو داود السجستاني قال ابو عبيد الآجري سمعته يقول ولدت سنة اثنتين ومائتين وكتب عنه شيخه احمد بن حنبل حديث العتيرة وآراه كتابه فاستحسنه ومناقبه معروفة قيل الين الحديث لابي داود كما الين الحديد لداود عليه السلام مات في سادس عشر شوال سنة خمس وسبعين ومائتين بالبصرة (حدثنا موسى بن اسمعيل) وهو ابو سلمة التبوذكي نسبة الى تبوذك دار اشتراها الحافظ روى عن شعبة وهمام وخلق وروى عنه البخاري وابو داود وقال عباس الدوري كتبنا عنه خمسة وثلاثين الف حديث توفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين ثقة ثبت اخرج له الجماعة اصحاب الكتب الستة (حدثنا حماد) وهو ابن سلمة بن دينار الامام ابو سلمة احد الاعلام روى عن ابي عمران الجوني وغيره وروى عنه شعبة ومالك وغيرهما صدوق يغلط وليس هو في قوة مالك واخرج له مسلم والاربعة كذا ذكره الحلبي وقال التلمساني هو حماد بن زيد بن درهم يكنى ابا اسمعيل الازرق مولى جرير بن حازم

البصري الازدي اخو سعيد مات سنة تسع وتسعين ومائة (اخبرنا علي بن الحكم) اى البناني البصري روى عن انس وابى عثمان النهدى وطائفة منهم نافع وعنه الحمادان وعبدالوارث وعدة اخرج له البخارى والاربعة (عن عطاء) اى ابن ابى رباح ابو محمد القرشي مولاهم المكى احد الاعلام يروى عن عايشة وابو هريرة وخلق وعنه الاوزعى وابن جريج وابو حنيفة والليث وامم توفى وله ثمانون سنة اخرج له الائمة الستة كذا ذكره الحلبي وقال التلمساني هو ابن يسار ابو محمد مولى ميمونة بنت الحارث زوج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو هلالى مدنى توفى سنة ثلاث ومائة (عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) وهو عبدالرحمن بن صخر على الاصح من بين نيف وثلاثين قولا وقد رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى كمه هرة فقال يا اباهريرة فاشتهر به وقد بسطنا ترجمته فى المرقاة شرح المشكاة والاوجه فى وجه عدم انصراف هريرة فى ابى هريرة هوان هريرة صارت علما لتلك الهرة ونقل التلمساني فى كنيته انه هل يجر اولا قال ابو الفضل قاسم بن سعيد العقباني انه يجر ورواه عن الائمة المشارقة منهم ابن حجر يعنى العسقلاني ونصره الشيخ ابو عبدالله ابن مرزوق وقال هريرة اسم جنس مصروف اضيف اليه فهو على ماهو عليه وهو جزء اسم وجزء الاسم يجر وذكر لى بعض اصحابنا ان ابا الفضل هو الذى افاد المشارقة صرفه فانهم كانوا لايجرونه فابدى لهم علة الجر واستحسنوها وصوبوها وقال قوم انه لايجرو به قال الشمني المشرق وابو عبدالله من شيوخنا والف فيه وقال انه بعد التركيب حدث فيه المنع لانه علم وفيه تأنيث وهما مانعان ومنه قوله فى ابى خراشة

(ابا خراشة اما انت ذانفر * فان قومى لم تأكلهم الضبع)

وروى ابوشاة فى قوله فقال رجل يقال له ابو شاة واكتبوا لابى شاة بالوجهين وهو كابى هريرة (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وهو سيد العالمين وسند العالمين محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان على هذا النسب وقع اجماع الامة وقد ضبطت هذه الاسماء فى رسالتى المسماة بالمورد فى المولد وقد ولد صلى الله تعالى عليه وسلم بالشعب وقيل بالدار التى عند الصفا التى بنتها زبيدة مسجدا (من سئل عن علم) اى مما يتعين تعليمه وقيل الحديث ورد فى الشهادة وقيل فى تبليغ الرسالة عند الحاجة والاظهر ان المراد به العلم الشرعى كما قال به الحليمى وكثيرون يؤيده حديث ابن ماجه من كتم علما مما ينفع الله به الناس فى الدين الجمه الله بلجام من نار والعلوم الشرعية مايستفيدون الكتاب والسنة من اصولها وفروعها ومقدماتها التى تتوقف على معرفتها بقدر الحاجة اليها دون التوغل فيها (فكتمه) اى بعد ماعلمه (الجمه الله بلجام من نار يوم القيمة) اى عند قيامهم من قبورهم واللجام بالكسر ماتلجم به الدابة لمنعها عن النفور شبه مايوضع فى فيه من نار بلجام فى فم الدابة وهو انما كان جزاء امساكه عن القول الحق وخص اللجام بالذكر تشبيها له بالحيوان الذى يسخر ويمنع من قصد مايريده فان العالم من شانه ان يدعو الناس الى الحق القويم ويرشدهم الى الطريق المستقيم وقد اخرجه ابو داود والترمذى وابن ماجه والنسائى وقال الترمذى حسن واخرجه ايضا احمد وابن حبان والحاكم وصححه وفى حديث ابن مسعود فكتمه عن اهله وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتم علما علمه الله واخذ عليه اجرا جئ به يوم القيمة ملجما بلجام من نار وقال الشافعى

(ومن منح الجهال علما اضاعه * ومن منع المستوجبين فقد ظلم)

وسئل بشر عن هذا الحديث فقال اياى تعنى دع هذا اللجاج هنا حتى يأتى اهله فان نشره فى غير اهله كمنعه عن اهله وروى عن انس مرفوعا قال لاتطرحوا الدر فى افواه الكلاب يعنى الفقه والعلم فى ايدى الظالمين والمرائين وطالبى الدنيا وعن انس ايضا مرفوعا طلب العلم فريضة وواضع العلم فى غير اهله كمعلق الجوهر واللؤلؤ على الخنزير وروى مرفوعا ان عيسى عليه السلام قام خطيبا فى بنى اسرائيل وقال لاتكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ولاتمنعوها اهلها فتظلموهم ومما ينسب لعلى كرم الله وجهه

(وناشر العلم بين الجاهلين به * كموقد الشمع فى بيت لعميان)

(فبادرت) عطف على الخبر المقدر لقوله لكنى قبلت وماتأخرت بل اقبلت فبادرت (الى نكت) بضم ففتح جمع نكتة وهى ماخفى ادراكه حتى يفتقر الى تفكر ونكت فى الارض اى طعنها واما قول بعض هى كل نقطة من بياض فى سواد وعكسه فليس فى محله المراد اى الى بيان لطائف (مسفرة) بكسر الفاء اى مضيئة ومنيرة وموضحة ومبينة وفى نسخة سافرة اى كاشفة (عن وجه الغرض) اى المطلب والمقصد (مؤديا من ذلك) اى حال كونى مؤديا من اجل ماذكر (الحق المفترض) بفتح الراء (اختلستها على استعجال) وكان الاولى ان يقول الاستعجال ليلايم تعريف البال وفى نسخة اختلسها

بالمضارع المتكلم ووقع فى نسخة اختلسوها بالواو اى المعروض من نشر العلم والطهارة لاسيما بعد السؤال وتكرار وهو خطأ ظاهر ثم الاختلاس بالخاء المعجمة اختطاف الشئ بسرعة فى الكلام تأكيد او تجريد (لما) بكسر اللام علة للمبادرة او الاختلاس وما موصولة اى للامر الذى (المرء بصدده) اى فى سبيله مما استقبله (من شغل البدن والبال) اى من الاشتغال المتعلق بالقالب والقلب والمال والحال وحسن المآل ثم الشغل بضمتين وبضم فسكون وقرئ بهما فى السبع وبفتح فسكون وقيل بفتحتين ضد الفراغ والبال بالموحدة القلب والحال ويصح ارادة كل منهما خلافا لما قاله الحلبى من ان المراد به الاول لذكر البدن (عما طوقه) اى الانسان كما فى نسخة صحيحة هو بضم طاء وكسر واو مشددة اى بسبب ما جعله الله وكلفه وفى نسخة صحيحة عما قلده الانسان اى الزمه كالطوق فى عنقه (من مقاليد المحنة) اى مفاتيح المشقة والبلية (التى ابتلى بها) بصيغة المجهول والظاهر انه اراد بالمحنة جميع الامور التكليفية والحوادث الكونية النازلة على الافراد الانسانية والحلبى حملها على محنة مباشرة الاحكام والقضاء واورد حديث من جعل قاضيا فقد ذبح بغير سكين رواه اصحاب السنن الاربعة عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه وقال الترمذى حسن غريب وقال الحاكم صحيح الاسناد وفى رواية للنسائى من استعمل على القضاء فكانما ذبح بالسكين وقال التلمسانى اراد المصنف بذلك كونه فى خطة القضاء التى هى محنة وبلية كما قال بعضهم (فكادت) اى قربت مقاليد المحنة (تشغل) اى الانسان (من كل فرض ونفل) وهو بفتح التاء والعين واما اشغل فهو لغة جيدة او قليلة او رديئة على ما فى القاموس (وترد) اى وكادت ترد السالك (بعد حسن التقويم) اى باستقامته على الطريق القويم (الى اسفل سفل) وهو بضم السين وكسرها ضد العلو والمعنى الى قبح التنزل بارتكاب الفعل الذميم ايماء الى قوله تعالى لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم اى من الفطرة المستقيمة ثم رددناه اسفل سافلين اى من ارتكاب المعصية الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون يعنى وهم فى اعلى عليين وثوابهم غير مقطوع فى كل زمان وحين (ولو اراد الله بالانسان) اى بفرد من هذا الجنس وفى نسخة بعبده (خيرا) اى فى تحصيل كماله وتحسين ماله (لجعل شغله) اى جعل اشتغال خاطره (وهمه) اى ما يهم به الانسان وروى ووهمه اى باله يعنى اهتمام باله (كله فيما يحمد) بصيغة المعلوم اى فى فعل مأمور وترك منهى مما يمدحه الانسان (غدا) اى يوم القيمة (او يذم) اى مما يكره السالك (محله) بفتح الحاء ويجوز كسرها والحاصل ان يكون شغله وهمه فى بيان الامر الممدوح والمذموم بان يرتكب الاول ويجتنب الثانى وقال التمنى اى فيما يحمد بفعله واجبا كان او نفلا او فيما يذم بتركه وهو الواجب انتهى وبعده لا يخفى وفى نسخة صحيحة ولا يذم بصيغة المجهول فيه وفيما قبله وهو ظاهر جدا ومحله مفعول ليحمد ويذم على التنازع خلافا للتلمسانى حيث جعل العائد على الموصول فيما يحمد منصوبا محذوفا واما بناء الفعلين على صيغة المجهول ورفع محله كما قاله الدلجى فمخل للتسجيع بقوله كله (فليس ثم) بفتح فتشديد ويوقف عليه بلا هاء السكت كما فى قوله تعالى واذا رأيت ثم رأيت وقال التلمسانى ولك الاتيان بهاء السكت وهو الاكثر اى هناك غدا (سوى حضرة النعيم) اى حضوره وفيه اشارة الى قوله تعالى واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا وفى نسخة صحيحة نضرة النعيم واقتصر عليه التلمسانى اشعارا الى قوله تعالى تعرف فى وجوههم نضرة النعيم اى بهجته وحسنه والاضافة من قبيل اضافة الشئ الى نفسه ويمنعه البصرى ويجوز الكوفى على ما ذكره التلمسانى (او عذاب الجحيم) اى لانحصار المنزلتين كما قال الله تعالى ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم (ولكان) عطف على لجعل (عليه) اى اوجب عليه الاشتغال (بخويصته) بضم ففتح فسكون فشددة تصغير خاصة والمراد بها نفسه او الامر الذى يختص به من المهمات الدينية والدنيوية وروى بخويصة نفسه وقد قيل المراد بها الموت وفيه ايماء الى قوله تعالى عليكم انفسكم والى ما ورد عليك بخاصة نفسك ودع عنك امر العامة ومن غريب ما وقع ان بعض الناصحين قال لمن كان فى صدد ان يكون من السلاطين عليك بخويصة نفسك فلما تولى بعد مدة من الزمان قال اقتلوه فان صفيره صاده فى اذنى الى الآن (واستنقاذ مهجته) بضم الميم اى استخلاص روحه مما يرديه (وعمل صالح يستزيده) اى الانسان بان يجعل ذلك العمل سببا لزيادة درجته (وعلم نافع) اى شرعى (يفيده) اى اغيره فيكون معلما (او يستفيده) اى بنفسه بان يكون عالما او من غيره فيكون متعلما (جبر الله صدع قلوبنا) اى اصلح الله كسرها بما اعتراها من طوارق محن وبوارق احن (وغفر عظيم ذنوبنا) اى ومحا عيوبنا العظيمة وسترها (وجعل جميع استعدادنا) اى عدتنا فى امر زادنا (لمعادنا) اى ليعود نفعه لنا فى مرجعنا وآخر امرنا (وتوفر دواعينا) اى وجعل تكثير مكاسبنا ومطالبنا (فيما ينجينا) من الانجاء او التنجية اى فيما يخلصنا وفيه ايماء الى الدعاء المأثور لا تجعل الدنيا اكبر همنا وفى نسخة بفتح الفاء فى توفر على انه جملة دعائية معطوفة على ما قبلها من الجمل ولو روى بصيغة المضارع المعلوم لناسب قوله (ويقربنا الى الله زلفى) اى تقربا خاصا وفى التنزيل ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى قال البيضاوى

زلفى مصدر اوحال واغرب التلمسانى فى قوله انه جمع مفرده زلفة اذالصواب ان جمع زلفة زلف ككلف جمع كلفة (ويحظينا) بضم اوله وكسر الظاء المعجمة اى يرفع قدرنا و يخصنا بالمنزلة العلية والمرتبة الحظية (عنه) اى بسبب امتنانه وهومتعلق بيحظينا ويقربنا ايضا وابعد التلمسانى فى قوله اى متوسلين عنه (ورحمته) اى باحسانه والمعنى انه لايعاملنا باعمالنا ولعل الجمل المضارعية احوال من الجمل الدعائية (ولما نويت تقريبه) اى وحين اردت تقريب التصنيف الى عالم وجوده بفضل الله وجود (ودرجت تبويبه) بتشديد الراء اى جعلت تبويبه مرتبا ومدرجا يعنى درجة درجة فى التأليف (ومهدت تأصيله) بتشديد الهاء اى صيرت اصوله ممهدة موسسة واغرب التلمسانى حيث قال مهدت اى فرشت وتأصيله اى تفريقه (وخلصت تفصيله) اى وجعلت فصوله مبينة معينة (وانتحيت) اى وقصدت (حصره وتحصيله) اى تبيينه فى الامور التى ذكرها قال التلمسانى وفى رواية بالخاء المعجمة والباء الموحدة من الانتخاب وهو التصفية الان الرواية الاولى اظهر من الثانية قلت بل لايظهر له معنى اصلا لقوله انتخبت حصره فهو تصحيف وتحريف بلاشبهة (ترجمته) جواب لما اى سميته (بالشفاء) وهو بكسر الشين ممدودا وقصر وقفا اومراعاة للسجع بقوله (بتعريف حقوق المصطفى) وقداجازوا للناثر مايجوز للشاعر من الضرائر وقصر الممدود سائغ اتفاقا واجاز عكسه الكوفيون ومنعه البصريون حجة الاولين . فلافقر يدوم و لاغناء * وردبان الرواية الصحيحة فلافقر يدوم ولاغنا كاواغرب الحلبى فى نقل كلام ابن مرزوق بقوله ويقال انه قصره لان هذا الكتاب يقصر عن حقوقه صلى الله تعالى عليه وسلم والله اعلم (وحصرت الكلام فيه) اى فى هذا الكتاب (فى اقسام اربعة) وفى نسخة اربعة اقسام وهذا بيان بعد الاجمال والله اعلم بالحال (القسم الاول) بكسر القاف وهو النصيب والجزء واما بالفتح فهو مصدر قسمت الشئ (فى تعظيم العلى الاعلى) من باب اضافة المصدر الى فاعله اى الله سبحانه وتعالى (لقدر هذا النبى) صلى الله تعالى عليه وسلم زيد فى نسخة الكريم و لاولى وجود المصطفى (قولا وفعلا) كما سيأتى كذلك (وتوجه الكلام) بصيغة الماضى اى انحصر (فيه) اى فى القسم الاول ولايبعد ان يكون مصدرا مبتدأ خبره قوله (فى اربعة ابواب الباب الاول) اى من القسم الاول (فى ثنائه تعالى) اى حسن ذكره (عليه واظهاره عظيم قدره) اى مرتبته (لديه) وهومع مراعاته للسجع اخص من عنده على ماقاله النحويون من ان عنده يجوزان يكون بحضرته وفى ملكه واما لديه فمختص بالحضرة (وفيه عشرة فصول) سيأتى تفصيلها (الباب الثانى) اى من القسم الاول (فى تكميله تعالى له المحاسن) اى المناقب الصورية والمعنوية جمع حسن على غير قياس وكانه جمع محسن (خلقا) بالفتح (وخلقا) بضمتين وبسكون الثانى وقدم الاول لسبق وجوده الناشئ منه اظهار كرمه وجوده (وقرانه) بكسر القاف اى وفى مقارنته وجمعه (جميع الفضائل الدينية والدنيوية) بحذف الالف عند مباشرة ياء النسبة والمراد بها الفضائل الدنيوية التى تنفع فى الامور الاخروية والافقد قال انتم اعلم بامور دنياكم ثم لدنيا على ماقاله المصنف فى مشارق الانوار اسم لهذا الحياة لدنوها من اهلها وبعد الآخرة عنها انتهى وقيل لدناءتها (فيه) اى فى حقه (نسقا) بفتحتين اى جمعا متتابعا ولا معنى لقول التلمسانى هنا اى عطفا وتبعا ولقد اجاد الدلجى حيث افاد اى مناسبا بعضها بعضا مستوية فى كمالها كجواهر منتظمة فى نظام واحد زيادة لجمالها (وفيه سبعة وعشرون فصلا) قال التلمسانى بل هى ستة وعشرون فصلا اقول ولعله اتى بالسابع فضلا (الباب الثالث) اى من القسم الاول من الكتاب (فيما ورد من صحيح الاخبار) اى الاحاديث والآثار (ومشهورها) اى مشهور الاخبار عند الاخيار (بعظيم قدره عند ربه ومنزلته) اى مكانته وهو عطف تفسير لعظيم قدره (وما خصه) اى الله تعالى كما فى نسخة يعنى وماجعله مخصوصا (به فى الدارين من كرامته وفيه اثناعشر فصلا) هكذا فى النسخ كلها التى عليها الرواية والتصحيح والمقابلة والذى فى هذا الباب من الفصول خمسة عشر ولعله اراد بالاثنى عشر فصولا مهمة و بزيادة الثلاثة تكملة وتتمة وهذا ملخص كلام التلمسانى (الباب الرابع) اى من القسم الاول (فيما اظهره الله تعالى على يديه) اى بسببه (من الآيات) اى العلامات التى هى خوارق العادات (والمعجزات) وهى تختص بالتحدى (وشرفه به من الخصائص والكرامات) تعميم بعد تخصيص وايماء الى ان كرامات اولياء امته بمنزلة معجزاته وفى مرتبة كراماته (وفيه ثلاثون فصلا) قال التلمسانى الذى فيه من الفصول تسعة وعشرون ولعله عد ما صدر من الباب الى الفصل فصلا (القسم الثانى فيما يجب على الانام) قال المحشى فيه اقوال فقيل كل من يعتريه النوم وقيل الانام الاناس وقيل الانام المخلوقات قلت يرد القول الاول انه مهموز لامعتل العين فى القاموس الانام كسحاب الخلق اوالجن والانس اوجميع ماعلى وجه الارض انتهى ولعل الخلق خصه بالحيوانات اولا ولايخفى ان المعانى الثلاثة محتملة فى قوله تعالى والارض وضعها للانام واما هنا فيراد به الانس والجن اوجميع الخلق على القول بانه بعث الى الخلق كافة كما فى رواية مسلم فيجب على كل فرد

من المخلوقات ما يناسبه في كل مقام (من حقوقه عليه الصلاة والسلام ويترتب القول) قال التلمساني اي يتمكن والضمائر ان المعنى يجيء الكلام مرتبا (فيه) اي في هذا القسم (في اربعة ابواب الباب الاول) اي من القسم الثاني (في فرض الايمان به) اي في بيان كون الايمان به فرضا عينيا على جميع الاعيان (ووجوب طاعته) اي في سائر ما امر به ونهى عنه (واتباع سنته) اي متابعة طريقته اي قولا وفعلا وتخلقا (وفيه خمسة فصول) قال التلمساني بل هي اربعة والعذر تقدم (الباب الثاني) اي من القسم الثاني (في لزوم محبته ومناصحته) اي مصادقته وموافقته ومخالصته (وفيه ستة فصول) بل هي خمسة (الباب الثالث) اي من القسم الثاني (في تعظيم امره) اي شانه او حكمه (ولزوم توقيره) اي تعظيمه ونصره (وبره) اي زيادة احسانه وعدم مخالفته فوق منزلة الاب وفي قرابته وهواتهم يجب بره ويحرم عقوقه ولو في امر مباح في حده وقيل طاعته (وفيه سبعة فصول) بل ستة (الباب الرابع) اي من القسم الثاني (في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك) اي الجزاء وفي بيان فرض ماذكر (وفضيلته) اي وفي ثواب ماذكر وزيادة فضله (وفيه عشرة فصول) بل تسعة (القسم الثالث فيما يستحيل) اي لا يمكن وجوده (في حقه) اي عقلا ونقلا (وما يجوز عليه شرعا) اي قولا وفعلا (وما يمتنع) اي في الجملة او ما لا يجوز عليه شرعا (ويصح) اي وما يصح (من الامور البشرية ان يضاف) اي ينسب خلاصة ما ذكرها (اليه وهذا القسم) اي الثالث (اكرمك الله) جملة اعتراضية بين المبتدأ وخبره وردت دعاء لمن خوطب به كما في قوله

(ان الثمانين وبلغتها * قد احوجت سمعي الى ترجمان)

وقد يرد الاعتراض للتنزيه كما في قوله تعالى ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون او للتنبيه في مثل

(واعلم فعلم المرء ينفعه * ان سوف يأتي كل ما قدرا)

(هو سر الكتاب) اي خلاصته (ولباب ثمرة هذه الابواب) اي ابواب هذا القسم كما ذكره الدلجي والصواب ابواب هذا الكتاب والمعنى انه زبدة نتيجتها وخلاصة فائدتها (وما قبله) اي من القسمين (له كالقواعد) جمع القاعدة وهي الاساس في المنقولات والمعقولات من قوانين كلية مشتملة على مسائل جزئية (والتمهيدات) اي الموطئات (والدلائل) اي وكالدلائل العقلية والنقلية (على ما نورده فيه) اي في حقه ما يجب ويستحب ويباح ويحرم وغير ذلك مما برز قائله او يؤدب (من النكت البينات) اي اللطائف الواضحات (وهو) اي هذا القسم الثالث ايضا (الحاكم على ما بعده) اي من القسم الاخير (والمنجز) بصيغة الفاعل مخففا اي وهو الموفي (من غرض هذا التاليف وعده) اي الذي سبق وعده (وعند التقصي) بالقاف بمعنى الاستقصاء والتتبع اي وعند بلوغ المقصد الاقصى (لوعدته) بفتح الميم وكسر العين والتاء فيه للوحدة وهو بمعنى الموعد والمراد به المصدر وان كان يصلح ان يكون زمانا او مكانا وقيل الموعد اسم للعدة (والتفصي) بالفاء اي التخلص والتفلت (عن عهدته) اي التزامه وتحمله (يشرق) بفتح الياء والراء اي يضيق (صدر العدو) اي قلبه واغرب التلمساني بقوله هو مقدم كل شيء واوله (اللعين) اي الملعون حسدا منه والمراد به العدو والجنس او ابليس واقتصر عليه الحلبي و الاول اظهر لشموله لكل كافر كما يدل عليه مقابلته بالمؤمن في قوله (ويشرق) بضم اوله وكسر الراء اي يضيء ويستنير (قلب المؤمن باليقين) قيد مخرج للمنافقين وفي الكلام تجنيس تحريف (وتملأ انواره) اي انوار يقينه (جوانح صدره) بفتح الجيم وكسر النون جمع جانحة اي اضلاعه التي تحت الترائب مما يلي الصدر كالضلوع مما يلي الظهور والمراد الاحاطة بجميع جوانب صدره (ويقدر) بضم الدال وقول التلمساني بضم وبكسر ليس في محله اي يعظم او يعرف (العاقل) بالمهملة والقاف وفي نسخة بالمعجمة والفاء (النبي حق قدره) اي حق عظمته او حق معرفته

(ادمبلغ العلم فيه انه بشر * وانه خير خلق الله كلهم)

ولذا قال بعض العارفين الخلق عرفوا الله تعالى وما عرفوا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم (ويتحرر) اي يتخلص ويتخالص (الكلام فيه في بابين الباب الاول) اي من القسم الثالث (فيما يختص بالامور الدينية ويتشبث) اي يتعلق (به القول في العصمة) وهي خلق الله تعالى الامتناع عن المعصية والامور الدينية (وفيه ستة عشر فصلا) هذا صحيح ليس عليه اعتراض اصلا (الباب الثاني) اي من القسم الثالث (في احواله الدنيوية وما يجوز طروءه) بضمتين فسكون واو فهمز وفي نسخة بالادغام اي وقوعه وحدوثه (عليه من الاعراض البشرية) اي من العوارض الانسانية فان الاعراض جمع عرض بفتحتين وهو ما يعرض للانسان من مرض ونحوه من السهو والنسيان ثم اعلم ان صاحب القاموس ذكر مادة طرأ مهموزا ومعتلا وعلى تقدير الهمز يجوز الابدال والادغام (وفيه تسعة فصول) بل ثمانية (القسم الرابع في تصرف وجوه الاحكام) اي تنوع انواعها من مسائلها ونوازلها (على من تنقصه) اي من عدّه نقصا او تكلم بما يتضمن نقصه (او سبه) تخصيص بعد تعميم اي شتمه (عليه الصلاة والسلام) وفي نسخة

سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام (وينقسم الكلام فيه في بابين الباب الاول) اى من القسم الرابع (في بيان ماهو في حقه سب ونقص) تعميم بعد تخصيص (من تعريض) اى كناية وتلويح (اونص) اى ظاهر وتصريح وقال محش نص عليه اذا عينه وعرض اذا لم يذكره منصوصا عليه ال يفهم الغرض بقرينة الحال (وفيه عشرة فصول) بل تسعة (الباب الثاني) اى من القسم الرابع (في حكم شانئه) بالهمز بعد النون اى مبغضه و منه قوله تعالى ان شانئك هو الابتر (ومؤذيه) بالهمز و يجوز ابداله اى مضره وهو اخص مما قبله وبعده وهو قوله (ومنتقصه) و في نسخة منتقصه (وعقوبته) اى وفي بيان عقابه وجزائه في الدنيا (وذكر استتابته) اى طلب توبته (والصلاة) اى وذكر صلاة الجنازة (عليه ووراثته) اى من المسلم او المسلم منه (وفيه عشرة فصول) قال الحلبي هكذا في الاصول لكن بخط مغلطا اى ان صوابه خمسة يعني عوض عشرة (وختمناه) اى القسم الرابع (بباب ثالث جعلناه تكملة) اى تكميلا (لهذه المسئلة ووصلة) بضم الواو اى توصيلا (للبابين الذين قبله) اى من القسم الرابع (في حكم من سب الله تعالى) متعلق بالباب الثالث (ورسله) وكذا حكم انبيائه (وملائكته وكتبه) اى المنزلة (وآل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وصحبه) عموما اوخصوصا (واختصر الكلام) بصيغة المجهول الماضي وفي نسخة بصيغة المتكلم وفي اخرى واختصرنا الكلام اى بالاقتصار على المقصود (فيه) اى في هذا الباب (في خمسة فصول) بل في عشرة فصول على ماذكره التلمساني وقال الحلبي هكذا وقع ايضا في الاصول وصوابه عشرة فصول لانه فيما يأتي ذكره عشرة (وتمامها) اى باتمام فصول هذا الباب الثالث من القسم الرابع (ينتجز الكتاب) اى ينقضي وينتهي (وتتم) اى وتكمل (الاقسام) اى الاربعة (والابواب) اى الثلاثة عشر جميعها وهو كالتفسير لما قبله (وتلوح) اى تضيء وتظهر به (في غرة الايمان) اى بياض جبهته ومقدمة طلعته (لمعة) بالضم اى قطعة (منيرة) اى منورة لمن اطلع عليها وقد يقال الغرة استعيرت للشرف والشهرة (وفي تاج التراجم) بكسر الجيم اى ويلوح في تاج تراجم الايقان (درة خطيرة) اى ذات خطر وقدر ويعني بها جوهرة نفيسة اولؤلؤة لبس لها قيمة لمن وقع يده عليها ثم كل من لمعة ودرة مرفوعة على الفاعلية لان لاح فعل لازم ففي القاموس لاح بدا والبرق اومض كلاح وجعل التلمساني ضميرا يلوح الى الكتاب المتقدم ذكره وانتصابهما على الحال (تزيح) استئناف مبين اوجملة حالية من الازاحة اى تزيل اللمعة وفي معناها الدرة (كل لبس) بفتح فسكون اى اشكال وخلط وشبهة وخبط (وتوضح) اى تكشف وتظهر (كل تخمين) اى قول من غير تحقيق (وحدس) اى صادر عن ظن ووهم وهو قد سقط من اصل المؤلف على ماقاله بعضهم لكن لابد من ذكره لتمام السجع وهما بمعنى واحد (وتشفي صدور قوم مؤمنين) عطف على تلوح وفي نسخة بحذف الياء ولعله قصد التلاوة لكنه مع مابعده بصيغة التأنيث في نسخة صحيحة (وتصدع بالحق) اى تجهر به وتظهره (وتعرض عن الجاهلين) اى تتركهم ايماء الى قوله سبحانه وتعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين (وبالله تعالى لااله) اى لنا كلنا اذ لا معبود بحق موجود (سواه) اى غيره والجملة معترضة حالية (استعين) اطلب المعونة به لابغيره من المخلوقين بقوله تعالى اياك نستعين اى نخصك بالاستعانة لان غيرك عاجز عن الاعانة وفي نسخة وبالله لاسواه استعين لااله الاهو الملك الحق المبين

(القسم الاول)

(في تعظيم العلي الاعلى) اى رفعة ورتبة (لقدر النبي المصطفى) وفي نسخة بحذف النبي ووجوده اولى كما لايخفى (قولا) ورد به القرآن الكريم والفرقان القديم (وفعلا) من معجزات باهرة وآيات ظاهرة ونصبهما بنزع الخافض (قال الفقيه) على مافي نسخة (القاضي الامام) على مافي اخرى (ابو الفضل رحمه الله تعالى) ففيه اشعار بانه ملحق من كلام غيره وفي نسخة صحيحة وفقه الله وسدده ففيه تصريح بانه من كلام نفسه لكن لايلائمه حينئذ وصف الامام (لاخفاء) بفتح الخاء اى لايخفى (على من مارس) اى لازم ودارس (شيئا) اى قليلا (من العلم اوخص) بصيغة المجهول اى خصه الله تعالى من بين العوام (بادنى لمحة) بفتح اللام وهي النظرة الخفية و يروى لحظة واماقول التلمساني هي بضم اوله اى شيء قليل من النظر واصله من لمح البصر وهو نظر لاتردد فيه واللمحة بالفتح المرة وهو الاولى ههنا لانه اذا كان يفهم ذلك مرة فيظهر فذو المرار اولى واشهر فهو كلام غير محرر اذ ضم اللام غير مشتهر فتدبر (من فهم) و يروى من الفهم وهو اظهر (بتعظيم الله تعالى قدر نبينا عليه الصلاة والسلام) الباء ظرفية متعلقة بخفاء وقدر منصوب على المفعولية (وخصوصه اياه) اى وتخصيص الله تعالى نبينا (بفضائل) اى بزوائد من الكرامات (ومحاسن) اى ومستحسنات من الاخلاق المكرمات (ومناقب) اى ونعوت وصفات كثيرات من الكمالات العلمية والعملية التي اسناها معرفة الله سبحانه وتعالى من حيث الذات والصفات (لاتنضبط) اى لاتجتمع لكثرتها ولاتنحصر ولاتدخل تحت ضبط (لزمام) بكسر الزاي قال التلمساني يروى بالياء واللام انتهى لكنه

فى النسخ المصححة باللام فقط اى لصناديد ضبطها وتقصد ربطها وتجتهد فى احصائها وتتوهم امكان استقصائها وهو مستعار من زمام الناقة وهو ما يجعل فى حلقة مداركة فى انفها لحصول انقيادها (وتنويه) اى وبرفع ذكره ومن تبعيضية وابعد الدلجى فى قوله من زائدة (من عظيم قدره) اى من قدره العظيم وفى نسخة صحيحة من عظم قدره وفى اخرى بعظيم قدره (بما تكل) بفتح فكسر فتشديد اى بما تعجز وتعيى (عنه الالسنة) اى السنة الانسان فى البيان (والاقلام) اى وبنان البنان (فمنها ما صرح به تعالى فى كتابه ونبه به على جليل نصابه) اى عظيم منصبه (واثنى) اى وما نثنى (به عليه) اى فى كتابه (من اخلاقه) اى احواله الباطنة (وآدابه) اى افعاله الظاهرة كما اخبر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله ادبنى ربى فاحسن تاديبى (وحض) بتشديد المعجمة اى ورغب وحث (العباد على التزامه) اى حملهم على قبول تكليفه بوصف دوامه (وتقلد ايجابه) اى بالطاعة بجنابه فيما اوجبه فى كتابه (فكان جل جلاله) اى عظمت عظمته وعز جاهه (هو الذى تفضل) اى اعطاه من فضله (واولى) اى انعم عليه بما علم المولى بانه اولى وهذا قبل ظهور وجوده لما تعلق به من كرمه وجوده (ثم طهر وزكى) اى طهره بالتخلية وزكاه بالتحلية فى عالم دنياه بما نعمه فى صغره من الحلية واما قول الدلجى ثم طهره من عبادة الاصنام فلا يناسب لمقامه عليه السلام (ثم مدح) اى مدحه (بذلك واثنى) اى عليه معانه من آثار فعله والوار فضله فهو الحامد والمحمود كانه هو الشاهد والمشهود فى جميع مبادئ الوجود فليس فى الدار غيره موجود (ثم اثاب) اى جازاه (عليه الجزاء الاوفى) اى بالجزاء الاوفر والحظ الاكبر ونصبه على المصدر من غير فعله (فله الفضل بدءا وعودا) اى فله الاحسان على وجه الزيادة فى الابتداء والاعادة (والحمد لله اولى واخرى) اى فى الدنيا والعقبى وفى نسخة والحمد اولى واخرى عطفا على الفضل اى وله الحمد كما فى قوله تعالى وله الحمد فى الاولى والآخرة فهذه النسخة اولى من الاولى كما لا يخفى ويجوز ان يكونا اسمى تفضيل اى وله اولى الحمد واخراه والمراد استيعابه كقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا واما قول بعضهم ان اسم التفضيل لا يستعمل الا مضافا او موصولا بمن او معرفا باللام فمنقوض بقوله سبحانه ولعذاب الآخرة اخرى كانوا هم اظلم واطغى اللهم الا ان يعتبر من المقدرة فى حكم المذكورة (ومنها ما ابرزه) اى اظهره (للعيان) بكسر العين اى للمعاينة (من خلقه) بفتح الخاء خلافا لمن توهم وضبطه بالضم اذ المراد هنا شمائله الظاهرة ومن لبيان ما الموصولة (على اتم وجوه الكمال) اى اكمل انواع وجوه كمال الجمال وهى صفات اللطف والاكرام (والجلال) وهى صفات القهر والانتقام او المراد بالكمال النعوت الثبوتية وبالجلال الصفات السلبية وهى قولنا فى حقه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا فى زمان ولا فى مكان وسائر الامور الحدوثية فحينئذ يقال معناه المنزه عن شوائب النقصان فى نظر ارباب الحال وفى نسخة بكسر الخاء المعجمة بمعنى الخصال (وتخصيصه) اى ومن جملة تخصيصه (بالمحاسن الجميلة) اى الحسنة من الافعال (والاخلاق الحميدة) اى المحمودة من الاحوال (والمواهب الكريمة) اى المرضية من الاقوال (والفضائل العديدة) اى الكثيرة التى عدها من المحال وهو من العد ومعناه الكثير لا من العدد فيتوهم انها حصرت واحصيت وروى السديدة اى الفضائل الواقعة على سنن السداد (وتاييده) اى من تقويته (بالمعجزات الباهرة) اى البارعة الفائقة الغالبة القاهرة (والبراهين الواضحة) اى وبالادلة الظاهرة (والكرامات البينة) اى الخوارق اللائحة وهى اعم من المعجزات فانها مقرونة بالتحدى مع عدم المعارضة مما يصدق الله تعالى انبياءه فى دعوى النبوة سميت معجزة للاعجاز عن الاتيان بمثلها وسميت آية لكونها علامة دالة على تصديق الله تعالى لهم مع ان المقام مقام ندم فيه الايجاز ويمدح الاطناب سيما فى خطاب الاحباب (التى شاهدها) اى عاينها واغرب التلمسانى بقوله اى حضرها فاعل بمعنى فعل اى شهدها (من عاصره) اى من ادرك عصره وزمانه وروى من عاصرها اى البراهين والكرامات (ورآها من ادركه) اى صادف اوانه وروى من ادركها (وعلمها علم اليقين) وفى نسخة علم يقين اى من غير شك وتخمين قال بعض العارفين علم اليقين ما كان بشرط البرهان وعينه بحكم البيان وحقه نعت العيان فعلم اليقين لاصحاب العقول وعينه لاصحاب العلوم وحقه لاصحاب المعارف (من جاء بعده) اى من التابعين واتباعهم (حتى انتهى) اى الى ان وصل (علم حقيقة ذلك) اى بلغ حقيقة ما هنالك (الينا وفاضت انواره) اى ظهرت آثاره وكثرت انواره وروى انوارها (علينا صلى الله تعالى عليه وسلم تسليما كثيرا حدثنا) وفى بعض النسخ اخبرنا (القاضى الشهيد ابو على الحسين بن محمد الحافظ) رحمه الله تعالى وهو الاندلسى المعروف بابن سكرة بضم فتشديد ترجمته معروفة استشهد بثغر الاندلس سنة اربع عشرة وخمسمائة وكان من اهل العلم بالحديث (قراءة منى عليه) نصب قراءة على نزع الخافض او على انه تمييز او حال اى حدثنا بقراءة او من جهة قراءة او حال قراءة منى عليه لا بقراءته ولا بقراءة غيره وهذا على مذهب من لا يرى بين حدثنا واخبرنا وانبأنا فرقا كالبخارى

ومن تبعه (قال حدثنا ابو الحسين المبارك بن عبد الجبار) اى ابن احمد الحمامى بفتح مهملة وتخفيف وهو من اهل الخير والصلاح على ماذكره ابن ماكولا في اكماله (وابو الفضل احمد بن خيرون) بفتح معجمة فسكون تحتية ممنوعا وقد يصرف ثقة عدل متقن له ترجمة في الميزان توفى سنة ثمان وثمانين واربعمائة قال الحلبي رأيت عن المزنى ان الاصل في خيرون الصرف ولكن المحدثون لا يصرفونه لشبهه بالجمع المذكر السالم انتهى والاظهر انه بناء على اعتبار المزيدتين مطلقا عند بعضهم كالفارسى كما قالوا في سيرين وغلبون (قالا) اى كلاهما (حدثنا ابو يعلى البغدادى) بالمعجمة في الثانية وهو الاصح والافصح ويجوز بمهملتين وبمعجمتين وباهمال احداهما واعجام الاخرى وهو احمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر يعرف بابن زوج الحرة (قال حدثنا ابو على السنجى) بكسر مهملة وسكون نون فجيم نسبة الى بلدة تسمى سنج مرو (حدثنا محمد ابن احمد بن محبوب) هو ابو العباس المحبوبى المروزى التاجر الامين روى جامع الترمذى عنه مشهور (قال حدثنا ابو عيسى بن سورة) بفتح مهملة وسكون واو فراء (الحافظ) اى الترمذى وهو صاحب الجامع الضرير قيل ولد اكمه قال الذهبي ثقة مجمع عليه ولا التفات الى قول ابي محمد بن حزم انه مجهول فانه ما عرفه ولا ادرى بوجود الجامع ولا الى علل انتهى ولاشك ان تجهيل الترمذى يضر ابن حزم بلا عكس كما لا يخفى (قال حدثنا اسحق بن منصور) هذا هو الكوسج الحافظ روى عن ابن عيينة فمن بعده وعنه الشيخان والترمذى والنسائى وابن ماجه (حدثنا عبد الرزاق) اى ابن همام بن نافع ابو بكر الصنعانى الحافظ احد الاعلام روى عن ابن جريج ومعمر وابى ثور وعنه احمد واسحق صنف الكتب اخرج له اصحاب الكتب الستة (انبأنا معمر) بفتح الميمين ابن راشد ابو عروة البصرى عالم اليمن اخرج له الجماعة قال معمر طلبت العلم سنة مات الحسن ولى اربع عشرة سنة (عن قتادة) هو ابن دعامة ابو الخطاب السدوسى الاعمى الحافظ المفسر روى عن عبد الله بن سرجس وانس وخلق وعنه ايوب وشعبة وخلق (عن انس رضى الله عنه) اى ابن مالك خادم النبى صلى الله عليه وسلم وترجمته شهيرة ومناقبه كثيرة (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اتى) اى جئ (بالبراق) بضم الموحدة وتخفيف الراء سمى به لسرعة سيره كالبرق اولشدة بريقه وقيل لكونه ابيض وقال المصنف لكونه ذا لونين يقال شاة برقاء اذا كان في خلال صوفها الابيض طاقات سود وقد وصف في الحديث بانه ابيض وقد يكون من نوع الشاة البرقاء وهى معدودة في البيض انتهى وهو دابة دون البغل وفوق الحمار ويضع حافره عند منتهى طرفه كما في الصحيح وفي رواية على مانقله ابن ابى خالد في كتاب الاحتفال في اسماء خيل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان وجهه كوجه الانسان وجسده كجسد الفرس وقوائمه كقوائم الثور وذنبه كذنب الغزال لا ذكر ولا انثى وفي تفسير الثعلبى جسده كجسد الانسان وذنبه كذنب البعير وعرفه كعرف الفرس وقوائمه كقوائم الابل واظلافه كاظلاف البقر وصدره كانه ياقوتة وظهره كانه درة بيضاء وله جناحان في فخذيه يمر كالبرق (ليلة اسرى به) ظرف بنى على الفتح لاضافته الى الجملة الفعلية الماضوية المبنية للمجهول (ملجما مسرجا) اسما مفعول من الالجام والاسراج وهما حالان مترادفان او متداخلان (فاستصعب) اى استعسر البراق (عليه) اى لبعد عهده بالانبياء من جهة طول الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام على ماذكره ابن بطال في شرح البخارى وهى ستمائة سنة على ماذكره التلمسانى اولانه لم يركبه احد قبل نبينا صلى الله عليه وسلم بناء على خلاف سيأتى في ذلك وقيل استصعب تيها وزهوا بركوبه عليه السلام (فقال له جبريل) وفيه ثلاث عشرة لغة والمتواتر منها اربع معروفة (ابمحمد تفعل هذا) اى يابراق كما في رواية وضبط تفعل بالخطاب المذكر ولو روى بصيغة المجهول الغائب لكان له وجه والهمزة للانكار التوبيخى والاشارة الى الاستصعاب المفهوم من استصعب (فما ركبك) بالخطاب المذكر تعظيماله (احد اكرم) بالرفع والنصب (على الله تعالى منه) وفي رواية فوالله ماركبك ملك مقرب ولا نبى مرسل افضل ولا اكرم على الله منه فقال قد علمت انه كذلك وانه صاحب الشفاعة وانى احب ان اكون في شفاعته فقال انت في شفاعتى (قال) النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اوانس رواية عنه (فارفض) بتشديد الضاد المعجمة اى فسال البراق (عرقا) نصب على التمييز المحول من الفاعل اى تبدد عرقه حياء وخجالة مما صدر عنه بمقتضى طبعه فهذا يؤيد القول الاول فتأمل وقد قال الزبيدى في مختصر كتاب العين في اللغة وصاحب التحرير وهى دابة الانبياء عليهم الصلاة والسلام والثناء قال النووى وهذا الذى قالاه من اشتراك جميع الانبياء معه يحتاج الى نقل صحيح انتهى وقد قال ابن بطال مامعناه ركبها الانبياء واقره السهيلى على ذلك وفي سيرة ابن هشام انه بلغه عن عبد الله يعنى ابن الزبير في حج ابراهيم البيت وفي آخره وكان ابراهيم يحجه كل سنة على البراق انتهى ونقل القرطبى في تذكرته قبيل ابواب الجنة بيسير عن ابن عباس ومقاتل والكلبى في قوله تعالى خلق الموت والحياة ان الموت والحياة جسمان فجعل الموت في هيئة كبش لا يمر بشئ ولا يجد ريحه شئ الامات وخلق الحياة في صورة فرس انثى بلقاء وهى التى كان جبريل والانبياء عليهم الصلاة والسلام يركبونها خطوها مد البصر

[illegible] ردوبه [illegible] بصيرة بهذا الاسناد ثم [illegible] قال [illegible] واشتهر عن ابى [illegible]
[illegible] وصفاته [illegible] البراق [illegible] وصاحب [illegible]
[illegible] صلى الله تعالى عليه وسلم [illegible]
[illegible] لكن [illegible] صحيح [illegible] على ان البراق واحد [illegible]
[illegible] جبريل عليه السلام [illegible] وكونه اقل من بدال لكن الاصح [illegible]
[illegible] وعند [illegible] الصلاة [illegible]
وقد ذكر [illegible] قال [illegible] رسول الله قال لا تركبها [illegible] على البراق
[illegible] الحديث [illegible] البراق مع احتمال اختصاصه بركوبه دون الانبياء [illegible]
[illegible] وفى بعض الروايات ان جبريل عليه الصلاة والسلام [illegible] عليه الصلاة والسلام
[illegible] والطبرانى فى الاوسط من رواية محمد بن عبد الرحمن [illegible]
[illegible] صلى الله تعالى عليه وسلم [illegible] البراق [illegible] عن ابى [illegible]
[illegible] قول العسقلانى انه ليس بمعتمد [illegible] قوله [illegible]
[illegible] ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم [illegible] البراق فركب [illegible]
[illegible] المنتشر [illegible] والمرسل حجة عند الجمهور وقد ذكر ان
[illegible] جبريل عليه السلام [illegible] على البراق [illegible] هذا وما تقدم [illegible] لكن حديث [illegible]
[illegible] ولم [illegible] فقال الاسراء مرة وهو الصحيح
[illegible] ان يحمل [illegible]
[illegible] يكون الحيوانات [illegible] عليه السلام [illegible] صلى الله تعالى عليه وسلم وهو [illegible]
[illegible] الرسول [illegible] ويؤيده انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال [illegible]
[illegible] وهو [illegible] انه اختلف فى الاسراء والمعراج هل كانا فى ليلة واحدة اولا [illegible]
[illegible] كان ذلك فى اليقظة او المنام او بعضه كذا وبعضه كذا [illegible] ولا [illegible]
[illegible] وهل كان المعراج مرة او مرات واختلفوا فى زمانه فقيل السابع
والعشرين من شهر ربيع الاول وقيل [illegible] وقيل لسبع عشرة خلت من شهر رمضان وقيل [illegible] سبع وعشرين
من رجب وبه جزم النووى فى الروضة [illegible] السابع والعشرين من شهر ربيع
الاول [illegible] فى شرح مسلم [illegible] السابع والعشرين من شهر ربيع الآخر [illegible]
[illegible] فى شوال [illegible]

{ الباب الاول }

اى من القسم الاول (فى ثناء الله تعالى) اى مدحه (عليه واظهاره عظيم قدره لديه) اى عنده فى مقام قربه بما يفهم من الآيات المتلوة والاحاديث المروية وقال الدلجى اى عنده فى اللوح المحفوظ عند الملائكة زيادة شرفه وتنبيها على قدره [illegible] المرادة [illegible] تفخيمه وتعظيمه انتهى ولا يخفى انه يحتاج الى نقل [illegible] ثم قال الدلجى الثناء هنا باعتبار غايته فهو اما العلم [illegible] من تكريم وتعظيم فهو مرجع الى صفات الافعال واما ارادة ذلك فيرجع الى الصفات الذات والاظهر فى الاصل [illegible] الحمد والشكر او المدح [illegible] ومورد ذلك كله الجوارح وهو فى حقه تعالى [illegible] لكون العلاقة [illegible] تحت ظاهر [illegible] من باب الكلام وهو فى حقه سبحانه وتعالى ثابت حقيقة على ما عليه اهل السنة والجماعة خلافا للمعتزلة ولا يحتاج الى اعتبار مجاز [illegible] بخلاف معنى الغضب والرحمة [illegible] (اعلم) خطاب عام وهو الاحق او خاص بالسائل كما سبق (ان فى كتاب الله العزيز) اى [illegible] على سائر الكتب [illegible] (آيات كثيرة مفصحة) اى موضحة مصرحة (بجميل ذكر المصطفى صلى الله عليه وسلم) اى [illegible] (وعد محاسنه) اى وتعداد مكارم اخلاقه (وتعظيم امره وتنويه قدره) اى [illegible] (اعتمدنا منها) اى من تلك الآيات (على ما ظهر معناه) اى من منطوق الدلالات (وبان فحواه) اى [illegible] مفهوم العلامات [illegible] (وجمعنا ذلك) اى ما ذكر من الاصول فى عشرة فصول

{ الفصل الاول }

اى النوع الاول من هذا الباب (فيما جاء) اى فى كتابه (من ذلك) اى مما ذكر من الآيات (مجئ المدح والثناء) نصب مجئ على المصدر (وتعداد المحاسن) بفتح التاء اى ومجئ تكرار اخلاقه الحسنة وهو جمع حسن على غير قياس ونصبه على ما فى نسخة غير مستقيم (كقوله تعالى) و فى نسخة لقوله تعالى باللام و هو غير ملايم للمرام (لقد جاءكم رسول من انفسكم الآية) بدأ بها فانها مشتملة على جملة من امتنانه سبحانه مما يوجب تعظيم رسوله و يعلى شانه منها القسم المستفاد من اللام المقرونة بقد الدالتين على تحقيق الكلام ومنها الايماء فى جاء الى ان رسولنا لو كان فى الصين لكان الواجب عليكم المأتى اليه لتعلم علم الدين و معرفة اليقين فيكون اتيانه فضلا منا عليكم واحسانا منه اليكم فيجب حسن استقباله واطاعة امره واقباله ومنها تنكير رسول فانه يشير الى انه رسول عظيم تفخيما لشانكم وتأييدا لبرهانكم ومنها انه جعل من جنسكم البشرى فانكم لن تطيقوا على التلقين الملكى وليكون ادعى الى متابعته حيث يفعل هو ايضا بمقتضى مقالته ولو كان ملكا لربما قيل ان القوة البشرية ليست كالقدرة الملكية ومنها انه جعل من صنفكم العربى والالقاء امرسل اليه عربى والرسول اليه العجمى ثم بقية الآية عزيز عليه ما عنتم اى شديد شاق عليه عنتكم وتعبكم و وقوعكم فى عذابكم حريص عليكم ان تؤمنوا كلكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤف رحيم والرأفة اشد الرحمة فذكر الرحيم تذييل اوعكس مراعاة للفواصل لالكونه ابلغ كما توهم الدلجى (قال السمرقندى) بفتح سين مهملة وميم وسكون راء هو المشهور على الالسنة واما ماضبطه بعض المحشين كالتلمسانى وغيره من سكون ميم وفتح راء فهو لحن على ماصرح به القاموس وهو الامام الجليل الحنفى المحدث المفسر نصر بن محمد بن احمد بن ابراهيم السمرقندى الفقيه ابو الليث المعروف بامام الهدى تفقه على الفقيه ابى جعفر الهندوانى هو الامام الكبير صاحب الاقوال المفيدة والتصانيف المشهورة العديدة توفى سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة له تفسير القرآن اربع مجلدات والنوازل فى الفقه وخزانة الفقه فى مجلدة وتنبيه الغافلين وكتاب البستان وذكر التلمسانى انه ابو على واسمه الحسن بن عبد الله منسوب الى بلدة سمرقند من اهل الظاهر روى عن داود بن على الظاهرى لكن المعتمد هو الاول وسيأتى فى مواضع من كتاب الشفاء حيث يروى عنه القاضى بواسطة واحدة والله اعلم وابو الليث السمرقندى متقدم يلقب بالحافظ وهو الفرق بينهما ذكره التلمسانى (وقرأ بعضهم من انفسكم بفتح الفاء) وهى قراءة شاذة مروية عن فاطمة وعائشة رضى الله تعالى عنهما وقرأبه عكرمة وابن محيصن وغيرهما وفى المستدرك عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه صلى الله تعالى عليه وسلم قرأها كذلك (وقراءة الجمهور بالضم) وضبطه بعضهم بالفتح وهو غير مشهور وضبط قراءه بصيغة المصدرية و يمكن قراءته بالجملة الفعلية ثم رأيت فى حاشية انهما روايتان والجمهور بالضم معظم الناس (قال القاضى الامام ابو الفضل وفقه الله تعالى) اى المصنف (اعلم الله تعالى المؤمنين اوالعرب اواهل مكة او جميع الناس على اختلاف المفسرين من المواجه) اى من الذى وقع له المواجهة من المؤمنين اوغيرهم (بهذا الخطاب) يعنى جاءكم فمن بفتح الميم موصول وكسر نونه فى الوصل لالتقاء الساكنين والمواجه بصيغة المفعول مرفوع ثم الظاهر العموم الشامل لجميع الانس بل والجن ايضا على وجه التغليب امامن اختار المؤمنين فلانهم المرادون فى الحقيقة والمنتفعون بمتابعته فى الطريقة وامامن اختار العرب فلما يدل عليه ظاهر قوله تعالى حريص عليكم ولما يتبادر من قوله انفسكم جنس العرب ولاينافى مااخترناه من العموم فتح الفاء لانه اذا كان اشرف جنس العرب فيكون افضل سائر الاجناس فانهم اكرم الناس لما تقرر فى محله واما من اختار اهل مكة فلما اشار اليه المصنف بناء على قراءة الضم (انه بعث فيهم رسولا من انفسهم يعرفون) اى محله ومرتبته بحليته ونعته (ويتحققون مكانه) اى مكان ولادته ونسبه ورتبته او رفعة قدره وعلو شانه ويؤيده مافى نسخة مكانته وهو مخل بالتسجيع لماقبله ملايم لقوله (ويعلمون صدقه وامانته ولايتهمونه بالكذب) فى دعوى رسالته اى ولذا كانوا يسمونه محمدا الامين لكمال ديانته (وترك النصيحة لهم) اى وترك ارادة الخير لهم (لكونه منهم) وهو ابعد للتهمة فى ترك النصيحة فى حقهم (وانه) بالفتح عطف على انه السابق الواقع مفعولا ثانيا لاعلم ولايبعد ان يكون مجرور المحل معطوفا على كونه والحاصل انه (لم تكن فى العرب قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) على المصاحبة كقوله تعالى وآتى المال على حبه اى مع رسول الله (ولادة) اى قرابة قريبة (اوقرابة) اى بعيدة (وهو) اى هذا المعنى المستفاد من قوله وانه الخ (عند ابن عباس) كما رواه عنه البخارى والطبرانى (وغيره) اى من المفسرين (معنى قوله تعالى الا المودة فى القربى) فى قوله تعالى قل لا اسئلكم عليه اى على التبليغ اجرا الا المودة اى لكن المودة فى القرابة لازمة من الجانبين وانا لا اقصر فى نصيحتكم وارادة الخير لكم ومحبتكم فيجب عليكم ايضا ان تجتهدوا فى متابعتى ونصرتى ودفع الاذى عن اهل ملتى (وكونه) قال الحلبى هو بالرفع لكن الظاهر كما اقتصر عليه الدلجى انه بالجر عطفا على قوله والمعنى وهو معنى كونه (من اشرفهم) اى نسبا (وارفعهم)

اى حسبا (وافضلهم) اى سخاوة ونجادة (على قراءة الفتح) اى بناء عليها (وهذه) اى الصفة (نهاية المدح) اى من هذه الجهة (ثم وصفه) اى الله سبحانه و (تعالى امد) بالضم اى بعد قوله من انفسكم (باوصاف حميدة واثنى عليه بمحامد) بالفتح جمع محمدة بمعنى مدحة (كثيرة) اى عديدة (من حرصه على هدايتهم) اى دلالتهم على العقائد الدينية (ورشدهم) اى ارشادهم الى مافيه صلاح امورهم من الاحكام الشرعية (واسلامهم) اى انقيادهم واستسلامهم للحوادث الكونية بقوله حريص عليكم (وشدة ما يعنتهم) من الافعال اوالفعيل اى مايشق عليهم ولايطيقونه (ويضربهم) ضبط فى نسخة بضم الباء وكسر الضاد وهو غير صحيح لوجود الباء فى مفعوله وقول الدلجى ان الباء زائدة غير صحيح فى القاموس ضره وبه واضره والصواب ضبطه بفتح وضم والتقدير ومايضرهم (فى دنياهم واخراهم وعزته عليه) اى ومن غلة مايعنتهم على النبى صلى الله تعالى وسلم لقوله عزيز عليه ماعنتم وكان الاولى مراعاة الترتيب القرآنى كالايخفى بان يقدم قضية العزة على الشدة ثم يقول (ورأفته ورحمته بمؤمنيهم) ومؤمنى غيرهم وفى نسخة بمؤمنهم بصيغة الافراد على ارادة الجنس بطريق الاستغراق بقوله بالمؤمنين رؤف رحيم والرأفة ادق من الرحمة ولعل التفاوت بحسب القابلية والرتبة (قال بعضهم اعطاه) اى الله (اسمين من اسمائه رؤف) بالاشباع ودونه

فمن الاول قول كعب بن مالك الانصارى

(نطيع نبينا ونطيع ربا * هو الرحمن كان بنا رؤفا)

ومن الثانى قول جرير

(يرى للمسلمين عليه حقا * كفعل الوالد الرؤف الرحيم)

(رحيم) اى على وصف التنكير واما صيغة التعريف فالظاهر انه لايجوز اطلاقهما على غيره سبحانه (ومثله) اى ومثل معنى الآية الاولى (فى الآية الاخرى فى قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين) خصوا لكونهم المنتفعين (اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم الآية وفى آية اخرى هو الذى بعث فى الاميين) اى العرب الذين غالبهم مايقرأ ولا كتب (رسولا منهم) اى اميا مثلهم لكن الامية فى حقه عليه الصلاة والسلام معجزة ومنقبة وفى حق غيره معيبة ومنقصة (الآية) تمامها يتلو عليهم آياته اى مع كونه اميا فهذا اظهر معجزاته ويزكيهم اى من خباثث الاحوال والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة اى السنة والشريعة (وقوله) اى وفى الآية الاخرى قوله (كما ارسلنا فيكم رسولا منكم) الآية الى قوله فاذكرونى بالطاعة اذكركم بالمثوبة (وروى عن على بن ابى طالب كرم الله تعالى وجهه عنه عليه الصلاة والسلام) اى كما رواه ابن ابى عمر العدنى فى مسنده (فى قوله تعالى من انفسكم قال نسبا) اى قرابة مختصة بالآباء على مافى القاموس ونصبه على التمييز وكذا قوله (وصهرا) قال البيضاوى فى قوله تعالى وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا اى قسمه قسمين ذوى نسب اى ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر اى اناثا يصاهر بهن والحاصل انه شريف الجانبين وكريم الطرفين ثم قوله (وحسبا) اريد به مايعده الانسان من مفاخر آبائه من الدين اوالكرم اوالمال وقيل الحسب والكرم قد يكونان بمن لاشرف لآبائهم والشرف والمجد لايكونان الابهم (ليس فى آبائى) اى اصلا فى من الاب والجد والام والجدة (من لدن آدم) بفتح لام وضم دال وسكون نون ويجوز سكون الدال وكسر النون اى من عند ابتداء زمن آدم عليه الصلاة والسلام الى وجود الخاتم صلى الله تعالى عليه وسلم (سفاح) بكسر السين وهو صب ماء الرجل بلا عقد على ماقاله المحشى والاولى ان يقال المراد به الوطء من غير محوز لان السرية لاعقد لها والحاصل ان المراد به الزنا ومالايجوز وطؤه شرعا (كلنا نكاح) اى ذو عقد اوكل واحد منا ناكح اوقصد به المبالغة كرجل عدل وهو واقع على التغليب والا فام اسمعيل عليه الصلاة والسلام سرية اللهم الا ان يقال قد اعتقها وعقد عليها قال المحشى ويروى كلها نكاح وهو كذا فى نسخة ولعل التقدير كل الجامعة ذات نكاح وفى حديث لما خلق الله تعالى آدم اهبطنى فى صلبه الى الارض وجعلنى فى صلب نوح فى السفينة وقذف بى فى النار فى صلب ابراهيم ثم لم يزل ينقلنى من الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة الى اخرجنى من بين ابوى لم يلتقيا على سفاح قط (قال ابن الكلبى) وهو محمد بن السائب ابو النصر المفسر النسابة الاخبارى وترجمته معروفة فى الميزان وغيره (كتبت للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم خمسمائة ام) لعله اراد به التكثير والا فمحال ان يكون بينهما خمسمائة ام اذ بينه صلى الله تعالى عليه وسلم وبين عدنان احد وعشرون ابا اجماعا وبين عدنان وآدم على مابينه ابن اسحق وغيره ستة وعشرون ابا فيكون بينه صلى الله تعالى عليه وسلم وبين آدم عليه الصلاة والسلام سبعة واربعون ابا بسبع واربعين اما ولايبعد انه عد امهاته وامهات اعمامه وامهات اعمام آبائه الى آدم والله تعالى اعلم (فما وجدت فيهن سفاحا) اى ذات سفاح (ولاشيئا مما كان عليه الجاهلية) اى من اخذ الاخدان لشهادة حديث ابن عدى والطبرانى خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح وقد نقل عن اكثر

اهل السير كزبير بن بكار وغيره ان كنانة خلف على برة بعد ابيه خزيمة على عادة العرب فى الجاهلية فى ان اكبر ولد الرجل يخلف على زوجته اذا لم يكن منها وهذا مشكل لان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول كانا نكاح ليس فيها سفاح ماولدت من سفاح اهل الجاهلية وذكر السهيلى وغيره فى هذا اعذارا منها ان الله تعالى يقول ولا تنكحوا مانكح آباؤكم من النساء الاماقدسلف اى من تحليل ذلك قبل الاسلام وفائدة هذا الاستثناء ان لايعاب نسب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى وبعده لايخفى وذكر الحافظ ابو عثمان عمرو بن بحر فى كتاب له سماه كتاب الاصنام قال وخلف كنانة بن خزيمة بن مدركة على زوجة ابيه بعد وفاته وهى برة بنت اد بن طابخة تحت كنانة بن خزيمة فولدت له النضر بن كنانة وانما غلط كثير من الناس لما سمعوا ان كنانة خلف على زوجة ابيه لاتفاق اسمهما وتقارب نسبهما قال وهذا الذى عليه مشايخنا من اهل العلم بالنسب قال ومعاذ الله ان يكون اصاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مقت بنكاح وقال من اعتقد غير هذا فقد اخطأ وشك فى الخبر ويؤيد ذلك قوله صلى الله تعالى عليه وسلم نتقلب فى الاصلاب الزاكية الى الارحام الطاهرة (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين) اى كما رواه ابن سعد والبزار وابو نعيم فى دلائله بسند صحيح عنه انه (قال من نبى الى نبى حتى اخرجك وفى نسخة صحيحة حتى اخرجتك (نبيا) ولا يخفى ان المراد به ان بعض الآباء كانوا من الانبياء وفى الآية عنه وعن غيره معان اخر (وقال جعفر بن محمد) اى ابن على بن الحسين بن على بن ابى طالب الهاشمى المدنى المعروف بالصادق امه ام فروة بنت القاسم بن محمد بن ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وامها اسماء بنت عبد الرحمن بن ابى بكر وكان يقول ولدت فى الصديق مرتين متفق على امامته وجلالته وسيادته قال البخارى فى تاريخه ولد سنة ثمانين وتوفى سنة ثمان واربعين ومائة انتهى وقد اخرج له مسلم والاربعة وكذا البخارى فى كتابه ادب المفرد (علم الله تعالى عجز خلقه عن طاعته) اى عن معرفة مايطلب منهم فعلا وتركا من طاعته بغير واسطة رسول وبعثه لبيان عبادته (فعرفهم) بتشديد الراء اى فاعلمهم (ذلك) اى العجز (لكى لا يعلموا انهم لاينالون الصفو من خدمته) اى الخالص من طاعته بل انما ينالون بالواسطة من فضله ورحمته كما قال الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وفى قضية ابليس ايماء الى ان كثرة الخدمة غير مفيدة مع قلة الرحمة (فاقام الله بينهم وبينه مخلوقا من جنسهم فى الصورة) اى مباينا لصنفهم فى السيرة (البسه من نعته الرأفة والرحمة واخرجه الى الخلق سفيرا) اى واظهره مرسلا اليهم حال كونه رسولا مصلحا لما بينهم (صادقا) اى مطابقا قوله فعله وموافقا حكمه خبره (وجعل طاعته طاعته) بنصبهما اى كطاعة الله تعالى اى فيما يأمره وينهاه وهو تشبيه بليغ مفيد للمبالغة وهو ان طاعته عين طاعته وكذا قوله (وموافقته موافقته) اى فى امر دينه ودنياه فلا تجوز مخالفته فى طريق مولاه كما قال سبحانه وتعالى فى حقه فليحذر الذين يخالفون عن امره (فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله) وقد روى من احبنى فقد احب الله ومن عصانى فقد عصى الله تعالى وكذا قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله (وقال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) وكذا قوله صلى الله تعالى عليه وسلم انما انا رحمة مهداة على مارواه الحاكم عن ابى هريرة (قال ابو بكر بن طاهر) وفى نسخة محمد بن طاهر اى ابن محمد بن احمد بن طاهر الاشبيلى القيسى وبهذا يعرف ان ليس المراد به عبد الله بن طاهر الابهرى الذى هو من اقران الاشبلى خلافا لما توهمه التلمسانى قال العسقلانى هو معافرى شاطبى روى عن ابيه وابن على النسائى وغيرهما واجازله ابو الوليد الباجى (زين الله تعالى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم زينة الرحمة) اى زيادة المرحمة (فكان كونه) اى وجوده (رحمة) واغرب الدلجى فى قوله مكان كونه موصوفا بالرحمة رحمة (وجميع شمائله) جمع شمال بالكسر وهو الخلق بالضم والمراد بها اخلاقه الباطنة (وصفاته) الظاهرة من نحو كرمه وجوده (رحمة) الاولى مرحمة لتغاير الاولى والمعنى محل رحمة نازلة (على الخلق) اى عامة وخاصة (فمن اصابه شئ من رحمته فهو الناجى) قال التلمسانى اى الخالص والصواب المخلص (فى الدارين) اى حالا ومآلا (من كل مكروه) اى ومغضوب (والواصل فيهما) اى وهو الواصل فى الكونين (الى كل محبوب) وفيه ايماء الى ماورد من ان الله تعالى خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن اصاب من ذلك النور اهتدى ومن اخطأه فقد ضل وغوى (الا ترى) بصيغة الخطاب المعلوم ويجوز ان يقرأ بصيغة الغائب المجهول اى الا تعلم (ان الله تعالى يقول وما ارسلناك الا رحمة) اى ذا رحمة واريد بها المبالغة (للعالمين) اى من غير تقييد للمؤمنين اولامته دون غيرهم من المخلوقين ويستفاد من نسبة الرحمة الالهية انها ليست من الامور العارضية (فكانت حياته رحمة ومماته رحمة) بل وليس هناك موت ولا فوت بل انتقال من حال الى حال وارتحال من دار الى دار فان المعتقد المحقق انه حى يرزق (كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم) فيما رواه الحارث ابن ابى اسامة فى مسنده والبزار باسناد صحيح (حياتى خير لكم) وهو ظاهر (وموتى خير لكم) قال الدلجى بشهادة

وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم حياً وميتاً انتهى وغرابته لاتخفى فالاظهر ان يقال لانه تعرض على اعمالكم فاشفع في غفران سيئاتكم وادعو لكم في تحسين حالاتكم والمعنى اني متوجه اليكم وراحم عليكم وشفيع لكم حياً وميتاً بالنسبة الى سائر كونه فانكم او التقدير ومولي فلكم خيركم فيوافق ما اراده المصنف بقوله (وكذلك قال) اي على ما رواه مسلم (اذا اراد الله تعالى رحمة بامة) فمن الحديث المروزي المعروف رحمة امة وكذا رواه مسلم كذا ذكره الحجازي قلت وفي الجامع الكبير ايضاً بلفظ ان الله اذا اراد رحمة امة من عباده (قبض نبيها قبلها) اي قبل موت جميعها (فجعله لها فرطاً وسلفاً) اي بين يديها كما في الصحيح وهما بفتحتين اي متقدماً وسابقاً فانها ما اصيبت بمصيبة اعظم من موت نبيه واصل الفرط هو الذي يتقدم الواردين ليهيئ لهم ما يحتاجون اليه عند نزولهم في منازلهم ثم استعمل للشفيع فيمن خلفه ثم تتمة الحديث على ما في صحيح مسلم عن ابي موسى مرفوعاً واذا اراد هلكة امة عذبها ونبيها حي فاهلكها وهو ينظر فاقر عينه بهلاكها حين كذبوه وعصوا امره (وقال السمرقندي) اي ابو الليث امام الهدى الحنفي كما ذكره الدلجي (رحمة للعالمين) بالنصب على الحكاية (يعني) اي يريد سبحانه وتعالى بالعالمين (للجن والانس) اي المؤمنين بقرينة مقابله قوله (وقيل لجميع الخلق) اي المكلفين لقوله (للمؤمن رحمة) بالنصب ويجوز رفعهما اي رحمة خاصة (بالهداية) وكان الاولى ان يقول رحمة للمؤمن بالهداية ليطابق الآية ويوافق قوله (ورحمة للمنافق بالامان من القتل ورحمة للكافر بتأخير العذاب) اي الى العقبى ولا يبعد ان يكون تقديم المؤمن اشارة الى حصر الرحمة المختصة بالهداية كما قال الله تعالى هدى للمتقين اي بالدلالة الموصلة التي هي حقيقة الهداية في خواص الانسان من اهل الايمان مع انه هدى للناس باعتبار عموم الهداية بالدلالة المطلقة التي هي معنى التبيين (قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) اي فيما رواه ابن جرير وابن ابي حاتم في تفسيرهما والطبراني والبيهقي في دلائله (هو رحمة للمؤمنين والكافرين اذ عوفوا مما اصاب غيرهم من الامم المكذبة) اي من انواع العقوبة ومآل هذا القول الى ما قبله ثم الاظهر ان العالمين يشمل الملائكة ايضاً ويدل عليه قوله (وحكي) بصيغة المجهول قال الحجازي ويروى (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لجبريل عليه الصلاة والسلام هل اصابك من هذه الرحمة) اي المشتملة على هذه الامة من نبي الرحمة (شيء) اي من الرحمة فحصص لك فالاشارة الى موجود في الذهن اذ الرحمة معنى يوجده الله تعالى فيمن يشاء من خلقه وفيها يتفاوتون (قال نعم كنت اخشى العاقبة) اي آخر امري من سوء الخاتمة لما وقع لابليس من الزلة (فامنت) بفتح فكسر وضبطه التلمساني بصيغة المجهول ففي القاموس الامن ضد الخوف امن كفرح وقد امنه كسمع اتمه واستأمنه انتهى ولا يخفى ان بناء المجهول غير ظاهر في المعنى اذ المراد فصرت آمناً ببركة القرآن الذي نزل عليك (لثناء الله عز وجل على بقوله ذي قوة عند ذي العرش مكين) اي صاحب المكانة (مطاع) اي بين الملائكة (ثم) اي فيما هنالك (امين) اي على امر الوحي ونحوه ووجه استدلاله به انه تعالى حيث مدحه في محكم كتابه العظيم واخبر عن حسن حاله للنبي الكريم لا يتصور تبدل حاله ولا تغير مآله ولا يبعد ان يجعل قوله امين بمعنى مأمون العاقبة وقد صح بالبال والله تعالى اعلم بالحال انه صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم رحمة لجميع خلق الله تعالى فان العالمين لا شك انه حقيقة فيما سواه ولا صارف بالاتفاق يصرفه عن دلالة الاطلاق ثم من المعلوم انه لولا نوره ووجوده وظهور كرمه وجوده لما خلق الافلاك ولا اوجد الاملاك فهو مظهر للرحمة الالهية التي وسعت كل شيء من الحقائق الكونية المحتاج الى نعمة الايجاد ثم الى نعمة الامداد ويحصره القول انه مبعوث الى كافة العالمين من السابقين واللاحقين فهو بمنزلة قلب عسكر المجاهدين والانبياء مقدمته والاولياء مؤخرته وسائر الخلق من اصحاب الشمال واليمين ويدل عليه قوله تعالى تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ومن جملة انذاره للملائكة قوله سبحانه وتعالى ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم ويقويه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم بعثت الى الخلق كافة وقد بينت وجه ارساله الى الموجودات العلوية والسفلية في رسالتي المسماة بالصلاة العلية في الصلاة المحمدية (وروي عن جعفر بن محمد) اي الباقر (الصادق) نعت لجعفر (في قوله تعالى فسلام) اي فسلامة من كل ملامة (لك) اي لرحمتك (من اصحاب اليمين) خبر سلام اي حاصل من اجلهم وان كان من اعظمهم واحلمهم (اي بك) اي بسبب وجودك او بسبب كرمك وجودك (اي وقعت سلامتهم من اجل كرامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) اي بالشفاعة العظمى فانها شاملة للفرق العليا والسفلى من الاولى والاخرى فشملت رحمته في الابتداء والانتهاء في الدنيا والعقبى وقال التلمساني لمحمد روي باللام والباء واللام تعليلية والباء سببية فتكون كرامته مضافة الى ضمير الفاعل وهو الله سبحانه وتعالى انتهى والنسخ المصححة والاصول المعتمدة على الاضافة الى المفعول وهو الظاهر في المعنى قال الدلجي اي من اجل اكرام الله اياه فوضع الظاهر موضع المضمر والاظهر انه التفات من الخطاب الى الغيبة ثم اغرب الدلجي بان من على هذا زائدة ويجوز ان تكون بمعنى لام العلة

اى نسبك وقع السلام لاصحاب اليمين من اجل اكرام الله تعالى اياك وماقاله تكلف بعيدا شمنى والكل تكلف ل تعسف والتحقيق انه ارادان الخطاب فى ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم والتقدير فسلامة عظيمة لاجلك وبسببك حاصلة لاصحاب اليمين وقوله من اجل توضيح لقوله لك اما بطريق عطف البيان اوعلى سبيل الاستيناف والالتفات فى التبيان وهذا التأويل خلاف ماقاله اهل التفسير فسلام لك ياصاحب اليمين من اخوانك اصحاب اليمين اى يقال له سلام لك اى مسلم لك انك منهم اويامحمد انك لاترى فيهم الاماتحب من سلامتهم من العذاب وان منهم من يقول يوم القيمة سلام عليك (وقال الله تعالى الله نور السموات والارض) اى منورهما كاقرئ به ومظهر ماخلق فيهما اوموجد انوارهما (الاية) بالنصب و يجوز رفعها وخفضها اى اقرأها اوهى معلومة اوالى آخرها والمراد مابعدها وهو قوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كانها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار نورعلى نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شئ عليم وقداوضحت معنى الآية فى الرسالة المسماة بالصلات العلية فى الصلاة المحمدية عندقوله اللهم صل وسلم على نورك الاسنى واعلم ان النور فى الاصل كيفية تدركها الباصرة ويستحيل اطلاقه على الله تعالى الابتقدير مضاف ونحوه من نوع تأويل (قال كعب) وفى نسخة كعب الاحبار بالحاء المهملة وهو كعب بن مانع بالمثناة فوق ادرك زمن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يره واسلم فى خلافة ابى بكر رضى الله تعالى عنه وقيل فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه وقيل ادرك الجاهلية وصحب عمر واكثر الرواية عنه وايضا عن جماعة من الصحابة وروى عنه ايضا جماعة من الصحابة والتابعين وكان يسكن حمص وكان قبل الاسلام على دين اليهود ويسكن اليمن توفى فى خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين متوجها للغزو ودفن بحمص ويقال له كعب الحبر ايضا بفتح الحاء وكسرها الكثرة علمه اخرج له البخارى وابو داود والترمذى والنسائى واغرب شارح حيث قال هو كعب بن مالك الانصارى (وابن جبير) وهوسعيد بن جبير احداكابر التابعين والعلماء العاملين روى عن ابن عباس وغيره وعنه امم من المحدثين اخرج له الجماعة فى كتبهم الستة وكان اسود الصورة وانور السيرة مستجاب الدعوة قتل سنة خمس وتسعين وهو ابن تسع واربعين شهيدا فى شعبان ومما يدل على كماله فى اليقين وتمكنه فى الدين ماروى انه لمادخل على الحجاج بعد ارساله اليه قام بين يديه فقال له اعوذ منك بما استعاذت مريم اذ قالت اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا فقال له ما اسمك قال سعيد بن جبير قال شقى بن الكسير فقال امى اعلم باسمى قال شقيت وشقيت امك فقال الغيب يعلمه غيرك قال لابدلنك بالدنيا نارا تلظى فقال لوعلمت ان ذلك بيدك ما اتخذت الها غيرك قال لاوردنك حياض الموت فقال اذا اصابت اسمى امى يعنى اذا كنت شهيدا اكون سعيدا قال فما تقول فى محمد قال نبى ختم الله تعالى به الرسل وصدق به الوحى واستنقذ به من الجهالة امام هدى ونبى رحمة قال فما تقول فى الخلفاء قال لست عليهم بوكيل وانما استحفظت امر دينى قال فايهم احب اليك فقال احسنهم خلقا وارضاهم لخالقه واشدهم منه فرقا قال فما تقول فى على وعثمان افى الجنة هما ام فى النار فقال لو دخلت فرأيت اهلهما لاخبرتك فما سؤالك عن امر غيب عنك قال فما تقول فى عبد الملك بن مروان قال فما لك تسألنى عن امرئ انت واحد من ذنوبه قال فمالك لم تضحك قط قال لم ارما يضحكنى وكيف يضحك من خلق من التراب والى التراب يعود قال فانى اضحك من اللهو قال ليست القلوب سواء قال فهل رأيت من اللهو شيئا قال لافدعا بالزمر والعود فلما نفخ فيه بكى فقال له الحجاج مايبكيك قال ذكرنى يوم ينفخ فى الصور واما هذا العود فمن نبات الارض وعسى ان يكون قطع فى غير حقه واما هذه المثانى والاوتار فان الله سيبعثها معك يوم القيامة قال فانى قاتلك قال ان الله قد وقت وقتا انا بالغه فان اجلى قد حضر فهو امر قد فرغ منه ولامحيص ساعة عنه وان تكن العافية فالله اولى بها قال اذهبوا به فاقتلوه قال اشهد ان لااله الاالله وحده لاشريك له استحفظ لها ياحجاج حتى القاك يوم القيامة فامر به ليقتل فلما تولوا به ليقتلوه ضحك فقال له الحجاج مااضحكك قال عجبت من جرائتك على الله وحلم الله عنك ثم استقبل القبلة فقال انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين قال حولوه عن القبلة قال فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم قال اضربوا به الارض قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى قال اضربوا عنقه قال اللهم لاتحل له دمى ولاتمهله بعدى فلما قتله لم يزل دمه يغلى حتى ملأ اثواب الحجاج وفاض حتى دخل تحت سريره فلما رأى ذلك هاله وافزعه فبعث الى ياذوق المتطبب فسأله عن ذلك فقال لانك قتلته ولم يهله ذلك ففاض دمه ولم يخمد فى نفسه ولم يخلق الله شيئا اكثر دما من الانسان فلم يزل به ذلك الفزع حتى منع منه النوم فيقول مالى ولك ياسعيد بن جبير ستة اشهر ثم ان بطنه استسق حتى انشق فمات فلما دفن لفظته الارض و اتى بعد سعيد بن جبير ستة اشهر ونقل ان المسجون عرضت بعد موته فوجد فيها ثلاثة وثلاثون الفا من المظلومين وقداحصى

من قبله صبرا فوجد مائة الف ومئة الف (المراد بالنور) اى بنوره (الثانى هنا) ى فى تمة هذه الآية (محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) لقوله (وقوله مثل نوره اى نور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) على انه عطف بيان لماقبله وبهذا يندفع ماقاله الدلجى فى قوله هنا اى فى هذه الآية من قوله مثل نوره هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فضميره لله تعالى وقوله مثل نوره اى نور محمد عليه الصلاة والسلام ان كان قولهما فهو مناقض لماقبله الا ان يقال الاضافة بيانية اى مثل محمد الذى هو نور وهو بعيد اولفسيرهما فلاتناقض انتهى والاظهر انه يقال المراد بالنور محمد والتقدير مثل نور الله الذى هو مشرق ظهوره ومظهر نوره فى عالم الكون بخلقه وامره حسب قضائه وقدره كمشكاة الى آخره فان النور عبارة عن الظهور وقد انكشف به الحقائق الالهية واسرار الاحدية والاستار الصمدية وبه اشرقت الكائنات وخرجت عن حيز الظلمات وبه صلى الله تعالى عليه وسلم فسر بعض المفسرين قوله تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين (وقال) وفى نسخة وقاله وهو غير صحيح (سهل بن عبدالله) هو التسترى منسوب الى تستر قال النووى هو بتائين من فوق الاولى مضمومة والثانية مفتوحة بينهما سين مهملة مدينة بخوزستان وقال التلمسانى والتاآن مضمومتان وقيل بضم الثانية وتفتح وقيل بفتح فقط وقيل بفتح الاولى وبضم الثانية ويقال ششتر بشينين معجمتين من عمل الاهواز وقيل بخوزستان انتهى وفى القاموس تستر كجندب بلد وبشينين معجمتين لحن وسورها اول سور بعد الطوفان وقد روى انه كان صاحب الكرامات ولم يكن فى وقته له نظير فى المعاملات ولم يزل يشتغل فى الرياضة العملية الى ان كان يفطر فى كل يوم على اوقية من خبز الشعير بلا ادام فكان يكفيه لقوته درهم واحد فى عام وهو مع ذلك يقوم الليل كله ولاينام واسلم عند وفاته يهود نيف على السبعين لما رأوا الناس انكبوا على جنازته وشاهدوا اقواما ينزلون من السماء فيتمسحون بجنازته ويصعدون وينزل غيرهم فوجا بعد فوج وقد توفى سنة ثلاث وثمانين ومائتين (المعنى) اى معنى الآية كما قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (الله هادى اهل السموات والارض) اى فهم بنوره يهتدون وبظهوره يوجدون فتفسير النور بالهادى لان النور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره وقدر المضاف ليتعلق كمال هدايته بارباب ولايته (ثم قال) اى سهل بن عبدالله (مثل نور محمد) اى صفة نوره العجيبة الشان الغريبة البرهان (اذا كان) اى حين صار (مستودعا) بفتح الدال اى مودعا (فى الاصلاب) اى اصلاب الآباء اولهم آدم عليه الصلاة والسلام من الانبياء فنوره صلى الله تعالى عليه وسلم فى كل صلب انتقل اليه (كمشكاة صفتها كذا) اى كصفة كوة غير نافذة موصوفة بكونها فيها مصباح اى سراج او فتيلة المصباح فى زجاجة اى قنديل من الزجاج الزجاجة كانها الى آخرها وشبه مادة جسمه وقالبه فى اصلاب الآباء السالفة بالكوة فى الحائط التى ليست نافذة فصح قوله (واراد بالمصباح قلبه والزجاجة) اى واراد بالزجاجة (صدره اى كانه) بمعنى صدره المعبر عن الزجاجة (كوكب) اى نجم (درى) بضم اوله وتشديد آخره اى مشرق يتلألأ كانه منسوب الى الدر المضيء وتخفيف ياء فهمز نسبة الى الدرء بمعنى الدفع فكانه يدفع الظلام بنوره ويرفع الحجاب لظهوره وبكسر اوله مع التخفيف والهمز ولعله من تعبيرات النسب كما قال فى بصرى بصرى (لما فيه من الايمان والحكمة) اى من نور الايمان والاتقان والمراد بالحكمة نور النبوة والايقان على وجه العيان (توقد) بصيغة المجهول اى من اوقد مذكرا ومؤنثا وتوقد بصيغة الماضى المعلوم فقراءة التأنيث مرجعها الزجاجة وقراءة التذكير مرجعها مصباح الزجاجة على حذف المضاف (من شجرة مباركة) اى مبتدأة منشئة من شجرة كثيرة البركة زيتونة لاشرقية ولاغربية (اى من نور ابراهيم عليه الصلاة والسلام) اذ هو اصل شجرة التوحيد وحضل ثمرة التفريد (وضرب) بصيغة المفعول او الفاعل اى بين وعين (المثل بالشجرة المباركة) فطوبى لشجرة لها هذه الثمرة لجعل ابراهيم عليه الصلاة والسلام لكونه معدن اسرار عوارف المعارف وانوار لطائف الشرائع الذين هم اكابر الانبياء واتباعهم الاصفياء اذ غالبهم بل كلهم بعده من ذريته فهو شجرة النبوة مشبهة بشجرة مباركة زيتونة لكثرة نفعها اذ هو فاكهة وادام ودواء ودهن له ضياء والحاصل ان نور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم انتقل من آبائه الكرام الى ان ظهر ظهورا بينا فى ظهر ابراهيم عليه الصلاة والسلام اذ صار علما على علم التوحيد ولاسيما فى باب التفويض والاستسلام فهو شجرة كثيرة الخير لان من بعده من الانبياء كلهم من ذريته وكان اكثرهم فى جهة الشام من الارض التى بارك الله تعالى حولها وكان الزيتونة اشارة اليها وقوله لاشرقية ولاغربية اى حيث لاتقع الشمس عليها حينا دون حين بل حيث تقع عليها طول النهار كالتى تكون على قلة جبل مرتفعة او صحراء واسعة فان ثمرتها تكون انمى وزيتها اصفى اولانابتة فى شرق المعمورة ولا غربها بل فى وسطها وهو توابع الشام فان زيتونه اجود الزيتون فى غيرها وهذا بطريق العبارة واما بتحقيق الاشارة فايماء الى قبلة اهل التوحيد وكعبة اهل التفريد حيث انها ليست شرقية كقبلة النصارى ولاغربية كقبلة اليهود وبالجملة اشارة الى ان الملة الحنيفية اعدل الملل

الاسلامية فاهلها متوسطون بين الخوف والرجاء فلاخوف لهم يزعجهم الى بعد القنوط ولارجاء يجرهم الى بساط الانبساط وقال بعضهم لادنيوية ولااخروية بل جذبة الهية الى مكانة معنوية (وقوله يكاد زيتها يضئ اى يكاد نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) اى المقتبسة من شجرة النبوة (تبين) بفتح فوقية وكسر موحدة اى تظهر (للناس قبل كلامه) اى بادعاء النبوة حالة الرسالة لقوة مافيها من الانوار الالهية ولكونه مظهر الاسرار الصمدية (كهذا الزيت) اى فى صفاء ظاهره و باطنه حيث يضئ ولو لم تمسسه نار من الانوار الحسية وبعد اجتماع النبوة والرسالة والجمع بين الخلوة والجلوة نور على نور كما فى اجتماع النار مع ضياء الزيت فى كمال الظهور يهدى الله لنوره اى لاجل نوره و بواسطة ظهوره اوالى حضرة نوره واخذ النور من حضوره من يشاء من خواص اوليائه واكابر اصفيائه ويضرب الله الامثال للناس فيه اشعار بان ماقبله انما هو مثل للاستئناس ليدرك المعنى فى قالب المبنى لكن لايعقلها الا العالمون العاملون المخلصون الكاملون رضى الله تعالى عنهم وجعلنا بفضله منهم (وقد قيل فى هذه الآية) اى على ماذكره المفسرون وارباب العربية (غيرهذا) اى غيرماذكرنا مما يتعلق بالعبارة والعاقل تكفيه الاشارة لان الزيادة على العلامة ربما تورث الملالة والسآمة (والله تعالى اعلم وقد سماه الله تعالى فى القرآن فى غيرهذا الموضع نورا) اى عظيما مطلقا (وسراجا منيرا) اى شمسا مضيئة حقا ولعل وجه التذكير انها كوكب والظاهر انه من باب التشبيه البليغ وكون المشبه به اقوى من حيث شهرته ووضوح دلالته العامة للخاص والعام من عالم الخلق (فقال) اى الله تعالى (قدجاءكم من الله نور) اى لظهور الحق وابطال الباطل واطلق عليه عليه الصلاة والسلام لانه يهتدى به من الظلمات الى النور (وكتاب مبين) بين الاعجاز وبين الاحكام بالايجاز وهذا شاهد للمدعى الاول و بيانه ان الاصل فى العطف المغايرة وقد حاول بعض المفسرين بانه من باب الجمع بين الوصفين باعتبار تغايرهما اللفظى وان المراد بهما القرآن وقد يقال فى مقابلهم واى مانع من ان يجعل النعتان للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فانه نور عظيم لكمال ظهوره بين الانوار وكتاب مبين حيث انه جامع لجميع الاسرار ومظهر للاحكام والاحوال والاخبار (وقال) اى الله سبحانه مخاطبا له صلى الله تعالى عليه وسلم (ياايها النبى انا ارسلناك شاهدا) اى على من بعثك اليهم بتصديقهم وتكذيبهم اوشاهدا على جميع الشهداء من الانبياء كما يستفاد من قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنابك على هؤلاء شهيدا وهو وما بعده احوال مقدرة مخبرة بحيازته جميع الجهات المعتبرة (ومبشرا ونذيرا) اى منذرا ولعل وجه العدول رعاية الفواصل او تفنن العبارة فى المحل القابل فهو بشير ونذير ومبشر ومنذر للمطيعين بالجنة والوصلة وللعاصين بالحرقة والفرقة (وداعيا) اى جميع الخلق (الى الله) اى الى دينه وحبه ومقام قربه (باذنه) اى بامره وتيسيره (وسراجا منيرا) يميز بين الحق والباطل فى المعتقدات وبين الحلال والحرام فى المعاملات وبين محاسن الاخلاق ومساويها فى الرياضات فهو الداعى بالشريعة والطريقة والحقيقة الى المراتب الحقية والدرجات العلية عليه افضل الصلاة واكمل التحية (ومن هذا) اى الباب اوالنوع اوالقبيل (قوله تعالى الم نشرح لك صدرك الى آخر السورة) استفهام افاد انكار نفى اشرح مبالغة فى اثباته اذ انكار النفى نفى له ونفى النفى اثبات اى قدشرحناه لك ومن ثم عطف عليه قوله ووضعنا عنك وزرك اشارة الى المبنى ورعاية للمعنى (ومعنى قوله شرح وسع) بالتشديد (والمراد بالصدر هنا القلب) لان الصدر غير قابل للتضييق والتوسيع اى وسع قلبه لتجليات ربه و تنزلات حكمه بعد ماكان يضيق صدره لما ينعكس عليه من غبار غيره لقوله تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بمايقولون اى فينا اوفى القرآن اوفيك ثم قال تعالى كتاب انزل اليك فلايكن فى صدرك حرج منه فهذانهى تكوين كما ان قوله تعالى كن امر تكوين فيكون المأمور ولايكون المنهى وبه ينتفى التلوين ويتحقق التمكين المعبر عنه بمرتبة جمع الجمع بين مناجاة الحق ومفاداة الخلق بحيث لايحجبه الكثرة عن الوحدة ولاعكسه (قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) اى كمارواه ابن ابى حاتم عن عكرمة وابن مردوية وابن المنذر فى تفسيرهما عنه انه قال(شرحه بنور الاسلام) وفى نسخة بالاسلام وفى اخرى بالايمان والمعانى متقاربة البيان اى فسح قلبه و وسعه بسبب نور الانقياد و تفويض الامر الى المريد المراد العالم بالعباد والعباد فى جميع البلاد وفيه ايماء الى قوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه (وقال سهل بنور الرسالة) اى شرحه به خصوصا فلاينافى ماتقدم عموما (وقال الحسن) اى ابن ابى الحسن البصرى وهو من افاضل التابعين ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضى الله تعالى عنه ومات بالبصرة سنة عشر ومائة وهو ابن ثمان وثمانين سنة وكانت امه خادمة ام سلمة رضى الله تعالى عنها من امهات المؤمنين فكان اذابكى فى صغره تجعلت ثديها فى فمه فاصاب لذلك بركة عظيمة حتى صار عالما زاهدا يضرب به المثل فى كمال العلم والعمل اخرج له الجماعة فى الكتب الستة (ملأه) بالهمز اى ملأ قلبه (حكما) اى مايحكم من الاحكام (وعلما) اى بجميع ضروريات الانام وفى نسخة بكسر الحاء وفتح الكاف جمع الحكمة فلعله

ارادبها السنة وبالعلم مايتعلق بالكتاب من جهة دلالة المعنى وقراءة المبنى (وقيل معناه الم نطهر قلبك) من الاستئناس بالناس (حتى لا يؤذيك) وفى نسخة لايقبل (الوسواس) اى لايشوش عليك الموسوسون من الانس والشياطين حالة الحضور فى حضرة الديان وهو اتم واعم من تفسير بعضهم الوسواس بالشياطين والحاصل ان الصدرة للتقرير فى البيان والمعنى قد طهرناك صدرك ولذا عطف عليه قوله (ووضعنا عنك وزرك) اى اثمك واصله مايحمل على الظهر ولذا قال (الذى انقض ظهرك) اى اثقله حتى ظهر نقيضه ونقيض الظهر صوته (وقيل) اى فى المراد من قوله وزرك (ماسلف من ذنبك) يعنى من التقصيرات اوالهفوات والغفلات (يعنى) اى يريد صاحب القيل بهذا القول (قبل النبوة) لانه كان بعدها فى مرتبة العصمة (وقيل اراد) اى الله تعالى به (ثقل ايام الجاهلية) وهو بكسر المثلثة وفتح القاف ضد الخفة ويجوز تسكينها تخفيفا وهو لاينافى ان الثقل بالكسر والسكون واحد الاثقال لانه لاشك ان المراد به نوع من اثقال الاحمال وهو الواقع فى ازمنة الجاهلية من اصحاب الفترة قبل طهور نور الدولة الاسلامية وقيل اعلاء اعلام العلوم الدينية ولعل فيه ايماء الى قوله تعالى ماكنت تدرى ماالكتاب ولاالايمان اى تفاصيل مايتعلق به على وجه الايقان ومنه قوله تعالى ووجدك ضالا اى جاهلا عن كمال المعرفة فهدى اى فهداك هداية كاملة وهدى بك جميع الامة واما الثقل بفتحتين بمعنى متاع المسافر فلا يبعد ان يكون مرادا هنا اشعارا بانه صلى الله تعالى عليه وسلم حال سلوكه وسيره كان حاملا لامور ثقيلة على ظهره فرفعها الله تعالى عنه حتى تمكن فى مقام تفويضه وتسليم امره (وقيل اراد ماثقل ظهره من الرسالة) اى من اعباء تمامها من باب التوجه من الحق الى الخلق وهو مستثقل عند ارباب الولاية الابعد حصول مرتبة جمع الجمع الذى يزيل تفرقه بالكلية بحيث لاتشغله الكثرة عن الوحدة ولاالوحدة عن الكثرة (حتى بلغها) بتشديد اللام اى حتى بلغ الرسالة ثم بعدما بلغ تلك الحالة (حكاه الماوردى) من علماء الظاهر وهو ممن تفقه على ابى حامد الاسفرائنى وصنف فى الفقه والتفسير والاصول توفى سنة خمسين واربعمائة وهو ابوالحسن على ابن حبيب الشافعى (والسلمى) من علماء الباطن وهو ابوعبدالرحمن بن عبدالله بن حبيب الكوفى سمع عليا وابا موسى وغيرهما توفى فى زمن بشر بن مروان بالكوفة سنة اثنتى عشرة واربعمائة وهو بضم السين وفتح اللام منسوب الى سليم كذا ذكره التلمسانى وهو خبر صحيح فانه متناقض الآخر والاول فتامل والصواب ماذكره الحلبى بقوله هو ابوعبدالرحمن السلمى النيسابورى شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم مولده سنة ثلاثين وثلاثمائة وتوفى فى شعبان سنة اثنتى عشرة واربعمائة له ترجمة فى الميزان (وقيل عصمناك) اى حفظناك من ارتكاب الذنوب فى فعلك (ولولا ذلك) اى عصمتنا لك (لاثقلت الذنوب ظهرك) وهذا معنى بديع (حكاه السمرقندى) اى ابوالليث وبقى قوله تعالى (ورفعنا لك ذكرك قال يحيى بن آدم) اى ابن سليمان الاموى مولاهم الكوفى احد الاعلام اخرج له اصحاب الكتب الستة توفى سنة ثلاث ومائتين (بالنبوة) اى ورفعنا ذكرك بسبب النبوة بين الملائكة اوبالنبوة المقرونة بالرسالة بين جميع الامة اوبالنبوة الروحانية المختصة قبل خلقة آدم بين ارواح المرسلين والملائكة المقربين (وقيل) اى فى معناه (اذا ذكرت ذكرت معى) وسيأتى ان هذا حديث مرفوع (قيل فى قوله) كذا بالاضافة الى الضمير اى فى قول القائل والاظهر ان يقال فى قول (لا اله الا الله محمد رسول الله) كما فى نسخة وهو مجرور كما هو ظاهر واغرب الحلبى حيث تبع ضبط بعضهم بالرفع وحاول وجهه بما لاطائل تحته ولعله مبنى على انه وجد فى نسخة قول بلا حرف الجر (وقيل فى الاذان) والاول اعم ولايبعد ان يقال المراد رفع ذكره انه جعل ذكره ذكره كما جعل طاعته طاعته ولامقام فوق هذا فى الرتبة وهو تشييد بليغ بدفع الاتحاد القائل به اهل الالحاد (قال القاضى ابو الفضل الفقيه رحمه الله) اى المصنف (هذا) اى ما ذكر فى هذه السورة من شرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر (تقرير) اى تثبيت وتمهيد (من الله جل اسمه) اى عظم اسمه فضلا عن مسماه (لنبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم على عظيم نعمه لديه) اى دال على عظمة نعمه السابقة الظاهرة والباطنة له عنده سبحانه وتعالى (وشريف منزلته) اى قربه ومرتبته (عنده) اى عنديته المعبر بها عن المكانة (وكرامته) اى وعلى شريف اكرامه واعظامه (عليه) سبحانه وتعالى (بان شرح قلبه للايمان) اى الكامل الايقان (والهداية) اى الموصلة الى مقام الاحسان اوهداية افراد الانسان الى مراتب حقايق الايمان (ووسعه) بتشديد السين اى وجعل قلبه وسيعا (لوعى العلم) اى حفظه (وحمل الحكمة) اى وتحمل مايحكم العلم به من امر النبوة (ورفع عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ثقل امور الجاهلية عليه وبغضه) بتشديد الغين المعجمة اى جعله مبغوضا (لسيرها) بكسر ففتح جمع سيرة والضمير الى الجاهلية اى لقواعدها وكان الظاهر ان يقول وبغض سيرها له ولعله من باب القلب على قصد المبالغة واما ماضبط بصيغة المصدر فى بعض النسخ فلا وجه له اصلا لا نوعا ولافصلا (وما كانت) عطف على سيرها اى ولما كانت الجاهلية (عليه بظهور دينه) متعلق برفع اى بغلبة امر دينه وتعليته (على الدين كله) اى على

الاديان جميعها (وحده) اى وضع الله (عنه مشيدة اعباء الرسالة والنبوة) اى تكاليف ثقلهما وحملهما او هو الجمع بينهما
بالاخذ من الحق وهو مرتبة النبوة والايصال الى الخلق وهو مرتبة الرسالة وهو امر صعب الا لمن وفقه الله تعالى وقواه
ويشد قوله تعالى انا سنلقى عليك قولا ثقيلا والاعباء بفتح الهمزة جمع عبء بكسر فسكون فهمز (لتبليغه) باللام وفى نسخة
بالباء ومآلهما واحد اذ اللام تعليلية والباء سببية اى لابلاغه صلى الله تعالى عليه وسلم (للناس ما نزل اليهم)
اى متلوا كان اوغيره من امر ونهى ووعد ووعيد وهذا مقتبس من قوله تعالى وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل
اليهم (وتنويهه) اى ورفعه قدره المشعر (بعظيم مكانه) اى مكانته وشانه (وجليل رتبته) اى عظيم مرتبته
(ورفعه) اى ورفع الله (ذكره) وفى نسخة ورفعة ذكره ويروى ورفيع ذكره (وقرانه) اى وبجمع الله اى فى كلامه
بامره وحكمه (مع اسمه اسمه قال قتادة رفع الله عز وجل ذكره فى الدنيا والآخرة) اى رفعة حسية ومعنوية (فليس
خطيب) اى فوق منبر (ولا متشهد) اى عند اتجاد الايمان اوتجديد الايقان (ولا صاحب صلاة) اى فى قعدة اخيرة
(الا يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله) اوعبده ورسوله وان الاولى مخففة من المثقلة (وروى ابو سعيد
الخدرى رضى الله تعالى عنه) كما فى صحيح ابن حبان ومسند ابى يعلى (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال اتانى
جبريل) عليه الصلاة والسلام (فقال ان ربى وربك يقول تدرى) اى اتدرى كما فى نسخة صحيحة (كيف رفعت ذكرك
قلت) وفى نسخة فقلت (الله ورسوله اعلم) الظاهر ان قوله ورسوله سهو قلم وان وقع فى نسخة زيادة يعنى جبريل فانه
لا يلايم المقام (قال) اى الله سبحانه وتعالى (اذا ذكرت ذكرت معى قال ابن عطاء) هو ابو العباس احمد بن محمد بن سهل
ابن عطاء الآدمى الزاهد البغدادى احد مشايخ الصوفية بالعراق كان فاضلا مجتهدا فى العبادة لا ينام من الليل الا ساعتين
ويختم القرآن فى كل يوم وله احوال ومعارف وكرامات سنية مات سنة تسع وتسعين وثلاثمائة كذا ذكره الحافظ ابن
حجر العسقلانى والحاصل انه قال معنى رفعنا لك ذكرك (جعلت تمام الايمان بذكرى معك) وفى نسخة بذكرك معى وهو
الاظهر فلا يصح ولا يعتد به شرعا مالم يتلفظ بكلمتيه اقرارا بحقية وحدانيته تعالى وحقية رسالته صلى الله تعالى
عليه وسلم بناء على اشتراط التلفظ بهما فى صحته من قادر وبه قال الجمهور والحق ان اشتراطه مع اظهاره انما هو لاجراء
احكام الاسلام عليه فى الدنيا من عصمة دمه وماله ونحو ذلك فمن آمن بقلبه ولم يتلفظ بهما نفعه ايمانه عند الله تعالى
وكان تاركا للافضل كذا ذكره الدلجى وفيه ابحاث ليس هنا محلها (وقال) اى ابن عطاء (ايضا جعلتك ذكرا من ذكرى)
اى نوع ذكر من اذكارى (فمن ذكرك ذكرنى) اى فكانه ذكرنى وهو قريب مما قدمناه (وقال جعفر بن محمد الصادق)
بالرفع لا يذكرك احد بالرسالة) اى بالارسال للعبودية (الا ذكرنى بالربوبية) اى وبتوحيد الالوهية (واشار بعضهم)
كالماوردى (بذلك) اى بقوله ورفعنا لك ذكرك (الى مقام الشفاعة) فانه يظهر رفعته فى تلك الحالة على جميع البرية
ثم لا منع من ارادة الجمع (ومن ذكره) جار ومجرور مضاف (معه تعالى) اى مع ذكره (ان قرن) بفتح ان المصدرية
(طاعته) صلى الله تعالى عليه وسلم (بطاعته) سبحانه وتعالى (واسمه باسمه فقال واطيعوا الله والرسول) وكان
الاظهر ان يقال واطيعوا الله واطيعوا الرسول كما فى نسخة (وآمنوا بالله ورسوله) وربما يقال الآية الاولى هى الاولى
للدلالة على الاتحاد فى المدعى بحسب المعنى بجمع بينهما اى من غير اعادة العامل (بواو العطف المشركة) بتشديد الراء
وفى نسخة بتخفيفها اى الجاعلة للمعطوف اشتراكا فى المعطوف عليه بالنسبة الى الفعل المسند اليه وهو لا ينافى
ان بينهما تفاوتا فى المرتبة حيث ان الايمان بالله يقتضى الاصالة والايمان برسوله يوجب التبعية (ولا يجوز جمع هذا
الكلام فى غير حقه) اى فى حق احد غير حقه (عليه الصلاة والسلام) اى ممن لا يكون فى مرتبته من وجوب الايمان
والاسلام والا فيقال آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وامثاله وكان الاظهر ان يقال ولا يجوز لاحد
غير الله سبحانه وتعالى ان يجمع هذا الجمع فى الكلام كما يدل عليه استدلاله بالاحاديث الواردة عنه عليه الصلاة
والسلام حيث قال (حدثنا الشيخ ابو على الحسين بن محمد الجيانى) بفتح الجيم وتشديد التحتية نسبة الى بلدة بالاندلس
مات سنة ثمان وتسعين واربعمائة له كتب مفيدة فى تقييد الالفاظ وغيرها (الحافظ) وهو فى اصطلاح المحدثين
من احاط علمه بمائة الف حديث (فيما اجازنيه وقرأته على الثقة) بكسر المثلثة وهو المعتمد وهو ابو على ابن سكرة الصدفى
اوغيره من مشايخه (عنه) مرويا عن الجيانى وقد اجاز وكان يمكنه السماع منه (وقال) اى الجيانى فى الاجازة
اوالراوى عنه فى القراءة (انبأنا ابو عمر النمرى) بفتحتين وقد سبق انه الحافظ ابن عبد البر (قال حدثنا ابو محمد بن
عبد المؤمن حدثنا ابو بكر بن داسه) سبق ذكره (حدثنا ابو داود السجزى) بكسر مهملة وسكون جيم فزاى نسبة
الى سجستان بكسر اوله وقيل بفتحه على غير قياس وهو اقليم ذو مدائن بين خراسان والسند وكرمان (حدثنا
ابو الوليد) هشام بن عبد الملك الباهلى (الطيالسى) اخرج له الجماعة الستة قال احمد هو اليوم شيخ الاسلام مات سنة

سبع وعشرين ومائتين (حدثنا شعبة) هو ابن الحجاج سمع كثيرا من التابعين ومات سنة مائة وستين (عن منصور) اى ابن المعتمر ابو عتاب السلمي توفي سنة احدى وثلاثين ومائة (عن عبد الله بن يسار) بتحتية مفتوحة وسين مهملة هذا هو الجهني الكوفي اخرج له ابو داود والنسائي وهو اخو سليمان وسعيد توفي عام احدى وثلاثين ومائة (عن حذيفة) اى ابن اليمان (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اسنده المصنف هنا من طريق ابي داود ورواه ايضا النسائي وابن ابي شيبة (قال لا يقولن احدكم ماشاء الله وشاء فلان) اى مع اعادة الفعل بصيغة بعده فكيف مع حذفه وتقديره لتوهم الاشتراك فى معية المشيئة وان كانت الواو مفيدة لمطلق الجمع والاشتراك لاشك انه من الاشراك وفلان يشمل جميع الخلق ولو من الانبياء والاصفياء (ولكن) اى يجوز له ان يقول (ماشاء الله ثم شاء فلان) على ما فى الاصول الصحيحة اى متابعة لمشيئته موافقة لارادته لان للمشيئة ولو تأخرت تأثيرا فى قضيته فان ماشاء الله كان سواء شاء واى فلان ومالم يشأ لم يكن سواء شاء او ماشاء فلان مع ان العبد لم يكن له مشيئة الا بعد تعلق مشيئة الله بمشيئته كما قال سبحانه وتعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله (قال الخطابي) بفتح معجمة وتشديد مهملة هو الامام الحافظ ابو سليمان البستي نسبة الى جده ويقال انه من سلالة زيد بن الخطاب كان اماما كبيرا تفقه على القفال وغيره توفي ببست سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة (ارشدهم صلى الله تعالى عليه وسلم الى الادب) اى الواجب مراعاته من جهة الرب (فى تقديم مشيئة الله تعالى على مشيئة من سواه واختارها) قال الحجازى ويروى واحتازها بمهملة وزاى والظاهر انه تصحيف اى واختار العبارة فى تعبيرها فالضمير ها (بثم التى هى للنسق) بفتحتين اى للعطف بالترتيب (والتراخي) اى المهلة فى الوجود والرتبة (بخلاف الواو التى هى للاشتراك) وهو قد يكون بالمعية والقبلية والبعدية وبخلاف الفاء التعقيبية (ومثله) اى مثل الحديث المتقدم فى النهي (الحديث الآخر ان خطيبا خطب عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) قيل هو ثابت بن قيس بن شماس (فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد) بفتحهما وبكسر الثاني بمعنى اهتدى (ومن يعصهما) اى فقد غوى كما فى نسخة صحيحة اى ضل عن طريق الهدى (فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بئس خطيب القوم انت قم) اى من هذا المجلس (او قال اذهب) اى فانك قليل الادب والحديث اخرجه النسائي فى اليوم والليلة وابو داود فى الادب ورواه مسلم ايضا (قال ابو سليمان) اى الخطابي (كره) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (منه) اى من الخطيب (الجمع بين الاسمين بحرف الكناية) مأخوذة من الكن وهو الستر وهو تعبير كوفي بمعنى الضمير المأخوذ من الضمور والضمار الذى هو الخفاء ويقابلها الظهور والظاهر وهو ضد المضمر وهو تعبير بصري (لما فيه) اى فى الجمع بينهما بالكناية (من التسوية) اى توهمها المقتضي للشركة بينهما وفيه ان توهم التسوية موجود ظاهرا فى المظهر ايضا مع ان طاعتهما وعصيانهما متلازمان فى ترتيب الهداية والغواية كما يشير اليه قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه بافراد الضمير الشامل لكل منهما وان كانت رتبته تعالى اجل واعظم من ان تقابل برتبة مخلوق وان كان تشرف وتكرم ولهذا قال النووى والصواب ان سبب النهي والذم هو ان الخطيب شأنه الايضاح واجتناب الرمز والاشارة لا كراهة الجمع بين الاسمين بالكناية لانه ورد فى مواضع منها قوله عليه الصلاة والسلام ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما ومما يقوي كلام النووى ان كلام الخطيب جملتان مستقلتان (وذهب غيره) اى غير الخطابي واراد بعضهم (الى انه انما كره الوقوف) اى التوقف (على يعصهما) لو صح هذا الوقف سواء اتى بعده بقوله فقد غوى او اقتصر اكتفاء بما يعرف من الضد فانه مقصر لاتصالة لعدم تمام الكلام ونظام المرام ووجود الايهام (وقول ابى سليمان) اى الخطابي (اصح) اى من قول القائل السابق (لما روى فى الحديث الصحيح انه قال ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر) اى فى هذا الحديث (الوقوف على يعصهما) ولك قد عرفت الاحتمالين ومن حفظ حجة على من لم يحفظ والاثبات مقدم على النفي (وقد اختلف المفسرون) للقرآن (واصحاب المعاني) اى من ارباب البيان (فى قوله تعالى ان الله وملائكته) الاكثر على النصب عطفا على اسم ان (يصلون على النبي هل يصلون) اى جملتها باعتبار كتابة العائدة (راجعة الى الله تعالى وملائكته جميعا) وخبر عنهم مشتركة بينهم فى ضمير واحد (ام لا) اى بل هى راجعة الى الملائكة فقط ويقدر لله عامل آخر لتغاير الصلاتين (فاجازه بعضهم) اى ممن قال بالجمع بين المعنيين المشتركين فى اطلاق واحد فان الصلاة من الله تعالى انزال الرحمة ومن الملائكة الاستغفار والدعوة ومنهم الشافعي واتباعه (ومنعه آخرون) اى منع رجوعها اليهم (لعلة التشريك) اى بين المعنيين ومنهم ابو حنيفة واشياعه اولاجل توهم الاشتراك فى الفعل واجازه الاولون لظهور المغايرة عند ارباب العقل ونهي الخطيب انما كان لترك الادب الذى هو كامن شأن الخطبة من الايضاح واجتناب الرمز (وخصوا) اى البعض الآخرون (الضمير) اى فى يصلون (بالملائكة وقدروا الآية) اى هكذا (ان الله يصلي وملائكته يصلون) اى وجعلوا خبر الثاني

دليلا على خبر الاول كما فى نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأى مختلف والمحققون يجعلونه من باب عموم المجاز ويقولون التقدير ان الله وملائكته يعظمون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كل بما يناسبه من انواع التعظيم واصناف التكريم والاولى عندى ان يقال الضمير راجع الى الكل والمعنى يثنون عليه فالله تعالى عند الملائكة المقربين وفى كتابه المبين وعلى لسان جبريل الامين والملائكة فيما بينهم لاسيما اذا قلنا انه ايضا مبعوث اليهم فيجب حينئذ تعظيمه لديهم وثناؤه عليهم وهذا المعنى لغوى حقيقى على ماذكره صاحب القاموس من ان الصلاة هى الرحمة والدعاء والاستغفار وحسن الثناء هذا وقراءة ابن عباس ورويت عن ابى عمرو وملائكته بالرفع اما عطفا على محل اسم ان اومبتدأ خبره محذوف وهومذهب البصريين (وقدروى عن عمر رضى الله تعالى عنه) قال الدلجى ولم ادر من رواه (انه قال) اى مخاطبا للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (من فضيلتك عند الله تعالى) اى من جملة فضائلك فى حكمه (ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الله فقد اطاع الله وقد قال تعالى) الظاهر انه ليس من قول عمر وعطفه عليه لقربه منه معنى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله الآيتين) يعنى ويغفر لكم والله غفور رحيم قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لايحب الكافرين فالآية الثانية تدل على ما تقدم من ان اطاعة الرسول كما طاعة الله وقوله فان تولوا اى اعرضوا اوتعرضوا عن كل من اطاعة الله واطاعة الرسول فان الله لايحب الكافرين بالاعراض عن طريق المؤمنين المطيعين واما الآية الاولى فهى فى رتبة مقام المحبوبية اولى حيث جعل متابعة حبيبه شرطا لتحقق محبته ثم رتب على محبته المقرونة باتباعه محبة ثانية مجازاة من الله سبحانه وتعالى على محبتهم فمتابعتهم له محفوفة بمحبتين لله سابقة ولاحقة ازلية وابدية علمية وتجربية بل المحبة الاولية هى التى اوجبت المحبة الآخرية كما اشار اليه قوله سبحانه وتعالى يحبهم ويحبونه والحاصل انه تعالى سد باب المحبة على جميع الخلق الا بملازمة باب الحبيب ومتابعة آداب الطبيب الجامع بين مرتبة المحبة والمحبوبية والمريدية والمرادية والطالبية والمطلوبية والسالكية والمجذوبية فابواب ارباب الهدى سدت السدى ومن جاء هذا الباب لايخشى الردى ثم المحبة ميل نفس الى مافيه كمال يحملها على مايقرب اليه فاذا علم العبد ان الكمال الحقيقى ليس الا الله وان كل كمال فى نفسه اوغيره انما هو من الله وبه واليه لم يكن حبه الا الله تعالى وفيه تعالى وذلك يدعو الى طاعته المستلزمة لطاعة رسوله ولكونها بالارادات اشبه منها بالادراكات فسرت بارادة طاعته والتحرز عن معصيته ومحبته تعالى لعباده ارادة هدايتهم وتوفيقهم فى الدنيا وحسن ثوابهم فى الاخرى والعقبى (وروى) اى عن جماعة كابن المنذر عن مجاهد وقتادة (انه لما نزلت هذه الاية) اى قل ان كنتم تحبون الله (قالوا) اى بعض الكفار (ان محمدا يريد ان نتخذه حنانا) اى ربا ذارحمة (كما اتخذت النصارى عيسى حنانا) ومنه قوله تعالى وحنانا من لدنا وقيل محببا وقيل مترحما به ومنه قول ورقة بن نوفل حين مر ببلال وهو يعذب والله لئن قتلتموه لاتخذنه حنانا اى لاجعلن قبره موضع حنان اى مظنة رحمة من الله فاتمسح به متبركا كما يتمسح بقبور الصالحين الذين قتلوا فى سبيل الله من الامم الماضية فيرجع ذلك عارا عليكم ومسبة عند الناس راجعة اليكم (فانزل الله عزوجل) اى بعد تلك الآية (قل اطيعوا الله والرسول) تأكيد للمتابعة (فقرن طاعته بطاعته صلى الله تعالى عليه وسلم) اى تعظيما لقدره وتشريفا لامره (رغما لهم) بفتح الراء وهو الاشهر اى غيظا لانوفهم وكرها لالوهم ففى القاموس الرغم الكره ويثلث واصل هذه الكلمة من الرغام وهو التراب يقال رغم انفه بالكسر اذ الصق بالرغام فالمعنى الصاقا لانوفهم بالتراب جزاء لانفتهم من ملازمة هذا الباب ومتابعة هذا الجناب على وفق الكتاب وآداب رب الارباب لاولى الالباب (وقد اختلف المفسرون فى معنى قوله تعالى فى ام الكتاب) اى اصل الكتاب المشتمل على اجمال جميع الابواب من الثناء على الله والتعبد له والاستعانة به وطلب الهداية اليه والوعد والوعيد منه وهو سورة الفاتحة الخاتمة (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم) اى من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهذا اولى ماقيل فى الآية وهو صلى الله تعالى عليه وسلم يدخل فيه دخولا اوليا بلا مرية (فقال ابو العالية والحسن البصرى) اما الحسن ابن ابى الحسن البصرى فقد تقدمت ترجمته مجملة واما ابو العالية فهما اثنان تابعيان من اهل البصرة فاحدهما ابو العالية الرياحى بكسر الراء وبالتحتية واسمه رفيع بن مهران اسلم بعد عامين من موت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم روى عن عمر وابى وابن عباس رضى الله تعالى عنهم وروى عنه قتادة وغيره اخرج له الجماعة توفى سنة تسعين والثانى ابو العالية البراء بفتح موحدة وتشديد راء بعده همزة واسمه زياد روى عن ابن عباس وغيره وروى عنه ايوب السختيانى وغيره اخرج له الشيخان والنسائى والثانى بالكنية اشهر والمراد هنا الاول وله تفسير وكان ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يعظمه ويجلسه معه على السرير ويفرش تحته (الصراط المستقيم) بالنصب على الحكاية وهو اولى من الرفع المبنى على الاعراب بالابتدائية (هو رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم وخيار اهل بيته واصحابه) بشهادة حديث خير القرون قرني وحديث اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم ولا يخفى انه لا يصح الحمل الا بتقدير وهو طريق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وخيار اتباعه او يحمل على مسامحة كرجل عدل فكانه صلى الله تعالى عليه وسلم واتباعه لكمال اتباعه عين الطريق في عالم التحقيق اذ من المعلوم انه ليس هناك صراط حسي فليس المراد الا انه طريق معنوي فمن تبعه اوصله الى مطلوبه وباسمه الى محبوبه (حكاه) اي روى هذا التفسير (عنهما ابو الحسن الماوردي) تقدم ذكره اي عن ابي العالية والحسن ورواه في المستدرك عن ابي العالية وصححه (وحكى مكي عنهما نحوه) اي بمعناه لا بلفظه ومكي هذا هو ابو محمد مكي بن ابي طالب القيسي اصله من القيروان وانتقل الى الاندلس وسكن قرطبة وهو من اهل التبحر في علوم القرآن والعربية كثير التاليف في علم القرآن توفي سنة سبع وثلاثين واربعمائة بقرطبة (وقال) اي مكي (هو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصاحباه ابو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما) ولعل وجه تخصيصهما انهما مما اتفق الامة على حقيتهما وجلالتهما وعلى ثبوت احكامهما بحضور بقية الصحابة في مجالسهما فكان اقوالهما وافعالهما بمنزلة الاجماع التقريري او السكوتي بخلاف من بعدهما فانه وقع الاختلاف في امورهم من حيث تكلم بعض الصحابة وتقرير آخرين منهم في شانهم ولا عبرة بطعن كلاب اهل النار من المبتدعة الرافضة طريق الاشرار الخارجة عن الصراط المستقيم والدين القويم (وحكى ابو الليث السمرقندي مثله) اي مثل المحكي السابق في الصراط المستقيم عن المكي راويا له (عن ابي العالية في قوله عز وجل) اي في تفسير قوله (صراط الذين انعمت عليهم) اي انه رسول الله وصاحباه ومآلهما واحد لان الثاني بدل او عطف بيان الاول (قال) اي ابو الليث (فبلغ ذلك) اي وصل تفسير ابي العالية هذا (الحسن) اي البصري من عاصم (فقال صدق والله) اي في البيان (ونصح) اي الامة في هذا البيان (وحكى الماوردي ذلك) اي القول المذكور (في تفسير صراط الذين انعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد) اي ابن اسلم المدني روى عن ابيه وابن المنكدر وعنه اصبغ وقتيبة وهشام ضعفوه له تفسير وقد اخرج له الترمذي وابن ماجه ووالده زيد روى عنه البخاري بواسطة (وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم) اي بعض العارفين (في تفسير قوله تعالى فقد استمسك) اي تمسك (بالعروة الوثقى انه) اي العروة الوثقى وتذكيره باعتبار خبره وهو (محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) اذ من وثق به نجا ومن تبعه اهتدى (وقيل) اي المراد بالعروة (الاسلام وقيل شهادة التوحيد) والمآل متحد عباراتنا شتى وحسنك واحد (وقال سهل) اي التستري (في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال) اي سهل (نعمته بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وروى نعمة محمد عليه الصلاة والسلام والاول هو الصحيح لعدم صحة الحمل في الثاني اللهم الا ان يقال التقدير نعمته نعمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والاضافة الى الجلالة نظرا الى الحقيقة والاصالة والمراد بنعمته انعامه به علينا اذ انعامه اصل النعم الصادرة عنه والمنة علينا لا تحصى عد انواعها اجمالا فضلا عن افرادها تفصيلا (وقال تعالى والذي جاء بالصدق) اي بالحق المطابق للواقع (وصدق به) اي جمع بين شيء الصدق واتيان التصديق (اولئك هم المتقون) اي في التحقيق وجمع المشار اليه نظرا الى معنى الموصول الجنس المفيد للعموم والمراد بهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام او نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم والجمع من حيث انه الفرد الاكمل للتعظيم او المراد هو وامته وهذا اظهر في باب التكريم (الآية) فيه ان البقية ليس لها دخل في القضية (اكثر المفسرين على ان الذي جاء بالصدق هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) اي لان الكلام فيه فالمراد هو وحده او من معه من الانبياء او وامته من الاصفياء (وقال بعضهم وهو الذي صدق به) وهو الظاهر لعدم اعادة الموصول (وقرئ صدق به بالتخفيف) وهو يؤيد انه هو الذي صدق به لان الثاني متعين فيه (وقال غيرهم الذي صدق به المؤمنون) وفيه اشعار بتقدير الموصول وهو جائز عند بعض ارباب الاصول (وقيل هو ابو بكر رضي الله تعالى عنه) اي واتباعه او جمع لتعظيمه (وقيل علي رضي الله تعالى عنه) اي واتباعه واشياعه او جمع لتكريمه والاظهر ان تعبير الجمع بهما لارادة امثالهما وخصا بالذكر لانهما اول من وقع منه التصديق على خلاف بين المرتضى والصديق (وقيل غير هذا من الاقوال) ومن جملتها ما اشرنا اليه في سياق الحال (وعن مجاهد رضي الله تعالى عنه) اي ابن جبر بفتح جيم وسكون موحدة وقيل جبير بالتصغير روى عن ابي هريرة وابن عباس وعنه قتادة وابن عون كان اماما في القراءة والتفسير حجة في الحديث قال كان ابن عمر يأخذ لي ركابي ويسوي على ثيابي اذا ركبت قيل انه رأى هاروت وماروت وكاد يتلف اخرج له الستة (في قوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب قال بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه) اي بما يذكر ويروى عنه وعن اصحابه المفيد من الدلالات اليقينية والافادات العلية في الامور الشرعية مما تطمئن به القلوب وتسكن به النفوس او بمجرد ذكره

وذكر اصحابه فان عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة وعند نزول الرحمة يحصل للقلوب الاطمئنان والسكينة

(الفصل الثانى)

(فى وصفه تعالى له) وفى نسخة فى وصفه له تعالى وهو خطأ فاحش (بالشهادة وما يتعلق به من الثناء والمدح والكرامة) المراد بالشهادة شهادته صلى الله تعالى عليه وسلم بالتزكية للامة او بالتبليغ للانبياء فى موقف القيامة بناء على الاحتمالين المفهومين من قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقوله وما يتعلق به اى بوصفه فهو تعميم بعد تخصيص بوصفه وفى نسخة صحيحة وما يتعلق بها والمتبادر انها ترجع الى الشهادة والتحقيق انها المعنى ما لمبين عما بعده (قال الله تعالى يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا) اى على من بعثت اليهم تصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم يوم القيامة او شاهدا لله بالوحدانية او مشاهدا له بالصمدانية (ومبشرا) اى للمؤمنين بالجنة والوصلة (ونذيرا) اى منذرا ومخوفا للكافرين بالحرقة والفرقة ولعل وجه العدول عن منذرا الى نذيرا مراعاة للفاصلة او تفنن فى العبارة ولذا لم يقل بشيرا مع انه بمعنى مبشر (الاية) وتمامها وداعيا الى الله اى الى الاقرار به وتوحيده باذنه اى بتيسيره او بامره وهو قيد لجميع ما تقدم لا للدعوة وحدها كما يستفاد من البيضاوى والله تعالى اعلم وسراجا منيرا اى يستضاء به من ظلمات الجهالة ويقتبس من نوره ما يتخلص به عن الضلالة (جمع الله تعالى له فى هذه الاية) اى بعد ما تعلق به عين العناية وتحقق له كمال الرعاية (ضروبا) اى انواعا واصنافا (من رتب الاثرة) بضم راء وفتح تاء جمع رتبة بمعنى المنزلة والمرتبة المخصوصة والاثرة محركة وبالضم وبالكسر ما يستأثر به على غيره والاثرة بالضم المكرمة المتوارثة كالمأثرة على ما فى القاموس وقال النووى بالفتحتين هو الافصح (وجملة اوصاف) اى وجمع له نعوتا مجملة او كثيرة (من المدحة) بكسر الميم اى الثناء والذكر الحسن واذا فتحت الميم قلت المدح (فجعله) اى الله (شاهدا على امته لنفسه) اى لذاته الشريفة (بابلاغهم الرسالة) من اضافة المصدر الى مفعوله اى بابلاغه اياهم ما يتعلق بامر الرسالة (وهى) اى هذه الخصلة التى هى الشهادة لنفسه على الامة بدون البينة (من خصائصه عليه الصلاة والسلام) اى حيث لم يجعل غيره شاهدا بنفسه لنفسه على امته فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذا جحدت امتهم تبليغهم اياهم فشهدوا لانفسهم به فان الله تعالى يطالبهم بالبينة وهو اعلم فتشهد لهم به فتقول اممهم لنا بم عرفتم ذلك فتقول باخبار الله تعالى لنا فى كتابه فيسئل الله تعالى نبينا عنا فيزكينا بالشهادة وكذلك جعلناكم امة وسطا الاية وكفى بها حاكما على كون الاجماع حجة (ومبشرا لاهل طاعته) اى بالثواب العظيم (ونذيرا لاهل المعصية) اى بالعقاب الاليم (وداعيا الى توحيده وعبادته) اى من الدين القويم وفى اصل الدلجى وداعيا الى الله باذنه على وفق الاية اى بتيسيره وتسهيله (وسراجا منيرا) اى مضيئا (يهتدى به للحق) بصيغة المجهول اى يهتدى الخلق به الى الحق كما يهتدى بنور السراج نور الابصار والى صراط مستقيم (حدثنا الشيخ ابو محمد ابن عتاب رحمه الله) بفتح مهملة وتشديد فوقية فموحدة قال الحجازى ليس للقاضى عياض رواية عن محمد بن عتاب وانما يروى عن ابى محمد بن عبد الله بن محمد عتاب انتهى وكذا قال التلمسانى هو عبد الله بن محمد بن عتاب سمع منه القاضى فى رحلته الى الاندلس انتهى وقال العسقلانى هو مسند الاندلس فى زمانه عبد الرحمن بن محمد بن عتاب القرطبى الاندلسى سمع من ابيه وكان واسع الرواية فاكثر عنه وعن حاتم بن محمد الطرابلسى وغيرهما واجاز له جماعة من الكبار منهم مكى بن ابى طالب المقرى وكان ابن عتاب عارفا بالقراآت ذكر الكثير من التفسير والعربية واللغة وانفقه كريما متواضعا زاهدا ومات سنة عشرين وخمسمائة (حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد) اى ابن عبد الرحمن بن حاتم التميمى المعروف بابن الاطرابلسى وقد قرأ عليه ابو على الغسانى صحيح البخارى مرات (حدثنا ابو الحسن) اى على بن محمد بن خلف المعافرى القروى (القابسى) بكسر الموحدة وانما قيل القابسى لان عمه كان يشد عمامته شدة اهل قابس توفى سنة ثلاث واربعمائة بمدينة القيروان ودفن بباب تونس (حدثنا ابو زيد المروزى) وهو محمد بن احمد بن عبد الله بن محمد الامام البارع المحقق النحرير المدقق الزاهد العابد المجمع على جلالته وعظمته قال الحاكم جاور بمكة وحدث بها وببغداد بصحيح البخارى عن الفربرى وهو اجل الروايات بجلالة ابى زيد توفى بمرو سنة احدى وسبعين وثلاثمائة (حدثنا ابو عبد الله بن يوسف) بتثليث السين وبالهمز والابدال كيونس وهو ابن مطر بن صالح بن بشر بن ابراهيم الفربرى وكان ثقة ورعا توفى سنة عشرين وثلاثمائة قال ابو نصر الكلاباذى كان سماعه لهذا الكتاب يعنى صحيح البخارى من محمد بن اسمعيل البخارى مرتين مرة بفربر سنة ثمان واربعين ومائتين ومرة ببخارى سنة اثنتين وخمسين ومائتين انتهى وروى انه قال سمعت الجامع بفربر فى ثلاث سنين وفربر مدينة بخراسان بكسر الفاء او بفتحها وفتح الراء الاولى فقيل الكسر اكثر وقيل الفتح اشهر (قال حدثنا البخارى) وهو اظهر من ان يذكر وهو ابو عبد الله محمد بن اسمعيل البخارى وقد روى عنه الترمذى وابن خزيمة وجماعة والصحيح

ان النسائي لم يسمع منه وكان اماما حافظا في الحديث والفقه مجتهدا من افراد العالم مع دينه وورعه وتألهه ذهب بصره في صباه فرده الله تعالى عليه بدعاء امه ومات يوم الفطر بعد الظهر سنة خمسين ومائتين (حدثنا محمد بن سنان) بكسر السين معروف ومتروع وهو ابو بكر العوقي الباهلي البصري روى عنه البخاري وابو داود والترمذي وابن ماجه (حدثنا فليح) بضم فاء وفتح لام وسكون تحتية تصغير فالح اوافلح من خواهوابن سليمان العدوي روى عن نافع وغيره وعنه جماعة واخرج له الائمة الستة (حدثنا هلال) اى ابن على وهو هلال ابن ابي ميمونة روى عن انس وعطاء ابن يسار وابي سلمة وعنه مالك وفليح وغيرهما اخرج له اصحاب الكتب الستة (عن عطاء بن يسار) بفتح تحتية وخفة مهملة روى عن ميمونة وابي زيد وابي ذر وعدة وعنه زيد بن اسلم وشريك وخلق وكان من كبار التابعين وعلمائهم اخرج له الائمة الستة (قال لقيت عبدالله بن عمرو بن العاصي) اختلف في كتابته والجمهور كما قاله النووي على كتابته بالياء وهو الفصيح عند اهل العربية ويقع في كثير من كتب الحديث والفقه واكثرها بخلاف الياء وهي لغة انتهى وقال ابن الصلاح في الاملاء على المسلسل بالاولية يقول كثير من اهل الضبط في حالة الوصل بالياء جريا على الجادة والمتداول على الالسنة والمشهور حذف الياء وهو مشكل على من استطرف من العربية ولم يوغل وربما انكره ولا وجه لانكاره فانه لغة لبعض العرب شبه ما فيه الالف واللام بالنون لما بينهما من التعاقب وبها قرأ عدة من القرآء السبعة كما في قوله تعالى الكبير المتعال وشبهه انتهى وقد اثبت ابن كثير ياء المتعال وصلا ووقفا والجمهور على حذفها في الحالين واراد بشبهه التلاق والتناد فان قالون بخلاف عنه وورشا وافقا ابن كثير في اثبات الياء وصلا لا وقفا والحاصل ان المنقوص لاخلاف في جواز حذف لامه في اسم الفاعل واثباته واما الكلام على ان العاص هل هو اسم الفاعل من عصى بمعنى مرتكب العصيان اوحامل العصا اوالضارب بها او هو معتل العين فلا يكون من هذا الباب وحينئذ اثبات الياء فيه خلاف الصواب وهو الذي اقتصر عليه صاحب القاموس حيث قال في الاجوف والاعياص من قريش اولاد امية بن عبد شمس الاكبر وهم العاص وابو العاص والعيص وابو العيص هذا وترجمة عبد الله مشهورة في الكتب المطولة مسطورة قيل بينه وبين ابيه عمرو في السن اثنا عشرة وقيل احدى عشرة سنة وقد اسلم قبل ابيه واخرج البخاري هذا الحديث منفردا عن بقية اصحاب الكتب الستة في موضعين احدهما في التفسير وثانيهما في البيوع وهو الذي ساقه القاضي ابو الفضل منه حيث قال (فقلت) وفي نسخة قلت (اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) قال الحلبي وقع في روايتنا اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في التوراة ولم يذكر ههنا القاضي يعني بل ذكره فيما سيأتي (قال) اى ابن عمرو (اجل) اى نعم اخبرك فكان قوله اخبرني متضمنا لمعنى اتخبرني اولا اتخبرني على ما هو مقتضى حسن الادب في العبارة وان كان الامر ايضا هنا محمولا على الالتماس دون التحكم والاجبار (والله) قسم ورد ردا للمكذبين من اليهود والنصارى والمشركين (انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن) وفيه اشعار بانه حافظ للكتابين وان ما وجد في القرآن مع ايجازه واعجازه اكثر مما يوجد في غيره من التوراة ونحوه او ايماء الى ان اليهود حذفوا بعض صفاته من التوراة اوغيروا مبانيه اومعانيه قال الحلبي فان قيل ما الحكمة في سؤال عطاء بن يسار لعبد الله بن عمرو عن صفة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في التوراة وهو قرشي سهمي قيل لانه كان يحفظها وقد روى البزار من حديث ابن لهيعة عن وهب عنه انه رأى في المنام كان في احدى يديه عسلا وفي الاخرى سمنا وكانه يلعقهما فاصبح فذكر ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال تقرأ الكتابين التوراة والقرآن فكان يقرأهما انتهى والظاهر ان العسل معبر بالقرآن حيث فيه شفاء للناس وايماء الى حلاوة الايمان واشعار بانه اعلى واغلى من الادهان وان الجمع بينهما نور في عالم الاتقان بالنسبة الى اهل الاتقان (يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا) حال مقدرة من الكاف (ومبشرا ونذيرا) وهذا منصوص في القرآن ولعل معناه مذكور في التوراة (وحرزا) اى حفظا اوحافظا (للاميين) اى يمنعهم بهدايته اياهم من كل مكروه والاميون جمع الامي وهو من لا يحسن الكتابة والقراءة نسبة الى امة العرب حيث كانوا لا يحسنونهما غالبا اوالى الام بمعنى انه كما ولدته امه وهذا المعنى مستفاد من القرآن حيث قال هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم الآية وتخصيصهم لشرفهم (انت عبدي ورسولي) وهذا ايضا موجود في القرآن حيث اضافه بوصف العبدية والرسالة اليه سبحانه وتعالى (سميتك المتوكل) حيث قال وتوكل على الله اولكونه رئيس المتوكلين في قوله سبحانه وتعالى وعلى الله فليتوكل المتوكلون (ليس بفظ) فيه التفات تنشيطا للسامع والمعنى ليس هو سيئ الخلق قليل المودة (ولا غليظ) اى قاسي القلب قليل الرحمة كما قال سبحانه وتعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك واما تعبير الحلبي وغيره الغليظ بالشديد القول ففيه ميل عن مبنى الآية وان كانت شدة القول والجفاوة متفرعة على غلظ القلب والقساوة

ولا صخاب) بصاد وتشديد معجمة وهو وسخاب بالسين المهملة من السخب وهولغة ربيعة بمعنى رفع الصوت وصيغته فعال للنسبة كتمار لان المراد به نفيه مطلقا من غير قيد قليل وكثير وقوله (فى الاسواق) قيد واقعى لان الغالب ان يقع فيها ارتفاع الصوت للمخاصمة والمشاجرة على وفق المشاهدة اواحترازى فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرفع صوته فى التلاوة حال الامامة وفى الموعظة حال الخطبة (ولا يدفع بالسيئة) اى منه (السيئة) اى الواصلة اليه من غيره مع انه جائز لقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وسميت الثانية سيئة للمشاكلة والمقابلة اوبالاضافة الى التحمل والصبر كما اشار اليه سبحانه وتعالى بقوله فمن عفا واصلح فاجره على الله وهى مقابلة السيئة بالحسنة لكن الافضل والاكمل ماقاله سبحانه وتعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام ادفع بالتى هى احسن وهى المقابلة بالاحسان وهذا طريق اهل العرفان (ولكن يعفو) اى ولكن يدفعها بالتى هى احسن فكان يعفو اى عن الخطائين فى الباطن (و يغفر) اى فى الظاهر وكان حقه ان يقول ثم و يحسن اليهم على ماهو المتبادر مماسبق ومما يفهم من قوله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ولذا حكى ان بعض الاكابر دخل عليه خادم بطعام حار فانكب على بدنه فقرأ الخادم والكاظمين الغيظ قال كظمت فقرأ والعافين عن الناس قال عفوت فقرأ والله يحب المحسنين قال اعتقتك وقد وقع مثل هذا كثيرا فى نعته صلى الله تعالى عليه وسلم حيث حلم على جفاوة الاعراب فيما اغلظوا له بالقول والفعل احسن اليهم بالمال الكثير (ولن يقبضه الله حتى يقيم) اى الله (به) اى بسببه وببركته (الملة العوجاء) اى غير المستقيمة ولان العرب غيرتها عن استقامتها فصارت كالعوجاء والمراد بها ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وهى العادلة المائلة عن الاديان الباطلة الى دين الحق الذى هو التوحيد المطلق كما اشار اليه بقوله (بان يقولوا لا اله الا الله) اى ومحمد رسول الله فهو من باب الاكتفاء اومن اطلاق الجزء وارادة الكل اوعلى ان الكلمة المذكورة هى علم للشهادتين ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم من قال لا اله الا الله دخل الجنة ومن كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة اذ من المعلوم ان اليهود والنصارى وامثالهم يقولون لا اله الا الله ولا تفيد هم هذه الكلمة من دون اقرارهم بان محمدا رسول الله وفى الحديث ايماء الى قوله سبحانه وتعالى هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله (ويفتح) بالنصب عطفا على يقيم اويقولوا (به اعينا) جمع عين (عميا) جمع اعمى (وآذانا) بالمد جمع اذن (صما) جمع اصم (وقلوبا غلفا) جمع اغلف والغلاف غشاء القلب وغلافه المانع من قبول الحق ووصول الصدق وتعقل امر المبدأ والمعاد كما اخبر الله تعالى عن احوالهم بقوله صم بكم عمى اى عن سماع الحق والنطق به وادراكه ببصرهم فهم لا يعقلون اى الحق ولا يعلمون الصدق ولعله لم يقل والسنة بكما لانه يلزم من الصمم الاصلى البكم الفرعى والله اعلم (وذكر مثله) بصيغة المجهول ولعل مثله مروى لابن عمر ولعطاء بن يسار كما فى البخارى تعليقا واسنده الدارمى (عن عبدالله ابن سلام) بتخفيف اللام وقيل بتشديد ابن الحارث الاسرائيلى ثم الانصارى الخزرجى الصحابى كان حليفا لبنى الخزرج كنيته ابو يوسف بابنه وهو من ولد يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وكان اسمه فى الجاهلية حصينا فسماه عليه الصلاة والسلام عبدالله اسلم اول قدومه عليه الصلاة والسلام المدينة ونزل فى فضله قوله تعالى وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله وكذا قوله سبحانه وتعالى قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب شهد مع عمر فتح بيت المقدس وشهد له صلى الله تعالى عليه وسلم بالجنة روى عنه ابناه محمد ويوسف وغيرهما توفى فى سنة ثلاث واربعين اخرج له اصحاب الكتب الستة (وكعب الاحبار) بالحاء المهملة وسبق بعض ترجمته والمعنى وذكر مثله ايضا عن كعب الاحبار فيما رواه الدارمى من طريق ابى واقد الليثى (وفى بعض طرقه) اى طرق هذا الحديث (عن ابن اسحق) كما رواه ابن ابى حاتم فى تفسير سورة الفتح عن وهب بن منبه وفى بعض النسخ ابى اسحق بالياء وهو تصحيف وصوابه بالنون وهو الامام صاحب المغازى رأى عليا واسامة والمغيرة بن شعبة وانسا وروى عن عطاء والزهرى وطبقته وعنه شعبة والحمادان والسفيانان وخلق وكان من بحور العلم صدوقا وله غرائب فى سعة ماروى يستنكر واختلف فى الاحتجاج به وحديثه حسن بل وفوق الحسن وقد صححه جماعة مات سنة احدى وخمسين ومائة اخرج له البخارى فى التاريخ ومسلم والاربعة فى سننهم (ولا صخب) بفتح فكسر على الوصف وسبق معناه و يفهم من بعض الحواشى انه رفع الصوت فى السوق فقوله (فى الاسواق) للتأكيد اولقصد التجريد (ولا متزين بالفحش) بالضم اى ولا متجمل ولا متخلق ولا متصف بالقول الفاحش والفعل الفاحش قال الحجازى و يروى ولا مدين وكذا قال التلمسانى بالدال من الدين و بالزاى من الزينة والظاهر انه مصحف وان تكلف له السيد قطب الدين عيسى بان معناه لا يجعله دينا وطريقة انتهى ولا يخفى انه لا يفيد نفى الفحش عنه بالكلية وهو المطلوب فى المدحة الجلية وفى حاشية الحجازى ولا متزى بالفحش اى متصف به والزى غالبا انما يكون فى الاوصاف الحسنة وقد يجئ فى خلافها وقرئ قوله تعالى هم احسن اثاثا ورئيا بالراء والزاى

وبين زى واو وانما قلبت واوها ياء لسكونها وانكسار ما قبلها وفيما تصرف منه من الافعال لطلب الخفة والفحش البذاء بالمنطق واصل الفحش فى كل شئ الخروج عن المقدار والحد حتى يفحج وقيل نفى تزينه به عنه مع كونه لا يراه زينة انما هو باعتبار كون اهله يرونه زينة وفخرا بشهادة افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فزين لهم الشيطان اعمالهم (ولا قوال) بتشديد الواو (للخنا) بفتح الخاء المعجمة مقصورا الكلام القبيح ومنه قول زهير شعر

(اذا انت لم تقصر عن الجهل والخنا ✽ اصبت حليما اواصابك جاهل) .

فهو من باب التخصيص بعد التعميم وفعال ليس للمبالغة بل للنسبة كما فى قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد واللام فى الحديث والآية لمجرد التقوية (اسدده) قطعه عما قبله لكمال الانقطاع بينهما لانه حكاية عن صفات نفسية سلبية وهذا من صفات الهبة ثبوتية اى اقيمه واوفقه (لكل جميل) اى نعت جزيل (واهب له) بفتح الهاء اى اعطيه من فضلى (كل خلق كريم) اى من مكارم الاخلاق المتعلقة بالخالق والمخلوق ولذا قال تعالى وانك لعلى خلق عظيم (ثم اجعل) ويروى واجعل (السكينة) اى سكون القلب واطمئنانه ورزانة القالب ووقاره فهى فعيلة من السكون والكاف منها مخففة عند الكافة الاما حكاه القاضى فى مشارق الانوار عن الكسائى والفراء من جواز تشديدها قال التلمسانى وهو نقل غريب وتدفع غرابته بجعل التشديد للمبالغة كما فى السكيت والسكين ثم رأيت صاحب القاموس قال السكينة والسكينة بالكسر مشددة الطمأنينة وقرئ بهما فى قوله تعالى فيه سكينة من ربكم اى ما تسكنون به اذا اتاكم (لباسه) اى دثاره وهو مما يظهر آثاره (والبر) اى الطاعة لله اوالاحسان بخلق الله (شعاره) بكسر اوله اى دأبه وعادته (والتقوى ضميره) اى فى صدره كما فى الحديث التقوى هنا وفيه ايماء الى ان كمال التقوى محصور فيه (والحكمة) اى العلمية والعملية (معقوله) اى بحيث يظهر وجه منقوله فى معقوله وقال التلمسانى الحكمة اى النبوة والعلم ومعقوله مكتومه وسره ولا يخفى خفاء امره (والصدق) اى فى المنطق (والوفاء) اى بالوعد (طبيعته) اى غريزته وجبلته التى لا يمكنه مخالفتها (والعفو) اى عن الاساءة (والمعروف) اى الاحسان فى محله شرعا وعرفا (خلقه) بالضم اى دأبه وعادته (والعدل) اى فى حكمه اوالاعتدال فى حاله (سيرته) اى طريقته (والحق) اى اظهاره (شريعته) اى دينه وملته (والهدى) بضم الهاء اى الهداية (امامه) بكسر الهمزة اى قدوته ما يقتدى به فى جميع حالاته وفى نسخة معتمدة بالفتح اى قدامه ونصب عينيه لا يتعدى منه ولا يعدل عنه (والاسلام) اى الاستسلام الظاهر والباطن (ملته) اى دينه الذى هو عليه وبقرره (واحمد اسمه) اى فى التوراة والانجيل وهو لا ينافى ان يكون له اسماء اخر بل فيه ايماء بانه ابلغ الاسماء وذلك لافادة المبالغة الزائدة التى لا توجد فى غيره من الابنية ولو كانت من هذه المادة كمحمد ومحمود فانه بمعنى احمد كل من حمد وحمد فله النسبة الجامعة بين كمال صفتى الحامدية والمحمودية المترتبة على جمال نعتى المحبية والمحبوبية فتأمل فانها من الاسرار الخفية والانوار الجلية (اهدى به) بفتح الهمزة اى ارشد الخلق بسببه (بعد الضلالة) اى بعد تحقق حضور حصولها منهم او بعد تعلق ثبوت وصولها بهم وفيه ايماء الى ان ظلمة ضلالتهم لا ترفع الا بنور هدايته لهم مشيرا الى الحديث القدسى والكلام الانسى ان الله خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن اصابه من ذلك النور اهتدى ومن اخطأه فقد غوى وارتدى ولا يبعد ان يكون المراد بعد ضلالته مشيرا الى قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى اى جاهلا بالطريق اوعاشقا بالتحقيق (واعلم) بتشديد اللام المكسورة اى اجعل الناس ذوى معرفة (به) اى بالوحى وانزال القرآن عليه (بعد الجهالة) اى بعد ظهور زمان الجاهلية ايام الفترة اوبعد جهالته لقوله سبحانه وتعالى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان يعنى تفصيله (وارفع به) اى بحركته رتبة هذه الامة (بعد الخمالة) بفتح الخاء المعجمة بمعنى الخمول اى بعد ان لم يكن لهم ذكر وقدر وشان وبرهان فى الظاهر وان كانوا فى علم الله تعالى وفى اللوح خير امة اوارفع شانه بتعلينا اياه ببيانه بعد خمول ذكره وخفاء امره كقوله تعالى ورفعنا لك ذكرك (واسمى به) بتشديد الميم المكسورة كذا ضبطه الشراح ولا يبعد ان يجوز بتخفيف الميم اى اشهره بالمعرفة (بعد النكرة) بضم النون (واكثر به) من التكثير ويجوز من الاكثار اى اجعل الكثرة ببركته (بعد القلة) اى فى ماله وفى عدد اتباعه (واغنى) من الاغناء اى اجعله غنيا اوامته اغنياء (به) اى بنبوته وجهاده ورياضته وصبره على فاقته (بعد العيلة) بفتح العين وهى الفقر ومنه قوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء (واجمع به بعد الفرقة) ايماء الى قوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وهذا معنى قوله (واؤلف) اى اوقع الالفة والمودة (به بين قلوب مختلفة) اى فى اغراض فاسدة (واهواء متشتتة) اى آراء مبتدعة غير مجتمعة (وامم متفرقة) وجماعات من قبائل متباينة قال التلمسانى وقع هنا خط المصنف بتقديم التاء على الفاء من التفرق وبتقديم الفاء على التاء من الافتراق وهى

نسخة العوق (واجعل امته خيرامة اخرجت للناس) كان حقه ان يقول به هنا ايضا لان خيرية امته انما هى لاجل افضلية نبوته بناء على الملازمة العادية لكن جعله سببا اولى من عكس القضية كما اشار صاحب البردة الى هذه الزبدة بقوله

﴿ لما دعا الله داعينا لطاعته * بافضل الرسل كنا افضل الامم ﴾

(وفى حديث آخر) رواه الدارمى عن كعب موقوفا والطبرانى وابونعيم فى دلائله عن ابن مسعود (اخبرنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن صفته فى التوراة عبدى) اى المخصوص عندى (احمد المختار) اى على سائر الاخيار وفى نسخة بالجار فاللام للجنس الاستغراق اى احمد كل من اختره واصطفيته من الانبياء والملائكة والاصفياء (مولده) اى مكان ولادته وظهور رسالته (بمكة ومهاجره) بضم الميم وفتح الجيم اى موضع هجرته ومحل نقلته (بالمدينة) ليحصل للحرمين الشريفين بركته اولا وآخرا وباطنا وظاهرا وليكون زيارة البقعتين بمنزلة ابداء اشهادتين (اوقال طيبة) بفتح الطاء وهو اسم من اسماء المدينة كطابة والتقدير انه قال بالمدينة اوبطيبة كما فى نسخة فاوللشك فى الاسم لافى المسمى وقدروى ان لها فى التوراة احد عشر اسما هذان منها وكانت قبل الاسلام تسمى بيثرب باسم رجل من العماليق قبيلة منسوبة الى عملاق كان يسكنها فلما جاء الاسلام وسكنها عليه الصلاة والسلام كره لها هذا الاسم المفيد من اخذ التثريب فسماها طيبة وقد جاء فى القرآن لفظ يثرب ولكن الله سبحانه وتعالى لم يسمها بذلك وانما قاله حكاية عن الكفار والمنافقين واذقالت طائفة منهم يااهل يثرب لامقام لكم فارجعوا فنبه سبحانه وتعالى بما حكى عنهم انهم قدرغبوا عن اسم سماها به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وابوا الاما كانوا عليه من جاهليتهم وقدسماها الله سبحانه وتعالى المدينة بقوله ماكان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله وقد روى فى معنى قوله تعالى وقل رب ادخلنى مدخل صدق انه المدينة وان مخرج صدق مكة وسلطانا نصيرا الانصار وقد ورد من سمى المدينة بيثرب فليستغفر الله هى طابة هى طابة رواه احمد فى مسنده عن البراء (امته الحمادون لله) اى المبالغون فى حمده سبحانه وتعالى تبعا لنبيهم احمد فكما انه احمد الخلق فهم احمد الامم ومما يدل على كثرة حمدهم ودوام شكرهم تقييده بقوله على كل حال) اى من السراء والضراء وفى حاشية الحجازى امته الحمادون يحمدون الله على كل حال وفى رواية حماد بن سلمة عن كعب انه قال وجدت فى التوراة زيادة على هذا وهى يوضئون اطرافهم ويتزرون على انصافهم فى قلوبهم اناجيلهم يصلون الصلاة لوقتها رهبان بالليل ليوث بالنهار ولم تزل اليهود بعد ماغيرت من صفات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تعار على ظهورشئ مما فى فيها وتكتم اشد الكتم وقداخرج ابن ابى شيبة عن عبدالله بن مسعود فى مسنده انه قال ان الله تعالى عز وجل ابتعث نبيه لادخال رجل الجنة وذلك ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دخل كنيسة فاذا هو بيهود فاذا يهودى يقرأ التوراة فلما اتوا على صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم امسكوا وكان فى ناحيتها رجل مريض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالكم امسكتم فقال المريض انهم اتوا على صفة نبى فامسكوا يعنى على عادتهم اولاجل حضورك عندهم قال ثم جاء المريض يحبو حتى اخذ التوراة وقال للقارئ ارفع يدك فرفع يده فقرأ حتى اتى على صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اى بكمالها فقال هذه صفتك وصفة امتك ثم قال اشهد ان لااله الاالله واشهد انك رسول الله فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لواخاكم واخرج الواقدى فى مصنفه مما يتعلق بصفات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال كان النعمان السابى حبرا من احبار اليهود فلما سمع بذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قدم عليه فسأله عن اشياء ثم قال ان ابى كان يختم على سفر ويقول لاتقرأه على يهود حتى تسمع بنبى قدخرج بيثرب فاذا سمعت به فافتحه قال النعمان فلما سمعت بك فتحت السفر فاذا فيه مايحل ومايحرم واذا فيه انك خيرالانبياء وان امتك خيرالامم واسمك احمد وامتك الحمادون قربانهم دماؤهم واناجيلهم فى صدورهم لايحضرون قتالا الاوجبريل معهم يتحنن عليهم تحنن الطير على فراخه ثم قال اذا سمعت به فاخرج اليه وآمن به فكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحب ان يسمع اصحابه حديثه فاتاه يوما فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يانعمان حدثنا فابتدأ النعمان الحديث من اوله فرؤى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتبسم وقال اشهد انى رسول الله والنعمان هذا هوالذى قتله الاسود العبسى وقطعه عضوا عضوا وهو يقول اشهد ان محمدا رسول الله وانك مفتر كذاب على الله (وقال تعالى) اى فى حق المتقين من المؤمنين (الذين يتبعون الرسول النبى) اى الجامع بين مرتبة النبوة وهى اخذ الفيض من الحضرة بالحق المسمى بالولاية وبين مرتبة الرسالة وهى تبليغ الاحكام الشرعية الى الخلق فهو برزخ جامع بين الاستفادة والافادة وبين الكمال والتكميل الذى هو اعلى مقامات ارباب السعادة ولعل وجه تقديم الرسالة فى الذكر مع تأخر تحققها فى الوجود هو الاهتمام بنعت الرسالة اوالترتيب بحسب التدلى لاالترقى فى المرتبة

(الامى) اى مع كونه عاريا عن الكتابة والقراءة السابقة الدالة على ان معارفه كلها من العلوم اللدنية والفتوحات
الغيبية (الآتيين) اى ان آخر الآتيين الدالتين على نعوته الجلية وصفاته البهية وهو الذى يجدونه اى يصادفون
نعته واسمه وصفته مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل وهما زبدة الكتب المنزلة على اليهود والنصارى يأمرهم
بالمعروف اشتباق بين لاوصافه المزبورة عندهم اومطلقا اى يأمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بما يعرفه جميع
ارباب المعرفة بالمعقولات ويستحسنه ارباب الطبيعة السليمة من اصحاب المعقولات حيث يأمرهم بمكارم
الاخلاق ومحاسن الصفات وينهاهم عن المنكر اى جنس المنكرات شرعا وعرفا نقلا وعقلا ويحل لهم الطيبات
من الحلالات والمستلذات ويحرم عليهم الخبائث اى المحرمات والمضرات ويضع عنهم اى عن من تبعه من اليهود
والنصارى خصوصا اصرهم اى عهودهم الثقيلة التى اخذ عليهم العمل بها فى التوراة من العبادات والرياضات
والسياسات والاغلال التى كانت عليهم من التكاليف الشاقات كقطع الاعضاء الخاطئة وقرض مواضع
النجاسات وتعين القصاص فى العمد والخطأ واحراق الغنائم وظهور الذنوب على ابواب فالذين
آمنوا به وعزروه اى عظموه فى نفسه ونصروه على عدوه واتبعوا النور الذى انزل معه اى مع رسالته وهو القرآن
او الوحى الشامل للكتاب والسنة اولئك هم المفلحون الفائزون بالرحمة الابدية قل يا ايها الناس اى الشامل لليهود
والنصارى وغيرهم عامة انى رسول الله اليكم جميعا اى كافة بخلاف موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام فانهما
كانا مبعوثين الى بنى اسرائيل خاصة ولعله من هنا قال عليه الصلاة والسلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعى
يعنى لما كان هو وغيره كعيسى الاتباعى الذى له ملك السموات والارض اى حيث يعم ملكه العلويات والسفليات
شملت رسالته جميع الموجودات على ماينا فى بعض المصنفات لا اله الا هو فكانه لا رسول له الا هو فانه لولاه لما خلق
غيره ولما وجد من يعرف معنى هو لا من حيثية مبناه ولا من طريقة معناه يحيى ويميت بالابقاء والافناء وبالهداية
والاغواء فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى تأكيد وتثبيت او تبكيت لتوقفهم عن الايمان بمثل هذا النبى الذى يؤمن
بالله ايمان مشاهدة وعيان ومراقبة وايقان وكلماته وبجميع كلمات الله المنزلة على الانبياء مجملة ومفصلة واتبعوه
لان متابعته تورث المحبة لعلكم تهتدون لكى تهتدوا ببركة متابعته الى طريق محبته وآداب مودته (وقد قال تعالى
فبما رحمة) فلما مزيدة للمبالغة والاظهر انها مبهمة مفسرها رحمة والمعنى فبرحمة عظيمة ونعمة جسيمة كائنة
(من الله لنت لهم) اى تلطفت للخلق وتوجهت اليهم من الحق حيث وفقك للرفق وفيه اشارة خفية الى انه صلى الله
تعالى عليه وسلم كان يريد الثبات على النبوة التى هى الولاية الخاصة الموجبة ان لا يغفل صاحبها عن الحضرة لحظة
ولا لمحة مما يوجب التفرقة المانعة عن مقام الجمعية واراد الله سبحانه وتعالى له الترقى الى مقام جمع الجمع بحيث لا يحجبه
الكثرة عن الوحدة ولا تمنعه الوحدة عن الكثرة وبهذا تبين ان مقام الرسالة اعلى مرتبة من ولاية الرسول المعبر عنهما
بالنبوة خلافا لمن توهم خلاف ذلك فقال الولاية خير من الرسالة وان اول كلامه بان المراد بالولاية النبوة
لاجنس الولاية معللا بان الولاية هى اخذ الفيض اللازم منه توجه صاحبه الى الحق وان الرسالة هى الافادة بالاضافة
المستلزمة للاقبال على الخلق وانا نقول اذا استغرق فى عين الجمع بحيث انه فنى عن الجميع ولم يوجد فى عين الشهود غيره
موجود ولا فى الدار غيره ديار فانى يتصور منه الاقبال والادبار وهذا بحر لا قعر فيرجع الى ساحل بلا وعر (الآية)
وتمامها قوله ولو كنت فظا اى سيئ الخلق مع الخلق بناء على ان الاستيناس بالناس من علامة الافلاس غليظ القلب
اى شديده بالعزلة عنهم لانفضوا من حولك اى تفرقوا عن مجلسك ولم يحصل لهم حظ من اتيك فاعف عنهم ما صدر
من الغفلة عنهم واستغفر لهم فيما يختص بحق الله تعالى اتماما للشفقة عليهم وشاورهم فى الامر تلطفا بهم فاذا عزمت
بعد المشاورة او الاستخارة فتوكل على الله ولا تعتمد على ماسواه ان الله يحب المتوكلين المعتمدين على ما قدره وقضاه
بهدايتهم الى الصلاح وبصرهم بالنجاح والفلاح (قال السمرقندى ذكرهم الله تعالى) وفى نسخة ذكر الله تعالى بتشديد
الكاف (منته) اى امتنانه وفى نسخة منونين على صيغة الجمع لاشتمال هذه المنة على منن كثيرة (انه) اى سبحانه وتعالى
(جعل) ويروى ان جعل (رسوله رحيما بالمؤمنين رؤفا) اى للمتقين فان الرأفة ارق من الرحمة (لين الجانب) اى مع
الاقارب والاجانب فى جميع المراتب (ولو كان) اى بالفرض (فظا) اى سيئ الخلق فى الفعل (خشنا) اى غليظا
(فى القول لتفرقوا من حوله) اى ولم ينتفعوا بفعله وقوله (ولكن جعله) اى الله سبحانه وتعالى (سمحا) اى جوادا زيادة
على ماطلب منه فى معاملاتهم او مسامحا لهم فى فرطاتهم وزاد فى نسخة سهلا اى لينا (طلقا) بفتح فسكون اى منبسط
الوجه (برا) بفتح الباء اى بارا كثير الاحسان الى امته كالولد البار بابويه وقرابته او جامعا للخير كله فانه من البر الذى
هو وسيع الفضاء (لطيفا) اى رفيقا شريفا يراعى قويا وضعيفا (هكذا) اى مثل ماسبق لفظا ومعنى (قاله الضحاك)

وهو ابن مزاحم الهلالي الخراساني يروى عن ابي هريرة وابن عباس وابن عمر وانس رضى الله تعالى عنهم وعنه خلق ونقد احمد وابن معين وضعفه شعبة اخرج له اصحاب السنن الاربع وتوفى سنة خمس ومائة (وقال تعالى وكذلك جعلناكم) امة وسطا) اى خيارا اوعدولا اومعتدلين فى الاخلاق غير واقعين فى طرفى الافراط والتفريط من التشبيه والتعطيل والاسراف والتقتير والتهور والجبن وامثال ذلك (لتكونوا شهداء على الناس) اى بتبليغ رسالة انبيائهم اليهم (ويكون الرسول عليكم شهيدا) اى مطلعا ومشاهدا ومشرفا (قال ابوالحسن القابسى) بكسر الموحدة وسبق ذكره (ابان الله تعالى) اى اظهر ظهور ابينا (فضل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وفضل امته بهذه الآية) اى بسببها اوفيها بقوله (وفى قوله) اى سبحانه وتعالى (فى الآية الاخرى وفى هذا) متعلق بماقبله وهو اى الله سبحانه وتعالى سماكم المسلمين من قبل يعنى فى الكتب المتقدمة وفى هذا اى القرآن (ليكون الرسول شهيدا عليكم) بالتبليغ اليكم (وتكونوا شهداء على الناس) بتبليغ رسلهم اليهم (وكذلك) اى ومثل هذا المعنى يفيده (قوله فكيف) اى كيف حال الكفرة يوم الحسرة (اذا جئنا من كل امة بشهيد) اى بنبى يشهد على امته (الاية) وفى بعض النسخ بتمامها وجئنا بك على هؤلاء اى على الشهداء من الانبياء اوعلى امتك من الاصفياء والاولياء شهيدا حين يشهدون على الامم المكذبة بتبليغ الانبياء اليهم الرسالة (وقوله وسطا) اى (عدولا) وفى نسخة عدلا اى موصوفين بالعدالة والديانة (خيارا) اى مختارين من هذه الامة ان كان الخطاب للصحابة وان كان الخطاب لجميع الامة فهم خيار الامم السالفة (ومعنى هذه الاية) اى بناء على مبنى هذه العاطفة على الجملة المقدرة المعبر عنها بقوله (وكما هديناكم) اى المستفاد من قوله تعالى يهدى من يشاء الى صراط مستقيم فالمعنى كما هديناكم الى الصراط المستقيم والدين القويم المشترك بين عامة اهل التوحيد والتسليم (فكذلك خصصناكم) بتشديد الصاد ويجوز تخفيفها (وفضلناكم) اى على عامة الامم الماضية (بان جعلناكم امة) اى جماعة مجتمعة غير متفرقة بل متفقة على حقيقة واحدة (خيارا) اى مختارين بخير الرسل (عدولا) عادلين عاملين بافضل الكتب (لتشهدوا للانبياء) اى الرسل (على اممهم) اى بتبليغ الرسالة يوم القيامة (ويشهد لكم الرسول بالصدق) اى بصدق القول وحق الامانة والديانة (قيل) قد ثبت بطرق متكاثرة كادت ان تكون متواترة فكان حقه ان يقول صح ونحوه ولايعبر بقيل المشعر بضعفه اذ رواه البخارى وغيره (ان الله جل جلاله) اى عظم كبرياؤه (اذا سأل الانبياء هل بلغتم) اى اممكم فيما ارسلتكم به اليهم (فيقولون نعم فتقول اممهم ماجاءنا من بشير ولانذير فتشهد امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم للانبياء ويزكيهم النبى عليه الصلاة والسلام) ويجبر الله تعالى شهادتهم بتزكيته لهم (وقيل معنى الآية انكم) بالفتح ويجوز الكسر اى ايها الامة (حجة) اى ذو شهادة ثابتة (على كل من خالفكم) اى من الامم المكذبة (والرسول حجة) اى بينة واضحة دالة (عليكم) اى على صدقكم وصدق من وافقكم (حكاه السمرقندى) اى نقل هذا القول عن بعض المفسرين (وقال الله تعالى) اى فيما اثنى عليه وبين اكرامه لديه (وبشر الذين آمنوا) اى من امتك لامن غيرهم (ان لهم قدم صدق عند ربهم) ماقدموه من الاعمال الصالحة كما قاله الخطابى وغيره من المفسرين وقال بعضهم ماقدم لهم عند ربهم من السعادة السابقة فى اللوح المحفوظ وقد قال حسان بن ثابت

(لنا القدم الاولى اليك وخلفنا * لاولنا فى طاعة الله تابع)

(وقال قتادة والحسن) تقدم ذكرهما (وزيد بن اسلم) هو ابواسامة مولى عمر بن الخطاب توفى سنة ست وثلاثين ومائة (قدم صدق هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يشفع لهم وعن الحسن ايضا) اى فى رواية اخرى (هى) اى قدم صدق وانث الضمير لتأنيث خبره وهو قوله (مصيبتهم بنبيهم) سواء ادركوا وقت الموت اوحصل لهم جملة الفوت فانه صلى الله تعالى عليه وسلم حينئذ يكون لهم فرط حق وقدم صدق عند ربهم وقال الحجازى يروى هى فضيلتهم بنبيهم اى فيمابينهم ولايخفى عدم ملاءمته للمقام ولعله تصحيف اوتحريف ولوكان فضيلتهم بنبيهم لكان وجها وجيها فانه حينئذ لهم سبق حال صدق وتقدم مقام حق عند ربهم وهذا معنى نسخة هى محبتهم لنبيهم (وعن ابى سعيد الخدرى) نسبة الى خدرة بضم الخاء المعجمة وسكون الدال المهملة قبيلة (هى شفاعة نبيهم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم) ولعل التعبير بها عن القدم لاقدامه عليها وتقدمه على سائر اهلها (وقال سهل بن عبدالله التسترى هى سابقة رحمة اودعها فى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) يعنى وفى امته ببركة متابعته على وفق محبته ووجه الاختصاص مع ان الرحمة بكل امة لاحقة على وفق سابقة لان سبق وجوده وآثر كرمه وجوده وظهور نوره ونشر سروره مما لايلحقه احد من اخوانه كما اشار اليه بقوله كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد ثم قوله اودعها بصيغة الفاعل وهى نسخة المصنف وفى نسخة العوفى على بناء المفعول وجعله التلمسانى مضارعا وهو مستقيم باسناد الفعل اليه سبحانه وتعالى واما قوله ويتجه اذا سقط فى من الكلام ومحمد مرفوع اذ هو النائب عن الفاعل وهو سبحانه وتعالى فكلام

سـاقط الاعتبار كما لايخفى على الممير بين الاخبار (وقال محمد بن على الترمذى) هو من كبار المشايخ له تصانيف في علوم القوم ومن تآليفه نوادر الاصول فى الحديث باسانيده وهو ابو عبدالله محمد بن على بن الحسن بن بشر الزاهدى المؤذن روى عن ابيه وقتيبة بن سعيد وغيرهما واعتنى بهذا الشان ورحل فيه وروى عنه يحيى بن منصور وخلق كثير من علماء نيسابور فانه قدمها سنة خمس وثمانين ومائتين وعاش نحوا من ثمانين سنة وهو معظم جليل علما وعملا واعتقدا منه اكابر ماوراء النهر من العلماء والسادة الصوفية لاسيما الطائفة السادة النقشبندية وتكلم على اعتقاده ابو العباس ابن تيمية من اجل كتابه ختام الولاية ولعله مافهم مقصوده من الاشارات الخفية وقد سبق تحقيق الترمذى منى ومنهما ابو عيسى الحافظ الترمذى كما تقدم والله اعلم (هو) اى قدم صدق (امام الصادقين والصديقين) بكسر الهمزة اى قدوتهم ومقتداهم او بفتحها اى مقدمهم خلقة ورتبة وقدامهم فى مقام الشفاعة كما اشار اليه بقوله (الشفيع المطاع) اى المقبول الشفاعة ولعله عدل عن الشفيع المشفع للايماء الى قوله سبحانه وتعالى ما للظالمين من حميم ولاشفيع يطاع يعنى بخلاف المؤمنين فانه لهم شفيع مطاع مع ان النفى فى الآية منصب على القيد والمقيد جميعا (والسائل المجاب) اى المستجاب فى سؤاله الاعم من الشفاعة وبقية احواله (محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حكاه عنه السلمى)

(الفصل الثالث)

(فيما ورد من خطابه اياه مورد الملاطفة والمبرة) اى فى عنايته المنزل فى كتابه والمورد بفتح الميم وكسر الراء محل ورود الكلام ومقصد المرام والمبرة بفتحتين وتشديد الراء بمعنى البر وهو الاتساع فى الاحسان على ما فى القاموس (من ذلك) اى من هذا القبيل (قوله تعالى عفا الله عنك) مقدمة على وجه الملاطفة (لم اذنت لهم) اى للمنافقين حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين (قال ابو محمد المكى) من الكلام عليه وفى نسخة مكى (قيل هذا) اى قوله عفا الله عنك (افتتاح كلام) اى ابتداء كلام الله سبحانه له فى كتابه عند خطابه (بمنزلة اصلحك الله) وماسمعت فى حاجتى (واعزك الله) هلا شرفتنى بزيارتك لى ونحو ذلك فيما يخاطب به الملوك والعظماء بتقديم الدعاء والثناء على ابناء الانباء ونظيره ماورد فى الحديث لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترطت ان يخرجونى والحاصل ان العادة جارية فى مقام التبجيل والاكرام لمخاطبة الكرام بنحو هذا الكلام وان لم يكن هناك شئ من الآثام التنبيه لايقتضى المشابهة من جميع الوجوه فلا يرد ان مثل هذا الكلام انما يكون بين المتساويين فى الاقدام او من الادنى فى مخاطبة الاعلى لابالعكس كما لايخفى (وقال عون ابن عبدالله) اى ابن عتبة بن مسعود الهذلى الكوفى الزاهد الفقيه اخو عبيدالله الذى هو احد الفقهاء السبعة بمدينة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم روى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه وابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقيل روايته عن الصحابة مرسلة لكن له حديث عن ابن عمر فى مسلم ولم يتحقق وعنه الزهرى وابو حنيفة وقد اخرج له مسلم والاربعة توفى فى حدود عشرين ومائة (اخبره الله بالعفو قبل ان يخبره بالذنب) تسلية له فى هذا الباب وملاطفة معه فى مقام العتاب وقوله يخبره من باب الافعال او التفعيل وهما بمعنى واحد واما قول الحلبى وكانه اراد التوبيخ فى الكلام ليس له تبعية فى المرام لان التشديد فى هذا المقام ليس للتوبيخ المفرع على التكثير بل للتعدية كما صرح به صاحب القاموس والجوهرى فى التقرير (وحكى السمرقندى) اى ابو الليث (عن بعضهم ان معناه عافاك الله تعالى باسليم القلب) عن غير ذكر الرب كما فسر به قوله تعالى الامن اتى الله بقلب سليم (لم اذنت لهم قال) اى السمرقندى او بعضهم المنقول عنه ماتقدم (ولو بدأ) بالهمزة اى ابتدأ الله (للنبى) اى له صلى الله تعالى عليه وسلم وفى نسخة ولو بدأه (بقوله لم اذنت لهم لخيف عليه ان ينشق قلبه) اى ينصدع وينقطع (من هيبة هذا الكلام) اى المشعر بانه وقع فى الآثام (لكن الله تعالى برحمته اخبره بالعفو) اى مبتدأ بالمسامحة عن اجازته (حتى سكن قلبه) اى وسلم من الدهش له وفى نسخة يسكن قلبه وفى بعض النسخ بتشديد الكاف فقلبه منصوب (ثم قال له لم اذنت لهم بالتخلف) اى عن غزوة تبوك (حتى يتبين لك الصادق فى عذره من الكاذب) اى فى عذره لما حكى عن مجاهد ان بعضهم قالوا فى غزوة تبوك نستأذنه فى الاقامة ان اذن لنا اقمنا وان لم يأذن لنا اقمنا واعتذرنا له بعد ذلك بعذر نختلقه منا (وفى هذا) اى الخطاب فى مقام العتاب وفى نسخة وهذا (من عظيم منزلته عند الله تعالى مالايخفى على ذى لب) اى صاحب عقل سليم من وهم سقيم (ومن اكرامه اياه وبره) اى انعامه له (مايقطع دون معرفة غايته نياط القلب) بكسر النون عرق من الوتين ينوط القلب به من جانب الصلب اذا قطع مات صاحبه وقال بعض المفسرين هو الوريد وروى فى غيرها شغاف مناط القلب (قال نفطويه) بكسر نون وسكون فاء وفتح طاء مهملة وواو فسكون تحتية فهاء

مكسورة وفى نسخة بضم الطاء وسكون الواو وفتح الياء والتاء المنقلبة عنها الهاء وقفا على وفق القياس وقيل بسكون الهاء وصلا ايضا ويؤيده ماذكره ابن الصلاح ان اهل العربية يقولون فيه وفى نظائره بواو مفتوحة مفتوح ماقبلها ساكن مابعدها ومن ينحو بها نحو الفارسية يقولها بواو ساكنة مضموم ماقبلها مفتوح مابعدها وآخرها هاء على كل قول والتاء خطأ وسمعت الحافظ ابا محمد عبدالقادر بن عبد الله يقول سمعت الحافظ ابا العلاء يقول اهل الحديث لايحبون ويه اى يقولون نفطويه مثلا بواو ساكنة تفاديا من ان يقع فى آخر الكلام ويه انتهى وهو ابو عبدالله محمد بن ابراهيم بن محمد بن عرفة الازدى النحوى الواسطى ظاهرى المذهب له التصانيف الحسان فى الآداب توفى سنة ثلاث وثلثمائة ببغداد ودفن بباب الكوفة (ذهب ناس) اى من المفسرين (الى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم معاتب بهذه الآية) بصيغة المفعول (وحاشاه من ذلك) اى منزه عن ان يعاتب اوينسب اليه ذنب (بل كان مخيرا) ضبط بضم الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الموحدة فى حاشية الحلبى وهو تصحيف وتحريف والصواب انه بتشديد التحتية المفتوحة اى مختارا بين الاذن وعدمه اذلم يتقدم له فى ذلك نهى من الله سبحانه كما ذكره الزمخشرى واقول بل التخيير مصرح به فى قوله تعالى فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم (فلما اذن لهم) اى فى هذه القضية وفى نسخة فلما ان اذن (اعلمه الله) بما اضمروه مماهو من دأبهم (انه لو) وفى نسخة ان (لم يأذن لهم لقعد والنفاقهم) اى وظهر خلافهم وتحقق شقاقهم (وانه لاحرج) اى لااثم (عليه فى الاذن لهم) زاد القشيرى بعد ذكره هذا المعنى فى تبيين المبنى ان عفا ههنا ليس بمعنى غفر بل كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق وهى لم تجب عليهم قط فكذلك قوله تعالى عفا الله عنك اى لم يلزمك ذنب اوانما يقول العفو لايكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب انتهى ولعل الاولى ان يقال وقع العتاب ولايلزم من العتاب تحقق العقاب المحتاج الى العفو وانما هو بيان ان عدم اذنهم كان اصلح بخصوص شانهم لفضاحة حالهم وخزية مآلهم خلاف مااختاره صلى الله تعالى عليه وسلم من الاخذ رضاهم بدناءة افعالهم استبقاء لهم على احوالهم واعتمادا على الله فى ادبارهم واقبالهم (قال الفقيه القاضى ابو الفضل) اى المصنف (يجب على المسلم) اى الكامل (المجاهد نفسه) اى فى مرضاة ربه (الرائض بزمام الشريعة خلقه) بضمتين ويسكن الثانى وهو منصوب والمراد به تدريبه وتمرينه بما شرعه الله الينا من انواع تهذيبه والرائض بهمزة مكسورة اسم فاعل من رضت المهر اروضه رياضة ذللته وجعلته طوع ارادتك والزمام بالكسر بمعنى اللجام وهو مستعار للاحكام (ان يتأدب بآداب القرآن) اى من المستحسنات كما قال الله تعالى واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم وفى نسخة بادب القرآن فهو مصدر بمعنى المفعول اى بما يتأدب به منه (فى قوله وفعله) اى مع الحق فيتسم بالعدل والصدق فى معاملاته (ومعاطاته) اى عطائه واخذه ومناولاته (ومحاوراته) بالحاء المهملة اى مخاطباته ومجاوباته ومراجعاته ومعارضاته مع الخلق فان الصالح من قام بحقوق الله وحقوق العباد وكلها مستفاد من القرآن على احسن البيان ولذا لما قيل لعايشة رضى الله تعالى عنها عن خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم قالت كان خلقه القرآن تعنى كان يمتثل لمأموراته ويجتنب عن منهياته وفيه ايماء الى انه لايكون كمن قال لاخيه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا مفتخرا بذلك متفررا به كافر النعمة ربه معرضا نفسه لسخطه مستوليا عليه حرصه متماديا فى غفلته تاركا نظره فى عاقبته ولعمرى ان اكثر الاغنياء الاغبياء وان لم يلهجوا بنحوه فالسنة احوالهم ناطقة مع شهود افعالهم (فهو) اى القرآن (عنصر المعارف الحقيقية) اى اساسها ومنبعها من الامور العلمية والاحوال العملية بضم العين والصاد ويفتح الاصل (وروضة الآداب الدينية والدنيوية) اى المحتاج اليها فى امور الدين والدنيا مماله تعلق بامر العقبى وطريق المولى لقوله تعالى ولارطب ولايابس الا فى كتاب مبين مافرطنا فى الكتاب من شئ او لم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم والعجب كل العجب من المؤمن بالكتاب والسنة المبينة للخطاب ان يعدل عن تعلمهما والعمل بهما مع ان بعضهما فرض عين خاصة ومنهما فرض كفاية عامة وهو يقدم عليهما اكتساب العلوم المذمومة او المباحة من المنطق والكلام والهيئة والحساب والفلسفة ودقائق العربية وغيرهما مما كان السلف لم يتداولوها ولم يتناولوها بل طعنوا فيها وفى من اقبل عليها (وليتأمل) اى وليتدبر المسلم المذكور (هذه الملاطفة العجيبة) اى والمخاطبة الغريبة الكائنة (فى السؤال) اى فى سؤاله سبحانه وتعالى بصورة الاستفهام عنه عليه الصلاة والسلام (من رب الارباب) اى المنزه عن المناسبة بينه وبين ما خلق من التراب (المنعم على الكل) اى عموما وخصوصا (المستغنى عن الجميع) اى جميع العباد من السعداء والاشقياء اوعن عبادة جميعهم هذا وقال الجوهرى كل وبعض معرفتان ولم يجيئا عن العرب بالالف واللام وهو جائز لان فيهما معنى الاضافة اضيفت اولم تضف انتهى وقال ابن فارس كل اسم موضوع للاحاطة يكون مضافا ابدا الى مابعده

وقد صرح الزجاج بقوله بدل البعض من الكل كما حكاه عنه ابو حيان (ويستثير) بفتح التحتية وسكون المهملة وفتح الفوقية وكسر المثلثة من ثار الشيء اذا ارتفع وانتشر واستثاره طلب ظهوره ويروى ويثير وجعله الحجازي اصلا كما في نسخة والظاهر ان يكون مجزوما عطفا على يتأمل كما جزم به الدلجي ويجوز رفعه كما في نسخة اي يظهر وينشر ويبحث ويستخرج (ما فيها) اي في هذه اللطائف العجيبة (من الفوائد) اي المنافع الغريبة (وكيف) اي ومن جملتها ان يعلم انه سبحانه وتعالى كيف (ابتدأ) اي في الخطاب (بالاكرام) اي بتعظيمه بقوله عفا الله عنك مصدرا في الكتاب (قبل العتب) بفتح وسكون اي قبل بيان العتاب (وآنس) بالمد وفي نسخة بالفتح والشد واصل الايناس عند الاتعاب ولمعي كيف اذهب وحشة الانس واظهر لذة الانس من حضرة القدس (بالعفو) اي بذكره (قبل ذكر الذنب) من اضافة المصدر الى مفعوله وفي نسخة قبل ذكره الذنب وجعله الحجازي اصلا والاخرى رواية والمراد الذنب باعتبار الصورة الظاهرة المأخوذة من المعاتبة المبرهنة بخلاف الاولى لما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين من حيث انه في تلك الحالة عن مشاهدة المولى ولذا استدركه المصنف بقوله (ان كان) اي بالفرض والتقدير (ثم) بفتح فتشديد اي هناك (ذنب) والمعنى انه لا ذنب هنالك حقيقة وانما وقع في صورة المعتبة (وقال تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا) المعنى ولولا تثبيتنا اياك لقد قاربت ان تميل اليهم شيئا يسيرا من ادنى الميل اذ ذاك لكن امتنع قرب ميلك وهو الك لوجود تثبيتنا اياك ونظيره لولاك لما خلقت الافلاك وهذا لان لولا لحرف امتناع الشيء لوجود غيره وان مع الفعل في تأويل المصدر والجملة في محل الرفع على الابتداء والخبر محذوف لعلم السامع به واللام جواب لو كقولهم لولا زيد اي موجود لهلك عمرو والمحققون يقدرون مضافا قبل المبتدأ ليستغني به عن تقدير الخبر مع قيام لو مقامه واختلفوا في سبب نزول الآية فقيل وهو المحكي عن مجاهد وابن جبير ان قريشا قالوا لا ندعك تستلم الحجر الاسود حتى تمس اوثاننا فخطر في باله انه يفعل ليتمكن من استلام الحجر في مآله وقيل في استدعاء الاغنياء طرد الفقراء وقيل غير ذلك وقد روي انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزلت هذه الآية قال اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين (قال بعض المتكلمين) اي من جملة المفسرين (عاتب الله الانبياء) اي كآدم ونوح وداود عليهم الصلوة والسلام (بعد الزلات) اي العثرات الصورية والخطرات البشرية الضرورية فان الزلة ما صدر من سالك الطريقة من غير قصد المخالفة (وعاتب نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم قبل وقوعه) اي قبل وقوع الزلل وحصول الخلل (ليكون) اي النبي عليه الصلاة والسلام (بذلك) اي بسبب ذلك العتاب على وجه الاهتمام (اشد انتهاء) اي عن المخالفة (ومحافظة لشرائط المحبة) اي واكثر مراعاة لشرائط المودة من الموافقة والمتابعة في الطاعة (وهذه) اي الحالة (غاية العناية) اي ونهاية الرعاية في الحماية فان المعاتبة انما تكون على حسب المكانة ألا ترى ان الله تعالى آخذ الانبياء عليهم الصلاة والسلام بمثاقيل الذر لقربهم عنده وحضورهم وتجاوز عن العامة امثال الجبال لمكان بعدهم وغيبتهم فان الزلة على بساط الآداب ليست كالذنب على الباب كما لا يخفى على اولي الالباب (ثم انظر) اي ايها الناظر بعين الاعتبار وتفكر فيما يشار اليه من علو المقدار لاحمد المختار صلى الله تعالى عليه وسلم (كيف بدأ) اي الله (بتثبيته) اي على الموافقة (وسلامته) اي من المخالفة (قبل ذكر ما عتبه عليه) وفي نسخة عاتبه عليه (وخيف ان يركن اليه ففي اثناء عتبه براءته وفي طي تخويفه) اي في ضمن اخافته (تأمينه) اي جعله مأمونا من المخالفة (وكرامته) اي بإثباته على الموافقة (ومثله) اي في هذا المعنى (قوله تعالى قد نعلم انه) اي الشأن (ليحزنك الذي يقولون) قرأ نافع من احزنه يحزنه والباقون من حزنه يحزنه بفتح الزاي في الماضي وضمها في المضارع وكلاهما متعديان بمعنى واحد واما حزن يحزن من باب علم فهو لازم فاعلم والزم والمعنى بالتحقيق او في بعض اوقاتك من التصديق نعلم ان الشأن ليوقعك في الحزن ما يقولون في شأننا او في حق القرآن او في حقك كقوله تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون (فانهم لا يكذبونك) بالتشديد للجمهور وبالتخفيف لنافع والكسائي والمعنى لا ينسبونك الى الكذب ولا يتهمونك به ولا ينكرون امانتك وديانتك او لا يكذبونك في الحقيقة (الآية) اي ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون بمعنى ينكرونها او ينكرون عليك بسبب اتيان آياتنا فقط وفي هذا نوع تسلية له صلى الله تعالى عليه وسلم وتهديد لهم ولكن لم يظهر لايرادها وجه مناسبة ولا جهة ملايمة لما نحن فيه من مرتبة المعاتبة وقضية الملامة (قال علي كرم الله وجهه) كما رواه الترمذي وصححه الحاكم (قال ابو جهل للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم انا لا نكذبك) اي في الصدق والامانة (ولكن نكذب بما جئت به) اي من القرآن الدال على التوحيد والديانة (فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك الآية) وفي نسخة فنزلت وانما هو شهادة من الله تعالى له بالصدق والديانة وبيان ان هذا مما اتفق عليه الامة عامة (وروي انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما كذبه) وفي نسخة اكذبه

(قومه حزن) بكسر الزاى اى اغتم (فجاء جبريل عليه الصلاة والسلام فقال مايحزنك) بالوجهين السابقين (فقال كذبني قومى فقال انهم يعلمون انك صادق) لكن جئت بشئ ليس لغرضهم موافقا (فانزل الله تعالى الآية) اى المتقدمة قال الدلجى وحديث جبريل هذا اورده بصيغة روى ولم اعرف من رواه ففى هذه الاية منزع) بفتح ميم فسكون نون وفتح زاى اى مأخذ ومشرع (لطيف المأخذ من تسليته تعالى له عليه الصلاة والسلام) اى باذهاب حزنه وجلب انسه (والطافه به) بكسر الهمزة اى اكرامه (فى القول) اى فى قوله (بان قرر عنده) اى بما اطمأنت به نفسه (انه صادق عندهم وانهم غيرمكذبين له) اى فى الحقيقة بل مكذبين لنا اوغيرمكذبين فى الباطن (لانهم معترفون بصدقه قولا واعتقادا وقد كانوا) اى عامة المشركين (يسمونه) سماه واسماه بمعنى والمراد هنا يصفونه ويعدونه (قبل النبوة الامين) اى من الامانة فى القول والفعل والعهد والوعد ضد الخيانة (فدفع) اى الله سبحانه وتعالى (بهذا التقرير) اى المذكور فى الآية بالتحرير وهو فى اصل المصنف بالرائين وجعل التلمسانى اصله بالدال بعد القاف بمعنى الفرض والتصوير قال وبالراء بمعنى تبيينه وتمهيده وكل منهما قريب من الآخر فتدبر (ارتماض نفسه) اى اقلاقها واحراقها (بسمة الكذب) بكسر السين اى بوسمته وعلامته من الوسم واصلها فى المكى الامارة والكذب بفتح فكسر هو الافصح ويجوز بكسر فسكون وهو انسب اذا قوبل بالصدق للمشاكلة اللفظية كما قال به بعض ارباب العربية فى الابواب الادبية (ثم جعل) اى الله سبحانه وتعالى (الذم لهم بتسميتهم) اى بتسميته اياهم (جاحدين) اى منكرين عنادا (ظالمين) اى بوضع التكذيب موضع التصديق (فقال الله تعالى ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون فحاشاه) اى نزهه سبحانه وتعالى (من الوصم) اى العيب وهو بسكون الصاد وضبط فى حاشية بكسر الصاد وهو وهم لانه حينئذ وصف لامصدر ولا وجه له هنا (وطوقهم) اى الزم اطواقهم فى اعناقهم (بالمعاندة) اى بسبب المناظرة على وجه العناد (بتكذيب الآيات) متعلق بالمعاندة (حقيقة المعاندة) منصوب على المفعول الثانى لطوق وفى بعض النسخ حقيقة للظلم اى تحقيقا للظلم (اذ الجحد انما يكون ممن علم الشئ ثم انكره كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا) اى تعديا وتكبرا ونصبهما على العلة للجحد والجملة بينهما معترضة بالحالية لايقال ان الجحد بمعنى الانكار فى الماضى مطلقا كما هو مقرر فى علم التصريف فوجود العلم يؤخذ من جملة واستيقنتها لانا نقول الجحد فى اللغة هو الانكار مع العلم كما صرح به صاحب القاموس ففى الآية تجريد اوتأكيد ثم حاصل كلام المصنف رحمه الله تعالى ان الجمع بين الامرين وهو نفى تكذيبهم واثبات جحدهم انهم كانوا غيرمكذبين له بقلوبهم فانهم يعلمون صدقه فى كل قضية ولكنهم جحدوا بناء على عنادهم كما تدل عليه الآية الثانية وهذا تأويل حسن ومسلك مستحسن ويصححه ماروى ان الاخنس بن شريق لقى اباجهل يوم بدر فقال له ياباالحكم اخبرنى عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس ههنا غيرى وغيرك فقال له والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهب بنو قصى باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش وقيل وجه ثان فى الجمع بينهما وهو ان يكون معنى الآية ان الله عزوجل قال لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم انهم لما اصروا على تكذيبك مع ظهور المعجزات الخارقة على وفق دعواك لم يكذبوك وانما كذبونى انا وهذا كما يقول القائل لرجل اهان عبدا له انك لم تهن عبدى وانما اهنتنى وهنا وجه ثالث وهو ان الظالمين ما خصوك بالتكذيب بل عم تكذيبهم لسائر المرسلين ويلائمه ماذكره المصنف بقوله (ثم عزاه) بتشديد الزاى اى سلاه وصبره (وآنسه) بالضبطين اى سكنه وازال وحشته (بماذكره عمن قبله) اى من الانبياء (ووعده النصر) اى على الاعداء (بقوله ولقد كذبت رسل من قبلك الآية) يعنى فصبروا على ماكذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا ولامبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين (فمن قرأ لايكذبونك بالتخفيف) وهو نافع والكسائى (فمعناه لايجدونك كاذبا) فهو من باب اجلته وجدته بخيلا (وقال الفراء) بتشديد الراء وهو الامام النحوى اللغوى الكوفى مات سنة سبع ومائتين فى طريق مكة ولم يكن يعمل الفرو ولايبيعها وانما قيل له ذلك لانه يفرى الكلام اى يصنعه ويأتى بالعجب منه (والكسائى) بكسر الكاف لانه كان ملتفا بكساء عند قراءته على حمزة وقيل لانه احرم بكساء وهذا القول جزم به ابو عمرو الدانى فى التيسير ونظمه الشاطبى فى كتابه وهو احد القراء السبعة والامام فى النحو واللغة من اهل الكوفة روى عن ابى بكر بن عياش وحمزة الزيات وابن عيينة وغيرهم وعنه الفراء وابو عبيد القاسم بن سلام وغيرهما توفى سنة تسع وثمانين ومائة بالرى وقيل بطوس والحاصل انهما قالا فى معنى لايكذبونك بالتخفيف (لايقولون انك كاذب) فيكون معناه النسبة كالاكفار والتكفير وهو انسب للجمع فى المعنى بين القراءتين (وقيل لايحتجون اى لايستدلون على كذبك ولايثبتونه) اى شبهة فضلا عن حجة وهو راجع الى قولهما فى المعنى واختلاف فى المبنى (ومن قرأ بالتشديد) وهم الباقون (فمعناه لاينسبونك

الى الكذب وقيل لايقصدون كذبك) وهو خلاصة المثبتين وزبدة الراسخين (ومما ذكر من خصائصه) اى السابقة على زيادة قدره (وبر الله تعالى به) اى اكرامه له من بين اصفيائه (ان الله تعالى خاطب جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام) اى المذكورين فى القرآن (باسمائهم) اى باعلامهم دون اوصافهم الدالة على اعظامهم (فقال يا آدم) انبئهم باسمائهم (يا نوح) اهبط بسلام (يا ابراهيم) قد صدقت الرؤيا (يا موسى) انى انا الله (يا داود) انا جعلناك خليفة (يا عيسى) انى متوفيك (يا زكريا) انا نبشرك (يا يحيى) خذ الكتاب بقوة وامثال ذلك (ولم يخاطب) بصيغ الطاء وروى ولم يخاطبه كما ذكره الحجازى لكن لايلايمه قوله (هو) ولعله غير موجود فى تلك الرواية (الا يا ايها النبى يا ايها الرسول يا ايها المزمل يا ايها المدثر) يعنى فهذا كله دال على رفعة منزلته عنده فان السيد اذا دعا احد عبيده باوصافه المرضية واخلاقه العلية ودعا غيره باسمه العلم الذى لايشعر بوصف من الاوصاف الجلية دل على ان عزته عنده اكثر من غيره كما فى عرف المخاطبة وآداب المحاورة ومعنى المزمل واصله المتزمل المغطى بالثوب وكذا المدثر لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لخديجة رضى الله تعالى عنها حين رجع من غار حراء بعد ماحاوره الملك ما حاوره زملونى زملونى وفى رواية اخرى دثرونى دثرونى على ماورد فى الصحيح والحاصل ان وصفه بالمزمل والمدثر فى هذا المقام للملاطفة والتأنيس ادمن عادة العرب اذا قصدت الملاطفة ان تسمى المخاطب باسم تشتقه من الحالة التى هو فيها كقوله عليه الصلاة والسلام لحذيفة قم يا نومان ولعلى بن ابى طالب وقد نام فى التراب قم يا اباتراب هذا بحسب دلالة الخطاب ومن ذلك انه تعالى منع الخلق صريحا ايضا فى الكتاب اى لسد هذا الباب حيث قال لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وقد قال كثير من العلماء اى لاتقولوا يا محمد يا احمد ونحوهما ولكن قولوا يا رسول الله يا نبى الله وان منادانه عليه الصلاة والسلام باسمائه الاعلام من نوع الحرام فى الاحكام .

(الفصل الرابع)

(فى قسمه تعالى بعظيم قدره) القسم بفتحتين الحلف (قال الله تعالى لعمرك) اى قسمى يا محمد لعمرك (انهم لفى سكرتهم) اى غمرتهم وغفلتهم (يعمهون) اى يتحيرون ويترددون والضمير لقوم لوط وقيل راجع الى قريش وهو بعيد لانه غير ملايم للسابق واللاحق على ماذكروه والاظهر ان الجملة قسمية معترضة فيما بين القصة فلا يبعد ان يكون الضمير راجعا الى كفار قومه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الملايم لخطابه وحكاية غفلتهم عن جنابه ثم رأيت الطبرى جزم بان ضميريعمهون لقريش والجملة اعتراض بين الاخبار بقبايح قوم لوط وبين الاخبار بهلاكهم تنبيها على ان من كان هذا دأبه فجدير ان لاينفعه تأديب ولايؤثر فيه تأنيب وتنفيرا للسامع عن هذه القبايح المورثة للفضايح (اتفق اهل التفسير فى هذا) اى فى قوله لعمرك (انه قسم من الله بمدة حياة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وقيل المراد به لوط كما ذكره البيضاوى والمراد باهل التفسير اكثرهم وجمهورهم مع ان البغوى ايضا اقتصر على الاول ثم اذا كان المراد به لوطا فالقول الثانى للاول لماناقى مارواه البيهقى وابن ابى شيبة وابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما ماحلف الله تعالى بحياة احد الابحياة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قال لعمرك بل اخرجه ابن مردويه عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعا قال ماحلف الله بحياة احد الابحياة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قال لعمرك (واصله) اى اصل الاستعمال لعمرك (بضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال) والاظهر ان يقال العمر بضمتين وهو الافصح الوارد فى القرآن والضم والفتح ايضا على ما فى القاموس الا انه لايستعمل فى القسم الا بالفتح لخفة لفظه وكثرة دورانه كما فى البيضاوى وغيره (ومعناه) اى كما رواه ابو الجوزاء عن ابن عباس (وبقائك) اى ومدة بقائك فى الدنيا (يا محمد) كقوله تعالى والعصر اى عصر نبوته فى قول اوبقائك بقاء بعد فنائك فينا (وقيل) اى كما رواه ابن ابى طلحة عن ابن عباس ايضا وعزى الى الاخفش (وعيشك) اى وطيب معيشتك فى الكونين لقوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة اى فى الدنيا بالزهد فيها والتقليل منها والصبر على مرها والشكر على حلوها (وقيل وحياتك) اى باسمائها لحى والتخصيص للتشريف والكل بمعنى واحد وانما ذكرها لاختلاف الفاظها (وهذه) اى المعانى كلها (نهاية التعظيم وغاية البر) اى التكريم (والتشريف قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) اى فيما رواه البيهقى فى دلائله وابو نعيم وابو يعلى (ما خلق الله) اى ماقدر (وماذرأ) اى خلق وكأنه مختص بالذرية وفى الحديث لهم ذرء النار اى انهم خلقوا لها (وما برأ) اى خلق الخلق من البرء وهو التراب اومختص بذات الروح ولذا يقال يا بارئ النسمة اومعناه خلق خلقا بريئا من التفاوت اواريد بالثلاثة معنى واحد وكرره للتأكيد كما فى الحديث اعوذ بالله الذى يمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه من شر ماخلق وذرأ وبرأ والمراد ماوجد من العدم (نفسا) اى شخصا نفيسا (اكرم عليه) اى انفس عنده وافضل لديه (من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) ثم كان كالدليل عليه (وماسمعت الله عز وجل) اى ماعلمته (اقسم بحياة احد

غيره وقال ابو الجوزاء) بجيم وزاى مفتوحتين بينهما واو ساكنة فالف بعده همزة اوس بن عبدالله الربعي البصري يروى عن عائشة وغيرها وعنه قتادة وعدة اخرج له الجماعة الستة واما ابو الحوراء بالحاء المهملة والراء فراوى حديث القنوت (ما اقسم الله عزوجل بحياة احد غير محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لانه اكرم البرية عنده) والبرية بالهمز والتشديد بمعنى الخليقة ومنه قوله تعالى اولئك هم خير البرية وهى فعيلة بمعنى مفعولة وانث لانها خرجت عن الصفة واستعملت استعمال الاسماء المحضة واما ما جزم به الحجازى من انها غير مهموزة فغفلة عن القراءة لان نافعا وابن ذكوان قرآ فى الاية بالهمزة (وقال تعالى يس والقرآن الحكيم) عطف على يس ان جعل مقسما به والافواوه للقسم واسند اليه الحكمة لانه صاحبها اوناطق بها (الاية) اى انك لمن المرسلين على صراط مستقيم (اختلف المفسرون فى معنى يس على اقوال) اى صدرت من بعض المتأخرين اقوال فالجمهور من السلف وجمع من الخلف على ان الحروف المقطعة فى اوائل السور مما استأثر الله تعالى به علما ويقولون الله اعلم بمراده بذلك (فحكى ابو محمد مكى) وقد مر ذكره (انه روى) اى فى دلائل ابى نعيم وتفسير ابن ابى مردويه من طريق ابى يحيى التيمى قيل وهو وضاع عن سيف بن وهب وهو ضعيف عن ابى الطفيل (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لى عند ربى عشرة اسماء) وهو لا ينافى الزيادة لانها قاربت الخمسمائة (وذكر) اى ابو محمد مكى ويحتمل ان يكون مرفوعا لكن عبارته تأبى عنه وهى (ان منها طه ويس اسمان له) ومع هذا ليس الحديث المذكور بصحيح وقد ضعفه القاضى ابو بكر بن العربى على ما ذكره الحجازى ثم قال واما هذا القول وهو انه اسم للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ذهب اليه سعيد بن جبير وقد جاء فى الشعر ما يعضده وذلك قول السيد الحميرى

(يا نفس لا تمحضى بالنصح جاهدة ۔ على المودة الا آل ياسينا)

يريد الا آل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ويكون حرف النداء على هذا محذوفا من الاية وكان الاصل ان يكتب ياسين على اصل هجائها ولكن اتبعت فى كتبها على ما هى عليه المصاحف الاصلية والعثمانية لما فيها من الحكمة البديعية وذلك انهم رسموها مطلقة دون هجاء لتبقى تحت حجاب الاخفاء ولا يقطع عليها بمعنى من المعانى المحتملة ومما يؤيد هذا المعنى قوله تعالى سلام على آل ياسين بمد الهمزة على قراءة نافع وابن عامر فقد قال بعض المفسرين معناه آل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قيل اصل طه معناه طأ من الوطئ فابدل الهمزة هاء واجرى الوصل مجرى الوقف وقيل معناه يارجل بالحبشية اوالعبرانية اوالقبطية اواليمانية (وحكى ابو عبدالرحمن السلمى عن جعفر الصادق انه اراد) بقوله يس (ياسيد) اى بطريق الرمز (مخاطبة لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ملاطفة ومطايبة ومخافتة وهذا مختصر ما نقله السلمى عنه بقوله قال الصادق فى قوله يس ياسيد مخاطبا لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولم يمدح بذلك نفسه ولكنه اخبر عن مخاطبة الحق اياه بقوله يس وهذا شبيه بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم حيث قرأ على المنبر ونادوا يامال فلما اخبر الله تعالى عنه بالسيادة وامره بتصريحه صرح بذلك فقال ان الله تعالى دعانى سيدا وانا سيد ولد آدم ولا فخر اى ولا فخر لى بالسيادة لان افتخارى بالعبودية اجل من اخبارى عن نفسى بالسيادة انتهى والحاصل ان الياء منها للنداء والسين اشارة الى لفظ سيد اكتفاء بفاء الكلمة لدلالتها على باقيها وهذا مذهب العرب يستعملونه فى كلامهم واشعارهم وقد حكى سيبويه ان الرجل منهم يقول للآخر الاتا اى الا تفعل فيقول الآخر بلى سا اى بلى سافعل ويكتفون بذلك عن ذكر الكلمتين بكمالهما وقد ورد فى الحديث كفى بالسيف شا واستغنى بذلك عن ان يقول شاهدا (وعن ابن عباس) اى على ما رواه ابن ابى حاتم (يس) اى معناه (يا انسان) ولما كان الانسان اسما لعموم افراد الانس قال (اراد محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لانه الفرد الاكمل والمقصود من الخلق الاول (وقال) اى ابن عباس كما رواه ابن جرير (هو) اى يس (قسم) اى اقسم به سبحانه وتعالى بحذف حرف القسم فالواو فى قوله والقرآن الحكيم عاطفة اومعادة (وهو) اى يس اسم على ما رواه ابن ابى طلحة عنه (ايضا من اسماء الله تعالى) اى تصريحا اوتلويحا وهو لا ينافى ان يكون من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم لان الاسماء بمعنى الاوصاف لا بمعنى الاعلام وقد اطلق بعض صفات الله تعالى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كالرؤف والرحيم وامثالهما مع الفرق بين اوصافه سبحانه وتعالى ووصفه صلى الله تعالى عليه وسلم وغيره (وقال الزجاج) هو ابو اسحق ابراهيم النحوى نسبة الى الزجاج لصنعته مات سنة عشر وثلاثمائة ببغداد (قيل معناه يا محمد) اى بطريق الايماء كما سبق فى ياسيد وغيره (وقيل يارجل) اى بالحبشية كما روى عن الحسن وسعيد بن جبير ومقاتل انها لغة حبشية يعنى انهم يسمون الانسان سين (وقيل يا انسان) اى بلغة طى كما رواه الكشاف وعن ابن عباس على ان اصله يا انيسين بالتصغير فاقتصر على شطره لكثرة النداء به (وعن

ابن الحنفية) كما رواه البيهقي في دلائله وهو محمد بن علي بن ابي طالب نسبة الى امه وهي خولة بنت جعفر بن قيس ابن مسلم من بني حنيفة واشتهر بها وهو من كبار التابعين دخل على عمر بن الخطاب وسمع عثمن بن عفان وغيره واخرج له الجماعة مات سنة ثمانين وولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر (يس يا محمد) اي يا محمد انا او بلغات السابقة (وعن كعب) اي كعب الاحبار (يس قسم اقسم الله تعالى عز وجل به قبل ان يخلق السماء والارض بالفي عام) لتظاهر ان المراد به الكلمة المدرجة عن التمديد لا التمديد وان المقصود به هو اله سبحانه وتعالى اقسم برسوله الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم في كلامه القديم (يا محمد انك لمن المرسلين) فكانه اراد ان التقدير اقسم لك يا محمد انك لمن المرسلين (ثم قال تعالى) اي اظهارا بعد ذكره اضمارا وتاكيدا بعد اقسامه تأييدا (والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين) على انه لا بدع انه سبحانه اقسم به صلى الله تعالى عليه وسلم قبل خلق الكائنات بالفي عام عند ابداع روحه الشريف وابداء نوره اللطيف صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال في كتابه القديم مطابقا لما اقسم برسوله العظيم صلى الله تعالى عليه وسلم وبهذا يندفع ماذكره الحجازي من ان هذا القول عندي في غاية الاشكال لان القرآن كلام الله وكلامه صفة من صفاته القديمة فلا يصح ان يذكر في تقدمه عن خلق الارض مقدارا معينا لان خلقها محدث فالاولى ان تضعف الروايات الواردة عن كعب بهذا ما امكن فان صح ذلك عنده فليترك علمه الى الله سبحانه وتعالى اذ لا يقول كعب هذا الا بتوقيف وليس ذلك مما يدرك بالاجتهاد والرأي انتهى وفيه ان كعبا ممن ينقل عن الكتب السالفة والعلماء الماضية فلا يقال في حقه انه لا يقول الا بتوقيف فان هذا الحكم مختص بالاقوال الموقوفة المروية عن الصحابة رضي الله تعالى عنهم ممن ليس لهم رواية عن غيره صلى الله تعالى عليه وسلم فوقوفهم حينئذ حكم مرفوعهم كما هو مقرر في علم اصول الحديث حتى لم يعدوا عروض العاص ممن لا يقول الا بالتوقيف ما فرق بين القول الصحيح والضعيف وقد يجاب بان المراد به انه ارزه في ام الكتاب اي اللوح المحفوظ انما من كان الا وهو مكتوب فيه ثم قال المصنف (فان قدر) اي فرض وفي نسخة قرر (انه) اي يس (من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم وصح فيه) اي في القول (انه قسم) اي ايضا (كان فيه من التعظيم ما تقدم) اي من ان الله تعالى ما اقسم بحياة احد غيره صلى الله تعالى عليه وسلم (ويؤكد فيه القسم) اي المستفاد من المقدر المرموز (عطف القسم الآخر) بالفتح وجوز الكسر وهو المذكور المصرح (عليه) اي على ذلك القسم فيكون الواو الثانية عاطفة او مؤكدة كما اشرنا اليه (وان كان) اي مجموع يس (بمعنى النداء) يعني وليس المراد به انه من الاسماء وان كان يس بمعنى المنادى (فقد جاء قسم آخر فيه) اي قسم آخر ليس ويهمه مما يظهر (بعده) اي بعد ندائه (لتحقيق رسالته) اي بقوله انك لمن المرسلين (والشهادة بهدايته صلى الله تعالى عليه وسلم) اي حيث قال على صراط مستقيم (اقسم الله تعالى باسمه) اي بناء على القول الاول في يس (وكتابه) اي في قوله والقرآن الحكيم (انه لمن المرسلين بوحيه الى عباده وعلى صراط مستقيم من ايمانه) اي الموجب لايقانه والمقتضي لاجل اكمال اركانه (اي) يعني معنى صراط مستقيم انه من الثابتين (على طريق لا اعوجاج فيه) اي لا ميل الى طرق الافراط والتفريط من تشبيه وتعطيل وجبر وقدر (ولا عدول عن الحق) اي عن الحكم الثابت بالوجه الصدق او عن الوصول اليه سبحانه وتعالى والحصول على رضاه عز شانه (قال النقاش) ابو بكر محمد ابن الحسن بن محمد بن زياد الموصلي البغدادي المفسر المقري توفي سنة احدى وخمسين وثلاثمائة وقد اثنى عليه ابو عمرو الداني وقد طعنوا في رواية حديثه (لم يقسم الله تعالى لاحد من انبيائه عليهم الصلاة والسلام بالرسالة في كتابه) اي القرآن لعدم علم النقاش بسائر خطابه ولا يبعد ان يراد به جنس كتابه (الا له) صلى الله تعالى عليه وسلم (وفيه) اي وفي هذا التخصيص (من تعظيمه وتمجيده) اي تكريمه صلى الله تعالى عليه وسلم (على تأويل من قال) اي في يس (انه يا سيد ما فيه) اي الذي فيه من غاية التعظيم الذي يعجز عن بيانه دقائق الكلام (وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر) قال الحجازي واكثر الروايات في هذا الحديث انا سيد ولد آدم يوم القيامة وهكذا رواه مسلم والترمذي قلت وفي الجامع الصغير انا سيد ولد آدم يوم القيامة واول من ينشق عنه القبر واول شافع واول مشفع رواه مسلم وابو داود عن ابي هريرة ورواه احمد والترمذي وابن ماجه عن ابي سعيد ولفظه انا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر انتهى ولا شك ان زيادة الثقة مقبولة والمعنى لا اقوله افتخارا لمقامي بل تحدثا بنعمة ربي اوالمعنى لا افتخر بهذا بل بما فوقه مما لا يعبر ثم السيد في اللغة الشريف الذي فاق قومه في الخير وهو فيعل بكسر العين من ساد يسود وهو المعتمد الذي عليه البصريون وتنظيره صيب وثيب والحاصل ان المصنف اتى بهذا الحديث عاضدا القول بان المراد في الآية يا سيد كما بيناه سابقا (وقال جل جلاله) اي عظم شانه وعز سلطانه

(لاقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد) ادخال النافية للتأكيد سائغ فى كلام العرب وسائغ عند علماء الادب فالمعنى انه سبحانه وتعالى اقسم بالبلد الحرام وقيده بحلول رسوله عليه الصلاة والسلام به اظهارا لمزيد فضله واشعارا بان شرف المكان بشرف اهله وهذا المعنى باعتبار مفهومه يفيدما عبر عنه المصنف بقوله (قيل لااقسم به اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه مكى) اى هذا القول عن بعضهم وبما قررناه وبيناه وحررناه اندفع ماقاله الحجازى من ان هذا الذى حكاه عن مكى لايستقيم تنزيله على الاية لانه عكس مقتضاها الاترى ان الواو من قوله تعالى وانت حل واوالحال واذا كانت كذلك فيكون معنى الاية لااقسم بهذا البلد اذا كنت فيه وهو ضد ما قال مكى وانما تتأول الاية على ان تكون لازائدة فيها اى اقسم بهذا البلدوانت حل به ساكن فيه والى هذا ذهب الزجاج انتهى ولعل منشأ هذا الاعتراض هو لمقابلة بقوله (وقيل لازائدة) وليس كذلك فان مراده مستقيم على تقدير عدم زيادة لا ايضا كما قال مجاهد انها رد الكلام تقدم والمعنى ليس الامر كما توهم من توهم واقسم بعدها اثبات للقسم ويؤيده قراءة الحسن البصرى لاقسم بدون الالف وعلى التنزل يمكن ان يكون مراده المغايرة فى معنى حل على القول بزيادة لا ايضا ولذا قال (اى اقسم به وانت به يامحمد حلال لك) اى من دخول الحرم بغير احرام والمعنى انت به حلال حال كونه خاصا لك (اوحل لك مافعلت فيه) اى من قتل بعض المشركين فى عام الفتح حيث قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان مكة حرمها الله تعالى يوم خلق السموات والارض لم تحل لاحد قبلى ولاتحل لاحد بعدى وانما احلت لى ساعة من نهار ثم عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس (على التفسيرين) اى على القولين للمفسرين فى معنى الحل انه من الحلول اومن الحلال لاتفسيرى كونها زائدة ونافية كماذكره الدلجى (والمراد بالبلد عند هؤلاء مكة) وهو المشهور عند الجمهور (وقال الواسطى اى تحلف) كان الاولى احلف (لك) وقال الحجازى يروى بحلولك (بهذا البلد الذى شرفته بمكانك) اى بكونك واقامتك (فيه حيا وبركتك ميتا يعنى المدينة) فيه بحث لانه يحتمل انه اراد به مكة ايضا لانه شرفها بمكانه فيها حيا ويصل اليها بركاته مماتا وان بعد عنها دفنا بل هذا هو الاظهر معنى والاوفق مبنى فلا يحتاج الى قوله (والاول) اى من قولى البلد اهى مكة ام المدينة (اصح لان السورة مكية) اى اتفاقا (ومابعده يصححه) اى يؤيده ويوضحه (قوله تعالى) بدل مما بعده (وانت حل بهذا البلد) وفيه انه لايظهر وجه تصحيحه ولابيان توضيحه لان حلوله فى المدينة اظهر لشموله حيا وميتا ولابدع ان الاية نزلت بمكة اشارة الى ماسيقع من القضية (ونحوه قول ابن عطاء فى تفسير قوله تعالى وهذا البلد الامين) اى الآمن اوالمأمون فيه يأمن فيه من دخله (قال) اى ابن عطاء (آمنها الله تعالى) بهمزة ممدودة ويجوز بالقصر والتشديد فى القاموس آمنه وامنه فاندفع به اعتراض الحلبى اى جعل مكة ذات امن (بمقامه) اى بسكناه (فيها وكونه بها فان كونه) اى وجوده فيها (امان حيث كان) صلى الله تعالى عليه وسلم واغرب التلمسانى حيث قال والامين فعيل كمفعل اومفعول وهذا على زيادة لاوعلى نفيها فاقسم به دونها انتهى ووجه غرابته لايخفى لان البلد الامين فى سورة التين وليست هى مصدرة بلا اقسم حتى يستقيم هذا القسم والله اعلم وفى نسخة زيادة ثم هذا القول من ابن عطاء لايخلو عن نوع غطاء فان الله سبحانه وتعالى جعله بلدا آمنا قبل ظهوره صلى الله تعالى عليه وسلم كما قال تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم والمراد بالبلد الامين مكة باتفاق المفسرين وهذه جملة معترضة بين المتعاطفين بقوله (ثم قال عز وجل ووالد وماولد من قال) اى كمجاهد (اراد آدم) اى بقوله تعالى ووالد (فهو عام) اى فى جميع ولده ولايبعد ان يراد به خلاصة افراد الاولاد وسلالة العباد وسيد الانبياء وسند الاصفياء الذى قيل فيه لولا وجود الخاتم ماكان ذكر لآدم صلى الله تعالى عليه وسلم (ومن قال هو ابراهيم وماولد) اى من اولاده الصلبية يعنى اسمعيل واسحق واسباطه من ابناء بنى اسرائيل من نسل يعقوب وسبطه الاعظم وحافده الافخم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من نسل اسمعيل الجليل بانى البيت الجليل مع والده الخليل وربما يقال هو المقصود بالذات من ابراهيم وولده الكريم كما انه زبدة الكائنات وخلاصة الموجودات ولذا قال المصنف (فهى) اى الاية المذكورة (ان شاء الله تعالى اشارة الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فتضمنت السورة) اى المسطورة (القسم به صلى الله تعالى عليه وسلم فى موضعين) اى بحسب المتعاطفين من حيث كونه ولد الابراهيم وكونه والدا بشهادة مافى الكشاف ونقله ابن الجوزى عن ابن عمران الجونى انه صلى الله تعالى عليه وسلم هو المراد بالوالد ونصره القرطبى بقوله صلى الله تعالى عليه انما انا لكم بمنزلة الوالد وقد ذكر البيضاوى القولين حيث قال ووالد عطف على هذا البلد والوالد آدم اوابراهيم وماولد ذريته او محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والتنكير للتعظيم وايثار ما على من لمعنى التعجب كما فى قوله والله اعلم بما وضعت اى باى شئ وضعت يعنى موضوعا عجيب الشان غريب البرهان فاندفع ماقاله الحجازى من ان مايقع على ذوى العقول عند النحويين على ان كثيرا منهم قالوا

ان من يختص بذوي العقول وماعام ويؤيده قوله تعالى والسماء وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما سواها
وان قال بعضهم ان المراد بها معنى الوصفية المبنئة عن العظمة كانه قيل والشيء القادر الذي بناها ودل على وجوده
وكمال قدرته وجوده بناؤها وانت ترى ان هذا تكلف مستغنى عنه اذ جوزان ما ترد بمعنى من على ما في القاموس قوله
تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم فانكحوا ما طاب لكم ثم وقع التناقض بين قولي الحجوائي حيث قال فيلزم على قول الداعي
ان تكون ما في الاية واقعة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك خروج بها عما قرر النحويون انهما والذي
يظهر في الاية والله تعالى اعلم ان الوالد والولد اسما جنس عامان لكل والد ومولود وهو قول ابن عباس فيكون
قوله سبحانه وتعالى وما ولد على هذا التأويل جاء منبها على العاقل الذي لم يلد اذ لو اقتصر في الاية على ذكر الوالد لخرج
منهما من لم يلد ولذا البنة انتهى ووجه التناقض لا يخفى اذ جنس المولود من قبيل ذوي العقول في المعنى فيؤل
الى قول القاضي في المعنى غايته انه اراد الفرد الاكمل من الجنس الشامل بل لو اريد به الفرد الافضل من النوعين لا يبعد
اصدق الوالدية والولدية عليه ثم التنبيه الذي ذكره لا يخفى على الفقيه النبيه حيث ان المراد بما ولد ما يلده الوالد من آدم
او ابراهيم او جنس الوالد (وقال تعالى الم ذلك الكتاب) قيل فيه صنعة التبديل من علم المعمى في استخراج الاسماء
والتعدد الف لام الحمد ميم فيبقى محمد فهو نداء او مبتدأ خبره ذلك الكتاب اى هو النسخة الجامعة في الرتبة اللاهوتية
والمرتبة الساطعة والسعة بين الخالق والخليقة (لاريب فيه) ومر باقي الكلام فيه (قال ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما) اى فيما رواه ابن جرير وابن ابي حاتم (هذه الحروف) اى المقطعة في اول هذه السورة وامثالها من سائر السور
المسطورة (اقسام) جمع قسم بمعنى مقسم به (اقسم الله تعالى بها) وفي نسخة بهذا اى بما ذكر على طريق الاشارة والرمز
الى اسماء الله سبحانه وتعالى واوصاف نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بان يكون الالف رمزا الى ما اوله الهمز وكذا
اللام وكذا الميم وكذا سائر الحروف وحروف القسم حينئذ محذوف (وعنه) اى ابن عباس (وعن غيره فيها غير ذلك)
حتى قيل فيها ستون قولا منها ما عليه العشرة وغيرهم ومنهم ابن عباس رضي الله تعالى عنهم ان الله تعالى اعلم بمراده
بذلك وقال معنى الم انا الله اعلم وعن ابن عباس ان الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وقيل هي اسماء الله تشهد به
قول علي يا كهيعص يا حمعسق ولعله اراد بامتزاجهما وقيل اسماء للقرآن او السور وقيل الالف من اقصى الحلق
وهو مبدأ المخارج واللام من طرف اللسان وهو وسطها والميم من الشفة وهي آخرها فجمع بينها تلويحا بان العبد
ينبغي ان يكون اول كلامه ووسطه وآخره ذكر الله تعالى (وقال سهل بن عبد الله التستري) وروي عن ابن عباس
ايضا (الالف هو الله سبحانه وتعالى) اى اشارة الى لفظة الله بناء على الحرف الاول منه في المبنى اولا وحدانيته
بحسب المعنى لكن يؤيد الاول قوله (واللام جبريل) اى بناء على الحرف الاخير (والميم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم)
نظرا الى اوله واوسطه كذلك وما ناسبه حيث كرر صنعي الميم في الاسم والمعنى (وحكى هذا القول السمرقندي)
اى مطلقا (ولم ينسبه الى سهل) وهذا امر سهل اذ لا منافاة بين الاطلاق والتقييد مع احتمال الوارد في مقام
التأييد ولا ينافيه ما عزاه السجاوندي الى ابن عباس ايضا (وجعل) اى السمرقندي (معناه) اى معنى هذا القول
المستفاد من الاشارة الى الاسماء المستورة بحسب التراكيب المفيدة المأثورة (الله انزل جبريل على محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم بهذا القرآن لاريب فيه) اى في المرسل او المنزل او المنزل به او المنزل عليه او في كل واحد منها وهو نفي عند
ارباب التحقيق ومعناه نهي بالنسبة الى اهل التقليد والتصديق والله ولي التوفيق او المعنى لاريب فيه وتوضيحه
ان يقال من حيث انه لوضوح شانه وسطوع برهانه لا يرتاب فيه عاقل بعد النظر الصحيح في كونه وحيا بالغا
حد الاعجاز لا من حيث انه لا يرتاب فيه احد لكثرة المرتابين بشهادة وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة
من مثله فانه لم ينفه عنهم بل عرفهم بما يزيله منهم وهو ان يبذلوا قواهم في معارضة سورة منه وغاية جهدهم فاذا عجزوا
تيقنوا ان لا شبهة فيه ولا ريبة ثم هذا لا يزول وجه اشكال تقديم جبريل على النبي الجليل (وعلى الوجه الاول) اى
من قول ابن عباس وهو ان المراد بها المقسم (يحتمل القسم) اى المقسم عليه (ان هذا الكتاب حق لاريب فيه ثم فيه)
اى في القسم او الكتاب على الاحتمال الثاني (من فضيلة اقتران اسمه باسمه) وفي نسخة من فضيلته قران اسمه باسمه
وهو بكسر القاف بمعنى مقارنته (نحو ما تقدم) اى في التشهد والخطبة كما قال حسان رضي الله تعالى عنه

(وضم الاله اسم النبي الى اسمه * اذا قال في الخمس المؤذن اشهد)

(وقال ابن عطاء في قوله تعالى ق والقرآن المجيد اقسم) اى الله تعالى (بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم)
اى التي هي من حروفها الكثير به عنها (حيث حمل الخطاب) اى من ربه (والمشاهدة) اى ليلة الاسراء (ولم يؤثر ذلك
فيه لعلو حاله) اى مع وجود المجاهدة ويناسبه قوله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك الاية (وقيل هو) اى ق

(اسم للقرآن) اى بطريق الاشارة واما بطريق العبارة فهو اسم للسورة (وقيل هو اسم الله تعالى) اى بناء على رمز الى الاسماء التى اولها القاف كالقادر والقاهر والقوى والقريب (وقيل هو اسم جبل محيط بالارض) اى فوقع القسم به لعظمته وهذا قول مجاهد ان ق اسم جبل محيط بالدنيا وانه من زمردة خضراء منها خضرة السماء والبحر لكنه ضعيف جدا (وقيل غير هذا) اى غير ما ذكر اى ايماء الى قيام الساعة وقال سهل رضى الله تعالى عنه اقسم بقدرته وقوته كما حكى عنه السلمى وقيل معناه قضى الامر من رسالة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم او اخبار بقهر الكفرة او تنبيه على قيام الموتى من القبور فكلها منقولة عن المفسرين وجميعها داخل فى قول من قال هى حروف اخذت من اسماء وافعال واستغنى بها عن ذكر ما بقى منها والله تعالى اعلم ولا يبعد ان يكون ايماء الى الامر بالوقوف على الاحكام والتوقف فيما اشكل من المرام كقول الشاعر قلت لها قفى فقالت قاف (وقال جعفر بن محمد) اى الصادق (فى تفسير والنجم اذا هوى انه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) لانه النجم الاكبر والكوكب الانور وقوله اذا هوى اى اذا صعد الى مقام دنا فتدلى او اذا احب المولى وترك السوى فكان قاب قوسين او ادنى (وقال) اى الصادق (النجم قلب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهوى الذى انشرح من الانوار) اى لما انبسط وانبث فيه من الاسرار واغرب الحجانى حيث انكر على العالم الربانى بقوله هذا تحامل على اللغة فى تفسير الهوى وتحكم فيها والمنقول عن جعفر انه انما فسر الهوى هنا بالنزول ليلة المعراج كما حكى عنه ذلك فى تفسير الغزنوى وهو اقرب الى الاشتقاق اللغوى (وقال انقطع عن غير الله) اى عن التعلق بما سواه (وقال ابن عطاء فى قوله تعالى والفجر وليال عشر) الفجر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لان منه تفجر الايمان) اى تبين منه الايقان وظهر منه العرفان بنزول القرآن وحينئذ يناسب ان يفسر ليال عشر بالعشرة المبشرة لان الكواكب السيارة المنيرة فى ميدان الولاية تختفى فى زمان النبوة واوان الرسالة لان احوال الاصفياء بالنسبة الى احوال الانبياء لا تخلو عن ظلمة الكدورات النفسانية والحجابات الشهوانية فناسب ان يعبر عنهم بالليالى العشر كما يلايم ان يومى الى مرتبة النبوة والرسالة بطلوع الصبح وظهور نور الفجر وبهذا اندفع ما قاله الحجانى من ان هذا التأويل بعيد لان الفجر فى الآية مردف بالليالى العشر وفى حمله على ما ذكر تنافر فى النظم وعدم تناسب فى اللفظ انتهى واما اقوال المفسرين فى معنى الفجر وليال عشر فمشهورة لا تخفى والمشهور ان الفجر هو الصبح والليالى العشر عشر ذى الحجة ومن ثم فسر الفجر بفجر عرفة او الفجر والعشر الاول من المحرم اولا والاواخر من شهر رمضان ونكرت لزيادة فضلها والله تعالى اعلم

(الفصل الخامس فى قسمه)

اى فى حلفه فى كلامه (تعالى جده) اى عظمته لقوله تعالى وانه تعالى جد ربنا ولما فى الحديث كان الرجل منا اذا قرأ البقرة وآل عمران جد بدال مهملة فى انفسنا اى عظم وجل وعن انس والحسن رضى الله تعالى عنهما غناه بشهادة حديث ولا ينفع ذا الجد منك الجد اى لا ينفع ذا الغنى منك غناه وانما ينفعه ايمانه واحسانه (له) صلى الله تعالى عليه وسلم (لتحقق مكانته)اى منزلته الرفيعة (عنده) بكسر العين افصح ويجوز فتحها وضمها فى القاموس عند مثلثة الاول ظرف فى الزمان والمكان غير متمكن (قال الله جل اسمه) اى عظم وصفه ونعته فكيف مسماه وذاته (والضحى) اى اقسم بضوء الشمس اذ هو المراد بقوله وضحاها او بوقته حين ارتفاعها وخص بالقسم لانه تعالى كلم فيه موسى عليه الصلاة والسلام والقى السحرة فيه سجدا بشهادة وان يحشر الناس ضحى ولعل هذا هو المأخذ فى فضيلة صلاة الضحى او بالنهار كله بدلالة ان يأتيهم بأسنا ضحى فى مقابلة بياتا او مقابلة قوله تعالى (والليل اذا سجى) اى ركد ظلامه او سكن اهله وقدم الليل فى السورة قبلها لانه الاصل بدليل قوله تعالى نسلخ منه النهار ولما ورد من ان الله خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره الحديث وعكس هنا لشرف النهار بحسن ضوئه ونوره وكمال ظهوره والانسب بهذا المقام فى تحقيق المرام ان يقال ان فى الضحى ايماء الى وجهه صلى الله تعالى عليه وسلم كما ان فى الليل اشعارا الى شعره عليه الصلاة والسلام او الى حاليه اشارة فيهما الى صبح الوصال وليل الفراق او ايماء بهما الى حاليه من مقامى القبض والبسط او الفناء والبقاء كما يشير اليه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم انه ليغان على قلبى الحديث (السورة) وفى شرح الدلجى السورة منصوب بفعل كاعنى قلت او اقرأ ويجوز رفعها على ان تقديره السورة معروفة وجرها على نزع الخافض كما فى النسخة المشهورة والسورة طائفة من القرآن مترجمة اقلها ثلاث آيات منقولة من سورة المدينة لانها محيطة بطائفة منه او محتوية على ما فيها من العلوم كاحتواء سور المدينة على ما فيها هذا ان كانت واوها اصلية وان كانت مبدلة من همزة فلكونها قطعة من القرآن فن السؤر الذى هو بقية الشئ وهذا المعنى هو الاولى كما لا يخفى اذ المعنى الاول يدل على المغايرة بين السورة وما هى مشتملة عليه وليس كذلك فى السورة (اختلف فى سبب نزول هذه

السورة) اى سورة والضحى (وقيل كان ترك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امرأة فى ذلك بكلام) اى بما لا يليق ذكره لاهل الاسلام ويؤيده مارواه البخارى اشتكى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يقم ليلتين او ثلاثا فقالت له امرأة انى لارجو ان يكون شيطانك قد تركك لما رأيت من عدم قيامك (فانزل) اى الله تعالى (والضحى) وروى مسلم نحوه وحديث الثعلبى انه صلى الله تعالى عليه وسلم اصيب فى اصبعه فدميت فقال هل انت الا اصبع دميت وفى سبيل الله مالقيت فمكث ليلتين او ثلاثا لا يقوم الليل فقالت له ام جميل امرأة ابى لهب ما ارى شيطانك الا قد تركك لما رأيته قربك منذ ليلتين او ثلاث فنزلت وروى ابن ابى السكن انها احدى عماته صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ابن عساكر وكانت عماته صلى الله تعالى عليه وسلم مسلمات وجميعهن مشركات الا صفية بنت عبد المطلب ام الزبير ويؤيد الاول رواية الحاكم انها امرأة ابى لهب ولعلهما قالتاه ذلك ثم قيل هى اخت ابى جهل زوج ابى لهب وكان اسمها ام جميل وكان ابو بكر ابن العربى لا يكنيها الا بام قبيح وقد اجاد فيما افاد وقيل هى اخت ابى سفيان ابن حرب وهى زوج ابى لهب ايضا وكانت عوراء وكان احول والقول الاخير ذكره الحاكم فى مستدركه فى تفسير سورة والضحى وقال اسناده صحيح (وقيل) وعليه جمهور المفسرين على ماقيل (بل تكلم به المشركون) اى بمثل ذلك الكلام (عند فترة الوحى) اى عند انقطاعه وعدم اتصاله من الفتور بمعنى القصور وكانت المدة سنتين ونصفا وقيل بل كان ذلك بضعة عشر يوما (فنزلت سورة) اى والضحى وفى نسخة هذه السورة ويدل عليه حديث مسلم والترمذى ابطأ جبريل عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال المشركون قد ودع محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فانزل الله سبحانه وتعالى ماودعك ربك وماقلى ويمكن الجمع بين القولين بانه لما فتر الوحى اتفق اذ ذاك انه اشتكى فلم يقم فقالت المرأة ماقالت وقال المشركون من الرجال ماقالوا وقال البيضاوى روى ان الوحى تأخر اياما لتركه الاستثناء كما مر فى سورة الكهف او لزجره سائلا ملحا او لان جروا ميتا كان تحت سريره اوغير ذلك فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه اى تركه وابغضه فنزلت ردا عليهم (قال الفقيه القاضى ابو الفضل رحمه الله) كذا فى بعض النسخ وهو متروك فى بعضها (تضمنت هذه السورة) اى سورة والضحى (من كرامات الله تعالى) اى من انواع اكرامه سبحانه (له صلى الله تعالى عليه وسلم) قال الدلجى من مزيدة او للتعظيم اى تضمنت شيئا عظيما اكرمه الله به انتهى ولا يخفى ان كونها مزيدة لا يناسب المقام لان الزائدة انما تكون للتنصيص على العموم فى النفى نحو ماجاءنى من رجل او لتوكيد العموم نحو ماجاءنى من احد وكونها للتعظيم غير معروف فالصواب انها للتبعيض فانه لا شك ان ما تضمنت هذه السورة من بعض كرامات الله له (وتنويهه به) من نوه بالشئ اى رفعه ونوهت باسمه اى رفعت ذكره والمقصود رفعة شانه وسطوع برهانه (وتعظيمه اياه) اى بما خصه الله تعالى واستثناه عما سواه (ستة وجوه) بالنصب على انه مفعول تضمنت وفى نسخة ستة وجوه وكان الوجه ان يقول ستة اوجه الا انه اوقع جمع الكثرة فى موضع جمع القلة توسعا اذ قد يكثر استعمال احدهما فى الآخر (الاول) اى الوجه الاول من الستة (القسم له) اى لاجله صلى الله تعالى عليه وسلم (عما اخبره به) اى فى هذه السورة (من حاله) اى مما يدل على عظيم جاهه وكريم كماله من بيان لما اقسم له على نفيه (بقوله والضحى والليل اذا سجى اى ورب الضحى) اى على حذف مضاف يكون هو المقسم به وذلك لانه لا يقسم بمخلوق لان فيه تعظيم غير الله تعالى ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم من حلف بغير الله فقد اشرك والاظهر ان النهى فى ذلك بالنسبة الى المخلوق واما الخالق سبحانه وتعالى فيقسم بما شاء من خلقه تشريفا له وتعظيما لشانه (وهذا) اى القسم له على ذلك (من اعظم درجات المبرة) بفتحات وتشديد الراء من البر بمعنى الخير (الثانى) اى من الستة (بيان مكانته عنده) تقدم بيانه (وحظوته لديه) بكسر اوله ويضم على مافى الصحاح والقاموس وبسكون الظاء المعجمة بمعنى المنزلة والفضيلة والمحبة وقيل الحاء مثلثة لان كل اسم على فعلة ولامه واو بعدها هاء التأنيث فانه مثلث الفاء واصله من حظيت المرأة عند زوجها اذا كانت ذات حظ ونصيب منه وفى المثل ان لا حظية فلا الية يقول ان اخطأتك الحظوة فلا تأل ان تتودد الى الناس لعلك تدرك بعض ماتريد ذكره الجوهرى (لقوله) متعلق بقوله بيان مكانته (ماودعك ربك) بتشديد الدال وتخفف (وماقلى) حذف مفعول قلى لظهوره او اكتفاء بسبق ذكره مع كونه مراعاة للفاصلة (اى ماتركك) تفسير لودعك (وماابغضك) تفسير لقلى على طريق اللف والنشر المرتب والمعنى ماقطعك قطع المودع اذ التوديع مبالغة فى الودع اى الترك اذ من ودعك فقد بالغ فى تركك وفى الحديث غير مودع ربى اى غير قاطع طاعته ولا مفارق لعبادته وقرأ عروة وابنه هشام ودعك مخففا مع استغناء اكثر العرب عنه بترك فلم ينطق بماضيه لكن قد جاء فى الحديث شر الناس من ودعه الناس اتقاء فحشه وفى الشعر ايضا كقوله

(وكان ماقدموا لانفسهم * اعظم نفعا من الذى ودعوا)

ومن التشديد قوله

(ليت شعرى من خليلى ما الذى * رابه فى الحب حتى ودعه)

ثم قلى يائى وقيل واوى وعلى الاول يقال فى مضارعه يقلى ويقلى بالياء والالف الا ان الالف شاذ كما فى ابى يأبى (وقيل ما اهملك) اى ما تركك هملا (بعد ان اصطفاك) اى كلا قال ابن عباس رضى الله عنهما ما خلاك ولا قطعك منذ اصطفاك ورفعك (الثالث) اى من الستة (قوله) اى عز قائلا (وللآخرة) اى والدار الآخرة (خير لك من الاولى) اى من الدنيا او الحال الآخرة خير لك من الاولى ايماء الى انه دائما فى الترقى الى الدرجات العلى (قال ابن اسحق) تقدم انه امام اهل المغازى (اى مآلك) بفتح ميم وهمز ممدود ورفع لام اى ما تؤول اليه ومصيرك (فى مرجعك) اى معادك باقيا خالصا من الشوائب مما اعدلك من المراتب (عند الله) فى العقبى (اعظم مما اعطاك كرامة الدنيا) ويروى كما فى بعض النسخ مالك على ان ما موصول والعائد محذوف يعنى الذى اعطاكه فى الاخرى خير لك من الذى اعطاكه فى الاولى (وقال سهل اى ما ادخرت) بتشديد الدال المهملة وقيل بالمعجمة من الذخيرة وهى الشئ النفيس (لك من الثواب) وذال معجمة ويقال اذخرته على افتعل بمهمل ويعجم والمعنى واحد وقيل بالمعجمة ما يكون للآخرة وبالمهملة ما يكون للدنيا ونسب الى ائمة اللغة وهى غير مشهورة ودلالة قوله تعالى تدخرون فى بيوتكم عليه غير صحيحة والمعنى الذى خبأته (لك من الشفاعة) اى العظمى او الخاصة بهذه الامة (والمقام المحمود) اى المرتبة العلية الشاملة للشفاعة الكاملة لجميع الافراد البشرية (خير لك مما اعطيتك فى الدنيا) اى من الرفعة وعلو المرتبة ونفاذ الحكومة ويؤيده ما ورد فى الحديث القدسى والكلام الانسى اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويجوز ان يراد بالمقام المحمود كما هو ظاهر الآية كل مقام يتضمن كرامة وان كان الاكثرون على انه مقام الشفاعة الكبرى الذى يحمده فيه الاولون والآخرون بشهادة حديث هو المقام الذى اشفع فيه لامتى اى خصوصا وسائر الامم عموما (الرابع) اى من الستة (قوله ولسوف) خبر مبتدأ محذوف دخله بعد حذفه لام الابتداء لتأكيد مضمون الجملة اى ولانت سوف (يعطيك ربك) اى ما يرضيك وتقربه عينك (فترضى) اى غاية الرضى والجمع بين حرفى التأكيد والتأخير للايماء بان العطاء كائن لامحالة وفى مصحف ابن مسعود ولسيعطيك ثم اكثر المفسرين على ان هذا العطاء فى الاخرى وعن بعض العلماء انه اشارة الى فتح مكة فى الدنيا (وهذه الاية) اى ولسوف وفى بعض النسخ وهذه آية (جامعة لوجوه الكرامة وانواع السعادة) اى ما اعطاه فى الدنيا وما وعده فى العقبى (وشتات الانعام) بكسر الهمزة من انعم اذا زاد على الاحسان بفتحتين اى متفرقات انواع الاكرام مما لا يعلم كنهها احد من الانام (فى الدارين والزيادة) بالجر اى وجامعة للزيادة على ما اعطاه فى الدنيا ووعده فى العقبى من انواع الكرامة والدرجات العلى (قال ابن اسحق) تقدم ذكره وقال التلمسانى وصاحب السير والمقدم فيها والمشهور بالمغازى والتاريخ توفى ببغداد سنة احدى وخمسين ومائة وكان بينه وبين مالك كلام ومحاورة وذلك ان الائمة اتفقوا على ان مالكا عربى صريح النسب من ذى اصبح حميرى يمانى وذهب ابن اسحق الى انه من الموالى وقوله شاذ رواه الائمة والله سبحانه وتعالى اعلم والحاصل انه قال فى سيرته (يرضيه) اى الله سبحانه وتعالى نبيه عليه الصلاة والسلام (بالفلج) وهو على ما فى الصحاح بفتح الفاء واللام وبالجيم والاسم بضم الفاء وسكون اللام اى الفوز باحبائه والظفر باعدائه ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى وصف القرآن من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج قال ابن هشام معناه ظهر وغلب وظفر والحاصل ان فى الاصل نسختين مضبوطتين وفى المثل من يأت الحكم وحده يفلج اى ينتصر على خصمه (فى الدنيا) كيوم بدر وقريظة والنضير وفتح مكة (والثواب فى الآخرة) اى مما اخفى له من قرة اعين وهذا القول من ابن اسحق ليس كقول سهل بل هو قول ثالث يشير الى ان الآية مقتضية رضاه فى الدنيا والعقبى معا قيل وهو الصواب فى معنى الآية (وقيل يعطيه الحوض) اى المورود (والشفاعة) اى المقام المحمود وهو داخل فيما قبله بلامرية وكل الصيد فى جوف الفراء وفسر عطاء وغيره الحوض بالخير الكثير تمسكا بما فى رواية البخارى ومسلم اى عن انس بن مالك بينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى المسجد اغفى اغفاءة ثم رفع رأسه فقال نزلت على آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ثم قال اتدرون ما الكوثر هو نهر وعدنيه ربى عليه خير كثير هو حوض ترده امتى يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء وفى رواية لهما الكوثر نهر فى الجنة عليه حوضى اى يمد ماؤه منه وفى مسلم ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل يغت فيه ميزابان يمد انه من الجنة احدهما من ذهب والآخر من ورق ويغت بغين معجمة مضمومة ومثناة فوقية مشددة ومعناه يجرى جريا متتابعا له صوت (وروى عن بعض آل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وهو على بن ابى طالب كرم الله وجهه على ما ذكره الثعلبى

في تفسيره (انه قال ليس آية في القرآن ارجى منها) اي من آية ولسوف يعطيك ربك فترضى ثم بين وجهه بقوله (ولا يرضى رسول الله صلى الله تعالى وسلم ان يدخل احد من امته النار) ورواه عنه ايضا ابو نعيم في الحلية موقوفا والديلمي في مسند الفردوس مرفوعا وقال ايضا قول الحلبي قد ظهر لي والله تعالى اعلم ان هذا الرجل هو الحسن بن محمد بن الحنفية وذلك انه اول المرجئة وله فيه تصنيف انتهى وروى انه لما نزلت قال اذن لا ارضى ان يكون واحد من امتي في النار قال الديلمي وهذا ان صح فيشكل بما ورد مؤذنا بدخول بعض عصاتهم فيها ومن ثم قال ابن عبد السلام وغيره لا يجوز الدعاء لجميع المؤمنين بمغفرة جميع ذنوبهم اذ لا بد من دخول بعض منهم فيه ويعارضه رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات انتهى ولا يخفى ان المعارضة مدفوعة اذ ليس في الآية لفظ الجمع الشامل للافراد كلها والاشكال السابق ايضا مدفوع بانه صلى الله عليه وسلم لا يرضى رضاء كاملا الا اذا وقع شفاعته لجميع امته كاملا وهذا امر في المستقبل فلا ينافي دخول بعض الامة النار في الماضي فتامل هذا وفي حديث الترمذي عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال ما في القرآن آية احب الي من قوله سبحانه وتعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقيل ارجى آية في القرآن لاهل التوحيد قوله تعالى وهل نجازي الا الكفور وقيل قوله تعالى انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى وقيل قوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وقيل قل كل يعمل على شاكلته وقيل قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية وقيل قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الآية ووجهه انه سبحانه وتعالى امرنا بالاحتياط لدنيانا الدنية التي نهانا عن الاغترار بها والركون اليها والاعتناء بها وامرنا بالاعراض عنها والزهادة فيها فاذا لطف بنا فيها عما ارشدنا اليه مع حقارتها في طول آية من كلامه فكيف بالدار الباقية دار الخلد في النعيم والالتذاذ الذي لا يساوي بل لا يداني بالنظر الى وجهه الكريم وفيه قول آخر وهو ما في صحيح مسلم من حديث الافك فانزل الله تعالى ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولي القربى الى قوله تعالى وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم قال حبان بن موسى قال عبد الله بن المبارك هذه ارجى آية في كتاب الله عز وجل انتهى وقد اخرج الحاكم في مستدركه عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ارجى آية في القرآن لهذه الامة قوله تعالى ولكن ليطمئن قلبي هذا واخوف آية في القرآن قيل ويحذركم الله نفسه وقيل سنفرغ لكم ايه الثقلان وقيل قوله تعالى فاين تذهبون وقيل ان بطش ربك لشديد وقيل قوله تعالى ام حسب الذين اجترحوا السيئات وعن ابي حنيفة واتقوا النار التي اعدت للكافرين وعن الشافعي انها قوله تعالى ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات انتهى واجتمعت الآيات سبعة في الخوف وعشرة في الرجاء ايماء الى انه سبقت رحمته غضبه وغلب رجاء ثوابه خوف عذابه (الخامس) اي من الستة (ما عده الله تعالى عليه) اي ذكره (من نعمه) اي نعمائه وهو انسب الى قوله (وفرة من آلائه) وهما مترادفان على ما قيل والاظهر ان وقت اجتماعهما يراد بهما نعمه الظاهرة والباطنة واختلف في مفرد الآلاء فقيل الى بالفتح والتنوين كرحى وقيل بالكسر والتنوين كمعى وقيل بفتحها وسكون اللام وبالواو كدلو وقيل بكسرها وسكون اللام وبالياء كنحى وقيل بالفتح وترك التنوين وقوله (قله) بكسر القاف وفتح الموحدة اي عنده وجهته ونحوه (في بقية السورة) من الم يجدك يتيما الى فاما اليتيم تلويحا بانه تعالى كما احسن اليه سابقا يحسن اليه لاحقا كما قيل

(لقد احسن الله فيما مضى * كذلك يحسن فيما بقي)

فما عد وقرر مورداته على خلاف ترتيب السورة ما اشار اليه بقوله (من هدايته) مصدر مضاف الى فاعله اي من هداية الله اياه (الى ما هداه له) اي المستفادة بقوله تعالى ووجدك ضالا اي جاهلا بتفاصيل احكام الشريعة فهدى اي فهداك اليها ودلك عليها (او هداية الناس به) اي فهدى الناس بك زيادة على هدايتك في نفسك جمع الله له بين الهداية القاصرة والمتعدية المعبر عنهما بالكمال والتكميل الذي يصل بهما العبد الى مقام التعظيم ومرتبة التبجيل كما ورد عن عيسى عليه السلام من تعلم وعمل وعلم يدعى في الملكوت عظيما (على اختلاف التفاسير) اي في هدى من التقادير على ما اشرنا اليها في ضمن التحارير فهدى اما بمعنى هداه الله او بمعنى هدى به الناس (ولا مال له) جملة حالية او استقرار ومن كونه لا مال له (فاغناه الله بما آتاه) اي اعطاه من مال خديجة او من الغنائم (او بما جعله في قلبه من القناعة والغنى) اي غنى القلب كما اشار اليه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس وبقوله القناعة كنز لا يفقد وهو من قنع بكسر النون في الماضي قناعة اذا رضي بما اعطاه الله تعالى وبفتحها قنوعا اذا سأل مما سواه ومنه القانع والمعتر اي السائل تصريحا والمتعرض تلويحا وما احسن ما قال من قال من اهل الحال

(العبد حران قنع * والحر عبد ان قنع * فاقنع ولا تقنع فما * شئ اضر من الطمع)

وهذا المعنى مستفاد من قوله ووجدك عائلا اى فقيرا او محتاجا الى الخلق فاغناك عنهم بغناء بل احوج اليك كل من سواه كما اشار اليه بقوله آدم ومن دونه تحت لوائى يوم القيامة (ويتيما) ومن كونه يتيما اى لا اب له لموت ابيه قبل ولادته فآواه الى عمه ابى طالب (فحدب) بفتح الحاء وكسر الدال المهملتين اى رق له ورحمه وعطف (عليه عمه) واذهب عنه غمه وهمه حتى قال

(والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى اوسد فى التراب دفينا)

(فاصدع بامرك ما عليك غضاضة * فابشر وقر بذاك منك عيونا)

و فى نسخة عمه منصوب ولا يستقيم الا اذا كان الدال مشددا (وآواه اليه) واحسن فى تربيته عليه حيث ضمه الى نفسه فى جملة حاله وجعله من عمدة عياله وآوى متعد ممدودا او مقصورا لكن التعدية فى المد اكثر كما ان اللزوم فى القصر اشهر (وقيل آواه الله) اى ملحوظا بعين عنايته وكفايته محفوظا فى ظل حمايته ورعايته وفى نسخة آواه الى الله اى اغناه بذاته عما سواه وروى اوى الى الله مقصورا ومعناه لجأ اليه وتوكل عليه واسلم الامر لديه وهذه المعانى الاخيرة انسب الى ما حكى عن جعفر الصادق انه سئل لم افرد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ابويه فكان يتيما فى صغره فقال لئلا يكون عليه حق للمخلوق انتهى ويمكن ان يقال لئلا يكون له تعلق بغير الحق فان الاستيناس بالناس من علامة الافلاس او لئلا يتعلق قلبه الشريف بايمانهما لو وجدهما غير مسلمين فى ايامهما وليس الخبر كالمعاينة فى تحققهما (وقيل يتيما لا مثال لك) اى لا نظير عائلك وهذا مراد من قال هو درة يتيمة عصماء اى محفوظة ممنوعة معصومة عن ان يكون لها نظير فى الصورة والسيرة وفى الكشاف انه من بدع التفاسير ومعناه الم يجدك واحدا فى قريش عديم النظير (فآواك اليه) والوجود فى السورة بمعنى العلم فيتيما وضالا وعائلا مفاعيل ثوانى له او بمعنى المصادفة فهى احوال من المفعول الاول ولعل وجه تقديم الهداية فى كلام المصنف ايماء الى رعاية العناية واشارة الى ان الواو لا تفيد الترتيب فى العبارة واما الترتيب الذكرى فى السورة فهو على وفق الوجود الوقوعى حيث يوجد اليتم قبل البلوغ وبعده تحقق الهداية الكاملة العلمية ثم رعاية القناعة العلمية (وقيل المعنى الم يجدك) اى والناس فى ضلال (فهدى بك ضالا واغنى بك عائلا) اى فقيرا حين وجدك وفيهم عيلة (وآوى بك يتيما) اذ وجدك وفيهم ايتام وهذا من بدع التفاسير ايضا وان كان يلايمه فى الجملة ما بعده من بقية السورة وهى قوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر وتذكر حال يتمك واما السائل لكونه فقيرا فلا تنهر فلا تزجر ولا تقهر وتذكر حال فقرك واما بنعمة ربك فحدث باظهار الهداية والعلم بالبداية والنهاية وتذكر حال جهلك فيكون اللف والنشر مشوشا اعتمادا على فهم السامع و يمكن ان يكون مرتبا بان يكون المراد سؤال العلم كما هو قول ابى الدرداء وغيره وان التحدث بنعمة الرب هو الاحسان الى الفقير المنكسر القلب لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم التحدث بالنعم شكر ويمكن ان يحمل على المعنى الاعم و يستفاد منه المراد الاخص والله تعالى اعلم بمراده فى كتابه (ذكره) بتشديد الكاف اى ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم ربه تذكير امتنان لا نا شيئا عن نسيان (بهذه المنن) جمع المنة بمعنى النعمة والعطية (وانه) بكسر الهمزة والواو للحال اى الشان او الله سبحانه او هو صلى الله تعالى عليه وسلم (على المعلوم من التفسير) اى بناء على ما علم من انواع التفسير على ما سبق من التحرير (لم يهمله) من الاهمال اى لم يتركه ربه تعالى (فى حال صغره) (وعيلته) اى فقره (ويتمه) اى فقد ابيه (وقبل معرفته) اى وفيما قبل معرفته الكاملة (به) تعالى (ولا ودعه) عطف على لم يهمله اى لا تركه ولا دفعه (ولا قلاه) اى ولا ابغضه ولا قطعه (فكيف اى حاله بعد اختصاصه) بالكرامات السنية (واصطفائه) بالمقامات البهية والمعنى بعد ارساله واعلامه انه اصطفاه واجتباه على خليقته لكرامته عنده ومنزلته والا فقد كان اصطفاه فى ازليته قبل ظهور ابديته بدليل قوله كنت نبيا وآدم بين الماء والطين وفى رواية وآدم منجدل فى طينته اى وآدم مراد ايجاده منهما فى وقته فلا ينبغى ولا ينجدل حال نبوته ثم اعلم ان ملخص الاقوال فى تفسير قوله سبحانه وتعالى ووجدك ضالا فهدى ستة اقاويل اولها انه وجدك ضالا عن الشرايع واحكامها فارشدك اليها بتمامها وثانيها انه وجدك منسوبا الى الضلالة عند الاعداء فبين امرك بالبراهين القاطعة للاحباء وثالثها انه وجدك بين قوم ضلال فارشدك الى ما تميزت به عنهم الى مقام الوصال ورابعها انه وجدك ضالا بتزويج ابنتك فى الجاهلية لبعض الكفرة فبين لك ان المشرك لا يتزوج المسلمة قال ثعلب وهذا هو قول اهل السنة فى هذه الآية وخامسها انه وجدك ضالا بين مكة والمدينة فارك الطريق ودلك عليه وبينه او اشارة الى ضلالته وهو صغير فى شعاب مكة حيث وجده ورقة بن نوفل ورجل من قريش فرداه

الى جده عبد المطلب وسادسها انه وجدك ضالا اى عاشقا ومحبا فهداك الى محبوبك والقول الاول فى تفسير الآية هو المعول كما يبينه قوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما (السادس) اى من الستة (امره) فعل ماض على ما صرح به الحلبى والاظهر انه مصدر مضاف الى مفعوله (باظهار نعمته عليه) مصدر مضاف الى الفاعل عام فى جميع ما انعم به عليه اذ اضافة المفرد قد تفيد العموم (وشكر ما شرفه به) اى ما احسنه اليه وعظمه لديه (بنشره) اى ببسط ما شرفه به واظهاره تبجحا بالنعمة وقياما بشكر المنعم لا افتخارا بالمنية والحال الملم (واشادة ذكره) اى وتشهير ذكر ما شرفه به ورفع قدره وتعظيم شانه واعلاء امره وبيانه وتعريف شانه (بقوله واما بنعمة ربك فحدث فان من شكر النعمة التحدث بها) لحديث التحدث بالنعمة شكر وفى نسخة التحديث وفى اخرى الحديث ومن التحدث بها اظهارها فى الملبس والمركب ونحوهما لحديث اذا انعم الله على عبد احب ان يرى اثر نعمته عليه (وهذا) اى امره باظهارها (خاص له) صلى الله تعالى عليه وسلم (عام لامته) لانها امامهم فامره كما امرهم وقال مجاهد معنى قوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث بث الشرائع والقرآن المشتمل على البدائع والاولى حمل الآية على عموم النعمة ولعل هذا منشأ ما كان بعض الصالحين يخبر بجميع ما يفعله من الطاعات للسالكين كانه ينبه الى انها نعمة انعم الله سبحانه وتعالى بها عليه فيجب عليه التحدث بها مع انه قد يصدق ان الناس يقتدون به فى فعلها (وقال تعالى) حال لازمة من ضمير قال اى متعاليا عما لا يليق بجنابه الكريم (والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى اختلف المفسرون فى قوله تعالى والنجم) اى فى المراد به اختلافا مصحوبا (باقاويل معروفة منها) اى من جملة الاقاويل قولهم (النجم على ظاهره) فالمراد به اما جنس النجوم او الثريا الغالبة عليها وهى سبعة كواكب على ما ذكره السهيلى ولا يكاد يرى السابع منها لخفائه وفى الحقيقة انها اثنا عشر كوكبا فان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يراها كلها بقوة جعلها الله تعالى فى بصره كما ذكر ابن حيثمة من طريق ثابت عن العباس عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم او الزهرة لانهم كانوا يعبدونها فنبهوا على انتقالها وزوالها كما ذكره الغزنوى فى تفسيره او الذى يرجم به فهواه غروبه او انتشاره وانكداره يوم القيمة او انقضاضه او طلوعه اذ يقال هوى هويا بالفتح اذا سقط وغرب وبالضم اذا علا وصعد (ومنها) اى من جملة الاقاويل ان النجم هو (القرآن) لانه نزل منجما فى دفعات متعددة واوقات مختلفة فالهوى بمعنى النزول ويؤيده قوله فلا اقسم بمواقع النجوم الآيات على ما اختاره بعض المفسرين وقيل انه اسم جنس للصحابة ولعلماء هذه الامة كما يورد عن سيد الائمة اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم ذكره فى عيب المعانى قال الدلجى فالهوى على هذا كناية من الموت يعنى موت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى ولا يخفى بعده فان الاقتداء بهم والاهتداء اعم من زمن حياته وبعد وفاته فالهوى بمعنى الظهور والعلو (وعن جعفر بن محمد) اى الصادق (انه) اى النجم المقسم به (محمد عليه السلام) قال الدلجى وكثيرا ما يذكر المصنف السلام بدون الصلاة مع كون افراد احدهما مكروها قلت المحققون كالجزرى وغيره على انه لا يكره وانما الجمع افضل (وقال) اى جعفر (هو قلب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) اقول بل هو صلى الله تعالى عليه وسلم بقلبه وقالبه نور يستنار منه الانوار ويستضاء منه الاسرار وقد ورد اللهم اجعلنى نورا وقد سماه الله تعالى نورا على ما تقدم والله تعالى اعلم فالهوى بمعنى الظهور كما هو ظاهر فى معنى النور واما على ارادة قلبه فلعل المراد بهواه ميله الى ربه وغيبته عن غيره واستغراقه فى حبه ويؤيد ما قلناه من ارادة كله قوله (وقد قيل فى قوله تعالى والسماء والطارق) اى البادى ليلا واصله لسالك الطريق وخص عرفا بالآتى ليلا ثم استعمل فى البادى فيه (وما ادراك ما الطارق) اى اى شئ اعلمك انه ما هو يعنى انه شئ عظيم لا يعرفه احد ثم بينه (النجم الثاقب) اى المضئ كانه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه اى (ان النجم هنا ايضا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) عبر عنه اولا بوصف عام ثم بين بما يخصه تفخيما لشانه وتعظيما لبرهانه بجامع ان كلا يهتدى به وان كان بينهما بون بين (حكاه السلمى) اى نقله فى تفسير الحقائق (تضمنت) فقد جمعت (هذه الآيات) اى من قوله والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى (من فضله وشرفه) اى الزائد على غيره (العد) بكسر العين وتشديد الدال المهملتين اى الشئ الكثير الذى لا تنقطع مادته واصله فى الماء يقال ماء عد اذا كانت له مادة غير منقطعة كماء العين والبئر (ما يقف) اى العد الذى يقف (دونه) اى ينقطع قبله والضمير للعد وقال الدلجى اى يقف دون كل منهما (العد) بالفتح اى الاحصاء والاستقصاء والعد ايضا العدد هذا ولما نسبت الكفار المسمى بالهدى الى الضلال والردى وان ما ينطق به انما هو عن الرأى والهوى رد الله عليهم وكذبهم (واقسم جل اسمه) اى عظم كسماء (على هداية المصطفى وتنزيهه) اى براءة ساحته ولغرب الثانى حيث قال اى تعظيمه (عن الهوى) اى فيما اخبر به الورى

(وصدقه فيما تلا) اى قرأ (وانه) اى متلوه (وحى يوحى اوصله اليه عن الله جبريل) اى علمه شديد القوى على خلاف في مرجع الضمير المنصوب هل هو القرآن او النبي صلى الله عليه وسلم (وهو) اى جبريل (الشديد القوى) من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اى شديد قواه لانه هو الواسطة فى ابتداء خوارق العادة كاقتلاع قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها وصياحه صيحة واحدة لقوم ثمود فاصبحوا جاثمين وقيل المراد به الحق جل جلاله يعنى شديد القوة والقدرة والحكمة ونسب هذا القول الى الحسن (ثم اخبر) اى بعد قسمه و براءة ساحته (عن فضيلته بقصة الاسراء) اى بقضية المعراج المبتدأ بعد الاسراء الى المسجد الاقصى كما اشار اليه بقوله (وانتهائه الى سدرة المنتهى) اى بقوله تعالى ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى وهى عند اكثر المفسرين شجرة نبق فى السماء السابعة عن يمين العرش ينتهى اليها علم الخلائق (وتصديق بصره فيما رأى) اى بقوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى يعنى ما رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ببصره من صورة جبريل او من ذاته سبحانه اى ما كذب قلبه بصره بما حكاه له فان الامور القدسية تدرك اولا بالقلب ثم بالبصر او ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قاله لكذب لانه عرفه بفؤاده كما راءاه بصره يقينا لا تخييلا اذ قد سئل هل رأيت ربك قال رأيته بفؤادى والجمع بين روايات المحدثين وقول المفسرين واختلاف الصحابة والتابعين انه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه مرتين مرة ببصره واخرى ببصيرته هذا وقيل الضمير فى رأى عائد على الفؤاد نفسه اى ما كذب الفؤاد ما رآه بل صدقه و تحققه والرؤية ههنا حينئذ بمعنى العلم وكذب بالتخفيف ككذب بالتشديد كما قرئ بهما (وانه رأى من آيات ربه الكبرى) اى بقوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى اى رأى ليلة الاسراء عند عروجه الى السماء بعض آياته الملكية والملكوتية او كلها فمن مزيدة والكبرى صفة الايات (وقد نبه) اى الله سبحانه وتعالى (على مثل هذا) اى رؤيته من آيات ربه (فى سورة الاسراء) اى بقوله لنريه من آياتنا والاظهر ان قوله لنريه من آياتنا فى المسجد الاقصى وقوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى فى السموات العلى (ولما كان ما كاشفه) اى الذى رآه (عليه السلام) اى برؤيته بمعنى اطلع عليه ورآه ابتداء لا بمعنى رفع غطاء، وان زعم لانه اوار اده هذا المعنى لقال وكشفه ولعدم مناسبته للمقام اذ لا يقال رفع غطاء ماهنالك (من ذلك الجبروت) بفتحتين فعلوت مبالغة من الجبر بمعنى القهر كالعظموت من العظمة والمراد انه رأى ما يدل عليه اذ هو معنى والمعنى لا يشاهد بالبصر الظاهر الا ان تحمل الرؤية على رؤية البصيرة فالمراد بها العلم والمعرفة (وشاهده من عجايب الملكوت) مبالغة من الملك كالرهبوت من الرهبة والرحموت من الرحمة والمحققون على ان الملك ظاهر السلطنة والملكوت باطنها وقيل المراد بالملك العالم السفلى وبالملكوت العلوى (لا تحيط به العبارات) اى لا تشمله انواع التعبيرات ولا تحويه اصناف التفسيرات لقصور الافهام عن ادراكه على وجه الحقيقة والجملة خبر كان (ولا تستقل) بتشديد اللام اى لا تستبد (بحمل سماع ادناه) اى اقله (العقول) لعجزها عن حمل اقله فضلا عن حمل اكثره (رمز) جواب لما اى اشار الله سبحانه وتعالى (عنه) اى عما كاشفه صلى الله تعالى عليه وسلم واطلع عليه (بالايماء) متعلق برمز ولعل الايماء اغمض من الرمز فى الانباء من جهة الاخفاء كالاشارة بالعين والحاجب ونحوهما (والكناية) عطف على الايماء والمراد بهما التلويح وترك التصريح بدليل قوله (الدال على التعظيم) والحاصل انه سبحانه وتعالى رمز واومأ وكنى عما كاشفه بما المبهمة الدالة على الفخامة والعظمة (فقال فاوحى) اى جبريل او الله تعالى (الى عبده) اى عبده الخاص الواصل الى مقام الاختصاص صلى الله تعالى عليه وسلم (ما اوحى) اى شيئا عظيما لا يعلم كنهه سواه ففى ابهامه من التفخيم ما ليس فى ايضاحه وقيل المعنى فاوحى الله الى عبده جبريل ما اوحاه جبريل الى محمد عليه الصلاة والسلام وقد قال بعضهم اوحى الى عبده ان لا يدخل احد من الامم الجنة قبل امته ولعل المعنى ان هذا من جملة ما اوحى (وهذا النوع) اى الرمز بالكناية والايماء (من الكلام) اى من انواعه (يسميه اهل النقد) اى النظر السديد (والبلاغة) اى الفصاحة والمراد العارفون بجيد الكلام وبهرجه تشبيها لهم بصيارفة الذهب والفضة (بالوحى والاشارة) اى هنا لعدم الصراحة بالموحى به والمشار اليه فهما اسمان لمعنى واحد اذ هما احد ما صدقاته كالكناية والالهام والكلام الخفى قد يتفاوت وضوحا وخفاء (وهو) اى النوع المسمى بهما (عندهم ابلغ ابواب الايجاز) اى من حيث انه جوامع الكلم المشابهة لكونها مبهمة للالغاز حيث فيها مبان يسيرة ومعان كثيرة يذهب فيها الفكر كل مذهب يمكن الانصراف اليها هذا وقيل كل كلام اما ناقص عن معناه او مساوله او زائد عليه ايجازا او مساواة او اطنابا و اعلاها الاول من حيث ان المعانى هى المقاصد والعبارات طرق لها فكلما قلت العبارة كان ذلك كالاقرب فى الطريق فكان احق بالسلوك ويليه المساواة فى الاستحسان لاقتفائه اياه فى القرب واكثر صياغة العبارات مصوغة عليها والاطناب كالابعد فى الطريق فتراه متروكا غالبا الا فيما يحتاج اليه من باب الخطب والمواعظ ومقام التوكيد ولكل مقام مقال بحسب اختلاف الاحوال كما قال قائلهم

(يومون بالخطب الطوال وتارة * وحى الملاحظ خيفة الرقباء)

(وقال تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى) اى الدالات على عظمته تعالى (انحسرت الافهام) جمع فهم وهو عبارة عن ازالة الوهم المستولى على القلب يقال فهم كذا اذا عقله والمعنى كلت العقول (عن تفصيل ما اوحى) اى اليه اذ لا تحيط به حد ولا تحصيه عد والمراد بتفصيل الشئ بيان اجزائه مفصلة واقرب التلمسانى حيث فسره بالتمييز (وتاهت الاحلام) اى وذهبت العقول متحيرة (فى تعيين تلك الايات الكبرى) فلم تهتد الى معرفة شئ منها لكثرتها وفى نسخة فى تصور تلك الايات اى تبيينها وتصويرها والعقل محله القلب لقوله تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها (قال القاضى ابو الفضل) كذا فى نسخة (واشتملت) اى دلت (هذه الايات) اى السابقة (على اعلام الله) مصدر مضاف الى فاعله اى على الجاره سبحانه وتعالى (بتزكية جملته) اى بتطهير ذاته وتنقية صفته عليه السلام (وعصمتها) اى وبحفظ الله جملته (من الافات) اى التى تجرى (فى الدوات فى هذا المسرى) بفتح الميم والراء مصدر ميمى او اسم مكان (فزكى فؤاده) اى مدح الله قلبه (ولسانه وجوارحه) اى اعضاءه التى يكتسب العمل بها وينسب الفعل اليها والمراد هنا بصره لما سيجئ فى بيان حصره (فقلبه) وهو تفصيل لما اجمله والظاهر كما فى اصل الدلجى وغيره فزكى قلبه (بقوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى) وتقدم ما يتعلق به من المعنى (ولسانه بقوله تعالى وما ينطق عن الهوى) اى لا يصدر نطقه عن هواه بل بوحى من الاله جليا كالكتاب او خفيا كالسنة وقد تعلق بظاهر الاية من لم يجوز له الاجتهاد وهو بعيد عن طريق السداد وعن استنباط المعنى المراد واما ما ذكره ابن عطية من ان ضمير ينطق عائد الى القرآن وان لم يجر ذكره لدلالة الكلام عليه اى لا ينطق هذا القرآن بشهوتكم ومرادكم ونسب النطق اليه من حيث يفهم منه الامور كلها قال تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق فغير ملائم لمقام المرام (وبصره بقوله تعالى ما زاغ البصر) اى ما مال عما رآه الى ما سواه وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لم يحول بصره عما رآه الى جهة من الجهات (وما طغى) اى ما تجاوز وما تعدى عن رؤية ما امر برؤيته فى المقام الاعلى بل تثبت فيه ورآه رؤية صحيحة مستقيمة من غير وجل ودهشة وحيرة هذا وقد بقى الكلام على بقية الايات فيما بين ذلك وهو قوله سبحانه وتعالى ذو مرة فاستوى وظاهره ان الضمير فى استوى لجبريل عليه الصلاة والسلام والكناية قوله تعالى وهو بالافق الاعلى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولا مانع من عكس الترتيب فى هذا التركيب ولا يبعد ان يكون الضميران يرجعان الى احدهما والجملة حالية واما جعل الضمير لله سبحانه وتعالى فهو غير ظاهر كما لا يخفى ثم قوله تعالى دنا فتدلى اى دنا جبريل من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فتدلى وزاد فى القرب وقيل اى دنا محمد من ربه فتدلى واما قوله تعالى فكان قاب قوسين او ادنى اى مقدارهما بل ادنى فهو كناية عن كمال القرب فان كان بين الرسولين فلا اشكال وان كان بين الله ورسوله فهو كناية عن المكانة او من الايات المتشابهات وقد ذكرت بعض الفوائد المتعلقة باوائل سورة النجم فى رسالتى المعمولة للمعراج (وقال تعالى فلا اقسم بالخنس) اى بالكواكب الرواجع من خنس اذا تأخر وهى ما عدا النيرين وهو زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد ومجموع السبعة السيارة نظمت فى قوله شعر

(زحل شرى مريخه من شمسه * فتزاهرت لعطارد الاقمار)

(الجوار الكنس) اى السيارات التى تختفى تحت ضوء الشمس من كنس الوحش اذا دخل كناسه اى بيته (الى قوله تعالى وما هو بقول شيطان) وهو كل متمرد من الجن والانس والدواب قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (رجيم) اى مرجوم ومطرود ومبعد وما بينهما هو قوله سبحانه وتعالى والليل اذا عسعس اى اقبل او ادبر والاول انسب بقوله تعالى والصبح اذا تنفس اى اسفر قال المصنف (لا اقسم اى اقسم) يعنى على القول بزيادة لا والا فالمعنى فلا عبرة بما قالوا فى حق القرآن وفى شأن المنزل عليه بل اقسم اى بما ذكر (انه) اى القرآن (لقول رسول) اى قاله عن ربه (كريم) اى اكرم معظم (عند مرسله) وهو الله سبحانه وتعالى (ذى قوة) اى صاحب قوة وقدرة (على تبليغ ما حمله) بتخفيف الميم على صيغة الفاعل وكذا يجوز بصيغة المفعول مشددا وكذا بصيغة الفاعل على ما ضبطه فى بعض النسخ (من الوحى) اى مما اوحى اليه من الحق الى الخلق (مكين) اى ذى مكانة ومنزلة عليه عارية عن المقصة فى مرتبته (اى متمكن المنزلة) اى المقدار ولكون المكانة على حسب حال المكين قال عند ذى العرش مكين تلويحا بعظم مكانته ومنزلته وعلو مرتبته كما اشار اليه المصنف بقوله (من ربه رفيع المحل) بفتح الحاء ويجوز كسرها اى على الشأن (عنده) اى عند الله سبحانه وتعالى عندية منزهة عن المكان والزمان وقوله تعالى عند ذى العرش متعلق بقوله تعالى ذى قوة او بمكين (مطاع) اى ذى اطاعة مع كونه صاحب طاعة (ثم) بفتح المثلثة (اى فى السماء) اذ قد بلغ فيها ليلة الاسراء ملائكة السماء فاطاعوه واجمع فى ذلك الانباء وقرئ بضم المثلثة فالمراد بها التراخى فى الرتبة (امين) اى مأمون على تحمل ما اوحى اليه وتبليغ ما انزل عليه ومقبول القول لديه والظرف يحتمل وصله بما بعده وما قبله (قال على بن عيسى)

اى الرمانى النحوى المنسوب الى رمان الفاكهة وبيعه اوالقصر الرمان موضع معروف بواسط وهو من اصحاب ابن دريد مات سنة اربع وثمانين وثلاثمائة وهو صاحب كتاب النكت فى اعجاز القرآن امام مشهور فى سائر العلوم وعن ابن السراج انه تمذهب الى الاعتزال والله تعالى اعلم بالحال (وغيره) اى من ارباب المقال (الرسول الكريم) كان الاولى ان يقول رسول كريم (هنا) اى فى هذا المقام العظيم (محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فجميع الاوصاف) اى المذكورة هنا (بعد) اى بعد ذكره وفى نسخة تعد بضم منقوطة بنقطتين وفتح عين وتشديد مهملة اى تذكر (على هذا) اى على هذا القول (له) اى لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال غيره) اى غير على بن عيسى وهم الاكثرون من العلماء (هو) اى الرسول الكريم (جبريل عليه السلام فترجع الاوصاف اليه) اى بخلاف وماصاحبكم بمجنون فان المراد به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم باجماع المفسرين وذلك ان المشركين قالوا ياايها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون فنفى الله سبحانه وتعالى عنه ذلك بهذه الآية وبقوله سبحانه وتعالى ما انت بنعمة ربك بمجنون وقد تمسك بعض المعتزلة وطائفة من اهل السنة فى تفضيل الملائكة بعده فضائل جبريل عليه الصلاة والسلام واقتصاره على نفى الجنون عنه صلى الله تعالى عليه وسلم وضعف بان المقصود منه نفى قولهم انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا ام به جنة لاعد فضلهما والموازنة بينهما (ولقد رآه) اى بالافق المبين (يعنى) اى يريد الحق سبحانه وتعالى بالرائى (محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم قيل) اى نقل عن ابن مسعود وغيره (رأى) اى محمد (ربه) وقدم هذا القول لانه اوفى الغرض الذى هو مدح الرسول (وقيل رأى) اى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (جبريل فى صورته) اى التى خلق عليها فقيل ان ذلك اشارة الى رؤيته اياه عند سدرة المنتهى وقيل انه اشارة الى رؤيته اياه فى غار حراء حين رآه على كرسى بين السماء والارض حسبما ثبت فى الصحيح (وماهو) اى ليس النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (على الغيب) اى على مايخبر به مما اوحى اليه وغيره من الامور الغيبية (بظنين) بالظاء المشالة وهو قراءة ابن كثير وابى عمرو والكسائى (اى بمتهم) يعنى من الظنة وهى التهمة (ومن قرأه بالضاد فمعناه ماهو ببخيل) اى فى تبليغ رسالته الى عموم امته من الضنة وهى البخل (بالدعاء به) متعلق ببخيل اى بدعائه الخلق الى الحق وفى رواية كما فى نسخة بالدعاية بالتحتية كالبداية وقيل هى من الادعاء اذا قال فى الحرب انا فلان كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزوة حنين انا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب (والتذكير بحكمه) اى وبتذكيرهم باحكام ربهم (وبعلمه) يحتمل ان يعود ضميره الى الحكم اى وليس ببخيل بعلم كونه واجبا اومندوبا اوحراما اومكروها اومباحا لهم ويحتمل عوده اليه صلى الله تعالى عليه وسلم اى ولا يبخل ان يعلمهم اياه كما علمه ولا يكتم شيئا (وهذه لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم) اى وهذه الاية وهى وما هو على الغيب بظنين على القراءتين صفة لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم (باتفاق) اى من المفسرين اذ لم يقل احد يعود ضمير هو الى جبريل عليه الصلاة والسلام (وقال تعالى ن) اسم للحرف اوالحوت واريد به الجنس اوالحوت الذى عليه الارض اوالدواة فان بعض الحيتان يخرج منه شئ اشد سوادا من الحبر يكتب به ويبصر الاول سكونه ورسمه بصورة مسماه ويؤيد الثانى قوله تعالى ولاتكن كصاحب الحوت وحينئذ فالانسب ان يراد به ذلك الحوت بعينه اوالمراد جنسه الداخل فيه ويقوى الثالث قوله تعالى (والقلم) وهو ماكتب به اللوح المحفوظ اومايكتب به مطلقا (ومايسطرون) اى يكتبون والكتبة هم الحفظة كراما كاتبين اوالاعم والله اعلم (الايات) اى الواردة فى اول السورة فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم من حسن السيرة والصورة (اقسم الله تعالى بما اقسم به) لكثرة فوائده (من عظيم قسمه) اى تعظيما وتكريما فى تخصيص ذكره (على تنزيه المصطفى) اى تبرئته وتبعيده (مما غمصته) بمعجمة ومهملة بينهما ميم اى عابه واحتقره (الكفرة به وتكذيبهم له) اى وعلى تكذيبهم للمجتبى فى قولهم له انه كذاب وساحر ومجنون (وآنسه) من باب الافعال اوالتفعيل اى جعله ذا انس بقربه ومستأنسا بحبه (وبسط امله) اى نشر مأموله ومقصوده واكثر رجاءه فيما شاءه (بقوله محسنا) من باب التفعيل اوالافعال حال من ضمير ما قبله اى مزينا (خطابه) فى كتابه بقوله (ما انت بنعمة ربك بمجنون) جواب القسم فى الاية ومقول القول فى الاصل اى ما انت بمجنون منعما عليك بالنبوة وغيرها والمعنى انهم مجانين حيث قالوا انك لمجنون والحال انك اعقل العقلاء وافضل العلماء واكمل العرفاء وسيد الانبياء وسند الاصفياء والاولياء (وهذه) اى الحلة العظمية اوالمنقبة الجسيمة المأخوذة من قوله آنسه وبسط امله اوالتأنيث باعتبار الخبر وهو قوله (نهاية المبرة فى المخاطبة) اى غاية الاحسان والمطاوعة فى المكالمة والمجاوبة (وعلى درجات الادب فى المحاورة) اى المراجعة والمرادة (ثم) اى بعد ان نزهه وبرأه عما لايليق به مما نسبوا اليه (اعلمه بماله عنده من نعيم دائم) اى ابد الآبدين (وثواب غير منقطع) اى غير ممتنع فى زمان وحين (لاياخذه عد) اى لايضبطه عد ولا يحيط به حد (ولايمتن به عليه) من الامتنان اى ولا يجعله تحت الامتنان مع ان له المنة فى الاحسان افتعال من المن وهو الاحسان الذى تمن به على غيرك وفى نسخة ولايمن به عليه يقال من

وامتن عليه انما عدّ عليه بمعروف اسداه اليه حتى قد وقيل الامتنان ضد الصنيع لاظهار الفضل (فقال وان لك لاجرا غير ممنون) اى غير منقطع او غير ممنون به عليك فانه يعطيك بلا واسطة (ثم اثنى عليه بما نحه) اى اعطاه (من هباته) جمع هبة اى موهباته وتفضلاته (وهداه اليه) اى ودله عليه والحاصل ان المصنف رحمه الله تعالى جمع بين اقوال المفسرين فى معنى قوله غير ممنون اى غير منقطع وهو قول الاكثر او غير محسوب ولا معدود وهو قول طائفة او غير ممتن به وهو قول ضعيف ذكره الهروى فى غريبه (واكد ذلك) اى الذى جعله على ما منحه (تتميما للتمجيد) من المجد وهو الكرم والعظمة اى تكميلا للتعظيم والتكريم بنسبته اليه (بحرفى التأكيد) وهما ان واللام (فقال وانك لعلى خلق عظيم) قيل استعظمه لفرط احتماله اذى قومه مع ما لقيهم فى عداوتهم وهو يقول اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون (قيل) فى تفسير خلقه العظيم (القرآن) اى ما فيه من مكارم الاخلاق ومن ثم قيل هو ما امره الله بقوله خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين وورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فى تفسيره صل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك وهذا القول هو المروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها انها لما سئلت عن خلق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالت كان خلقه القرآن يرضى رضاه ويسخط بسخطه (وقيل الاسلام) وهو المنقول عن ابن عباس والمراد بالاسلام ههنا هو التوحيد الحقيقى والانقياد الظاهرى والباطنى لاوامر الله واحكامه وقضائه وقدره كما قال تعالى لابراهيم عليه الصلاة والسلام اسلم قال اسلمت لرب العالمين (وقيل الطبع الكريم) ولذا كان يخالق الناس بمكارم الاخلاق ويخالطهم بالطفه وارفاقه وهو المنقول عن الماوردى (وقيل ليس لك همة) اى مقصد وهمة (الا الله) اى الذى بيده كل رحمة ونعمة فكان مع الخلق بقالبه مباينا لهم بقلبه وهذا منسوب الى الجنيد (قال الواسطى اثنى عليه بحسن قوله) اى اثنى الله على نبيه بقوله الحسن (وحسن اقباله) اى ذى المنن (لما اسداه اليه من نعمه) اى لما اوصله اليه واولاه من نعمه الظاهرة والباطنة فى دنياه واخراه (وفضله بذلك) اى بما ذكر (على غيره) اى من جميع خلقه (لانه جبله) اى طبعه وخلقه (على ذلك الخلق) وفى نسخة على تلك الخلق فالخلق بمعنى الخصلة او السجية (فسبحان اللطيف) اى بعباده يرزق من يشاء (الكريم) اى الذى وسع كرمه كل شئ (المحسن) اى الذى لا يستغنى احد عن احسانه وبره وامتنانه (الجواد) اى الكثير العطاء والجود بالنسبة الى كل موجود (الحميد) الذى يحمده كل احد من مخلوقاته وهو حامد لانبيائه واصفيائه القائمين بوظائف طاعاته وعباداته وفى اصل الدلجى المجيد اى ذى المجد والكرم فى الحديث القدسى والكلام الانسى وذلك انى جواد ماجد رواه الترمذى والبيهقى (الذى يسر الخير) اى سهله وفى نسخة للخير اى هيأ اهله له كما قال تعالى فسنيسره لليسرى (وهدى اليه) اى ودله عليه كما قال تعالى وهديناه الى صراط مستقيم (ثم اثنى على فاعله) اى فاعل الخير نحو قوله تعالى انه من عبادنا المخلصين (وجازاه عليه) اى اثابه بما منحه عليه فى الدنيا ووعده بالمزيد فى العقبى نحو قوله تعالى ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم هذا (وسبحان) اسم للتسبيح بمعنى التنزيه وقد يجعل علما له فيقطع من الاضافة ويمنع الصرف ثم نصبه بفعل ترك اظهاره ويصدر به الكلام للتنزيه عن السوء واللام فهذا ايضا معنى قوله (سبحانه) بدلا مما قبله (ما اغمر) بالغين المعجمة فميم وراء وفى نسخة ما اعم (نواله) بفتح النون والصيغة للتعجب اى ما اكثر عطاءه (واوسع افضاله) بكسر الهمزة اى بره واحسانه (ثم سلاه) من التسلية وهى التعزية والتهنئة والمعنى ازال عنه ما حزبه من الغم وكربه من الهم (بعد هذا) اى بعد هذا المدح والثناء ووعد البر والعطاء واهمل الدلجى حيث قال اى بعد ما قالوه (عن قولهم) متعلق بسلاه اى عن مقول الكفار فى حقه مما لا يليق بجنابه وهو فى اصل الدلجى متصل بسلاه وقوله بعد هذا (بما وعده به من عقابهم) بضم العين اى من سوء عاقبتهم الذى هو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين وفى نسخة من عقابهم اى بعذابهم وجزائهم (وتوعدهم) اى وبما اوعدهم وخوفهم (بقوله تعالى فستبصر ويبصرون الثلاث آيات) اى الى قوله تعالى وهو اعلم بالمهتدين وهو منصوب باعنى او اقرأ ويجوز رفعه وخفضه كما تقدم والضمير فى فستبصر للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفى ويبصرون للكفار وهذا الابصار اما فى هذه الدار واما فى دار القرار للابرار وفى دار البوار للفجار والمعنى فسترى او فستعلم ويبصرون بايكم المفتون اى ايكم الذى فتن بالجنون والباء مزيدة او بايكم الجنون على ان المفتون مصدر بمعنى الفتنة كما قالوا ليس له معقول اى عقل ما فالمعنى بايكم الفتنة وهى كناية عن الفساد والجنون الذى زعموه به او باى الفريقين الجنون افريق المؤمنين ام بفريق الكافرين اى فى ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم والباء على هذا ظرفية وخلاصته فى اى فريق منكم الرجل المفتون ثم ختم الله سبحانه وتعالى الآية بوعيدهم ووعد نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم فاوعدهم بقوله تعالى ان ربك هو اعلم بمن ضل

عن سبيله ووعده بقوله تعالى وهو اعلم بالمهتدين فكانه قال هو اعلم بالمجانين على الحقيقة واليقين وهو اعلم بالمهتدين بحيازتهم كمال العقل فى الدين (ثم) اى بعد ان مدحه الله وسلاه متوعدا اياهم (عطف) اى انثنى وكر (بعد مدحه صلى الله تعالى عليه وسلم على ذم عدوه) قيل هو الاخنس بن شريق وكان ثقفيا ملصقا فى قريش والاظهر انه الوليد بن المغيرة ونقل الثعلبى فى تفسيره انه ابوجهل ونسب هذا الى ابن عباس رضى الله عنهما ايضا وقيل هو عتبة ابن ربيعة وكثير من المفسرين على ان جميع الصفات التى فى هذه الايات انماجاءت اجناسا ولم يرد بها رجل بعينه بل المراد ان كل من يكون متصفا بوصف منها فلا تطعه فيها (وذكر سوء خلقه) اى وعلى ذكر سوء خلق عدوه (وعد معايبه) اى وعلى تعداد قبائح مبغضه (متوليا) اى مباشرا بنفسه (ذلك بفضله) اى من غير وجوب شئ عليه (ومنتصرا لنبيه صلى الله تعالى وسلم) اى منتقما لاجله من اعدائه (فذكر) اى الله سبحانه وتعالى فى كلامه بعد ذلك (بضع عشرة) بسكون الشين وتكسر وروى بضعة عشر (خصلة) بفتح الخاء اى خصلة قبيحة وخلة ذميمة والبضع بفتح الموحدة ويكسر مابين الثلاث الى التسع وهذا هو المشهور واراد المصنف احدى عشرة خصلة وهذا على قول من يقول بدؤه الواحد ومنتهاه العشرة لانه قطعة من العدد ويجرى فى التذكير والتانيث مجرى العدد المركب (من خصال الذم فيه) اى من بعض الخصال المذمومة فى عدوه (بقوله فلا تطع المكذبين) تهييج لتصميمه على معاصاتهم (الى قوله تعالى اساطير الاولين) وهو قوله ودوا لو تدهن فيدهنون اى اوتلين فتدع نهيهم عن الشرك فيلاينون ايضا اليك فى بعض ماتدعوهم اليه وذلك ان قريشا قالوا فى بعض الاوقات لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم او عظمت آلهتنا لعبدنا آلهك وعظمناه فنهاه الله عن ذلك بقوله فلا تطع المكذبين ودوا لو تدهن فيدهنون ولا تطع كل حلاف اى كثير الحلف حقا وباطلا وكفى به زاجرا لمن اعتاد الحلف حيث يخاف عليه من الكذب كما ورد كفى بالمرء كذبا ان يحدث بكل ماسمع مهين اى ذى مهانة وحقارة وحاصله انه ضعيف وحقير وزنه فعيل لا مفعول والميم اصلية لازائدة هماز عياب فى اعراض الناس مشاهدة مغتاب فى حقهم غيبة مشاء بنميم نقال للحديث على وجه السعاية للفساد والنم مصدر كالنميمة وهو نقل القبائح مناع للخير اى كثير المنع منه فقيل المراد بالخير هو المال فعلى هذا هو وصف بالشح وقيل بل هو على عمومه فى المال وجميع افعال الخير والخصال معتد متجاوز فى الظلم اثيم كثير الاثم عتل جاف غليظ من عتله اى دفعه بعنف وشدة بعد ذلك اى بعد ماعد من مثالبه ومعايبه زنيم اى دعى كالوليد بن المغيرة ادعاه ابوه بعد ثمانى عشرة سنة من مولده قيل ان الله سبحانه وتعالى لايعيب احدا بالانساب ولكن ذكره ليعرف بذلك وما احسن قول حسان

(وانت زنيم نيط فى آل هاشم * كما نيط خلف الراكب القدح الفرد)

ان كان ذامال وبنين علة لمابعده وقرأ حمزة وشعبة بهمزتين فالتقدير الآن كان ذامال كثير وبنين متعددة قيل كانوا عشرة وقيل اثنى عشر اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين اى قال ذلك حين تليت عليه والاساطير جمع اسطورة بضم الهمزة كاحدوثة واحاديث وقيل الاساطير جمع اسطار والاسطار جمع سطر بفتح الطاء كذا فى حاشية الحجانى وفى القاموس السطر الصف من الشئ كالكتاب والشجر وغيره وجمعه اسطر وسطور واسطار وجمع الجمع اساطير والخط والكتابة ويحرك فى الكل انتهى واراد الكافر به الاباطيل المنسوبة الى المتقدمين وقائله النضر بن الحارث وسببه انه دخل بلاد فارس وتعلم اخبار رستم وغيره (ثم ختم) اى الله سبحانه (ذلك) اى ماذكره من مثالب ذلك الشقى (بالوعيد الصادق) وفى نسخة بالوعيد الصدق (بتمام شقائه) اى تعبه اوكمال شقاوته (وخاتمة بواره) اى هلكه ودماره بقوله تعالى (سنسمه على الخرطوم) اى سنكويه على انفه اهانة له وخص الانف لان السمة عليه ابشع وظهورها اشنع واشيع وقيل اى نجعل على وجهه يوم القيمة سمة سواد تكون منبهة عليه ومعرفة به قبل دخوله النار كما قال تعالى الله يعرف المجرمون بسيماهم اومعناه انه يعذب اذذاك بنار تجعل على انفه فتكون فيه كالسمة وقيل هذا فى الدنيا وهى كناية عن ضربة يضرب بها وجهه وانفه فتبقى فيه كالسمة قالوا وقد حل ذلك يوم بدر على انف الوليد جراحة ظاهرة وعلامة باهرة وقيل ليس السمة هنا على حقيقتها وانما هى كناية عن شهرته بمايبقى له مذموما ولايمكنه اخفاؤه كالموسوم بسمة على انفه والخرطوم فى الاصل انما هو للسباع كالفيل واستعمل فى الآية للانسان استعارة واشارة الى انه شبيه بالحيوان صورة وسيرة كما قال تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون اى الكاملون فى الغفلة عن الحضرة وقيل انما عدل عن الانف الى الخرطوم لان الانف محل العز والانف ولا كذلك الخرطوم لانه محل المذلة والاهانة ولذا قيل الانف فى الانف وقيل الخرطوم الوجه كله وهذا فى الانسان وربما قيل له فى الانف كغيره ويحمل الكلام وزبدة المرام فى هذا المقام اى سنجعل له سمة اى علامة على الخرطوم اى انفه اما حسا كضرب انفه بالسيف يوم بدر وبقيت

علامة في انفه حتى يأنف من انفه او يكون سوادا في وجهه زائدا عن غيره من الكفار في الدنيا لشدة عناده وعتوه واما معنى كونه ذكره بالذم والمقت والاشهار بالشر بحيث لا يخفى ذلك بوجه فيكون ذلك كوسمة على انفه ويمكن تحقق الجمع في حقه (فكانت نصرة الله له) اى لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم على عدوه (اتم من نصرته) عليه الصلاة والسلام بنفسه (لنفسه) اى فان من كان الله كان الله له (ورده) اى كان رده (تعالى على عدوه ابلغ من رده) صلى الله تعالى عليه وسلم (واثبت في ديوان مجده) اى في ديوان كرمه وشرفه وهو بكسر الدال وتفتح والجمع دواوين ودياوين واصله دوان بالفارسية وذلك ان كسرى امر كتابه ان يجتمعوا في دار واحدة ليعملوا حساب السواد في ثلاثة ايام واعجلهم فيه واطلع عليهم لينظر ما يصنعون فنظر اليهم فرآهم يحسبون باسرع ما يمكن ويسجلون كذلك فعجب من كثرة حركتهم فقال ان دوانه اى هؤلاء مجانين وقيل شياطين ثم قيل في كل محل ديوان واول من دون في الاسلام عمر رضى الله تعالى عنه

(الفصل السادس)

(فيما ورد من قوله تعالى في جهته) اى في حقه (عليه الصلاة والسلام مورد الشفقة والاكرام) اى مورد الرحمة والكرامة وهو منصوب على المصدرية (قال الله تعالى طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى قيل طه اسم من اسمائه عليه الصلاة والسلام) اى لحديث تقدم لي عند ربي عشرة اسماء وذكره منها طه وهو في حساب العدد المرموز في ابجد اربعة عشر ايماء الى انه بدر وجهه في غاية من النور ونهاية من الظهور (وقيل هو اسم لله تعالى) قاله ابن عباس رضى الله عنهما ولعله اشارة الى الطاهر والهادي والمعنيان صادقان في حق الله تعالى ورسوله حقيقة ومجازا وقد قيل المعنى طوبى لمن اهتدى بك (وقيل معناه يا رجل) اى في لغة عك ولعل اصله ياهذا فقلبوا ياء طاء واقتصروا على ها (وقيل) اى في معناه (يا انسان) قلبوا واتوا بهاء السكت كذا ذكره الدلجي ووجهه غير ظاهر مع ان هاء السكت انما يكون ساكنا والاظهر ان اصله ياهذا المراد به الرجل او الانسان (وقيل هي حروف مقطعة) اى يراد بهما حروف هجائية ثنائية (لمعان) اى موضوعة لمعان ابهامية والله اعلم بمراده بالطريقة القطعية (قال الواسطي اراد ياطاهر) وفي معناه ياطيب (ياهادي) اى اراد بالطاء افتتاح اسم وبالهاء ابتداء اسم (وقيل هو امر من الوطء) اى بالهمز والهاء كناية عن الارض فامر بان يطأ الارض بقدميه فانه كان يقوم في تهجده على احدى رجليه واصله طأ قلبت همزته هاء او طأها قلبت همزته الفا واورد عليه كتابتهما على صورة الحرف وكذا على القول بان اصله ياهذا واجيب بانه اكتفى بشطري الكلمتين وعبر عنهما باسمهما على صورة مسماهما في رسمهما (اى اعتمد على الارض بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم واحدة) اى فانه شاق عليك (وهو قوله) تعالى (ما انزلنا عليك القرآن لتشقى) اى لتتعب في امر العبادة بل المراد به انك تعبد على وجه الراحة فانك امامهم بالحنيفية السمحة ثم الشقاء شائع بمعنى التعب ومنه سيد القوم اشقاهم ولعل الحكمة في عدوله عن تتعب للاشعار بانه انزل عليه ليسعد بحكم الضد او لمراعاة الفواصل الآتية (نزلت) وفي نسخة نزلت (الآية) اى اول سورة طه (فيما كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل) اى حتى تورمت قدماه وذلك لانه قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بآية من القرآن ليلة كما رواه الترمذي عن عائشة رضى الله تعالى عنها وروى ايضا عن ابي هريرة رضى الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصلي حتى تورم قدماه قال فقيل له اتفعل هذا وقد جاءك ان الله تعالى قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال افلا اكون عبدا شكورا (حدثنا) وفي نسخة اخبرنا (القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن) اى ابن علي ابن شبرين بمعجمة مكسورة وباء موحدة ساكنة وبعد الراء نون من اسفل احد العلماء الصالحين من رجال الاندلس مات سنة ثلاث وخمسمائة باشبلية (وغير واحد) اى وكذا حدثنا جمع كثير (عن القاضي ابي الوليد الباجي) بموحدة وجيم هو سليمان بن خلف بن سعد بن ايوب بن وارث التجيبي القرطبي الذهبي صاحب التصانيف نسب الى باجة مدينة بقرب اشبيلية وقيل هو من باجة القيروان والذي ينسب اليها ابو محمد الباجي الحافظ مات بالمرية سنة اربع وسبعين واربعمائة قيل كان يحضر مجلسه اربعون الف فقيه روى عنه الخطيب وابن عبد البر وهما اكبر منه والحميدي وابو علي الصدفي وغيرهم (اجازة) اى من طريق الاجازة (ومن اصله) اى كتابه الذي قرأ فيه على مشائخه (نقلت) فكان في سنده اجازة ومناولة (قال حدثنا ابو ذر الحافظ) اى المشهور بحفظ الحديث يعني به الهروي واسمه عبد الرحمن بن احمد بن محمد بن عبد الله بن غفير بن محمد بن خليفة بن ابراهيم المالكي توفي في ذي القعدة سنة خمس وثلاثين واربعمائة في الحرم مجاورا فيه وهو منسوب الى الهرة بفتح الهاء والراء مع تشديده ودون همز موضع بين مكة

والطائف واما الهراة فموضع بين مكه وعسفان كذا ذكره التلمساني واماهراة بالكسر بلا همزة فبلدة عظيمة بخراسان قال الحلبي وسمع منه جماعة وروى عنه بالاجازة جماعة منهم الخطيب وابن عبدالبر وغيرهما (قال حدثنا ابو محمد الحموى) بفتح المهملة وضم الميم المشددة وكسر الواو وياء نسبة الى جده حمويه وهو عبدالله ابن محمد ابن حمويه السرخسي توفى سنة احدى وثمانين وثلاثمائة (حدثنا ابراهيم بن خزيم) بضم خاء معجمة وفتح زاى قال التلمساني هو ابو اسحق ابراهيم بن عثمان بن خزيم (الشاشي) بشينين معجمتين واما الشامي على ما في بعض النسخ فتصحيف (حدثنا عبد بن حميد) بالتصغير اى ابن نصر القرشي الكشي بكاف وشين له تأليف في كتاب الله العزيز ومعانيه توفى سنة تسع واربعين ومائتين قال الحلبي هو مصنف المسند وقد قرأت منتخبه بالقاهرة سمع يزيد بن هارون ومحمد بن بشر العبدى وعلى بن عاصم وابن ابى فديك وغيرهم روى عنه مسلم والترمذى وعلق عنه البخارى في دلائل النبوة من صحيحه فسماه عبدالحميد (حدثنا هاشم بن القاسم) هو ابو النصر يعرف بقيصر التميمي روى عن ابن ابى ذئب وعكرمة وعنه احمد والحارث ابى اسامة اخرج له الجماعة توفى سنة سبع ومائتين (عن ابى جعفر) هو محمد بن على بن الحسين بن على ابن ابى طالب هو والد جعفر بن محمد الصادق توفى عام عشرة ومائة وقال الحلبي ابو جعفر هذا اختلف في اسمه فقيل عيسى بن ابى عيسى بن هامان مروزى كان يتجر الى الرى روى عن عطاء وابن المنكدر وعنه جماعة اخرج له الاربعة (عن الربيع بن انس) هو ولد انس بن مالك صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وخديجة رضى الله تعالى عنه قال الحلبي الربيع تابعي وهو بفتح الراء بصرى نزل خراسان وروى عن انس وابى العالية وعنه الثورى وابن المبارك قال ابو حاتم صدوق توفى سنة تسع وثلاثين ومائة اخرج له الجماعة (قال كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى فانزل الله تعالى طه يعنى طأ الارض يا محمد ما انزلنا عليك القرآن لتشقى الآية) اى الا تذكرة لمن يخشى اى لكن انزلناه موعظة لمن يخاف مخالفة المولى ويتبعه بالطريق الاولى فهذا الحديث اسنده المصنف هنا من تفسير عبد بن حميد عن الربيع بن انس مرسلا ورواه ابن مردويه عن على كرم الله تعالى وجهه موصولا بلفظ لما نزل يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا فقام الليل كله حتى تورمت قدماه فجعل يرفع رجلا ويضع اخرى فهبط جبريل عليه الصلاة والسلام فقال طه اى طأ الارض بقدميك ما انزلنا عليك القرآن لتشقى والحاصل ان هذا التأويل في طه هو مختار الربيع بن انس ويعزى الى مقاتل ايضا وله تأويلان احدهما ان يريد ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يعتمد اذا صلى على احدى رجليه ويرفع الاخرى تحريا منه صلى الله تعالى عليه وسلم للامور الشاقة ونفورا من الراحة فقيل له طأ الارض برجليك معاولا تعتمد على قدم واحدة فتتعب بذلك نفسك وهذا التأويل هو الذى تأوله المصنف وثانيهما ان يريد ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كانت تدعوه مشقة الصلاة الى ان يتروح برفع احدى قدميه وحط الاخرى فقيل له طأ الارض بمعنى لا تلزم نفسك من القيام ما تتعب معه فتضطر الى الترويح باحدى قدميك قال الحجازى وهذا التأويل احسن من التأويل الذى تأوله القاضي والا فالقيام على رجل واحدة لم يثبت في الشرع انه من جملة التطوعات فيفعله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اختيارا دون ان يوجب ذلك موجب من تعب او تورم قدم بل لم يبح ذلك الفقهاء الا لضرورة قلت لامانع من انه كان في الشرع من التطوع ثم نسخ ثم قال ومما يستغرب في هذه الاية ما رواه الفراء في كتاب معاني القرآن له مسندا عن عبدالله ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ان رجلا قرأ بحضرته طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى فقال ابن مسعود اقرأ طه بكسر الطاء والهاء فقال له الرجل يا اباعبد الرحمن اليس امر ان يطأ الارض بقدميه فقال له عبدالله اقرأ طه بالكسر فهكذا اقرأنيهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قلت لعل روايته كانت بالامالة فيهما وهى لا تنافى كونهما من الوطئ والله اعلم (ولا خفاء بما فى هذا كله) الباء بمعنى فى وعدل اليه حذرا عن التكرار اى فيما ذكر من الآية والحديث (من الاكرام) اى اكرام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (وحسن المعاملة) اى له صلى الله تعالى عليه وسلم باعلام حسن القيام وهذا ان جعلنا معنى طه طأ الارض كما تقدم فيه الكلام (وان جعلنا طه من اسمائه عليه الصلاة والسلام كما قيل) اى وقد سبق (اوجعلت) اى هذه الكلمة (قسما) اى اقسم الله تعالى به (لحق الفصل بما قبله) اى اتصل هذا الفصل بالفصل الذى قبله لانبائه بما اقسم به تعالى تحقيقا لمكانته وافادة نهاية المبرة فى مخاطبته واعلاء درجات الاداب فى محاورته (ومثل هذا) اى ما ذكر من كون طه من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم او مقسما به او هما وما قبلهما (من نمط الشفقة) اى من نوع المرحمة (والمبرة) لمناسبة بينهما قال الدلجى اذ النمط فى الاصل الجماعة من الناس امرهم واحد وفى الحديث خير هذه الامة النمط الاوسط يلحقهم التالى ويرجع اليهم العالى انتهى ولا يخفى بعد هذا المعنى فى مقام المرام بل النمط بفتح النون والميم جاء بمعنى الطريق والنوع من الشئ ايضا على ما فى القاموس ويمكن

حل الحديث الذى ذكره عليه كما لا يخفى وقد قال الحلبى النمط الضرب من الضروب والنوع من الانواع يقال ليس هذا من ذلك النمط اى من ذلك النوع قاله الهروى فى غريبه واخذته ابن الاثير وحذف منه بعض شئ (قوله تعالى) خبر لقوله مثل هذا (فلعلك) اى لفرط اعراضهم وتباعدهم عن ما فيه تحصيل جميع اغراضهم (باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) اى القرآن (اسفا) اى حزنا وتأسفا وتلهفا (اى قاتل نفسك) ويجوز بالاضافة كما قرئ فى الآية (لذلك) اى لعدم ايمانهم بالقرآن (غضبا اى عليهم او غيظا) اى فى نفسه (او جزعا) اى قلة صبر وتحمل والحاصل انه صلى الله تعالى عليه وسلم شبه لما تداخله من الوجد اسفا على توليهم وتباعدهم عن الايمان بمن فارق اعزته فذهبت نفسه حسرات على آثارهم باخعها وجدا عليهم متلهفا على فراقهم (ومثله) اى مثل فلعلك باخع نفسك مما ورد مورد الشفقة والاكرام بشهادة لعل فانها للاشفاق (قوله تعالى ايضا لعلك باخع نفسك) وقرئ بالاضافة هنا اى اشفق على نفسك ان تقتلها غما (ان لا يكونوا مؤمنين) اى مخافة ان لا يؤمنوا او لئلا يؤمنوا (ثم قال) اى الله سبحانه وتعالى تسلية لشأنه (ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية) اى دلالة ملجئة الى الايمان او بلية قاصرة على اهل الكفران والطغيان (فظلت) اى صارت (اعناقهم) اى جماعاتهم واشرافهم وساداتهم (لها خاضعين) اى لتلك الآية منقادين ولا قتضائها خاضعين او لتلك البلية ذليلين خاشعين وهو عطف على الجزاء اعنى ننزل اذ لو قيل انزلنا مكانه لصح وقيل اصل الكلام فظلوا لها منقادين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع لان الاعناق لما وصفت بصفة لا تكون حقيقة الا لمن يعقل عوملت معاملة من يعقل فجمعت جمعه (ومن هذا الباب) اى باب الشفقة والاكرام (قوله تعالى فاصدع بما تؤمر) اى فاجهر به واظهره من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهرا او افرق بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما موصولة وعائدها محذوف اى بما تؤمر به وجوز الدلجى كون ما مصدرية هنا وهو بعيد عن المعنى كما لا يخفى (واعرض عن المشركين) اى اهانة لهم ولا تلتفت الى ما يقولون واغرب التلمسانى حيث فسر اعرض بقوله اترك والخ (الى قوله) تعالى (ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون) اى فيما اوتى القرآن او فيك (الى آخر السورة) وهو قوله سبحانه وتعالى انا كفيناك المستهزئين اى دفعناعنك شرهم بقمعهم واهلاكهم قيل كانوا خمسة تعرفات كل واحد منهم بنوع من عذابه الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون اى عاقبة امرهم ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك اى فافزع اليه بالتسبيح والتحميد وقل تسبيحا مقرونا بالحمد جمعا بين الصفات السلبية والنعوت الثبوتية او فنزهه عما يقولون من الباطل واحمده على ان هداك الى الحق وكن من الساجدين اى المصلين وكان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلاة واعبد ربك حتى يأتيك اليقين اى الموت باتفاق المفسرين وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم عند موت عثمان بن مظعون اما هو فقد رأى اليقين قال التجانى ويحتمل ان يكون اشارة الى النصر الذى وعد الله سبحانه وتعالى على الكفار قلت هذا مع مخالفته للاجماع غير مناسب ان تكون النصرة غاية العبادة اذ لا يجوز انفكاكها عن العباد مادامت الارواح فى الاجساد (وقوله) اى ومنه ايضا قوله (تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك) تسلية له عما كان يرى من قومه ليقتدى بالرسل المتقدمين عن وقته حيث صبروا على ما كذبوا واوذوا وقد قال تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل (الآية) يعنى فحاق بالذين سخروا منهم اى من المستهزئين وقيل من المرسلين ما كانوا به يستهزؤن اى فاحاط بهم الذى كانوا به يستهزؤن حيث هلكوا لاجله او فنزل بهم جزاء استهزائهم قيل يجوز ان يكون ضمير به راجعا الى الشرع وما ترتب عليه من الثواب وان يكون راجعا الى العذاب والله تعالى اعلم بالصواب واما ما جوزه التجانى من رجعه الى القرآن فلا يناسبه المقام كما لا يخفى على ارباب المعانى والبيان (قال مكى) سبق ذكره (سلاه) اى الله (تعالى بما ذكره) اى من قوله ولقد استهزئ برسل من قبلك (وهون عليه ما يلقى) وفى رواية ما يلقاه (من المشركين) اى من فرط الايذاء (واعلمه ان) وفى نسخة انه (من تمادى) اى اصر واستمر (على ذلك يحل به) بضم الحاء اى ينزل به ومنه قوله تعالى او تحل قريبا من دارهم واما يحل بكسر الحاء فمعناه يجب لكن لا يناسب المقام وان قرئ بهما قوله تعالى فيحل عليكم غضبى (ما حل) اى شئ عظيم نزل او الذى حل (بمن قبله) اى من اعداء الانبياء (ومن هذا) اى الباب وفى نسخة ومثل هذه التسلية (قوله تعالى وان يكذبوك) اى قومك فلا يهولنك تكذيبهم لك (فقد كذبت رسل من قبلك) فكان الله سبحانه وتعالى يقول لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم تأس بمن قبلك من الانبياء فان هذه الانواع التى يعاملك بها قومك من التكذيب وغيره قد كانت موجودة فى سائر الامم قبلك مع انبيائهم عليهم الصلاة والسلام فلست منفردا بهذا وحدك وفيه ايماء الى ان البلية اذا عمت طابت فان اجل ما يخفف عن الانسان حزنه مشاركة غيره له فيه كما قالت الخنساء

(واولا كثرة الباكين حولى * على اخوانهم لقتلت نفسى)
(و ما يكون مثل اخى ولكن * اعزى النفس منى بالتأسى)

(ومن هـذا) ابـاب اوالقبيل (قوله تعالى كذلك) اى مثل تكذيب قومك لك وقولهم افتراء عليك معلم مجنون (ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا) اى ماجاءهم رسول الا قالوافى حقه هو (ساحر) اى خداع (اومجنون) اى به جنون ياولتنو يع باعتبار قوم دون قوم اووقت دون وقت ولايبعد ان تكون للشك مشيرا الى تحيرهم فى امره مع الايماء الى المناقضة بين اقوالهم فان الساحر هوالعالم وهو لايكون الا فى كمال العقل والمجنون لايكون الا خاليا عنه (عزاه الله تعالى) بتشديد الزاى اى حمله على الصبر وسلاه (بما اخبر به عن الامم السالفة) اى عن الجماعات السابقة (ومقالهما) اى واقاويل تلك الامم وفى نسخة ومقالتهما (لانبيائهم قبله ومحنتهم) اى ابتلائهم وفى نسخة ومحنهم بفتح فسكون وهو مجرور ووهم الحجازى حيث قال بفتح النون اى وبامتحان انبيائهم واختبارهم فى ولائهم عند بلائهم وابتلائهم (بهم) اى بقومهم واقوالهم (وسلاه) اى النبى عليه الصلاة والسلام (بذلك) اى بما ذكر من ابتلاء الانبياء (عن محنته) اى بليته عليه الصلاة والسلام (بمثله) اى بنظير مافعل الامم بالانبياء (من كفار مكة) فى تأذيتهم له (وانه) اى وبانه (ليس اول من لقى ذلك) اى الايذاء من قومه (ثم) اى بعدان سلاه (طيب نفسه) اى ارضاه (وابان عذره) اى اظهره (بقوله فتول عنهم) اشفاقا عليه بترك معالجتهم (اى اعرض عنهم) اى بعد مابذلت جهدك فى الدعوة والزمت عليهم الحجة (فما انت بملوم) فى مكالمتهم (اى) حينئذ (فى اداء مابلغت) اى من الاعلام (وابلاغ ماحملت) بضم حاء وتشديد ميم مسكورة اى كلفت من الاحكام والمعنى فلا لام فى اعراضك عنهم بعد ما كررت عليهم مبالغا فى تبليغ ماامرت به لهم (ومثله قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا) اى بمرأى منا (اى اصبر على اذاهم) اى وبقائك فى عناهم (فانك بحيث نراك ونحفظك) وجمع العين لجمع الضمير مبالغة فى كثرة اسباب الحفظ والعصمة (سلاه الله تعالى بهذا) اى بماذكر (فى آى كثيرة من هذا المعنى) اى كما لايخفى على حفاظ المبنى

(الفصل السابع)

(فيما اخبره الله تعالى به فى كتابه العزيز) اى الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه اوالغالب على سائر الكتب بنسخه اياها اوالنادر فى الوجود لبقائه على صفحات الدهر الى اليوم الموعود (من عظيم قدره) اى مرتبته (وشريف منزلته) اى يشهد ان بفضيلته (على الانبياء وحظوة رتبته) بكسر الحاء وضمها وسكون الظاء المعجمة وقد تقدمت ومن بيان لما (فى قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين) هو كما اختاره المصنف على ظاهره من اخذ الميثاق عليهم بما ذكر اوميثاقهم الذى وثقوه على اممهم (لما آتيتكم) وفى قراءة نافع آتيناكم واللام موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما شرطية والتقدير لمهما آتيتكم وهو ظاهر قول سيبويه ودخلت اللام عليها كما تدخل على ان اذا كان جوابها قسما نحو قوله تعالى ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك اوموصولة صلتها ما بعدها والعائد محذوف اى الذى آتيتكموه (من كتاب وحكمة) من لبيان ما (الى قوله) تعالى (من الشاهدين) يعنى ثم جاءكم وهو عطف على صلتها وعائدها محذوف اى جاءكم به رسول مصدق وقرأ حمزة لما بالكسر على ان ما مصدرية اى لاجل ايتائى اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم مجيئ رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال اى الله تعالى للنبيين ءاقررتم واخذتم على ذلكم اصرى اى قبلتم عهدى قالوا اقررنا قال فاشهدوا اى بعضكم على بعض بالاقرار وانا معكم من الشاهدين على اقراركم وتشاهدكم وفى هذا توكيد عظيم وتعظيم جسيم مع علمه تعالى بانهم لايدركون زمانه ولايلحقون مكانه (قال ابو الحسن القابسى) سبق ذكره (اختص الله تعالى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بفضل) اى بزيادة فضيلة (لم يؤته غيره) اى من فضلاء انبيائه (ابانه به) جملة استئناف اى اظهره الله تعالى بما آتاه من فضله وفى نسخة ضبط ابانة بالمصدر على انه منصوب على العلة اى اظهارا بفضله وكماله واشعارا بعلو شانه وتمام حاله (وهو ماذكره فى هذه الآية) اى مما يدل على تلك الابانة (قال المفسرون اخذ الله الميثاق بالوحى) اى الى انبيائه (فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا ونعته) اى وذكر له صفته كما فى التوراة والانجيل وغيرهما على مامر (واخذ عليه) اى على كل نبى (ميثاقه) اى الخاص به وهو (ان ادركه ليؤمنن به) بفتح النونين واليه اشار صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله حين رأى عمر انه ينظر فى صحيفة من التوراة لو كان موسى حيا لما وسعه الااتباعى اى لاجل اخذ الميثاق بذلك والا فكان الامر يقتضى عكس ماهنالك لان اللاحق يكون تابعا للسابق (وقيل ان يبينه) اى اخذه عليه ان يبينه (لقومه وأخذ ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم) وفى نسخة لمن بعده اى وهكذا الى ان يبعث فيؤمنوا به كما بينه سبحانه

وتعالى بقوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه الآية (وقوله ثم جاءكم الخطاب لاهل الكتاب المعاصرين لمحمد) اللام للتقوية وفي نسخة المعاصرين محمدا (صلى الله تعالى عليه وسلم) اى الذين كانوا في زمانه ولا يخفى ان هذا المعنى لا يصح على القول بانه تعالى اخذ ميثاق النبيين بذلك اذ من قاله لا يجعل الخطاب الا لهم وانما يصح عند من قال ميثاق معاصريهم واضافته في الآية الى النبيين نظرا الى انهم هم الذين اخذوه على اممهم وانهم يأخذونه على من بعدهم وهكذا الى ان يبعث فتقدير الآية واذ اخذ الله الميثاق الذى اخذه النبيون على اممهم (قال على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه) كما رواه ابن جرير في تفسيره عنه انه قال موقوفا بحكم يكون في الحكم مرفوعا (لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده) اى نبيا بعد نبي (الا اخذ عليه العهد في محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لئن بعث وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه) بفتح ما قبل النون الثقيلة فيهما لافراد الضمير بهما (ويأخذ) بالنصب بفتح الذال عطف على ما دخله اللام ونون التوكيد مرادة كارادتها في قوله

(لا تهين الفقير علك ان تر * كع يوما والدهر قد رفعه)

حيث اراد لا تهينن فحذفت لما استقبلها ساكن اى وليأخذن (العهد بذلك على قومه) وفي نسخة رفع يأخذ (ونحوه عن السدى) اى ونحو هذا القول المروى عن على منقول عن السدى (وقتادة) تقدم الكلام على قتادة واما السدى فهو بضم السين وتشديد الدال المهملتين كان يجلس في سدة باب الجامع وهما اثنان كبير وصغير فالكبير هو اسمعيل بن عبد الرحمن بن ابى كريمة السدى الكوفى روى عن ابن عباس وانس وطائفة وعنه زائدة واسرائيل وابو بكر بن عياش وخلق وهو حسن الحديث اخرج له مسلم والاربعة واما الصغير فهو محمد بن مروان الكوفى روى عن هشام بن عروة والاعمش تركوه واتهمه بعضهم وهو صاحب الكلبي والظاهر ان المراد هنا الاول والله اعلم (في آى) اى حال كون هذه الآية مندرجة في ضمن آيات كثيرة (تضمنت فضله) اى فضائله صلى الله تعالى عليه وسلم (من غير وجه واحد) اى بل من وجوه متعددة (قال الله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم) اى بتبليغ الرسالة وتحمل الدعوة الى الامة (ومنك ومن نوح الآية) اى وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وهو تخصيص بعد تعميم تلويحا ببيان فضلهم وزيادة شرفهم فانهم اولو العزم من الرسل ومشاهير ارباب الشرائع وقدم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم تعظيما وتكريما وايماء الى تقديم نبوته في عالم الارواح المشار اليه بقوله كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد واخذنا منهم ميثاقا غليظا اى عظيما شأنه ومؤكدا باليمين برهانه وكرر لبيان وصفه تعظيما لمقامه (وقال انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح الى قوله تعالى وكيلا) وفي نسخة صحيحة شهيدا وهو الصواب وفيه تلويح الى فضله حيث قدمه على رسله اذ كان يمكن ان يقال كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده اوحينا اليك على نحوه والحاصل انه قدم من جهة الفضل والشأن لا من جهة التقدم في الزمان والواو وان لم تقتض الترتيب لكن العرب تؤثر تقديم المتقدم في الذكر على المتأخر في اللفظ واليه اشار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حيث قال عند الصفا ابدأ بما بدأ الله به وحكى الجاحظ في كتاب البيان والتبيين ان عبد بنى الحسحاس لما انشد عمر رضى الله تعالى عنه قوله

(عميرة ودع ان تجهزت غاديا * كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا)

فقال له عمر لو قدمت الاسلام على الشيب لاجزتك (روى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه) وهو بعض خبرها ذكره الرشاطي كما في اقتباس الانوار (انه قال) اى عمر (في كلام بكى به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بنصب النبي على انه مفعول والمعنى رثاه بعد موته من بكيته مخففا ومشددا اى بكيت عليه وذلك حين افاق من غشيه وتحقق عنده موت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بخطبة ابى بكر وموعظته قائلا بابى انت وامى يا رسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم عليه فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فامتك اولى بالحنين عليك حين فارقتهم (فقال) اى عمر (بابى انت وامى) متعلق بمقدر وحذفه ابدل من ضميره المتصل ضمير منفصل وحذفت الجملة لظهور المعنى حتى قيل الباء للتعدية وقد يذكر الفعل كقول الصديق فديناك بآبائنا وامهاتنا اى افديك بابى وامى (يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك آخر الانبياء) اى في مقام الوجود (وذكرك في اولهم) اى في اول بعضهم عند ذكرهم اجمالا اى في معرض الكرم والجود (فقال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية) اى على ما سبق (بابى انت وامى) اى افديك بهما مرة بعد اخرى لانك بذلك اولى واحرى (يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده) اى عند الله سبحانه (ان اهل النار يودون) اى يتمنون ويحبون (ان يكونوا اطاعوك وهم بين اطباقها) اى طبقات النار (يعذبون يقولون يا ليتنا

اطعنا الله واطعنا الرسولا) اى فلم يصبنا هذا العذاب تمنوا حيث لاينفعهم التمنى من جميع الابواب والرسولا بالالف مرسوم والجمهور على اثباتها وقفا ووصلا ومن جملة ماقال عمر رضى الله تعالى عنه بابى انت وامى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله بابى انت وامى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اخبرك بالعفو قبل ان يخبرك بالذنب فقال عفا الله عنك لم اذنت لهم بابى انت وامى يارسول الله لئن كان موسى بن عمران اعطاه الله حجرا يتفجر منه الانهار فذالك باعجب من اصابعك حين نبع منها الماء صلى الله تعالى عليك وسلم بابى انت وامى يارسول الله لئن كان سليمان بن داود اعطاه الله الريح غدوها شهر ورواحها شهر فذالك اعجب من البراق حين سرت عليه الى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالابطح صلى الله تعالى عليك وسلم بابى انت وامى يارسول الله لئن كان عيسى ابن مريم اعطاه الله تعالى احياء الموتى فذاك باعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك فقالت لا تاكلنى فانى مسمومة صلى الله تعالى عليك وسلم بابى انت وامى يارسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك وادمى وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الاخير او قلت اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون بابى انت وامى يارسول الله لقد اتبعك فى قلة سنيك وقصر عمرك مالم يتبع نوحا فى كثرة سنيه وطول عمره فلقد آمن بك الكثير وماآمن معه الاقليل بابى انت وامى يارسول الله لولم تجالس الا الاكفاء ما جالستنا ولولم تنكح الا الى الاكفاء ما نكحت الينا ولولم تواكل الا الاكفاء ما واكلتنا لبست الصوف وركبت الحمار ووضعت طعامك بالارض تواضعا منك صلى الله تعالى عليك وسلم (قال قتادة) اى كما رواه ابن ابى حاتم فى تفسيره وابن لال فى مكارم الاخلاق وابو نعيم فى دلائله عنه مرسلا (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال كنت اول الانبياء فى الخلق) اى خلق روحه قبل ارواحهم اوفى عالم الذر او فى التقدير بكتابته فى اللوح اوظهوره للملائكة (وآخرهم فى البعث) اى لكونه خاتم النبيين (فلذلك) اى فلاجل كونه اولهم خلقا (وقع ذكره مقدما) اى فى الآية السابقة (هنا قبل نوح وغيره) اى من اولى العزم فضلا عن غيرهم قال السهيلى واسم نوح عبد الغفار وسمى نوحا فيما ذكر لكثرة نوحه على نفسه اوعلى قومه (قال السمرقندى) وهو الامام ابو الليث من ائمتنا الجامع بين التفسير والحديث والفقه والتصوف (فى هذا) اى فى ذكر وقوعه مقدما (تفضيل نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لتخصيصه بالذكر قبلهم) اى اظهارا للكرم والجود (وهو آخرهم) اى بعثا كما فى نسخة يعنى اى والحال انه آخرهم من جهة البعث والوجود (المعنى اخذ الله عليهم الميثاق اذا خرجهم من ظهر آدم كالذر) وهو صغار النمل والمعنى ان للانبياء ميثاقا خاصا بعد دخولهم فى الميثاق العام المعنى به قوله تعالى الست بربكم قالوا بلى بتبليغ الرسالة واخص من هذا الميثاق ميثاق الانبياء اصالة واممهم تبعا له صلى الله تعالى عليه وسلم لوفرض انه وجد فى اى زمان من الازمنة لاتبعه جميع الانبياء وجميع اممهم من العلماء والاولياء والاصفياء فكانهم تابعون بالقوة وعلى فرض وقوعه بالفعل والحاصل انه تعالى قال للخلق فى عالم الذر بعد قوله لهم الست بربكم قالوا بلى اعلموا انه لااله غيرى وانا ربكم فلاتشركوا بى شيئا فانى سانتقم ممن اشرك بى وانى مرسل اليكم رسلا يذكرونكم عهدى وميثاقى ومنزل عليكم كتبا فقالوا شهدنا انك ربنا والهنا لارب لنا غيرك فاخذ بذلك مواثيقهم ثم كتب آجالهم وارزاقهم ومصائبهم فنظر اليهم آدم فرأى فيهم الغنى والحسن وغيرهما فقال يارب لوسويت بينهم فقال انى احب ان اشكر فلما اقرهم بتوحيده واشهد بعضهم على بعض اعادهم الى صلب آدم فلاتقوم الساعة حتى يولد كل من اخذ ميثاقه وكان اعطاء الكافرين العهد اذذاك وهم كارهون على جهة التقية وقد وردت الاحاديث بهذا من طريق عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس وغيرهما رضى الله تعالى عنهم وقد ورد انه عليه الصلاة والسلام اول من قال بلى فذلك قوله تعالى واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وفى قراءة ذريتهم اى اخرج ذريته بعضا من صلب بعض على ما يتوالدون واكتفى بذكر ظهورهم عن ذكر ظهره اذكلهم بنوه واخرجوا من ظهره واشهدهم على انفسهم اى اشهد بعضهم على بعض واغرب الدلجى فى انه بعد ماذكر الميثاق على الوجه المسطور المطابق لمذهب اهل السنة المؤيد بالاحاديث النبوية والآثار عن الصحابة مال الى مذهب المعتزلة وتبع الزمخشرى وسائر اهل البدعة حيث قالوا قوله تعالى الست بربكم قالوا بلى تخييل وتصوير للمعنى اى نصب لهم ادلة ربوبيته واودع عقولهم مايدعوهم الى الاقرار بها فصاروا بمنزلة من قيل لهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة الاشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل انتهى والله يهدى من يشاء الى سواء السبيل وفى كتاب القصص لوثيمة ابن الفرات برفعه الى ابى موسى الاشعرى انه قال لما خلق الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام قال له يا آدم فقال نعم يارب قال من خلقك فقال انت يارب خلقتنى قال فمن ربك قال انت لااله الاانت قال فاخذ عليك الميثاق بهذا قال نعم

ما اخرج الله سبحانه وتعالى الحجر الاسود من الجنة وهو اذ ذاك ابيض ولولا ما سوده المشركون بمسهم اياه لما استشفى به ذو عاهة الا شفى به فقال الله سبحانه وتعالى امسح يدك على الحجر يا حواء فقعل ذلك فامره بالسجود فسجد لله سبحانه وتعالى ثم اخرج من ظهره ذريته فبدأ بالانبياء منهم وبدأ من الانبياء بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فاخذ عليه العهد كما اخذ على آدم ثم اخذ العهد على الانبياء والرسل كذلك وان يؤمنوا بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وان ينصروه ان ادركهم زمانه فالتزموا ذلك وشهد به بعضهم على بعض وشهد الله سبحانه وتعالى بذلك على جميعهم واخذ بعد ذلك العهد على سائر بنى آدم فسجدوا كلهم الا الكافرين والمنافقين لم يطيقوا ذلك لصياصى خلقت فى اصلابهم ثم امر الله سبحانه وتعالى آدم فرفع رأسه ونظر الى ذريته فرأى الانبياء والعلماء كالسرج والكواكب فقال يارب من هؤلاء قال هم الانبياء والعلماء من ذريتك فقال يارب ومن هؤلاء الذين اراهم بيض الالوان قال هم اصحاب اليمين وقد اعددت لهم الجنة والكرامة وخلقتهم سعداء قال ومن هؤلاء الذين اراهم سوادا قال هم اصحاب الشمال وقد اعددت لهم الهوان وجعلتهم اشقياء فقال يارب لو سويت بين خلقك اجمعين فقال يا آدم خلقت الجنة وجعلت لها اهلا وخلقت النار وجعلت لها اهلا ثم اختلف العلماء فى محل اخذ هذا العهد ففى كتاب الثعلبى انه كان فى السماء وان الله سبحانه وتعالى اخرج آدم من الجنة ولم يهبط الى الارض فاخذ عليه وعلى ذريته العهد هنالك وفى تاريخ الطبرانى ان الله سبحانه وتعالى اهبط آدم من السماء الى نعمان واخذ عليه وعلى ذريته هذا العهد هنالك ونعمان واد فى طريق الطائف يخرج الى عرفات وهو مفتوح النون ويقال له نعمان الاراك لكثرته به (وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية) الاشارة الى من ذكرت قصصهم فى السورة او الى كلهم المعهودين فى العلم واللام استغراقية ثم فصله سبحانه وتعالى بقوله منهم من كلم الله بلا واسطة وهو موسى عليه الصلاة والسلام قيل ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فكلم موسى ليلة الحيرة فى الطور ومحمدا ليلة المعراج فى مقام النور حين كان قاب قوسين او ادنى وقرئ كلم الله بالنصب وكالم الله اذ قد كلم الله كما ان الله كلمه ومن ثمة قيل كليم الله بمعنى مكالمه (وقال اهل التفسير اراد بقوله ورفع بعضهم درجات محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) اى رفعه على سائر الانبياء من وجوه متعددة ومراتب متباعدة ومنها انه خص بالدعوة العامة (لانه بعث) اى بالحجج المكاثرة والآيات المعاقبة المواترة والفضائل العلية والفواضل العملية (الى الاحمر والاسود) اى العرب والعجم لغلبة الحمرة والبياض على الوان العجم والادمة والسمرة على الوان العرب وقيل الجن والانس (واحلت له الغنائم) اى ولم تحل لاحد قبله (وظهرت على يديه المعجزات) اى الكثيرة (وليس احد من الانبياء اعطى فضيلة) اى خصلة حميدة (او كرامة) اى خارقة عادة (الا وقد اعطى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها) اى مثل تلك الفضيلة او الكرامة بل مع الزيادة لكن جنسا لا نوعا كانشقاق القمر فى مقابلة انفلاق البحر لموسى عليه السلام وغير ذلك مما لا يعد ولا يحصى قيل وفى ابهام درجات تفخيم لجلال شانه وتعظيم لعلى برهانه اذ هو العلم المعين لهذا الوصف المستغنى عن التعيين عند ارباب اليقين (قال بعضهم ومن فضله ان الله تعالى خاطب الانبياء باسمائهم) اى كيا آدم ويا نوح ويا ابراهيم ويا موسى ويا عيسى (وخاطبه بالنبوة والرسالة فى كتابه) اى كلامه القديم وخطابه العظيم (فقال يا ايها النبى ويا ايها الرسول) بل وقد قال الله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا (وحكى السمرقندى عن الكلبى) هو ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى توفى فى السنة التى مات فيها الشافعى رضى الله تعالى عنه وهى سنة اربع ومائتين كذا ذكره التلمسانى (فى قوله تعالى وان من شيعته) اى اتباعه (لابراهيم ان الهاء عائدة على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ان من شيعة محمد لابراهيم اى على دينه ومنهاجه) اى طريقه الواضح (واختاره الفراء) يروى واجازه الفراء (وحكاه عنه مكى) ونسبه بعضهم الى الكسائى ايضا فكان الله اخبر ابراهيم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فآمن به وشايعه فى دينه وعود الضمير على غير متقدم لفظا شائع سائغ كقوله تعالى حتى توارت بالحجاب والماجعل منها لتقدمه عليه خلقا ونبوة كما يدل عليه حيث انه سئل متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد وفى رواية وآدم منجدل فى طينه وهذا اولى مما قيل فى جواب الاشكال الوارد من ان المتعارف هو ان المتأخر فى الزمان هو الذى يكون من شيعة المتقدم لكن قد جاء عن العرب عكس ذلك * وما لى الا آل احمد شيعة * والسبب فى هذا ان من كنت على منهاجه ودينه فقد كان على منهاجك سواء تقدم او تقدمت (وقيل المراد نوح) ويروى على نوح (عليه الصلاة والسلام) وهو قول اكثر المفسرين كما هو الظاهر المتبادر من حيث تقدم مرجعه فابراهيم ممن شايع فى دينه لاتفاق شرعهما فى الفروع غالبا وان كان بينهما الفان وستمائة واربعون سنة وبينهما هود وصالح عليهما الصلاة والسلام كذا ذكره الدلجى

﴿ الفصل الثامن ﴾

(فى اعلام الله تعالى خلقه) اى مخلوقه (بصلاته عليه وولايته) بكسر الواو وقد يفتح وبهما قرئ قوله تعالى مالكم من ولايتهم من شئ والكسر قراءة حمزة من السبعة فتلحين الاصمعى قراءة الاعمش فى هذه الآية بالكسر واو خطأ ظاهر وقوله ان الولاية بالكسر انما هى فى الامارة والسلطان ونحوهما بصيغة الحصر مدفوع واو سلم فالكسر مشترك فى المعنيين والله اعلم وقيل بالفتح بمعنى النصرة وبالكسر تولى الامر اى موالاته ونصرته له (ودفعه) مصدر مضاف الى فاعله اى ودفع الله (العذاب بسببه) اى من اجله وجهته وفى نسخة رفعه بالراء واختاره الحلبى وهو تصحيف فى مبناه وتحريف فى معناه اذ الرفع لا يستعمل الا بعد الوقوع ولذا قيل الدفع اهون من الرفع (قال الله تعالى) اى حين قال الكفار مبالغة فى الانكار اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم (وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم) بيان لما كان موجبا لامهالهم مع علم الله سبحانه وتعالى باقوالهم وافعالهم (اى ما كنت بمكة) اى مدة كونك فيها اذ جرت سنته تعالى ان لا يعذب قوما عذاب استئصال ما دام نبيهم بين اظهرهم ومن ثمة كان العذاب اذا نزل بقوم امر نبيهم بالخروج بمن آمن وفيه تلويح بانهم مرصدون بالعذاب اذا هاجر (فلما خرج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من مكة) اى مهاجرا الى المدينة (وبقى فيها من بقى من المؤمنين نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) وهو اما بمعنى وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر من المؤمنين ممن تخلف عن رسول الله من المستضعفين او بمعنى نفى الاستغفار اى ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم وعن الحسن ان الآية منسوخة بقوله تعالى ومالهم ان لا يعذبهم الله والظاهر ان لا تنافى بينهما اذ النفى منصب على عذاب الاستئصال والاثبات محمول على غيره من الاسر والقتل وانواع الخزى والنكال قال الحجازى وهذا التأويل قال به جماعة من المفسرين منهم ابن عباس والضحاك ومقتضاه ان الضمير فى قوله سبحانه وتعالى معذبهم عائد على كفار مكة والضمير فى قوله تعالى وهم يستغفرون عائد على المؤمنين الباقين بمكة بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اى وما كان الله ليعذب الكافرين والمؤمنون يستغفرون بينهم فتكون الآية على هذا نحوا من قوله تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات الآية وقوله تعالى لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا الآية ايضا وعلى هذا التأويل فالمؤمنون مفهومون من سياق الكلام والا فلم يتقدم لهم ذكر فى الآية واما التأويل الثانى الذى ذكره القاضى فى هذه الآية بقوله (وهذا مثل قوله تعالى لو تزيلوا الآية) اى وما ذكر مما دل على امهالهم وتأخير العذاب فى آجالهم لاجل من فيها من المؤمنين وتحسين افعالهم واقوالهم مثل قوله سبحانه وتعالى لو تزيلوا اى لو تفرقوا وتميز المؤمنون من الكافرين لعذبنا الذين كفروا منهم اى من اهل مكة عذابا اليما بالقتل والاسر (وقوله) اى ومثل قوله تعالى (ولولا رجال مؤمنون الآية) اى ونساء مؤمنات بمكة لم تعلموهم اى باعيانهم لاختلاطهم باهل كفرهم وطغيانهم ان تطؤهم بدل اشتمال من رجال ونساء او من ضميرهم فى تعلموهم اى ان تدوسوهم فتهلكوهم ومنه الحديث آخر وطأة وطئها الله بوج واد بالطائف فتصيبكم منهم معرة من عره اذا غشيه بمكروه اى فيغشاكم من جهتهم مكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار لكم به والاثم بتقصيركم فى البحث عنهم بغير علم حال اى ان تطؤهم غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا مؤمنين ومؤمنات بين اظهر الكفار جاهلين بهم فيصيبكم مكروه باهلاكهم لما كف ايديكم عنهم وقوله تعالى ليدخل الله فى رحمته من يشاء علة لما دل عليه كف الايدى عنهم صونا لمن فيها من المؤمنين اى كان ذلك لاجل ان يدخل الله فى رحمته من يشاء من مؤمنيهم او مشركيهم او منهما بتوفيقه للاسلام او لزيادة الخير والانعام (فلما هاجر المؤمنون) اى من مكة (نزل ومالهم ان لا يعذبهم الله) اى وما يمنع من تعذيبهم بعد ان فارقتهم والمؤمنون وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا اولياءه ان اولياؤه الا المتقون ولكن اكثرهم لا يعلمون (وهذا) اى ما ذكر من دلالة الآية على تأخير العذاب عنهم وهو فيهم (من ابين ما يظهر مكانته) اى من اظهر دليل يبين علو مرتبته ورفعة شانه وعظمته (صلى الله تعالى عليه وسلم) لكل احد عند ربه (ودرأته) وقع بخط بعض الاكابر هنا درأبه على انه فعل ماض وجار ومجرور اى دفع به الظاهر انه تصحيف والصواب انه بكسر الدال المهملة وسكون الراء وهمزة تاء اى ومن ابين ما يظهرها دفعه سبحانه (العذاب عن اهل مكة بسبب كونه) اى وجوده المتضمن لكرمه وجوده فيهم لانه بعث رحمة للعالمين (ثم كون اصحابه) بجر الكون عطفا على ما تقدم (بعده بين اظهرهم) اى بينهم وفى جوارهم فلفظ اظهرهم مقحم للمبالغة (فلما خلت مكة منهم عذبهم) اى الله كما فى نسخة (بتسليط المؤمنين عليهم) اى بتسليط رسوله اياهم وابعد التلمسانى حيث فسر التسليط بالقهر (وغلبتهم اياهم وحكمهم

فيهم سيوفهم) بتشديد الكاف المفتوحة اى جعلها صلى الله عليه وسلم حكما فيهم حدا وصيفها قتلا وقطعا وسبيا (واورثهم ارضهم) اى مزارعهم (وديارهم) اى بيوتهم وحصونهم ومعاقلهم (واموالهم) اى نقدهم واثاثهم ومواشيهم روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الانصار فقال لهم ان لكم منازلكم وروى انه قال لهم اما ترضون ان الناس يرجعون بالاموال الى بلادهم وانتم ترجعون برسول الله الى اهاليكم وقال عمر رضي الله تعالى عنه اما تخمس كما خمست يوم بدر فقال صلى الله عليه وسلم لا انما جعلت هذه لى طعمة وهذا صريح بان مكة فتحت عنوة وعليه الامام ابو حنيفة والاكثرون من اهل العلم وعن الامام الشافعي انها فتحت صلحا ومن ثمه كان يجيز اجارة دورها وبيعها بدليل حديث وهل ترك لنا عقيل من رباع لكن لا يخفى بعد وجه الاستدلال به وابعد من قال فتح اعلاها صلحا واسفلها عنوة (وفى الآية) اى آية وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون (ايضا تأويل آخر) وهو ان الضميرين راجعان الى الكفار فيحتمل ان يكون وهم يستغفرون في موضع الحال بتقدير ان لو كان اى وما كان الله معذبهم وهم بحال توبة واستغفار من كفرهم لو وقع منهم واختاره الطبري وان يكون اشارة الى من سبق في علم الله انه يؤمن منهم او من ذريتهم اى وما كان الله معذبهم ومنهم من يخرج فيستغفر الله ويؤمن به واختاره الزجاج وان يكون اشارة الى قولهم في دعائهم غفرانك اللهم فيحمله لله كما قال ابن عطية اما الاليم من عذاب الدنيا كما قرره الدلجي والاظهر ما حرره التلمساني من ان التأويل الآخر الذي ذكره القاضي في هذه الآية مبني على ان الضميرين معا عائدان على المؤمنين لما اسنده القاضي من الحديث لبينه به وهو قوله حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله قراءة عليه) وهو الحافظ ابن سكرة كما سبق (حدثنا ابو الفضل ابن خيرون) بالصرف وعدمه فعلون من الخير ضد الشر وقد تقدم ذكره (وابو الحسين) بالتصغير على الصحيح (الصيرفي) وهو المبارك ابن عبد الجبار وتقدم ترجمته (قالا) اى ابو الفضل وابو الحسين كلاهما (حدثنا ابو يعلى ابن زوج الحرة) بضم حاء مهملة وتشديد راء وقد سبق (حدثنا ابو علي السنجي) تقدم انه بكسر السين المهملة وسكون النون فجيم فياء نسبة (حدثنا محمد بن احمد بن محبوب المروزي) بفتح الميم والواو نسبة الى مرو وهو ابو العباس راوي جامع الترمذي كما سبق (حدثنا ابو عيسى الحافظ) اى الترمذي صاحب السنن (حدثنا سفيان بن وكيع) اى ابن الجراح روى عن ابيه ومطلب بن زياد وعنه الترمذي وابن ماجه شيخ صدوق الا انه ابتلي بوراق سوء كان يدخل عليه فتكلم في ذلك فلم يرجع مات سنة سبع وتسعين ومائة (حدثنا ابن نمير) بضم نون وفتح ميم وسكون ياء فراء يكنى ابا عبد الرحمن الهمداني الكوفي واسمه عبد الله يروى عن هشام بن عروة والاعمش وعنه ابنه واحمد وابن معين حجة اخرج له الجماعة مات سنة اربع وثلاثين ومائتين (عن اسمعيل بن ابراهيم بن مهاجر) بكسر الجيم وهو ابو بشر الاسدي مولاهم البصري يروى عن ابيه وعدة وعنه ابو نعيم وطلق بن غنام ضعيف اخرج له الترمذي وابن ماجه (عن عباد بن يوسف) بفتح عين مهملة وتشديد موحدة وهو ابو عثمان الكندي ثقة وقيل ابن سعيد وقيل هو عبادة بن يوسف والاول اصح بصري ثقة روى عن ابي بردة وروى عنه اسمعيل بن ابراهيم بن مهاجر كذا ذكره التلمساني واضطرب كلام الحلبي فيه (عن ابي بردة) بضم الموحدة والصحيح ان اسمه عامر وهو قاضي الكوفة (ابن ابي موسى) يروى عن ابيه وعن علي والزبير وعنه بنوه عبد الله ويوسف وسعيد وبلال وحفيده بريد ابن عبد الله وكان من النبلاء توفي سنة اربع ومائة اخرج له الجماعة (عن ابيه) وهو ابو موسى الاشعري عبد الله ابن قيس بن سليم بضم ففتح امير زبيد وعدن للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وامير البصرة والكوفة لعمر رضي الله تعالى عنهما روى عنه بنوه ابو بردة وابو بكر وابراهيم وموسى مناقبه جمة توفي سنة اربع واربعين اخرج له الجماعة والحديث الذي اخرجه المؤلف هنا انفرد الترمذي باخراجه من بين الستة ذكره في التفسير وقال غريب واسمعيل يضعف في الحديث انتهى ويقويه انه رواه ابن ابي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفا وابو الشيخ نحوه عن ابي هريرة رضي الله عنه موقوفا ايضا (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انزل الله علي امانين لامتي) يحتمل امة الاجابة وهو ظاهر الآية ويحتمل امة الدعوة وهو الملائم لعموم الرحمة بالامة (وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم) وهذه الامنة ظاهرة في عمومهم (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) وهذه الامنة لا تعم لخصوصهم ويؤيده قوله (فاذا مضيت) اى انتقلت من دار الاكدار الى دار القرار (تركت فيكم الاستغفار) اى فعليكم بالاكثار منه في الليل والنهار ولا يبعد ان يكون الاستغفار من الابرار سببا وباعثا لدفع عذاب الاستئصال عن الكفار ويؤيده قوله (ونحو منه) اى من هذا الحديث في المعنى (قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) لان ما بعث به سبب لاسعادهم وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم وكونه رحمة للكفار واهل فساد هم امنهم به من الخسف والمسخ

(وعذاب)

وعذاب الاستئصال فى بلادهم (قال عليه الصلاة والسلام انا امان لاصحابى) وفى لفظ انا امنة لاصحابى وهو حديث صحيح رواه مسلم عن سعيد بن بردة عن ابيه عن ابى موسى قال صلينا المغرب مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قلنا لو جلسنا حتى نصلى معه العشاء فخرج علينا فقال مازلتم هنا قلنا نعم فقال اجدتم او احسنتم قال فرفع رأسه الى السماء وكان كثيرا مايرفع رأسه الى السماء فقال النجوم امنة للسماء فاذا ذهبت النجوم اتى السماء ماتوعد وانا امنة لاصحابى فاذا ذهبت اتى اصحابى وامتى مايوعدون قال الحجازى وفى لفظ هذا الحديث امنة وفى الحديث الذى ذكره القاضى امان ولعلهما روايتان فى الحديث اقول او نقل القاضى بالمعنى مع قرب المبنى اذا لامنة بضم الهمزة والميم والامن والامان بمعنى واحد على ماذكره الحجازى والظاهر انه بفتحهما على مافى القاموس هذا ولعله صلى الله تعالى عليه وسلم اراد بذهاب النجوم انتثارها لقوله تعالى واذا الكواكب انتثرت و باتيان السماء ماتوعد انفطارها وتبديلها كما قال تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وباتيان اصحابه مايوعدون ما انذرهم به من الفتن والارتداد و باتيان امته مايوعدون مااخبرهم به من ظهور البدع واختلاف الآراء والهرج وغلبة الروم وتخريب الكعبة وغير ذلك مما وقع اكثره و بقى مالابد من وقوعه و بكونه امانا لاصحابه (قيل من البدع) فلم يكن منهم من ارتكب بدعة بشهادة حديث اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم (وقيل من الاختلاف والفتن) قال الدلجى وفيه مافيه لكن يلزمنا الكف عما جرى بينهم بصدوره منهم اجتهادا بتأويلات صحيحة للمصيب اجران على اجتهاده واصابته وللمخطئ اجر على اجتهاده بشهادة حديث الشيخين ان الحاكم اذا اجتهد فاصاب فله اجران واذا اجتهد فاخطأ فله اجر واحد انتهى وفيه مافيه لان ماجرى بينهم ماجرى منهم الابعد غيبته صلى الله تعالى عليه وسلم عنهم وارتفاع الامان منهم وليس معنى قوله امان لاصحابى انهم فى امن من الفتنة الى آخر اعمارهم بل مقيد بمدة كونه فيهم ولذا قال واذا ذهبت اتى اصحابى مايوعدون (قال بعضهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم هو الامان الاعظم) اى لاغيره وان كان اصحابه ايضا امانا (ماعاش وما دامت سنته) اى المستمرة المعتادة له (باقية) اى ثابتة موجودة وهى بالنصب خبر دام وماشرطية جزاؤها قوله (فهو باق) اى فهو صلى الله تعالى عليه وسلم باق حكما لبقاء حكمه فى امته (فاذا اميتت سنته) اى عدمت وفنيت وتركت ولم يعمل بها او عمل بخلافها (فانتظر البلاء والفتن) الخطاب عام لما فى نسخة فانتظروا البلاء وكان الاولى ان يقال فينتظر البلاء والفتن اى المحن الدنيوية والفتن الدينية وقيل المعنى فاذا اميتت سنته بموت اهلها فانتظروا البلاء والفتن بدليل حديث ان الله لايقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبضه بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عامل اولم يبق عالم اتخذ الناس رؤساجهالا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا (وقال تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى الآية) تقدم بعض الكلام عليها (ابان الله تعالى) اى اظهر وبين (فضل نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بصلاته عليه) اى اولا تعظيما (ثم بصلاة ملائكته) اى ثانيا تكريما (وامر عباده بالصلاة والتسليم عليه) اى بقوله تعالى ياايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وفى نسخة وامر عباده بالجر والاضافة عطفا على صلاته اى وبامر عباده بهما عليه ثالثا بان يقولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد الخ على ماورد فى حديث الصلاة اوبان يقولوا السلام عليك ايها النبى ورحمة الله و بركاته كما فى حديث التشهد وذلك يدل على وجوب الصلاة والسلام عليه فى الجملة كما ذكر لحديث رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل على فدخل النار فابعده الله وجوز الصلاة على غير ملك ونبى تبعا و يكره استقلالا لكونها فى العرف شعارا لذكر الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومن ثمه كره محمد عزوجل وان كان عزيزا جليلا وقيل المراد بالتسليم هو الانقياد لاوامره (فالصلاة) اى مطلقا (من الملائكة ومنا) اى بنى آدم (له دعاء) لحديث اذا دعى احدكم الى طعام فليجب وان كان صائما فليصل اى فليدع ووقع فى شرح الدلجى من الملائكة استغفار وهو الملايم لقوله و يستغفرون للذين آمنوا والظاهر ان الاستغفار على ظاهره وقوله تعالى و يستغفرون لمن فى الارض عام اريد به خصوص المؤمنين اذ لايجوز الاستغفار للكافر الابقصد طلب ايمانهم المستلزم استحقاق المغفرة فى شانهم وقال الدلجى اى بسعيهم فيما يستدعى المغفرة من شفاعة والهام واعداد الاسباب المقربة الى الطاعة وذلك فى الجملة يعم المؤمن والكافر وحيث خص به صلى الله عليه وسلم فالمراد به السعى فيما يليق بجنابه (ومن الله تعالى رحمة) اى رحمة عظيمة اورحمة خاصة جسيمة والمراد من الرحمة الاحسان وارادة الانعام لاستحالة معناها الذى هو رقة القلب فى حق الرب سبحانه وتعالى (وقيل يصلون) اى معناه (يباركون) من البركة وهى كثرة الخير اى يكثرونه و يزايدونه عليه ذكره الدلجى والظاهر ان معنى يباركون يدعون له بالبركة فى ذاته وصفاته واهل بيته واتباعه من امته وحيث كانت المغايرة ظاهرة بين الصلاة والبركة قال المصنف (وقد فرق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حين علم) اى اصحابه (الصلاة عليه بين لفظ الصلاة والبركة) فى حديث

قد امرنا ان نصلي عليك فكيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم و بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد والاظهر ان اراد بقوله يصلون يعظمون و يثنون عليه ليشمل جميع الالفاظ الواردة التي من جملتها الترحم ونحوه (وسنذكر حكم الصلاة عليه) اي هل هو فرض او سنة وهل هو فرض عين او كفاية وما يتعلق بالمسئلة من الفروع والادلة (وقد حكى ابو بكر بن فورك) بضم الفاء وفتح الراء وهو غير منصرف للعلمية والعجمة وقيل منصرف امام جليل فقها واصولا وكلاما ونحوا ووعظا مع جلالة وورع زائد ومهابة وهو اصبهاني ومات شهيدا بالسم في سنة ست واربعمائة ونقل الى نيسابور ودفن بها قال ابن عبد الغفار يستجاب الدعاء عنده (ان بعض العلماء تاول) اي فسر (قوله عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلاة على هذا) اي على هذا المعنى (اي في صلاة الله علي وملائكته وامره الامة بذلك) اي بالصلاة عليه كما في نسخة (الى يوم القيامة) واعلم ان قوله وقد حكى الى هنا لم يثبت في الاصل الذي هو خط المؤلف القاضي وثبت في الاصل المروى عن ابي العاص المرقي ثم اعلم ان القرة بمعنى السرور والفرحة واصلها من القر بمعنى البرد يقال اقر الله عينه اي ابرد الله دمعته لان دمعة الفرح باردة ودمعة الحزن حارة ثم اكثر الاقوال واظهرها انها الصلاة الشرعية لما فيها من المناجاة وكشف المعارف وشرح الصدر وسيأتي الكلام بعد ان شاء الله تعالى (وذكر بعض المتكلمين) اي من المفسرين (في تفسير حروف كهيعص) اي انها ماخوذة من كفاية الله وهدايته وتأييده وعصمته وصلاته عليه فزعم (ان الكاف من كاف) اسم فاعل من كفى يكفي (اي كفاية الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام قال) اي الله سبحانه وتعالى (اليس الله بكاف عبده) واستفهامه لانكار النفي مبالغة في اثبات كفايته له والمراد بعبده عبده الخاص وهو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فالاضافة شخصية اوالمراد به الفرد الاكمل والاضافة للجنس اوالمراد جميع عباده اوخواصهم من انبيائه واوليائه وينصره قراءة حمزة والكسائي عباده بلفظ الجمع وهو صلى الله تعالى عليه وسلم يدخل فيهم دخولا اوليا وقيل في الكاف اشارة الى انه الكافي في الانعام والانتقام لعموم الانام وقيل الكاف اشارة الى انه الكاتب على نفسه الرحمة (والهاء) بالنصب ويجوز رفعه (هدايته له) اي هداية الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وكان الانسب ان يقال والهاء من هادي اي هدايته له (قال ويهديك صراطا مستقيما) اي يدلك بلطفه الى طريق دينه اوالى تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة (والياء تأييده له قال وايدك بنصره) اي قواك بنصرته على اعدائك والاولى ان يقال الياء اشارة الى قوله تعالى يد الله فوق ايديهم اوايماء الى يسر المحنة بعد عسر المحنة اوالى يده المبسوطة بالرحمة على نبي هذه الامة اصالة وعلى اتباعه تبعية لئلا يرد عليه ما ذكره التجاني من ان صاحب هذا القول ان اراد ان هذه حروف اخذت من اوائل هذه المصادر على ما تقدم من اقتصار العرب على اول حرف من الكلمة فان لفظ التأييد ينقض عليه لان فاءه همزة لا ياء وانما الياء عينها وان اراد انها احرف اخذت من هذه المصادر سواء كان كل حرف منها فاء الكلمة او عينها فهو قول خارج عن القياس الصناعي (والعين عصمته له قال الله تعالى والله يعصمك من الناس) اواشارة الى علمه به له في سره وجهره قال عز وعلا والله عليم بذات الصدور (والصاد صلاته عليه قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي) اي يثنون شانه ويعظمون برهانه اوايماء الى اسمه الصادق في وعده والصبور في وعيده ثم اعلم ان اوائل السور على القول المعتبر من المتشابه الذي لا يعلم حقيقته والمراد به الا الله سبحانه وتعالى وقيل اشارة للاعجاز بالقرآن وقيل اشارة لاسماء الله وقيل لاسماء رسوله وقيل بيان لمدة الامة المحمدية وجملة ذلك ثلاثون سنة ومائتان واربعة آلاف وان اسقط المكرر فتسعمائة وثلاثة وهو الاقرب لان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعث في الالف السابعة وروى جعفر بن عبد الواحد القاضي حديثا يرفعه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان احسنت امتي فبقاؤها يوم من ايام الاخرة وان اساءت فنصف يوم وذلك خمسمائة وروى ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال الدنيا سبعة آلاف سنة بعثت في آخرها الفا وهو ضعيف وروى موقوفا عن ابن عباس رضي الله عنهما الدنيا سبعة ايام كل يوم منها الف سنة وبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في آخر يوم منها ويدل عليه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين يعني الوسطى والسبابة وقد ورد عن علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه انه كان يقول في دعائه اغفر لي يا كهيعص فيحتمل ان يكون كهيعص عند علي رضي الله تعالى عنه اسماء الله تعالى جملتها ويحتمل ان يريد نداء الله سبحانه وتعالى بجميع اسمائه التي تضمنتها كهيعص من كاف وهاد ونحو ذلك (وقال وان تظاهرا) وقرأ الكوفيون بالتخفيف والخطاب لعائشة وحفصة رضي الله تعالى عنهما اي وان تعاونا (عليه) اي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالمكر والحيلة في قضية مارية والعسل لديه وبسائر ما يسوءه فانه لن يعدم ناصره ولن يعدم من ينصره (فان الله هو مولاه الآية اي وليه) يعني ناصره ومتوليه فيما اولاه (وجبريل) هو رسول الحق اليه

يعينه فيما هو عليه (وصالح المؤمنين قيل الانبياء) يعني والمرسلون (وقيل الملائكة) اى المقربون فيكون تعميما بعد تخصيص لكن فيه انه يتكرر مع قوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير اى متظاهرون عليه (وقيل ابو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما) اى وامثالهما من اكابر الصحابة لما ذكر الماوردى انهم اصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وقيل على رضى الله تعالى عنه) اى ونحوه من اهل البيت واقاربه (وقيل المؤمنون) اى جميعهم (على ظاهره) بناء على ان كل مؤمن بظاهر صالح والاظهر ان يقال المراد وصالح المؤمنين من الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين والخلفاء الراشدين وسائر الصحابة من السابقين واللاحقين والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين و صالح بغير واو وهو مفرد او جمع حذف منه الواو لفظا لحذف رسما واما تعليل التلمسانى بقوله وسره دلالة السرعة فى النصرة لان مدة الواو تفيد مدا وبعدا ولا كذلك حذفها فهو فى غاية البعد هذا وان صح حديث ابن مسعود ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال هم ابو بكر وعمر كان بينة صدق لكونهما المراد به فى القول الصدق او ذكرهما مثلا والمراد به امثالهما والله تعالى اعلم بكتابه ورسوله ببيان خطابه وقد ورد عن على بن ابى طالب كرم الله تعالى وجهه انه كان يقول فى دعائه اغفرلى ياكهيعص كما سبق ثم اعلم انه ورد فى صحيح البخارى ان ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال مكثت اريد ان اسئل عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه عن آية سنة فما استطيع ان اسئله هيبة له حتى خرج حاجا فخرجت معه فلما رجعنا وكنا ببعض الطريق عدل الى الاراك لحاجة له فوقفت له حتى فرغ ثم سرت معه فقلت له ياامير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ازواجه قال تلك حفصة وعايشة رضى الله تعالى عنهما قال فقلت والله انى كنت لاريد ان اسئلك عن هذا منذ سنة فما استطيع هيبتك قال فلا تفعل ماظننت ان عندى منه علما فاسئلنى فان كان لى علم اخبرتك به هذا وذهبت طائفة من العلماء الى ان ذلك كان فى قضية مارية القبطية وذلك ان المقوقس اهداها الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سرية فلما كان فى بعض الايام وهو يوم حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما جاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مارية فواقعها فجاءت حفصة فوجدتهما فاقامت خارج البيت حتى اخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مارية وذهبت فدخلت حفصة غيرى متغيرة فقالت يارسول الله اما كان فى نسائك اهون عليك منى افى بيتى وفراشى فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مرضيا لها ايرضيك ان احرمها فقالت نعم قال فانى قد حرمتها ثم قال لاتخبرى بهذا احدا وخرج عنها فقرعت الجدار الذى بينها وبين عايشة واخبرتها بذلك اتسرها ولم تر فى افشائه لها حرجا واستكتمتها ذلك فنزلت الآية وهى قوله تعالى واذا اسر النبى الى بعض ازواجه حديثا الى قوله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه واختلفوا هل حرمها بيمين اولا على قولين فقال قتادة والحسن والشعبى حرمها بيمين وقال غيرهم لم يحرمها بيمين وروى ذلك عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وذهبت طائفة الى ان تظاهرهما عليه انما كان فى قصة شربه صلى الله تعالى عليه وسلم العسل فى بيت زينب بنت جحش وذلك ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يمكث عندها فتسقيه عسلا قالت عايشة رضى الله تعالى عنها فتواطأت اوقالت فتواصيت انا وحفصة على ان ايتنا دخل عليها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فلتقل انى اجد منك ريح مغافير اكلت مغافير وهو شجر كريه الرائحة فدخل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على احدهما فقالت له ذلك فقال بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن اعود له واستكتمها ذلك فاخبرت به عايشة فنزلت ياايها النبى لم تحرم مااحل الله لك يعنى العسل لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ولن اعود له الى قوله سبحانه ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه الآية والوجه الاول هو قول اكثر العلماء وروى مرسلا عن زيد بن اسلم من طرق صحاح رواه ابن وهب عن مالك رضى الله تعالى عنه قال حرم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ام ابراهيم رضى الله تعالى عنهما فقال هى حرام فانزل الله فى ذلك سورة التحريم واما الوجه الثانى فيه تواردت الاحاديث الصحيحة واخرجه البخارى عن عبيد بن عمير عن عايشة رضى الله تعالى عنها بنحو ما سبق وقال فيه انه شرب عند زينب كما تقدم وجاء فى صحيح مسلم انه شربه عند حفصة وان اللتين تظاهرتا عليه هما عايشة وسودة رضى الله تعالى عنهن واكثر المحدثين على ما فى البخارى والله سبحانه و تعالى اعلم

(الفصل التاسع)

(فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته صلى الله تعالى عليه وسلم) اعلم ان سورة الفتح نزلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منصرفه من الحديبية سنة ست من الهجرة و هو متوجه الى المدينة فهى على هذا فى حكم المدنى وقد قيل بل نزلت بالمدينة ولعل بعضها نزل بها وقد ثبت فى فضلها حديث لقد انزل الله على سورة هى احب الى مما طلعت عليه الشمس اى شمس الوجود قال الله تعالى انا فتحنا) اى بعظمتنا (لك) اى لا لغيرك اولاجلك (فتحا مبينا) اى ظاهرا

(الى قوله يد الله فوق ايديهم) ومعناه قوله سبحانه وتعالى وهو القاهر فوق عباده وكثير من السلف وبعض الخلف
على ان لله سبحانه وتعالى يدا لا بمعنى الجارحة بل انها صفة له تعالى على وجه يليق بذاته وكذا قالوا فى الاستواء
وسائر آيات المتشابه واحاديث الصفات ثم ما بينهما سابقا فى مبينا وفى اثناء الكلام مبينا وقد اختلف فى هذا الفتح
فقيل كثير ان هذا هو ما اتفق له صلى الله تعالى عليه وسلم فى طريق الحديبية من التيسير واللطف وذلك ان
المشركين كانوا اذ ذاك اقوى من المسلمين فيسر الله سبحانه ان وقعت بينه وبينهم المصالحة و مما يتقوى صلى الله
تعالى عليه وسلم واتفق له بعد ذلك بيعة الرضوان وهى الفتح الاعظم واستقبل صلى الله تعالى عليه وسلم فتح خيبر
فامتلأت ايدى اصحابه خيرا ولم يشترك فيه مع اهل الحديبية احد ممن تخلف منهم ثم ماوقع فى ذلك الوقت من الحرمة
التى كانت بين الروم وفارس فظهرت فيها الروم وكان ذلك فتحا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه لانهضام
شوكة الكفر العظمى ولانه صلى الله تعالى عليه وسلم علم كونه فتحا له من سورة الروم فكانت هذه كلها من جهة
الفتح الذى جاءت الآية مبهمة عليه وقد ذكر ابن عقبة انه لما كان صلح الحديبية ونزلت الآية قال رجال من اصحاب
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والله ماهذا بفتح لقد صددنا عن البيت وصد هدينا فبلغ رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فقال بئس الكلام هذا بل هو اعظم الفتوح قد رضى المشركون ان يدفعوكم بالرواح عن بلادهم
ويرغبوا اليكم فى الامان وقدرأوا منكم ماكرهوا واظفركم الله عليهم وردكم سالمين مأجورين وهو اعظم الفتوح
فقال المسلمون صدق الله ورسوله هو اعظم الفتوح يارسول الله وانت اعلم بالله وبامره منا وذهب بعض المفسرين
الى ان الفتح فى الآية انما هو اشارة الى فتح مكة فمعنى فتحنا على هذا قضينا وقدرنا والاظهر ان فتح الحديبية كان سببا
لفتح مكة وذهب بعضهم الى ان الفتح فى الآية انما هو الهداية الى الاسلام اى على الوجه العام ومال الزجاج اليه
واستحسنه لامكان الجمع بالحمل عليه قال المصنف (تضمنت هذه الايات) اى الواردة فى صدر السورة (من فضله) اى
من جملة فضائله (والثناء عليه وكريم منزلته عند الله تعالى ونعمته لديه ما) اى الذى اوشيئا (يقصر الوصف عن الانتهاء
اليه) اى لقصور احاطة العلم به (فابتدأ جل جلاله باعلامه) اى باعلام الله نبيه (بما قضاه له من القضاء البين) اى بما
حكم له وقدره من الفتح المبين حيث قال انا فتحنا لك فتحا مبينا اى انا قضينا لك على اهل مكة ان تدخلها من قابل عام
الحديبية (بظهوره وغلبته على عدوه وعلو كلمته وشريعته) اى طريقته وفى نسخة شيعته اى امته بمدحه وبها عمهم
وهذا قول آخر للمفسرين مغاير لما سبق من وجه اوهو وعد بفتح مكة كما تقدم وعبر بالماضى لتحققه او بما اتفق له بعد
نزولها كفتح خيبر وفدك او بما ظهر له فى الحديبية من آية عظيمة وهى ان ماءها نضب فلم يبق بها قطرة فتمضمض ثم مج فيها
فدرت ماء حتى رووا كلهم (وانه) عطف على اعلامه اى وبانه صلى الله تعالى عليه وسلم (مغفور له غير مؤاخذ) بالهمز
ويبدل واوا وهو تأكيد لما قبله لتضمنه معناه (بما كان ومايكون) حيث قال ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر
والمعنى لوكان لك ذنب قديم او حديث لغفرناه لك ولا يكون على هذا اثبات لوقوع الذنب ثم غفرانه خلافا لما يتوهم
من كلام المصنف (قال بعضهم اراد غفران ماوقع ومالم يقع اى انك مغفور لك) اى مما يصح ان يعاتب عليه كما فى قوله
تعالى لعلك باخع نفسك ان لايكونوا مؤمنين عبس وتولى ان جاءه الاعمى والاظهر ان فى الآية ايماء الى ان العبد
ولو وصل الى اعلى مرتبة المقدرة لم يحصل له استغناء عن المغفرة لقصور الاطوار البشرية فى القيام بحق العبودية على
ما اقتضته الربوبية وقيل عد الاشتغال بالامور المباحة والتفكر بالهمة فى مهمات الامة سيئات من حيث انها غفلة
عن مرتبة الحضرة فى الجملة ولذا قيل حسنات الابرار سيئات المقربين ثم قوله تعالى ليغفر لك الله علة للفتح من حيث
انه مسبب عن جهاد الكفار والسعى فى اعلاء دينه وازاحة شرك الاغيار وتكميل النفوس الناقصة اجبارا واعتبارا
ليصير ذلك بالتدريج اختيارا وتخليص الضعفة من ايدى الطلمة اختيارا (وقال مكى جعل الله المنة) اى العطية
والامتنان بالفتح او بالهداية الى الاسلام (سببا للمغفرة وكل) اى من المنة والهداية والمغفرة حاصل (من عنده)
اى لقوله سبحانه وتعالى قل كل من عند الله (لا اله غيره) اى حتى يكون قضاء شئ من عنده وروى لا اله الا هو (منة)
اى عطية وامتنانا او مفعول مطلق (بعد منة وفضلا بعد فضل ثم قال) اى الله عز وجل (ويتم نعمته عليك)
اى بجمعه لك النبوة والملك وظهور دينك وفتح البلاد عليك وغير ذلك ومنها قوله (قيل بخضوع من تكبر لك
متعلق بخضوع والمعنى بتواضع من تكبر عليك لاجلك بالانقياد لك والخضوع والخشوع بين يديك والتذلل اليك
وفى نسخة بخضوع من تكبر عليك (وقيل بفتح مكة والطائف) اى واقبال اهلهما اليك طوعا وكرها (وقيل
رفع ذكرك فى الدنيا وينصرك ويغفر لك) بصيغ الافعال تفسير على وفق المفسر وهو قوله ويتم وهو الاظهر وقال
التلمسانى بالجر وكلها مصادر ويجوز الفعل وكذا قال الحجازى وروى رفع ذكرك وبنصرك وغفرلك بالموحدة

وتنوين الاخير انتهى وقيد ان المغفر بمعنى المغفرة قليل الاستعمال ثم هذه الاقوال تنا ولها عموم الآية ولا مرجح لها فالاولى حملها على عمومها ثم يحتمل هذه الاقوال ومحصل هذه الاحوال ماذكره المصنف بقوله (فاعلمه) اى الله سبحانه (بتمام نعمته عليه) الاولى باتمام نعمته اى باكمال انعامه واحسانه اليه (بخضوع متكبرى عدوه له) الباء متعلق بنعمته او بدل مما قبله او بمعنى من البيانية له ولما بعده اى من تواضع اعدائه المتكبرين عليه سابقا غاية التواضع ولاحقا (وفتح اهم البلاد عليه) لان مكة كانت صقع المشركين وكانت العرب انما تنتظر بالاسلام مايكون من اهل مكة مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فان اسلموا اسلموا فكانت مكة لهذا المعنى اهم البلاد لان اسلام اهلها يستلزم اسلام جميع المشركين او اكثرهم ولهذا كثر المسلمون بعد فتح مكة ودخلوا فى دين الله افواجا وفى نسخة اسنى البلاد اى افضلها لكون القبلة فيها ومعدن النبوة بها وهى ام القرى ويتبعها ما حولها (واحبها اليه) اى على الاطلاق وانما صارت المدينة احب من سائر البلاد اليه بعد خروجه منها كما هو ظاهر حديث اللهم انك اخرجتنى من احب البقاع الى فاسكنى احب البقاع اليك فاسكنه المدينة كما اخرجه الحاكم فى مستدركه الا ان فى سنده عبد الله المقبرى وهو ضعيف جدا فلا يصلح لا سند لان المالكية لافضلية المدينة ومما يدل على قول الجمهور فى افضلية مكة ما رواه الزهرى عن سلمة عن عبد الله بن عدى الحمراء وفى رواية عن ابى هريرة يرفعه ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حين خرج الى الهجرة هو وابو بكر رضى الله تعالى عنه وقف ينظر الى البيت ثم قال والله انك لاحب ارض الله الى وانك لاحب ارض الله الى الله ولولا ان اهلك اخرجونى ما خرجت وما جاء فى حديث آخر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لمكة ما اطيبك من بلد واحبك الى ولولا ان قومى اخرجونى منك ما سكنت غيرك فاندفع بهذا ما قيل من ان الاحب لايعارض الافضل خصوصا بحسب الجبلة الطبيعية (ورفع ذكره) اى مما نشأ عليه كله من نصره اياه على عدوه فهو مما شامل له بخصوصه وهو بالجر عطف على ما قبله واما قوله (وهدايته الصراط المستقيم) وكذا ما بعده فبالجر الا انه عطف على تمام اى واعلمه بهدايته الى الصراط المستقيم اى بقوله ويهديك صراطا مستقيما وهو بالصاد والسين واشمام الزاى فى السبعة وبالزاى الخالصة فى الشاذة والهداية تعدى بنفسه تارة كقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم وبالى اخرى كقوله تعالى وانك لتهدى الى صراط مستقيم وباللام ايضا ومنه قوله سبحانه وتعالى ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم (المبلغ الجنة والسعادة) بكسر اللام المشددة ويجوز تخفيفها نعت للصراط اى الموصل الى اسباب الجنة وابواب السعادة واصناف السيادة (ونصره النصر العزيز) بقوله تعالى وينصرك الله نصرا عزيزا اى نصرا غالبا قويا فيه عز ومنعة وقوة وشوكة ظاهرة وباطنة او نصرا يعز به المنصور فوصف بوصفه للمبالغة وقال المجانى عزيز فى هذه الآية بمعنى معز كاليم بمعنى مؤلم وحبيب بمعنى محب فنصر معز وهو المتضمن لغلبة العدو وقهره ونصر لا بهذه الصفة وهو المتضمن لدفع اذى العدو فقط (ومنته) اى واعلمه بامتنانه (على امته المؤمنين بالسكينة) اى بانزال السكينة (والطمانينة) عطف تفسير وهو بضم اوله وبهمز ويسهل فيبدل مصدر اطمأن سكن ويروى الطمانية والسكينة وقيل السكينة هى الرحمة وقيل الوقار والزانة وقيل الاخلاص والمعرفة (التى جعلها الله فى قلوبهم) بقوله تعالى هو الذى انزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم اى يقينا مع يقينهم برسوخ العقيدة او ليزدادوا ايمانا بالشرائع المجددة اللاحقة مع ايمانهم بالاحكام المقررة السابقة لان حقيقة الايمان وهى التصديق غير قابلة للزيادة والنقصان عند ارباب التحقيق والله ولى التوفيق (وبشارتهم) بكسر الباء بمعنى ما يسر به اى واعلمه ببشارة امته (بمالهم) اى عند ربهم كما فى رواية (بعد) بضم الدال اى بعد حالهم (وفوزهم) اى نجاتهم وظفرهم (العظيم) اى فى مآلهم (والعفو عنهم) اى المحو لعيوبهم (والستر لذنوبهم) اى فيما جرى لهم والستر بالفتح مصدر وبالكسر اسم بقوله تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما واللام علة لما دل عليه قوله تعالى ولله جنود السموات والارض من التدبير وحسن التقدير اى دبر ما دبر من تسليط المؤمنين على الكافرين ليعرفوا نعمة ربهم ويشكروها فيدخلوا الجنة ويتنعموا بما فيها (وهلاك عدوه) اى اعداء النبى والمؤمنين (فى الدنيا والآخرة ولعنهم) اى طردهم (وبعدهم من رحمته وسوء منقلبهم) بفتح اللام اى قبح انقلابهم اى سوء مرجعهم ومصيرهم والمعنى انه اعلمه ذلك بقوله تعالى ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وظنهم هو ان لا ينصر الله رسوله والمؤمنين وعليهم دائرة ما ظنوه وتربصوه بالمؤمنين لا يتجاوزهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو بضم السين فى دائرة السوء لا فى مطلق السوء على ما فى الجلالين وعمالغتان (ثم قال) اى الله سبحانه وتعالى (انا ارسلناك شاهدا) اى مزكيا

الاصفياء اومشاهد اللقاء فى مقام البقاء (ومبشرا) للمؤمنين الاحباء بما يحبونه (ونذيرا) للكافرين الاعداء بما يكرهونه وهى احوال مقدرة وردت ببعض مااوتيه مخبرة (الاية) كما سيأتى (فعد) اى الله تعالى بذلك (محاسنه) اى فضائله الحسنة (وخصائصه من شهادته على امته لنفسه بتبليغ الرسالة لهم) اى بخلاف سائر الانبياء فانه لاتقبل شهادتهم على اممهم لانفسهم بل يحتاجون الى ان هذه الامة يشهدون على الامم بتبليغ انبيائهم لهم كما تقدم بيانه (وقيل شاهدا) اى يشهد يوم القيامة (لهم بالتوحيد) اى بتوحيد هم لله (ومبشرا لامته) اى ويبشرهم (بالثواب) اى فى دار النجاة (وقيل بالمغفرة) اى يبشر احباءه بحسن المآب (ومنذرا عدوه) اى يخوف اعداءه (بالعذاب وقيل) اى فى معنى منذرا (محذرا) اى يحذر امته (من الضلالات) اى من انواع الضلالة التى هى الكفر والفسق والبدعة (ليؤمن بالله) اى حق الايمان (ثم به) اى برسوله (من سبقت له من الله الحسنى) اى المنزلة الاسنى وهى الجنة العليا اوالمثوبة الحسنى ويدل عليه قوله تعالى ليؤمنوا بالله ورسوله (ويعزروه) اى يمنعوه ويحرسوه من اعدائه (اى يجلونه) وهو من الاجلال اى يعظمونه واثبات النون بناء على اصله قبل دخول لام الامر على مفسره (وقيل ينصرونه) اى على عدوه فى الجهاد اوفى الاجتهاد فى نصرة دينه (وقيل بالعون فى تعظيمه ويوقروه اى يعظمونه)الاظهر ان يقال يهابونه ويكرمونه ويخدمونه ويعدونه من اهل الوقار (وقرأ بعضهم) اى من قراء الشواذ وقد نسب الى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (وتعززوه بزايين) بالياء بعد الالف وبالهمز وكلاهما صحيح ذكره التلمسانى والثانى غير صحيح لان الفرق المعروف بين الزاء والزاى بالياء فى الثانى وبتركه فى الاول فتأمل ولذا لم يقل بالزاى المعجمة لاستغنائه بالصورة عن القيد ولاراء مهملة لما تقدم والله تعالى اعلم (من العز) اى العزة والتفعيل للتكثير والمبالغة والمعنى يعزوه غاية العزة واما جمهور القراء فقراءتهم بضم اوله وكسر الزاى مشددة وبعدها راء وقرأ الجحدرى بفتح التاء وضم الزاى وكسرها وهو شاذ (والاكثر) اى القول الاكثر من المفسرين (والاظهر) اى من العلماء المعتبرين (ان هذا) اى قوله تعالى يعزروه ويوقروه انزل (فى حق محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) لانه اقرب ذكرا فيرجع ضميرا هما اليه ويمايدل عليه قوله تعالى فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه (ثم قال ويسبحوه) اى ينزهوه اويصلوا له (بكرة واصيلا) اى نهارا وليلا (فهذا) اى ضمير يسبحوه (راجع الى الله تعالى) ويؤيده ان ارباب الوقوف القرآنية جعلوا الوقف المطلق فوق قوله سبحانه وتعالى ويوقروه ايماء الى قطع ماقبله عما بعده وقيل الضمائر الثلاثة لله وارد بتعزيره تعالى تقوية دينه وتأييد نبيه ثم اعلم ان ابن كثير وابا عمرو قرآ بالغيبة فى الافعال الاربعة والباقون بالخطاب له ولامته اولهم تنزيلا لخطابه منزلة خطابهم فعلى الاول تقدير الآية انا ارسلناك ليؤمنوا بالله وبك يامحمد وعلى الثانى تقديره ليؤمنن بك من آمن (وقال ابن عطاء جمع) بالبناء للمجهول لان فاعله معلوم والمعنى اجتمع (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذه السورة) اى سورة الفتح (نعم مختلفة) اى متعددة متكثرة اومختلفة من حيث ذواتها وان كانت من حيث صفاتها مؤتلفة (من الفتح المبين)من بيانية للنعم المتقدمة (وهو) اى الفتح المبين (من اعلام الاجابة) بفتح همزة اعلام على انه جمع علم بفتح اللام اى من علامات قبول اجابة الله (لدعوته) صلى الله تعالى عليه وسلم اذ قد سأله النصر فى مواطن كثيرة وفى الحديث من فتح له باب الدعاء فتح له باب الاجابة (والمغفرة) اى ومن المغفرة (وهى) اى المغفرة (من اعلام المحبة) لقوله تعالى ردا لاهل الكتاب فى محكم الخطاب وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم والمعنى انكم لو كنتم احباءه لما عذبكم بذنوبكم كما يعذب اعداءه بل غفر لكم واكثر عليكم عطاءه ونعماءه ومن المعلوم ان المحبة من الله تعالى اما ارادة انعام اونفس احسان واكرام لنزاهة ذاته القدسى عن الميل النفسى (وتمام النعمة) اى ومن تمام النعمة (وهى من اعلام الاختصاص) اى منة له علم بانه احدا غيره كما يستفاد من قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى (والهداية) اى ومن الهداية (وهى من اعلام الولاية) اى التأييد والنصرة (فالمغفرة) بالرفع مبتدأ (تبرئة) اى تنزيه منه له (من العيوب) اى عيوب الذنوب وفى نسخة تنزيه من العيوب واما قول الحلبى وهو بكسر الراء المشددة ثم همزة مضمومة من البراءة فخطأ ظاهر فى العبارة اذ الصواب انه بفتح التاء وسكون الموحدة وبكسر الراء المخففة وفتح الهمزة مصدر برأه يبرئه تبرئة على وزن تفعلة والذى ذكره انما هو بضم الراء مصدر تبرأ منه وهو غير مناسب للمقام كما لايخفى على العلماء الاعلام (وتمام النعمة بلاغ الدرجة الكاملة) اى ايصاله تعالى له الى درجة لادرجة فوقها (والهداية وهى الدعوة الى المشاهدة) اى الى الحضرة فى مقعد صدق وقرب مكانة وكرامة لاقرب مكان ومسافة (وقال جعفر بن محمد) اى ابن على بن الحسين بن على رضى الله تعالى عنهم (من تمام نعمته عليه ان جعله حبيبه) اصطفاه وخصه بكرامة تشبه كرامة الحبيب عند محبه فالمحبة اصفى وذلك انها من حبة القلب بخلاف الخلة فانها ود تخلل النفس وخالطها (واقسم بحياته)

اى فى قوله تعالى لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون اى وحياتك يامحمد وتقديره لعمرك قسمى والعمر بفتح العين لغة فى العمر بالضم خص به القسم ايثارا لخفته لكثرة دوران القسم على السنتهم (ونسخ به شرائع غيره) لقوله عليه الصلاة والسلام لوكان موسى حيا لما وسعه الا اتباعى (وعرج) بفتح الراء اى صعد (به الى المحل الاعلى) اى المنزل الاعلى وهو بفتح الحاء وكسرها والاول اولى والمراد به مقام قاب قوسين اوادنى (وحفظه فى المعراج) اى عن مطالعة السوى والمعراج الدرجة وقيل سلم تعرفيه الارواح وجاء انه احسن شئ لاتتمالك الروح اذا رأته ان تخرج وان تشخص بصر الميت من حسنه (حتى مازاغ البصر وماطغى) اى مامال الى الهوى ولاتجاوز عن المولى (وبعثه الى الاسود والاحمر) اى الى العرب والعجم اوالجن والانس لقوله عليه الصلاة والسلام بعثت الى الاحمر والاسود وفى رواية بعثت الى الناس كافة ولقوله تعالى وماارسلناك الا كافة للناس اى الارسالة عامة لهم محيطة بهم من الكف فانها اذا عمتهم كفتهم عن ان يخرج منها احد منهم (واحل له ولامته الغنائم) لقوله عليه الصلاة والسلام احلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى وفى رواية احلت لنا الغنائم (وجعله شفيعا) اى يوم الجمع لجميع الخلائق (مشفعا) بتشديد الفاء المفتوحة اى مقبول الشفاعة فى مقام محمود يحمده فيه الاولون والآخرون كماروى عن ابن عباس رضى الله عنه مرفوعا (وسيد ولد آدم) اى وجعله سيد البشر ولما كان بعض اولاد آدم افضل منه فيلزم منه انه صلى الله تعالى عليه وسلم افضل من آدم عليه السلام بطريق البرهان الذى يسمى بالاولى ومنه قوله تعالى فلا تقل لهما اف اى فكيف الضرب بالكف وهو مقتبس من قوله عليه الصلاة والسلام اناسيد ولد آدم يوم القيامة ولافخر اى ولااقول فخر النفسى بل تحدثا بنعمة ربى وتقييد يوم القيمة لانه وقت ظهوره ونظيره والملك يومئذ لله والحديث رواه احمد والترمذى وابن ماجة عن ابى سعيد مع زيادة ومامن بنى آدم فمن سواه الاتحت لوائى ولافخر وفى رواية لمسلم وابى داود مع زيادة واول شافع واول مشفع ولافخر وفى البخارى اناسيد الاولين والآخرين ولافخر (وقرن) اى جمع ووصل (ذكره بذكره) كما يستفاد من قوله تعالى ورفعنالك ذكرك ومن قوله سبحانه وتعالى واطيعوا الله واطيعوا الرسول (ورضاه برضاه) لقوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه (وجعله احد ركنى التوحيد) اى المعتبر فى الدين (ثم قال ان الذين يبايعونك) اى يعقدون الميثاق معك على قتال اهل الشقاق (انما يبايعون الله) لانه المقصود بالبيعة بالاتفاق (يعنى) اى يريد الله بهذه المبايعة (بيعة الرضوان اى انما يبايعون الله بيعتهم اياك يد الله فوق ايديهم) استيناف مؤكد لماقبله (يريد) اى الله ان يده فوق ايديهم (عند البيعة) اى على طريق الخصوصية قال التلمسانى قوله يريد عند البيعة صوابه معناه عند البيعة والافلاارادة والعناية فى كلام المخلوقين ولاينبغى ان يقول المفسر يعنى ولايريد ولكن يقول من معناه او يجوز اويحتمل ونحو ذلك مما يجرى على الالسنة (قيل) اى المراد بيد الله (قوة الله) اى وقدرته والمعنى قوته وقدرته فى نصر رسوله فوق قواهم وقدرهم وقداشار الهروى فى غريبه الى هذا القول فيكون فى الآية على هذا ذكر نعمة مستقبلة وعدالله بها نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وهى النصر له وعلى القول الذى بعده يكون فيها ذكر نعمة حاصلة قد شرف الله بها المبايعين واستعمال اليد ايضا فى اللغة بمعنى القوة موجود ومنه قوله تعالى اولى الايدى اى اولى القوى (وقيل ثوابه) اى المترتب على مبايعتهم بايديهم وانقيادهم فى متابعتهم فاليد بمعنى النعمة (وقيل منته) اى عطيته ومنه يقال لفلان على يد وفى الحديث اللهم لاتجعل لفاجر على يدا يحبه قلبى وقد قال الشاطبى رحمه الله اليك يدى منك الايادى تمدها والمعنى منته عليهم ونعمته لديهم ببيعتهم مما يحوه من العز فى الدنيا والثواب فى العقبى فوق منتهم عليك بمبايعتهم لك على ان يبذلوا انفسهم واموالهم قال التجانى واليه ذهب اكثر المفسرين واستعمال اليد فى اللغة بمعنى النعمة كثير ومنه قول الشاعر

(لجودك فى قومى يد يعرفونها * واياد النّدى فى الصالحين فروض)

والى هذا المعنى يرجع قول من قال هى من الله سبحانه الثواب اعنى اليد فى الآية المثوبة ومن المبايعين الطاعة فان الثواب من الله تعالى داخل تحت منته والطاعة منهم داخلة تحت ما يعتنون به والا فليس اليد فى اللغة اسما للثواب ولاللطاعة (وقيل) اى المراد بيد الله (عقده) وفى نسخة عفوه وهو تصحيف وتحريف والمعنى انه تعالى اوجد البيعة واتم عقدها فاستعار لايجاد عقدها اسم اليد من حيث كان الآدميون انما يفعلونه بايديهم وهو من باب اطلاق اسم السبب على المسبب وجاء قوله سبحانه وتعالى فوق ايديهم مرشحا لهذه الاستعارة والايدى من المبايعين على هذا هى الجوارح على حقيقتها ولذا قال المصنف (وهذه) اى هذه الاقوال المختلفة المعانى فى لفظ اليد هل هى على سبيل الاشتراك والحقيقة اوعلى سبيل النقل والمجاز والمختار انها (استعارات) اى اطلاقات مجازية لمناسبات شبيهة (وتجنيس فى الكلام) اى وتفنن فى العبارات الايمائية ولم يرد به التجنيس الصناعى وهو اتفاق اللفظ واختلاف المعنى على ما ذكره التلمسانى وغيره بل اللغوى بمعنى المناسبة لان العقد مثلا اذا اطلق عليه اسم اليد فانما يراد التى بمعنى

الجارحة فيهما وبين الايدى فى الآية مناسبة والمناسبة كما ذكره حسان ذكر الشئ مع ما يناسبه على جهة الاستعارة والتشبيه (وتأكيد لعقد بيعتهم اياه) اى من حيث ان بيعتهم محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم كبيعتهم مع الله لاتفاوت بينهما فيده التى تعلو ايديهم هى يد الله تخييلا (وتعظيم شان المبايع) بصيغة المفعول والمراد به محمد (صلى الله تعالى عليه وسلم) وقوله تعظيم بكسر العين وفتح الظاء مجرور عطفا على ما قبله اى وتأكيد لعظمة شأنه وتفخيم سلطانه من حيث جعل بيعتهم له بيعتهم لله سبحانه بجعل طاعته طاعته (وقد يكون من هذا) اى من قبيل قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله (قوله تعالى فلم تقتلوهم) اى كفار بدر بنصركم وتسليطكم اياه (ولكن الله قتلهم) اى بمعنى انه هو الخالق للقتل واسبابه وهم المباشرون له بقوة الله عند اكتسابه (وما رميت) اى رميا يوصل التراب الى اعينهم ولم تقدر عليه (اذ رميت) اى يوم بدر وحنين وجوههم صورة واكتسابا واخذا وارسالا (ولكن الله رمى) اى حقيقة وتبليغا واصابة فبلغ رميه تعالى منهم حدا لم يبلغ رميك من ايصاله التراب الى اعينهم جميعا فلم يبق مشرك الا شغل اعينه فانهزموا وتمكنتم منهم قتلا واسرا (وان كان الاول) يعنى ان الذين يبايعونك وان وصلية (من باب المجاز) اى ادخل فى ذلك الباب والاظهر ان يقال من باب المجاز كما فى اصل الدلجى وكذا قوله (وهذا) اى فلم تقتلوهم الآية (من باب الحقيقة لان القاتل والرامى بالحقيقة) وروى فى الحقيقة (هو الله وهو خالق فعله) اى فعل المباشر من قتله ونحوه (ورميه وقدرته عليه) اى ايجادا وابداعا وهو القاتل مباشرة واكتسابا ومن ثم اسند الفعل اليه حقيقة ايضا كما انه نفاه عنه ايضا لكن بين الحقيقتين بون بين وبيان ظاهر لمذهب اهل السنة والجماعة من ان العبد له نسبة الكسب فى الحقيقة على الجملة والحاصل انه سبحانه وتعالى وصف نفسه فى هذه الآية بالقتل والرمى من حيث كونه هو الذى حصل اثرهما ومعناهما وان كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه هم الذين فعلوا ورموا وهو على هذا من باب اطلاق السبب الذى هو القتل والرمى على المسبب الذى هو الاثر والمعنة كما سبق فى الآية المتقدمة واما من يقول ان الله تعالى هو الفاعل لكل شئ على الحقيقة ونسبة الفعل الى غيره مجاز فلا تنشبه فيه لهذه الآية السابقة ولا تعرق بينهما فانها (ومسببه) اى وهو سبحانه وتعالى مسبب سبب فعل عبده وفى نسخة مشيته اى ارادته كذا ذكر فى حاشية وليس لها وجه ظاهر بل هو تصحيف كالايخفى (ولانه) اى الشأن (ليس فى قدرة البشر توصيل تلك الرمية حيث وصلت) اى الى وجوههم فاعمت ابصارهم (حتى لم يبق منهم من لم تملا) اى تلك الرمية (عينيه) اى ترابا وكذلك قتل الملائكة لهم حقيقة) اى فى الصورة الكسبية والاضافة النسبية مثل اسناد القتل الى افراد البشرية وانما احتاج الى ذكرهم لئلا يتوهم ان القدرة الملكية ليست كقوى البشرية فى الاحتياج الى القوة الالهية والقدرة الصمدانية فان المخلوقات بأسرها متساوية فى مرتبة العبودية فاندفع بتحريرنا ما توهم الدلجى خلاف تقريرنا حيث قال وما احق هذا بالتعجب لان القاتل حقيقة ايضا بالنسبة اليهم هو الله وهو خالق فعلهم وقدرهم ايجادا وابداعا وهم الفاعلون مباشرة واكتسابا فلا خصوصية لهم بكون قتلهم حقيقة دون اسناده الى الله حقيقة انتهى وظهر لى وجه آخر انه اراد بقوله حقيقة انه وقع من الملائكة نوع من المباشرة فى قتل الكفرة لا انه انما كان نزول الملائكة لمجرد وصول البركة وحصول النصرة (وقد قيل فى هذه الآية الاخرى) اى الاخيرة وهى قوله تعالى فلم تقتلوهم الآية (انها على المجاز العرفى) بالفاء اى اللغوى اعنى استعمال اللفظ فى غير ما وضع له لعلاقة بين المعنى المجازى والحقيقى وهى هنا السببية وفى نسخة العرقى بالقاف قال العلامة محمد بن خليل الانطاكى الحنفى فى حاشيته المسماة زبدة الحقائق اعلم ان المجاز ان تجوز مستعمله عن معنى وضع ذلك اللفظ له واضع اللغة فهو المجاز اللغوى كالاسد للشجاع وان تجوز عما وضعه الشارع له وهو الله ورسوله فهو المجاز الشرعى كالصلاة للدعاء وان تجوز عما وضعه طائفة معينة فهو المجاز العرفى الخاص كالفعل للحدث وان لم تكن معينة فهو المجاز العرفى العام كالدابة للشاة (ومقابلة اللفظ) اى وعلى مقابلة اللفظ (ومناسبته) اى له لما بينهما من العلاقة المؤذنة باستعمال ما وضع للسبب من اللفظ فى مسببه (اى ما قتلتموهم) اى ايها الامة حين قتلتموهم بآلات القتل (وما رميتهم انت) ايها النبى (اذ رميت وجوههم بالحصباء) باليد اى بالحصى او بالاحجار الصغار يخالطها التراب (والتراب ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع) اى واوقع فى صدورهم الرعب والفزع (اى ان منفعة الرمى) اى وكذا فائدة القتل (كانت من فعل الله تعالى فهو القاتل والرامى بالمعنى) اى الذى هو ابتلاهم بالرعب وادخال التراب فى اعينهم حتى انهزموا (وانت) اى القاتل والرامى (بالاسم) اى من حيث مباشرتهما بالوسم وصورة المبنى وحذف قوله القاتل والرامى فى الجملة الاخيرة للعلم به من الجملة المتقدمة مذاقه من دلائل الاوائل على الاواخر والله اعلم بالظواهر والضمائر والحاصل فيه ما حكى عن المهدوى واوضحه هبة الله بن سلامة ان الرمى اخذ وارسال وتبليغ وايصال فالذى اثبت الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم هو الاخذ

والارسال والذى نفى عنه واثبته لنفسه هو التبليغ والايصال والله تعالى اعلم بالحال ثم اعلم بطريق الانعطاف الى القضية الامنية ان السكينة الواقعة فى الآية المكنية هى كناية عن تسكين نفوس المؤمنين بتحصيل اليقين وذلك انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اخبرهم حين توجه للحديبية بانهم يدخلون مكة آمنين ويطوفون بالبيت لرؤيا كان رآها فذكر الله سبحانه وتعالى فى هذه الآية انه خلق فى نفوسهم ثقة بهذا وجعلها مستقرة فى نفوسهم ومستمرة الى ان يقع ما وعدهم به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويشاهدوه معاينة فيزدادوا بذلك ايمانا مع ايمانهم وقد قضى الله ان يكون ما وعدهم به رسوله لان رؤيا الانبياء وحى ولكن فى غير ذلك التوجه ولهذا لما انكشف امر الحديبية عن الصلح قال بعض اصحابه يارسول الله الم تقل لنا انا ندخل مكة آمنين ونطوف بالبيت فقال لهم بلى افقلت لكم فى عامى هذا فكان تحقق هذا فى عام الفتح والى ذلك اشار الله سبحانه وتعالى بقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وجاء قوله سبحانه وتعالى فى هذه الآية ولله جنود السموات والارض بأثر ذكر السكينة زيادة فى تسكين نفوسهم واشعارا بان الله سبحانه وتعالى قادر على مايشاء ثم عقب ذلك بوصفه نفسه بالعلم والحكمة اى فلا تستعجلوا ما وعدكم به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فان الله يعلم فى تأخير ذلك حكمة وهو معنى قوله تعالى فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا وقوله سبحانه وتعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات اريد بهم الذين انزل السكينة فى قلوبهم فصدقوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفى حديث الترمذى بسند صحيح من رواية قتادة عن انس رضى الله عنه قال نزل على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وتأخر مرجعه من الحديبية فقرأها عليهم فقالوا هنيئا مريئا يانبى الله قد بين الله لك مايفعل بك فمايفعل بنا فنزل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم والواو لمطلق الجمع والافتكفير السيئة قبل ادخالهم الجنة هذا وقد ذكر المفسرون فى قوله تعالى الظانين بالله ظن السوء معنيين احدهما انه كناية عن قولهم لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا والآخر انه كناية عما يعتقدونه من صفات الله سبحانه وتعالى على غير ما هى عليه فهو ظن سوء باعتبار انه كذب وموصل لصاحبه الى جهنم ودائرة السوء المصيبة السوء وسميت دائرة من حيث انها تحيط بصاحبها كما تحيط الدائرة بمركزها على السواء من كل الجهات والى هذا مال النقاش فى تفسيره وذهب بعضهم الى انها سميت دائرة لدورانها بدوران الزمان لان الزمان لما كان يذهب ويجئ على ترتيب واحد صار كانه مستدير ومنه حديث وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض فكان الخطوب والحوادث فى طيه تدور بدورانه ثم سميت بيعة الحديبية بيعة الرضوان لقوله سبحانه وتعالى فيها لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وهى سمرة من شجرة العضاة وذهبت بعد سنين من الهجرة ومر عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافته بذلك الموضع فاختلف اصحابه فى موضعها وكثر تشاجرهم فى ذلك فقال عمر هذا هو التكلف سيروا واتركوها وكان الذين بايعوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الفا واربعمائة فى احدى الروايتين عن جابر والفا وخمسمائة فى الرواية الاخرى عنه فبايعوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ان لا يفروا قال جابر ولم يبايعوه على الموت وقال سلمة بن الاكوع فى حديثه بايعناه على الموت وكلا الحديثين صحيح لان بعضهم بايع على ان لا يفر ولم يذكر الموت وبعضهم بايع على الموت ولم يتخلف عن هذه البيعة احد ممن حضر مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا الجد بن قيس فانه اختبأ تحت ناقته وكان عثمان رضى الله تعالى عنه غائبا بمكة فبايع عنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيده وقال هذه يد عثمان رضى الله عنه وكانت هذه البيعة بسبب غيبة عثمان عندما ذكر ان اهل مكة قتلوه وكان صلى الله تعالى عليه وسلم عندما توجه الى مكة اراد ان يبعث رجلا الى قريش يخبرهم انه لا يريد حربا وانما جاء معتمرا فبعث اليهم خراش بن امية الخزاعى فلما وصل اليهم ارادوا قتله فمنعته الاحابيش قال ابن قتيبة فى المعارف وهم جماعة اجتمعوا فتحالفوا ان يكونوا كلا على من سواهم والتحبش فى كلام العرب التجمع وخلوا سبيل خراش حتى اتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبره بذلك فاراد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يبعث عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه اليهم فقال عمر يارسول الله انى اخاف قريشا على نفسى وليس بمكة من عدى بن كعب من يمنعنى وقد علمت قريش عداوتى اياها وغلظتى عليها ولكن ادلك على رجل اعز بها منى عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه فدعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عثمان فبعثه الى ابى سفيان واشراف قريش يخبرهم انه لم يأت للحرب وانما جاء زائرا البيت ومعظما لحرمته فخرج عثمان الى مكة فلقيه اباد بن سعيد بن العاص قبل ان يدخل مكة فترجل له وحمله على دابته واجاره بالزاى فانطلق عثمان حتى اتى اباسفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما ارسله به فقالوا له حين فرغ ان شئت ان تطوف بالبيت فطف فقال ما كنت لافعل حتى يطوف به

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واحبسته قريش عندها برهة وبكرمه فاتفق ان خرج صارخ فى عسكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد قتل عثمان فاغتم المؤمنون وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانبرح ان كان هذا حتى نلقى القوم وامر مناديه فنادى البيعة وبلغ بعد ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الذى كان من امر عثمان باطل وجاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سالما فحمد الله على ذلك والمبايعة فى الآية مفاعلة من البيع لان الله سبحانه وتعالى باع منهم الجنة بانفسهم واموالهم وباعوه انفسهم واموالهم بالجنة وبقية قصة الحديبية فى المواهب اللدنية

(الفصل العاشر)

(فيما) اى فى ذكر ما (اظهره الله فى كتابه العزيز) اى المنيع الذى لا يعترى ساحة عزه ابطال وتحريف او الكثير النفع العديم النظير اللطيف (من كرامته عليه ومكانته عنده) الاولى لديه (وما) اى وفى بيان ما (خصه به من ذلك) اى الاكرام (سوى ما انتظم) اى غير ما دخل (فيما ذكرناه قبل) هو مبنى على الضم مقطوع عن الاضافة اى قبل ذلك فى الفصول السابقة من الفضائل المتقدمة (من ذلك) اى الذى اكرم به ولم ينتظم فيما ذكره قبل (ما نصه الله تعالى) اى صرحه وفى نسخة قصه (من قصة الاسراء فى سورة سبحان) وفى نسخة فى قصة الاسراء من سورة سبحان وهى غير صحيحة (والنجم) اى وفى سورته وقد سبق الكلام عليه (وما انطوت) اى ومن ذلك ما اشتملت (عليه القصة) اى القضية (من عظيم منزلته وقربه) اى قرب مكانته المفهوم من قوله تعالى دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى (ومشاهدته) اى مطالعته (ما شاهده من العجائب) اى ما رآه من الغرائب المستفاد من قوله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى كرؤية الانبياء وتمثلهم له ووقوفه على مقاماتهم وعجائب الملكوت وغرائب الجبروت ومشاهدة الملائكة المقربين وحملة العرش والكرسى ورؤية العرش المحيط بالسموات والارضين ورؤية رب العالمين مع كون ذهابه وايابه فى برهة من الليل مسيرة ما لا يعلمه احد من المهندسين وقد ورد ان ما بين الارض وسماء الدنيا مسافة خمسمائة عام وكذا ما بين كل سماء وسماء وكذا غلظ كل سماء وجميع السموات والارضين بجنب الكرسى كحلقة فى فلاة وهو بجنب العرش كحلقة فى فلاة وقد تعجب قريش من ذلك واحالوه ولا استحالة فيه عند ارباب العقول اذ ثبت عند الحكماء فى علم الهندسة ان ما بين طرفى قرص الشمس ضعف ما بين طرفى كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ومع ذلك فطرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى فى اقل من ساعة وقد حكم علماء الكلام من علماء الانام بان الاجسام متساوية فى قبول الاعراض وان الله قادر على جميع الممكنات فلا ينكر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة فيه صلى الله تعالى عليه وسلم او فى البراق كيف وقد ورد انه يضع حافره عند منتهى طرفه والتعجب من لوازم المعجزات (ومن ذلك عصمته من الناس بقوله تعالى والله يعصمك من الناس) اى يحفظك من تعرض اعدائك لك روى الترمذى كان النبى صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فقال يا ايها الناس انصرفوا فقد عصمنى الله ولا ينافيه ما فى البخارى وغيره من شج وجهه وكسر رباعيته يوم احد لخصوص العصمة بالقتل تنبيها على انه يجب على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان يحمل ما دون النفس لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام اشد الناس من جهة البلاء او انهما بعد وقعته قال الحجازى والمراد بالناس فى الآية الكفار بدليل قوله تعالى ان الله لا يهدى القوم الكافرين قلت الظاهر هو العموم ولا دلالة فى الآية على قصد الخصوص عند ارباب الفهوم وان كان الخصوص من الخارج هو المعلوم (وقوله) بالجر اى ومن ذلك عصمته منهم قبل نزول تلك الآية بقوله تعالى (واذ يمكر بك الذين كفروا الآية) ذكره سبحانه وتعالى بعد الفتح مكر قريش به بمكة قبل الهجرة ليشكر نعمة الله بخلاصه من مكرهم به واحيا لهم عليه فالقضية مكية والآية مدنية اى واذكر اذ يمكرون بك فى دار الندوة متشاورين فى امرك بحضور عدو الله ابليس حيث دخل فيهم وقال انا شيخ من نجد سمعت اجتماعكم ولن تعدموا منى رأيا ونصحا ليثبتوك بوثاق او حبس اشارة الى قول ابى البخترى ارى ان تحبسوه وتسدوا منافذه الا كوة تلقون اليه منها طعامه وشرابه حتى يموت فقال ابليس بئس الرأى يأتيكم من قومه من يخلصه منكم او يقتلوك اشارة الى قول ابى جهل لعنه الله عليه ارى ان نأخذ من كل بطن غلاما مع كل واحد سيف ويضربونه ضربة واحدة فيتفرق دمه فى القبائل فلا يقوى بنوا هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوه عقلناه فقال ابليس صدق الفتى او يخرجوك اشارة الى قول هشام بن عمرو ارى ان تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال ابليس بئس الرأى يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فتفرقوا على رأى ابى جهل فاخبره جبريل بذلك وقال له لا تبت الليل فى مكان نومك فامر عليا ان ينام فيه وخرج عليهم وقد اجتمعوا عشاء لقتله واخذ كفا من تراب فنثره على رؤسهم يقرأ يس والقرآن الحكيم الى قوله تعالى لا يبصرون وهذا معنى قوله تعالى ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين فمكر الله من باب المشاكلة

اومجول على المعاملة (بقوله) بالجر اى ومنه عصمته بقوله تعالى (الا تنصروه فقد نصره الله) اى ان لم تنصروه ولم تخرجوا معه الى غزوة تبوك فسينصره من نصر عند قلة اوليائه وكثرة اعدائه اذاخرجه الذين كفروا وليس معه الا ابوبكر فحذف الجواب واقيم ماهو كالدليل عليه مقامه واسند اليهم الاخراج لتسبب اذن الله له فى الخروج عن همهم به فكانهم اخرجوه وقوله ثانى اثنين حال من ضمير اخرجه اى احد اثنين روى ان جبريل لما امره بالخروج قال من يخرج معى قال ابوبكر (ومادفع الله) اى ومنه مادفعه الله (به) اى بنصره (عنه فى هذه القصة) اى قصة مكرهم به لقوله تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا باهله ولما قيل من حفر بئرا لاخيه وقع فيه والمعنى ما حفظ الله له (من اذاهم) اى ليلة عزموا على قتله (بعد تحزبهم) اى تجمعهم ووقع فى نسخة بعد تحريبهم براء مكسورة مشددة فتحتية اى بعد قصدهم (لهلكه) بضم اوله وسكون ثانيه اى هلاكه (وخلوصهم) اى وبعد انفرادهم واعتزالهم خالصين من مخالطة غيرهم (نجيا) مصدر اووصف اريد به معنى الجمع وقدجاء مفردا فى قوله تعالى وقربناه نجيا وجمعا فى قوله تعالى خلصوا نجيا كما هو المراد هنا اى متناجين ومتشاورين (فى امره) اى على اى صفة يؤذونه ليظفروا بحاجتهم فطوقوا بخبيثهم (والاخذ) بالجر فى اكثر النسخ واقتصر عليه الدلجى حيث قال والظاهر كما فى نسخة مصححة رفعه عطفا على مادفع لا على اذاهم لفساد المعنى كما لا يخفى الا ان الاقرب والاظهر الانسب انه مجرور عطفا على تحزبهم وخلوصهم والمعنى بعد الاخذ (على ابصارهم عند خروجه عليهم) اى مع ابى بكر الى الغار ليلة قصدوا قتله وكذا الكلام من حيث المبنى والمعنى على قوله (وذهولهم) اى غفلتهم (عن طلبه فى الغار) اى مع ترددهم حوله فلم يهتدوا اليه وذلك بايات اظهرها الله فى الحال من نسج العنكبوت على الغار حتى قال امية بن خلف حين قالوا ندخل الغار ماارى الا انه قبل ان ولد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وبعث حمامتين على فم الغار فقالت قريش لو كان فيه احد لما كانت الحمام هنا والمراد بالغار ثقب باعلى ثور جبل عن يمين مكة مسيرة ساعة واللام فيه للعهد (وماظهر) اى لهم (فى ذلك من الآيات) اذ خرج عليهم وهم ببابه فلم يروه بناء على حجاب الله ونقابه تحت قباله ونثره التراب على رؤسهم فلم يعلموا به حتى قيل لهم الى غير ذلك من الايات والمعجزات (ونزول السكينة عليه) اى ومن نزول الطمانينة والامن الذى تسكن عنده النفوس على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويؤيده قوله تعالى وايده بجنود لم تروها اوعلى ابى بكر رضى الله تعالى عنه لانه الذى كان منزعجا لقوله تعالى اذيقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه ويؤيده ان بعض القراء جعل عليه وقفا لازما وجعل ما بعده كلاما مستأنفا اوعطفا على صدر القصة ممايكون محلا قابلا لئلا يلزم تفكيك الضمير مع تجويز بعضهم ذلك كما فى قوله تعالى ان اقذفيه فى التابوت الاية واما قول الدلجى ان هذا هوالحق فليس فى محله لورود الخلاف عن اكابر المفسرين على ان التحقيق فى مقام الجمع على جهة التدقيق ان يقال المعنى فانزل الله سكينته على كل منهما بناء على ارادة زيادة الاطمئنان والسكون فيهما كما يدل عليه ما فى مصحف حفصة فانزل الله سكينته عليهما ولا ينافيه ماورد فى تسلية الصديق من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ماظنك باثنين الله ثالثهما (وقصة سراقة) بالجر عطفا على الايات اى ومن قصة سراقة (ابن مالك) اى ابن جعشم وهوالذى اعطت له قريش الجعائل واخذ فى طلب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين هاجر وساخت قوائم فرسه عند ذلك وهوالذى البس له عمر رضى الله تعالى عنه سوارى كسرى وقال الحمد لله الذى سلبهما كسرى والبسهما سراقة وقد كان اخبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فهى معجزة دائمة باقية الى يوم القيمة (حسب) بفتح الحاء والسين وقد يسكن الثانى واقتصر عليه الحلبى وغيره اى على قدر (ما ذكره اهل الحديث والسير) بكسر ففتح جمع سيرة وارباب السير من الشمائل والمغازى (فى قصة الغار وحديث الهجرة) اى مفصلا ومجملا انه تبعهما حين توجها من الغار مهاجرين الى المدينة ليفتك بهما فرده الله خاسئا ثم اسلم بالجعرانة منصرف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الطائف قال الحلبى وفى الصحابة من اسمه سراقة ثمانية عشر غيره (ومنه) اى ومن ذلك (قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر) ومعناه سيأتى اى الكثير من انواع التفضيل الاان فوعل ابلغ من فعيل وفيه تسلية له عن موت ابنه ابراهيم (فصل لربك) فيه التفات من التكلم الى الغيبة اذ مقتضى الظاهر فصل لنا اى فدم على الصلاة كما امرنا اوعلى صلاة العيد خالصا لوجهه وشكرا لانعمه فانها جامعة لانواع شكره لاشتمالها على اصناف ذكره ويؤيد الوجه الثانى قوله تعالى (وانحر) اى ضح بالبدن التى هى خيار اموال العرب وتصدق على المحتاجين من الفقراء والمساكين وقيل المراد بالنحر وضع المصلى يده فى الصلاة عند نحره ويروى هذا عن على كرم الله وجهه (ان شانئك) اى مبغضك (هوالابتر) اى مقطوع الخير والبركة فى الدنيا والآخرة اوالذى انقطع عن بلوغ امله فيك (اعلمه الله) اى منة عليه فى هذه السورة (بما اعطاه) اى ببعض ما اولاه والافعطاؤه لايمكن احصاؤه (والكوثر حوضه) اى لما فى مسلم

أتدرون ما الكوثر قلنا الله تعالى ورسوله أعلم قال نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير هو حوضي ترد عليه أمتي يوم القيامة وضميره راجع الى النهر اشعارا بأن له نهرا من الجنة متصلا في حوضه يوم القيامة فلا ينافيه قوله (وقيل نهر) أي عظيم جار (في الجنة) كما يدل عليه حديث الترمذي رأيت في الجنة نهرا حافتاه قباب اللؤلؤ قلت ما هذا يا جبريل قال الكوثر الذي أعطاك الله وحديثه أيضا أعطيت نبي الله الكوثر نهرا في الجنة يسيل في حوضي (وقيل الخير الكثير) وهذا هو الأظهر لأنه هو الحق كما عبر به الدلجي لأنه فوعل من الكثرة بمعنى المفرط المبالغ فيها ويؤيده خبر ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في البخاري الكوثر هو الخير الكثير الذي أعطاه الله قيل لسعيد بن جبير ان ناسا يزعمون أنه نهر في الجنة قال هو من الخير الكثير الذي أعطاه (وقيل الشفاعة) أي العظمى الشاملة للخلائق كلها المستفاد منها الكثرة (وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة) أي لاشتمالها على خيرات كثيرة واللام للعهد أي النبوة العظمى أو النبوة المختوم بها لتميزها عن غيرها بنوع المزية (وقيل المعرفة) أي الكاملة وهذه أقوال حسنة معانيها الا أنه لا دلالة على ما فيها (ثم أجاب) أي الله سبحانه وتعالى (عنه) أي بدلا منه صلى الله تعالى عليه وسلم (عدوه) أي العاص بن وائل وأبا جهل ونحوه (ورد عليه) حين مات ابنه القاسم (قوله) أي ان محمدا قد أصبح أبتر أي قليل العدد مقطوعا من الولد اذا مات مات ذكره لأنه لا عقب له (فقال ان شانئك هو الأبتر أي عدوك ومبغضك) بالنصب تفسير لشانئك (والأبتر الحقير الذليل) أي على ما قيل وهو الذي لا ذكر حسن له ولا ثناء جميل (أو المفرد) بفتح الراء أي المنفرد (الوحيد) أي الذي لا ولد له ولا عقب (أو الذي لا خير فيه) وأما هو صلى الله تعالى عليه وسلم فذكره حسن وثناؤه جميل ونسبه مستمر وآثار أنواره باقية الى يوم القيامة وما لا يدخل تحت العبارة في الآخرة (وقال تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم قيل) وهو المحكي عن ابن عمر وابن مسعود والمنقول عن ابن عباس (السبع المثاني السور الطوال) بكسر الطاء جمع الطويلة كما صرح به الشراح فاندفع به قول الحجازي هكذا وقع في الكتاب وصوابه الطول بضم الطاء دون ألف فيه لأن السورة مؤنثة فهي طولى والجمع طول لا غير وقوله (الأول) بضم همزة وفتح واو مخففة جمع الأولى وهي البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والانفال مع براءة لأنهما في حكم سورة واحدة ومن ثم لم يفصل بينهما بالبسملة وقيل السابعة سورة يونس أو يوسف بدل الانفال (والقرآن العظيم) بالنصب على الحكاية ويجوز رفعه حكاية على أنه مبتدأ خبره (أم القرآن) أي أصله أو بمنزلة أمه لاشتمالها على كليات معانيه ومهمات مبانيه اذ أولها تمجيد وأوسطها تعبد وآخرها وعد ووعيد فكأنها هو في التحقيق دون المعدد وفيه اطلاق الكل على الجزء لا سيما وهو الأكمل في المعنى ولذا وجبت قراءتها في الصلاة (وقيل) وهو المحكي عن عمر وعلي والحسن البصري (السبع المثاني أم القرآن) لحديث البخاري أم القرآن هي السبع المثاني (والقرآن العظيم سائره) أي باقيه أو جميعه بناء على أنه مأخوذ من السؤر بالهمزة بمعنى البقية أو من السور الذي هو الجمع والاحاطة والشمول من سور الحصن فالعطف من باب عطف الخاص على العام (وقيل السبع المثاني ما في القرآن) أي هو جميع القرآن وتسميته بالمثاني لأن القرآن (من أمر) أي ايجابا كأقيموا الصلاة أو ندبا كافعلوا الخير (ونهي) أي تحريما كلا تقربوا الزنا أو كراهة كلا تيمموا الخبيث منه تنفقون اذ روي أنهم كانوا يتصدقون برديء التمر فنزلت والمعنى لا تقصدوا الردي منه حال كونكم تتصدقون (وبشرى) أي ومن بشارة المؤمنين (وانذار) أي تخويف للمنافقين (وضرب مثل) كقوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت (وأعداد نعم) بكسر الهمزة على ما في نسخة مصححة أي تعداد نعم كثيرة وتذكار منح غزيرة وهو بالمعنى المصدري أنسب للعطف على ما قبله من المصادر وقال الدلجي تبعا لبعضهم بفتح همزته جمع عدد بمعنى ونعم معدودة وأغرب التلمساني بقوله ولا يصح الكسر هنا لفقد المعنى انتهى (وآتيناك نبأ القرآن العظيم) أي أعطيناك علم ما اشتمل عليه مما ذكر من قصص ومواعظ وأخبار وثناء على الله بما هو أهله وغير ذلك كذا قرره الدلجي والأظهر أن يخص النبأ بالقصص ليكون التأسيس للسبع المثاني ومع هذا لا يظهر وجه العدول عن نمط السابق من ذكر المصادر الى الجملة الفعلية في المرتبة التفصيلية (وقيل سميت أم القرآن) أي الفاتحة (مثاني لأنها تثنى) بصيغة المجهول مثقلا ومخففا وهو أظهر لأن المثاني جمع المثنى كالمرامي جمع المرمى ونظيره المعنى والمعاني وقد أبعد التلمساني في قوله مثنى المعدول من اثنين أي تكرر (في كل ركعة) أي صلاة تسمية الشيء باسم جزئه أو في كل قومة باعتبار ركعة بعدها في القائق أنها تثنى في قومات الصلاة أي في كل قومة أو في مجموع القومات وقيل سميت مثاني لأن آياتها نزلت مرة بمكة حين فرضت الصلاة ومرة بالمدينة حين حولت القبلة ثم سميت سبعا لأنها سبع آيات بالاتفاق غير أن منهم من عد التسمية آية دون أنعمت عليهم ومنهم من عكس (وقيل بل الله استثناها) أي خصها من بين الآيات (لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وذخرها) بالذال المعجمة وادخرها بالمهملة كما

في نسخة اي جعلها ذخيرة (له دون الانبياء) لما في مسلم والنسائي ورواه الحاكم ايضا وصححه من حديث ابن عباس بيناجبريل قاعد عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سمع نقيضا اي صوتا من فوقه فرفع رأسه فقال هذا ملك نزل الى الارض لم ينزل قط الا اليوم فسلم وقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة الحديث والمعنى انه خص باعطاء معانيهما المأخوذة من مبانيهما فاندفع قول الدلجي تبعا للتلمساني وهذا لايختص بالفاتحة بل جميع السور كذلك (وسمي القرآن مثاني لان القصص) بكسر القاف جمع القصة قبل وهي المراد هنا وبفتحها مصدر بمعناه الخبر والحكاية (تثنى) بالتأنيث والتذكير اي تكرر (فيه) والمثاني جمع مثناة او مثنى من التثنية بمعنى التكرير او من الثني بمعنى اللين والعطف لمافيه ايضا من تكرير الاوامر والنواهي والوعد والوعيد والاخبار والامثال وغير ذلك او من الثناء لمافيه من كثرة ذكره تعالى بصفاته العظمى واسمائه الحسنى (وقيل) اي عن الامام جعفر الصادق (السبع المثاني) اي معناه في قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني هو انا (اكرمناك بسبع كرامات الهدى) هو ومابعده مجرور بدل بعض من كل اومرفوع خبر مبتدأ محذوف اي هي الهدى او منصوب بتقدير اعني والمراد بالهدى الهداية الكاملة المتعدية المكملة ولا يلائم المقام تفسير التلمساني له بضد الضلالة (والنبوة) اي المتضمنة للرسالة وقال التلمساني اي الرفعة ولايخفى انه احد معانيها اللغوية (والرحمة) اي لجميع الامة (والشفاعة) اي العظمى يوم القيامة (والولاية) وهي النصرة والانتقام من العدو بالغلبة (والتعظيم) اي ظهور العظمة (والسكينة) اي السكون والوقار والطمأنينة قيل فن اوتي السبع المثاني باعتبار اخذ جميع المعاني امن من الدخول في سبعة ابواب جهنم (وقال تعالى وانزلنا اليك الذكر) اي القرآن وسمي ذكرا لانه يذكر به الرحمن وموعظة وتنبيه للكسلان وشرف لاهل العرفان (الآية) يعني لتبين للناس اي الجن والانس ففيه تغليب وقيل يشملهما ما نزل اليهم اي ما امروا به ونهوا عنه وما اخبروا به وتشابه عليهم حكمه لاجماله والتبيين اعم من ان يكون بنص على المراد به اوبالرشاد الى ما يدل عليه كأساس قياس وبرهان عقل وايناس (وقال تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس) اي حال كونك تكفهم وتمنعهم بشرعك عن ظلمهم وكفرهم فالتاء للمبالغة كما في علامة (بشيرا) اي مبشرا للابرار (ونذيرا) اي مخوفا للفجار (وقال تعالى قل ياايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا) حال من ضمير اليكم فانه مفعول في المعنى (الآية) وتمامها الذي له ملك السموات والارض لااله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون (قال القاضي) اي المصنف (رحمه الله فهذه) اي الآية (من خصائصه) جمع خصيصة اي خصلة لم يشاركه فيها احد او ردها شاهدة باختصاصه برسالة عامة ومشعرة بان كل رسول بعث الى قومه خاصة (وقال تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه) اي بلغة قبيلته الذي هو منهم وبعث فيهم (ليبين لهم) ما امروا به وما نهوا عنه فيفهموا عنه بيسر وسهولة امر (فخصهم بقومهم) اي لغة ورسالة ودعوة ونذارة وبشارة (وبعث محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الى الخلق) اي المخلوقين (كافة) اي جميعا من الكف بمعنى الاحاطة والجمع او من الكف بمعنى المنع اي لكفهم بدعوته عن ان يخرج منها احد منهم لاحاطتها بهم (كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم بعثت الى الاحمر والاسود) اي العرب والعجم كما تقدم وفي صحيح مسلم بعثت الى الخلق وفي حديث بعثت الى الناس كافة فان لم يستجيبوا لي فالى العرب فان لم يستجيبوا لي فالى قريش فان لم يستجيبوا لي فالى بني هاشم فان لم يستجيبوا لي فالي وحدي ذكره السيوطي في جامعه الصغير عن ابن سعد عن خالد بن معدان مرسلا وفيه كما في الآية السابقة ايماء الى حكمة انه بعث بلسان العرب وان العجم امروا بتتبع لغتهم مع كمال الادب ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم احبوا العرب لثلاث لاني عربي والقرآن عربي وكلام اهل الجنة عربي رواه الطبراني والبيهقي والحاكم وغيرهم عن ابن عباس وفيه اشعار بانه صلى الله تعالى عليه وسلم لما ارسل الى العرب والعجم وهم مختلفوا الالسنة من الفارسية والتركية والهندية وغيرها مما يتعذر في العادة ان يكون واحد يعرف جميع اللغات المختلفة في اصناف المخلوقات اختار الله له سبحانه افضل انواعها وامر الغير بتعلمه واتباعه مع انه ايسر اللغات واسهلها واضبطها واجمعها واشملها وايضا كان من انفة العرب وغلاظتهم انه لو نزل القرآن بلسان العجم اولم يتكلم الرسول الا بلغة غير العرب معهم لما آمنوا وتعللوا بما حكى الله تعالى عنهم في قوله تعالى ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته ءاعجمي وعربي وقال في موضع آخر ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين وفي الآيتين البشرى بفتحتين تشعر بشرف طائفة العجم ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم لوكان الدين اوالعلم في الثريا لناله رجال من فارس (وقال تعالى النبي اولى بالمؤمنين) اي احق بهم في جميع امورهم اومقيد بامر دينهم (من انفسهم) اي من ارواحهم فضلا عن آبائهم وابنائهم (وازواجه امهاتهم)

بحرم ثم اصلها امهة وهي لغة قيل مختصة بالآدميات والامات بالحيوانات وقيل الهاء زائدة (قال اهل التفسير اولى بالمؤمنين من انفسهم اي ما احدهم) بالنون والفاء والذال المعجمة اي انظره وامضاه (فيهم من امر فهو ماض عليهم) اي نافذ وماض (كما يمضي حكم السيد على عبده) اذ لا امرهم ولا رضي منهم الا بما فيه صلاحهم فقوله كما يمضي كالمطيع له دون مرتبته في التأثير (وقيل اتباع امره اولى من اتباع رأي النفس) وهذا قول صحيح وعلى طبق ما تقدم صريح متعين بقيل ليس لكونه كلاما غير مرضي بل للدلالة فانه اوجه الة حاله وقد روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم ندب الى غزوة تبوك فقال الناس نستأذن آباءنا وامهاتنا فنزلت ويدل على هذا المعنى آيات اخر نحو قوله تعالى قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين وكما قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم وابناءهم واخوانهم اوعشيرتهم وقال صلى الله تعالى عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين رواه الشيخان وغيرهما عن انس رضي الله تعالى عنه وقد ورد في بعض الاحاديث ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يصلي على ميت وعليه دين وكان يقول صلوا على اخيكم فلما نزلت هذه الآية قال انا اولى بالمؤمنين من انفسهم من توفي وعليه دين فعلي قضاؤه ومن ترك مالا فهو لورثته واخرج النسائي في السنن نحوه الا انه قال فلما فتح الله الفتوح ولم يقل فلما نزلت الآية (وازواجه امهاتهم اي هن) على ما في النسخ الصحيحة وقال التلمساني اي هم في الحرمة وضميرهم عائد الى الازواج وعليه الروايات هنا وعبر بضمير جماعة المذكرين اعتبارا للفظ الازواج (في الحرمة) اي الاحترام والتعظيم (كالامهات) اي الحقيقية تنزيلا لهن في العظمة بل اللائق ان يكون لهن مزية تعظيما لحضرة النبوة ثم انهن فيما عدا ذلك كالاجنبيات ولذا يجب ولم يتعد التحريم الى بناتهن وهذا انما هو فيمن دخل بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من النساء واما من تزوجها وفارقها قبل الدخول فليس لها هذا الحكم وقد كان عمر رضي الله تعالى عنه امر برجم امرأة فارقها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل الدخول فنكحت بعده فقالت لم وما ضرب الله على حجابا ولا دعيت ام المؤمنين فكف عمر عنها (حرم) بفتح الحاء وضم الراء ورفع قوله (نكاحهن) ويجوز ضم الحاء وكسر الراء المشددة ايضا وفي نسخة حرام بزيادة الف وفي اخرى حرم بصيغة المفعول من التحريم اي حرم الله ورسوله نكاحهن (عليهم بعده) اي بعد تزوجه لهن قيل ولو طلق قبل الدخول ببعضهن كما يستفاد من اطلاق قوله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما وانما حرمهن عليهم (تكرمة له) اي تكريما وتعظيما المستفاد من الآية (وخصوصية) اي لما يتميز عن غيره من افراد امته وهي بضم الخاء وقول الحجازي بفتحها سهو (ولانهن له ازواج في الآخرة) قال النووي وكذلك الانبياء عليهم الصلاة والسلام ازواجهم لهم في الآخرة وفي اخذه في الجنة والظاهر ان هذا مقيد بمن مات منهن في عصمته اوهو توفي عنهن وهن في عدته لتخرج من اختارت الدنيا حين نزلت آية قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا الآية فانها كانت في آخر عمرها تلتقط البعر سكك المدينة وايضا لما اراد صلى الله تعالى عليه وسلم ان يطلق سودة قالت لا تطلقني يارسول الله وهبي لعائشة رضي الله تعالى عنها لاني اريد ان اكون من نسائك في الجنة اوقولا هذا معناه (وقد قرئ) اي في الشواذ قيل وهي قراءة مجاهد ونسبت الى ابي ابن كعب ايضا (وهو اب لهم) اذ كل نبي اب لامته كما قال الله تعالى ملة ابيكم ابراهيم من حيث ان به حياتهم الابدية ونشر الآداب الدينية ومن ثم صاروا اخوة في الدين كما قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة من حيث انتسابهم الى اصل واحد هو الايمان الناشئ عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (ولا يقرأ به) بصيغة المجهول اي ولا يجوز ان يقرأ به احد (الآن) اي في هذا الزمان (لمخالفته المصحف) بتثليث الميم والضم اتم وهو ما جمع فيه القرآن لقول عائشة رضي الله تعالى عنهما ما بين دفتي المصحف كلام الله والمراد من المخالفة عدم وجود تلك الجملة من جميع المصاحف العثمانية اذ احد اركان القراءة هي المطابقة الرسمية وثانيها الموافقة العربية وثالثها النقل المتواتر الاجماعية والعمدة هي الاخيرة والاخريان تابعتان لها لازمتان لوجودها واختلف في محل الجملة الشاذة فقيل قراءة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قبل قوله وازواجه امهاتهم وقراءة ابي بعده وروى عن عكرمة انه قال وهو ابوهم وهو اشبه بالمعنى وعلى جميع التقادير هو من باب التشبيه البليغ نحو زيد اسد اي كالاسد لا على الحقيقة اي الا في له الولادة واما ما ذكره الدلجي ان المراد بالمصحف هو الامام الذي نسخه عثمان وعليه الناس فقد يوهم انه مصحف خاص وليس كذلك بل المراد المصاحف التي كتبت بامره واختلف في عددها فارسل واحدا الى مكة وآخر الى الشام وآخر الى الكوفة وآخر الى البصرة وابقى عنده

واحدا فى المدينة والا لم يتحقق وجود واحد منها فى محالها (وقال تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة الآية) اى وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما اى فيما انعم عليك و بما علمك من خفيات الامور وامور الدين ومعارف اليقين وفى بعض النسخ وانزلنا عليك الكتاب والحكمة وهو لايصح لمخالفته تنزيل الآية (قيل فضله العظيم بالنبوة) وفى نسخة النبوة اذ لافضل اعظم منها اذا قرنت بالرسالة العامة (وقيل بماسبق له فى الازل) اى من تعلق العناية القديمة العظمى حيث جعل رئيس من سبقت له الحسنى كما يدل عليه خلق نوره اولا وجعله نبيا فى عالم الارواح قبل ظهور الاشباح (واشار الواسطى الى انها) اى هذه الآية (اشارة الى احتمال الرؤية) اى تحملها واطاقتها (التى لم يحتملها موسى عليه السلام)

(الباب الثانى)

اى من القسم الاول وفصوله سبعة وعشرون بعد صدر الباب على ما سبق فى اول الكتاب (فى تكميل الله له المحاسن) جمع حسن على غير قياس والمراد بها الاوصاف المستحسنة (خلقا وخلقا) بفتح الخاء فى الاول و بضمها وضم اللام اوسكونها فى الثانى وهما منصوبان على التميز اى محاسن خلقه وخلقه من صورته الظاهرة الطاهرة وسيرته الباطنة الباهرة (وقرآنه) اى وفى مقارنة ذاته عليه الصلاة والسلام (جمع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا) بفتحتين اى من جهة كون بعضها تبعا لبعض من الصفات المتوالية والمكارم المتعاقبة (اعلم ايها المحب لهذا النبى الكريم) خطاب عام فى موضع التفخيم اوخاص لمن سأله هذا التأليف المتضمن للتعليم ويؤيده قوله (الباحث) اى المفتش والمتفحص (عن تفاصيل جمل قدره) اى مجملات مقداره (العظيم) والجملة الندائية معترضة بين الخطاب وماخوطب به من الجملة الفعلية (ان خصال الجلال والكمال) وفى نسخة الجمال بدل الجلال والجمال تمام الصورة والجلال ظهور العظمة والاولى على ماعرف فى علم الاخلاق ان يقال ان خصال الجمال والجلال المقتضية للكمال (فى البشر نوعان ضرورى) احدهما ضرورى (دنيوى) اى ممالابد له منه فيها (اقتضته الجبلة) بكسر الجيم والموحدة وتشديد اللام اى دعته الخلقة التى خلق عليها وطبيعته التى جبل للميل اليها ومنه قوله تعالى والجبلة الاولين وقرأها الحسن بالضم وقال التلمسانى و بسكون الباء وفتح اللام مخففة فتثليث الجيم بالهاء وبدونها والجبل يضم ويشدد ومنه قوله تعالى ولقد اضل منكم جبلا كثيرا (وضرورة الحياة الدنيا) اى واقتضته الحاجة الضرورية الكائنة فى الحياة الدنيوية ممالس اختياريا (ومكتسب) بصيغة المجهول اى وثانيهما مكتسب (دينى وهو مايحمد فاعله) اى ممايتوقف اكتسابه على الشرع من الكمالات العلية التى اعظمها معرفة الله وصفاته العلية (ويقرب) بكسر الراء المشددة وفى نسخة بصيغة المجهول اى مايقرب به (الى الله زلفى) اى قربة اسم مصدر لازلف وفيه ان التقسيم غير جامع لانه غير شامل للوهبى الحاصل بالجذبة دون الخلقة الاصلية ولابالتعلقات العارضية (ثم هى) اى الخصال (على فنين) بفتح فاء وتشديد نون (ايضا) اى صنفين (منها) اى من الخصال (مايتخلص) اى يتمحض (لاحد الوصفين) اى من الضرورى والكسبى من غير امتزاج وتداخل بحيث لايصدق عليه اسم الآخر ضروريا اوكسبيا (ومنها مايتمازج ويتداخل) عطف تفسير اى يتخالط بان يكون ضروريا و كسبيا كماسيأتى بيانهما و يظهر شانهما (فاما الضرورى المحض) اى الخالص الذى لايكون مكتسبا (فما ليس للمرء) بفتح فسكون فهمز والحسن لايهمز ويخفف وابن ابى اسحق بضم الميم والهمز والعقيلى بكسر الميم والهمز ومؤنثه المرأة كذا ذكره التلمسانى والاظهر انه الشخص بالمعنى الاعم والله اعلم (فيه اختيار) اى فى حصوله (ولا اكتساب) اى فى وصوله اى بل فيه اضطرار واضطراب فى تحصيله (مثل ماكان فى جبلته من كمال خلقته وجمال صورته) فيه من البديع صنعة جناس لاحق بين كمال وجلال (وقوة عقله) اى تعقله قال التلمسانى مذهب اهل اللغة ان العقل هوالعلم وقيل بعض العلوم الضرورية وقيل قوة يميز بها بين حقايق المعلومات ومحله عند اهل السنة القلب بدليل قوله تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها وقالت المعتزلة محله الدماغ ووافقهم ابو حنيفة والفضل بن زياد (وصحة فهمه) اى ادراكه (وفصاحة لسانه) اى طلاقته وطراوة بيانه مع رعاية مطابقته ووضوح دلالته (وقوة حواسه) اى من سمعه و بصره وشمه وذوقه ولمسه (واعضائه) جمع عضو بضم العين وكسرها اى جوارحه وقد قيل ليس فى الانسان جارحة احب الى الله عزوجل من اللسان ولذلك انطقه الله بتوحيده فاذا فحش ولم يحل اللسان فبأى شئ يذكر ويناجى و يدعو ويتلو (واعتدال حركاته) اى وسكناته بسلامتهما من آفتهما فهو من باب الاكتفاء (وشرف نسبه) اذ فى الغالب ان من تحلى به ربأ بنفسه من سفساف الامور الى اعاليها ومن ذمائم الصفات الى معاليها (وعزة قومه) اى وغلبة قبيلته اذ المؤمن كثير باخيه كما قال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام

واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي اشدد به ازري واشركه في امري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا (وكرم ارضه) اي طيب مكانه الذي نشأ به بان يكون بلد المسلمين ومنزل الصالحين واعتمد التلمساني في تخصيص ارضه بارض مكة ادلس الكلام في خصوصه عليه الصلاة والسلام (ويلحق به) اي يتصل بالضروري المحض وفي نسخة بصيغة المجهول واقتصر عليه الحلبي اي ويوصل به (ماتدعوه) اي كل شيء من الامور العادية تدعو المرء (ضرورة حاجته) اي شدة احتياجه فيها (اليه من غذائه) بكسر الغين وبالذال المعجمتين على مافي الاصول المصححة وعلى ماذكره اهل الحواشي المعتبرة مايتغذى به من الطعام والشراب ومابه نماء الجسم وقوامه واما الغداء بفتح اوله وبدال مهملة فهو طعام الغدوة من الطلوع الى الزوال ضد العشاء بالفتح وهو غير ملائم لمقام المرام فتجويز الدلجي الوجهين وتقديم الثاني على الاول وتفسيره بقوله هو الطعام بعينه ليس في محله وكذا تقييد المحشي الاول بالقصر والثاني بالمد (ونومه) اي في ليله ونهاره (وملبسه) بفتح الموحدة (ومسكنه) بفتح الكاف وكسرها (ومنكحه) بفتح الكاف مصادر او اسماء لما يلبس ويسكن وينكح (وماله) اي جميع ماينتفع به من الامور الحسية (وجاهه) اي قدره ومنزلته واعتباره من الاحوال المعنوية قيل هو والوجه بمعنى قلت فعلى هذا وجه توجيهه قلب منه (وقد تلحق) ضبط معروفا ومجهولا هذه الخصال الاخر) اي الاخرة المتعلقة بالامور العادية الواقعة في الاحوال الدنيوية (بالاخروية) اي بالخصال الاخروية (اذا قصد بها التقوى) مصدر تقوى من باب التفعل اي طلب القوة على الطاعة وفي نسخة التقوى بالتخفيف اي اذا كانت مقترنة بتقوى الله (ومعونة البدن) اي اذا قصد بها مساعدته ومعاونته (على سلوك طريقها) اي سبيل الآخرة واتبعه الدلجي تبعا للحلبي في قوله اي طريق الخصال الاخروية (وكانت) اي تلك الخصال الملحقة (على حدود الضرورة) اي على طبق داعية الحاجة وقدر الكفاية من غير الزيادة (وقوانين الشريعة) وفي نسخة قواعد الشريعة اي وكانت ايضا على وفق الاصول الشرعية مما ابيح وجوز له من ارتكابه وهذا معنى قولهم في حديث انما الاعمال بالنيات ان العادات تصير بالنيات عبادات (واما المكتسبة الاخروية) اي الخصال المكتسبة المستفادة المتعلقة بالامور الاخروية (فسائر الاخلاق العلية) اي جميعها وهي صفات واحوال وافعال واقوال تحسن بها حالة الانسان بينه وبين خالقه وابناء جنسه (والاداب الشرعية من الدين) اي الايمان بما يجب تصديقه والطاعة فيما يجب عمله وتركه (والعلم) اي معرفة النفس وما لها وما عليها بغاية تمام معاشها ونظام معادها (والحلم) اي الصبر على الايذاء وعدم العجلة في العقوبة على الاعداء (والصبر) اي على انواع المصائب واصناف البلاء واجناس القضاء (والشكر) اي الثناء على المنعم بما اولاه من النعماء وان يصرف جميع النعم الى ماخلقت لاجله في مقام رضى المولى (والعدل) ضد الميل عن الحق بالجور وهو ملكة يقتدر بها على اجتناب مالا يحل فعله في باب الحكومة وقد ورد كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته وقال تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا (والزهد) اي صرف النفس وقلة ميلها الى الدنيا والشهيات وترك ماعدا الضروريات من المباحات او ترك ماسوى الله مريدا به وجه الله وهو زهد المقربين (والتواضع) اي لين الجانب والتذلل للصاحب (والعفو) اي الصفح والمجاوزة وعدم المؤاخذة (والعفة) وهي منع النفس عن المعصية او عصمة بالزنا ونحوها واغرب التلمساني بقوله وهو العفو عما يشين وليس وتركه اختيارا (والجود) وهو الكرم المحمود بان يكون بين طرفي افراط يسمى سرفا وتفريط يسمى بخلا وقد قيل لاسرف في خير ولاخير في سرف فهو بذل مايبتغي فيما ينبغي كما ينبغي (والشجاعة) وهي صفة جيدة متوسطة بين التهور والجبن (والحياء) بالمد وهو انقباض من القبيح حذرا من الذم متوسط بين وقاحة وجراءة على القبائح وعدم المبالاة بها وبين الخجالة والانحصار عن الفعل مطلقا وهو محمود اذا كف عن المعصية وذمائم الخسة ومذموم اذا كف عن تحصيل الفريضة واكتساب الفضيلة والاول من الرحمن والثاني من الشيطان (والمروءة) بضم الميم والراء وتشديد الواو وقد يهمز وهو الانسانية وكمال المرء بالاخلاق الزكية والتبعد عن الامور الدنية (والصمت) اي السكوت عن غير الخير لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت (والتؤدة) بضم ففتح همز وقد تبدل واوا وهي بمعنى التأني وعدم العجلة لما قيل

﴿ قد يدرك المتأني بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل ﴾

وفي نسخة الود ضمن المودة اي الحب الى الصلحاء والفقراء والضعفاء فانهم في الآخرة ملوك وشفعاء (والوقار) بفتح الواو اي الرزانة والطمانينة وعدم الطيش والخفة (والرحمة) اي التعطف والرأفة (وحسن الادب) فانه احسن من الذهب وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم ادبني ربي فاحسن تأديبي وجعل حسن الادب من جملة الاداب الشرعية لانه حالة خاصة من عموم الاحوال المرضية لحديث ان من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه (والمعاشرة)

اى المتخلقة بالخالقة على وجه الموافقة لقوله عليه الصلاة والسلام خالق الناس بخلق حسن وقوله خياركم احسنكم اخلاقا ومن كلام الشيخ ابى مدين المغربى حسن الخلق معاملة كل شخص بما يؤنسه ولا يوحشه (واخواتها) اى اشباهها من الاخلاق الحميدة المفصلة فى نحو كتاب الاحياء والعوارف والرسالة (وهى) اى هذه الملكات النفسانية المكتسبة (التى جماعها) بكسر الجيم اى جمعها واجتماعها كذا قيل وفى الحديث الخمر جماع الاثم لانها تجمع عددا منه والاظهر ان يقال مجمعها ومجتمعها (حسن الخلق) اى المحمود عند جميع الخلق وقد قال تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام وانك لعلى خلق عظيم وكان خلقه القرآن يأتمر باوامره ويزتجر بزواجره ويرضى برضاه ويسخط بسخطه وجملته قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقال جبريل عند نزوله هو ان تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك (وقد يكون من هذه الاخلاق ماهو فى الغريزة) اى مخلوق ومودع فى السجية والطبيعة وهى بفتح غين معجمة وكسر راء مهملة ثم زاى (واصل الجبلة) اى الفطرة (لبعض الناس) اى من طبع عليه فى اول خلقته وابتداء نشأته ومنه قول القائل

(كل امرء راجع يوما لشيمته * وان تخلق اخلاقا الى حين)

(وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها) بالرفع اى فهو يحصلها للاقتداء بغيره فيها فتصير له كالغريزة وقال الحلبي هو بالنصب جواب النفى انتهى وفيه بحث لا يخفى (ولكنه لابد ان تكون فيه من اصولها فى اصل الجبلة شعبة) اى شائبة وقطعة خلق عليها ليرجع فيما يكتسبه اليها ليكمل طبعه الاول فيها (كما سنبينه ان شاء الله تعالى وتكون) اى تصير (هذه الاخلاق دنيوية اذا لم يرد) بصيغة المفعول اى لم يقصد (بها وجه الله تعالى والدار الاخرة) اى بخلاف ما اذا اريد بها ذلك فانها صارت حينئذ قربات عند الله فيثاب عليها (ولكنها) اى الغريزة وان لم يرد بها ذلك (كلها) بالنصب اى جميعها (محاسن وفضائل) اى باعتبار افرادها باتفاق اصحاب العقول السليمة وان اختلفوا فى موجب حسنها) بكسر الجيم لا بفتحها كما قال التلمسانى وسبقه الانطاكى لانه بمعنى المقتضى وهو لا يناسب المقام كما لا يخفى اى سببها وباعثها (وتفضيلها) اى وفى تفضيلها على غيرها وبعضها على بعض اهو ذاتى اقتضته ذواتها وطبايعها او بخلق الله تعالى له فى ذواتها قولان ثانيهما هو الحق لاستناد جميع الكائنات اليه ابتداء اذ هو الخالق وحده وهى ملكات محمودة مكملة الانسان وان تفاوتت النفوس بحسب الفطرة فى الكمال باعتبار زيادة اعتدال الابدان فكلما كان البدن اعدل كانت النفوس الفائضة اكمل والى الخيرات اميل وللكمالات اقبل وعكسه عكسه كما قيل الظاهر عنوان الباطن ثم لا نزاع فى انها من واجبات العقل لحكمه بها من حيث انها صفات كمال ثم ورد الشرع مؤيدا له ومقررا لحكمه بها وانما النزاع فى ان العاقل قبل وروده او بعده ولم يبلغه هل يجب عليه بعض الافعال او يحرم بعضها بمعنى استحقاق الثواب والعقاب فى الآخرة ام لا فعندنا لا اذ لا حكم له ولا اثابة ولا تعذيب قبل وروده وعند المعتزلة نعم بناء على مسئلة الحسن والقبح كذا حققه العلامة الدلجى وقال المجانى ذهب بعضهم الى ان جميع الاخلاق سيئها وحسنها جبلة وغريزة فى العبد ليس فيها اكتساب والى هذا مال الطبرانى وحكاه عن ابن مسعود والحسن وذهب بعضهم الى ان جميع هذه الاخلاق انما هى من كسب العبد باختياره وليس فى جبلته شئ منها مخلوقا وهذا مذهب طائفة كثير من السلف وذهب الباقون الى ما ذكره القاضى وعليه المحققون وقال الانطاكى لا شك ان الانسان لا اختيار له فى تغيير خلقتها الاصلية وهيئتها الجبلية فالطويل لا يمكن ان يجعل نفسه قصيرا ولا القصير طويلا ولا القبيح يقدر على تحسين صورته ولا على عكس هيئته واما الاخلاق المكتسبة من الجود والشجاعة والتواضع والعفة فقد تكون فى بعضهم غريزة وجبلة بجود الهى وكمال فطرى بحيث يخلق ويولد كامل الاخلاق والاداب كالانبياء عليهم الصلاة والسلام وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها بالمجاهدة والرياضة بان يحمل النفس على الاعمال التى يقتضيها الخلق المطلوب فمن اراد مثلا ان يجعل لنفسه خلق الجود فيتكلف تعاطى فعل الجود ويواظب عليه فانه يصير ذلك عادة له وطبعا فيصير جوادا وكذا من اراد ان يجعل لنفسه خلق التواضع فيواظب على افعال المتواضع مدة مديدة يصير التواضع له خلقا وكذا جميع الاخلاق المحمودة يمكن تحصيلها بهذا الطريق فاذا الاخلاق الحسنة قد تكون بالطبع اعنى الفطرة وقد تكون بالتطبع اعنى باعتبار الافعال الجميلة وزعم بعض من غلبت عليه البطالة واستثقل بالمجاهدة فى تهذيب الاخلاق ان الرياضة لا تؤثر فى تغيير الاخلاق وانها طباع لا تتغير كالخلقة لكنا نقول لو كانت الاخلاق لا تتغير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأويلات ولما قال صلى الله تعالى عليه وسلم حسنوا اخلاقكم وكيف ينكر هذا فى حق الادمى وتغيير خلق البهيمة ممكن اذ ينقل الصيد من التوحش الى الانس والكلب من الاكل الى التأديب والفرس من الجماح الى السلاسة وكل ذلك تغيير الاخلاق بتوفيق الملك الخلاق

(فصل) اى هذا فصل فى تعداد خصال جيدة اختص بها ذاته السعيدة بجملة وذكر فيا بعد من الفصول المديدة مقتبسة من الكتاب والسنة (قال القاضى رحمه الله تعالى) كذا فى نسخة (اذا كانت خصال الكمال والجلال ماذكرناه) اى فى الفصل السابق (ووجدنا) وفى نسخة ورئينا اى علمنا (الواحد منا يشرف) بضم الراء اى يصير شريفا رفيعا وفى نسخة بصيغة المجهول من التشريف اى يكرم ويعظم وفى اخرى يشرف اى يفتخر (بواحدة منها) اى ولو فى اقل مراتبها (او اثنين) اى منها (ان اتفقت) اى هذه الخصلة وفى نسخة ان اتفقتا (له فى كل عصر) متعلق باتفقت والعصر مثلثة واعد الدلجى فى تجويز تعلقه بشرف وتقديمه وفى نسخة زيادة (واوان) عطف خاص على عام فان العصر الدهر وهو الزمان والاوان زمان مخصوص كزمان الربيع والداعى الى عطفه المطابقة فى ان كل وقت لايخلو من احد يشرف بذلك ثم مايشرف به لايخلو من ان يكون (اما من نسب) اى رفعة نسب (او جمال) اى حسن صورة (او قوة) اى بدنية متحملة لمزاولة افعال شاقة والقدرة اخص منها لاشتراط الارادة فيها اذ هى التمكن من اظهار القوة مع الارادة (او علم او حلم او شجاعة او سماحة) اى جود وعطاء ومسامحة ومساهلة (حتى يعظم قدره) غاية لوصفه بما ذكر اى يرفع شانه بين الرجال (ويضرب) بصيغة المجهول اى يبين ويعين (باسمه الامثال) فيقال اجود من حاتم واعدل من نوشروان او هو حسان زمانه او مجتهد اوانه او اشجع اقرانه او اسخى اخوانه (ويتقرر) اى يثبت (له بالوصف بذلك) اى بسبب اتصافه اى بما ذكر من الصفات (فى القلوب) اى فى قلوب الخلق من اهل الحق (اثرة) بضم همزته وكسرها وفتحها وسكون المثلثة وبفتحهما اى مكرمة ينفرد بها (وعظمة) عطف تفسير فى المعنى (وهو) اى ذلك الواحد منا (منذ) بضم ميم وتكسر بمعنى مذ (عصور خوال) اى والحال انه من ابتداء دهور خالية وازمنة ماضية (رمم) بكسر راء وفتح ميم اى رميم جمع رمة عظامه (بوال) اى بالية متفتتة اعضاؤه واجزاؤه والمغايرة حاصلة بينهما خلاف ما فهمه الدلجى وجعلهما عطف بيان كابى حفص عمر ثم اذا كان الامر كما ذكر (فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال) اى الجيدة العديدة على وجه الكمال وهو استفهام يورث تعجبا من هذه الحالة لاسيما وهى منتهية (الى ما لا ياخذه عد) اى احصاء من خصال لاتوجد الا فى الانبياء والاصفياء وارباب الكمال (ولا يعبر عنه مقال) اى لايحصره قول (ولا ينال) بضم الياء اى لايحصل (بكسب ولا حيلة) اى باكتساب ولا باحتيال (الا بتخصيص الكبير المتعال) اى بطريق التفضل والهبة والجذبة والعناية من العظيم الشان فى ذاته المستعلى على كل شئ بقدرته او الكبير عن نعت المخلوقين والمتعال عن مشابهة الامثال (من فضيلة النبوة) بيان لما وهى بالهمز بناء على انه من النبأ بمعنى الخبر لانباء الله تعالى اياه واخباره عنه سبحانه وتعالى او بتشديد الواو بناء على ابداله او على انه ماخوذ من النبوة بمعنى الرفعة فان النبى عليه الصلاة والسلام رفيع الشان عظيم البرهان (والرسالة) وهى كونه واسطة بين الله تعالى وبين عباده والرسالة اخص من النبوة فان الرسول هو المامور بتبليغ الاحكام والنبى هو الذى اوحى اليه سواء امر بالتبليغ ام لا (والخلة) بضم الخاء اى الخصلة التى يوجب الاختصاص من صفاء المودة حيث تخلل النفس وتخالطها (والمحبة) وهى مودة تشق شغاف القلب وتصل الى سويداء الفؤاد (والاصطفاء) اى بالخصائص الروحانية والجسمانية لقوله تعالى الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس (والاسراء) اى الى السماء (والرؤية) اى رؤية الله تعالى بالبصر او البصيرة او رؤيته من آيات ربه الكبرى لحديث البخارى رأى رفرفا اخضر فى الجنة قد سد الافق وحديث مسلم رأى جبريل فى صورته له ستمائة جناح ومع وجود هذه الاحتمالات فى عبارة الرؤية لايرد ماقاله الحلبى من ان المؤلف لم يترجح عنده انه عليه الصلاة والسلام رأى ولا ما رأى كما سيأتى ذلك وهنا قد جزم بها فهذا تناقض على انه قد يقال تردد هناك وجزم هنا والله اعلم (والقرب والدنو) اى قرب مكانة ودنو رفعة (والوحى) اى فى ذلك المكان الاعلى (والشفاعة) اى العظمى (والوسيلة) وهى منزلة فى الجنة وهى اعلى العليا (والفضيلة) اى زيادة المرتبة على العامة والخاصة من حسن المدفية (والدرجة الرفيعة) اى فى الجنة العالية او يوم القيامة او ليلة الاسراء (والمقام المحمود) لحديث ابى حاتم يبعث الله الناس يوم القيامة فاكون انا وامتى على تل فيكسونى ربى حلة خضراء فاقول ماشاء الله ان اقول فذلك المقام المحمود انتهى وبه يحصل الفرق بينه وبين الشفاعة الكبرى (والبراق) اى ركوبه من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى (والمعراج) من الصخرة الى السماء فالى الجنة والعرش وما فوقه من المقام الاعلى وهو بكسر اوله سلم من نور من السماء الى الارض فيه تصعد الملائكة وهو الذى يمد اليه الميت بصره على ماذكره التلمسانى وقد سبق مايتعلق بالبراق فى اول الكتاب بما يغنى هنا عن الاطناب (والبعث الى الاحمر والاسود) لحديث بعثت الى الاحمر والاسود اى العجم والعرب او الانس والجن او الخلق كافة لحديث مسلم بعثت الى الخلق كافة (والصلاة بالانبياء)

اى بيت المقدس عند الصخرة تارة واخرى بالسماء (والشهادة بين الانبياء والامم) اى يوم القيامة كما مر عند قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس الآية (وسيادة ولد آدم) لحديث انا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر بل سيادة جميع العالم لحديث انا سيد الاولين والآخرين ولا فخر (ولواء الحمد) اى المشار اليه بقوله عليه الصلاة والسلام آدم ومن دونه تحت لوائى يوم القيامة وقوله بيدى لواء الحمد يوم القيامة وفى الرياض النضرة انه صلى الله تعالى عليه وسلم سئل عنه فقال له ثلاث شقق كل شق مابين السماء والارض على الاولى مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم وفاتحة الكتاب وعلى الثانية لا اله الا الله محمد رسول الله وعلى الثالثة ابو بكر الصديق عمر الفاروق عثمان ذو النورين على المرتضى (والبشارة والنذارة) بكسرهما وتضم اولهما لقوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (والمكانة عند ذى العرش والطاعة ثم والامانة) اى كونه مطاعا امينا لقوله تعالى انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين على قول بعض المفسرين (والهداية) اى القاصرة لقوله تعالى و يهديك صراطا مستقيما والمتعدية لقوله سبحانه وتعالى وانك لتهدى الى صراط مستقيم (ورحمة العالمين) لقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين (واعطاء الرضى) لقوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى (والسؤل) بضم السين وسكون الهمزة و يبدل بمعنى المسئول ومنه قوله تعالى اوتيت سؤلك ياموسى ولاشك انه افضل الخلق فهو به احق (والكوثر) وقدمر (وسماع القول) لحديث الشفاعة وقل تسمع واشفع تشفع (واتمام النعمة) لقوله تعالى ويتم نعمته عليك (والعفو عما تقدم وتأخر) وفى نسخة وما تأخر لقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر (وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر) لقوله تعالى الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك (وعزة النصر) لقوله تعالى وينصرك الله نصرا عزيزا (ونزول السكينة) وهى الطمانينة (والتأييد) اى التقوية (بالملائكة) لقوله فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها اى بملائكته يوم بدر وحنين والاحزاب وعن كعب قال مامن فجر يطلع الا نزل سبعون الفا من الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون باجنحتهم و يصلون على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حتى اذا امسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك حتى اذا انشقت الارض خرج فى سبعين الفا من الملائكة رواه البيهقى فى شعبه وفى صحيح الدارمى نحوه (وايتاء الكتاب والحكمة) لقوله تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة (والسبع المثانى والقرآن العظيم) لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم (وتزكية الامة) اى امته يوم القيامة لقوله تعالى ويزكيهم اى اذا شهدوا للانبياء حين انكرت اممهم التبليغ والانباء (والدعاء الى الله) لقوله تعالى وداعيا الى الله باذنه (وصلاة الله والملائكة) اى وملائكته عليه لقوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى (والحكم بين الناس بما اراه الله) اى بما اعلمه الله و بين حكمه والهمه لقوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله (ووضع الاصر) بكسر الهمزة قيل وتضم اى حط العهد الثقيل والتكاليف الوبيل وقيل المراد به العقوبة من نحو المسخ (والاغلال) اى العبادات الشاقة (عنهم) اى عن امته لقوله و يضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم وهى جمع غل وهو مايوضع فى العنق شبه ماكان لازمالهم من مشاق الاعمال بالاغلال (والقسم باسمه) اى الحلف بعمره لقوله تعالى لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون (واجابة دعوته) اى فى مواطن كثيرة كبدر اذقال اللهم انجزلى ما وعدتنى اللهم ان تهلك هذه العصابة فلن تعبد بعد اليوم (وتكليم الجمادات) لحديث البخارى انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قيل هو الحجر الاسود وقيل الحجر المركوز فى جدار زقاق الحجر (والعجم) بضم فسكون جمع اعجم وهو من الحيوان مالايقدر على الكلام ومنه الحديث اذاركبتم هذه الدواب العجم وحديث العجماء جبار اى وتكليم البهايم كنطق الضب والظبى والجمل وحماره عليه الصلاة والسلام الذى قال له اسمى يزيد بن شهاب حين قال له يعفور (واحياء الموتى) اى المعنوية والحسية لما ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم لماقفل من غزاة فات بعير بعض اصحابه دعا الله فاحياه حتى ركبه الى المدينة ثم مات وكما روى فى قصة البنت التى طرحها ابوها فى الوادى فماتت (واسماع الصم) كامره صلى الله تعالى عليه وسلم الحجارة ان يجتمعن لقضاء حاجته فتعاقدن حتى صرن ركاما على مافى الصحيح (ونبع الماء من بين اصابعه) لمافى البخارى عن جابر فرأيت الماء ينبع من بين اصابعه (وتكثير القليل) لحديث انس فى قصة ابى طلحة وزاد فى البخارى فانه امر بما بقى منه فجئ بقليل منه فدعا و برك فيه فكثر حتى ملؤا كل وعاء معهم (وانشقاق القمر) قال انس سأله قريش آية فانشق مرتين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انفلق فلقتين ذهبت فلقة و بقيت فلقة وعن ابن مسعود رأيت حراء عليه فلقتى القمر (ورد الشمس) اى فى الخندق وصبيحة الاسراء واما ماذكره التلمسانى من انها وقفت ليلة الاسراء وزيد فى كمية الليل فلا يصح بل هو من بسط الزمان من غير تغير فى ظاهر العيان (وقلب الاعيان) اى

الذوات الخالية لحديث عكاشة كان معه صلى الله تعالى عليه وسلم يوم بدر عصا فصارت بيده سيفا صارما (والنصر بالرعب) بسكون العين وبضم اى بالخوف لقوله تعالى وقذف فى قلوبهم الرعب ولحديث نصرت بالرعب (والاطلاع على الغيب) اى اطلاعه على بعض المغيبات لحديث خروج الدجال والدابة وغيرهما فالاطلاع بتشديد الطاء وهو مطاوع الاطلاع بالتخفيف لان الله عز وجل هو الذى اطلعه ويمكن ان يكون هنا بالتخفيف والتقدير اطلاع الله اياه واما قول الحلبى ولا يشدد لفساد المعنى فغفلة عن تحقيق المبنى (وظل الغمام وتسبيح الحصى) اى فى كفه الكرام (وابراء الآلام) للاحاديث بها رواه الاعلام والآلام جمع الالم والله اعلم (والعصمة من الناس) لقوله تعالى والله يعصمك من الناس (الى) اى منتهية هذه الفضائل البهية الى (ما لا يحويه محتفل) بكسر الفاء اى لا يشتمله جامع مهتم بجمعه لكثرة افراده (ولا يحيط بعلمه الا مانحه) اى معطيه صلى الله تعالى عليه وسلم (ذلك ومفضله) اى ولا يحيط بعلم الامتنان له على غيره (به لا اله غيره الى) اى منضمة هذه الى (ما اعد له فى الدار الآخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس) بضم وبضمتين اى المنزهة عن النقصان والزوال فى الجنة العالية (ومراتب السعادة والحسنى) اى والمثوبة الحسنى مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (والزيادة التى تقف دونها العقول ويحار) بفتح الياء اى يتحير فى معرفتها ويحيل احاطتها (دون ادانيها) اى عند اوائلها فضلا عن اقاصيها وفى نسخة عند ادراكها (الوهم) اى اوهام الخواص والعوام واعلاها رؤية الملك العلام لقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وقد جاء تفسيرها فى الحديث الصحيح بالرؤية رزقنا الله تعالى تلك السعادة وختم لنا بالشهادة قال التلمسانى وروى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حاز خصال الانبياء كلها واجتمعت فيه اذ هو عنصرها ومنبعها فاعطى خلق آدم ومعرفة عيسى وشجاعة نوح وخلة ابراهيم ولسان اسمعيل ورضى اسحق وفصاحة صالح وحكمة لوط وبشرى يعقوب وجمال يوسف وشدة موسى وصبر ايوب وطاعة يونس وجهاد يوشع وصوت داود وحب دانيال ووقار الياس وعصمة يحيى وزهد عيسى واغمس صلى الله تعالى عليه وسلم فى جميع اخلاق الانبياء عليهم الصلاة والسلام ليقتبسوا منه وقد افصح بذلك البوصيرى حيث قال

(فكل آى اتى الرسل الكرام بها * فانما اتصلت من نوره بهم)

(فصل) اى فى جمل من اوصافه صلى الله تعالى عليه وسلم (ان قلت اكرمك الله) جملة دعائية معترضة بين القول ومقوله (لا خفاء على القطع بالجملة) اى بطريق الاجمال فى التفضيل لا بطريق التفصيل اذ قد يتوهم عدم القطع بان يوجد فى غيره نعت له بالخصوص يكون اعلى وبهذا تبين ان لا يصح قول الدلجى فضلا عن القطع بالتفصيل (انه صلى الله تعالى عليه وسلم اعلى الناس قدرا) اى مرتبة (واعظمهم محلا) اى منزلة وكان الاحسن كما قال الدلجى ان يقال اعظمهم قدرا واعلاهم محلا اذ العظمة بالقدر اليق والعلو بالمحل اوفق (واكملهم محاسن وفضلا) والمنصوبات كلها تمييزات (وقد ذهبت) خطابا للمصنف من جملة المقول حالية معترضة بين الشرط والجزاء اى وقد سلكت (فى تفاصيل خصال الكمال مذهبا جميلا) اى طريقا حسنا من كمال جماله (شوقنى) اى هيجنى واقلقنى (الى ان اقف عليها) اى اطلع على خصال الكمال (من اوصافه) اى شمائله وفضائله (تفصيلا) اى تبيينا وتقريرا فصلا فصلا (فاعلم) خطاب خاص وعام لمن يصلح له (نور الله قلبى وقلبك وضاعف فى هذا النبى الكريم حبى وحبك) جملة دعائية معترضة بين العامل ومعموله وهو (انك اذا نظرت الى خصال الكمال التى هى غير مكتسبة) اى غير مستفادة (وفى جبلة الخلقة) عطف على غير اى فى اصل الخلقة وجبلة الطبيعة والاضافة بيانية (وجدته) اى صادفته (صلى الله تعالى عليه وسلم حائزا) بالحاء اى حاويا وجامعا (لجميعها محيطا بشتات محاسنها) اى متفرقاتها (دون خلاف) اى بلا خلاف (بين نقلة الاخبار) اى الاحاديث والآثار (اذ لك) اى لما ذكر من حيازته جميع خصال الابرار (بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع) اى بسبب التواتر المعنوى ثم خصال كماله انواع كما فصله المصنف بقوله (اما الصورة) اى الصورة النبوية (وجمالها) اى وجمال تلك الصورة الخلقية (وتناسب اعضائه فى حسنها) اى مما لم يتصور ان تكون كسبية بل هى خلقية وهبية (فقد جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة) اى المستفاضة (الكثيرة) نعت لهما (بذلك من حديث على وانس بن مالك وابى هريرة) واسمه عبد الرحمن على الصحيح من ثلاثين قولا ومنع هريرة من الصرف مع انه ليس فيه من العلل الا التأنيث لان العلم الاضافى قد ينزل منزلة كلمة ويجرى عليه احكام الاعلام (والبراء بن عازب) وهما صحابيان انصاريان (وعائشة ام المؤمنين وابن ابى هالة) اى من خديجة الكبرى رضى الله تعالى عنها فهو ربيبه صلى الله تعالى عليه وسلم واسمه هند شهد بدرا وقتل مع على كرم الله وجهه يوم الجمل (وابى جحيفة) بضم جيم وفتح حاء (وجابر بن سمرة) بفتح وضم (وام معبد) بفتح الميم والموحدة عاتكة بنت خالد وهى التى نزل عليها النبى صلى الله

تعالى عليه وسلم حين هاجر الى المدينة وكان منزلها بقديد مصغرا (وابن عباس) رضى الله تعالى عنهما اى عبد الله (معرض ابن معيقيب) بتشديد الراء المكسورة والتصغير فى معيقيب وقال التلمسانى معرض بكسر الميم وفتح الراء وهو مخالف للاصول المصححة وللحواشى المصرحة (وابى الطفيل) مصغرا واسمه عامر بن واثلة مات بمكة وهو آخر من مات من الصحابة فى الدنيا شيعى تفضيلى (والعداء بن خالد) بفتح عين وتشديد دال مهملتين ممدودا (وخريم بن فاتك) بكسر التاء وتصغير خريم بالخاء المعجمة والراء (وحكيم بن حزام) بكسر الحاء وبالزاى ولد فى الكعبة قبل عام الفيل بثلاث عشرة سنة ولا يعرف احد ولد فى الكعبة غيره على الاشهر وفى مستدرك الحاكم ان على بن ابى طالب كرم الله وجهه ولد ايضا فى داخل الكعبة عاش مائة وعشرين سنة ستين فى الجاهلية وستين فى الاسلام روى انه لما حج فى الاسلام اهدى مائة بدنة مجللة بالحبر واهدى الف شاة ووقف بمائة وصيف بعرفة فى اعناقهم اطواق الفضة منقوش عليها عتقاء الله (وغيرهم) اى ومن حديث غيرهم (رضى الله تعالى عنهم من انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان ازهر اللون) اى نيره اوحسنه ومنه زهرة الحياة الدنيا اوابيضه لحديث ابيض مشرب حمرة وهو افضل الوان البياض ومعنى قوله ليس بالابيض الامهق ولا بالآدم بل هو ازهر وهو بين البياض والحمرة وقيل معنى ازهر ماقا بل السمرة وابيض ماسواه ودليله قول عائشة رضى الله تعالى عنها كنت ادخل الخيط فى الابرة حال الظلمة لبياض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومنه قول ابى طالب فى مدحه عليه الصلاة والسلام

(وابيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل)

(ادعج) اى شديد سواد الحدقة (انجل) بالنون والجيم اى ذا نجل بفتحتين وهو سعة شق العين مع حسنها (اشكل) اى فى بياض عينيه يسير حمرة ووهم سماك بن حرب ففسره فى مسلم بانه طويل شق العين (اهدب الاشفار) اى كثير شعر حروف اجفان عينيه وهو الهدب جمع شفر بضم وفتح وهو شفير حرف العين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مرفوعا ان الله تعالى لا يعذب حسان الوجوه سود الحدق يعنى من المسلمين قال التلمسانى والظاهر انه لا يعذبهم وهم فى تلك الصورة بل يسود وجوههم ويزرق اعينهم كما يدل عليه قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وقوله تعالى ونحشر المجرمين يومئذ زرقا (ابلج) بالموحدة والجيم اى ابلج الوجه وهو مشرقه ولم يرد ابلج الحاجبين اى نقى ما بينهما لحديث ام معبد فى دلائل البيهقى وغيره انها وصفته بانه ابلج الوجه اقرن اى متصل الحاجبين (ازج) بالزاى والجيم المشددة اى دقيق شعر الحاجبين طويلهما الى مؤخر العين مع تقوس (اقنى) اى مرتفع قصبة الانف مع احديداب يسير فيها هذا والمشهور انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اشم الانف اى مرتفع قصبته مع استواء اعلاه قال فى الصحاح فان كان فيها احديداب فهو القنى وقد يجمع بينهما بان ارتفاعها كان يسيرا جدا من رآه متأملا عرفه اشم ومن لم يتأمله ظنه اقنى (افلج) بالفاء والجيم اى متباعد ما بين ثناياه وقلته ممدوحة (مدور الوجه) اى لكن الى الطول اميل لما ورد فى شمائله ان وجهه لم يكن مدورا وقد يشبه تدوير الوجه بالدينار لاستواء دارته (واسع الجبين) وهو ما اكتنف الجبهة من يمين وشمال فهما جبينان فيما بين الحاجبين (كث اللحية) بتشديد المثلثة اى كثير شعرها بحيث (تملأ صدره) اى ما يقابلها مع قصر فيها وانبساط اذ كان باخذ منها مازاد على القبضة وربما كان يأخذ من اطرافها ايضا والحاصل انه لم يكن كوسج ولا خفيف اللحية ولا مقصوصها غير نازلة الى صدره وقال التلمسانى روى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال من سعادة المرء خفة عارضيه وروى لحيته ومعناه انها لا تكون طويلة فوق الطول وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتبروا عقل الرجل فى ثلاث فى طول لحيته ونقش خاتمه وكنيته وعن الحسن بن المثنى انه قال اذا رأيت رجلا ذا لحية طويلة ولم يتخذ لحية بين لحيتين كان فى عقله شئ وقيل ماطالت لحية انسان قط الا ونقص من عقله مقدار ماطال من لحيته ومنه قول الشاعر

(اذا كبرت للفتى لحية * فطالت وصارت الى سرته)

(فنقصان عقل الفتى عندنا * بمقدار ماطال من لحيته)

(سواء البطن والصدر) بالاضافة اليهما ونصب سواء اى كان مستويهما تلويح باعتدالهما خلقا واشعار بان خروجهما اواحدهما عن الاعتدال بروزا اوتطامنا ليس بمحمود وروى برفع سواء منونا مع رفع البطن والصدر (واسع الصدر) اى حسا ومعنى اذ وسع كل احد شفقة وحلما (عظيم المنكبين) بكسر الكاف تثنية المنكب وهو مجمع عظم العضد والكتف (ضخم العظام) اى غليظها مطلقا وخصوصا كان (عبل العضدين) مثنى عضد بفتح وضم هو الصحيح وهو الساعد من المرفق الى الكتف والعبل بفتح عين وسكون موحدة اى ضخمهما وكذا قوله (والذراعين) وهو ما بين مفصل الكف والمرفق (والاسافل) اى الفخذين والساقين وهذا كله مما يؤذن بكمال قوته لحديث البخارى

انه اعطى قوة ثلاثين رجلا (رحب الراحة) بفتح الراء وسكون الحاء اى واسعهما صورة ومعنى اذ وسع كل واحد عطاه

وقال الدلجي فى نوع الترشيح من بديع بديعته

(عم الورى بيد سحاء يسحبها ۞ عطاؤه ليس يخشى الفقر من عدم)

(والقدمين) اى واسعهما طولا وعرضا (سائل الاطراف) اى تام الايدى والارجل والاصابع طويلها وهو بالسين المهملة وروى بالنون (انور المتجرد) بفتح الراء المشددة اى كان ما تجرد من بدنه اشرف من غيره (دقيق المسربة) بفتح ميم وسكون سين مهملة وضم راء وقال التلمسانى وبفتحها وهى خيط الشعر الذى بين الصدر والسرة ودقيق بالدال قال التلمسانى ويجوز فيه الراء قلت بينهما فرق دقيق (ربعة القد) بفتح الراء وسكون الموحدة اى مربوع القامة كما رواه البيهقى وابن ابى خيثمة فى تاريخه (ليس) اى هو او قده (بالطويل البائن) اى المفرط فى الطول من بان بمعنى بعد او ظهر (ولا بالقصير المتردد) بكسر الدال وهو الذى كانه تردد بعض خلقه على بعض من قصره والجملة بيان لما قبلها (ومع ذلك) اى مع كونه ربعة (لم يكن يماشيه احد ينسب الى الطول الا طاله) اى غلبه النبى (عليه الصلاة والسلام) فى الطول مزية خص بها لئلا يتعالى لم يكن احد عنده افضل منه لا صورة ولا معنى (رجل الشعر) بكسر الجيم وفتح وقد يسكن وبفتح العين وتسكن اى بين الجعودة والسبوطة (اذا افتر) بتشديد الراء اى اذا ابدى اسنانه حال كونه (ضاحكا) اى متبسما (افتر) اى انكشف (عن مثل سنا البرق) بقصر سنا وقد يمد وقيل بالقصر النور وبالمد الشرف والعلو اى يشبه ضوءه (وعن مثل حب الغمام) اى السحاب وهو البرد بفتحتين يعنى مثله فى البياض والصفاء وامتزاج الماء فهو بهذا الاعتبار العالى اولى من تشبيه الاسنان باللآلى ثم التشبيه الثانى ابلغ من الاول فتأمل وقد ابعد الدلجى فى تفسير حب الغمام بقطراته ثم قال شبه بياض ثغره فى صفائه ونقائه بضوء البرق وما يظهر على ثناياه من رقة بقطرات الغمام تشبيها بليغا انتهى موهما ان التركيب من التشبيه البليغ وليس كذلك كما لا يخفى على ارباب المعانى والبيان وقيل اول ما يضحك تلألأ كالبرق وان بدت اسنانه فهو كالبرد (اذا تكلم رئى) بكسر راء وسكون ياء فهمزة مفتوحة وروى رئى بتقديم الهمزة مجهولا من الرؤية وهو ظاهر ولعل الاول من قبيل القلب دخل فيه الاعلال قال التلمسانى وهو الافصح والمعنى اظهر (كالنور) اى شئ مثل النور (يخرج من ثناياه) اى يبدو منها او من سناها بكثرة بياضها وشدة صفائها او ايماء الى درر كلماته وغرر بناتها والحديث رواه الترمذى فى شمائله والدارمى والبيهقى (احسن الناس) بالنصب عطفا على ما سبق ويجوز ان يكون بالرفع على ان التقدير هو احسن الناس (عنقا) اى جيدا لاعتداله فى كماله (ليس بمطهم) بتشديد الهاء المفتوحة اى لم يكن مدور الوجه على ما فى الصحاح وغيره وقيل هو السمين الفاحش وقيل المنتفخ الوجه وقيل النحيف الجسم (ولا بمكلثم) بفتح المثلثة اى لا يجتمع لحم الوجه بل مسنون الوجه والحاصل انه لم يكن وجهه مفرطا فى الاستدارة واما حديث على وفى وجهه تدوير فمعناه ان فيه نوع تدوير اى قليلا منه وابعد الحنفى فى قوله يريد صفه اى ليس بمدور ولا بمجتمع بل انه مستطيل (متماسك البدن) اى ليس برهل ولا مسترخ لحمه بل يمسك بعضه بعضا ويقويه ويشده (ضرب اللحم) اى خفيفه ولطيفه لا بادنه وكثيفه وقيل هو اللحم بين اللحمين لا بالناحل ولا بالمطهم (قال البراء) بن عازب اى كما رواه الشيخان وغيرهما (ما رأيت من ذى لمة) بكسر لام وتشديد ميم وهى من شعر الرأس ما جاوز شحمة الاذن ولم يبلغ المنكبين (فى حلة حمراء احسن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) ظاهره انها ثوب واحد لشهادة وصفها بحمراء مع اتفاق اهل اللغة انه لا تطلق الا على ثوبين بشهادة حديث وعليه حلة ائتزر باحدهما وارتدى بالاخرى ولك ان تجيب بان وصفها باعتبار لفظها لا باعتبار معناها وكفى به دليلا لمن جوز لبس الاحمر بلا كراهة كالشافعى ومالك رحمهما الله تعالى كذا ذكره الدلجى وفى القاموس الحلة بالضم ازار ورداء بردا وغيره ولا تكون حلة الا من ثوبين او ثوب له بطانة وكذا قال الخليل وغيره لان كل واحد يحل على الآخر او على الجسم وقيل الثوب الجديد الذى يحل من طيه فاندفع دعوى اتفاق اهل اللغة على الاطلاق بل قال الحنفى ان هذا الحديث يرد عليهم انتهى وليس فى الحديث الذى استشهد به دلالة على احد استعمال الحلة واما كون هذا الحديث دليلا كافيا لتجويز لبس الاحمر فهو كاف مع قطع النظر عما ورد فيه انواع من الخبر والاثر مما يدل على كراهة لبسه فى الحضر والسفر مع ان الحديث ليس فيه تصريح انه صلى الله تعالى عليه وسلم لبس الاحمر بل يدل على انه ما رأى من كان صاحب لمة ولابس حلة حمراء مع ان الحسن فى تلك الحالة على غاية من الصفاء فنفى ان يكون احسن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على اى لبس كان او على تقدير لبسه ثم على تسليم لبسه يحمل على بيان الجواز وان النهى وارد على سبيل الكراهة لا التحريم او انه قضية واقعة يحتمل وقوعها قبل النهى مع انه قد يقال للثوب الذى فيه خطوط حمر كثيرة انه احمر فتدبر فان الجمع بين الاحاديث المتعارضة هو المعتبر وقد قال ابو عبيد الحلال يرود اليمن ثم الدليل المبيح والمحرم اذا اجتمعا يقدم دليل المحظور مع انه يكفى فى دليل

امتناعه التشبه بالنساء ولاشك ان تركه احوط فى حق الرجال العقلاء ومع وجود هذه الانواع من الاحتمال كيف يكفى للاستدلال والله تعالى اعلم بالحال واغرب الانطاكى الحنفى حيث قال فى حاشيته وفى هذا دليل على جواز لبس الاحمر للرجال وادعى النووى الاجماع على جواز لبسه فى المهذب انتهى ولايخفى ان دعوى الاجماع باطلة مع وجود مخالفة الامام الاعظم فى المسئلة وغيره من الائمة ولعله اراد به الاتفاق فى مذهبه والله تعالى اعلم بمقاله ومشربه هذا وقد قال الحجانى وقد اختلف السلف الماضون فى ذلك فكره بعضهم لبسها هى والمصبوغة بالصفرة واجازها قوم آخرون وفرق بعضهم فى هذا بين المشبع فى الصبغ وغير المشبع فاجاز مالم يكن مشبعا وكره مااشبع صبغه ورأى آخرون ان ما اتخذ من هذه الثياب للمهنة جاز مطلقا وما اتخذ للباس كره ودليل الاولين ماورد فى الحديث ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نهى ان يتعصفر الرجل اويتزعفر وروى فى الصحيح عن ابن عمر قال رأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ثوبين معصفرين فقال القهما فانهما ثياب الكفار وقال ابراهيم الخزاعى حدثتنى عجوز قالت كنت ارى عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا رأى على الرجل الثوب المعصفر ضربه وقال دعوا هذه الثياب للنساء واما ما ذكره الحجانى من نسبة عدم الكراهة لابى حنيفة فغير صحيح والله تعالى اعلم (وقال ابو هريرة رضى الله تعالى عنه ما رأيت شيئا احسن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) والمساواة منفية ايضا بالمشاهدة العرفية (كان الشمس تجرى فى وجهه) اى يتوهج كتوهج الشمس لحسنه وصفائه وبهاء ضيائه وقال التلمسانى وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هبط على جبريل فقال يامحمد ان الله تعالى يقول كسوت حسن يوسف من نور الكرسى وكسوت نور وجهك من نور عرشى (واذا ضحك يتلألأ) بهمزتين اى تلمع ثناياه كاللآلى (فى الجدر) بضمتين جمع الجدار وهو حائط الدار رواه احمد والترمذى وابن حبان (وقال جابر بن سمرة رضى الله عنه) كما رواه الشيخان وغيرهما (وقال) اى والحال انه قال (له رجل كان) وفى رواية اكان (وجهه صلى الله تعالى عليه وسلم مثل السيف فقال) اى جابر (لا) اى لقصور ضيائه واحتمال فناء صفائه وايهام طول بنائه (بل مثل الشمس والقمر) اى بل كان نظيرهما لاشتمالهما على كمال النور وعلى نوع من الاستدارة فى مقام الظهور ولذا قال تصريحا بما قدمه تلويحا (وكان) اى وجهه (مستديرا) اى لامستطيلا فلاينافى ميلانه الى الطول (وقالت ام معبد فى بعض ماوصفته به) اى من رواية البيهقى فى دلائله عن اخيها حبيش بن خالد عنها (اجمل الناس) اى اتمهم جمالا وحسنا صوريا (من بعيد واحلاه) اى احلى الناس وافرده لانه اسم جنس فروعى لفظه دون معناه وكذا قوله (واحسنه من قريب) اى تبين حلاوة ملاحته وطراوة فصاحته (وفى حديث ابن ابى هالة) اى الاتى (يتلألأ) اى يضئ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر خص به لانه زمان كماله وسمى بالبدر لمبادرته الشمس للغروب ليلة تمامه ومبادرتها اياه للطلوع فى صباحه (وقال على رضى الله تعالى عنه) على مافى جامع الترمذى وشمائله (فى آخر وصفه) اى نعت على له صلى الله تعالى عليه وسلم (من رآه بديهة) اى مفاجأة من غير روية كناية عن اول الوهلة (هابه) اى خافه مخافة العظمة ووقع فى قلبه منه المهابة (ومن خالطه معرفة) اى من حيث عرف ماكان عليه من حسن العشرة ودوام البشاشة فنصبها على التمييز وابعد التلمسانى فى جعلها مفعولا له اوحالا (احبه يقول ناعته) اى واصفه (لم ار) احدا من الناس (قبله ولابعده مثله صلى الله تعالى عليه وسلم) لكرم شمائله وشرف فضائله والمراد من قوله قبله اى قبل وجوده ولابعده استيفاء زمانه والافعلى كرم الله وجهه اصغر سنا منه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا اذا كانت الرؤية بصرية واما اذا كانت علمية فلا اشكال والله اعلم بالحال (والاحاديث فى بسط صفته) اى تفصيل نعوته (مشهورة) اى عند المحدثين (كثيرة) اى عند المؤرخين (فلانطيل) اى الكتاب (بسردها) اى بذكرها متصلة مفصلة فى الابواب (وقد اختصرنا) اى اوردنا على وجه الاختصار (فى وصفه نكت) وفى نسخة على نكت (ماجاء فيها) بضم النون وفتح الكاف جمع نكتة اى لطائف ودقائق ماورد فى تلك الاحاديث (وجملة) اى واوردنا جملة مجملة (مما فيه الكفاية) ومن بيانية او تبعيضية (فى القصد الى المطلوب) اى من وصف المحبوب (وختمنا هذه الفصول) اى الكافلة باعتبار كل فصل بابراز ماورد فى وصفه وفضله (بحديث جامع لذلك تقف عليه هنالك ان شاء الله تعالى)

(فصل)

(واما نظافة جسمه) اى لطافة بدنه (وطيب ريحه) اى الخارج منه (وعرقه) اى وطيب عرقه وهو بفتحتين رطوبة تلحق الانسان بسبب حرارة اوغيرها (ونزاهته) اى تباعده وبراءته (عن الاقذار) بالذال المعجمة اى الاوساخ والادناس الحسية والمعنوية بل كما قيل عن الانجاس الحقيقية (وعورات الجسد) اى ونزاهته عن عيوب توجد فى اجساد الناس مما يشين الانسان والعورة بسكون الواو وتحرك مأخوذة من العار الذى يلحق الذم بسببه كنقص فيه وخلل فى عضو منه

(وكان مدخصه الله في ذلك) اي ماذكر (بخصائص لم توجد في غيره) الجملة صفة كاشفة لماقبلها (ثم تممها) اي كل
تلك الخصائص الحسية (بنظافة الشرع) اي بلطائف الاداب الشرعية والخصائص المثوبة التي من جملتها قوله
(وخصال الفطرة) وهي اصل الخلقة فان الله تعالى خلق عباده قابلين للحق حتى لو خلوا وماخلقوا عليه لاهتدوا له
كما ورد حديث كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه الحديث وقال تعالى فطرة الله التي فطر
الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم وقال ابو بكر بن العربي هي عبارة عن اصل الخلقة فان الانسان مخلوق
سليما من عشرة اقذار ثم تطرأ عليه ثم امر بالتنظيف منها او المراد بالفطرة هي الاسلام والمذكورة في قوله صلى الله
تعالى عليه وسلم عشر من الفطرة ولذلك اتى بالالف واللام للمعهود عنها كقوله تعالى اذ هما في الغار وان لم يتقدم لها ذكر
فعدّ علم عشر وروقا لمعنى خصال دينية (العشر) اي خصوصا مافي مسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عشر من الفطرة قص الشارب واعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص
الاظفار وغسل البراجم ونتف الابط وحلق العانة وانتقاص الماء قال مصعب بن شيبة راويه ونسيت العاشرة الا ان
تكون المضمضة وقال وكيع انتقاص الماء يعني الاستنجاء وروى ابو داود نحوه الا انه قال بدل انتقاص انتضاح وفي
رواية الانتضاح بفاء وصاد مهملة وكلها كناية عن الاستنجاء هذا وحلق اللحية منهي عنه واما اذا طالت زيادة على القبضة
فله اخذها هذا وقال المؤلف في شرح مسلم ولعل العاشرة الختان لانه مذكور في قوله عليه الصلاة والسلام الفطرة
خمس او خمس من الفطرة قلت فاذن يعد المضمضة والاستنشاق خصلة واحدة لاتحاد حكمهما والله تعالى اعلم (وقال)
اي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والاولى قال بدون واو (بني الدين على النظافة) اي الطهارة الباطنة والظاهرة وهذا
الحديث وان قال العراقي في تخريج احاديث الاحياء لم اجده هكذا ثم في الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة
رضي الله عنها تنظفوا فان الاسلام نظيف وللطبراني في الاوسط بسند ضعيف من حديث ابن مسعود رضي الله عنه
النظافة تدعو الى الاسلام انتهى فقد روى الرافعي في تاريخه بسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه بعض حديث
مرفوعا تنظفوا بكل ما استطعتم فان الله تعالى بنى الاسلام على النظافة ولن يدخل الجنة الا كل نظيف ويعضده
حديث الترمذي ان الله نظيف يحب النظافة فنظفوا افنيتكم (حدثنا سفيان بن العاص) بتثليث سين سفيان
سمع الباجي وابن عبد البر وغيرهما واخذ عنه المصنف واكثر (وغير واحد) اي كثيرون من مشايخنا (قالوا حدثنا
احمد بن عمر) صاحب كتاب الاعلام باعلام النبي عليه السلام (حدثنا ابو العباس الرازي) وهو ابن بندار الحرام الي
(حدثنا ابو احمد الجلودي) بضم الجيم بلا خلاف ذكره الدلجي وغيره وقال التلمساني بضم الجيم وفتحها منسوب
لجلود قرية ببغداد وقيل بالشام سكة نيسابور الدارسة وقيل بافريقية وقيل كان يبيع الجلود وكان
شيخا صالحا نيسابوريا ينتحل مذهب سفيان الثوري (حدثنا ابن سفيان) اي المروزي او النيسابوري (حدثنا
مسلم) اي النيسابوري صاحب الصحيح روى عن احمد بن حنبل وغيره وعنه الترمذي وابن خزيمة وابو عوانة وغيرهم
(حدثنا قتيبة) هو ابن سعيد الثقفي البلخي يكنى ابا رجاء سمع الليث ومالكا وابن عيينة وغيرهم (حدثنا جعفر بن
سليمان) الضبعي سمع ثابتا البناني ومالك بن دينار وروى عنه ابن المبارك قيل مع كثرة علمه كان اميا (عن ثابت)
هو ثابت كاسمه وهو ابن اسلم البناني بضم الموحدة روى عن انس وابن عمر وابن الزبير وخلق وعنه الحمادان وامم وكان
رأسا في العلم والعمل يلبس الثياب الفاخرة ويقال لم يكن في وقته اعبد منه اخرج له الجماعة وهو ثقة بلا مدافعة
(عن انس) خادم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم جاوز عمره المائة وكذا اولاده وفي الصحابة من اسمه انس اثنان
وعشرون وفيهم انس ابن مالك اثنان هذا وهو المشهور وانس ابن مالك ابو امية القشيري وقيل الكعبي وانتقل انس
الى البصرة في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه ليفقه الناس بها وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة (قال
ماشممت) بكسر ثانيه وبفتح (عنبرا) هو شيء يلفظه البحر اي يرمي به ويقال انه روث دابة من دواب البحر ولا يصح
واصول الطيب خمسة اصناف المسك والكافور والعود والعنبر والزعفران وكلها تحمل من ارض الهند الا الزعفران
والعنبر واجود العنبر هو المدور الابيض كبيض العلم اودون ذلك (قط) اي فيما مضى من عمري وهو بفتح قاف
وتشديد طاء مهملة مضمومة وسكون وهي للابد الماضي وقد تكسر الطاء واضمان وتخفف الطاء مع ضمها واسكانها
(ولا مسكا) واطيب المسك ماخرج من الظباء بعد بلوغ النهاية في ابيضح وغيره لان المسك نوع خاص من الطيب
(ولاشيئا) اي آخر من انواع الطيب (اطيب) اي افيح (من ريح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وتتمته ولا مسست
قط ديباجا ولا حريرا ولاشيئا الين لمسا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والحديث كما ترى في مسلم وكذا
في الشمائل (وعن جابر بن سمرة) اي فيما رواه مسلم انه قال صليت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

ثم خرج وانا معه فاستقبله ولدان فجعل يمسح خدي احدهم واحدا واحدا واما انا فمسح خدي فوجدت ليده بردا او ريحا كانما اخرجها من جونة عطار كذا في مسلم او ريحا بالف وكثيرا ما يوجد به ونها فلعله رواية فيه ولهذا رواه بلفظ انه صلى الله تعالى عليه وسلم مسح خده) اي جانب وجهه مما يلي الوجنة من الاسفل (قال فوجدت ليده بردا او ريحا كانما اخرجها من جونة عطار) وهو بضم الجيم وسكون الواو وقد تهمز اوهمزتها اصلية وقد تبدل لانها تحذف كما قاله الدلجي وهي سفط مغشى بجلد يجعل فيه العطار طيبه والعطار فعال نسبة لا مبالغة (قال غيره) اي غير جابر ابن سمرة (مسها اطيب اولم يمسها بصافح) اي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (المصافح) اي له (فيظل) بفتح ظاء معجمة وتشديد لام يقال ظل يفعل كذا اذا فعله نهارا في الكلام تجريد اوتأكيد وقد يجيء بمعنى دام وصار والمعنى فيصير ذلك المصافح له (يومه) اي طول نهاره (يجد ريحها ويضع يده على رأس الصبي) اي مثلا (فيعرف) بصيغة المجهول اي فيميز (من بين الصبيان) بكسر الصاد وبضم جمع الصبي (بريحها) اي بسبب ريح يده صلى الله تعالى عليه وسلم على رأس ذلك الصبي (ونام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اي كما رواه مسلم (في دار انس) اي على فراش امه ام سليم بضم السين بنت ملحان بكسر الميم وقيل بفتحها واما ماوقع في بعض كتب الشافعية ان ام سليم جدة انس رضي الله عنه فخطأ (فعرق) بكسر الراء (فجاءت امه) اي ام انس (بقارورة) اي باناء من زجاج (تجمع فيها عرقه) اي تبركا وتطيبا (فسألها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك) اي عن جمعها اياه المستفاد من الفعل فقالت نجعله في طيبنا (وهو) اي طيبه اوطيبنا باختلاطه طيبه (من اطيب الطيب) بل اطيب الطيب وفي رواية نرجو بركته لصبياننا زاد البخاري فاوصى انس ان يجعل منه في حنوطه قال الدلجي وانما نام على فراشها لانها واختها ام حرام كما في اكمال المصنف خالتاه من الرضاعة وانكر فان صح ففي الحديث جواز الخلوة بمن بينها وبينه محرمية والنوم عندها لعصمته صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى وهو غريب اذ ليس في الحديث ما يدل على وقوع الخلوة مع ان جوازها مع المحرم لا يعرف له خلاف وقد ورد لا يخلون رجل بامرأة ثيب الا ان يكون ناكحا اوذا محرم ثم قوله لعصمته ينافي ما استدل به على جوازه لكونها علة لاختصاصه فكان حقه ان يقول والا اي وان لم يصح فالنوم عندها لعصمته صلى الله تعالى عليه وسلم هذا وفي صحيح مسلم انه كان يدخل بيت ام سليم وينام على فراشها اذا لم تكن فيه فجاء ذات يوم فنام عليه فاتت فقيل لها هذا النبي نائم على فراشك فجاءت وقد عرق الحديث (وذكر البخاري في تاريخه الكبير عن جابر) اي ابن عبد الله صحابي ابن انصاري آخر من مات بالمدينة من الصحابة وعنه استغفر لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خمسا وعشرين استغفارة كل ذلك اعده بيدي يقول اديت عن ابيك دينه فاقول نعم فيقول يغفر الله لك (لم يكن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يمر في طريق) اي من طريق المدينة وغيرها (فيتبعه) بتخفيف التاء وفتح الباء وبتشديد التاء وكسر الباء ويرفع وينصب اي فيجيء عقبه (احد الاعرف) اي ذلك الاحد (انه) اي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (سلكه) اي دخل ذلك الطريق ومر به (من طيبه) متعلق بعرف اي من اجل طيبه وبسببه وروى البزار وابو يعلى بسند جيد عن انس رضي الله عنه كان اذا مر في الطريق من طرق المدينة وجد فيه رائحة المسك فيقال مر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من هذا الطريق (وذكر اسحق بن راهويه) بضم هاء ثم فتح ياء وتاء على الصحيح وهو مروزي عالم خراسان روى عنه الجماعة الا ابن ماجه (ان تلك) اي الرائحة (كانت رائحته) بالنصب وفي نسخة ان تلك رائحته اي في اصل خلقته (بلا طيب) اي من غير استعمال طيب في ثوبه او بدنه وروى ابن ابي بكر في سيرته ان ام سلمة وضعت يدها على صدر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته فمكثت جمعا لا تأكل ولا تتوضأ الا وجدت ريح المسك بين يديها (وروى المزني) بضم ميم وفتح زاي فنون وياء نسبة مصري كان ورعا زاهدا مجاب الدعوة متقللا من الدنيا قال الشافعي رحمه الله في حقه لوناظر الشيطان لغلبه له تصانيف كالمبسوط والمختصر وغيرهما وصنف كتابا مفردا على مذهبه لا على مذهب الشافعي وهو مدفون بالقرافة بالقرب من قبر الشافعي وفي نسخة صحيحة الحربي وهو بحاء مهملة وباء موحدة وهو ابراهيم ابن اسحق حنبلي المذهب اصله من مرو ونسب الى الحربية وهي محلة معروفة ببغداد وهي تنسب الى حرب بن عبد الله صاحب المنصور (عن جابر اردفني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اي اركبني (خلفه) الردف بكسر الراء من يركب خلف راكب يقال اردفني وردفني (فالتقمت خاتم النبوة) بفتح التاء وكسرها يقال لقمه والتقمه اي ادخله في فمه كاللقمة والمراد بخاتم النبوة الذي كان كالتفاحة او بيضة الحمامة او كزر الحجلة بين كتفيه وقد اوضحته في شرح الشمائل (بفمي) وفي نسخة بفي بكسر الفاء وتشديد الياء وذكره من باب التأكيد كقولهم رأيت بعيني وسمعت باذني (فكان) اي الخاتم (ينم) بكسر النون وتضم وبتشديد الميم اي يجلب الريح ويفوح (على مسكا) اي ريح مسك اوكمسك ومنه النميمة والطيب نمام اي يفوح وان لم يرد صاحبه ذلك والزجاج كذلك

لان المرآة ترى للانسان ما فيه من حسن او قبح ولا تستر شيئا وفى المثل اسمع من الزجاج وفى رواية بنبح اضم مثلثة وقد تكسر اى يسيل تشبيها له بثج دماء الهدى اى سيلانها بسرعة ومناه ههنا يفوح وتسطع رائحته بكثرة هذا وقد جمع بعضهم من اردفه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فبلغ نيفا وثلاثين ولم يذكر منهم جابرا (وقد حكى بعض المعتنين) اسم فاعل من الاعتناء اى المهتمين (باخباره وشمائله) اى سيره وآثاره (صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان اذا اراد ان يتغوط) اى يريد اخراج الغائط وهو ما يبرز من ثقل الطعام من المحل المعتاد ويطلق على المطمئن من الارض كما فى قوله تعالى او جاء احد منكم من الغائط (انشقت الارض فابتلعت غائطه وبوله وفاحت) بالفاء وفى نسخة بالباء الموحدة بدل الفاء اى ظهرت (لذلك رائحة طيبة صلى الله تعالى عليه وسلم) ذكره البيهقى عن عائشة رضى الله تعالى عنها وقال انه موضوع كما سيأتى (واسند محمد بن سعد) روى عن ابن عيينة وعنه ابن ابى الدنيا (كاتب الواقدى) وهو صاحب الطبقات وله تأليف جيد مفيد فى تعريف رجال الحديث قال ابن جماعة هو ثقة لكنه روى عن الضعفاء منهم شيخه محمد بن عمر الواقدى والواقدى ولى القضاء ببغداد للمأمون وروى عن مالك حديثا كثيرا وروى عنه الشافعى وغيره واستقر الاجماع على ضعفه كما فى الميزان (فى هذا) اى فى ان الارض تبتلع ما يخرج منه وتفوح له رائحة طيبة (خبرا عن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم انك تأتى الخلاء) هو بالمد (فلا نرى منك شيئا) وروى فلا نرى منك شيئ (من الاذى) بالقصر وهو ما يكره ويتأذى به (فقال يا عائشة او ما) اى اجهلت وما (علمت ان الارض تبتلع) وفى نسخة تبلع بفتح اللام (ما يخرج من الانبياء فلا يرى منه شئ) وروى الدارقطنى فى افراده عنها قالت قلت يا رسول الله اراك تدخل الخلاء ثم يجيئ الرجل يدخل بعدك فلا يرى لما يخرج منك اثرا فقال اما علمت ان الله امر الارض ان تبلع ما خرج من الانبياء (وهذا الخبر) اى الذى اسنده ابن سعد (وان لم يكن مشهورا) اى معروفا بين المحدثين وليس المراد به المشهور المصطلح عندهم ثم قال ابن دحية بعد ان اورده هذا سند ثابت قيل وهو اقوى ما فى الباب ومع هذا (فقد قال قوم من اهل العلم بطهارة هذين الحدثين منه صلى الله تعالى عليه وسلم) عبر عن الخارجين بهما استهجانا للتصريح باسمهما (وهو قول بعض اصحاب الشافعى رحمه الله) وعليه كثير من الخراسانيين لكن المعتمد فى المذهب خلافه كما ذكره الدلجى وقال ابو بكر بن العربى بول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ونجوه طاهران وهو احد قولى الشافعى وقال النووى فى الروضة ان بوله ودمه وسائر فضلاته طاهرة على احد الوجهين وفيه ان الحديث السابق لا يدل على المدعى كما لا يخفى بل على ضده كما يدل عليه الابتلاع اللهم الا ان يقال الريح الطيبة تدل على الطهارة وفيه بحث ثم قال البغوى بذلك مستدلا بشهادة الاستشفاء ببوله ودمه على ما نقله الدلجى وقرره وفيه نظر ايضا من جهة عدم لزومه اذ وقع الاستشفاء ببول الابل والجمهور ومنهم القائل به على نجاسته (حكاه) اى القول بطهارتهما (الامام ابو نصر ابن الصباغ) بالباء الموحدة المشددة (فى شامله) هو بغدادى شافعى المذهب له تآليف منها الشامل ومنها الكامل (وقد حكى القولين عن العلماء فى ذلك) اى فى كونهما طاهرين او نجسين (ابو بكر) وفى رواية ابو الحسن (ابن سابق) بكسر الموحدة (المالكى فى كتابه البديع فى فروع المالكية وتخريج ما لم يقع لهم) اى للمالكية (منها) اى من الفروع التى هى (على مذهبهم) اى ولم يخرجوها وانما خرجت (من تفاريع الشافعية) والظاهر المتبادر ان قوله وتخريج مجرور عطفا على فروع كما اشار اليه التلمسانى وصرح به الانطاكى وابعد الدلجى وجعله منصوبا عطفا على القولين ثم قال والتخريج فى اصطلاحهم ان ينص الشافعى على حكمين مختلفين فى صورتين متشابهتين ولم يظهر لهم ما يصلح فارقا بينهما فينقلوا نصه فى كل صورة منهما الى الاخرى كمسئلتى الاجتهاد فى الاوانى والقبلة اذ قد منع فى الاولى العمل بتغير الاجتهاد وجوزه فى الثانية فنقلوا منعه فى تلك الى هذه وتجويزه فى هذه الى تلك فصار فى كل قولان منصوص عليهما ومخرج المنصوص فى كل هو المخرج فى الاخرى (وشاهد هذا) اى دليل هذا القول على طهارة ما ذكر (انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن منه شئ يكره ولا غير طيب) وفيه انه منقوض بما صح عن عائشة رضى الله عنها انها كانت تغسل المنى من ثوب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبانه كان يستنجى بحجر ومدر وايضا انه لو كان الخارجان منه طاهرين لما كانا حدثين ناقضين كالعرق والدمع والبزاق والمخاط ونحوها والاجماع على انه صلى الله تعالى عليه وسلم فى نواقض الوضوء كالامة الا ما صح استثناؤه كالنوم بدليل انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان تنام عيناه ولا ينام قلبه كما سيأتى (ومنه) اى ومن الشاهد بانه لم يكن منه شئ يكره ولا غير طيب (حديث على رضى الله تعالى عنه) اى فيما رواه ابن ماجه وابو داود فى مراسيله انه قال (غسلت النبى عليه الصلاة والسلام) بتشديد السين وتخفيفها وهو اظهر (فذهبت) اى شرعت وقصدت (انظر ما يكون من الميت) اى من خروج دم وغيره من النجاسات عند خروج روحه او حين غسله (فلم اجد شيئا) اى منها خرج منه (فقلت طبت حيا وميتا) ونصبهما على الحال او على نزع الخافض اى فى الحياة

والممات اوعلى التمييز ذكره التلمساني ولايخفى بعد ماعدا الاول فتأمل فانه موضع زلل ومحل خطل ثم انت ترى ان هذا الحديث لايصلح ان يكون شاهدا كما لايخفى وقد روى عن علي كرم الله تعالى وجهه انه حين غسل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مسح بطنه فلم يجد شيئا فقال طبت حيا وميتا وفي رواية فاح ريح المسك في البيت لما في بطنه قيل وانتشر في المدينة (قال) اى علي (وسطعت) اى ارتفعت وانتشرت وفاحت (منه ريح طيبة لم نجد مثلها قط ومثله) اى ومثل قول علي طبت حيا وميتا (قال ابو بكر) رضي الله تعالى عنه (حين قبل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته) رواه البزار عن وابن عمر بسند صحيح وهو بعض خبر في البخاري (ومنه) اى ومن الشاهد (شرب مالك بن سنان) بكسر السين المهملة مصرف واما الشرب فبضم المعجمة ويجوز فتحها وكسرها (دمه) اى دم النبي صلى الله عليه وسلم (يوم احد ومصه اياه) قيل شربه ابتلاعه ومصه اخذه من الجرح بفيه اوشربه ابتلاعه دفعة ومصه ابتلاعه قليلا قليلا وروى اذ ذاك مرفوعا من مس دمه دمي لم تصبه النار (وتسويغه صلى الله تعالى عليه وسلم) اى تجويزه (ذلك له وقوله لن تصيبه النار) رواه الطبراني عن ابي سعيد الخدري عن ابيه مالك بن سنان قتل يوم احد وهو جمل معروف يخفف ويثقل وقيل يخفف ذكره التلمساني والتشديد فيه غريب ورواه البيهقي عن عمر بن السائب ثم في الحديث قد يقال ان الضرورات تبيح المحظورات (ومثله) وفي اصل الدلجي ومنه اى ومن الشاهد كما رواه الحاكم والبزار والبيهقي والبغوي والطبراني والدار قطني وغيرهم فالعجب من ابن الصلاح انه قال هذا حديث لم اجد له اصلا بالكلية وهو في هذه الاصول (شرب عبد الله بن الزبير دم حجامته فقال له عليه الصلاة والسلام ويل لك من الناس وويل لهم منك ولم ينكره عليه) وفيه ان هذا حكم مسكوت عنه بعد وقوعه ولم يدخل تحت تقريره اذلم يطلع على شربه حال فعله مع ان في قوله ويل لك من الناس وويل لهم منك نوع نكير عليه اذالويل الفضيحة المترتبة على الفتنة وروى الزبير بن بكار انه حين ولدته امه رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هو هو فسمعته امه فامسكت عن ارضاعه فقال ارضعيه ولو بماء عينيك كبش بين ذئاب في ثياب ليمنعن البيت وليقتلن دونه وهذا مما اخبر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات اذقد بويع له بالخلافة سنة خمس وستين بعد وفات معاوية واطاعة اهل الحجاز واليمن والعراقين وخراسان وحج بالناس ثماني سنين ثم وقعت الفتنة وعمرو بن سعيد على المدينة نائبا لعبد الملك بن مروان فكان يبعث المبعوث اليه منها الى مكة حتى ارسل له عبد الملك الحجاج فابتدأ حصاره غرة ذى الحجة سنة اثنين وسبعين وحج تلك السنة الحجاج ووقف بعرفة عليه درع ومغفر ولم يطف الناس بالبيت في تلك الحجة فحاصره ستة اشهر وسبعة عشر يوما ثم قتل في نصف جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين وعمره اثنتان وسبعون سنة وايام على ماذكره الدلجي وروى الشعبي قال هاج الدم برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فحجمه ابوطيبة فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اشكموه فاعطوه دينارا وقال لابن الزبير واره يعني الدم قال فتوارى ابن الزبير فشرب الدم فبلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فعله فقال اما انه لاتصيبه النار اولاتمسه النار قال الشعبي فقيل لابن الزبير كيف وجدت طعم الدم فقال اما الطعم فطعم العسل واما الرائحة فرائحة المسك اقول فهذا من باب قلب الاعيان الذى عد من معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام وبهذا يندفع نزاع الفقهاء ويؤيده ماذكره التلمساني عن عائشة رضي الله تعالى عنها وذكرت انها لاتجد في الخلاء شيئا فقال انا معاشر الانبياء تنبت اجسادنا على ارواح الجنة فما خرج منها من شئ ابتلعته الارض ولكن رواه البيهقي في الدلائل عنها ثم قال هذا من موضوعات الحسين بن علوان لاينبغي ذكره ففي الاحاديث الصحيحة المشهورة من معجزاته كفاية عن كذب ابن علوان انتهى وروى ان رجلا قال رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ابعد في المذهب فلما خرج نظرت فلم ارشيئا ورأيت في ذلك الموضع ثلاثة احجار اللاتي استنجى بهن فاخذتهن فاذا بهن يفوح منهن روائح المسك فكنت اذا جئت يوم الجمعة المسجد اخذتهن في كمي فتغلب رائحتهن روائح من تطيب وتعطر (وقد روى نحو من هذا عنه) اى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (في امرأة شربت بوله) اى من غير علم بانه بول كما سيأتي (فقال لها لن تشتكي) باسكان الياء على ان النون حذفت للناصب (وجع بطنك ابدا) وفي رواية لن تلج النار بطنك والحديث رواه الحاكم واقره الذهبي والدار قطني (ولم يأمر واحدا منهم) اى احدا ممن شربه وفيه تغليب الرجال على النساء (بغسل فم) لادلالة في الاحاديث على الامر ولاعلى عدمه مع ان غسل الفم من البول كان عندهم من قبيل المعلوم بالضرورة وعلى تسليم عدم الامر لايثبت طهارته لاحتمال الذهول اوللاعتماد على الظهور الا ان يثبت انه رأى احدا منهم يصلي من غير غسل فم مثلا وسكت عليه واقره كما هو مقرر عند ارباب الاصول (ولانهاه) اى الاحد (عن عوده) اى عن عوده شرب بوله وفيه انه لايحتاج الى النهي عن العود الا اذا وقع ذلك الفعل عن العمد من غير ضرورة ولاحالة جذبة وسيأتي اعتذارها بانها شربته بغير علمها وفي نسخة صحيحة بلفظ عودة بالتاء

للوحدة هذا وروى ابن عبد البر ان سالم بن ابى الحجاج حجمه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ازدرد اى ابتلع دمه فقال اما علمت ان الدم كله حرام وفى رواية لاتعد فان الدم كله حرام (وحديث هذه المرأة التى شربت بوله صحيح) اى واصححه (الزم الدار قطنى) بفتح الراء وتسكين نسبة الى دارقطن محلة ببغداد وهو صاحب السنن وروى عنه الحاكم وابو ذر الهروى وابو نعيم وغيرهم (مسلما والبخارى) اى كلا منهما (اخراجه) اى تخريج الحديث وذكره باسناده (فى الصحيح) اى فى كل من صحيح البخارى ومسلم اذ رجاله كرجالهما فى الضبط والعدالة وغيرهما لكن انما يتوجه هذا الالزام عليهما لو التزما تخريج جميع الصحيح ولم يلتزماه والحاصل ان هذا الحديث فى مرتبة الحديث الذى اتفق عليه الشيخان من كمال الصحة وان لم يخرجاه فى جامعيهما لكن انتقد عليه فانه جاء من جهة ابى مالك النخعى وانه ضعيف وفى علل الدار قطنى ايضا انه مضطرب من جهة ابى مالك والله تعالى اعلم (واسم هذه المرأة بركة) بفتحات (واختلف فى نسبها) فقيل هى بنت يسار مولاة ابى سفيان بن حرب بن امية كانت هى وزوجها قيس بن عبد الله هاجرا مع ام حبيبة بنت مولاها ابى سفيان وزوجها عبيد الله بن جحش فلما تنصر زوج ام حبيبة وبقيت على الاسلام خطبها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فزوجها له النجاشى واصدقها عنه اربعمائة دينار او اربعمائة اوقية ذهب ثم بعثها اليه مع شرحبيل بن حسنة وقدمت بركة هذه معها وكانت تخدمها وتخدم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهى اسم للائنة منهن ام ايمن (وقيل هى ام ايمن) اى الحبشية مولاته وحاضنته ومرضعته ورثها من ابيه ثم اعتقها لما تزوج خديجة فتزوجها عبيد بن زيد من بنى الحارث فولدت له ايمن وبه كنيت ثم تزوجها بعد النبوة زيد بن حارثة فولدت له اسامة حبه صلى الله تعالى عليه وسلم والى هذا القول ذهب ابن عبد البر وغيره وقال الواقدى كانت ام ايمن عسرة اللسان فكانت اذا دخلت قالت سلام لاعليكم يعنى سلام الله عليكم فرخص لها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان تقول سلام عليكم او السلام عليكم كذا ذكره التلمسانى تبعا للحلبى وفيه ان هذا جائز لغيرها ايضا فلا وجه للترخيص لها ولعل الرخصة ان تقول سلام بدون عليكم ويؤيده قولهم ان ذلك كان تكرمة لها وروى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال هى امى بعد امى (وكانت تخدم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بضم الدال وتكسر على مافى القاموس مانذفع قول التلمسانى ولا يصح الكسر كما تقوله العامة (قالت) اى المرأة (وكان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قدح من عيدان) بفتح عين مهملة وزنه فعلان او فيعال جمع عيدانة وهى النخلة الطويلة وقيل بكسرها جمع عود (يوضع) اى القدح (تحت سريره فيبول فيه من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده) اى طلبه ليصبه (فلم يجد فيه شيئا فسأل بركة عنه) اى عن بوله الذى كان فى القدح (فقالت قمت وانا عطشانة فشربته وانا لا اعلم) اى انه بول قال الدلجى تبعا لغيره من المحشين الصواب عطشى لانه مؤنث عطشان الا ان تكون لغة قلت الصواب ان عطشانة جاء فى لغة كما فى القاموس وقيل هى لغة بنى اسد ثم القدح اناء يشرب منه ويقال للصغير الغمر بضم الغين وهو اول الاقداح وهو الذى لايبلغ الرى ثم القعب وهو قدر رى الرجل ثم القدح وهو يروى الاثنين والثلاثة ثم غيرها على مافى كتب اللغة والسرير مرفع يصنع من خشب ويوضع فى ناحية من البيت او السطح يتخذ للرقاد وقاية من الارض ومافيها (روى حديثها) اى بكماله (ابن جريج) بالجيمين مصغرا مجمع على كونه ثقة ولد سنة ثمانين ومات سنة خمسين ومائة روى عن مجاهد وعطاء وطاوس وابن ابى مليكة وعنه ابن عيينة والثورى وغيرهما وهو مجمع على ثقته وهو اول من صنف الكتب فى الاسلام وقد روى عن حكيمة بنت امية بنت ابى صيفى عن امها قالت كان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قدح من عيدان يوضع تحت سريره ليبول من الليل فيه فبال فيه ليلة ووضع تحت سريره ثم افتقده فلم يجد فيه شيئا فقال لامرأة يقال لها بركة كانت تخدمه مافعل بالبول الذى كان فى هذا القدح فقالت يارسول الله انى شربته وروى عبد الرزاق عنه قال اخبرت ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يبول فى قدح من عيدان ثم يوضع تحت سريره فجاء فاذا هو ليس فيه شئ فقال لامرأة يقال لها بركة كانت تخدم ام حبيبة جاءت معها من ارض الحبشة اين البول الذى كان فى القدح قالت شربته قال صحة ياام يوسف وكانت تكنى ام يوسف فما مرضت قط حتى ماتت (وغيره) اى ورواه ايضا غير ابن جريج كابى داود وابن حبان والحاكم عن امية عن امها وروى الحاكم والدار قطنى عن ام ايمن قالت قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الليل الى فخارة فى جانب البيت فبال فيها فقمت من الليل وانا عطشانة فشربت مافيها وانا لا اشعر فلما اصبح قال ياام ايمن قومى فاهرقى مافى تلك الفخارة قلت قد والله شربته فضحك ثم قال اما والله لايجعن بطنك بعدها ابدا وهذا يدل على انهما واقعتان وقضيتان كما قال ابن دحية ان بركة ام يوسف وبركة ام ايمن وينصره مافى خصائص تدريب البلقينى انهما شربتاه هذا وقد شرب ايضا دمه عليه الصلاة والسلام ابو طيبة عاش مائة واربعين سنة وسفينة مولى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رواه البيهقى عن على بن زيد بن طاب

كرم الله وجهه ذكره الرافعي في الشرح الكبير قال ابن الملقن ولم اجده في كتب الحديث (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم قد ولد مختونا) اى لا قلفة له (مقطوع السرة) بضم السين رواه ابونعيم والطبراني في الاوسط وفي دلائل البيهقي بسند ضعيف عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه عن ابيه انه ولد معذورا مسرورا اى مقطوع السرة مختونا يقال عذره واعذره ختنه وروى الخطيب عن انس رضي الله تعالى عنه مرفوعا وصححه ايضا في المختار من كرامتي على ربي انى ولدت مختونا ولم يراحد سوءتي وقال الحاكم تواترت الاخبار بولادته مختونا وتعقبه الذهبي بقوله ما اعلم صحته فكيف يكون متواترا قلت يجوز ان يكون الشيء متواترا عند بعض دون بعض وقيل ختن لما شق قلبه عند مرضعته حليمة اى ختنته الملائكة عندها كما ذكره التلمساني وقيل ختنه جده يوم سابع ولادته وصنع له مأدبة وسماه محمدا (وروى في بعض الروايات عن امه آمنة) بالمد على وزن فاعلة وهي بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب ولم تلد غيره صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يتزوج غيرها عبدالله على الاصح فيهما وفي اسم آمنة امان امته وفي حليمة حلم وفي بركة بركة فتلك امنة من سائر النقم وذكر السهيلي ان الله عزوجل احيى للنبي رسول الله صلى الله تعالى عليه ابويه فآمنا به ثم اماتهما وكذلك نقله السيوطي في خصائص النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لكنه حديث موضوع كما صرح به ابن دحية وقد بينت هذه المسألة في رسالة مستقلة (انها قالت ولدته نظيفا) اى نقيا (مابه قذر) بفتحتين اى وسخ ودرن كذا رواه ابن سعد في طبقاته وروى انه ولدته امه بغير دم ولا وجع قال المسعودي ولد عليه السلام في شهر ربيع الاول من سنة اربعين من ملك كسرى نوشروان في دار ابن يوسف وهذه الدار بنتها بعد ذلك الخيزران ام الهادي والرشيد مسجدا (وعن عائشة رضي الله تعالى عنها ما رأيت فرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قط) اى اما حياء منه او منهما او منهما والحديث رواه ابن ماجه والترمذي في شمائله وروى عنها انها قالت ما رأيت منه ولا رأى مني اى العورة (وعن علي رضي الله تعالى عنه اوصاني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا) اى بان لا (يغسله غيري) بتخفيف السين وتشديدها (فانه لا يرى احد عورتي الا طمست عيناه) بصيغة المجهول وابعد التلمساني في قوله بفتح الميم مع انه قال والطمس المحو والمطموس العين هو الذي لا شق بين جفنيه انتهى والمعنى عميت قال الدلجي قوله فانه علة لترك غسله لغير علي كرم الله وجهه وتحذير من اقدام غيره عليه وخصه بذلك لعلمه صلى الله تعالى عليه وسلم بان له قدرة على غض بصره انتهى وفيه نظر لان غض البصر من كل احد ممكن اذا اوصاه به وفي السيرة عن يونس بن بكر انه نودي وهو يغسله ان ارفع طرفك الى السماء وفيه اشكال اذ لا يمكن غسله بكماله مع غض البصر ورفعه وايضا لا يخلو من انه يغسل مجردا او محجوبا بما يغطي عورته من سرته الى ركبته او في قميصه ولا اظن ان الاحتمال الاول يصح اذ لا يجوز لغيره ان يفعل هذا به فكيف بمثله صلى الله تعالى عليه وسلم مع قوله فانه اى الشان لا يرى احد عورتي الا طمست عيناه فهو بيان وتنبيه لعلي وغيره ممن كان يعينه في غسله من اهل البيت ان لا يقصدوا رؤية عورته ليحترسوا و يحترزوا عن كشفها ووقوع نظرهم عليها هذا وعن ابن اسحق لما اختلفوا اهل يغسلونه في ثوبه اولا نودوا ان غسلوه في ثوبه انتهى والمراد بثوبه قميصه كما بينته في شرح الشمائل للترمذي (وفي حديث عكرمة) وهو مولى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما واحد فقهاء مكة وتابعيهم ومفسريهم لكنه اباضي خارجي (عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) كما رواه الشيخان عنه (انه صلى الله تعالى عليه وسلم نام حتى سمع له) بصيغة المفعول (غطيط) اى صوت يخرج مع نفس النائم (فقام فصلى ولم يتوضأ قال عكرمة لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان محفوظا) اى من ان يخامر قلبه نوم وان خامر عينيه الحديث انا معاشر الانبياء تنام اعيننا ولا تنام قلوبنا واما نومه عن صلاة الصبح في الوادي وعن صلاة التهجد احيانا فالاظهر انه تجديد للوضوء ويجوز ان يكون عن نقض قبله او بعده وقيل عن مخامرة قلبه مع ندرة ليتبين لامته لكنه مردود لما سبق من عموم الاوقات المفهوم من الحديث الذي تقدم والله اعلم

(فصل)

(واما وفور عقله) اى زيادته على عقل غيره (وذكاء لبه) بفتح الذال المعجمة ممدودا اى حدة فهمه وسرعة دركه واللب اخص من العقل فانه مختص بالعقل السليم والفهم القويم من لب الشيء خالصه وسره ومنه قوله تعالى ان في ذلك لعبرة لاولي الالباب (وقوة حواسه) بتشديد السين جمع حاسة من حس بمعنى احس وهي اسباب علمه من سمع وبصر وذوق وشم ولمس يعم جميع البدن (وفصاحة لسانه) اى حسن تعبيره وبيانه (واعتدال حركاته) اى وسكناته من قيام وقعود ومشي ورقود ونحو ذلك (وحسن شمائله) اى من خلقه وخلقه (فلا مرية) بكسر الميم وتضم كما قرئ بهما في قوله تعالى فلا تك في مرية الا ان الضم شاذ اى فلا شك (انه كان اعقل الناس واذكاهم) بالذال المعجمة اى احدهم طبعا واطيبهم نفعا (ومن تأمل) اى تفكر (تدبيره) اى نظر باعتبار عاقبته (امر بواطن الخلق وظواهرهم) اى بتصرفه فيهما الى حسن مآلهما (وسياسة العامة والخاصة) من سست الرعية سياسة امرتها ونهيتها والظاهر انها بكسر السين وابدلت الواو ياء لحركة ماقبلها

كالقيام والصيام فالهاء مادة السوس على ما فى القاموس وقال الحلبى بفتح السين والظاهر انه سبق قلم او زلة قدم ثم المراد بالخاصة العالم والمتعلم و بالعامة من عداهم كما ورد الناس اثنان عالم ومتعلم والباقى همج رعاع اتباع لا يعبأ الله بهم وعن على كرم الله وجهه وقد سئل عن العامة فقال همج رعاع اتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤا الى ركن وثيق واجمع الناس فى تسميتهم على انهم غوغا ، وهم الذين اذا اجتمعوا غلبوا واذا تفرقوا لم يعرفوا انتهى والغوغاء مأخوذ من غوغاء الجراد لانه يركب بعضه بعضا فسميت العامة باسمه لاجل الشبه الحاصل بينهما فى الارتكاب اى يتبع بعضهم بعضا من غير فائدة ولا منفعة وانهم يقلدون لاشئ ويدبرون لاشئ (مع عجيب شمائله) اى اخلاقه العجيبة (وبديع سيره) بكسر ففتح جمع سيرة اى سيرة العربية (وصلا) مصدر لفعل محذوف يقع متوسطا بين نفى واثبات لفظا ومعنى فالمعنى لم ينل احد مثله بفضل فضلا (عما افاضه) اى زيادة عما ابداه وبينه واذاعه وافشاه (من العلم) اى اعتقادا وعمليا (وقرره) اى اثبته وحرره (من الشرع) بيان لما افاضه وقرره وذلك كله (دون تعلم سبق) اى له من غيره (ولا ممارسة) اى ملازمة (تقدمت) اى منه لشئ من ذلك (ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر) من الامتراء وهو جواب الشرط اى لم يشك (فى رجحان عقله وثقوب فهمه) بضم المثلثة اى فى سرعة دركه (الاول بديهة) اى فى اول وهلة بدون تفكر ومهلة فكانه يثقب العلم بقوة فهمه كما يثقب النجم الظلام بقوة ضوئه (وهذا) اى ما ذكر (مما لا يحتاج الى تقريره)اى ذكره وتحريره (لتحقيقه) وفى نسخة لتحققه اى لظهور تحققه وثبوت امره عقلا ونقلا (وقد قال وهب بن منبه) بتشديد الموحدة المكسورة وهو تابعى جليل من المشهورين بمعرفة الكتب الماضية روى عن ابن عباس وغيره من الصحابة رضى الله تعالى عنهم وروى عنه ابن دينار وعوف الاعرابى وآخرون واتفقوا على توثيقه ويقال انه ما وضع جنبه على الارض ثلاثين سنة وكان يقول لان ارى فى بيتى شيطانا احب الى من ان ارى وسادة لانها تدعو الى النوم وله اخوة منهم همام بن منبه وعمر بن منبه وهم من ابناء الفرس الذين بعث بهم كسرى الى اليمن (قرأت فى احد وسبعين كتابا) اى من كتب الله المنزلة وفى معارف ابن قتيبة قرأت من كتب الله اثنين وسبعين كتابا (فوجدت فى جميعها ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ارجح الناس) اى الخلق (عقلا وافضلهم رأيا) اى تدبيرا ناشئا من العقل الكامل الذى ينظر فى بدء الامر ودبره واوله وآخره وقيل الرأى رأى القلب وهو ما رآه من حالة حسنة (وفى رواية اخرى فوجدت فى جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل فى جنب عقله صلى الله تعالى عليه وسلم الا كحبة) اى لم يعطهم جميعا منه شيئا نسبته الى عقله الا كنسبة حبة (رمل من بين رمال الدنيا) اى بالنسبة الى رمالها وهو من باب تشبيه المعقول بالمحسوس والظاهر انه كان افضلهم رأيا فى الامور الدينية وكذا فى الاعمال الدنيوية باعتبار الاكثرية او حالة جزمه بالقضية فلا ينافيه حديث البخارى انه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى اهل المدينة يأبرون النخل بكسر الباء وضمها فسألهم عنه فقالوا كنا نفعله فقال لعلكم لو لم تفعلوا لكان خيرا فتركوه فنقص ذلك العام فذكروا ذلك له فقال انما انا بشر مثلكم فاذا امرتكم بشئ من دينكم فخذوه واذا امرتكم بشئ من رأيى اى مع تردد فيه وعدم جزم بحسنه فانما انا بشر اخطئ واصيب اى فى غير ما اوحى اليه وحيا جليا او خفيا كما اشار اليه قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى الآية (وقال مجاهد) اى كما رواه عنه ابن المنذر والبيهقى مرسلا بلفظ (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قام فى الصلاة) وفى نسخة الى الصلاة والاظهر هو الاول قائما ، (يرى من خلفه كما يرى من بين يديه) من فيهما جارة ويجوز ان تكون موصولة وكذا ما ورد مثلها مما سيأتى (به) اى وبما ذكر من انه يرى من خلفه (فسر) اى مجاهد (قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين) بالنصب عطفا على الضمير المفعول فى قوله سبحانه وتعالى وتوكل على العزيز الرحيم الذى يراك حين تقوم والمعنى ويرى تردد بصرك فى من وراءك من المصلين لتصفح احوالهم من الكاملين والغافلين (وفى الموطأ) للامام مالك عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (عنه عليه الصلاة والسلام) وصدره اترون قبلتى هذه فوالله لا يخفى على ركوعكم ولا سجودكم (انى لاراكم من وراء ظهرى ونحوه) اى نحو حديث الموطأ بحسب المعنى (عن انس) رضى الله تعالى عنه (فى الصحيحين) وهو ما رواه عن انس مرفوعا اقيموا الركوع والسجود فوالله انى لاراكم من بعدى وربما قال من بعد ظهرى اذا ركعتم واذا سجدتم (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها مثله) اى مثل ما فى الصحيحين لفظا ومعنى (قالت) اى عائشة رضى الله تعالى عنها (زيادة) على ما سبق اى هذه المعجزة العظيمة والخصلة الكريمة زيادة فضيلة (زاده الله اياها فى حجته) اى لصحة نبوته (وفى بعض الروايات) اى لعبد الرزاق والحاكم (انى لانظر من ورائى كما انظر الى من بين يدى) فالموصولة متعينة فيهما وفى نسخة الى ما وفى رواية كما انظر من بين يدى فالاحتمالان فى من جاريان (وفى اخرى) اى وفى رواية اخرى لمسلم (انى لابصر من قفاى كما ابصر من بين يدى وحكى بقى بن مخلد) بفتح الموحدة وكسر القاف وتشديد التحتية ومخلد بفتح الميم

واللام بينهما خاء معجمة وهوابو عبد الرحمن القرطبي الحافظ صاحب المسند الكبير والتفسير الجليل الذى قال فيه ابن حزم ماصنف تفسير مثله اصلا سمع ابن ابى شيبة وغيره وكان مجتهدا ثبتا لايقلد احدا قال ابن حزم كان ذا خاصة من احمد بن حنبل وجاريا فى مضمار البخارى ومسلم والنسائى انتهى وكان مجاب الدعوة وقيل انه كان يختم القرآن كل ليلة فى ثلاث عشرة ركعة ويسرد الصوم وحضر سبعين غزوة (عن عائشة رضى الله عنها كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يرى فى الظلمة كما يرى فى الضوء) وفى رواية كما يرى فى النور قال البيهقى اسناده ضعيف كما رواه ايضا من حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان يرى بالليل فى الظلمة كما يرى بالنهار فى الضوء وقال ليس بقوى وقال ابن الجوزى لايصح ولاينافيه مافى روضة الهجرة للسهيلى من انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما تزوج ام سلمة دخل عليها فى ظلمة فاصابت رجله زينب فبكت ثم فى ليلة اخرى دخل فى ظلمة ايضا فقال انظروا زينبكم لا امشى عليها لاحتمال حمل ماسبق على حالة من احواله المسماة بالمعجزة والكرامة وهى لاتستدعى استيفاء الاوقات والمداومة فيحمل احداهما على الندرة او تخص تلك الحالة بوقت الصلاة هذا وقد ذكر النووى فى شرح مسلم قال العلماء معناه ان الله خلق له صلى الله تعالى عليه وسلم ادراكا فى قفاه يبصر به من ورائه وقد انخرقت العادة له صلى الله تعالى عليه وسلم باكثر من هذا وليس يمنع من هذا عقل ولا شرع بل ورد الشرع بظاهره فوجب القول به وذكر المصنف كما سيأتى انه قال احمد بن حنبل وجمهور العلماء هذه الرؤية رؤية العين حقيقة وذكر مختار بن محمود مصنف القنية الزاهدى من اصحابنا الحنفية وشارح القدورى فى رسالته الناصرية انه عليه الصلاة والسلام كان بين كتفيه عينان مثل سم الخياط وكان يبصر بهما ولايحجبهما الثياب (والاخبار كثيرة صحيحة فى رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم للملائكة والشياطين) اما الاول فكرواية البخارى وغيره انه رأى جبريل فى صورته له ستمائة جناح على كرسى بين السماء والارض قد سد الافق وقد رأى كثيرا منهم ليلة الاسراء وربما قيل انه امر فيهم ونهى واما الثانى فكحديث البخارى ان عفريتا تفلت على البارحة فى صلاة المغرب وبيده شعلة من نار ليحرق بها وجهى فامكننى الله منه فدفعته ثم اردت ان اربطه بسارية من سوارى المسجد فذكرت دعوة اخى سليمان وفى رواية لولا دعوة اخى سليمان لاصبح يلعب به ولدان المدينة (ورفع النجاشى) بفتح النون وتكسر وبتشديد الياء وتخفف وقيل هو اولى لقب من ملك الحبشة واسمه كما فى البخارى اصحمة وقيل صحمة اوصمحة كتب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اشهد انك رسول الله صادقا مصدقا قد بايعتك واسلمت لله رب العالمين ورفع بصيغة المجهول والنجاشى وما عطف عليه مرفوع على نيابة الفاعل كما صرح به الحلبى وابعد الدلجى وجعله مخفوضا حيث قال وجاءت ايضا يعنى الاحاديث فى رفع النجاشى (له حتى صلى عليه) اى يوم مات فى رجب سنة تسع من الهجرة وقد اخرج ابوداود من طريق يزيد بن مروان عن عائشة رضى الله تعالى عنها انه لما مات النجاشى كان يتحدث انه لايزال يرى على قبره نور واما حديث صلاته عليه فرواه الشيخان وغيرهما وبه استدل الشافعى على جواز الصلاة على الغائب واما حديث رفعه له فظاهره ان المرفوع هو على نعشه حتى قيل انه احضر بين يديه فلم تقع الصلاة الا على حاضر وقيل رفع له الحجاب وطويت له الارض حتى رآه قال الدلجى وجميع ماذكر وان كان ممكنا ووقوعه فدعوى بلا بينة اذ لم يشهد به كتاب ولا سنة ومن ثمة انكره ابن جرير لعدم وجوده فى خبر ورواية عالم فى اثر وانما الوارد فى رواية ابى على والبيهقى ان معاوية بن معاوية المزنى رفع له وهو صلى الله تعالى عليه وسلم بتبوك حتى صلى عليه انتهى ولايخفى ان ثبوت هذه القضية فى الجملة مع ذلك الاحتمال ينفى التعليق بفعله صلى الله تعالى عليه وسلم فى مقام الاستدلال كيف وقد جاء فى المروى مايومى اليه وهو مارواه ابن حبان فى صحيحه من حديث عمران بن حصين انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان اخاكم النجاشى توفى فقوموا وصلوا عليه فقام عليه الصلاة والسلام وصفوا خلفه فكبر اربعا وهم لايظنون ان جنازته بين يديه فهذا اللفظ يشير الى ان الواقع خلاف ظنهم لانه هو فائدته المعتد بها فاما ان يكون سمعه منه عليه الصلاة والسلام او كشف له وقد صرح القسطلانى فى شرح البخارى ناقلا عن اسباب النزول للواحدى عن ابن عباس قال كشف للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن سرير النجاشى حتى رآه وصلى عليه وقال التلمسانى ذكر ابن قتيبة فى آداب الكتاب والكلاعى فى النقاية انه توفى ورفع الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى صلى عليه حين منصرفه من غزوة تبوك هذا مع انه قد يقال ان ذلك خص به النجاشى فلا يلحق به غيره ودليل الخصوصية انه لم يصل على غائب الا عليه وعلى بعض آخر صرح فيه بانه رفع له كما رواه الطبرانى من حديث ابى امامة وابن سعد فى الطبقات عن انس ان معاوية ابن معاوية المزنى ويقال الليثى نزل جبريل عليه الصلاة والسلام بتبوك فقال يارسول الله ان معاوية بن معاوية المزنى مات بالمدينة اتحب ان اطوى لك الارض فتصلى عليه قال نعم فضرب بجناحه الارض فرفع له سريره فصلى عليه وخلفه صفان

من الملائكة في كل صف سبعون الف ملك ثم رجع فقال عليه الصلاة والسلام ياجبريل بم ادركت هذا قال بحبه سورة قل هو الله احد وقراءته اياها جائيا وذاهبا وقائما وقاعدا وعلى كل حال (وبيت المقدس) بفتح الميم وكسر الدال وجوز ضم ميمه وفتح داله المشددة وهو بالرفع اى ورفع له ايضا بيت المقدس كما في الصحيحين (حين وصفه لقريش) الظاهر حتى وصفه لقريش حين كذبوه في اخباره انه اسرى به اليه ثم الى ما شاء الله تعالى ثم رجع الى مكة في ليلة وارتد كثير ممن اسلم واخبروا ابابكر بذلك فقال لهم والله لقد صدق انه ليخبرني ان الخبر يأتيه من السماء في ساعة واحدة من ليل اونهار فصدقه وهو ابعد مما تعجبون منه ثم قال يانبي الله صفه لي فاني جئته فرفع له حتى انظر اليه فطفق يصفه له ويصدقه وفي مسلم لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراى فسألتني عن اشياء من بيت المقدس فكربت كربة ماكربت مثلها قط فرفعه الله لي فما سألوني عن شيء منه الا انبأتهم به (والكعبة) اى ورفع للكعبة له ايضا حتى رآها (حين) وفي نسخة حتى (بنى مسجده) اى بالمدينة ليجعل محرابه اليها على مارواه الزبير بن بكار في تاريخ المدينة عن ابن شهاب ونافع بن جبير بن مطعم مرسلا قال الدلجي وهو غريب والمعروف ان جبريل هو الذي اعلمه بها واراه سمتها لا انها رفعت له حتى رآها بشهادة ما في جامع العتبية من سماع مالك قال سمعت ان جبريل هو الذي اقام له قبلة مسجده انتهى ولايخفى انه يمكن الجمع بينهما بان اخبره جبريل ثم رفع له البيت الجليل اوبان يحمل كل قضية على مسجد من مسجد المدينة وقباء فان قيل لا خلاف في انه اول قدومه للمدينة كان يصلى الى بيت المقدس الى ان حولت بعد بنائه مسجده فكيف يجعل محرابه الى الكعبة فالجواب انه يمكن تقديم بناء المسجد وتأخير بناء المحراب الى الكعبة بعد التحويل مع انه قد يقال انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى بعض الصلاة اول البناء الى الكعبة ثم حول الى بيت المقدس ثم حول الى الكعبة ويؤيده خبر بعض نساء الانصار كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين بنى مسجده يؤمه جبريل الى الكعبة ويقيم له القبلة وهذا ايضا يؤيد الجمع الاول فتأمل (وقد حكى عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم قال التلمساني جاء ذلك في حديث ثابت من طريق العباس عمه عليه الصلاة والسلام ذكره ابن سبعة (انه كان يرى في الثريا احد عشر نجما) والثريا تصغير ثروى وهي المرأة الكثيرة المال من الثروة وهي الكثرة والنجم المعروف لكثرة كواكبه مع ضيق المحل وقال السهيلي الثريا اثنا عشر كوكبا وكان يراها كلها كما جاء ذلك في حديث ثابت من طريق العباس وقال القرطبي لاتزيد على تسعة فيما يذكرونه انتهى ولعله بالنسبة الى غيره صلى الله تعالى عليه وسلم وبالجملة فذلك لحدة بصره وقوة نظره ويقال لها النجم وهي انجم لانها لاتفترق فهي كالواحدة (وهذه) اى الاخبار المذكورة والآثار المسطورة (كلها محمولة على رؤية العين وهو) اى هذا القول اوهذا الحمل وابعد الدلجي في قوله ذكره نظرا الى ما بعده وهو (قول احمد بن حنبل وغيره) اى من المحققين وهم الجمهور كما سبق والامام احمد من مرو وسكن بغداد من صغره ومات بها رحمه الله تعالى وروى عنه الشيخان قال الانطاكي تبع الحلبي وروى عنه البغوي والظاهر انه وهم (وذهب بعضهم) اى كالنووي في شرح مسلم (الى ردها الى العلم) اى رؤية علم وكشف قال المجاني ومعنى ذلك ان الله سبحانه وتعالى خلق له علما يجميع مايفعل وراءه صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك خروج عن ظاهر الحديث وانما تميل اليه المعتزلة لانهم يشترطون في الادراك بنية مخصوصة تخلق له واغرب الدلجي في قوله اى يخلق الله تعالى له في قفاه قوة ادراكية يدرك بها من ورائه على طريق خرق العادة انتهى ولايخفى ان مآله الى ان الرؤية بصرية واغرب من ذلك انه لماذكر هذا قال واغرب مختار بن محمود الحنفي حيث قال وكان بين كتفيه عينان مثل سم الخياط لايحجب بصرهما الثياب والله اعلم بالصواب (والظواهر تخالفه) اى ظواهر هذه الاخبار تخالف ماذهب اليه البعض من العلماء الاخيار وابعد بعضهم على ماذكره المصنف في مشارق الانوار حيث قال اعاجيب بالتفاتة يسيرة الى من ورائه معللا بانه لوكان يرى من خلفه لما قال ايكم الذي ركع دون الصف فقال ابو بكرة انا يارسول الله فقال زادك الله حرصا ولاتعد والجواب ان في نفس الحديث مايدل على مدعانا اذ صرح بانه رأى رجلا ركع قبل دخوله في الصف وعدم علمه بخصوص فاعله اما لبعده عنه واما لكثرة الصفوف اولاستغراق ونحوه مما يمنع التوجه الى صوبه وتعمقه في قصده فرآه مجملا لامفصلا مع ان خوارق العادات لايلزم تحققها في جميع الاوقات وقال ابن عبد البر هذا قبل ان يخصه الله بهذه الفضيلة فقد كانت خصائصه تزايد في كل وقت وحين والله الرفيق والمعين (ولا احالة) بصدر احاله واستحال وهو الشيء الممتنع فالمعنى لا امتناع شرعا وعقلا وعادة (في ذلك) اى في كونه رؤية عين بطريق المعجزة (وهي من خواص الانبياء عليهم الصلاة والسلام وخصالهم) اى المختصة بهم (كما اخبرنا ابو محمد عبد الله بن احمد) اى التميمي السبتي (العدل من كتابه حدثنا ابو الحسن المقري) اى العالم بعلم القراءة وهو نزيل مكة (الفرغاني) نسبة الى فرغانة بالفتح بلد بالمغرب على ما في القاموس وآخر بالمشرق والظاهر انه المراد ههنا لقوله (حدثتنا ام القاسم بنت

(ابي بكر عن ابيها) وهو ابو بكر محمد بن اسحق الكلاباذي مؤلف كتاب الاخبار عن فرائد الاخبار بفوائد الاخبار وكان بعد الاربعين والثلثمائة (حدثنا الشريف ابو الحسن علي بن محمد الحسني) قال التلمساني هو الشريف ابو الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى الرضى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنهم قلت ولايصح هذا لان النسخ كلها متفقة على نسبة الحسني بفتحتين والله سبحانه وتعالى اعلم (حدثنا محمد بن محمد بن سعيد حدثنا محمد بن احمد بن سليمان حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق) هو البصري روى عن يزيد ابن هارون ومحمد بن عبدالله الانصاري (حدثنا همام) بفتح هاء فتشديد ميم وهو ابن يحيى بن دينار العودي قال الحلبي وغيره وصوابه هانئ بن يحيى وقال التلمساني هو همام بن الحارث النخعي الكوفي سمع حذيفة وعمارا وروى عنه ابراهيم النخعي انتهى والظاهر انه وهم منه كما لايخفى على من علم مرتبة الاسناد والله اعلم بالصواب والسداد في المراد (حدثنا الحسن) اى ابن ابي جعفر الجفري كما سيأتي قريبا وهو بضم الجيم وسكون الفاء نسبة الى مكان بالبصرة وهو احد الضعفاء (عن قتادة) تابعي جليل (عن يحيى بن وثاب) بتشديد المثلثة ثقة مقال خاشع مقرئ يروى عن ابن عباس وابن عمر وعلقمة وعنه الاعمش وغيره (عن ابي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لما تجلى الله تعالى) اى ظهر بلا كيف (لموسى عليه الصلاة والسلام) اى في ضمن تجليه للجبل كما يشير اليه قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلا يحتاج الى ما تكلف له الدلجي تبعا للمنجاني بقوله ولايعزب عنك ان المتجلى له كما ذكر في الآية انما هو الجبل فالتقدير لما تجلى الله للجبل لاجل سؤال موسى ان يراه وتعسفه ظاهر مع انه يفيد انه لم يقع تجل لموسى فلم يحصل ترتب بين لما وجوابها وهو قوله (كان يبصر) اى يرى كما في اصل التلمساني (النملة على الصفا) بالقصر اى الصخرة الملساء ولايبعد ان يكون بالمد لمشاكلة قوله (في الليلة الظلماء) اى شديدة الظلمة (مسيرة عشرة فراسخ) اى مقدارها تحديدا او تقريبا او تكثيرا والفرسخ فارسي معرب وهو ثلاثة اميال والميل منتهى البصر او اربعة آلاف خطوة والخطوة ثلاثة اقدام معتدلة بوضع قدم امام قدم يلصق به قال التلمساني يصح في شين عشرة الفتح والكسر والسكون وهو وهم منه لان الوجوه الثلاثة انما تجوز اذا ركبت العشرة مع غيرها من الاعداد المؤنثة المقدمة عليها كاحدى عشرة وامثالها واما عند الانفراد بها فلا يجوز الا الفتح فيها ثم اعلم ان هذا الحديث رواه الطبراني في الصغير بنحو هذا الاسناد وقال لم يروه عن قتادة الا الحسن تفرد به هانئ قال الحلبي اما هانئ بن يحيى السلمي فذكره ابن حبان في الثقاة وقال يخطئ واما الحسن بن ابي جعفر الجفري فضعيف (ولايبعد على هذا) اى على طبق هذا الحديث ووفقه من المعجزات المترتبة على التجلي الموجب لتجلية الغين وتحلية العين (ان يختص) بصيغة الفاعل او المفعول اى بصير مخصوصا (نبينا بما ذكرناه من هذا الباب) يعني زيادة قوة باصرة ذلك الجناب وادخل الدلجي في العبارة ماليس في الكتاب (بعد الاسراء) اى بعد اسرائه الى سدرة المنتهى (والحظوة) بضم الحاء وتكسر اى وبعد الحظ والحظاء (بما رأى من آيات ربه الكبرى) اى من عجائب الملكوت وغرائب الجبروت ورؤية الرب بنظر العين او بصر القلب على ما تقدم والله اعلم وهذا بالنظر الى القوة البصرية الحسية والمعنوية (وقد جاءت الاخبار) اى الدالة على قوته البدنية كخبر ابي داود والترمذي (بانه) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (صرع) اى رمى وضرب على الارض في حالة المصارعة (ركانة) بضم الراء وهو ابن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف (اشد اهل وقته) اى اقواهم في غلبة المصارعة وهو بالنصب بدل ويجوز رفعه (وكان) اى النبي عليه الصلاة والسلام (دعاه الى الاسلام) جملة حالية قال الترمذي اسناده ليس بالقائم وقال البيهقي مرسل جيد وروى باسناد موصولا الا انه ضعيف وفي سيرة ابن اسحق خلا ركانة مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في بعض شعاب مكة قبل ان يسلم فقال ياركانة الا تتقي الله وتقبل ما ادعوك اليه فقال لو اعلم ما تقول حقا لاتبعتك فقال ارأيت ان صرعتك تعلم ان ما اقول حق قال نعم فلما بطش به صلى الله تعالى عليه وسلم اضجعه لايملك من امره شيئا ثم قال عد يا محمد فصرعه ايضا فقال يا محمد ان ذا لعجب فقال صلى الله تعالى عليه وسلم واعجب من ذلك ان شئت ان اريكه ان اتقيت الله واتبعت امري قال ماهو قال ادعو لك هذه الشجرة فدعاها فاقبلت حتى وقفت بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لها ارجعي مكانك فرجع ركانة الى قومه فقال يابني عبد مناف ساحروا بصاحبكم اهل الارض فوالله مارأيت اسحر منه ثم اخبرهم بما رأى قال الحجازي واسلم قبل الفتح قيل وتوفي بالمدينة سنة اربعين في زمن معاوية وقيل انه من اجداد الشافعي قال المنجاني ولابنه يزيد ايضا اسلام وصحبة (وصارع) يعني ايضا (ابا ركانة في الجاهلية) صفة للجملة اوالامة او الفترة (وكان شديدا وعاوده ثلاث مرات كل ذلك) بالنصب على نزع الخافض ويجوز رفعه اى كل ماذكر من المرات (يصرعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) قال الدلجي هذا وخبر انه صارع ابا جهل

فصرعه فلم يجد الا لا صل لهما وفيه انه في مراسيل ابي داود وزيدين ركانة اوركانة بن يزيد على الشك لكن الظاهر ان الصحيح ركانة كما قاله الحلبي وغيره لا كما قاله النووي انه الصواب والله اعلم نعم مصارعة ابي جهل لا تصح اتفاقا هذا وقد ذكر السهيلي ان اباالاسد بن الجمحي واسمه كلدة بفتح اللام وكان بلغ من شدته فيما زعموا انه كان يقف على جلد البقرة ويجاذبه عشرة لينزعوه من تحت قدميه فيتخرق الجلد ولا يتزحزح عنه وقد دعا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الى المصارعة وقال ان صرعتني آمنت بك فصرعه صلى الله تعالى عليه وسلم مرارا ولم يؤمن به (وقال ابو هريرة رضي الله تعالى عنه) كما رواه الترمذي في شمائله والبيهقي في دلائله (ما رأيت احدا اسرع من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في مشيه) وفي نسخة مشيته بكسر الميم وزيادة التاء اي في هيئة مشيه وهي غير ملائمة لاسرع كما قاله الحجازي فتأمل في تحقيق المباني والمعاني (كانما الارض) بالرفع لزيادة ما الكافة المانعة ما قبلها عما بعدها من العمل (تطوى له) بصيغة المجهول اي تنزوي وتجمع وتقرب وتدنو وقيل تطوى كطي اللائة واما المشي في الهواء وعلى الماء كما وقع لبعض الاصفياء فانه يصدر باذن رب السماء ثم بين وجهه بقوله (انا) اي معشر الصحابة (لنجهد انفسنا) بفتح النون والهاء وفي نسخة بضم النون وكسر الهاء من جهد دابته واجهدها اذا حمل عليها في السير فوق طاقتها والمعنى لنتعب انفسنا بالجهد فوق طاقتها (وهو غير مكترث) بكسر الراء اي والحال انه صلى الله تعالى عليه وسلم غير مبال بمشينا ولامتأثر يمشي هونا ورفقا لقوله تعالى الذين يمشون على الارض هونا وقوله تعالى واقصد في مشيك ومع ذلك يسبق من شاء كرامة حصل بها اذ اعطي قوة زائدة على قوى سائر البشر لحديث كما تحدث انه اعطي قوة ثلاثين رجلا اي في المشي والبطش والجماع ونحوها وكان يطوف على نسائه في غسل واحد وكن تسعا (وفي صفته) اي نعته من جهة حسن شمائله (ان ضحكه كان تبسما) لما في البخاري عن عائشة رضي الله تعالى عنها ما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى ارى منه لهواته انما كان يتبسم ويشير اليه قوله تعالى فتبسم ضاحكا وفيه ايماء الى ان الاقتصاد في الضحك هو الذي ينبغي وان كان الضحك جائزا لما ورد في بعض الروايات انه ضحك حتى بدت نواجذه وعن عبد الرزاق انه سئل ابن عمر اكان اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يضحكون اي احيانا قال نعم وان ايمانهم لاعظم من الجبال نعم يكره الاكثار منه كما قال لقمان لابنه اياك وكثرة الضحك فانها تميت القلب وكما يشير اليه قوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا ولان كثرة الضحك تنبئ عن الغفلة والبكاء ينبئ عن الرحمة وروى عن الحسن انه كان لا يضحك وهذا الغالب عليه من الخوف والقبض بخلاف من غلب الرجاء والبسط فانه يضحك ولا يبكي والاعدل هو الاعتدال من هذه الخصال على وفق شمائله صلى الله تعالى عليه وسلم من تفصيل الاحوال (اذا التفت) كذا في بعض النسخ والظاهر كما في اصل الدلجي واذا التفت اي الى احد الجانبين (التفت معا) وفي رواية جميعا اي بجميع بدنه لا يؤخر عنيه كما هو دأب سارق النظر ويسمى نظر العداوة ومنه قوله تعالى يعلم خائنة الاعين فاندفع قول الدلجي اي بجميع بدنه وينبغي ان يخص هذا بالتفاته وراءه واما التفاته يمنة ويسرة فالظاهر انه بعنقه (واذا مشى) اي في سيره (مشى تقلعا) بضم اللام المشددة اي رفع رجليه رفعا بقوة لا اختيالا لشدة عزمه ولان تقريب الخطى من مشية النساء والاغنياء الاغبياء (يتحط من صبب) بفتح المهملة والموحدة الاولى كانما يتحدر من مرتفع قاله الدلجي تبعا للشمني وفي القاموس الصبب تحركة تصبب نهر اوطريق يكون في حدور وما انصب من الرمل وما انحدر من الارض وكل هذه المعاني تشير الى ان الصبب بمعنى المنخفض لا بمعنى المرتفع وقد صرح الحجازي وغيره بانه ما انحدر من الارض واغرب الحلبي حيث قال من موضع مرتفع منحدر فالاولى ان يقال من بمعنى في كما في قوله تعالى اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة ويؤيده انه جاء في رواية كانما يهوي في صبوب بفتح الصاد وضمها والمعنى كانما ينزل من علو الى سفل فانه حينئذ يكون المشي بقوة لكن لا بابطاء ولا بسرعة والمقصود من الحديث هذه الفقرة الدالة على كمال قوته البدنية في مسيرته الحسية واما مسيرته المعنوية فقد علم في القضية الاسرائية

(فصل واما فصاحة اللسان وبلاغة القول) اي في معرض البيان وخص الفصاحة باللسان لتعلقه بالمفرد والمركب المطابقين لمقتضى الحال وهما يوصفان بهما كالمتكلم والبلاغة بالقول اذ لا يكون الا كلاما ذا اسناد يبلغ به المتكلم ارادته ويوصف بها الكلام كالمتكلم دون الكلمة لانها لا يبلغ بها الغرض فراعى المصنف اصطلاح علماء المعاني والبيان في تقرير هذا الشان (فقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم من ذلك) اي مما ذكر من الفصاحة والبلاغة (بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل) بصيغة المجهول اي الظاهر بالوجه الاكمل (سلاسة طبع) بفتح السين ونصبت بنزع الخافض اي بسهولة جبلة وانقياد طبيعة وفي نسخة مع سلامة طبع (وبراعة منزع) بفتح الميم والزاي اي مأخذ ومطلع والبراعة بفتح الموحدة مصدر برع الرجل فاق اقرانه ووصفها

بصفة صاحبها مبالغة اى منزعا بارعا وحاصله جودة لسان ولطافة بيان واما قول التلمسانى انه بكسر الميم وهو السهم الذى نزع به واستعاره القاضى للسان مجازا اذ هو آلة الكلام ففى غاية من البعد مع مخالفته للاصول المعتمدة (وايجاز مقطع) اى ومقطعا موجزا من اوجز اتى بكلام قل مبانيه وكثر معانيه والمقطع بفتح الميم والطاء منتهى المرام كما ان المنزع مبدأ الكلام فالمعنى ان كلامه حسن الابتداء ومستحسن الانتهاء وهو المطلع والمقطع باسلوب الشعراء من الفصحاء والبلغاء واما ماذكره التلمسانى من انه بكسر الميم وهو فى الاصل شفرة حادة يقطع بها الشئ استعاره للقول مجازا اذ هى آلة فهو مع مخالفته للنسخ المصححة فى غاية من التكلف ونهاية من التعسف (ونصاعة لفظ) بفتح النون اى و لفظا ناصعا اى خالصا من شوائب تنافر الحروف وغرابة الالفاظ وارتكاب الشذوذ (وجزالة قول) اى وقولا جزلا لاركاكة فيه ولاضعف تأليف وتركيب ينافيه بل نسجت حبره الحبرية على منوال تراكيب العربية (وصحة معان) اى ومعان صحيحة يستفادمنها مقاصد صريحة قال التلمسانى و معان جمع معنى بالياء وبدونها و لا خفاء لما فيه من ايهام انهما لغتان وليس كذلك بل اختلا فهما بحسب تفاوت اعرابهما (وقلة تكلف) اى قلة طلب كلفة فى التأدية بعد تأمل وتفكر وتروية وكان الاولى ان يقال وعدم تكلف لقوله سبحانه و تعالى حكاية عنه وما انا من المتكلفين ولعله اراد بالقلة العدم والله اعلم ومنه قول ابى او فى كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقل اللغو اى لايلغو رأسا ومنه ايضا قوله تعالى فقليلا مايؤمنون اى لايؤمنون اصلا (اوتى جوامع الكلم) جملة مستأنفة مبينة ومؤكدة لما قبلها اى اعطى الكلمات الجامعة للمعانى الكثيرة فى المبانى اليسيرة و قد جمعت اربعين حديثا يشتمل كل حديث على كلمتين وهو اقل مايتركب منه الكلام الاسنادى كقوله الايمان يمان والعدة دين والسماح رباح وامثالها مما ادرجته فى شرح الشمائل للترمذى والكلم بفتح كاف وكسر لام اسم جمع للكلمة ومنه قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب وقيل جمع لها وهو ضعيف (وخص ببدائع الحكم) بكسر ففتح جمع حكمة اى الحكمة البديعة المتضمنة للمعانى المنيعة (وعلم السنة العرب) اى وخص بمعرفة لغات طوائف العرب من قومه وغيرهم لانه بعث الى جميعهم فعلمه الله الالسنة ليخاطب كل قوم بما يفهمون لقوله تعالى و ما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه وفى نسخة وعلم بصيغة الماضى المعلوم وفى اخرى بصيغة المجهول من التعليم عطفا على اوتى وقيل كان يعلم جميع الالسنة الا انه لم يكن مأمورا باظهارها اواراد ان يكون التكلم بالعربية هو السنة لانه افضل انواع اللغة لان كلام الله عربى ولسان اهل الجنة فى الجنة عربى واصل النبى عربى قيل ومن اسلم فهو عربى و لانه ايسر اللغات واضبط للكليات كما يشير اليه قوله سبحانه وتعالى فانما يسرناه بلسانك (يخاطب) وفى نسخة فكان يخاطب (كل امة) اى طائفة (منها) اى من طوائف العرب (بلسانها ويحاورها) بالحاء المهملة اى ويجاوبها (بلغاتها) وفى نسخة بلغتها (ويباريها) بالراء والياء اى يعارضها وروى بدله وبيانها (فى منزع بلاغتها) اى مأخذها ومرجع لغتها (حتى) هى مستأنفة ههنا على ماذكره الدلجى والاظهر انها للغاية اى الى حد (كان كثير من اصحابه) اى من اتباعه واحبابه (يسألونه فى غير موطن) اى فى مواطن كثيرة (عن شرح كلامه) اى بيان مرامه (وتفسير قوله) عطف تفسير والاول مختص بالجمل والمركبات والثانى بالمفردات اوالاعم والله اعلم و قد صرح التلمسانى بان الصحابة كانوا يسألون عن كثير من مفردات اللغة نحو حتى تزهى وزهو وحتى تشقح وسؤالهم عن لفظ الطاعون ونحو ذلك انتهى ثم هذا الذى ذكرناه امر طاهر وشان باهر (من تأمل حديثه وسيره) اى احاديثه فى كتب المحدثين والائمة المجتهدين واقواله فى كتب ارباب السير والمؤرخين وفى نسخة وسيره بالوحدة على انه فعل ماض اى نظر فى صناعة اساليبه وصياغة تراكيبه (علم ذلك) اى تفصيله (وتحققه) اى وثبت عنده وزال الريب عنه (وليس كلامه) اى لم يكن تكلمه (مع قريش) اى من اهل مكة (والانصار) اى من اهل المدينة (واهل الحجاز ونجد) اى وحواليهما (ككلامه مع ذى المشعار) بكسر ميم وسكون معجمة فمهملة اومعجمة بعدها الف وراء وهو ابوثور مالك بن نمط (الهمدانى) بميم ساكنة فمهملة نسبة الى همدان قبيلة من اليمن قدم عليه عليه الصلاة والسلام مرجعه من تبوك مع كثير من قومه مسلمين فقال هذا و فد همدان ماسرعها الى النصر واصبرها على الجهد واما همذان بفتح الميم مع الذال المعجمة اوالمهملة فبلد بعراق العجم قيل هاجر ذوالمشعار فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه الى الشام ومعه اربعة آلاف عبد فاعتقهم كلهم وانتسبوا الى همدان (وطهفة) بكسر المهملة وسكون هاء ففاء (النهدى) بفتح فسكون قبيلة باليمن قدم عليه بعد فتح مكة كما قال ابن سعد وغيره (و قطن بن حارثة) بقاف و مهملة مفتوحتين وحارثة بالمثلثة (العليمى) بالتصغير نسبة الى بنى عليم قدم عليه فسأله الدعاء له ولقومه فى غيث السماء فى حديث فصيح كثير الغريب على مارواه ابن شهاب عن عروة (والاشعث بن قيس) قدم عليه مع كثير من قومه وعليهم الحبرات قد كففوها بالحرير فقال لهم

الم تسلوا فاوالى قال ذ هذا الحرير فى ان اقكم فى مواله ثم ارتد بعد وفاته عليه الصلاة والسلام ثم رجع الى الاسلام وجئ به الى ابى بكر رضى الله تعالى عنه اسيرا فمدد عليه فعلاته فلم ينكرها ثم قال يا ابا بكر استبقنى لحربك و زوجنى اختك فزوجه ثم خرج ودخل سوق الابل فلم يبق ذات اربع توكل الاعقرها ثم قال يا قوم انحروا وكلوا هذه وليمتى ولو كنت فى بلدى لاولمت كما يولم مثلى اغدوا على فخذوا الثمان ما عقرت لكم ثم خرج مع سعد الى العراق وشهد مشاهد كثيرة فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه وسكن الكوفة الى ان توفى بها بعد على بار بعين يوما وصلى عليه الحسن بن على رضى الله تعالى عنهم اجمعين (ووائل بن حجر) بضم حاء وسكون جيم فراء واما وائل فبهمز كقائل وقول الحلبى بالمثناة تحت قبل اللام فى غير محله لانه بناه على ما قبل اعلاله (الكندى) بكسر الكاف قال الدلجى تبعا للتلمسانى كذا ههنا ولعله تأخير من تقديم اذ هى نسبة الاشعث ونسبة وائل هى الحضرمى قلت لا يبعد ان يكون كذبا حضرميا ثم رأيت الحلبى صرح بان وائل بن حجر كان من ملوك حمير الكندى الصحابى شهد مع على فى صفين وكان مدرابة حضرموت بشر صلى الله تعالى عليه وسلم به قبل قدومه عليه ثم قدم فاسلم فرحب به وادناه من نفسه وقرب مجلسه و بسط له رداءه واجلسه عليه ودعا له بالبركة ولولده و لولد ولده و ولاه على اقيال حضرموت وارسل معه معاوية بن ابى سفيان فخرج معه معاوية راجلا و وائل على ناقته راكب فشكا اليه معاوية حر الرمضاء فقال انتعل ظل الناقة فقال معاوية وما يغنى ذلك عنى لو جعلتنى ردفا فقال له وائل اسكت فلست من ارداف الملوك ثم عاش وائل بن حجر حتى ولى معاوية فدخل عليه فعرفه معاوية واذكره بذلك ورحب به واجازه لوفوده عليه فابى من قبول جائزته وقال يأخذه من هو اولى به منى فا نا عنه فى غنى (وغيرهم) اى ومع غير المذكورين ايضا (من اقيال حضرموت) بفتح همزة وسكون قاف فتحتيه جمع قيل بفتح فسكون واصله قيل بالتشديد اى الملك قوله ويدل عليه انه يجمع على اقوال بالواو ايضا وقال السهيلى القيالة الامارة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام فى تسبيحه الذى رواه الترمذى سبحان من لبس العز وقال به اى ملك به وقهر على ما فسره الهروى وهم باللغة حمير صغار الملوك دون الملك الاعظم من ملوك اليمن وحضرموت بسكون الضاد وفتح الراء وبضم الميم بلد وقبيلة ويقال هذا حضرموت غير مصروف للتركيب والعلمية ويضاف فيقال حضر موت بضم الراء على اعراب الاول بحسب عامله واعراب الثانى باعراب ما لا ينصرف وان شئت نونت الثانى (وملوك اليمن) تعميم بعد تخصيص (وانظر كتابه) اى مكتوبه الذى بعث به الى المشعار بعد قدومه عليه عليه الصلاة والسلام على ما ذكره ابو عبيدة وغيره (الى همدان) اوله بسم الله الرحمن الرحيم كتاب من محمد رسول الله لاهل مخلاف خارق ويام واهل خباب الضب وحقاف الرمل من همدان مع وافدها ذى المشعار مالك بن نمط ومن اسلم من قومه على ان لهم الى آخره (ان لكم) بكسر الهمزة وفتحها وفى اصل الدلجى ان لهم وهو الملائم لما يأتى من قوله ولهم (فراعها) بكسر الفاء اى ما ارتفع من الارض (ووهاطها) بكسر الواو جمع وهط بالطاء المهملة وهى المواضع المطمئنة منها (وعزازها) بفتح مهملة فرايين ما اشتد وصلب منها وما يكون الا فى اطرافها ومنه قول ابن مسعود للزهرى بعد خدمته وملازمته مدة مديدة زاعما انه بلغ الغاية ووصل النهاية انك فى العزاز اى فى الاطراف من العلم لم تتوسط بعد وفى الحديث نهى عن البول فى العزاز اى حذرا عن الرشاش (تأكلون) بالخطاب او الغيبة (علافها) بكسر العين جمع علف وهو ما يعتلف به وما تأكله الماشية (وترعون عفاءها) بفتح مهملة وتخفيف فاء ممدودا وروى بكسر العين وهو ما ليس لاحد فيه ملك ولا اثر من عفا الشئ اى خلص وصفا وفى الحديث اقطعهم من ارض المدينة ما كان عفاء وهو احد ما فسر به قوله تعالى خذ العفو (لنا من دفئهم) بكسر مهملة وسكون فاء فهمز ومنه قوله تعالى لكم فيها دفء اى ما تستدفئ به من اصوافها واوبارها واما فى الحديث فهو كناية عن الانعام وفى المجمل الدفء نتاج الابل والبانها والانتفاع بها وقيل هى الغنم ذات الدفء وهو الصوف والاظهر ان يراد به الانعام وسميت دفئا لانها يتخذ من اوبارها واصوافها واشعارها ما يستدفأ به من الاكسية وغيرها قال الدلجى فصله عما قبله ملتفتا من الغيبة الى التكلم لشبه انقطاع بينهما اذ ذاك مما خصهم به من اراضيهم وما يخرج منها وهذا مما خص به نفسه ومن معه من مواشيهم اى من ابلهم وغنمهم ضأنا ومعزا وما يتمتع به منها سميت دفئا لانه يتخذ منها ما يستدفأ به انتهى ولا يخفى انه ليس ههنا التفات من الغيبة الى التكلم بل من الخطاب فى قوله لكم بناء على الاصول المصححة الى الغيبة فى قوله لنا من دفئهم (وصرامهم) بكسر اوله وفتح جمع صرمة اى من نخيلهم او من ثمراتهم لانها تصرم وتقطع (ما سلموا) بتشديد اللام المفتوحة اى استسلموا لنا واطاعونا (بالميثاق) اى العهد والحلف المؤكد قيل ولعله اراد الاسلام اى لا تقبل صدقة الا من مسلم وقيل اراد بالميثاق انه لا يفرق بين مجتمع ولا يجمع بين متفرق

ولايفر زكاته ولايخفى بعض ماله (والامانة) اى من دون الخيانة من المالك اوالعامل وقيل المراد بالامانة الطاعة وقيل هى الامان ويؤيده ماسيأتى من قوله عليه الصلاة والسلام لنهد من اقرله الوفاء بالعهد والذمة (ولهم من الصدقة) اى من الاموال التى تجب عليهم فيها الصدقة والزكاة (الثلب) بكسر المثلثة وسكون اللام فموحدة اى الهرم من ذكور الابل الذى سقطت اسنانه قيل وتناثر هلب ذنبه (والناب) اى ولهم الهرمة من اناثها التى طال نابها وهى من امارات هرمها (والفصيل) وهوما فصل عن امه وفطم عنها من اولاد الابل وقد يطلق على اولاد البقر والمراد صغارها (والفارض) اى المسن من الابل وقيل من البقر ايضا بدليل قوله تعالى لافارض ولابكر ويروى العارض بالعين المهملة وهى المريضة والمعيوبة (الداجن) وفى اصل الدلجى بالعطف وهو الظاهر وهو بكسر الجيم ما يألف البيوت ولايرسل الى المرعى واغرب الانطاكى فى جعله وصفا للفارض اوالعارض على اختلاف الروايتين فى الداجن اعتبارا للعادة لان المنقطع عن السوم يعلف فى الاهل غالبا (والكبش الحورى) بفتحتين وهو كبش يتخذ من جلده نطع فان جلده احمر وروى الحوارى اى الابيض والمعنى لايؤخذ منهم فى هذه الاشياء التى خصوابها وقيل المعنى لاتؤخذ هذه الاشياء منهم اما لنفاستها كالحورى واما لخساستها كغيره وانما يؤخذ الوسط العدل (وعليهم فيها) اى فى الصدقة (الصالغ) بكسر لام فمعجمة مادخل فى السنة السادسة من البقر والغنم والسين لغة فيه وفى النهاية لابن الاثير وعليهم الضالع بالضاد المعجمة والعين المهملة فليس بتصحيف كما زعمه الحجازى (والقارح) بالحاء المهملة بعد الراء المكسورة مادخل من الخيل فى خامس سنة (وقوله) اى وانظر قوله (لنهد) بفتح فسكون اى لاجل قبيلة من اليمن وهو يحتمل ان يكون مشافهة ومكاتبة فيقال وانظر قوله فى كتابه لنهد لاكما قال الدلجى وانظر كتابه صلى الله تعالى عليه وسلم فيما رواه ابونعيم فى معرفة الصحابة والديلمى فى مسند الفردوس (اللهم بارك لهم فى محضها) اى لبنها الذى لم يخالطه ماء ذكره الحجازى والظاهر ان المراد به مالم يخرج منه زبده حلوا كان اوحامضا وهو بميم مفتوحة فحاء مهملة ساكنة وضاد معجمة ومنه الحديث وذلك محض الايمان (ومخضها) بالخاء المعجمة اى ماتمخض من لبنها واخذ زبده مصدر بمعنى المفعول والمخض تحريك سقاء اللبن لاستخراج زبده وفيه صنعة التجنيس والتصحيف (ومذقها) اى ماخلط من لبنها بالماء من المذق بالذال المعجمة والقاف بمعنى المزج والخلط وقيل اللبن الرقيق وهوالتحقيق وبالله التوفيق (وابعث راعيها) اى مالكها ومربيها وقد يكون مالكها وهى بمنزلة رعيته كما ورد كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته (فى الدثر) بفتح مهملة فسكون مثلثة اى المال الكثير وقيل المراد به هنا الخصب والنبات (وافجر) بضم الجيم ومنه قوله تعالى حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا قرئ بالتشديد والتخفيف فى السبعة (له الثمد) بفتح مثلثة وميم فدال مهملة وقد تسكن ميمه اى الماء القليل الذى لامادة له والمعنى اجره لهم حتى يصير كثيرا (وبارك لهم فى المال) اى الحلال والا فبعض المال وبال فى المآل ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح (والولد) اى الصالح والا فبعض الولد كدو كبدوفى بعض النسخ وبارك له بصيغة الافراد والمتبادر منه انه راجع الى الراعى والاظهر انه خطاب عام لهم على الانفراد الذى هو اتم من الاجتماع فالمعنى بارك لكل منهم فى ماله وولده (من اقام الصلاة) اى واظب عليها وقام بشرائطها واركانها (كان مسلما) اى منقادا واسلم نفسه من التعرض اليها بقتلها واسرها وقد قيل فى الصلاة جميع العبادات من قيام وقراءة وركوع وسجود ودعاء وثناء وصبر وهو حبس النفس والحواس والخواطر وزكاة وهو بذل المال فى الماء واللباس وصيام وهوالامساك عن الاكل والشرب واعتكاف وهولزوم المكان الواحد لادائها وحج وهو التوجه للكعبة وجهاد وهومجاهدة النفس ومحاربة الشيطان وشهادة وهى ذكر الله ورسوله (ومن اتى الزكاة) اى اعطاها مستحقيها (كان محسنا) اى فى اسلامه او بذله الى اخوانه (ومن شهد) اى بقلبه واقر بلسانه (ان) اى انه (لااله الاالله) اى وان محمدا رسول الله (كان مخلصا) اى فى ايمانه واقتصر على احدركنيه لانهم كانوا عبدة اصنام فقصد به نفى الهية ماسوى الله مع اشتهاره عندهم بانه رسول الله وايثاره منهم الايمان به بدليل قدوم كبرائهم عليه مؤمنين فهو من باب الاكتفاء اولان هذه الكلمة علم لمجموع الشهادتين باطلاق البعض وارادة الكل واذا ورد من قال لااله الا الله دخل الجنة ومن كان آخر كلامه لااله الا الله دخل الجنة واذا عرفت ذلك فقوله مسلما يراد به المعنى اللغوى فلا يحتاج الى قول الدلجى كان مسلما ومؤمنا ايضا اذ مآلهما واحد شرعا وان اختلفا مفهوما فان الاسلام هو الانقياد الظاهرى والايمان هو الاذعان الباطنى ولايستغنى احدهما عن الآخر لكن تخصيصه باقامة الصلاة يوهم انها وامثالها جزء الايمان على ماذهب اليه المعتزلة فالاولى ان يقال المعنى كان مسلما كاملا وان الواو فى الجمل الشرطية لمجرد الجمعية (لكم يابنى نهد ودائع الشرك) جمع وديع من قولهم اعطيته وديعا اى عهدا وميثاقا

اى اقررتكم على العهود والمواثيق التى كنتم تعاهدونها مصالحة ومهادنة قبل الاسلام والاظهر انها جمع وديعة والمراد بها ما استودعوه من اموال الكفار الذين لم يسلموا فاحلها لهم لانه مال كافر قدر عليه بلا عهد وشرط و يؤيده رواية ما لم يكن عهد ولا وعد (ووضائع الملك) بكسر الميم جمع وضيعة وهى الوظيفة التى تلزم المسلمين فى املاكهم من صدقة وزكاة والمعنى ولكم الوظائف التى تلزمكم لانتجاوزها منكم ولا نزيدها عليكم فصح قوله لكم دون عليكم او بضم الميم اى ولكم ما وظفه ملوككم فى الجاهلية عليكم وما استأثروا به دونكم من مغنم وغيره والمعنى لا نأخذها منكم ثم قول الحلبى بعد الالف مثناة تحت ليس على ظاهره بل باعتبار اصله والا فهو مقلوب بالهمز كنظائره من الودائع والصحائف (لا تلطط) كلام مستأنف وهو بضم مثناة فوق فسكون لام فمهملتين نهى لم يرد به واحدا معينا كما رواه البيهقى بل لكل من يأتى منه توجيه الخطاب وتوجه الكتاب (فى الزكاة) اى لا تمنعها من لط الغريم والط اذا منع الحق او نهى اراد به جنس المخاطب كما رواه غيره بصيغة الجمع وكذا قوله (ولا تلحد) وما بعده وهو من الالحاد اى لا تعدل عن الحق ولا تمل الى الفساد وظلم العباد فى البلاد (فى الحياة) اى فى مدة حياتك فى الدنيا وقيل الفعلان بصيغة النفى مجهولان وروى الزمخشرى بالنون فيهما واغرب التلمسانى فى قوله اى لا تمسك الزكاة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام الظوا بيا ذا الجلال والاكرام اى الزموا هذا القول وتمسكوا به انتهى وهو وهم فان الظوا فى الحديث بالظاء المعجمة (ولا تثاقل) اى تتكاسل (عن الصلاة) وفى نسخة بصيغة الجمع وفى اخرى بصيغة المجهول والمعنى ادهبا بقيام بشرائطها واركانها (وكتب لهم) قال الحجازى و روى لكم وروى عليكم (فى الوظيفة الفريضة) بالنصب اى الهرمة المسنة وهى الفارض ايضا والمعنى هى لكم لا نأخذها منكم فى الزكاة كذا قاله الدلجى وغيره وتبعهم الانطاكى الا انه قال الفريضة بالرفع على الحكاية ولا يخفى ان هذا الحكم قد استفيد مما سبق مع انه كان الملائم لسياق الكلام من سباقه ولحاقه ان يقال وكتب لكم فى الوظيفة الفريضة بالرفع على ان الجملة المصدرة بقوله لكم هى المكتوب اهم وفى حاشية الحجازى ان الوظيفة هى ما يقدر كل يوم من رزق او عمل ولا يخفى عدم مناسبته لمجرى الكلام ومقام المرام وقال التلمسانى الفريضة بالرفع على الحكاية انتهى وفى رواية عليكم فى الوظيفة الفريضة اى عليكم فى كل نصاب ما فرض فيه وفى نسخة وكتب لهم فى الوظيفة الفريضة بالجر فالمكتوب لهم قوله (ولكم الفارض) بالفاء فى اكثر النسخ المعتمدة وقد سبق انه المسنة من الابل او البقر وروى بالعين المهملة وهو الاظهر لئلا يتكرر ما صدر اى ولكم المريضة التى عرض لها آفة من قولهم بنو فلان اكالون للعوارض تعييرا لهم اى لا يأكلون الا ما عرض له مرض حذر موته والمعنى لا تؤخذ منكم فى الزكاة فهى لكم (والفريش) بفاء مفتوحة ثم شين معجمة اى الحديثة العهد بالنتاج كالنفساء من النساء وفى الصحاح هى كل ذات حافر بعد نتاجها اسبوعا اليم وقيل ما لا يطيق من الابل حمل الاثقال و يؤيده قوله تعالى ومن الانعام حمولة وفرشا وقد جاء فرش وفريش بمعنى واحد وقيل ما انبسط على الارض من نبات لا ساق له (وذو العنان) بكسر العين المهملة سير اللجام اى والفرس (الركوب) بفتح الراء ورفع الباء وهو الصواب اى الذلول الذى يلجم ويركب بلا كلفة ومشقة لتكرر ركوبه لان فعول من اوزان المبالغة (والفلو) بفتح فاء وضم لام وتشديد واو كعدو وبضم اوله مع التشديد كسمو وقد تكسر فاؤه مع سكون لامه وتخفيف واوه كجرو وهو ولد الفرس المسمى بالمهر بالضم اذا كان صغيرا بلغ السنة او فطم عن الرضاعة لانه يفلى عن امه اى يعزل عنها قال التلمسانى وروى الفلو بدون الواو العاطفة انتهى وهو لا يصح (الضبيس) بفتح معجمة وكسر موحدة فتحتية فمهملة اى الصعب العسر الاخلاق الذى لم يرض وقيد الصفة للغلبة لا للاحتراز اذ غالب احوال الخيل الصعوبة واما تخصيص الفلو فللدلالة على ان الخيل فيها الزكاة كما هو مذهب ائمتنا الحنفية والمعنى لا يؤخذ منكم شئ فى المذكورات واما ما روى من ان الله قد عفا لكم عن صدقة الخيل والرقيق فمحمول على الخيل التى تركب كما ان الرقيق يراد به ما يخدم فالخيل السائمة والرقيق للتجارة فيهما الزكاة (لا يمنع سرحكم) بصيغة المفعول نفى بمعنى النهى وفصل عما قبله لعدم مناسبة بينهما و يقال سرحت الماشية تخففا وسرحت هى متعد ولازم واذا رجعت يقال راحت تروح وارحتها انا ومنه قوله تعالى ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون اى حين تردونها من مراعيها الى منازلكم وحين تخرجونها اليه ولعل تقديم الاراحة لما فيها من زيادة افادة الراحة والمعنى لا تمنع ماشيتكم السارحة من مرعى مباح زيادة (ولا يعضد) بصيغة المفعول اى لا يقطع (طلحكم) وهو شجر عظام من شجر العضاة له شوك كالسدر وهو شجر حسن اللون لخضرته اى نضرته او لطيب الرائحة ولكون العرب يستحسنون لخضرته وحسن لونه وعطره نهى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن قطع ما الفوه جبرا لخواطرهم ووعدا لهم بنفاء ما يحبون وهو المراد بقوله تعالى وطلح منضود وهو فى الآية الموز وقيل الطلع وقرئ بالعين (ولا يحبس دركم) بمهملة

مفتوحة فراء مشددة اى لاتمنع ماشيتكم التى هى ذات الدراى اللبن عن الخروج الى المرعى لتجتمع بموضع يعدها فيه المصدق لمافيه من الاضرار بها لعدم رعيها وفى رواية لايحشر دركم اى لاتجبر الى المصدق ليعدها بل انما يعدها عند اصحابها واغرب اليمنى فى تفسيره الدر هنا بمعنى المطر واعل وجهه انه جعل قوله ولايحبس خبرا معا بقوله مالم تضمروا واماعلى ماذهب اليه الجمهور فعلق مادام مقدرثم المعنى لكم ما قرروعليكم ما حرر (مالم تضمروا الرماق) من الاضمار ضد الاظهار والرماق بالكسر بمعنى النفاق يقال رامقه رماقا نظرت اليه نظرا لعداوة والمعنى مالم تضق قلوبكم عن الحق يقال عيشه رماق اى ضيق قاله ابن الاثير ويروى الاماق بفتح الهمزة وكسرها واصله الاماق فخفف همزه قال فى المجمل يقال اماق الرجل اذا دخل فى المأقة وهى الانفة وفى الحديث مالم تضمروا الاماق اى مالم تضمروا الانفة انتهى والانفة التعاظم وقيل هوالغدر وقيل الرمق القطيع من الغنم فارسى معرب فالمعنى لاتخفوا القطيع من الغنم والله اعلم (وتأكلوا الرباق) بالكسر جمع ربقة بكسر فسكون وهى فى الاصل عروة تجعل فى حبل يربط بها ماخيف ضياعه من البهم فشبه مايلزم الاعناق من العهد بالرباق واستعار الاكل لنقض العهد فان البهيمة اذا اكلت الربقة خلصت من الرباط والمعنى مالم تنقضوا عهود الاسلام التى لزمها اعناقكم ومالم تخلعوها ومنه حديث حذيفة من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه قال التلمسانى والربقة بكسر وبفتح وفى بعض النسخ الرفاق بالفاء بدل من الباء جمع رفقة اى بحيث لاتقطعون الطرق وتظهرون الحرب اذ كل ذلك يقتضى نقض العهد ونكث البيعة وقد يقع تصحيف فى مثل هذا والله اعلم (من اقر) استيناف آخر اى من ثبت واستقر واعترف مذعنا منقادا بالملة (فله الوفاء بالعهد) اى بماعوهد عليه (والذمة) اى وبالامان اوالضمان الحاصل لديه (ومن ابى) اى امتنع عن مقتضيات الملة اوتقاعد وتقاصر عن اداء الزكاة والصدقة (فعليه الربوة) بكسر الراء ويجوز ضمه وفتحه اى الزيادة فى الفريضة الواجبة عليه عقوبة له وفى رواية من اقر بالجزية فعليه الربوة اى من امتنع من الاسلام هربا من الزكاة كان عليه من الجزية اكثر مما يجب عليه من الزكاة واعلم انه روى بهز بن حكيم عن ابيه عن جده عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان يقول فى كل اربعين بنت لبون من اعطاها مؤتجرا فله اجرها ومن ابى فانا آخذها وشطر ماله عزمة ربنا رواه ابوداود وقال احمد هو عندى صالح فقيل يأخذ الامام معها شطر ماله وهو اختيار ابى بكر من الحنابلة وقول قديم للشافعى وعند الجمهور يأخذها من غير زيادة بدليل ان العرب منعت الزكاة ولم ينقل انه اخذ منهم زيادة عليها وقال الحربى غلط بهز فى هذه الرواية وانما قال وشطر ماله يعنى يجعل شطرين فيتخير عليه المصدق فيأخذ الصدقة من خيار الشطرين عقوبة لمنعه الزكاة واما مالايلزم فلا (ومن كتابه لوائل بن حجر) اى على مارواه الطبرانى فى الصغير والخطابى فى الغريب والمعنى من مكتوبه لاجل وائل بن حجر وهو بضم الحاء كما سبق (الى الاقيال) اى الملوك الصغار لحمير وقيل الذين يخلفون الملوك اذا غابوا جمع قيل مخففا وقيل مشددا وقد تقدم (العباهلة) بفتح عين مهملة فوحدة اى ملوك اليمن الذين اقروا على ملكهم فلم يزالوا عنه والتاء فيه لتأكيد الجمع كما فى الملائكة (والارواع) جمع رائع كالانصار والاشهاد جمع ناصر وشاهد اوجمع اروع اى الحسان الوجوه والهيئات اوالذين يروعون الناس اى يفزعونهم بجمالهم وحسن حالهم وقيل السادة واحدهم اروع (المشابيب) جمع مشبوب اى الرؤس السادة الحسان المناظر الزهر الالوان كانما وجوههم تتلألأ نورا وتلمع سرورا وقيل الرجال الذين الوانهم بيض وشعورهم سود وقيل الاذكياء واما قول الحجانى والمثيب دخول الرجل فى حد الشباب من الرجال فوهم منه فى الخيال لاختلاف المادة فى ميزان الافعال فالصواب ماقاله غيره من انه من شب من الشباب وشب النار اوقدها (وفيه) اى وفى كتابه لوائل (فى التيعة) بكسر فوقية وسكون تحتية فمهملة اى فى الاربعين من الغنم (شاة لامقورة الالياط) بفتح الواو والراء المشددة من الاقورار بمعنى الاسترخاء فى الجلد والالياط بفتح الهمزة جمع ليط بالكسر وهو فى الاصل القشر اللازق بعوده اى اللازق به شبه به الجلد لالتزاقه باللحم من الهزال والمعنى لامسترخية الجلد لهزالها وقيل لامقطوعة الجلد (ولاضناك) بكسر المعجمة ثم كاف منونة وقال التلمسانى بفتح الضاد وكسرها والنون الخفيفة وجوز الحجانى ضمها يستوى فيه المذكر والمؤنث والتثنية والجمع اى ولامكتنزة اللحم ومملئة الشحم لكرمها يريد ان هذه الشاة لاسمينة ولاهزيلة بل متوسطة الحال (وانطوا) بهمزة قطع وضم مهملة لغة يمانية اى واعطوا فى الزكاة (الثبجة) بفتح مثلثة وكسر موحدة فجيم مفتوحة بعدها تاء اى الشاة الوسطى التى ليست بادنى ولااعلى من ثبج كل شئ وسطه والتاء لانتقالها من الاسمية الى الوصفية قال التلمسانى ويروى الشيجة بالشين والجيم من شج سار بشدة (وفى السيوب) بضمتين جمع سيب وهو الركاز (الخمس) بضمتين ويسكن الميم لان السيب لغة العطاء والركاز عطاء من الله تعالى وقال الزمخشرى هى المعدن اوالمال المدفون فى الجاهلية لانه من فضل الله وعطائه لمن اصابه

(ومن زنى م) بسكون الميم الثانية (بكر) بتنوين فى الراء خلافا لبعضهم لانها نكرة عامة فى سياق الشرط ثم ابدلت نون من ميما لكثرة استعمالهم تلك لفظا فى مثل من ماء سيما اذا كان بعدها باء كما هنا ونحو عنبر وعنبر ولو كان معرفة بلغتهم لقيل ومن زنى من امبكر كما قال ليس من امبر امصيام فى امسفر ومن الجارة تبعيضية او بيانية مفسرة للاسم المبهم الشرطى وتبعية عنه اى ومن زنى من الابكار (فاصقعوه) بهمزة وصل اوقاف مفتوحة اى اضربوه كما قاله ابن الاثير واصل الصقع الضرب ببطن الكف وقيل اى فاضربوه على صوقعته اى فى وسط رأسه قال التلمسانى وعند الشارح فاصعوه باعجام عوض القاف اى فاضربوه (مائة) اى مائة ضربة (واستوفضوه) بالفاء والضاد المعجمة اى اطردوه او انفوه وغربوه (عاما) اى سنة (ومن زنى م ثيب) يجرى فيه ما جرى فى م بكر الا ان هنا القلب الحقيقى لاجل الباء وهنا الاحتياج المتولد من قبل الباء وقيل القلب فيه للمناسبة والمشاكلة كقولهم ماقدم وحدث بضم دال حدث لمناسبة قدم وقيل هى لغة يمانية كما يبدلون الميم من لام التعريف اى ومن زنى من ذوى الاحصان (فضرجوه) بجيم مفتوحة وتشديد راء مكسورة فجيم اى فارجموه حتى تدموه وتضرجوه اى تلطخوه بدمائه (بالاضاميم) اى برمى الحجارات جمع اضمامة بالضاد المعجمة وهى ماجمع وضم من الحجارة لان بعضها يضم الى بعض كالجماعات من الناس والكتب قال التلمسانى يريد انه لا يرجم بحجر ههنا وحجر فى موضع آخر لان ذلك تعذيب له ولا فى محل فيه حجارة صغيرة اوقيل الحجارة ولا يرجم بحجر فى وقت ثم بحجر فى وقت آخر وهذا كله يشمله الاضاميم (ولا توصيم) اى لا توانى ولا تخلف (فى الدين) اى فى اقامة الحدود لقوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله وقيل التوصيم التكسير والمعنى ولا تفسدوا تكسيره بالحجارة وقيل المعنى لا عيب ولا هوان ولا كسر ولا عار فى الدين (ولا غمة) بضم غين معجمة وتشديد ميم اى لا ستر ولا غطاء وفى رواية ولا عمه بمهملة فميم خففة مفتوحتين فهاء اى لا حيرة ولا تردد وفى رواية ولا عمد بكسر مهملة وسكون الميم فدال مهملة اى لا ستر ولا خفاء ولا ستر ولا التباس (فى فرائض الله) بل هى واضحة والمعنى لا تستر فرائض الله ولا تخفى بل تظهر ويجهر بها وقال التلمسانى لا غمة بضم غين المعجمة وتشديد ميمها اى لا ضيق ولا كربة وقيل لا ابهام ولا التباس ولا سترة اى لا تخفى فرائض الله لانها من اعلام الاسلام وتاركها يستحق الملام فحقها ان يعلن بها اماطة للتهمة عن تركها بخلاف التطوع فانه لا يلام بتركه ولا تهمة فيه فحقه ان يخفى (وكل مسكر) خمرا او غيره كثيرا او قليلا على خلاف فى الاخير فيما عدا الخمر (حرام) اى شربه واغرب التلمسانى فى ذكره قاعدة منطقية بقوله هذه نتيجة وكيفية تركيب المقدمتين هو ان تقول كل مسكر خمر وكل خمر حرام فينتج كل مسكر حرام انتهى ولم يعرف ان الكبرى ممنوعة هنا (ووائل بن حجر) مبتدأ (يترفل) بفاء مشددة اى يتأمر ويترأس (على الاقيال) خبر معناه الامر لقوله له بعده فى آخر كتابه امره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاسمعوه وهو معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الكتاب الآخر وكان وجه الى المهاجرين ابى امية مع وائل هذا فكان فيه من محمد رسول الله الى المهاجرين ابى امية ان وائلا يستسعى ويترفل على الاقيال حيث كانوا من حضرموت اى يستعمل على الصدقات ويصير اميرا على الاقيال ويفتخر عليهم بكتابه عليه الصلاة والسلام كما قال الشاعر

(اذا نحن امرنا امرأ ساد قومه * وان لم يكن من قبل ذلك يذكر)

ولما كان ابو امية مشهورا تركه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على حاله كما يقال على بن ابو طالب كرم الله وجهه وحكى ابو زيد فى نوادره عن الاصمعى عن يحيى بن عمران قريشا كانت لا تغير الاب فى الكنية تجعله مرفوعا فى كل وجهه من الرفع والجر والنصب والحاصل انه امارته بالثوب لانها تلبس بها كانها هو واسم ترفيله وهو اطالته وارساله فكانه يرفل فيها اى يجرد ذيلها عليهم زهوا وقول التلمسانى هنا الى وائل الى كالكلام وروى بها ملبس فى محله ولعله فيما تقدم والله تعالى اعلم ثم جمله (اين هذا) اى كلامه هذا مع ماذكر من الاقيال وكتابه لهم (من كتابه لانس رضى الله عنه فى الصدقة المشهور) نعت لكتابه كما رواه ابو داود والترمذى والدارقطنى وختمه ولم يدفعه له فدفعه ابو بكر بعد وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم حين وجهه الى البحرين مصدقا فان ذا يجعل من جزالة الفاظ مألوفة وسلاسة تراكيب مأنوسة وذاك يجعل من غلاقة الفاظ غريبة وقلاقة اساليب عجيبة حتى انها فى النطق عسرة بالنسبة الى غير اهل تلك اللغة وجاب هذا الغار ماذكره المصنف بقوله (لما كان كلام هؤلاء على هذا الحد) اى هذا المقدار غريبا غير مألوف (وبلاغتهم على هذا النمط) اى هذا النوع وحشيا غير مأنوس (واكثر استعمالهم هذه الالفاظ) اى التى هى غير مألوفة لغيرهم وان كانت مأنوسة لهم وجواب لما قوله (استعملها معهم ليبين للناس ما نزل اليهم) اى ما نزله عليهم من امر ونهى ونحوهما بنص او ارشاد اى دال على ذلك كالقياس واستحسان العقل (وليحدث الناس بما يعلمون) اى بما يفهمون ويعقلون لا بما لا يدركون فينكرون كما سبق من كلامه وكتابه (وكقوله فى حديث

عطية السعدى) اى المنسوب الى قبيلة بنى سعد وهو ابن عروة ويقال ابن عمرو بن عروة على مارواه الحاكم والبيهقى وصححه عنه قدمنا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لى ما اغناك الله فلا تسأل الناس شيئا (فان اليد العليا هى المنطية) اى المعطية (واليد السفلى هى المنطاة) اى المعطاة وان مال الله مسئول ومنطى (قال) اى عطية (فكلمنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بلغتنا) اى فى الانطاء بمعنى الاعطاء كما قرئ بانون فى قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر وهذا الحديث فى المعنى نحو حديث مالك والشيخين وابى داود والنسائى عن ابن عمران رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال على المنبر وهو يذكر الصدقة والتعفف عن المسئلة اليد العليا خير من اليد السفلى والعليا هى منفقة والسفلى هى سائلة قال ابوداود وقد اختلف عن ايوب عن نافع فى هذا الحديث فقال عبدالوارث اليد العليا هى المتعففة وكذا قال واقد عن حماد بن زيد عن ايوب وقال اكثرهم عن حماد هى المنفقة قال الخطابى رواية المتعففة اشبه واصح فى المعنى لان ابن عمر قال ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر هذا الكلام وهو يذكر الصدقة والتعفف عنها فعطف الكلام على سببه الذى خرج عليه وعلى مايطابقه فى معناه اولى وقد توهم بعضهم ان معنى العليا هو كون يد المعطى مستعلية فوق يد الآخذ من علو الشئ اى فوقه وليس ذلك عندى بالوجه وانما هو من علو المجد والكرم يريد التعفف عن المسئلة والترفع عنها انتهى كلامه وفى غريب الحديث لابن قتيبة زعم قوم ان العليا هى الآخذة والسفلى هى المعطية فقال وما ارى هؤلاء الا انهم استطابوا السؤل فاحبوا ان ينصروا مذهبهم ونسبه فى المشارق للمتصوفة واقول لعل وجه قولهم هذا انه ينبغى للمعطى ان يتواضع لله فى حال عطائه ويجعل يده تحت يد الفقير الآخذ وان يعلم ان الله تعالى هو الآخذ حقيقة وان كان هو المعطى ايضا لما ورد من انه يأخذ الصدقة ويربيها وينميها كما يربى احدكم فلوه ولقوله تعالى مخاطبا لنبيه عليه الصلاة والسلام خذ من اموالهم صدقة ولان الآخذ هو سبب المراتب العالية للمعطى فلو لم يأخذ احد ذلك لم يحصل له الثواب والله اعلم بالصواب ثم هنا دقيقة اخرى بالتحقيق احرى وهى انه اذا كانت اليد العليا خيرا من اليد السفلى واليد العليا هى المعطية فيشكل بما اجمعت عليه السادة الصوفية وجمهور القادة الفقهية من ان الفقير الصابر افضل من الغنى الشاكر فالجواب على ماذكره بعض المحققين ان هذا الحديث بعينه يدل على المدعى فان المعطى لم يحصل له المرتبة العليا الا باخراج شئ من الدنيا والاخذ لم يتسفل عن مرتبته القصوى الا باخذ شئ منها والحاصل ان الاول قول ظاهرى حسى للفقهاء والثانى قول باطنى معنوى للاولياء والجامع بينهما هو المحقق والله الموفق وقيل ان تفسير اليد العليا بالمعطية والسفلى بالسائلة مدرج فى الحديث وقيل معنى المتعففة المنقبضة عن الاخذ وروى عن الحسن البصرى انه قال معنى الحديث يد المعطى خير من اليد المانعة (وقوله) اى وكقوله على ماذكره ابو نعيم فى دلائله (فى حديث العامرى) اى مخاطبا له بلغته (حين سأله) اى العامرى (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سل عنك اى عم شئت) اى عما شئت كما فى نسخة ويجوز سل عن امرك وشأنك وهى) وفى نسخة وهو (لغة بنى عامر واما كلامه المعتاد) اى المأنوس لجميع العباد (وفصاحته المعلومة) اى لسائر البلاد (وجوامع كلمه) اى لمعان كثيرة بالفاظ يسيرة (وحكمه) جمع حكمة (المأثورة) اى المروية عنه الدالة على اتقان علمه واحكام عمله (فقد الف الناس فيها الدواوين) جمع ديوان بكسر داله وقد يفتح وهو فارسى معرب واصله دوان اعل اعلال دينار وجمعه دنانير وقد سبق الكلام فيه والاظهر مما قالوا فى وجه التسمية ان الديوان بالفارسية اسم للشياطين فسمى الكتاب من الحساب باسمهم لحذقهم بالامور ووقوفهم على الجلى والخفى وجمعهم لماشذ وتفرق وقد يسمى مكانهم باسمهم واول من وضعه فى الاسلام عمر رضى الله تعالى عنه لحفظ مايتعلق بالناس والمراد هنا الكتب المؤلفة من الجوامع والمسانيد وامثال ذلك (وقد جمعت فى الفاظها ومعانيها الكتب) اى فى بيان غرائبها وجمعت بصيغة المجهول وكان الاولى ان يقول وجمعوا فى مبانيها ومعانيها الكتب (ومنها) اى ومن جوامع كلمه وحكمه (ما لا يوازى) بهمز ابدل واوا من آزيته بمعنى حاذيته وهو بازائه اى بحذائه ولا تقل وازيته على مافى الصحاح وهو بصيغة المجهول اى لايماثل ولايقابل (فصاحة) تمييز للنسبة اى من جهة الفصاحة (ولايبارى) اى ولايعارض ولايساوى (بلاغة كقوله) على مارواه ابو داود والنسائى (المسلمون تتكافأ) بالهمز فى آخره وفى نسخة بحذف احدى التاءين اى تتماثل وتتساوى (دماؤهم) اى فى العصمة والحرمة خلاف ما فى الجاهلية فكل مسلم شريفا او وضيعا كبيرا او صغيرا حرا او عبدا فى ذلك سواء او فى القصاص والدية فيقاد الشريف بالوضيع والكبير بالصغير والعالم بالجاهل والذكر بالانثى وكذا حكم الدية الا انه يخص منه العبد اذ لايكافئ حرا فى بعض الصور على خلاف فى المسئلة (ويسعى بذمتهم) اى بعهدهم وامانهم (ادناهم) اى اقلهم منزلة كعبد وامرأة فانه اذا اعطى احدهما امانا لاحد او لجيش فليس لاحد منا اخفاره اى نقض امانه لحديث البخارى ذمة المسلمين واحدة يسعى بها

بالدهم فمن اخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ولحديث الترمذي ان المرأة لتأخذ على القوم اى تجير
على المسلمين ولحديث ابى داود ان كانت المرأة لتجير على المؤمنين ومنه حديث ذمة المسلمين واحدة (وهم) اى المسلمون
(يد) اى قوة (على من سواهم) اى جماعة يتعاونون على اعدائهم من اهل الملل لا يخذل بعضهم بعضا ارهم مع كثرتهم
فديتهم اخوة الاسلام وجعلتهم فى وجوب الاتفاق بينهم تعاونا وتعاضدا على من آذاهم وعاداهم كيد واحدة فيجب
ان ينصر كل احد على من آذاه فهو تشبيه بليغ (وقوله) اى وكقوله فيما رواه ابن لال فى مكارم الاخلاق (الناس) اى
فى تساوى اجراء الاحكام عليهم (كاسنان المشط) بضم الميم وكسر وقد تفتح وبضم اوتكسر وتفتح شينه وهو مبالغ فى
التساوى وهو قريب من قوله يتكافأ دماؤهم وقيل فى تساوى الاخلاق والطباع وتقاربها ويؤيده ماجاء فى رواية
اخرى الناس سواسية كاسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى ولا فضل لعجمى على عربى وانما الفضل بالتقوى (والمرء)
اى وكقوله فيما رواه الشيخان المرء (مع من احب) اى فى كل موطن خيرا وفى المحشر اوفى الجنة وفيه ايماء الى ان الله
يتفضل على من احب قوما بان يلحقه بهم فى منازلهم وان لم يكن له مثل اعمالهم وقيل شرطه اتباع عمل محبوبه والا
فلا فائدة لهذه المحبة والاظهر انه شرط للكمال وانه يكفى فى اثبات المحبة مجرد التوحيد وثبوت النبوة لما فى صحيح مسلم
ان رجلا جاء الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يارسول الله كيف ترى رجلا احب قوما ولما يلحق بهم قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم المرء مع من احب (ولا خير) اى وكقوله فيما رواه ابن عدى فى كامله بسند ضعيف المرء
على دين خليله ولا خير (فى صحبة من لا يرى لك) اى من الحق (مثل ما ترى له) اى منه اغترارا بماله من كثرة المال وسعة
الجاه فيتكبر مع جهله على العلماء والصلحاء والفقراء المتواضعين له وروى يرى له بالياء والتاء للفاعل والمفعول
على ماذكره الشمنى والظاهر بناء الفاعل على الخطاب بل هو الصواب هذا وروى لا خير فى صحبة من لا يرى لك مثل
ماترى لنفسه فيؤول معناه الى حديث لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه (والناس معادن) اى وكقوله
على مارواه الشيخان الناس معادن اى لمكارم الاخلاق كمعادن الذهب والفضة خيارهم فى الجاهلية خيارهم
فى الاسلام اذا فقهوا بضم القاف اى مارسوا الفقه وضموا الحسب الى النسب وجمعوا بين الشرع والطبع فى القلب
وحكى بكسر القاف وهو متعين اذا كان الفقه بمعنى الفهم وحاصله ان الناس يختلفون بحسب الطباع كالمعادن وانهم
من الارض كان المعادن منها وفيها الطيب والخبيث فان منها مايستعد للذهب الابريز ومنها ما يستعد للفضة ومنها
مايستعد لغير ذلك ومنها ما يحصل منه بكد وتعب كثير شئ يسير ومنها ماهو بعكس ذلك ومنها مالا يحصل منه شئ اصلا
فكذلك بنوا آدم منهم من لا يعى ولا يفقه ومنهم من يحصل له علم قليل بسعى طويل ومنهم من امره عكس ذلك ومنهم
من يفاض عليه من حيث لا يحتسب كما هو معلوم فى كثير من الاولياء والصالحين والعلماء العاملين وروى معادن
فى الخير والشر كالذهب والفضة (وماهلك امرؤ عرف قدره) رواه السمعانى فى تاريخه بسند فيه مجهول ويقرب منه
ماروى عن على رضى الله عنه ماضاع امرؤ عرف قدره لان الضائع بمنزلة الهالك (والمستشار مؤتمن) اى على
ما استشير به استظهارا برأيه والحديث رواه الاربعة والحاكم والترمذى ايضا فى الشمائل فى قضية ابى الهيثم وفى
بعض الروايات زيد فيه (وهو بالخيار مالم يتكلم) وفى رواية احمد وهو بالخيار ان شاء تكلم وان شاء سكت فان تكلم
فليجتهد رأيه قال الديلمى وهما شاهدا صدق بان الاشارة بمجرد الاستشارة غير واجبة انتهى والاظهر ان المراد
انه ان لم يكن له رأى يسكت والا فيتكلم ويظهر رأيه لان الدين النصيحة وفى الاخفاء نوع من الخيانة المنافية للامانة
وعن عائشة رضى الله تعالى عنها المستشير معان والمستشار مؤتمن وعن على كرم الله وجهه اذا استشار احدكم فليشر
بما هو صانع لنفسه (ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم) اى بقوله الخير (اوسكت) اى عما لا خير فيه (فسلم) اى عن الشر
بسكوته رواه ابو الشيخ فى الثواب والديلمى ومنهم من فضل السكوت لانه اسلم للنفس وآمن من سوء العاقبة ومنهم
من فضل الكلام لوجود الغنيمة والاولى ان يقال لكل مقام مقال على ان الاظهر هو الاول لقوله عليه الصلاة والسلام
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليسكت (اسلم) بحذف العاطف وفى نسخة صحيحة وقوله اسلم وهو امر
بالاسلام جوابه (تسلم) بفتح اللام من السلامة وهذا القدر من الحديث متفق عليه بين الشيخين فى كتابه عليه الصلاة
والسلام لهرقل ولمسلم زيادة (واسلم يؤتك الله اجرك مرتين) وللبخارى فى الجهاد اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين اى
ان تسلم يعطك الله اجرك مرتين مرة لايمانه بعيسى عليه الصلاة والسلام ومرة لايمانه بمحمد عليه الصلاة والسلام
وهذا الحديث مع ايجازه جامع لمراتب الاسلام ومايترتب عليه من انواع السلامة فى الدنيا والآخرة مع المناسبة
اللفظية فى العبارة الزاهرة (وان احبكم) اى وقوله فيما رواه الترمذى ان احبكم (الى) اى فى الدنيا والعقبى (واقربكم
منى مجالس) لعل وجه الجمع اعتبار الانواع (يوم القيامة احاسنكم اخلاقا) جمع احسن والمراد بالاخلاق الشمائل

والاحوال واستدل بهذا الحديث على ان افعل التفضيل اذا اضيف الى معرفة جاز ان يطابق موصوفه وان لا يطابقه لانه عليه السلام افرد احب واقرب وجمع احاسن ففيه جمع بين اللغتين فى العبارتين (الموطئون) بصيغة المفعول من التوطئة اى المذللون (اكنافا) جمع كنف بكسر وبفتح وهو الجانب اى الذين جوانبهم وطيئة يتمكن منها من يصاحبهم ولا يتأذى منهم مأخوذ من فراش وطئ لا يؤذى جنب النائم والمراد منهم المتواضعون الالينون الهينون كما ورد فى اوصاف المؤمنين (الذين يألفون) بفتح اللام (ويؤلفون) بصيغة المجهول اى يألفون الناس والناس يألفونهم وذلك لحسن اخلاقهم وسهولة طباعهم وضياء قلوبهم وصفاء صدورهم وروى فى الحديث وان ابغضكم الى وابعدكم منى مجالس يوم القيمة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون وروى ابغضكم الى المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة الملتمسون للبراء العيب (وقوله) اى وكقوله فيما رواه البيهقى فى شعبه اصيب رجل يوم احد فقالت امه لتهنئك الشهادة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومايدريك (لعله كان يتكلم بما لا يعنيه) بفتح اوله وسكون المهملة وكسر النون اى بما لا يهمه من امر دنياه وعقباه (و يبخل) لعل الواو بمعنى او (بما لا يغنيه) بضم اوله وسكون المعجمة اى من اقوال وافعال وطلب رياسة وحب محمدة وامثال ذلك مما يجلب له شرا ولا يذهب عنه ضرا وقد قال الحسن من علامة اعراض الله عن العبد ان يجعل شغله فيما لا يعنيه وفى رواية للبيهقى كما رواه الترمذى ان رجلا توفى فقالوا ابشر بالجنة فقال فانه قد تكلم بما لا يعنيه او بخل بما لا ينقصه قال الترمذى وهذا هو المحفوظ اقول لكن لا يخفى حسن صنعة التجنيس بين يعنيه و يغنيه فى الحديث الاول (وقوله) اى وكقوله فيما رواه الشيخان (ذو الوجهين) اى الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه بمعنى انه يأتى كلا بما يحب من خير اوشر وهذه هى المداهنة المحرمة وقيل هو الذى يظهر لكل طائفة وجها يرضيها به ويوهمها انه عدو للاخرى ويبدى لها مساويها (لا يكون عند الله وجيها) اى ذا قدر ومنزلة لما يتفرع عليه من الفساد بين العباد بخلاف المصلح بين الناس فى البلاد واصل الوجيه هو المستقبل بالخير والتعظيم وذلك كناية عن المحبة لان من احب احدا يديم النظر الى وجهه ويستقبله بالتكريم وفى رواية الطبرانى عن ابى سعيد ذو الوجهين فى الدنيا يأتى يوم القيمة له وجهان من نار (ونهيه) اى وكنهيه فيما رواه الشيخان (عن قيل وقال) بفتح لاميهما وخفضهما منونا اى عن فضول ما يتحدث به فى المجالس من قولهم قيل كذا وقال كذا ويجوز بناؤهما على انهما ماضيان فى كل منهما ضمير راجع الى مقدر وهو الاشهر الاكثر بناء على الحكاية ويجوز اعرابهما اجراء لهما مجرى الاسماء ولا ضمير فيهما وعن ابى عبيد انهما مصدران تقول قلت قولا وقيلا وقالا وقد قرئ قال الحق بدل قول الحق والمراد النهى عن نقل اقوال الناس مما لا فائدة فيه وقيل المراد النهى عن كثرة الكلام ابتداء وجوابا مما يوقع فى الخطأ ومالا يجدى نفعا فيرجع الى حديث كفى بالمرء اثما ان يحدث بكل ماسمع ونسب للشافعى

(لقاء الناس ليس يفيد شيئا * سوى الهذيان من قيل وقال)

(فاقلل من لقاء الناس الا * لاخذ العلم او اصلاح حال)

(وكثرة السؤال) اى عما بايدى الناس بان يسأل الناس اموالهم اوعن اخبارهم مما لا فائدة فيه من التجسس وقيل النهى عن الاغلوطات وفى كثرة السؤال دليل جواز القلة وشرطه الحاجة ولله در القائل

(بلوت مرارة الاشياء طرا * فلا شئ امر من السؤال)

وقيل السؤال عن المتشابهات وقيل كثرة سؤال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عما لم ينزل ولم تدع الحاجة اليه ومنه قوله تعالى لا تسألوا عن اشياء ان تبدلكم تسؤكم ومنه حديث وسكت عن اشياء غير نسيان فلا تبحثوا عنها والكثرة بالفتح وتكسر (واضاعة المال) اى بصرفه فى غير مرضاة الله عز وجل ويدخل فيه الاسراف فى النفقة والبناء والملبوس والمفروش وامثال ذلك وقيل اهماله وترك القيام عليه وقيل دفعه الى السفهاء وقيل عدم صرفه فى موضعه اللايق به كما قيل

(وما ضاع مال اورث المجد اهله * ولكن اموال البخيل تضيع)

(ومنع) بالجر منونا وفى نسخة بفتح العين (وهات) بالكسر وفى نسخة بالفتح وروى على بناء الماضى اى منع ما يجب عليه اعطاؤه وطلب ماليس له (وعقوق الامهات) اى والآباء فهو من باب الاكتفاء اولان اكثر العقوق يقع بهن لضعفهن ورحمهن ولانهن ماكان عند العرب كثير حرمة لهن اوللاعلام بان عصيانهن افحج لانهن اكثر محبة واشد شفقة لقوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا حملته امه وهنا على وهن وفصاله فى عامين الاية ولما ورد من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لما قيل له من احق الناس بحسن صحابتى يارسول الله قال امك ثم امك ثم امك ثم اباك (ووأد البنات) بهمزة ساكنة وتبدل اى دفنهن حيات انفة وغيرة ومنهم من وأد تخفيفا لمؤنتهن وخشية الاملاق بهن

ولذا خصهن بالذكر والا فالوأد حرام وكذلك الاهمال بهن ومنه حديث العزل الوأد الخفي ومع هذا جاء في حديث ان في البنات من المكرمات ونعم الصهر القبر وروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مرفوعا للمرأة ستران قيل وما هما قال الزوج والقبر قيل فايهما استر قال القبر (وقوله) اى وكقوله فيما رواه احمد والترمذي والحاكم والبيهقي عن ابي ذر (اتق الله حيث كنت) وفي الاصول من كتب الحديث حيثما كنت وكذا في اصل الدلجي ولذا قال وزادة بشهادة رواية حذفها والمعنى اتق الله باكتساب اوامره واجتناب زواجره في كل مكان وزمان فانه معك اينما كنت وحيثما كنت والخطاب لراويه من صحابته اوعام لكل فرد من افراد امته (واتبع) بفتح الهمزة وكسر الموحدة اى اعقب والحق (السيئة) اى الصادرة منك (الحسنة) اى من صلاة اوصدقة ونحوهما وروى بحسنة (تمحها) بفتح اوله وضم الحاء مجزوما بجواب الامر وهو مقتبس من قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات وقيل المعنى بالحسنة في الحديث التوبة ثم المراد بمحوها ازالتها حقيقة بعد كتابتها او محوه كناية عن عدم المؤاخذة بها والظاهر ان جنس الحسنة يمحو جنس السيئة ولا ينافي ماورد من ان الحسنة تمحو عشر سيئات وخص من عمومها السيئة المتعلقة بالعبد كالغيبة فلا يمحوها الا الاستحلال واو بعد التوبة ثم قبل وصولها واليه ترتفع بالحسنة لحديث اذا اغتاب احدكم من خلفه فليستغفر له فان ذلك كفارة له وقيل يمحها بحسنة يشاكلها اثرها اثر السيئة التي ارتكبها فسماع الملاهي يكفر بسماع القرآن ومجالس الذكر وشرب الخمر يكفر بتصدق شراب حلال ونحو ذلك فان المعالجة بالاضداد (وخالق الناس) اى خالطهم وعاشرهم (بخلق حسن) اى بطلاقة وجه وكف اذى وبما تحب ان يعاملوك به فان الموافقة مؤنسة والمخالفة موحشة (وخير الامور اوساطها) هذا حديث مستقل رواه ابن السمعاني في تاريخه اى المتوسطة بين الافراط والتفريط في الاخلاق كالكرم بين التبذير والبخل والشجاعة بين التهور والجبن وفي الاحوال كالاعتدال بين الخوف والرجاء والقبض والبسط وفي الاعتقاد بين التشبيه والتعطيل وبين القدر والجبر وفي المثل الجاهل اما مفرط واما مفرط وفي التنزيل ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا والحاصل ان الانسان مأمور ان يجتنب كل وصف مذموم بالبعد عنه وابعد الجهات والمقادير من كل طرفين وسطهما فاذا كان في الوسط فقد بعد عن الاطراف المذمومة ولعل هذا معنى قولهم كن وسطا وامش جانبا (وقوله) اى وكقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه الترمذي والبيهقي عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه (احبب) من احبه فانه احببته احبه بالكسر شاذ وقوله (حبيبك) بمعنى محبوبك والمعنى احبب الذي تحبه مما سوى الله ورسوله (هونا ما) مازائدة للمبالغة في القلة اى حبا يسيرا ولا تسرف في حبه ولا تبالغ في تعلق القلب به كثيرا فانه (عسى ان يكون) اى يصير وينقلب (بغيضك) اى مبغوضك (يوما ما) اى حينا من الاحيان وتتمه وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما اذ ربما انقلب ذلك الحب بتغير الاحوال بغضا فتندم عليه اذا ابغضته او انقلب البغض حبا فتستحيي منه اذا احببته ويقرب من هذا الكلام قول عمر رضي الله تعالى عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وفي معنى هذا الحديث انشد ابو عمرو ابن عبد البر في بهجة المجالس

(واحبب اذا احببت حبا مقاربا فانك لا تدري متى انت نازع)

(وابغض اذا ابغضت بغضا مقاربا فانك لا تدري متى انت راجع)

والمقارب المقتصد (وقوله) اى وكقوله فيما رواه الشيخان (الظلم) اى على النفس او على الغير (ظلمات) بضم الظاء واللام وقال التلمساني وبفتح وبضم الثاني اى انواع الظلم القاصر او المتعدي ظلمات حسية على اصحابه فلا يهتدون بسببه الى الخلاص (يوم القيامة) اى في يوم يسعى نور المؤمنين الكاملين بين ايديهم وبايمانهم بسبب ايمانهم واحسانهم ويحتمل ان المراد بها الشدائد كما في قوله تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر (وقوله) اى وكقوله فيما رواه الترمذي وغيره عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (في بعض دعائه) اى في بعض دعواته لما فرغ من صلاته ليلة الجمعة (اللهم اني اسألك رحمة من عندك) اى من فضلك وكرمك لا بمقابلة عمل من عندي الحديث كذا في اصل الترمذي وليس في بعض النسخ لفظ من عندك (تهدي بها قلبي) اى تدله اليك وتقربه لديك (وتجمع بها امري) اى حالي علي (وتلم) بضم اللام وتشديد الميم (بها شعثي) بفتحتين اى تجمع بها تفرق خاطري وتضم بها تشتت امري بعلام جمعي وحضوري (وتصلح بها غائبي) اى قلبي او باطني بالاخلاق المرضية والاحوال العلية (وترفع بها شاهدي) اى قالبي او ظاهري بالاعمال البهية والهيئات السنية او المراد بهما الغائبون والحاضرون (وتزكي بها عملي) اى تزيد ثوابه وتنميه او تطهره وتنزهه عن شوائب الرياء والسمعة وسائر ما ينافيه (وتلهمني بها رشدي) اى صلاح حالي في حالي ومآلي

(وتود) اى تجمع (بها الفتى) بضم الهمزة اسم من الائتلاف واما الالفة بالكسر فالمرأة تألفها وتألفك والفه كعلمه الفا بالكسر والفتح على ما فى القاموس فقول الدلجى بضم الهمزة وكسرها مصدر بمعنى المفعول لبس فى محله والمراد بها الالفة فى العبادة او حسن الصحبة مع ارباب السعادة ومنه حديث المؤمن بألف و يؤالف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤالف على ما رواه الدار قطنى عن جابر مرفوعا ومنه قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين (وتعصمنى) اى تحفظنى وتمنعنى (بها من كل سوء) اى تصرف فى عنه وتصرفه عنى وهو بضم السين وقد يفتح للضرر الحسى والمعنوى (اللهم انى اسئلك الفوز) اى النجاة (فى القضاء) اى فيما قضيته وقدرته على من البلاء وفى نسخة عند القضاء اى حين حلول القضا وضيق القضاء بتوفيق الرضى وروى المجانى فى العطاء ثم قال و يروى فى القضاء كما ذكره المصنف فى الشفاء (ونزل الشهداء) بضمتين وتسكن الزاى واصله مايعد للضيف اول نزوله والمراد هنا جزيل الثواب وجميل المآب وقيل النزل بمعنى المنزل ويؤيده رواية ومنازل الشهداء (وعيش السعداء) اى الحياة الطيبة المقرونة بالطاعة والقناعة من غير التعب والعناء وفى رواية زيادة ومرافقة الانبياء (والنصر على الاعداء) اى من النفس والشياطين وسائر الكافرين والحديث طويل كما ذكره بعض الشراح وفى هذا الحديث دليل واضح على ان السجع فى الدعاء انما يكون مكروها على ما ذكره ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وغيره اذا كان عن تكلف وتعسف يمنعه عن حسن الثناء و يشغله عن حضور الدعاء ثم هذه الروايات من الكلمات الجامعات منضمة (الى ما رويه الكافة عن الكافة) اى جميع الرواة عن الثقاة وحكى عن سيبويه انه لا يجوز استعمال كافة معرفا بل نكرة منصوبة على الحالية كقاطبة (من مقاماته) بيان لما والمعنى من مقالاته فى اختلاف مقاماته وحالاته ومجالس وعظه ودلالاته (ومحاضراته) اى فى محاوراته (وخطبه) اى فى جمعه وجماعاته (وادعيته) اى وقت حاجاته (ومخاطباته) اى فى محاوباته (وعهوده) اى فى مبايعاته (مما لا خلاف) اى بين علماء الانام (انه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (نزل) فعل ماض وقد وهم العينى فى ضبطه بضم النون والزاى منونا وذكر معانيه التى هى غير ملائمة للمقام فالمعنى انه نزل وحل ووصل (من ذلك) اى مما ذكر من علو المقام (مرقبة) بقاف فموحدة اى موضعا مشرفا كما فى الصحاح وفى نسخة بقاف فالف وكلتاهما بمعنى مرتبة كما فى نسخة وقال العينى هى الصواب والحاصل ان النسخ كلها بمعنى درجة عالية (لا يقاس) اى عليه (بها غيره) فاين الثريا من يد المتناول فى الثرى ولا يقاس الملوك بالحدادين فى السلوك (وحاز) بالحاء والزاى اى ضم وجمع (فيها سبقا) بفتح فسكون مصدر سبق وهو التقدم فى السير و يستعار لاحراز الفضل والخير وبفتحهما ما يجعل من المال رهنا فى المسابقة واغرب الحلبى من بين الشراح فى قوله انه يتعين ههنا فتح الباء (لا يقدر قدره) بصيغة المجهول اى لا يعرف عظمة شانه ورفعة برهانه (وقد جمعت) بصيغة المتكلم فى اكثر النسخ وضبطه الدلجى بتاء تأنيث ساكنة مبنيا للمفعول (من كلماته) من تبعيضية اوزائدة وانث الضمير نظرا الى الكلمات كذا ذكره الدلجى والظاهر كون من تبعيضية لقلة وجودها زائدة فى الكلام الموجب مع ان كلماته لا تستقصى فى مقام الرواية والمفعول اونائب الفاعل قوله (التى لم يسبق اليها) بصيغة المجهول اى ما سبقه واحد الى تلك الكلمات البالغة لاصابتها نهاية البلاغة وغاية الفصاحة (ولا قدر احد ان يفرغ) من الافراغ اى (فى قالبه) بفتح اللام وتكسر ففى القاموس القالب كالمثال يفرغ فيه الجواهر وفتح لامه اكثر والمعنى لم يقدر احد ان يسكب جواهر المعانى فى قوالب زواهر المبانى (عليها) اى على نهج تلك الكلمات التى ليس لها مثانى (كقوله) اى يوم حنين على ما رواه مسلم والبيهقى الآن (حمى الوطيس) بفتح الحاء وكسر الميم اى اشتد الحرب والوطيس فى الاصل التنور شبه به الحرب لاشتعال نارها وشدة ايقادها فاستعار لها اسمه فى ايرادها استعارة تحقيقية لتحقق معناها حسا وقرنها بقوله حمى ترشيحا للمجاز وقيل هو الوطئ الذى يطأ الناس اى يدقهم وقال الاصمعى هو حجارة مدورة اذا حميت لم يقدر احد على وطئها عبر به عليه الصلاة والسلام عن اشتباك الحرب وقيامها على ساق فهو كلام فى غاية الايجاز ومما يشبه الالغاز وكاد ان يكون من باب الاعجاز (ومن مات حتف انفه) اى وكقوله فيما رواه البيهقى فى شعب الايمان ولفظه من مات حتف انفه فقد وقع اجره على الله يعنى اذا خرج مجاهدا فى سبيل الله والمعنى مات بلا مباشرة قتل ولا ضرب ولا غرق ولا حرق وخص الانف لانه اراد ان روحه تخرج من انفه بتتابع نفسه اولانهم كانوا يتخيلون ان المريض تخرج روحه من انفه والجريح من جراحته (ولا يلدغ المؤمن من جحر) بضم جيم فسكون حاء (مرتين) اى كما رواه البخارى وغيره وروى لا يلسع وهو اما خبر فمعناه ان المؤمن الفطن هو اليقظ الحازم الحافظ الذى لا يؤتى من جهة الغفلة فيخدع وهو لا يشعر مرة بعد مرة فيقع فى مكروه واما نهى فمعناه لا يخدعن المؤمن من باب واحد من وجه واحد مرة بعد اخرى فيقع فى مكروه بل فليكن حذرا يقظا فى امر دنياه واخراه وسبب الحديث ان ابا غرة الجمحى اسر يوم بدر فمن عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ان لا يهجوه ولا يحرض عليه

صدر ثم امر باحد فقال يارسول الله علت اقلني فقال لاادعك تمسح عارضيك بمكة تقول خدمت محمدا مرتين وان المؤمن لايلدغ من جحر مرتين ثم امر اضرب عنقه (والسعيد من وعظ) بصيغة المجهول اى اتعظ (بغيره) كما رواه الديلمي وروى تمامه والشقي من وعظ به غيره (في اخواتها) اى اشباه هذه الكلمات والمعنى انها يجمعت معها كالاعمال بالنيات والمجالس بالامانات والحرب خدعة وامثالها من الكلمات الجامعات منها كل الصيد في جوف الفرا اى الحمار الوحشي قاله لابي سفيان لما اسلم اى اجتمع كمال خصال الناس فيه واياكم وخضراء الدمن ولايجني على المرء الابده والبلاء موكل بالمنطق وترك الشر صدقة وسيد القوم خادمهم والخيل في نواصيها الخير وان من الشعر لحكمة ونية المؤمن خير من عمله والدال على الخير كفاعله ونعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ والندم توبة ونحو ذلك (مما يدرك الناظر العجب) اى مما يتصوره وفي نسخة بنصب الناظر ورفع العجب والمعنى مما يلحقه العجب اذا نظر (في مضمنها) بفتح الميم المشددة وفي نسخة من ضمنها اى مضمونها وما يتضمنها من المعاني البديعة في المباني المنيعة (ويذهب به) اى ومما يذهب بالناظر (الفكر في ادانى حكمها) بكسر ففتح جمع حكمة والمعنى فيتعجب تأمله في فهمها باعتبار اداتيها فما ظنك باقاصيها (وقد قال له اصحابه) اى كما رواه البيهقي في شعب الايمان (ما رأينا الذي هو افصح منك) الجملة من المبتدأ والخبر صلة الموصول وهو عائد الموصول لاضمير افصح كما توهم الدلجي فان ضميره راجع الى المبتدأ كما لايخفى على المبتدى (فقال وما يمنعني) اى من ان اكون افصح (وانما انزل القرآن) اى الذي هو في غاية البلاغة ونهاية الفصاحة مع ايجاز المباني وحسن البيان والمعاني (بلساني لسان عربي مبين) اى واضح او موضح ولسان بدل او بيان (وقال مرة اخرى) اى كما رواه اصحاب الغرائب ولم يعرف له سند (انا افصح العرب بيد) اى غير (انى) او على انى (من قريش) فيكون من باب المدح بما يشبه الذم كقول القائل ،

(ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب)

(ومنه قول النابغة)

(فتى كملت اخلاقه غير انه * جواد فما يبقى من المال باقيا)

وفي مشارق الانوار للمصنف ان بيد بمعنى لاجل وفي المعنى هنا بمعنى من اجل انى من قريش (ونشأت) اى تربيت وفي رواية ارضعت (في بني سعد) اى وهما طائفتان فصيحتان من العرب العرباء وفيهم البلغاء من الشعراء والخطباء وللطبراني انا اعرب العرب ولدت في قريش ونشأت في بني سعد فاني يأتيني اللحن واما حديث انا افصح من نطق بالضاد بيد اني من قريش فنقله الحلبي عن ابن هشام لكن لا اصل له كما صرح به جماعة من الحفاظ وان كان معناه صحيحا والله اعلم واغرب التلمساني في قوله وتكسر همزة اني على ابتداء وقال روى الحديث محمد بن ابراهيم التيمي عن ابيه عن جده (فجمع له) بصيغة المجهول اى فاجتمع له بجمع الله له (بذلك) اى بسبب ما ذكر من اصالة قريش وحضانة بني سعد (صلى الله تعالى عليه وسلم) كان محله بعد له (قوة عارضة البادية) اى حلاوة كلام اهل البادية (وجزالتها) بالرفع وهو ضد الركاكة (ونصاعة الفاظ الحاضرة) اى وخلوص الفاظ اهل الحضور في القرى من شوائب خلط الخلطة بغيرهم (ورونق كلامها) اى وحسن تعبير اهل الحاضرة المفهومة للعامة والخاصة حال كون ذلك كله معضدا (الى التأييد الالهي الذي مدده) بالرفع اى زيادته المتوالية وامداده (الوحي الذي لايحيط بعلمه بشري) اى منسوب الى البشر وهم بنوا آدم ولو قال الادمي بدله كان انسب معنى واقرب مبنى لسجع الالهي والحاصل ان كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم منتاه في الفصاحة والبلاغة ولكن لايبلغ مرتبة المعجزة خلافا لبعض المتكلمين حيث قال ان اعجازه دون اعجاز القرآن ولعله اراد باعتبار المعنى دون المبنى (وقالت ام معبد) بفتح ميم وموحدة وهي عاتكة بنت خالد الخزاعية (في وصفها له) اى للنبي (صلى الله تعالى عليه وسلم) حين نزل بها في طريق المدينة سنة الهجرة كما ذكره اصحاب السير واصحاب الشمائل تضمنا للمعجزات وخوارق العادات حينئذ فمن جملة ما وصفت انه (حلو المنطق) اى مستلذه ومستحلاه لاشتماله على حلاوة كلامه وعذوبة مرامه وملاسة لامه وحسن بدئه وختامه ونظام تمامه (فصل) اى مفصول مبين ومفهوم معين او فاصل بين الحق والباطل او حق لاباطل ومنه قوله تعالى في التنزيل انه لقول فصل اى فاصل قاطع (لانزر) بفتح نون وسكون زاي اى لايسير فيشير الى اخلال (ولاهذر) بفتح هاء وسكون ذال معجمة اى ولاكثير فيميل الى ملل واما الهذر بفتح الذال فمعناه الهذيان واغرب الانطاكي حيث اقتصر في ضبطه على الفتح (كان منطقه) اى منطوقه (خرزات) اى جواهر متتالية ولا لي متغالية (نظمن) بصيغة المجهول اى سلكن في سلك كلامه وضمن عباراته متابعة متناسقة متناسبة متوافقة والحاصل انه تشبيه بليغ لارادة زيادة المبالغة على ما صرح به الدلجي الا انه مبني على ان كان منطقه من الافعال الناقصة

وفى بعض النسخ الصحيحة بتشديد النون على انها من الحروف المشبهة فحينئذ لايكون تشبيها بليغا كالايخفى على البلغاء (وكان جهير الصوت) اى عاليه وهو ممايمدح فى احوال الرجال ولذا مدح ايضا بسعة الفم والله تعالى اعلم (حسن النغمة) بفتح النون وسكون الغين المعجمة اى حسن الصوت حيث تقبله الاسماع وتألفه الطباع كما روى ان الله لم يبعث نبيا الا حسن الصورة وحسن الصوت (صلى الله تعالى عليه وسلم) اى اولا وآخرا والله تعالى اعلم

(فصل واماشرف نسبه) اى المنسوب الى قومه (وكرم بلده ومنشأه) اى الذى ولد وتربى فيه وقيل المراد من منشأه محل مرضعته حليمة من بنى سعد (ف لايحتاج الى اقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولاخفى منه) اى ممايتسب اليه (فانه) اى باعتبار نسبه (نخبة بنى هاشم) اى خيارهم (وسلالة قريش) اى خلاصتهم وصفوتهم سلت من خاصيهم والظاهر انه مرفوع وجعله التلمسانى مجرورا على انه بدل من بنى هاشم (وصميمها) بالرفع اى قوامهم ومدارهم اومحضهم وخالصهم من غير خلط غيرهم واصل الصميم العظم الذى به قوام العضو وظاهر كلام الدلجى ان صميمها مجرور عطفا على قريش (واشرف العرب) لانه من بنى هاشم وبنو هاشم من قريش وهم اشرف العرب فى النسب وفى شرح الدلجى افضل العرب من غير عاطفة بالجر صفة لقريش (واعزهم) اى وهو اقواهم واشجعهم واسخاهم (نفرا) اى جماعة وقرابة (من قبل ابيه وامه) اى من قبل قبيلة ابويه (ومن اهل مكة) اى وهو من اهل مكة (اكرم بلاد الله على الله وعلى عباده) وفى هذا حجة على بعض المالكية فى تفضيلهم المدينة السكينة على مكة المكينة وفى بعض النسخ من اكرم ولعله تصرف من بعضهم والله تعالى اعلم نعم يستثنى ماحوى بدنه الكريم فانه افضل حتى من الكعبة بل من العرش العظيم وعن المحب الطبرى ان بيت خديجة يلى المسجد الحرام فى الفضيلة ولم يذكر المصنف فى هذا الفصل شيئا مماجاء فى فضل مكة لظهوره وكمال وضوح نوره (حدثنا قاضى القضاة) اللام للعهد اذلايجوز هذا الاطلاق على سبيل استغراق الا على الملك الخلاق نحو ملك الملوك وسلطان السلاطين وامثال ذلك (حسين بن محمد الصدفى) بفتحتين ففاء فياء نسبة (رحمه الله) وقدسبق ترجمته (حدثنا القاضى ابوالوليد سليمان ابن خلف) وهو الباجى (حدثنا ابوذر عبد بن احمد) اى الهروى وهو عبد من غير اضافة فلايكتب همزة ابن الثانية واووقع فى اول الصفحة (حدثنا ابو محمد السرخسى) هو الحموى وقدسبق ضبطه (وابو اسحق) اى المستملى وكان من الثقات (وابو الهيثم) وهو محمد بن المكى ابن الزراع الكشميهنى بضم الكاف وسكون الشين المعجمة وفتح الميم وسكون التحتية وفتح الهاء بعدها النون وياء النسبة نسبة الى قرية قديمة من قرى مرو (حدثنا) اى قالوا حدثنا كما فى نسخة (محمد بن يوسف) وهو الفربرى (قال حدثنا محمد ابن اسمعيل) اى الامام البخارى (حدثنا قتيبة بن سعيد) تقدم ذكره (حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن) اى ابن محمد بن عبد الله بن القارى بالتشديد نسبة الى القارة (عن عمرو) بالواو وهو مولى المطلب اخرج له الائمة الستة واختلف فى كونه ثقة (عن سعيد المقبرى) بفتح الميم وضم الموحدة ويجوز فتحها وقال التلمسانى بتثليث الموحدة وقيل له ذلك لانه كان يسكن قرب المقابر وهو سعيد بن ابى سعيد المقبرى واما مافى بعض النسخ عن ابى سعيد فخطأ على ماذكره الحلبى وفيه بحث لان الحجازى صرح بان كنيته ابوسعيد وابوه كيسان وكنيته ابوسعيد ايضا (عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا) اى خلقت وجعلت من خير طبقاتهم كائنين طبقة بعد طبقة (حتى كنت من القرن الذى كنت منه) اى حتى وجدت من بين الجمع الذى ظهرت منهم والقرن من الاقتران يطلق على اهل كل زمان يقترنون فى اعمارهم واحوالهم وفى مقداره اقوال عشرة عشرون ثلاثون اربعون خمسون ستون سبعون ثمانون مائة سنة مائة وعشرون مطلق من الزمان فتلك عشرة كاملة والاظهر انه من الزمان ماغلب فيه وجود الاقران ولذاقيل

(اذا ذهب القرن الذى انت منهم * وخلفت فى قرن فانت غريب)

والمراد بالبعث تقلبه فى اصلاب آبائه ابا فابا كانتقاله من نابت بالنون بن اسمعيل ثم من النضر بن كنانة ثم من قريش بن النضر ثم من عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ولله در القائل

(كم من اب قدعلا بابن ذرى شرف * كما علا برسول الله عدنان)

(وعن العباس) كما رواه البيهقى فى دلائل النبوة والترمذى وحسنه (قال قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله خلق الخلق) اى الناس والملائكة والجن ويحتمل تخصيصه بالثقلين (فجعلنى من خيرهم) اى فتخيرهم وجعلنى من خيرهم وهم الانس (من خير قرنهم) بصيغة الافراد وهو بدل مما قبله (ثم تخير القبائل) اى اختارهم (فجعلنى من خير قبيلة) اى من العرب وهم قريش (ثم تخير البيوت) اى البطون (فجعلنى من خير بيوتهم فانا) اى بفضل الله على ونظر لطفه فى سابق

عليه الى (خيرهم نفسا) اي ذاتا اذ خلقني خاتم النبوة وتمم بي دائرة الرسالة وجعلني مدار الوجود ومظهر الكرم والجود (وخيرهم بيتا) اي مكانا في النسب والحسب من جهة الام والاب (وعن واثلة) بمثلثة مكسورة (ابن الاسقع) وهو من ارباب الصفة وضبط بفتح الهمزة وسكون السين المهملة وفتح قاف فعين مهملة وقال التلمساني بالسين والصاد ويجوز الزاي كما رواه مسلم والترمذي والمقتله (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم) قيل هو معرب اب رحيم والولد بفتحتين او بضم فسكون اي اختار من اولاده وكانوا ثلاثة عشر (اسمعيل) اذ كان نبيا رسولا الى جرهم وعرب الحجاز واغرب التلمساني حيث قال اسمعيل باللام والنون (واصطفى من ولد اسمعيل) وكانوا اثني عشر ولدا على ماذكره ابن اسحق (بني كنانة) وهو بكسر الكاف ابن ثابت وبين كنانة وثابت فيما ذكر ابن اسحق ثلاثة عشر ابا (واصطفى من بني كنانة) وكانوا اربعة منهم النضر (قريشا) وهم اولاد النضر وروي ان في الرجل من قريش قوة اربعين من غيرهم (واصطفى من قريش بني هاشم) اسمه عمرو وسمي بذلك لانه اول من هشم الثريد لقومه واضيافه من الحجاج وغيرهم في سنة القحط (واصطفاني من بني هاشم) اي ابن عبد المطلب بن هاشم (قال الترمذي وهذا حديث صحيح) اي اسناده قال الحجازي وقد خرجه مسلم في صحيحه (وفي حديث عن ابن عمر رواه الطبري) اي محمد بن جرير احد الاعلام وصاحب التصانيف من اهل طبرستان وسمع خلائق واخذ القراءة عن جماعة توفي سنة عشر وثلاثمائة وكذا الطبراني في معجمه الكبير والاوسط (انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله عز وجل اختار خلقه) اي تخيرهم وقيل اوجدهم لان المختار عند المتكلمين هو الفاعل لا على سبيل الاكراه (فاختار منهم بني آدم ثم اختار بني ادم) اي تفاهم (فاختار منهم العرب ثم اختار العرب) اي انتقدهم (فاختار منهم قريشا) وهم اولاد النضر بن كنانة وسموا قريشا لان قصيا قرشهم اي جمعهم في الحرم بعد ماكانوا متفرقين (ثم اختار بني هاشم فاختارني) اي منهم (فلم ازل خيارا من خيار الا) للتنبيه على تحقيق ما بعده من الامر النبيه (من احب العرب فبحبي) اي فبسبب حبه اياي (احبهم ومن ابغض العرب فببغضي) اي فبسبب بغضه اياي (ابغضهم) والمعنى انما احبهم لانه احبني وانما ابغضهم لانه ابغضني فثبت بذلك قول بعض المالكية من سبهم وجب قتله لكن قد يقال المعنى فبسبب حبي وبغضي اياهم احبهم وابغضهم لا بسبب آخر فانا حبهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من اهل الايمان يجب محبتهم ومن ابغضهم من اهل العدوان يجب عداوتهم واما الطعن في جنس العرب فهذا محل بحث وسيأتي تحقيقه (وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) على ما رواه ابن ابي عمر العدني في مسنده (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كانت روحه) وفي اكثر النسخ ان قريشا اي من حيث هو فيهم كانت (نورا بين يدي الله تعالى) اي مقربا عنده سبحانه وتعالى قبل ان يخلق آدم بالفي عام يسبح (ذلك النور) اي قبل عالم الظهور (وتسبح الملائكة بتسبيحه) اي بسببه او بما يقوله من تسبيحه على طبقه ووفقه (فلما خلق الله آدم القى ذلك النور في صلبه) بضم فسكون وفي القاموس بالضم وبالتحريك عظم من لدن الكاهل الى العجب وقال التلمساني هو عمود الظهر ويقال بضم الصاد وفتحها قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فاهبطني الله عز وجل الى الارض في صلب آدم وجعلني في صلب نوح) اي بعد ما كان في صلب شيث وادريس (وقذف بي) اي بعد ذلك (في صلب ابراهيم) اي من صلب سام بن نوح (ثم لم يزل الله تعالى ينقلني من الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة حتى اخرجني) اي اظهرني (من) وفي نسخة بين (ابوي لم يلتقيا) اي ابواي من آدم وحواء الى عبد الله وآمنة (على سفاح) بكسر السين اي على غير نكاح (قط) اي اصلا وقطعا (ويشهد بصحة هذا الخبر شعر العباس) وهو قوله من قبلها طبت في الظلال الخ (المشهور في مدح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما سيأتي في كلام القاضي والله اعلم)

(فصل)

(واما ماتدعو ضرورة الحياة اليه مما فصلناه) اي مما بيناه فيما تقدم اول الباب من فضائله فيه (على ثلاثة ضروب) وفي بعض النسخ اضرب اي على ثلاثة انواع او اصناف (ضرب الفضل) اي هو الفضل ويجوز فيه الاضافة (في قلته) وهو الذي اورده هنا (وضرب الفضل في كثرته) اورده في فصل ثان (وضرب تختلف الاحوال فيه) ذكره في فصل ثالث (فاما) اي ضرب (التمدح والكمال بقلته اتفاقا) اي بين العلماء والحكماء من العرب والعجم وغيرهم من العقلاء (وعلى كل حال) اي وفي قلته على كل حال باصل الخلقة او بحكم المجاهدة (وعادة وشريعة) اي عقلا ونقلا او عادة وعبادة (كالغذاء) بكسر المعجمة الاولى ما يتغذى به من الطعام والشراب وهو اعم من الغداء بفتح المعجمة والدال المهملة وهو ما يؤكل اول النهار كما ان العشاء بالفتح ما يؤكل بعد الزوال الى العشاء بالكسر فتجويز الدلجي ضبطه بالمعجمة والمهملة من المهمل الذي ليس في محله المستعمل وكذا قول الحجازي واما الغداء بفتح الغين المعجمة والدال المهملة فهو الطعام بعينه وهو خلاف العشاء انتهى مع ما فيه من التناقض بين قوله هو الطعام بعينه وبين قوله وهو خلاف العشاء (والنوم) اي وكالنوم (ولم تزل العلماء والعرب) اي من العقلاء

(والحكماء) اى منهم ومن غيرهم من القدماء (تمادح) اى تتفاخر (بقلتهما وتذم) اى وتتعايب (بكثرتهما) اوالتقدير تذم المتقيد بكثرتهما وفى نسخة و تذم كثرتهما (لان كثرة الاكل والشرب) بتثليث الشين والضم ثم الفتح اشهر واما الكسر ففى معنى النصيب اكثر (دليل على النهم) بفتحتين اى الافراط فى شهوة الطعام (والحرص) اى على جمع المال لنيل المنال اوعلى طول الحياة لحصول اللذات (والشره) بفتحتين اى غلبة الحرص وقيل هو ان يأكل نصيبه ويطمع فى نصيب غيره فهما مجروران عطفا على النهم بفتحتين للتفسير والتأكيد ثم قوله (وغلبة الشهوة) مبتدأ خبره قوله (مسبب) بكسر الباء و المسبب فى الحقيقة هو الله تعالى فكان الاولى ان يقول سبب اى امر موجب وباعث مجتلب (لمضار الدنيا والآخرة) و فى بعض النسخ ضبط الحرص و الشره وغلبة الشهوة كلها بالرفع فيكون مسبب خبرا ثانيا لان ويؤيده قوله (جالب) بلا عاطف وليس كما قال الدلجى عطف على دليل او مسبب ثم المعنى جاذب ومكسب (لادواء الجسد) جمع الداء بمعنى المرض (وخثارة النفس) بضم الخاء المعجمة اى ثقلها بلا طرب ونشاط (وامتلاء الدماغ) وهو اعلى الرأس من القحف اى من رطوبات ابخرة متصاعدة تورث استرخاء اعضائه الذى به النوم الذى يفوت خيرا كثيرا (وقلته) عطف على كثرة الاكل وهو اسم ان اوعلى محلها اى قليل من الاكل (دليل على القناعة) اى الرضى باليسير والتسليم للقسمة (وملك النفس) بكسر الميم اى وعلى قدرتها وحكمها على قمعها ومنعها من الميل الى الشهوات واتباعها (وقمع الشهوة) بالرفع مبتدأ خبره (مسبب للصحة) وجوز الدلجى جره عطفا على ماقبله فيكون مسبب خبرا ثانيا لقلته و هو بعيد لفظا ومعنى وجوز الحجازى رفع ملك النفس ايضا فتأمل والمراد من الصحة صحة الظاهر وهو الجسد من الآلام والاسقام لان التخمة اصل كل علة (وصفاء الخاطر) اى وسبب لخلوص الباطن من الكدورات المتولدة بانهماك النفس فى المستلذات (وحدة الذهن) اى لذكائه وهى شدة قوة للنفس معدة لاكتساب الآراء المستقيمة (كما ان كثرة النوم دليل على الفسولة) بضم الفاء والسين المهملة اى الرذالة وفتور النفس (والضعف) بالضم والفتح اى ضعف البنية (وعدم الذكاء والفطنة) اى وعلى عدمها وقوله (مسبب) خبر ثان لان اوعدم الذكاء مبتدأ خبره مسبب (للكسل) اى الملالة فى الطاعة (وعادة العجز) اى وتعود العجز عن القيام بالعبادة روى ان من خصائصه عليه الصلاة والسلام انه كان لايتثاءب ولايتمطى لانهما من عمل الشيطان (وتضييع العمر) بضمهما و يسكن الثانى (فى غير نفع) اى بلا منفعة حقيقة لان النفس اذا توجهت الى معرفة شئ ومزاولة عمل ولم تجد لها آلة تساعدها من صدق تخيل وصحة فكر وتأمل وجودة حفظ وتعقل لفقد اعتدال المزاج بسبب كثرة الاكل والنوم فترت همتها عن العلم والعمل واعتادت الكسل مع حصول عجز البدن عن وصول الامل واضاعت العمر فى غير نفع مدة الاجل (وقساوة القلب) اى وفى شدته وغلظته (وغفلته) اى اهماله وتركه عن تحصيل منفعته (وموته) اى وموت قلبه لان حياته بذكر ربه وفكر حبه (والشاهد على هذا) اى والدليل الظاهر على ماذكرناه من ان كثرة الاكل والنوم تورث ماقدمناه (مايعلم ضرورة) اى بديهة باوائل الفطرة من غير حاجة الى الفكرة كالعلم بجوع النفس وعطشها وقبضها وبسطها وكالعلم بان الواحد نصف الاثنين والاثنين اكثر من واحد ونصب ضرورة على التمييز (ويوجد مشاهدة) اى معاينة منا ومن غيرنا وهى منصوبة على المفعولية (وينقل) اى يروى الينا ممن سبق علينا (متواترا) اى نقلا متتابعا مرة بعد مرة وفى الاصطلاح خبر اقوام عن امر محسوس يستحيل عادة تواطؤهم على الكذب (من كلام الامم المتقدمة والحكماء السالفين) اى السابقة كقول الحارث بن كلدة افضل الدواء الازم يريد قلة الاكل والحمية وقول بعض الحكماء خصلتان يقسو بهما القلب كثرة الاكل وكثرة الكلام وقول داود لابنه سليمان عليهما السلام اياك وكثرة النوم فانه يفقرك اذا احتاج الناس الى اعمالهم (واشعار العرب واخبارها) ومن الاول قول الاعشى

(تكفيه حذة لحمان الم بها * من الشواء وتروى شربة الغمر)

ومن الثانى قول قيس بن ساعدة وقد قال قيصر ما افضل اكل قال ترك الاكثار منه قال فما افضل الحكمة قال معرفة الانسان قدره قال فما افضل العقل قال وقوف الانسان عند علمه (وصحيح الحديث) كما سيأتى (وآثار من سلف وخلف) اى من الصحابة والتابعين كما سيجئ (مما لايحتاج الى الاستشهاد عليه) اى لكونه مما لايخفى (وانما تركنا ذكره هنا اختصارا) اى فى اللفظ (واقتصارا) اى فى المعنى (على اشتهار العلم به) اى بناء واعتمادا على شهرته لكمال كثرته (وكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد اخذ من هذين الفنين) اى النوعين من الغذاء والنوم (بالاقل) اى بالحد الاقل الذى لايجوز التجاوز عنه ويجب الانتفاع به حفظا للبنية وقوة على الطاعة (هذا) اى هذا الحد الذى اخذه منهما واكتفى فيه عن طلب غيرهما (مالايدفع) بصيغة المجهول اى لاينكر ولايمنع (من سيرته) لكمال شهرته و كثرة نقلته (وهو الذى امر به) اى غيره (وحض عليه) اى من وافق سيره (لاسيما) مركبة من لا وسى وما وسى اسم بمنزلة

مثل وزنا ومعنى اى لا مثل ما ويكون ما زائدة او موصولة قال ثوابت من استعمله بلا واو بحقق الياء اخطأ وليس كما قال بل تحذف واوه وتخفف كقوله

(وبالعقود وبالايمان لا سيما ❊ عقد وفاء به من اعظم القرب)

كذا قرره الجزرى وفيه بحث لا يخفى (بارتباط احدهما بالآخر) اى خصوصا مع ملاحظة ارتباطهما وانعقادهما في تلازمهما من حيث ان النفس اذا شبعت تشوقت الى الراحة بالنوم وفترت عن العبادة فنام كثيرا فتحسر في حياته كثيرا ويندم عند موته كثيرا لفقد زاده ليوم معاده بدليل ما سياتي من الاخبار والآثار فمنها ما قال المصنف رحمه الله تعالى (حدثنا ابو على) اى ابن سكرة (الصدفى) بفتحتين (الحافظ) اى للكتاب والسنة (بقراءتى عليه) اى هذا الحديث دون املاء له وهذا بيان لاحد نوعى الاخذ ودليل على كمال الحفظ وقد سبقت ترجمته (حدثنا ابو الفضل) وهو احمد ابن خيرون وقد سبق ذكره (الاصبهانى) بفتح الهمزة وتكسر والفاء مفتوحة ويروى بالباء بدل الفاء واما الاصل فبوحدة بين الباء والفاء فلفظ فارسى قيل واهل المشرق يقولون بالفاء واهل المغرب بالباء وهى مدينة عظيمة من بلاد العجم من نواحى العراق ومن شرف اصبهان انها لا تخلو ابدا من ثلاثين رجلا يستجاب دعاؤهم لدعوة الخليل عليه السلام لما حل منهم نمرود ثلاثين للعرب فلما رأوا الخليل امنوا به فدعا لهم بذلك كذا ذكره التلمسانى (حدثنا ابو نعيم الحافظ) قال الحلبى هذا هو الحافظ الكبير محدث العصر ابو نعيم احمد بن عبد الله بن احمد بن اسحق بن موسى بن مهران الاصبهانى الصوفى الاحوال سبط الزاهد محمد بن يوسف البناء ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة وله مصنفات كثيرة (حدثنا سليمان بن احمد) هذا هو الامام الواسطى الحافظ الكبير الثبت مسند الدنيا ابو القاسم سليمان بن احمد بن ايوب بن مطير اللخمى الطبرانى الشامى ولد سنة ستين ومائتين واعتنى به ابوه ورحل به فى حداثته وسمع بعد ابن الثلاثين بالحرمين واليمن ومصر وبغداد والكوفة والبصرة واصبهان والجزيرة وغير ذلك وحدث عن اكثر من الف شيخ وصنف المعجم الكبير والمعجم الاوسط وهو كتاب جليل تعب عليه وكان يقول هو روحى والمعجم الصغير يذكر فيه عن كل شيخ حديثا وله مصنفات كثيرة مفيدة وعاش مائة سنة (حدثنا ابو بكر بن سهل) اى الدمياطى روى عن عبد الله بن يوسف وكاتب الليث وطائفة وعنه الطحاوى والطبرانى وجماعة توفى سنة تسع وثمانين (حدثنا عبد الله بن صالح) اى الجهنى كاتب الليث على امواله روى عن معاوية بن صالح وموسى بن على وطائفة وعنه البخارى وابن معين وخلق قال الفاضل الشعرانى ما رأيته الا يحدث او يسبح (حدثنى معاوية بن صالح) هو الحضرمى الحمصى قاضى الاندلس روى عن مكحول وغيره وعنه ابن وهب وابن مهدى وجمع (ان يحيى بن جابر) اى الطائى الشامى قاضى حمص (حدثه عن المقدام) بكسر الميم (ابن معدى كرب) بعدم الانصراف وقد ينصرف قال الحلبى فيه لغات رفع الباء ممنوعا والاضافة مصروفا وممنوعا انتهى ولا يخفى ان الرفع لا وجه له هنا (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه) ويروى من بطن لما فيه من الضرر والكبر وسائر الاوعية انما استعملت فيما هى له وهو انما خلق ليقوم به الصلب من الطعام فامتلاؤه يفضى الى فساد الدين والدنيا فيكون شرا منها فى مقام المرام (حسب ابن آدم) بسكون السين اى كافيه (اكلات) بضمتين وقد تفتح الكاف وتسكن ايضا على ما صرح به بعضهم جمع اكلة بالضم والسكون لما يجعل فى الفم من اللقمة وهو المراد ههنا وفى جمعها للقلة وهو لما دون العشرة ارشاد الى قلة عددها وفى رواية لقيمات اشارة الى قلة قدرها قال التلمسانى وكان ذلك عادة عمر رضى الله تعالى عنه يقتصر على سبع او تسع واما بفتحتين فهو جمع الاكلة بمعنى المرة من الاكل وتجويزه ههنا للدلجى ليس فى محله ويروى حسب المسلم وحسب المؤمن ورواية الترمذى بحسب ابن آدم اكلات (يقمن صلبه) بضم اوله اى يقوين ظهره بالضم وبالتحريك عظم من لدن الكاهل الى العجب كما فى القاموس فقول الدلجى تسمية للكل باسم جزئه اذ كل شئ من الظهر فيه فقار فهو صلب فيه بحث ثم خص الصلب لانه عمود البدن وفيه النخاع الساقى للبدن وهو اصله ولذا من قطع نخاعه مات وهو كناية عن انه لا يتجاوز ما يحفظه من ضعفه ويتقوى على طاعة ربه والاسناد فى الجملة مجازى لان الاقامة صفة الهيئة (فان كان لا محالة) بفتح الميم ويضم اى لا بد ولا حيلة ولا فراق من التجاوز عن الاقامة البتة (فثلث) بضمتين وتسكن اللام مبتدأ والتقدير ثلث منه (لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه) بفتح الفاء اى لتنفسه وبه يحصل نوع صفاء ورقة وكسر شهوة ورفع غفلة وسهولة مواظبة على الطاعة والعبادة والتخلص من القساوة والبلادة ومحافظة صحة البدن واعتدال المزاج غير المحتاج للمعالجة وقيل التقدير فان كان لا بد ان يملأ بطنه ولم يقنع بما فيه قوة فليملأ ثلث بطنه بالطعام وثلثه بالشراب ويترك ثلثه خاليا لخروج النفس ثم الاصول المعتمدة والنسخ المصححة بضمير الغائب وتوهم الدلجى وذكره بلفظ طعامك وشرابك ونفسك وعلل بانه التفات من الغيبة الى الخطاب والله تعالى اعلم بالصواب وتبع

عمر رضى الله تعالى عنه قول عنتره

(ولقد ابيت على الطوى واظله * حتى انال به كريم المأكل)

فقال ذاك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتأول كريم المأكل بالجنة ولقد صدق فى تأويله رضى الله تعالى عنه وروى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما وصف لى اعرابى قط فاحببت ان اراه الا عنترة ثم احسن ما قيل فى الحديث ان لا محالة عائد الى ضرورة الاكل وان الثلث فى حيز الاستحسان والاباحة وقيل المستحسن نصفه وهو السدس واقل منه شيئا وهو السبع لقوله فان كان لابد ولا محالة هذا وقيل لسهل بن عبد الله الرجل يأكل فى اليوم اكلة واحدة قال اكل الصديقين قيل فاكلتين قال اكل المؤمنين قيل فثلاثا قال قل لاهلك يبنوا لك معلفا وعن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا اراد ان يشترى غلاما وضع بين يديه تمرا فان اكل كثيرا قال ردوه فان كثرة الاكل من الشوم (ولان كثرة النوم من كثرة الاكل والشرب) اى انما تنشأ من اجل كثرتهما غالبا والافقد تكون من الضعف وغيره من العلل (قال سفيان الثورى) نسبة الى ابى قبيلة وهو احد الائمة الاعلام من علماء الانام روى عن ابن المنكدر وغيره وعنه الاوزاعى ومالك وشعبة وامثالهم واخرج له الائمة الستة قال ابن المبارك ما كتبت عن افضل منه ولا عبرة بمن تكلم فيه وفى امثاله اذ قل من لم يتكلم فى حقه (بقلة الطعام يملك سهر الليل) بصيغة المجهول (وقال بعض السلف لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا) اى فتندموا كثيرا لنقص العمر الذى هو انفس الجواهر كذا فى الاصول المعتمدة وقال الحنجانى زاد الغزالى فتخسروا كثيرا (وقد روى) اى عن جمع كابى يعلى وغيره (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان احب الطعام اليه ما كان على ضفف) بفتح المعجمة والفاء الاولى (اى كثرة الايدى) يعنى على الطعام وفيه حث على ان الاولى ان لا يأكل احد وحده لما فيه من الدلالة على كرم النفس والسخاوة والمساواة والسماحة وحصول الكفاية مع توقع البركة لما فى حديث مسلم طعام الواحد يكفى الاثنين وطعام الاثنين يكفى الاربعة وطعام الاربعة يكفى الثمانية حملا للاكل على الاكتفاء بنصف الشبع قال ابن راهوية عن جرير تأويله شبع الواحد قوت الاثنين وهلم جرا وقد فسر الضفف بعضهم بكثرة العيال وبعضهم بالضيق والشدة واستشهد فى المجمل بان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لم يشبع من خبز ولحم الا على ضفف اى على كثرة الايدى على الطعام وقال مالك بن دينار سألت رجلا من اهل البادية عن الضفف فقال هو التناول مع الناس وقيل هو ان يكون الاكلة اكثر من مقدار الطعام والجفف بالجيم وقيل بالحاء ان يكونوا بمقداره و يروى على شظف بالشين والظاء المعجمتين بمعنى الضيق والشدة (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها لم يمتلئ جوف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شبعا) بكسر ففتح ويسكن (قط) تقدم ضبطه قال الدلجى لم اعرف من رواه ولا يعارضه ما افهم شبعه فى الجملة كحديث مسلم عنها ما شبع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثة ايام تباعا من خبز بر حتى مضى لسبيله وفى رواية من خبز شعير يومين متواليين فان دلالة المفهوم ضعيفة فليست بحجة كما قاله ابو حنيفة ولان الامتلاء صفة زائدة على الشبع (وانه) بالفتح فيكون من جملة رواية عائشة رضى الله تعالى عنها او بالكسر على الاستئناف والضمير للشان اوله صلى الله تعالى عليه وسلم (كان فى اهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه) لعدم التفاته الى غير مولاه (ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه) و يجوز اسقوه (شرب) وهذا كان دأبه فى آدابه و غالب حاله فى سائر افعاله كما هو طريق الانبياء والاولياء فى مقام الفناء والبقاء والمصنف لما استشعر اعتراضا واردا على ظاهر الحديث من حيث العموم دفعه بقوله (ولا يعترض) بصيغة المجهول اى ولا يجوز لاحد ان يعترض (على هذا) اى قولها لا يسألهم طعاما (بحديث بريرة) بفتح فكسر اى بحديث وقع فى حق بريرة وهى مولاة لعائشة رضى الله تعالى عنها واختلف انها قبطية او حبشية (وقوله) اى فيما رواه الشيخان عنه (الم ار البرمة) بضم الباء وهى القدر من الحجارة اواعم (فيها لحم) بفتح فسكون ويفتح (اذ لعل سبب سؤاله ظنه صلى الله تعالى عليه وسلم اعتقادهم انه لا يحل له) اى واو بعد ان ملكته (فاراد بيان سنته) وهى انه اذا ملك المتصدق عليه الصدقة حل له اكلها هدية و يؤيد ظنه جهلهم حله له بعد ملكها اياه قوله (اذ رآهم لم يقدموه اليه مع علمه انهم لا يستأثرون) اى لا يختصون (عليه به فصدق عليهم ظنه) بتشديد الدال وتخفيفها كما قرئ به فى الآية والمعنى فصدق فى ظنه جهلهم ذلك فيكون من باب الحذف والايصال وجوز تعديته بنفسه كما فى صدق وعده على ما ورد وكقوله سبحانه وتعالى ولقد صدقكم الله وعده او وحقق ظنه او وجده صادقا فى جهلهم ذلك (وبين لهم ما جهلوه من امره بقوله هو لها صدقة ولنا هدية) اى ففيه مبادلة معنوية واختلاف من حيثية فان هذا اللحم باهدائها اياه له انتقل من حكم الصدقة الى حكم الهبة كما لو اشتراه منها غنى او ورثه عنها (وفى حكمة لقمان) روى انه كان عبدا حبشيا نجارا وقيل نوبيا فرزق العتق

وكان خياطا وقيل هو ابن اخت داود عليه السلام وقيل ابن خالته وقيل كان من اولاد آزر وعاش الف سنة وادرك داود واخذ منه العلم والاكثرون على انه كان وليا وذهب الاخرون الى انه كان نبيا وروى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انه عليه الصلاة والسلام قال لم يكن لقمان نبيا ولكن كان عبدا كثير التفكر حسن اليقين احب الله تعالى فاحبه من عليه بالحكمة وخيره فى ان يجعله خليفة يحكم بالحق فقال يارب ان خيرتنى قبلت العافية وان عزمت على فسمعا وطاعة فانك ستعصمنى (يابنى) وهو تصغير الشفقة ويجوز فتح يائه وكسرها كما قرئ بهما فى الآية (اذا امتلأت المعدة) اى طعاما وشرابا وهى بفتح فكسر ويجوز كسرهما واسكان عينها مع فتح الميم وكسرها على ماقاله الحلبى وفى القاموس المعدة ككلمة وبالكسر موضع الطعام قبل انحداره الى الامعاء وهو لنا بمنزلة الكرش لغيرنا (نامت الفكرة) اى غفلت اوماتت ويؤيده ماورد لاتميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب وقد قالت الصوفية فى قوله تعالى ان الله لايستحيى ان يضرب مثلا مابعوضة هذا مثل ضربه الله للاولياء ليفهموا الدنيا واهلها وذلك ان البعوضة تحيى اذا جاعت وتموت اذا شبعت وكذلك اهل الدنيا اذا امتلؤا من الدنيا وركنوا اليها اخذتهم واماتت قلبهم واهلكتهم (وخرست الحكمة) بكسر الراء اى سكنت وماظهرت وهى كمال النفس باقتباس العلوم العلمية واكتساب الحقائق العقلية ولذا قيل الحكمة اتقان العلم والعمل (وقعدت) وفى رواية وكلت (الاعضاء عن العبادة) اى فترت وثقلت منها وكسلت عنها بسبب مايعتريها من النوم المانع منها (وقال سحنون) بفتح السين وضمها قيل نون وهو مصروف وقيل ممنوع وهو ابوسعيد عبد السلام بن سعيد التنوخى الملقب بسحنون الفقيه المالكى قرأ على القاسم بن وهب واشهب ثم انتهت اليه الرياسة فى العلم بالمغرب وادرك مالكا ولم يقرأ عليه وصنف كتاب المدونة فى مذهب مالك وحصل له مالم يحصل لاحد من اصحاب مالك توفى سنة اربعين ومائتين وقال التلمسانى وعند القرافى ذوالنون وهو ابو الفيض المصرى العابد مات سنة خمس واربعين ومائتين فيمكن ان يكون احدهما راوياعن الآخر لانهما فى عصر واحد (لايصلح العلم) اى على الوجه الانفع (لمن يأكل حتى يشبع) قال التلمسانى وتمامه ولالمن يهتم بغسل ثيابه (وفى صحيح الحديث قوله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى كما رواه البخارى (اما انا فلا آكل متكئا والاتكاء) اى المراد منه ههنا (هو التمكن) على الوطاء (للاكل والتقعدد فى الجلوس له) اى كمال الاعتماد فى القعود والتقعدد المراد منه هو القعود (كالمتربع وشبهه) اى على اى هيئة (من تمكن الجلسات) بكسر الجيم جمع جلسة للهيئة (التى يعتمد فيها الجالس على ماتحته) اى من الاوطئة (والجالس على هذه الهيئة يستدعى الاكل) اى الكثير (ويستكثر منه) اى بشهوة نفس وشره طبع (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز) اى كجلوس المستوفز وهو اسم فاعل من استوفز فى قعدته انتصب فيها غير مطمئن اووضع ركبتيه ورفع اليتيه او استقل على رجليه ولم يستو قائما وقد تهيأ للوثوب كذا فى القاموس فقوله (مقعيا) حال مؤكدة فى بعض الوجوه اذالاقعاء ان يجلس على ركبتيه وهو الاحتمار والاستيفاز وقيل اى ملصقا مقعده بالارض ناصبا ساقيه وفخذيه ويضع على الارض يديه (ويقول) اى كما رواه البزار عن ابن عمر بسند ضعيف وابوبكر الشافعى فى فوائده من حديث البراء انه عليه الصلاة والسلام كان يقول (انما انا عبد) اى تواضعا منه وارشادا اليه (آكل كما يأكل العبد) لا كما يأكل الملوك والمترفين وزاد ابن سعد وابو يعلى بسند حسن عن عائشة رضى الله تعالى عنها مرفوعا (واجلس كما يجلس العبد) وزاد الديلمى وابن ابى شيبة وابن عدى واشرب كما يشرب العبد (وليس معنى الحديث فى الاتكاء الميل على شق عند المحققين) بل هو المعنى الاعم الشامل له ولغيره بخلاف مافهم العامة من ان الاتكاء منحصر فى الميل الى احد شقيه اوالاستناد الى ماوراءه ويهذا يجمع بين ماقاله المصنف ههنا وما ذكره فى الاكمال من ان الخطابى خالف فى هذا التأويل اكثر الناس وانهم انما حملوا الاتكاء على انه الميل على احد الجانبين ولذا انكره عليه ابن الجوزى وقال المراد به المائل على جنبه والله سبحانه وتعالى اعلم (وكذلك) اى ومثل كون اكله قليلا (نومه صلى الله تعالى عليه وسلم كان قليلا) اى ليصرف اوقاته النفيسة فى طاعته وعباداته الانيسة (شهدت بذلك الاثار الصحيحة) اى والاخبار الصريحة التى اغنت شهرتها عن ايراد كثرتها (ومع ذلك) اى مع كون نومه قليلا (فقد قال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ان عينى تنامان ولاينام قلبى) كما رواه الشيخان فنومه كلا يقظة ليعى الوحى اذا اوحى اليه فى المنام اذرؤيا الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحى بدليل قوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام انى ارى فى المنام انى اذبحك (وكان نومه على جانبه الايمن استظهارا) اى استعانة بذلك (على قلة النوم لانه على الجانب الايسر اهنأ) بفتح نون فهمز اى الذ واشهى ويروى اهدأ اى اسكن واوفق (لهدوء القلب) بالهمز ويسهل اى سكونه واطمئنانه (ومايتعلق به) اى ولهدوء مايتعلق به (من الاعضاء الباطنة حينئذ) اى حين اذ ينام على الايسر (لميلها الى الجانب الايسر فيستدعى) جزاء شرط محذوف

اى اذا كان النوم عليه اهنأ بسبب ماذكرنا فيستدعى (ذلك الاستثقال فيه) اى الاستغراق فى النوم ويروى الاستقلال ولعله بمعنى الاستبداد (والطول) اى وطول مدته (واذا نام النائم على الايمن تعلق القلب وقلق) بفتح قاف وكسر لام اى لم يستقر لم يطمئن (فاسرع) اى ذلك (الافاقة) اى من النوم وسهلت اليقظة (ولم يغمره) بضم الميم اى لم يستوعبه اولم يعله ولم يغلبه (الاستغراق) اى فى عالم النوم لوضع القلب مائلا طرفه الاسفل الى ايسر لتوفر الحرارة عليه فيعتدل الجسم اذا الحرارة كانها مائلة الى الايمن لوضع الكبد فيه ثم هذا التعليل فى بيان حكمة نومه على الجانب الايمن دون الايسر لاينافى ماثبت فى الحديث الصحيح انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يحب التيامن فى امره كله ولما فى التيامن من اليمن لفظا ومعنى ولثناء الله سبحانه وتعالى على اهل اليمين واعطاه كتبهم بايمانهم ونحو ذلك (فصل والضرب الثانى) اى مما تدعو ضرورة الحياة اليه فهو (ما يتفق التمدح بكثرته والفخر بوفوره) اى الافتخار بزيادته مما حاز منه المصطفى الحظ الاوفى وفاز بانصب الاصفى (كالنكاح والجاه) اى المحسودين (اما النكاح فمتفق فيه) اى فمجمع عليه (شرعا) اى من جهة شرايع الانبياء كافة (وعادة) اى للعقلاء والحكماء عامة (فانه) اى النكاح مع ذلك (دليل الكمال) اى فى خلقة الرجال خصوصا مع قلة الاكل (وصحة الذكورية) بالرفع والجر كالتفسير لماقبله (ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة) اى بحيث ان انكاره مكابرة (والتمادح به سيرة عادية) بتشديد الياء اى طريقة قديمة لاحادثة (واما فى الشرع) اى واما التفاخر بكثرته والتمادح به فى الشريعة (فسنة مأثورة) اى مروية منقولة كثيرة (وقد قال ابن عباس) كما رواه البخارى (افضل هذه الامة) اى اكمل افرادها شأ (اكثرها نساء) حيث ابيح له تسع منهن (مشيرا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم) وقد تزوج عليه الصلاة والسلام احدى عشرة توفى قبله اثنتان خديجة وزينب والباقيات بعده (وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم) كما ذكره ابن مردويه فى تفسيره عن ابن عمر مرفوعا (تناكحوا) زيد فى نسخة تناسلوا (فانى مباه بكم) اسم فاعل من المباهاة اى مفاخر بكثرتكم (الامم) اى السالفة يوم القيامة كما فى نسخة ولفظ الطبرانى فى الاوسط تزوجوا الولود فانه مكاثر بكم الامم وفى رواية ابى داود والنسائى وابن ماجه فانا مكاثر بكم الامم (ونهى) كما رواه الشيخان (عن التبتل) قال اليمنى فى حاشيته التبتل الانقطاع عن الدنيا ومنه قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا انتهى وعدم صحته فى المقام لايخفى فالصواب ان المراد بالتبتل هنا هو انقطاع الرجل عن النساء وعكسه فانه من شريعة النصارى وطريقة الرهابين وهذا لاينافى قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا اذ معناه انقطع عن تعلق القلب بالخلق الى التوجه بالحق انقطاعا خاصا يعبر عنه بكائن بائن وقريب غريب وعرشى وفرشى على اختلاف عبارات الصوفية نظرا الى الاعمال الصادرة من الاحوال الباطنة والظاهرة (مع مافيه) اى فى النكاح من فوائد كثيرة كما بينه بقوله (من قمع الشهوة) اى دفعها للرجل والمرأة (وغض البصر) اى خفضه وغمضه لهما (اللذين نبه عليهما صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله) اى فيما رواه الطبرانى (من كان ذا طول) بفتح الطاء اى قدرة وسعة على المهر والنفقة ولفظ الشيخين من استطاع منكم الباءة (فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج) اى امنع واحفظ له وهو مقتبس من قوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن وباقى الحديث ومن لا فالصوم له وجاء على مارواه النسائى (حتى لم يره العلماء) اى من الاولياء مع كونه من قضاء الشهوة (مما يقدح فى الزهد) اى فى هذه الدنيا وشهواتها ومستلذاتها وكان شيخنا المرحوم على المتقى يقول كل شهوة تظلم القلب الا النكاح فانه ينوره ويصفيه (وقال سهل بن عبدالله) اى التسترى وهو من اجل الزهاد واكمل العباد (قد حببن) بصيغة المجهول من التحبيب اى جعلت النساء محبوبة (الى سيد المرسلين فكيف يزهد فيهن) بصيغة المجهول اى فكيف يجوز ويتصور الزهد فى حقهن والميل عنهن (ونحوه لابن عيينة) وهو من علماء السنة روى عنه احمد وخلق قال ابونعيم ادرك ابوسفيان ستة وثلاثين من اعلام التابعين وقد قال سفيان الثورى ايضا ليس فى النساء سرف والله انى لمشتاق الى العرس (وقد كان زهاد الصحابة) كعلى وابنه الحسن وابن عمر (كثيرى الزوجات والسرارى) بتشديد الياء وتخفف جمع سرية وكل ما كان مفرده مشددا جاز فى جمعه التشديد والتخفيف كذا قال بعضهم قال الجوهرى وهى الامة التى بوأتها بيتا وهى فعلية منسوبة الى السر وهو الجماع اوالاخفاء لان الانسان كثيرا مايسرها ويسترها عن حرمه وانما ضمت سينه لان الابنية قد تغير فى النسبة خاصة كما قالوا فى النسبة الى الدهر دهرى والى الارض السهلة سهلى وكان اخفش يقول انها مشتقة من السرور لانه يسر بها ويقال تسررت جارية وتسريت ايضا كما قالوا تظننت وتظنيت انتهى (كثيرى النكاح) اى الجماع ويبعد ان يراد به العقد لانه علم فى ضمن ماتقدم واعاد لفظ الكثير اهتماما بالقضية قال عمر رضى الله تعالى عنه انى اتزوج

المرأة ومالي فيهامن ارب واطؤها ومالي فيها من شهوة فقيل له في ذلك فقال حتى يخرج مني من يكاثر به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (وحكى في ذلك عن علي) بن ابي طالب روى انه نكح بعد وفاة فاطمة رضي الله تعالى عنها بسبع ليال فكان لعلي اربع نسوة وتسع عشرة وليدة غير من مات اوطلقن (والحسن) اى وعن الحسن الظاهر انه ابن علي كرم الله تعالى وجهه ويحتمل الحسن البصري بناء على قاعدة المحدثين من انه المراد عند الاطلاق لكنه يبعد هنا لتقدمه على قوله (وابن عمر) وكان من زهاد الصحابة وعلمائهم وانه كان يفطر من الصوم على الجماع قبل الاكل وروى انه جامع ثلاثا من جواريه في شهر رمضان قبل العشاء الاخيرة (وغيرهم) اى وعن غيرهم (غير شيء) اى شيء كثير فكان الحسن بن علي اشد الناس حبا للنساء قيل انه ارخى ستره عن مائتي حرة لانه كان مطلاقا وكان ربما عقد على اربع في عقد واحد ولما خطب بنت المسيب الفزاري وخطبها اخوه الحسين وابن عمهما عبد الله بن جعفر شاورها اباها فقال لها اما الحسن فمطلاق والحسين شديد الخلق ولكن عليك بابن جعفر فزوجها له (وقد كره غير واحد) اى من العلماء (ان يلقى الله عزبا) بفتح الزاى قيل ويسكن من لا اهل له كذا قيل وهو من العزب بمعنى البعد ومنه قوله تعالى لا يعزب عنه مثقال ذرة فالعزب هو البعيد عن النساء وكانه اراد ان يلقاه كاملا بجميع ما يرضاه ولذا قيل في تفسير قوله تعالى ولا تموتن الا وانتم مسلمون اى متزوجون لان من كمال الاسلام القيام بسنته عليه الصلاة والسلام وهذه الكراهة رويت عن ابن مسعود وماتت امرأتان لمعاذ بن جبل في الطاعون وكان هو ايضا مطعونا فقال زوجوني فاني اكره ان القى الله عزبا (فان قيل) وفي نسخة صحيحة فان قلت (كيف يكون النكاح) اى اصله (وكثرته من الفضائل) اى التي اجمع عليها في كل شريعة (وهذا يحيى بن زكريا) عليهما الصلاة والسلام (قد اثنى الله تعالى عليه انه كان حصورا) اى ممنوعا من النساء بالعجز عنهن اولعدم الالتفات اليهن (فكيف يثني الله عليه بالعجز) اوعدم الميل (عما يعد فضيلة) اى شرعا وعادة (وهذا عيسى) اى ابن مريم كما في نسخة (عليه الصلاة والسلام قد تبتل من النساء) اى انقطع عنهن ولم يمل اليهن وابعد الدلجي في قوله منقطعا الى ربه ومنه وتبتل اليه تبتيلا اى انفرد له بالطاعة ووجه بعده لا يخفى على ارباب الصفاء مع ما تقدم في كلامنا اليه من الايماء (ولو كان) اى النكاح (فضيلة) كما قررته (لنكح) اى لتزوج كل منهما (فاعلم ان ثناء الله تعالى على يحيى عليه الصلاة والسلام بانه كان حصورا ليس كما قال بعضهم انه كان هيوبا) فعول من الهيبة اى جبانا عن النكاح وخائفا من النساء وفي الحديث الايمان هيوب اى صاحبه يهاب الذنب فيتقيه (اولا ذكر له) وفي رواية معه اى لا همة له فيه (بل قد انكر هذا) اى ما ذكر من القولين (حذاق المفسرين) اى مهرتهم (ونقاد العلماء) اى محققوهم (وقالوا هذه نقيصة وعيب) اى لا يوجب الثناء (ولا تليق بالانبياء) اى لا تضاف اليهم (وانما معناه) اى معنى كونه حصورا (انه كان معصوما من الذنوب اى لا يأتيها كانه حصر عنها) بصيغة المجهول اى حبس ومنع وحفظ وعصم منها وهذا بناء على انه فعول بمعنى مفعول (وقيل مانعا نفسه من الشهوات) اى المستلذات من المباحات لا من المستحبات فهو بمعنى فاعل (وقيل ليست له شهوة في النساء) اى شهوة كثيرة اومطلقا لكنه يباشر هذه الخصلة لما فيها من الفضيلة كما سبق عن عمر رضي الله تعالى عنه واحسن الاجوبة اوسطها واما تقييد الدلجي بانه الذي لا يقرب النساء مع القدرة فلا وجه له في هذه الحالة التي تعوزه الفضيلة هذا وقد ذكر الماساني ان عيسى عليه الصلاة والسلام يتزوج في آخر الزمان بعد نزوله وقتله الدجال امرأة من جهينة ويولد له ولد ذكر ويتوفى عيسى عليه الصلاة والسلام ويدفن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينه وبين ابي بكر واما يحيى فانه لم يمت حتى ملك بضع امرأة لكنه لم يبن عليها ففعله هذا انما كان لنيل الفضيلة واقامة السنة وقيل لغض البصر ودفع الفتنة (فقد بان لك من هذا) اى الذي ذكرناه (ان عدم القدرة على النكاح نقص) اى للكمل (وانما الفضل في كونها) اى القدرة (موجودة) اى قائمة بمحلها ثابتة (ثم قمعها) قال الدلجي مبتدأ والظاهر انه مجرور عطفا على كونها اى ثم الفضل في قمع القدرة عن النكاح مخالفة للشهوة (اما بمجاهدة) اى برياضة نفسانية (كعيسى عليه الصلاة والسلام او بكفاية من الله) اى لهذه المؤنة بالعصمة من غير الحاجة الى المجاهدة (كيحيى عليه الصلاة والسلام فضيلة زائدة) بالنصب على التمييز من قوله موجودة وجعله الدلجي خبر المبتدأ بناء على اعرابه في رفع قمعها فاحتاج الى ان يقول زائدة على فضيلة القدرة على قمعها وكان حقه ان يقول مع عدم قمعها والظاهر ان المصنف اراد ان القوة مع القدرة على قمعها فضيلة زائدة لا خصلة راتبة كما عبر الفقهاء بالسنن الزوائد والرواتب ولا شك ان الزوائد قد تترك لبعض العوارض الموجبة لكون تركها حينئذ افضل من فعلها بالنسبة الى بعض الاشخاص والاحوال واوقاتها فهذه الفضيلة زائدة قد تترك (لكونها شاغلة) وفي رواية مشغلة بضم الميم وكسر الغين اوبفتحهما (في كثير من الاوقات) اى عن الطاعات التي تورث الدرجات العاليات

في روضات الجنات (حاطة) بتشديد الطاء اى واضعة منزلة عن علو الحالات لكونها مرغبة ومميلة وجارة (الى الدنيا) اى محبتها او جمعها والاشتغال بها لحصول تلك الفضيلة الزائدة والحاصل ان كل فضيلة لها مضار ومنافع كالنكاح والتبتل والعزلة والخلطة والغنى والفقر فينظر الى زيادة المنفعة وقلة المضرة بالنسبة الى طالبها وصاحبها فيحكم بمقتضاه ولايجوز الاطلاق فيما استقناه ولذا قال المصنف (ثم هي) اى الفضيلة الزائدة (في حق من اقدر عليها) بصيغة المجهول من الاقدار اى من اعطى له الاقتدار عليها (وملكها) بان لم يتزلزل فيها وهو بفتح الميم واللام وقال التلمسانى هو بضم الميم وكسر اللام مشددة على طبق اقدر قلت والاول اولى واظهر ويؤيده قوله (وقام بالواجب فيها ولم تشغله) بفتح اوله وثالثه وفى لغة بضم اوله وكسر ثالثه اى لم تمنعه (عن ربه) اى طاعته وحضوره (درجة عليا) بالرفع اى مرتبة قصوى وهى مضبوطة فى النسخ المعتبرة بضم العين مقصورا ووسط محش بفتح العين والمد (وهى درجة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الذى لم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه) اى طاعته وحضوره او وصوله الى مقام جمع الجمع فى كمال حصوله وهو ان لاتحجبه الكثرة عن الوحدة ولا تمنعه الوحدة عن الكثرة فكل من له حظ فى هذا المقام بمتابعته عليه الصلاة والسلام وله مؤنة القيام فتحصيل هذه الفضيلة الزائدة له من كمال المرام دون من لم يصل الى هذه المرتبة فان عليه ترك هذه الزيادة والاشتغال بالامور المهمة والفضائل المؤكدة (بل زاده ذلك) اى ماذكر من كثرتهن (عبادة لتحصينهن) اى لتحصينه اياهن (وقيامه بحقوقهن) اى من امر المعيشة وحسن العشرة (واكتسابه لهن) اى ما يتعلق بهن من آدابهن (وهدايته اياهن) اى بالعلوم الدينية لاسيما مايجب عليهن (بل صرح انها) اى كثرتهن (ليست من حظوظ دنيا) اى التى تغيبه عن خطور مولاه (هو) اى بخصوصه (وان كانت من حظوظ دنيا غيره) اى دائما او فى بعض الاوقات لارباب الحالات (فقال) اى كما رواه الحاكم والنسائى (حبب الىّ من دنياكم) تمامه النساء والطيب وقرة عينى فى الصلاة وليس زيادة ثلاث فى صحيح الروايات وانما اضاف الدنيا اليهم اشارة الى تبرئه عنها وتقاله منها وعدم مبالاته بها والتفاته اليها لقلة شأنها وكثرة عنائها وسرعة فنائها وخسة شركائها واورد الفعل بصيغة المجهول ايماء بان حبه لها لم يكن الا لما خلق فى جبلته وميل طبيعته وانه كالمجبور عليه فى محبته واما قول الدلجى تلويحا بان حبه لها لم يكن من جبلته فهو خلاف موضوع الصيغة كما لايخفى على ارباب الصنعة (فدل) اى هذا الحديث على (ان حبه لما ذكر) اى بنفسه (من النساء والطيب الذين هما) كما فى نسخة التى هى (من امر) وفى نسخة من امور (دنيا غيره) اى فى الاصالة بحسب العادة (واستعماله لذلك) اى وان استعماله لما ذكر من النساء والطيب وفى رواية واشتغاله بذلك (ليس لدنياه) اى لمجرد حظها (بل لآخرته) اى قصد مثوبته ورفع درجته (للفوائد التى ذكرناها فى التزويج وللقاء الملائكة فى الطيب) اى لمحبتهم اياه (ولانه) اى الطيب (ايضا مما يحض) اى يحث ويحرض (على الجماع ويعين عليه) اى على ذاته او كثرته (ويحرك اسبابه) اى مقدماته كالقبلة والشهوة (وكان حبه لها تين الخصلتين) اى مباشرة النساء والطيب (لاجل غيره) كمباهاته بالكثرة مثوبا ولقائه الملائكة والنساء مطيبا (وقمع شهوته) اى ولاجل قمعها بمنع الخواطر الردية ودفع الوساوس النفسية ولو كان قادرا على قمعها بمجاهدة رياضية او بكفاية الهية فان هذه السيرة اعلى المراتب البهية واولى بقواعد الملة السمحاء الحنيفية ولما كان هذا الحب جعليا وعارضيا كسائر محبة الاشياء مما سوى الله تعالى من حيث انها لاتحب الا ابتغاء المرضاة قال المصنف (وكان حبه الحقيقى المختص بذاته) اى بذات الله (فى مشاهدة جبروت مولاه) اى عظموت قدرته ومطالعة ملكوت عظمته (ومناجاته) اى فى مقام حضور حضرته تغيبه عن الشعور بذاته المعبر عنه بمقام الفناء والبقاء والمحو والصحو (ولذلك ميز بين الحبين) اى غيريا وذاتيا (وفصل بين الحالين) اى فرق بين المقامين الجليلين بالجملتين من الفعلية والاسمية المشير بالاولى الى الحالة الجعلية العارضية وبالثانية الى المستمرة الذاتية كما فى الرواية المشهورة بلفظ وقرة عينى فى الصلاة واما ماذكره المصنف بقوله (فقال وجعلت قرة عينى فى الصلاة) ففيه اشارة لتعبيره بالقرة الى هذه المحبة ايماء الى زيادة هذه المودة وقال الدلجى بين الحالين اى محبة ومناجاة وكانه قصد بهذا ان المراد بقرة عينى فى الصلاة الصلاة التى هى معراج المؤمن ومناجاة الموقن خلافا لمن قال المراد بها الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم والله اعلم (فقد ساوى) اى المصطفى (يحيى وعيسى فى كفاية فتنتهن وزاد) اى عليهما (فضيلة) اى كاملة (بالقيام بهن) مع انه لم يشغله ذلك عن قيامه بحقوق مولاه لاجلهن فهذا الحال اكمل لمن قدر عليهن (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم ممن اقدر على القوة) بصيغة المفعول من الاقدار اى ممن اعطى القدرة على قوة الشهوة بكثرة الجماع (فى هذا) اى الامر الذى حبب اليه مما يتعلق بدنياه وخدمة مولاه (واعطى الكثير منه) اى الحد الكثير الزائد على العادة من امر الجماع وقوة الباءة (ولهذا ابيح له من عدد الحرائر) وهو التسع (ما لم يبح لغيره) اى من هذه الامة وهو الزائد

على الادبار (وقد روينا) بفتح الراء والواو مخففة و بضم الراء وكسر الواو مشددة ولا يبعد ان يكون بضم الراء وكسر الواو المخففة على الحذف والايصال اى روى لنا (عن انس) كما فى البخارى والنسائى (انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يدور على نسائه) اى يجامعهن (فى الساعة) اى الواحدة والمراد بها الزمن القليل لا الساعة النجومية (من الليل) اى مرة (والنهار) اى تارة (وهن) اى مجموعهن (احدى عشرة) بسكون الشين وتكسر والمعنى منهن تسع زوجات ومارية وريحانة على ما فى رواية ومن تسع (قال انس وكنا) اى معشر الصحابة (نتحدث) اى فيما اختص به صاحب النبوة من القدرة والقوة (انه اعطى قوة ثلاثين رجلا) اى فى الجماع (خرجه النسائى) اى ذكره فى سننه وهو هكذا فى صحيح البخارى فى كتاب الغسل هذا وليس احد من اصحاب الكتب الستة توفى بعد الثلثمائة الا النسائى فانه توفى فى سنة ثلاث وثلاثمائة (وروى) بصيغة المجهول (نحوه عن ابى رافع) وهو مولى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقد اخرج الترمذى وابن ماجه فى الطهارة والنسائى فى عشرة النساء عنه انه عليه الصلاة والسلام طاف على نسائه يغتسل عند هذه وعند هذه الحديث (وعن طاوس) وهو ابن كيسان اليمانى من ابناء الفرس يقرأ بوا وبلا قيل واسمه ذكوان قال ابن معين لقب بذلك لانه كان طاوس القراء روى عن ابى هريرة وابن عباس وعائشة رضى الله تعالى عنهم وتوفى بمكة سنة ست ومائة (اعطى عليه الصلاة والسلام قوة اربعين رجلا فى الجماع و مثله عن صفوان بن سليم) بالتصغير امام كبير قدوة ممن يستشفى بحديثه وينزل القطر من السماء بذكره ويقال لم يضع جنبه على الارض اربعين سنة وانه مات وهو ساجد ويقال ان جبهته نقبت من كثرة السجود روى عن ابن عمر وغيره وعنه مالك وطبقته وفى الحلية لابى نعيم عن مجاهد قوة اربعين رجلا كل رجل من رجال اهل الجنة وروى الترمذى ان رجال اهل الجنة قوة كل رجل منهم قوة سبعين رجلا وصححه وروى بقوة مائة رجل وقال صحيح غريب قلت فعلى هذا كان صابرا عنهن غاية الصبر لكثرة الاشتغال اه ثم اعلم ان قوله طاوس الى آخر ما ههنا زيادة على ما فى بعض النسخ المصححة والاصول المعتمدة (وقالت سلمى) بفتح السين المهملة والميم مقصورا (مولاته) وخادمته صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل هى مولاة صفية عمته وهى زوج ابى رافع ودابة فاطمة الزهرا وقابلة ابراهيم بن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفى الصحابيات من اسمها سلمى غير هذه خمس عشرة وقد روى ابن سعد وابو داود عنها عن زوجها ابى رافع عن رافع ولده منها (طاف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة) اى دار (على نسائه التسع) وهو كناية عن جماعهن (وتطهر من كل واحدة) اى اغتسل من اجل قربان كل واحدة (قبل ان يأتى الاخرى وقال هذا) اى التفريق بالغسل (اطهر) اى انظف (واطيب) اى الذ وانشط وفى رواية احمد ازكى واطيب فالمراد بازكى انمى واقوى وقيل الطهارة للظاهر والطيب والتزكية للباطن اى لزيادة الصفاء والضياء لان او لاهما لازالة الاخلاق الدنية واخراهما للتحلى بالشيم الحميدة كما ذكره الدلجى فانه لا يناسب بالنسبة الى الشمائل المصطفوية فانها منزهة عن الاخلاق الردية ومتحلية على الدوام بالشيم الرضية البهية السنية (وقد قال سليمان عليه الصلاة والسلام) على ما رواه الشيخان (لاطوفن الليلة) من الطواف بمعنى الدوران وكذا الاطافة ومن ثمة ورد فى رواية لاطيفن الليلة (على مائة امرأة او تسع وتسعين) على الشك من الراوى وفى رواية على ستين وفى اخرى على تسعين ولمسلم على سبعين امرأة كلهن تأتى بغلام يقاتل فى سبيل الله فقال له صاحبه او الملك قل ان شاء الله فلم يقل ونسى فلم تأت واحدة منهن الا واحدة جاءت بشق غلام فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو قال ان شاء الله لم يحنث اى لم يفته مقصوده وكان ادرك حاجته فيما قصده (وانه فعل ذلك) فدل ذلك على كمال قوته ولا تعارض بين هذه الروايات اذ ليس فى اثبات قليلها نفى لكثيرها ومفهوم العدد ليس بحجة عند جمهور ارباب الاصول مع احتمال تعدد الواقعات والله اعلم بالحالات (قال ابن عباس) كما رواه ابن جرير فى تفسيره عنه موقوفا (كان فى ظهر سليمان ماء مائة رجل وكان له ثلاثمائة امرأة وثلاثمائة سرية وحكى النقاش) وفى نسخة وغيره كذا رواه الحاكم عن محمد بن كعب بلغنى انه (كان له سبعمائة امرأة وثلاثمائة سرية) وفى المستدرك للحاكم فى ترجمة عيسى ابن مريم ان سليمان كان له تسعمائة سرية (وقد كان لداود عليه الصلاة والسلام على زهده) اى مع كمال زهده وتورعه المفاد من قوله (واكله من عمل يده) ويروى من كد يده (تسع وتسعون امرأة) هذا هو الصواب وفى اصل التلمسانى تسعة وتسعون وفى الكشاف كان لداود ايضا ثلاثمائة سرية (وتمت بزوج اوريا) بضم همزة وقيل بفتحها فواو ساكنة وراء مكسورة وتحتية ممدودا اى بزوجته (مائة) بالرفع على انها فاعل تمت اى من النساء بتزوجه اياها بعد نزول اوريا له عنها بسؤاله على ما كان من عادتهم فى زمانه او بعد ما مات عنها زوجها ثم رآها نظرة واحب جمالها فتنة وطلب ربه مغفرة واناب اليه معذرة هذا وقيل انها ام سليمان عليه الصلاة والسلام (وقد نبه) اى الله سبحانه وتعالى (على ذلك) اى على ما ذكر من العدد (فى الكتاب العزيز بقوله تعالى) اى حكاية عن لسان

احد الملكين اللذين اتياه فى صورة الخصمين (ان هذا اخى) اى فى الدين (له تسع وتسعون نعجة) وهى الانثى من الضأن وقعت ههنا كناية عن المرأة فان الكناية ابلغ من الصراحة من حيث التأثير مع ما فيه من مراعاة الادب فى التعبير لاسيما وهو فى مقام التعيير (وفى حديث انس) بسند جيد للطبرانى (عنه عليه الصلاة والسلام فضلت على الناس باربع) اى من الخصال (بالسخاء) اى الكرم والجود مع الاحباء (والشجاعة) بالنسبة الى الاعداء (وكثرة الجماع) اى للنساء (وقوة البطش) اى الاخذ حال العطاء واما تفسيره بالاخذ الشديد بقوة كما ذكره بعضهم فلا يخفى انه لا يناسب المقام فانه حينئذ من جزئيات الشجاعة لا خصلة مستقلة من الاربع (واما الجاه) اى الذى يتوسل به الى مساعدة الضعفاء (فمحمود عند العقلاء) من الحكماء والعلماء (عادة) اى مستمرة لكنها مقيدة بما اذا كانت على وفق الشريعة حتى تكون معتبرة (وبقدر جاهه) اى جاه الشخص فى العيون (عظمه) بكسر ففتح فضمير اى عظمته (فى القلوب) اى قلوب الخلق او بقدر جاهه صلى الله تعالى عليه وسلم عند الحق كان عظمته فى قلوب الخلق ويدل عليه انه عليه الصلاة والسلام اخذ من ابى جهل للاراشى ثمن ابله التى اشتراها ابوجهل منه ومطله فقالت قريش لابى جهل ما رأينا مثل ما صنعت من انقيادك لامر محمد مع فرط اذاك له وعداوتك اياه فقال ويحكم ما هو الا ان ضرب بابى وسمعت صوته فملئت رعبا (وقد قال تعالى فى صفة عيسى عليه الصلاة والسلام وجيها) اى ذا جاه ووجاهة عظيمة (فى الدنيا والآخرة) اى عند اهلهما وفى الدنيا بالرسالة وفى العقبى بالشفاعة (لكن آفاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس) وفى رواية ببعض الناس (لعقبى الآخرة) اى فى الآخرة التى هى عقبى كما قال تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين (فلذلك) اى فلكون الجاه مضرا ببعضهم (ذمه من ذمه ومدح ضده) من الخمول وعدم الاعتبار فيما بين الخلق (وورد فى الشرع مدح الخمول) وهو بضم الخاء المعجمة ضد الشهرة كما ورد فى حديث رب اشعث اغبر ذى طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره وفى الحديث ان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم يعرفوا (وذم العلو فى الارض) اى وورد فى الشرع ذم الجاه والشهرة كما فى الحديث ما ذئبان جايعان ارسلا فى غنم بافسد لها من حب المال والجاه لدين المؤمن وفى رواية من حب الشرف والمال والحاصل ان الجاه والمال مضران لارباب الكمال الجامعين بين العلم والعمل والحال (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم قد رزق من الحشمة) اى الوقار والهيبة (والمكانة) اى التمكن فى مرتبة الجلالة (فى القلوب والعظمة) اى الاجلال والمهابة فى العيون (قبل النبوة عند الجاهلية) كما مر عن ابى جهل فى تلك القضية وما روى عنه ايضا انه ساوم رجلا من بنى زبيد ثلاثة ابعرة هى خيرة ابله ثلث ثمنها فامتنع الناس من الزيادة لاجله فاخبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فزاده حتى رضى فاشتراها منه ثم باع منها بعيرين بالثمن ثم باع الثالث واعطى ثمنه ارامل بنى عبد المطلب وابوجهل مخزى ينظره ولا يتكلم ثم قال له صلى الله تعالى عليه وسلم اياك ان تعود لمثل ما صنعت بهذا الاعرابى فترى منى ما تكره فقال لا اعود يا محمد فقال له امية بن خلف ذللت فى يد محمد فقال ان الذى رأيتم منى لما رأيت معه رجالا عن يمينه ويساره يشيرون برماحهم الى لو خالفته لكانت اياها اى لاهلكونى (وبعدها) اى ورزق الجاه بعد النبوة عندهم (وهم يكذبونه) بالتشديد والتخفيف اى والحال ان اهل الجاهلية ينسبونه الى الكذب ويؤذون اصحابه ويقصدون اذاه (فى نفسه خفية) بضم الخاء وكسرها وسكون الفاء اى مخفيا لما تمكن من هيبته فى صدورهم وعظمته فى قلوبهم (حتى اذا واجههم) اى قابلهم علانية (عظموا امره) اى حشموا قدره (وقضوا حاجته) اى مقصده اليهم فى سيره وهذا باعتبار غالب معاملاتهم معه فلا ينافى ما وقع من وضع ابى جهل سلا الجزور على ظهره وهو ساجد فى الحجر (واخباره فى ذلك معروفة سيأتى بعضها) اى فى محله ان شاء الله سبحانه وتعالى (وقد كان يبهت) على صيغة المجهول صورة مع ذكر فاعله كما فى قوله تعالى فبهت الذى كفر من البهت وهو الحيرة وفعله كعلم ونصر وكرم وعنى وهو افصح فيجوز بناؤه على الفاعل ايضا اى يدهش ويتحير (ويفرق) بفتح الياء والراء اى يخاف ويفزع (لرؤيته) وفى نسخة من رؤيته (من لم يره) لما القى عليه من الهيبة والعظمة فى قلوبهم (كما روى عن قيلة) بفتح قاف فسكون تحتيه وهى بنت مخرمة العنبرية وقيل الكندية وقيل التميمية (انها لما رأته ارعدت) بصيغة المجهول اى اخذتها الرعدة بكسر الراء وهى اضطراب المفاصل خوفا والمعنى انها ارتعدت (من الفرق) بفتحتين وهو الخوف ورواية ابى داود والترمذى فى الشمائل عن عبد الله بن حسان عن جدته عنها انها رأته فى المسجد وهو قاعد القرفصاء قالت فلما رأيته المتخشع فى الجلسة ارتعدت من الفرق وزاد ابن سعد (فقال يا مسكينة عليك السكينة) بالنصب اى الزمى الطمانينة وفى رواية بالرفع اى السكينة لازمة عليك ولم يثبت هنا ما ثبت فى بعض النسخ انا ابن امرأة تأكل القديد وذلك غير صحيح على ما ذكره التلمسانى والمسكينة بكسر الميم والسكينة بفتح السين

مخففة هو الفصيح (وفي حديث ابي مسعود) اي عقبة بن عمرو الانصاري كما رواه البيهقي عن قيس عنه مرسلا وقال هو المحفوظ ورواه الحاكم وصححه (ان رجلا قام بين يديه) اي قدامه صلى الله تعالى عليه وسلم (فارعد فقال له هون) اي سهل امرك (عليك فاني لست بملك) بكسر اللام قبل وتسكن اي بسلطان من سلاطين الظلمة حتى تفزع مني (الحديث) اي الخ ولم يذكره لطوله (فاما عظيم قدره بالنبوة) وهي اخذ الفيض من الحق (وشريف منزلته بالرسالة) وهي ايصال الفيض الى الخلق (وانافة رتبته) بكسر الهمزة وبالفاء وفي نسخة بالباء والنون اي رفعة رتبته وزيادتها او ظهورها (بالاصطفاء) اي على سائر الانبياء (والكرامة في الدنيا) اي بانواع المعجزة منها الاسراء ومقام دنا فتدلى ووصوله الى سدرة المنتهى (فامر هو مبلغ النهاية) من اثر العناية ليس فوقه غاية (ثم هو في الآخرة سيد ولد آدم) كما في حديث البخاري انا سيد ولد آدم ولا فخر والمراد انه سيد هذا الجنس وهو نوع البشر الذي هو افضل انواع المخلوقات بدليل حديث البخاري ايضا انا سيد الاولين والآخرين ولا فخر وزيد في بعض الاصول هنا ولا فخر لكنه لا يصح لان يكون حكاية (وعلى معنى هذا الفصل) اي الاخير (نحا هذا القسم) يعني الاول (باسره) اي بجميعه في سلك مدحه بصفات شريفة وسمات منيفة

(فصل واما الضرب الثالث)

اي مما تدعو ضرورة الحياة اليه وليست فضيلة ذاتية محتوية عليه (فهو) من هذه الحيثية واختلاف النسبة (ما تختلف الحالات في التمدح به) اي بنفسه او بكثرته (والتفاخر بسببه) اي فيما بين العامة (والتفضيل لاجله) اي عند الخاصة (ككثرة المال) فانها تمدح في بعض الاحوال (فصاحبه على الجملة) اي على الاجمال لا على تفصيل جميع الاحوال (معظم عند العامة) من حيث ان قلوبهم بيد حبه اسيرة (لاعتقادها توصله به) اي توصل صاحب المال بسببه (الى حاجاته) اي قضاء مهمات صاحبه وفي نسخة حاجته (وتمكن اغراضه) بالنون المخففة وتمكن بالرفع او الجر (بسببه والا) اي وان لم يكن هذا الاعتقاد الموجب لتعظيم صاحب المال عند العامة في الجملة (فليس) اي المال (فضيلة) وفي نسخة فضيلته (في نفسه) اي في حد ذاته وباعتبار جميع جهاته وعموم صفاته (فمتى كان المال بهذه الصورة) اي من قضاء الآمال (وصاحبه منفقه في مهماته من اعتراه) اي غشيه واعترضه (وامله) بتشديد الميم اي ومن رجا كرمه ومنه قول القائل

(املتهم ثم تأملتهم * فلاح لي ان ليس فيهم فلاح)

وهو معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم اخبر تقله والناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة (وتصريفه) بالجر اي وتصرفه بوضعه (في مواضعه) اللائقة به (مشتريا به المعالي) جمع معلاة اي مستبدلا به المفاخر العالية ومختارا به الاوصاف المتعالية (والثناء الحسن والمنزلة) اي الجاه والمرتبة (من القلوب) وفي نسخة في القلوب (كان) اي المال (فضيلة في صاحبه) اي في الجملة (عند اهل الدنيا) اي من العامة مع انه لا عبرة بهم عند الخاصة (واذا صرفه في وجوه البر) اي الطاعة والاحسان (وانفقه في سبيل الخير) وفي نسخة سبيل الخير (وقصد بذلك) اي الصرف (الله تعالى) اي رضاه اما (والدار الآخرة) اي ثوابا (كان) اي ماله (فضيلة) اي لما يؤدي الى الفضيلة (عند الكل) اي الخاصة والعامة (بكل حال) اي مطلقا لا في الجملة (ومتى كان صاحبه ممسكه) من الامساك اي بخيلا به (غير موجهه وجوهه) اي غير منفقه ومصرفه في وجوه ما ذكر من صرفه في مهماته ومهمات من تأمل منه قضاء حاجاته او اكتساب محمدة او اجتلاب محبة (حريصا على جمعه) مبالغا في منعه (عاد كثره) بضم الكاف وتكسر اي رجع كثيره وفي نسخة كثرته بفتح الكاف وتكسر واما قول التلمساني ويصح بفتح الكاف والراء وضم الثاء فلا يصح (كالعدم) بمنزلة يسيره او شبيها بعدمه حيث لم ينتفع به فيكون كمن لا مال له وقد ورد الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ويجمع من لا عقل له وقد ورد ان الحسن البصري رحمه الله تعالى رأى رجلا يقلب دنانير في كفه فقال لمالك هي قال ثم قال انها ليست لك حتى تخرجها من يديك يعني ان حظك منها وحظ غيرك اذا لم تنفقها وتخرجها واحدا اذ لا نفع فيها باعيانها وورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت يعني ان المال الذي لم ينفقه ولم يتصدق به قد تساوى فيه مع غيره ممن لا مال بيده اذ لا فائدة في عين المال بل فيه الوبال في المآل (وكان منقصة) بفتح القاف وكسرها اي وكان المال نقيصة (في صاحبه) اي في حقه دنيا واخرى كما ورد تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم وكما ورد ان الاكثرين هم الاقلون يوم القيامة (ولم يقف) اي المال (به) اي بصاحبه (على جدد السلامة) بفتح الجيم والدال المهملة الاولى اي طريقها المستوية تقول العرب من سلك الجدد امن العثار وبضم الجيم جمع جدة بكسرة اي طرقها من الجادة التي تسلم المارة فيها من العثرة ومنه قوله تعالى ومن الجبال جدد بيض اي طرائق واما ما ضبط في بعض النسخ والحواشي بضمهما فلا مناسبة له هنا فانه جمع جديد

على ما في القاموس (بل اوقعه) اى ماله عند مآله (في هوة رذيلة البخل) بضم هاء وتشديد واو مفتوحة اى في وهدة دناءته وعمق نقيصته والبخل بضم فسكون وبفتحهما قرآنان في السبع (ومذلة) وفي نسخة ومذمة (النذالة) بفتح النون والذال المعجمة اى الخساسة والسفالة (فاذا) بالتنوين وفي نسخة بالنون والفاء فصيحة معربة عن شرط مقدر اى ومتى كان المال كما وصف كان حينئذ (التمدح) اى تمدح صاحبه لنفسه ويروى المتمدح (بالمال) اى على توهم الكمال (وفضيلته) اى وفضيلة المال اوصاحبه (عند مفضليه) اى من جهة من العامة وفي نسخة بصيغة الافراد (ليست لنفسه) اى ذاته (وانما هو) اى المال اوالتمدح به (للتوصل به الى غيره وتصريفه) بالجر اى انفاقه (في متصرفاته) بفتح الراء اى في محله (فجامعه اذا لم يضعه مواضعه) اى من مهماته ومهمات من يرجوه (ولا وجهه وجوهه) اى من انواع البر واصناف الخير (غير ملئ) بفتح الميم وكسر اللام فتحتية فهمزة ويجوز ابدالها واوادغامها اى غير ثقة (بالحقيقة) اى في نفس الامر (ولا غنى بالمعنى) اى بل بمجرد الصورة والمنى فكانه فاقد لا واجد (ولا ممتدح) وفي نسخة ولا ممدح بالمفعولين اى ولا ممدوح (عند احد من العقلاء) فضلا عن العلماء والفضلاء (بل هو فقير ابدا) اى بقلبه ولو كان غنيا بدا قال المتنبي

(ومن ينفق الساعات في جمع ماله * مخافة فقر فالذى فعل الفقر)

(غير واصل الى غرض من اغراضه) اى لخسته وبخله (اذ ما بيده من المال الموصل) بالتشديد اوالتخفيف (لها) وفي نسخة اليها اى الذى من شأنه ان يوصل صاحبه الى اغراضه (لم يسلط عليه) بصيغة المجهول اى لم يمكن منه ولم يفوض اليه (فاشبه خازن مال غيره) اى حافظه (ولا مال له) اى الاوديعة عنده (فكانه ليس في يده منه شئ) اى من الاشياء (والمنفق) اى في وجوه البر والخير من صدقة وصلة (مليئ) اى ثقة (غني) واجد لا فاقد (بتحصيله فوائد المال) من جميل الحال وحسن المآل (وان لم يبق في يده من المال شئ) حيث يدل على كمال كرمه واعتماده على رزق ربه وقد قال الله تعالى وما انفقتم من شئ فهو يخلفه وورد اللهم اعط منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا وهذا المعنى في حديث نعم المال الصالح للرجل الصالح (فانظر سيرة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) اى طريقته (وخلقه) اى سجيته (في المال) اى في حق اخذه واعطائه وامتناعه عن التلبس بوجوده وبقائه (تجده) بالجزم اى تعلمه (قد اوتي خزائن الارض) اى عرضت عليه (ومفاتيح البلاد) اى اعطيت له وفي نسخة ورواية صحيحة مفاتح البلاد ومنه قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب وهو كناية عن فتحها عليه وعلى امته بعده وجباية اموالها اليهم واستخراج كنوزها لديهم وتلويح بالتوصل اليها كما يتوصل بالمفاتيح الى ما اغلق عليه من ابوابها وقد روى مرفوعا في صحيح مسلم بينا انا نائم اوتيت مفاتيح خزائن الارض فوضعت في يدى اى في تصرفي وتصرف امتي (واحلت له الغنائم) اى لزيادة الفضيلة (ولم تحل) بصيغة المجهول المناسب لاحلت اوبفتح اوله وكسر ثانيه اى والحال انه لم تبح (لنبي قبله) اذ جاء في الآثار انهم كانوا يجمعون الغنائم فتأتي نار من السماء فتأكلها وفي حديث مسلم لم تحل الغنائم لاحد من قبلنا وذلك لان الله تعالى رأى ضعفنا وعجزنا فطيبها لنا (وفتح عليه في حياته بلاد الحجاز) سميت بها لحجزها بين نجد والغور (واليمن) بالرفع والجر سمي به لكونه عن يمين الكعبة لمن وقف بالباب ووجهه لخارج وهو المعتبر لكونه بمنزلة الدبر (وجميع جزيرة العرب) وهي ما بين اقصى عدن الى ريف العراق طولا ومن جدة وما والاها من ساحل البحر الى طرف الشام عرضا وقال مالك هي الحجاز واليمن واليمامة وقيل هي المدينة وقيل مكة والمدينة واليمامة واليمن ولعل هذا معنى قول مالك (وما داني ذلك) اى ما قارب بلاد الحجاز وجزيرة العرب (من الشأم) بالهمز الساكن وابداله الفا ويقال بفتح الشين والمد وهو من العريش الى الفرات طولا وقيل الى نابلس وعرضا من جبل طيئ من نحو القبلة الى بحر الروم وما سامت ذلك من البلاد قال ابن عساكر في تاريخه دخل الشام عشرة آلاف عين رأت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واشتقاقه منه لكونه عن شمال الكعبة واما قول الحلبي قد دخله عليه الصلاة والسلام اربع مرات فغير معروف بل لم يدخل دمشق اصلا وانما بلغ الى بصرى مدينة حران (والعراق) اى عراق العرب من الكوفة والبصرة قيل فارسي معرب وقيل سمي المكان عراقا لكثرة عروق اشجاره (وجلت اليه) ويروى وجلب وروى وجبيت اى وجبي له (من اخماسها) في الغنيمة (وجزيتها) من اهل الذمة (وصدقاتها) من اغنياء الامة (ما لا يجبي) اى ما لا يؤتى به (الملوك الا بعضه) اى لكثرته مع زيادة بركته روى ان اعظم مال اتى به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من مال الجزية ما قدم عليه من البحرين وقدره مائة الف درهم وثمانون الفا (وهادته) اى صالحه وفي نسخة هادته بمعنى اهدته (جماعة من ملوك الاقاليم) اى بارسال هدايا اليه فقبلها منهم كما في كتب السير دلالة عليه (فما استأثر) اى ما انفرد وما استبد وما اختص (بشئ منه) اى مما هادوه (ولا امسك منه درهما بل صرفه مصارفه) اى انفقه في مواضعه من انواع الخير

واصناف البر (وغني به فقره) اي اغناه ربه واستغنائه بقلبه (وقوي به المسلمين) على مهماتهم وقضاء حاجاتهم ونصرهم على اعدائهم ودفع بلائهم وكان يعطي عطاء من لايخشى الفقر اشماله (وقال) اي كما رواه الشيخان عنه (صلى الله تعالى عليه وسلم مايسرني) اي لم يوقعني في السرور ولم يفرحني (ان لي احدا) بضمتين وجد بلفظ المبرد باسكان الحاء جبل عظيم بالمدينة (ذهبا) تمييز لرفع الابهام عن جبل احد (يبيت) اي يمضي ليلة (عندي منه) اي من مقدار احد ذهبا (دينار الا دينارا) بالنصب على الاستثناء وفي نسخة بالرفع على البدل (ارصده لديني) وفي نسخة لدين وهو بفتح الهمزة وضم الصاد وبضم وكسر من الارصاد اي احفظه منتظرا لقضاء ديني وقال بعضهم رصدته رقبته وارصدت اعددت قال تعالى شهابا رصدا وارصادا لمن حارب الله ولعل التعبير بالبيتوتة لارادة المبالغة لان الليل مظنة فقد الفقير والبيوتة توهم حصول الذهول والغفلة ووقع في اصل الدلجي درهم الا دينارا فتكلف وقال نصبه على الاستثناء من عام عرفته بالدرهم ورفعه على البدل وكانه قال مايسرني ان يبيت عندي شيء منه الا ما ارصده لديني بفتح الهمزة وضم الصاد وبضم وكسر (واتته دنانير مرة) وهي كثيرة (فقسمها) اي على من استحقها (وبقيت) وفي نسخة بقي (منها ستة) وفي نسخة بقية اي قليلة يسيرة (فدفعها لبعض نسائه) نظرا الى حدوث حاجة لهن اليها وفي رواية فرفعها عند بعض نسائه بالراء وهو اما بامره واما على عادة النساء في حفظ المال لامر المعاش وغيره (فلم يأخذه نوم حتى قام وقسمها) اتكالا على كرم ربه عند الاحتياج اليها (وقال الان) وهو اسم للزمان الحاضر (استرحت) اي حصل الراحة لقلبي المعتمد على رزق ربي وفيه دلالة واضحة على ماكان عليه من التقلل للدنيا وملازمة الفاقة في تمام حياته الى اوان مماته كما يدل عليه قوله (ومات ودرعه مرهونة) اي عند يهودي هو ابو الشحم وقيل ابو شحمة (في نفقة عياله) اي الى سنة في ثلاثين صاعا من شعير على مافي البخاري والترمذي والنسائي وفي البزار اربعين وفي مصنف عبد الرزاق وسق شعير وهو ستون صاعا ويمكن الجمع بتعدد الواقعة حقيقة او حكما عند نزول قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا الآية ولعل عدوله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الصحابة الى معاملته بيان للجواز او قلة الطعام عند غيره او حذرا من ان يضيق على اصحابه اولانهم لايأخذون منه رهنا ولايتقاضون منه ثمنا ولايمهلونه دينا وهو لايريد صدقة لاحد عليه اوليكون حجة على اليهود في قولهم ان الله فقير ونحن اغنياء حيث لم يقتض القرض لصاحبه الاقتصار وعدم الاقتدار ولعله كان معونا في كلامهم انه يكون مختارا للفقر على الغنى وانه لايبالي بكلام الاعداء من الاغنياء الاغبياء الذين يدعون الاستغناء (واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه) بفتح الكاف وكسرها اي من انواعها او في حقها (على ماتدعو ضرورته اليه) اي على مقدار قليل لابد له منه مما تقتضيه الحاجة الضرورية اليه (وزهد) بكسر الهاء اي ولم يرغب (فيما سواه) فزهد فعل ماض عطف على اقتصر ووقع في اصل الدلجي وزهده بالضمير فتحرى امر مرجعه فقال عطف على الضمير المجرور بالى او على ضرورته اي والى زهده او وندعو زهده فيما سواه اليه ذهابا الى الاقتصاد المحمود اذ ما قل وكفى خير مما كثر والهى (فكان يلبس) بفتح الياء والباء معا (ماوجده) اي اصابه وصادفه اي تيسر له من غير كلفة وشهوة (فيلبس في الغالب الشملة) وهي كساء يشتمل به وقال ابن حجر هي شبه الملاءة وهي اكسية فيها خطوط سود وكل كساء خشن فهو شملة ثم هي ضبطت في النسخ بالفتح لكن في القاموس الشملة هيئة الاشتمال وبالكسر كساء دون القطيفة يشتمل به انتهى والظاهر انه وهم منه وان صيغة الهيئة وهي النوع انما هي بالكسر والفعلة موضوعة للمرة وقد تكون للاسم كما هنا ولذا اطلق صاحب النهاية حيث قال الشملة كساء يلتف به (والكساء) بكسر الكاف معروف (الخشن) بفتح وكسر اي الغليظ ضد الرفيع (والبرد) اي اليماني وهو الثوب الذي فيه خطوط (الغليظ) اي الخشن واختار هذا كله زهدا وقناعة وتنزها عما يلبسه من لاخلاق له تفاخرا وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعا ان الله يحب المتبذل الذي لايبالي مالبس (ويقسم) بالتخفيف ويجوز تشديده لقصد التكثير (على من حضره اقبية الديباج) بكسر الدال وقد يفتح وهو نوع من الحرير والاقبية جمع القباء بالمد كالاكسية جمع الكساء وهو صنف من الثياب (المخوصة) بتشديد الواو المفتوحة اي المنسوجة (بالذهب) اي بمثل خوص النخل وهو ورقه وقيل في طرائق من ذهب مثل خوص النخل او المطوقة به وفي رواية المزرورة بالذهب اي التي لها ازرار منه او المطوقة به او التي زينت ازرارها به وفي الحديث مثل المرأة الصالحة مثل التاج المخوص بالذهب (ويرفع) اي منها (لمن لم يحضر) اي يغيب من اصحابه المستحقين لها كمخرمة بن نوفل كما في حديث الصحيحين عن ابن المسور قال ابي يابني بلغني ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قدمت عليه اقبية فذهب بنا اليه فذهبنا فوجدناه في منزله فقال لي ادعه لي فاعظمت ذلك فقال لي يابني انه ليس بجبار فدعوته فخرج ومعه قباء من ديباج مزرور بالذهب فقال يامخرمة خبأت لك هذا وجعل يريه محاسنه ثم اعطاه له ولمسلم فنظر اليه فقال رضي مخرمة زاد

زاد البخاري وكان في خلق مخرمة شره هذا وكان يفعل ذلك ايثار الغيره وتنزهاعما يتباهى به العوام (اذ المباهاة) اي المنافسة والمفاخرة (في الملابس) اي الثمينة (والتزين بها) اي في المنازل المكينة (ليست من خصال الشرف و الجلالة) اي شمائل ارباب الشرافة واصحاب العظمة المعنوية (وهي) اي تلك الملابس (من سمات النساء) بكسر السين اي من خصال النسوة وعلاماتهن المتزينة بالحلي الصورية (والمحمود) اي الممدوح (منها) اي من الملابس المطلقة (نقاوة الثوب) بفتح النون النظافة وفي نسخة بضمها وهي خياره لكنه غير ملايم للمرام في هذا المقام (والتوسط في جنسه) لورود الذم عن لبس الشهرتين (وكونه لبس مثله) اي لباس بعض امثاله حال كونه (غير مسقط لمروءة جنسه) اي ابناء جنسه وفي نسخة حسبه بفتحتين فوحدة (مما يؤدي) اي يؤل (الى الشهرة في الطرفين) اي المكتنفين من الاعلى والادنى للتوسط افراطا وتفريطا وخير الامور اوساطها وقد قال الثوري كانوا يكرهون الشهرتين الثياب الجيدة والثياب الرديئة اذ الابصار تمتد اليهما جميعا وقد ورد النهي عن الشهرتين ايضا (وقد ذم الشرع ذلك) اي ما ذكر من الشهرتين ايضا او المباهاة في الملابس (وغاية الفخر فيه) اي في ذلك المذموم (في العادة عند الناس انما تعود) اي ترجع غايته (الى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال) اي وسعة الجاه وكثرة المال وقد سبق ان هذا مذموم في المآل (وكذلك التباهي) اي ومثل الفخر حكم الافتخار (بجودة المسكن) اي بتجصيصها وتزيينها وتبييضها (وسعة المنزل) بفتح السين اي من جهة طولها وعرضها زيادة على مقدار الحاجة (وتكثير آلاته) اي امتعته وظروفه ومفارشه (وخدمه) اي من عبيده وجواريه (ومركوباته) اي زيادة على مقدار حاجاته (ومن ملك الارض وجبي اليه) بصيغة المجهول اي اتى اليه (ما فيها) من كل زوج كريم وصنف جسيم (فترك ذلك) اي مع القدرة عليه (زهدا وتنزها) اي رفعة للنفس وعدالها عما يشينها فان الزهد هو عزوب النفس عن الدنيا مع القدرة عليها رغبة في العقبى وهذا في الحقيقة لا يتصور ممن لا مال له ولا جاه على وجه الكمال ولهذا لما قيل لابن المبارك يا زاهد قال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها اما انا ففيم زهدت والزهد اعلى المقامات واعلى الحالات وقد ورد ازهد في الدنيا يحبك الله اذ جعله سببا لمحبة الله له (فهو حائز) اي جامع ومشتمل (لفضيلة المالية) التي هي اسباب التلذذ بالاعراض الدنيوية والاغراض الشهوية (ومالك الفخر) اي للافتخار في العادة بين العامة (بهذه الخصلة) اي الكثرة المالية والوسعة الجاهية (ان كانت فضيلة) بسبب ما مر من كونه وسيلتها والا فليست هي فضيلة في ذاتها فان شرطية تنديرية وقال التلمساني هي بفتح الهمزة وهي تفسيرية ولا يخفى بعد ما قاله (زائد عليها في الفخر ومعرق) بضم الميم وكسر الراء وتفتح اي له عرق اي اصل (في المدح) والمعنى هو زائد بهما على فضيلة المال (باضرابه) بكسر الهمزة اي بسبب اعراضه (عنها وزهده في فانيها وبذلها في مظانها) بفتح ميم وتشديد نون اي محالها من صلة رحم وجهة بر وهو بالظاء المشالة وقد تصحف على التلمساني فضبطه بالضاد و قال اراد مواضع البخل

(فصل)

(واما الخصال المكتسبة) وتسمى ملكات نفسانية لانها تخلقات كسبية لا سجية جبلية (من الاخلاق الحميدة) اي المحمودة من الشمائل المعدودة من الاحوال السعيدة (والآداب الشريفة) اي الناشئة من النفوس النفسية اللطيفة (التي اتفق جميع العقلاء) اي من الفضلاء والعلماء اذ لا عبرة بالجهلاء (على تفضيل صاحبها) اي بالنسبة الى فاقدها (وتعظيم المتصف) بتشديد التاء المثناة اي المتلبس والمتخلق (بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقه) اي اكثر منه مما اجمع على حسنها وطوبى لمن جمعها باجمعها (واثنى الشرع على جميعها وامر بها) اي جمعا وافرادا مجملا ومفصلا (ووعد السعادة الدائمة) اي تعلقها (للمتخلق بها) اي للذي اتخذها خلقا كما هو مذكور في الترغيب والترهيب وكتب الاخلاق من الاحياء وغيره (ووصف بعضها بانه من اجزاء النبوة) كحديث السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من اربع وعشرين جزأ من النبوة وحديث ان الهدى الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمس وعشرين جزأ من النبوة والمعنى ان هذه الخصال منحها الله تعالى انبياءه فهي من شمائلهم وفضائلهم وانها جزء من اجزائها فاقتدوا بهم فيها لا ان النبوة تتجزأ ولا ان من جمعها يكون نبيا اذ النبوة غير مكتسبة بل هي كرامة مختصة بمن تعلقت به المشيئة او المعنى ان هذه الخصال جزء من خمس وعشرين جزأ مما جاءت به النبوة ودعت اليه اصحاب الرسالة وتأنيث اربع وخمس على معنى الخصال او القطعة مع ان الاجزاء تجري مجرى الكل في التذكير والتأنيث (وهي) اي الخصال المكتسبة التي ورد باستحسانها الكتاب والسنة هي (المسماة بحسن الخلق) اي في الجملة (وهو) اي حسن الخلق (الاعتدال في قوى النفس واوصافها والتوسط فيها دون الميل الى منحرف اطرافها) فان لها ثلاث قوى نطقية اعتدالها حكمة وشهوية اعتدالها العفة وغضبية اعتدالها شجاعة فللنطق طرف افراط هو الجربزة كاستعمال الفكرة واشتغال الآلة فيما لا ينبغي وتفريط وهو الغباوة كتعطيل الفكرة عن اكتساب العلوم وافادتها واستفادتها وللشهوة

طرف افراط هو الفجور كالانهماك في اللذات وتفريط هو الخمود كترك ما رخص شرعا وعقلا من اللذات والشجاعة
طرف افراط هو التهور كالاقدام على ما لا ينبغي وتفريط هو الجبن كترك الاقدام على ما ينبغي فما بينهما هو التوسط في
الاخلاق الحميدة فلا بالحكمة والعفة والشجاعة واما قول الدلجي فالحكمة والعفة والشجاعة طرفي افراط وتفريط
خبط وتخبيط (جمعها فكانت خلق نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على الانتهاء في كمالها والاعتدال الى غايتها) يحتمل
عطف الاعتدال على الانتهاء وهو الظاهر الانسب في المعنى والعطف على كمالها وهو خلاف المتبادر لكنه الاقرب
في المبنى (حتى) اي الى حد (اثنى الله عليه بذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم) وقد قيل هو ما امر به من قوله سبحانه
وتعالى خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقيل هو ما ورد من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم هو ان تعفو
عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من منعك والاكمل في تفسيره ما ذكره المصنف بقوله (قالت عائشة رضي الله تعالى
عنها) اي وقد سألها سعيد بن هشام عن خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم (كان خلقه القرآن) بالرفع ويجوز
نصبه زاد البيهقي في دلائله على ما هو في بعض النسخ (يرضى برضاه) اي يرضى ما فيه من الواجب والمندوب والمباح
(ويسخط بسخطه) اي ويغضب ويكره ما يأباه من الحرام والمكروه وخلاف الاولى وزاد في نسخة يعني التأدب
بادابه والتخلق بمحاسنه والالتزام لاوامره وزواجره (وقال عليه الصلاة والسلام) على ما رواه احمد والبزار (بعثت لاتمم
مكارم الاخلاق) ورواه مالك في الموطأ وقطعه بلغني ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال بعثت لاتمم حسن
الاخلاق ورواه البغوي في شرح السنة بلفظ ان الله بعثني لتمام مكارم الاخلاق وكمال محاسن الافعال اي الملكات
الحسية والحالات القدسية التي جمعها حسن الخلق المتضمن لاداء حق الحق والخلق مما لا يستقصى ولا يتصور
ان يستقصى وفيه ايماء الى ان الانبياء كانوا موسومين بالاخلاق المرضية والشمائل البهية الا انهم لم يكن على وجه الكمال
الذي لا يكون فوقه كمال وانه صلى الله تعالى عليه وسلم جمع الاخلاق العلية ومنع الاحوال السنية بحيث لا يتصور
فوقها كمال حتى من تعدى عن ذلك الحد وقع في النقصان في المآل ويدل على ما قررنا على وجه حررنا حديث مثلي
ومثل الانبياء قبلي كمثل قصر احسن بنيانه وترك منه موضع لبنة فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنيانه الا موضع
تلك اللبنة فكنت انا سددت موضع اللبنة ختم بي البنيان ويشير الى هذا المعنى قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم (قال
انس رضي الله عنه) فيما رواه الشيخان (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم احسن الناس) اي من الاولين والاخرين
(خلقا) بشهادة الله الكريم وانك لعلى خلق عظيم (وعن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه مثله وكان) اي النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم (فيما ذكره المحققون مجبولا) اي مخلوقا ومطبوعا (عليها من اصل خلقته) اي من ابتداء نشأته الروحية
(واول فطرته) اي خلقته الجسدية وفي بعض النسخ في اصل خلقته بالظرفية بدلا من من الابتدائية (لم تحصل له
باكتساب ولا رياضة) خلافا لما قاله الفلاسفة والحكماء الرياضية (الا بجود الهي) اي لكن حصلت له بجذبة صمدانية
(وخصوصية ربانية وهكذا) اي وكذا فعل الله (لسائر الانبياء) وفي رواية سائر الانبياء اي باقي الانبياء الماضية
واما وجود الاخلاق الجيدة في غيرهم فقيل انها جبلية وطبيعية مثل الانبياء وهذا بعيد عن مشرب الاصفياء واوماً اليه
الطبراني من العلماء وقيل مكتسبة لا جبلية ولا طبيعية وهذا قول ظاهر البطلان لمشاهدة تفاوت الاحوال في
اخلاق الاطفال والصبيان كما يدل عليه حكاية حاتم الطائي واخيه ورواية امهما في ابتداء ارضاعهما وقيل منها ما هي
جبلة طبع عليها في اول الخلقة وما هي كسبية تحصل بالرياضة وتصير اصحابها ملكة ويؤيده حديث اشج عبد القيس
حيث قال له صلى الله تعالى عليه وسلم ان فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والاناة فقال يا رسول الله اشيء من قبل نفسي
او جبلني الله عليه فقال جبلك الله عليه فقال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يرضاهما الله ورسوله والتحقيق
ان جمال الانسان مركب من الاخلاق المحمودة الملكية ومن الاخلاق المذمومة الشيطانية فان مال الى الاولى فهو خير
من الملائكة المقربين وان مال الى الثانية فهو شر من الشياطين وتحقيق هذا المرام لا يسعه الكلام في هذا المقام
وقد صنف في هذا البحث كتب الاخلاق منها الناصرية ومنها الدوانية ومنها الكشفية وقد حقق الامام الغزالي
في الاحياء الادلة على وجه الاستقصاء (ومن طالع سيرهم) اي سلوك الانبياء في سيرهم (منذ صباهم الى مبعثهم)
اي من مبدأهم الى منتهاهم (حقق ذلك) اي عرف حقيقة ما ذكر من ان اخلاقهم مرضية وهبية لا رياضية كسبية
(كما عرف من حال موسى وعيسى ويحيى وسليمان وغيرهم صلوات الله وسلامه عليهم بل غرزت) بصيغة المجهول
اي طبعت وغرست (فيهم هذه الاخلاق في الجبلة) اي الطبيعة الاصلية (واودعوا العلم والحكمة في الفطرة) اي اول
الخلقة الانسانية (قال الله تعالى وآتيناه) اي اعطينا يحيى (الحكم) اي النبوة واتمام المعرفة (صبيا) اي صغيرا
(قال المفسرون اعطى يحيى العلم) بصيغة المجهول او المعلوم ويؤيده نسخة اعطى الله (بكتاب الله) اي التوراة

اويضمون كتب الله تعالى مجملة اومفصلة (فى حال صباه) فيه ايماء الى ان صبيا نصب على الحال من المفعول وقد روى انه نبئ وفهم العلم بالكتاب وهو ابن ثلاث اوسبع (وقال معمر) بفتح الميمين ابن راشد ابو عروة الازدى مولاهم عالم اليمن روى عن الزهرى وهمام وخلق وعنه ابن المبارك وعبد الرزاق اخرج له الائمة الستة (كان) اى يحيى (ابن سنتين اوثلاث) على مارواه عنه احمد فى الزهد وابن ابى حاتم فى تفسيره والديلمى عن معاذ ولم يسنده والحاكم فى تاريخه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بسندواه والتحقيق ان يحيى عليه الصلاة والسلام اعطى هذا المقام وهو فى بطن امه كما ورد من ان السعيد من سعد فى بطن امه والمقيد سبحانه وتعالى بحال الصبى لتعلق علم الخلق به حينئذ فاختلاف الروايات مبنى على اختلاف اطلاع الناس على مابه من الحالات (فقال له الصبيان لم لاتلعب فقال اللعب خلقت) فهمزة الاستفهام الانكار على مافى الاصول المصححة واللعب فيه لغتان فتح اللام وكسر العين وكسر اوله وسكون ثانيه ووقع فى اصل الدلجى ماللعب خلقت بما النافية ولعله رواية فى المبنى اونقل بالمعنى ثم اغرب واعترض على معمر فى قوله وعلى المصنف فى اعتماده على نقله حيث قال والذى قاله معمر كان يومئذ ابن ثمان سنين وهو الاصح وما ذكره ههنا فغريب فى الرواية عنه بشهادة مارواه ابن قتيبة عن عبد الله بن عمرو بن العاص دخل يحيى بيت المقدس وهو ابن ثمان فنظر الى العباد به واجتهادهم فرجع الى ابويه فمر فى طريقه بصبيان يلعبون فقالوا هلم فالعب فقال انى لم اخلق للعب فذلك قوله تعالى وآتيناه الحكم صبيا انتهى ووجه الغرابة لايخفى اذ لايبعد ان يكون ظهور آثار النبوة عليه كان وهو ابن سنتين اوثلاث ثم وقع له هذا المقال عقب هذا اوبعد سنين مع الاطفال مع انه لامانع من تعدد الواقعة واوبالاحتمال (وقيل فى قوله مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى) اى آمن به (وهو ابن ثلاث سنين) وحكى السهيلى عن ابن قتيبة انه كان ابن ستة اشهر (فشهد) وفى نسخة وشهد (له انه كلمة الله وروحه) فهو اول من آمن به وسمى كلمة لوجوده بامره تعالى بلا اب فشابه المخترعات التى هى عالم الامر المعبر عنه بقول كن كما قال تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون (وقيل) كما فى تفسير محمد بن جرير الطبرى (صدقه) اى آمن به يحيى (وهو فى بطن امه) حال من ضمير الفاعل (فكانت) بالفاء وفى نسخة وكانت (ام يحيى) اى وهى حامل به (تقول لمريم) اى اختها اذا دخلت عليها وهى حامل بعيسى والله انك لخير النساء وان مافى بطنك لخير مولود (وانى اجد ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك تحية له) اى تعظيما وتسليما وتكريما وهذا يدل على ان مريم حملت مدة الحمل كما عليه الاكثر وهو لاينافى ماتقدم والله اعلم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما حملته ووضعته فى ساعة واحدة فتصديقه انما كان وهو ابن ثلاث كما سبق (وقد نص الله على كلام عيسى لامه عند ولادتها اياه بقوله لها لاتحزنى) الاولى ان لاتحزنى (على قراءة من قرأ من تحتها) بفتح الميم والتاء كما قرأ به ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر (وعلى) اى وكذا على (قول من قال ان المنادى عيسى) كابى بن كعب وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد لانه خاطبها من تحت ذيلها المخرج من بطنها وفيه احتراز عن قول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وعلقمة والضحاك ان المنادى جبريل لانه كان بمكان منخفض عنها قال الدلجى لاوجه لتخصيص القراءة الاولى بالخلاف فى المنادى مع وقوعه فى الثانية قلت حيث تعارض القولان عن الائمة ولا يتصور الجمع بينهما الا بتعدد القضية اشار المصنف الى ان القراءة الاولى حملها على المعنى الاول اولى وهو ان يكون المنادى عيسى فلاينافى احتمال وجود آخر فى المعنى على مالايخفى (ونص) اى صرح الله سبحانه وتعالى (على كلامه) اى نطق عيسى (فى مهده فقال) اى الله فى كلامه حكاية عنه (انى عبد الله) رد على اثبات اله سواه وافتخارا بالعبودية واحترازا عن دعوى الربوبية (آتانى الكتاب) اى اعطانى الله من فضله علم الانجيل اوجنس الكتاب (وجعلنى نبيا) فى سابق قضائه اوتنزيلا للمحقق وقوعه منزلة الواقع به كما فى اتى امر الله كذا ذكره الدلجى والظاهر المتبادر انه جعله نبيا فى ذلك الحال من غير توقف على الاستقبال فلا يحتاج الى تأويله بالمآل ويؤيده ماروى عن الحسن اكمل الله عقله ونبأه طفلا وقضية يحيى صريحة ايضا فى هذا المعنى غايته ان اعطاء النبوة فى سن الاربعين غالب العادة الالهية وعيسى ويحيى خصا بهذه المرتبة الجليلة كما ان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم خص بما ورد عنه من قوله كنت نبيا وان آدم لمنجدل بين الماء والطين هذا وفى المستدرك عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعا لم يتكلم فى المهد الاعيسى وشاهد يوسف وصاحب جريج وابن ماشطة فرعون ولفظ مسند احمد وابن ماشطة ابنة فرعون وزاد البغوى فى تفسير سورة الانعام ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وممن تكلم صغيرا يحيى بن زكريا ومبارك اليمامة كلمه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذكره فى الدلائل ورضيع المتقاعسة ورضيع التى مر عليها راكب فقالت اللهم اجعل ابنى مثل هذا والصبى الذى فى حديث الساحر والراهب الذى قال لامه اصبرى فانك على الحق وهو فى اواخر مسلم وفى كلام السهيلى فى آخر روضته ان اول كلمة تكلم بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مرضع عند حليمة ان قال الله اكبر

ثم السهيلي رأيه كذا في بعض كتب الواقدي (وقال) اي عز شأنه (ففهمناها سليمان) اي الحكومة او الفتيا لما روي انه تحاكم الى داود صاحب غنم وصاحب زرع او كرم رعته ليلا فحكم بها لصاحب الحرث لاستواء قيمتها وقيمة نقصه وقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بهما فعزم عليه ليحكمن فدفع الغنم لصاحب الحرث ينتفع بدرها ونتاجها واصوافها والحرث لصاحب الغنم يصلحه فاذا عاد الى ما كان عليه ترادا ولعلهما قالا مقالهما اجتهادا فقال داود اصبت القضاء ثم حكم بذلك والاول نظير قول ابي حنيفة في العبد الجاني والثاني نظير قول الشافعي بالغرم للحيلولة في العبد المغصوب اذا ابق اما في شرعنا فلا ضمان عند ابي حنيفة لحديث جرح العجماء جبار اي هدر الا ان يكون معها حافظ او ارسلت عمدا واوجبه الشافعي ليلا لا نهارا لجري العادة في حفظ الدواب بالليل دون النهار لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لما دخلت ناقة البراء حائطا على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل الماشية حفظها بالليل وفي الحديث اشارة لطيفة الى قول ابي حنيفة في تقييد القضية بحالة التعدية انتقاص الدابة ليلا او نهارا واتلافها من غير تقصير من صاحبها لا يوجب الغرامة المنفية في الملة الحنيفية حيث قال ليس عليكم في الدين من حرج (وكلا) اي من داود وسليمان (آتينا حكما وعلما) اي معرفة بموجب الحكومة وعلما بسائر القضايا الشرعية (وقد ذكر) بصيغة المجهول (من حكم سليمان) كذا في النسخ المتعددة المعتمدة ووقع في اصل الدلجي وقد ذكر من سليمان (وهو صبي) اي في حال صباه (يلعب) اي مع الصبيان (في قصة المرجومة) اي التي كانوا يريدون ان يرجموها وفي نسخة في قضية المرجومة وهي ما رواه ابن عساكر في تاريخه بسنده الى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان امرأة حسناء في بني اسرائيل راودها عن نفسها اربعة من اكابرهم وقيل من قضاتهم الذين دفعت حكمها اليهم فامتنعت فاتفقوا ان يشهدوا عليها عند داود انها امكنت من نفسها كلبا لها قد عودته ذلك منها فامر برجمها فلما كان عشية يوم رجمها جلس سليمان واجتمع اليه ولدان فانتصب حاكما وتزيى اربعة منهم بزي اولئك الاربعة وآخر بزي المرأة وشهدوا عليها بان مكنت من نفسها كلبا فسألهم متفرقين عن لونه فقال احدهم اسود وآخر احمر وآخر اغبس واخر ابيض فامر بقتلهم فبلغ ذلك داود فاستدعى من فوره بالشهود فسألهم متفرقين عن لون كلبها فاختلفوا فقتلهم (وفي قصة الصبي ما قتدى) الذي اقتدى (به) اي بسليمان ورجع الى حكمه (داود ابوه) عطف بيان لدفع توهم ان يكون غيره وهذه القضية رواها الشيخان عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه بينما امرأتان معهما ابنان لهما فاخذ ذئب احدهما فتحاكمتا الى داود في الآخر فقضى به للكبرى فدعا بهما سليمان وقال هاتوا السكين اشقه بينهما فقالت الصغرى رحمك الله هو ابنها لا تشقه فقضى لها به مستدلا بشفقتها عليه بقولها لا تشقه ورضي الكبرى بشقه لتشاركها في المصيبة اولما كان بينهما من العداوة ولعل داود عليه السلام حكم به للكبرى لكونه في يدها او اعتمادا على نوع من الشبه وهو لا يخلو من الشبهة فان قيل المجتهد لا ينقض حكم المجتهد فالجواب ان سليمان فعل ذلك وسيلة الى حقيقة القضية فلما اقرت بها الكبرى عمل باقرارها او لعل في شرعهم يجوز للمجتهد نقض حكم المجتهد وقيل كان بوحي ناسخ للاول قيل وكان قضاؤه وهو ابن اثنتي عشرة سنة ومات وهو ابن اثنتين وخمسين سنة وقيل كان حكم داود باجتهاد وحكم سليمان بوحي والوحي ينقض غيره وفي نسخة وقال الطبري (وحكى الطبري) وهو محمد بن جرير (ان عمره) اي سن سليمان (كان حين اوتي الملك اثنى عشر عاما) اي سنة (وكذلك) اي ومثل ما ذكر من سليمان في صغره (قصة موسى) قيل وزنه مفعل او فعال او فعلى (مع فرعون واخذه بلحيته وهو طفل) وقصته ان فرعون كان يرى انه يأخذ لحيته ويأخذ منها خصلة هو الذي يقتله ويسلب ملكه فتناول موسى في حجره اذ تناول لحيته فاخذ منها خصلة فقال هذا عدونا فقالت له امرأته المسلمة آسية بنت مزاحم انه صغير فالقي له الدر والجمر فاخذ الجمر وادخله في فيه فكان في لسانه عقدة وفرعون هذا هو عدو الله الوليد بن مصعب بن الريان كان من القبط العماليق وعمر اكثر من اربعمائة سنة وقد كتبت رسالة مستقلة بفر العون عن ادعى ايمان فرعون (وقال المفسرون في قوله تعالى ولقد آتينا ابراهيم رشده) اي كمال هدايته وصلاح حاله (من قبل) اي قبل اوان معرفته (اي هديناه) ووقع في اصل الدلجي هداه بالاضافة (صغيرا) اي قبل بلوغه (قاله مجاهد وغيره) وقال غيرهم قبل موسى وهرون وقال قبل محمد عليهم الصلاة والسلام (وقال ابن عطاء) هو ابو العباس احمد بن سهل بن عطاء مات سنة تسع وثلاثمائة (اصطفاه) اي في سابق قضائه في عالم الارواح (قبل ابداء خلقه) اي اظهار جسده من العدم الى الوجود في عالم الاشباح (وقال بعضهم) كالبكواشي وغيره (لما ولد ابراهيم بعث الله تعالى اليه ملكا يأمره عن الله تعالى ان يعرفه بقلبه) اي المعرفة التامة الشاملة للافعال والصفات والذات الكاملة (ويذكره بلسانه) بوصف المداومة (فقال قد فعلت ولم يقل افعل فذلك رشده) اي حتى شاع في الامثال حتى صبر بالماضي عن الحال فكأنه امتثله واخبره ومن هنا قيل التقي ابلغ من النهي (وقيل ان القاء ابراهيم

عليه السلام فى النار و محنته) اى بليته من نمرود (كانت وهو ابن ست عشرة سنة)وفى عين المعانى عن ابن جريج
ست وعشرين اذا قسم ليكيدن اصنامهم فالقوه فيها فكانت عليه بردا وسلاما (وان ابتلاء اسحق عليه السلام
بالذبح) اى كان كما فى نسخة صحيحة (وهو ابن سبع سنين) وقيل ثلاث عشرة وهذا على احد القولين فى الذبيح
مع خلاف فى الترجيح حتى توقف فيه شيخ مشايخنا جلال الدين السيوطى فى رسالة مستقلة بعد ذكره من الطرفين
بعض الادلة لكن المشهور بل الصحيح انه اسمعيل لحديث انا ابن الذبيحين اى اسمعيل وعبدالله اذ قد نذر عبدالمطلب
ان يسر الله حفر زمزم او بلغ بنوه عشرة ذبح احدهم فتم مقاه فاسهم فخرج على عبدالله ففداه بمائة من الابل
ومن ثم شرعت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا فى فتنة ابن الزبير ولان
بشارته باسحق كانت مقرونة بانه يولد له يعقوب المنافى للامر بذبحه مراهقا وايضا كانت مقرونة بالنبوة فى آية
اخرى والغالب فى الانبياء وصولهم الى حد الاربعين ولان اسمعيل كان اول ولده والابتلاء حينئذ اشق على ذبحه
وفقده قيل وهذا هو الصواب عند علماء الصحابة والتابعين والقول بانه اسحق باطل منشؤه الحسد من اليهود للعرب
بان يكون ابوهم هو الذبيح قال ابن قيم الجوزية فى الهدى وهو مردود باكثر من عشرين وجها واما حديث سئل النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم اى النسب اشرف فقال يوسف صديق الله ابن يعقوب اسرائيل بن اسحق ذبيح الله بن
ابراهيم خليل الله فاما الذى قاله صلى الله تعالى عليه وسلم على ما رواه البخارى وغيره الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم
يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم فزوائده مدرجة من الراوى وما روى من ان يعقوب كتب الى يوسف مثله فلم يصح
(وان استدلال ابراهيم بالكوكب والقمر والشمس كان) اى فى نفسه (وهو ابن خمسة عشر شهرا) لحكاه الله تعالى
عنه جهرا ولا بدع انه كان زمان مراهقته واول مقام نبوته تنبيها لقومه على خطائهم بعبادة غيره سبحانه وتعالى وارشادا
لهم الى طريق الحق على سبيل النظر والاستدلال على حدوث عالم الخلق وان للشمس والقمر والكواكب وسائر
الاشياء النورانية والظلمانية محدثا دبر طلوعها وسيرها واشتعالها وزوالها من حالها الى حالها بدليل قوله تعالى ياقوم
انى برىء مما تشركون (وقيل اوحى)وفى نسخة اوحى الله (الى يوسف) بضم السين وفتحها وكسرها مع الهمزة وعدمه
وكان بخده الايمن خال اسود وبين عينيه شامة وبقى فى الرق ثلاث عشرة سنة وقيل ثنتى عشرة قيل عدد حروف اذكرنى
عند ربك فان عد المضاعف اثنين فثلاث عشرة والا فاثنتا عشرة وعن على كرم الله وجهه ان احسن الحسن الخلق
الحسن واحسن ما يكون الخلق الحسن اذا كان معه الوجه الحسن (وهو صبى) او بالغ فى الحسن وله سبع عشرة سنة
وتوفى وهو ابن مائة وعشرين سنة ودفن بمصر بالنيل ثم حمله موسى عليهما الصلاة والسلام حين خرجت بنو اسرائيل
من مصر الى الشام (عندما همَّ اخوته بالقائه فى الجب) اى فى قعر بئر وهى على ثلاثة فراسخ من منزل ابيهم (يقول الله
تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا الآية) اى الى وهم لا يشعرون ففيه بشارة الى ما له امره اى لتخلصنك ولتخبرن
اخوتك بما فعلوه وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شانك ورفعة مكانك وكان الحال كما قال تعالى فعرفهم وهم له
منكرون وابعد من جوز تعلق جملة وهم لا يشعرون باوحينا كما لا يخفى لان الوحى لا يكون الا على وجه الخفاء
(الى غير ذلك من اخبارهم) وروى ما ذكر من اخبار غيرهم (وقد حكى اهل السير ان آمنة بنت وهب اخبرت ان نبينا
محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم حين ولد) اى اول ما ولد (ولد باسطا يديه الى الارض) اى معتمدا بيديه على الارض
وقد جاء كذلك مفسرا (رافعا رأسه الى السماء) ايماء الى بسط دينه وملكه على بساط الارض ورفعة شانه بالاسراء الى
جهة السماء (وقال فى حديثه صلى الله تعالى عليه وسلم) اى على ما رواه ابو نعيم فى الدلائل (لما نشأت) اى انشأت
بحيث ميزت بين الخير والشر وفرقت بين الحق والباطل وهو اولى من قول الدلجى تبعا للتلمسانى اى شببت وصرت
شابا (بغضت) بالتشديد للمبالغة اى كره الله (الىَّ الاوثان) اى عبادتها والمعنى انه خلق فى جبلته وفطرته بناء على
تحقق عصمته محبة الله وبغض عبادة ما سواه (وبغض الىَّ الشعر) لما اراد ان ينزهه عن كونه شاعرا وان يكون كلامه
شعرا وهو لا ينافى ان يكون موزونا فى طبعه كما حقق فى موضعه (ولم اهم) بفتح فضم وتشديد ميم مضمومة او مفتوحة
اى لم اقصد (بشىء مما كانت الجاهلية تفعله) اى من المعازف وغيرها مما نهى الله عنه (الا مرتين فعصمنى الله منهما)
اى من الاستمرار عليهما وفى اكثر النسخ منها اى من افعال الجاهلية بتمامها (ثم لم اعد) اى لم ارجع اليها ابدا فعن على
كرم الله وجهه على ما رواه البزار بسند صحيح عنه مرفوعا بلفظ ما هممت بشىء مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير
مرتين كل ذلك يحول الله بينى وبين ما اريد ثم ما هممت بعدهما بشىء حتى اكرمنى الله برسالته ورواه الحاكم
فى المستدرك فى التوبة بلفظ ما هممت بقبيح مما هم به اهل الجاهلية الا مرتين من الدهر كلتاهما يعصمنى الله منهما قلت
ليلة لفتى من قريش كان باعلى مكة يرعى غنما لاهله ابصر لى غنمى حتى اسمر هذه الليلة كما يسمر الصبيان فجئت ادنى

دار من دور مكة فسمعت غناء وصوت دفوف ومزامير فقلت ما هذا فقيل فلان تزوج فلانة فلهوت بذلك الغناء وذلك الصوت حتى غلبتني عيناي فما ايقظني الا حر الشمس ثم رجعت الى صاحبي فقال لي ما فعلت فاخبرته ثم فعلت الليلة الاخرى مثل ذلك فسمعت كما سمعت حتى غلبتني عيناي فما ايقظني الا مس الشمس ثم رجعت الى صاحبي فقال لي ما فعلت فقلت ما فعلت شيئا اي وذلك حياء قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والله ما هممت بعدهما بسوء مما يعمله اهل الجاهلية حتى اكرمني الله بنبوته وفيه تنبيه على ان هذا الهم انما كان حال الصغر دون البلوغ كما يشير اليه قوله كما يسمر الصبيان وهذا اوفى دليل على قبح سماع اللهو وضرب الدف الا ما شرع له خلافا لما يفعله الجهلة من الصوفية حيث يجمعون بين الاذكار وضرب الدفوف ونفخ المزمار حتى في مجالس المواليد ومزار قبور المشايخ الابرار والحاصل ان الانبياء مخلوقون على المكارم الرضية ومجبولون على الشمائل البهية وانه لا يضر في ذلك ما وقع لهم حال الصغر على سبيل الندرة (ثم تتمكن الامر لهم) اي يزداد (وتترادف) اي تتوالى وتتتابع (نفحات الله) جمع نفحة اي عطاياه ومعارفه وجذباته (عليهم وتشرق) من الاشراق اي تضيء (انوار المعارف في قلوبهم) اي وآثار العوارف على صدورهم (حتى يصلوا الغاية) وفي نسخة الى الغاية اي نهاية ارباب الهداية واصحاب العناية (ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة في تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية) بالنصب مفعول يبلغوا والمراد بها النهاية التي ما فوقها نهاية لكن كما قيل النهاية هي الرجوع الى البداية فهم بين فناء وبقاء ومحو وصحو في مرتبة الكمال بين صفتي الجلال والجمال (دون ممارسة ولا رياضة) اي من غير معالجة وملازمة رياضة كسبية بل بخلقة جبلية وجذبة الهية (قال الله تعالى ولما بلغ اشده) اي وصل موسى نهاية قوته وغاية نشأته من ثلاثين الى اربعين سنة (واستوى) اي استحكم عقله واستقام حاله وبلغ اربعين سنة وهو سن بعث الانبياء غالبا في سنة الله وعادته سبحانه وتعالى (آتيناه حكما) اي نبوة (وعلما) اي معرفة تامة وابعد الدلجي في تفسيره الحكم بعلم الحكماء ثم في ترجمته (وقد نجد) اي نصادف (غيرهم) اي غير الانبياء من العقلاء والحكماء والاولياء (يطبع على بعض هذه الاخلاق) اي الكريمة المستحسنة (دون جميعها) وفي اصل الدلجي دون بعضها (ويولد عليها) اي يولد بعضهم على تلك الاخلاق (فيسهل عليه اكتساب تمامها) بواسطة تخلقه واتصافه بها (عناية) اي بعناية (من الله تعالى كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان) بكسر الخاء المعجمة وسكون اللام (على حسن السمت) اي الهيئة والطريقة والحلية محلية اهل الحقيقة كما روي عن بعض ارباب هذا الشان انه لم يكن يرضع في نهار رمضان (او الشهامة) بفتح المعجمة اي على الجلادة وذكاء الفطنة (او صدق اللسان) اي مع نطق البيان (او السماحة) اي الجود والكرم والصبر والحلم وقلة الاكل وكثرة الحياء وكمال الادب والرضى بما اعطي من المأكل والملبس وغيرهما (وكما نجد بعضهم) اي بعض غير الانبياء او بعض الصبيان (على ضدها) اي في الصغر والكبر (فبالاكتساب يكمل) بضم الميم اي يتم (ناقصها وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها) بصيغة المجهول (ويعتدل منحرفها) اي مائلها لمن وفقه الله تعالى على اكمالها واستقامة احوالها (وباختلاف هذين الحالين) اي الجبلي والكسبي (يتفاوت الناس فيها) اي قلة وكثرة وتحصيلا وتعطيلا (وكل ميسر) اي معدومها (لما خلق له) وهو مقتبس من حديث اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما من كان من اهل السعادة فييسر لعمل اهل السعادة واما من كان من اهل الشقاوة فييسر لعمل اهل الشقاوة (ولهذا) اي ولتفاوت الناس فيها وفي اكثر النسخ وبهذا ما اي وثبت لهذا ما (قد اختلف السلف فيها) اي في الاخلاق (هل هذا الخلق) اي الحسن او جنسه (جبلة او مكتسبة فحكى الطبري) اي صاحب التفسير والتاريخ (عن بعض السلف ان الخلق الحسن) اي وكذا ضده (جبلة وغريزة في العبد وحكاه) اي بعض السلف او الطبري (عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه والحسن) اي البصري (وبه قال هو) اي ابن جرير الطبري (والصواب ما اصلته) اي جعلناه اصلا فيما مر ان منها ما هو جبلة غريزية ومنها ما هو كسبية رياضية وكان حق المصنف ان يقول والظاهر او الصحيح كما في نسخة مكان قوله والصواب مراعاة لما سبق من السلف كما يقتضيه حسن الآداب ثم التحقيق ما قدمناه (وقد روى سعد) اي ابن ابي وقاص كما في مقدمة كامل بن عدي وفي مصنف ابن ابي شيبة عن ابي امامة (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال كل الخلال) بكسر الخاء جمع خلة بالفتح اي الصفات والخصال (يطبع عليها المؤمن الا الخيانة) ضد الامانة (والكذب) اي فلا يطبع عليهما بل قد يوجدان فيه ويعرضان ويحدثان تخلقا وتكسبا (وقال عمر رضي الله تعالى عنه) اي ابن الخطاب كما في اكثر النسخ (في حديثه) اي الذي رواه ابن جرير وابن ابي حاتم وسعيد بن منصور عنه موقوفا (الجرأة) على وزن الجرعة الشجاعة ويقال بفتح الراء وحذف الهمزة كما يقال للمرأة مرة وبفتح الجيم والراء والمد (والجبن) ضدها وهو بضم الجيم وسكون الباء وقد يضم (غرائز) جمع غريزة اي طبائع وقرائح (يضعها) وفي نسخة يضعها (الله حيث

يشاء) اى كما قال تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته انتهى كلامه رضى الله تعالى عنه و هذه الاخلاق المحمودة والخصال الجليلة) وفى نسخة الشريفة بدلها وفى نسخة جمعهما (كثيرة ولكن) وفى رواية ولكنا وفى اخرى ولكننا (نذكر اصولها) اى فى فصولها (ونشير الى جميعها) اى باعتبار فروعها (ونحقق) اى نثبت (وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بها) اى على وجه كمالها (ان شاء الله تعالى) اى اتمام ماقصدنا اليه (فصل) اى فى بيان اصول هذه الاخلاق تصريحا والاشارة الى جميعها تلويحا وتحقق وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بها توضيحا (اما اصل فروعها) اى افرادها من حيث انبعاثها من العقل الذى هو معدنها (وعنصرينا بيعها) بضم العين والصاد ويفتح اى اصلها الذى كانها تنبع منه حين ظهورها والعطف تفسير فى العبارة وتفنن بالاشارة (ونقطة دائرتها) اى مركزها وقطبها الذى هو مدارها (فالعقل) اى ادراك النفس باشراق ظهوره وافاضة نوره كالشمس بالنسبة الى الابصار (الذى منه ينبعث العلم) بالكليات (والمعرفة) بالجزئيات (ويتفرع من هذا) اى من كونه اصلا (ثقوب الرأى) اى نفوذه واحكامه (وجودة الفطنة) بفتح الجيم اى احسن الفهم (والاصابة) بالرفع وفى نسخة بالجر والمراد بها ادراك الغرض على وجه الصواب (وصدق الظن) بالرفع لاغير والمراد موافقة للواقع فى الخارج او الذهن (والنظر للعواقب) اى التأمل والتدبر فى عواقب الامور ليتميز محمودها من مذمومها فيكتسب المدائح ويجتنب القبائح (ومصالح النفس) اى لمصالحها ومنافعها ومحاسن عاقبتها ومآلها دون ما عليها (ومجاهدة الشهوة) اى لمدافعتها وفى بعض النسخ بالرفع اى ويتفرع منه مجاهدة النفس بترك الشهوات واللهوات والغفلات وحملها على الطاعات والعبادات (وحسن السياسة) بالرفع اى سياسة الناس بالعدالة وصدق اللهجة ووفق النهجة (والتدبير) اى وحسن التدبير لامورهم معاشا ومعادا (واقتناء الفضائل) بالرفع اى تكسب الشمائل (وتجنب الرذائل) و يحصل الكل بمخالفة الشهوة والهوى وموافقة الشريعة والهدى (وقد اشرنا) اى فيما سبق (الى مكانه) اى محله (منه صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لتمكنه من كمال العقل الذى هو اساس العمل بالعدل فى جميع مراتب القول والفعل (وبلوغه منه) اى والى وصوله منه على كمال فصوله فى حصوله (ومن العلم) اى وتمكنه من العلم الحاصل المتفرع على العقل الكامل (الغاية) اى بلوغه للغاية القصوى كما فى نسخة (التى لم يبلغها بشر سواه واذ جلالة محله من ذلك) اى من اجل جلالة محله من العقل والعلم (ومما تفرع) وفى نسخة ومما يتفرع (منه متحقق) ويروى متحققة اى ثابت مقطوع به فى امره لا ريب فى علو قدره (عند من تتبع) اى علم بالتتبع وفى نسخة بصيغة المضارع المجرد والاظهر ان يكون بالمضارع المزيد اى يطالع (مجارى احواله) اى الجارية على سنن الحق ووفق الصدق (واطراد سيره) جمع سيرة اى ويشاهد استمرار شمائله الرضية الظاهرية وفق احواله البهية الباطنة فان الظاهر عنوان الباطن والاناء يترشح بما فيه (وطالع) اى علمها بطريق المطالعة (جوامع كلمه) اليسير المبنى والكثير المعنى (وحسن شمائله وبدائع سيره) اى وطالع ورأى فى الكتب اخلاقه الحسنة وسيره البديعة وسيرسلوكه المنيعة (وحكم حديثه) بكسر الحاء وفتح الكاف جمع حكمة اى احاديثه المشتملة على الحكم الكاملة الشاملة لاتقان العلم والعمل (وعلمه) اى طالع احاطة علمه (بما فى التوراة والانجيل) بكسر الهمزة ويفتح (والكتب المنزلة) اما مفصلة واما مجملة مما يحتاج اليه امر دينه فى الجملة (وحكم الحكماء) اى علمه حكمهم ومعرفته حكمهم (وسير الامم الخالية) اى الماضية (وايامها) اى وقايعها فى قصص الانبياء السالفة (وضرب الامثال) اى الواقعة فى الاقوال والافعال (وسياسات الانام) اى انواع زجر العوام كالانعام لتحصيل تمام النظام فى الليالى والايام (وتقرير الشرائع) اى بيان احكامها اصولا وفروعا (وتأصيل الآداب النفيسة) اى وتأسيس ابواب الآداب المرغوبة وفى نسخة النفسية والظاهر انه تصحيف (والشيم الحميدة) اى الاخلاق والعادات المطلوبة (الى فنون العلوم) اى منضمة اومنتهية الى غير ذلك من انواع المعارف واصناف العوارف (التى اتخذ اهلها كلامه عليه الصلاة والسلام فيها قدوة) بتثليث القاف والكسر اشهر ثم الضم اى مقتدى اقتدوا به (واشاراته حجة) اى واتخذوا اشاراته بها وبغيرها دلالة دينية واستدلوا بها (كالعبارة) بكسر العين مصدر عبر الرؤيا يعبر بمعنى التعبير والتفسير اى ذكر عاقبتها وآخر امرها ومآله اتأويل اى ذكر مآلها ومرجعها (والطب) بتثليث الطاء وتشديد الباء والكسر اصح وافصح مصدر طب اى عالج ووصف الدواء وازال الداء وصار سبب الشفاء (والحساب) مصدر حسب اى عدو هو علم يعرف به مقادير العدد بنوع الجمع والتفريق (والفرائض) جمع فريضة من الفرض بمعنى التقدير و هو علم يعرف به علم الميراث ومراتب الورثة من اصحاب الفرائض والعصبة وحكم سائر القرابة (والنسب) بفتحتين من نسبت الرجل عزوته الى ابيه ورجل نسابة اى بليغ العلم بالانساب وتاؤه للمبالغة كالعلامة (وغير ذلك) اى من علوم شتى ظهرت عليه فى متفرقات حالاته (مما سنبينه فى معجزاته) اى فى اواخر الباب الرابع

في ذكره بحرمانه (ان يسر ماله من لي دون تعلم) اي من غير تعلم له من بشر ولا تعلمه من احد (ولا مدارسة) اي مذاكرة مع من يدرس غيرها (ولا مطالعة كتب من تقدم) ليعلم منها شطرا فانه لا يعلم (ولا الجلوس الى علمائهم) اي علماء اهل الكتاب ولانه ما اشتهر كونه في كل باب (بل نبي امي) اي منسوب الى امه على وصف ما خلق حين ولادته من عدم قراءة وكتابة ومباشرة سفر وحضانة (لم يعرف) بصيغة المجهول اي لم يشعر (بشيء من ذلك) اي مما ذكر (حتى شرح الله صدره) اي وسعه ونوره بالادب والمعرفة والعلم والحكمة (وابان امره) اي واظهر قدره الى ظاهره وباطنه (وعلمه) اي ما لم يكن يعلم (واقرأه) اي ما لم يكن يقرأ وعلم كما قال سبحانه وتعالى في مبدأ وحيه اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم (يعلم ذلك) بصيغة المجهول اي يعرف جميع ما ذكر (بالمطالعة) في دلائل نبوته وشمائل سيرته (والبحث عن حاله) اي التفحص عن افعاله (ضرورة) اي علما ضروريا بما قارب ان يكون بديهيا (وبالبرهان) اي ويعلم ذلك بالدليل (القاطع) بما قام من الارهاصات بعد خلقته والمعجزات (على) دعوى (نبوته نظرا) اي علما نظريا واستدلاليا فكريا (فلا نطول بسرد الاقاصيص) اي بايراد قصص الانبياء متتابعة تمامه فيما طرق الضروري (وآحاد القضايا) اي ولا بسردها مجتمعة فيما يشتمل على الدليل الفكري (اذ مجموعها ما لا يأخذه حصر) بحصوله ذا (ولا يحيط به حفظ جامع) بضبطه على الابدا (وبحسب عقله) بفتح الحاء والسين على ما في الاصول المعتمدة وضبطه الدلجي بسكون السين وقال اي بقدره فقط والصواب ما قلنا والمعنى وبمقدار كمال عقله (كانت معارفه عليه الصلاة والسلام) في نهاية لا ترام وغاية لا تسام ل ولا تسام مبنيا ومعلما (الى سائر ما علمه الله) اي ما علمه (واطلعه عليه من علم ما يكون) في عالم الشهادة (وما كان) في عالم الغيب من السعادة والشقاوة (وعجائب قدرته وعظيم ملكوته) اي من ظهور قوته ووضوح سلطنته (قال الله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم) من تفاصيل الشريعة وآداب الطريقة واحوال الحقيقة (وكان فضل الله عليك عظيما) حيث اتم ذلك انعاما احسانا (حارت العقول) اي ذهبت ووردت (في تقدير فضله عليه) اي في تقرير علمه لديه وتصوير احسانه اليه (وخرست الالسن) بكسر الراء اي سكتت وبكمت الالسنة (دون وصف يحيط بذلك) اي تحيط من ان تصف ما خصه الله به عليه (او ينتهي اليه) اي دون وصف ينحصر لديه لانه مظهر الاسم الاعظم والله سبحانه وتعالى اعلم

(فصل)

(واما الحلم والاحتمال والعفو مع المقدرة) بفتح الدال وضمها وحكي كسرها بمعنى القوة وفي نسخة مع القدرة (والصبر على ما يكره) بصيغة المجهول اي ما يكرهه النفس ويخالفها هوى (وبين هذه الالقاب) اي الاخلاق والآداب (فرق) اي فارق دقيق يميز كل من المتحري هذا الباب (فان الحلم حالة توقر وثبات) اي صفة يورث علو وقار وثبات في الامر واستمرار (عند الاسباب المحركات) اي للغضب الباعث على العجلة في عقوبته (والاحتمال) بالنصب او الرفع (حبس النفس) اي تحملها (عند الآلام والمؤذيات) اي عند ورود ما يؤلمه ويوجعه من الامراض ويؤذيه ويغضبه من الاعراض والالام من الجراحات الالهية والاذى من جهة الجراحات والآدمية فليس هذا من عطف العام على الخاص كما توهمه الدلجي وفي نسخة المرديات بالراء والدال المعجمة اي المهلكات (ومثلها) اي المذكورات (الصبر) فانه حبس النفس على ما تكره الا انه اعم منها فهو كالجنس وكل مما ذكر كالنوع فان الصبر يكون على الشدة وعن المعصية وفي الطاعة هو في الله وبالله ومع الله وعن الله والصبر يحمد في المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم اي على فراقك او على بعدك (ومعانيها متقاربة) اي وان كانت حقائقها متباينة (واما العفو فهو ترك المؤاخذة) واصله المحو ثم استعمل في معنى التجاوز عن جزاء المعصية وهو مصدر وليس كما قال الدلجي انه من ابنية المبالغة (وهذا) اي ما ذكر من الاخلاق الكريمة (كله) اي جميعه على الحالة المستقيمة (مما ادب الله) تعالى (به نبيه محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) كما ورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ادبني ربي فاحسن تأديبي (فقال) اي من جملة ما ادبه به سبحانه وتعالى (خذ العفو) اي المساهلة والمسامحة (وأمر بالعرف) اي بالمعروف من حسن المعاشرة (الآية) اي واعرض عن الجاهلين بالمجاملة وحسن المعاملة وترك المقابلة كما قال تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما اي سلام الموادعة لذي فيه السلامة من المواقعة وقد قيل ليس في القرآن آية اجمع لمكارم الاخلاق منها (وروي) اي كما في تفسير ابن جرير وابن ابي حاتم وابي الشيخ في مكارم الاخلاق وابن ابي الدنيا مرسلا ووصله ابن مردويه (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الآية) يعني خذ العفو الى آخرها (سأل جبريل) قيل جبريل مضاف الى ايل او آل وهما اسم الله تعالى ومعنى جبر عبد فكأنه قيل عبد الله ورده ابو علي الفارسي بانهما لو كانا من اسماء الله سبحانه وتعالى لو كان كذلك لم ينصرف آخر الاسم في وجوه العربية وكان آخره مجرورا ابدا كعبد الله قال النووي وهذا الذي قاله هو الصواب انتهى وفي جبريل اربع عشرة لغات وسبع لغات (عن تأويلها) اي تحقيق تفسيرها (فقال له) اي جبريل (حتى اسأل العالم) اي الحقيق الذي هذا كلامه

ولم يعرف غيره حقيقة مراده ومرامه فصاحب البيت ادرى بمافيه من بيان مبانية وتبيان معانيه (ثم ذهب وأتاه)
اى بعد سؤاله اياه (فقال يامحمد ان الله يأمرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عن ظلمك وقال) اى الله
تعالى (له) اى للنبى عليه الصلاة والسلام حكاية عن وصية لقمان لابنه يابنى اقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر
(واصبر على ما اصابك) اى من انواع المحن واصناف الضرر خصوصا من جهة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر
(الآية) اى ان ذلك من عزم الامور اى مفروضاتها وواجباتها التى لارخصة فى اهمالها لارباب كمالها (وقال
فاصبر كما صبر اولوا العزم) اى اصحاب الثبات والحزم (من الرسل) امابيانية وامابعضية وهوالمشهور وعليه الجمهور
وهم الخمسه المجتمعة فى آية مختصة وهى قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى
وعيسى ابن مريم وقدم صلى الله تعالى عليه وسلم لماله فى الرتبة قد تقدم وقيل هم الصابرون على بلاء الله فنوح صبر
على اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم صبر على النار وذبح ولده والذبيح على ذبحه ويعقوب على فقد
ولده وبصره ويوسف على الجب والسجن والرق وايوب على الضر وموسى على محن قومه وداود على قضيته وبكائه
اربعين سنة على خطيئته وعيسى على زهده وعدم بنائه لبنة على لبنة وزكريا على قطع المنشار ويحيى على الذبح وقيل هم
المأمورون بالجهاد وقيل من يصيبهم فتنة منهم وقيل هم اهل الشرائع وقيل استثنى من الرسل آدم لقوله تعالى ولم نجد
له عزما ويونس لقوله سبحانه وتعالى ولاتكن كصاحب الحوت (وقال) اى الله له ولاتباعه (وليعفوا) اى ما فرط
فى حقهم من بعضهم (وليصفحوا) بالاغماض منهم والاعراض عنهم (الآية) اى الاتحبون ان يغفر الله لكم اى لعفوكم
وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم واعتدى عليكم وفيه التفات يفيد الاهتمام بامرهم وقد روى البخارى
انه لمانزلت قال ابوبكر رضى الله تعالى عنه بلى احب ورجع الى مسطح نفقته التى قطعها عنه لخوضه مع اهل الافك
وخطائه وصدر الآية ولايأتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله
وكان مسطح قريب ابى بكر ومسكينا ومهاجرا وفى الآية دليل على فضل الصديق وسعة علمه بالتحقيق واذا كان هذا
العفو والصفح موصوفا اكابر الامة بهما فكيف صاحب النبوة لايكون موصوفا باعلى مراتبهما (وقال ولمن صبر) اى
على الاذى (وغفر) اى ستر محا وتجاوز وعفا (ان ذلك) ماذكر من الصبر والغفران (لمن عزم الامور) اى من افضل
الامور واما قول الدلجى اى ان ذلك الصبر والغفران منه لمن عزم الامور فحذف منه كما حذف فى نحو السمن منوان
بدرهم اى منه للعلم به فليس فى محله اذهو مستغنى عنه فى صحة حله وحله (ولاخفاء) اى عند اهل الصفا (بمايؤثر)
اى فيمايروى (من حلمه) اى صبره مع احبابه (واحتماله) اى تحمله على اعدائه حتى قال ابوسفيان له مااحلمك حين قال
له اعم اماآن لك ان تسلم بابى انت وامى (وان) بفتح الهمزة وفى نسخة بكسرها (كل حليم) اى صاحب حلم (قدعرفت
منه زلة) بفتح الزاى اى عثرة وفى الحديث اتقوا زلة العالم وانتظروا فيئته وفى الحديث مااعزالله بجهل قط ولااذل الله
بعلم قط وقيل ماعزذو باطل ولوطلع القمر من جبهته (وحفظت عنه هفوة) بالفاء اى معرة بمقتضى ماقيل نعوذبالله من
غضب الحليم مع ان الكامل من عدت مساويه لكنه عصم عند باريه عصمة لايشاركه احد فيها ولايساويه فالكلية
عامة شاملة لاصحاب النبوة وارباب الفتوة ولذا قيل ان الانبياء كلهم معصومون صغرا وكبرا من الكبيرة والصغيرة فان
مراتب العصمة متفاوتة (وهو صلى الله تعالى عليه وسلم) اى اثباته فى محامد صفاته (لايزيد مع كثرة الاذى)
اى الواصل منهم اليه (الاصبرا) اى تحملا عليهم بل احسانا اليهم (وعلى اسراف الجاهل) اى مجاوزته الحد فى التقصير
اليه ويروى الجاهلية اى على اسراف اهلها (الاحلما) اى تجاوزا وكرما (حدثنا القاضى ابو عبد الله محمد بن على
التغلبى) بمثناة فوقية مفتوحة وسكون غين معجمة وفتح لام وتكسر نسبة الى قبيلة واما ماوقع فى بعض النسخ من
الثاء المثلثة والعين المهملة فتصحيف فى المبنى وتحريف فى المعنى مات سنة ثمان وخمسمائة (وغيره) اى من المشايخ
المشاركين له فى هذه الرواية (قالوا حدثنا محمد بن عتاب) بفتح المهملة وتشديد المثناة الفوقية وآخره باء موحدة
(انبأنا) اى قال اخبرنا (ابو بكر بن وافد) بالفاء المكسورة اوالقاف (القاضى وغيره) اى وغير ابى بكر (حدثنا)
اى قالوا حدثنا (ابو عيسى) اى الليثى واسمه يحيى بن عبدالله بن ابى عيسى (حدثنا) اى قال حدثنا (عبيدالله)
يعنى اباه (انبأنا) اى قال اخبرنا (يحيى بن يحيى) لم يخرج له فى الكتب الستة شئ والموطأ مشهور به وموطأه اصح
الموطآت (انبأنا) اى قال اخبرنا (مالك) اى ابن انس بن مالك بن ابى عامر الاصبحى امام المذهب قيل تابعى ولم يصح
(عن ابن شهاب) اى الزهرى (عن عروة) اى ابن الزبير بن العوام من الفقهاء السبعة بالمدينة كان يصوم الدهر
ومات وهو صائم (عن عائشة رضى الله تعالى عنها) كما رواه الشيخان وابو داود ايضا عنها (قالت ما خير رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ما خيره الناس (فى امرين) اى فى اختيار احدهما (قط) اى ابدا (الا اختار

ايسرهما) اى اهونهما على الصبر او اسهلهما عنده لانه ورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم يسروا ولا تعسروا وان هذا الدين يسر وقال الله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر (مالم يكن) اى الايسر (اثما) اى ذا اثم (فان كان اثما كان ابعد الناس منه) اى تنزها واجتنابا فبالاولى ان لا يختاره ولو كان سهلا ففيه تلويح باستحباب الاخذ بالايسر والارفق مالم يكن حراما او مكروها فان الله تعالى يحب ان يؤتى رخصه كما يحب ان يؤتى عزائمه واما قول الدلجى بنى خير لمفعوله وحذف فاعله تعويلا على ظاهر القرينة وايذانا بعمومه اذ كان هو الله او غيره فالله ما جعل له الخيرة فى امرين جائزين الا اختار ايسرهما كاختياره حين قال له جبريل ان شئت جعلت عليهم اى على قريش الاخشبين بقاءهم بقوله دعنى انذر قومى رجاء ان يوحدوه او يخرج من اصلابهم من يوحده فلا يخفى انه غفلة منه عما فى نفس الحديث مالم يكن اثما اذ من المعلوم ان الله سبحانه وتعالى او جبريل عليه الصلاة والسلام لا يخيره بين امرين يحتمل ان يكون احدهما اثما ثم رأيت النووى ذكر عن القاضى انه قال يحتمل ان يكون تخييره من الله فيخيره فيما فيه عقوبتان او فيما بينه وبين الكفار من القتال واخذ الجزية او فى حق امته فى المجاهدة فى العبادة والاقتصاد فكان يختار الايسر فى هذا كله قال واما قوله مالم يكن اثما فيتصور اذا خيره الكفار او المنافقون واما اذا كان التخيير من الله او من المسلمين فيكون الاستثناء منقطعا انتهى ولا يخفى ان التخيير من المسلمين ايضا يتصور فيما لم يصل الى بعضهم كونه اثما فى الدين (وما انتقم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لنفسه) اى ما انتصر ولم يعاقب احدا لاجل خاصة نفسه مالحقت به الكراهة حدا يورثه انتقاما من احد على مكروه اتاه من قبله (الا ان تنتهك حرمة الله) بصيغة المجهول اى الا ان يبالغ احد فى خرق حرمة الله التى تتعلق بحقه سبحانه وتعالى او بحق احد من خلقه ومن جملته خرق حرمته صلى الله تعالى عليه وسلم على وجه يجب الانتقام من هاتكها والاستثناء منقطع اى لكن اذا انتهكت حرمة الله انتصر لله وانتقم له تعالى بسببها (فينتقم لله) اى لا لحظ نفسه (بها) بسبب حرمة الله ممن ارتكبها والحديث رواه البخارى ومسلم وابو داود كما اخرجه المصنف عن مالك فى موطأه وفى رواية مسلم ما نيل منه شئ قط فينتقم من صاحبه الا ان ينتهك شئ من محارم الله فينتقم لله اى ما اصيب باذى من احد وعاقبه به انتصارا لنفسه لكن اذا بالغ فى خرق شئ من محارم الله التى من جملتها حرمته انتصر لله وعاقبه له لا لنفسه فلم يكن انتقامه الا لله لا لغرض سواء وان كان فيه موافقة هواه لكن المدار على مقاصد هداه والحاصل ان فى الحديث دلالة على كمال حلمه وعفوه وتحمل الاذى وترك الانتقام لنفسه مع مراعاة الله فى حقه فهو الجامع بين فضله وعدله تخلقا باخلاق ربه (وروى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما كسرت) بصيغة المجهول اى انكسرت (رباعيته) على وزن الثمانية بفتح راء وكسر عين وتخفيف ياء تحتية وهى التى بين الثنية والناب وللانسان ثنايا اربع ورباعيات اربع وانياب اربعة واضراس عشرون وقد كسرها عتبة بن ابى وقاص وهو اخو سعد بن ابى وقاص رمى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكسرت رباعيته يعنى شظيت وذهبت منها فلقة (وشج وجهه) بصيغة المفعول شجه عبد الله ابن شهاب الزهرى كلاهما (يوم احد شق ذلك) اى ما ذكر او كل واحد منهما (على اصحابه شديدا) وفى نسخة شقا شديدا (وقالوا لو دعوت) اى الله (عليهم) اى بانزال العقوبة اليهم (فقال انى لم ابعث لعانا) اى صاحب لعن وطرد عن رحمة الله (ولكن بعثت داعيا) اى هاديا الى الحق (ورحمة) للخلق كما قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين (اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون) اى ولا تؤاخذهم بما يجهلون والحديث رواه البيهقى فى شعب الايمان مرسلا وآخره موصولا وهو فى الصحيح حكاية عن نبى ضربه قومه زاد ابن هشام فى سيرته انها ثنيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى وان ابن قمئة جرحه فى وجنته فدخلت حلقتان من المغفر فى وجنته فنزعهما ابو عبيدة بن الجراح حتى سقطت ثنيته قال يعقوب ابن عاصم فكان حتف ابن قمئة ان سلط الله عليه كبشا فنطحه فقتله او فالقاه من شاهق فمات واما ابن شهاب فاسلم واما عتبة ففى تهذيب النووى ان ابن منده عده من الصحابة وانكره ابو نعيم اذ لم يذكره فيهم احد قبله والصحيح انه لم يسلم قال السهيلى ولم يولد من نسله ولد فبلغ الحلم الا وهو ابخر او اهتم فعرف ذلك فى عقبه وفى مستدرك الحاكم انه لما فعل عتبة ما فعل جاء حاطب بن ابى بلتعة فقال يا رسول الله من فعل هذا بك فاشار الى عتبة فتبعه حاطب حتى قتله فجاء بفرسه الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفى تفسير عبد الرزاق بسنده الى مقسم قال ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم دعا على عتبة بن ابى وقاص حين كسر رباعيته ودمى وجهه انتهى فان قلت حديث عبد الرزاق فى تفسيره يدل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا على عتبة حين كسرها وهذا الحديث بظاهره يدل ضده قلنا لا يلزم من دعائه عليه عدم دعائه على الجميع مع ان التوفيق قد يوجه لكثرة الامن لا لاصله فكانه قال ابعث كثير اللعن عليهم اذ قد روى البخارى وغيره اللهم عليك بقريش اللهم عليك بعمرو بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة

والوليد بن عتبة وامية بن خلف وعقبة بن ابى معيط وعمارة بن الوليد والتحقيق انه عليه الصلاة والسلام مادعا عليهم جملة بل دعا على من علم منهم انهم لايؤمنون فقوله عليك بقريش عام اريد به المخصوصون بقرينة المقام والله اعلم بالمرام (وروى عن عمر رضى الله تعالى عنه) قال الدلجى لم يعرف (انه قال فى بعض كلامه بابى وامى) اى فديتك بهما اوانت مفدى بهما (يارسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لاتذر على الارض الآية) اى من الكافرين ديارا كما فى نسخة اى احدا يدور فى الارض فيعال من الدور (ولو دعوت علينا مثلها) اى مثل دعوة نوح (لهلكنا من عند آخرنا) الى عند اولنا فهو كناية عن الاستيصال (فلقد وطئ ظهرك) بصيغة المجهول وهمز فى آخره وكذا قوله (وادمى وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الاخيرا) وهو الدعاء بالهداية والاعتذار عنهم بالجهالة والغواية (فقلت اللهم اغفر لقومى فانهم لايعلمون قال القاضى ابو الفضل رحمه الله تعالى) اى المصنف (انظر) اى تأمل ايها المعتبر بنظر الفكر والعقل (ما فى هذا القول من جماع الفضل) بكسر الجيم اى مايجمعه (ودرجات الاحسان) اى بالعقل (وحسن الخلق) اى مع شرار الخلق (وكرم النفس) اى على عموم الانام (وغاية الصبر) اى من العدو (والحلم) اى التحمل وعدم الجزع المؤدى الى الدعاء غالبا (اذ لم يقتصر صلى الله تعالى عليه وسلم على السكوت عنهم) اى فى التحمل منهم (حتى عفا) عنهم وصفالهم (ثم اشفق) اى خاف (عليهم ورحمهم) اى من غاية الشفقة ونهاية الرحمة (ودعا) اى لهم (وشفع) اى عذربه (لهم) وهو بفتح الفاء على مافى القاموس شفعه كمنعه فقول الحجازى بكسر الفاء سهو من الكتاب (فقال اغفر) اى استر قومى ووفقهم لمايستحقون المغفرة لاجله (اواهد) اى اهدهم بالايمان واوللشك اوللتنويع (ثم اظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومى) باضافتهم اليه (ثم اعتذر عنهم بجهلهم) بسبب جهلهم بحاله ومقام كماله (فقال فانهم لايعلمون) وليس المراد بقومه قريش وحدهم كما توهمه الدلجى وقال كل ذلك لكونهم رحمه اذما من بيت الاوله فيه قرابة بل لكونه رحمة للعالمين فالمراد بقومه جميع امته بدليل حديث الشيخين ان آل ابى فلان ليسوالى باولياء انما ولىّ الله وصالح المؤمنين لكن لهم رحم ابلها ببلالها اى اصلهم بمايظهر اثرها وقد ورد بلوا ارحامكم اى صلوها وكأنه اراد بالبل حفظ اصلها وطراوة فرعها (ولما قال له الرجل) اى وحين قال له الرجل المنافق وهو ذوالخويصرة حرقوص بن زهير التميمى قتل فى الخوارج يوم النهروان على يد على كرم الله تعالى وجهه (اعدل فان هذه قسمة) اى قسمة غنائم بدر وقيل كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقسم ذهيبة فى تربتها بعث بها على رضى الله تعالى عنه من اليمن (ما اريد بها وجه الله لم يزده) بالزاى اى مازاد (فى جوابه ان بين له ماجهله ووعظ) عطف على بين اى ونصح (صلى الله تعالى عليه وسلم نفسه) اى نفس الرجل (وذكرها) بالتشديد اى وعرفها واعلمها (بما قال له فقال ويحك) قيل هو بمعنى ويلك وقيل هو كلمة ترحم يقال لمن وقع فى هلكة لايستحقها فلجهله رحمه مبينا له ماجهله من انه صلى الله تعالى عليه وسلم احرى الخلق بالعدل بقوله (فمن يعدل) بالرفع فان من استفهامية (ان لم اعدل) شرط حذف جزاؤه لدلالة ماقبله عليه والمعنى ايعدل غيرى وانا اجور كلا (خبت) بكسر الخاء (وخسرت) بكسر السين وضم تائيهما (ان لم اعدل) اى فرضا وتقديرا ارشادا الى ان من لم يعدل فقد باء بالخيبة والخسران واشعارا بكمال اتصافه بالعدل بل بزيادة الحلم والعفو والفضل وروى بفتح تائيهما فالمعنى حرمت كل خير وخسرته فى متابعتى ان لم اعدل فى قسمتى على فرض قضيتى فكأنه قال خبت ايها التابع اذا كنت لااعدل لكونك تابعا ومقتديا لمن لايعدل اوخبت وخسرت اذ لاتستقر فى الاسلام بما تقول ان نبيك ممن لايعدل ومعنى الخيبة الحرمان والخسران الضياع والنقصان وحاصله انك خبت فى الدنيا وخسرت فى العقبى اذا اعتقدت انى لم اعدل قال الحافظ المزى والضم اولى لانه تعليق بعدم العدل الذى هو معصوم منه صلى الله تعالى عليه وسلم وقال النووى الفتح اشهر ولعله اسقط ماوجب له عليه من قتله رعاية لايمانه الظاهر والله اعلم بالسرائر ولما ورد فى بعض طرق هذا الحديث من زيادة قوله عليه الصلاة والسلام ويخرج من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية (ونهى من اراد من اصحابه) وهو خالد بن الوليد او عمر وهو عند الاكثر او كلاهما فتدبر (قتله) بناء على ظهور ارتداده بسبب طعنه فى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بنفى عدله والحديث رواه الشيخان (ولما تصدى له) اى وحين تعرض له صلى الله تعالى عليه وسلم (غورث ابن الحارث) على مارواه البيهقى وهو بفتح الغين المعجمة وبضم وقيل بالمعجمة والمهملة وقيل مصغر (ليفتك به) بكسر التاء وضمها فتكا بالتثليث اى ليقتله غفلة (ورسول الله صلى الله عليه وسلم) اى والحال انه (منتبذ) بكسر الموحدة وبالذال المعجمة اى منفرد عن اصحابه (تحت شجرة) اى فى ظلها (وحده) حال مؤكدة اى ليس عنده احد من احبابه (قائلا) اسم فاعل من القيلولة وقت الظهيرة اى مستريحا او نائما (والناس قائلون)

اى نازلون للقيلولة (فى غزاة) وهى ذات الرقاع فى رابع سنة من الهجرة (فانتبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لم يستيقظ من نومه اولم ينتبه من غفلته عن عدوه (الا وهو) اى غورث (قائم) اى عند رأسه (والسيف صلتا) بفتح الصاد و يضم اى حال كونه مسلولا او التقدير مسلته صلتا (فى يده فقال من يمنعك منى فقال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (الله) اى مانعى او يمنعنى (فسقط) اى السيف كما فى اصل صحيح (من يده فاخذه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وقال اى لغورث (من يمنعك منى قال كن خير آخذ) بالمد اى متصفا بالحلم والعفو والكرم (فتركه وعفا عنه) وكان ذلك سببا لاسلامه (فجاء الى قومه و قال جئتكم من عند خير الناس) ورواه الشيخان بدون سقوط السيف وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم من يمنعك منى وجواب غورث وروى انه كان اشجع قومه فقالوا له قد امكنك محمد فاختار سيفا من سيوفه واشتمل عليه واقبل حتى قام على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالسيف مشهورا فقال يامحمد من يمنعك منى قال الله فدفع جبريل فى صدره ووقع السيف من يده فاخذه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقام به على رأسه وقال من يمنعك منى اليوم فقال لااحد ثم قال اشهد ان لااله الاالله وان محمدا رسول الله ثم اقبل فقال والله لانت خير منى فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا احق بذلك منك (ومن عظيم خبره) اى حديثه صلى الله تعالى عليه وسلم (فى العفو) اى فى جنس عفوه (عفوه عن اليهودية التى سمته) اى جعلت له السم (فى الشاة بعد اعترافها على الصحيح) متعلق بعفو (من الرواية) اى بعد اعترافها على مارواه الشيخان وكان ينبغى للمؤلف ان يقدم قوله على الصحيح من الرواية على قوله بعد اعترافها وهى زينب بنت الحارث بن سلام بتشديد اللام كما ذكره البيهقى فى الدلائل وموسى بن عقبة فى المغازى وقال ابن قيم الجوزية هى امرأة سلام بن مشكم وقال ابو داود هى اخت مرحب وفى رواية ابى داود انه صلى الله تعالى عليه وسلم قتلها وفى شرف المصطفى قتلها وصلبها وروى ابن اسحق انه صفح عنها وجمع بانه عفا عنها لحق نفسه اذ كان لاينتصر لها ثم قتلها قصاصا بمن مات من اصحابه باكله منها كبشر ابن البراء الذى نزل به فلا به حتى مات بعد سنة وبقال انه مات فى الحال لكن فيه اشكال لما جاء فى رواية انها اسلمت فى جامع معمر عن الزهرى انه قال اسلمت فتركها قال معمر والناس يقولون قتلها وانها لم تسلم والله اعلم بالاحوال وبالصحيح من الاقوال (وانه) بالكسر والاظهر انه بالفتح والتقدير ومن عظيم خبره فى العفو انه (لم يؤاخذ لبيد بن الاعصم) وقد هلك على اليهود وقد حكى القاضى خلافا فى مؤاخذته عليه الصلاة والسلام لبيدا وسيجئ فى احياء الموتى ولعله اشار الى صحة عدم المؤاخذة (اذ سحره) اى حين سحره (وقد اعلم به) بصيغة المجهول اى اوحى الله اليه اوجاءه جبريل واخبر به سحره (واوحى اليه بشرح امره) اى ببيان حاله كما رواه احمد والنسائى والبيهقى فى دلائله سحر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رجل من اليهود فاشتكى لذلك فجاءه جبريل فقال ان رجلا من اليهود سحرك عقد لك عقدا فى بئر كذا فبعث عليا فجاء بها فحلها فكانما نشط من عقال فما ذكر ذلك لليهودى ولا اظهره فى وجهه حتى مات (ولا عتب عليه) اى اعرض عن معاتبته (فضلا عن معاقبته) وكان السحر اخذه عن النساء وهى امرأته زينب اليهودية نشأته منها قيل قال تعالى و من شر النفاثات فى العقد ولم يقل النفاثين تغليبا لفعل النساء او المراد النفوس النفاثات قال الدلجى والسحر مزاولة نفوس خبيثة اقوالا وافعالا يترتب عليها امور خارقة للعادة و تعلمه للعمل به حرام و فعله كبيرة واعتقاد حله كفر ولتأثيره زيادة بيان تأتى فى محل تقريره ومكان تحريره وقال الامام الرازى استحداث الخوارق ان كان لمجرد النفس فهو السحر وان كان على سبيل الاستعانة بالخواص العقلية فهو علم الخواص وان كان على سبيل الاستعانة بالفلكيات فذلك دعوة الكواكب وان كان على سبيل تمزيج القوى السماوية بالقوى الارضية فذلك الطلسمات وان كان على سبيل النسب الرياضية فذلك الحيل الهندسية وان كان على سبيل الاستعانة بالارواح الساذجة فذلك العزيمة انتهى وقال غيره السحر اسم يقع على انواع مختلفة وهى السيميا والهيميا وخواص الحقائق من الحيوان وغيرها والطلسمات والاوفاق والرقى والاستخدامات والعزائم (وكذلك لم يؤاخذ) على مارواه الشيخان (عبدالله بن ابى) اى ابن سلول بفتح السين المهملة وهى امه ولابد من تنوين ابى وكتابة الف ابن بعدها ورفع ابن لان سلول ام عبدالله وزوجة ابى فلو لم يبدل ذلك لتوهم ان سلول ام ابى وليس كذلك وسلول غير منصرف للعلمية والتأنيث وقيل منصرف وقيل الصواب ان يكتب ابن بالالف لان علة الحذف وقوعه بين علمين مذكرين او مؤنثين فلو اختلفا لم يحذف وهو رئيس اهل النفاق وهو القائل

(متى مايكن مولاك خصمك لم تزل * تذل ويصرعك الذين تصارع)

(وهل ينهض البازى بغير جناحه * وان جذ يوما ريشه فهو واقع)

واسلم عبدالله بن عبدالله من فضلاء الصحابة (واشباهه) اى وكذا لم يؤاخذ امثاله (من المنافقين) قال ابن عباس كان

المنافقون من الرجال ثلاثمائة ومن النساء مائة وسبعين (بعظيم ماقيل عنهم) وفى نسخة منهم (فى جهته) اى من الجرائم (قولا وفعلا) كقوله تعالى حكاية عن ابن ابى يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل اراد بالاعز نفسه وبالاذل اعز خلق الله سبحانه وتعالى (بل قال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على المر يسيع ماء لبنى المصطلق (لمن اشار) اى من اصحابه (بقتل بعضهم) اى بعض المنافقين بعد ان بلغه وقد هزم بنى المصطلق قول ابن ابى وقد لطم حليفا له جهال من فقراء المهاجرين مساعدة لاجير لعمر ما صحبنا محمدا الا لنلطم والله ما مثلنا ومثلهم الاكما قيل سمن كلبك يأكلك اما والله ان رجعنا الآية ثم قال لقومه و الله ان امسكتم عن جهال وذوية فضل طعامكم لم يركب بوارقابكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فقال زيد بن ارقم انت والله الذليل القليل المبغض فى قومك ومحمد فى عز من الرحمن وقوة من المسلمين ثم اخبره به الله فقال عمر يا رسول الله دعنى اضرب عنقه فقال اذن ترغم ذلة انوف كثيرة فقال عمر ان كرهت ان يقتله رجل من المهاجرين فمر سعد بن عبادة او محمد بن مسلمة اوعبادة بن الصامت فليقتلوه فقال (لا لئلا يتحدث) بصيغة المجهول و يروى لايتحدث الناس وهو نفى معناه نهى وقال الدلجى لا آذن لك يتحدث وفى رواية فكيف اذا تحدث الناس (ان محمدا يقتل اصحابه) قيل هذا فى حكم العلة لترك قتله مع رعاية اسلامه الظاهرى وانكاره هذا القول فى اخباره ولعل حكمة العلة انه يكون تنفيرا عن دخول الانام فى الاسلام ولذا ورد يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا ولذا كان يتألف الكفار المصرحين لكونه رحمة للعالمين وفى هذا دليل على ترك بعض الامور التى يجب تغيرها مخالفة ان يترتب عليها مفسدة اكبر منها (وعن انس) كما رواه الشيخان (كنت مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعليه برد) اى شملة مخططة او كساء اسود مربع (غليظ الحاشية فجبذه) اى فجذبه كما فى نسخة والاول لغة فى معنى الثانى اومقلوبة فى حروف المبانى والمعنى فجره (اعرابى) مجهول لم يعرف اسمه (بردائه جبذة شديدة) اى دفعة عنيفة (حتى اثرت حاشية البرد فى صفحة عاتقه) اى جانب مابين كتفه ومنكبه ولم يتأثر هو صلى الله تعالى عليه وسلم من سوء ادبه (ثم قال) اى الاعرابى على عادة اجلاف العرب (يامحمد احمل لى) بفتح الهمزة اى اعطنى مااحمل لى واغرب التلمسانى حيث قال لمعنى اعنى على الحمل وفى نسخة احملنى والظاهر انه تصحيف فى المبنى لانه تحريف فى المعنى (على بعيرى هذين من مال الله الذى عندك) زاد البيهقى (فانك لاتحمل لى) وفى نسخة لاتحملنى وفيه ماسبق الا ان يقال معناه اعطنى على التجريد وفى اصل التلمسانى لاتحمله (من مالك ولا من مال ابيك فسكت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى حلما وكرما (ثم قال المال مال الله وانا عبده ثم قال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ويقاد منك) فعل مجهول من القود اى يقتص منك ويفعل بك (يا اعرابى مافعلت بى) اى مثل فعلك معى من جذب ثوبى (قال لا) اى لايقاد منى (قال لم) اى لاى شئ (قال لانك لاتكافئ) بالهمز اى لاتجازى (بالسيئة السيئة) بل تجازى بالسيئة الحسنة (فضحك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى تعجبا (ثم امر ان يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر) ويروى على بعير تمر وقيل اذا احب الله عبدا سلط عليه من يؤذيه (وعن) وفى اكثر النسخ قالت (عائشة رضى الله تعالى عنها) كما فى الصحيحين (مارأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منتصرا من مظلمة) بكسر اللام وتفتح اى مايطلب عند الظلم واما قول الحجازى وبفتح الميم الثانية وكسرها فلا وجه له (ظلمها) بصيغة المجهول (قط) اى ابدا (مالم يكن) اى المظلمة (حرمة من محارم الله) اى متعلقة بحقوق الخلق او الحق خارجة عن خاصة نفسه وحرماته فرائضه اوماوجب القيام به وحرم التفريط فيه (وماضرب بيده شيئا قط) واحترزت بقولها بيده عن ضرب غيره بامره تأديبا او تعزيرا اوحدا وهذا كله من باب الكرم والرحم على العامة والخاصة (الا ان يجاهد فى سبيل الله) اى فانه كان يضرب بيده مبالغة فى مقام جده واجتهاده فى جهاده ثم ماضرب احدا من اعدائه الا كان حتف انفه وعذابا له فى آخر امره بدليل قول ابى بن خلف وقد خدشه يوم احد فى عنقه فجزع جزعا شديدا بالم شديد فقيل له ماهذا الجزع فقال والله او بصق محمد على لقتلنى (وماضرب خادما ولا امرأة) تخصيص بعد تعميم ودفع لتوهم ان النفى الاول متعلق بمن كان خارجا عن اهله واشعارا بان التحمل منهما اشد ثم فيه جواز ضرب المرأة والخادم للادب اذ لولم يكن مباحا لم يتمدح بالتنزه عنه (وجئ اليه برجل) على ماروى احمد والطبرانى بسند صحيح (فقيل هذا اراد ان يقتلك) اى فحصل للرجل روع فى روعه وفزع فى روحه (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لن تراع) بضم التاء اى لن تفزع بمكروه (لن تراع) كرره تأكيدا والمعنى لاتخف لاتخف قال التلمسانى وتضع العرب لن بمعنى لا كما ههنا (ولو اردت ذلك) اى قتلى (لم تسلط على) بصيغة المجهول اعلاما منه بان قتله محال لقوله تعالى والله يعصمك من الناس (وجاء زيد بن سعنة) بفتح سين فسكون عين مهملتين فنون وهو الاصح على ماذكره الذهبى فى تجريده والنووى فى تهذيبه وفى رواية بتحتية بدل النون (قبل اسلامه) وهو يهودى (يتقاضاه) اى حال

حكونه طالبا (دينا) اى قضاء دين له (عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (فجذ ثوبه) اى جذب رداءه وازاره واخذه (من منكبه) بكسر الكاف (واخذ بمجامع ثيابه) جمع مجمع وهى اطرافه وحواشيه ازاره كله ويقال له التلبب (واغلظ له) اى فى القول بخصوصه (ثم قال) قصدا لعموم قومه (انكم يابنى عبد المطلب مطل) بضمتين وبسكون الثانى جمع مطول كصبور بمعنى فاعل اى مدافعون فى وعدكم (فانتهره عمر) اى زجره (وشدد له فى القول والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يتبسم) حال مبينة لكمال حلمه وحسن خلقه وجميل عفوه (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا وهو كنا الى غير هذا) اى الذى صدر (منك) اى من الزجر الاكيد والقول الشديد (احوج) اى اكثر احتياجا (ياعمر) فكان الاولى لك ان (تأمرنى بحسن القضاء) اى الاداء لدينه (وتأمره بحسن التقاضى) اى المطالبة لحقه (ثم قال لقد بقى من اجله) اى من اجل دينه لا عمره (ثلاث) اى ثلاثة ايام وحذف تاؤه لحذف مميزه الذى هو ايام كما فى حديث من صام رمضان واتبعه بست من شوال فكانه صام الدهر كله (وامر) اى النبى عليه الصلاة والسلام (عمر يقضيه ماله) الى ماله من الحق (ويزيده عشرين صاعا لما روعه) بتشديد الواو اى لاجل ما خوفه عمر زجرا وتهديدا (فكان) اى فصار ذلك (سبب اسلامه) والحديث رواه البيهقى مفصلا ووصله ابن حبان والطبرانى وابو نعيم بسند صحيح (وذلك) اى كونه سبب اسلامه (انه كان يقول) كما روى عنه عبد الله بن سلام (ما بقى من علامات النبوة شئ الا وقد عرفتها فى محمد) وفى رواية فى وجه محمد (الا اثنين لم اخبرهما) بفتح الهمزة وضم الموحدة اى لم اختبرهما ولم اعرفهما وروى لم اجد تحققهما (يسبق حلمه جهله) اى جهل الذى يفعل به (ولا تزيده شدة الجهل) اى عليه (من احد الا حلما) بل لطفا وكرما (فاختبرته) اى امتحنته (بهذا) اى الذى صدر منه فى حقه قولا وفعلا (فوجدته) وروى فاختبرته بهذا فوجدته (كما وصف) بصيغة المجهول اى نعت فى كتب الاولين فى صفة المرسلين وكان اعلم من اسلم من احبار اليهود واحلمهم واكثرهم مالا شهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مشاهد كثيرة وتوفى راجعا من غزوة تبوك الى المدينة (والحديث) اى الاحاديث الواردة المخبرة عن حلمه عليه الصلاة والسلام وصبره وعفوه (عند المقدرة) بفتح الدال وضمها وحكى كسرها بمعنى القدرة وهو احتراز عن توهم كونه عفوه عن عجزه (اكثر من ان نأتى عليه) اى نذكر كله او معظمه (وحسبك) اى كافيك ومغنيك (ماذكرناه مما فى الصحيح) اى فى الكتب الصحيحة (والمصنفات الثابتة) اى ولو لم تكن من الصحاح الستة او ولو لم تكن صحيحة بل ثابتة حسنة فانها حجة بينة (الى ما بلغ) اى مضمومة الى ما وصل بمجموعه (متواترا) اى فى المعنى (مبلغ اليقين) اى مبلغا يحصل به اليقين للمؤمنين فى امر الدين (من صبره) بيان لما اى من تحمله (على مقاساة قريش) اى مكايدتهم ومعارضتهم ومخالفتهم (واذى الجاهلية) اى وتأذيه من اهل جاهليتهم وسفلتهم (ومصابرته الشدائد) اى مغالبة المحن وفى نسخة ومصابرة الشدائد (الصعبة) اى الشاقة (معهم) اى مع اعدائه (الى ان اظفره الله عليهم) بنصره واظهره كما فى نسخة (وحكمه فيهم) بتشديد الكاف اى جعله حاكما عليهم متصرفا فى امرهم (وهم لا يشكون) اى لا يترددون بناء على زعمهم وقياسه على افعالهم (فى استيصال شأفتهم) بفتح شين معجمة فسكون همزة ففاء فتاء اى جمعهم وقطع اثرهم وهى فى الاصل قرحة تخرج للانسان فى اسفل القدم فتكوى فتذهب فهم يقولون فى المثل استأصل الله شأفته اى اذهبه كما اذهبها وروى فى استئصاله بالاضافة ونصب شأفتهم التى فى استهلاكه دابرهم من اصلهم وفصلهم (وابادة خضرائهم) بفتح خاء وسكون ضاد معجمتين بعدهما راء فالف ممدودة اى اهلاك جماعاتهم وتفريق جمعهم فالابادة بكسر الهمزة مصدر اباده الله اى اهلكه وخضراؤهم سوادهم ومعظمهم والمعنى لا يشكون فى هلاكهم وذهابهم وفنائهم (فما زاد على ان عفا) اى تجاوز عن افعالهم (وصفح) اى واعرض عن اقوالهم (وقال) اى لهم تلويحا بلطفه اليهم وشفقته عليهم واستخراجا لما فى ضمائرهم واستظهارا لما فى سرائرهم (ما تقولون) اى فيما بينكم او ما تظنون بى (انى فاعل بكم) اى بعد ما ظفرت عليكم (قالوا خيرا) اى نقول قولا خيرا او نظن ظنا خيرا او تفعل خيرا (اخ كريم) اى هو او انت وهو فى معنى العلة اى لانك اخ كريم (وابن اخ كريم) اى فلا يجئ من مثلك الا ما يوجب الكرم والعفو عن ظلم (فقال اقول) اى فى جواب قولكم كما قال اخى يوسف) اى لاخوته فانا مقتد بالانبياء العقلاء لا بالاغبياء الجهلاء (لا تثريب) لا تعيير ولا توبيخ ولا تعيب (عليكم اليوم) اى هذا الوقت الذى ظهر فضلى لديكم اولا اذكر لكم الذنب فى هذا اليوم الذى محل التثريب فاظنكم بغيره من الزمان البعيد او القريب واما ما جوزه التلمسانى من الوقف على عليكم وجعل اليوم ظرفا لما بعده ففى غاية من البعد مبنى ومعنى (يغفر الله لكم) اى ما فرط منكم وظهر عنكم (الآية) اى وهو ارحم الراحمين وانما رحمتى اثر من آثار رحمته كما قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وكما فى الحديث الشريف انا رحمة مهداة اى رحمة لكم ومهداة اليكم (اذهبوا فانتم الطلقاء) بضم ففتح ممدودا جمع طليق بمعنى مطلوق وهو

الاسير يخلى عن سبيله اى الخلصاء من قيد الاسر فانهم كانوا حينئذ اسراء وقد قال ذلك يوم فتح مكة آخذا بعضادتى باب الكعبة على ما رواه ابن سعد والنسائى وابن زنجوية وجاء نوفل بن معاوية الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله انت اولى الناس بالعفو ومن منا من لم يعادك و يؤذك ونحن فى جاهلية لاندرى ما نأخذ ولا ما ندع حتى هدانا الله بك وانقذنا بوجودك من الهلكة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد عفوت عنك فقال فداؤك ابى وامى وقد روى سفيان عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال الطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف اى اهل الطائف كما رواه ابن سيرين قال التلمسانى وروى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم اتى الكعبة وفيها رؤساء قريش فاخذ بعضادتى الباب وقال ماذا ترون انى صانع بكم فقالوا اخ كريم وابن اخ كريم ملكت فاسجح فقال انى اقول لكم كما قال اخى يوسف لاتثريب عليكم اليوم الآية وقال انتم الطلقاء ولكم اموالكم قال فخرجوا كانما نشروا من القبور فدخلوا فى الاسلام (وقال انس) كما رواه مسلم وابوداود والترمذى والنسائى (هبط ثمانون رجلا من التنعيم) وهو اقرب اطراف مكة اليها وهو على ثلاثة اميال منها وقيل اربعة وهو من جهة المدينة والشام سمى بذلك لانه عن يمينه جبل يقال له نعيم وعن شماله جبل يقال له ناعم والوادى نعمان بفتح النون (صلاة الصبح) اى نزلوا وقت صلاة الفجر (ليقتلوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى بغتة وغفلة (فاخذوا) بصيغة المجهول (فاعتقهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانزل الله تعالى وهو الذى كف ايديهم) اى كفار مكة (عنكم وايديكم عنهم الآية) اوهى ببطن مكة اى داخلها وقريبا منها من بعد ان اظفركم عليهم اى اظهركم وغلبكم فهزمهم وادخلهم بطنها وقد ذكر المفسرون ان سبب نزولها عام الحديبية ان عكرمة بن ابى جهل خرج فى خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خالد بن الوليد فى جماعة فهزمهم حتى ادخلهم بطن مكة اوكان يوم فتح مكة وبه اخذ ابوحنيفة ان مكة فتحت عنوة ولا ينافيه ماذكر من ان السورة نزلت قبله اذهى من جملة المعجزات والاخبار عن المغيبات قبل وقوعها (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (لابى سفيان) اى ابن صخر بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف شهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حنينا واعطاه من غنائمها مائة واربعين اوقية وزنها له بلال كان شيخ مكة ورئيس قريش بعد ابى جهل اسلم يوم الفتح ونزل المدينة سنة احدى وثلاثين ودفن فى البقيع (وقد سبق اليه) اى جئ به اليه والجملة معترضة بين القول ومقوله مبينة لحال صاحبها والمعنى جاء به العباس ليلا مردفا له على بغلته اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو متوجه لفتح مكة (بعد ان جلب) اى ساق (اليه الاحزاب) وهى جموع مجتمعة للحرب من قبائل متفرقة والمعنى بعد كثرة قبائحه وجملة فضائحه منها انه جمع احزاب كفار مكة وغيرهم واتى اهل المدينة على عزم قتلهم ونهبهم وهم اهل الخندق وكانوا ثلاثة عساكر وعدتهم عشرة آلاف قال ابن اسحق وكانت فى شوال سنة خمس وكان الحصار اربعين يوما (وقتل عمه) اى وتسبب بقتل عمه حمزة اذ قتله وحشى وهو من جملة عسكره ثم اسلم (واصحابه) اى وقتل سائر اصحابه مجازا قيل هم سبعون وقيل سبعون من الانصار خاصة وقيل مجموع القتلى سبعون اربعة من المهاجرين حمزة ومصعب بن عمير وشماس بن عثمان المخزومى وعبدالله بن جحش الاسدى وباقيهم من الانصار (ومثل بهم) بتشديد المثلثة اى امر ان يفعل بهم المثلة او تسبب بها على وجه المبالغة من قطع انف واذن ومذاكير وسائر اطرافهم والممثلة بحمزة زوجته هند بنت عتبة لقتل حمزة اباها فى بدر وفى صحيح البخارى عن ابى سفيان وستجدون فى القوم مثلة لم آمر بها ولم تسؤنى قيل والذى فعل المثلة هند ومن معها من النسوة وقال البغوى فى تفسيره لم يبق احد من قتلى احد الامثل به غير حنظلة بن راهب فان اباه عامر الراهب كان مع ابى سفيان فتركوا حنظلة لذلك (فعفا عنه) اى مع هذا كله وجميع ما صدر عنه من الفعل (ولاطفه فى القول) اى بالغ فى اللطف والرفق معه حيث قال له (ويحك ياابا سفيان) اى ترحما له وتوجعا عليه اذ لم يؤمن به بعد ولم يسلم على يديه قيل ويح كلمة ترحم لمن وقع فى هلكة لا يستحقها وقيل ويح باب رحمة وويل باب هلكة وويس استصغار (الم يأن) من انى يأنى اى جاء اناه اى الم يقرب الوقت (لك ان تعلم) اى علما يقينا (وتشهد ان لا اله الا الله) اى توحده حق توحيده الموجب للعلم بحقية رسوله (فقال) اى ابوسفيان متعجبا من سعة حلمه وكثرة صلته وقوة كرمه (بابى انت وامى) اى افديك بهما (ما احلمك) صيغة تعجب من الحلم وفى بعض النسخ ما اجملك من الجمال فيكون بمعنى التجمل كما ان الاول بمعنى التحمل (واوصلك) اى ما اكثر رحمك على رحمك اوما اكثر عطاءك لاعدائك (واكرمك) اى ما اكثر كرمك على من اساء اليك وخالف عليك وابعد الدلجى فى قوله واكرمك عند ربك حيث لا يلايم المقام كما لا يخفى على ذوى المرام (وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابعد الناس غضبا) اى عليهم (واسرعهم رضى) اى الطفا اليهم (صلى الله تعالى عليه وسلم) قال التلمسانى وفى الحديث جاهدوا اهواءكم كما تجاهدون

راعدا ءكم ومذا آخره والله اعلم ومما يناسب الباب ماذكره التلمسانى فى شرح الشفاء انه قيل لايكمل الانسان حتى يقبل الاعتذار ويعفو عند الاقتدار ويكون الاظهار منه مثل الاضمار وسأل معاوية صعصعة بن صوحان فقال صف لى الناس فقال خلق الله الناس اصنافا فطائفة للعبادة وطائفة للتجارة وطائفة للخطابة وطائفة للنجدة وطائفة فيما بين ذلك يكدرون الماء ويغلون الغلاء ويضيقون الطريق فى البناء والصحراء

(فصل)

(واما الجود والكرم والسخاء والسماحة فمعانيها متقاربة) اى فى اطلاقات المحاورة (وقد فرق بعضهم) بتخفيف الراء وتشدد وقيل فرق بالتخفيف فى المعانى وبالتشديد فى الاجسام ويجوز استعمال كل مكان الآخر تجوزا اى وصل وميز جمع (بينها) اى بين معانى الالفاظ المقدمة (بفروق) اى دقيقة (فجعلوا) اى هؤلاء البعض (الكرم الانفاق بطيب النفس) اى بنشطها وانبساطها (فيما يعظم) بضم الثاء اى يجل (خطره) لفتحتين واسكن الثاني اى قدره (ونفعه) اى يكثر الانتفاع به فلايطلق على مايحقر قدره ويقل نفعه (وسموه) اى الكرم (ايضا حرية) اى من رق العبودية للامور العارضية ولذا ورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم تعس عبدالدينار تعس عبدالدرهم وفى بعض النسخ جرءة بضم جيم وسكون راء فهمزة واول وجهه وتلازم السخاوة والشجاعة فان احدهما بذل الروح والآخر بذل المال والاول اقوى كما لا يخفى على ارباب الكمال قال التلمسانى وحقيقة الحرية كمال العبودية وقيل هى ان لايكون العبد تحت رق المخلوقات ولايجرى عليه سلطان الاكوان وعلامة صحته سقوط التمييز عن قلبه بين الاشياء فيتساوى عنده اخطار الاعراض (وهو ضد النذالة) بفتح نون فذال معجمة اى الرذالة والسفالة وما احسن هذه المقالة

(اتمنى على الزمان محالا * ان ترى مقلتاى طلعة حر)

وهو من لم يستعبده هواه ولم يسترقه دنياه والاظهر ان يقال الكرم انما هو عطاء ابتداء من غير ملاحظة عوض وغرض انتهاء (والسماحة التجافى) بنصبهما عطفا على مفعولى جعلوا ويجوز رفعهما اى والسماحة هى التباعد والتنحى (عما يستحقه المرء عند غيره) اى من اداء دين او قضاء دين (بطيب نفس) اى ملاطفة نعاشه (وهو ضد الشكاسة) بفتح الشين المعجمة واهمل ما بعد اها اى صعوبة الخلق والمضايقة وفى التنزيل متشاكسون اى مختلفون متعسرون هذا وفيه ان بعض الاحاديث يدل على ان المراد بالسماحة السخاوة الخاصة وهى المساهلة فى المعاملة كما ورد رحم الله من سمح فى البيع والشراء والقضاء والاقتضاء وفى حديث السماح رباح (والسخاء سهولة الانفاق) اى على الاقارب والاجانب والفقير والغنى وسائر المراتب (وتجنب اكتساب مالا يحمد) بصيغة المجهول اى تبعد اقتناء مالا يمدح من البخل وارتكاب الذم الموجب لترك مدحه فى الاغلب الاعم (وهو الجود) اى مرادفه من غيراعتبار مخالفة وقيل الجود اعطاء الموجود وانتظار المفقود والاعتماد على المعبود وقيل الجود هو بذل المجهود وفى الوجود وقد يقال من اعطى البعض فهو سخى ومن بذل الا كثره فهو جواد ومن اعطى الكل فهو كريم وقيل السخاء الانفاق من الاقتار ومنه

(ليس العطاء من الفضول سماحة * حتى تجود ومالديك قليل)

(وهو) اى السخا الذى بمعنى الجود (ضد التقتير) اى التضييق فى الانفاق والامساك وهو نقيض الاسراف فى الانفاق والظاهر انه حال اعتدال بين البخل والاسراف فالطرفه ابين الانصاف ولا تدخل فى حد الاعتساف هذا ولم يظهر وجه عدول المصنف عن النشر المرتب الى خلافه فيما ارتكب (فكان صلى الله تعالى عليه وسلم لايوارى) بصيغة المفعول مهموزا ومسهلا من آزيته واحاذيتهم وازيته اى لايقاوم ولايقابل ولايماثل به احد (فى هذه الاخلاق الكريمة ولايبارى) بصيغة المجهول وهو بالباء الموحدة والراء اى لايعارض فى هذه الشمائل الحميدة والفضائل العديدة وغيرها من الاحوال السعيدة كما اشار الى هذه الزبدة صاحب البردة بقوله

(فاق النبين فى خلق وفى خلق * ولم يدانوه فى علم ولا كرم)

(بهذا) اى بما ذكر وامثاله (وصفه) اى نعته (كل من عرفه) اى معرفة مشاهدة معاينة او معرفة شهرة ومطالعة سيرة كما يدل عليه الحديث الذى رواه باسناده عن البخارى وقد رواه ايضا غيره (حدثنا القاضى الشهيد ابو على الصدفى) بفتحتين وهو الحافظ ابن سكرة (حدثنا القاضى ابو الوليد الباجى) بالموحدة والجيم (حدثنا ابوذر الهروى حدثنا ابوالهيثم) بفتح هاء وسكون تحتية مثلثة (الكشميهنى) بضم فسكون شين معجمة وفتح ميم وبكسر وسكون ياء فتح هاء (وابو محمد) واسمه عبدالله بن احمد بن حمويه (السرخسى) بفتح راء وسكون خاء وقيل بالعكس وضبطه التلمسانى بكسر السين الاولى والمشهور هو الفتح (وابو اسحق البلخى) وهو المشهور بالمستملى (قالوا) اى المشايخ الثلاثة

(حدثنا ابو عبد الله الفربرى) بكسر فاء وفتح راء وسكون موحدة وقال المصنف يجوز فتح الراء وكسرها قال الحازمى والفتح افصح وقيل ولم يذكر ابن ماكولا غيره (حدثنا البخارى) اى امام المحدثين (حدثنا محمد بن كثير) بالثاء المثلثة العبد البصرى (حدثنا سفيان) المراد به الثورى ههنا نعم رواه ابن عيينة (عن ابن المنكدر) عن جابر لكن انفرد به مسلم عن ابن المنكدر تابعى جليل (سمعت جابر بن عبد الله) اى الانصارى رضى الله تعالى عنهما (يقول) اى كما رواه البخارى فى الادب عنه ومسلم فى فضائله صلى الله تعالى عليه وسلم والترمذى فى شمائله (ماسئل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا) اى عن شئ كما فى اصل التلمسانى والمراد شيئا من باب العطاء (فقال لا) اى لا اعطى والمعنى ماسأله احد من متاع الدنيا شيئا فمنعه بل كان يعطى اويعده بالعطاء لقوله تعالى واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا فلا ينافيه قوله تعالى حكاية عنه صلى الله تعالى عليه وسلم قلت لا اجد ما احملكم عليه اى الآن وارجو فى مستقبل الزمان وروى فى كتاب اخيار الخلفاء فى اخبار الطرفاء عن انس رضى الله تعالى عنه انه عليه الصلاة والسلام قال للزبير ان مفاتيح الرزق مقرونة بباب العرش ينزل الله تعالى ارزاق العباد على قدر نفقاتهم فمن كثر كثر عليه ومن قلل قلل له انتهى ويؤيده قوله تعالى وما انفقتم من شئ فهو يخلفه وحديث اللهم اعط منفقا خلفا وممسكا تلفا هذا وقد قال بعض ارباب الكمال

(ما قال لا قط الا فى تشهده * ولا نعم قط الا جاءت النعم)

(وقال آخر)

(فلو لم يكن فى كفه غير نفسه * لجاد بها فليتق الله سائله)

(وعن انس وسهل بن سعد) هو الساعدى الانصارى (مثله) اى نحوه فى المبنى والمعنى (وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) كما روى عنه الشيخان (كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اجود الناس بالخير) اى بكل ماينفعهم فى دنياهم واخراهم وقد سقط لفظ بالخير من اصل الدلجى فقدر بكل ماينفع وقرر انه حذف للتعميم اولفوات احصائه كثرة (واجود ماكان) بالنصب عطفا على ماقبله وما مصدرية اى وكان اجود اكوانه باعتبار اختلاف زمانه حاصلا (فى شهر رمضان) فهو حال سد مسد الخبر وهذا لانه منبع النعم ومعدن الخير والكرم وفيه يسبغ الله نعمه على عباده فتخلق باخلاق الله فى اهل بلاده وقال النووى يجوز فى اجود الرفع والنصب والرفع اصح واشهر وفيه نظر اذ جاء فى الصحيح خلافه بالتصريح وكان اجود مايكون ثم وجه الرفع انه مبتدأ وفى شهر رمضان خبر واما القول بضمير الشان فى كان فلا محوج اليه ولا معول عليه (وكان اذا لقيه جبريل اجود بالخير) اى بجميع انواعه (من الريح المرسلة) بصيغة المجهول اى فى عموم المنفعة والسرعة على ان الريح قد تكون خالية من المطر وقد تكون جالبة للضرر وقيل المراد بالريح الصبا قال النووى وفيه الحث على الجود والزيادة فى رمضان وعند لقاء الصالحين وعلى مجالسة اهل الفضل وزياراتهم وتكريرها مالم يورث المزور كراهة ذلك واستحباب كثرة التلاوة سيما فى رمضان ومدارسة القرآن وغيره من العلوم الشرعية وان القراءة افضل من التسبيح والاذكار (وعن انس رضى الله تعالى عنه) على ما رواه مسلم (ان رجلا) وهو صفوان بن امية الجمحى القرشى اسلم بعد الفتح وشهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حنينا والطائف وهو مشرك فلما اعطاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مما افاء الله عليه واكثر قال اشهد بالله ماطابت بهذا الانفس نبى فاسلم يومئذ اخرج له مسلم والاربعة واحمد فى مسنده ومات بمكة فى خلافة معاوية (سأله) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا من العطاء (فاعطاه غنما) اى قطيعة غنم والمراد غنما كثيرا يملأ واديا (بين جبلين) لسعة جوده وسماحة نفسه والظاهر انه كان بعد اسلامه اوصار سببا لاسلامه لقوله (فرجع الى بلده) ويروى الى قومه (وقال اسلموا) فان اعطاءه من بين اخلاقه كالمعجزة (فان محمدا يعطى عطاء من لا يخشى فاقة) اى حاجة ابدا لكرم نفسه وشرف طبعه وتوكله على رزق ربه (واعطى غير واحد) اى كثيرا من المؤلفة (مائة من الابل) كابى سفيان بن حرب وابنيه معاوية ويزيد ومع مائة كل واحد منهم اربعين اوقية وحكيم بن حزام والحارث بن هشام وغيرهم (واعطى) كما رواه مسلم (صفوان) اى ابن امية (مائة) من الابل (ثم مائة ثم مائة) اى فى وقت واحد اوفى ازمنة متعددة (وهذه) اى الخصال الممدوحة (كانت حاله) وفى نسخة خلقه (صلى الله تعالى عليه وسلم) ايضا (قبل ان يبعث) لما خلقت هذه الشمائل وطبعت هذه الفضائل فى اصل فطرته ومادة خلقته قبل بعثته بل قبل حصول ولادته كما ورد كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد (وقد قال له ورقة) بتحريك الواو والراء فالقاف (ابن نوفل) وهو ابن عم خديجة رضى الله تعالى عنها وكان تنصر واختلف فى اسلامه (انك تحمل الكل) بفتح الكاف وتشديد اللام اى الثقيل من العيال واليتيم ومن لاقدرة له من ضعيف الحال اى فيما بين قومه وفى التنزيل وهو كل على مولاه اى ثقيل فى المؤنة ضعيف

فى الصنعة (وتكسب) بفتح اوله ويضم و بكسر السين (المعدوم) بالواو فى النسخ المشهورة الحاضرة قال النووى فتح التاء هو الصحيح المشهور وروى بضمها وقال الدلجى وتكسب هذ بضم اوله والمعدوم بدون واو اى المحتاج تفيده المعارف والمال وتعينه على تحصيلهما والذى رواه مسلم والبخارى انه من قول خديجة رضى الله تعالى عنها بزيادة اللام فى خبران والواو فى مفعول تكسب انتهى ولامنع من الجمع كما لا يخفى وقال ابن قرقول فتح اوله اكثر واثبت واصحها ومعناه تكسبه لنفسك وقيل تكسبه غيرك وتعطيه اياه يقال كسبت مالا وكسبته غيرى لازم ومتعد وروى بضم اوله والمعنى تكسب غيرك المال المعدوم اى تعطيه واختاره النووى وقيل تعطى الناس مالا يجدونه عند غيرك من مكارم الاخلاق وانكر الفراء وغيره اكسب فى التعدى وصوبه ابن الاعرابى وانشد فاكسبنى مالا واكسبته حمدا ثم المراد من المعدوم هو العاجز عن الكسب اوار حل المحتاج وسمى معدوما لكونه كالمعدوم الميت حيث لم يتصرف كغيره ومن يجوز ضم التاء يقول صوابه المعدم بضم ميم وكسر دال (ورد على هوازن) وهى قبيلة معروفة (سبايا ها) اى اسراها (وكانت) وفى نسخة صحيحة وكانوا (ستة آلاف) اى من النساء والذرية ورد عليهم ايضا من الاموال اربعة وعشرين الفا من الابل واكثر من اربعين الفا من الغنم واربعة آلاف اوقية من فضة والاوقية اربعون درهما قيل وقوم ذلك فبلغ خمسمائة الف الف ومن جملة جوده اعطاؤه مال جزية البحرين فى يومه وكان مقداره مائة الف وثمانين الف درهم بعثه اليه عامله العلاء بن الحضرمى (واعطى العباس) على مارواه البخارى عن انس تعليقا انه اعطاه (من الذهب مالم يطق حمله) من الاطاقة اى شيأ لم يقدر على حمله وحده مع قوة حمله (وحمل اليه) بصيغة المجهول اى اتى اليه (تسعون الف درهم) على مارواه ابو الحسن ابن الضحاك فى شمائله عن الحسن مرسلا (فوضعت) بصيغة المجهول اى فسكبت ونشرت (على حصير) اى خصفة (ثم قام اليها يقسمها) حال وفى نسخة فقسمها (فارد سائلا) اى ممن جاءه وحضر عنده (حتى فرغ منها) اى من قسمتها وهو غاية لقوله قام او يقسمها وابعد الدلجى فى جعله غاية لعدم رده سائلا اذ مفهومه انه حينئذ رد سائله وقد سبق انه لم يكن قائلا لا لمن يكون سائلا نوالا كما يدل عليه قوله (وجاءه رجل) كما رواه الترمذى فى شمائله انه جاءه رجل قال الدلجى هذا الرجل لا اعرفه (فسأله) اى شيأ معينا و مقدارا مبينا (فقال ما عندى شئ) اى مما عينت او على قدر ما بينت (ولكن ابتع على) امر من الابتياع بباء موحدة ثم مثناة فوقية اى اشتر واستلف مقدار ما تختار حوالة على فالمفعول محذوف و قال التلمسانى اى اعدد على او احسب هكذا ثبت الحديث بتقديم الباء على التاء انتهى وجوز الدلجى تقديم المثناة الفوقية على الباء الموحدة وليست عندنا فى النسخ المعتمدة (فاذا جاءنا) اى من عند الله (شئ) اى مما اولاه (قضيناه) اى حكمنا به لك اوادينا عنك (فقال له عمر) اى بناء على نظر الرحمة اليه (ما كلفك الله مالا تقدر عليه) اى من تحمل الدين بمقتضى الوعد لما ورد من ان العدة دين والدين شين (فكره النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك) بناء على جبر خاطر السائل وما يترتب من خيبة الامل ولما سبق فى الآية من انه مأمور بالعدة (فقال) له (رجل من الانصار) قيل هو بلال لكنه من المهاجرين وقد يجمع بانهما قالاه والامام الغزالى مال الى جعل القائل نفس السائل حيث قال فى الاحياء فقال الرجل (يارسول الله انفق) اى بلالا (ولا تخش) اى لا تخف كما فى نسخة (من ذى العرش اقلالا) اى تقليلا فان المال كله ملك لصاحب العرش سبحانه وتعالى تعظيما وتجليلا (فتبسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى انشراحا من تكلم (وعرف البشر) بصيغة المجهول اى وظهرت البشاشة والطلاقة وآثار السرور وظهور النور

(فى وجهه) اى بتهلله واشراق خده ولله در القائل

(تراه اذا ماجئته متهللا * كانك تعطيه الذى انت سائله)

(وقال بهذا امرت) اى بهذا الكرم امرنى ربى قبل ذلك او جاءنى جبريل على وفق ما قلت (ذكره الترمذى) اى فى شمائله وذكر ابن قتيبة فى كتاب مشكل الحديث ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم دعا بلالا بتمر فجعل يجئ به قبصا قبصا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انفق بلالا ولا تخش من ذى العرش اقلالا قال والقبص بالصاد الاخذ باطراف الاصابع وبالضاد المعجمة بالكف كلها (وذكر) بصيغة المفعول وفى نسخة على بناء الفاعل اى وذكر الترمذى فى شمائله ايضا (عن معوذ) بكسر الواو المشددة وتفتح والذال المعجمة وقيل مهملة (ابن عفراء) بفتح عين وسكون فاء فراء ممدودا اسم امه وهى من المبايعات تحت الشجرة واما اسم ابيه فالحارث بن رفاعة بن سواد بفتح السين النجارى الانصارى (قال اتيت النبى صلى الله عليه وسلم بقناع) بكسر قاف وفتح نون (من رطب) وفى اصل الدلجى بالاضافة من غير من (يريد) اى يعنى الراوى بقوله قناع (طبقا) بفتحتين اى وعاء يؤكل عليه واما قول الحجازى صوابه بالمثناة الفوقية فى الموضعين على تصحيح الرواية عن الربيع ففيه ان الربيع غير مذكور فى المتن بل معوذ لا غير

ولا يجوز تغيير التصنيف فالصواب بالياء التحتانية على انه يرجع الى معوذ او الى الراوى بالمعنى الاعم والله تعالى اعلم (واجر) بفتح همزة وسكون جيم وكسر راء منونة جمع جرو مثلث الجيم والكسر اشهر اى قثاء صغار (زغب) بضم زاى وسكون غين معجمة جمع ازغب اى ذات زغب اى صغار الريش اول ما يطلع شبه به ما على القثاء من الزغب وضبط فى حاشية بفتح الزاى والغين المعجمة ويعنى بها الشعرات الصفر على ريش الفرخ والفراخ زغب بضم فسكون على ماذكره الجوهرى وهذا وصف منه للقثاء باللطافة والغضاضة اذا القثاء اللطاف لا تخلو عن شئ يكون عليها شبه الزغب (بريد) اى يعنى باجر زغب (قثاء) اى موصوفا بما ذكر وهو بكسر القاف ويضم ممدودا (فاعطانى) اى لاجل بدله اومما كان عنده وفى نظره (ملء كفه) وفى رواية ملء يديه وفى رواية ملء يدى وفى اخرى كفى (حليا) بفتح فسكون وجمعه حلى وزنه فعول كضرب وضروب ثم دخله الابدال والادغام وكسرت اللام لتصح الياء وكسر الحاء ايضا حمزة والكسائى للاتباع وفى نسخة بضم فكسر فتشديد تحتية (وذهبا) تخصيص بعد تعميم اذ الحلى ما يصاغ ولو من الفضة وغيرها قال الدلجى كذا هنا من رواية معوذ بن عفراء والذى فى مسند احمد وشمائل الترمذى بسند جيد عن ابنة الربيع مصغر ربيع قالت بعثنى معوذ بن عفراء بقناع من رطب وعليه اجر زغب من قثاء وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يحب القثاء فاتيت بها وعنده حلية قدمت عليه من البحرين فلاًيده فاعطانى وللترمذى فاتيته بقناع من رطب واجر زغب فاعطانى ملء كفيه حليا اوذهبا وابوها معوذ قتل ببدر ولم يعرف له رواية عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (قال انس رضى الله عنه) اى فيما رواه الترمذى (كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا يدخر) بدال مهملة مبدلة من معجمة اذ اصله لا يذتخر (شيئا لغد) اى لا يؤخر لمستقبلة من الزمان شيئا من مأكول ومشروب لسماحة نفسه وسخاوة كفه وثقته بربه اوالمعنى لا يدخر لخاصة نفسه لقوة حاله فلا ينافيه انه كان يدخر قوت سنة لعياله (والخبر) اى الاخبار الواردة المؤذنة (بجوده وكرمه) اى بناء على اثر نوره وجوده صلى الله تعالى عليه وسلم (كثير) اى فلا يمكن احصاؤه ولا يتصور استقصاؤه (وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) لا يعرف من رواه عنه (اتى رجل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يسئله) اى شيئا من العطاء (فاستلف) اى فاستسلف له كما فى نسخة والمعنى اخذ السلف واستقرض من رجل لاجله (نصف وسق) وهو بفتح الواو وبكسر وسكون السين ستون صاعا والنصف مثلث النون والكسر اشهر (فجاء الرجل) اى رب الدين (يتقاضاه) اى يطالبه بوفائه (فاعطاه وسقا) اى بكماله (وقال نصفه قضاء) اى وفاء (ونصفه نائل) اى عطاء ثم اعلم ان فى بعض النسخ هنا زيادة لا تخلو عن افادة وهى قوله وقال ابو على الدقاق من شيوخ الصوفية المشاهير وعلمائهم النحارير وتكلم فى الفتوة وهى غاية الكرم والايثار على رأيهم واصطلاحهم فى الفاظهم ان هذا الخلق لا يكون الا للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فان كل واحد فى القيامة يقول نفسى نفسى وهو يقول امتى امتى انتهى قال ابن مرزوق هذه الرواية ثبتت فى رواياتنا فى هذا الموضع من الشفاء وقال التلمسانى وقد ثبتت هذه الزيادة ايضا ملحقة بخط العراقى فى الطرة ثم قال نقل هذا من خط المؤلف رحمه الله انتهى وقال برهان الدين الحلبى هذا فى بعض النسخ ثابت وابو على المذكور هو الحسن بن على بن محمد بن اسحق بن عبد الرحيم بن احمد الاستاذ شيخ الاستاذ ابى القاسم القشيرى تعقب على الحصرى واعاد على القفال المروزى فى درس الحصرى ثم سلك طريق التصوف حتى صار انسان وقته وسيد عصره توفى فى ذى الحجة سنة خمس واربعمائة قال فيما يرويه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من اكرم غنيا لغنائه ذهب ثلثا دينه وذكر فيه حكمة ذكرها السبكى فى الطبقات

(فصل واما الشجاعة) بفتح اولها معروفة (والنجدة) بفتح نون فسكون جيم فدال مهملة بمعنى الشجاعة على مقاله الجوهرى وقيل الاغاثة والاعانة وفرق المصنف بينهما بقوله (فالشجاعة فضيلة قوة الغضب) اى زيادتها (وانقيادها) اى مطاوعة تلك القوة ومتابعتها (للعقل) اى انقع على ما ينبغى من النعوت الآدمية وهو احتراز عن الصفة السبعية البهيمية ولابد من قيد انقيادها للشرع لتكون من الاوصاف البهية (والنجدة ثقة النفس) اى وثوقها بربها واعتمادها على خالقها (عند استرسالها) اى اشرافها وطلبك ارسالها (الى الموت) اى حال تثبتها من ابتدائها الى زمان انتهائها باختيارها الى حدفنائه وزوال بقائه (حيث يحمد فعلها) اى عقلا ونقلا (دون خوف) اى من غير خوف لها يمنعها عما هى بصدده من كمالها والحاصل ان النجدة قوة تنشأ عن الشجاعة لا انها غيرها فى اصلها (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم منهما) اى من الشجاعة والنجدة وروى منها فالضمير لكل منهما (بالمكان) اى بالمحل (الذى لا يجهل) وبيانه قوله (قد حضر المواقف الصعبة) بفتح فسكون اى الشديدة كبدر واحد وحنين وغيرها (وفر) اى هرب (الكماة) بضم كاف وتخفيف ميم جمع كمى بفتح فكسر فتشديد اى شجاع مكمى فى سلاحه اذ قد كمى نفسه وسترها بدرعه وبيضته كانه جمع كام كقاض وقضاة (والابطال) بفتح الهمزة جمع بطل بفتحتين وهو الشجاعة والمغايرة بينهما من حيث الستر وعدمه اوالثانى

الفخ والمعنى ولو احد من (عنه) اى عن مساعدته صلى الله تعالى عليه وسلم (غير مرة) اى مرات كثيرة وان كان قصد بعضهم الكرة بعد الفرة (وهو ثابت) اى بقلبه وقدمه (لا يبرح) بفتح الياء والراء اى لا يزول عن مكانه (ومقبل) على شأنه وشأنه بكمال الاقبال (لا يدبر) اى لا ينوي الادبار ولا التحول والانتقال (ولا يتزحزح) اى ولا يتحول عن مواجهة الكفار والجمل المعنية احوال مؤكدة لما قبلها والمعنى انهم فروا عنه حال ثباته واقباله على اعدائه (وما شجاع) بتثليث اوله والضم اشهر اى ما وجد احد شجيع من شجعان العرب والعجم (الا وقد احصيت له فرة) على صيغة المجهول اى ضبطت له ولو مرة واحدة من الفرار والهزيمة (وحفظت عنه جولة) بفتح جيم وسكون واو اى تردد وتفرة (سواه) اى غيره صلى الله تعالى عليه وسلم وعدم افرار لكماله فى مقام الوقار والقرار (حدثنا ابو على الغساني) بفتح الغين المعجمة وتشديد التحتية وفى آخره نون ثم ياء النسبة وهو الحافظ الغساني وقيل بكسر الجيم والظاهر انه تصحيف (فيما كتب لى) اى من هذا الحديث ونحوه مقرونا بالاجازة له مع امكان السماع منه (حدثنا القاضى سراج) بكسر سين مهملة وتخفيف راء بعدها الف فجيم (حدثنا ابو محمد الاصيلى) بفتح فكسر صاد مهملة ويقال بالزاى ايضا نسبة الى بلد بالمغرب (حدثنا ابو زيد الفقيه) وهو المروزى (حدثنا محمد بن يوسف) اى الفربرى (حدثنا محمد بن اسمعيل) اى الامام البخارى (حدثنا ابن بشار) بموحدة فشين معجمة مشددة العبدى مولاهم قال ابو داود وكتبت عنه خمسين الف حديث (حدثنا غندر) بضم غين معجمة فنون ساكنة فدال مهملة مفتوحة وقد تضم فراء هذلى بصرى وهو منصرف (حدثنا شعبة) اى ابن الحجاج امير المؤمنين فى الحديث (عن ابى اسحق) اى السبيعى الهمدانى الكوفى تابعى جليل روى عنه السفيانان وابو بكر بن عياش وخلائق وله نحو ثلاثمائة شيخ وهو يشبه الزهرى فى كثرة الرواية وقد غزا عشر مرات وكان صواما قواما (سمع البراء) بفتح الموحدة وتخفيف الراء وهو ابن عازب رضى الله عنهما (سأله رجل) لا اعرف (افررتم يوم حنين) وهو واد بين مكة والطائف وتصحف حنين على التلمسانى بخيبر ولذا قال وكانت غزوة حنين فى السابعة من الهجرة وقدم جعفر بن ابى طالب ومن معه من الحبشة حينئذ وقد وقع فى صحيح البخارى فى غزوة الفتح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى رمضان الى حنين وقد تقدم انها كانت فى شوال وهو المعروف ولعل المراد الفتح لان الفتح تعقبه حنين والمعنى افررتم يوم حنين معرضين (عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال) اى نعم كما فى نسخة ولعله حذف استهجانا للتصريح به ثم استدرك بقوله (لكن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يفر) بتشديد الراء المفتوحة ويجوز كسرها لكسر ما قبلها وقال التلمسانى انه لم يجبه بلى او نعم لان موجب لا قد وقع ولم يكن قصدا بل رشقتهم هوازن بنبلها اذ اصباح وقد تفرقوا لحوائجهم ولم يعاوا بالعدو وكبنا فكان جولة وليس هزيمة وقد وقع ذلك من الطلقاء لان منهم من لم يكن صادق الاسلام يومئذ انتهى ثم فى هذا الاستدراك دفع وهم فراره صلى الله تعالى عليه وسلم بعد فرارهم عنه ولا والله ما فر قط بل الاجماع قائم بحرم اعتقاد فراره وهذا الحديث اخرجه البخارى فى الجهاد ومسلم فى المغازى والنسائى فى السير وهو كما فى الاصل بناء على ما فى بعض الطرق وفى بعضها افررتم يوم حنين ولم يذكر عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى هذه الرواية قال النووى ما نصه هذا الجواب الذى اجاب به البراء من بديع الادب لان تقدير الكلام افررتم كلكم فيقتضى انه عليه الصلاة والسلام وافقهم فى ذلك قال البراء لا والله ما فر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولكن جماعة من اصحابه جرى لهم كذا وكذا (ثم قال) اى البراء (لقد رأيته على بغلته البيضاء) كذا فى الصحيحين وفى مسلم انها التى اهداها له فروة بن نعامة قال بعض الحفاظ واسمها فضة وفى رواية على بغلته الشهباء وكلتاهما واحدة وقال بعضهم هى التى تسمى الدلدل وكذا سماها النووى فى شرح مسلم فى غزوة حنين وقال قال العلماء لا يعرف له صلى الله تعالى عليه وسلم بغلة سواها انتهى وذكر الحلبى ان فروة بن نفاثة اهدى فضة والمقوقس اهدى الدلدل وقيل كان له صلى الله تعالى عليه وسلم ست بغلات وقيل سبع (وابو سفيان) اى ابن عمه الحارث بن عبد المطلب وكان رضيعه صلى الله تعالى عليه وسلم ارضعتهما حليمة وآلف الناس به قبل النبوة ثم كان ابعدهم عنه بعدها ثم اسلم يوم الفتح بالابواء وقيل بطريق مكة ومات سنة عشرين بالمدينة (آخذ بلجامها) زاد البرقانى والعباس رضى الله عنه آخذ ان بلجامها يكفانها عن اسراع التقدم الى العدو وشفقة منهما عليه بمقتضى البشرية وان علما مرتبة عصمته النبوية وسيأتى رواية اخرى فى هذا المعنى مع اختلاف فى المبنى وفى ركوب البغلة حال الغزوة ايماء الى كمال تحقق النجدة وزوال تصور الجولة وكيف لا وهو يقول اللهم بك اصول وبك احول (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول) والجملة حالية واما قول الدلجى وضع فيها مبتدأ هاء موضع المضمر اى وهو يقول فمعلل منه عن المقول اذ لو اتى بالضمير لتوهم رجعه الى اقرب المذكور وهو ابو سفيان المذكور (انا النبى لا كذب) بسكون الباء للوزن او السجع وهو الرواية على ما ذكره المازرى وضبط فى بعض النسخ بفتح الباء

على اصله فى البناء وقد ورد على زنة منهوك الرجز وهو ليس بشعر عند بعضهم وان كان مقصودا ثم لا يسمى الكلام شعرا ما لم يقصد بوزنه الشعر ومنه ما جاء فى التنزيل ثم اقررتم وانتم تشهدون ثم انتم هؤلاء تقتلون وامثال ذلك واما قول الدلجى من رواه بفتح الباء ليخرج عن الوزن فقد نسب افصح الخلق الى النطق بغير فصيح فغير صحيح لان فتح الباء كما عرفت هو الاعراب الصحيح فلا يعدل عنه الا وقفا سواء اريد به نظم او سجع والمعنى انا النبى صدقا لا افر اذا لقيت العدو حقا وروى بلا كذب بزيادة الباء واوله حينئذ بخفف ياء النبى والمعنى لا كذب فى النبوة اشهر المعجزة او لا كذب فى النصرة او لا كذب فى النبوة لانها حق وما وعدوه به صدق (وزاد غيره) اى غير البراء (انا ابن عبد المطلب) وهو بسكون الباء مع انها فى اصل الاعراب بالجر ومن قرأ بالكسر اراد اخراجه من وزن الشعر كما تقدم ثم انتسابه لجده لاشتهاره به لموت ابيه قبل ولادته مع كثرة نسبة الناس اياه اليه ولا ينافى هذا نهيه عن الافتخار بالآباء الكفار اذ لم يقله افتخارا بل اظهارا واشتهارا اواعلاما بانه ما ولى مع من ولى وتعريفا بموضعه ليرجع اليه اهل دينه (قيل فما روى) بصيغة المجهول ويقال فما رئى بالنقل والبدل اى ما ابصر (يومئذ) اى يوم حنين (احد) كان (اشد منه) اى اقوى قلبا واشجع قالبا منه صلى الله تعالى عليه وسلم قال البغوى بعد حديث البراء باسناده المتصل الى مسلم على ما سبق رواه محمد اسمعيل عن عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن اسحق وزاد فما رؤى من الناس يومئذ اشد منه ورواه ابو زكريا عن ابى اسحق وزاد قال كنا اذا احمر البأس نتقى به وان الشجاع منا للذى يحاذيه اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى فوجه تعبير المصنف بقيل غير ظاهر كما لا يخفى (وقال غيره) اى غير البراء او غير قائل هذا القيل (نزل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن بغلته) وهذا يدل على كمال نعته فى قضية شجاعته قال البغوى فى حديثه المسند الى مسلم عن ابى اسحق قال رجل للبراء يا ابا عمارة افررتم يوم حنين قال لا والله ما ولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولكنه خرج شبان اصحابه واخفاؤهم وهم حسر ليس عليهم سلاح او كثير سلاح فلقوا قوما رماة لا يكاد يسقط لهم سهم فاقبلوا هنالك الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورسول الله على بغلته البيضاء وابو سفيان بن الحارث يقود به فنزل واستنصر وقال انا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب ثم صفهم (وذكر مسلم عن العباس رضى الله عنه قال فلما التقى المسلمون) وهم ستة عشر الفا واثنا عشر الفا او عشرة آلاف على اختلاف (والكفار) وهم اربعة آلاف من هوازن وثقيف وكان المسلمون يومئذ اكثر ما كانوا قط حتى قال رجل من الانصار لن نغلب اليوم عن قلة فلم يرض الله قوله ووكلهم الى انفسهم كما اشار اليه سبحانه بقوله تعالى ولقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المشركون وخلوا عن الذرارى ثم نادوا يا حماة السوء اذكروا الفضائح فتراجعوا وانكشف المسلمون وهذا معنى قوله (ولى المسلمون) اى رجعوا وانهزموا (مدبرين) حال مؤكدة منهم قال الكلبى كان حول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثمائة من المسلمين وانهزم سائر الناس مدبرين وقال آخرون لم يبق مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم غير العباس وابى سفيان وايمن ابن ام ايمن فقتل يومئذ بين يدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فطفق) بكسر الفاء ويفتح اى جعل (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار) اى يحركها ويدفعها الى صوبهم واصل الركض تحريك الرجل ومنه قوله تعالى اركض برجلك (وانا آخذ بلجامها) جملة حالية (اكفها) حال اخرى او استيناف بيان (ارادة الا تسرع) نصب الارادة على العلة للجملة السابقة اى امنعها من اجل ان لا تعجل الى جهة العدو وهو من الاسراع (وابو سفيان آخذ بركابه) وفى رواية بعكس القضيتين وتقدم انهما كانا آخذين بلجامها فالجمع بانه كان الآخذ بالمناوبة مرة وبالجمع كرة (ثم نادى) ابو سفيان او النبى صلى الله تعالى عليه وسلم او العباس على الالتفات (يا للمسلمين) بفتح اللام الاولى اى اقبلوا (الحديث) بالنصب على الاصح اى انظر الحديث او طالعه بكماله قال البغوى فى حديثه المسند الى مسلم فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اى عباس ناد اصحاب السمرة فقال العباس رضى الله تعالى عنه وكان رجلا صيتا فقلت باعلى صوتى اين اصحاب السمرة قال فوالله لكان عطفتهم حين سمعوا صوتى عطفة البقرة على اولادها فقالوا يا لبيك يا لبيك قال فاقتتلوا الكفار ثم اخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حصيات فرمى بهن فى وجوههم ثم قال انهزموا ورب محمد قال فوالله ما هو الا ان رماهم بحصياته فما زلت ارى حدهم كليلا وامرهم مدبرا وقال سلمة بن الاكوع غزونا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حنينا قال فلما غشوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب الارض ثم استقبل وجوههم فقال شاهت الوجوه فما خلق الله منهم انسانا الا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة فولوا مدبرين وقال سعيد بن جبير امد الله نبيه بخمسة آلاف من الملائكة مسومين كما قال تعالى وانزل جنودا لم تروها (وقيل) اى روى كما فى حديث ابن ابى هالة

(كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا غضب ولايغضب الالله) جملة حالية معترضة بين الشرط وجوابه وهو قوله لم يقم لغضبه شئ) اى مايدفعه عنه وينتقم منه كما قال على كرم الله وجهه كان صلى الله تعالى عليه وسلم لايغضب للدنيا فاذا اغضبه الحق لم يعرف احد اولم يقم لغضبه شئ حتى ينتصر له (وقال ابن عمر) كما رواه الدارمى (ما رأيت اشجع ولا انجد) من النجدة وقد عرفت الفرق بينها وبين ماقبلها ولايبعد ان المراد بالجمع بينهما المبالغة فى وصف زيادة الشجاعة (ولا اجود) اى لا اسخى (ولا ارضى) اى باليسير فهو من باب القناعة او ولا اسرع رضى من الرجوع عن الغضب فهو من قبيل حسن الخلق وجميل العشرة قيل ولا ادوم رضى (من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وضبط الدلجى ولا احوذ بمهملة ومعجمة من حوذ يحوذ اى اجمع وهو مما استعمل بلا اعلال اى ما رأيت احوذيا اجمع لاموره لايشذ عليه منها شئ متمكنا منها حسن السياق لها منه صلى الله تعالى عليه وسلم ومثله حديث عائشة رضى الله تعالى عنها تصف عمر كان والله احوذيا نسيج وحده اى متمكنا فى اموره حسن السياق لها انتهى والظاهر انه تصحيف فى المبنى بل وتحريف فى المعنى لان الاحوذى ليس افعل التفضيل المناسب هنا للسياق من السباق واللحاق فقد قال صاحب القاموس الاحوذى الخفيف الحاذق والمشمر للامور القاهر لها لايشذ عليه شئ كالحويذ واحوذ ثوبه جمعه والصانع القدح اخفه انتهى وقوله احوذ وكذا استحوذ بمعنى غلب واستولى جاء على اصله من غير اعلال واعلاله واما افعل سواء كان وصفا اوتفضيلا فلايعل كاسود واجود (وقال على كرم الله وجهه) كما رواه احمد والنسائى والطبرانى والبيهقى (وانا كنا اذا حمى البأس) يهمز ويلين ومعناه ما فى قوله (ويروى اشتد البأس) واما ما وقع فى اصل الدلجى اذا حمى الوطيس فلا اصل له فى النسخ المعتبرة والاصول المعتمدة (واحمرت الحدق) بفتحتين جمع حدقة وهى ما احتوت عليه العين من سوادها وبياضها وسبب احمرارها غضب صاحبها وفى الحديث الغضب جمرة توقد فى قلب ابن آدم اماترى الى انتفاخ اوداجه واحمرار عينيه (اتقينا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فما يكون احد اقرب الى العدو منه) اى تحفظنا به واخذنا وقاية لنا من عدونا وافتعل اتقى فقلب واوه ياء لكسر ماقبلها ثم تاء وادغمت (ولقد رأيتنى) اى قال على والله لقد رأيت نفسى (يوم بدر) اى وكذا غيرى لقوله (ونحن نلوذ) اى نلتجئ ونستتر (برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى الحديث اللهم بك اعوذ وبك الوذ وفى اصل الدلجى ونحن نتقى برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفسره نستتر ونحتمى الا انه ليس فى الاصول المعتمدة الحاضرة (وهو اقربنا الى العدو) اى والحال انه صلى الله تعالى عليه وسلم اقرب منا الى عدونا وهو تصريح عاسق من تلويح (وكان من اشد الناس يومئذ) اى وقت البأس وشدة الحرب او يوم حنين (بأسا) اى قوة قلب فى شدة حرب واذا كان حاله هذا فى مثل هذا الوقت ففى سائر الاوقات بالاولى فلا يحتاج الى قول الدلجى بل اشدهم مطلقا كما لايخفى وما احسن من قال من ارباب الحال

(له وجه الهلال لنصف شهر * واجفان مكحلة بسحر)

(فعند الابتسام كليل بدر * وعند الانتقام كيوم بدر)

(وقيل كان الشجاع) اى منا (هو الذى يقرب منه صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دنا العدو) اى قاربوا (لقربه منه) اى لقرب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من العدو (وعن انس رضى الله عنه) كما فى حديث الشيخين (كان صلى الله تعالى عليه وسلم احسن الناس) اى صورة وسيرة وصوتا وفصاحة وملاحة (واجود الناس) اى سخاوة وكرامة (واشجع الناس) اى قلبا وثباتا (لقد فزع) بكسر الزاى (اهل المدينة ليلة) اى خافوا تبييت العدو لما سمعوا صوتا اجنبيا فى ناحية من نواحى المدينة ولاحاجة الى قول الدلجى من ان الفزع هو فى الاصل الخوف ثم استعير ههنا للنصرة والاستغاثة (فانطلق ناس) اى ذهب جمع من اهل المدينة (قبل الصوت) بكسر القاف وبفتح الباء الموحدة اى الى جانبه ونحوه ليحققوا ما به (فتلقاهم) المنطلقين (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) حال كونه (راجعا قد سبقهم الى الصوت) اى منفردا (واستبرأ) ويروى وقد استبرأ (الخبر) اى تعرف حقيقة الاثر وكشف الامر وعرف عدم سبب الضرر وقال التلمسانى استبرأ استقصى يهمز ويسهل وفيه نظر اذ لايجوز تسهيل الهمز المتحرك المتطرف الا وقفا والاظهر ان استبرأ اى بحث عن ذلك واستقصى ماهنالك (على فرس) اى حال كونه راكبا على فرس كائن (لابى طلحة) وهو احد اصحابه (عرى) بضم فسكون اى لاسرج عليها الاستعجال فى ركوبها والفرس هذا اسمه مندوب كما فى الصحيح (والسيف فى عنقه) اى متقلده (وهو يقول) اى للمقبلين اولاهل المدينة اجمعين (لن تراعوا) بضم التاء والعين اى لاتخافوا مكروها يصيبكم (وقال) اى كما رواه ابو الشيخ فى الاخلاق (عمران ابن الحصين) وفى نسخة صحيحة حصين الخزاعى وقد كانت الملائكة تصافحه وتسلم عليه حتى اكتوى وقيل كان يراهم (مالقى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كتيبة) بفتح كاف وكسر فوقية اى جماعة عظيمة من الجيش (الا كان اول من يضرب) اى يقبل

[illegible]

[illegible]

[illegible] (يوم احد) [illegible] (بخروج ابي بن خلف) [illegible]

[illegible] صلى الله تعالى عليه وسلم [illegible]

(وقتله) [illegible] (بيده) [illegible] (يوم احد) اي [illegible]

[illegible] (على فرس) اي [illegible]

[illegible] (كل يوم) [illegible]

[illegible] (من قبل) [illegible]

[illegible]

[illegible] (فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) [illegible]

[illegible] (ان شاء الله) [illegible]

[illegible] وهذه جملة معترضة بين [illegible] من جوابه من اطاعة [illegible]

[illegible] (فلما رآه) اي ابي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (يوم احد شد ابي على فرسه) جواب لما [illegible] كقوله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به بعد قوله ولما جاءهم كتاب الآية والمعنى [illegible] (على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاعترضه) اي حال بين ابي وبينه صلى الله تعالى عليه وسلم (رجال من المسلمين) اي يدفعونه عنه ويدفعونه (فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اي لاصحابه (هكذا) اي مشيرا الى جانب ابي (اي خلوا طريقه) اي ابي فان جوابه علي والمعنى تنحوا عنه ولا تحولوا بيني وبينه (وتناول الحربة) اي اخذها (من الحارث بن الصمة) بكسر الصاد وتشديد الميم [illegible] بن عتيك الخزرجي الانصاري [illegible] آخى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينه وبين صهيب وكسر بالروحاء في غزوة بدر فرده عليه السلام ثم ضرب له باجره وسهمه وثبت معه عليه الصلاة والسلام يوم احد هذا وقال ابن الاثير في تهذيبه ان كعب بن مالك ناوله الحربة ولا مانع من الجمع (فانتفض بها) اي حرك الحربة (انتفاضة) اي تحريكا شديدا او هزا شديدا (تطايروا) من الطيران اي تفرقوا وتبعدوا (عنه) اي تفرقوا عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم او عن ابي والمتفرقون اما المسلمون والاظهر [illegible] واما المشركون وهو ابلغ وانسب بقوله (تطاير الشعراء) بفتح المعجمة وسكون المهملة وبالمد [illegible] اي كتطاير ذباب احمر او ازرق يقع على الحيوان فيؤذيه اذى شديدا وفي رواية تطاير الشعارير قال صاحب النهاية وفي الحديث تطاير الشعر بضم الشين وسكون العين وهو جمع الشعراء و يروى الشعارير وقياس واحده شعرور والشعر قال التلمساني قوله الشعر كذا ضبط القاضي في الاصل وفي تصحيح ابي العباس العزفي الشعراء (عن ظهر البعير اذا انتفض) اي حرك البعير تحركا شديدا (ثم استقبله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اي توجه الى ابي حين وصل (فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ) بفتح فوقية وهمزة ساكنة بين دالين مهملتين ثم همزة مفتوحة قال واصل [illegible] وقيل [illegible] اي تدحرج وقيل تمايل وفي اصل الدلجي تردى اي سقط (منها) اي من اجل ضربة [illegible] الحربة (عن فرسه مرارا) لغشيه من مرارة الالم وحرارة الوهم (وقيل بل كسر) اي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقوة ضربه (ضلعا) بكسر معجمة ففتح لام وتسكن اي واحدا (من اضلاعه) اي عظام احد جوانبه (فرجع الى قريش يقول قتلني محمد وهم يقولون لا بأس بك) وفي نسخة عليك (فقال لو كان ما بي) اي لو نزل مثل ما معي من الالم (بجميع الناس لقتلهم) اي صار سبب قتلهم (اليس قد قال انا اقتلك) اي بقتله ان شاء الله تعالى (والله لو بصق علي) اي لو رمى بريقه علي [illegible] (لقتلني) اي ابراز الكلام واظهار المرام (فمات) اي ابي [illegible] (بسرف) بفتح مهملة وكسر راء [illegible] ممنوعا ويجوز صرفه مكان على ستة اميال من مكة كان فيه زواج ميمونة زوج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في عمرة القضاء واتفق انها ماتت به بعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه قبرها ومسجد عليه (في قفولهم) [illegible] اي رجوع الكفار من احد ورجوعهم وفي اصل الدلجي من رجوعه (الى مكة) وفيه ما ذكره البغوي في تفسيره انه مات بمكة لان سرف من توابعها هذا وقد قال [illegible] في تفسيره ولم يقتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيده غيره انتهى وبالجملة فكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اشجع الناس كما يدل عليه قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار مع ما ورد من اعطائه قوة الاربعين رجلا وفي رواية [illegible] بعض رجال [illegible] رضي الله تعالى عنهم اجمعين بل له من القوة الالهية التي اعجزتها

القوى البشرية والملكية هذا وقيل الشجاعة صبر ساعة وقيل الشجاع هو لذي يبرأ انصرافي الذي يقصده هل هو أكل الحدقة او أزرقها عند المقابلة وقيل هو الذي يبرز كيف امسك عدوه الرمح وقيل هو الذي يأتي عدوه وهو يسير السير الرفيق الذي يسير به بين بيوت قومه ونقل عن بعض الشجعان انه اذا رأى القوم مقابلين اليه نزل عن فرسه وتوسد حتى اذا وصلوا اليه نهض نحوهم وسألوه عن حالته في المقاتلة فقال ما ضربت قط يحيى الاوانا اميز بين ان اضربه قائم الرأس او متوسطا واتخير حيث اضرب وهذا نهاية الشجاعة والاقدام وقد سبق نزوله عليه الصلاة والسلام في اثناء محاربة الاقوام وقال مهلهل في هذا المرام (لم اطقه والبزاوافرنا * واخو الحرب من اطاق النزولا) (فصل)

(واما الحياء) وهي حالة تعتري من له الحياة الكاملة وقال ابن دقيق العيد الحياء تغير وانكسار يعرض للانسان لخوف ما يعاب به او يذم عليه وقيل الحياء حالة تنشأ عن رؤية التقصير (والاغضاء) وهو لغة ارخاء الجفن الى حيث يقارب الانطباق فهو دون الاغماض وقد يترافقان معنى ومنه قوله تعالى الا ان تغمضوا فيه ومنه قول الفرزدق في علي ابن الحسين

(يغضي حياء ويغضى من مهابته * فما يكلم الا حين يبتسم)

(فالحياء رقة تعتري وجه الانسان) اي تغشاه والمعنى تظهر من باطنه على ظاهره (عند فعل ما يتوقع) بصيغة المفعول اي عند ارادة فعل شيء يتوقع (كراهته) وفي نسخة كراهيته بزيادة ياء مخففة او مشددة (او ما) اي او عند ارادة فعل شيء (يكون تركه خيرا من فعله) والاول حياء الابرار والثاني حياء الاحرار واذا وصف به ربنا سبحانه وتعالى كما ورد في الكتاب والسنة فالمراد به الترك اللازم للانقباض (والاغضاء التغافل) اي التجاوز (عما يكره الانسان بطبيعته) اي بسجيته لا بشرعه بدليل ان المكروه شرعا هو الداعي الى الدين فان الدين النصيحة ولان الحياء من الايمان مذموم على ما في الرواية الصحيحة (وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اشد الناس) اي اقواهم (حياء واكثرهم) بالنصب (عن العورات) متعلق بقوله (اغضاء) واخر مراعاة للسجع ونصب حياء واغضاء على التمييز وآثر الحياء بالاشدية لكونه سببا للاغضاء والسبب اقوى من مسببه لكونه منشأه وبعض اثره والعورات بسكون الواو جمع عورة وهي كل ما يجب ستره اذا الغالب عند كشفها ادراك المعرة لمن انكشفت منه فهي عورة ما دامت منكشفة ومنه ما ورد اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا (قال الله سبحانه وتعالى ان ذلكم) اي مكثكم في بيته مستأنسين لحديث بعضكم بعضا (كان يؤذي النبي) اي وانتم ما تدركونه (فيستحيي منكم) اي من اخراجكم (الآية) اي قوله تعالى والله لا يستحيي من الحق اي من اظهاره فلا يترك بيان اسراره وكفى به شاهدا العقلاء في ادب الثقلاء (حدثنا ابو محمد بن عتاب) بفتح مهملة وتشديد فوقية وقد تقدم ترجمته (رحمه الله) جملة دعائية (بقراءتي عليه) اي الحديث الآتي (ثنا) اي حدثنا (ابو القاسم حاتم بن محمد) اي التميمي المعروف بابن الطرابلسي قرأ عليه ابو علي الغساني الجياني مرات ثنا ابو الحسن القابسي) بكسر الموحدة (ثنا ابو زيد المروزي) بفتح الميم وسكون راء وفتح واو فزاي (ثنا محمد بن يوسف) اي الفربري (ثنا محمد بن اسمعيل) اي الامام البخاري (ثنا عبدان) بفتح مهملة وسكون موحدة فدال يقال اتصدق بالف الف (ثنا عبد الله) اي ابن المبارك المروزي شيخ خراسان وقال الحلبي ابوه تركي مولى لتاجر وامه خوارزمية وقبره يهيت يزار ويتبرك به (انا) اي اخبرنا (شعبة عن قتادة سمعت عبد الله) اي ابن ابي عتبة (مولى انس) اي ابن مالك (يحدث عن ابي سعيد الخدري) كما في الصحيحين واخرجه الترمذي في الشمائل وابن ماجه في الزهد (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اشد حياء من العذراء) بفتح المهملة فسكون المعجمة وبالراء والمد اي حياؤه اشد حياء من البنت العذراء وهي من لم تزل عذرتها اي جلدة بكارتها (في خدرها) بكسر خاء معجمة وسكون دال مهملة اي في كونها حال داخل سترها فانها حينئذ اشد حياء من غيرها وذهابه عنها عادة لمخالطتها ولذا نزل سكوتها منزلة اذنها في باب نكاحها ولو مع وليها (وكان اذا كره شيئا عرفناه في وجهه) اي عرفنا انه كرهه بتغير وجهه ولو لم يتكلم بوجهه لانه او وجهه مثل الشمس والقمر فاذا كره شيئا كسا وجهه ظل كالغيم عليهما (وكان لطيف البشرة) بفتحتين اي رقيق الجلدة العليا اي يتغير بادنى كراهة والجملة كالعلة المبينة للسابقة (رقيق الظاهر) تأكيد لما قبله اي يسرع اثر الحياء عليه ولله در القائل

(اذا قل ماء الوجه قل حياؤه * ولا خير في وجه اذا قل ماؤه)

او معناه كان لينا سهلا رفيقا سهلا (لا يشافه) اي لا يواجه (احدا بما يكرهه) اي لا يخاطبه تصريحا بل يظهره تلويحا او لا يخاطبه حاضرا ويؤيده ما سيأتي واصل المشافهة هو المخاطبة من فيه الى فيه ثم توسع فيه فقيل بمعنى واجهه ومنه حديث كلمه شفاها (حياء وكرم نفس) اي من اجل كثرة حيائه وكرم نفسه في سخائه وقد ورد ان الحياء خير كله ولا يأتي الا بخير وانه شعبة من الايمان (وعن عائشة رضي الله تعالى عنها) كما رواه داود (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه

(وسلم اذا بلغه عن احد ما يكرهه) اى شئ لا يعجبه (لم يقل ما بال فلان) اى حال فلان بتعيين اسمه او وصفه او رسمه (يقول كذا) او يفعل كذا (ولكن يقول) اى منكرا له (ما بال اقوام) بصيغة الجمع لافادة عموم الحكم له ولغيره مع الابهام (يصنعون) اى يفعلون (او يقولون) شك من الراوى او اريد به تنويع الصنفين من الفعل والقول (كذا) اشارة الى ما نكره (ينهى عنه) اى عما انكره تلويحا (ولا يسمى فاعله) اى تصريحا اذ المقصود المعتبر هو نهى المنكر لا خصوص فاعله من البشر (وروى انس) كما رواه ابو داود (انه) اى الشان او النبى عليه السلام (دخل عليه رجل) وهو غير معروف (به اثر صفرة) اى بقية او علامة من طيب كزعفران ونحوه (فلم يقل له شيئا) اى مشافهة (وكان لا يواجه احدا) اى لا يقابله (بما يكره) اى حياء (فلما خرج) اى الرجل (قال) اى لاصحاب مجلسه (لو قلتم له يغسل هذا) اى الاثر الذى به لكان حسنا فالجواب مقدر ولو للتمنى وقوله يغسل خبر معناه الامر او التقدير ليغسل (ويروى ينزعها) بكسر الزاى اى يزيلها او يفسخ التلطخ بها وانما كرهها لانها من زى النساء وحليهن واما قول التلمسانى ينزع بفتح الزاى لا غير فوهم بناء على ما هو المفهوم من القاموس انه بكسر الزاى ومنه قوله تعالى ينزع عنهما بكسر الزاى اتفاقا نعم شرط الفتح موجود لكن لا يلزم من وجود الشرط وجود المشروط بخلاف عكسه كما هو مقرر فى محله ثم اعلم ان هذه الاخلاق الحسنة والاوصاف المستحسنة كانت غالبة عليه وسجية داعية اليه فلا ينافيه ما وقع من النوادر لحكمة من ارادة الزواجر ولبيان الجواز فى الطواهر من حديث سواد بن عمرو قال اتيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وانا متخلق فقال اورس ورس حط حط وغشينى بقضيب فى يده الحديث كما اورده المؤلف فى اواخر القسم الثالث والله تعالى اعلم (قالت عائشة رضى الله تعالى عنها) كما رواه الترمذى (فى الصحيح) اى من الحسن الصحيح فى جامعه وشمائله (لم يكن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاحشا) اى ذا فحش فى كلامه وهذا يدل على كثرة حيائه وشدة صفائه ويروى فحاشا اى ذا فحش فالصيغة للنسبة لا للمبالغة واصل الفحش هو الخروج عن الحد والفواحش عند العرب القبائح (ولا متفحشا) اى متكلفا له ولله درها اذ نفت عنه الفحش طبعا وتكلفا (ولا سخابا) بتشديد الخاء المعجمة اى ولا صاحب رفع صوت (بالاسواق) لحسن خلقه وكرم نفسه وشرف طبعه وحيائه من ابناء جنسه ويروى فى الاسواق وفيه احتراز عن المساجد لضرورة رفع صوته حال القراءة والخطبة ثم السوق امامن قيام الناس فيها على سوقهم واما من سوق الارزاق اليها (ولا يجزى) بفتح اوله وكسر الزاى وسكون الياء اى ولا يجازى (بالسيئة السيئة) اى الواصلة اليه اى الحاصلة منه وسميت الثانية سيئة مشاكلة او صورة او لانها خلاف الاولى لقوله سبحانه وتعالى ادفع بالتى هى احسن السيئة كما حقق فى قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها ومن هنا قالوا حسنات الابرار سيئات الاحرار وهو فى ذلك ممتثل لقوله تعالى فمن عفا واصلح فاجره على الله (ولكن) وفى نسخة ولكنه (يعفو) اى يمحوها بالباطن (ويصفح) اى يعرض عن صاحبها بالظاهر او يسامح عن الصغائر والكبائر مما ليس فيهما حق لاحد لقوله تعالى فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين (وقد حكى) بصيغة المفعول (مثل هذا الكلام) اى فى نعت سيد الانام عليه الصلاة والسلام (عن التوراة من رواية ابن سلام) بتخفيف اللام احد الصحابة الكرام من علماء اليهود حيث دخل فى الاسلام (وعبد الله بن عمرو بن العاص) اى ومن روايته ايضا وهو صحابى قرشى كان يطالع كتب العلماء الاعلام وقد جاء فى رواية انه رأى فى منامه ان فى احدى يديه سمنا وفى الاخرى عسلا فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تحفظ الكتابين فحفظ القرآن والتوراة ولهذا سأله عطاء بن يسار عن صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى التوراة كما فى الصحيح ولعل هذا قبل نزول قوله تعالى اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم فان فيه الاكتفاء او ان العسل فيه شفاء والسمن منه داء ودواء (وروى عنه) اى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى الاحياء لكن لم يعرف العراقى وروده فى الانباء (انه كان من حيائه لا يثبت) من التثبيت او الاثبات اى لا يشبع (بصره فى وجه احد) اى ناظرا اليه لاستيلاء الحياء عليه (وانه كان يكنى) بضم ياء وتشديد نون او بفتح وتخفيف اى يلوح ولا يصرح ويعرض (عما اضطره الكلام اليه) اى عن شئ لا بد منه ولا يسعه السكوت عنه (مما يكره) بصيغة الفاعل لا المفعول كما ضبطه الحلبى اى مما لا يستحسن التصريح به تخلقا باخلاق ربه واقتداء بادابه فى نحو او جاء احد منكم من الغائط وقوله تعالى فأتوا حرثكم انى شئتم وكقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث المستيقظ فانه لا يدرى اين باتت يده حيث لم يقل فلعل يده وقعت على دبره او ذكره او نجاسة فى بدنه ونظائره كثيرة فى الاحاديث الصحيحة ثم هذا فيما اذا علم ان السامع يفهم المقصود بالكناية والا كان يصرح لينتفى اللبس او لو قوع فى خلاف المطلوب وعلى هذا يحمل ما جاء من ذلك مصرحا به والله اعلم (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها) كما رواه الترمذى فى الشمائل (ما رأيت فرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قط) اى ابدا وهو يدل على كمال الحياء من الجانبين لكنها ما استفادت الحياء الا من حياء سيد الاصفياء وفى رواية عنها

ما رأيت منه ولا رأى من بعده المعول ونريد امرة وهو نهاية المبالغة منها في باب حيائها حيث حلفت انه ابكاها منها وفي الحديث ان من كلام النبوة الاولى اذا لم تستحي فاصنع ما شئت * وانشدوا *

(اذا لم تخش عاقبة الليالي * ولم تستحي فاصنع ما تشاء)

(فلا والله ما في العيش خير * ولا الدنيا اذا ذهب الحياء)

ثم الحياء محمود فيما يعيب على الانسان توقيه او يكره له فعله ومذموم فيما يؤدي الى ترك الواجب او السنة

(فصل) (واما حسن عشرته) اى معاشرته ومخالطته مع امته ولو لم يكونوا من عشيرته (وآدابه) الادب طبيعي وهو ما جبل عليه الانسان من الاخلاق السنية والاوصاف الرضية وكسبي وهو ما يكتسب من العلوم الدينية واعمال الاخروية وحقيقي وهو صفة الخواص ومراتب الاسماء ووهبي وهو حصول العلم اللدني وما يتعلق به من الكشف الغيبي وهو يجوز رفعه عطفا على المضاف وجره على المضاف اليه وهو الاحسن لحصول تسلط الحسن عليه وكذا قوله (وبسط خلقه) اى نشر اخلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم وجميل حسن الخلق هو بسط وبذل الندا وتحمل الاذى وكمال الصدق والانصاف باخلاق الخلق (مع اصناف الخلق) اى لينوصل به الى انقيادهم لدينه (فحيث) بالفاء جواب اما اى فهو محل (انتشرت) اى كثرت واشتهرت (به) اى بما ذكر من الامور الثلاثة (الاخبار الصحيحة) وكذا الآثار الصريحة منها خبر الترمذي في شمائله (قال على رضي الله تعالى عنه في وصفه عليه الصلاة والسلام) اى في جملة ما مدحه من الصفات الحميدة والنعوت السعيدة (كان اوسع الناس صدرا) اى لا يمل ولا يضجر في الاحتمال مما يرد عليه من الاحوال واختلاف الخلق في الاقوال والافعال وفي اصل الدلجي كان اجود الناس صدرا قال اى قلبا وفي رواية اوسع الناس صدرا قال التلمساني اجود بخط المؤلف واوسع تصحيح العرفي انتهى لكن النسخ المعتمدة والاصول المصححة على ما قدمناه وهو الموافق لقوله تعالى الم نشرح لك صدرك وقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام وفسر الشرح بمعنى الانشراح والانفساح وقد ورد وهو نور يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده فقيل هل لذلك من علامة فقال التجافي عن الدنيا والاقبال على العقبى والاستعداد للموت قبل نزوله (واصدق الناس لهجة) بفتح فسكون وبفتح اى وكان اصدقهم لسانا وبيانا وفيه وضع الظاهر موضع المضمر اشعارا بان الناس هم الصادقون في الانفاس (والينهم عريكة) اى وكان اسهلهم طبيعة سلسا منقادا هينا مطواعا (واكرمهم عشرة) اى صحبة ومخالطة (حدثنا ابو الحسن على بن مشرف) بفتح الراء المشددة (الانماطي) بفتح فسكون نون (فيما اجازنيه وقراءته على غيره قال ثنا) اى حدثنا (ابو اسحق الحبال) بفتح مهملة وتشديد موحدة محدث مصر (ثنا ابو محمد بن النحاس) ابن النحاس بتشديد الحاء المهملة يعني به عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد بن اسحق ابن ابراهيم بن يعقوب النحاس المصري (ثنا ابن الاعرابي) احد من روى سنن ابي داود عنه (ثنا ابو داود) اى السجستاني صاحب السنن (ثنا هشام) اى بن خالد بن زيد وقيل زيد بن مروان (ابن مروان) اى الازرق الدمشقي (ومحمد بن المثنى) على وزن المثنى هو المقري ابو موسى الحافظ روى عنه الطحاوي ونحوه (قالا) اى كلاهما (ثنا الوليد بن مسلم) وهو احد اعلام الشام روى عنه احمد وغيره قيل صنف سبعين كتابا (ثنا الاوزاعي) روى عن قتادة ويحيى بن ابي كثير شيخاه وهو امام اهل الشام في زمنه وكان رأسا في العلم والعبادة واختلف في بيان نسبته ذكر التلمساني ان الامام مالكا كان يقود دابته وهو راكبها وسفيان بن عيينة يسوقها وروى انه افتى في سبعين الف مسئلة روى عن كبار التابعين كعطاء ومكحول وعنه قتادة والزهري ويحيى ابن ابي كثير وهم من التابعين وليس هو من التابعين فهذا من رواية الاكابر عن الاصاغر (سمعت يحيى بن ابي كثير) بفتح وكسر مثلثة ابو نصر اليماني روى عن انس وجابر كليهما مرسلا وعن ابي سلمة وخلق (يقول حدثني محمد بن عبد الرحمن بن اسعد بن زرارة) بضم راء فرائين بينهما الف والى المدينة روى عنه شعبة وابن عيينة وطائفة وهو اسعد باهمزة وله اخ يقال له سعد بن زرارة (عن قيس بن سعد) اى ابن عبادة وهو ابو عبد الله الخزرجي وهو صاحب الشرطة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم روى عنه الشعبي وابن ابي ليلى وطائفة وكان ضخما مفرط الطول نبيلا جميلا جوادا سيدا من ذوي الرأي والدهاء والتقدم وهو ابو قيس سيد الخزرج واحد النقباء الاثني عشر ليلة العقبة وكان شريف قومه ليس في وجهه شعر ولا لحية وكانت الانصار تقول لو ددنا او نشتري لقيس لحية باموالنا وكان مع ذلك جميلا وكان اسود اللون توفي بالمدينة في آخر خلافة معاوية (قال زارنا) اى اباءنا واجدادنا (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اذ كان من عادته تعهد اصحابه وتفقد احبابه اذ حسن العهد من الايمان وتمام الاحسان (وذكر) اى قيس (قصة) اى طويلة (في آخرها) اى وكان في آخر تلك القصة قوله (فلما اراد) اى النبي عليه الصلاة والسلام (الانصراف) اى الرجوع الى منزله

وكان قدجاء على رجله قصد الزيارة اجره (قرب) بتشديد الراء اى قدم (له) وفى نسخة اليه (سعد حمارا) اى ليركبه تلطفا اليه وترحما عليه (وطأ) بتشديد طاء فهمز اى رحل (عليه) اى فوق الحمار (بقطيفة) اى كساء له خمل ومنه تعس عبد القطيفة اى الذى يعملها ويهتم بتحصيلها (فركب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اذ الذهاب الى العيادة حقيقة العيادة بخلاف الاياب فانه من ضروريات العادة ومنه تشييع الاكابر الى الجنازة مشاة ورجوعهم ركبانا (ثم قال سعد) اى لولده (ياقيس اصحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بفتح الحاء اى كن فى صحبته وخدمته وفى اصل الدلجى اصحبه والظاهر انه اختصار منه غير لايق به كما فعل فى كثير من مواضع كتابه (قال قيس فقال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اركب) اى انت ايضا معى اوعلى دابة اخرى (فابيت) اى امتنعت تأدبا معه اوحياء منه (فقال اما ان تركب واما ان تنصرف) بكسر اما فيهما (فانصرفت) اى فاخترت اهون الامرين واحسن الحكمين والحديث رواه ابوداود فى الادب والنسائى فى اليوم والليلة (وفى رواية اخرى) اى لهما اولاحدهما اولغيرهما (اركب امامى) بفتح اوله اى قدامى (فصاحب الدابة) اى واولى باقوة (اولى بمقدمها) بفتح الدال المشددة وقد تخفف اى بالركوب فى صدرها لماجاء فى طرق متعددة صاحب الدابة احق بصدرها وفى رواية الامن اذن وفى اصل الدلجى احق بصدرها قال وفى رواية اولى بمقدمها وصنيعه هذا ايضا مخالف للاصول المعتمدة والنسخ المصححة (وكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) كما فى شمائل الترمذى من حديث هند بن ابى هالة (يؤلفهم) بتشديد اللام اى يوقع الالفة فيما بينهم ويجمعهم كما يستفاد من قوله تعالى فالف بين قلوبكم وهو لاينافى اسناد التأليف الى الله تعالى فى الاية بل ولونفى التأليف ايضا فى آية اخرى من قوله تعالى والف بين قلوبهم لوانفقت مافى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم فان الآيتين من قبيل قوله سبحانه وتعالى ومارميت اذرميت ولكن الله رمى او المعنى كان يؤلفهم معه ويتألف بهم كما يشير اليه قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الآية ولما ورد المؤمن يألف ويؤلف ولاخير فيمن لايألف ولايؤلف كما رواه احمد فى سنده عن سهل بن سعد ورواه الدار قطنى عن جابر ولفظه المؤمن يألف ويؤلف ولاخير فيمن لايألف ولايؤلف (ولاينفرهم) بالتشديد وقيل بكسر الفاء المخففة اى لايعمل شيئا ممايفر عنه طباعهم فهو كالتأكيد لماقبله اوالمعنى يبشرهم ولاينفرهم لحديث يسروا ولاتعسروا وبشروا ولاتنفروا على مارواه احمد والنسائى وابن ماجه عن انس رضى الله عنه (ويكرم كريم كل قوم) هو كالتخصيص بعد التعميم وفى حديث رواه ابن ماجه وغيره عن جماعة من الصحابة مرفوعا اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه وفى رواية اذا اتاكم الزائر فاكرموه (و يوليه) بتشديد اللام المكسورة اى و يجعله واليا واميرا (عليهم) ابقاء لما اختاروا لديهم (ويحذر الناس) بفتح الذال المعجمة اى يخافهم وتفسيره قوله (ويحترس منهم) اى يحترز من مكر شرارهم لما ظهر فى آثارهم فورد الحزم سوء الظن على مارواه ابو الشيخ فى الثواب عن على كرم الله وجهه وفى رواية احترسوا من الناس بسوء الظن كما رواه الطبرانى فى الاوسط وابن عدى عن انس رضى الله تعالى عنه (من غيران يطوى) اى يدفع ويمنع (عن احد منهم بشره) بكسر الموحدة اى بشاشة وجهه (ولاخلقه) اى ولاطلاقة خلقه وزيادة لا للمبالغة نفيهما (يتفقد) وفى نسخة يتعهد (اصحابه) اى يطلبهم ويتجسس احوالهم بالسؤال عنهم ليعرف المانع عن خدمته وملازمة حضرته منهم فيزور مريضهم ويدعو لغائبهم (ويعطى كل جلسائه) اى جميع من جالسه (نصيبه) اى حظه بسلام او كلام اوطلاقة وجه والتفات خد اواشارة و بشارة (لايحسب) بكسر السين وفتحها اى لايظن (جليسه) اى مجالسه (ان احدا) اى من جلسائه (اكرم عليه) اى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (منه) اى من ذلك الجليس بحسب حسبانه لمايناله من انواع الالفة واصناف المودة واجناس الكرامة (من جالسه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لمصاحبة ومكالمة (او قاربه لحاجة) اى دينية اواخروية واوللتنويع لاللترديد ومن خبرية لاشرطية وقاربه مفاعلة من القرب بالراء والباء وتصحف على الانطاكى فقال اوقاومه اى قام معه كما يقال جالسه اذا جلس معه (صابره) اى انتظره صلى الله تعالى عليه وسلم وحبس نفسه على مايريد صاحبه متصبرا (حتى يكون) اى مجالسه اومقاربه (هو) ضمير فصل والاصح انه لامحل له (المنصرف عنه) بالنصب على خبر كان والمعنى بالغ فى صبره حتى ينصرف مجالسه من تلقاء نفسه وهذا كله لقوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه الآية (ومن سأله حاجة) اى طلب عطية (لم يرده) بفتح الدال المشددة ويجوز ضمها لضم ماقبلها (الابها) اى بالحاجة بعينها حيث قدر عليها اوبوعده لها وهو معنى قوله (اوبميسور من القول) كتسهيل رزق عملا بقوله تعالى واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ومن القول الميسور الدعاء له بتحصيلها اوبازالة طالبها فاو على طريقة منع الخلو اى لايخلو حاله اذا سئل عن احدهما اما عطاء ونقدا واما دعاء ووعدا ثم قيل الميسور مصدر وقيل اسم مفعول (قد وسع الناس) بالنصب اى عمهم وشملهم (بسطه) اى سرور ظاهره

وطيب باطنه جودا ورحمة وحياء وعفوا وغيره وقيل او انبساطه فيه (وخلقه) بسكونه وعلى الاول ففيه مع تجنيس (فصار لهم ابا) اي رحمة وشفقة وهو كما في حواشي شيخنا عند قوله تعالى النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم وهو اب لهم مع ان كل نبي اب لامته بل هو افضل واكمل رتبة من الاب اولا اذ الاب سبب لحياته والنبي باعث لافادته واستفادته وقد بر به قوله تعالى ملة ابيكم ابراهيم (وصاروا) اي الناس كلهم (عنده في الحق) اي في مراعاة حقهم بحسب حالة معهم (سواء) اي مستوين متقاربين من الاعراض المقتضية الحالة له على خلاف التسوية (فهذا) اي ما ذكر من الاوصاف المتقدمة (وصفه ابن ابي هالة) وهو تقدير من حديثه (قال) اي ابن ابي هالة (وكان) اي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (دائم البشر) اي متهلل الوجه وهو لا ينافي انه كان كثير الاحزان لان الاخلاق الظاهر والباطن في العنوان فانه باعتبار مع الخلق وباعتبار مع الحق فالحزن من لوازم الانكسار والذل والافتقار (سهل الخلق) اي لا يصعب (لين الجانب) بتشديد الياء المكسورة اي لا يتشدد (ليس بفظ) اي سيئ الخلق في القول (ولا غليظ) اي في الفعل قال ابن عباس رضي الله عنهما الفظ في القول والغليظ القلب في الفعل (ولا صخاب) وفي رواية وكذا في نسخة بالسين اي كثير الصياح (ولا فحاش) اي ذا فحش في قوله وفعله (ولا عياب) مبالغة عائب اي وكان لا يعيب على احد ما فعله من مباح واذا كان حراما او مكروها نهى عنه من غير تعييب وتعيير بل بتشديد ... وبعضهم قال التلمساني هو والذي بعده فعال على النسب اي ليس بذي عيب ولا بذي مدح وانما قال مبالغة للزوم نفي الامر وفيه ومبالغة صيغة للعبد اي بذي طبع والالزم اثبته فليس هذا نصرهما لانهما على النسبة فيعم في ذي عيب لا في ذي مدح كالاخير (ولا مداح) مبالغة مادح اي لا يبالغ في مدح احد بما يؤدي الى الاطراء او لا يمدح طعاما ولا يذمه كما في رواية لانه كان شاكرا للنعمة لا ناظرا للذة وفيه تأييد لقوله (يتغافل عما لا يشتهي) اي لا يتجه قولا وفعلا عما لا يرغب فيه اصلا (ولا يؤيس) بضم ياء وسكون همز وفتح تحتية مشددة وفي نسخة بفتح تاء من الاياس من باب الافعال الذي هو متعد لايئس اللازم من المجرد والضمير في قوله (منه) راجع اليه صلى الله تعالى عليه وسلم والمعنى لا ييأس احد من فضل جوده وكرمه وجوده واما نحو الدلجي كونه مبنيا للفاعل مبالغة للنص المحسن وقوله والمعنى لا يؤيس من نفسه او غيره بل عند احدا مما فيه من شئ لا يكون كذلك فهو مخالف لما في الاصول من صحة المبنى ومخالف لما قدمناه من ظهور المعنى وجعل الحنفي قوله ولا يؤيس منه عطفا على لا يشتهي وقال اي ما لم يجزم في وعده ولم يحصل له فيه سهو وغير كوابه وان كان ما يمكن حضوره في وقته ويؤيس وهو بضم اوله وسكون الواو وفتح همزة مكسورة واليأس هو القنوط اي ما وجده مما يجوز له تناوله من المباح تشتهيه ومالم يجده من ذلك لم يتكلف له قال ويفسر هذا حديث عائشة رضي الله تعالى عنها انه كان في اهله لا يسألهم طعاما ولا يشتهيه فان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب الحديث ونهى وما فيه لا يخفى وقال الانطاكي نقله عن الحلبي انه ضبطه بكسر الهمزة وينبغي ان يجوز بضم اوله ثم همزة مفتوحة وياء مكسورة مشددة يقال ايس منه فلان مثل أيس وكذا التأييس حكاه الجوهري انتهى وينبغي ان يكون الدراية تابعة للرواية كما لا يخفى (وقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم) اي سهلت اخلاقك لهم وكثر احتمالك عنهم والمقدر فبرحمة وما مزيدة للتأكيد كذا قالوا ولعلهم ارادوا تأكيد المعنى المستفاد من التنكير المفيد للتعظيم ولا يبعد ان يكون ما ابهامية ورحمة تميزه والجمع بينهما اوقع للمراتب المفيدة في افادة المقصد (ولو كنت فظا) اي سيئ الخلق (غليظ القلب) اي قاسيه على الخلق (لانفضوا) اي تفرقوا (من حولك) ولم يسكنوا اليك ولم يقصدوا ان يرحلوا وصالك وصلاتك وتمام الآية وهي قوله تعالى فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فليس في نسخ الشمائل وان كان شرحه الدلجي وفرجها تفسيرها (وقال ادفع بالتي هي احسن الآية) وهي تحتمل قوله تعالى ادفع بالتي هي احسن السيئة واقتصر الدلجي عليها وقد قيل في معنى هذه الآية ادفع بكلمة التوحيد شبهة الشرك ويؤيده ما بعده من قوله سبحانه وتعالى نحن اعلم بما يصفون وقيل ادفع بالحسنة المقصودة اي اذا عملت سيئة فاتبعها حسنة تمحها كما ورد في الحديث فعقوبة او ادفع بالتوبة المعصية ويحتمل قوله تعالى ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن اي اصفح عنها وقابلها بالحسنة اي هي احسن مطلقا وان كانت المقابلة عليها حسنة ايضا او بالحسن ما يمكن ان يقابل به من الحسنات ما لم يؤد ذلك الى المداهنة في امر الديانات وتمام الآية فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم ولا شك ان معنى الآية الثانية هو الملائم لباب حسن الخلق في معاشرة الخلق ويؤيده ما روي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم جاءه اعرابي فصيح فسأل أصبح الله او ملك ثم قال

(ففى ذوى اضغان تسلى نفوسهم * تحيتك الحسنى فقد يرفع نغل)
(فان هتفوا بالقول فاعف تكرما * وان خنسوا عنك الكلام فلا تسل)
(فان الذى يؤذيك منه استماعه * كان الذى قالوا ورائك لم يقل)
فقرأ عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ادفع بالتى هى احسن فقال الاعرابى ليس هذا من كلام البشر
وكان سبب اسلامه (وكان) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على ماروواه ابن سعد مرسلا (يجيب من دعاه) اى ولو
بعد منزل الداعى ومأواه ولم يكن له مال ولا جاه تواضعا لله وشفقة على خلق الله وجبرا لخواطرهم وتألفا لظواهرهم
وليقتدى به امته مع معاشرهم من معاشرهم (ويقبل الهدية) على ماروواه البخارى ايضا رعاية لزيادة المحبة وافادة
الوصلة والمودة وتفاديا من المبغضة والمقاطعة لما ورد تهادوا تحابوا على ماروواه ابو يعلى فى مسنده عن ابى هريرة رضى
الله تعالى عنه وفى رواية احمد عنه تهادوا ان الهدية تذهب وحر الصدر اى غشه (ولو كانت) اى الهدية وهى فعيلة من
الاهداء (كراعا) بضم اوله وهو مستدق الساق وهو ادون من الذراع واما قول التلمسانى اى ذا كراع ففوت للمبالغة
المطلوبة وروى البيهقى عن انس ولفظه تهادوا فان الهدية تذهب بالسخيمة اى الحقد ولو دعيت الى كراع لاجبت
واهدى الى كراع لقبلت ولو هنا للتقليل كما فى حديث ردوا السائل ولو بظلف محرق واتقوا النار ولو بشق تمرة والتمس
ولو خاتما من حديد (ويكافئ) بكسر الفاء بعدها همزة وتسهل اى يجازى (عليها) اى على الهدية واصل المكافأة المماثلة
وهو اقل حسن المعاملة وكان يكافئ باكثر منها لما سبق عن بنت معوذ بن عفراء ولقوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا
باحسن منها او ردوها على احد التفاسير فيها من ان المراد بالتحية هى الهدية وفى رواية البخارى ويثيب عليها من الاثابة
وهو مطلق المجازاة والمجزاة الحسنى لقوله تعالى فاثابهم الله (قال انس رضى الله تعالى عنه خدمت رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم عشر سنين) اى بعد الهجرة ومبدأ عمره عشر سنين ايضا (فما قال لى اف) بفتح الفاء وكسرها
وبنون التنوين وفيها لغات عشر وهذه الثلاث عن السبعة ومعناه الاستقذار والاستحقار وقال الهروى يقال لكل
ما يضجر منه ويستثقل ونقل ابو حيان فيها نحو الاربعين وجها من اللغة فى الارتشاف وقد نظمها السيوطى (قط) اى
ابدا فى تلك المدة (وما قال لشئ صنعته) اى فعلته (لم صنعته ولا لشئ تركته) اى ماصنعته (لم تركته) وهذا الحديث
كما يدل على حسن خلقه وكمال حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم ونظره الى قضاء الله وقدره يدل على كمال فضيلة انس رضى الله
تعالى عنه وجمال منقبته وجميل ادبه فى خدمته مع صغر سنه لكنها كلها مستفادة من بركة ملازمته ومداومة
حضرته (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها) كما رواه ابو نعيم فى دلائل النبوة بسند واه عنها (ما كان احد احسن
خلقا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) كما قال حسان
(تراه اذا ما جئته متهللا * كانك تعطيه الذى انت سائله)
(ما دعاه احد من اصحابه ولا اهل بيته) اى من ازواجه وذريته واقاربه واحبابه (الا قال لبيك) اى تأدبا معهم
وتعليما لهم واحضارا لنداء ربه على لسان خلقه وقد ورد ادبنى ربى فاحسن تأديبى على ماروواه ابن السمعانى
عن ابن مسعود (وقال جرير بن عبد الله) البجلى اليمنى (ماحجبنى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى مامنعنى
عن الدخول عليه (قط) اى ابدا (منذ اسلمت) اى تلطفا معه وتعظيما بجنابه ان يرده عن بابه ويكسر خاطره بحجابه
(ولا رآنى الا تبسم) لانه كان مظهر الجمال مع كونه سيد اقطاعا عريض الجاه وسيع البال وقد بسط رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم رداءه اكراما له (وكان يمازح اصحابه) كما ذكره الترمذى فى باب مزاحه صلى الله تعالى عليه
وسلم مع اصحابه من الرجال والنساء والكبار والصغار ولذا كان ابن سيرين مداعبا ويضحك حتى يسيل لعابه واذا اريد
على شئ من دينه كان الثريا اقرب اليه من ذلك (ويخالطهم) اى تواضعا (ويحادثهم) اى يخاطبهم ويكالمهم تأنيسا
(ويداعب صبيانهم) اى يلاعبهم ويمازحهم ومنه قوله لجابر هلا بكرا تداعبها وتداعبك فى القاموس الدعابة
بالضم اللعب وداعبه مازحه (ويجلسهم) بضم اوله اى يقعد صبيانهم (فى حجره) بفتح الحاء وتكسر اى فى حضنه
تلطفا بهم وتطييبا لقلوب آبائهم (ويجيب دعوة الحر والعبد والامة) اى اذا كانا معتقين او اذا جاءاه وطلباه الى منزل
سيدهما (والمسكين) تواضعا لربه وتمسكا بخلقه مع جلالة قدره ورفعة محله لحسن خلقه (ويعود المرضى فى اقصى
المدينة) اى ولو كانوا فى ابعد منازلها (ويقبل عذر المعتذر) اى ولو كانت اعذاره ليست على تحققها وفى الحديث
انه قبل عذر من تخلف عن غزوة تبوك بحسب ما برزوا من اقوال ظواهرهم ووكل الى الله احوال سرائرهم (قال انس
رضى الله تعالى عنه) كما رواه ابو داود والترمذى والبيهقى عنه (ماالتقم احد اذن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم)
بضم الذال وسكونها فيه استعارة وضع اللقمة فى الفم او وضع الفم عند الاذن اى ما جعل احد اذنه محاذية لفمه ليحادثه

مهملة (فتنحى) من التنحية اى فيبعد (رأسه) وهو فى حكم المستثنى اى الاستمرار ملتصقا اذنه لافيه حتى ينحى عنه وجهه (حتى يكون الرجل) الملتقم (هو) ضمير فصل (الذى ينحى رأسه) فى محل نصب على انه خبر كان وحتى غاية لقوله فينحى رأسه (وما اخذ احد بيده) اى مصافحة او مبايعة (فيرسل) اى فيطلق (يده) من وضع الظاهر موضع المضمر اى الاستمرار يده فى يد آخذها (حتى يرسلها الآخر) بفتح الخاء المعجمة ومراده فيقبض الاول وفى اصل الدلجى بكسرها وبدال معجمة وحتى غاية لتركها حتى يرسلها اه وهو تصحيف (ولم ير) بصيغة المجهول اى ولم يبصر حال كونه (مقدما) بكسر الدال المهملة المشددة اى لم يعلم مقدما (ركبتيه بين يدى جليس له) اى فضلا عن ان يمد رجليه عند احد من جلسائه وهذا كله تواضع وكمال تأدب وحسن عشرة (وكان) على ما فى حديث ابن ابى هالة (يبدأ) اى يبتدئ وفى رواية يبدر بضم الدال والراء اى يبادر ويسبق (من لقيه بالسلام) فان هذه السنة افضل من الفريضة لما فيه من التواضع والسبب لاداء الواجب والضمير البارز له صلى الله تعالى عليه وسلم والضمير المستتر لمن ويحتمل العكس والاول اقرب الى الادب (ويبدأ اصحابه بالمصافحة) مفاعلة من الصاق صفحة الكف بالكف ويلزم منه مقابلة الوجه بالوجه عند اللقاء لانها ملحوظة فى معنى المصافحة خلافا لما يتوهم من كلام الدلجى ثم يستفاد من الحديث ان ما يفعله بعض العامة من مد الاصابع او اشارة بعضها ليس على وجه السنة ثم رأيت التلمسانى قال وصفتها وضع بطن الكف على بطن الاخرى عند التلاقى مع ملازمة ذلك على قدر ما يقع من السلام او من السؤال والكلام ان عرض لهما واما اختطاف اليد فى اثر التلاقى فهو مكروه هذا وزاد الدلجى عن ابى ذر ما لقيته قط الا صافحنى واسنده الى ابى داود وهو ليس موجود فى النسخ المصححة والاصول المعتمدة (لم ير) اى كما رواه الدار قطنى فى غرائب مالك وضعفه والمعنى لم يبصر ولم يعلم (قط مادا رجليه) او احداهما (بين اصحابه حتى لا يضيق بهما على احد) وهو كالعلة لتركه مدهما اى كان يترك مدهما حذرا من ان يضيق بهما على احد من جلسائه شفقة عليهم وهو لا ينافى قصد تواضعه وارادة ادبه معهم وفيه اقتباس من قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم اى ولو بلسان الحال تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم (يكرم من يدخل عليه) اى استئناسا والجملة وقعت استئنافا كما وقع ما قبلها ولعله فصلها عما قبلها حذرا من توهم كونها تحت حديث سبقها (وربما بسط له) اى فرش للداخل عليه (ثوبه) اكراما له منهم وائل بن حجر الحضرمى ومن المراد بثوبه رداؤه لقوله (ويؤثره) اى يقدمه على نفسه ويفرده (بالوسادة) اى بالجلوس عليها والاعتماد على المخدة (التى تحته) اى كانت تحته مفروشة اجلالا له وتكريما (ويعزم) اى يؤكد (عليه) اى على الداخل له (فى الجلوس عليها) لدفع الوحشة وحصول المودة (ان ابى) اى امتنع من الجلوس عليها تأدبا بالملك الحضرة (ويكنى) بتشديد النون (اصحابه) اى يجعل لهم كنى جمع كنية كابى تراب وابى هريرة وام سلمة وهو من الكناية لانها من ترك التصريح باسمائهم الاعلام وهو من آداب الكرام واما ابو لهب فعدل عن اسمه عبد العزى كراهة له كره وقولا لمقره اولا شهاره به وابعد من قال لأنفسه (ويدعوهم باحب اسمائهم) اى تارة او المراد من الاسماء ما تم الاعلام والالقاب والكنى والمعنى انه لا ينبذهم بما يكرهون به بل يدعوهم بما يحبونه (تكرمة لهم) اى تكريما لهم وتعليما لهم فى العمل باصحابهم والتكرمة بكسر الراء وقول التلمسانى بضم الراء وهم (ولا يقطع على احد حديثه) اى باستعمال كلام فى اثنائه قبل تمامه (حتى يجوز) غاية لترك قطعه حديثه الى ان يتجاوز منه ويتعدى الى ما لا يليق به وقال الحنفى اى يفرط ويكثر والاول هو الاظهر فدره (فيقطعه) اى فحينئذ يقطع حديثه (بنهى) اى صريح له او عام تبعه (او قيام) اى بتلويح والاول زجرله والثانى اعراض عنه وهو مقيد لنهيه عنه اذ لا يقر على مثله وروى بانتهاء او قيام (وروى) اى كما فى الاحياء وفى نسخة وروى (انه كان لا يجلس اليه احد وهو يصلى) اى والحال انه عليه الصلاة والسلام فى صلاة من النوافل (الا خفف صلاته) اى فى اطالة صلاته (وسأله عن حاجته) اى ذنبه كانت او اخرويه (فاذا فرغ) اى عن قضاء حاجته (عاد الى صلاته) اى المعتادة بالاطالة قال العراقى ولم اجد له اصلا (وكان اكثر الناس تبسما) لكونه مظهر الجمال والبسط غالب عليه فى كل حال وهذا معنى قوله (واطيبهم نفسا) اى مستبشرا غير عبوس (ما لم ينزل عليه) بصيغة المجهول وصح كونه للفاعل (قرآن) اى وحى متلو (او يعظ) اى ما لم ينصح الناس ويعلمهم التأديب بالترغيب والترهيب (او يخطب) اى فى المنبر عند الجمع الاكبر فانه حينئذ لم يكن متبسما ولا منبسطا لكان غلب عليه القبض لما فيه من مقام الاجلال باظهار مظاهر ذى الجلال فى كل مقام مقال ولكل مقام حال لارباب الكمال (قال) اى على ما رواه احمد والترمذى بسند حسن (عبد الله بن الحارث) وهو آخر من توفى من الصحابة بمصر والمراد به ابن جزء بن عبد الله بن معدى كرب الزبيدى بضم الزاى وفى الصحابة من اسمه عبد الحرث اربعة عشر غيره على ما ذكره الحلبى وقال حديثه المذكور ههنا اخرجه الترمذى فى المناقب من الجامع وهو

فى الشمائل ايضا (ما رأيت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن انس قال) كما رواه مسلم (كان خدم المدينة) بفتحتين جمع خادم والمعنى خدام اهلها (يأتون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صلى الغدوة) اى صلاة الصبح (بآنيتهم) متعلق بيأتون والباء للتعدية اى يجيئون باوانيهم (فيها الماء فما يؤتى) بصيغة المفعول من انى يأتى اى ما يجاء (بآنية الا غمس) اى ادخل (يده فيها وربما كان ذلك فى الغدوة الباردة) اى وهو مع ذلك لايمتنع مما هنالك (يريدون به) اى بغمس يده فيها (التبرك) اى طلب البركة وحصول النعمة وزوال النقمة وكمال الرحمة هذا وفى الحديث المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على اذاهم اعظم اجرا من الذى لايخالط الناس ولا يصبر على اذاهم (فصل) (واما الشفقة) اى الخوف على وجه المحبة (والرأفة) وهى شدة الرحمة (والرحمة) اى المرحمة العامة (لجميع الخلق) اى مؤمنهم وكافرهم وانسهم وجنهم وقريبهم وغريبهم وفقيرهم وغنيهم حتى مماليكهم والحيوانات وسائر الموجودات وفى نسخة صحيحة بتأخير الرأفة عن الرحمة وهو الانسب فى مقام المرتبة لكن الاول اوفق بما جاء فى التنزيل فهو اولى (فقد قال الله تعالى فيه) اى فى حقه عليه الصلاة والسلام (لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم) كذا فى اكثر النسخ وفى بعضها بعد قوله فيه عزيز الخ اى شديد شاق عليه عنتكم ولقاؤكم المكروه فما مصدرية وعلى متعلق بقوله عزيز ويجوز ان يكون عزيز منقطعا عما بعده والمعنى عزيز الوجود عزيز الجود بديع الجمال منيع الجلال منبع الكمال ويكون عليه ماعنتم جملة خبرها مقدم وعلى للضرر اى ويضره ولايهون عليه تعبكم ومشقتكم حريص عليكم اى على منفعتكم دينا ودنيا بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤف رحيم فى الدنيا والآخرة وقدم ابلغهما رعاية للفاصلة او للتذييل والتتميم وقدم الجار لاختصاصهم برحمته فى الاولى والعقبى (وقال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) لانه ارسل لاسعادهم وصلاح معاشهم ومعادهم ان اتبعوه ولم يخالفوه (قال بعضهم) اى بعض العلماء وفصله عما قبله لاختلاف القائل قدما وحدوثا (من فضله عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى اعطاه) اى من جملة ما فضل به على غيره ومما دل على كمال خيره ان الله تعالى اعطاه بخلقه سبحانه وتعالى فيه الرأفة والرحمة (اسمين من اسمائه) اى نعتين سماه بهما (فقال بالمؤمنين رؤف رحيم) وفى قراءة رؤف بالقصر (وحكى نحوه) اى نقل مثل ما ذكر عن بعضهم (الامام ابو بكر بن فورك) بضم فاء وسكون واو وفتح رآء وكاف منون وقد تبع بلغت تصانيفه فى الاصلين ومعانى القرآن قريبا من مائة مصنف توفى سنة ست واربعمائة (حدثنا الفقيه ابو محمد عبد الله بن محمد الخشنى) بضم الخاء المعجمة وفتح الشين المنقوطة فنون فياء نسبة لقبيلة خشين (بقرآءتى عليه ثنا امام الحرمين ابو على الطبرى) بفتح الطاء المهملة والموحدة هكذا هو فى الاصول المعتبرة والنسخ المعتمدة وقال الحلبى كذا وفى نسخة فى الاصل الذى وقفت عليه امام الحرمين ثنا ابو على الطبرى انتهى والطبرى منسوب الى طبرستان وقيل الى طبرية (ثنا عبد الغافر الفارسى) بكسر الراء وهو النيسابورى صاحب تاريخ نيسابور وكتاب مجمع الغرائب والمفهم لشرح مسلم ولد سنة احدى وخمسين واربعمائة سمع جده لامه ابا القاسم القشيرى وتفقه على امام الحرمين ولزمه اربع سنين حدث عنه جماعة وروى عنه ابن عساكر بالاجازة (ثنا ابو احمد الجلودى) بضم الجيم واللام وقد تقدم (ثنا ابراهيم بن سفيان) سبق ذكره (ثنا مسلم بن الحجاج) اى صاحب الصحيح (ثنا ابو طاهر) روى عن ابن عيينة والشافعى وخلق وعنه مسلم وابو داود والنسائى وابن ماجه (نا) اى انبأنا وفى نسخة انا بمعنى اخبرنا (ابن وهب) احد الاعلام سمع مالكا وغيره اخرج له اصحاب الكتب الستة طلب للقضاء فجنن نفسه وانقطع (نا) اى انبأنا (يونس) اى ابن زيد الايلى بفتح همزة وسكون تحتية روى عن عكرمة والزهرى وعنه ابن المبارك وغيره قال الحلبى وفى يونس ست لغات ضم النون وفتحها او كسرها مع الهمزة وعدمه (عن ابن شهاب) اى الزهرى (قال غزا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غزوة وذكر حنينا) بالتصغير اى وذكر ما يدل على انه اراد بها حنينا وهو واد بين مكة والطائف وراء عرفات على بضعة عشر ميلا من مكة وكانت غزوته فى شوال سنة ثمان (قال) اى ابن شهاب (فاعطى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فى تلك الغزوة من غنائمها (صفوان بن امية) تصغير امة (مائة من النعم) بفتحتين اى الابل والبقر والشاة وقيل الابل والشاة وهو جمع لاواحد له من لفظه وفى رواية من الغنم (ثم مائة ثم مائة) اى ثالثة تألفا اليه وشفقة عليه وانقاذا له من النار ولمن تبعه من الكفار (قال ابن شهاب ثنا) اى حدثنا كما فى نسخة (سعيد بن المسيب) بفتح التحتية المشددة عند العراقيين وهو المشهور وبكسرها عند المدنيين وذكر ان سعيدا كان يكره الفتح وهو امام التابعين وسيدهم جمع بين الفقه والحديث والعبادة والورع روى عنه انه صلى الصبح بوضوء العشاء خمسين سنة وعنه انه قال مانظرت الى قفاء رجل فى الصلاة مذ خمسين سنة لمحافظته على الصف الاول وقال ايضا مافاتتنى التكبيرة الاولى

مذبحين منه وكان يحمى حامية المسجد وكان يتجر فى الزيت (ان صفوان قال والله لقد اعطانى) اى رسول الله (ما اعطانى) اى الذى اعطانيه من المتن (وانه لابغض الخلق الى) الجملة الحالية (فمازال يعطينى) اى بعد ذلك (حتى انه) اى انه عليه الصلاة والسلام صار الآن (لاحب الخلق الى) وذلك لعلمه عليه الصلاة والسلام ان دواءه من داء الكفر ذلك المنهج اسلامه اذ الطبيب الماهر يعالج بما يناسب الداء وقد رأى ان داء المؤلفة حب المال والانعام فداواهم باكرم الانعام حتى عوفوا من نقمة الكفر بنعمة الاسلام ثم اعلم ان الراوى اذا قدم الحديث على السند كأن يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كذا وكذا اخبرنى به فلان و يذكر سنده او قدم بعض الاسناد مع المتن كهذا الحديث الذى نحن فيه فهو اسناد متصل لايمنع ذلك الحكم باتصاله ولايمنع ذلك من روى كذلك اى تحمله من شيخه كذلك بان يبتدئ بالاسناد جميعه اولا ثم يذكر المتن كما جوزه بعض المقدمين من اهل الحديث قال الشيخ ابو عمرو ابن الصلاح وينبغى ان يكون فيه خلاف نحو الخلاف فى تقديم بعض المتن على بعض فقد حكى الخطيب المنع من ذلك على القول بان الرواية على المعنى لاتجوز والجواز على القول بان الرواية على المعنى تجوز ولافرق بينهما فى ذلك كذا ذكره الحلبى (وروى) بصيغة المجهول وقد روى ابو الشيخ والبزار (ان اعرابيا) وهو غير معروف (جاءه) اى اتى النبى عليه الصلاة والسلام (يطلب منه شيئا) اى من مطالب الدنيا (فاعطاه اياه ثم قال) اى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (آحسنت اليك) بهمزة ممدودة وسكون حاء لاجتماع همزة الاستفهام وهمزة الافعال للتقرير وهو حمل المخاطب على الاقرار بانه احسن اليه وانعم عليه (قال الاعرابى لا) اى لا اعطيتنى كثيرا ولا قليلا (ولا اجملت) اى ولا اتيت بالجميل اولا او وصلتنى جميلا حيث لا احسنت جزيلا وقيل معناهما واحد كرر للتأكيد وقيل ما اجملت ما اكثرت وهو اولى كما لايخفى ولايبعد من غلظته وجلفته لد به ان اراد بقوله ولا اجملت دعاء عليه ويؤيده قوله (فغضب المسلمون وقاموا اليه) ليواقعوه بما استحقه زجرا عليه (فاشار) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (اليهم ان كفوا) اى كفوا او بان كفوا انفسهم فتشديد اى امتنعوا عنه وكفوا انفسكم منه شفقة عليه واحسانا اليه (ثم قام) اى النبى عليه الصلوة والسلام (ودخل منزله) اى للاهتمام (وارسل) وفى نسخة فارسل (اليه وزاده شيئا) اى على ما قدمه عليه (ثم قال آحسنت اليك) كما سبق (قال نعم فجزاك الله به) اى بسبب ما احسنت به الى (من اهل وعشيرة خيرا) بالنصب على انه مفعول ثان لجزى ومن تبعيضية والجملة اعتراض بين الفعل ومفعوله نصب على الاختصاص او على الحال اى اخصك من بينهما او حال كونك منهما (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انك قلت ماقلت) اى شيئا عظيما مستهجنا قبيحا (وفى انفس اصحابى) اى وفى نفوسهم وفى اصل الشارح وفى نفس اصحابى بصيغة المفرد (من ذلك) اى قولك (شئ) اى امر عظيم وخطب جسيم (فان احببت) اى اردت ازالة ذلك (فقل بين ايديهم) اى عندهم (ما) وفى نسخة مثل ما (قلت بين يدى) اى من المديح ليكون كفارة لذلك القبيح (حتى يذهب) اى بقولك لهم ذلك (مافى صدورهم عليك) اى من الغضب لما صدر عنك فان المعالجة بالاضداد (قال نعم) اى اقول لهم ذلك (فلما كان الغد) اصله غدو فحذفوا الواو بلاعوض (او العشى) بفتح فكسر فتشديد واو لشك الراوى (جاء) اى الاعرابى (فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذا الاعرابى قال ماقال) اى ما سمعتموه فى اول الحال (فزدناه) اى بعض المال (فزعم انه رضى) اى به عنا (اكذلك) استفهام تقرير اى احق ما نقله عنك (قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا) فكان المراد بالاهل هو الاخص او الاعم والله اعلم (فقال) اى النبى كما فى نسخة صحيحة (صلى الله تعالى عليه وسلم مثلى ومثل هذا) المثل بفتحتين فى الاصل هو النظير ثم استعمل فى القول السائر المثل مضربه بمورده اى موضع ضربه بموضع وروده فالمورد هو الحالة الاصلية التى ورد فيها كحالة المنافقين والمضرب هو الحالة المشبهة كحالة المستوقد نارا ولايضرب الا بما فيه غرابة زيادة فى التوضيح والتقرير فانه اوقع للنفس واقمع للخصم ويريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا ثم استعير لما له شان عجيب وفيه امر غريب من صفة او حال او قصة نحو مثلهم كمثل الذى استوقد نارا ولله المثل الاعلى ومثل الجنة التى وعد المتقون وامثالها والمعنى هنا شبهى وشبهه العجيب الشان والغريب البيان (مثل رجل له ناقة شردت عليه) اى نفرت وذهبت فى الارض عنه او غلبت عليه (فاتبعها الناس) من الاتباع او الاتباع اى فتبعوها ليأخذوها (فلم يزيدوها الا نفورا) اى تنفرا منهم وتباعدا عنهم (فناداهم صاحبها خلوا بينى وبين ناقتى) اى اتركونى معها (فانى ارفق بها) اى اشفق عليها (منكم واعلم) اى بحالها وطبعها وطريق اخذها (فتوجه لها بين يديها فاخذ لها من قمام الارض) بضم القاف وتخفيف الميم جمع قمامة وهى فى الاصل الكناسة اراد بها ههنا ماالتقمه من الارض وتأكله شبه بالكناسة لخسته فاستعير له اسمها لمشاركة صفته (فردها) اى جمعها اليه (حتى جاءت واستناخت) اى طلبت

البروك وهو بنون قبل الالف وخاء معجمة بعدها بقل اناخ الجمل فاستناخ اى بركه فبرك (وشد عليها رحلها) اى ربط عليها قتبها (واستوى عليها قتبها) اى استقر عليها جالسا (وانى لو تركتكم حيث قال الرجل) اى حين قوله (ما قال) اى شيئا قاله اولا (فقتلتموه دخل النار) اى عقوبة له بما ظهر من الكفر فى اساءة ادبه معه صلى الله تعالى عليه وسلم فكان حسن ملاطفته وزيادة عطيته سببا لارضائه و باعث توبته فهو ارفق باعتد واعلم بحالهم منهم فانه بهم رحيم وبدوائهم حكيم ومما يناسب المقام و يلايم المرام ماروى عن خوات بن جبير من الصحابة الكرام انه قال نزلت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بمر الظهران فاذا نسوة يتحدثن فاعجبنني فاخرجت حلة من عيبتى فلبستها وجلست اليهن فمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فهبته فقلت يارسول الله جمل لى شرود وانا ابتغى له قيدا فمضى وتبعته فالقى على رداء ودخل الاراك فقضى حاجته وتوضأ ثم جاء فقال اباعبدالله مافعل شراد جملك ثم ارتحلنا فجعل كلما لحقنى قال السلام عليك ياابا عبدالله مافعل شراد جملك فتعجلت المدينة وتركت مجالسته والمسجد وطال ذلك على فتحينت خلو المسجد ثم دخلت فطفقت اصلى فخرج من بعض حجره فصلى ركعتين خففهما وطولت رجاء ان يذهب عنى فقال طول اباعبدالله ماشئت فلست والله ببارح حتى تنصرف فقلت والله لاعتذرن اليه فانصرفت فقال السلام عليك اباعبدالله مافعل شراد الجمل فقلت والذى بعثك بالحق ماشرد ذلك الجمل منذ اسلمت فقال رحمك الله مرتين اوثلاثا ثم لم يعد (وروى عنه) بصيغة المجهول وهو مروى من طريق ابى داود عنه (انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لايبلغنى احد منكم) من التبليغ اوالابلاغ كما قرئ بهما فى السبعة قوله تعالى ابلغكم وهو يحتمل النهى والنفى وهو بمعنى النهى كما هو ابلغ اى لايوصلنى احد منكم بان ينقل (عن احد من اصحابى شيئا) اى مما ينكر فعله من ابهم كان فى اى وقت كان وهذه النكرات وردت فى حيز نفى متوشحة بنهى فعمت جمع الاصحاب والاوقات والاشياء مكروهة او حراما بشهادة المقام اذلا يتعلق نهى بمباح ومأذون فيه (فانى احب ان اخرج) اى من الدنيا (اليكم وانا سليم الصدر) جملة حالية وفيه ايماء الى قوله تعالى الامن اتى الله بقلب سليم اى سالم من الغش والحقد للخلائق ومن الغفلة عن ذكر الحق (ومن شفقته على امته عليه الصلاة والسلام تخفيفه) اى عنهم اعباء التكاليف (وتسهيله عليهم) اى وتهوينه مما يقوى قلوبهم عليه من الترغيب والترهيب (وكراهته) اى لهم (اشياء مخافة ان تفرض) اى تلك الاشياء (عليهم) ومخافة منصوب على العلة للافعال الثلاثة وفى نسخة بدلها خوف ان تفرض عليهم وهذا حكم اجمالى اورد لكل مايناسبه جمعا وتقسيما (كقوله) على مارواه الشيخان (لولا ان اشق على امتى لامرتهم بالسواك مع كل وضوء) اى امر وجوب فيؤخذ استحبابه فى كل حال ولوكان للصائم بعد الزوال فان لولا لامتناع الشئ لوجود غيره والمعنى امتنع الامر بالفريضة لوقوع المشقة (وخبر صلاة الليل) بالجر وهو الصحيح وفى نسخة بالرفع على انه مبتدأ خبره يأتى ولعله اراد به مارواه الشيخان فى قيام الليل من خبر خذوا من العمل ماتطيقون اذا نعس احدكم وهو يصلى فليرقد حتى يذهب عنه النوم فان احدكم اذا صلى وهو ناعس لايدرى امله يريد يستغفر الله فيسب نفسه ومارويناه فى حديث عبدالله بن عمرو ابن العاص حيث قال واما انافارقد واقوم واصلى ومنعه عن قيام الليل كله وقد روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم خرج ليلة فى شهر رمضان فصلى بالقوم عشرين ركعة واجتمع الناس فى الليلة الثانية فخرج وصلى بهم فلما كانت الليلة الثالثة كثر الناس فلم يخرج وقال عرفت اجتماعكم لكن خشيت ان تفرض عليكم (ونهيهم) بالوجهين اى ونهيه اياهم (عن الوصال) كما رويناه وهو ان لايفطر اياما متوالية (وكراهته) اى لاجلهم (دخول الكعبة) اى دخوله فيها على ما رواه ابو داود وصححه الترمذى (لئلا يتعب امته) من الاتعاب وهو الايقاع فى التعب والمشقة وفى نسخة لئلا تتعب امته بفتح التاء والعين ورفع امته وفى نسخة صحيحة لئلا يعنت من اعنت غيره اذا اوقعه فى العنت وهو المشقة وفى نسخة بتشديد النون المكسورة (ورغبته لربه) اى دعاؤه اياه على طريقة الميل والرغبة (ان يجعل سبه) اى شتمه عليه الصلاة والسلام (ولعنه لهم) اى بان دعا عليهم بالطرد والبعد ان صدر شئ منهم لبعضهم اولكلهم (رحمة بهم وانه) ضبط بالكسر والفتح وهو الاظهر اى ومن شفقته عليهم كما رواه الشيخان انه (كان يسمع بكاء الصبى) اى الصغير والبكاء يمد ويقصر (فيتجوز) اى فيقتصر ويخفف (ويتجعل فى صلاته) اى المعقودة للجماعة رحمة لهم وحذرا من ذهاب خشوع من صلى معه من والديه (ومن شفقته صلى الله تعالى عليه وسلم ان دعا ربه) اى سأله (وعاهده) اى واخذ عهده سبحانه وتعالى فيما بينه وبينه (فقال ايما رجل) وكذا حكم المرأة بل (سببته اولعنته) ليس اوللشك بل للتنويع (فاجعل ذلك له زكاة) اى نماء وبركة يتبارك بها (ورحمة) اى ترحمه بها (وصلاة) اى ثناء اوعبادة وقال الدلجى عطف تفسيراذ هى منه تعالى رحمة وقال الانطاكى عطف الصلاة على الرحمة وان كانت فى معناها لتغاير اللفظ ولا يخفى ان مااخترناه هو السديد لان التأسيس اولى من التأكيد (وطهورا)

يطهر به وبسببه الدلجى ايضا من باب التأكيد حيث فسر الزكاة بالطهارة حلافا لما قدمناه (وقربة) اى وسيلة (تقربه بها اليك يوم القيمة) قال الدلجى انما اعاده لما فيه من الزيادة الاول وكان الاولى للمصنف ان يجمعهما من غير فصل بينهما واعلم ان اول الحديث اللهم ان محمدا بشر يغضب كما يغضب البشر وانى قد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فايما رجل سبته اولعنته الحديث قيل وانما يكون دعاؤه عليهم رحمة وزكاة ونحو ذلك اذا لم يكن اهلا للدعاء عليه والسب واللعن بل كان مسلما كما جاء فى الحديث كذلك فى بعض الروايات فايما رجل من المسلمين سببته الحديث والا فقد دعا صلى الله تعالى عليه وسلم على الكفار والمنافقين ولم يكن ذلك رحمة بلا شبهة فان قيل كيف يدعو صلى الله تعالى عليه وسلم على من ليس باهل للدعاء عليه اويسبه اويلعنه فالجواب ان المراد ليس باهل لذلك عند الله تعالى وفى باطن الامر ولكنه فى الظاهر مستوجب له فيظهر له صلى الله تعالى عليه وسلم استحقاقه لذلك بامارة شرعية وهو مامور بحكم الظواهر والله يتولى السرائر (ولما كذبه قومه) اى ومايدل على كمال شفقته على امته حديث الشيخين انه لما كذبه قريش من كفار مكة (اتاه جبريل) اى تسلية لحاله وتسكينا لباله (فقال ان الله قد سمع قول قومك لك) اى لاجلك (وماردوا عليك) اى من تكذيب وغيره فى حقك وقبل المعنى وما اجابوك وذلك لانه سبحانه وتعالى لايعزب عن علمه مسموع الان سمعه صفة تتعلق بالمسموعات من غير جارحة على هيئة الموجودات فانه سبحانه وتعالى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير فنزه سبحانه وتعالى اولا عن التشبيه والتمثيل ثم اثبت ردا على اهل التعطيل (وقدامر ملك الجبال) اى اذنه بالانقياد لك (لتأمره) اى لاجل ان تأمره (بما شئت فيهم) اى فيطيعك فى حقهم (فناداه ملك الجبال) اى بحضره الملك وناداه باسمه اوبوصف من اوصافه (وسلم عليه) الواو لمطلق الجمع لمناسبة تقديم السلام على النداء والكلام (وقال مرنى بما شئت) اى فى قومك وحذف مفعوله للتعميم ثم خصص بقوله (ان شئت ان اطبق) بضم الهمزة وكسر الموحدة اى اوقع وارمى (عليهم الاخشبين) اى فعلت وفى اصل الدلجى اطبقت وهو الاوفق لكنه مخالف للاصول المصححة والنسخ المصححة والمراد بالاخشبين وهو بالحاء والشين المعجمتين فوحدة تثنية الاخشب وهو الجبل الخشن وانشد ابو عبيدة * كأن فوق منكبيه الاخشبا * جبلان مطيفان بمكة قيل هما ابو قبيس وقعيقعان اوجبل الاحمر الذى اشرف على قعيقعان وعن ابن وهب هما جبلان تحت عقبة منى فوق المسجد (قال) وفى اصل الدلجى فقال (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بل ارجو) اى لاارى استيصالهم بل اتوقع (ان يخرج الله من اصلابهم من يعبدالله وحده) اى منفردا (ولايشرك به شيئا) اى شيئا من الاشراك لاجليا ولاخفيا والجملة الثانية كالمؤكدة لما قبلها ويمكن اعتبار مغايرتها لها وماذلك الا لكونه رحمة للعالمين وقد امضى الله سبحانه وتعالى رجاءه فكانه صلى الله تعالى عليه وسلم دعالهم بالجبر او بواسطة تجمل الضمير (وروى ابن المنكدر) تقدمت منقبته وانه تابعى جليل فالحديث مرسل الا انه ليس مما يقال بالرأى فيكون له حكم الموصول كما قالوا فى موقوف الصحابى بهذا المعنى انه يكون فى حكم المرفوع لاسيما ويعضده الحديث السابق المروى فى الصحيحين والحاصل انه روى (ان جبريل عليه الصلاة والسلام قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله امر السماء والارض والجبال ان تطيعك) اى بالطاعة لك (فرها بماشئت فقال اؤخر عن امتى) اى العذاب (الذى استحقوه بكفرهم لعل الله ان يتوب عليهم) اى على بعضهم بتوفيق ايمانهم او يخرج مؤمنا من اصلابهم (قالت عائشة رضى الله تعالى عنها ماخير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما) اى اهونهما كما اختار تأخير العذاب عن امته كما صرح به صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحديث الاول بقوله بل للاضراب عما خير فيه من الاطباق وعدمه وحديث عائشة رضى الله تعالى عنها سبق الكلام عليه وذكر السيوطى فى جامعه الصغير رواية الترمذى والحاكم فى مستدركه عن عائشة رضى الله تعالى عنها بلفظ ماخير بين امرين الا اختار ارشدهما هذا

وما احسن ما قيل فى المداراة

(ودارهم مادمت فى دارهم * وارضهم مادمت فى ارضهم)

(وقوله)

(مادمت حيا فدار الناس كلهم * فانما انت فى دار المداراة)

(من يدر دارى ومن لم يدر سوف برى * عما قليل نديما للندامات)

(وقال ابن مسعود) اى فيما رواه الشيخان (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتخولنا) بالخاء المعجمة اى يتعهدنا (بالموعظة) اى بالنصائح المفيدة وقيل هو تخويف بسوء العاقبة وقال ابو عمرو ابن الصلاح والصواب بالمهملة اى يتحرى الحال التى ينشطون فيها للموعظة فيعظهم فيها ولايكثر عليهم فيملوا منها ورواه الاصمعى يتخوننا

بالنون بدل اللام مع الخاء المعجمة بمعنى يتعهدنا (مخففة السآمة) بهمزة ممدودة اى الملالة (علينا وعن عائشة رضى الله تعالى عنها انها ركبت بعيرا) بفتح اوله ويكسر اى جملا (وفيه صعوبة فجعلت تردده) اى من الترديد وهو الرد بالتشديد (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليك بالرفق) اى الزمى التلطف مع كل شئ فى كل حال والباء زائدة والمعنى استعملى الرفق وقد ورد مرفوعا ماكان الرفق فى شئ الا زانه ولا نزع من شئ الا شانه كما رواه عبد بن حميد والضياء عن انس رضى الله تعالى عنه وفى صحيح مسلم برواية عن عائشة رضى الله تعالى عنها ايضا مرفوعا ولفظه عليك بالرفق ان الرفق لايكون فى شئ الا زانه ولاينزع من شئ الا شانه وروى البخارى فى تاريخه عنها ايضا عليك بالرفق واياك والعنف والفحش

(فصل)

(واما خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم فى الوفاء) اى القيام بمقتضى الوعد (وحسن العهد) اى وفى تعهد العقد ومراعاة الود (وصلة الرحم) بالاحسان الى ذوى القرابة خصوصا (فحدثنا القاضى ابو عامر محمد بن اسمعيل بقراءتى عليه) والقراءة احد وجوه الرواية على اختلاف فى انها الافضل او السماع من الشيخ هو الاكمل وتحقيق الفصول فى الاصول (قال حدثنا ابو بكر محمد بن محمد) وفى نسخة ابن احمد (حدثنا ابو اسحق الحبال) بفتح مهملة فتشديد موحدة (حدثنا ابو محمد ابن النحاس) بفتح نون وتشديد مهملة (حدثنا ابن الاعرابى حدثنا ابو داود) اى صاحب السنن (حدثنا محمد بن يحيى) امام جليل نيسابورى روى عن ابن مهدى وعبد الرزاق وعنه البخارى والاربعة وغيرهم ولايكاد يفصح البخارى باسمه لما جرى بينهما قال ابو حاتم هو امام اهل زمانه (حدثنا محمد بن سنان) بكسر اوله مصروف روى عنه البخارى وغيره (حدثنا ابراهيم بن طهمان) بفتح مهملة وسكون هاء وهو ابو سعيد الخراسانى يروى عن سماك بن حرب وثابت البنانى وعنه ابن معين وخلق وثقه احمد وابو حاتم وكان من ائمة الاسلام فيه ارجاء اخرج له اصحاب الكتب الستة (عن بديل) بضم موحدة وفتح دال مهملة وسكون تحتية فلام وهو ابن ميسرة العقيلى يروى عن انس وجماعة وعنه شعبة وحماد بن زيد (عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق) وفى نسخة ابى شقيق (عن ابيه) ابوه هو عبد الله بن شقيق وهو عقيلى بصرى يروى عن عمر وابى ذر وعنه قتادة وايوب وثقه احمد وغيره (عن عبد الله ابن الحمساء) بمهملتين بينهما ميم ساكنة فالف ممدودة وفى نسخة بخاء معجمة فنون وهو تصحيف كما قال الحلبى وقال التلمسانى وهو الاكثر فى الرواية والصواب بالميم وفى نسخة عن ابى الحمساء وابو الحمساء لا اسلام له ولا رواية (قال بايعت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ببيع) اى بعقد بيع لا بعهد بيعة (قبل ان يبعث) اى بالرسالة (وبقيت له) بقية امامن الثمن او المثمن فان البيع من الاضداد (فوعدته) وفى نسخة وهى الاظهر فواعدته (ان آتيه بها) اى اجيئه بالبقية (فى مكانه) اى الذى صدر فيه البيع او غيره (فنسيت) اى ان آتيه بها (ثم ذكرت بعد ثلاث) اى ثلاث ليال او ثلاثة ايام ولم يلحق التاء به لحذف مميزه وقيل المراد الليالى بايامها والليل سابق والحكم للسابق وابعد من قال ويحتمل ثلاث ساعات واغرب التلمسانى بقوله وهو الاقرب ووجه الغرابة ان الانتظار ثلاث ساعات مما لا يستغرب (فجئت) وفى نسخة فجئته بابراز ضميره (فاذا هو فى مكانه) اى مكان وعده (فقال يافتى لقد اشققت على) اى اوقعت المشقة على وثقلت على (انا ههنا منذ ثلاث) يفيد انه ما تحول من مكانه ذلك (انتظرك) اى لتأتينى هنالك وهذا من جملة اخلاق جده اسمعيل عليه السلام حيث قال تعالى واذكر فى الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد قال مجاهد لم يعد شيئا الا وفى به وقال مقاتل وعد رجلا ان يقيم مكانه عليه السلام حتى يرجع اليه الرجل فاقام اسمعيل مكانه ثلاثة ايام للميعاد حتى رجع اليه الرجل وقال الكلبى انتظره اسمعيل حتى حال عليه الحول (وعن انس رضى الله عنه) كما رواه البخارى فى الادب المفرد (كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) الظاهر ان كان للاستمرار التغائى او لمجرد الرابط التركيبى (اذا اتى) اى جئ (بهدية قال اذهبوا بها الى بيت فلانة) كناية عن علم امرأة وهى هنا لايعرف من هى (فانها كانت صديقة لخديجة وانها كانت تحب خديجة) وهو للتأكيد اذ تفيد الجملة الاولى ان خديجة كانت تحبها ايضا وفيها حث على البر والصلة وحسن العهد (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها) كما فى الصحيحين (ماغرت) بكسر غين معجمة وسكون راء وفى نسخة صحيحة قالت ماغرت (على امرأة) اى من نساء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ماغرت) اى كغيرتى (على خديجة لما كنت) علة لغيرتها اى لاجل كونى دائما (اسمعه) اى اسمع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يذكرها) اى ذكرا جميلا وثناء جزيلا قال الطبرى وغيره الغيرة من النساء مسموح لهن ومغفور فى اخلاقهن لما جبلن عليه وانهن لايملكن عندها انفسهن ولهذا لم يزجر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عائشة عليها ولارد عليها عذرها لما علم من فطرتها وشدة غيرتها قال الزبيدى والعامة تكسرها والصواب فتحها (وان كان) بكسر الهمزة على ان مخففة من المثقلة اى وانه عليه الصلاة والسلام كان (ليذبح الشاة) بفتح اللام

وهي المسماة بالمفارقة نحو قوله تعالى وان كانت لكبيرة (فيهديها) بضم الياء اي فيرسلها هدية (الى خلائلها) جمع خليلة اي صدائقها لكل واحدة منها قطعة (واستأذنت عليه اختها) اي طلبت الاذن في الاتيان صلى الله تعالى عليه وسلم اخت خديجة وهي هالة بنت خويلد بن اسد ام ابي العاص ابن الربيع زوج زينب بنته صلى الله تعالى عليه وسلم واسمه لقيط بن الربيع ذكرها ابن منده وابو نعيم في الصحابة (فارتاح لها) وفي نسخة صحيحة اليها اي فرح بها تاها واكرمها ورحب بها ونظر اليها (ودخلت عليه امرأة) اي اخرى في وقت آخر (فهش لها) بتشديد الشين المعجمة اي فرح بها واستبشر منها (واحسن السؤال عنها) زيادة الاستيناس بها بسبب طول عهدها (فلما خرجت قال انها كانت تأتينا ايام خديجة) اي في زمانها (وان حسن العهد من الايمان) وفي الجامع الصغير ان حسن العهد من الايمان رواه الحاكم في مستدركه عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا (ووصفه) اي النبي صلى الله عليه وسلم (بعضهم) اي بعض السلف (فقال كان يصل ذوي رحمه) اي يحسن اليهم ويعطف عليهم وان بعدوا عنه اواساؤا اليه (من غير ان يؤثرهم) اي يختارهم ويفضلهم (على من هو افضل منهم) اي من غيرهم عدلا منه واعطاء لكل ذي حق حقه لقوله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات ولقوله سبحانه وتعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم فلا يفضل احد بني هاشم او غيرهم على عالم من علماء الدين واكابرهم كما يستفاد من حديث الشيخين الذي ذكره بقوله (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان آل ابي فلان) وفي اصل الحجازي ان آل بني فلان ثم قال وفي بعض النسخ ان آل ابي فلان قال ابن قرقول وهو المشهور انتهى وقال بعضهم ان آل بني فلان غلط بل هو آل ابي فلان والمراد الحكم ابن ابي العاص وقال بعضهم هو ابو العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف كنى عنه الراوي حذرا من آل بني امية اذ كانوا حينئذ امراء (ليسوا لي باولياء) وقال ابن قرقول وفي الحديث المشهور ان آل ابي ليسوا اولياء قال وبعد قوله ابي بياض في الاصول كانهم تركوا الاسم تورعا او تقية وعند ابن السكن ان آل ابي فلان كنى عنه بفلان انتهى ولا يخفى ان قوله تورعا لا وجه له اذ نص صلى الله تعالى عليه وسلم على اسمهم على تقدير آل ابي فلان لا يبعد ان يكون كناية مبهمة ليشمل جميع اقاربه وقد يحمل عليه رواية آل ابي من غير فلان اذ الظاهر ان المقصود ليس منحصرا في جميع قريبه دون غيرهم كما يدل عليه عموم قوله ليسوا باولياء اي حقيقة حتى او اليهم صداقة لقوله تعالى ان اولياؤه الا المتقون ولقوله سبحانه وتعالى فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين هذا وقد قال التلمساني والذي لم يسم ذلك يحتمل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويجوز غيره وهو اولى وراوي الحديث هو عمرو بن العاص وفي بعض الروايات قال سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم جهارا غير سر يقول ان آل ابي سفيان ليسوا لي باولياء ثم ساق الحديث ومعنى الحديث من كان غير صالح فليس بولي لي وان قرب نسبه مني (غير ان لهم) اي لآل فلان (رحما) اي قرابة (سابلهم) بضم موحدة ولام مشددة اي ساصلها وأراعيها واقوم بحقها (ببلالها) بكسر الموحدة وفتحها قال البخاري في صحيحه وبلالها اصح يعني بكسر الباء قال وبلاها يعني بفتحها لا اعرف له وجها وسقط كلام البخاري هذا من الاصل الاصيل انتهى والبلال جمع بلل وهو ما يبل الحلق به من ماء او لبن وفيه استعارة ومعناه ان القطع حرارة كالنار والوصل برودة كالماء وهو يبرد حرارة القطيعة ويطفئها اي اصلها في الدنيا ولا اغني عنهم من الله شيئا في العقبى شبهت قطيعتها بالحرارة تطفأ بالماء وتندى بالصلة ومنه حديث بلوا ارحامكم ولو بالسلام كما رواه البزار والطبراني والبيهقي اي صلوها كما في رواية (وقد صلى عليه الصلاة والسلام) كما رواه الشيخان (بامامة) بضم الهمزة (ابنة ابنته زينب) اي بنت ابي العاص بن الربيع بن عبد شمس من زينب بنته صلى الله تعالى عليه وسلم (يحملها على عاتقه) جملة حالية وفي نسخة صحيحة فحملها على عاتقه وقال الدلجي يحملها بفتح الميم وكسرها معا الا ان الفتح افصح وروي فحملها على عاتقه والعاتق ما بين المنكب والكتف (فاذا سجد) اي اراد ان يسجد (وضعها) اي على الارض بعمل يسير (واذا قام) اي اراد القيام (حملها) وهذا بيان لكيفية صلاته بها ومثل هذا لا يفعل ارباب الكمال عادة فيه من حسن الحال حيث وصلوا الى مرتبة جمع الجمع الذي لا تحوم حولهم التفرقة بان لا تمنعهم الوحدة عن الكثرة ولا الكثرة عن الوحدة فهم كائنون بائنون قريبون غريبون عرشيون فرشيون بحسب الارواح اللطيفة والاشباح الشريفة كما قال قائلهم

(رق الزجاج ورقت الخمر ۞ فتشابها وتشاكل الامر)

(فكانما خمر ولا قدح ۞ وكانما قدح ولا خمر)

فالذي ما زاغ بصره وما طغى فيما رأى من آيات ربه الكبرى كيف يشغل قلبه عن ربه قطعة من لحم ولكن هذا مشرب ارباب الاسرار دون مذهب اصحاب الظواهر وقد عاكل اناس بمزاج مذهبهم ولاثم كل طائفة منهاج

مذهبهم قال الخطابي واسناد وضعها وحملها في كل خفض ورفع فيها اليه مجاز لانه يشغله عن صلاته وان كانت قد الفته وانست به فاذ سجد جلست على عاتقه فلا يدفعها فتبقى محمولة الى ان يركع فيرسلها الى الارض فاذا سجد افعلت كذلك قاله الدلجي وظاهر قوله فاذا سجد وضعها واذا قام حملها يأباه اذلا قرينة صارفة الى المجاز وقال ابن بطال كان في صلاة نافلة ونقله اشهب عن مالك ورواه النووي بما رواه ابن عيينة عن ابي قتادة قال رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يؤم الناس وامامة بنت ابي العاص على عاتقه ويعضده رواية ابي قال بينا نحن ننتظر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لصلاة الظهر او العصر فخرج الينا وامامة على عاتقه فقام في مصلاه وقمنا خلفه قال النووي وزعم بعض المالكية انه منسوخ قال ابن دقيق العيد وروى عن مالك وقال ابن عبد البر لعله نسخ بتحريم العمل في الصلاة بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان في الصلاة لشغلا ورد بانه كان قبل بدر عند قدوم راويه عبدالله ابن مسعود من الحبشة وقدوم زينب بامامة كان بعد ذلك ونقل اشهب وغيره ان حملها كان لضرورة دعت اليه اذ لم يكن من يتعهدها حتى يفرغ وتركها بلا متعهد اشق واشغل عليه من حملها مصليا وزعم بعضهم انه خاص به قال النووي وهذه كلها دعاوى مردودة لا بينة عليها ولا ضرورة اليها والحديث قاض بجواز ذلك صريح ليس فيه ما يخالف قواعد الشرع وما في جوفها من نجاسة معفو عنه لكونه في معدنه وثياب الاطفال واجسادهم على طهارتها وادلة الشرع شاهدة بان هذه الافعال لا تبطلها هذا وانما فعل ذلك تشريعا وبيانا للجواز وقد افاد ان لمس المحارم لا ينقض وضوأ والعمل اليسير لا يبطل صلاة انتهى كلامه وابو امامة ابو العاص اسر يوم بدر فمن عليه بلا فداء اكراما لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بسبب زينب ثم اسلم قبيل فتح مكة وحسن اسلامه ورد صلى الله تعالى عليه وسلم زينب عليه بنكاح جديد او بالنكاح الاول ثم بعد موته تزوجها على بوصاية فاطمة اليه في ذلك ثم بعد على تزوجها المغيرة بن نوفل بن عبد المطلب بن هاشم وليس لزينب ولا لرقية ولا لام كلثوم رضي الله تعالى عنهن عقب وانما العقب لفاطمة رضي الله تعالى عنها وزينب اكبر بناته صلى الله تعالى عليه وسلم قال التلمساني روى عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اهديت له هدية فيها قلائد من جزع فقال لادفعنها الى احب اهلي فقال النساء ذهبت بها ابنة ابن ابي قحافة فدعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم امامة بنت زينب فاعلقها في عنقها (وعن ابي قتادة) كما رواه البيهقي وهو انصاري فارس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعرف بذلك (قال وفد) بفتح الفاء اي قدم (وفد النجاشي) اي جماعة من عنده رسلا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد سبق ضبط النجاشي وترجمته (فقام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يخدمهم) بضم الدال وتكسر وانما خدمهم بنفسه تواضعا لربه وارشادا لامته (فقال له اصحابه نكفيك) اي خدمتهم (فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين) اي حين هاجروا اليهم ونزلوا عليهم (واني احب ان اكافئهم) بكسر فاء بعدها همزة مفتوحة اي اجازيهم بمثل ما فعلوا بهم من الاحسان جزاء وفاقا (ولما) اي وحين (جئ باخته من الرضاعة) بفتح الراء وتكسر وفي نسخة من الرضاع (الشيماء) بفتح الشين المعجمة وسكون التحتية ممدودة وفي اصل الدلجي بلا ياء وهي رواية ذكرها المحب الطبري وهي مجرورة بيانا لاخته ويجوز رفعها ونصبها كما هو معلوم في امثالها عند اربابها قال الحلبي الشيماء فيها قولان هل هي بنت حليمة او اختها قال الحجازي ابوها الحارث ادرك الاسلام واسلم بمكة واسلمت واسمها جدامة بجيم مضمومة فمهملة فالف فميم وقيل خذافة بمعجمة مكسورة وذال معجمة وبفاء وقيل بميم (في سبايا هوازن) متعلق بجئ اي في اسارى قبيلة هوازن من بني سعد بن بكر (وتعرفت له) اي اعلمت باسمها ومكانها واطلعته على شانه مما وقع له معها في زمانهما وهو عطف على جئ وجعله الدلجي جملة حالية اعتراضية بين لما وجوابها وهو قوله (بسط لها رداءه) اجلالا لها واكراما لاجلها ومكافاة لفعلها اذهي التي كانت تربيه مع امها حليمة (وقال لها) اي على وجه التخيير (ان احببت اقمت عندي مكرمة) بضم ميم وفتح راء اي معظمة (محبة) بضم ميم ففتح فتشديد اي محبوبة وفي اصل التلمساني محببة قال وروى محبة وهما بمعنى والاول اكثر والثاني قليل اغنى عنه محبوبة في الثلاثي (او متعتك) اي ان كنت تريدين المراجعة اعطيتك متاعا حسنا ودفعت اليك ما تتمتعين به وتنتفعين منه وزودتك (ورجعت الى قومك) اي رجوعا مستحسنا (فاختارت قومها) لعلها لضرورة الجأتها اليه (فمتعها) اي فزودها واعطاها اشياء تتمتع بها فقيل اعطاها غلاما له اسمه مكحول وجارية فزوجت احدهما من الآخر فلم يزل فيهم من نسلهما بقية قيل وقد فازت هي وابواها واخوها بسعادة الاسلام وزيادة الاكرام ببركته عليه الصلاة والسلام والحديث رواه ابن اسحق والبيهقي (وقال ابو الطفيل) تصغير طفل وفي نسخة ابن الطفيل وهو تصحيف وهو عامر بن واثلة بالمثلثة الكناني آخر من مات من الصحابة على الاطلاق كان مولده عام احد وتوفي سنة مائة من الهجرة وقد روى اربعة احاديث وكان فاضلا ... وقد روى ابو داود

بسند صحيح عنه (رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اي وكان جالسا وما بالجعرانة تقسم لحما (وانا غلام)
اي حال كوني صغيرا وقيل الصبي اذا فطم سمي غلاما الى سبع سنين (اذ اقبلت امرأة حتى دنت منه) اي قربت
ووصلت اليه (فبسط لها رداءه) تكريما لها (فجلست عليه) اي بأمره (فقلت من هذه) اي هذه المرأة (قالوا امه التي
ارضعته) فقيل هي حليمة وقيل ثويبة قال الحافظ الدمياطي لا يعرف لحليمة صحبة ولا اسلام وقال المرأة التي بسط
لها رداءه اختها الشيماء وروى ابن عبد البر في استيعابه عن عطاء بن يسار ان حليمة بنت عبد الله مرضعة النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم جاءت يوم حنين فقام اليها وبسط لها رداءه وفي سيرة مغلطاي وصحح ابن حبان وغيره ما يدل
على اسلامها (وعن عمرو بن السائب) كذا في النسخ المصححة المعتمدة عمرو بالواو وقال الحجازي وهو ابن راشد المصري
مولى بني زهرة تابعي ذكره الحافظ عبد الغني في اكماله في باب اسمه عمرو ووهمه الحافظ المزي وقال اسمه عمر بضم العين
قال الحلبي وهو غلط صريح صوابه عمر بن السائب بضم العين وحذف الواو وهو يروي عن اسامة بن زيد وجماعة
وعنه الليث وابن لهيعة وغيرهما ذكره ابن حبان في الثقات والحديث رواه ابو داود من سلا عنه انه بلغه
(ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل ابوه من الرضاعة) هو الحارث بن عبد العزى واختلف
في اسلامه (فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت امه) اي حليمة (فوضع لها شق ثوبه) بكسر الشين اي طرفه (من
جانبه الآخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة) وهو عبد الله بن الحارث المذكور على ما هو الظاهر فيهم جميعا
لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كانت له مراضع غير من ذكر وقيل غيره (فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاجلسه
بين يديه) اي تكريما له وتعظيما لوالديه (وكان يبعث) اي يرسل من المدينة الى مكة (الى ثويبة) بضم مثلثة وفتح واو
وسكون تحتية موحدة (مولاة ابي لهب) بفتح الهاء وتسكن عمه عليه الصلاة والسلام يقال انها اسلمت (مرضعته)
بالمرفوع او بدل لثويبة (بصلة) اي نفقة (وكسوة) قال التلمساني بضم الصاد وكسرها وكسوة بضم وبكسر
وقرئ بهما في السبع انتهى ولا اعرف احدا من القراء انه قرأ بضم الكاف وكذا ضم الصاد غير معروف في اللغة
(فلما ماتت سأل من بقي من قرابتها فقيل لا احد) اي ما بقي منهم احد والحديث رواه ابن سعد عن الواقدي عن
غير واحد من اهل العلم وفي الروض الانف كان يصلها من المدينة فلما فتح مكة سأل عنها وعن ابنها مسروح
فقيل ماتا (وفي حديث خديجة رضي الله تعالى عنها) كما رواه الشيخان (انها قالت له صلى الله تعالى عليه وسلم ابشر)
بفتح الهمزة وكسر الشين المعجمة اي استبشر وافرح ولا تحزن (فوالله لا يخزيك الله) بضم الياء وسكون الخاء المعجمة
وكسر الزاي اي لا يهينك ولا يذلك ولمسلم ايضا لا يحزنك من الحزن وهو بفتح الياء وضم الزاي وبالنون او بضم اوله
وكسر ثالثه كما في بعض الروايات وبعض النسخ وقد قرئ بهما في السبعة (ابدا) اي دائما مستمرا (انك لتصل الرحم
وتحمل الكل) بفتح فتشديد اي ثقيل الحمل العاجز من تحمل مؤنة عياله (وتكسب المعدوم) اي تصل كل معدوم
من فقير محروم وفي رواية بضم اوله اي تعطي الناس الشيء المعدوم (وتقري الضيف) بفتح اوله وكسر الراء اي
تضيفهم (وتعين) اي الخلق (على نوائب الحق) بالاضافة البيانية اشعارا بانها تكون في الحق والباطل قال لبيد

(نوائب من خير وشر كلاهما * فلا الخير ممدود ولا الشر لازب)

وقال التلمساني المراد بالحق هو الله سبحانه وتعالى لانه الخالق لها قال العلماء ومعنى كلام خديجة رضي الله تعالى عنها
انك لا يصيبك مكروه لما جعل الله فيك من مكارم الاخلاق ومحاسن الشمائل وفي هذا دلالة على ان خصال الخير
سبب السلامة من مصارع السوء (فصل واما تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم) وهو هضم نفسه
من الملكات الموروثة للمحبة الربانية والمودة الانسانية (على علو منصبه) بكسر الصاد اي مع سمو منزلته (ورفعة رتبته)
اي مرتبته من مقام نبوته ونظام رسالته وفي نسخة رتبه جمع رتبة واغرب الدلجي في حمل على على صرافته وصرف
عدوله الى تمثل تمكنه منهما واستقراره عليهما بحال من اعتلى شيئا واقعد عاره وغرابته لا تخفى على ارباب الصنعة
(وكان صلى الله تعالى عليه وسلم اشد الناس تواضعا) اي لعظم قدره وكرم امره (واقلهم كبرا) كذا في الاصول
المصححة ولعله اراد به انه كان يتكبر احيانا لظهور كبرياء الله سبحانه وتعالى فيه بالنسبة الى بعض المتكبرين لما ورد
من ان التكبر على المتكبر صدقة وفي اصل الدلجي واعدمهم كبرا وذكر الحجازي انه رواية والمعنى افقدهم وهو يرجع
الى المعنى الاول لكنه باعتبار اللفظ فيه انه لا يصاغ اسم التفضيل الا من فعل وجودي والجواب انه بلغ من هذا
المعنى السلبي مبلغا لا يشاركه فيه احد ثم قال وفي نسخة واقلهم كبرا والاولى اجود لافتقار الثانية الى حملها على نفيه
من اصله لكونه في مقام مدح له انتهى وقد ذكر عند قوله تعالى فقليلا ما يؤمنون انه وصف مصدر محذوف اي ايمانا
قليلا او زمانا قليلا ولا كثيرا ضال فيا بعمل اي لا يفعل اصلا ومن استعمال القلة بمعنى النفي حديث النسائي

عن ابن ابى اوفى قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكثر الذكر و يقل اللغو (وحسبك) مبتدأ خبره الجملة بعده اى و كافيك (انه) اى النبى صلى الله عليه و سلم على مارواه احمد والبيهقى (خير بين ان يكون نبيا ملكا) بكسر اللام اى سلطانا (اونبيا عبدا) اى اوان يكون نبيا عبدا من جملة عبادالله تعالى داخلا فى الرعايا والضعفاء وسلك المساكين والفقراء (فاختار ان يكون نبيا عبدا) اى تباعدا عما هو من شان الملوك من التكبر والتجبر والتكاثر للخدم والترفع عن الخدمة وتقربا الى ما هو من صفات العبيد من التقلل فى الدنيا والتكثر فى خدمة المولى (فقال له اسرافيل عند ذلك) من اختيار النعت الجليل (فان الله قد اعطاك بما تواضعت له) اى فى هذا العالم (انك سيد ولد آدم يوم القيامة) وهذا كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم من تواضع لله رفعه الله كما رواه ابو نعيم فى الحلية عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه وكقوله عليه الصلاة والسلام تواضعوا وجالسوا المساكين تكونوا من كبراء الله وتخرجوا من الكبر رواه ابضا عن ابن عمر رضى الله تعالى عنه وقوله تواضعوا لمن تتعلمون منه وتواضعوا لمن تعلمونه ولا تكونوا جبارة العلماء رواه الخطيب فى الجامع عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه و قوله التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله تعالى رواه ابن ابى الدنيا ثم تقييده بقوله يوم القيمة لظهور سيادته فيه عيانا لكل احد كقوله سبحانه وتعالى لمن الملك اليوم مع كون الملك له مطلقا (واول من تنشق الارض عنه) للبعث (واول شافع) اى يوم القيمة للعامة اوفى الجنة لرفع درجات الخاصة لحديث مسلم انا اول شفيع فى الجنة (حدثنا الفقيه ابوالوليد ابن العواد) بتشديد الواو (رحمه الله) جملة دعائية (بقراءتى عليه فى منزله بقرطبة) بضم قاف وطاء بلد بالمغرب (سنة سبع وخمسمائة) والمقصود مماذكره كمال استحضاره لروايته عنه (قال حدثنا ابو على الحافظ) اى الغسانى وقد تقدم (حدثنا ابو عمر) بضم العين وهو يوسف بن عبد الله بن عبد البر بن عاصم النمرى القرطبى وانتهى اليه مع امامته علو الاسناد الدال على جلالته وترجمته مسطورة ومصنفاته مشهورة (حدثنا ابن عبدالمؤمن) وهو ابو محمد عبدالله بن محمد بن عبدالمؤمن (حدثنا ابن داسة) بتخفيف السين المهملة (حدثنا ابو داود) اى صاحب السنن (حدثنا ابو بكر بن ابى شيبة) صاحب التصانيف الحجة عن شريك وابن المبارك وعنه الشيخان وغيرهما قال الفلاس ما رأينا احفظ منه وقال الذهبى فى الميزان ابو بكر ممن قفز القنطرة واليه المنتهى فى الثقة (حدثنا عبدالله بن نمير) بضم نون وفتح ميم عن هشام ابن عروة والاعمش وعنه احمد وابن معين حجة واخرج له الائمة الستة (عن مسعر) بكسر ميم ويفتح وبفتح عين وهو ابن كدام ابو سلمة الهلالى الكوفى اخذ العلم عن عطاء وغيره وعنه القطان ونحوه وله الف حديث وهو من العباد القانتين اخرج له الائمة الستة (عن ابى العنبس) بفتح عين فسكون نون فموحدة مفتوحة فسين مهملة (عن ابى العدبس) بفتح العين والدال المهملتين وتشديد الموحدة فسين مهملة (عن ابى مرزوق) قال ابن حبان لا يجوز الاحتجاج بما انفرد به (عن ابى غالب) اختلف فى توثيقه (عن ابى امامة) اى الباهلى (قال خرج علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم متوكئا) اى متحملا و معتمدا (على عصا) اى لعارض من ضعف او مرض (فقمناله) اى تعظيما وتكريما (فقال) اى تواضعا (لا تقوموا) اى لى اومطلقا (كما تقوم الاعاجم) اى بطريق الالتزام اوعلى سبيل الوقوف على الاقدام (يعظم بعضها) اى بعض تلك الجماعة (بعضا) على ما هو دأب الملوك الفخام والاكابر العظام ولا يعارضه حديث قوموا لسيدكم خطابا للانصار حين اقبل سعد راكبا على الحمار و هو شاك يحتاج الى استعانة جمع فى نزول الى محل القرار وابعد من استدل به على استحباب القيام المتعارف بين الانام والاقرب ان يحمل النهى على التنزيه او خاص لطائفة العرب لان يستمروا على عاداتهم من غير تكلف فى مقام الادب قال التلمسانى والقيام اربعة اقسام فمحظوره القيام لمن يحب ان يقام له ومكروهه القيام لمن لا يحب ان يقام له ومجاوزه القيام للعالم المتواضع وحسنه القيام للقادم من سفر وانما خشى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من فعلهم ان يتخذوه سنة وكان لا يحب التشبه باهل الضلالة (وقال) اى تواضعا لله وترحما على خلق الله (انما انا عبد) اى مشابه للعبيد فى مقام التواضع وعدم التكلف والتصنع (آكل كما يأكل العبد) اى من غير سفرة وخوان و جمعه اخونة واخوان (واجلس كما يجلس العبد) على التراب من غير سرير وفرش حرير وفى رواية لا آكل متكئا انما انا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد وربما جثى على ركبتيه و ربما نصب اليمنى وجلس على ظهر قدمه اليسرى وعن عبد الله بن جعفر قال رأيت فى يمين النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قثاء وفى شماله رطبا يأكل من ذا مرة ومن ذا مرة (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم) اى من كمال تواضعه مع قدرته على ركوب الفرس والبغل والناقة (يركب الحمار) اى وحده تارة و مع غيره اخرى كما ورد عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه فى طريق قبا (ويردف خلفه) من الارداف او من الثلاثى بكسر الدال فى الماضى وفتحها فى المستقبل اى ويركب وراء ظهره على الناقة وغيرها من اراد من اصحابه كالصديق وذى النورين

والمرتضى وعبدالله بن جعفر وزيد واسامة والفضل ومعاوية وغيرهم ممن بلغ عددهم خمسة وارتعين (ويعود المساكين)
من المرضى (ويجالس الفقراء) اى ويجتنب مجالسة الاغنياء ويقول اتقوا مجالسة الموتى والعبارة بين الفقراء
والمساكين من تفنن العبارة وان اختلف الفقهاء فى الفرق بينهما فى مصرف الصدقة (ويجيب دعوة العبد) اى الى
بيت سيده اوالمراد به العبد المعتوق بان يأتى بيته جبرا الخاطره وتواضعا مع ربه وامتثالا لامره سبحانه وتعالى بقوله
واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين (ويجلس) كما فى حديث هند بن ابى هالة كان يجلس (بين اصحابه) اى فيما
بينهم (مختلطا بهم) لايتخير مجلسا يترفع به عليهم بل كان من دأبه معهم انه (حيث ماانتهى به المجلس) اى وخلافهم
امكان المؤنس (جلس) اى تواضعا له سبحانه وتعالى وارشادا لاصحابه ليتأدبوا بآدابه (وفى حديث عمر) اى من رواية
البخارى (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم لاتطرونى) من الاطراء وهو المبالغة فى الثناء الى حد يفضى الى الكذب فى الانباء
اى لاتجاوزوا الحد فى مدحى بان تصفوا الى مالايجوز فى وصفى (كما اطرت النصارى عيسى ابن مريم) حتى ادعوا
انه ابن الله وغير ذلك (انما انا عبد) اى من عبيد ربى (فقولوا عبد الله ورسوله) وفيه ايماء الى ماقيل

(لاتدعنى الابا عبدها * فانه اشرف اسمائيا)

والنهى انما هو من الاطراء لالمطلق المدح والثناء لتقريره صلى الله تعالى عليه وسلم حديثة على مدحه اياه واما حديث
اذا رأيتم المداحين فاحثوا فى وجوههم التراب فمحمول على المجاوزة عن الحد بالكذب ونحوه وهذا الباب كما اشير
اليه صيغة المبالغة وقد اشار صاحب البردة الى زبدة هذه العمدة بقوله

(دع ما ادعته النصارى فى نبيهم * واحكم بماشئت مدحا فيه واحتكم)

(وعن انس رضى الله تعالى عنه) كما رواه مسلم (ان امرأة) قيل انها ام زفر ماشطة خديجة اذ قد يورد ممن سلالتها
كانت مجانسة و يحتمل غيرها (كان فى عقلها شئ) اى من جنون (جاءت فقالت ان لى اليك حاجة قال اجلسى ياام
فلان) لعل الراوى لم يعرف اسم ابيها فكنى عنه (فى اى طرق المدينة) اى احرائها (شئت) اى اردت انت تمامها وهو
حالك اواقرب اليك (اجلس اليك) اى معك اومتوجها اليك وهومجزوم لجواب شرط مقدر بعد الامر اى ان تجلسى
اجلس اليك (حتى اقضى حاجتك) اى من الكلام او طلب المرام (قال) اى انس (فجلست فجلس النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم اليها حتى فرغت من حاجتها) من كمال تواضعه اياها وملاطفته معها (قال انس رضى الله تعالى عنه)
على مارواه ابوداود والبيهقى (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يركب الحمار) بل عريانا احيانا (ويجيب دعوة
العبد وكان يوم بنى قريظة) اى زمن غزوتهم وهى عقب غزوة الخندق (راكبا على حمار مخطوم) اى فى رأسه خطام
وهو حبل كالزمام (بحبل من ليف) اى ورق نخل (عليه اكاف) جملة حالية من ضمير مخطوم والاكاف بكسر الهمزة
اوضمها البردعة اوما يشد فوقها (قال) اى انس رضى الله تعالى عنه (وكان يدعى الى خبز الشعير والاهالة)
وهى بكسر الهمزة كل مايؤتدم به من الادهان وقيل ماأذيب من الشحم والالية (السنخة) بفتح السين المهملة وبكسر
النون اى المتغيرة الرائحة الزنخة (فيجيب) اى من دعاه الى ذلك (قال) اى انس (وحج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
على رحل) اى كور اوقتب وهو للبعير كالسرج للفرس (رث) بتشديد المثلثة اى خلق بال (وعليه) اى وعلى كتفه
اوعلى رحله (قطيفة) اى كساء له خمل (ماتساوى اربعة دراهم فقال) اى مع هذا كله (اللهم اجعله حجا) بفتح الحاء
وكسرها على ماقرئ بهما فى السبع وزيد فى نسخة مبرورا (لارياء فيه ولاسمعة) بل اجعله خالصا لوجهك الكريم (هذا)
مبتدأ محذوف الخبر من امضى فعل امر واسرة يورد كما قصد للانتقال من اسلوب مقال الى مقال آخر من الاحوال
والواو بعده للحال ويذكر بعده خبره كما فى قوله تعالى هذا ذكر اى تأمل هذا الصنع الجليل والقصد الجميل بورثاثة
تحسا من بعده على تلك الهيئة من التواضع والاستكانة كذا حققه الدلجى والاظهر ان يقال انه مركب من كلمتى
التنبيه والاشارة اى تنبه لهذا (وقد) اى والحال انه قد (فتحت عليه الارض) اى والقت افلاذها من ذهب وغيره من
بلدانها اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (واهدى) كما روى مسلم عنه (فى حجه ذلك) اى عام الوداع (مائة بدنة) اى ابلا
تقربا الى ربه وارشادا لمن يقتدى به وايماء الى ان ترك تكلفه فى ثوبه ومركوبه لم يكن عن افتقار به وقد نقل انه صلى الله
تعالى عليه وسلم نحر بيده الكريمة ثلاثا وستين بقدرسنى عمره وامر عليا كرم الله وجهه بنحر البقية فى يومه (ولما فتحت
عليه مكة) على مارواه ابن اسحق والبيهقى عن عائشة رضى الله تعالى عنها والحاكم والبيهقى وابو يعلى عن انس
رضى الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما فتحت عليه مكة (ودخلها بجيوش المسلمين) اى باصناف منهم
(طأطأ) بهمزتين او لاهما ساكنة وقد تبدل وثانيتهما مفتوحة اى خفض واطرق وارخى (على رحله) اى حال
كونه راكبا فوقه (رأسه) مفعول طأطأ (حتى كاد) اى قارب صلى الله تعالى عليه وسلم (يمس) بفتح الميم كقوله

تعالى لايسه وقال التلمسانى بضم الميم لاغير والظاهرانه وهم منه اى يصيب برأسه اوقارب رأسه ان يمس (مقدم)
اى مقدمة رحله فحتى غاية لطأ طأة رأسه وقوله (تواضعالله) مفعول لاجله وفيه ايماءالى مايشيراليه قوله تعالى وقلنا ادخلوا هذه القرية الى ان قال وادخلوا الباب سجدا اى متواضعين لامتكبرين كالجبارين (ومن تواضعه
صلى الله تعالى عليه وسلم قوله لاتفضلونى على يونس) مثلث النون وبالهمزة ست لغات (ابن متى)بفتح ميم وتشديد
مثناة فوق وهى ام يونس ولم يشتهر نبى باسمه غير عيسى ويونس كذا ذكره ابن الاثير فى الكامل اما يونس فلانه
واماعيسى فلانه لااب له ومنه قول القائل

(الارب مولود وليس له اب * وذى ولدلم يلده ابوان)

مشيراالى آدم عليه السلام ولم يلده بفتح الياء وسكون اللام وفتح الدال للضرورة وقدقيل انه من بنى اسرائيل وانه من سبط بنيامين قال الحجازى وماذكر فى قصص الكسائى من ان متى ابوه ليس بصحيح فان قيل ماالجمع بين قوله فى صحيح البخارى لاتفضلونى على يونس ابن فلان ونسبه الى ابيه وظاهره ان متى ابوه واجيب بان متى مدرج فى الحديث من كلام الصحابى لبيان يونس بمااشتهربه ولما كان ذلك موهما ان الصحابى سمعه من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم دفع ذلك بقوله ونسبه الى ابيه اى لاكما فعلت انامن نسبته الى امه كذاذكره الحجازى وتبعه الدلجى وغيره ولكن لايخفى ان مثل هذا التصرف لايجوز للراوى مع مافيه من قلة ادب فى نسبته الى امه اولانه منقول من اصله هذا ثم الحديث بهذا اللفظ غير معروف ولفظ البخارى لايقولن احدكم انى خير من يونس ان متى ولعل وجه تخصيصه نفيه سبحانه وتعالى عنه العزم بقوله تعالى فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اولما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم من المعراج العلوى وليونس عليه السلام من المعراج السفلى ايماء الى ان الامكنة بالاضافة الى قرب الله تعالى على حدسواء تستوى فيه الارض والسماء وقد اجاب العلماء عن هذا الحديث باجوبة منهاانه قاله تأدبا وتواضعا ومنها انه قاله قبل ان يعلم انه افضلهم فلما علم قال اناسيد ولد آدم بل وفى البخارى اناسيد الاولين والآخرين ولافخر ومنها انه نهى عن تفضيل يؤدى الى الخصومة كماثبت سببه فى الصحيح بورود لاتفضلونى على موسى كماسيجئ ومنهاانه نهى عن تفضيل يؤدى الى نقص بعضهم لاعن كل تفضيل لثبوته فى الجملة كماقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات ومنها انه نهى عن التفضيل فى نفس النبوة لافى ذوات الانبياء وعموم رسالتهم وزيادة خصائصهم ومن مدحا لاتهم وهذا معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم على مارواه الشيخان (ولاتفضلوابين الانبياء) واماقوله عليه الصلوة والسلام (ولاتخيرونى على موسى) فسببه مارواه الشيخان وابوداود والنسائى من انه استب مسلم ويهودى قال والذى اصطفى موسى على العالمين فلطم المسلم وجهه وذكرذلك للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فسأل المسلم عنه فاخبره فقال لاتخيرونى على موسى اى تخييرا مفاضلة يؤدى الى مخاصمة واماقوله صلى الله تعالى عليه وسلم كمارواه الشيخان (ونحن احق بالشك من ابراهيم) اى اذ قال رب ارنى كيف تحيى الموتى انماصدرعنه تواضعا له وهضما لنفسه لااعترافا به فى حق ابراهيم ولا فى حقه فكانه قال اذاكنت لم اشك فى احياءالله الموتى فابراهيم بعدم الشك اولى فاثبته لهما بنفى الشك عنهما وقيل بل قال ذلك على سبيل التقديم لابيه اى انه لم يشك ولو شك لكنت انا احق بالشك منه ثم قوله رب ارنى كيف تحيى الموتى شاهدصدق بان سؤاله لم يكن من قبل الشك والشبهة بل من قبل رؤية تلك الكيفية العجيبة الدالة على كمال قدرته الباهرة شوقا الى معرفتها مشاهدة كاشتياقنا الى رؤية الجنة معاينة والحاصل انه عليه الصلاة والسلام ارادبقوله ارنى الترقى من علم اليقين الى عين اليقين كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم ليس الخبركالمعاينة ويدل عليه بقية الآية حيث قال تعالى اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى واماقوله صلى الله تعالى عليه وسلم (ولولبثت) اى لومكثت (فى السجن) فرضا وتقديرا (مالبث يوسف) بتثليث السين مهموزا وغيره ست لغات اى مدة لبثه فى السجن (لاجبت الداعى) وهو رسول الملك والمعنى لاسرعت الى اجابة دعوته مبادرة الى الخلاص من السجن ومحنته قال ذلك هضما لنفسه ورفعة لمقام يوسف ورتبته وايثارا للاحبار بكمال تثبته وحسن نظره فى بيان نزاهته واظهار براءته وحمدا لصبره وترك عجلته وتنبيها على ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام وان كانوا من الله بمكان لايرام فهم بشر يطرأ عليهم من الاحوال مايطرأ على غيرهم من الانام وان ذلك لايعد نقصا لهم فى مقام المرام وتمام النظام (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام على مارواه مسلم وابوداود والترمذى والنسائى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال (للذى قال له) اى خاطبه بقوله (ياخيرالبرية) بالتشديد والهمز على ماقرئ بهما فى السبع اى الخليقة (ذاك ابراهيم) تعظيما لابوته وتعليما للامة ودفعا للافتخار عن ذاته (وسيأتى الكلام على هذه الاحاديث) اى على حل ما فيها من الاشكال الذى

تقدم بعض الاجوبة عنه (احدهما) اى فى حق البقى منه (ان شاء الله تعالى) اى بيانه فيه (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها والحسن) اى البصرى (وابى سعيد) اى الخدرى وكان حقه ان يقدم على الحسن اللهم الا ان يراد به الحسن ابن على كرم الله وجهه لكن قاعدة المحدثين ان الحسن اذا اطلق فهو البصرى (وغيرهم) اى وغير المذكورين ايضا مما رواه البخارى وغيره (فى صفته) اى نعته صلى الله تعالى عليه وسلم (وبعضهم يزيد على بعض) اى وبعض الرواة منهم يزيد على بعضهم بعض العبارات فى تفصيل الصفات وجملته قوله (وكان فى بيته فى مهنة اهله) بفتح الميم وكسره وانكره الاصمعى ورجح المرى بقوله وهو اوفق لزنته ومعناه اى خدمة اهله وفى الحديث ما على احدكم لو اشترى ثوبين لجمعته سوى ثوبى مهنته فى اهله عاطفين عليهم رفقا بهم ومساعدة لهم وتواضعا معهم وبيانه قوله (يفلى ثوبه) بكسر اللام اى يزيل فيه كراهة لوجوده وتنظيفا او تعليما لما فى الشفاء لابن سبع انه لم يقع على ثيابه ذباب قط ولا يكن القمل يؤذيه تكريما له وتعظيما فيه وروى انه لم حرام كانت تعلى رأسه (ويحلب شاته) بضم اللام وتكسر (ويرقع ثوبه) بفتح القاف وفى نسخة من الترقيع (ويخصف نعله) بكسر الصاد اى يخرزها ويطبق طاقا على طاق من الخصف وهو الجمع والضم ومنه قوله سبحانه وتعالى وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة اى يطبقان ورقة على ورقة على بدنهما بالخرز والزاق بطا والمصق ومن احسن ما قيل فى مثال نعله صلى الله تعالى عليه وسلم

(اسرع فى النعل ياض شيبى * لما فقد النبى له قبالا)

(وما حب المال يشوق قلبى * ولكن حب من لبس النعالا)

(وقال بعضهم)

(ياطالبا لمثال نعل نبيه * قبل مثال النعل لا تتكبرا)

(والثم له فلطالما عكفت به * قدم النبى مروحا ومبكرا)

(اولا ترى ان المحب مقبل * طللا وان لم يلق فيه مخبرا)

الاول وانا فى هذا الحال اقبل خيال المثال تعظيما لنبى ذى الجلال (ويخدم نفسه) بضم الدال وكسرها وهو تعميم بعد تخصيص ثم ذكر ما يعم نفعه ولغيره بقوله (ويقم البيت) بضم القاف وكسرها وتشديد الميم اى يكنسه (ويعقل البعير) بكسر القاف اى يربط ركبته بالعقال وهو ما يعقل به من الحبال ومنه العقل لانه يمنع صاحبه عما يضره ويبعثه على ما ينفعه (ويعلف) بكسر اللام قيل ويضم اوله (ناضحه) اى بعيره الذى يستقى عليه الماء (ويأكل مع الخادم) اى مملوكا او غيره وهو يشمل المذكر والمؤنث (ويعجن معها) اى مع الخادمة من الجارية وغيرها وخص العجن بها لان الغالب انه من عملها (ويحمل بضاعته) اى مشتراه من مأكول وغيره (من السوق) اى الى محله فى بعض اوقاته اذ ثبت انه عليه الصلاة والسلام كان له خدم يقومون بحاجته من المرام (وعن انس رضى الله تعالى عنه) على ما رواه البخارى فى الادب تعليقا ووصله ابن ماجه (ان) هى المخففة من المثقلة والمعنى ان الشان (كانت الامة من اماء اهل المدينة) اى من جنسها (لتأخذ) بفتح اللام الفارقة (بيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتنطلق به) اى تذهبه (حيث شاءت) اى من طرق المدينة وبيوتها (حتى تقضى حاجتها) اى منه عليه الصلاة والسلام بشفاعة ونحوه (ودخل عليه رجل) هو غير معروف (فاصابه من هيبته) اى مخافته وعظمته (رعدة) بكسر الراء اى اضطراب او برودة (فقال له هون عليك) اى يسر امرك ولا تخف (فانى لست بملك) اى سلطان جبار والحديث سبق الا انه اعاده هنا لما فيه من زيادة قوله (انما انا ابن امرأة من قريش تأكل القديد) وهو اللحم المجفف فعيل بمعنى المفعول تنبيها له على انه مأكول المساكين (وعن ابى هريرة) كما رواه الطبرانى فى الاوسط بسند ضعيف عنه انه قال (دخلت السوق مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاشترى سراويل) فارسى معرب شابه من كلام العرب ما لا ينصرف معرفة ونكرة (وقال للوزان) بتشديد الزاى وازن الفضة من الصيرفى وغيره (زن) بكسر الزاى (وارجح) بفتح همزة وكسر جيم اى اعطه راجحا على وزنه بالزيادة (وذكر القصة) اى بطولها ومن جملته (قال) اى ابو هريرة رضى الله تعالى عنه (فوثب) اى من مقام الوزان بسرعة متوجها (الى يد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقبلها) بتشديد الموحدة جملة حالية اى حال كونه مريد التقبيلها لما رأى فيها من زيادة السخاوة وحسن المعاملة (فجذب يده) اى تواضعا وتباعدا عما يوجب النخوة والعجب والغرور (وقال هذا) اى التقبيل (تفعله الاعاجم) اى اهل فارس (بملوكها) اى ويرونهم كبرا وفخرا ولاصحابهم ذلا (ولست بملك) اى من جنس ملوكهم (انما انا رجل منكم) بشر مثلكم او واحد من جنس عربكم انا ملكم معاملة ادبكم وهذا لا ينافى ما ورد من انهم كانوا يتبركون به وبآثاره ولا ما ذكره النووى وغيره من ان تقبيل يد الغير ان كان لجاه وغنى فكروه او لصلاح وعلم فمستحب (فاخذ السراويل) اى من بايعه بعد تمام ثمنه

(فذهبت) قصدت (لاجله فقال صاحب الشئ احق بشيئه) اى بمتاعه المختص به (ان يحمله) لانه ابقى على تواضعه وانفى لكبره وقد قيل لم يثبت انه صلى الله تعالى عليه وسلم لبس السراويل لكن اشتراها قيل اربعة دراهم وفى الاحياء بثلثة ولم يلبسها وجاء فى الهدى لابن القيم من انه لبسها قالوا وهو من سبق القلم لكن السيوطى صحح لبسه صلى الله تعالى عليه وسلم والله سبحانه وتعالى اعلم هذا وقد ذكر التلمسانى انه اخرج ابوداود الحديث عن سماك بن حرب قال حدثنى سويد ابن قيس قال جلبت انا ومخرمة العبدى بزا من هجر فاتينا به مكة فجاءنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يمشى فساومنا بسراويل فبعناه وثم رجل يزن بالاجر فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم زن وارجح وكذلك ذكر الترمذى الحديث وصححه وابو عمرو فى الاستيعاب ثم نقل عن شيخه ان فى الحديث فوائد منها الرجحان فى الوزن وهو من الورع الظاهر الفضل لان التطفيف حرام والتحرى فيه طول اوشغب تمام والرجحان يقطعه والفضل يظهره قال وفيه رد على ابى حنيفة المانع هبة المجهول قلت انما نشأ هذا من جهله بمرتبة الامام وعدم فرقه بين الشايع الحاضر والمجهول الحاضر فى هذا المقام والله سبحانه وتعالى اعلم بحقيقة المرام

(فصل)

(واما عدله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى حكمه على وفق الحق ومنهاج الصدق (وامانته) اى فى اداء روايته وقضاء ديانته (وعفته) اى عما لايليق بحضرته (وصدق لهجته) اى منطقه وحكايته (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم آمن الناس) بهمزة ممدودة اى اعظمهم امانة وامنا من ان يقع منه خيانة (واعدل الناس) لانه اعلمهم واحكمهم وارحمهم وكان الاظهر ان يقدم اعدل على آمن ليكون النشر مرتبا (واعف الناس) اى اكثرهم عفة واصبرهم على ما اوجب نزاهته (واصدقهم لهجة) اى اكثرهم صدقا من جهة الناطقة (منذ كان) اى من ابتداء ماوجد لما جبل عليه من الاخلاق الحسنة ولاوجه لقول الدلجى من حين اعترف لان قوله (اعترف) استيناف بيان وفى نسخة ثم اعترف (له بذلك) اى بما ذكر من الشمائل الرضية (محادوه) بتشديد الدال المضمومة اى مخالفوه ومنه قوله تعالى ومن يحادد الله لكون كل واحد منهما فى حد كما قيل فى وجه اشتقاق قوله سبحانه وتعالى ومن يشاقق الله (وعداه) بكسر عينه مقصورا اسم جمع اى اعداؤه ومعادوه (وكان يسمى قبل نبوته) اى ظهورها ودعوتها (الامين) لغاية امانته ونهاية ديانته (قال ابن اسحق كان يسمى الامين بما جمع الله فيه من الاخلاق الصالحة) اى لان استعمل فى طريق الحق وسبيل الخلق (وقال تعالى) اى فى حقه (مطاع) اى مكرم (ثم) اى عند الملأ الاعلى والحضرة العليا (امين) موصوف بالامانة فى دعوى النبوة ووحى الرسالة (اكثر المفسرين على انه) اى المراد بالمطاع الامين (محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وكثير منهم على انه جبريل عليه السلام وسياق النظم يؤيده وسباق الكلام يؤكده وعلى كل فاتصافه بالوصفين لاحد بنكره (ولما اختلفت قريش) على ما رواه احمد والحاكم وصححه الطبرانى انه حين اختلفت اكابر قريش ورؤساؤهم (وتحازبت) بالزاى اى وصارت احزابا وطوائف مجتمعة وضبط بعضهم بالراء وهو تصحيف (عند بناء الكعبة) حين اجمرت امرأة فطارت شرارة فاحترقت الكعبة فهدموها وارادوا تجديد بنائها فوقع خلافهم (فيمن يضع الحجر) اى الاسود والركن الاسعد فى موضعه الاصلى قبل هدمه وكل يقول انا واتباعى نضعه افتخارا بوضعه لانه الركن الاعظم فى ذلك المقام الافخم وكاد ان يقع بينهم القتال لكثرة منازعة الرجال (حكموا) جواب لما اى حكموا فيما بينهم لدفع النزاع عنهم (ان يكون الواضع اول داخل عليهم) اى ولا يكون واحدا منهم (فاذا بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم داخل) اى ففاجأهم دخوله وبلغهم وصوله (وذلك) اى ماذكر (قبل نبوته) اى دعوى نبوته وظهور رسالته (فقالوا) اى مقرين له بوصف امانته (هذا محمد هذا الامين قد رضينا به) فنرش صلى الله تعالى عليه وسلم رداءه المبارك ووضع الحجر عليه وامر كل رئيس ان يأخذ بطرف منه وهو آخذ من تحته الذى فوض فيه الامر اليه ووضعوه فى موضعه (وعن الربيع بن خثيم) بضم معجمة وفتح مثلثة روى عن ابن مسعود وغيره وعنه الشعبى ونحوه وكان ورعا قانتا مخبتا حتى قال ابن مسعود له او رآك النبى صلى تعالى عليه وسلم لاحبك فطوبى له ثم طوبى له قال التلمسانى وهو من الزهاد الثمانية ومن رجال حلية ابى نعيم (كان يتحاكم) بصيغة المجهول (الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الجاهلية قبل الاسلام) اى قبل زمن البعثة وظهور النبوة (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه ابن ابى شيبة فى مصنفه (والله انى لامين فى السماء) اى عند الله وملائكته المقربين (امين فى الارض) عند المؤمنين وغيرهم من الحجر بين الكمال امانته وظهور ديانته وعدم خلفه فى وعده وتحقق صدقه فى قوله (حدثنا ابو على الصدفى) بفتحتين (الحافظ) اى المعروف بحفظ الحديث (بقراءتى عليه ثنا) اى حدثنا (ابوالفضل ابن خيرون) بفتح معجمة وضم راء بصرفه ومنعه والاول اظهر (ثنا ابو يعلى ابن زوج الحرة) تقدم (ثنا ابو على السنجى) بكسر مهملة فسكون نون فجيم مروزى (ثنا محمد بن محبوب المروزى) اى راوى جامع الترمذى عنه (ثنا

ابو عيسى) اى الترمذى (الحافظ) اى المرزوق وهو جامع السنن وصاحب الشمائل (ثنا ابو كريب) بالتصغير الهمدانى الكوفى روى عن ابن المبارك وخلق وعنه اصحاب الكتب الستة روى انه ظهر له بالكوفة ثلاثمائة الف حديث (ثنا معاوية بن هشام) اى القصار الكوفى روى عن حمزة والثورى وعنه احمد وغيره وهو من الزهاد الثقات (عن سفيان) اى الثورى على ماصرح به ميرك العبدى الحافظ والاطلاق على غيره (عن ابى اسحق) اى الهمدانى الكوفى احد الاعلام الشهير بالسبيعى روى عن كثير من الصحابة والتابعين وقد رأى عليا كرم الله وجهه (عن ناجية بن كعب) بنون فالف فجيم مكسورة فتحتية مخففة تابعى وليس بصحابى (عن على) اى ابن ابى طالب كرم الله وجهه (ان ابا جهل قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم انا لانكذبك) بالتشديد والتخفيف اى لاننسبك الى الكذب لثبوت صدقك (ولكن نكذب) بالتشديد لاغير (بما جئت به) اى من القرآن والايمان بالتوحيد والبعث ونحو ذلك فدلت هذه المناقضة الظاهرة على ان كفر اكثرهم كان عنادا (فانزل الله تعالى) اى فى شأنه وعظيم برهانه (فانهم لايكذبونك) بالتشديد وقرأ نافع والكسائى بالتخفيف (الآية) وهى قوله سبحانه وتعالى ولكن الظالمين بآيات الله اى المتلوة او المصنوعة يجحدون اى ينكرون فتكذيبهم فى الحقيقة راجع الى ربهم ففيه وعيد اكيد وتهديد شديد لهم وتسلية له صلى الله تعالى عليه وسلم (وروى غيره) اى غير الترمذى زيادة عليه (لانكذبك وما انت فينا بمكذب) تأكيد لنفى الكذب عنه وهو بتشديد الدال المعجمة المفتوحة وفى نسخة بمكذوب (وقيل) اى روى كما اخرجه ابن اسحق والبيهقى عن الزهرى وكذا ابن جرير عن السدى والطبرانى فى الاوسط (ان الاخنس) بفتح همزة وسكون معجمة وفتح نون فمهملة (ابن شريق) بفتح معجمة وكسر راء له صحبة وقال التلمسانى ذكره الحلبى قتل يوم بدر كافرا وفيه نزل قوله تعالى ومن الناس من يعجبك قوله فى الحيوة الدنيا (لقى اباجهل يوم بدر) وكان يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من رمضان سنة اثنتين من الهجرة (فقال له) اى بحكم العادة اوتلطف العبارة (يااباالحكم) بفتحتين كنيته فى الجاهلية فغيرها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكناه اباجهل (ليس هنا غيرى وغيرك) اى احد (يسمع كلامنا) اى فيما بيننا (تخبرنى) خبر معناه امر اى اخبرنى (عن محمد) اى عن وصفه (صادق) وفى نسخة زيادة هو والتقدير اصادق هو فى معتقدك (ام كاذب) عندك والمراد من الاستفهام حمله على الاقرار بما يعرفه من صدقه عليه الصلاة والسلام (فقال ابو جهل والله ان محمدا لصادق) اى لموصوف بالصدق ولايخفى مافى الجملة من زيادة الادوات المؤكدة (وماكذب محمد قط) اعترافا بالحق وروى ان اباجهل قال بعد قوله وما كذب محمد ولكن اذا ذهب بنوا قصى باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فهذا يدل على انه مامنعه عن توحيد الله الاطلب الجاه فالخلق محجوب عظيم عن الحق (وسأل هرقل) بكسر ففتح وضبط بكسرتين وكذا بضمتين بينهما ساكن ولاينصرف للعجمة والعلمية وهذا اسمه العلم ولقبه قيصر فهو لقب كل من ملك الروم (عنه) اى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (اباسفيان) بن حرب على مارواه الشيخان (فقال) اى هرقل مخاطبا لابى سفيان ومن معه (هل كنتم تتهمونه) بتشديد التاء الثانية (بالكذب) اى هل كنتم تنسبونه الى الكذب ولو بالتهمة بناء على المظنة (قبل ان يقول ماقال) اى من دعوى الرسالة (قال لا) وهذا السؤال يدل على كمال عقل هرقل ومعرفته بصفة الانبياء لكن لم ينفعه علمه حيث لم يقترن بعمله اذهلك كافرا فتح بعد عمر رضى الله تعالى عنه بلاده وتوغل فى بلاد الكفر هاربا من الاسلام ولاتغتر بمن شذ فزعم اسلامه ذكره الدلجى وقال الحلبى فى الاستيعاب انه آمن وهذا مؤول اى بانه اظهر الايمان وتمنى الامان لكنه غره سلطنة الزمان (وقال النضر بن الحارث) اى العبدرى وهو بفتح النون وسكون الضاد المعجمة وكان شديد العداوة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم اخذ اسيرا ببدر فامر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عليا رضى الله تعالى عنه فقتله بالصفراء عقيب الواقعة واما النضير بالتصغير فهو اخوه وكان من المؤلفة واعطى يوم حنين مائة من الابل فاحذر ان يتصحف عليك كما توهم الحلبى ثم حديثه هذا رواه ابن اسحق والبيهقى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (انه قال لقريش) اى لاكابرهم (قد كان محمد فيكم غلاما حدثا) بفتحتين اى من حال صغره قبل اوان كبره والانسب ان يراد به ههنا ماقيل من ان الغلام هو الصغير الى حد الالتحاء (ارضاكم فيكم) اظرفان حالان لازمان (واصدقكم حديثا) اى قولا ووعدا (واعظمكم امانة) اى صدقا وديانة وهذه الشهادة لكونها من اهل العداوة حجة لماقيل الفضل ماشهدت به الاعداء (حتى اذا رأيتم فى صدغيه) بضم فسكون الشعر المتدلى على مابين الاذن والعين (الشيب) اى بياض الشعر (وجاءكم بما جاءكم) اى بما اظهر لكم من الحق وكلام الصدق (قلتم) اى فى حقه (انه ساحر) فى غيبته وحضوره (لا والله ماهو بساحر) الجملة القسمية مؤكدة لما يفهم من الجملة المقدرة المنفية بلا النافية (وفى الحديث) وفى نسخة عنه اى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم على مارواه الشيخان عن عائشة رضى الله تعالى عنها (مالمست) بفتح الميم (بيده امرأة قط الا ان

رقها) بكسر راء وتشديد قاف اى لا يملكها نكاحا اوملكا فقد قال لاسماء الزويج رق المرأة فلتنظر اين تضع رقها واما فى البخارى ان امرأة تبايع فقبض يده فمحمول على المحرم اومن فوق الثوب (وفى حديث على) اى ابن ابى طالب كرم الله وجهه (فى وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم اصدق الناس لهجة) اى لسانا وبيانا وقد تقدم (وقال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فى الصحيح) اى فى الحديث الذى صح عنه وقد تقدم ذكره (ويحك فمن يعدل) بالرفع (ان لم اعدل خبت وخسرت) بالتكلم اوالخطاب لرئيس الخوارج (ان لم اعدل وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها) اى على ماسبق من رواية الترمذى وغيره عنها (ماخير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى امرين) وزيد فى نسخة قط الا اختار ايسرهما مالم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه) سبق حل مبناه وبيان معناه (قال ابو العباس) اى البصرى (المبرد) بفتح الراء المشددة وكان اماما فى النحو واللغة مات ببغداد ودفن بمقابر باب الكوفة (قسم) بتخفيف السين اولى من تشديدها وان اقتصر الانطاكى على الثانى (كسرى) بكسر الكاف وفتح الراء مقصورا اسم لكل من ملك الفرس واسمه الخاص پرويز (ايامه) اى زمان دولته واوان مملكته (فقال) اى كسرى فى قسمته وقته (يصلح يوم الريح للنوم) المبنى على السكون لكون الوقت غير قابل للحركة من القيام للخدمة ولا للقعود فى الصحبة (ويوم الغيم للصيد) لعدم التأذى بشدة الحرارة التى تقتضيها كثرة حركة المعالجة (ويوم المطر للشرب واللهو) لعدم امكان الخروج (ويوم الشمس لقضاء الحوائج) جمع حاجة على خلاف القياس اى لحوائج الخلق والنظر الى مهماتهم بالعدل وفق الصدق (وقال ابن خالويه) بفتح اللام والواو وسكون التحتية وكسر هاء ويقال بضم لام وسكون واو وفتح تحتية فناء تقلب هاء وقفا نحوى لغوى اصله من همذان بفتح الميم والذال المعجمة دخل بغداد وادرك اجلة العلماء مثل ابن الانبارى وابن مجاهد المقرى وتوفى بحلب سنة سبعين وثلاثمائة وله تصانيف كثيرة (ماكان اعرفهم بسياسة دنياهم) كذا فى النسخ بثبوت ماقبل كان والظاهر زيادتها ويمكن جعلها موصولة اوموصوفة اوكان زائدة وما تعجبيه وحاصله انه انما كان اعرفهم بسياسة دنياهم ولم يكن يعرف مايتعلق بآخرتهم من مراتب عبادة مولاهم ولذلك استشهد بقوله تعالى (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون) وحاصله انه ليس فى تقسيمه كبير منفعة بخلاف تجزية صاحب النبوة ولهذا استدركه بقوله (ولكن) بالتخفيف اولى (نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) على مارواه الترمذى وغيره عنه (جزأ) بتشديد الزاى فهمز اى قسم (نهاره) اى ساعات يومه (ثلاثة اجزاء) اى اقسام (جزأ) بالنصب وجوز بالرفع وقد يضم زايه (لله) تقديما لرضاه وقياما بالاشتغال بذكره عما سواه (وجزأ) بالوجهين (لاهله) ايثارا لهم على ... (وجزأ لنفسه) لحديث ان لنفسك عليك حقا ثم لعل هذا الجزء الاول من الصبح الى الظهر والثانى الى العصر والثالث الى المغرب والمعنى حصته لنفسه لادخل فيها لغيره من الاهل خاصة دون العامة لقوله (ثم جزأ جزءه بين الناس) اى عموما بحسب حاجاتهم والحاصل انه جعل ذلك الوقت ايضا وقتا للحق لنفعه بنفسه عموم الخلق فان كان احد منهم احتاج اليه وحضر لديه اقبل عليه وافادهم بالفوائد الدينية والدنيوية والعوائد الحسية والمعنوية النافعة فى الدرجات الاخرويه والا فاشتغل بمراعاة نفسه خاصة لفراغه من الواجبات المفروضة عليه من جهة حق الله تعالى وحقوق الاهل بحسب تقديم الاهم فالاهم والله تعالى اعلم (فكان) اى من عادته فى جزء خاصة نفسه (يستعين بالخاصة) اى من ارباب صحبته واصحاب خدمته (على العامة) اى قضاء حاجتهم والمجاهدة فى منفعتهم لقوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولقوله عليه الصلاة والسلام الخلق كلهم عيال الله واحبهم الى الله انفعهم لعياله كما رواه الطبرانى عن ابن مسعود والمعنى يأمر الخاصة (بتبليغ العامة اذ ليس كل انسان يتوصل الى ذلك ويقول ابلغوا) اى وكان يقول لهم اوصلوا الى (حاجة من لا يستطيع ابلاغى (اى ابلاغ حاجته لى فانه) اى الشان (من ابلغ حاجة من لا يستطيع) اى ابلاغها كما فى نسخة صحيحة (آمنه الله) بهمزة ممدودة اى جعله فى امن من الضرر (يوم الفزع الاكبر) وهو وقت النفخة الثانية اوحالة الانصراف الى العقوبة والحديث رواه الطبرانى فى الكبير بسند حسن عن ابى الدرداء ولفظه ثبت الله قدميه على الصراط يوم القيامة وكذا لفظ الترمذى فى الشمائل برواية الحسن عن اخيه الحسين بن على رضى الله تعالى عنهم (وعن الحسن) اى البصرى على مارواه ابوداود فى مراسيله (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يؤاخذ احدا) اى لا يؤخذه ولا يجازيه (بقرف احد) بفتح قاف وسكون راء اى بذنبه وكسبه ومنه قوله تعالى ومن يقترف او بظن احد ورميه وفى نسخة بقذف احد بسكون الذال المعجمة من قذفه بالمكروه اى نسبه اليه (ولا يصدق احدا على احد) اى ولا يقبل كلام احد فى حق احد سواء ترتبت عليه المؤاخذة ام لا فهو تعميم بعد تخصيص (وذكر ابو جعفر) وهو محمد بن جرير (الطبرى) بفتحتين نسبة الى طبرية وكذا رواه ابن راهويه فى مسنده والبيهقى فى دلائله عن على كرم الله وجهه (عنه

عليه الصلاة والسلام ما هممت بشيء) اي ما قصدت شيئا (مما كان اهل الجاهلية يعملون به) وانما اعاد المصنف هذا الحديث ههنا مع تقدمه لافادة زيادة قوله (غير مرتين كل ذلك) ضبط بالرفع والنصب وهو اظهر اي في جميع ما ذكر من الكرتين (يحول الله) اي يصير بحوله حائلا ومانعا (بيني وبين ما اريد من ذلك) اي عمل اهل الجاهلية وهذا معنى قوله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه اي يحجز ويمنع وقال ابو عبيد ملك عليه قلبه فيصرفه كيف شاء (ثم) اي بعد ما هممت بهما (وما هممت بسوء) اي ابدا بتوفيقه وعصمته (حتى اكرمني الله برسالته) ومن المعلوم انه بعد تحقق ثبوته لم يتصور وجود مخالفته ثم بين المرتين من الحالتين المذكورتين بقوله (قلت ليلة لغلام) اي لفتى او مملوك (كان يرعى معي) اي غنمي او غنم غيري وهو الظاهر لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ما من نبي الا وقد رعاها يعني الغنم قيل وانت يا رسول الله قال نعم كنت ارعاها على قراريط لاهل مكة ولعل الحكمة ان يتدرب على سياسة العبيد على سبيل الشفقة والرحمة ولا يبعد ان تكون الغنم له او لغيره لكن كانت في عهدته بقوله (لو ابصرت الى غنمي) اي تثبت والتمست منك ان راعيت حفظ ما يتعلق بي (حتى ادخل مكة فاسمر بها) بفتح الهمزة وضم الميم اي احادث ليلا مطلقا او ليلا مقمرا والسمر في اصله ضوء القمر وجعل الحديث فيه سمرا ومنه قوله تعالى مستكبرين به سامرا تهجرون كانوا يجتمعون حول البيت بالليل وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميتهم اياه سحرا فلهذا ذمهم الله بقوله تهجرون (كما يسمر الشباب) اريد به الجنس ووقع في اصل الدلجي بلفظ الشباب والمعنى فاسمر سمرا مشابها لسمرهم في مشاهدة قومهم حال سهرهم ورقادهم في سمرهم لعلة سكرهم وكثرة تكرهم وقلة فكرهم (فخرجت لذلك) اي لقصد السمر (حتى جئت اول دار من مكة) اي مما فيها من آلات لذات الشهوة (سمعت عزفا) بفتح مهملة فسكون زاي ففاء اي لعبا بالمعازف وهي الملاهي او صوتا حسنا وغناء في الطباع مستحسنا مختلطا (بالدفوف والمزامير) او بسبب ضرب الدفوف واصوات الملاهي كالعود والطنبور ونحوها (لعرس بعضهم فجلست) اي خارج الباب او داخله او بعد الاذن وبعد رفع الحجاب (انظر) اي حال كوني انظر لعبهم واسمع لهوا ومن اجل ان انظر اليهم واسمع اليهم (فضرب) بصيغة المجهول (على اذني) بضم الذال وتسكن وبفتح النون وتشديد ياء المتكلم او بكسر النون وتخفيف ياء الاضافة على ارادة الجنس اي القى الله النامة ثقيلة لا يمنعني عن النوم اضطراب اصوات ولا كثرة حركات ومنه قوله تعالى فضربنا على آذانهم اي انمناهم (فنمت) بكسر النون (فما ايقظني الا مس الشمس) اي اصابة حرها على بدني (فرجعت لم اقض شيئا) اي مما قصدت من المعصية وارتكاب السيئة ولعل سماع المزامير كان مباحا في الشرائع المتقدمة (ثم عراني) اي اصابني (مرة اخرى مثل ذلك) اي مما هممت به في المرة الاولى وعصمني منها المولى (ثم لم اهم) بضم هاء وتشديد ميم مفتوحة ويجوز ضمها وكسرها اي لم اقصد (بعد ذلك) اي ما ذكر من المرتين (بسوء) اي بهم سوء قط وهو بضم السين ويفتح

(فصل)

(واما وقاره صلى الله تعالى عليه وسلم) بفتح الواو اي رزانته ورصانته وحلمه وتحمله (وصمته) اي سكوته وسكونه وطمانينته وسكينته (وتؤدته) بضم ففتح همز ويبدل اي تأنيه في قوله وعمله وتثبته ومهلته بلا عجلة (ومروءته) بضمتين فسكون واو فهمز وتبدل وتدغم فتشدد (وحسن هديه) اي سيرته وطريقته المشتملة على حقائق شريعته ودقائق حقيقته (حدثنا) كذا ابتداؤه ههنا على ما في النسخ المصححة (ابو علي الجياني) بفتح جيم وتشديد تحتية ثم نون وهو الغساني (الحافظ اجازة) اي نوعا من انواع الاجازة ومنها المناولة ولو بالمكاتبة (وعارضت) اي قابلت (اصلي بكتابه) اي المروي عن مشايخه (قال ثنا) اي حدثنا (ابو العاصي الدلائي) بكسر دال مهملة فلام مشددة وقد تخفف بعدها الف ممدودة (انا) اي اخبرنا وفي نسخة ثنا (ابو ذر الهروي) تقدم ذكره (انا) اي اخبرنا (ابو عبد الله الوراق) بتشديد الراء (ثنا) اي حدثنا (اللؤلؤي) بهمزتين وقد تبدل الاولى (ثنا ابو داود) اي صاحب السنن (ثنا عبد الرحمن) اي ابن محمد (ابن سلام) بتشديد اللام قيل وهو تكتب بهمزة الابن ههنا اعلاما لوجود الفاصلة روى عن ابن المبارك وابن فضالة وروى عنه ابو زرعة (قال حدثنا الحجاج) وفي نسخة صحيحة حجاج (ابن محمد) وهو الاعور المصيصي الحافظ عن ابن جريج وشعبة وعنه احمد لا غيره قال ابن ماجه بلغني ان ابن معين كتب عنه نحوا من خمسين الف حديث (عن عبد الرحمن بن ابي الزناد) وهو عبد الرحمن بن عبد الله ابن ذكوان روى عن ابيه وشرحبيل بن سعد وعنه هناد وعلي بن حجر (عن عمر بن عبد العزيز بن وهيب) بالتصغير وفي نسخة بن وهب وهو تصحيف قال الحلبي هو عمر بن عبد العزيز بن وهيب الانصاري مولى زيد بن ثابت روى عن خارجة بن زيد وعنه عبد الرحمن بن الزناد واخرج له ابو داود في المراسيل هذا الحديث قال الذهبي في الميزان لا يعرف من ذا (سمعت خارجة بن زيد) اي ابن ثابت الانصاري وهو احد الفقهاء السبعة بالمدينة المقول فيهم

(الا كل من لا يقتدي بائمة * فقسمته ضيزى عن الحق خارجة)

(فخذهم عبيدالله عروة قاسم + سعيد ابو بكر سليمان خارجه)

وكنيته ابو زيد (يقول) اى خارجة وهو تابعى فيكون حديثه هذا مرسلا وهو حجة عند الجمهور (كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اوقر الناس) اى اكثرهم حلما واعظمهم تحملا فى جميع اوقات انسه لاسيما (فى مجلسه) اى المعد لمصاحبة جنسه محافظة على رعاية آدابه تعليما لاصحابه واحبابه وطلبة حديثه وحملة كتابه (لايكاد يخرج شيئا من اطرافه) اى من بزاق فمه اومخاط انفه اوقطع ظفره اوقلع وسخه ووقع فى اصل الدلجى شئ بارفع وقال فى قوله لايكاد يخرج مبالغة فى لايخرج اى لايقرب ان يظهر من تحت ثيابه شئ من اطرافه فضلا عن ان يظهر منها شئ انتهى فتدبر واختر ما صفا ودع ماكدر (روى ابو سعيد الخدرى) كما اخرجه عنه ابوداود وكذا الترمذى فى شمائله (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذجلس فى المجلس) اى فى جنس مجلسه اومجلسه الخاص فيما بين اصحابه احتبى بيديه) بان جمع بين ظهره وساقيه اما بيديه او بثوبه كما فى رواية والاسم الحبوة بضم الحاء وكسرها والعامة تقول حبية (وكان اكثر جلوسه) اى هيئات جلوسه وحالات قعوده (محتبيا) لكثرة التواضع لديه وعدم التكلف فيما كان سلف العرب عليه ولذا قال اكثر الاوقات اليه وفى الحديث الاحتباء حيطان العرب واحيانا يقعد على هيئة التحية (وعن جابر بن سمرة) كما روى مسلم وابوداود (انه تربع)اى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا جلس فى المجلس تربع احيانا لقوله (وربما) بالتشديد والتخفيف (جلس القرفصاء) بضم القاف والفاء وروى بكسرهما و بمد وقصر فيهما وعن الفراء اذا ضممت مددت واذا كسرت قصرت ومعناه عن ابى عبيد ان يجلس على اليتيه ملصقا بطنه بفخذيه محتبيا بيديه (وهو) اى جلوسه القرفصاء على ماورواه الترمذى (فى حديث قيلة) بفتح قاف فسكون تحتية بنت مخرمة العنبرية وقيل العدوية وقد تقدم) وكان كثير السكوت (لتفكره فى مشاهدة الملكوت وتذكره مطالعة الجبروت (لايتكلم فى غير حاجة) اى من قضية ضرورية دينية اودنيوية اومسئلة علمية اوعملية لقوله تعالى والذين هم عن اللغو معرضون ولحديث ان من حسن اسلام المرء تركه مالايعنيه (يعرض عمن تكلم بغير جميل) اى بما لايستحسن ذكره ولايباح امره اذا صدر عمن تكلم بناء على جهله لقوله تعالى واعرض عن الجاهلين والظاهر ان المراد بالاعراض هو الصفح وعدم الاعتراض فيختص بالمكروهات التنزيهية على مقتضى القواعد الشرعية واما المحرمات القطعية وكذا المكروهات التحريمية فلابد للشارع من ان يأمر ويزجر قياما بحق النبوة والرسالة واما قول الدلجى فى تفسير غير جميل حراما اومكروها اذ لايقر على باطل واعراضه كاف عن انكاره صريحا لاشعاره بعدم رضاه به فهو ليس من الحمل الجميل لان الانكار القلبى لايكون كافيا الا للعاجز عن انكاره بيده ولسانه وهذا غير متحقق فى زمانه لاسيما بالنسبة الى عظمة شانه وان كان زماننا هذا يكتفى فيه بالسكوت وملازمة البيوت والقناعة بالقوة الى ان نموت على محبة الحى الذى لايموت (وكان ضحكه) بكسر فسكون وروى بفتح فكسر (تبسما) اى من جهة الابتدائية كقوله تعالى فتبسم ضاحكا من قولها اومن طريقة الاغلبية لما فى الشمائل للترمذى من حديث عبدالله بن الحارث مارأيت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واما القهقهة فنفية ويمكن حمله على ظاهره من عمومه لما فى الشمائل ايضا من حديث جابر بن سمرة وكان لايضحك الا تبسما لكن الشراح حملوه على غالب حاله وقيل كان لايضحك فى امر الدنيا الا تبسما اما فى امر الاخرة فكان قد يضحك حتى تبدو نواجذه على مافى الترمذى ايضا وهو توفيق حسن وجمع مستحسن (وكلامه فصلا) اى وكان كلامه فرقا بين الحق والباطل اوفاصلا بين الحلال والحرام اوبينا يتبينه كل من سمعه ولايشتبه على من يتفهمه وماذلك الا لجعله تعالى له مبينا للانام فى مشكلات الاحكام كما قال تعالى لتبين للناس مانزل اليهم اومختصرا ملخصا لقوله (لافضول) بالفتح اى لازيادة فى كلامه (ولاتقصير) اى ولانقصان عن قدر الحاجة اولا ايجاز ولا اطناب بل التوسط المحمود فى كل باب بالجمع بين المبانى اليسيرة والمعانى الكثيرة (وكان ضحك اصحابه عنده) اى فى حضرته (التبسم) اى لاغير (توقيرا له) اى تعظيما لحرمته (واقتداء به) اى فى كيفية ضحكه وهيئته (مجلسه مجلس حكم) بضم فسكون اى مجلس علم بالاحكام اوعمل بالعدل فى حق الانام ولو ثبت كسر حاء وفتح كاف لكان له وجه وجيه فى المرام بان يكون مجلسه للصحبة ملآن من انواع الحكمة ويؤيده ان رواية الترمذى مجلس علم وفى نسخة بكسر حاء وسكون لام وكذا وقع فى اصل الدلجى وهو ملكة تورث التؤدة وعدم العجلة عند حركة الغضب وداعية العقوبة (وحياء) اى ومجلس حياء مشتمل على صفاء وضياء وهى ملكة تمنع مما لايليق فعله فى الحضرة والغيبة (وخير) اى ومجلس كل خير من خيرى الدنيا والآخرة فهو تعميم بعد تخصيص (وامانة) اى مجلس امانة دون خيانة تخصيص للاهتمام بامرها لتعلقها بغير صاحبها ولذا ورد لاايمان لمن لا امانة له على ماورواه احمد وابن حبان فى صحيحيهما عن انس رضى الله تعالى عنه (لاترفع)

بصيغة المجهول مذكرا ومؤنثا (فيه) اى فى مجلسه (الاصوات) تادبا بسيد الكائنات ولقوله سبحانه وتعالى لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى الآيات (ولا تؤبن) بضم فسكون همز وتبدل وفتح موحدة مخففة وقد تشدد اى لا ترمى بصريح ولا تذكر بقبيح (فيه الحرم) بضم ففتح جمع الحرمة وهى ما لا يحل انتهاكها كذا روى بضمتين يعنى النساء من الاهل وما يحميه الرجل والمعنى لا تقذف ولا تعاب من ابنه اى رميته بسوء ومنه حديث النهى عن شعر تؤبن فيه النساء وكذا حديث الافك اشيروا على فى اناس ابنوا اهلى وحاصله ان مجلسه كان مصانا من رفث القول وفحش الفعل وقد تصحف على الحنفى حيث قال ماخوذ من الاثر واحدها ماثرة ويحتمل لا تؤثر اى لا تبلغ من زيارته اى قرب للدعته انتهى (اذا تكلم) اى هو صلى الله تعالى عليه وسلم (اطرق جلساؤه) اى حضروا رؤسهم وسكتوا خفوا سمعهم (كانما) بزيادة ما الكافة (على رؤسهم الطير) يجوز فى هذه ثلاثة اوجه بحسب القراءة وهى كسر الهاء وضم الميم وكسرهما وضمهما وفى التشبيه تنبيه على المبالغة فى وصفهم بالسكوت والسكينة وعدم الخفة لان الطير لا يكاد يقع الا على شىء ساكن من الحركة (وفى صفته) اى وجاء فى نعت مشيه على ما فى الشمائل وغيره (يخطوا) بضم طاء وسكون واو اى يمشى (تكفؤا) بضم فاء مشددة فهمزة وتبدل وفى نسخة بكسر فاء وفتح تحتية اى تمايلا الى قدام قال النووى وزعم كثيرون ان اكثر ما روى بلا همز وليس كما قالوا انتهى وقال صاحب النهاية هكذا روى غير مهموز والاصل الهمز وبعضهم يرويه مهموزا لان مصدر تفعل من الصحيح تفعلا كتقدم تقدما وتكفأ تكفؤا والهمزة حرف صحيح واما اذا اعتل انكسر عينه نحو تسمى تسميا وتخفى تخفيا فاذا خففت الهمزة التحق بالمعتل فصار تكفيا بالكسر (ويمشى هونا) اى يمشى هونا لقوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا اى سكونا لا سرعة ولا بطئا ولا خيلا دال على افتقار الحق وتواضعا للخلق وفى رواية الهوينى تصغير هونى تأنيث اهون والقدير مشية هوينى (كانما ينحط) بتشديد الطاء اى ينزل (من صبب) بفتحتين ومو حدتين اى منحدر ويلزم منه الميل الى القدام لا السرعة المنافية لمقام المرام كما زعم من التبس له فى هذا المعنى المرام وفى رواية للترمذى فى صبب وهو اظهر فتدبر (وفى الحديث الآخر اذا مشى) اى فى جميع اوقاته (مشى مجتمعا) اى مشيا معتدلا مستويا مجتمعا بين توالى حركاته لا متفرقا فى حركاته وسكناته وقال الهروى اى ما كان يمشى مسترخيا (يعرف فى مشيته) بكسر الميم اى هيئة مشيه وضبط فى نسخة بفتحها وهو سهو قلم من كاتبها (انه غير غرض) بفتح معجمة وكسر راء وتنوين معجمة ماخوذ من الغرض بفتحتين وهو الضجر والملال ومنه قول الحسن عليه السلام انه بلد غرض فرخص له ادمن شاء ان ينفر فى النفر الاول ومن شاء ان ينفر فى النفر الآخر وروى بلد غرض بالاضافة والصفة (ولا وكل) بفتحتين على ما فى النسخ المصححة فى القاموس رجل وكل محركة عاجز وقال الحلبى بكسرهما وقال الطسانى الغرض بفتح الراء وروى بكسرها والوكل بفتح الكاف وحكى كسرها والله تعالى اعلم (اى غير ضجر) تفسير من المصنف لغرض على وزانه اى غير قلق وملال (ولا كسلان) تفسير لوكل يعنى ولا عاجز يكل فى فعله اى الهداية والدلالة فيكل امره الى غيره معتمدا على تحصيله (وقال عبدالله بن مسعود) فيما رواه البخارى عنه موقوفا (ان احسن الهدى) بفتح فسكون اى السيرة والطريقة المشتملة على جمعية الشريعة وحقيقة الحقيقة وفى نسخة بضم ففتح مقصورا اى الهداية والدلالة (هدى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى نفس الامر هديه هدى ربه لفنائه فى خالقه فيصح اسناده اليه تارة والى ربه اخرى كما قال تعالى قل ان الهدى هدى الله وفى آية اخرى قل ان هدى الله هو الهدى (وعن جابر بن عبد الله) صحابيان انصاريان رضى الله تعالى عنهما (كان فى كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ترتيل) اى تبيين لحروف البناء وتمهل فى كيفية الاداء لقوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا ولقوله لتبين للناس ما نزل اليهم (وترسيل) عطف تفسير وهو موافق لما فى المصابيح وفى نسخة صحيحة باو على انه شك من الراوى (وقال ابن ابى هالة) واسمه هند وامه خديجة رضى الله تعالى عنهما فهو ربيبه صلى الله تعالى عليه وسلم (كان سكوته على اربع) اى على اربعة احوال والحال يذكر ويؤنث لا بمعنى الوصف والصفة (على الحلم) على جهة التحمل مع القدرة والمجاوزة عن المؤاخذة (والحذر) اى الحراسة من الاعداء المخالفة (والتقدير والتفكر قالت عائشة) رضى الله تعالى عنها كما رواه الشيخان (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد) اى لو احصى عدد حروفه المحصى من اهل الحساب (لاحصاه) اى لقدر على احصائه وعده لعده وجمعه وحفظه وهذا مبالغة فى الترتيل والتبيين وقد روى انه كان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا تكلم تكلم ثلاثا ولعل الاول للسماع والثانى للتنبيه والثالث للتذكر والاظهر ان الثلاث باعتبار مراتب مدارك العقول من الاعلى والاوسط والادنى (وكان يحب الطيب والرائحة الطيبة) اى الحاصلة من غير جنس الطيب كبعض الازهار والاثمار (ويستعملهما كثيرا) استعمالا مناسبا لكل منهما مع انه بذاته طيب وفضلاته طيب كما هو مقرر فى محله فكان استعماله لهما زيادة

المبالغة بنية ملاقاة الملائكة ولانهما يورثان النشاط والقوة (ويحض عليهما) اى يحث ويحرض على استعمالهما (ويقول حبب الى من دنياكم النساء) وفى رواية تأخيره (والطيب) كما رواه النسائى والحاكم فى مستدركه من حديث انس باسناد جيد وضعفه العقيلى وليس فيه لفظ ثلاث وانما وقع فى بعض الكتب كالاحياء وغيره فما وقع فى بعض النسخ من لفظ ثلاث بعد دنياكم خطأ فاحش ومما يدل على بطلانه تغير سياق الحديث وتعبيره بقوله (وجعلت قرة عينى فى الصلاة) ايماء الى ان قرة العين ليست من الدنيا لاسيما من الدنيا المضافة الى غيره صلى الله تعالى عليه وسلم ودفعا لما تكلف بعضهم من ان الصلاة حيث كانت واقعة فى الدنيا صحت اضافتها اليها فى الجملة على الاختلاف فى ان المراد بالصلاة هل هى العبادة المعروفة والصلاة عليه عليه الصلاة والسلام والله تعالى اعلم بحقيقة المرام ثم تحقيق الكلام ما ذكر حجة الاسلام فى الاحياء حيث قال الدنيا والآخرة عبارة عن حالين من احوال القلب فالقريب الدانى منهما يسمى دنيا وهى كل ما قبل الموت والمتراخى المتأخر يسمى آخرة وهى ما بعد الموت ثم الدنيا تنقسم الى مذمومة وغير مذمومة فغير المذمومة ما يصحب الانسان فى الآخرة ويبقى معه بعد الموت كالعلم والعمل فالعالم قد يأنس بالعلم حتى يصير الذ الاشياء عنده فيهجر النوم والمطعم والمشرب فى لذته لانه اشهى عنده من جميعها فقد صار حظا عاجلا له فى الدنيا ولكن لا يعد ذلك من الدنيا المذمومة وكذلك العابد قد يأنس بعبادته ويستلذ بها بحيث لو منعت عنه لعظم ذلك عليه حتى قال بعضهم ما اخاف الموت الا من حيث يحول بينى وبين قيام الليل فقد صارت الصلاة من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو وعلى هذا ينزل جعله عليه الصلاة والسلام الصلاة من حكم ملاذ الدنيا اولان كل ما يدخل فى الحس والمشاهدة فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا والتلذذ بتحريك الجوارح بالركوع والسجود انما يكون فى الدنيا فلذلك اضافها عليه الصلاة والسلام الى الدنيا الا انها ليست من الدنيا المذمومة فى شئ فان الدنيا المذمومة هى حظ عاجل لاثمرة له فى الآخرة كالتنعم بلذائذ الاطعمة والمباهاة بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والقصور والدور ونحوها مما يزيد على قدر الضرورة والحاجة (ومن مروته) اى اخلاقه المرضية وشمائله البهية (نهيه) كما رواه احمد (عن النفخ فى الطعام والشراب) اى جميعا ولابى داود وابن ماجة والترمذى وصححه نهيه عن النفخ فى الاناء وللترمذى فى الشراب لانه فى الطعام يؤذن بالعجلة وشره النهمة وقلة التؤدة وفى الاناء يورث رائحة كريهة ولانه قد ينفصل بالنفخ فيهما من الفم ما يكون موجبا لنفرة الطبيعة وقيل نفس الادمى سم (والامر) كان الاولى ان يقال وامره ليحسن عطفه على نهيه اى ومن مروته ايضا الامر (بالاكل مما يليه) اى الاكل بصيغة الفاعل لحديث الشيخين قل بسم الله وكل بيمينك مما يليك على الخلاف فى ان الامر للوجوب او الندب وعليه الاكثر (والامر بالسواك) اى وكذا امره به من جملة مروته كما فى حديث لامرته فى صحته ومن فوائد السواك ازالة تغير الفم وتنظيف الاسنان وتطييب النفس وغيرها مما بلغ اربعين آخرها انه يذكر الشهادة عند الخاتمة على ضد اكل الافيون نسأل الله العافية (وانقاء البراجم) بالجر عطفا على بالسواك وفى نسخة بالرفع على ان التقدير ومن مروته تنظيف البراجم (والرواجب) وهما جمع برجمة بالضم وراجبة والمراد بهما مفاصل الاصابع من ظهر الكف وباطنها (واستعمال خصال الفطرة) بالاحتمالين وهى فيما رواه الشيخان خمس الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الاظفار ونتف الابط زاد مسلم المضمضة واعفاء اللحية والاستنجاء وابو داود من حديث عمار الانتضاح ومن حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فرق الرأس هذا والاستنشاق فى معنى المضمضة وقد سبق فى معانيها ما يغنى عن اعادتها هنا

(فصل) (واما زهده فى الدنيا) اى عدم ميله اليها وقلة المبالاة بوجودها وفقدها اعتمادا على خالقها (فقد تقدم من الاخبار) اى الاحاديث الواردة عن الثقات الاخيار (اثناء هذه السيرة) اى سيرة سيد الابرار (ما يكفى) اى يغنى عن الاعادة والتكرار (وحسبك من تقلله منها) اى كافيك من منفعتها (واعراضه عن زهرتها) بفتح الزاى اى زينتها وبهجتها (وقد سيقت اليه) اى والحال انها جلبت لديه وعرضت عليه (بحذافيرها) جمع حذفار وقيل جذفور اى باسرها من اولها وآخرها (وترادفت) اى تتابعت (عليه فتوحها) والجملتان معترضتان بين المبتدأ وخبره وهو قوله (ان توفى) بصيغة المجهول بعد ان المصدرية والمعنى كافيك مما ذكر حال حصول ما ذكر وفاته (صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى نسخة الى ان توفى على انها متعلقة بتقلله ايماء الى اختيار زهده فى الدنيا باعتبار الحالة الاولى والاخرى دفعا لما توهم بعضهم من انه صلى الله تعالى عليه وسلم فى آخر عمره اختيار الغنى ومما يأبى هذا المعنى قوله (ودرعه) اى والحال انها (مرهونة عند يهودى فى نفقة عياله) كما سبق تفصيل احواله (وهو يدعو) اى والحال انه مع ذلك يطلب من ربه كفاية امره وامر من يتعلق به من اهله وآله (ويقول) كما رواه الشيخان (اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا) اى بلغة تسد رمقهم ليقوموا بعبادة من خلقهم وفى رواية لمسلم

والترمذي وابن ماجة اللهم اجعل رزق آل محمد في الدنيا قوتا وفسر القوت بما يمسك رمق الانسان من الموت والظاهر ان المراد به هنا قدر الكفاية لما في رواية كفافا (حدثنا سفيان بن الحسن القاضي والحسين بن محمد الحافظ) هو ابن سكرة وليس بالغساني كما حرره الحلبي (والقاضي ابو عبد الله التميمي قالوا) اى كلهم (ثنا) اى حدثنا (احمد بن عمر قال ثنا ابو العباس الرازي قال حدثنا ابو احمد الجلودي) بضم الجيم (ثنا ابو سفيان) وفي نسخة صحيحة ابن سفيان (ثنا ابو الحسين مسلم بن الحجاج) اى صاحب الصحيح (ثنا ابو بكر ابن ابي شيبة) تقدم ذكرهم (ثنا ابو معاوية) وهو محمد بن خازم بالخاء المعجمة والزاي احد الاعلام وحفاظ الاسلام روى عن الاعمش وهشام وعنه احمد واسحق وابن معين وكان مرجئا اخرج له الائمة الستة (عن الاعمش) تابعي جليل روى عن ابن ابي اوفى وزر بن وابي وائل وعنه شعبة ووكيع وخلق له الف وثلثمائة حديث (عن ابراهيم) هو النخعي ابو عمران الكوفي الفقيه رأى عائشة رضي الله تعالى عنها وروى عن خاله الاسود وعلقمة وجماعة وكان عجبا في الورع رأسا في العلم (عن الاسود) اى ابن يزيد النخعي وعن عمر وعلي ومعاذ حج ثمانين مرة كل مرة بعمرة وكان يصوم حتى يخضر ويختم في ليلتين (عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت ماشبع) بكسر الموحدة اى ما اكل حتى شبع (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثة ايام) اى بلياليها (تباعا) بكسر التاء الفوقية مصدر تابع اى متابعة وموالاة (من خبز) اى مطلقا ووقع في اصل الدلجي من خبز بر وليس من البر (حتى مضى سبيله) اى الى ان توفاه الله تعالى بحسب ما قدره وقضاه والحديث في اواخر مسلم وقد اخرجه البخاري وغيره ايضا (وفي رواية اخرى) اى له اولغيره اوللشيخين كما قاله الدلجي (من خبز شعير يومين متتابعين ولو شاء) اى الله كما في نسخة صحيحة ويدل عليه قوله (لاعطاه) انا لو كان التقدير لو شاء رسول الله لكان المناسب ان يقول لاعطاه الله اولاعطى اى تمناه (ما لا يخطر) بكسر طاء وبضم اى ما لم يمر (ببال) اى لا يحدث في خلال خيال (وفي رواية اخرى) اى لهما (ماشبع آل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من خبز بر) لقلة وجوده اولكثرة زهده (حتى لقي الله) وفي نسخة زيادة عز اى تعالى شانه وجل اى عظم برهانه (وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها) كما رواه مسلم (ما ترك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى بعد وفاته (دينارا) اى من الذهب (ولا درهما) اى من الفضة وهو بكسر الدال وفتح الهاء وتكسر ولله در القائل

(النار آخر دينار نطقت به * والهم آخر هذا الدرهم الجاري)

(والمرء بينهما ان لم يكن ورعا * معذب القلب بين الهم والنار)

(ولا شاة ولا بعيرا) اى وانما ترك ما في التمسك به نجاة الثقلين والفوز بسعادة الكونين وهو الكتاب والسنة فمن احد بهما ظفر بكنوز الجنة (وفي حديث عمرو بن الحارث) اخو جويرية من امهات المؤمنين له ولابيه صحبة كما رواه البخاري عنه (ما ترك) اى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما في نسخة (الا سلاحه) بكسر اوله والمراد سيوفه ورماحه وقسيه ودروعه ومغافره وغير ذلك مما علقه الحلبي على البخاري (وبغلته) اى البيضاء وهي دلدل (وارضا جعلها صدقة) الاقرب ان الضمير الى الارض وجعلها صدقة لا ينفي كونها مخلفة عنه بطريق تكلمه عليها لكونه ناظرا لها والانسب عوده الى الجميع والمعنى جعلها بعد موته صدقة كما حقق في حديث نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة ثم الاستثناء مفرغ اى ما ترك شيئا يعتد به الا ما ذكر ونحوه ان ثبت انه ترك غيره (قالت عائشة رضي الله تعالى عنها) كما رواه الشيخان (ولقد مات وما في بيتي) اللام ابتدائية او قسمية والواو حالية اى لهو قد مات او والله لقد مات والحال انه ليس في بيتي (شيء يأكله ذو كبد) بفتح وكسر ويجوز سكونه مع كسر وفتح اى ذو حياة وخص الكبد لانه منبع الدم (الا شطر شعير) لعله نصف صاع وقال الترمذي اى شيء من شعير ثم المختار رفعه على البدلية ويجوز نصبه على الاستثناء (في رف لي) بفتح راء وتشديد فاء خشب يرفع عن الارض في جدار البيت يرقى عليه ما يراد حفظه وهو الرف ايضا وفي الصحاح الرف شبه الطاق وتمام الحديث فاكلت منه حتى طال علي فكلته ففني وهو متفق عليه ثم قالت (وقال لي) اى بلسان الحال (اني عرض علي) بني المفعول وحذف فاعله اجلالا له (ان يجعل لي) بالتذكير والتأنيث اى يصير ويقلب لاجلي (بطحاء مكة) اى حصاها اومسيلها (ذهبا فقلت لا) اى لا اختاره (يا رب) فاختر لي (اجوع يوما) اومنا لا اريد بل اريد ان اجوع يوما اى وقتا (فاصبر) وقدمه لانه مذكر للافتقار اليه وباعث للاتكال عليه ومبالغة في احتقار عرض عروض الدنيا لديه (واشبع يوما) اى وقتا آخر (فاشكر) لاكون مؤمنا كاملا فان الايمان نصفان نصفه صبر ونصفه شكر كما في حديث واليه يشير قوله تعالى ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور وهذا مقام الانبياء والاولياء من ارباب الكمال وهو التربية بنعت الجلال والجمال ثم بين ما يترتب على كل منهما من حسن الحال بقوله (فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك) اى اتذلل

والنجيّ (وادعوك) بما اؤمل لديك (واما اليوم الذى اشبع فيه فاحمدك) اى فاشكرك (واثنى عليك) وصنيعنا فى تفسير الحمد بالشكر اولى من قول الدجى ان العطف تفسيرى فان التأسيس اولى من التأكيد لاسيما ومقام النعمة يقتضى الشكر الموجب للمزيد ومما يؤيده ايضا مارواه الترمذى بلفظ فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذاشبعت شكرتك وحمدتك (وفى حديث آخر) قال الدجى لاادرى من رواه بهذا اللفظ قلت فكان ينبغى ان يذكر من رواه بهذا المعنى ليكون مؤيدا له فى المبنى والحاصل من كلامه ونقل غيره (ان جبريل عليه السلام نزل عليه فقال ان الله يقرئك السلام) اى يسلم عليك وفى القاموس قرأ عليه السلام ابلغه كاقرأه ولايقال اقرأه الا اذا كان السلام مكتوبا وفى الاكمال اقرأته السلام وهو يقرئك السلام بضم الياء رباعيا فاذا قلت يقرأ عليك السلام فيفتح الياء وقيل هما لغتان و بهذا يندفع ماتكلف الدجى بقوله يقال اقرأ فلانا السلام كانه حين يبلغه سلامه يحمله على ان يقرأ السلام ويرده (ويقول) اى الله سبحانه وتعالى (لك) اى اعتبارا واختبارا (أتحب ان اجعل هذه الجبال) من الصفا وابى قبيس وغيرهما مما حوالى مكة واطرافها اوجنس هذه الجبال بانواعها واصنافها (ذهبا وتكون) اى جبال الذهب (معك حيثما كنت) اى من جهة الشرق والغرب ومابينهما وما مزيدة للتأكيد (فاطرق ساعة) اى خفض رأسه تأدبا وتفكرا مع سكوته انتظارا لما يلهمه ربه عن الخيرة كما ورد فى دعائه اللهم خرلى واخترلى ولاتكلنى الى اختيارى (ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لادار له ومال من مال له) اى فى المآل (قد) للتقليل (يجمعها) اى يريد جمعها (من لاعقل له) اى لقلة معرفته بحقيقة الدنيا من سرعة فنائها وكثرة عنائها وقلة غنائها وخسة شركائها ولمنافاتها للآخرة باعتبار درجاتها (فقال له جبريل ثبتك الله يامحمد بالقول الثابت) الجملة دعائية اوخبرية والمراد ههنا بالقول الثابت هوالحق المطلق المحقق وان ورد فى التنزيل فى جواب المؤمن للملكين فى القبر حيث قال تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة مع ان العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب فقول الدجى فى هذا المقام اى ادامك على قول لا اله الا الله لايناسب المرام كما لايخفى على الكرام فى الحديث برهان على امكان قلب الاعيان هذا وقد رواه احمد الدنيا دار من لادار له قد يجمعها من لاعقل له والبيهقى ولفظه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لجبريل يوما ما امسى لآل محمد كفة سويق ولاسفة دقيق فاتاه اسرافيل فقال ان الله تعالى سمع ماذكرت فبعثنى اليك بمفاتيح الارض وامرنى ان اعرض عليك ان احببت ان اسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت وفى رواية لاحمد والله لوشئت لاجرى الله معى جبال الذهب والفضة ولابن سعد وكذا لابن عساكر لوشئت لسارت معى جبال الذهب وللطبرانى لوسألت الله ان يجعل لى تهامة كلها ذهبا لفعل (وعن عائشة) كما رواه الشيخان (قالت ان) قال الانطاكى ان كلمة تأكيد بمعنى قد واللام للتأكيد ايضا وقيل ان نفى واللام استثناء والاظهر الاشهر ان ان مخففة من المثقلة وقد روى انا (كنا آل محمد) يجوز رفعه على البدل من المضمر ونصبه على الاختصاص والثانى اظهر (لنمكث شهرا) اى قدره (مانستوقد نارا ان هو) اى ماقوتنا (الا التمر والماء) وفى رواية الاالاسودان (وعن عبد الرحمن بن عوف) على مارواه الترمذى والبزار بسند جيد (هلك) واعترض بان الصواب نحو توفى وقبض لان الهلاك اكثره فى العذاب وفى موت الكفار ويمكن دفعه بانه قال تعالى حكاية عن مؤمن آل فرعون ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به حتى اذا هلك وفى نسخة قال هلك اى مات (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يشبع هو واهل بيته من خبز الشعير) اى فضلا عن خبز البر فلا عبرة بمايتوهم من قيده باعتبار مفهومه من حصول شبعه من غيره (وعن عائشة وابى امامة وابن عباس نحوه) اى معناه مع اختلاف مبناه (قال ابن عباس) كما روى ابن ماجه والترمذى وصححه (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يبيت هوواهله الليالى المتتابعة) اى فيها بايامها (طاويا) حال منه لانه الاصل والاعلى اومن اهله فهو بالاولى (لايجدون) اى اهله وهو واهله (عشاء) وهوتأكيد لما قبله ولعل الاقتصار على العشاء للايماء بانه الاهم من الغداء (وعن انس) برواية البخارى (قال ما اكل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على خوان) بكسر اوله ويضم اى مائدة اوهومايؤكل عليه من نحو كرسى على عادة المترفهين لئلا يفتقروا الى الانحناء حال اكلهم وسئل قتادة على م كانوا يأكلون يعنى الصحابة قال على السفر (ولا فى سكرجة) بضم الثلاثة وتشديد الراء وجوز فيها الفتحة اناء صغير يؤكل فيه القليل من الادم فارسى معرب واكثر مايوضع فيه وامثاله مايعتاده المترفهون من احضار المخللات ونحوها من المهضمات والمرغبات فى اطراف المأكولات (ولاخبزله) بصيغة المجهول الماضى (مرقق) بصيغة المفعول اى ارغفة واسعة رقيقة وتسمى الرقاق كطويل وطوال وقيل اللين الابيض المسمى بالحوارى (ولاروى شاة سميطا قط) فعيل بمعنى مفعول اى مسموطا

عن مشروعا مستفاده من الغالب سحقها بان يبرح صوفها بالماء بعد سحقها من العاد ورائحة واخراج ماني بطنها من النجاسات والاحرام في اصح الروايات وكذا حكم الرؤس والدسما جات والسمك لايحسن الاني صدر الدم (وعن عائشة رضي الله تعالى عنها) رواية الصحيحين (انما كان فراشه صلى الله تعالى عليه وسلم) اى الخاص كما يفيد تقولها (الذي ينام عليه ادما) بفتحتين اى جلدا مدبوغا وقيل الاحمر وقال الجوهري جلدا اسود (حشوه ليف) بكسر اللام اسول سعف النخل (وعن حفصة رضي الله تعالى عنها) اى ام المؤمنين كما في اسئلة الترمذي (كان فراش النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في بيتي) اى مكان المنسوب الى ووقع في اصل اد على بانه في بيته وصحح الاصابه بانه في اللائقه واما الكلام في ثبوت الرواية (مسحا) بكسر الميم بلاس من شعر ابيض وقيل من شعر اسود (نثنيه) بكسر النون المخففة اى نطويه (ثنيتين) بكسر المثلثة اى نصفين اوطيتين وفي نسخة ثنى بالتذكير على المصدر وفي اخرى ثنيا اى مرتين (فينام عليه) وهذا من دأبه وعادته في كل وقته (فلما كان ذات ليلة قلت لو ثنيته باربع) اى اربع طاقات والباء من باب الزيادة وبات عليه من غير سعوده اشارة به لاستغراقه في شهود نوره ووجود حضوره (فلما اصبح قال ما فرشتم لى الليلة) استفهام انكاري او استعلام (فذكرنا ذلك له) اى بيته ارنما لوجب له راحة وغنا (فقال ردوه لحاله) اى على وفق عادتي (فانه منعتني وطأته) بمعنى المستهة صلاتي) اى لينه معني كمال حضوري في طاعتي اوسعتني من القيام لصلاتي وورائي (وكانت) كما رواه احمد والترمذي وابن ماجه (ينام احيانا) اى في بعض الاوقات (على سرير مرمول بشريط) اى منسوج بحبل مفتول من سعف (حتى يؤثر) اى يظهر اثر خيوط الشريط (في جنبه) لكونه يرقد عليه من غير حائل بينه وبينه قيل حتى ابتدائية والصيغة المضارعة حكاية الحال الماضية وقيل مرادفة لكي التعليلية والاول اظهر (وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت لم يمتلئ) بهمز هو الصحيح وفي نسخة بلام مهزة ولعل وجهها التصحيف المسهل ثم مبنية بما له الفاعل اى ما امتلأ (جوف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شبعا) بكسر ففتح وقد يسكن وقيل الاول نقيض الجوع والثاني ما اشبع من الشئ فالمعول هو الاول اذ نصبه على التمييز فتأمل (قط) اى ابدا ولعل مرادها غالب احواله او بمعنى طاعم مناسب لكماله (ولم يبث) بضم موحدة وتشديد مثلثة او بضم اوله وكسر ثانيه اى لم ينشر ولم يظهر (شكوى) اى شكاية ولا طرق حكاية في جميع حالاته (الى احد) من اصحابه وزوجاته لقوله تعالى في حق آبائه حكاية عن يعقوب في صدد ما ابتلاه قال انما اشكو بثي وحزني الى الله (وكانت الفاقة) اى الحاجة الملازمة من الفقر المقتضي للصبر (احب اليه من الغنى) المقتضي للشكر وهذا صريح في تفضيل الصبر على الشكر كما ذهب اليه الجلاء الصوفية واكثر علماء الفقهاء هذا وقد وردا و تعلمون ما لكم عند الله لاحببتم ان تزدادوا فاقة وحاجة على ما رواه الترمذي عن فضالة بن عبيد (وان) مخففة من المثقلة اى وانه (كان ليظل) بفتح الظاء المعجمة وتشديد اللام اى يكون في طول النهار (جائعا) بهمزة مكسورة (يلتوي) اى حال كونه ينقلب و يضطرب (طول ليلة من الجوع) اى من استمرار جوعه او من اجل حرارة لذعه ولذا ورد اللهم اني اعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع كما رواه الحاكم في مستدركه عن ابي مسعود مرفوعا وهذا كله لكمال زهده في الدنيا واقباله على الاخرى بناء على رضى المولى (فلا يمنعه) اى جوعه (صيام يوم) اى الذي قبله ولو كان نفلا او صيام يوم عادة في مستقبله وهذا بيان لبعض شدة حاله (ولو شاء) اى الغنى وما يترتب عليه من التنعم وحصول المنى ووصول الهدى (سأل ربه جميع كنوز الارض) اى اسند عاء لا شيئا وقد عرضها عليه مولاه (وثمارها) جمع ثمرة وهو الاشهر في المبنى و خيرها وهو الاظهر في المعنى اى جميع ثمرها ونثارها او جميع فوائدها وعوائد فرائدها (ورغد) والرغد بفتح وتسكين على ما في القاموس (عيشها) اى سعة معيشتها وطيب مسرتها (ولقد كنت ابكي له رحمة مما ارى به وامسح بيدي على بطنه مما به من الجوع) اى من اثر جوعه المحسوس به وهذا يدل على انه كان يطعم اهله ويؤثرهم على نفسه (واقول) في الحال اى اقول حين شد (نفسي لك الفداء) بالمد تماد بما به من الم الجوع وشدته ومرارة حرارته (لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك) بضم قاف اى لو توسعت من البلغة وتوصلت الى المعيشة بقدر ما يقويك على قيام الطاعة ويمسك على زيادة العبادة لكان اولى ثم في هذه الجملة جواب او مقدر وما قدرناه احسن من التقدير المشهور وهو لكان احسن و يجوز ان يكون لو للتمني وتشير الى ما اخترناه ما صدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من الجواب الدال على ان ما اخترناه هو الصواب (فيقول يا عائشة مالي وللدنيا) استفهام بمعنى الانكار به اى لا حاجة لى اليها ولا اقبال لى عليها قال الطيبي قيل يجوز ان يكون ما استفهامية و نفيه اى اية محبة لى معها حتى ارغب فيها وقيل يجوز ان يكون نافية اى ليس لى الفة الى الآخرة انتهى ثم بين سبب اعراضه عنها بقوله (اخواني من اولى امره

من الرسل) اى كلهم واجلهم (صبروا على ماهو) اى على امر عظيم هو (اشد من هذا) اى مما انا صابر عليه لما روى ان بعضهم مات من الجوع وبعضهم من شدة اذى القمل وبعضهم من كثرة الجراحات وشدة الامراض والعاهات وقد خصنى الله تعالى فيما حثنى وحضنى على الاقتداء بهم بقوله سبحانه وتعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم وفيه ايماء الى ان العبرة فى الكتاب والسنة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (فمضوا على حالهم) اى التى كانوا عليها مما يقتضى الصبر ولم يطلبوا من ربهم السعة ولا دفع المضرة نظرا الى كمال حسن مآلهم (فقدموا على ربهم) راضين بقضائه صابرين على بلائه شاكرين على نعمائه (فاكرم مآبهم) اى مرجعهم اليه (واجزل) اى اعظم (ثوابهم) لديه (فاجدنى استحيى) بياءين وفى نسخة بياء واحدة اى فارى نفسى مستحيية (ان ترفهت) اى او تنعمت (فى معيشتى ان يقصربى) بتشديد الصاد المفتوحة (غدا دونهم) اى دون مرتبتهم وتحت درجتهم وهمتى ان اكون فوق جانبهم (وما من شئ هو احب الى من اللحوق باخوانى) اى فى الجملة (واخلائى) اى احبائى فى الملة (قالت فاقام) اى فى الدنيا (بعد) بضم اى بعد قوله ذلك (الا شهرا حتى توفى صلى الله تعالى عليه وسلم) غاية لاقامته اى الى ان مات وانتقل الى رحمة ربه وهذا يدل على اختياره الفقر فى جميع امره الى آخر عمره قال الدلجى رحمه الله تعالى لم ادر من روى هذا الحديث لكن روى ابن ابى حاتم فى تفسيره عنها قالت ظل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صائما ثم طواه ثم ظل صائما قال ياعائشة ان الدنيا لا تنبغى لمحمد ولا لآل محمد ياعائشة ان الله تعالى لم يرض من اولى العزم من الرسل الا بالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ولم يرض منى الا ان يكلفنى ماكلفهم فقال اصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وانى والله لاصبرن كما صبروا جهدى ولا قوة الا بالله قال التلمسانى هنا مسئلة وهى من قال مالى صدقة على اعقل الناس فافتى الفقهاء على انه يعطى الزهاد لان العاقل من طلق الدنيا وانشدوا

(طلق الدنيا ثلاثا * واطلبن زوجا سواها)

(انها زوجة سوء * لا تبالى من اتاها)

(انت تعطيها مناها * وهى تعطيك قفاها)

(فاذا نالت مناها * منك ولتك وراها)

(فصل) اى ثالث (واما خوفه ربه) معمول للمصدر المضاف الى فاعله وفى نسخة من ربه (وطاعته له) اى كمال انقياده فى جميع حالاته (وشدة عبادته) اى كمية وكيفية (فعلى قدر علمه بربه) اى بمقدار معرفته بعظمته (ولذلك) اى لكون ماذكر على قدر علمه (قال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فيما حدثناه) اى فى جملة مارواه لنا (ابو محمد ابن عتاب) بتشديد التاء الفوقية (قراءة منى) اى من بين اقرانى (عليه) ففيه دلالة على تسوية اطلاق الحديث على القراءة والسماع (قال ثنا) اى حدثنا (ابو القاسم الطرابلسى) بضم الموحدة واللام (ثنا ابو الحسن القابسى) بكسر الموحدة (ثنا ابو زيد المروزى ثنا ابو عبدالله الفربرى) بكسر ففتح فسكون (ثنا محمد بن اسمعيل) اى البخارى صاحب الصحيح (ثنا يحيى بن بكير) بالتصغير روى عن مالك والليث قال ابو حاتم لا يحتج به وضعفه النسائى قال الذهبى كان ثقة واسع العلم وذكر فى الميزان انه وثقه غير واحد قال الحلبى كيف لا وقد احتج به البخارى وروى عنه (عن الليث) اى ابن سعد عالم اهل عصره روى عن عطاء وابن ابى مليكة ونافع قال ابو نعيم فى الحلية ادرك نيفا وخمسين رجلا من التابعين وعنه قتيبة وخلق وكان نظير مالك فى العلم وقال الشافعى الليث افقه من مالك ولكن اضاعه اصحابه وقيل كان دخله فى السنة ثمانين الف دينار فما وجبت عليه زكاة وقد حج واهدى اليه مالك طبقا فيه رطب فرد اليه على الطبق الف دينار واخرج ابو نعيم عن لؤلؤ خادم الرشيد قال جرى بين الرشيد وبين بنت عمه زبيدة بنت جعفر كلام فقال لها هرون انت طالق ان لم اكن من اهل الجنة ثم ندم فجمع الفقهاء فاختلفوا ثم كتب الى البلدان فاستحضر علماءها اليه فلما اجتمعوا جلس لهم فسألهم فاختلفوا وبقى شيخ لم يتكلم وكان فى آخر المجلس فسأله فقال اذا خلا امير المؤمنين فى مجلسه كلمته فصرفهم فقال يدنينى امير المؤمنين فادناه فقال اتكلم على الامان قال نعم فامر باحضار مصحف فاحضر فقال تصفحه يا امير المؤمنين حتى تصل الى سورة الرحمن فاقرأها ففعل فلما انتهى الى قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان قال امسك يا امير المؤمنين قل والله فاشتد ذلك على هرون فقال يا امير المؤمنين الشرط املك فقال والله حتى فرغ من اليمين قال قل انى اخاف مقام ربى فقال ذلك فقال يا امير المؤمنين فهى جنتان وليست بجنة واحدة قال فسمعنا التصفيق والفرح من وراء الستر فقال الرشيد احسنت والله وامر له بالجوائز والخلع وامر له باقطاع وان لا يتصرف واحد بمصر الا بامره وصرفه مكرما

وقد ذكروا في ترجمته انه كان لايتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلاثمائة وستين مسكيناعدد ايام السنة (عن عقيل) بضم مهملة وفتح قاف وهو ابن خالد الايلي اخرج له الائمة الستة (عن ابن شهاب) هو الزهري (عن سعيد بن المسيب) بفتح التحتية المشددة وتكسر وهو من اجلاء التابعين وساداتهم (ان اباهريرة كان يقول) يدل على تكرر سماعه لهذا الحديث منه (قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) اخرجه البخاري في الدقائق وروى احمد والبخاري ايضا ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه عن انس وزاد الحكم عن ابي ذر ولماساغ لكم الطعام ولا الشراب رواه الطبراني والحاكم والبيهقي عن ابي الدرداء بزيادة ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله تعالى لاتدرون تنجون اولاتنجون (زاد) اي شيخنا السابق اوبعض مشايخنا وقد اخطأ الدلجي بقوله اي زاد ابوهريرة اوالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لانه يصير التقدير ان احدهما زاد في روايتنا عن ابي عيسى رفعه الى ابي ذر وخطأه لايخفى على من له ذرة من العقل الذي يدرك مراتب النقل (في روايتنا) اي من طريق قراءتنا (عن ابي عيسى الترمذي) اي صاحب السنن (رفعه) اي الترمذي اسناده اوحديثه (الى ابي ذر) اي في قوله مرفوعا كما صرح به الترمذي في الزهد وقال حسن غريب ويروى عن ابي ذر موقوفا واخرج ابن ماجه فيه نحوه ورواه محمد بن حميد الرازي ورفعه ايضا (اني ارى ما لاترون) اي أبصر مالاتبصرون من عجائب الملكوت (واسمع مالاتسمعون) اي من غرائب اخبار عالم الجبروت (اطت السماء) بتشديد الطاء اي صوتت (وحق لها) بصيغة المجهول اي وينبغي لها (ان تئط) لكثرة ماعليها من الملائكة فكانهم اثقلوها كثرة وقوة حتى اطت كالقتب وهو تمثيل للتلويح بكثرتها وان لم يكن ثم اطيط لها تقريرا لعظمة خالقها ومنه حديث العرش على منكب اسرافيل وانه ليئط اطيط الرحل الجديد بعظمته وتجرد عن حمله اذ من المعلوم ان اطيط الرحل وهو الكور براكبه انما يكون لقوة مافوقه من ثقله (مافيها موضع اربع اصابع) ظرف مستقر لاعتماده على حرف النفي (الاوملك) حال من فاعل الظرف وهوموضع اي الاوفيه ملك (واضع) بالتنوين (جبهته) اي جبينه (ساجدالله) حال من الضمير قبله (والله لو تعلمون ما اعلم) اي من شدائد الاحوال وعظائم الاهوال (لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) جواب القسم الساد مسد جواب لو وفيه مقابلة الضحك والقلة للبكاء والكثرة ووقع هنا للدلجي خبط وعدم ربط وتقديم وتأخير لايليق بضبط الكتاب ولا بحديث الباب لابد من اصلاحه على نهج الصواب (وما تلذذتم بالنساء على الفرش) بضمتين جمع فراش فهو من قبيل مقابلة الجمع بالجمع (ولخرجتم الى الصعدات) بضمتين جمع صعيد اي الطرقات (تجأرون) اي حال كونكم ترفعون اصواتكم وتستغيثون وتتضرعون في جميع حالاتكم (الى الله لوددت اني) بكسر الدال الاولى اي لاحببت وتمنيت ووقع في اصل الدلجي زيادة الواو قبل وفي رواية لبتني (شجرة تعضد) بصيغة المجهول اي تقطع (روى) استئناف بصيغة المجهول اي نقل (هذا الكلام) اي بخصوصه مما سبق من المرام وهو قوله وددت اني شجرة تعضد (من قول ابي ذر نفسه) اي موقوفا عليه من غير رفعه (وهو) اي اسناده الموقوف (اصح) اي من اسناده المرفوع قال الحلبي ولما وقفت على قوله وددت الى آخره من زمن طويل قطعت بان هذا ليس من كلام النبوة ثم رأيت بعض الحفظ المتأخرين من مشايخ مشايخي في اربعين له قال انه مدرج ثم رأيت كلام القاضي انه من قول ابي ذر وهو اصح وهذه العبارة ماهي بخالصة والذي ذكره بعض مشايخ مشايخي من انه مدرج هو الصواب فيما يظهر لي انتهى وقد تصحف قوله وهو اصح على الدلجي بما وقع له في اصله وهو واضح زيادة واو ونقطة صاد يعني وهو ظاهر ثم بينه بقوله اي من حيث انه اشبه بكلامه والبق بحاله مع كونه صلى الله تعالى عليه وسلم اعلم بمكانته عند ربه وانزه من ان يتمنى عليه دون ما اعطاه انتهى ولايخفى ان الكلام في صحة الرواية والا فلايخفى وجه ظهور الدراية لان مثل هذا الكلام انما ينشأ عن غلبة الخوف من مشاهدة الله بوصف عظمته ومطالعة نعت سخطه المقتضي لعقوبته الجائزة من حيث العقل الصادق للنقل انه سبحانه وتعالى لوعذب اهل سمواته وارضه يكون عادلا في قضائه وحكمه اذلا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فمن نظر الى نعوت الجمال حصل له البسط في الحال والمقال ومن طالع صفات الجلال وقع في قبض الحال وضيق البال والكلال وبهذا يجمع بين قول بعضهم من عرف الله طال لسانه وقول آخرين من عرف الله كل لسانه هذا وقد ذكر الحافظ ابونعيم في الحلية ان عمر رضي الله تعالى عنه مر برجل من المنافقين جالس والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يصلي فقال له الم تصل مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له مر الى عملك فذكر ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى في السموات السبع ملائكة يصلون له غني عن صلاة فلان قال عمر ما صلاتهم يانبي الله قال فلم يرد عليه شيئا فاتاه جبريل عليه السلام فقال يانبي الله سألك عمر عن غنى صلاة فلان فقال اقرأ على عمر السلام

واخبره بان اهل السماء الدنيا سجود الى يوم القيمة يقولون سجان ذى الملك والملكوت واهل السماء الثانية ركع الى يوم القيمة يقولون سجان ذى العزة والجبروت واهل السماء الثالثة قيام الى يوم القيمة يقولون سجان الحى الذى لايموت انتهى وفى آخر الحديث مافيهاموضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدالله (وفى حديث المغيرة) اى ابن شعبة كما رواه الشيخان وغيرهما عنه وهو من دهاة العرب وكذا زياد بن ابى سفيان وعمرو بن العاص ومعاوية ابن ابى سفيان قال ابن وضاح احصن المغيرة فى الاسلام الف امرأة (صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى من كثرة صلاة الليل (حتى انتفخت قدماه) اى تورمت قال ابن مرزوق انما ذلك من طول القيام فتنصب المواد الى الاسافل فتستقر فى القدم فيرم لذلك وينتفخ وذلك لبعده من حرارة القلب قيل كان يصلى الليل كله حتى تورمت قدماه من طول القيام فانزل الله عليه من القرآن ماخفف به عليه وعلى من تبعه وهو قوله ان ربك يعلم انك تقوم ادنى وكذا قوله طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى (وفى رواية) اى لهما عنه (كان يصلى) اى النبى صلى الله عليه وسلم (حتى ترم قدماه) على زنة تعد مضارع ورم كورث بمعنى تورمت كما فى رواية واما تشديد الميم على ما فى بعض النسخ فخطأ فاحش والعدول عن الماضى لحكاية الحال الماضية كقولهم مرض حتى لايرجونه فالظاهر انه مرفوع ومنه قوله سبحانه وتعالى حتى يقول الرسول بالرفع على قرآءة نافع (فقيل له اتكلف هذا) بحذف احدى التائين وتشديد اللام اى اتتحمل هذا التحمل وجوز الدلجى كونه من كلف بكسر اللام ومنه حديث انى اراك كلفت بعلم القرآن وحديث كلفوا من العمل ما تطيقون لكنه غير موافق لما فى القاموس فانه قال كلف كفرح اولع وهو مناسب للحديث الاول ثم قال واكلفه غيره وهو الملايم للحديث الثانى اى كلفوا انفسكم اوغيركم ماتطيقون من اعمالكم ثم قال صاحب القاموس وتكلفه تجشمه والتكلف المتعرض لمالايعنيه انتهى ولايخفى ان هذا المبنى هو المناسب فى المعنى الوارد هنا بالجملة الحالية بقوله (وقد غفر لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر) كما اخبر الله سبحانه وتعالى فى سورة الفتح بقوله ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر وفى عطف ماتأخر اعتناء عظيم فتدبر وحاصله انك معصوم من ارتكاب الذنب المتعارف ولو فرض ان يقع منك مالايليق بمقامك فان حسنات الابرار سيئات الاحرار فانه مغفور عنك ثم لما كان الغالب ان كثرة العبادة تنشأ عن غلبة خوف العقوبة (قال افلا اكون عبدا شكورا) على ما انعم على من المغفرة وجاء الحديث طبق الآية فى مدح نوح عليه الصلاة والسلام انه كان عبدا شكورا وفى ذكر العبد ايماء الى انه لابدله من القيام بوظائف العبودية ومبالغة فى اداء شكر حقوق الربوبية (ونحوه) اى مثله فى المعنى مع اختلاف يسير فى المبنى (عن ابى سلمة وابى هريرة) كذا فى النسخ بالعطف والظاهر تكرار عن لما فى الشمائل للترمذى باسناده بلفظ عن ابى سلمة عن ابى هريرة وابو سلمة هذا تابعى جليل احد الفقهاء السبعة وهو ابن عبدالرحمن بن عوف الزهرى احد العشرة ويحتمل ان يكون فى ذلك حديث لابى سلمة الصحابى موقوفا اومرفوعا والله اعلم (وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها) اى فيما رواه الشيخان (كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة) بكسر الدال اى دائما باعتبار الغلبة فلاينافى تركه على سبيل الندرة وما الطف عبارتها بقولها ديمة فانها فى الاصل المطر الدائم فلايبعد ان يجعل من التشبيه البليغ مع قصدها المبالغة فى عموم الفائدة (وايكم يطيق ما كان يطيق) اى لما كان له من قوة النبوة الموجبة للمداومة (وقالت) اى فيما رويناه عنها ايضا (كان يصوم حتى نقول) بالنصب وروى بالرفع كما سبق وروى بالوجهين مخاطبا والمعنى حتى نظن (لايفطر ويفطر حتى نقول لايصوم ونحوه عن ابن عباس وام سلمة) وهى آخر امهات المؤمنين توفيت فى امارة يزيد (وانس وقال) اى كل منهم رضى الله تعالى عنهم لاانس وحده كما اقتصر عليه الانطاكى لكونه اقرب مبنى فان الجمع انسب معنى (كنت) ايها المخاطب (لاتشاء ان تراه مصليا الا رأيته مصليا ولانائما) اى ولاتشاء ان تراه نائما (الا رأيته نائما) لما ورد عنه اما انا فاصلى وانام واصوم وافطر (وقال عوف بن مالك) وهو من اكابر الصحابة وقد روى عنه ابوداود والنسائى والترمذى (كنت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة) ولعله كان فى السفر (فاستاك) اى اول ماستيقظ (ثم توضأ) والظاهر انه اكتفى بالاستياك الاول (ثم قام يصلى) اى التهجد (فقمت معه) يحتمل مقتديا ومتابعا (فبدأ) اى القراءة (فاستفتح البقرة) اى بعد الفاتحة لكونها كقد منها اولبيان الجوز بترك قراءتها (فلايمر بآية رحمة الاوقف) اى فى موقفها (فسأل) اى الله الرحمة (ولايمر بآية عذاب الاوقف فتعوذ) اى التجأ من العقوبة لكونه واقفا بين مقامى الخوف والرجاء ووصفى الفناء والبقاء وملاحظا نعتى الجلال والجمال كما هو حال اهل الكمال (ثم ركع فمكث) بضم الكاف وفتحها اى لبث فيه (بقدر قيامه يقول سبحان ذى الجبروت) فعلوت للمبالغة من الجبر بمعنى القهر والغلبة فانه هو القاهر فوق عباده (والملكوت) مبالغة الملك او باطنه كما ان الملك ظاهره وهذا المعنى متعين عند الجمع بينهما (والكبرياء) اى العظمة

المناسب ذكرها في الركوع ولذا لما نزل قوله سبحانه وتعالى فسبح باسم ربك العظيم قال اجعلوها في ركوعكم يعني قولوا فيه سبحان ربي العظيم (ثم سجد) اي سجودا طويلا كما هو الظاهر (وقال مثل ذلك) اي لطيبه او لمعنيه لتحول معنى الكبرياء وصفة العلاء الملائم ذكره في السجود لانه لما نزل قوله سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم اي قولوا سبحان ربي الاعلى (ثم قرأ آل عمران) اي في ثالث الركعة ايضا او في اخرى وهو الظاهر لقوله (ثم سورة سورة) اي ثم قرأ في كل ركعة سورة (يفعل مثل ذلك) اي من تطويل الركوع والسجود والتسبيح المذكور وغير ذلك (وعن حذيفة مثله) اي مثل حديث عوف كما في مسلم (وقال) اي زيادة على تلك الرواية مع احتمال الاطلاع على غير تلك الحالة (سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه) اي قريبا من طوله (وقال) اي حذيفة (حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة) اي في ركعة والظاهر في اربع ركعات بتسليمة او تسليمتين (وعن عائشة) اي برواية الترمذي (قالت قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بآية من القرآن) وهي ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم اقتداء بعيسى عليه الصلاة والسلام في الكلام وايماء الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم يريد المغفرة والرحمة ورفع العقوبة عن جميع امة الاجابة مع التسليم تحت الارادة وانما كررها للتدبر في معناها وما يتعلق بمبناها من آثار القدرة واسرار العزة وانوار الحكمة (ليلة) اي في ليلة من الليالي وهو يحتمل كلها او بعضها والاظهر اكثرها وظاهر القيام ان تكرارها كان في الصلاة حال الوقوف واما مارواه احمد والنسائي بسند صحيح عن ابي ذر انه قام حتى اصبح بآية ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فلا يدل على احياء الليل كله لانه لم يكن من دأبه فيحتمل انه قام من الليل اوقام لصلاة التهجد حتى اصبح (وعن عبد الله بن الشخير) بكسر شين وخاء مشددة معجمتين صحابي نزل البصرة وادرك الجاهلية والاسلام فهو مخضرم كما روى ابو داود والترمذي والنسائي عنه (رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يصلي) جملة حالية (ولجوفه) اي صدره (أزيز) بكسر الزاي الاولى اي حنين من البكاء ويراد به هنا الخنين بالخاء المعجمة وهو البكاء مع شنة وانتشاق الصوت من الانف (كأزيز المرجل) اي كغليانه وهو بكسر ميم وفتح جيم قدر من نحاس على ما في الصحاح وسمي به لانه اذا نصب كأنه اقيم على رجله (وقال ابن ابي هالة) وهو هند ربيبه عليه الصلاة والسلام من خديجة (كان متواصل الاحزان) اي متتابعها لانه يشد آلد الاحوال وموارد الاهوال حالا ومآلا ولكونه في سجنه سبحانه اقتضى احزانه وما احسن قول ابن عطاء مادمت في هذه الدار لا تستغرب وقوع الاكدار واما ماورد من قوله اعوذ بك من الحزن فمحمول على حزن يتعلق بالدنيا كما قال سبحانه وتعالى لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم (دائم الفكر) اي في عاقبة الامر (ليست له راحة) اي تامة بما كلف من تحمل اعباء الرسالة ومن وظائف العبادة وقد بسطت تحقيق هذه الاحاديث كلها باعتبار مبناها ومعناها في جمع الوسائل لشرح الشمائل (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) اي فيما رواه مسلم وغيره (اني لاستغفر الله) اي اطلب مغفرته واسئل رحمته (في اليوم) اي الواحد بل ورد عنه في المجلس الواحد (مائة مرة) اي بلفظ استغفر الله او زيادة الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه او بلفظ رب اغفرلي وتب علي انك انت التواب الرحيم (وروي) كما في البخاري والترمذي (سبعين مرة) وكل منهما يحتمل التحديد والتكثير وكأنه صلى الله تعالى عليه وسلم عد اشتغاله بدعوة الامة ومحاربة الكفرة وتألف المؤلفة ومعاشرة الاهل والعشيرة ومباشرة الاكل والشرب وسائر ضرورات المعيشة مما يحجزه عن كمال الحضور وظهور نور السرور الحاصل من مراقبته ومشاهدته ولهذا المعنى لما سئل الشبلي عن سبب سد باب افادته فقال لان اكون طرفة عين مع رب العالمين خير عندي من علوم الاولين والآخرين وقد قال الغزالي صيعت قطعة من العمر العزيز في تصنيف البسيط والوسيط والوجيز مع ان الاخير هو خلاصة مذهب الامام الشافعي من طريق النووي والرافعي وهذا بالنسبة الى خباس ما ظهر لنا من احوالنا والا فالامر كما روى عن الاصمعي في حديث انه ليغان على قلبي واني لاستغفر ربي من انه لو صدر هذا على قلب غيره صلى الله تعالى عليه وسلم لفسرته ولله دراده حيث عظم قلب حبيب ربه الذي هو مهبط وحيه (وعن علي رضي الله تعالى عنه قال سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن سنته) اي طريقته المبنية على شريعته وحقيقته (فقال المعرفة رأس مالي) لانها المقصودة من اصل الخلقة قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون قال ابن عباس اي ليعرفون (والعقل اصل ديني) اي بناء مذهبه ومحل اعتباره (والحب اساسي) اي اسس قلبي في حضوري مع ربي (والشوق مركبي) لان صاحب الشوق وطالب الذوق في سلوك الطالب بي وما قدمها منه ضعيفا في منازل السائرين (وذكر الله انيسي) اي مؤنسي وسبب لان يكون جليسي لحديث انا انيس من ذكرني وجليس من ذكرني وفي نسخة انسي بضم فسكون (والثقة) اي بالله كما في رواية يعني ان الاعتماد على ربي

(كنزى) لمـا ورد القناعة كنز لايفنى ولما يشير اليه قوله سبحانه وتعالى ماعندكم ينفد وماعند الله باق (والحزن رفيقى) حيث انه لاينفك عن قلبى لماسبق من انه كان متواصل الاحزان ولحديث ان الله يحب قلب كل حزين (والعلم سلاحى) لانى احارب به عدوى من نفسى وشيطانى وادفع عنى به كيدا خوانى (والصبر ردآئى) اى موضع تحملى ومحل تجملى وسبب رفعتى وكبريائى (والرضى) بالقصر مصدر وفى نسخة بالمد على انه اسم (غنيمتى) لانه مغتنم فى جمع مايجرى من القضاء ولذا قيل الرضى بالقضاء باب الله الاعظم وقد قال تعالى ورضوان من الله اكبر وفيه ايماء بان رضى الله والعبد مثلا زمان لايتصور انهما ينفكان (والعجز فخرى) اى افتخر باظهار العجز والافتقار فى مرتبة العبودية الى الاحتياج للقدرة والقوة الربوبية كما يشير اليه قوله تعالى والله الغنى وانتم الفقرآء ولعل هذا هو وجه ما وقع فى نسخة من لفظ الفقر بدل العجز وان قال ابن تيمية ان حديث الفقر فخرى كذب وقال العسقلانى انه باطل فان الحكم بوضعه انما هو باعتبار ماوصل من سنده لامن حيث مبناه المطابق معناه لما ورد فى كتاب الله ولا يبعد ان يكون هذا من على كرم الله وجهه موقوفا بمضمون ماسمعه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فى بعض احوال متفرقة مرفوعا (والزهد حرفتى) يعنى ان ارباب الدنيا لاجل تمتعها وانتفاعها كل احد يتعلق بحرفة من حرفها لتحصيل طرف من طرفها وانا لقلة ميلى اليها وعدم اقبالى عليها جعلت زهدى عنها كسبى فيها اعتمادا على باريها (واليقين) بجميع مراتبه من علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين (قوتى) اى قوة قلبى فى معرفة ربى وفى نسخة بسكون الواو اى قوت روحى وسبب زيادة فتوحى (والصدق شفيعى) لماقيل من ان الصدق ينجى ولقوله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم (والطاعة حسبى) اى كفايتى فى مرضاة ربى (والجهاد خلقى) بضم وضمتين اى دأبى وعادتى وهو يشمل الجهاد الاكبر والاصغر (وقرة عينى فى الصلاة) اى من جملة عباداتى اومن جملة ما يأتى بناء على ان المراد بالصلاة العبادة المشهورة اوالدعوة المأثورة (وفى حديث آخر) اى برواية اخرى (وثمرة فؤادى) اى نتيجة معارف قلبى (فى ذكره) اى ذكر ربى (وغمى) اى همى الذى يغمنى فى كل حالتى (لاجل امتى وشوقى الى ربى) اى فى نهاية رتبتى فهذه كلمات جامعة معانيها مطابقة لما فى الكتاب والسنة والمصنف ثبت ثقة حجة فحسن الظن به انه ما رواها الا عن بينة وان لم تكن عندنا بينة واما قول الدلجى قال الائمة موضوع يحتمل ان يكون باعتبار بعض افراده بناء على اختلاف اسناده كما بيناه والله اعلم

فصل

اى رابع

(اعلم وفقنا الله واياك ان صفات جميع الانبياء) اى نعوتهم عامة (والرسل) اى خاصة (صلوات الله عليهم) اى كافة (من كمال الخلق) بالفتح وتفسيره قوله (وحسن الصورة وشرف النسب) اى ممايقتضى جمال الحسب (وحسن الخلق) بالضم اى السيرة والسريرة والعشرة مع العشيرة (وجميع المحاسن) اى من الشمائل البهية والفضائل العلية (هى هذه الصفات) اى المتقدم ذكرها فى الفصول الماضية ثم هذه الجملة خبر ان واللام فيه للعهد لاكما توهم الدلجى انها للاستغراق المبين بمن (لانها من صفات الكمال والكمال) بالرفع (والتمام) عطف تفسير كما قال الدلجى الا ان بينهما فرقا دقيقا وهو ان التمام مالايتم الشئ الا به حتى لوفقد يسمى ناقصا والكمال ليس كذلك لانه امر زائد على مقدار التمام فتأمل فى مقام المرام (البشرى) اى المنسوب الى جنس البشر جميعهم (والفضل) اى الامر الزائد على الكمال العرفى (الجميع) مبتدأ خبره (لهم) والجملة خبر لما قبلها من المبتدآت اى من حيث جميعها فيهم لافى غيرهم ومجموعها حاصل لهم فى الجملة بحسب المشاركة وان كانت تختلف حالهم فى مزية المرتبة بل هو المناسب لحال الملك العلوى ولذا لم يقل والكمال والتمام البشريان (اذ رتبتهم اشرف الرتب) اى رتب الموجودات الا ان فى الملائكة خلافا لبعض الائمة اورتب البشر فهو باجماع الامة وهذا فى الدنيا وقوله (ودرجاتهم ارفع الدرجات) اى فى العقبى (ولكن فضل الله بعضهم على بعض) اى فى الدنيا والاخرة (قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) الاشارة الى من يعلمه نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فاللام للعهد وانما لم نقل بالاستغراق لقوله تعالى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك على انه لايبعد انه سبحانه وتعالى اعلم نبيه بجميعهم وان لم يعلمه بقصصهم ثم المراد بالفضيلة هنا هو الامر الزائد على اصل معنى الرسالة لاستوائهم باعتبار تلك الحالة كما يدل عليه بقية الاية منهم من كلم الله اى تفضيلا له كموسى ليلة الحيرة فى الطور وكمحمد ليلة المعراج ولعل تخصيص موسى بقوله وكلم الله موسى تكليما لتكرير تكليمه له اولاختصاصه به بالنسبة الى من تقدم كما يشير اليه قوله تعالى ورفع بعضهم اى على جميعهم لاعلى باقيهم كما قاله الدلجى درجات هو نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم تفضيلا على غيره بمناقب متكاثرة ومراتب متوافرة كالدعوة العامة والفضيلة التامة الجامعة بين الرؤية والمكالمة وبين المحبة والخلة وكالايات الكاملة والمعجزات الظاهرة الشاملة فهو المفرد العلم الاكمل الغنى عن البيان فى هذا المحل

اوهو ابراهيم عليه الصلاة والسلام حيث خص بالخلة التى هى من اعلى مراتب المقام اوادريس عليه الصلاة والسلام رفعه الله مكانا عليا وقيل بقية اولى العزم من الرسل (وقال ولقد اخترناهم) اى بنى اسرائيل (على علم) اى بهم (على العالمين) اى عالمى زمانهم لكثرة الانبياء فيهم والمعنى انا اصطفيناهم عالمين بانهم احقاء باصطفائنا اياهم واذا كان بنوا اسرائيل مصطفين اوجود الانبياء فيهم فبالاولى ثبوت الاصطفاء لهم فتأويلنا هذا الكلام المصنف اولى من قول الدلجى هذا على توهم جعل الضمير للانبياء والحق جعله لبنى اسرائيل قبله (وقد قال عليه الصلاة والسلام) اى كما رواه الشيخان (ان اول زمرة) اى طائفة (يدخلون الجنة) بصيغة المعلوم او المجهول كما قرئ بهما فى السبعة (على صورة القمر) اى فى هيئته من كمال انارته (ليلة البدر) وهى ليلة اربع عشرة سمى بدرا لمبادرته الشمس فى الطلوع او لتمامه فيها (ثم قال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (آخر هذا الحديث) اى فى آخره بعد عد جميع زمره وانما اختصره المصنف لطوله (على خلق رجل واحد) اى كلهم على صورة رجل واحد وهذا على رواية فتح الخاء والاظهر رواية الضم بشهادة رواية اخلاقهم على خلق رجل واحد وبدلالة رواية اخرى لااختلاف بينهم ولا تباغض فى قلوبهم على قلب رجل واحد واغرب الدلجى حيث جعل الرواية الثانية شاهدة لرواية الخلق بالفتح نعم قد رجح الفتح كما قال الحلبى الظاهر قوله (على صورة ابيهم آدم) اى صورة خلقه ولا يبعد ان يكونوا ايضا على سيرة خلقه خلافا للدلجى حيث اقتصر على الاول فتدبر وتأمل (طوله ستون ذراعا فى السماء) اى فى جهتها احترازا من طول عرضه من جهة الارض فقد قيل عرضه سبعة اذرع وقيل التقدير وهو فى السماء (وفى حديث ابى هريرة) كما رواه ايضا (رأيت موسى) اى فى ليلة المعراج او فى المنام او فى بعض المكشوفات (فاذا رجل ضرب) بفتح فسكون اى خفيف اللحم مستدق الجسم على ماذكره الدلجى تبعا للخليل او ما بين الجسمين كما قاله الحلبى وهو الاولى لانه الوصف الاعلى كما ذكره فى الشمائل المصطفى هذا وقد قال ابن قرقول وقع عند الاصيلى بكسر الراء وسكونها معا ولا وجه للكسر كما قاله القاضى وفى حديث آخر مضطرب وهو الطويل غير الشديد وفى صفاته فى كتاب مسلم عن ابن عمر جسيم سبط يحمل على هذا القول الموافق لرواية مضطرب لا على كثرة اللحم وانما جاء جسيم فى صفة الدجال (رجل) بكسر الجيم وروى فتحها اى شعره بين الجعودة والسبوطة (اقنى) اى طويل الانف مع ارتفاع وسطه ودقة ارنبته (كأنه من رجال شنوءة) بفتح معجمة وضم نون فواو وهمزة وقد تبدل فتدغم قبيلة من اليمن ويمكن الوجهان فى قول الشاعر

﴿ نحن قريش وهم شنوءه ۞ بنا قريش ختم النبوه ﴾

(ورأيت عيسى فاذا رجل ربعة) بفتح راء وسكون موحدة وقد تفتح اى بين الطول والقصر وهو لاينافى كونه الى الطول اقرب كما هو انسب على مافى شمائله صلى الله تعالى عليه وسلم (كثير خيلان الوجه) باضافة الكثير اى شامات جمع خال وهو نقطة سوداء تكون فى الجسد ويستحسن قليله فى الوجه (احمر) اى ابيض مائل الى الحمرة على ماحقق فى نعته صلى الله تعالى عليه وسلم هذا وقد اختلف فى صفة عيسى عليه السلام فروى ابو هريرة بان عيسى احمر وقال ابن عمر والله ماقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بان عيسى احمر وانما شبه على الراوى وروى ابن عمر ان عيسى آدم والآدم الاسمر وفى البخارى من طريق مجاهد عن ابن عمر انه احمر فالمراد ماقارب الحمرة والادمة كما قدمنا فانه قد جاء فى شمائله صلى الله تعالى عليه وسلم انه اسمر مع انه جاء ايضا كونه ابيض مشربا بالحمرة فتدبر (كأنما خرج من ديماس) بكسر الدال وبفتح ويؤيد الاول قولهم اصل بقلب ميمه الاولى ياء لكسر ماقبلها فقيل معناه الكن او السرداب كأنه مخدر لم ير شمسا وهو بظاهره لايلايم كونه احمر فالصواب ماجاء مفسرا فى حديث بانه الحمام وفى الحديث رأيته يطوف بالبيت ثم رأيت بعده الدجال يطوف بالبيت واستشكل بانه كيف ذلك وقد حرم الله عليه دخول مكة واجيب بان التحريم مقيد بوقت فتنته او حرمت على جسمه وهذا باعتبار روحه وفيه ايماء الى ان مرجع الكل الى باب المولى وان لايقدر احد ان يخرج عن حكمه تعالى (وفى حديث) لم اعرف من رواه كما قاله الدلجى (مبطن) بتشديد الطاء المهملة المفتوحة اى ضامر البطن وان كان قد يطلق على عظيمه (مثل السيف) اى لاستوائهما واعتدالهما كما ذكره الدلجى وغيره فهو تأكيد والاظهر انه نعت مستقل ومعناه انه مثله ضياء وصفاء وفى الشمائل للترمذى فاذا اقرب من رأيت به شبها عروة بن مسعود وهو ثقفى قتله رجل من ثقيف عند تأذينه بالصلاة (قال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وانا اشبه ولد ابراهيم به) بفتح واو ولام وبضم فسكون اى اولاده من الانبياء (وقال فى حديث آخر) على ما رواه البخارى (فى صفة موسى عليه السلام كاحسن) ووقع فى اصل التلمسانى كاشبه (ما انت راء) بكسر همز من غير ياء اسم فاعل من باب رأى وما موصولة او موصوفة (من ادم الرجال) اى من سمرهم وهو بضم همز وسكون دال مهملة

جمع آدم افعل شديد السمرة قال ابن الاثير الادمة فى الابل البياض مع سواد المقلتين وهى فى الناس السمرة الشديدة وهى من ادمة الارض وهو لونها وبه سمى آدم عليه الصلاة والسلام وقال النضر بن شميل انما قيل لآدم آدم لبياضه وقد استدل بعضهم على ان موسى اسمر بقوله سبحانه وتعالى تخرج بيضاء من غير سوء فدل ذلك على انها خالصة اللون وهذا احسن والله تعالى اعلم (وفى حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) كما رواه ابو يعلى وابن جرير (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم مابعث الله نبيا من بعد لوط الا فى ذروة من قومه) بكسر الذال المعجمة ويروى ثروة فى رفعة اوفى عزة كما فى حديث سعيد بن منصور عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما موقوفا والمعنى فى منعة وحرمة وغلبة ونصرة (ويروى فى ثروة) بفتح المثلثة (اى كثرة) اى توجب غلبة (ومنعة) بفتحتين ويسكن النون اى قوة تمنع المذلة وقيل المنعة بالتحريك جمع مانع اى جماعة يمنعونه ويحمونه من اعدائه هذا والتقييد ببعدية لوط يفيد انه لم يكن فى منعة كما يشير اليه قوله لو ان لى بكم قوة اى بدنيا او آوى الى ركن شديد اى قبيلة قوية واستشكل الدلجى قوله تعالى لليهود فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين ولو كانوا فى منعة لما قتلوا منهم ببيت المقدس فى يوم واحد ثلثمائة نبى انتهى ويمكن دفعه بان منعتهم مقيدة بكونهم فى قبيلتهم والقضية واقعة فى غير محلتهم او المراد بالمنعة ماتعلق به من امر النبوة ومخالفة الامة مع انه قد تكون المغلوبية لارباب المنعة (وحكى الترمذى) بل روى فى الشمائل (عن قتادة) اى مرسلا (ورواه الدارقطنى) وهو الحافظ المشهور امام المحدثين فى زمانه تفقه على الاصطخرى وسمع البغوى وروى عنه الحاكم وغيره منسوب الى دار قطن محلة ببغداد (من حديث قتادة عن انس رضى الله تعالى عنه) اى موقوفا (مابعث الله نبيا الا حسن الوجه) فحسن الوجه يدل على معروف صاحبه كما قيل الظاهر عنوان الباطن وقد انشد

﴿ يدل على معروفه حسن وجهه * ومازال حسن الوجه اهدى الدلائل ﴾

وقد روى الدار قطنى فى الافراد عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعا ابتغوا الخير عند حسان الوجوه ورواه الطبرانى بلفظ التمسوا وقبح الوجه على عكسه باعتبار مفهومه كما قيل

﴿ يدل على قبح الطوية مارى × بصاحبها من قبح بعض ملامحه

والظاهر ان الامرين غالبان لتصور خلافهما فى بعض افراد الانسان وفى الحديث اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى فالجمع بينهما كمال الجمال (حسن الصوت) قال تعالى يزيد فى الخلق مايشاء قرئ بالحاء المهملة وان كانت المعجمة لهما شاملة (وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم صوتا) اى من الكل فيشمل حسن صورة يوسف وصوت داود باعتبار الصباحة والملاحة وزيادة البلاغة والفصاحة هذا وقد قيل يوسف اعطى شطر حسن آدم وقيل شطر حسن جدته سارة لانها لم تفارق الحور الا فيما يعترى الآدمية من الحيض وغيره وقد اعطى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كمال الجلال والجمال من تمام الصباحة فاراه احد الاهابه ومن تمام الملاحة فاراه احد الا احبه وفى الحديث دلالة على جواز مثل هذه الاضافة اذا لم يرد بها الاهانة او البراءة (وفى حديث هرقل) على ما فى الصحيحين من انه قال لابى سفيان (وسألتك عن نسبه فزعمت انه فيكم ذونسب) والزعم قد يستعمل بمعنى القول ولعله استعمل بمعنى الظن لما يوهم من معنى التهمة اولان امر النسب مبنى على غلبة الظن لاعلى الحقيقة كما روى عن ابن سلام فى قوله تعالى الذين يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وقد رفع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم هذا الوهم فى نسبه بماورد عنه فى احاديث مضمونها انى ولدت من اب الى اب الى آدم كلهم من نكاح ليس فيهم سفاح وهذا كله على مقتضى ماوقع فى اصل الدلجى واما على ماصح عندنا من النسخ المعتمد فذكرت انه فيكم فلا اشكال (وقال تعالى فى ايوب) اى فى نعته (انا وجدناه) اى علمناه اوصيرناه (صابرا) بتخليقنا او بتوفيقنا (نعم العبد) اى ايوب مبتدأ خبره ماقبله وخص بالمدح لصبره على بلائه ورضاه بقضائه ولا يضره شكواه مابه من ضر الى مولاه (انه اواب) اى كثير الرجوع الى الله وقال الانطاكى اى تواب والتحقيق هو الفرق بين اواب وتواب بان التوبة عن المعصية والاوبة عن الغفلة قيل كان ببلاد حوران وقبره مشهور عندهم بقرب نوى وقربه عين جارية يتبركون بها على زعم انها المذكورة فى القرآن (وقال يا يحيى خذ الكتاب) اى التوراة (بقوة) اى بجد وجهد ومبالغة فى مواظبته (الى قوله ويوم يبعث حيا) وهو قوله سبحانه وتعالى وآتيناه الحكم اى الحكمة او النبوة او المعرفة بالشريعة صبيا وحنانا من لدنا اى رحمة وشفقة منا عليه اورحمة وتعطفا فى قلبه على ابويه وزكاة اى طهارة او نماء ورفعة وكان تقيا اى عن المعاصى نقيا وبرا بوالديه اى مبالغا فى برهما ولم يكن جبارا متكبرا عصيا عاقا وسلام اى من الله عليه يوم ولد اى من ان يمسه الشيطان كغيره من بنى آدم كما اخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم ويوم يموت اى من ضمة القبر ونحوها اى حين يدفن فى حجرته عليه السلام ويوم يبعث حيا من هول القيامة وخوف العقوبة قال سفيان بن عيينة اوحش مايكون الانسان فى هذه الاحوال الثلاثة يوم ولد

فيفرح بما كان ويوم يموت فيرى قوما لم يكن عاينهم ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر لم ير نفسه فيه فخص يحيى بالسلامة في هذه المواطن قلت والاولى وجه تخصيصه ما روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما من احد الا لم يذنب او كاد الا يحيى بن زكريا عليهما السلام (وقال تعالى ان الله يبشرك) من التبشير او البشارة لثبوتهما في السبعة (بيحيى الى الصالحين) يعني قوله مصدقا بكلمة من الله اى مؤمنا بعيسى وسيدا اى رئيسا في قومه وحصورا غير مائل الى الشهوة ونبيا من الصالحين اى القائمين بحقوق الله وحقوق عباده اجمعين (وقال ان الله اصطفى آدم ونوحا) اى اختارهما (وآل ابراهيم) اى اسمعيل واسحق واولادهما ومنهم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم من نسل اسمعيل ويدخل ابراهيم في من اصطفى دخولا اوليا كما لا يخفى (وآل عمران) اى موسى وهرون ابني عمران بن يصهر او عيسى وامه بنت عمران بن ماثان وكان بين العمرانين الف وثمانمائة سنة على ما ذكره الدلجي (الآيتين) يعني قوله على العالمين اى على عالمي زمانهم او على المخلوقين جميعهم ذرية اى حال كونهم ذرية واحدة بعضها من بعض في الديانة والله سميع عليم باقوالهم واحوالهم فاصطفاؤهم لعلمه بهم (وقال في نوح انه كان عبدا شكورا) حامدا لله في جميع حالاته مع القيام بوظائف طاعاته قيل كان نوح عليه الصلاة والسلام اذا اكل طعاما او شرب شرابا او لبس ثوبا قال الحمد لله فسمى عبدا شكورا اى كثير الشكر (وقال) اى بعد قوله تعالى اذ قالت الملائكة يا مريم (ان الله يبشرك) بالوجهين (بكلمة منه) اى موجود من خلق بامر كن من عنده سبحانه بغير واسطة وجود اب (اسمه المسيح) مبتدأ وخبر اى مسح بالبركة واليمن او مسح الارض بالسياحة (الى الصالحين) وهو قوله عيسى بن مريم وجيها حال مقدرة اى ذا وجاهة في الدنيا بالنبوة والآخرة بالكرامة والشفاعة ومن المقربين في الحضرة وصحبة الملائكة وعلو الدرجة في الجنة ويكلم الناس اى ومكلما لهم في المهد وكهلا اى طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت في الحالين من نعمة الانبياء ومن الصالحين وهو اشارة الى انه مرتبة الصلاح غاية الفوز والفلاح (وقال تعالى) اى حكاية عن عيسى (اني عبد الله) انطقه الله به في اول الحالات لكونه مبدأ المقامات وليكون ردا على من زعم الوهيته من اهل الضلالات (آتاني الكتاب) اى الانجيل (الى ما دمت حيا) اى قوله تعالى وجعلني نبيا وجعلني مباركا اى نفاعا للعباد معلما للخير اين ما كنت واوصاني اى امرني بالصلاة والزكاة اى ان ملكت مالا او بالصدقة على حسب الطاقة او طهارة النفس من الخيانة ما دمت حيا اى في مدة حياتي الى ساعة مماتي (وقال) اى في حق موسى عليه الصلاة والسلام (يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى الآية) يعني فبرأه الله مما قالوا اى حيث قذفوه بعيب في بدنه برصا او ادرة لفرط تستره حياء على وفق طبعه وشرعه فاطلعهم الله على براءته منه ونزاهته عنه وكان عند الله وجيها اى ذا وجاهة وقربة عنده وعندية مكانة لا مكان لتنزهه سبحانه وتعالى (قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه الشيخان (كان موسى رجلا حييا) بكسر التحتية الاولى وتشديد الثانية فعيل بمعنى شديد الحياء في جميع الاحوال (ستيرا) بكسرتين مع تشديد الثانية اى كثير التستر في حال الاغتسال وفي نسخة صحيحة بفتح فكسر تحتية مخففة قال ابن الاثير ستير فعيل بمعنى فاعل اقول واختيار المبالغة ابلغ وانسب بقوله (ما يرى من جسده شيء استحياء) وفي نسخة استحياء اى لاجل كمال حيائه من رفقائه (الحديث) وتمامه قوله عليه الصلاة والسلام فآذاه من آذاه من بني اسرائيل فقالوا ما استتر هذا التستر الا من عيب بجلده اما برص او ادرة وهي بالضم نفخ الخصية وان الله اراد ان يبرئه فخلا يوما وحده اى منفردا ليغتسل فوضع ثوبه اى جنبه وهو المناسب لدفع الادرة او الزائد عن ازاره ان كان البرص على زعمهم فوق نفر الحجر اى بعد فراغه من غسله ويحتمل كونه من قوله فجمع بجيم فميم مفتوحة فحاء مهملة اى اسرع في اثره يقول اى قائلا ثوبي اى الله اورده بالحجر حتى انتهى اى مشيه ووصل الى ملأ بني اسرائيل فرأوه عريانا احسن خلق الله حالان من ضمير رأوه اذا الرؤية بصرية فليس لها الا مفعول واحد فقالوا والله ما بموسى من بأس فاخذ ثوبه اى من فوق الحجر وقد ضربه حيث فر ولعله سبحانه وتعالى به امره فوالله ان بالحجر لندبا بفتح النون والدال المهملة والموحدة اى تأثيرا من اثر ضربه ثلاثا صفة لاسم ان مبينة لعدده وفي رواية او اربعا او خمسا والظاهر ان الجملة القسمية من تمام الحديث وجوز الدلجي ان تكون مدرجة فيه من كلام الراوي لكن ليس فيه ما يشعر به ولا ما يجنبه وفي الحديث جواز الغسل عريانا في الخلوة وان كان الافضل ستر العورة وبه قال الائمة الاربعة وفيه ايماء الى ابتلاء الانبياء والاولياء بايذاء السفهاء وصبرهم عليه في حال البلاء وان الانبياء منزهون من النقص خلقا وخلقا (وقال تعالى عنه) اى حكاية بعد قوله ففررت منكم لما خفتكم (فوهب لي ربي حكما) اى نبوة وعلما (الآية) تمامها وجعلني من المرسلين (وقال في وصف جماعة منهم) موسى وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم (اني لكم رسول امين وقال) اى حكاية لقول بنت شعيب في حق موسى (يا ابت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين) روي ان شعيبا قال لها وما علمك بقوته وامانته فذكرت اقلابه الحجر الثقيل الذي لا يحمله الا اربعون او عشرون

وشدته البحمر حين بلغته الرسالة وامره اياها بان تمشي وراءه وندله بالحجارة ان اخطأ تلقاء (وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل) تقدم انه منهم ومن افضلهم اوهذا الوصف يعمهم (وقال ووهبنا له) اى لابراهيم (اسحق) اى ابنه (ويعقوب) بن اسحق سبطه (كلا) اى منهما (هدينا الى قوله) اى فى كلام يطول منتهيا الى قوله اجمالا (فبهداهم اقتده) بهاء السكت وفى قراءة ابن عامر بكسرها وفى رواية لابن ذكوان باشباعها على انه ضمير راجع الى المصدر وقرأ حمزة والكسائي بحذف الهاء وصلا والكل بسكونه وقفا والمعنى اقتد بطريقتهم وسيرتهم وسمر رتبهم او بما توافقوا عليه من امر التوحيد والنبوة والبعثة وامثالها دون الفروع المختلف فيها اذ ليست مضافة الى كلهم مع عدم امكان الاقتداء فى جميعها بهم لتباين احكامهم (فوصفهم) اى الله سبحانه وتعالى (باوصاف) اى نعوت معنوية لا كما توهم الدلجى من زيادة حسية (جمة) اى كثيرة (من الصلاح) من بيانية وهو مستفاد من قوله وكل من الصالحين (والهدى) اى من صدر الآية وختمها (والاجتباء) من قوله واجتبيناهم (والحكمة) اى الحكم والنبوة من قوله تعالى اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة وكان ينبغي ان يذكر نعت الاحسان قبل الصلاح فانه مستفاد من قوله تعالى وكذلك نجزى المحسنين (وقال فبشرناه) اى ابراهيم (بغلام عليم) اى كثير العلم (وحليم) اى فى آية اخرى بغلام حليم اى ذى حلم وحاصله انه جامع بين العلم والحلم ولا يخفى حسن تقدم العلم ولعل هذا وجه تقديم المصنف له مع ان ترتيب القرآن عكس ذلك حيث جاء فى الصافات حليم بالحاء وفى الذاريات عليم بالعين على احتمال خلاف ذلك باعتبار حال النزول لكن كان حقه ان يقول فبشرناه بغلام حليم وبشروه بغلام عليم فان ما فعله اقتصار مخل لا سيما اقتصاره على قوله فبشرناه فانه لا يصح الا مع قوله بغلام حليم بالحاء والا فيلزم منه التركيب الممنوع فى علم القراءة كالتلفيق المنهى فى المعاملة ثم المبشر به اسمعيل وهو اصح من القول بانه اسحق وقد تقدم والله تعالى اعلم (ولقد فتنا) اى امتحنا (قبلهم) اى قبل كفار مكة (قوم فرعون) اى معه بارسال موسى اليهم وايقاع الفتنة بالامهال فى العقوبة وتوسعة الرزق عليهم (وجاءهم رسول كريم) اى على الله والمؤمنين اوفى نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه (انى امين) وهو قوله ان ادوا الى اى حق الدعوة من الاجابة وقبول الطاعة عباد الله اى ياعباد الله اوسلموهم الى وارسلوهم معي الى حيث ما امر الله انى لكم رسول امين غير متهم فى امر الدين (وقال) اى حكاية عن اسمعيل خطابا لوالده ابراهيم عليهما السلام عند قصد ذبحه بامر ربه لما رأى فى نومه (ستجدنى ان شاء الله من الصابرين) اى على حكم الله وقضائه اوفى ابتلائه من امره بذبحه (وقال فى اسمعيل انه كان صادق الوعد) وخص به لانه وعد بالصبر على ذبحه وقد وفى بوعده (الآيتين) اى تمامهما وهو قوله وكان رسولا اى الى قبيلة جرهم نبيا لعله اخر للفاصلة اودفعا لتوهم كونه رسولا بالواسطة كقوله سبحانه وتعالى اذ ارسلنا اليهم اثنين اى من اصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام وكان يأمر اهله اى اهل بيته اوجميع امته بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا اى فى مقاله وفعاله وحاله (وفى موسى) اى وقال فى حقه (انه كان مخلصا) اى لربه فى عبادته عن الرياء وعن متابعة هواه بل طالبا لرضاه اذ اسلم وجهه لله واخلص نفسه عما سواه وفى قراءة للسبعة بفتح اللام اى اخلصه الله واختاره لنفسه واجتباه وهذا اكمل مقام فى منازل السائرين وافضل حالى فى مراحل الطائرين وتمام الآية وكان رسولا نبيا (وفى سليمان نعم العبد) اى قال فى حقه هذا القول (انه اواب) اى كثير الرجوع الى رب الارباب (وقال) اى فى حق جماعة منهم (واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب) وقرأ ابن كثير عبدنا فالمراد به ابراهيم لخصوصية اوالاضافة جنسية فتوافق الجمعية وهو اولى كما لا يخفى (اولى الايدى والابصار) اى اصحاب القوة فى مباشرة الطاعات العمليه وارباب البصيرة فى الامور العلمية وفيه تعريض بالبطلة والجهلة الواقعين فى تحصيل الشهوات النفسانية واللذات الحيوانية (الى الاخيار) يعنى قوله سبحانه وتعالى انا اخلصناهم بخالصة اى جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة لهم هى ذكرى الدار اى دار القرار لما فيها من قرب الجوار كما قال مجنون العامرى شعر

﴿ وما حب الديار شغفن قلبى * ولكن حب من سكن الديارا ﴾

فالخواص لا يذكرون الجنة ولا يطلبونها بالمرة الا لا فيها من وعد الرؤية ومنزلة القربة وقرأ نافع وهشام باضافة الخالصة اضافة بيانية وانهم عندنا لمن المصطفين اى المجتبين بين امثالهم الاخيار اى المختارين بافعالهم واحوالهم (وفى داود انه اواب) اى حيث كان يفطر يوما ويصوم يوما وينام بعض الليل ويقوم بعضه (ثم قال وشددنا ملكه) اى قويناه بالهيبة وكثرة الجنود فى الخدمة ودوام النصرة والغلبة (وآتيناه الحكمة) اى اتقان العلم والعمل اوالحكومة والنبوة (وفصل الخطاب) اى الخصام بتمييز الحق عن الباطل فى الاحكام اوالكلام الملخص الذى يتبينه المخاطب فى كل باب اوقوله امابعد فى كل خطبة اوفى اول كل كتاب (وقال عن يوسف) اى اخبارا عما خاطب به الملك بقوله

(اجعلني على خزائن الارض انى حفيظ عليم) فدل على غاية حفظه ونهاية علمه بتقرير الحق سبحانه وتعظيم شأنه وقد روى عن مجاهد ان الملك اسلم على يديه اى لما رأى من وفور علمه وحفظه وشفقته ورحمته على خلق الله من خاصة وعامة حتى ماكان يشبع فى حاله مع وجود الخزائن تحت تصرفه وتحير ارادته عما شهدت اموره الخارقة عن العادة بصحة نبوته ورسالته (وفى موسى) حيث قال للخضر (ستجدنى ان شاء الله صابرا) اى معك غير منكر لك وتعليق الوعد بالمشيئة للاشارة الى ان افعال العباد جارية على وفق الارادة الالهية (وقال تعالى عن شعيب) لعل المصنف اختار تربية التلويح والتفنن فى مقام التحسين فتارة عبر بفى واخرى بعن (ستجدنى) اى مخاطبا لموسى (ان شاء الله من الصالحين) اى فى حسن المعاملة والوفاء بالمعاهدة والمعاشرة بالمجاملة والتعليق للاتكال على توفيقه سبحانه وتعالى ومعونته لا لانه مستثنى فى معاهدته بكونه ان شاء فعل وان شاء لم يفعل فان هذا ليس من شأن الكمل (وقال) اى فى حقه ايضا (وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه) من قولهم خالفت فلانا الى كذا اذا قصدته مع اعراضه عنه والمعنى ما اريد ان آتى ما انهاكم عنه لاستبد به لعلمى بانه خطأ وفى ارتكابه خطر فلو كان صوابا لآثرته ولم اتركه فضلا عن ان انهى غيرى عنه (ان اريد الا الاصلاح ما استطعت) اى ما اريد بامركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر الا حصول الصلاح ووصول الفلاح مادمت استطيعه او القدر الذى اطيقه قال الثعلبى نقلا عن عطاء وغيره انه من نسل مدين ابن ابراهيم الخليل ويقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وعمى فى آخر عمره قال قتادة بعثه الله رسولا الى امتين مدين واصحاب الايكة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان شعيبا كان كثير الصلاة فلما طال تمادى قومه على كفرهم بعد المعجزة وكثرة المراجعة وآيس من صلاحهم ورجوعهم الى فلاحهم دعا الله عليهم بقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين فاستجاب الله للدعوة واهلكهم بالرجفة وهى الزلزلة واهلك اصحاب الايكة بعذاب الظلة قال السمعانى فى الانساب قبر شعيب فى خطين وهى قرية بساحل بحر الشام وعن ابن وهب ان شعيبا ومن معه من المؤمنين ماتوا بمكة وقبورهم غربيها بين دار الندوة وبين باب بنى سهم وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى المسجد الحرام قبران ليس فيه غيرهما قبر اسمعيل فى الحجر وقبر شعيب مقابل الحجر الاسود انتهى وما صح قبر نبى من الانبياء عليهم الصلوة والسلام غير قبر نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ايماء الى ان غيره من الانبياء كالبدور السائرة المستورة عن عين الشهود عند ظهور نور شمس دائرة الوجود (وقال ولوطا آتيناه حكما وعلما) اى حكمة ونبوة وحكومة فى الخصومة قال الثعلبى نقلا عن وهب بن منبه خرج لوط من ارض بابل فى العراق مع عمه ابراهيم تابعا له على دينه مهاجرا معه الى الشام ومعهما سارة امرأة ابراهيم عليه السلام وخرج معهما آزر ابو ابراهيم مخالفا لابراهيم فى دينه مقيما على كفره حتى وصلوا حوران فمات بها آزر فمضى ابراهيم وسارة ولوط الى الشام ثم مضوا الى مصر ثم عادوا الى الشام فنزل ابراهيم فلسطين ونزل لوط الاردن فارسله الله الى اهل سدوم وما يليها وكانوا يأتون الفواحش قال ابو بكر بن عياش عن ابى جعفر استغنت رجال قوم لوط بوطئ رجالهم واستغنت نساؤهم بنسائهم (وقال انهم) اى الانبياء المذكورين فى سورتهم (كانوا) اى بجملتهم (يسارعون فى الخيرات) اى يبادرون الى الطاعات (الآية) وهى قوله تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا اى للرغبة فى المثوبة والقربة والرهبة عن العقوبة بالحرقة والفرقة وكانوا لنا خاشعين اى خاضعين اولاجلنا مع خلقنا متواضعين او خائفين وجلين حزنين ولعله اشار الى هذا المعنى بقوله (قال سفيان) اى الثورى او ابن عيينة وهما تابعيان جليلان وجزم التلمسانى بالاول (هو) اى معنى الخشوع (الحزن الدائم) اى المورث للمسارعة الى الخير (فى آى كثيرة) متعلق بقوله وقال تعالى فى ايوب اى قد ورد ما ذكر من الآيات الشاهدة على شرف حالهم وكمال جمالهم مما هى نبذة يسيرة مندرجة فى آيات كثيرة لا يمكن احصاؤها واتيانها باسرها (ذكر فيها من خصالهم) اى بعض نعوتهم الشاهدة على جميل حالهم (ومحاسن اخلاقهم الدالة على كمالهم وجاء من ذلك) اى من قبيل ما ذكر فى الآيات (فى الاحاديث كثير) مما ينبغى ان يروى منها قدر يسير (كقوله) اى على مارواه البخارى وابن حبان والحاكم (وانما الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم) وفى اتيان انما ايماء بحصر كرم النسب وشرف الحسب فيه اذ لم يتفق لاحد انه (نبى ابن نبى ابن نبى ابن نبى) غيره مع ان فى تعريف المبتدأ والخبر به ايضا لتأكيده فلا ينافيه مارواه احمد والبخارى عن ابن عمر واحمد ايضا عن ابى هريرة بلفظ ان الكريم الخ مع انه اوفق لموازنة ما بعده حتى قيل انه موزون بلفظه ثم الظاهر ان قوله نبى ابن نبى الخ مدرج من كلام الراوى او تفسير للقاضى (وفى حديث انس) اى كما رواه البخارى بعد قوله تنام عينى ولا ينام قلبى (وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم) اى فلا يتطرق اليهم ما يحجبهم من اشراق الانوار الاحدية او يحجبهم عن الاسرار الصمدية (وروى) اى من طريق الطبرانى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعا

(ان سليمان كان معمرا) وروى فيما (اعطى من الملك) مما يقتضى تكبرا وتجبرا وترفعا (لا يرفع بصره الى السماء تخشعا وتواضعا) اى لله كما فى نسخة (وكان) اى سليمان على ماروى احمد فى الزهد عن فرقد السبخى (يطعم الناس لذيذ الاطعمة) وفى اصل التلمسانى لذائذ جمع لذيذة وهو مايوافق الطبع و يلائمه (و يأكل خبز الشعير واوحى اليه) وفى نسخة واوحى الله تعالى اليه (يارأس العابدين) اى من الملوك اوالموجودين (وابن محجة الزاهدين) اى على غيره وفى نسخة محجة بفتحات وتشديد جيم اى مجمعهم اومعظم طريقهم وفيه غاية المبالغة (وكانت العجوز) ووقع فى اصل الدلجى وان كانت فقال هى المخففة من المثقلة (تعترضه) اى تأتيه من عرض طريقه (وهو على الريح فى جنوده) اى وهو معهم فى تلك العظمة (فيأمر الريح) اى بالوقوف لاجلها (فتقف) اى بامره لها (فينظر فى حاجتها) اى يتأمل فيها و يقضى بها (و يمضى) اى يتوجه الى مقصده (وقيل ليوسف مالك تجوع وانت على خزائن الارض) جملة حالية (قال اخاف ان اشبع فانسى الجائع) اى جنس الجائعين واغفل عن تفقد المحتاجين وفى نسخة الجياع بكسر الجيم جمع الجيعان (وروى ابوهريرة عنه عليه الصلاة والسلام) كما فى البخارى (خفف على داود القرآن) اى قراءة الزبور (فكان يأمر بدوابه) اى لاجله واصحابه وروى بدابته فيحتمل اضافة الجنسية لكن ارادة الواحدية ابلغ فى مقام خرق العادة (فتسرج فيقرأ القرآن قبل ان تسرج) اى فيختمه فى زمن يسير معانه كتاب كبير بناء على خرق العادة من بسط الزمان اوطى اللسان وقد وقع نظير هذا لبعض اكابر هذه الامة (ولا يأكل الا من عمل يده قال الله تعالى وألناله الحديد) اى كالشمع يتصرف فيه كيف يشاء من غير طرق واحماء (ان اعمل) بان المصدرية بتقدير الباء السببية اى واوحينا اليه اوامرناه ان اعمل فان مصدرية اومفسرة واما قول التلمسانى ان التقدير تكلف لعدم الدليل على الحذف ففى غير محله نشأ من قلة تأمله (سابغات) اى دروعا واسعات (وقدر فى السرد) اى اجعله على قدر الحاجة فى النساجة والسرد فى اللغة اتباع الشئ بالشئ من جنسه ومنه سرد الحديث والمعنى لاتصغر حلقه فتضيق حال لابسها ولا توسعها فينال لابسها من خلالها وقيل لاتقصد الحصافة فتثقل فى الجملة ولا الخفة فتزيل المنعة وفى البخارى ولاتدق المسمار فيتسلس هو من قولهم سلس اى لين وروى فيتسلسل اى فينفصل فيسرع كسره بانه قاقه (وكان سأل ربه ان يرزقه عملا يغنيه عن بيت المال) اى فعلمه الله صنعة الدرع وسبب ذلك ماروى عنه انه كان يسئل الناس عن نفسه فيثنون عليه فرأى ملكا فى صورة آدمى فسأله فقال نعم الرجل الا انه يطعم عياله من بيت المال قيل وكان عليه الصلاة والسلام بعد ذلك يأخذ الحديد بيده فيصير كالعجين فيعمل منه الدرع فى بعض يوم يبيعها بالف درهم فيأكل و يتصدق و يجعل ثلثه فى بيت المال (وقال عليه الصلاة والسلام) كما رواه الشيخان واحمد وابو داود والنسائى وابن ماجه عن ابن عمر (واحب الصلاة) اى انواع صلاة الليل (الى الله صلاة داود واحب الصيام) اى صيام النافلة (الى الله صيام داود وكان ينام) كذا فى النسخ والاظهر كان بلا عاطفة ليكون بيانا لقضية سالفة اى كان ينام (نصف الليل) للاستراحة الموجبة للتقوية على العبادة (و يقوم ثلثه) من اول النصف الثانى لانه افضل اجزائه (و ينام سدسه) لينشط لعبادة اول نهاره (و يصوم يوما و يفطر يوما) امارعاية لحالة الاعتدال لئلا يضعف بالصوم على وجه الاتصال اولتصور له مداومة الاعمال ففى الصحيحين احب الاعمال الى الله ادومها وان قل ولئلا يصير الصوم عادة فلا يتخلص عبادة اولان هذه الكيفية اشق على النفس والاجر على قدر المشقة ثم فى الجملتين الاخيرتين بيان علية الاحب فى المقدمتين ولفظ الجامع الصغير احب الصيام الى الله تعالى صيام داود كان يصوم يوما و يفطر يوما واحب الصلاة الى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل و يقوم ثلثه و ينام سدسه انتهى (وكان يلبس الصوف و يفترش الشعر) اى نفسه اوما يصنع منه تواضعا له ولذا اختاره الصوفية (و يأكل خبز الشعير بالملح والرماد) ولعله اراد به مااختلط بالخبز واستهلك فيه والا فاكل الرماد حرام لمافيه من مضرة العباد (و يمزج شرابه بالدموع) كما رواه ابن ابى حاتم عن وهب بن منبه ومجاهد موقوفا (ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة) اى المعهودة المسماة بالخطيئة وان لم تكن خطيئة فى الحقيقة الا ان حسنات الابرار سيئات الاحرار اذلم يثبت عنه سوى انه خطب امرأة كان قد خطبها اوريا فزوجها اهلها من داود رغبة فيه اوسأله ان ينزل له عنها فتزوجها وكان ذلك فى زمانه عادة لهم فارسل الله اليه ملكين تنبيها له على ان ذلك خلاف الاولى فيما هنالك لاستغنائه بتسع وتسعين امرأة فلما تنبه فى هذا الباب استغفر ربه وخر راكعا واناب وقد بالغ فى تضرعه و بكائه لماله من عظيم المرتبة و كريم المنزلة فى مقام حيائه (ولاشاخصا ببصره) اى ولارؤى رافعا مع تحديد نظره (الى السماء) اى الى جهتها وفى نسخة نحو السماء (حياء من ربه) اى لكمال قربه والحديث رواه احمد فى الزهد عن عطاء بن السائب عن ابى عبدالله الجدلى بلفظ مارفع داود رأسه الى السماء بعد مااصاب الخطيئة حتى مات و بهذا الرواية مع ماقدمناه من الدراية اندفع قول الحلبى لوقال القاضى غير هذه العبارة لكان احسن (ولم يزل باكيا حياته كلها)

اى فى جميع مدة عمره الحالة مماثلة لتلك الواقعة (وقيل بكى) بل روى ابن ابى حاتم عن انس رضى الله تعالى عنه
مرفوعا وعن مجاهد وغيره انه بكى (حتى نبت العشب) بضم وسكون هو الحشيش (من دموعه) اى من كثرة وقوع
دموعه على الارض (وحتى اتخذت الدموع فى خده اخدودا) اى شقا مستطيلا ممدودا والمعنى اثرت فى خده اثرا
كالشق والحفر الطويل فى الارض ومنه قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود وهو مفرد جمعه اخاديد (وقيل)
كما فى الكشاف وغيره (كان يخرج متنكرا يعرف سيرته فيسمع الثناء عليه) اى فى غيبته (فيزداد تواضعا) اى لربه
شكرا لمزيد نعمته (وقيل لعيسى عليه السلام) كما روى احمد فى الزهد وابن ابى شيبة فى مصنفه (لو اتخذت لك حمارا)
اى لو اخترته لتركبه احيانا عند الحاجة اليه (قال انا اكرم على الله من ان يشغلنى حمار) اى بان يتعلق قلبى به و بكلفته
وخدمته ويشغلنى بتتبع العيوبات الاشتغال لعلة ردية (وكان) كما روى احمد فى الزهد عن عبيد بن عمير ومجاهد والشعبى
وابن عساكر فى تاريخه انه كان (يلبس الشعر) اى ثوبه (ويأكل الشجر) اى ورقه (ولم يكن له بيت) اى مسكن يأوى
اليه (اينما ادركه النوم نام وكان احب الاسامى) جمع الاسماء (اليه ان يقال له مسكين) وقد رواه احمد فى الزهد عن
سعيد بن عبد العزيز بلفظ بلغنى انه ما من كلمة كانت تقال لعيسى بن مريم احب اليه من ان يقال هذا المسكين (وقيل)
كما رواه احمد ايضا فى الزهد وابن ابى حاتم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه موقوفا (ان موسى عليه السلام لما ورد
ماء مدين) سمى بابن ابراهيم الخليل (كانت ترى خضرة البقل) اى الذى كان يأكله بعد خروجه من مصر خائفا يترقب
متوجها الى مدين (فى بطنه من الهزال) بضم الهاء نقيض السمن على ما فى القاموس فبطل قول التلمسانى هو
الضعف قيل وصوابه لو قال من الطوى او الجوع انتهى ولا يخفى بعده عن المدعى وهو متعلق بقوله كانت ترى وتعليله
كما ترى (وقال عليه الصلاة والسلام) كما رواه الحاكم وصححه عن ابى سعيد مرفوعا (لقد كان الانبياء قبلى يبتلى احدهم
بالفقر) اى بشدة الحاجة فى مطعمه (والقمل) اى بكثرته فى ثوبه وبدنه (وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم) رضى
بقضاء المولى وعلما بان ما عند الله لهم خير وابقى وقد اورد المؤلف هذا الحديث فى الفصل الاخير من القسم الثالث
بطريق آخر وهو قوله وفى حديث ابى سعيد ان رجلا وضع يده على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى قوله فقال النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم انا معشر الانبياء يضاعف لنا البلاء ان كان النبى ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان النبى
ليبتلى بالفقر وان كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء (وقال عيسى عليه الصلاة والسلام لخنزير لقيه
اذهب بسلام) اى منا وعنك (فقيل له فى ذلك) استعظاما لرتبته مع الخنزير فى حقارته (فقال اكره
ان اعود لسانى المنطق بالسوء) اى النطق به لقوله سبحانه وتعالى ادفع بالتى هى احسن ولقوله تعالى واذا
خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما (وقال مجاهد) كما رواه ابن ابى حاتم واحمد فى الزهد عنه (كان طعام يحيى العشب)
اى زهدا وقناعة ورفضا للنعمة (وكان) اى مع ذلك (يبكى من خشية الله عز وجل) اى مخافته مع انه قط ما هم
بمعصية (حتى اتخذ الدمع مجرى فى خده) اى موضع جرى كالنهر فى وجهه من اثر دمعه لشدة معرفته بربه لقوله
سبحانه وتعالى انما يخشى الله من عباده العلماء (وكان يأكل مع الوحش لئلا يخالط الناس) لان الاستئناس بالناس من
علامة الافلاس (وحكى الطبرى) وهو الامام محمد بن جرير (عن وهب) اى ابن منبه (ان موسى عليه السلام كان
يستظل بعريش) هو بيت من عيدان تنصب ويظلل عليها قال التلمسانى هو سقوط لا فى اصل القاضى وثبوته فى رواية
العراقى اى لا يستظل انتهى ولا يخفى بعده وعدم مناسبته لما بعده من قوله (ويأكل فى نقرة) بضم نون وسكون قاف
اى حفرة ومنه نقرة القفاء (من حجر) اى بدلا من ظرف خشب او خزف (ويكرع) بفتح الراء (فيها) اى يأخذ الماء بفيه
من غير كف ولا اناء فيشرب منها (اذا اراد ان يشرب كما تكرع الدابة) اى حين لم تلق وعاء الماء (تواضعا لله) اى لاكرامه
(بما اكرمه الله من كلامه) وفيه ايماء الى ان زهده هذا كان مستمرا الى كماله وآخر حاله (واخبارهم) اى آثار الانبياء
(فى هذا كله) اى فى هذا المعنى جميعه (مسطورة) اى مكتوبة ومضبوطة ومحفوظة (وصفاتهم فى الكمال) اى فى كمال
ذواتهم (وجميل الاخلاق وحسن الصورة) ووقع فى اصل التلمسانى الصور جمع الصورة وهو الانسب لجمع ما قبله
من الاخلاق وما بعده من قوله (والشمائل معروفة مشهورة) اى مذكورة فى محلها وقد سئل محمد بن سالم بماذا يعرف
الاولياء فى الخلق فقال بلطف لسانهم وحسن اخلاقهم وبشاشة وجوههم وسخاء انفسهم وقلة اعتراضهم وقبول
عذر من اعتذر اليهم وتمام الشفقة على اخوانهم (فلا نطول بها) اى بذكرها (ولا تلتفت) ايها المخاطب (الى ما تجده
فى كتب بعض المؤرخين) بالهمز والواو اى المدعين علم تواريخ الانبياء وغيرهم (والمفسرين) اى التابعين لهم فيما نقلوه
من اخبارهم (مما يخالف هذا) اى الذى ذكرناه عنهم فى سيرهم الثابتة عن علماء السلف وخيارهم

(فصل)

(قد اتيتك) بالمد اى اعطيناك واعلمتك وفى نسخة صحيحة اتيناك بالقصر اى جئتك والاول اولى لقوله بعد الجملة المعترضة

الدعائية وهى قوله (اكرمك الله من ذكر الاخلاق الحميدة) اللهم الا ان يدعى ان من بمعنى الباء ثم الاخلاق الحميدة هى الشمائل السعيدة (والفضائل المجيدة) اى الكريمة العظيمة (وخصال الكمال العديدة) جمع خصلة بمعنى الخلة بفتح اى المعدودة المتعددة الدالة على كمال ذاته وجمال صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم (واريناك) اى اظهرنا لك (صحتها) اى صحة روايتها ونسبة ثبوتها المناسبة له صلى الله تعالى عليه وسلم (وجلبنا) بجيم فلام فموحدة اى اوردنا وروينا وتصحف على الدلجى بقوله وحكينا (من الآثار مافيه مقنع) بفتح ميم ونون اى ما يقنع به ويكتفى بذكره (والامر) اى الشان (فى مناقبه اوسع) اى اكثر من ان يذكرهنا جميع مراتبه (فمجال هذا الباب) بالجيم وزيادة الميم اى سعته وكثرته (فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم) اى من جهة نعته وصفته (ممتد) اى طويل بل لا يكاد ينتهى الى حد ممتد (ينقطع دون نفاده) بفتح نون ثم دال مهملة اى قبل تصور فراغه اومن غير تحقق فنائه وجوز اعجام الدال بمعنى مضيه (الادلاء) جمع ادلة جمع دليل اى دال على مساحة البر (وبحر علم خصائصه) اى الذى لسعته وكثرته (زاخر) اى ممتلئ كثير ممدود عرضا وطولا قال التلمسانى ووصف ابن عباس عليا رضى الله تعالى عنهم فقال هو قمر باهر فى ضوئه وبهائه واسد خادر فى شجاعته ومضائه وفرات زاخر فى جوده وسخائه وربيع باكر فى خصبه وحيائه وروى عن على رضى الله تعالى عنه انه وصف به رسول صلى الله تعالى عليه وسلم (لاتكدره الدلاء) جمع دلو اى لا تؤثر فيه حين اخذ بعضه بنقص يورث صفوه كدرة فى ساحته وفيه ايماء الى انه لم يصل احد من العلماء الى غاية بره وحلمه ولا نهاية من ساحل كرمه وعلمه ولذا قال (ولكنا اتينا فيه بالمعروف) اى اختصرنا فى وصفه على ما هو معروف من الروايات (مما اكثره فى الصحيح والمشهور) اى فى مرتبة الحسن (من المصنفات واقتصرنا فى ذلك) اى المعروف مما هنالك (بقل من كل) بضم كل من القاف والكاف وتشديد اللامين وهما لغتان فى القلة والكثرة اى على نقل قليل من كثير وفى الحديث الربا وان كثر فانه الى قل اى الى قلة وانتقاص لقوله تعالى يمحق الله الربا ويربى الصدقات (وغيض من فيض) بالضاد المعجمة فيهما والغيض النقص والفيض الزيادة يقال اعطى غيضا من فيض اى قليلا من كثير ويقال غاض الكرام وفاض اللئام والمعنى واتينا هنا بنعت يسير من وصف غزير وهو اولى من جعله تفسيرا لما قبله وتاكيدا واعتباره تفننا كما ذكره الدلجى (ورأينا ان نختم هذه الفصول) اى الواردة فى هذا الباب من جملة الكتاب (بذكر حديث الحسن) اى ابن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنهما الوارد بالاسناد الحسن عنه (عن ابن ابى هالة)وهو خاله هند (لجمعه) علة لقوله رأينا او نختم اى لاستجماع حديثه اواستحضاره نفسه (من شمائله) اى اخلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم (واوصافه كثيرا) اى شيئا كثيرا مما لم يجمعه غيره الا نزرا يسيرا (وادماجه) اى ولادخال هند اوالحسن فى حديث (جملة كافية) اى جملا وافية (من سيره) اى من شمائله الخلقية (وفضائله) اى الوهبية (ونصله)عطف على نختم اى ورأينا ان نلحق حديثه بعد تمامه (بتنبيه لطيف) فى تبيين مجمله (على غريبه)من جهة المبنى (ومشكله)من طريقة المعنى (حدثنا القاضى ابوعلى الحسين بن محمد الحافظ) اى ابن سكرة وقد تقدم (رحمه الله بقراءتى عليه سنة ثمان وخمسمائة ثنا) اى حدثنا (الامام ابو القاسم عبدالله بن طاهر) بطاء مهملة (التميمى قراءة عليه) بالنصب وفى نسخة قرأت عليه (اخبركم) اى قال اخبركم فى ضمن اخبارى لكم (الفقيه الاديب) اى الجامع بين علم المسائل الشرعية والقواعد العربية (ابوبكر محمد بن عبدالله بن الحسن النيسابورى) بفتح نون فتحتية ساكنة فسين مهملة معرب المعجمة بلد بخراسان (والشيخ الفقيه ابوعبدالله محمد بن احمد بن الحسن المحمدى) اى المنسوب الى مسمى بمحمد بصيغة المفعول (والقاضى ابوعلى الحسن بن على بن جعفر الوخشى) بفتح واو وسكون خاء فشين معجمتين وقيل بالحاء المهملة قرية من اعمال بلخ سمع ابابكر الحيرى بخراسان وابا نعيم الحافظ باصبهان وابا عمر الهاشمى بالبصرة وابا عمر بن مهدى ببغداد وتمام الرازى بدمشق واباًمحمد ابن النحاس بمصر روى عنه طائفة وحدث عنه الخطيب وهو من اقرانه وسمع منه الحسن بن البلخى سنن ابى داود (قالوا) اى كلهم (ثنا ابو القاسم على بن احمد بن محمد بن الحسن الخزاعى) بضم خاء معجمة منسوب لقبيلة خزاعة (انا) اى اخبرنا (ابوسعيد الهيثم بن كليب) بالتصغير (الشاشى) بمعجمتين منسوب الى بلد مشهورة من بلاد ماوراء النهر صاحب المسند ومحدث ماوراء النهر (انا ابوعيسى محمد بن عيسى بن سورة) بفتح المهملة والراء (الحافظ) هو الترمذى صاحب الجامع والشمائل (قال حدثنا سفيان بن وكيع) اى ابن الجراح ضعيف (ثنا جميع) بضم جيم وفتح ميم وسكون تحتية (ابن عمر بن عبد الرحمن العجلى) بكسر مهملة فسكون جيم منسوب الى قبيلة عجل (املاء من كتابه) اى رواية من كتابه المقروء على شيخه وهو اقوى من الاملاء عن ظهر قلبه وثقه ابن حبان وضعفه غيره (قال حدثنى رجل من بنى تميم) قال الانطاكى هو ابوعبد الله التميمى (من ولد ابى هالة) بفتح الواو واللام وبضم فسكون اى احفاده (زوج خديجة) بالجر بدل من ابى هالة (ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها)

اى قبل وصولها اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (يكنى اباعبد الله) بفتح الكاف وتشديد النون المفتوحة وبسكون الكاف وتخفيف النون اى يعرف ذلك الرجل بهذه الكنية (عن ابن لابى هالة) اى بلا واسطة وهو غير معروف كما صرح به الذهبى فى ميزانه واصل هالة من الدارة القمر فهو اقوى فى منع الصرف من هريرة فى ابى هريرة لان هريرة اسم جنس ثم هذا الاسناد ظاهره الاتصال ولكنه منقطع لان الرجل لم يسم بل لم يسم فيه رجلان ومثل هذا يسمى منقطعا ولكنه ان سمى فيه الرجل من طريق آخر فهو متصل من وجه ومنقطع من وجه وان لم يسم مطلقا فهو منقطع ابدا كذا ذكره بعض الائمة وقال بعض علمائنا انه لا يضر الاسناد مثل هذه الجهالة فهو فى حكم المرسل وهو حجة عند الجمهور والله تعالى اعلم (عن الحسن بن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنهما قال) الحسن (سألت خالى هند بن ابى هالة قال انا منى) كان حقه ان يكتب رمز (ح) اشارة الى التحويل من سند الى آخر او يأتى بأنها ملحقة فيقول وقال القاضى (ابو على رحمه الله) وهو ابن سكرة (وقرأت على الشيخ ابى طاهر احمد بن الحسن) وروى فيه الحسين بالتصغير (ابن احمد بن حداداد) بضم خاء فدال مهملتين فالف فدال مهملة بعدها الف فدال مهملة او معجمة لغة فارسية معناه بالعربية عطاء الله (الكرجى) بفتح كاف فسكون راء فجيم (الباقلانى) بتشديد اللام وبعدها لف نون فياء نسبة لبيع الباقلاء على غير قياس (واجازنا الشيخ الاجل) اى الجليل القدر او اجل زمانه واكمل اقرانه (ابو الفضل احمد بن الحسن بن خيرون) بفتح معجمة فسكون تحتية فضم راء ينصرف ويمنع (قالا) اى كلاهما (ثنا) اى حدثنا (ابو على الحسن بن احمد بن ابراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان) بمعجمتين (ابن مهران) بكسر الميم (الفارسى) بكسر الراء ويسكن (قراءة عليه فاقر به) اى اعترف بجواز نقله عنه وهو شرط فيمن قيل له اخبركم فلان او اخبرنى فلان عنك او نحوه وان لم يقر به فلا يكون دالا اولا يجوز ولا بد من الاقرار وفيه تصحيح الرواية (قال) اى ابو على المذكور (انا) اى اخبرنا (ابو محمد الحسن ابن محمد بن الحسين بن جعفر بن عبد الله بن على بن الحسين) بالتصغير فى الثلاثة (ابن على بن ابى طالب المعروف بابن اخى طاهر العلوى) بفتحتين قال الحلبى هذا الرجل ترجمه الذهبى فى الميزان ونسبه كما هنا ثم قال روى بقلة حيائه عن الدبرى عن عبد الرزاق باسناد كالشمس على خير البشر وعن الدبرى عن عبد الرزاق عن معمر عن محمد بن عبد الله بن الصامت عن ابى ذر مرفوعا قال على وذريته يختمون الاوصياء الى يوم القيمة فهذان دالان على كذبه وعلى رفضه عفا الله عنه ولولا انه متهم لازدحم عليه المحدثون فانه معمر انتهى ولا يخفى انهما يدلان على كذبه ووضعه وعلى تفضيله ايضا واما دلالته على رفضه بمعنى سبه وبغضه فلا غايته ان الحديث ضعيف او موضوع من طريقه لكنه لا يضر حيث انه ثابت باسناد الترمذى فى شمائله وانما اراد المصنف ان يتبرك بذكر مشايخه فى اسناده ويسلك بنفسه فى سلك اسناده والا فكان يكفيه ان يسند الحديث الى الترمذى المعروف بثبوت سنده اما لكونه صحيحا او حسنا او ضعيفا لانه وغيره ملتزمون ان لا يذكروا حديثا فيه راوى حكم بوضعه (ثنا) اى حدثنا (اسمعيل بن محمد بن اسحق بن جعفر ابن محمد بن على بن الحسين) بالتصغير (ابن على بن ابى طالب حدثنى) وفى نسخة قال حدثنا (على بن جعفر) اى الصادق (ابن محمد بن على بن الحسين) قال الحلبى على هذا روى عن ابيه واخيه موسى والثورى وعنه احمد البزى وجماعة اخرج له الترمذى فقط قال الذهبى ما رأيت احدا لينه ولا وثقه ولكن حديثه منكر جدا ما صححه الترمذى ولا حسنه وقد رواه عن نصر بن على عنه عن اخيه موسى عن ابيه عن اجداده مرفوعا من احبنى انتهى والحديث هو من احبنى واحب هذين واباهما وامهما كان معى فى درجتى يوم القيمة اخرجه الترمذى فى المناقب وانفرد بالاخراج له كذا ذكره الحلبى (عن اخيه موسى بن جعفر) اى ابن محمد العلوى الكاظم روى عن ابيه وعبد الله بن دينار ولم يدركه وعنه ابنه على الرضى واخواه على ومحمد وبنوه ابراهيم واسمعيل وحسين قال ابو صالح حاتم ثقة امام مات فى حبس الرشيد اخرج له الترمذى وابن ماجه وقال المسعودى قبض موسى ببغداد مسموما لخمس عشرة خلت من ملك الرشيد سنة ست وثمانين ومائة وهو ابن اربع وخمسين سنة (عن جعفر بن محمد) اى الصادق (عن ابيه محمد بن على) هو ابو جعفر الباقر سمى به لتبقره فى العلم اى لتوسعه فيه روى عن ابويه وجابر وابن عمر وطائفة وعنه ابنه جعفر الصادق والزهرى وابن جريج والاوزاعى وآخرون اخرج له الائمة الستة (عن على ابن الحسين) هذا زين العابدين روى عن ابيه وعائشة رضى الله تعالى عنها وابى هريرة وجمع وعنه بنوه محمد وزيد وعمر والزهرى وابو الزناد وخلق قال الزهرى ما رأيت قرشيا افضل منه اخرج له الائمة الستة قال المسعودى وكل عقب الحسين فهو من على بن الحسين هذا (قال قال الحسن ابن على رضى الله تعالى عنهما واللفظ) اى لفظ الحديث الآتى (لهذا السند) اى لاهل هذا السند الثانى وهو بالنون لا بالباء التحتية قال التلمسانى هذا اسناد شريف لانه مروى عن اهل البيت ومثله الاسناد المروى فى صفة الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حتى قال فيه الائمة اسناد لو ذكر على ذى علة او مجنون لبرئ او على مصاب الآفاق ولو رقى به

ملسوع لبرئ (سألت خالى هند بن ابى هالة عن حلية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بكسر حاء وسكون لام فتحتية اى وصفه ونعته (وكان) اى هند (وصافا) اى كثير الوصف له عليه الصلاة والسلام جملة معترضة (وانا ارجو) جملة حالية اى اتمنى واحب كما فى رواية (ان يصف لى منها) اى من حليته (شيئا) اى بعضا منها (اتعلق به) اى اتشبث به علما وعملا وهذا الحديث من طريق الترمذى فى الشمائل وقد انفرد باخراجه عن اصحاب الكتب الستة وقد بسطت الكلام على دقائق مبانيه وحقائق معانيه فى جمع الوسائل لشرح الشمائل وهنا اتبع المصنف فى ضبط مبناه اولا وربط معناه ثانيا و بالله التوفيق وهو الهادى الى سواء الطريق (قال) اى هند (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فخما) اى مهيبا عظيما فى العيون (مفخما) بتشديد الخاء المعجمة المفتوحة اى معظما مكرما فى القلوب كما يشير الى هذا المعنى ما ورد انه من رآه بداهة هابه ومن خالطه عشرة احبه وليس المراد بهما بيان ضخامته فى جسمه وخلقته لما سيأتى خلافه فى نعته ولا يبعد ان يقال معناهما عظيم عند الحق ومعظم عند الخلق (يتلألأ وجهه) اى يضئ من كمال نوره وجمال ظهوره (تلألؤ القمر ليلة البدر) اى كاضاءته حال بدره و بدوه (اطول من المربوع) اى القصير المربوع القامة (واقصر من المشذب) بتشديد الذال المعجمة المفتوحة اى الطويل البائن (عظيم الهامة) بتخفيف الميم اى كبير الرأس المشير الى الوقار والرزانة (رجل الشعر) بكسر الجيم وفتح العين و يسكن اى متكسره قليلا (ان انفرقت عقيقته) اى انفرق شعر رأسه من ذات نفسه (فرق) اى تركه مفروقا (والا فلا) اى وان لم ينفرق فلا يفرقه عن قصد منه والفرق هو الطريق الابيض الذى هو حاجز بين ناحيتى شعر الرأس (يجاوز شعره) اى شعر رأسه (شحمة اذنيه) اى احيانا ويروى شحمة اذنه بالافراد والشحمة معلق القرط وهو مالان من اسفلها (اذا هو وفره) بتشديد الفاء وقيل بتخفيفها وفى نسخة صحيحة وفره بزيادة الضمير اى تركه وافرا اوجعله وفرة اذ لا يسمى وفرة الا اذا وصل الى الشحمة (ازهر اللون) اى ابيض نيرا وقد جاء من حديث على رضى الله تعالى عنه انه كان ابيض مشربا بحمرة على ما اخرجه ابوحاتم عنه وكذا اخرج عن عائشة رضى الله تعالى عنها انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان ابيض اللون وفى المسند من رواية عبد الله من طريقين ان رجلا سأل عليا عن نعته عليه الصلاة والسلام فقال فيه انه ابيض شديد الوضح ولعل الاول باعتبار الوجه والاعضاء التى تبدو للشمس وهذا باعتبار سائر البدن والمراد بالوضح كمال صفاء بياضه فلا ينافى ما جاء فى الصحيح من حديث انس انه عليه السلام لم يكن بالابيض الامهق ولا بالآدم واما ما فى المسند لاحمد من حديث انس انه عليه الصلاة والسلام كان اسمر فالمراد به اسمر الى البياض كما ذكره ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (واسع الجبين) اى من جمال خلقه ويمكن ان يكون كناية عن كمال خلقه واصل الجبين ما بين الصدغين (ازج الحواجب) بتشديد الجيم الاولى اى دقيقها مع غزارة شعرها وتقوس اصلها (سوابغ) اى كوامل طولا وشوامل اصلا والسين اعلى من الصاد (من غير قرن) بفتحتين وقد يسكن اى من دون اجتماع واتصال بين الحاجبين ووقع فى حديث ام معبد وصفه بالقرن ولعل منشأ الخلاف من جهة قرب الرائى و بعده اوالمراد بالاثبات قرب القرن وبالنفى بعده لان المطلوب اعتداله المحمود من كل وجه واما ما جوزه الحلبى من انه كان بغير قرن ثم حدث له القرن فيبعد تصوره (بينهما) اى بين حاجبيه (عرق) بكسر اوله (يدره) من الادرار اى يكثر دمه ويحركه و يهيجه (الغضب) اى عند مشاهدة مخالفة الرب فلا يخالف حديث لا يغضب (اقنى العرنين) بالكسر اى طويل الانف مع دقة ارنبته وحدب فى وسطه على ما فى نهاية ابن الاثير و يكنى به عن العزيز الذى معه منعة وذلك لشموخ انفه وارتفاعه على قومه هذا وقال الجوهرى وعرنين كل شئ اوله وعرنين الانف تحت مجتمع الحاجبين وهو اول الانف حيث يكون فيه الشمم (له) اى لانفه بخصوصه (نور يعلوه) اى يظهر عليه او يرفعه من كثرة ضيائه وشدة بهائه وقوة صفائه (يحسبه) بكسر السين وفتحها اى يظن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اوانفه الوضئ (من لم يتأمله) اى وجهه (اشم) مفعول ثان ليحسبه والاشم الطويل قصبة الانف قال الجوهرى وهو ارتفاع وسط قصبة انفه مع استواء اعلاه واشراف ارنبته قليلا من منتهاه فان كان فيه احديداب فهو اقنى (كث اللحية) بتشديد المثلثة اى غزير شعرها وكثير اصلها وفى رواية كان كثيف اللحية وفى اخرى عظيم اللحية ذكره ميرك شاه رحمه الله تعالى فما فى شرح الشمائل لابن حجر المكى من قوله غير دقيقها ولا طويلها ينافى الرواية والدراية لان الطويل مسكوت عنه مع ان عظم اللحية بلا طول غير مستحسن عرفا كما ان الطول الزائد على القبضة غير ممدوح شرعا ثم هذا لا ينافى ما ورد عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مرفوعا من سعادة المرء خفة لحيته كما رواه الاربعة فان الكثافة والخفيف من الامور الاضافية فيحمل على الاعتدال الذى هو الكمال فى جميع الاحوال ولا يبعد ان يحمل الكثيف على اصله والخفيف على عدم طوله وعرضه واما قول الفقهاء فى تعريف اللحية الخفيفة هى ما تظهر البشرة

من نحوها لحادث اصطلاحا وهي الاحاديث هذه على المعنى اللغوي تصحيحا واصلاحا (ادعج) اي في العين وهو شدة سواد الحدقة مع شدة بياضها (سهل الخدين) اي سائلهما غير مرتفع الوجنتين (ضليع الفم) اي عظيمه او واسعه والعرب تمدح عظيمه وتذم صغيره ولعله الايماء الى سعة الفصاحة وظهورها اثر الملاحة (اشنب) بمعجمة فنون فموحدة اي ابيض الاسنان والشنب رونقها ومائها وماء اوبردها (مفلج الاسنان) بتشديد اللام المفتوحة اي منفرج الثنايا الحديث على افلج الثنايا ولان تباعد الاسنان كلها عيب (دقيق المسربة) بضم الراء ما دق من شعر الصدر كالخط سائلا الى السرة (كأن) بتشديد النون (عنقه) اي رقبته وجيده (جيد دمية) بضم المهملة صورة تعمل من عاج او رخام او نحوهما ويتأنق في تحسينها ويبالغ في تزيينها حال كون عنقه في صفاء الفضة (معتدل الخلق) بفتح الخاء اي متناسب الاعضاء في الحسن والبهاء (بادنا) اي عظيم البدن من جهة اللحم او خلقه العظيم وليس معناه السمين الضخم بل مطلب الجسم غير مسترخي اللحم كما قال (متماسكا) اي ليس مسترخي اللحم وروى متماسك بالرفع اي هو متماسك يمسك بعضه بعضا لشدته ولا ينافيه ما ورد من انه عليه السلام كان ضرب اللحم اي خفيفه يعني بالاضافة الى السمين المطين (سواء البطن والصدر) بالاضافة اي مستويان لا يرتفع احدهما على الآخر فهما معتدلان (مشيح الصدر) بضم ميم وكسر معجمة فتحتية فمهملة اي بادية وظاهره لا تطامن ولا انخفاض له كما انه لا ارتفاع له وروى بفتح الميم ومهملتين من المساحة او لمساحة اي عريضه وهو ايماء الى سعة صدره في امره وانشراح قلبه بحكم ربه (بعيد ما بين المنكبين) اي واسع ما بين الكتف والعنق قيل ههنا بعد وفيما سبق عظيم فعظمه اما البعد فهما سواء او هناك كثير اللحم وهنا بعيد فهما موصوفان وما موصولة (ضخم الكراديس) اي عظيم رؤوس العظام وجميعها جمع كردوس وهو رأس العظم او كل عظمين التقيا في مفصل كالمنكبين والركبتين (انور المتجرد) بفتح الراء المشددة وهو ما جرد عنه ثوبه من جسده (موصول ما بين اللبة) بفتح اللام وتشديد الموحدة اي موضع القلادة وهو الصدر او النحر وما موصولة (والسرة بشعر) متعلق بموصول (يجري كالخط) بتشديد الطاء المهملة اي يمتد مشابها للخط المستطيل وهو ما سبق من معنى المسربة شبهه بجريان الماء وامتداده في سيلانه (عاري الثديين) بفتح فسكون اي ليس عليهما شعر وقيل لحم ويؤيد الاول قوله (ما سوى ذلك) اي ما سوى الخط والمعنى الا ما سبق من شعر المسربة وروى مما سوى ذلك (اشعر الذراعين والمنكبين واعالي الصدر) جمع اعلى اي ما فوقه فان جميعها كثير الشعر لما تقدم ان ما عداه قليل الشعر واما ما ورد عن علي كرم الله وجهه على ما في حسان المصابيح من انه عليه الصلاة والسلام كان اجرد والاجرد هو الذي لا شعر عليه محمول على انه اريد بالاجرد ضد الاشعر والمعنى انه لم يكن على جميع بدنه شعر لا الاجرد المطلق (طويل الزندين) بفتح فسكون اي عظمي الذراعين من اليدين (رحب الراحة) بفتح فسكون وقد يضم اوله اي واسع الكف وهو قد يكون كناية عن نهاية الجود وغاية الكرم (شثن الكفين والقدمين) بسكون المثلثة وقيل بالفوقية وهما بمعنى على ما في القاموس اي يميلان الى غلظ وقصر او الى غلظ فقط ويحمد ذلك في الرجال لانه اشد لقبضهم واطنهم واقوى لشدهم وثباتهم ذكره ابن الاثير في المثلثة (سائل الاطراف) بالسين المهملة واللام اسم فاعل (او قال) شك من الراوي (سائن الاطراف) بالنون وهما بمعنى اي ممتدها وقد تبدل اللام نونا ذكره الدلجي ورد في نسخة صحيحة وسائر الاطراف بالراء ويدل عليه ذكره في كلام المصنف بعد على مشكاته وقد قال ابن الانباري روى سائل الاطراف او قال سائن بالنون وهما بمعنى واحد تبدل اللام من النون ان صحت الرواية بها واما على الرواية الاخرى وسائر الاطراف فاشارة الى فخامة جوارحه كما وقعت مفصلة في الحديث قال الانطاكي هو بياء والعطف اي وسائر اطرافه ضخم (سبط العصب) بفتح سين مهملة وسكون موحدة وفي نسخة بكسرها وروى بتقديم الموحدة والعصب بفتح المهملتين على ما في الاصول المصححة والنسخ المعتبرة واما قول الحلبي هو تصحيف والصواب بالقاف فهو من صوب الصواب تحريف والمعنى ممتدة اطناب مفاصله ومنبسطة من غير تعقد ونتو وروى القصب بالقاف قال الهروي وهو كل عظم عريض كاللوح وكل اجوف فيه مخ كالساق رواه ابن الانباري قالوا وهو الاشبه والمراد عظام ساعديه وساقيه باعتبار طولهما (خمصان الاخمصين) بضم الخاء المعجمة الاولى مبالغة من الخمص اي شديد تجافي اخمص القدم عن الارض وهو الموضع الذي لا يلصق بها منها عند الوطء (مسيح القدمين) اي ملساوين لينين لا تكسر فيهما وهو بفتح الميم وكسر المهملة قال الحنفي وروى بضم الميم وشين معجمة (ينبو عنهما الماء) على زنة يدعو اي يتجافى عنهما ووفوده فيهما لملاستهما (اذا زال) اي عن مكانه (زال تقلعا) بضم اللام المشددة وروى قلعا بكسر اللام وسكونها وروى اذا مشى تقلع اي رفع رجليه من الارض رفعا بقوة كانه يثبت في المشية بحيث لا يظهر منه العجلة وشدة المبادرة عملا بقوله تعالى واقصد في مشيك اي لا تمش الخيلاء ولا تسير تماوت كالنساء وروى اذا مشى مشى تقلعا

وزيد في نسخة صحيحة (ويخطو تكفؤا) بضم فاء مشددة فهمز او واو وسبق بيان مبناه وتبيان معناه (ويمشي هونا)
اى برفق وسكون ووقار وسكينة من غير دفع ومزاحمة لقوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا
وهو لا ينافي قوله (ذريع المشية) بالذال المعجمة وكسر الميم اى سريعها بسعة الخطوة كما يشير اليه قوله (اذا مشى
كانما ينحط) اى ينزل (من صبب) او في صبب كما في رواية اى منحدر من الارض لقوة مشيه وتثبت خطوه في وضعه
وحطه قال الازهرى الانحطاط من صبب والتكفؤ الى قدام والتقلع من الارض قريب بعضها من بعض في المعنى
وان اختلفت الفاظها في المبنى واما حديث ابى هريرة رضي الله تعالى عنه ما رأيت احدا اسرع في مشيه من
، صلى الله تعالى عليه وسلم فمحمول على السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت لانه عليه الصلاة والسلام
وثوب الشطار او على ان السرعة كانت تقع في مشيه عليه السلام لسعة خطوه من غير قصد له كيف
انه عليه السلام قال سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن على ما رواه جماعة من الحفاظ (واذا التفت) اى يمنة
والى احد من جانبيه (التفت جميعا) اى مجتمعا اليه ومقبلا بكليته عليه فلا يسارق النظر ولا يكون كالطير
الطايش بل يقبل جميعا ويدبر جميعا (خافض الطرف) اى بصره حياء من ربه وتواضعا لاصحابه (نظره الى
الارض) اى اكثر مدة (من نظره الى السماء) لانه اجمع للفكرة واوسع للعبرة (جل نظره) بضم الجيم وتشديد
ى معظمه (الملاحظة) مفاعلة من اللحظ وهو مراعاة النظر بشق العين مما يلى الصدغ وكانه اراد بها هنا حال
كره في امره المنع من توجهه بجميع نظره الى جانب من طرفه او الى احد من اهله (يسوق اصحابه) اى
امامه ويمشي خلفهم تواضعا لربه وتعليما لاصحابه وهذا في الحضر واما في السفر فلزيادة مراعاة اضعف القوم
غلتهم من ورائهم وكان لا يدع احدا يمشي خلفه ويقول دعوا خلفي للملائكة قال النووى وانما تقدمهم
صنعه جابر لانه صلى الله تعالى عليه وسلم دعاهم اليه فجاؤا تبعا له كصاحب الطعام اذا دعا طائفة مشى
انتهى ولا يبعد ان يقال انما تقدمهم مبادرة الى ما اراد من تكثير الطعام بوضع يده الشريفة عليه عليه
ة والسلام (ويبدأ) وفي رواية ويبدر بضم الدال اى يتبادر (من لقيه بالسلام) لانه الاكمل وثوابه الافضل لما
ن التواضع اولا والتسبب لفرض الجواب ثانيا ولذا عدت هذه الخصلة من السنن التي هي افضل من الفريضة
اشارة الى انه يستحب للاكبر ان يبتدئ به على الاصغر كما روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الاسراء لما وصل
لم الانتهاء وقال التحيات لله والصلوات والطيبات وبالغ في الثناء قال الله تعالى السلام عليك ايها النبي ورحمة
بركاته فاجابه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله اللهم انت السلام ومنك السلام واليك يرجع السلام السلام
وعلى عباد الله الصالحين فقالت الملائكة اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله والحديث الى هنا
عليه الترمذى والطبراني والبيهقي في روايتهم عن ابن ابي هالة وقد اقتصر عليه السيوطي في جامعه الصغير واما
المصنف على وفق ما في الشمائل للترمذى فقد قال الحسن بن على لخاله هند لما وصل الى هذا المحل وقد حصل له
الاكل من بعض فعله الاجل (قلت صف لى منطقه) اى كيفية آداب نطقه وبيان اخبار صدقه (قال) اى هند
، رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم متواصل الاحزان) اى وهو مما يوجب تكليل اللسان وتقليل البيان
م الفكرة) اى في امر الآخرة (ليست له راحة) لانه في دار محنة وهذا كله مما يقتضي قوله (ولا يتكلم في غير
ة) وكونه (طويل السكوت) ثم ليس المراد بحزنه الما بفوت مطلوب عاجل ولا بتوقع مكروه آجل فان ذلك
عنه لقوله سبحانه وتعالى لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم ولما ورد من دعائه عليه الصلاة والسلام اللهم
اعوذ بك من الهم والحزن وانما المراد به التيقظ والاهتمام لما يستقبله من الامور العظام كما اشار اليه قوله تعالى
بة عن اهل الجنة حال وصولهم الى غاية المنى الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور واما ما نقله
ى عن ابن امام الجوزية من ان حديث هند بن ابي هالة في صفته عليه الصلاة والسلام انه كان متواصل الاحزان
يث وفي اسناده من لا يعرف وكيف يكون وقد صانه الله تعالى عن الحزن على الدنيا واسبابها ونهاه عن الحزن
الكفار وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فمن اين يأتيه الحزن فمدفوع بما نقله الحلبي ايضا عن شيخ الاسلام ابي
باس بن تيمية في حديث بن ابي هالة انه عليه الصلاة والسلام كان كثير الصمت دائم الفكر متواصل الاحزان
لفظه فالصمت والفكر للسان والقلب واما الحزن فليس المراد به الالم على فوت مطلوب او حصول مكروه فان
ثم لم يكن من حاله انتهى وهذا تقرير لثبوت الحديث في المبنى واحتياج تأويله في المعنى ثم هذا كله من هند يدل على
له حيث ذكر هذه المقدمة توطئة في مقام مقاله اجمالا ثم بينه تفصيلا بقوله (يفتتح الكلام ويختمه) اى يطلب
بداءه وانتهاءه (باشداقه) اى جوانب فمه لرحب شدقه والعرب تمدح به (ويتكلم بجوامع الكلم) جمع جامعة اى

بالكلم الجوامع لمعان بديعة ومعانى كثيرة وفى الحديث كان يستحب الجوامع من الدعاء اى الجامعة لمقاصد صالحة وفوائد صحيحة (فصلا) اى يتكلم حال كون كلامه كلاما بينا يعرفه كل احد هينا ومنه قوله سبحانه وتعالى انه لقول فصل اى بين الحق والباطل او قاطع جامع مانع (لافضول فيه) اى عريا من الفائدة وبكون مملا (ولا تقصير) اى قريبا من اصل معناه وما يتعلق بمبناه من ما هو الزائد فيكون مخلا (دمثا) بفتح مهملة وكسر ميم مهملة اى كان لين الخلق سهلا (ليس بالجافى) اى غليظ الطبع او الذى يجفو اصحابه (ولا المهين) بفتح الميم وضمها قال ابن الاثير فالضم من الاهانة اى لايهين احدا من الناس فتكون الميم زائدة والفتح من المهانة اى الحقارة فتكون الميم اصلية انتهى ومنه قوله تعالى حكاية عن فرعون ام انا خير من هذا الذى هو مهين اى حقير (يعظم النعمة) اى نعمة الله (وان دقت) اى قلت وصغرت (لايذم شيئا) اى من نعمه سبحانه وتعالى او واحدا من خلقه لنزاهته عن البذاء والاذى مع قوله (لم يكن يذم) اى يعيب (ذواقا) بفتح اوله وتخفيف واوه اى ماكولا ومشروبا واما حديث ان الله لايحب الذواقين والذواقات فيعنى بهما سريع النكاح وسريع الطلاق (ولا يمدحه) اى لنزاهة ساحة قلبه عن الرغبة الى غير ربه ميلا الى الجمع متاع الحياة الدنيا والتوجه الى حظ نفسه منها المترتب عليه مدحها وذمها قيل لبعضهم مابال عظة السلف تنفع وعظة الخلف لاتنجع فقال علماء السلف ايقاظ والناس نيام وعلماء الخلف نيام والناس موتى او كالانعام (ولا يقام لغضبه اذا تعرض للحق) ببناء المفعول فيهما والمعنى لايقوم احد من الخلق لدفع غضبه اذا تعرض احد له فى امر من (شئ) اى بسبب مامور او منهى وروى لشئ باللام اى لاجل امر وحاصله انه اذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شئ (حتى ينتصر له) اى يقوم بنصرة الحق الواجب فى حقه وهذا غاية لعدم التعرض لغضبه (ولا يغضب لنفسه) اى لحظها ونصيبها (ولا ينتصر لها) اى لاجل حقها (اذا اشار) اى وقت خطابه فيما بين اصحابه (اشار بكفه) كلها قصد اللايهام ودفعا للايهام واستثنى منه حال ذكر التوحيد والتشهد حيث كان يشير بالسبحة الى تحقيق المرام (واذا تعجب) اى من شئ عظم وقعه عنده (قلبها) بتشديد اللام وتخفيفها اى قلب كفه الى السماء للايماء الى انه فعل الرب وانه منقلب عن قريب حال مابه العجب (واذا تحدث) اى تكلم (اتصل) اى كلامه (بها) اى مقرونا بكفه واشارته اليها تاكيدا لمدلولها وتحقيقا لمقصودها وتصحف الدلجى حيث وضع الفاء موضع التاء ثم قال اى قصد من قولهم فصل علينا اى خرج من طريق او ظهر من حجاب قاصدا بها (وضرب بابهامه اليمنى راحته اليسرى) وروى براحته اليمنى باطن ابهامه ولعل اختلاف الرواية بناء على تعدد الحالة فى الرؤية هذا بيان كيفية اتصال كلامه بها وهذا عادة من تحدث بامر مهم وفصل مع تاكيدا بالجمع تحريك اللسان وبعض الاركان على انه وقعا فى الخطب والشان وتوجها من جانب الجنان فكانه بكليته متوجه الى حصول قضيته (واذا غضب) اى ظهر اثر غضبه على احد (اعرض) اى عنه لبعد منه وسهل امره (واشاح) بشين معجمة وحاء مهملة فى آخره اى مال وانقبض ذكره الانطاكى تبعا للمصنف والاظهر ان يقال بالغ فى اعراضه بصفح عنه عنه مثلا قوله سبحانه وتعالى فاعرض عنهم واصفح (واذا فرح) اى حصل له سرور (غض طرفه) بفتح فسكون اى غض عينيه او خفض بصره واطرق راسه تواضعا لربه وتباعدا عن حصول شرهه واشره (جل ضحكه التبسم) اى معظم انواع ضحكه التبسم وهو مالاصوت فيه مطلقا وقد روى ان يحيى اذا لقى عيسى عليهما السلام يلقاه عيسى متبسما ويلقاه حزينا يشبه باكيا فقال يحيى لعيسى اراك تتبسم كانك آمن وقال عيسى ليحيى اراك تحزن وتبكى كانك آيس فاوحى الله اليهما احبكما الى اكثركما تبسما ولعل يحيى كان غلب عليه القبض والخوف لكونه مظهر الجلال وعيسى غلب عليه البسط والرجاء لانه مظهر الجمال والكمال وهو كون الجلال ممزوجا بغاية الجمال لقوله الاسنى فى الحديث القدسى سبقت رحمتى غضبى وفى رواية غلبت (ويفتر) بتشديد الراء اى يبدى اسنانه ضاحكا (عن مثل حب الغمام) اى البرد النازل من السحاب حال البرد (قال الحسن) اى ابن على (فكتمتها) اى اخفيت هذه الحلية او هذه الرواية (عن الحسين بن على زمانا) اى اختبارا وامتحانا (ثم حدثته) اى اخبرته بهذا الحديث اى ليتبين اطلاعه عليه (فوجدته قد سبقنى اليه) اى مع زيادة فضيلة وحدت لديه كما نبه بقوله (فسأل اباه عن مدخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومخرجه) بفتح الميمين فيهما (ومجلسه) بكسر اللام اى عن كيفية دخوله وخروجه وجلوسه او عن احوال مجالسه وهو مكان جلوسه وهو بكسر اللام سواء كان مصدرا او مكانا وقال الحلبى هو بفتح اللام اى هيئة جلوسه وهو خطأ فاحش لان الجلسة بكسر الجيم هو الموضوع للنوع والهيئة (وشكله) بفتح اوله ويجوز كسره وهو يحتمل صورته وسيرته لكن الثانى هو المراد هنا لتقدم ما تعلق بالاول ولقوله فيما يأتى فسألته عن سيرته (فلم يدع منه شيئا) اى فلم يترك الحسين شيئا من متعلقات جميع ماذكر الا وقد سأله وحققه وهذا من كمال اتصاف الحسن وجمال خلقه المستحسن ثم هذا بطريق الاجمال واما بطريق

التفصيل فكما بينه بقوله (قال الحسين سألت ابى) اى عليا كرم الله وجهه (عن دخول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى زمان دخوله وكيفية وصوله وهذا من قبيل رواية الاكابر عن الاصاغر اومن رواية الاقران فان مابينهما تفاوت قليل من الزمان (فقال) اى على (كان دخوله) اى فى بيته (لنفسه) اى لحقه خاصة ولاهل بيته عامة حال كونه (مأذونا له) اى من عند ربه (فى ذلك) اى فله الاجر الجزيل والثناء الجميل لماهنالك وقيل كان مأذونا له ان يدخل حيث شاء من بيوته لانه سبحانه وتعالى لم يوجب قسماعليه فى زوجاته لايدخل وقيل معناه انه لايدخل بغيراستيذان (فكان اذا اوى) بالقصر هوالاولى ومنه المأوى اى وصل الى منزله واستقر فى محله (جزأ) بتشديد الزاى فهمزاى قسم (دخوله) اى زمنه (ثلاثة اجزاء) اى اقسام (جزأ لله تعالى) بالنصب يعبده فى النوافل كالاشراق والضحى ونحوهما من الامور الكوامل (وجزأ لاهله) اى يدبرامرهم وحالهم ويصلح شانهم وأهم فيمالهم (وجزأ لنفسه) اى لاستراحتها كالقيلولة ونحوها ولورود وفود وضرورة قضية الجأت بعض الناس الى الدخول عليه والمشورة بين يديه وعرض احوال الجهاد واعمال العباد وامثال ذلك عليه وهذا معنى قوله (ثم جزأ جزءه بينه و بين الناس) اى من خواص اصحابه وزمرة احبابه (فيرد) اى فى بعض زمن نفسه (ذلك) اى نفعه لماهنالك (على العامة) اى الذين لم يقدر واعليه فى تلك الحالة (بالخاصة) اى بواسطتهم وحصول رابطتهم وقد قال ابن الاثيرارادان العامة كانت لاتصل اليه فى هذا الوقت فكانت الخاصة تخبرهم بما سمعوا منه فكانه اوصل الفوائد الى الخاصة بالعامة وقيل ان الباء بمعنى عن اى يجعل وقت العامة بعد الخاصة فيكونون بدلا منهم (ولايدخر) اى لايخفى من العلم اوالمال (عنهم شيئا) اى ممايتفعهم واصل يدخر بالدال المهملة المشددة يذتخر بالمجمة قلبت التاء دالا مهملة لاتحادهما مخرجا فصار يذدخر بمعجمة فمهملة ثم ادغم بالمهملة بعد قلب المعجمة بها وهذا نطق الاكثر ومنه قوله تعالى وادكر (فكان) كذا فى النسخ وكان الظاهر بالواو (من سيرته) اى من حسن طريقته (فى جزء الامة) اى امة الاجابة لتشريعته (ايثار اهل الفضل) اى اختيارهم لاعتبارهم (باذنه) اى بامره اكراما لهم ونفعا لمن تبعهم او بامر اهل الفضل ومنه حديث الشراب فى الغلام وهو ابن عباس رضى الله تعالى عنه مع الاشياخ ابى بكر وعمر فاستأذن فأذنواله (وقسمه) بفتح القاف اى قسمته كما فى نسخة صحيحة وهو مصدر مضاف اما الى الفاعل اوالمفعول اى قسمة الجزء اوقسمة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اياه (على قدر فضلهم) اى الافضل فالافضل (فى الدين) اى بالعلم والعمل المتعلق به المسمى بالتقوى لقوله تعالى ان اكرمكم عندالله اتقيكم لابمجرد النسب ومقتضى الحسب اوكثرة الذهب ثم هم مع تفاوتهم فى مراتب الفضيلة متفاوتون فى مقدار استحقاقهم بحسب الحاجة كمايشير اليه قوله (منهم ذوالحاجة ومنهم ذوالحاجتين ومنهم ذوالحوايج) اى ثلاثا فاكثر وهو جمع حاجة من غيرقياس وقيل جمع حائجة (فيتشاغل بهم) اى على حسب منافعهم (و يشغلهم) بفتح الياء والغين لابضم اوله وكسرثالثه فانه لغة رديئة (فيما اصلحهم) اى ذلك الوقت وفى نسخة يصلحهم ولعله من قبيل حكاية الحال الماضية (والامة) بالنصب عطفا على الضمير فالتقدير و يصلح عامة الامة (من مسئلته) وروى من مسئلتهم (عنهم) اى من اجل سؤاله عن احوالهم وتفقده لاعمالهم وجعل الدلجى من بيانا لما وهو غير صحيح فى المعنى لانه لوارىد هذا المعنى لقال من مسألتهم عنه كما لايخفى (واخبارهم) اى ومن اجل اخباره اياهم (بالذى ينبغى لهم) اى يصلح لهم خاصة اوللعامة كافة (و يقول) اى فى جميع المراتب (ليبلغ) بالتشديد والتخفيف (الشاهد) اى ليوصل الحاضر (منكم الغائب) اى الموجود اومن سيوجد فى عالم الوجود ماسمعه منى ولو بالمعنى خلافا لبعضهم من الصحابة كالصديق ومن التابعين كابن سيرين وابى حنيفة و بعض علماء الامة وقيل المراد بالشاهد الصحابى الاكبر والغائب الاصغر اوالشاهد الصحابى والغائب التابعى اوالشاهد العالم والغائب الجاهل ومنه قول القائل شعر

(اخو العلم حى خالد بعد موته * واوصاله تحت التراب رميم)

(وذوالجهل ميت وهوماش على الثرى * يعد من الاحياء وهو عديم)

اوالشاهد الحضرى والغائب البدوى اوالشاهد السامع والغائب من لم يسمع اوالشاهد الذكور والغائب الاناث اوالشاهد المسلم والغائب الكافر وروى الشاهد الغائب بدون منكم (وابلغونى) اى اوصلوا الى (حاجة من لايستطيع ابلاغى حاجته) وروى ابلاغ حاجته (فانه) اى الشان (من ابلغ سلطانا) اى نبيا اوخليفة اوقاضيا اوحاكما اواميرا اووزيراولوسلطانا جائرا (حاجة من لايستطيع ابلاغها) اى بنفسه الابكلفة ومشقة (ثبت الله قدميه) اى على الصراط اوفى الموقف (يوم القيامة) لماقام بحق الاخوة وثبت فى مقام الرحمة والشفقة (لايذكر عنده) بصيغة المجهول (الا ذلك) اى الذى ينشأعنه نفعهم و يترتب عليه رفعهم (ولايقبل) اى هو (من احدغيره) اى غير ما فيه منفعة

هنالك ولا يبعد ان يقرأ ولا يقبل بصيغة المفعول فتأمل (قال) اى على (فى حديث سفيان بن وكيع) اى بروايته خاصة (يدخلون روادا) بضم فتشديد اى حال كونهم طالبين منه العلم وملتمسين منه الحكم وروى بكسر اوله مخففا على انه مصدر اى يجيئون وقت الوصول اليه وروى لواذا باللام والذال المعجمة اى ملتجئين اليه ومتحصنين ومتمسكين به اومتقربين لديه عنده (ولا يتفرقون) اى لا يفترقون بعد دخولهم (الا عن ذواق) بفتح اوله اى من علم وحكم وحلم يكتسبونه منه اوعن مذوق من مأكول اومشروب يحضر عنده واقتصر اهل الذوق على الاول فاعل وان كان الجمع ان تصور اوتيسر فهو الاكمل بالنسبة الى الكمل (ويخرجون ادلة) جمع دليل اى هداة (يعنى فقهاء) اى علماء بالكتاب والسنة قال التلمسانى هذا القول لابن شاذان على ما نقله بعض الشيوخ وروى بذال معجمة اى متواضعين اومنقادين (قلت) القائل هو الحسين بالتصغير لابيه رضى الله تعالى عنهما (فاخبرنى عن مخرجه) كيف كان يصنع فيه لا تقتصر فى جميع احواله من دخوله وخروجه وسائر احواله (قال) اى على (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يخزن لسانه) بضم زاى اى يجعله مخزونا ومحبوسا وممنوعا (الا فيما يعنيهم) بكسر النون اى يهمهم وينفعهم وفى نسخة من الاعانة اى يساعدهم ويقوى دينهم من جواهر امثاله وزواجر وعظه ومنه (شعر)

(اذا المرء لم يخزن عليه لسانه * فليس على شئ سواه بخازن)

(ويؤلفهم) بتشديد اللام اى يوقع الالفة بينهم من صحائب كرمه وسوابك نعمه فيجمعهم (ولا يفرقهم) بتشديد الراء اى لا يتكلم بما ينفرهم لانه رحمة من الله لانه لهم (يكرم) من الاكرام اى يعظم (كريم كل قوم) اى رئيسهم وشيخهم ويقول ايضا اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه كما رواه ابن ماجه وغيره (ويوليه) بتشديد اللام اى يجعله واليا (عليهم) اى بالمامه وعمهم (ويحذر الناس) اى لقوله تعالى واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك ثم عطف بالمفسر قوله (ويحترس منهم) اى يتحفظ منهم فى الحديث الحزم سوء الظن وفى لفظ احترسوا من الناس بسوء الظن والمعنى لا تثقوا بكل احد منكم فانه اسلم لكم فهو لا ينافى قوله تعالى ان بعض الظن اثم اوفيحذر من لعائب ويحترس من الحاضر والمراد من الناس جنسهم كالاعرابى لاجميعهم فى هذا الباب (من غير ان يطوى) بكسر الواو اى يمنع (عن احد) وفى نسخة على احد (بشره) بكسر الموحدة اى بشاشة بشرة وجهه وطلاقته (وخلقه) اى حسن عشرته وطراوته وهذا فى حق من حضر منهم فى خدمته اذا وجدوا (ويتفقد اصحابه) اى يتعرف احوالهم اذا غابوا وفقدوا (ويسأل الناس عما فى الناس) اى عما يوجب التفقد والتفحص للاستيناس (ويحسن الحسن) بتشديد السين وتخفف اى يبين حسن ما يكون حسنا ويجعله مستحسنا (ويصوبه) بتشديد الواو اى يحكم بكونه صوابا ترغيبا فيه وتحريضا عليه وروى ويقويه (ويقبح القبيح ويوهنه) بتشديد الباء والهاء مشددة اومخففة بعدها نون اوياء اى يظهر قبحه وضعفه تنفيرا عنه وتحذيرا منه (معتدل الامر) اى كان امره وشأنه كله فى غاية من الاعتدال ونهاية من كمال الجمال بما العمل فيه راحة وللعين قرة (غير مختلف) حال مؤكدة اى غير مفرط ولا مفرط اوغير متناقض ولا متعارض (لا يغفل) بضم الفاء اى لا يظهر الغفلة بالمرة لارباب الصحبة (مخافة ان يغفلوا ان يملوا) بفتح ميم وتشديد لام اى يسأموا اوللتنويع (لكل حال) اى من احوال الدنيا والعقبى (عنده عتاد) بفتح مهملة ومثناة فوقية اى عدة زاد ومعد معاد (لا يقصر عن الحق) اى لا يفرط فى اقامته (ولا يجاوزه الى غيره) اى ولا يتعدى عن غاية مرتبته (الذين يلونه) اى يقربونه (من الناس خيارهم) مبتدأ وخبر (وافضلهم عنده اعمهم نصيحة) اى لله وكتابه ورسوله وائمة المسلمين وعامتهم كافة وقد ورد خير الناس انفعهم للناس والنصيحة الخلوص لغة وهى كلمة جامعة يعبر بها عن جملة ارادة الخير للمنصوح بها خالصة (واعظمهم عنده منزلة احسنهم مواساة) اى مشاركة فى الرزق والمعيشة قلت ثمرتها واوالدليل حديث ما احد عندى اعظم يدا من ابى بكر آسانى بنفسه وماله وآساه بالهمز اعلى من واساه وقيل لا يكون المواساة الا من كفاف (وموازرة) اى معاونة من الوزر بمعنى الملجأ اوبمعنى الحمل وروى بالهمز مكانه من الازر بمعنى الظهر لان منه قوة البدن فوازره بمعنى قواه ووقع فى اصل الدلجى تقديم موازرة وهو مخالف للاصول المعتبرة (ثم قال) اى الحسين بن على رضى الله عنهما (فسألته) اى ابى (عن مجلسه) اى جلوسه صلى الله تعالى عليه وسلم اومكانه وكيفية حاله ومراتب شأنه ولذا ابدل منه بقوله (عما كان يصنع فيه) اى فى جلوسه او مجلسه وقد اغرب الدلجى حيث قال هنا ايضا ما سبق له من انه بفتح اللام كما تقدم قريبا والظاهر انه يجوز بكسر اللام وتقدم ان فتحها خطأ منى ومنى (فقال) اى على (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يجلس) اى بعد قيامه من نوم اوغيره (ولا يقوم) اى بعد جلوسه (الا على ذكر) اى من افادة علم وذكر او بيان حمد وشكر عملا بقوله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم (ولا يوطن الاماكن) من الايطان اوالتوطين اى لا يجعل

لنفسه مجلسا معينا يعرف به بحيث لا يجلس فى غيره (وينهى) اى غيره ايضا (عن ايطانها) اى اتخاذها معينة وقيل مصلى لصلاته المبينة فروى الحاكم وغيره انه صلى الله تعالى عليه وسلم نهى ان يوطن الرجل المكان يصلى فيه وفى رواية نهى عن ان يوطن الرجل فى المكان بالمسجد كما يوطن البعير والمعنى انه نهى ان يألف الرجل مكانا معلوما من المسجد مخصوصا يصلى فيه كالبعير لا يأوى من العطن الا الى مبرك قد وطنه واتخذه مناخا ولعله اريد به خصوص من لم يألف من المسجد مكانا يفتى به او يدرس فيه فان له ان يقيم من سبقه اليه لئلا يتفرق اصحابه عليه ولكن الاولى ان لا يلتزم جلوسه لمكان معين بحيث لا يتقدم ولا يتأخر عنه نظرا الى عموم النهى ورخص للامام بوقوفه فى موضع معين من محراب المساجد للضرورة ولعل نهى غيره مخافة دخول الرياء والسمعة فى الطاعة ثم رأيت النووى صرح به حيث قال وانما ورد النهى عن ايطان موضع من المسجد للخوف من الرياء ونحوه والا فلا بأس بملازمة الصلاة فى موضع من البيت لحديث عتبان بن مالك فلم يجلس يعنى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حين دخل البيت ثم قال اين تحب ان اصلى من بيتك فاشرت الى ناحية من البيت الحديث وقال التلمسانى كان مقعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عند العمود المخلق وكان لاصحابه مواضع فيه معروفة الاماكن وقال بعض الشيوخ نهيه عن ذلك لوجوه احدها خوف الرياء والسمعة والتظاهر بالملازمة والثانى ان يغيب فيقع الناس فيه فيأثمون به والثالث ان يرى انه استحقه دون غيره قلت والرابع انه يعتقد عدم جوازه فى غيره كما قيل فى كراهة تعيين سورة فى صلاته وينبغى ان يستثنى ملازمة المواضع المأثورة كما انه استثنى ما ورد فى قراءته الآثار المسطورة ولا يبعد ان النهى مختص بموضع يتبارك الناس بالصلاة فيه كتحت الميزاب والمقام والمحراب والله اعلم بالصواب (واذا انتهى الى قوم) اى جالسين او الى مجلسهم (جلس حيث ينتهى به المجلس) ولم يتقدم عليهم ولم يتميز عنهم بل كان يجلس حيث اتفق معهم فان شرف المكان بالمكين دون العكس المبين (ويأمر بذلك) تاكيدا للامر بالقول بانضمامه الى الفعل ويقول ان الله يكره عبده ان يراه متميزا عن اصحابه (ويعطى كل جلسائه نصيبه) اى من مباشرته ومحادثته (حتى لا يحسب جليسه) اى لا يظن مجالسه (ان احدا اكرم عليه منه) اى من غاية استجلاب خاطره ونهاية جبر حال ظاهره (من جالسه او قاومه) اى وافقه فى جلوسه او قيامه بمعنى جلس معه او قام معه (لحاجة) اى عارضة لصاحبه (صابره) اى بالغ فى حبس نفسه للصبر معه (حتى يكون هو المنصرف عنه) اى بعد انقضاء حاجته منه (من سأله حاجة لم يرده) بفتح الدال وضمها (الا بها) اى الا بقضائها او وعدا بها كما بينه بقوله (او بميسور) اى بما تيسر له (من القول) وهو يشمل دعاء له بحصولها فاو للتنويع وفيه ايماء الى قوله تعالى واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا (قد وسع الناس) بالنصب اى عمهم (بسطه وخلقه) اى بسط يده وانبساط خلقه وسماحة نفسه وسعة كرمه (فصار لهم ابا) اى من كمال الشفقة وحسن تأديب التربية لان نبى كل قوم بمنزلة ابيهم كما قال تعالى ملة ابيكم ابراهيم وفى قراءة شاذة بعد قوله سبحانه وتعالى وازواجه امهاتهم وهو اب لهم (وصاروا عنده فى الحق) اى فى حق الرحمة والرأفة (متقاربين) اى كالاولاد عند الوالدين متساوين فى اصل المحبة (متفاضلين فيه بالتقوى) اى عن المعصية (والتقوى) اى على الطاعة لقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقيكم (وفى الرواية الاخرى) اى عنه او عن غيره (وصاروا عنده فى الحق سواء) اى فى حكم الحق للخصومة او فى اصل حق المودة مستوين (مجلسه مجلس حلم) اى وقار وسكينة (وحياء وصبر وامانة) اى لا مقام وقاحة وخفة وخيانة (لا ترفع فيه الاصوات) لقوله تعالى ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الآية وهذا بيان لحلمهم وحيائهم (ولا تؤبن فيه الحرم) وضبطهما تقدم اى لا يذكرون فيه بسوء وهذا بيان لصبرهم وامانتهم (ولا تنثى) بضم اوله وسكون نون وفتح مثلثة اى لا تشاع ولا تذاع ولا تذكر من النثاء وهو اعم من ذكر الحسن والقبح وخبر الخير والشر وقيل مختص بالشر وهو فى هذا المقام اظهر فتدبر وفى نسخة بمثناة فلثة فنون اى لا تعاد (فلتاته) بفتحتين وقد تسكن اللام اى زلات مجالسه وعثرات من حضر فى مقام انسه والمعنى لم يكن لمجالسه فلتة فتنقل فالنفى منصب على القيد والمقيد كقوله تعالى لا يسئلون الناس الحافا اى اصلا (وهذه الكلمة) اى الجملة الاخيرة وهى ولا تنثى فلتاته ثابتة (فى غير الروايتين) اى المذكورتين فى سند هذا الحديث (يتعاطفون) اى فيه كما فى نسخة صحيحة اى فى مجلسه خصوصا يتحابون ويتراحمون (بالتقوى) اى بسببها لحديث ابى داود والترمذى لا تنزع الرحمة الا من شقى او بحسب تفاوت مراتبها حال كونهم (متواضعين) اى بعضهم لبعض كما قال تعالى اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين وكما قال اشداء على الكفار رحماء بينهم (يوقرون فيه) اى فى مجلسه خصوصا (الكبير) اى فى السن او الرتبة بما يجب له من العظمة (ويرحمون الصغير) اى بمقتضى الشفقة (ويرفدون) بضم الفاء وكسرها وحكى فتحها

وفي نسخة من الارعاء اي يعينون ويغيثون (ذا الحاجة) ويعطون صاحب الفاقة وقيل رفد اعطى وارفده اعانه والرفد بالكسر هو العطاء (ويرحمون الغريب) اي لبعده عن بلاده واصحابه ومفارقة اولاده واحبابه (ثم قال) اي الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما (فسألته) اي اي (عن سيرته صلى الله تعالى عليه وسلم في جلسائه) اي عن طريقته في حضورهم في خدمته (فقال) اي علي (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دائم البشر) اي غير مقيد طلاقة وجهه وبشاشة بشرته بوقت دون وقت في حالته (سهل الخلق) اي لين الطبع مع عموم الخلق (لين الجانب) بتشديد التحتية وتخفيف اي في كمال من الرفق (ليس بفظ) اي سيئ الخلق (ولا غليظ) اي قاسي القلب (ولا سخاب) اي صياح وفي رواية ولا صخوب والصاد لغة فيهما وكلاهما للمبالغة الا ان النفي لاصل المعنى لا للزيادة والاظهر ان الكلمة بوضعها للنسبة كتمار ومنه قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد وجاء في حديث المنافقين خشب بالليل سخب بالنهار اي اذا جن عليهم الليل سقطوا نياما كالخشب فاذا اصبحوا تساخبوا على الدنيا شحا لها عليها وتما لؤا اليها وفي رواية في الاسواق فالمراد نفي رفع الصوت بالخاصمة والمشاجرة على ما هو المعروف في العادة فلا ينافي ما ورد من انه كان اذا دخل السوق قال لا اله الا الله وحده لا شريك له الى آخره مع غيره مما ثبت من الادعية في اثره (ولا فحاش) اي ذي فحش من كلام غليظ (ولا عياب) اي على احد قولا وفعلا مرضيا او في غيبة احد اوما كول ومشروب كما سبق (ولا مداح) اي مبالغ في مدح احد ويروى بالزاي اي كثير المزح الثابت في وصفه من مدحه ومزحه احيانا واما ما وقع عند شارح بالراء فتصحيف لمخالفته الاصول وان قال انه من المرح وهو البطر والتبختر (يتغافل عما لا يشتهي) اي عما لا يحب على احد فيه ان يذهب (ولا يؤيس منه) بالبناء للفاعل او المفعول من اليأس ضد الرجاء على ما مر له من باب المعنى (قد ترك نفسه) اي لم يجعل لها حظا (من ثلاث) اي ثلاث خصال بينها باعادة الدال مع اعادة من بقوله (من الرياء) وكذا من السمعة فانهما من الشرك الاصغر وهذا انما يبتلى به من لا يعرف الله حتى يلتفت الى ما سواه ووقع في اصل الطلساني الرياء بدون من نحو زجره على بدل المفصل من المجمل كقوله تعالى حكاية نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق ورفعه على انه خبر محذوف قلت لو صحت هذه الرواية لجاز نصبه بتقدير اعني كما لا يخفى على ارباب الدراية (والاكثار) اي ومن اكثار القول المل للحضار او من اكثار متاع الدنيا لكمال توجهه الى المولى والدار الاخرى التي هي بالاستكثار اولى واحرى (وما لا يعنيه) اي ومما لا يهمه ولا ينفعه ولا يغنيه وكيف لا وفي حديث الترمذي من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وقد قال سبحانه وتعالى والذين هم عن اللغو معرضون وهو يشمل القول والفعل وتوجه القلب واقبال العقل (وترك الناس) اي ابعدهم عن ساحة ما ينقصهم (من ثلاث) بينها لا بدالها كما قال الحنفي بقوله (كان لا يذم احدا) اي عما يضع قدره (ولا يعيره) بتشديد التحتية اي لا يعيبه بعيب سبق امره اذورد في حديث الترمذي عن معاذ مرفوعا من عير اخاه بذنب لم يمت حتى يعمله قال الطلساني هما واحد والا كان العدد اربعا قلت الصواب انهما عددان لانهما متغايران وان الثالث قوله (ولا يطلب عورته) اي لا يبتغي عثرته فيتجسس عن امره ويتفحص عن خلله لقوله سبحانه وتعالى ولا تجسسوا ولحديث ابي داود على المنبر يا معشر الجن من اسلم بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فان من تتبع عورة اخيه المسلم تتبع الله عورته ومن كشف الله حاله وفضحه فهو من باب المشاكلة لوروده بالمقابلة وقد تمت الثلاث فعطف على ما قبلها قوله (ولا يتكلم الا فيما رجا ثوابه) اي في فعله او يخاف من عقابه في تركه ولعله ترك للاكتفاء او لكمال ظهوره (اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير) اي اكراما له واحتراما لقوله وسبق تحقيقه (واذا سكت تكلموا) اي تأدبا معه وزيادة استفادة منه (لا يتنازعون عنده الحديث) اي لا يتجاذبونه بينهم كما بينه بقوله (من تكلم عنده انصتوا له) اي سكتوا له او اسكت بعضهم بعضا لاجله (حتى يفرغ) اي من كلامه وتحصيل مرامه (حديثهم حديث اولهم) مبتدأ وخبر متضمن لتشبيه بليغ اي حديث آخرهم كحديث اولهم في الرغبة اليه والنشاط لديه وعدم الملالة والسآمة عليه وفي رواية حتى يفرغ حديث اولهم وروي حتى يفرغ من كلامهم حديثهم حديث اولهم (يضحك مما يضحكون منه) اي بحكم المؤانسة وحق المجالسة (ويتعجب مما يتعجبون منه) تطييبا لخواطرهم وتحسينا لسرائرهم وظواهرهم (ويصبر للغريب على الجفوة) بفتح جيم فسكون فاء اي الغلظة والسقطة والغلطة (في المنطق) اي في العبارة وهذا كله كان دأبه في العادة (ويقول اذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها) جملة حالية او استئنافية بيانية (فارفدوه) بهمزة قطع او وصل اي اعطوه ولو بعض كفايته او اعينوه على قضاء حاجته (ولا يطلب الثناء) اي ولا يقبله كما في رواية (الا من مكافئ) بكسر فاء فهمز اي معتقد لثنائه او مقتصد في ثنائه غير متجاوز الى اطرائه الا تراه يقول لا تطروني

كما اطرت النصارى عيسى ابن مريم ولكن قولوا عبد الله ورسوله فاذا قيل هو نبي الله اورسول الله فقد وصف بما لايوصف به احد من امته فهو مدح مكافئ له وما احسن قول البردة في هذه الزبدة

(دع ماادعته النصارى في نبيهم * واحكم بماشئت مدحا فيه واحتكم)

(ولايقطع على احد حديثه) اى كلامه فى اثنائه بل ينصت له (حتى يجوزه) اى يتعداه و يتخلص (فيقطعه بانتهاء) اى الحديث ولو بعد قعوده (اوقيام) اى له على طريق وداعه (هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع) اى شيخ الترمذى (وزادالاخر) اى بسند المصنف من طريق ابى على الحافظ ابن سكرة منتهيا الى الحسن بن على راويا عن اخيه الحسين رضى الله تعالى عنهما (قلت) اى لابى (كيف كان سكوته صلى الله تعالى عليه وسلم قال) اى على (كان سكوته على اربع) اى حالات اوصفات (على الحلم) اى الوقار والسكينة دون الخفة والعجلة (والحذر) اى مماتخشى فيه من الضرر (والتقدير) اى تقدير الشئ بمعنى التصوير (والتفكر) اى فيما يحتاج اليه من التقدير (فاماتقديره) تفصيل على خلاف ترتيب مااجمل به (ففى تسوية النظر) اى التأمل فى الامر اومساواة النظر بالبصر (والاستماع بين الناس) كما قرر فى آداب القضاء من العدالة بين الخصماء على حد سواء فى الاستواء وروى الاستمتاع بمعنى الانتفاع (واما تفكره ففيما يبقى) اى من اعمال العقبى (و يفنى) اى من احوال الدنيا كقوله تعالى المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخيرا ملا اوفيما يبقى عند المولى ويفنى عند السوى كقوله تعالى ما عندكم ينفد وماعند الله باق (وجمع له الحلم صلى الله تعالى عليه وسلم فى الصبر) اى فى حال صبره (فكان لايغضبه) بضم اوله وكسر ضاده اى لا يحمله على الغضب (شئ يستفزه) بتشديد الزاى اى يستخفه و يفزعه (وجمع له فى الحذر) اى التحفظ فى الحضر والسفر والتحرس عن الضرر (اربع) اى من الخصال الحميدة والاحوال السعيدة احداها (اخذه بالحسن) اى قولا وفعلا (ليقتدى به) اى علما وعملا سواء كان واجبا اومندوبا اومباحا فهو مرفوع على انه مبتدأ خبره مقدر مقدم اوعلى انه خبر مبتدأ محذوف هو هى اوعلى انه بدل من اربع بدل الكل بتأخير الربط او بدل البعض بتقديمه على وجه شموله و يجوز نصبه بتقدير اعنى ايضا لاكما توهم الدلجى فى اقتصاره على ضبط نصبه على انه مفعول من اجله (وتركه القبيح) اى حراما اومكروها اوما هو خلاف الاولى (لينتهى عنه) بصيغة المفعول اى لينتهى عنه غيره تبعا له والمعنى انه كان يترك مايعد قبيحا فى حق غيره وان كان وجوده صحيحا فى حقه ليكون دليلا على انتهائه صريحا وليعلم انه عامل بعلمه ومتعظ بوعظه كما قال الله تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام وما اريد ان اخالفكم الى ماانهيكم عنه (واجتهاد الرأى) اى بذل الجهد فى ظهور الاحرى (بما اصلح امته) اى بسبب صلاح امرهم وموجب فلاح اجرهم (والقيام لهم) اى لمصالحهم ونظام احوالهم (بما جمع لهم امر الدنيا والآخرة) بنصب الامر على مافى الاصول المعتمدة على انه مفعول جمع ووقع فى اصل الدلجى من امر الدنيا والآخرة بزيادة من وهو يحتمل ان تكون تبعيضية او بيانية وهو الاولى كما فسره بقوله من معاش ومعاد قال المصنف (انتهى الوصف) اى وصف نبى الله (بحمد الله) اى مقرونا بحمده حيث لا يستحق الحمد سواه ولا ينبغى ان يحمد الا اياه

(فصل) (فى تفسير غريب هذا الحديث) اى باعتبار مبناه (ومشكله) اى من جهة معناه وانما سمى غريبا لغرابة استعماله حيث غيره فى المداولة اكثر نصيبا و يكون الى الفهم قريبا (قوله المشذب) بفتح الذال المعجمة المشددة (اى البائن الطول) بالاضافة اى المفرط فيه المباين عن قد الطوال اوالمفارق عن رتبة قامة الربعة (فى نحافة) اى حال كونه واقعا فى صفة النحافة التى هى ضد الضخامة (وهو) اى المشذب (مثل قوله فى الحديث الآخر) اى للترمذى والبيهقى (ليس بالطويل الممغط) بتشديد الميم الثانية فمعجمة فمهملة اى المتناهى طولا والممتد قامة واصله منمغط اسم فاعل من باب الانفعال والنون للمطاوعة فقلبت ميما وادغمت يقال مغطت الحبل اذا مددته وانمغط النهار اذا امتد وفى نسخة بكسر العين المهملة و يروى بصيغة المفعول من باب التفعيل بالغين المعجمة والكل بمعنى (والشعر) بفتح العين وتسكن (الرجل) بفتح راء فكسر جيم مبتدأ موصوف خبره (الذى كأنه مشط) بضم ميم فتخفيف شين معجمة مكسورة (فتكسر قليلا) اى فبقيت جعودته يسيرة وسبوطته كثيرة ومنه الترجيل وهو تسريح الشعر وتنظيفه وتحسينه لا انه من الترجيل كما توهمه الدلجى لان المزيد يؤخذ من المجرد لابالعكس (ليس) اى شعره الرجل (بسبط) بسكون الموحدة وتكسر والاول انسب بقوله (ولاجعد) والجملة تفسير لماقبلها او بيان لما كان عليه من اصل خلقه والحاصل انه لم يكن شديد السبوطة والجعودة وقد روى احمد وابوداود انه صلى الله تعالى عليه وسلم نهى عن الترجل الاغبا ولعل العلة مانشأ عن الكثرة مما يشعر ببطر النعمة قال النووى والسبط بفتح الباء وكسرها لغتان مشهورتان و يجوز اسكان الباء مع كسر السين ومع فتحها على التخفيف كما فى كتف و بابه

(والعقيقة) وهي في الاصل الشعر الذي يولد به يقال عق عن المولود اذا حلق عقيقته يوم سابع ولادته وذبح عنه شاة وسميت باسمه عقيقة كما سمي به (شعر الرأس) لانه نبت اسوله (اراد) اى الراوي انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يفرق شعر رأسه باختياره بل دأبه انه (ان انفرقت) اى عقيقته (من ذات نفسها) وروى من ذاتها (فرقها) اى تركها متفرقة (والا تركها) اى على حالها (معقوصة) اى وفرة واحدة قيل وكان هذا في صدر الاسلام وروى الشيخان وغيرهما انه كان يحب موافقة اهل الكتاب فيما لم يؤمر به وكانوا يسدلون شعورهم وكان المشركون يفرقون فسدل صلى الله تعالى عليه وسلم ناصيته ثم فرق بعد ومن ثمة قال النووي المختار جواز هما والفرق افضل (ويروى عقيصته) اى انفرقت عقيصته فرقها والا تركها على حالها وهي فعيلة بمعنى مفعولة كضفيرة بمعنى مضفورة زنة ومعنى واصله الليّ وادخال اطراف الشعر في اصوله (وازهر اللون نيره) بتشديد التحتية المكسورة اى ابيض مشرق متلألئ ومنه الزهرة نجم مشهور (وقيل ازهر حسن ومنه) اى من هذا القبيل او الاشتقاق (زهرة الحيوة الدنيا اى زينتها) يعني حسنها او بعضها (وهذا) اى كونه ازهر (كما قال) اى واصفه (في الحديث الآخر) اى ما رواه الشيخان والترمذي (ليس بالابيض الامهق) اى الشبيه بالابرص (ولا بالآدم) اى بالاسمر القريب الى الاحمر بل كان ابيض مسمرا بحمرة (والامهق هو الناصع البياض) اى خالصه كلون الجص (والآدم الاسمر اللون) واما ما ورد في حديث انه كان اسمر اللون فمحمول على ان ما برز منه للشمس كان اسمر وما سترته ثيابه كان ابيض والحاصل ان اصل خلقته ابيض وقد كان تعتريه السمرة فلا ينافي كونه اسمر فتدبر (ومثله) اى ومثل كون لونه بينهما المفاد اولا (في الحديث الآخر) اى الذي رواه الترمذي والبيهقي (ابيض مشرب) بضم ميم وفتح راء مخففة او مشددة للمبالغة اى مشرب بحمرة كثيرة ولذا قال (اى فيه حمرة) وهذا احسن الوجوه واحسن الالوان من افراد انواع الانسان كما اخبر الله سبحانه وتعالى عنه في القرآن بقوله في وصف الحور البيض كأنهن الياقوت والمرجان ولا عبرة ببعض الطباع العادية من ميلهم الى الصفر او الخضر او السودان هذا وفي شرح المصابيح لابن الملك الاشراب خلط لون بلون كأن احد اللونين يسقي الآخر يقال بياض مشرب حمرة بالتخفيف فاذا شدد كان للتكثير والمبالغة قلت ومنه قوله تعالى واشربوا في قلوبهم العجل اى اختلط حبه في قلوبهم (والحاجب الازج) افعل من الزجج وهو دقة الحاجبين مع سبوغهما الى مؤخر العين وحسنهما (المقوس) بفتح الواو المشددة اى المشبه بالقوس في نوع من الادارة فلا ينافيه انه (الطويل) اى طرفه وهو احتراز من كونه قصيرا فلا ينافي انه لم يكن اشم (الوافر الشعر) احتراز من كونه خفيفا (والاقنى السائل الانف) اى طويله وممتده مع دقة ارنبته (المرتفع وسطه) احتراز من حدبته فان كثرتها غير مستحسن (والاشم الطويل قصبة الانف والقرن) بفتحتين وتكسر الراء (اتصال شعر الحاجبين) اى طرفيهما حتى يتلاقيا (وضده البلج) بفتحتين بعدهما جيم وهو الذي بينهما فصل بين والجمع بين الروايات ان شعر حاجبيه لم يكن في غاية من الاتصال ولا في نهاية من الانفصال بل على حد الاعتدال المطلوب في جمال ارباب الكمال فلا تنافي بين ما سبق من المصنف وبين ما ذكره بقوله (ووقع في حديث ام معبد) بفتح ميم فسكون عين مهملة فموحدة وهي التي رأته صلى الله تعالى عليه وسلم في طريق الهجرة من مكة الى المدينة (وصفه) اى وصفها اياه (بالقرن) وقد يجمع بينهما بان ام معبد رأته من بعد وظنت انه اقرن لقرب طرفيهما التقاء فوصفته بالقرن وعلى كرم الله تعالى وجهه حققهما من قرب فرآهما كادا يلتقيان فوصفه بالبلج واما قول الدلجي من ان الصحيح وصفه بالبلج اذ هو المحمود عند العرب دون القرن فغير صحيح لانه صلى الله تعالى عليه وسلم خلق على جمال موصوف بكمال عند العرب والعجم نعم يستبعد تجويز الحالي حدوث القرن له عليه الصلاة والسلام بعد فانه يتنزه عليه الصلاة والسلام عن حدوث ما عد عيبا فيه (والادعج) من الدعج وهو السواد في العين وغيرها وقيل هو شدة سواد العين في شدة بياضها وهو المراد هنا وقوله (الشديد سواد الحدقة) اى حدقة العين من باب الاقتصار او من قبيل الاكتفاء والاختصار او لتحقق البياض في غالب العادة وانما تختلف الحدقة باعتبار السواد والزرقة والشهلة (وفي الحديث الآخر) اى الذي رواه مسلم (اشكل العين واسجر العين) بمهملة فجيم وهما بمعنى واحد (وهو الذي في بياضها حمرة) اى يسيرة والشكلة بالضم شكلة محمودة محبوبة تمامه ان في القاموس عين سجراء خالطت بياضها حمرة فاضبط في بعض النسخ المصححة بالحاء المهملة ليس في محله لما في القاموس من ان السحر بفتحتين هو البياض يعلو السواد واما ضبط بعضهم بالشين المعجمة فلا وجه له اصلا (والضليع) اى الفم كما سبق اى عظيمه وهو ممدوح في الرجال كما مر وقيل كما قال المصنف (الواسع) فالمراد به الوسع في الجملة كما في اعتدال الخلقة لا ضيقه بالمرة (والشنب) بفتح النون (رونق الاسنان وماؤها) اى صفاؤها وبهاؤها وانما يتمادح بكثرة الريق في المحاورات والخطب والحرب لانه

يدل على ثبات جنان المتكلم وربما طفئة حاشه فتوئا ده رطب بخلا في الجبان اذا تكلم في هذه المحافل جف ريقه في فمه وما الذ قول العارف ابن الفارض قدس سره

عليك بها صرفا وان شئت مزجها * فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم

(وقيل) اى في معناه (رقتها) بالراء بمعنى دقتها (وتحزيزها) بزايين اى تحديد فيها (كما يوجد في اسنان الشباب) اى لانهم في زمان ازدياد قواهم النامية واشتعال حرارتهم العزيزية الموروثة لابتهاج نضارة الاعضاء وبها ثها وحسن رونقها وبريق مائها (والفلج) بفتحتين (فرق بين الثنايا) واحدتها ثنية ومجموعها اربع وهي الاوائل المبدوة (ودقيق المسربة) بضم الراء (خيط الشعر الذي بين الصدر والسرة) اى هو الذى لدقته وقلته وطوله كالخيط الدقيق الممتد من الصدر الى السرة (بادن ذو لحم) اى البادن باعتبار اصله هو الضخم من البدانة وهي كثرة اللحم ولم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم سمينا بدينا ولذا عطف عطف تفسير بقوله (ومتماسك) ثم بينه بعطف بيان حيث قال (معتدل الخلق) اى متوسطه ومع ذلك (يمسك بعضه بعضا) اى ولم يكن لحمه مسترخيا فلم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم ضخما بل كان فخما فافرق بينهما فهما ولا تتبع ماقال بعضهم وهما والحاصل ان مضمون هذا الحديث في افادة اعتدال خلقه من جهة لحمه وغيره (مثل قوله في الحديث الآخر) اى على مارواه الترمذى والبيهقى (لم يكن بالمطهم) بتشديد الهاء المفتوحة (ولا بالمكلثم) بفتح المثلثة (اى ليس بمسترخي اللحم) تفسير للمطهم اى لم يكن فاحش السمن والاوجه ان معناه لم يكن منتفخ الوجه لانه من لوازم كثرة اللحم (والمكلثم القصير الذقن) بفتحتين اى الحنك الداني اليه والمشهور تفسيره بمدور الوجه سواء كان مع خفة لحمه او كثرته (وسواء البطن والصدر) هكذا الرواية بتقديم البطن على الصدر وان كان الاظهر عكسه كما وقع في اصل الدلجي لكنه ليس بمعتبر حيث يخالف الاصول (اى مستويهما) يعني لا يبنوا احدهما عن الآخر بان لا يكون بطنه ضخما مرتفعا ولا صدره منخفضا (ومشيح الصدر) بضم ميم فشين معجمة مكسورة على ما في النسخ المعتبرة (ان صحت هذه اللفظة) اى بالضبط المذكورة (فيكون) اى المسيح (من الاقبال) اسم فاعل من اشاح بمعنى اقبل فالمراد انه مقبل الصدر (وهو) اى الاقبال (احد معاني اشاح) ومنها اعرض ذكره الدلجي وفي القاموس الشيح بالكسر الجاد في الامور كالسائح والمشيح والحذر وقد شاح واشاح على حاجته والمشيح المقبل عليك والمانع لما وراء ظهره (اى انه كان بادى الصدر) بالياء اى ظاهره (ولم يكن في صدره قعس) بفتحتين وهو خروج الصدر ودخول الظهر ضد الحدب (وهو تطامن فيه) بفتحتين فسكون همز وقد يبدل اى انخفاض (وبه) اى بكون المعنى باديا صدره الى آخره (يتضح قوله قبل) اى يتبين معنى ماروى من قبل ذلك (سواء البطن والصدر) بالاضافة وقيل بتنوين سواء ورفع مابعده (اى ليس بمتقاعس الصدر) اى غير منخفضة (ولا مفاض البطن) مجرور بالعطف على متقاعس وزيد لا للتأكيد وهو بضم ميم ففاء فجيمة اى ضخمه ومن تفقد باعل اللفظ) اى صحف على ان اصله (مسيح بالسين) اى المهملة (وفتح الميم) اى لا بضمها (بمعنى عريض) اى وسيع الصدر مأخوذ من المساحة وهو طول المسافة ومنه الساحة وهي فناء الدار المتسعة (كما وقع في الرواية الاخرى) بهذا اللفظ صريحا وينصره تلو بحاحديث كان مسيح القدمين اى ممسوح ظاهرهما وهما ملسا وان مسهما الماء نبا عنهما (وحكاه ابن دريد) بالتصغير (والكراديس) جمع الكردوس (رؤس العظام وهو) اى اه والكراديس رؤس العظام (مثل قوله في الحديث الآخر) اى الذى رواه الترمذى والبيهقى (جليل المشاش) م الميم اى ضخم رؤس العظام كالركبتين والمرفقين والكتفين على ما في النهاية اورؤس العظام اللينة التي يمكن مضغها على ما في الصحاح وهو اقرب الى مادة المشمشة يقال تمشمش العظام تمشمشا (والكتد) بالجر عطف على مشاش وهو بفتح التاء افصح من كسرها وهذا لفظ الحديث ثم قال المصنف (والمشاش رؤس المناكب) جمع منكب وهو مابين الكتف والعنق (والكتد مجمع الكتفين) بفتح الميم الثانية وهو الكاهل وقيل مابين الكاهل الى الظهر (وشثن الكفين والقدمين غليظهما) وهو خلاف مامر في تعريفهما (والزندان) تثنية الزند (عظما الذراعين) اى رأساهما على طبق ماسبق اوقصبتاهما على خلاف ماتحقق قال الاصمعي اخبرني ابى انه لم ير احدا اعرض زندا من الحسن البصري كان عرضه شبرا (وسائل الاطراف اى طويل الاصابع) اى من اطراف يديه ورجليه (وذكر ابن الانباري) بفتح الهمزة بعدها نون ساكنة منسوب الى مدينة الانبار مدينة بالفرات وهو محمد بن القاسم ابن بشار وقد جاء في بعض الاحاديث قال الانباري ولم يسمه وهو محمد بن سليمان الانباري فاعلم كذا ذكره التلمساني (انه) اى هذا اللفظ (روى سائل الاطراف) اى بالشك في روايته لقوله (اوقال) اى الراوى (سائن بالنون قال) اى الانباري (وهما بمعنى) اى واحد كجبريل وجبرين (تبدل اللام من النون) يعني فالاصل هو النون والاظهر ان

الاصل هو اللام وان النون تبدل منها لتقاربهما في مخرجهما او لتوافقهما في حيزهما وهذا كله (ان كانت
(الرواية بها) اي بالنون من الرواية بالام ثابتة بلا مرية (واما على الرواية الاخرى) اي بالراء كما ذكره بقوله (وسرار
بالاطراف فاشارة الى تقدمة جوارحه كما عرفت ممسنة في الحديث) اي بما مر في فصل قبله (ورحب الراحة) بفتح
الراء وسكونها (اي واسعها) وهي الكف حقيقة وهو ظاهر (وقيل كني) اي عبر (بها) اي براحة وفي نسخة
مجهولة به اي بقوله رحب الراحة (عن سخائه وجوده) ولا منع من الجمع بين العبارة والاشارة (وخمصان
الاخمصين) الخاء اوله (اي متجافي اخمص القدم وهو الموضع الذي لا تناله الارض من وسط القدم) وفي النهاية
خمصان ثالثة قيل وسئل ابن الاعرابي عنه فقال اذا كان خمص الاخمص بقدر لم يرتفع جدا ولم يستو اسفل القدم
جدا فهو احسن ما يكون واذا ارتفع جدا ذم فالمعنى ان اخمصه معتدل الخمص (ومسيح القدمين اي املسهما
ولينهما) اي لكونهما ملساوين (قال) الراوي في الحديث السابق (ينبو عنهما الماء) وقد تقدم معناه (وفي حديث
ابي هريرة) اي كما رواه البيهقي (خلاف هذا) اي خلاف كون قدميه اخمصين لانه (قال اذا وطئ بقدمه) بكسر الطاء
اي داس بهما او وقف عليهما (وطئ بكلها ليس له اخمص) ويمكن الجمع بينهما بان مراد ابي هريرة انه وطئ بكلها
لا ببعضها بانحناء بعض ارباب الخيلاء وان قوله ليس له اخمص محمول على ان المبالغة كما تقدم او انه مرجع
من الراوي بحسب ما فهمه من حديثه وهذا الجمع اولى مما اختاره المصنف حيث قال (وهذا) اي معنى قوله ليس له
اخمص (يوافق معنى قوله مسيح القدمين) ووجهه لا منافاة بين كونه اخمص وبين كونه مسيحهما المستفاد من ان قدمه
كانت ملساء كانها ممسوحة وما قوله الانطاكي من ان المسيح ذكر في المتن في صفته عليه الصلاة والسلام انه كان
رجله اخمص فمحمول على ما ذكرناه من الجمع بانه كان له بعض الخمص لانه لم يبلغه حديث ابي هريرة او لم يصح
الحديث عنده كما اختاره الانطاكي (وبه) اي بمسح القدمين (قالوا) اي بعضهم (سمي المسيح ابن مريم اي لم يكن
له اخمص) اي على طريق المبالغة لا بالكلية مع ان الانسب ان يقال لكون قدمه ملساء ممسوحة (وقيل لا لحم عليهما)
وفيه انه لا يظهر وجه المناسبة الاشتقاقية حينئذ اصلا (وهذا) اي قوله لا لحم عليهما (ايضا يخالف قوله شثن القدمين)
اي عند من فسره بلحيمهما كالمصنف واما عند من فسره بمايلهما الى غلظ وقصر او في اناملهما غلظ بلا قصر
ولا اما لانلازم بين اللحمية والغلظ فقد يكون الغلظ بلا كثرة اللحم (والتقلع رفع الرجل بقوة) اي مع تثبت في المشي
بحيث لا يظهر فيه شدة ولا سرعة (والتكفؤ الميل الى سنن المشي) بفتحتين وفي نسخة المشي على انه مصدر ميمي
او اسم مكان اي الى صوبه (وقصده) اي من جهته متدلا بها من غير انحراف عنها وفي الحديث القصد القصد تبلغوا
اي الزموا الامر الوسط في العمل تصلوا ما تقصدونه من المحل ونصبه على الاغراء وتكراره للتأكيد بالبناء (والهون)
مبتدأ وخبره (الرفق والوقار) وفي رواية كان يمشي الهوينا تصغير الهونى تأنيث الاهون فيكون القصد منه
المبالغة في الهون المندوب في قوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا وفي الادب المفرد عنه صلى الله
تعالى عليه وسلم احبب حبيبك هونا ما اي لا افراط فيه بل قليلا قليلا بشهادة ضم ما اليه (والذريع الواسع الخطو)
اي من الذرع وهو الطاقة وهو الوسع ومنه قوله سبحانه وتعالى وضاق بهم ذرعا (اي ان مشيه كان يرفع فيه رجليه
بسرعة) اي بقوة (ويمد خطوه) اي في مشيه (خلاف مشية المختال) اي المتكبر من الاختيال ولقوله عز وجل
ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا والمشية بكسر الميم لانه مصدر النوع
(ويتقصد) بكسر الصاد (سجيته) اي يتقصد في طريقه بدون ميل عن وسطه لقوله سبحانه وتعالى واقصد في مشيك
(وكل ذلك) اي ما ذكر من المراعاة في مشيه انما كان (برفق) اي وفق لطف (وتثبت) اي طلب ثبات دون عجلة
اذ هي ايضا مذمومة كالخيلاء فكان مشيه معتدلا (كما قال) الراوي (وكانما يحط) اي ينزل (من صبب) وفي رواية
في صبب وهو بفتحتين اي منحدر وروي كانما يهوي من صبوب بضمتين (وقوله يفتح الكلام ويختمه باشداقه) اي
بجوانب فمه جمع شدق بالكسر (اي اسمة فمه) يعني انما كان ذلك لاتساع فيه (والعرب تمادح بهذا) اي بوسع الفم
وعظمته لدلالته على فصاحة صاحبه وبلاغته (وتذم بصغر الفم) الباء زائدة او سببية اي تذم الانسان اصغر فمه
ولا يعارض حديث ابغضكم الي الثرثارون المتشدقون لان المراد بهم المتوسعون في الكلام بدون احتياط واحتراز
في نظام المرام والمستهزؤن بالناس بلي الشدق وباي الجانب والتعلي ونحو ذلك من افعال المتكبرين (واشاح) اي
بناء على احد معانيه (مال) اي الى كذا مانعا لما وراء ظهره (وانقبض) اي ما ارتعد وانقبض اذ المشيح هو الحذر
والجاد في الامر اي المقبل عليه وفي الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر النار ثم اعرض واشاح اي حذر منها
كانه ينظر اليها او جد في الايصاء باتقائها او اقبل ومال في خطابه اليه (وحب الغمام) اي السحاب (البرد) بفتحتين

شبه بحب الارض ولو من بعض الوجوه (وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة) ولما كانت الجملة المضارعية لحكاية الحال الماضية صح تفسيره بقوله (اى جعل من جزء نفسه) اى بعض اوقات حظ نفسه (مايوصل الخاصة اليه) اى زمانا مجهولا يكون وسيلة الى توصيل الخاصة اليه (فتوصل عند العامة) اى بالواسطة لعدم امكان الزمان اولضيق مكانه عن وصول كافة الخلق الى حصول ادراك شانه ومالا يدرك كله لايترك كله (وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلهافى جزء آخر بالعامة) وقد عرفت وجه ضعفه فيما تقدم والله تعالى اعلم (و يدخلون) اصحابه عنده (روادا) بضم راء وتشديد واوجمع رائد (اى محتاجين اليه وطالبين لما عنده) لمالديه من هداية ومعرفة نازلة عليه (و لايتفرقون) اى لاينصرفون كما فى نسخة (الاعن ذواق) بفتح اوله بمعنى مذوق من الذوق المعنوى اوالحسى (قيل عن علم يتعلمونه) اى ثم يصيرون هداة للناس يعلمونهم ومثل هذا يروى عن ابى بكر بن الانبارى وزاد عليه فقال فيقوم لهم مايتعلمونه مقام الطعام والشراب لانه عليه الصلاة والسلام كان يحفظ ارواحهم كما يحفظ الطعام والشراب اجسامهم واشباحهم (و يشبه) اى والاشبه (ان يكون) اى ذواقهم (على ظاهره) اى من مأكول اومشروب باعتبار الاكثر الاغلب والى هذا المعنى قال الامام الغزالى فى الاحياء والحمل على المعنى الاعم هوالاتم والله تعالى اعلم (والعتاد) بالفتح (العدد) بالضم (والتيئ الحاضر المعد) بصيغة المجهول اى المهيا لمايقع من الامور الملمة والاحوال المهمة (والموازرة المعاونة) من الوزر وهو فى الاصل الحمل والثقل ومنه قوله تعالى واجعل لى وزيرا من اهلى اى معينا يحمل عنى بعض حملى وفى حديث البيهقى نحن الامراء وانتم الوزراء جمع وزير وهو من يوازر السلطان فيحمل عنه ماحمله من اثقال الزمان (وقوله لايوطن الاماكن) بتشديد الطاء وتخفيفها (اى لايتخذ لمصلاه موضعا معلوما) اى لايصلى الافيه (وقد وردنهيه عن هذا) اى ايطان المكان فى المساجد (مفسرا) اى مصرحا ومبينا (فى غيرهذا الحديث) اى من حديث الحاكم وغيره كما سبق (وصابره اى حبس نفسه على مايريد صاحبه ولاتوبن فيه) اى فى مجلسه (الحرم) بضم ففتح (اى لايذكرن فيه بسوء ولاتنثى فلتاته اى لايتحدث بها) اى مطلقا وهو يحتمل احتمالين كما بينه بقوله (اى لم تكن فيه فلتة) فالنفى الى القيد والمقيد (وان كانت) اى فلتة فرضا وتقديرا (من احد) اى من غيره صلى الله تعالى عليه وسلم (سترت) اى فى ذلك المجلس وماذكرت فى غيره لقوله عليه الصلاة والسلام المجالس بالامانة (و يرفدون يعينون) اى كل من يريد الاعانة والاغاثة (والسخاب الكثير الصياح) بكسر الصاد (وقوله لايقبل الثناء الامن مكافئ) استثناء مفرغ (قيل مقتصد فى ثنائه ومدحه) اى لم يتنه وصفه الى اطرائه (وقيل الامن مسلم) اى كامل فان ثناءه لايكون الافى محله اللائق به وتوضيحه انه كان لايقبل الثناء عليه الامن رجل يعرف حقيقة اسلامه وحقيقة مرامه ولايدخل عنده فى جملة المنافقين الذين يقولون بالسنتهم ماليس فى قلوبهم فاذا كان المثنى عليه بهذه الصفة قبل ثناءه وكان مكافئا ما سلف من نعمة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عنده واحسانه اليه (وقيل الامن مكافئ على يد) اى نعمة (سبقت من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له) اى من احسان صورى والافلا يخلو احد منه من انعام معنوى (و يستفزه) بتشديد الزاى (يستخفه) بتشديد الفاء (وفى حديث آخر) اى كما رواه مسلم (فى وصفه عليه الصلاة والسلام منهوس العقب) بمهملة ومعجمة على ماذكره ابن قرقول فى مطالعه ثم فسره المصنف (اى قليل لحمها) يعنى كانه نهس فان النهس هواخذ اللحم بالاسنان ثم قال وقيل هو بالمعجمة ناتئ العقبين معروقهما وفسر فى الحديث شعبة المهملة قال قليل لحم العقب انتهى ولايخفى ان تفسير شعبة الراوى هوالاولى هنا وفى رواية منهوس الكعبين وفى اخرى القدمين (واهدب الاشفار) اى اشفار العين جمع شفر بالضم وهى حروف الاجفان التى ينبت عليها الشعر وذلك الشعر هوالهدب وجمعه اهداب وحرف كل شئ شفره وشفيره (اى طويل شعرها) وعن الشعبى كانوا لايوقتون فى الشفر شيئا اى لايوجبون فيه شيئا مقدرا و هو مخالف للاجماع على وجوب الدية فى الاجفان ذكره الدلجى وفيه انه انما نفى الشئ المقدر فى الشريعة وهولاينافى ماذكره الفقهاء بطريق الحكومة

(الباب الثالث)

اى من القسم الاول (فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها) اى عند المحدثين فهو متوسط بين المتواتر والآحاد والغالب فيه ان يكون صحيحا او بمايكون حسنا ولايكون ضعيفا اوعند العامة فيشمل الصحيح وغيره وربمايكون موضوعا والاظهر ان الشيخ اراد به النوع الاول كما تقتضيه مقام المرام فتأمل وعلى كل فهو من قبيل عطف العام على الخاص لاعكسه كما زعم من توهم ان كل مشهور صحيح (بعظيم قدره) متعلق بورد والباء للتعدية اى بمقداره المعظم (عندربه ومنزلته) اى و برفعة مرتبته عندربه الاكرم (وماخصه به فى الدارين) اى الاولى والآخرة (من كرامته صلى الله تعالى عليه وسلم) بيان لما (لاخلاف انه صلى الله تعالى عليه وسلم اكرم البشر) لما فى الترمذى والدارمى

انا اكرم الاولين والآخرين ولافخر كذا ذكره الدلجي وكأنه ذهب وهمه الى ان اللام في الاولين والآخرين للعهد والجنس المراد بهم البشر والاظهر ان اللام للاستغراق لقوله اكرم الخلائق بالاتفاق ولا عبرة بخلاف المعتزلة وارباب الشقاق (وسيد ولد آدم) لحديث الترمذي انا سيد ولد آدم يوم القيامة وبيدي لواء الحمد ولافخر وما من نبي يومئذ آدم فمن دونه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق عنه الارض ولافخر (وافضل الناس منزلة عند الله) اى مرتبة ومكانة (واعلاهم درجة) اى ارفعهم قربة (واقربهم زلفى) اى تقربا واكثرهم حبا لكونه حبيب رب العالمين (واعلم ان الاحاديث) جمع حديث على غير قياس (الواردة في ذلك) اى في بيان ما ذكر (كثيرة جدا) بكسر جيم وتشديد دال منصوب منون مصدر والمراد به المبالغة في الكثرة (وقد اقتصرنا منها على صحيحها ومنتشرها) اى مشتهرها الشامل لحسنها دون ضعيفها لعدم اقتضاء الاقتصار (وحصرنا معاني ما ورد منها في اثني عشر فصلا) اى تفاؤلا باثني عشر نقيبا

﴿ الفصل الاول ﴾

(فيما ورد من ذكر مكانته) اى قرب منزلته (عند ربه والاصطفاء) اى اجتبائه في رفعة مرتبته (ورفعة الذكر) اى بين خلقه (والتفضيل) اى وبيان زيادة فضيلته (وسيادة ولد آدم) اى وسيادته لابناء جنسه الكرم على غيره (وما خصه) اى الله (به في الدنيا من مزايا الرتب) اى من الرتب الدالة على مزيته (وبركة اسمه الطيب) اى الدال على طيب مسماه من ذاته وصفاته (حدثنا) وفي نسخة اخبرنا (الشيخ ابو محمد عبد الله بن احمد الملقب بالعدل) بفتح العين وسكون الدال التميمي مات عام احدى وخمسمائة (اذنا بلفظه) اى بعبارته دون اشارته (حدثنا ابو الحسن الفرغاني) بفتح اوله منسوب الى فرغانة ناحية بالمشرق قال التلمساني هو علي بن عبد الله المقرئ (حدثتنا ام القاسم بنت ابي بكر ابن يعقوب عن ابيها حدثنا حاتم وهو ابن عقيل) بالتصغير وقال التلمساني هو بفتح العين وكسر القاف ابن المهتدي المرادي اللؤلؤي (عن يحيى وهو ابن اسماعيل عن يحيى الحماني) بكسر الحاء المهملة وتشديد الميم وبعد الالف نون ثم ياء نسبة حافظ كوفي روى عن شريك وخلق وعنه ابو حاتم وابن ابي الدنيا والبغوي وطائفة وثقه يحيى بن معين وغيره واما احمد فقد كان يكذب جهارا وقال النسائي ضعيف كذا ذكره الحلبي وغايته ان الحديث بهذا الاسناد ضعيف لكن يتقوى برواه الطبراني والبيهقي كما نقله الدلجي فلا يضر قول الحلبي هذا الحديث ليس في الكتب الستة (حدثنا قيس) قال الحلبي الظاهر انه ابو محمد قيس بن الربيع الكوفي روى عنه ابو نعيم وغيره اختلف في توثيقه (عن الاعمش) هو امام جليل (عن عباية) بفتح مهملة فموحدة فالف بعدها تحتية وقيل بهمزة فهاء واصلها اللبس فيه خطوط سود (بن ربعي) بكسر راء وسكون موحدة فمهملة بعدها ياء نسبة روى عن علي وعنه موسى بن طريف وكلاهما من غلاة الشيعة له عن علي انا قسيم النار (عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله قسم الخلق) اى من الثقلين (قسمين) بكسر اوله اى شقيا وسعيدا لا اصلا وافضل كما ذكره الدلجي مقدما على ما احترناه (فجعلني من خيرهم قسما) اى من قسم السادة التي هم ارباب السعادة كما يدل عليه قوله (فذلك) اى جعلهم قسمين يؤذن به (قوله تعالى واصحاب اليمين) اى السعادة في انواع من النعيم المقيم (واصحاب الشمال) اى الشقاوة في اصناف من عذاب الجحيم فقيل سموا بهما لاخذهم كتبهم بايمانهم وشمائلهم اولانهم اصحاب اليمن والشآمة على انفسهم (فانا من اصحاب اليمين وانا خير اصحاب اليمين) واغرب الدلجي حيث قال بعد قوله فجعلني من خيرهم قسما وهم العرب بشهادة فذلك قوله تعالى واصحاب اليمين (ثم جعل) اى الله سبحانه وتعالى (القسمين) اى المذكورين في اسم السورة المراد بهما اصحاب اليمين واصحاب الشمال (اثلاثا) اى ثلاثة اصناف في آخر السورة بجعل القسم الاول الذين هم ارباب السعادة صنفين كما يأتي لا اثلاثا متفاوتين شقاوة وسعادة كما ذكره الدلجي اذ لم يذكر تفاوت ارباب الشقاوة في هذه السورة اصلا وان كانوا متفاوتين في الدركات كما ان اهل الجنة متفاوتون في الدرجات (فجعلني من خيرها ثلثا) وهم المقربون (وذلك) اى جعلهما اثلاثا يؤذن به (قوله تعالى فاصحاب الميمنة) اى المنزلة السعيدة (واصحاب المشأمة) اى المنزلة الشقية (والسابقون السابقون) اى في مرتبة القربة العلية (فانا من السابقين وانا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل) اى من العرب وغيرهم (فجعلني من خيرها قبيلة) وهم بنو هاشم وابعد الانطاكي حيث قال هم قريش (وذلك) اى جعلها قبائل يشير اليه (قوله) اى بعد قوله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى (وجعلناكم شعوبا) جمع شعب بالفتح لا بالكسر كما توهم بعضهم فانه طريق في الجبل وانما بالفتح فما تتشعب منه القبيلة (وقبائل لتعارفوا الآية) تمامها ان اكرمكم عند الله اتقاكم ثم الشعب جمع عظيم الى اصل واحد وهو يجمع القبائل (فانا اتقى ولد آدم واكرمهم على الله ولافخر) اى ولا اقول افتخارا به بل تحدثا بنعمة لامره او ولا فخر لي بذلك لانه ليس من قبلي ولا بقوتي وحولي بل من فضل الله وتوفيقه من اجلي او ولا فخر لي بينها

المقام بل افتخاري بقرب ربي الذي هو غاية المرام (ثم جعل القبائل) اي قبائل العرب (بيوتا) اي بطونا وافخاذا وفصائل متفاوتة في الشرف والفضائل من قريش وغيرهم (فجعلني من خيرها بيتا) وهو بيت بني هاشم من بطن قريش (فذلك قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) اي وسخ الشرك ودنس المعصية (اهل البيت) نصبه على المدح او النداء وهذا معنى ثالث لاهل البيت على ما قرر في محله (ويطهركم) اي من الاخلاق الدنية (تطهيرا) اي مبالغا بحيث يسرع في تبديلها بتنوير الامور الدينية المشتملة على الاحوال الدنيوية والاخروية (الآية) كذا في بعض النسخ وهو ليس في محله لانه آخر الآية وما بعدها ليس له تعلق بما قبلها فمحله اللائق به بعد قوله اهل البيت كما في نسخة صحيحة واما تخصيص الشيعة اهل البيت بفاطمة وعلي وابنيهما بحديث ادخالهم في كسائه ثم قراءتهم هذه الآية واحتجاجهم بها على عصمتهم وكون اجماعهم حجة فضعيف لمنافاة التخصيص ما قبل الآية وما بعدها نعم الحديث قاض بانهم اهل البيت وخواصهم لا بانه ليس غيرهم منهم (وعن ابي سلمة) اي ابن عبد الرحمن بن عوف احد الفقهاء السبعة عند الاكثر (عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه) كما رواه الترمذي وصححه (قال قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة) اي في اي زمان ثبتت لك مرتبة النبوة (قال وآدم بين الروح والجسد) جملة حالية وردت جوابا لقولهم متى وجبت اي وجبت لي في الحالة التي كان آدم فيها بين تصور جسمه و بين اجراء روحه في بدنه وفي الحديث ايماء الى ان الغايات والكمالات سابقة شهودا لاحقة وجودا هذا وفي حديث احمد اني عند الله مكتوب خاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته (وعن واثلة) بالمثلثة (بن الاسقع) وكان من اصحاب الصفة اسلم ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتجهز لغزوة تبوك وخدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاث سنين توفي بدمشق وله مائة سنة وقد روى مسلم وغيره عنه (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل) كذا في النسخ المصححة ووقع في اصل الدلجي زيادة ان الله اصطفى من ولد آدم ابراهيم واصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل الحديث وقال انما اعاده هنا لزيادة صدره (واصطفى من ولد اسمعيل كنانة) بكسر الكاف (واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم ومن حديث انس رضي الله تعالى عنه) اي الذي رواه الترمذي وصدره انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا شفيعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا ايسوا الكرامة والمفاتيح بيدي ولواء الحمد يومئذ بيدي و (انا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر) زاد الدارمي يطوف على الف خادم كانهم بيض مكنون اولؤلؤ منثور (وفي حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنه) اي الذي رواه الترمذي والدارمي وصدره جلس ناس من اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسمعهم يتذاكرون قال بعضهم ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وقال آخر ان الله كلم موسى تكليما وقال آخر عيسى كلمة الله وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان ابراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روح الله وكلمته وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع يوم القيامة ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فيدخلنيها ومعي فقراء المهاجرين ولا فخر و (انا اكرم الاولين والآخرين) اي على الله كما في رواية (ولا فخر وعن عائشة رضي الله تعالى عنها عنه عليه الصلاة والسلام) كما رواه البيهقي وابو نعيم والطبراني (اتاني جبريل فقال قلبت) بتخفيف اللام وتشديدها وهو ابلغ اي فتشت وتفحصت وقيل نظرت ورأيت (مشارق الارض ومغاربها) اي بجميع اطرافها وجوانبها (فلم ار رجلا افضل من محمد) عدل الى الغيبة مصرحا باسمه المفيد للمبالغة الدالة على كثرة صفاته الحميدة وسماته السعيدة (ولم ار بني اب) اي اهل بيت (افضل من بني هاشم وعن انس رضي الله تعالى عنه) كما في الصحيح (ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق) اي جيء به وسبق بيان مبناه ومعناه (ليلة اسري به) بصيغة المجهول (فاستصعب) اي البراق (عليه) اي عند ارادة ركوبه (فقال له جبريل ابمحمد تفعل هذا) فيه ايماء الى ان هذا كان دأبه لغيره كما يشير اليه تقديم المتعلق على فعله والهمزة لانكار استصعابه كما علله بقوله (فما ركبك احد اكرم على الله منه فارفض عرقا) بتشديد الضاد المعجمة اي سال عرقه من شدة ما اعتراه من الهيبة (وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه عنه عليه الصلاة والسلام) كما رواه ابن ابي عمر والعدني (لما خلق الله آدم اهبطني) اي من الجنة حال كوني (في صلبه) بضم اوله وقدم التلمساني فتحه (الى الارض) يعني وهكذا ينقلني من صلب كريم الى رحم طاهر بعده (وجعلني في صلب نوح) في السفينة (وقذف بي) اي القاني (في النار في صلب ابراهيم) اي حين القاه نمرود فيها وقد وقع في اصل الدلجي حتى مكان الواو العاطفة في وجعلني وقذف وهو مخالف الاصول المعتمدة والنسخ المصححة (ثم لم يزل ينقلني) اي يحولني (في الاصلاب الكريمة) كذا في النسخ بلفظ في ولعله بمعنى

من الملائم لقوله (الى الارحام الطاهرة) جمع رحم وهو ما مقر الولد من المرأة كان الصلب مقر المنى من الرجل (ثم) وفى نسخة صحيحة حتى (آخرجى) اى اظهرني (يتناوى) اى فيما بينهما لقوله تعالى يخرج من بين الصلب والترائب (لم يلتقيا) اى لم يجتمعا فى جماع (على سفاح) بكسر السين اى على حال غير نكاح (قط) اى لا حين شهودى ولا قبل وجودى (والى هذا) اى هذا المعنى وهو نفى السفاح فى المبنى (اشار العباس بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه) وفى اصل التلمسانى عمه من العمومة وهو بدل من العباس (بقوله) اى فيه كما فى نسخة اى فى حقه وفى اخرى فيه بقوله (من قبلها) اى قبل الدنيا او الولادة من غير ذكرها كما فى قوله تعالى حتى توارت بالحجاب اى الشمس وكل من عليها فان اى الارض وانا انزلناه اى القرآن واما رجع الضمير الى النبوة كما ذكره الدلجى وغيره فغير مناسب لمقام المرام ثم او وضع الرسالة موضعها لموقع فى الجملة موقعها وقيل من قبل نزولك الى الارض (طبت فى الظلال) اى فى ظلال الجنة قال التلمسانى ثبت بخط القاضى الظلال وروى العرفى طبت فى الجنان (وفى مستودع) بفتح الدال كما فى قوله تعالى فمستقر ومستودع اى وطبت فى مستودع من صلب آدم بقوله (حيث يخصف الورق) بصيغة المجهول وهو مستفاد من قوله تعالى وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة والمعنى يضم بعضه الى بعض ويلصق ورقة فوق اخرى (ثم هبطت البلاد) اى من الجنة الى الدنيا فى صلب آدم (لا بشر انت ولا مضغة ولا علق) اى والحال انك لم تكن حينئذ واحدا منها والمضغة قطعة لحم قدر ما يمضغ فى الفم والعلق اسم جنس مفرده علقة وهى قطعة من دم جامد ورتب بينها فى التنزيل للترقى وهنا للتدلى ولذا قال (بل نطفة تركب السفين وقد) اى بل نزلت وانت فى صلبه نطفة ثم صرت الى نوح حال كونك تركب السفينة واماتى بلفظ الجمع لكبره او هو اسم جنس وان صرح صاحب الصحاح بانه جمع لما فيه من المسامحة او لعدم الفرق بينهما عند بعض اهل اللغة وقيل جمع للتعظيم او لضرورة الوزن واما ما روى بجهة بدل نطفة فلا يلائم مقام المرام ثم قد للتحقيق فى قوله (الجم نسرا واهله الغرق) بفتحتين اى منعهم من الكلام وظهور المرام وهو مأخوذ من اللجام وفى قوله نسرا اشارة الى قوله تعالى حكاية عن قوم نوح ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد روى انه كان لآدم عليه السلام بنون خمسة يسمون بهذه الاسماء وكانوا عبادا فانوا فحزن اهل عصرهم عليهم فصور لهم ابليس اللعين مثالهم من صفر ونحاس ليستأنسوا بهم فكرهوها فى القبلة فجعلوها فى مؤخر المسجد فلما هلك ذلك العصر قال اللعين لاولادهم هذه آلهة آبائكم فاعبدوها ثم ان الطوفان دفنها فاخرجها اللعين للعرب فكان ود لكلب بدومة الجندل وسواع لهذيل بساحل البحر ويغوث لقطيف من مراد ويعوق لهمدان ونسر لذى الكلاع من حمير ثم اخذوا للاصنام اسماء اخر (تنقل من صالب الى رحم) بصيغة المفعول وصالب بكسر اللام وفتحها لغة فى الصلب بالضم الا انه قليل الاستعمال كما قاله ابن الاثير (اذا مضى عالم بدا طبق) العالم بفتح اللام والمعنى اذا ذهب قرن ظهر قرن وقيل للقرن طبق لانه طبق الارض بكسر الطاء اى ملئها ثم ينقرضون ويأتى طبق آخر ومنه طبقات المشايخ وغيرهم وقد قيل الطبق الجماعة من الناس ويرجع معناه الى الاول فتأمل وزيد فى بعض النسخ ابيات اخر ويدل على صحة وجودها كلام بعض المحشين فى بيان الفاظ ورودها وهو قوله (ثم احتوى) اى اجتمع وانضم وفى اصل الدلجى حتى احتوى فهى غاية لما دل عليه البيت قبله اى متنقلا من صلب الى رحم قرنا فقرنا الى ان احتوى (بيتك المهين) اى الشاهد (من خندف) بكسر الخاء المعجمة وسكون النون وكسر الدال المهملة وقد تفتح بعدها فاء وهو فى الاصل مشية كالهرولة والمراد به امرأة الياس بن مضر سميت بها القبيلة واسمها ليلى وهى القضاعية ام عرب الحجاز فهو غير منصرف قوله (علياء) بفتح العين ممدودة منصوبة اى منزلة علياء مفعول احتوى (تحتها) وفى نسخة دونها (النطق) بضم النون والطاء جمع نطاق قال ابن الاثير وهى اعراض من جبال بعضها فوق بعض اى نواح واوساط فيها شبهت بالنطق التى يشد بها اوساط الناس ضربه مثلا له فى ارتفاعه وتوسطه فى عشيرته وجعلهم تحته بمنزلة اوساط الجبال واراد ببيته شرفه فى عشيرته او نفسه فى حد ذاته والمهين نعته اى حتى احتوى شرفك الشاهد على فضلك اعلى مكان من نسب خندف فاذا اصل النطق هو الجبل الاشم اذا السحاب لا يبلغ اعلاه وقال القشيرى وغيره ايها المهين على ان النداء لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والله اعلم ثم قيل فى الياس انه موافق اسم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وصحح السهيلى انه اليأس الذى هو ضد الرجاء واما اليأس فجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه يقول لا تسبوا الياس فانه كان مؤمنا وذكر انه كان يسمع فى صلبه تلبية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالحج وهو اول من اهدى البدن الى البيت (وانت لما ولدت اشرقت الارض وضاءت بنورك الافق) وفى نسخة صحيحة وضاءت اى اضاءت وهما لغتان ومنه الضوء اى استنارت بنورك نواحيها (فنحن فى ذلك الضياء وفى النور وسبل الرشاد نخترق) بسكون موحدة السبل لغة فى ضمها جمع السبيل وهو مجرور عطفا على ما قبله

وقوله تخترق بفتح نون فسكون خاء معجمة اى تدخل وتقتحم وقال التلمسانى اى وسبل الرشاد تخترقها بمعنى تقطعها فالسبل منصوب والابيات عن العباس رضى الله تعالى عنه رواه ابو بكر الشافعى والطبرانى عن خريم بن اوس ابن حارثة وذكر هذه الابيات فى الغيلانيات بسنده الى خريم بضم الخاء المعجمة وفتح الراء قال هاجرت الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقدمت عليه منصرفه من تبوك فاسلمت فسمعت العباس يقول يارسول الله انى اريد ان امتدحك فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قل لايفضض الله فاك قال فانشد العباس يقول فذكرها سبعة ابيات آخرها تخترق وكذا قال ابن عبد البر فى استيعابه فى خريم وذكر ابن امام الجوزية فى كتاب هدى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزوة تبوك نحوه وزاد بعضهم بيتا آخر وجد بخط ابى على الغسانى وهو

(يا بردنار الخليل ياسبب العصمة اذ ما بالنار تحترق)

اى تحرق (وروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ابوذر) كما رواه احمد والبيهقى والبزار وكان خامسا فى الاسلام روى عنه ابن عباس رضى الله تعالى عنه وعبادة بن الصامت وخلق توفى بالربذة (وابن عمر) كما رواه الطبرانى وابو نعيم (وابن عباس رضى الله تعالى عنهما) كما رواه احمد وابن ابى شيبة والبزار (وابوهريرة رضى الله تعالى عنه) كما اخرجه الشيخان (وجابر بن عبدالله) كما رواه الشيخان والنسائى (انه) اى النبى عليه الصلاة والسلام (قال اعطيت خمسا) اى خمس خصال (وفى بعضها ستا) رواه مسلم عن ابى هريرة فضلت على الانبياء بست فكانه صلى الله عليه وسلم اعطى اولا خمسا فحدث بها ثم زيد السادسة فحدث بها مع انه لايلزم استيفاؤها حيث مايذكرها بل قد يكتفى بالحالة اللائقة ببعضها لاسيما والعدد لامفهوم له حتى عند القائل به (لم يعطهن نبى قبلى) وفى رواية جابر لم يعطهن احد من الانبياء قبلى (نصرت بالرعب) بسكون العين وضمها اى الفزع والخوف بالقاء الله تعالى اياه فى قلوب عداه ممن كانت المسافة بينه وبينهم (مسيرة شهر) اى قدر سير فى شهر وفى رواية شهرا امامى وشهرا خلفى (وجعلت لى) اى لاجلى اصالة ولامتى تبعا (الارض) اى جميع وجهها ولا وجه لقول التلمسانى كلها اومكة وما حولها اوما رأته امته (مسجدا وطهورا) حيث لا يختص جواز الصلاة بمكان دون مكان لامتى بخلاف غيرنا فانه لاصلاة لهم الا فى كنائسهم وبيعهم كما بينه بقوله (فايما رجل من امتى ادركته الصلوة) اى بعد دخول وقتها (فليصل) اى فى ذلك المكان اما بطهارة اصلية ان وجد الماء واما بطهارة خلفية من التراب ان لم يجد الماء كما فهم من قوله طهورا فالتفريع مترتب عليهما وفى بعض النسخ بالواو وفى رواية واظنه مصحفا فايما وما مزيدة فيهما (واحلت لى الغنائم ولم تحل) بصيغة المجهول وفى نسخة بصيغة المعلوم (لنبى قبلى) اى فضلا عن امة له بل كانوا يجمعونها فى موضع فتنزل نار من السماء فتحرقها (وبعثت الى الناس) اى الانس والجن ولعل اقتصاره ايماء الى الاكتفاء ثم المراد بالناس مؤمنهم وكافرهم ولذا قال (كافة) وفى رواية كافة عامة وفى رواية جابر قبله وكان النبى يبعث الى قومه خاصة وفى رواية لمسلم وبعثت الى الخلق كافة فلا يرد ان نوحا عليه الصلاة والسلام بعد خروجه من الفلك كان مبعوثا الى جميع اهل الارض لان هذا العموم فى رسالته لم يكن فى اصل البعثة وانما وقع لاجل حدوث الحادثة وهى انحصار الخلق فى الموجودين معه بخلاف نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فى عموم رسالته فى اصل بعثته وشمول دعوته (واعطيت الشفاعة) وفى رواية عد هذا رابعا واللام فيها للعهد اذ المراد بها الشفاعة العظمى فى المقام المحمود وله صلى الله تعالى عليه وسلم شفاعات اخر يحتمل اختصاص بعضها به منها فى جماعة يدخلون الجنة بغير حساب ومنها فى اناس استحقوا دخول النار فلا يدخلونها ومنها فى اناس دخلوا النار فيخرجون منها ومنها فى رفع درجات اناس فى الجنة ومنها شفاعته لمن مات بالمدينة ومنها شفاعته لمن صبر على لاوائها ومنها شفاعته لفتح باب الجنة كما رواه مسلم ومنها شفاعته لمن زاره عليه الصلاة والسلام لما روى ابن خزيمة فى صحيحه عن ابن عمر مرفوعا من زار قبرى وجبت له شفاعتى ومنها شفاعته لمن اجاب المؤذن وصلى عليه صلى الله تعالى عليه وسلم لما فى الصحيحين من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم حلت له شفاعتى ومنها تخفيف العذاب عمن استحق الخلود فيها كما فى حق ابى طالب لقوله ولعله تنفعه شفاعتى ولقوله ولولا انا لكان فى الدرك الاسفل من النار قال القرطبى فى تذكرته فى الجواب عن الآية مانصه فان قيل فقد قال الله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين قيل له لاتنفع فى الخروج من النار كعصاة الموحدين الذين يخرجون من النار ويدخلون الجنة وقال الحلبى انها شفاعة بالحال لابالمقال فبسببه صلى الله تعالى عليه وسلم يخفف عن ابى طالب اى لانه يطلبها وهو لايخلو عن الاحتمال فلايكفى لدفع الاشكال بخلاف ماسبق من جواب السؤال والله تعالى اعلم بالاحوال (وفى رواية اخرى) اى عن ابى ذر (بدل هذه الكلمة) وهى قوله اعطيت الشفاعة (وقيل لى سل تعطه) بصيغة المفعول فهاء السكت وفى نسخة بالضمير (وفى رواية اخرى) اى للبزار والبيهقى رحمهما الله تعالى (وعرض على امتى فلم يخف)

لديكم (على التابع من المتبوع) اى فى الخير والشر وقيل المراد بالتابع الوضيع الذى يقتدى بغيره وبالمتبوع الشريف
الذى يقتدى به ويرجع الى قوله (وفى رواية) اى عن ابى ذر رضى الله تعالى عنه (بعثت الى الاحمر والاسود) وظاهره
عموم الخلق كما ذهب اليه بعضهم وقال بعثت حتى الى الحجر والمدر والشجر وجميع الكائنات ككمالية فى بعض
المقامات (قيل السود) وهو جمع الاسود (العرب لان الغالب على الوانهم الادمة) بضم الهمزة اى السمرة الشديدة
(ومنهم من السودان) فى الجملة (والحمر) بضم فسكون جمع الاحمر (العجم) اى لان الغالب على الوانهم الشقرة مع
البياض وكانه اراد بالعجم الفرس ومن يشاركهم فى هذا المعنى من الترك بناء على الاطلاق العرفى واما العجم
المقابل للعرب بحسب الوضع اللغوى فلا يلائم المقام لدخول الهنود والسنود والحبوش والسودان وغيرهم
فيهم (وقيل البيض والسود من الامم) اى على الوجه الاعم وهو فى افادة التعميم اتم (وقيل الحمر الانس) اى
لنورهم وظهورهم (والسود الجن) لاحتجابهم وتسترهم (وفى الحديث الآخر عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه)
كما رواه الشيخان (نصرت بالرعب واوتيت جوامع الكلم) اى القرآن العظيم والفرقان الحكيم او الاحاديث
الجامعة والكلمات اللامعة التى مبانيها يسيرة ومعانيها كثيرة ويؤيده ما رواه ابو يعلى فى مسنده عن عمر ولفظه
اعطيت جوامع الكلم واختصر لى الكلام اختصارا (وبينا) اى بين اوقات (انا نائم) اى فى بعضها (اذ جئ بمفاتيح
خزائن الارض) جمع مفتح واما مفاتح بدون الياء فجمع مفتح بمعنى مخزن (فوضعت فى يدى) بفتح الدال وتشديد
التحتية كذا ضبطه الحفاظ ولعل فى اختيار التثنية اشعارا بكثرة المفاتيح والمراد بها ما فتح الله على امته من الكنوز
الحسية والمعنوية لحديث اوتيت مفاتيح الكلم وفى رواية مفاتح الكلم وفى سيرة الكلاعى ان رستم امير جيش يزدجرد رأى
فى منامه وقتما هم سعد بن ابى وقاص من قبل عمر لفتح بلادهم ان ملكا نزل من السماء فاخذ جميع اسلحتهم واعطاها
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاعطاها لعمر فكان الفتح والغنيمة والنصر الذى يكاد يموت الحصر (وفى رواية)
اى رواها مسلم (عنه) اى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (وختم بى النبيون) هذا وقد روى احمد فى مسنده
عن على كرم الله وجهه مرفوعا اعطيت ما لم يعط احد من الانبياء قبلى نصرت بالرعب واعطيت مفاتيح
الارض وسميت احمد وجعل لى التراب طهورا وجعلت امتى خير الامم ثم اعلم ان له خصوصيات اخر كاعطاء الآيات
من خواتيم سورة البقرة والمفصل من القرآن وجعل صفوف امته كصفوف الملائكة وغير ذلك مما يحتاج الى تأليف
مستقل لبيان تفصيل ما هنالك (وعن عقبة بن عامر رضى الله تعالى عنه) صحابى جهنى مصرى (انه عليه الصلاة
والسلام) كما رواه الشيخان (انى فرط لكم) واما ما وقع فى اصل الدجى من قوله انا فرطكم فليس فى الاصول المعتمدة
والنسخ المعتبرة والمعنى انا متقدمكم وفرط صدق لكم واصل الفرط الذى يتقدم لطلب الماء بالحبل والرشاء واسباب
ضرب الخباء (وانا شهيد عليكم) اى بانشاء العمل والوفاء الجزيل (وانى والله لانظر الى حوضى) اى والى من يشرب منه
ومن يذب عنه فى الموقف والحشر (الآن) اى فى هذا الحاضر من الزمان (وانى قد اعطيت مفاتيح خزائن الارض)
بمعنى عرضت على فلم اقبلها لعدم الالتفات الى الدنيا والتوجه الكلى الى الآخرة والاقبال القلبى الى المولى والعلم
بان الآخرة خير من الاولى وبان الجمع بينهما على وجه الكمال من جملة المحال كما ينبه حديث من احب دنياه اضر بآخرته
ومن احب آخرته اضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى كما رواه احمد والحاكم عن ابى موسى ويؤيد ما قررناه من المراد
بمفاتيح الارض هنا بخلاف ما سبق من ان المراد بها ما يسر الله عليه وعلى امته من فتح البلاد واتساع المواد مع انه
لا يبعد ايضا من المراد قوله (وانى والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدى) اى جميعكم (ولكنى اخاف) اى عليكم
كما فى نسخة صحيحة (ان تنافسوا) بفتح اوله على انه حذف احدى التائين منه اى ترغبوا (فيها) اى فى الدنيا الدنية
الخبيثة كما رغب فى الاشياء العالية العلية النفيسة فهو مأخوذ من ميل النفس الى النفيس ومنه قوله تعالى
وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ومنه اقتباس امامنا الشاطبى رحمه الله بقوله

(عليك بها ما عشت فيها منافسا * وبع نفسك الدنيا بانفاسها العلى)

واغرب الحلبى كغيره فى رجع ضمير فيها الى خزائن الارض نعم ذكر المفاتيح سابقا يدل على كون الضمير للدنيا لا دفائنها نحو
قوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة لدلالة الناس او الدابة على الارض مع ان قرينة المقام
كافية فى تعيين المرام (وعن عبد الله بن عمرو) بالواو وفى نسخة بتركها وقد رواه احمد بسند حسن (ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال انا محمد النبى الامى) اى المنسوب الى ام القرى وهى مكة او الى امة العرب لكون
غالبهم اميين لا يقرؤن ولا يكتبون او المضاف الى الام بمعنى انى على اصل ولادتى وجبلتى من غير قراءتى وكتابتى وذلك
شرف له وعيب فى غيره وهذا المعنى هو الاولى بالمدعى كما افاد صاحب البردة هذه الزبدة بقوله * كفاك بالعلم فى الامى معجزة *

(وقد)

وقد قال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون (لانبي امدى) اى وان وجد احد يكون تابعا لى (واوتيت جوامع الكلم) اى مع كونى اميا (وخواتمه) قيل هو وجوامع بمعنى اى ختم على بان اجمع المعنى الكثير فى المبنى اليسير اوالمراد بخواتمه انه لا يكون بعد وجود ختمه احتياج الى غيره وهو المناسب لكونه خاتم النبيين (وقد علمت) بضم عين وتشديد لام مكسورة ويجوز تخفيفها مع فتح اوله كما قال تعالى وعلمك مالم تكن تعلم (خزنة النار) اى الملائكة الموكلين عليها وكبيرهم يسمى مالكا مشتق من الملك وهو القوة (وحملة العرش) اى من الملائكة فهم اليوم اربعة ويكونون يومئذ ثمانية كما اخبر الله عنهم لكن على خلاف فى تمييز العدد من الصفوف او الالوف اوالصنوف (وعن ابن عمر) كما روى احمد بسند حسن (بعثت بين يدى الساعة) اى قدامها وقريبا من وقوعها كما رواه احمد والشيخان والترمذى عن انس رضى الله تعالى عنه بعثت انا والساعة كهاتين (ومن رواية ابن وهب) هو عبد الله بن وهب المصرى احد الاعلام عن ابن جريج وعند احمد وغيره قال يونس بن عبد الاعلى طلب للقضاء فجنن نفسه وانقطع اخرج له الائمة الستة (انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال) اى على ما رواه البيهقى من حديث اسماء فى الاسراء حيث اتى سدرة المنتهى (قال الله تعالى سل يا محمد) اى ما شئت (فقلت ما اسئل يارب) اى من المقامات العالية حيث اعطيت جميعها للانبياء الماضية كما بينه بقوله (اتخذت ابراهيم خليلا) اى بقولك واتخذ الله ابراهيم خليلا (وكلمت موسى تكليما) كما قلت وكلم الله موسى تكليما (واصطفيت نوحا) كما قلت ان الله اصطفى آدم ونوحا (واعطيت سليمان ملكا لا ينبغى) اى لا يكون (لاحد من بعده) حيث بينته بقولك فسخرنا له الريح تجرى بامره رخاء حيث اصاب الآية (فقال الله تعالى ما اعطيتك) اى الذى اعطيتكه (خير من ذلك) اى كله (اعطيتك الكوثر) فوعل من الكثرة ومعناه الخير الكثير وفى النهاية هو نهر فى الجنة وجاء فى التفسير انه القرآن ولعل هذا هو المراد فى هذا المقام ويشير اليه قوله سبحانه وتعالى وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وفيه اشارة الى مزية العلم والمعرفة على كل مقام وحال ومرتبة قال ابن عرفة انظر فى قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر اهو انشاء ام خبر فان قيل الانشاء هنا مستحيل لان كلام الله تعالى قديم ازلى فالجواب انه باعتبار ظهور متعلقه فان قلت فى تعلقه خلاف هل هو قديم او حادث قلنا التعلق التنجيزى حادث واما التعلق الصلوحى فيصح هنا كذا ذكره التلمسانى (وجعلت اسمك مع اسمى) اى مقرونا به فى كلمة الشهادة (ينادى به) بصيغة المفعول (فى جو السماء) اى وقت الاذان والخطبة او فيما بين اهل السماء (وجعلت الارض طهورا) اى حكميا (لك ولامتك) اى خاصة (وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر) اى جميع ما فرط وما يفرط منك مما يصح ان يعاتب عليك (فانت تمشى فى الناس) وفى نسخة بالناس وفى اخرى بين الناس (مغفورا لك) حال من ضمير تمشى (ولم اصنع ذلك) اى غفران ما تقدم وما تأخر ذكره الدلجى والاظهر ان الاشارة الى جميع ما تقدم والله تعالى اعلم وحينئذ لا اشكال فى قوله (لاحد قبلك) بخلاف ما اختاره ودفعه بقوله ولعله من غير الانبياء والا فهم كذلك وفيه انهم ليسوا كذلك اذ لم يعلم انهم بشروا بغفران ما تقدم وما تأخر ويؤيده ان غفرانهم مشوب بمخافة المعاتبة بدليل حديث فيأتون نوحا فيقولون الا تشفع لنا فيقول نفسى نفسى است الها الحديث (وجعلت قلوب امتك مصاحفها) فيه منقبة عظيمة لحفاظ القرآن من الامة كما يشير اليه قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وتنبيه نبيه على ان الامم السالفة غالبهم لم يكونوا يحفظون شيئا من صحفهم (وخبأت لك شفاعتك) اى ادخرتها عندى لليوم الموعود والمقام المحمود وهى الشفاعة العظمى لفصل القضاء حين يفزع الناس حتى الانبياء (ولم اخبأها لنبى غيرك) بل اوتيت اجابة دعواتهم فى الدنيا فلم يبق لهم حينئذ شفاعة شاملة فى العقبى (وفى حديث آخر رواه حذيفة) كما فى تاريخ ابن عساكر مرفوعا (بشرنى يعنى ربى) تفسير من المصنف او ممن قبله (اول من يدخل الجنة معى) اى بقرب زمانى لا آنى (من امتى) اى من الصحابة والتابعين وغيرهم (سبعون الفا) اى اصالة (مع كل الف سبعون الفا) تبعا فى العلم والعبادة (ليس عليهم حساب) فلا يكون لجميعهم عذاب ولا حجاب وروى سبعمائة الف مع كل واحد سبعمائة الف ذكره التلمسانى (واعطانى ان لا تجوع امتى) اى جوعا شديدا بجدب وقحط بحيث يهلك جميعهم (ولا تغلب) بصيغة المجهول اى وان لا تغلب بعدو يستأصلهم اى يأخذهم من اصلهم لحديث انى سألت ربى لامتى ان لا يهلكها بسنة عامة وان لا يسلط عليهم عدوا من سوى انفسهم فيستبيح بيضتهم الحديث (واعطانى النصرة) اى الاعانة على الاعداء (والعزة) اى القوة والغلبة والمنعة (والرعب) اى الخوف مع بعد المسافة كما بينه بقوله (يسعى بين يدى امتى) اى يتقدم الرعب لاعدائى قدامهم (شهرا) يعنى وكذا من خلفهم شهر المتقدم وفيه تنبيه نبيه ان الرعب غير مخصوص بحضرته بل يوجد فى عموم امته (وطيب) بفتح التحتية المشددة اى واحل (لى ولامتى الغنائم) جمع غنيمة ووقع فى اصل الدلجى المغانم جمع مغنم وهما قريبان فى الدراية وانما الكلام فى صحة الرواية (واحل لنا)

اى مخصوصنا على وجه يعمنا (كثيرا ما شدد) اى الله تعالى (على من قبلنا) اى تحريمه عليهم او تكليفه لديهم كقتل النفس فى التوبة وقطع موضع النجاسة وتعيين صلاة فى اليوم والليلة وصرف ربع المال فى الصدقة (ولم يجعل علينا فى الدين من حرج) اى تضييق وهو تعميم بعد تخصيص وتنبيه على ما اباح لنا من الرخص عند الاعذار كالتيمم والقصر والافطار كما يفيد قوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقد ورد فى ذلك ان الله رأى ضعفنا وعجزنا (وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) اى برواية الشيخين (عنه عليه الصلاة والسلام ما من نبى من الانبياء) من الاولى مزيدة للتأكيد مفيدة والثانية تبعيضية مشيرة الى المبالغة (الا وقد) بالواو (اعطى من الآيات ما) مثله (امن عليه البشر) ما موصولة او موصوفة وفى اصح الروايات الصحيحة اومن عليه البشر وكتبه بعضهم ايمن وروى القابسى آمن من الايمان ولا يظهر له وجه فى هذا الشان والمعنى ان الله تعالى ايد كل نبى بما عنده من المعجزات بما يصدق دعواه وتقوم الحجة على من عاداه (وانما كان الذى اوتيته) اى من الآيات المتلوة المشتملة على انواع من المعجزات من الفصاحة والبلاغة فى المبنى والانباء الواقعة فى الازمنة السابقة واللاحقة فى المعنى الباقية على صفحات الدهر الى يوم القيمة النافعة فى امور الدنيا واحوال الآخرة مع ما فيها من معرفة الذات والصفات الاسنى والاسماء الحسنى (وحيا) اى وحيا تلى ومعجزة تدوم وتبقى (اوحى الله الى فارجو) وفى نسخة بالواو ولكن الفاء التفريعية مع افادة التعقيبية هى الاولى والمعنى اوقع (ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة) اى لاستمرار تلك المعجزة بخلاف معجزة سائر الانبياء حيث انقضت فى حال الاحياء وانما اراد بقوله الذى اوتيته معظم ما اعطى من المعجزات المشتملة على انواع من الانباء والا فقد اعطى معجزات كثيرة من جنس معجزات الانبياء (ومعنى هذا) اى الحديث بجملته (عند المحققين بقاء معجزته) اى الخاصة وهى الآية الكبرى والنعمة العظمى (ما بقيت الدنيا) اى مدة بقائها (وسائر معجزات الانبياء) اى بقيتها (ذهبت للحين) اى حين وقوعها فى حياة نبيها (ولم يشاهدها الا الحاضر لها) اى حال معاينتها ووقت مشاهدتها (ومعجزة القرآن) اى مبنى ومعنى باقية دون كل معجزة (يقف عليها قرن بعد قرن) اى جماعة بعد انقراض جماعة (عيانا) بكسر العين اى معاينة (لا خبرا) اذ ليس الخبر كالمعاينة كما ورد (الى يوم القيمة) وقد وقع فى اصل الدلجى يقف عليها عيانا لا خبرا قرنا بعد قرن وهو مخالف للاصول الصحيحة (وفيه) اى فى هذا الحديث او فى هذا المعنى (كلام يطول) اى من جهة المبنى (هذا نخبته) اى خلاصته (وقد بسطنا القول فيه) اى اطنبنا فى هذا الحديث (وفيما ذكرته) اى فى هذا المعنى (سوى هذا) اى الكلام الذى قدمته (آخر باب المعجزات) اى فى آخره لانه المحل اللائق به (وعن على رضى الله تعالى عنه) كما رواه ابن ماجه والترمذى وحسنه (كل نبى اعطى سبعة) قال الحجازى و يروى اربعة والظاهر انه تصحيف او وهم (نجباء) اى نقباء وفضلاء وزيد فى رواية وزراء رفقاء (واعطى نبيكم) عليه السلام (اربعة عشر نجيبا منهم ابو بكر وعمر وابن مسعود وعمار رضى الله تعالى عنهم) ولفظ الترمذى قلنا من هم قال انا وابناى وجعفر وحمزة وابو بكر وعمر ومصعب بن عمير وبلال وسلمان وعمار وابن مسعود ولم يذكر ابن عبد البر مصعبا وزاد تكملة لهم حذيفة وابا ذر والمقداد وقال التلمسانى ذكر ابو نعيم عن على مرفوعا ولفظه لم يكن نبى من الانبياء الا وقد اوتى سبعة نقباء نجباء وزراء وانى قد اعطيت اربعة عشر وهم حمزة وجعفر وعلى وحسن وحسين وابو بكر وعمر وعبد الله بن مسعود وابو ذر والمقداد وحذيفة وعمار وسلمان وبلال انتهى وقال ذو النون المصرى رحمه الله تعالى النقباء ثلاثمائة والنجباء سبعون والابدال اربعون والاخيار سبعة والعمد اربعة والغوث واحد وحكى ابو بكر المطوعى عمن رأى الخضر وتكلم معه وقال له اعلم ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما قبض بكت الارض فقالت الهى وسيدى بقيت لا يمشى على نبى الى يوم القيامة فاوحى الله تعالى اليها اجعل على ظهرك من هذه الامة من قلوبهم على قلوب الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا اخليك منهم الى يوم القيامة قلت له وكم هم قال ثلاثمائة وهم الاولياء وسبعون وهم النجباء واربعون وهم الاوتاد وعشرة وهم النقباء وسبعة وهم العرفاء وثلاثة وهم المختارون وواحد وهو الغوث فاذا مات الغوث نقل من الثلاثة واحد وجعل مكان الغوث ونقل من السبعة الى الثلاثة ومن العشرة الى السبعة ومن الاربعين الى العشرة ومن السبعين الى الاربعين ومن الثلاثمائة الى السبعين ومن سائر الخلق الى الثلاثمائة هذا الى يوم ينفخ فى الصور انتهى ولا ينفع فيه وفى الارض من يقول الله ولا حول ولا قوة الا بالله جعلنا الله من خواص المسلمين وحشرنا معهم يوم الدين (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) كما فى الصحيحين (ان الله قد حبس عن مكة الفيل) اى لما جاء به ابرهة الحبشى فى جيشه لتخريب الكعبة فاهلكهم الله بطير ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل (وسلط عليها رسوله والمؤمنين) اى امرهم بالغلبة عليها واذن لهم بقتال اهلها ففتحوها سنة ثمان من الهجرة (وانها لم تحل) وفى نسخة لا تحل وفى اخرى لن تحل والفعل يحتمل معروفا ومجهولا (لاحد بعدى) اى من بعدى كما وقع فى اصل الدلجى وفيه

التفات من الغيبة (وانما احلت لى ساعة من نهار) يعنى فان ترخص احد بقتال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقولوا له كما فى الحديث كذا ذكره اكثرهم اجمالا وقال ابو بكر ابن العربى فى العارضة اراد بذلك دخوله بغير احرام لاجل القتال لا انه احلت له لاجل القتال ساعة من نهار لان القتال فيها حلال ابدا بل واجب حتى لو تغلب فيها كفار او بغاة وجب قتالهم فيها بالاجماع انتهى وهو الاقرب الى قواعد مذهبنا والله تعالى اعلم (وعن العرباض) بكسر اوله (ابن سارية) وهو من اكابر صحابة الصفة سلمى سكن الشام ومات بها (قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول انى عبد الله وخاتم النبيين) كذا فى النسخ المعتبرة بالواو العاطفة ووقع فى اصل الدلجى بغير واو فضبطه بالنون بمعنى لديه وهو الموافق لرواية المصابيح وقال وفى رواية انى عبد الله مكتوب خاتم النبيين ثم الخاتم بكسر تاؤه وتفتح كما قرئ بهما فى السبعة (وان آدم لمجدل) اى والحال انه لساقط (فى طينته) او مطروح على الجدالة وهى الارض الصلبة والمراد بطينة خلقته المركبة من الماء والتربة ومجدل خبر لان او الجار خبر ثان (وعدة ابى ابراهيم) بكسر العين وتخفيف الدال اى وعده بمقتضى دعائه بقوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية ويؤيده ما فى نسخة دعوة ابى ابراهيم وصدر الحديث وسأخبركم ببادئ امرى او ببادئ نبوتى وبعثتى هو عدة ابراهيم وللحاكم وغيره وسأنبئكم بتاويل ذلك هو دعوة ابى ابراهيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية (وبشارة عيسى ابن مريم) يعنى قوله تعالى حكاية عنه ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد وزاد الحاكم ورؤيا امى التى رأت انه خرج من فرجها نور اضاءله قصور الشام وصححه لكن تعقبه الذهبى بان ابا بكر ابن ابى مريم احد رواة اسناده ضعيف (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) كما رواه البيهقى والدارمى وابن ابى حاتم (قال ان الله فضل محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم على اهل السماء) اى من الملائكة المقربين (وعلى الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم) اى اجمعين (قالوا) اى اصحاب ابن عباس (فما فضله على اهل السماء قال ان الله تعالى قال لاهل السماء ومن يقل منهم انى اله من دونه الآية) اى فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين (وقال لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا الآية) وهى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وفيه بحث لا يخفى اذ قال تعالى له صلى الله تعالى عليه وسلم ايضا لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين مع ان القضية فرضية وتقديرية والا فعصمة الانبياء والملائكة قطعية ولذا قال الكشاف هذا على سبيل التمثيل مع احاطة علمه سبحانه وتعالى بان لا يكون كما قال تعالى ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون انتهى فلعل مراد الخبر هو انه صلى الله تعالى عليه وسلم مبعوث اليهم كما يفيده قوله تعالى تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا وانزاره للملائكة قطعى بقوله ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم والله سبحانه وتعالى اعلم (قالوا فما فضله على الانبياء قال ان الله تعالى قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الآية) اى ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وهو العزيز الحكيم (وقال لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وما ارسلناك الا كافة) اى رسالة عامة (للناس) وقد يقال المراد بالناس عمومهم الشامل الاولين والآخرين على تقدير وجودهم فى المتأخرين كما يستفاد من قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وكما اشار اليه حديث لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعى وكما يقع بالفعل متابعة عيسى عليه السلام بعد نزوله لشريعته ويكون مفتخرا بكونه من امته (وعن خالد بن معدان) بفتح ميم وسكون عين فدال مهملتين كلاعى شامى روى عن ابن عمر وثوبان ومعاوية رضى الله تعالى عنهم كان يسبح فى اليوم والليلة اربعين الف تسبيحة اخرج له الائمة الستة وقد اخرج عنه ابن اسحق ووصله احمد والدارمى (ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك) اى مبدأ امرك (وقد روى نحوه) بصيغة المجهول والواو للحال اى مثله معنى لا مبنى (عن ابى ذر) رضى الله تعالى عنه صحابى جليل (وشداد) بتشديد الدال الاولى (ابن اوس) بفتح فسكون وهو ابن ثابت بن المنذر بن حرام بالراء صحابى انصارى ابن اخى حسان بن ثابت نزل بيت المقدس ومات بالشام (وانس بن مالك رضى الله تعالى عنهم فقال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى جواب كل منهم (نعم) اى اخبركم باول قصتى وما ظهر من نبوتى على لسان ابراهيم وغيره (انا دعوة ابى ابراهيم يعنى قوله) اى حكاية عن ابراهيم واسمعيل واقتصاره على الاول لانه المعول (ربنا وابعث فيهم) اى فى الامة المسلمة المذكورة فى الآية الماضية (رسولا منهم) ولم يبعث فيها من ذريته من نسل اسمعيل غيره صلى الله تعالى عليه وسلم فهو المجاب به دعوتهما (وبشرى عيسى) اى بشارته حين قال لقومه ومبشرا برسول يأتى من بعد اسمه احمد وفى نسخة وبشر بى عيسى بالموحدة وياء الاضافة والظاهر انه تصحيف لمخالفة ما قبله وان كان يلايم قوله (ورأت امى) وفى بعض الروايات ورؤيا امى ولعل العدول لئلا يتوهم ان رؤيا منامية (حين حملت بى) بالباء للتعدية وفى رواية حين

وضعفي ويمكن جمعهما بالحمل على مرتين واما تجويز الدلجي كون رؤيا منامية فبعيد جدا من حيث اسند لانه صلى الله تعالى عليه وسلم برؤيتهما ان رؤيا غير الانبياء ليست معتمدا عليها حتى لايعمل بمقتضاها (انه خرج منه نور اضاءت له) اي استنارت لنيلك النور (قصور بصرى) بضم موحدة فسكون مهملة مقصورا مدينة بحوران (من ارض الشام) وهي اول مدينة فتحت صلحا وذلك في شهر ربيع الاول لخمس بقين منه سنة ثلاث عشرة وقد وردها صلى الله تعالى عليه وسلم مرتين (واسترضعت) اي كنت رضيعا (في بني سعد بن بكر) قبيلة معروفة (فبينا انا) اي بين اوقات كنت انا (مع اخ لي) اي رضاعا (خلف بيوتنا نرعى بهما لنا) بفتح موحدة وسكون هاء جمع بهمة ولد الضأن ذكرا كان او انثى وقيل ولد الضأن والمعز مجتمعة ولعله باعتبار الغالبة والا فولد المعز حال انفراده يسمى سخلة (اذ جاءني رجلان) اي على صورة رجلين فقيل هما جبرائيل واسرافيل (عليهما ثياب بيض) تركيب توصيفي (وفي حديث آخر ثلاثة رجال) قيل ثالثهم ميكائيل اي جاؤا (بطست) بفتح طاء ويجوز كسره وضمه فسين مهملة وكذا بمعجمة على ما في القاموس ولا عبرة بمن قال انه لغة العامة وانه خطأ وهو اناء معروف يكون من نحاس او صفر واصله الطسس ابدل من احدى السينين تاء (من ذهب) فيه ايماء الى ذهاب حظ الشيطان عنه بصنعة ربه وذهابه عن الامة بسببه قال التلمساني وفيه دليل على جواز تمشية آلات الطاعة بالذهب والفضة كالمصحف وآلات القرب انتهى والاظهر ان استعمال آنية الذهب والفضة حرام لا اعلم فيه خلافا بين علماء الاسلام لكن الملائكة لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون فلا يقاس الانسان بالملك كما لا يقاس الحداد بالالات هذا وقد ذكر البغوي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى فيه سكينة من ربكم هي طست ذهب من الجنة يغسل فيه قلوب الانبياء عليهم السلام (مملوء) يجوز همزه وابداله مدغما ولعل التاء للمبالغة او باعتبار كونه آنية (ثلجا) بسكون اللام وهو ماء جامد لانه يبرد القلب ويشفقه وقد روى حكمة وقسرت بالنبوة والاولى تفسيرها باتقان العلم واحسان العمل (فاخذاني) اوما خذوني (فشقا بطني) او شقوه (قال) ووقع في اصل الدلجي وقال (في غير هذا الحديث من نحري الى مراق بطني) بفتح الميم وتخفيف الراء وتشديد القاف لا واحد له من لفظه وميمه زائدة اي من اعلى صدري الى مارق ولان من بطني (ثم استخرجا) اي اخرجا او اخرجوا (منه قلبي فشقاه) اي قلبي (فاستخرجا منه علقة) اي قطعة دم منعقدة (سوداء) يكون فيها الحسد والحقد والشهوة النفسية وسائر الاخلاق الرديئة (فطرحاها) اي رمياها بقوة وفي رواية مسلم وقالا هذا حظ الشيطان منك قال العلامة تقي الدين ابن السبكي تلك العلقة خلقها الله تعالى في قلوب البشر قابلة لما يلقيه الشيطان فيها فازيلت من قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يكن فيه مكان قابل لان يلقي الشيطان فيه شيئا قال فهذا معنى الحديث ولم يكن للشيطان فيه صلى الله تعالى عليه وسلم حظ قط فان قلت لم خلق هذا القابل في هذه الذات الشريفة وكان يمكن ان لا يخلقه فيها قلت لانه من جملة الاجزاء الانسانية فخلقه تكملة للخلق الانساني ونزعه امر ثان طرأ بعده انتهى ونظيره خلق الاشياء الزائدة في بدن الانسان من القلفة وتطويل الظفر والشارب وامثال ذلك ففيه الحكمة البالغة وعلى العبد احتمال الكلفة (ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى نقياه) اي انظفاه عن تلوث تعلق العلقة قال التلمساني شق قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم مرتين مرة في صغره عند ظئره وذلك ليذهب عنه حظ الشيطان ومرة عند الاسراء ليدخل على طهارة ظاهرة وباطنة على الحق قلت ومرة عند نزول القرآن في جبل حرا على ما ذكره ابو نعيم والطيالسي وغيره على ما في المواهب اللدنية وقد قيل شق صدره مرة في صباه ليصير قلبه مثل قلوب الانبياء ومرة ليلة المعراج ليصير قلبه مثل قلوب الملائكة قلت ومرة عند نزول الوحي ليصير مثل قلوب الرسل والله تعالى اعلم (وقال صلى الله عليه وسلم في حديث آخر ثم تناول احدهما شيئا فاذا بخاتم في يده من نور يحار) بفتح اوله اي يتحير (الناظر دونه) اي عنده فلا يدري كيف يهتدي الى معرفة كنهه (فختم به قلبي) اي لئلا يصل اليه ما لا يليق بجناب ربي (فامتلأ ايمانا وحكمة) اي ايقانا واحسانا او علما وفهما (ثم اعاده) اي رده (مكانه ثم امر) بتشديد الراء اي اذهب (الآخر) اي منهما (يده على مفرق صدري) بفتح الميم والراء وبكسر الراء ذكره الشمني والحلبي وقال الدلجي بكسر الميم مع فتح الراء وبفتحها مع كسرها انتهى ولا يخفى ان كسر الميم لموضوع للآلة غير مناسب هنا فانه وسط الرأس حيث يفرق فيه الشعر في اصل اللغة الا انه استعير هنا لموضع الشق (فالتأم) بهمزة مفتوحة بعد التاء اي فاجتمع والتحم وانتظم (وفي رواية) اي للدارمي وابي نعيم في الدلائل (قال قلب) اي هذا قلب (وكيع اي شديد) تفسير من احد الرواة ومعناه متين في العلم ومحكم في الفهم كما يشير اليه قوله (فيه) وفي اصل التلمساني له (عينان تبصران) اي تدركان للامور العقلية (واذنان سميعتان) وفي نسخة سميعان اي تسمعان العلوم النقلية وضمير فيه راجع الى القلب وهو اقرب او الى القالب وهو انسب (ثم قال) اي احدهما (لصاحبه) اي من الملكين (زنه) بكسر الزاي اي امر من الوزن

(بعشرة من امته) اى فى الفهم والعقل اوفى الاجر والفضل (فوزنني بهم) اى حسا اومعنى (فرجحتهم) بتخفيف
الجيم اى فغلبتهم فى الرجحان (ثم قال) اى احدهما الصاحبه (زنه بمائة من امته فوزنني بهم) اى بمائة منهم (فوزنتهم)
اى رجحتهم فى الوزن (ثم قال زنه بالف من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال دعه عنك) اى اترك وزنه (فلو وزنته بامته)
اى جميعهم (لوزنها) اى لما منح من المنح السنية ومن المنن العلية (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (فى الحديث
الآخر) اى فى الرواية الاخرى وهى حديث ثلاثة رجال بشهادة قوله (ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا رأسى) اى
اشعارا برياستى وانى رئيس امتى (ومابين عينى) بصيغة التثنية لاغير ايماء الى انه قرة العينين فى الكونين
(ثم قالوا لى ياحبيب) اى يامحبوب لمطلق الخالق والحق ويروى فقالوا انك حبيب الله (لم ترع) بضم ففتح فسكون
من الروع اى لا تفزع وفى التعبير بالماضى مبالغة فى تحققه وفى رواية لن تراع بتأكيد نفى الاستقبال
(انك لوتدرى مايراد بك من الخير) اى الذى لاعين رأت ولا اذن سمعت ولاخطر على قلب بشر (لقرت عينك) بفتح
القاف وتشديد الراء اى لطابت نفسك وسكن قلبك اوسررت وفرحت واصله برد الله تعالى دمعة عينيك لان دمع
السرور بارد وقيل معناه بلغك الله تعالى امنيتك حتى ترضى وتسكن عينك فلا تستشرف الى غيره (وفى بقية هذا
الحديث) اى حديث ثم ضموني (من قولهم) بيان للبقية (مااكرمك على الله ان الله معك) معية مكانة وقربة وحضور
وجهية لامعية مكانية واجتماعية واتصالية واتحادية على ماتقوله الطائفة الالحادية (وملائكته) اى معك كذلك
فى الحفظ والحراسة والنصرة والمعونة (قال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فى حديث ابى ذر) كما رواه الدارمى
(فاهو) اى الامر والشان (الا ان وليا) اى ادبر الملكان ورجعا (عنى فكانما ارى الامر) اى امر النبوة والرسالة
(معاينة وحكى ابو محمد المكى وابو الليث السمرقندى وغيرهما ان آدم عليه السلام عند معصيته) اى الصورية وهى
التى خرج بسببها من الجنة (قال) كما رواه البيهقى والطبرانى من حديث ابن عمر بسند ضعيف (اللهم بحق محمد) اى
المغفور من ذريتى (اغفر لى خطيئتى) ويروى تقبل توبتى ولا منع من الجمع (فقال له الله تعالى من اين عرفت محمدا)
اى ولا رأيته ابدا (قال رأيت فى كل موضع من الجنة) اى من شرف قصورها وصدور حورها واطراف انهارها
واتحاف اشجارها (مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله ويروى) اى بدلا من هذه الجملة اوزائدا بعد هذه الكلمة
(محمد عبدى ورسولى) اى المختص بى من بين عبيدى ورسلى الشامل للملائكة (فعلمت انه اكرم خلقك عليك)
اى حيث خصصته بتشريف الاضافة اليك ولم تذكر غيره من الخلق لديك (فتاب الله عليه وغفر له) اى رجع
عليه بقبول توبته وحصول مغفرته ووصول هدايته كما قال تعالى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى (وهذا) اى قوله
اللهم بحق محمد لا كما توهم الدلجى انه لا اله الا الله محمد رسول الله (عند قائله) اى راويه وناقله (تأويل قوله تعالى
فتلقى آدم من ربه كلمات) اى تلقاها من الهامه واعلامه وان كان المشهور عند الجمهور ان المراد بالكلمات هى قوله
ربنا ظلمنا انفسنا الآية (وفى رواية آجرى) بمد الهمزة وضم الجيم وتشديد الراء بعدها ياء نسبة قال الحلبى الظاهر
انه الامام القدوة ابوبكر محمد بن الحسين بن عبدالله البغدادى مصنف كتاب الشريعة فى السنة والاربعين وغير ذلك
روى عنه ابو نعيم الحافظ وخلق وكان عالما عاملا سكن مكة ومات بها سنة ستين وثلاثمائة وفى نسخة وفى رواية
اخرى بضم همزة وسكون خاء معجمة (فقال آدم) اى فى جواب ما تقدم (لما خلقتنى) اى حين خلقتنى فى اول وهلتى
(رفعت رأسى الى عرشك فاذا فيه) اى فى قوائمه كما فى رواية (مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله) يعنى وليس
فيه ذكر رسول سواه (فعلمت انه) اى الشان (ليس احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك) اى مقرونا به
فى عرشك الذى هو اعظم خلقك (فاوحى الله اليه وعزتى وجلالى) اى وعظمتى (انه لآخر النبيين من ذريتك) ايماء الى
انه بمنزلة الثمرة لهذه الشجرة وانه فى مرتبة العلة الغائية فى الخلقة الانسانية واشارة الى انه الغاية القصوى والمقصد
الاسنى من مظاهر الاسماء الحسنى كما يدل عليه قوله (ولولاه ماخلقتك) ويقرب منه ماروى لولاك لما خلقت الافلاك
(قال) اى الآجرى (وكان آدم يكنى) بصيغة المجهول مخففا ومثقلا (بابى محمد) كما رواه البيهقى عن على مرفوعا ووجه
تخصيصه لكونه افضل اولاده اوللتشرف باسناده (وقيل بابى البشر) اى عموما وفيه تنبيه انه لم يكن يكنى بغيره
من اولاده وذريته اشعارا بخصوصيته ولما تحت العموم من اندراج قضيته ولا يبعد تقدير مضاف بان يقال كان يكنى
بابى خير البشر فاقتصر فتدبر (وروى عن سريج بن يونس) اى ابن ابراهيم الحارث البغدادى العابد القدوة احد ائمة
الحديث روى عنه مسلم والبغوى وابو حاتم وهو بضم مهملة وفتح راء وسكون تحتية فجيم واما ضبطه بالشين المعجمة
فى نسخة فتصحيف وكذا بالحاء المهملة (انه قال ان الله تعالى ملائكة سياحين) بتشديد التحتية اى سائرين على وجه
الارض للعبادة (عيادتها) بالتحتية اى زيارة تلك الجماعة من الملائكة السياحة وتفقدها من عاد يعود اذا زار ورجع

الزيارة وفي نسخة بالوحدة ولايخفى مزية العبادة على العادة بالعصبية الحنفية (على كل دار) وفي نسخة على دار اي واقعة للمعاوضة على كل دار (فيها احد او محمد) اي مسمى باحدهما وفي نسخة عبادتهما كل دار واقتصر عليها الشمني حيث قال عبادة بالباء الموحدة مبتدأ خبره كل دار على حذف مضاف اي حفظ اهل كل دار او اعانة اهل كل دار اكراما منهم لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم حيث سموا اولادهم بهما اسمه (وروى ابن قانع القاضي) بالقاف وكسر النون فمهملة هو ابن مرزوق واسمه عبد الباقي صاحب معجم الصحابة وكتاب اليوم والليلة وتاريخ الوفيات من اول سنة الهجرة فروى في معجم الصحابة له وكذا رواه الطبراني (عن ابي الحمراء) بفتح حاء مهملة فسكون ميم فراء ممدودة قال البخاري هو مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واسمه هلال بن الحارث وقال الذهبي هو اسم لصحابيين احدهما مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اخرج هذا الحديث ابن ماجه عنه والآخر مولى ابي الحمراء ولا اعلم له رواية وقال الحلبي كان ينبغي للقاضي ان يذكر بقية هذا السند من ابن قانع الى ابي الحمراء حتى نعرفهم ونعرف من ابو الحمراء فان ابا الحمراء في الصحابة اثنان احدهما مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اسمه هلال بن الحارث ابن ظفر اخرج حديثه ابن ماجه في التجارات اعني غير هذا الحديث المذكور في الاصل واما هذا فليس له شيء في السنة والله تعالى اعلم روى عنه ابو داود والاعمش وغيره وقال ابن معين كان بحمص وقال البخاري يقال له صحبة ولا يصح حديثه انتهى واما الثاني فهو مولى الحارث بن رفاعة شهد بدرا واحدا ولا اعلم له رواية وان كان ابو الحمراء من التابعين او من بعدهم فلا اعلم فيهم احدا يقال له ابو الحمراء وقد وقفت على الحديث المذكور لكن من رواية انس وقد قال الذهبي فيه شيء نراه (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما اسري بي الى السماء اذا على العرش مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله ايدته) اي قويته (بعلي) اي لغاية قوته وعلو همته قال الدلجي وقد ورد انه حمل باب حصن خيبر وترس به ورواه ابن عدي عن عيسى بن محمد عن الحسين بن ابراهيم البابي عن حميد الطويل عن انس بلفظ لما عرج بي رأيت على ساق العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله ايدته بعلي نصرته بعلي قال في الميزان وهذا اختلاف من الحسين بن ابراهيم (وفي التفسير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) كما رواه الخطيب فيما رواه مالك عنه (في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما) وقد رواه البزار مرفوعا من حديث ابي ذر وموقوفا على عمر وعلي (قال) اي ابن عباس وكذا من روى نحوه من غيره (لوح) اي الكنز المذكور جامع في المبنى والمعنى فانه لوح (من ذهب فيه مكتوب عجبا لمن ايقن بالقدر) اي بتقديره الذي لا يتصور تغييره (كيف ينصب) بفتح الصاد اي كيف يتعب وما قدر له يأتيه ان تعب وان لم يتعب لكن قد يقال ان من جملة ما قدر تقديره ان يتعب فكيف لا يتعب قال النووي القدر سر من اسراره سبحانه وتعالى لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ولا يجوز الخوض فيه ولا البحث عنه بل الله تعالى خلق خلقه فمنهم شقي ومنهم سعيد وقال رجل لعلي اخبرني عن القدرة فقال طريق مظلم لا تسلكه واعاد السؤال فقال بحر عميق لا تلجه واعاد فقال سر الله قد خفي عليك (عجبا لمن ايقن بالنار) اي بوجودها (كيف يضحك) اي قبل ورودها (عجبا لمن يرى) وفي نسخة لمن رأى (الدنيا وتقلبها باهلها) اي في انقلاب احوالها لاسيما ومآلها الى زوالها (كيف يطمئن اليها) اي يغتر بها ولا يعتبر بمن مضى فيها (انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي) اي الى الخلق كافة كما ان الاله الههم عامة (وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) قال الدلجي لا اعلم من رواه عنه (قال على باب الجنة مكتوب انا الله لا اله الا انا محمد رسول الله لا اعذب من قالها) اي من صميم قلبه وتوفيق ربه على نباته الى مماته (وذكر انه وجد) بصيغة المجهول فيهما وضميرانه للشأن (على الحجارة القديمة) اي العتيقة (مكتوبا محمد تقي) اي من الشرك (تقي) من الشك (مصلح) اي لما افسده الخلق من الحق تغييرا وتبديلا (سيد) اي للخلائق (امين) اي عند الخالق والخلق (وذكر السمنطاري) بكسر مهملة وميم وسكون نون فمهملة من جملة المحدثين والائمة المصنفين له تآليف كثيرة في فنون العلوم على ما ذكره التلمساني (انه شاهد في بعض بلاد خراسان مولودا ولد على احد جنبيه مكتوب لا اله الا الله وعلى الآخر محمد رسول الله) اقول اذا ثبت ما سبق من كونه مكتوبا على العرش وغيره بروايات معتبرة فلا يحتاج الى مثل هذه الرواية التي يحتمل ان تكون غير معتمدة وكذا قوله (وذكر الاخباريون) بالخاء المعجمة (ان ببلاد الهند وردا احمر مكتوبا عليه بالابيض) اي منقوش به بجعل الاحمر على اطرافه او بالابيض كانه سفيداج ونحوه وفي نسخة صحيحة مكتوبا على الورد الاحمر بالابيض (لا اله الا الله محمد رسول الله) وعن الحافظ المزي اخبرني من سافر الى بلاد الهند ان فيه شجرة معروفة يسقط منها في كل سنة ورقة مكتوب عليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقال ابن القيم في تاريخه في ترجمة الحسن بن احمد بن الحسن الوراق الغواص الصيدي مسندا عن ابي علي بن عبد الله الهاشمي الرقي انه قال دخلت في بلاد الهند الى بعض قراها فرأيت وردة كبيرة طيبة الرائحة سوداء عليها مكتوب بخط ابيض

لا اله الا الله محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر الفاروق فشككت فى ذلك وقلت انه معمول فعمدت الى وردة لم تفتح ففتحتها فكان فيها مثل ذلك وفى البلد منه شئ كثير واهل تلك القرية يعبدون الحجارة لا يعرفون الله تعالى انتهى وقال الشيخ عبدالله بن اسعد اليافعى فى كتابه المسمى بروض الرياحين قال بعض الشيوخ دخلت بلاد الهند فدخلت مدينة فيها شجر يحمل ثمرا يشبه اللوزله قشران فاذا كسر خرج منه ورقة خضراء مطوية مكتوب عليها بالحمرة لااله الا الله محمد رسول الله كتابة جلية وهم يتبركون بها ويستقون بها اذا منعوا من الغيث فحدثت بهذا ابا يعقوب الصياد فقال لى ما استعظم هذا كنت اصطاد على نهر الابلة فاصطدت سمكة مكتوب على جنبها الايمن لااله الا الله وعلى جنبها الايسر محمد رسول الله فلما رأيتها قذفتها فى الماء احتراما لما عليها كذا ذكره الشمنى والذى يخطر بالبال الفاتر والله تعالى اعلم بالظواهر والسرائر ان هذه كلها كشوفات مكشوفات لاهلها لا يراها من لم يتأهلها وربما يقال ان اسمه سبحانه وتعالى مع اسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مرسوم على كل شئ من الاشياء بحكم قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك اى جعلنا ذكرنا معك فى كل شئ من ملك وفلك وبناء وسماء وفرش وعرش وحجر ومدر وشجر وثمر ونحو ذلك ولكن اكثر الخلق لا يبصرون تصورهم ونظيره قوله سبحانه وتعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم (وروى عن جعفر) اى الصادق (ابن محمد عن ابيه) اى محمد الباقر وهو من اكابر اهل البيت واجلاء التابعين ادرك جابرا وغيره (اذا كان يوم القيامة نادى مناد) اى فى الموقف كما فى رواية (الا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة لكرامة اسمه) صلى الله تعالى عليه وسلم اى لاظهار كرامته واشعار شفاعته واليه اشار صاحب البردة بقوله

✧ فان لى ذمة منه بتسميتى * محمدا وهو اوفى الخلق بالذمم ✧

(وروى ابن القاسم) اى العتقى واسمه عبدالرحمن جمع بين الزهد والعلم صحب مالكا عشرين سنة ومات بمصر اخرج له البخارى وابو داود والنسائى (فى سماعه) اى عن مالك ورد عنه انه قال خرجت الى مالك اثنتى عشرة مرة انفقت فى كل مرة الف دينار اخرج له البخارى وغيره (وابن وهب) وقد سبق ترجمته قريبا وهو ممن تفقه على مالك وابن دينار والليث ابن سعد وصنف الموطأ الكبير والموطأ الصغير وكان مالك يكتب اليه الى ابى محمد المفتى (فى جامعه عن مالك قال سمعت اهل مكة) اى بعض علمائهم (يقولون ما من بيت فيه اسم محمد الا نما) من النمو اى زاد وزكا يعنى كثر بركته وفى نسخة نمى بناء على ان المادة واوية ويائية وفى اخرى الا قدوقو بضم واو وقاف اى حفظوا (ورزقوا ورزق جيرانهم) اى ببركة اسمائهم وايمانهم وايقانهم واحسانهم (وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال) اى على مارواه ابن سعد من حديث عثمان العمرى مرفوعا (ما ضر احدكم ان يكون فى بيته محمد ومحمد ان وثلاثة) اى واكثر ويميز بينهم مثلا بالاصغر والاوسط والاكبر هذا وفى مسند الحارث بن ابى اسامة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من كان له ثلاثة من الولد ولم يسم احدهم بمحمد فقد جهل (وعن ابن مسعود) كما رواه احمد والبزار والطبرانى (ان الله تعالى نظر الى قلوب العباد) اى جميعهم من اولهم الى آخرهم (فاختار منها قلب محمد عليه الصلاة والسلام فاصطفاه لنفسه) اى اختاره لذاته ان يكون مظهر صفاته (وبعثه برسالته) اى الى جميع كائناته (وحكى النقاش ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزلت وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا الآية) تمامها ان ذلكم كان عند الله عظيما (قام خطيبا فقال يا معشر اهل الايمان ان الله فضلنى عليكم تفضيلا) اى زائدا يليق بقدره وهو على وفق محله (وفضل نسائى على نسائكم تفضيلا) اى احتراما له وتكريما ورفعا لشانه وتعظيما

✧ فصل ✧

(فى تفضيله بما تضمنته كرامة الاسراء من المناجاة) اى المكالمة (والرؤية) اى البصرية او القلبية (وامامة الانبياء) اى امامته لهم فى بيت المقدس (والعروج به الى سدرة المنتهى) فانها ينتهى اليها ما ينزل من فوقها وما يصعد من تحتها (وما رأى من آيات ربه الكبرى) هذا بيان قضيته اجمالا واما تفصيل قصته فى الجملة كما لا فقوله (ومن خصائصه عليه الصلاة والسلام) اى من جملة ما خص به فى الاعطاء ولم يعط مثله لسائر الانبياء (قصة الاسراء) اى اسرائه الى السماء (وما انطوت) اى اشتملت (عليه من درجات الرفعة) اى بحسب ما ثبت فى اثناء الانباء (مما نبه عليه الكتاب العزيز) اى من بعض الاسرار (وشرحته صحاح الاخبار) اى وبينته الاحاديث والآثار وفى نسخة صحائح الاخبار قال الحلبى وكلاهما جمع صحيح والاطلاق كل منهما فصيح (قال الله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده) اى سيره (ليلا) منصوب على الظرفية وتنكيره للدلالة على تقليل المدة الاسرائية مع ما فيه من الصنعة التجريدية فان السرى والاسراء كلاهما هو السير بالليل واختير زيادة الهمزة للمبالغة فى مقام التعدية المقرونة بالمصاحبة والمعية المشيرة الى التخلية من مقام التفرقة الى التحلية والتجلية فى مرتبة الجمعية (من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الآية) اى الذى باركنا

حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير ثم جعل صيغة التسبيح بمعنى التنزيه واول ايراده هنا للتنبيه على انه منزه عن المكان وان اسراءه عليه الصلوة والسلام لاعلاء الشان ولاطلاعه على عجائب الملكوت فى ذلك الزمان وهو مصدر اى التسبيح ولازم الذى نصبه كما يدل عليه قوله فسبحان الله ونحوه ونصبه على المصدرية واما سبحان الذى فى اسرائه حيث قال وهو غير منصرف لوجود الزيادة والعلمية وقال والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى وقد الفت رسالة مستقلة فى خصوص هذه المسئلة وذكرت فيها تفسير صدر سورة الاسراء وختمها بتفسير صدر سورة النجم وذكرت فيها تفسير ما يتعلق بهذه الكرامة العظمى وجمعتها المعراج العلوى فى المعراج النبوى وفيها تتبع كلام الشيخ فى تبيين مبناه وتبين معناه واتبع كلام شراحه وحواشيه واختار ما اتضح من معناه ثم الظاهر من الآية المذكورة ان ابتداء الاسراء كان من نفس المسجد لحديث بينما انا فى الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اتانى جبريل بالبراق ولمطابق المبتدا المنتهى لانه لبس حرم للمسجد الاقصى اومن الحرم كما قال صاحب البردة * سريت من حرم ليلا الى حرم * وسماه مسجدا لاحاطته به وما ثبت انه كان فى بيت ام هانئ بعد صلوة العشاء فاسرى به ورجع من ليلته وقص عليها من قصته ويمكن الجمع بينهما بان كان فى بيت ام هانئ فرجع بعد صلوة العشاء الى المسجد واتى الحجر عند البيت كما يشير اليه قوله بين النائم واليقظان ثم بعد نزوله رجع اليها وقص عليها القصة وكان ذلك قبل الهجرة بسنة ثم وجه تسميته الاقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام والمراد ببركة حوله بركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحى ومتعبد الانبياء من لدن موسى الى زمن عيسى عليهم الصلاة والسلام وهو محفوف بالانهار والاشجار والازهار والاثمار وفى الحديث بارك الله فيما بين العريش والفرات وخص فلسطين بالتقديس ذكره الدلجى ومن جملة اراءة الآيات ذهابه فى ليلة مسيرة اربعين ليلة ورؤيته بيت المقدس للانبياء وامامته لهم مع علو حالاتهم ووقوفه على مقاماتهم (وقال) اى الله سبحانه وتعالى (والنجم) اى الثريا اونجوم السماء اوالرجوم من النجوم اوالكواكب اذا انتثرت اونجوم القرآن (اذا هوى) اى غرب او طلع او انقض او انتثر ونزل وانتشر (الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى ولا خلاف) كذا بالواو فلا خلاف فى النسخ المصححة وفى اصل الدلجى فلا بالفاء فقال ان الفاء فصيحة اى اذا كان الامر كذلك فلا ريب (بين المسلمين) اى من اهل السنة وطائفة المعتزلة وغيرهم (فى صحة الاسراء به عليه الصلاة والسلام) اى بطريق اجمال المرام (اذ هو نص القرآن) اى وعليه اجماع ائمة الاسلام الا ان المعتزلة ومن تبعهم من المبتدعة قصروا الاسراء الى بيت المقدس لا الى السماء فمن انكر مطلق الاسراء فهو كافر بلا امتراء (وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه) اى بسط غرائبه (وخواص نبينا محمد فيه) اى وظهور خصوصياته فى اسرائه وتنزلاته فى مراتب سمائه (احاديث كثيرة منتشرة) اى مشتهرة كادت ان تكون متواترة (رأينا ان نقدم اكملها) اى اكمل الاحاديث الواردة فى الاسراء تصريحا وتوضيحا (ونشير الى زيادة من غيره) اى غير اكملها تلويحا وترشيحا (يجب ذكرها) اى يتعين بيانها تحقيقا وتصحيحا (حدثنا القاضى الشهيد ابو على) اى ابن سكرة (والفقيه ابو بحر) بفتح موحدة وسكون مهملة وهو ابن العاص (بسماعى عليهما) اى منهما او واقع على كل منهما (والقاضى ابو عبد الله التميمى وغير واحد) اى وكثير (من شيوخنا) اى المحدثين (قالوا) اى كلهم (حدثنا ابو العباس العذرى) بضم مهملة وسكون ذال معجمة نسبة الى عذرة قبيلة ثنا ابو العباس الرازى حدثنا ابو احمد الجلودى) بضم الجيم (ثنا ابن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج) اى صاحب الصحيح (ثنا شيبان بن فروخ) بفتح فاء وضم راء مشددة فواو ساكنة فخاء معجمة غير منصرف للعجمة والعلمية وصرف فى نسخة قال النسائى وصرعه اكثر قال عنده خمسون الف حديث وهو من التابعين (ثنا حماد بن سلمة) احد الاعلام روى عنه شعبة ومالك وابو نصر التمار قال عمرو بن عاصم كتبت عن حماد بن سلمة بضعة عشر الفا (ثنا ثابت البنانى) بضم الموحدة وتخفيف النون بعدها الف فنون فياء نسبة الى قبيلة بنانة كان رأسا فى العلم والعمل يلبس الثياب الفاخرة ويقال لم يكن فى وقته اعبد منه اخرج له الائمة الستة وقال الذهبى هو ثابت كالجبل (عن انس بن مالك رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال اتيت) بصيغة المجهول المتكلم (بالبراق) بضم الموحدة لشدة بريقه ولمعانه وسرعة سيره وطيرانه كالبرق (وهو دابة) اى مركوب (ابيض) وفيه ايماء الى ما قيل انه ليس بذكر ولا انثى (طويل) اى مائل الى الطول (فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه) بفتح فسكون اى نظره وبصره (قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس) اى حضرته وهو بفتح فسكون فكسر وعلى زنة محمد اى مكانا يتقدس فيه من الذنوب اولانه منزه عن العيوب قال التلمسانى وروى باب المقدس (فربطته) اى البراق (بالحلقة) باسكان اللام وفتحها (التى يربط) بضم الموحدة وكسرها (به الانبياء) اى دوابهم عند باب المسجد كما صرح به صاحب

التحرير وسيأتي فيه ما ينافيه او البراق ان ثبت ان الله الاسراء ايضا الى بيت المقدس و يؤيده ان ابراهيم عليه السلام كان يزورها جر بمكة عليه ويقويه قول جبريل لما فاركبك احد اكرم على الله تعالى منه كما سيأتي وفى حديث الترمذى من طريق بريدة انه صلى الله تعالى عليه وسلم حين انتهى الى بيت المقدس اشار جبريل عليه السلام الى الصخرة فخرقها وربط البراق بها ويمكن الجمع بانه كان الخرق فيها مسدودا فاظهر خرقها ثم فى ربطه دليل على ان الايمان بالقدر لا يمنع الحازم من توقى المهالك والحذر فى السفر والحضر ومنه قوله عليه الصلوة والسلام اعقل وتوكل وقد قال وهب ابن منبه كذا وجدته فى سبعين كتابا من كتب الله القديمة ثم اعلم ان نسخ الشفاء كلها اتفقت على لفظ بها بضمير المؤنث وهو ظاهر وقال النووى فى شرح مسلم وهو فى الاصول يعنى اصول مسلم به بضمير المذكر اعاده على معنى الحلقة وهو الشيء انتهى ولا يخفى ان الاولى رجع الضمير الى خرقها بحذف مضاف اوارتكاب مجاز آخر فتدبر (ثم دخلت المسجد) اى الاقصى (فصليت فيه ركعتين) اى تحية المسجد (ثم خرجت) اى منه (فجاءنى جبريل باناء من خمر واناء من لبن) اى امتحانا من الله تعالى قال التلمسانى هكذا فى مسلم وفى البخارى واناء من ماء وروى ثلاثة لبن وخمر وعسل وروى اربعة لبن وخمر وعسل وماء ولعل هذا هو الاظهر حيث عرض عليه من الانهار الاربعة الموعودة فى الجنة واختياره اللبن لانه مغن عن غيره بخلاف غيره وقيل العسل اشارة لزهرة الحياة الدنيا ولذتها وحلاوتها والماء للغرق ولذا قيل لو اخترته لغرقت وغرقت امتك ولعل المراد بغرقهم استغراقهم فى جمع المال الذى يؤدى الى سوء الحال ونقصان المآل واما الخمر فاشارة الى جميع الشهوات (فاخترت اللبن) اى واعرضت عن الخمر وروى فاخذت اللبن (فقال جبريل اخترت الفطرة) اى علامة الاسلام والاستقامة لكونه طيبا طاهرا سهل المرور فى الحلق سليم العاقبة سائغا شرابه وطيبا مذاقه والخمر ام الخبائث جالبة لانواع شرور الحوادث (ثم عرج بنا) اى صعد بنا (الى السماء) بنون المتكلم اما لتعظيمه اوله ولمن معه فالضمير الى الله تعالى او جبريل او البراق وفى نسخة صحيحة بصيغة المجهول وجزم به الانطاكى وكذا فيما بعده وهو فى غاية من القبول مع الاشارة الى ان سيره من المسجد الاقصى الى السموات العلى لم يكن بالبراق بل بالمعراج الذى درجة له من ذهب واخرى من فضة وبه سميت القصة (فاستفتح جبريل) اى باب السماء الدنيا استئذانا للملائكة ولا يبعد ان يكون الاستفتاح كناية عن مجرد الاستئذان فلا يكون هناك فتح واغلاق وهو الاظهر فى مقام ادب الاجلال والاستحقاق (فقيل من انت قال) اى جبريل (جبريل) اى انا جبريل (قيل ومن معك) اى لما كوشف لهم ان احدا معه او استدلوا باستئذانه على خلاف دأبه ومقتضى شانه (قال محمد) اى هو او معى محمد (قيل او قد بعث اليه) اى اطلب وقد بعث اليه للاسراء وصعود السماء وليس استفهاما عن بعثة الدعوة لبلوغها من الظهور فى الملكوت الى ما لا يخفى على الخزنة ولكونه اوفق بمقام الاستفتاح والاستئذان فى الجملة وقيل كان سؤالهم استعجابا بما انعم الله عليه من القربة واستبشارا بعروجه لحصول الرؤية ثم هذا مؤذن بان للسموات ابوابا حقيقة وعليها ملائكة مؤكلة هذا وفى رواية صحيحة ارسل اليه وهو قابل للتأويل المذكور مع انه لا يبعد ان تكون بعثة الرسالة خفيت على بعض الملائكة الكمالى اشتغالهم بالعبادة على ما ذكره الطبرى (قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بآدم صلى الله تعالى عليه وسلم فرحب بى) بتشديد الحاء اى قال لى مرحبا كما ورد مرحبا بابن الصالح والنبى الصالح اى لقيت رحبا وسعة (ودعالى بخير) اى فى الدارين (ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل او قد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا) فيه ايماء الى ان اهل كل سماء لا يدرون عن حال اهل سماء اخرى او ارادوا التلذذ بهذه المذاكرة التى هى بالمحاورة احرى وفيه اشعار الى غاية بسط الزمان ونهاية طى المكان ولا يبعد ان تكون هذه المكالمة على لسان الملائكة او بالمناداة من غير الواسطة استقبالا لصاحب الرسالة كما يشير اليه تعبير الافعال بقيل ونحوه فى العبارة فيكون كلام الجبار مع سيد الابرار من وراء الاستار فى لباس الاغيار كما يقتضيه معنى المعية والحالة الجمعية من شهود عين الوحدة فى عين الكثرة (فاذا انا بابنى الخالة) لان ام يحيى ايشاع اخت مريم (عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا) ممدودا ومقصورا (صلى الله تعالى عليه وسلم فرحبابى ودعوالى بخير) وفى نسخة صحيحة دعيالى بالياء ففى القاموس دعيت لغة فى دعوت (ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول) اى مثل ما ذكر فيما قبله من استفتاح الباب والسؤال والجواب وهذا اختصار من المصنف او من غيره والله تعالى اعلم (ففتح لنا فاذا انا بيوسف صلى الله تعالى عليه وسلم واذا هو قد اعطى شطر الحسن) اى نصفه او بعضه والمراد بالحسن جنسه او حسن حواء او حسن سارة او حسن نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الاظهر والله تعالى اعلم وروى فى حديث مرفوع مررت بيوسف الليلة التى عرج بى الى السماء فقلت لجبريل من هذا فقال يوسف فقيل يارسول الله كيف رأيته فقال كالقمر ليلة البدر قال البغوى فى تفسيره انه ورث ذلك الجمال من جدته وكانت قد اعطيت سدس الحسن

وقال ابن اسحق ذهب بوسف وامه بشطر الحسن انتهى فالمراد بالشطر البعض لا النصف كما قال المص والله تعالى اعلم (فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس عليه الصلاة والسلام) وهو سبط شيث وجد والد نوح اول مرسل بعد آدم عليه السلام واول من خط بالقلم وخاط اللباس ونظر في علم النجوم والحساب واما قولهم ادريس مشتق من بادرس اذ قد روى ان الله تعالى انزل عليه ثلاثين صحيفة فلقب به لكثرة الدراسة فمدفوع بعدم صرفه للعلمية والعجمة (فرحب بي ودعا لي بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا) هو شرف النبوة ومقام القربة وعن الحسن هو الجنة اذ قال لملك الموت اذقني الموت ليهون علي ففعل باذن الله تعالى ثم حيي فقال ادخلني النار ازدد رهبة ففعل ثم قال له ادخلني الجنة ازدد رغبة ففعل ثم قال له اخرج فقال قد ذقت الموت ووردت النار فما انا بخارج فقال الله تعالى باذني دخل دعه وقيل هو في السماء الرابعة لهذا الحديث (ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهرون فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا انا بابراهيم مسندا) بصيغة الفاعل منصوب على الحال كما في مسلم وشرح السنة وفي بعض نسخ المصابيح مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف اى وهو مسند (ظهره الى البيت المعمور) قال المصنف يستدل به على الاستناد الى القبلة وتحويل الظهر الى الكعبة وفي استدلاله نظر لاحتمال كون ابراهيم حينئذ متوجها الى الكعبة او الى العرش على خلاف ايهما افضل في باب الاستقبال او باعتبار نظر ذي الجلال مع احتمال ان يكون التقدير مسندا ظهره الى شيء من اجزاء السماء او الى طرف من بابها متوجها الى البيت المعمور (واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه) اى لكثرتهم وقد روى عن علي كرم الله وجهه انه قال البيت المعمور في السماء الرابعة يقال له الضراح وهو بضمة مضمومة ومهملة بينهما راء فالف من المضارحة بمعنى المقابلة اذ هو مقابل للكعبة كما قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ومن رواه بصاد مهملة فقد تصحف بصراح الغلط وروى ابو هريرة انه في السماء الدنيا وقيل في الرابعة وقيل في السادسة ولعل كل بيت في كل سماء يسمى البيت المعمور بالمعنى المذكور وانه في السماء السابعة على القول المشهور الوارد في حقه انه نقل من محل الكعبة الى السماء كما بين في محله المسطور (ثم ذهب بي) اى جبريل وضبطه الانطاكي بصيغة المفعول (الى سدرة المنتهى) اى ينتهى علم الخلائق عندها وخصت السدرة لان ظلها مديد وطعمها لذيذ ورائحتها طيبة فشابهت الايمان الذي يجمع قولا ونية وعملا فظلها من الايمان بمنزلة العمل لتجاوزه وامتداده وطعمها بمنزلة النية لكمونه ورائحتها بمنزلة القول لظهوره (واذا ورقها كآذان الفيلة) بكسر فاء وفتح تحتية جمع فيل قيل والآذان بالمد جمع الاذن (واذا ثمرها) كذا في النسخ المصححة ووقع في اصل الدلجي واذا نبقها (كالقلال) بكسر القاف جمع قلة كقباب جمع قبة وفي رواية كقلال هجر بفتحتين مدينة قرب المدينة يعمل بها القلال تسع الواحدة مزادة من الماء سميت قلة لانها تقل اى ترفع وتحمل وليست بهجر الذي هو من توابع البحرين (قال فلما غشيها) بفتح فكسر اى علاها وغطاها (من امر الله تعالى) اى من اجل امره وارادته او من آثار عظمته وانوار قدرته (ما غشي) اى ما غشيها كما في نسخة وهو مستفاد من قوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى (تغيرت) اى السدرة (عما غشيها) من اسرار القدرة (فما احد من خلق الله تعالى يستطيع) اى يقدر (ان ينعتها) اى يصف كيفية غشيتها او ماهية ما غشيها (من حسنها) اى من غاية ضيائها ونهاية سنائها فقيل هو فراش من ذهب فقيل لعله شبه ما غشيها من الانوار التي تنبعث منها وتتساقط على مواقعها بالفراش وجعلها من الذهب لاضاءتها وصفاء ذاتها وعن الحسن غشيها نور رب العزة فاستنارت (فاوحى الله الي ما اوحى) وهو تفسير لقوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى وفي ابهامه تعظيم للموحى كما لا يخفى (ففرض) اى الله تعالى كما في نسخة (علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة) بيان لما اوحى كله او بعضه (فنزلت الى موسى) اى منتهيا اليه (فقال ما فرض ربك على امتك فقلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاسئله التخفيف) اى تخفيف هذا التكليف وان كان متضمنا التعريف والتشريف ويجوز في فاسئله التخفيف بالنقل وغيره كما قرئ بهما في السبعة (فان امتك) اى جميعهم (لا يطيقون ذلك) وكانه علم عليه الصلاة والسلام ضعفنا وعجزنا فرحمنا جزاه الله تعالى افضل الجزاء عنا ثم علل ذلك بقوله (فاني قد بلوت بني اسرائيل) اى جربتهم وبلاه وابتلاه بمعنى وفي الحديث اللهم لا تبتلنا الا بالتي هي احسن (وخبرتهم) بتخفيف الموحدة عطف تفسيري او اشارة الى انه جربهم مدة بعد مدة والمعنى اختبرتهم وعالجتهم فلقيت منهم الشدة وعدم الطاقة فيما قصدت منهم من تحمل الكلفة وقبول الطاعة (فرجعت الى ربي) قال النووي معناه رجعت الى الموضع الذي ناجيته اولا فناجيته فيه ثانيا (فقلت رب خفف عن امتي) اى الضعفاء وفيه ايماء الى قوة الانبياء والاصفياء اذ كثير منهم واظبوا على الف ركعة

فى اليوم والليلة وقد اشار موسى عليه السلام الى هذا المعنى فيما سبق من المبنى وبهذا يظهر ضعف قول الدلجى لم يقل خفف عنى حياء من ربه لسؤاله التخفيف عنه (فحط عنى) اى فوضع عنى فى ضمن الحط عن امتى (خمسا) ولم يقل عن امتى لئلا يتوهم بقاء فرضية الخمسين عليه وفيه اشارة الى ان من كان لله كان الله له (فرجعت الى موسى فقلت حط عنى خمسا قال ان امتك لايطيقون ذلك) اى لايقدرون على هذا القدر ايضا (فارجع الى ربك فاسئله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين ربى) وفى نسخة بين يدى ربى (تعالى وبين موسى) اى بين موضعى مناجاتى له تعالى وملاقاتى لموسى ويجوز ان يكون الرجوع بمعنى المراجعة فى السؤال واحضار البال والله تعالى اعلم بالحال (حتى قال) اى الرب سبحانه وتعالى (يامحمد انهن) ضمير مبهم تفسيره قوله (خمس صلوات) ذكره الدلجى ولا ظهران يقال التقدير ان الصلوة المفروضة او الخمسين خمس صلوات محتمة (كل يوم وليلة) بالنصب على الظرفية وفى نسخة فى كل يوم وليلة (لكل صلوة) اى من الخمس (عشر) اى ثواب عشر صلوات (فذلك خمسون صلوة) اى بحسب المضاعفة ولعل هذه المراجعة منهما لماالهم اليهما حيث لم يكن الوجوب حتما مبرما اولا اوجبها اولا ثم رحمنا فنسخها ابيانا فيجوز نسخ وجوب الشئ قبل وقوعه كنسخ وجوب ذبح اسمعيل عليه السلام عند قصده تبيانا لمحل فضله وكرمه ثم لماكان نية نبينا وهمة صفيا له اصالة ولا تباعه نيابة ان يقوم بوظيفة خمسين صلوة وجوزى بذلك حيث خفف عليهم فى الكمية وزيد لهم فى الكيفية ذكر قضية كلية وقاعدة مطردة قياسية فى ضمن الحديث القدسى والكلام الانسى بقوله (ومن هم بحسنة) اى من صلوة نافلة وغيرها بان قصدها وعزم على فعلها (فلم يعملها) اى لعاقة عن عملها (كتبت له حسنة) بصيغة المجهول ونصب حسنة على المصدرية والمعنى كتبت له الحسنة التى هم بها ولم يعملها كتابة واحدة لان الهم سببها وسبب الحسنة حسنة فوضع حسنة موضع المصدر وفى بعض النسخ بصيغة الفاعل والاسناد الى المتكلم وهو ظاهر لكن لايلايم مابعده لم تكتب (فان عملها كتبت له عشرا) وهذا اقل المضاعفة كما قال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها (ومن هم بسيئة فلم يعملها) اى فلم يقدر على عملها (ولم تكتب) اى تلك السيئة التى هم بها (شيئا) اى ولا سيئة واحدة اذا ندم وتركها لله تعالى بل تكتب له حسنة لاجلها كما ورد كتبها الله تعالى عنده حسنة كاملة وقد زاد مسلم فى رواية انما تركها من جراى بفتح الجيم وتشديد الراء اى من اجلى اوشيئا من الزيادة اذا كان همها باقيا فان هم السيئة المصمم سيئة وشيئا وعشرا منصوبان وفى نسخ المصابيح مرفوعان ولعله غلط من الناسخ (فان عملها كتبت له سيئة واحدة) اى باندراج الهم فى العمل حيث لامضاعفة فى السيئة كما يستفاد من الحصر من قوله تعالى ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الامثلها (قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فاسئل التخفيف فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى نسخة صحيحة فقلت (قد رجعت الى ربى حتى استحييت منه) بيائين وفى نسخة بياء واحدة ولعل وجه الحياء هو ان المبالغة فى تخفيف العبادة نوع من الجفاء والقيام بما تعين وتحتم من باب الوفاء فى تحمل البلاء لحصول الولاء هذا ولعل الحكمة فى وجوب الصلاة ليلة الاسراء الايماء الى انها معراج المؤمن الى اعلى كمالاته ومقاماته ومحل مناجاته من بين عباداته وكمال ترقى منازل سعاداته واما حكمة ظهور الانبياء المذكورين بخصوصهم من بين عمومهم وتخصيص كل بسماء المشير الى مراتب علوهم فلم يتكلم به احد من السلف ولم يظهر تحقيقه من الخلف فتبعنا السابقين كما هو وظيفة اللاحقين ثم الصلوات الخمس فرضت بمكة اتفاقا وكذا الزكوة مطلقا واما تفصيلها فبينت بالمدينة وفرض رمضان ثم الحج بها ايضا فاذكره التلمسانى من انه فرضت الصلوة والزكوة والحج ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة وفرض صيام رمضان وزكوة الفطر وهو بمكة خطأ فاحش (قال القاضى رضى الله تعالى عنه) كذا فى النسخ لكن الاولى ان يقال رحمه الله تعالى لان الترضية فى العرف مختصة بالصحابة كما ان التصلية والتسليم مختصان بالانبياء والعزة والجلالة بالله سبحانه وتعالى (جود) بتشديد الواو اى حسن (ثابت) اى البنانى (رحمه الله تعالى) وفى نسخة رضى الله تعالى عنه (هذا الحديث) اى بيان رواته وضبط عبارته الدالة على درايته (عن انس رضى الله تعالى عنه ماشاء) اى ماشاء الله تعالى من تجويده وتحسينه وتحريره (ولم يأت احد) اى من الرواة (عنه) اى عن انس رضى الله تعالى عنه (اصوب من هذا) اى اقرب الى الصواب من هذا المروى فى هذا الكتاب (وقد خلط) بتشديد اللام (فيه) اى فى هذا الحديث (غيره) اى غير ثابت من الرواة (عن انس) رضى الله تعالى عنه (تخليطا كثيرا) اى وتخبيطا كبيرا (لاسيما) اى خصوصا ماورد (من رواية شريك ابن ابى نمر) اى عن انس وشريك هذا بفتح الشين ونمر بفتح نون وكسر ميم قراء مدنى روى عن ابن انس وابن المسيب وجماعة وعنه مالك وانس بن عياض وطائفة قال ابن معين لابأس به وقال النسائى ليس بالقوى انتهى وشريك هذا تابعى صدوق وثقه ابو داود وقال ابن عدى روى عنه مالك رحمه الله تعالى فاذا روى عنه ثقة

فيه ثقة وهاه الحافظ ابو محمد ابن حزم لاجل حديثه فى الاسراء الذى اشار اليه القاضى وله فيه اوهام معروفة وقد نبه مسلم على ذلك بقوله فى صحيحه وقدم فيه شيئا واخر وزاد ونقص انتهى وقال الحافظ عبد الحق فى كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكر رواية شريك هذا فقد روى حديث الاسراء جماعة من الحفاظ المتقنين والائمة المشهورين كابن شهاب وثابت البنانى وقتادة يعنى عن انس فلم يأت احد منهم بما اتى به شريك وقد زاد فيه زيادة مجهولة واتى فيه بالفاظ غير معروفة وشريك ليس بالحافظ عند اهل الحديث انتهى والاماكن فى حديث الاسراء معدودة عند اهل العلم فبلغت اربعة وقال بمنزلة ذكره الحلبى (فقد ذكر) اى شريك (فى اوله) اى مبدأ حديثه (مجئ الملك له) اى لاتيانه (وشق بطنه وغسله بماء زمزم وهذا) اى ما ذكر كله (انما كان وهو صبي وقبل الوحى) فيه انه يمكن تعدده فلا وهم الا بسبب ما بينه المصنف بقوله (وقد قال شريك فى حديثه) اى هذا بعينه (وذلك قبل ان يوحى اليه وذكر قصة الاسراء) اى بعده (ولا خلاف انها) اى فى ان قصة الاسراء (كانت بعد الوحى) فثبت وهمه بهذا التعارض الواقع بين كلاميه ولكن قال الامام الحافظ ابو محمد الحسين البغوى هذا الاعتراض الذى اعترض به على رواية شريك لا يصح عندى لان ذلك كان رؤيا فى النوم اراه الله تعالى عز وجل قبل الوحى بدليل آخر الحديث فاستيقظ وهو بالمسجد الحرام ثم عرج به فى اليقظة بعد الوحى تحقيقا لرؤياه من قبل كما انه رأى عليه الصلاة والسلام فتح مكة فى المنام عام الحديبية سنة ست من الهجرة ثم كان تحققه سنة ثمان ونزل قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق انتهى وبهذا الجمع يزول الاشكال عن قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التى اريناك الا فتنة للناس فيكون التقدير تصديق الرؤيا وتحقيقها لا ترتب الفتنة على نفس الرؤيا كما لا يخفى (وقد قال غير واحد) اى كثير من علماء المحدثين (انها كانت) اى قصة الاسراء (قبل الهجرة بسنة) فقد ذكر النووى ان معظم السلف وجمهور المحدثين والفقهاء على ان الاسراء كان بعد البعثة بستة عشر شهرا وقال السبكى الاجماع على انه كان بمكة والذى نختاره ما قاله شيخنا ابو محمد الدمياطى انه قبل الهجرة بسنة وهو فى ربيع الاول انتهى وروى السيد جمال الدين المحدث فى روضة الاحباب انه كان فى سبعة وعشرين من شهر رجب على وفق ما هم عليه فى الحرمين الشريفين من العمل وقيل فى ربيع الآخر وقيل فى رمضان وقيل فى شوال وقيل بعد نقض الصحيفة وقيل بعد بيعة العقبة وقيل اسرى به فى الحجة لانه كان ابن احدى وخمسين سنة وتسعة اشهر وثمانية وعشرين يوما وقيل ليلة اثنى عشر من ربيع الاول ليلة الاثنين منه فيكون زمان معراجه كميلاده ومدراجه باعتبار يوم الاثنين وشهر ربيع الاول والله سبحانه وتعالى اعلم (وقيل قبل هذا) اى قبل ما قبل الهجرة وفى نسخة غير هذا اى غير هذا القول الا انهم اتفقوا على انها كانت بعد الوحى (وقد روى ثابت) اى البنانى (عن انس من رواية حماد بن سلمة ايضا مجئ جبريل الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان) جمع غلام يعنى الصبيان (عند ظئره) بكسر اوله اى مرضعته حليمة او زوجها الذى لبنها منه فانه يطلق عليهما (وشقه) اى وكذا روى ثابت شق جبريل (قلبه تلك القصة) بدل اشتمال على كل واحدة من القصة حال كونهما (منفردة من حديث الاسراء) اى غير منضمة الى قصة المعراج (كما رواه الناس) اى كما رواه غيره من الرواة الثقات (فجود) اى ثابت (فى القصتين) اى قصة الشق وقصة الاسراء حيث لم يخلط بينهما (وفى ان الاسراء) اى ولا خلاف فى ان الاسراء (الى بيت المقدس والى سدرة المنتهى كان قصة واحدة وانه وصل الى بيت المقدس) اى اولا (ثم عرج من هنالك) اى من بيت المقدس الى سدرة المنتهى عند من قال بالجمع بينهما من اهل السنة والجماعة خلافا للمعتزلة (فازاح) اى ازال ثابت (كل اشكال اوهمه غيره) اى من شريك ونحوه فى رواياتهم (وقد روى يونس) اى ابن يزيد الايلى وهو الحافظ ابو بكر الشيبانى سمع ابن اسحق وابن شهاب والاعمش قال ابن معين صدوق وقال ابو داود ليس بحجة يواصل كلام ابن اسحق بالاحاديث (عن ابن شهاب) اى الزهرى (عن انس قال كان ابوذر يحدث ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال فرج) بصيغة المجهول مشددا ومخففا اى كشف وفتح (سقف بيتى فنزل جبريل عليه السلام ففرج صدرى) اى شق كما فى رواية ومنه قوله تعالى واذا السماء فرجت اى انشقت كما فى آية اخرى (ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها) اى الحكمة وما فى معناها او من مقتضاها (فى صدرى ثم اطبقه) اى غطاه واصلحه (ثم اخذ بيدى فعرج بنا الى السماء وذكر) اى يونس (القصة) اى قصة المعراج اطولها (وروى قتادة الحديث) اى حديث الاسراء (بمثله) اى بمثل ما روى يونس (عن انس) اى ابن مالك (عن مالك بن صعصعة) الخزرجى المازنى له حديث الاسراء اخرجه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى واحمد فى مسنده وليس له فى الكتب غير حديث الاسراء على ما ذكره الحلبى قال النووى فى تهذيبه روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة احاديث اتفق البخارى ومسلم على احدها وهو حديث الاسراء والمعراج وهو احسن احاديث الاسراء

انتهى وكذا ذكر ابن الجوزى فى تنقيحه ان له خمسة احاديث (وفيها) اى وفى رواية قتادة عن انس بن مالك (تقديم وتأخير وزيادة ونقص) اى فى بعض مواضعها (وخلاف فى ترتيب الانبياء فى السموات) اى بالنسبة الى بعضهم وبعضها (وحديث ثابت) اى البنانى (عن انس اتقن واجود) اى من حديث قتادة عن انس عن مالك وكذا غيره مما قدمه على ماتقدم والله تعالى اعلم (وقد وقعت فى حديث الاسراء زيادات) اى من الفوائد على اختلاف روايات (نذكر منها) اى من جملتها (نكتا) بضم ففتح جمع نكتة وجمعها ايضا نكات وهى بمعنى النقط وتطلق على معانى لطيفة (مفيدة فى غرضنا) اى مقصودنا فى هذا الباب من الكتاب (منها فى حديث ابن شهاب) اى الزهرى (وفيه) اى وفى حديثه الذى رواه (قول كل نبى له) اى مخاطبا له صلى الله تعالى عليه وسلم (مرحبا بالنبى الصالح والاخ الصالح الا آدم وابراهيم فقالا له والابن الصالح) اى بدل والاخ الصالح لانه كان من ذرية اسمعيل ولقوله تعالى ملة ابيكم ابراهيم واما مايقوله اهل النسب والتاريخ ان ادريس اب من آباء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وانه جد نوح عليه السلام فانه لاينافى كونه اباله فان قوله الاخ الصالح يحتمل انه قاله تأدبا وتلطفا وهو اخ له وان كان ابنا فان الانبياء اخوة والمؤمنون اخوة (وفيه) اى وفى حديث الزهرى اوفى حديث الاسراء (من طريق ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) اى كما اخرجه البخارى (ثم عرج) بصيغة المفعول اوالفاعل (حتى ظهرت بمستوى) بصيغة المجهول فى اوله باء اولام اى صعدت بمكان عال اوفى مكان مرتفع وقيل الباء بمعنى على وقيل هو عبارة عن فضاء فيه استواء (اسمع فيه صريف الاقلام) اى صوت حركتها وجريانها على المخطوط فيه مماتكتبه الملائكة من اقضية الله سبحانه وتعالى ووحيه وينسخ من اللوح المحفوظ ومنه قوله تعالى كل يوم هو فى شأن وفى نسخة صرير بالراء بين وهو اشهر فى اللغة على ماصرح به بعضهم ثم جمع الاقلام يحتمل ان يكون للتعظيم اوالكبرة فى التجسيم (وعن انس رضى الله تعالى عنه) اى مرفوعا (ثم انطلق بى) بصيغة المجهول اوالمعلوم (حتى اتيت سدرة المنتهى فغشيها الوان) اى اصناف من الانوار وانواع من الاسرار (لاادرى ماهى) اى ماهيتها وحقيقتها (قال ثم ادخلت الجنة وفى حديث مالك بن صعصعة رضى الله تعالى عنه) اى كما رواه الشيخان وغيرهما (فلما جاوزته يعنى موسى عليه السلام) تفسير من بعض الرواة (بكى) اى تأسفا على قومه اذلم يتبعوه فينتفعوا به انتفاع هذه الامة بنبيهم اذ لاحسد فى ذلك العالم لآحاد المؤمنين فضلا عن الانبياء والمرسلين كذا قرره الدلجى وغيره ويؤيده قوله يدخل من امته الجنة اكثر من امتى ولايبعد ان يراد به الغبطة على تلك المنزلة وكثرة الامة والظاهر انه لماجاوزته عن مقامه ومرتبته كمايشير اليه قوله فلما جاوزته ولماسيأتى صريحا من قول موسى عليه السلام لم اظن ان يرفع على احد ويعضده قوله عليه الصلاة والسلام لقيت موسى فى السماء السادسة فلماجاوزته بكى وقال يزعم بنواسرائيل انى اكرم ولد آدم وقد جاوزنى هذا وكانه سلم التقديم لابراهيم لكونه جداله يحق له التعظيم مع سبقه عليه سبعمائة سنة فى مقام التقديم ولذا عبر عنه عليه الصلاة والسلام بالغلام فتأمل فى هذا المقام لعله يتبين لك المرام ثم الاظهر ان وجه الغبطة فى القربة امور كثيرة من انواع علو الرتبة (فنودى مايبكيك قال رب هذا غلام بعثته) وفى نسخة بعث (بعدى يدخل من امته الجنة اكثر ممايدخل من امتى) ولعله سماه غلاما مع كونه حينئذ كهلا اوشيخا على اختلاف القولين فى تعريفهما والغلام انمايطلق فيمن بلغ سبعا اوثمانى وقد يطلق على الطفل تفاؤلا وقد يقال له مادام شابا فكانه نظر الى قصر عمره وتأخر عصره مع هجوم مناقبه وعموم مراتبه (وفى حديث ابى هريرة) اى ومنها فى حديثه الذى رواه البيهقى وغيره (وقد رأيتنى) بضم التاء حكاية عن نفسه وفى اصل الدلجى ولقد رأيتنى (فى جماعة من الانبياء) اى باجسامهم اوبارواحهم ممثلة بصورهم التى كانوا عليها (فحانت الصلاة) اى دنت الصلاة الجامعة لعظمة تلك الواقعة وقد ابعد الدلجى فى قوله ولعلها صلاة الصبح اذالاسراء لايكون الا آخر الليل وهى مما فرض على الانبياء انتهى وقد سبق ان ابتداء الاسراء كان بعد صلاة العشاء وهو لم يكن الا زمنا قليلا من الليل على مايفيده تنكيرليلا فلايتصور حمله على صلاة الصبح اصلا (فأممتهم) بتخفيف الميم الثانية اى صليت بهم تلك الصلاة اماما وقال النووى فى بعض فتاواه يحتمل ان تكون صلاته بالانبياء ليلة الاسراء ببيت المقدس قبل صعوده الى السماء ويحتمل ان تكون بعد نزوله منها قلت وهذا يتوقف على صحة ان يكون رجوعه اليه منها ثم قال واختلف العلماء فى هذه الصلاة فقيل انها الصلاة اللغوية وهى الدعاء والذكر والثناء وقيل هى الصلاة المعهودة المعروفة وهذا اصح لان اللفظ يحمل على الحقيقة الشرعية قبل اللغوية الا اذاتعذر حمله على الشرعية ولم يتعذر هنا فوجب الحمل على الحقيقة الشرعية وكان قيام الليل واجبا وواجباقبل ليلة الاسراء ثم نسخ ليلة الاسراء ووجبت فيها الصلوات الخمس (وقال قائل منهم يامحمد هذا مالك خازن النار) فيه اشعار بان الصلاة كانت فى السماء وفى رواية انها كانت فى المسجد

الاقصى ولا مانع من الجمع ولا للنزول مالك وان كان مقره فى السماء (فسلم عليه) بصيغة الامر لانه عليه السلام كالقائم وهو كالقاعد والقائم يسلم على القاعد وان كان مفضولا (فالتفت) اى نظرت اليه (فبدأنى بالسلام) لانه كان بمنزلة الوافد او مع علمه بالافضل خصوصا مع التأدب بالنبى الاكمل واما ما قيل انما بدأه به ليزيل ما يستشعره من الخوف منه فليس فى محله (وفى حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) اى المحكى عنه ما تقدم من الزيادة (ثم سار حتى اتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه) اى براقه (الى الصخرة) اى قريبة من صخرة بيت المقدس اوالى صخرة عظيمة معروفة مشهورة فى وسط المسجد الاقصى قال البرقى فى غريب المواطئ قيل ان مياه الارض كلها تخرج من تحت صخرة بيت المقدس وهى من عجائب مخلوقات الله تعالى فى ارضه ومن غرائبها فانها صخرة صماء فى وسط المسجد الاقصى مثل الجبل بين السماء والارض قد انقطعت عن الارض كلها من كل جهة لا يمسكها الا الله الذى امسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه وفى اعلاها من جهة الجنوب موضع قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين ركب البراق ليلة الاسراء قد مالت من تلك الجهة من هيبته ومن الجهة الاخرى اثر اصابع الملائكة التى امسكتها اذا مالت به ذكره التلمسانى اعلم ان التعبير بالفرس جاء فى تذكرة القرطبى برواية البيهقى عن الربيع بن انس عن ابى العالية عن ابى هريرة وكذا رواه الطبرانى وجاء فى التفسير فى سورة الملك عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ومقاتل والكلبى فى قوله تعالى خلق الموت والحيوة ان الموت والحيوة جسمان فجعل الموت فى هيئة كبش لا يمر بشئ ولا يجد ريحه شئ الا مات وخلق الحيوة على صورة فرس انثى بلقاء وهى التى كان جبريل والانبياء عليهم السلام يركبونها خطوها مد البصر فوق الحمار ودون البغل لا تمر بشئ يجد ريحها الا حيى ولا تطأ شيئا الا حيى وهى التى اخذ السامرى من اثرها والقاه فى العجل حكاه الثعلبى والقشيرى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما والماوردى عن مقاتل انتهى ولا يحتاج الى ما تكلف بعضهم من القول بتعدد الاسراء والله تعالى اعلم (فصلى مع الملائكة) اى الحاضرين من الزائرين (فلما قضيت الصلوة) بصيغة المجهول (قالوا يا جبريل من هذا معك فقال) وفى نسخة قال (هذا محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد ارسل اليه قال نعم قالوا حياه الله) جملة دعائية اما من الحياة بمعنى البقاء اى ابقاه الله واقناه بمعنى عمره اومن التحية اى سلمه الله واسلم عليه (من اخ) اذ المؤمنون اخوة عموما والانبياء خصوصا لحديث الانبياء اخوة بنو علات ابوهم واحد اى الايمان وامهاتهم شتى اى الشرائع (وخليفة) اى لله فى الارض حيث يحكم بحكمه من امره ونهيه (فنعم الاخ ونعم الخليفة) اى هو صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم لقوا) اى النبى وجبريل ومن معه من الملائكة اولان الاثنين اقل الجمع اوجمع للتعظيم والمعنى ثم لقى (ارواح الانبياء) اى ممثلة اومضمومة الى اشباحهم ولعل الاقتصار على الارواح لكمال صفائهم وضيائهم ثم هذه الملاقاة اما بيت المقدس بعد انقضاء الصلاة او بعد العروج فى مراتبهم من السموات (فاثنوا على ربهم) اى شكرا لما انعم عليهم (وذكر) اى ابو هريرة (كلام كل واحد منهم) اى مما اثنوا على ربهم (وهم ابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان عليهم الصلاة والسلام ثم ذكر كلام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فيما اثنى على ربه روى ان ابراهيم عليه السلام قال الحمد لله الذى اتخذنى خليلا واعطانى ملكا عظيما وجعلنى امة قانتا يؤتم بى وانقذنى من النار وجعلها بردا وسلاما وقال موسى عليه الصلاة والسلام الحمد لله الذى كلمنى تكليما واصطفانى وانزل على التوراة وجعل اهلاك فرعون ونجاة بنى اسرائيل على يدى وجعل من امتى قوما يهدون بالحق وبه يعدلون وقال داود عليه السلام الحمد لله الذى جعل لى ملكا عظيما وعلمنى الزبور والان لى الحديد وسخر لى الجبال يسبحن معى والطير واتانى الحكمة وفصل الخطاب وقال سليمان عليه السلام الحمد لله الذى سخر لى الرياح وسخر لى الشياطين يعملون لى ما شئت من محاريب وتماثيل وعلمنى منطق الطير واتانى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى وجعل ملكى ملكا طيبا ليس فيه حساب وقال عيسى عليه السلام الحمد لله الذى جعلنى كلمته وجعلنى مثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وعلمنى الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل وجعلنى اخلق من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله تعالى وجعلنى ابرئ الاكمه والابرص واحيى الموتى باذن الله تعالى ورفعنى وطهرنى واعاذنى وامى من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان علينا سبيل (فقال) اى ابو هريرة رضى الله تعالى عنه (وان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم اثنى على ربه فقال كلكم اثنى على ربه وانا اثنى على ربى الحمد لله الذى ارسلنى رحمة للعالمين) اى لعامة الخلق (وكافة للناس) اى اجمعين كما فى نسخة (بشيرا) اى بالثواب (ونذيرا) اى بالعقاب (وانزل على الفرقان) اى المبالغ فى الفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام (فيه تبيان لكل شئ) اى من مهمات امور الدنيا والدين اما بالنص اوبالاحالة على السنة لقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا اوبالحث على الاجماع لقوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين

او بالقياس لقوله تعالى فاعتبروا يا اولى الابصار (وجعل امتى خير امة) اى اخرجت للناس الاية (وجعل امتى امة وسطا) اى خيارا عدولا اومعتدلين فى اعمارهم واخلاقهم وارزاقهم مقتصدين فى اعمالهم (وجعل امتى هم الاولون) اى فى دخول الجنة (وهم الآخرون) اى فى حصول الخلقة وفى اتيان ضمير الفصل تبيان انهم هم المخصوصون بهذا الفضل كذا ذكره الدلجى لكن فيه بحث اذهم فى هذا التركيب مبتدا والاولون خبره والجملة فى محل نصب على انه مفعول ثان لجعل هذا وفى صحيح مسلم نحن الآخرون من اهل الدنيا والاولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق نحن اول من يدخل الجنة (وشرح لى صدرى) اى ليسع مناجاة الحق ودعوة الخلق (ووضع عنى وزرى) اى ثقل حمل اعباء النبوة وما ترتب عليه من لأواء المشقة (ورفع لى ذكرى) اى باقتران اسمه لاسمه واشتراك طاعته لرسعه (وجعلنى فاتحا) اى لابواب التحقيق واسباب التوفيق وحاكما فى خلقه اوبادئا فى ظهور امره ووجود نوره ويناسبه قوله (وخاتما) اى وجعلنى خاتم النبيين والاظهر ان يقال معناهما اولا وآخرا لما روى انه عليه الصلاة والسلام قال كنت اول الانبياء فى الخلق وآخرهم فى البعث (فقال ابراهيم بهذا) اى بمجموع ما ذكر فيما حمده وشكره (فضلكم محمد) ايها الانبياء وهو بتخفيف الضاد اى بهذا صار افضلكم (ثم ذكر) اى ابو هريرة رضى الله تعالى عنه (انه) اى جبريل (عرج به) وفى نسخة بصيغة المجهول فضميرانه للشان (الى السماء الدنيا ومن سماء الى سماء نحو ما تقدم) فيه ايماء الى ان ملاقاة الانبياء هذه كانت ببيت المقدس والله تعالى اعلم (وفى حديث ابن مسعود رضى الله تعالى عنه) اى مما رواه ابو نعيم فى دلائله وابن عرفة فى جزئه (وانتهى بى) يعنى جبريل عليه السلام قاله الدلجى لكنه بصيغة المجهول فى النسخ المصححة (الى سدرة المنتهى وهى فى السماء السادسة) كذا فى مسلم قال النووى فى جميع اصوله وعن المصنف وهو الاصح وقول الاكثرين ومقتضى تسميتها بالمنتهى انها فى السماء السابعة والذا صحح فى بعض النسخ المعتمدة بلفظ السابعة وقد جمع بينهما النووى بان اصلها فى السادسة ومعظمها فى السابعة انتهى وفى الروايات الاخر من حديث انس رضى الله تعالى عنه انها فوق السماء السابعة قال المصنف وخروج النهرين الظاهرين النيل والفرات من اصلها مؤذن بانه فى الارض انتهى وفيه بحث لا يخفى ومع تسليم ظاهر ما ادعى يمكن الجمع بان مبدأها فى الارض ومعظمها فى السماء السادسة وانتهاؤها ومحل اثمارها وغشيان انوارها فى السماء السابعة ويؤيده قوله (واليها) اى الى السدرة (ينتهى ما يعرج به من الارض) بصيغة المجهول وكذا قوله (فيقبض منها) اى تقبضه الملائكة الموكلون فيها باخذ ما صعد به من الاعمال والارواح اليها (واليها ينتهى ما يهبط) اى ينزل (من فوقها فيقبض منها) اى فيقبضه من اذن له بقبضه وايصاله الى من قضى له به وفى حاشية قال ابن عباس والمفسرون سميت سدرة المنتهى لان علم الملائكة ينتهى اليها ولم يجاوزها احد الا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والله سبحانه وتعالى اعلم (قال) اى الله سبحانه وتعالى (اذ يغشى السدرة ما يغشى) اى يغطيها ما يغطى مما يصعد اليها من تحتها ويهبط عليها من فوقها وهذه عبارة لمراد من عبر بها وبهذا يجمع بين روايات مختلفة اذ روى انه يغشاها جم غفير من الملائكة وفى رواية رفرف من طير خضر وتقدم عن الحسن انه نور رب العزة (قال) اى ابن مسعود رضى الله تعالى عنه (فراش من ذهب) الفراش بفتح الفاء الطائر الذى يلقى نفسه فى ضوء السراج وقد يطلق على الحباب الذى يعلوا النبيذ ونحوه وقد ذهب توجيهه (وفى رواية ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) اى ومنها فى روايته (من طريق الربيع بن انس رحمه الله تعالى) والربيع هذا بصرى نزل خراسان روى عن جماعة من الصحابة وروى عنه الثورى وابن المبارك وطائفة (فقيل لى هذه) اى المشار اليها (سدرة المنتهى) وفى نسخة صحيحة السدرة بالالف واللام قال الانطاكى هذا ما وقع فى النسخ فى هذه الرواية السدرة بالالف واللام وفى باقى الروايات سدرة المنتهى بدونهما وكذا وقع فى صحيح مسلم السدرة بالالف واللام فى قوله عليه الصلاة والسلام ثم ذهب بى الى السدرة المنتهى قال النووى فى شرحه وفى غيره من الروايات سدرة المنتهى يعنى بدون الالف واللام ولم يذكر لذلك علة (ينتهى اليها كل احد) اى روحه او عمله اوبكليته عند دخول جنته (من امتك خلا على سبيلك) اى مضى على طريقتك ومنه قوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير اى مضى نبى منذر واما ما ضبط فى حاشية بضم الخاء وتشديد اللام على انه مبنى للمفعول فتصحيف وتحريف (وهذه سدرة المنتهى يخرج من اصلها انهار من ماء غير آسن) بهمزة ممدودة او مقصورة كما قرئ بهما فى السبعة غير متغير طعما ولونا وريحا (وانهار من لبن لم يتغير طعمه) لعل الاقتصار على الطعم لان مدار التنعم عليه اوللزوم تغيره بتغير لونه وريحه (وانهار من خمر لذة) تأنيث لذاى اللذيذة اوذات لذة (للشاربين) وقد يقال وصفها باللذة للمبالغة كانها نفسها وعينها (وانهار من عسل مصفى) اى مخلص من خلط شمع وغيره من فضلات النحل وغيرها فانه مخلوق لا من صنع نحل (وهى) اى سدرة المنتهى (شجرة) اى عظيمة (يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما) وفى رواية الترمذى مائة سنة

(وان ورقة منها) اى من اوراق تلك الشجرة بسبب كبرها وكثرة طولها وعرضها (مظلة الخلق) بضم الميم وكسر الظاء المعجمة من الاظلال وفى نسخة بفتحهما اى محل ظلالهم والمعنى ان ظلها شامل لهم ساتر عليهم والتشبيه السابق لورقها بآذان الفيلة من حيثية الهيئة لا بحسب كبرها باعتبار العظمة (فغشيها نور) اى نور عظيم من الانوار الالهية لقوله (وغشيتها الملائكة) اى بانوارهم الملكية فهى نور على نور قيل غشيها ملائكة كامثال الطير يقعن على الشجر وهذا التقرير اولى من قول الدلجى فى قوله فغشيها نور لعله نور الملائكة حين اقبلت اذ قد خلقت من نور ثم رأيت فى حاشية له فى التفسير فغشاها نور رب العزة وقد سبق انه قول الحسن وهو احسن (قال) اى الراوى (فهو قوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى) اى فاسبق هو معنى قوله تعالى ما يغشى وايضاح له بعد ابهامه تفخيما وتعظيما وتكثيرا لما يغشاها (فقال تبارك) اى تكاثر خيره وتزايد بره (وتعالى) اى تنزه شانه وتبين برهانه (له) اى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (سل) اى تعط (فقال انك اتخذت ابراهيم خليلا) اى وللخلة اعظم شأنا اذ هى كرامة جليلة ومقامة جليلة تشبه كرامة الخليل عند خليله مأخوذة من الخلال فانها تتخلل النفس وتخالطها وقد روى ان ابراهيم عليه السلام بعث الى خليل له بمصر يمتاره لأزمة اى شدة منه اصابت الناس فقال لو اراد ابراهيم اراد ذلك لنفسه فعلت ولكن يريد لاضيافه وقد علم ابراهيم ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤا منها اوعيتهم فوجدوا على بيته دقيقا حوارى فخبزت وامته فشم ابراهيم رائحة الخبز فقال من اين لكم هذا فقيل من خليلك المصرى فقال بل من خليلى الله فسماه الله تعالى خليلا (واعطيته ملكا عظيما) اى ملكا حسيا كما قال الله تعالى فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما اى آل ابراهيم معه ومنهم داود وسليمان (وكلمت موسى تكليما) اى وعظمته بذلك تعظيما وتكريما (واعطيت داود ملكا عظيما) قال ابن عباس رضى الله تعالى عنه كان اشد ملوك الارض سلطانا كان يحرس محرابه كل ليلة ستة وثلاثون الف رجل ذكره البغوى فى تفسيره (والنت له الحديد) اى كالشمع لا يحتاج الى احماء وطرق (وسخرت له الجبال) اى معه كما فى اصل الدلجى وقد قال الله تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق والطير محشورة كل له اواب (واعطيت سليمان ملكا عظيما) اجمله ثم فصله بالعطف التفسيرى فى قوله (وسخرت له الجن والانس والشياطين) اى كل بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الاصفاد (واعطيته ملكا لا ينبغى) اى لا يوجد (لاحد من بعده) وهذا تعميم بعد تخصيص وافادة لما فيه زيادة وتلويح الى ما حكاه الله عنه رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى وانما قاله ليكون له معجزة خارقة للعادة لانه قصد به الحسد فى الرياسة والمنافسة او لئلا يقع احد فيما وقع فيه من ابتلاء الحالة التى لا تخلو من نوع المعاصة والمناقشة وصنف من الخاطرة من نقصان كمال المرتبة (وعلمت عيسى التوراة) اى تجويدا (والانجيل) اصلية يروى وعلمت موسى التوراة وعيسى الانجيل (وجعلته يبرئ الاكمه) اى من ولد اعمى او هو الممسوح العين (والابرص) اى من بدنه بياض ابهق كالجص روى انه ربما اجتمع الالوف عليه ومن لم يطق اتيانه ذهب اليه وما يداوى الا بالدعاء اليه والمعنى ان هذا فى حال الكبر (واعذته وامه من الشيطان الرجيم) اى فى حال الصغر (فلم يكن له) اى الشيطان (عليهما سبيل) اى لقوله سبحانه ان عبادى ليس لك عليهم سلطان ولاستعاذة جدته حنة امرأة عمران (فقال له ربه تعالى) اى تسلية لنبينا عن مرتبة لعبة بالعناية من اعلى الرتبة (قد اتخذتك حبيبا) والمحبة اخص من الخلة فانها من حبة القلب ولان الفعيل يحتمل معنى الفاعل والمفعولية فله الجمع بين مرتبتى المحبية والمحبوبية ويؤيده ان فى نسخة صحيحة خليلا وحبيبا وهى فى ارادة هذا المعنى صريحة واما قوله (وهو مكتوب فى التوراة محمد حبيب الرحمن) فلا يناسبه ما قدمناه من البيان اذ الذكر بما خص به من مقام الاحسان هنا وقد قال الدلجى هذا مدرج من كلام الراوى اقامة بينة لصحة زيادة رواية ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ولعل وجه تخصيص اضافته الى الرحمن لكونه رحمة للعالمين من عند ارحم الراحمين (وارسلتك الى الناس كافة) اى رسالة عامة وارساله الى الناس تعميما مفيد تعظيما بالنسبة الى من اوتى ملكا عظيما ثم زاد عليه بما ضم اليه من قوله (وجعلت امتك هم الاولون) اى فى دخول الجنة شهودا (وهم الآخرون) اى فى الدنيا وجودا (وجعلت امتك) اى امة الاجابة (لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدى ورسولى) اى ولو خارج الخطبة فلا يرد على ابى حنيفة فى تجويز الخطبة على نحو تسبيحة وتحميدة او المراد بالامة امة الاجابة والمراد بنفى الجواز انه لا ينبغى ترك الشهادة لاسيما حال القدرة فالمعنى على نفى الكمال لحديث كل خطبة ليس فيها تشهد فهى كاليد الجذماء اى ناقصة مقطوعة ابتداء لحديث كل امر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله او بالحمد لله فهو اجذم او ابتر او اقطع روايات (وجعلتك اول النبيين خلقا) اى لانه سبحانه وتعالى خلقه قبل آدم فلما خلق آدم قذفه فى صلبه فلم يزل فى صلب كريم الى رحم طاهر من السفاح حتى خرج من بين ابويه فكان اولهم خلقا ووجودا (وآخرهم بعثا) وشهودا مع زيادة انه اعظمهم جلالة

(واعطيتك) اى خاصة (سبعا من المثانى) وهى الفاتحة على الصحيح من قوله سبحانه وتعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم الاية (ولم اعطها نبيا قبلك) تأكيد لما قبله وتأييد (واعطيتك خواتيم سورة البقرة) الظاهر انها من قوله آمن الرسول الى آخر السورة (من كنز تحت العرش لم اعطها نبيا قبلك) اى بانزال مضمونها على احد منهم ادخارا لك وقال التوربشتى بل المعنى انه استجيب له ولمن سأل بحقه مضمون قوله تعالى غفرانك ربنا الخ قال الدلجى ويؤيده انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما دعا بهن قيل له قد فعلت واوثر الاعطاء مناسبة للتعبير بكنز تحت العرش انتهى ولا يخفى انه لا منافاة بين الجمع فالحمل عليه اولى (وجعلتك فاتحا وخاتما) اى مبدأ للخيرات ومنتهى للمبرات واولا وآخرا باعتبار الارواح والاشباح من بين الانبياء (وفى الرواية الاخرى) اى التى رواها مسلم (قال) اى ابن مسعود (فاعطى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثا) اى مما لم يعطها غيره (اعطى الصلوات الخمس) اى فريضة فى كل يوم وليلة (واعطى خواتيم سورة البقرة) اى قراءة واجابة (وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا) اى من الشرك (من امته المقحمات) اى السيئات المهلكات اهلها ولو من غير توبة وفيه اشارة الى انه من خصوصيات هذه الامة المرحومة ببركة نبى الرحمة لكنه هذا تحت المشيئة ومختص بمن تعلقت به الارادة لقوله تعالى ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فاندفع ما اورده الدلجى من وجه الاشكال بقوله يفيد ظاهره العموم فيلزم انه لا يعذب احد مع الاجماع على تعذيب بعض عصاة المؤمنين اى من هذه الامة والا فلا اشكال وابعد من قال اراد بغفرانها ان لا يخلد احد منهم فى النار لان لا يعذب اصلا اذ فيه انه لا خصوصية حينئذ قطعا ثم المقحمات بضم ميم وكسر حاء مهملة مخففة وقيل مثقلة الذنوب العظام التى من شانها ان تقحم صاحبها فى النار وتدخله الشدة فى دار البوار وهو مرفوع على انه نائب الفاعل لقوله غفر والمعنى انه اعطى الشفاعة لاهل الكبائر من الامة (وقال) اى ابن مسعود فى قوله تعالى (ما كذب الفؤاد ما رأى الآيتين) اى فى هذه الآية ومابعدها من قوله تعالى ولقد رآه نزلة اخرى (رأى جبريل فى صورته) اى التى خلق عليها فى اصل جبلته (له ستمائة جناح) اى مختص بزيادة الاجنحة على سائر الملائكة كما قال سبحانه وتعالى جاعل الملائكة رسلا اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق مايشاء واشار اليه سبحانه وتعالى بقوله علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى لان القوة على قدر زيادة الاجنحة اللازمة لعظم الجثة ومنه حديث ابى داود وغيره ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم اما حقيقة صيانة لامره وحفظا لشانه اوتواضعا تعظيما لحقه واما ما ذكر السهيلى من انه قد قال اهل العلم فى اجنحة الملائكة انها ليست كما يتوهم من اجنحة الطير ولكنها صفات ملكية لا تفهم الا بالمعاينة فهو خلاف الظاهر المتبادر من معنى الحقيقة التى لا ينافيها عقل ولا نقل وقد ابعد بقوله واحتجوا بالاية فانه لم يرطائرله ثلاثة اجنحة او اربعة حيث غفلوا عن انه لا يقاس الغائب على الحاضر وجهلوا معنى قوله سبحانه وتعالى يزيد فى الخلق مايشاء ان الله على كل شئ قدير وفى الاية قول آخر لبعض الائمة وهو انه رأى ربه تعالى والمعنى ما كذب بصره ما حكاه له قلبه (وفى حديث شريك) اى ومنها فى روايته (انه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (رأى موسى فى السابعة) اى السماء السابعة كما فى اصل الدلجى وقد تقدم الجمع بينهما فلا يحتاج الى حمله على تعدد الاسراء وتكلفه بان احدهما موضع استقراره والاخرى غير موضع استيطانه اوباعتبار طلوعه ورجوعه وهذا اولى مما قاله الانطاكى ولعله رآه فى السادسة ثم ارتقى الى السابعة وهذا وجه التوفيق بين ماروى فى صحيح مسلم انه عليه الصلاة والسلام وجد ابراهيم فى السادسة وبين ماروى انه وجده فى السماء السابعة انتهى والاظهر انه من وهم بعض الرواة فان النسيان يغلب الانسان (قال) اى شريك اوالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (بتفضيل كلام الله تعالى) اى له كما فى اصل الدلجى والمعنى ان جعله فى السابعة مسبب عن ذلك قال ياموسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين اى ولا تطلب المعراج ولا الرؤية فى ذلك المدراج (قال ثم علىّ به) بصيغة المفعول وفى اصل الدلجى ثم علابى اى جبريل (فوق ذلك) اى فوق ماذكر من السماء السابعة والسدرة (بما لا يعلمه الا الله) اى بمقدار لا يعلم سواه فلا يحتاج الى ما تكلفه الدلجى بقوله انه بدل من فوق ذلك والباء للاستعلاء كما فى قوله تعالى ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار اى عليه او بمعنى الى كما فى وقد احسن بى اى علا بى على مكان اوالى مكان لا يعلمه الا الله (فقال موسى لم اظن ان يرفع على احد وقد روى) بصيغة المجهول اى ومنها انه قد روى (عن انس رضى الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى بالانبياء ببيت المقدس) اى اماما وهولاينافى ماروى انه صلى بهم فى السماء اوصلى مع الملائكة فى المسجد الاقصى (وعن انس رضى الله تعالى عنه) اى ومنها مارواه البزار والبيهقى عنه (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينا انا قاعد ذات يوم اذ دخل جبريل عليه السلام فوكز) بالواو والزاى اى دفع باطراف اصابعه اوضرب بكفه مجموعة (بين كتفى) بتشديد التحتية وهذا ضرب تلطف ومحبة اوسبب قيام وخفة

ويشير اليه قوله (فقمت الى شجرة فيها مثل وكري الطائر) اى مكانين مماثلين لوكرين وهو بفتح الواو عش الطائر سواء كان في جبل او في شجر وقيل ان كان في شجر فهو عش او في جبل فهو وكر (فقعد) اى جبريل (في واحدة) ولعل تأنيث الوكر باعتبار البقعة او القطعة من الشجرة (وقعدت في الاخرى) وما ذكرناه اولى واحرى مما قاله الحلبي ان تأنيثه هنا حمل على الغالب اذ الغالب انما يلازم الوكر الانثى للبيض والجلوس عليه وغير ذلك فاكتسب التأنيث بحسب الاضافة انتهى ويرده ما في القاموس من ان الوكر عش الطائر وان لم يكن فيه واما قول الدلجي انهما باعتبار ان كلا منهما بمعنى العش واهل مكة يذكرونه ويؤنثونه والغالب الآن على السنتهم التأنيث فليس في محله لانه غير مسموع بل في القاموس ما يدل على انه من وجهين مذكور حيث قال العش بالضم موضع الطائر يجمعه من دقاق الحطب في افنان الشجر ويفتح (فنمت) بفتح النون والميم من النمو اي زادت وفي نسخة صحيحة فسمت بالسين المهملة والميم المخففة من السمو اي ارتفعت والضمير الى الاخرى (حتى سدت الخافقين) بتشديد الدال المهملة اى طرفي السماء والارض او افقي المشرق والمغرب (ولو شئت) اى من كمال رفعتي (لمسست السماء) بكسر السين الاولى وتفتح وقد تحذف كما في نسخة (وانا اقلب طرفي) بتشديد اللام والطرف بسكون الراء بمعنى النظر والجملة حالية اى والحال اني اردد بصري تبعا لبصيرة قلبي في آيات ربي في الآفاق وفي الانفس (ونظرت جبريل) اى رأيت كما في نسخة اى وابصرته نازلا عني وبعيدا مني (كانه حلس) بكسر وسكون وفي نسخة بفتحهما اى كساء رقيق يلي ظهر البعير تحت قتبه شبهه رؤيته له (لاطئا) بكسر مهملة فهمزة اى لاصقا بما يلي به من هيبة الله تعالى وشدة الخشية من كمال عظمته كذا قرره الدلجي بناء على نصب لاطئا في اصله لكنه مخالف للاصول المصححة لانه مرفوع على انه نعت لقوله حلس ومنه حديث ابي بكر رضي الله تعالى عنه كن حلس بيتك حتى تأتيك يد خاطئة او منية قاضية امره بلزوم بيته هذا وقد روي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال مررت ليلة اسري بي وجبريل بالملأ الاعلى ساقط كالحلس البالي من خشية الله تعالى (فعرفت فضل علمه بالله سبحانه علي) لانه انما يخشى الله من عباده العلماء ولان من يكون اعلم يكون اخشى واتقى وهذا من باب تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم وتعليم لامته واتباعه وتنبيه نبيه على ان افضل الملائكة اذا كان يخشى هذه الخشية مع ظهور العصمة فغيره اولى بان يكون على تلك الحالة مع احتمال وجود السيئة وتحقق الغفلة (وفتح لي باب السماء) بصيغة المفعول (ورأيت) وفي نسخة ونظرت (النور الاعظم) اى نور الحضرة الالهية ذكره الدلجي والله تعالى اعلم (ولط) بضم لام وتشديد طاء مهملة اى ارخي وفي نسخة واذا ادنى باذا المفاجاة اى قرب ودنى (الحجاب) اى ستر باب الجناب لان رب الارباب منزه عن ان يدخل تحت الحجاب او يخرج من تحت النقاب (وفرجه) بالنصب وهو بضم الفاء وسكون الراء اى ومركوز في شقه (الدر والياقوت) وروى فوقه الدر والياقوت والظاهر انه تصحيف وضبط في حاشية التلمساني وغيره بضم الفاء وفتح الراء جمع فرجة وهو الاظهر فتدبر (ثم اوحى الله الى ما شاء ان يوحى) اى الي كما في نسخة صحيحة (وذكر البزار عن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه) وفي نسخة بخط مغلطاي البزاء بفتح موحدة وخفة راء والصواب هو الاول وهو بموحدة فزاي مشددة فالف فراء نسبة الى عمل بزر الكتان زيتا لمعة العساديين وهو الحافظ العلامة ابو بكر احمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري صاحب المسند الكبير المعلل سمع عبد الاعلى بن حماد والحسن بن علي بن راشد وطبقتهم وعنه ابو الشيخ والطبراني وجماعة فانه ارتحل في آخر عمره الى اصبهان والى الشام والى النواحي ينشر علمه ذكره الدارقطني واثنى عليه وقال ثقة يخطئ ويتكل على حفظه مات بالرملة سنة اثنتين وتسعين ومائتين (قال لما اراد الله تعالى ان يعلم رسوله) بتشديد اللام اى يعلمه ويلهمه (الاذان) اى ما يختار للاعلام بدخول اوقات الصلوات (جاءه جبريل بدابة يقال لها البراق فذهب يركبها) اى شرع واراد ان يركبها (فاستصعبت عليه فقال لها جبريل عليه السلام اسكني فوالله ما ركبك عبد اكرم على الله من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فركبها حتى اتى بها) اى انتهى بها (الى الحجاب الذي يلي الرحمن تعالى) اى عرشه سبحانه وتعالى (فبينا هو) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (كذلك) اى بالوصف الذي هنالك (اذ خرج ملك) اى فاجأه خروجه (من الحجاب فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا جبريل من هذا) اى من الملائكة (قال) اى جبريل (والذي بعثك بالحق اني لاقرب الخلق مكانا) اى في السماء او من الحجاب لا من رب الارباب لانه منزه عن المكان والزمان وسائر سمات الحدثان (وان هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه) يعني فهو داخل تحت قوله سبحانه ومما لا يعلمون وقوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون (فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل له) اى جوابا عن مقوله (من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر) وهذا يحتمل انه امر ملكا ان يقوله عن امر ربه كعكسه حين حكى الله عن الملائكة في قوله وما نتنزل الا بامر ربك (ثم قال الملك اشهد ان لا اله الا الله فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي انا الله لا اله الا انا) ووقع في اصل

الدلجي انه لا اله الا انا وهو مخالف للنسخ المعتمدة (وذكر) اى الراوى (مثل هذا) اى الذى ذكر قولا وجوابا (فى بقية الاذان الا انه لم يذكر) فقيل له من وراء الحجاب (جوابا عن قوله حى على الصلاة حى على الفلاح وقال) اى الراوى (ثم اخذ الملك) اى المؤذن (بيد محمد فقدمه) اى فى المقام الاتم (فام اهل السماء) اى من الملائكة والانبياء (فيهم آدم) ابو البشر الاكبر (ونوح) ابو البشر الاصغر ولعل هذا وجه تخصيصهما فتدبر واما ماوقع فى اصل الدلجي من قول آدم وابراهيم ثم قوله وخصا بالذكر لانهما ابوا الانبياء فهو مخالف للاصول المعتبرة (قال ابو جعفر) اى الصادق وهو الباقر (محمد ابن على بن الحسين) اى ابن على بن ابى طالب وهو زين العابدين رضى الله تعالى عنهما ويسمى سلسلة الذهب (راوية) اى راوى هذا الحديث الذى ذكره البزار فى مسنده حيث قال حدثنا محمد بن عثمان بن مخلد حدثنا ابى عن زياد بن المنذر عن محمد بن على بن الحسين عن ابيه عن جده على ابن ابى طالب قال لما اراد الله تعالى ان يعلم رسوله الاذان فذكره وفى سنده زياد بن المنذر وهو كذاب وقد اخرج له الترمذى وقد مال السهيلى فى روضته الى صحته لما يعضده ويشاكله من احاديث الاسراء والله تعالى اعلم وقد تصحف فى اصل الدلجي فوقع رواية بالصدر بدل راويه (اكمل الله تعالى) اى كمل واتم (لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم الشرف) اى السيادة الاعم (على اهل السموات والارض قال القاضى رحمه الله تعالى مافى هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو فى حق المخلوق) اى مقصور من جميع الابواب اذ الحجاب لغة المنع والستر وحقيقته للاجرام المحدودة الا انه قد يطلق مجازا ويقصد به التمثيل لما يفهم من مجرد المنع من رؤيته تعالى بالمشاهدة ليتصوره السامع حتى يكون مستحضرا كانه ينظر اليه متيقناله متبصرا واما المعنى الحقيقى فهو منحصر فى حق المخلوق (لا فى حق الخالق) لانه منزه عن ذلك (فهم المحجوبون) اى حسا ومعنى (والبارئ) اى الخالق البرى عن مشابهة المخلوقين (جل اسمه) اى وعز مسماه (منزه عما يحجبه) اى يستره عن خلقه ويجعله محجوبا فى حقه (اذ الحجب) بضمتين جمع حجاب (انما تحيط بمقدر) اى محدود (محسوس) اى داخل تحت نطاق حاسة البصر (ولكن حجبه) بضمتين جمع حجاب وبفتح فسكون مصدر اى قد يكون حجابه (على ابصار خلقه) بفتح الهمز اى اعينهم الظاهرة (وبصائرهم) اى اعينهم الباطنة (وادراكاتهم) عطف تفسير (بماشاء) اى من انواع الحجاب وفى الحديث حجابه النور اى لكماله فى الظهور (وكيف شاء) اى فى هذا الباب (ومتى شاء) اى من اوقات تعلق الحجاب (كقوله) اى فى الكتاب (كلا انهم) اى الكفار (عن ربهم يومئذ لمحجوبون) اى لممنوعون عن رؤيتنا وشهود قدرتنا بخلاف المؤمنين فانهم فى عين عنايتنا وزين رعايتنا وحمايتنا عن عين الاغيار وبن الاوزار (فقوله فى هذا الحديث الحجاب) يجوز جره على الحكاية ورفعه على الاعراب فى قوله عليه الصلاة والسلام اذ خرج ملك من الحجاب (يجب ان يقال انه حجاب حجب به من وراءه) اى بحسب ظاهره (من ملائكته عن الاطلاع) بتشديد الطاء (على مادونه) اى بحسب باطنه (من سلطانه وعظمته وعجائب ملكوته وجبروته) وقد سبق ان الملكوت هو الملك العظيم والجبروت كمال العظمة بناء على ان بناء الفعلوت للمبالغة وما احسن قول ابن عطاء فى كشف هذا الغطا * ممايدلك على وجود قهره سبحانه وتعالى ان حجبك عنه بما ليس بموجود معه * وقد انشدوا فى هذا المعنى واطنبوا فى هذا المبنى

(من ابصر الخلق كالسراب * فقد ترقى عن الحجاب)
(الى وجود يراه رتقا * بلا ابتعاد ولا اقتراب)
(ولم يشاهد به سواه * هناك يهدى الى الصواب)
(فلا خطاب به اليه * ولا مشير الى الخطاب)

(ويدل عليه) اى ماذكرناه (من الحديث) اى من بعض مافى نفس الحديث (قول جبريل عن الملك الذى خرج من وراءه ان هذا الملك مارأيته منذ خلقت قبل ساعتى هذه فدل على ان هذا الحجاب) اى تعلقه (لم يختص بالذات) بل اختص بالمخلوقات نعم الذات محتجب بالصفات والصفات محتجبة بالموجودات لا بمعنى ان ذلك الجناب يحجب بالحجاب بل بمعنى ان اكثر الكائنات احتجبوا بوجود الخلق عن شهود صفات الحق وبشهودها عن الموجود المطلق ثم منهم من حجب عن الله تعالى بالشهوات الدنيوية والدرجات الاخروية او المقامات العلية ومنه قولهم العلم حجاب فى هذا الباب وكل ذلك من الاغيار العدمية والوجودات الوهمية ولو ارتفع الحجاب عنهم لفنوا عن انفسهم وارادتهم وبقوا بربهم فان الفناء على ثلاثة اوجه فناء فى الافعال ومنه قولهم لا فاعل الا الله تعالى وفناء فى الصفات ومنه لاحى ولا عالم ولا قادر ولا مريد ولا سميع ولا بصير ولا متكلم على الحقيقة الا الله تعالى وفناء فى الذات اى لا موجود على الاطلاق الا الله وانشدوا فى هذا المبنى لتصحيح المعنى

(فيفنى ثم يفنى ثم يفنى * فكان فناؤه عين البقاء)

(ويدل عليه) اى على ما ذكرنا من تعلق الحجاب بالكائنات دون الذات (قول كعب) اى كعب الاحبار (فى تفسير سدرة المنتهى) اى فى بيان سبب تسميتها بها (قال اليها ينتهى علم الملائكة) يعنى وسبب انتهاء علمهم عندها (يجدون امر الله تعالى) اى لا عند غيرها (لا يجاوزها علمهم) اى فهم محجوبون عما وراءها (واما قوله الذى يلى الرحمن فيحمل على حذف المضاف اى الذى يلى عرش الرحمن او امر امرا) كذا بالنصب فى النسخ والظاهر كونه مجرورا او مرفوعا ولعله اراد ان اى يعنى او اعنى بامرا من الامور اللائقة بمرام هذا المقام وذهب الدلجى الى ان التقدير يلى امرا (من عظيم آياته ومبادى حقائق معارفه) اى المتعلقة بذاته وصفاته (مما هو اعلم به) اى من اسرار مكنوناته (كما قال تعالى) اى فى استعمال حذف المضاف (واسئل القرية اى اهلها) يعنى انه من قبيل مجاز الحذف وهو اشهر مما قيل انه من باب ذكر المحل وارادة الحال والله تعالى اعلم بالحال (وقوله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى انا اكبر كما تقدم (فظاهره انه سمع) بصيغة المجهول وقال الدلجى اى سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فى هذا الموطن كلام الله تعالى ولكن من وراء حجاب) قلت فيؤول الاشكال فى هذا الباب مع ما فيه من سماع كلامه من جهة محصورة يوهم الحجاب ولهذا دفعه بقوله (كما قال الله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب) فان المراد بالوحى على طريق المكاشفة لان الوحى اعلام فى خفاء اما بالالهام وهو القذف فى القلب كما اوحى الى ام موسى عليه السلام او فى المنام كما اوحى الى ابراهيم عليه السلام فى ذبح ولده وبقوله من وراء حجاب ان يكون البشر من وراء حجاب البشرية المانعة من شهود وجود الذات الصمدية بان يسمعه ولا يراه كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام وليس المراد ان هناك حجابا يفصل موضعا عن موضع او يدل على تحديد المحجوب وانما هو كمن يسمع من وراء الحجاب حيث لم ير المتكلم فى هذا الباب والله تعالى اعلم بالصواب ولذا قال المصنف (اى وهو) اى البشر (لا يراه) اى الحق سبحانه وتعالى (حجب بصره) اى منعه (عن رؤيته) اى لا لانه فى حيزه (فان صح القول بان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه) اى بعين البصر (فيحتمل انه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رآه (فى غير هذا الموطن بعد هذا) اى هذا الوقت (او قبله) اى من الزمان يعنى انه (رفع الحجاب عن بصره حتى رآه) وفى اصل الدلجى مرة (والله اعلم) اقول ولا مانع من انه رآه فى ذلك الحين بعينه اذ لا يختص رفع الحجاب وكشف النقاب مكان دون مكان ولا زمان دون زمان لارادة اعيان كما لا يخفى على الاعيان ولابن عطاء حكم توجب فى الجملة كشف غطاء فاحببت ان اذكرها وهى قوله كيف يتصور ان يحجبه شئ وهو الذى اظهر كل شئ ام كيف يتصور ان يحجبه شئ وهو الظاهر من كل شئ بل وهو الظاهر قبل وجود كل شئ وهو الواحد الذى ليس معه شئ فالحق ليس بمحجوب وانما المحجوب انت عن النظر اليه اذ لو حجبه شئ لستره ما يحجبه ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصر وكل حاصر لشئ فهو له قاهر وهو القاهر فوق عباده انتهى واذ قال الله تعالى لا يحيطون به علما كيف يحيطون به جرما وانى للعدم حتى يغلب القدم ثم ان لله سبحانه وتعالى سبعين الف حجاب من النور فى عالم الظهور لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليها نور بصره وقد قال الله تعالى كل شئ هالك الا وجهه اى باطل ومضمحل وفان فى نظر ارباب العرفان فى كل آن وزمان ولذا قال بعض ارباب الشهود سوى الله والله ما فى الوجود وقال بعض الشطار ليس فى الدار غيره ديار وهو من غاية ظهوره باطن ومن نهاية بطونه ظاهر وفى عين ابديته اول وفى عين ازليته آخر وغيره كالهباء فى الهواء والسراب فى نظر عشاق الشراب والاغتراب ورب الارباب والله تعالى اعلم بالصواب

﴿فصل﴾

اى من متعلقات هذا الباب (ثم اختلف السلف) اى الصحابة والتابعون (والعلماء) اى الخلف المجتهدون (هل كان) اى وقع (الاسراء بروحه) اى فقط (او جسده) اى مع روحه فى جميع اسرائه او فى بعضه كما سيأتى فى كلامه يندرج فيه ايضا قول آخر لبعضهم انه اسرى به مرتين مرة مناما ومرة يقظة جمعا بين الروايتين وكذا قول التوقف بان يقال اسرى به ولا يقال يقظة ولا مناما وهو قول غريب حكاه امام الجوزية فى اوائل كتابه الهدى ولعل وجهه انه ورد فى بعض طرق الحديث انه كان بين النائم واليقظان فلم يعرف حقيقة امره ولذا عبر بعضهم عنه بالنوم وبعضهم باليقظة اعتبارا بالبداية وكان المصنف لم يبلغه هذه المقالة فيتضح قوله (على ثلاث مقالات) اى لطوائف ثلاث كما فصلها بقوله (فذهبت طائفة الى انه اسراء بالروح وانه رؤيا منام) بل مآله او عطف تفسيره اذ هو فى هذا المقام انما يكون فى حال المنام (مع اتفاقهم ان رؤيا الانبياء حق) اى ثابت غير كذب (ووحى) اى ينزل به بخلاف رؤيا غيرهم ويدل عليه قوله تعالى حكاية انى ارى فى المنام انى اذبحك وحديث تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم (والى هذا ذهب معاوية رضى الله تعالى عنه) اى من الصحابة كما رواه ابن اسحق وابن جرير عنه وهو ابن

ابي سفيان كلاهما من مسلمة الفتح وهو احد كتبة الوحي وقيل انما كتب له كتبه الى الاطراف وتولى الشام في زمن عمر رضي الله تعالى عنه ولم يزل بها حاكما الى ان مات وذلك اربعون سنة روى عن ابن عباس وابو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنهما وكان عنده ازار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وردائه وقميصه وشيء من شعره واظفاره فقال كفنوني في قميصه وادرجوني وفي رواية وأزروني بازاره واحشوا منخري وشدوا مواضع السجود مني بشعره واظفاره وخلوا بيني وبين ارحم الراحمين (وحكى) اي مثل ذلك (عن الحسن) اي البصري (والمشهور عنه خلافه) وهو انه كان في اليقظة (واليه) اي والى هذا القول (اشار محمد بن اسحق) اي ابن يسار امام المغازي (وحجتهم) اي اقولهم انه رؤيا منام (قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك) اي ظاهره اذ في آخر الاية دلالة على انه كان باليقظة حيث قال الا فتنة للناس) اي ابتلاء وامتحانا في تصديق القضية اذا انكرته قريش وارتد كثير من اهل التقليد وصدقه الصديق واهل التوفيق والتأييد اذ من المعلوم انه لا فتنة الا اذا كان في حال اليقظة فالرؤيا بمعنى الرؤية ولعل تسميتها بها لانها من غرابتها في معنى الرؤيا وقد سبق جواز تقدير مضاف اي تحقيق الرؤيا وتصديقها وبه يجمع بين الروايات فانه رأى اولا رؤيا وثانيا رؤية فقد قال السهيلي وذهب طائفة منهم شيخنا ابو بكر الى ان الاسراء كان مرتين احديهما في نومه توطئة له وتيسيرا عليه كما كان بدء نبوته الرؤيا الصادقة ليسهل عليه امر النبوة فانه عظيم تضعف عنه القوى البشرية وكذا الاسراء سهل عليه بالرؤيا لان هوله عظيم ورأيت المهلب في شرح البخاري قد حكى هذا القول عن طائفة من العلماء وانهم قالوا كان الاسراء مرتين مرة في نومه ومرة في يقظته ببدنه صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى ولا يبعد ان يقال اسراؤه الروحي كان مرات باعتبار المكاشفات في اليقظات والمنامات واما اسراؤه الجسدي فمرة واحدة تحقيقا لتلك المقامات والحالات مع الزيادة الحاصلة بالكلام والرؤية وسائر الدرجات هذا مع ان آية وما جعلنا الرؤيا قد قيل المراد بها ما رآه عام الحديبية انه واصحابه دخلوا مكة بدليل قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام الاية فلما صدوا فيه عنه فتنوا فقيل لم يقل في هذا العام فدخلها بعد ما رآها في وقعة بدر بدليل قوله تعالى اذ يريكهم الله في منامك قليلا ووقع في اصل الدلجي وقيل رآها عام الحديبية وهو يوهم انه من اصل الكتاب وهو ليس في الاصول الصحيحة على الصواب (وما حكوا) اي وحجتهم ايضا ما حكوه من رواية ابن اسحق وابن جرير (عن عائشة رضي الله عنها ما فقدت جسد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) ويبطله انه لم يدخل بها الا بعد الهجرة والاسراء انما كان بمكة بعد البعثة كما قال ابن اسحق بعد ان فشا الاسلام بمكة والاشبه انه كان بعدها بخمس سنين كما نقله النووي عن المصنف وروى عنها ما فقد جسد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بصيغة المفعول وهو اظهر في الاحتجاج المنقول (وقوله) اي وحجتهم ايضا قوله (بينا انا نائم) اي في الحطيم وربما قال في الحجر (وقول انس رضي الله تعالى عنه) اي وحجتهم ايضا قوله في حديثه (وهو نائم في المسجد الحرام وذكر القصة) اي قصة الاسراء وفيه ان كونه نائما في اول الوهلة لا ينافي وقوع القصة في اليقظة آخر الدفعة (ثم قال) اي انس رضي الله تعالى عنه (في آخرها) اي القصة (فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام) وفيه ان المراد بالاستيقاظ هو الاستحضار والاستشعار عما كان له من الاستغراق في مقام الابرار مع احتمال ان نومه في حال رجوعه واستيقاظه وقت وقوعه (وذهب معظم السلف والمسلمين) اي من الخلق (الى انه اسراء بالجسد) اي مع الروح لا بالروح دون الجسد (وفي اليقظة) بفتح القاف ولا يجوز تسكينها وهي ضد المنام (وهذا هو الحق) اي الثابت عند اهله (وهو قول ابن عباس وجابر) اي ابن عبد الله (وانس رضي الله تعالى عنه) اي ابن مالك (وحذيفة) اي ابن اليماني (وعمر رضي الله تعالى عنه) اي ابن الخطاب وكان حقه ان يقدم على ما سبق من الاصحاب (وابي هريرة ومالك بن صعصعة رضي الله تعالى عنهما) مدني سكن البصرة وروى عنه انس وغيره (وابي حبة) بفتح حاء مهملة وتشديد موحدة قيل بالنون وقيل بالتحتية (البدري) قيل هو الانصاري وقيل هو غيره (وابن مسعود) رضي الله عنه وكان حقه ان يذكر بعد عمر لانه افضل الصحابة بعد الخلفاء الاربعة وبه تم ذكر الصحابة رضي الله تعالى عنهم (والضحاك) اي ابن مزاحم الهلالي البلخي المفسر تابعي جليل يروى عن ابي هريرة وانس وابن عباس وابن عمر رضي الله تعالى عنهم وثقه احمد وابن معين وذكره الشيرازي في فقهاء خراسان من اصحاب عطاء الخراساني وغيره (وسعيد بن جبير) روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وغيره قتل في شعبان شهيدا اخرج له الائمة الستة (وقتادة) اي ابن دعامة (وابن المسيب) بفتح التحتية المشددة وتكسر (وابن شهاب) اي الزهري (وابن زيد) اي ابن اسلم وهو متكلم فيه (والحسن) اي البصري (وابراهيم) اي النخعي (ومسروق) اي ابن الاجدع الهمداني روى عن ابي بكر ومعاذ رضي الله تعالى عنهما وكان اعلم بالفتيا من شريح اخرج له الائمة الستة وهو من الزهاد الثمانية يقال انه سرق صغيرا ثم وجد فسمي مسروقا وقد كانت عائشة تبنته

فسمى ابن عائشة وكنى بما روى عنه الشعبي والنخعي وغيرهما (ومجاهد) اى ابن جبير (وعكرمة) اى المفسر مولى ابن عباس لكنه اباضي وسيأتي في كلام المصنف بيانه (وابن جريج) بالجيمين مصغرا فهؤلاء كلهم من اجلاء التابعين رحمهم الله تعالى (وهو دليل قول عائشة) اى مذهبها المختار لها وهو لائق في ما سبق من انتسابها وحكي عنها وهذا الاستعمال شائع فيما بين العلماء والفقهاء حيث يقال هذا قول ابي حنيفة ومالك رحمهم الله ويحكى عنهما خلاف ذلك وبهذا يبطل اعتراض الدلجي على المصنف بقوله كيف يكون الاسراء يقظة دليل قولها ما فقدت جسده الصحيح به آنفا انه كان مناما وقد سمعت ابطاله وتعجب من حكاية المصنف له في المذهبين مع امتناع كونه حجة الاول وكون الثاني دليلا له فانه سهو لا يرتاب من ذي فهم ثاقب انتهى وهما يدل على ما قدمنا عنها انها نفت الرؤية البصرية واثبتت الرؤية بالبصيرة ومثل هذه المسئلة الخلافية لا تصور الا اذا كانت القضية في اليقظة بخلاف الحالة المنامية (وهو قول الطبري) اى محمد بن جرير (وابن حنبل) اى الامام احمد صاحب المذهب (وجماعة عظيمة) اى رتبة وكثرة (من المسلمين وهو قول اكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين وقالت طائفة) اى من الجامعين بين الروايات المتعارضة (كان الاسراء بالجسد يقظة الى بيت المقدس) يعني يقظة في المسجد الحرام الى المسجد الاقصى (والى السماء بالروح) اى مناما وهذا يشبه قول المعتزلة (واحتجوا بقوله سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى) ووجه الاحتجاج ما بينه المصنف بقوله (فجعل الى المسجد الاقصى غاية الاسراء الذي وقع التعجب فيه بعظيم القدرة) اى المؤثرة وفق الارادة حيث كان في مدة يسيرة طي مسافة كثيرة والعجب من لوازم المعجزة وان صدر من اعدائه على طريق الاستحالة (والتمدح) اى ووقع التمدح (بتشريف النبي محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم (به) اى بالاسراء معه (واظهار الكرامة له) اى ووقع اظهار الكرامة له صلى الله تعالى عليه وسلم (بالاسراء اليه) اى الى المسجد الاقصى بخصوصه (قال هؤلاء) اى الذاهبون الى المذهب الثالث في الاسراء (ولو كان الاسراء بجسده زائدا على المسجد الاقصى لذكره) اى سبحانه في كتابه (فيكون) اى ذكره فيه (ابلغ في المدح) اى في مقام مدحه من عدم ذكره ولعل الحكمة في ذلك ان يكون الايمان في هذه القصة ثابتا بمجموع الكتاب والسنة (ثم اختلفت هذه الفرقتان) اى الثانية والثالثة في انه صلى الله عليه وسلم (هل صلى ببيت المقدس اولا) فقيل نعم (في حديث انس وغيره رضي الله عنهم ما تقدم من صلاته فيه) اى بالانبياء وسبق انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى مع الملائكة ولا منع من الجمع (وانكر ذلك) اى كونه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى فيه (حذيفة بن اليماني وقال) اى حذيفة كما رواه احمد عنه (والله ما زالا) اى النبي وجبريل عليهما السلام (عن ظهر البراق حتى رجعا) وهو وان يحتمل انه شق صريحا فيما ورد صحيحا من ربط البراق بباب المسجد وصلاته فيه على ما هو اللائق بادب المسجد من التحية التي هي السنة فهو من القواعد المقررة ان المثبت مقدم على النافي ومن حفظ حجة على من لم يحفظ (قال القاضي رحمة الله تعالى عليه والحق من هذا) اى ما ذكر (والصحيح ان شاء الله تعالى) استثناء للتبرك بعز له والله تعالى اعلم (انه اسراء بالجسد والروح في القصة كلها وعليه) اى وعلى هذا (تدل الآية وصحيح الاخبار) اى مجموعهما على جمعهما غايته ان دلالة الآية على الاسراء من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى نص قاطع يكون جاحده كافرا او منافقا ودلالة الاحاديث على اسرائه الى السماء وسدرة المنتهى ومقام قاب قوسين او ادنى ظنية منكره يكون مبتدعا فاسقا (والاعتبار) بالرفع معطوف على ما قبله على ما اقتصر عليه الحلبي ولا يبعد ان يكون مجرورا بالعطف على الاخبار والمراد به المقايسة يعني اذا ثبت اسراؤه من الحرم الى الحرم بمجرد دلالة الآية فيجوز اسراؤه الى السماء بالمقايسة المقرونة بالاحاديث الثابتة اذ لا فرق بينهما في تعلق الارادة والقدرة (ولا يعدل عن الظاهر) بصيغة المجهول اى ولا ينصرف عن ظاهر دلالة الآية والاخبار الواردة (والحقيقة) اى ولا عن ارادة الحقيقة اللغوية المتفقة مع الارادة المعروفة (الى التأويل) اى فيهما او في احدهما (الا عند الاستحالة) اى العقلية والشرعية (وليس في الاسراء بجسده) اى الشامل لبدنه وروحه (وحال يقظته استحالة) اى لا شرعا ولا عقلا حتى يحتاج الى تأويل في مآله بل يتعين ان يكون بكمال جسده ويقظة حاله (اذ لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده) اى لانه بحسب اطلاقه محمول على كمال افراده من عباده (وقوله) اى ويدل على كونه يقظة لا مناما قوله (ما زاغ البصر وما طغى) اذ ليس للروح بصر بل بصيرة وايضا لا يمدح عدم زيغ بصر النائم اذ لا حقيقة لما له فلا يعد عدم الطغيان من كماله ومعنى الآية ما مال بصره يمنة ولا شمالا في مقام ادبه معرفة وما جاوز ما امر به (ولو كان) اى الاسراء (مناما لما كانت فيه آية) وقد قال الله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى (ولا معجزة) اى امر خارق للعادة وان كان رؤيا الانبياء حقا واخبارهم عنها صدقا (ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه) اى في اخباره (ولا ارتد به ضعفاء من اسلم وافتتنوا به) اى ولا وقعوا به في الفتنة في انباء اسرائه (اذ مثل هذا) اى الحال (من المنامات

لا ينكر) اى لا يعد من المحال لان احد الناس يرى فى نومه انه يسير فى الشرق مرة وفى الغرب اخرى وهو لم يتحول عن مكانه ولم تتبدل حاله الاولى (بل لم يكن ذلك) اى الانكار والاستبعاد وعده من الاستحالة ووقوع الارتداد (منهم الاوقد علموا ان خبره) اى عن اسرائه (انما كان عن جسمه) اى مع روحه (وحال يقظته) اى اخذا من خبره منضما (الى ماذكر) اى النبى عليه الصلاة والسلام وقال الحلبي انه بصيغة المجهول (فى الحديث) اى الحديث المشهور فى الاسراء (من ذكر صلاته بالانبياء ببيت المقدس) اى قبل اسرائه الى السماء (وفى رواية انس اوفى السماء على ماروى غيره) اى غير انس كما تقدم ولا منافاة بينهما اذ لا يخفى وجه جمعهما (وذكر مجئ جبريل عليه السلام له) عطف على قوله ذكر صلاته المجرور بمن البيانية اى ومن ذكر مجئ جبريل له عليه السلام (بالبراق وخبر المعراج) اى ومن ذكر خبر حال عروجه الى السماء بالاسراء والمراد بالمعراج آلة العروج كالسلم للصعود (واستفتاح السماء فيقال ومن معك) اى بعد مايقال من انت فيقول جبريل فيقال ومن معك (فيقول محمد) اى وامثال هذا من الدلالات فى الروايات (ولقائه) اى ومن ملاقاته عليه الصلاة والسلام (الانبياء فيها) اى فى السماء باصنافها (وخبرهم معه) اى خبر الانبياء معه بتفصيل مقاماتهم وتبيين حالاتهم (وترحيبهم به) اى وتحيتهم له كما فى نسخة واصل الترحيب قول مرحبا (وشانه) اى وقصته (فى فرض الصلاة) اى خمسين اولا (ومراجعته) اى ومكالمته (مع موسى فى ذلك) اى فى تخفيفها اومراجعته الى الله تعالى مع مساعدة موسى عليهما الصلاة والسلام فى ذلك (وفى بعض هذه الاخبار) اى ادلة صريحة على هذا المدعى وروايات صحيحة المبنى من طريق الشيخين عن انس رضى الله عنه (فاخذ يعنى جبريل بيدى) تفسير من بعض الرواة (فعرج بى الى السماء) اى فلما جئت السماء الدنيا قال جبريل لخازنها افتح فلما فتح علونا السماء الدنيا اذا رجل قاعد على يمينه اسودة وعلى يساره اسودة الحديث بطوله (الى قوله ثم عرج بى حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام) اى صريرها كما فى رواية وقد فرض الله هنالك عليه خمسين صلاة فرجع فمر بموسى فلم يزل بينه وبينه حتى قيل له هى خمس وهن خمسون (وانه وصل الى سدرة المنتهى وانه دخل الجنة) اى جنة المأوى (ورأى فيها ماذكره) اى من جنابذ اللؤلؤ وان ترابها المسك قاله الدلجي وظاهر هذا كله شاهد صدق بانهما نزلا عن البراق وان انكره حذيفة انتهى ولا يخفى ان الظاهر عدم النزول عن البراق الا ان يدل دليل صحيح وصارف صريح فيما هنالك لذلك (قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) اى كما رواه البخارى (هى رؤيا عين رآها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فى حال اليقظة (لا رؤيا منام) اى وان كان رؤيا الانبياء حقا فى ثبوت المرام وقد قيل بتعدد المعراج الى سبع مرات فيمكن الجمع بذلك بين الروايات (وعن الحسن) اى البصرى (فيه) اى فى حديث معراجه كما رواه ابن اسحق وابن جرير عنه مرسلا (بينا انا نائم فى الحجر) بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم وقال النووى انه رأى لبعض المصنفين على المذهب انه يقال ايضا بفتح الحاء كحجر الانسان فقيل كله من البيت وقيل ستة اذرع وقيل سبعة هذا وقد سبق انه رآى بين النائم واليقظان ولا يبعد ان يراد بالنائم المضطجع فانه على هيئة النائم وقد يعبر به عنه على انه لا تنافى بين كونه نائما فى اول القصة ومستيقظا فى آخر القصة مع انه روى بينا انا جالس فى الحجر (جاءنى جبريل فهمزنى) اى غمزنى (بعقبه فقمت فجلست فلم ارشيئا فعدت لمضجعى ذكر) اى الحسن اوالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ذلك ثلاثا فقال فى الثالثة فاخذ بعضدى) بصيغة الافراد وفيه اربع لغات فتح العين مع ضم الضاد وكسرها وسكونها وضم العين مع السكون اى امسك مافوق مرفقى (فجرنى الى باب المسجد) قال الدلجي الله اعلم بصحة هذا الحديث لنزاهة جبريل عن ان يفعل به ذلك انتهى ولا يخفى انه اذا ثبت من طريق امامين جليلين هذا المبنى ينبغى ان يحمل على محمل لطيف فى المعنى وهو مناسبة الرجل للرجل فى قوله فهمزنى بعقبه وقد نبه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعض اصحابه من المنام بهذه الكيفية فهذا ليس من باب قلة الادب بل من طريق عدم التكلف الدال على كمال الخصوصية وقد قيل ان الهمز تنبيه الرجل بحركة لطيفة واما الاخذ بالعضد فلا خفاء فى المناسبة المساعدة للتقوية العضدية واما قوله فجرنى فكناية عن كمال الجذبة الملكية المنسوبة عن الجذبة الالهية على ما تقتضيه القضية الاسرائية الى المراتب الاصطفائية وقد روى فجذبنى وهو مقلوب جذبنى (فاذا دابة وذكر خبر البراق وعن ام هانئ) بكسر نون فهمزة وهى بنت ابى طالب اخت على رضى الله تعالى عنهما اسلمت يوم الفتح وقد خطبها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت انى امرأة مصبية واعتذرت اليه فعذرها روى عنها على وابن عباس وعكرمة وعروة وعطاء وخلق كما روى ابن اسحق والطبرانى وابن جرير عنها انها قالت (مااسرى برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو فى بيتى تلك الليلة) عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه ان الحرام كله مسجد اى لاحاطته بالمسجد والتباسه به فلا ينافى قوله تعالى من المسجد الحرام (صلى العشاء الآخرة) اى بان خرج منه ودخل

اظهر فصلى فيه (ونام بيننا) اى فيما بيننا بان رجع ونام مع اهل بيت ام هانئ وهو كناية عن انه كان بعد صلاة
العشاء الآخرة عندهم فى مكة فبيننا بمعنى عندنا وقد تصحف على الدلجى بقوله شيئا اى نام شيئا من الليلة او بعضا
من النوم (فلما كان قبيل الفجر اهبنا) بتشديد الموحدة اى ايقظنا (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وظاهر
هذا الحديث ان الاسراء انما كان فى الثلث الاخير من الليل وهو وقت السحر وزمان التهجد والعبادة على انه لا يلزم
من احاطة علمهم حينئذ ان يكون عقب نزوله اذ يمكن انه كان فى المسجد مشتغلا بالطواف والعبادة فلما قارب الصبح
رجع اليهم وايقظهم (فلما صلى الصبح) اى تنفلا اذ كانت صلاتان مفروضة قبل الاسراء صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة
قبل غروبها والاظهر انه صلى الصبح المفروض فى ليلة الاسراء من جملة الخمس (وصلينا) اى معه او بعده (قال
يا ام هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة) فيه نوع تغليب ان صلت معه صلى الله تعالى عليه وسلم حقيقة او معنى
(كما رأيت بهذا الوادى) اى وادى مكة لاحاطة الجبال بها (ثم جئت بيت المقدس) اى ذهبت اليه (فصليت فيه) اى
صلاة التحية مع الانبياء والملائكة (ثم صليت الغداة) اى صلاة الغدوة وهى الصبح (معكم الآن كما ترون) اى كما رأيتم
والعدول عن الماضى الى المضارع لاستحضار الحال الماضية (وهذا بين) بتشديد التحتية المكسورة اى وهذا الحديث
برهان ظاهر (فى انه) اى الاسراء (بجسمه) اى لا بروحه فقط ولا ينافى قولها وصليناها انها اسلمت عام الفتح وهو بعد
الاسراء بكثير لان المراد بضمير الجمع جماعة قد اسلموا قبل ذلك وصلوا هنالك واما قول الدلجى انه ليس من قولها
بل ادرجه الراوى فى كلامها فتحمل بعيد وتأويل غير سديد وكذا تأويل التلمسانى ان معنى صليناها اى ما له ما يحتاج
اليه فى الصلاة ثم هذا كله مبنى على ان المعراج من بيت المقدس وانه مع الاسراء فى ليلة واحدة واما على انه من مكة
وانه ليس مع الاسراء فى ليلة واحدة فقولها صلى الصبح على حقيقته من غير تأويل لان الصلوات الخمس كانت ليلة
المعراج وهو على هذا القول كان فى رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهرا والاسراء كان فى ربيع الاول قبل
الهجرة بسنة (وعن ابى بكر رضى الله تعالى عنه من رواية شداد بن اوس عنه) اى كما رواه البيهقى وابن مردويه
(انه قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة اسرى به طلبتك يا رسول الله البارحة فى مكانك) اى فى ذلك الميعاد اول
الليل او آخرها (فلم اجدك فاجابه ان جبريل عليه السلام) اى بانه (حمله) وهو الظاهر المتبادر فلا يحتاج الى تكلف
الدلجى من غير نص على كسر ان حيث قال التقدير فاجابه بقوله له ان جبريل حملنى اى على البراق (الى المسجد
الاقصى) ثم هذا الحديث ايضا دليل ساطع على ان الاسراء كان يقظة (وعن عمر رضى الله تعالى عنه) اى كما رواه
ابن مردويه من طريق عنه (قال قال صلى الله تعالى عليه وسلم صليت ليلة اسرى بى فى مقدم المسجد) اى المسجد
الاقصى (ثم دخلت الصخرة) اى تحتها او مكانها (فاذا بملك) وفى نسخة فاذا ملك (قائم) بالجر والرفع بناء على النسختين
(معه آنية ثلاث) اى من اللبن والخمر والعسل (الحديث) اى كما سبق (وهذه التصريحات) اى فى الروايات الصحيحات
(ظاهرة) فى ان القصة كانت يقظة (غير مستحيلة) اى شرعا وعقلا وثبتت نقلا (فتحمل على ظاهرها) اى ولا يجوز
العدول عنه (وعن ابى ذر رضى الله تعالى عنه) كما فى الصحيحين مرفوعا (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فرج) بصيغة
المفعول مخففا ويجوز مشددا اى كشف وازيل (سقف بيتى) اضيف اليه تارة لانه كان ساكنا فيه والى ام هانئ اخرى
من حيث انه كان ملكها (وانا بمكة) جملة حالية (فنزل جبريل عليه السلام فشرح صدرى) اى فعل بى ما يوجب
شرح صدرى وتصحف على الدلجى بقوله ففرج بالفاء والجيم وفسره بقوله شقه (ثم غسله بماء زمزم) لانه افضل
مياه العالم وقد ابعد الدلجى حيث عاله بقوله لانه قد الفه صغرا وكبرا (الى آخر القصة) اى كما سبق (ثم اخذ بيدى
فعرج بى وعن انس رضى الله تعالى عنه اتيت) بصيغة المفعول اى اتانى آت وهو جبريل عليه السلام كما صرح به
فى رواية (فانطلق) بصيغة المجهول اى فذهب (بى) وفى نسخة فانطلقوا بى (الى زمزم فشرح عن صدرى) الجار
نائب الفاعل (وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه مسلم (لقد رأيتنى) بضم
تاء المتكلم (فى الحجر وقريش تسألنى عن مسراى) بفتح ميم وسكون سين اى عن علامات مسيرى او مكانه (فسألتنى
عن اشياء) اى من بيت المقدس وطريقه (لم اثبتها) من باب الافعال اى لم احفظها ولم اضبطها وعدم اثباته تلك
الاشياء لكمال ثباته فى مقام الاسراء باشتغاله بالملائكة والانبياء وعجائب ملكوت الارض والسماء وابعد من توهم
ان قوله لم اثبتها قرينة على ان القضية كانت مناما فان النائم اقل ضبطها من المستيقظ حيث لم يعرف انه لا فرق بين
ضبطه مناما و يقظة اذ الانبياء لا تنام قلوبهم ورؤياهم وحى واما الاحاطة بجميع علامات الطرق والمسجد الاقصى
فليس شرطا فى حصول العلم به اذ يكفيه اخباره ببعض العلامات بما يوجب كونه من الآيات وخوارق العادات
(فكربت كربا) بفتح فسكون اى غما يأخذ النفس والفعل مبنى للمجهول كقوله (ما كربت مثله قط فرفعه الله تعالى

لى انظر اليه) فما سألونى عن شئ الا انبأتهم (ونحوه عن جابر) اى روى عن جابر نحوما روى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه مع اختلاف فى المبنى دون المعنى (وقد روى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى حديث الاسراء عنه عليه الصلاة والسلام انه قال ثم رجعت الى خديجة) اى بسرعة (وماتحولت عن جانبها) اى الى جانب آخر منها وفيه اشعار بتقليل زمن الاسراء مع انه كان الى السموات العلى وسدرة المنتهى ومقام قاب قوسين او ادنى ولعله صلى الله تعالى عليه وسلم اول مارجع دخل على خديجة ثم ذهب الى ام هانئ فى بيتها

فصل

(فى ابطال حجج من قال انها نوم) وروى انها رؤيا نوم ثم الحجج بضم حاء وفتح جيم جمع حجة وهو بمعنى دليل وبينة وانث ضمير انها مع انه راجع الى الاسراء باعتبار القول بانه كان رؤيا منام (احتجوا) بتشديد الجيم اى استدلوا (بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التى اريناك فسماها رؤيا) بالتنوين يعنى والرؤيا مختصة بالنوم كما ان الرؤية باليقظة (قلنا قوله سبحان الذى اسرى بعبده يرده) اى يدفع الاحتجاج به (لانه يقال فى النوم اسرى) لان الاسراء هو السير فى الليل وهو لايكون حقيقة الا فى اليقظة واعتبار الحقيقة اولى من المجاز مالم يصرف عنها صارف نعم الرؤيا ايضا فى النوم حقيقة وفى اليقظة مجاز لكن لنا اجوبة صارفة لها عن المعنى الحقيقى الى القصد المجازى كما بينه المصنف بقوله (وقوله فتنة للناس يؤيد انها رؤيا عين واسراء شخص) اى بجسده (اذليس فى الحلم) بضمتين وتسكين اللام بمعنى الاحتلام ورؤية المنام (فتنة) اى امتحان وخبرة (ولا يكذب به احد لان كل احد يرى مثل ذلك فى منامه من الكون) اى حدوث شئ لم يكن والالف واللام بدل من المضاف اليه اى من كونه (فى ساعة واحدة فى اقطار متباينة) اى فى اطراف مختلفة وجوانب مفترقة ونواحى متباعدة (على ان المفسرين قد اختلفوا فى هذه الاية) اى فى تفسيرها وفى المراد بمورد الرؤيا وتعبيرها (فذهب بعضهم الى انها نزلت فى قضية الحديبية) وهى بتخفيف التحتية قبل هاء التأنيث مصغرا ذكره الشافعى واهل اللغة وبعض المحدثين وكثير من المحدثين على تشديدها وهى قرية صغيرة سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة على نحو مرحلة من مكة قريبة من جدة فى طريق جدة وتسمى الآن تلك البئر شميس والاصح ان الشجرة التى وقع تحتها بيعة الرضوان غير معروفة الآن وهى كانت عند آخر الحل واول الحرم على ماقيل وقال مالك الحديبية من الحرم وقال ابن القصار بعضها من الحرم كذا قال الواقدى وهو الصحيح عندنا هذا والقضية بالضاد المعجمة واحدة القضايا قال الانطاكى ومما يؤيد ان بعضها من الحرم ماروى ان مضارب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعنى معسكره وموضع خيامه عام الحديبية كانت فى الحل ومصلاه فى الحرم والله تعالى اعلم وفى نسخة فى قصة الحديبية بكسر قاف وتشديد صاد مهملة وهى انه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى فى المنام انه دخل المسجد الحرام فصده المشركون فى ذلك العام (وما وقع) اى ونزلت فيما وقع (فى نفوس الناس) اى جماعة منهم (من ذلك) اى من جهة صدهم وعدم دخولهم حتى امتنع بعضهم من تحللهم فقيل انه لم يقل فى هذا العام فدخل من قابل المسجد الحرام واعترض بان الاية مكية واجيب بانه رآها بمكة واخبر بها يومئذ (وقيل غير هذا) اى غير ماتقدم فقيل رآها يوم بدر لقوله تعالى اذ يريكهم الله فى منامك قليلا تثبيتا لاصحابك وتشجيعا لهم على عدوهم وقوله حين ورد ماء بدر كانى انظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فبلغ ذلك قريشا فسخروا منه (واما قولهم انه قد سماها فى الحديث) اى المتقدم (مناما وقوله فى حديث آخر بين النائم واليقظان) بفتحتين (وقوله ايضا) اى فى الحديث (وهو نائم وقوله ثم استيقظت) اى كما فى حديث اخر (فلاحجة فيه) اى فى كل واحد منها لعدم تصريح فى الدلالة بها (اذ قد يحتمل ان اول وصول الملك اليه كان وهو نائم) اى كما يدل عليه حديث الحسن البصرى بينا انا نائم فى الحجر جاءنى جبريل عليه السلام فهمزنى بعقبه فجلست الحديث (واول حاله) اى ويحتمل ان اول اخذه (والاسراء به وهو نائم) اى فى حال نومه حديث وهو نائم بالمسجد الحرام ولايلزم منه استمرار المنام (وليس فى الحديث) اى فى حديث ما لا صحيح ولا ضعيف (انه كان نائما فى القصة كلها) اى فى قضية الاسراء جميعها من اولها الى آخرها (الا مايدل عليه) اى فى الجملة قوله (ثم استيقظت وانا فى المسجد الحرام) لكن يحتمل احتمالات تمنع صحة الاستدلال بها على تصحيح المنام وتصريح المرام (فلعل قوله ثم استيقظت بمعنى اصبحت) اذ الاستيقاظ غالبا يكون حالة الاصباح فعبر به عنه مجازا وهذا لايخفى بعده (واستيقظ) وفى نسخة صحيحة او استيقظ (من نوم آخر) اى حدث حال نزوله (بعد وصوله بيته ويدل عليه) اى على كونه نوما آخر (ان مسراه لم يكن طول ليله) اى فى جميعه (وانما كان فى بعضه) اى ذهابا وايابا كما يشير اليه تنكير ليلا (وقد يكون قوله استيقظت وانا فى المسجد الحرام لما كان غمره) بالغين المعجمة ثم الراء اى لاجل ماغشيه وعلا قلبه

وشاهده (من عجائب باطنا لم من ملكوت السموات والارض) قال المحققون ان الملك ظاهر العالم والملكوت باطنه وقيل الملكوت الملك العظيم (وخامر) بالخاء المعجمة اى خالط ومازج (باطنه من مشاهدة الملأ الاعلى) اى من ملائكة السماء واصل الملأ الجماعة من الاشراف والوجوه يملأون العيون كثرة وعزة واراد بالملأ الاعلى الملائكة المقربين وصفوا بذلك لعلو مكانهم اى لعلو منزلتهم وشأنهم عند ربهم (وما رأى من آيات ربه الكبرى) اى وما حصل له من شهود الكثرة فى الوحدة ووجود الوحدة فى الكثرة ونور الوحدة بلا ظهور الكثرة والاستغراق فى بحور الشهود ولجة الوجود والذهول عن غير المعبود والمقصود (فلم يستفق) اى لم ينتبه (ويرجع) اى ولم يرجع من مشاهدة التجليات الالهية (الى الحال البشرية) اى من اقتضاء صفات العنصرية (الا وهو بالمسجد الحرام) هذا وقول الدلجى خامر اى ستر ليس فى محله وماذكر فيه من الشاهد ايضا غير ملائم وهو قوله كتب ابو الدرداء الى سلمان يدعوه الى الارض المقدسة فكتب يا اخى ان بعدت الدار من الدار فان الروح من الروح قريب وطير السماء على ارفع خمر الارض يقع اى على اخصب مكان فيها ارادان وطنه ارفق له وارفق به فلا يفارقه (ووجه ثالث) اى فى الجمع بين الروايات المتفرقة والرد على من زعم ان الاسراء انما كان بروحه فقط (ان يكون نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى الظاهر) اى المفاد منه لظاهر فى حديث انس رضى الله تعالى عنه وهو قوله وانا نائم فى المسجد الحرام وقوله فاستيقظت وانا فى المسجد الحرام (ولكنه اسرى بجسده وقلبه حاضر ورؤيا الانبياء حق) اى واو فى المنام (تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم) اى كما ثبت فى الحديث ولعل الحكمة فى حمل جسده مع ان العمل حينئذ كله لروحه ان يشاهده الملائكة ذاته ويفاض عليهم من بركاته ويصير مرآة للتجلى الالهى فى تنزلاته وانعكاس ظهور كمال صفاته (وقد مال بعض اصحاب الاشارات) وفى نسخة اهل الاشارات (الى نحو من هذا) اى مما ذكرناه من كونه نائم العين حاضر القلب لشهود ملكوت الرب (قال) اى بعض اصحاب الاشارات (تغمض عينيه) اى سدهما نوما او قصدا (لئلا يشغله) بفتح اوله وثالثه وكسر ثالثه وحرف ضم اوله وكسر ثالثه (شئ من المحسوسات عن الله عز وجل) وفيه ان من وصل الى حالة الجمعية وزال عنه مرتبة الفرقة لا يحجبه شهود الكثرة عن وجود الوحدة وبالعكس وفيه ايضا ان المقام مقام مشاهدة عجائب الملكوت لقوله تعالى لنريه من آياتنا اذ المتبادر منه رؤية العين والمحسوسات من الحواس وهى خمس السمع والبصر والشم والذوق واللمس وهى هيئة حالة فى جميع الجسد (ولا يصح هذا) اى تغمض العين (ان يكون فى وقت صلاته بالانبياء) لانه فى حال الصلاة مكروه عند عامة الفقهاء (ولعله كان له فى هذا الاسراء حالات) اى مراتب ومقامات فكان فى اوله نائما ووقت صلاته بهم قائما وفى شهود الآيات مطالعا وفى حال التجلى مستغرقا وفى حال الرجوع متحيرا والحاصل انه كان بين سكر وشكر وقبض وبسط وصحو ومحو وفناء وبقاء (ووجه رابع) اى شاهد انه كان يقظة ويأول مايكون فيه مخالفة (وهو ان يعبر بالنوم هنا عن هيئة النائم من الاضطجاع) ووقع للدلجى هنا زيادات وكذا فيما قبله مكررات ليست فى الاصول المعتمدة والنسخ المعتبرة (ويقويه) اى يؤيد التعبير بالنوم عن الاضطجاع (قوله) اى فى الحديث (فى رواية عبدى) الوصف لا بالاضافة (حميد) بالتصغير وهو حافظ كبير شهير وابن عبد الحميد وعبد لقب له (عن همام) بفتح الهاء وتشديد الميم امام حافظ روى عن الحسن وعطاء وخلق وعنه ابن مهدى وغيره قال احمد ثبت عند كل المشايخ اخرج له اصحاب الكتب الستة (بينا انا نائم وربما قال مضطجع وفى رواية هدبة) بضم الهاء وسكون الدال المهملة بعدها موحدة وهو ابن خالد القيسى الجهنى ابو خالد البصرى الحافظ المسند ويقال له هداب عن همام بن يحيى وحماد بن سلمة وجرير بن حازم وعنه البخارى ومسلم وابو داود والبغوى وابو يعلى قال ابن عدى لا اعرف له حديثا منكرا قال الحلبى وفى نسخة معاوية بدل هدبة وهو غير صحيح (عنه) اى عن همام (بينا انا نائم فى الحطيم) قال الدلجى اى بين الركن والباب وفيه ان هذا حد الملتزم نعم قد يطلق ويراد به مابين الركن الاعظم والمقام وزمزم لكن الاظهر انه يراد به الحجر لقوله (وربما قال فى الحجر مضطجع) وسمى حطيما لانحطام جداره فلم يسو ببناء البيت على ماذكره البغوى وسمى حجرا لانه حجر عن البيت اى من ادخاله فيه فوقوعهما واحد وهو المستدير بالبيت جانب الشمال وعن مالك الحطيم مابين المقام الى الباب وعن ابن جريج مابين الركن والمقام والله اعلم بالمرام (وقوله) اى وكذا يقويه قوله (فى الرواية الاخرى بين النائم واليقظان فيكون) اى النبى عليه السلام (سمى هيئته) اى الاضطجاع (بالنوم لما كانت) اى تلك الهيئة (هيئة النائم غالبا) وقيده اذ قد ينام وهو قاعد اومستلق ونحو ذلك (وذهب بعضهم الى ان هذه الزيادات من النوم) اى من ذكره (وذكر شق البطن ودنو الرب) اى قربه المنزه عن المكان (الواقعة) بالنصب صفة الزيادات او بدل منها اى التى وقعت (فى هذا الحديث) اى من احاديث الاسراء (انما هى من رواية شريك) وهو ابن عبد الله بن ابى نمر (عن انس رضى الله تعالى عنه فهى) اى

فهذه الزيادات المذكورة (منكرة) بفتح الكاف (من روايته) اى شاذة مخالفة لروايات سائر الثقاة (اذ شق البطن فى الاحاديث الصحيحة انما كان فى صغره عليه الصلاة والسلام) اى مرة عند مرضعته (وقبل النبوة) تأكيد لما قبله فان اول بعثة النبوة كان بعد اربعين سنة نعم ثبت شق صدره ايضا بجبل حراء عند نزول صدر سورة اقرأ ولا يبعد ان يشق صدره عند الاسراء ايضا كما صرح به السهيلى ان الشق وقع مرتين مرة فى صغره ومرة فى كبره عند رقيه الى العالم العلوى وكان الاول لازالة حظ الشيطان والاخر لملئ الحكمة والايمان لكن شريك منفرد بذلك فى هذا الحديث وان وافقه السهيلى فيما هنالك هذا وقد روى الطيالسى والحارث فى مسنديهما من حديث عائشة رضى الله تعالى عنها ان الشق وقع مرة اخرى عند مجيئ جبريل عليه السلام بالوحى فى غار حراء ومناسبته ظاهرة جدا وروى الشق وهو ابن عشر او نحوها فى قصته مع عبد المطلب اخرجه ابو نعيم فى الدلائل قال العسقلانى وروى مرة خامسة ولا يثبت لكن تعقبه بعض المتأخرين وقال رواه ابو نعيم من حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن آمنة قلت واذا ضم الى ذلك قصة شق الصدر فى المنام فتكون سادسة (ولانه) اى شريكا (قال فى الحديث قبل ان يبعث والاسراء بالاجماع كان بعد المبعث) وروى البعث (فهذا) اى ذكر كله (يوهن) من الايهان او التوهين اى يضعف (ما وقع فى رواية انس رضى الله تعالى عنه) اى من طريق شريك لكن قال العسقلانى فى باب المعراج من كتاب المبعث استنكر بعضهم وقوع شق الصدر ليلة الاسراء وقال انما وقع وهو صغير فى بنى سعد ولا انكار فى ذلك فقد تواردت الروايات به وثبت شق الصدر ايضا عند البعثة كما اخرجه ابو نعيم فى الدلائل ولكل منها حكمة فالاول وقع فيه من الزيادة كما عند مسلم فاخرج علقة فقال هذا حظ الشيطان منك وكان هذا فى زمن الطفولية فنشأ على اكمل الاحوال من العصمة من الشيطان ثم وقع شق الصدر عند المبعث زيادة فى اكرامه ليبلغ ما اوحى اليه بقلب قوى فى اكمل الاحوال من التطهير ثم وقع شق الصدر عند ارادة العروج الى السماء ليتأهب للمناجاة ويحتمل ان تكون الحكمة فى هذا الغسل المبالغة فى الاسباغ بحصول المرة الثالثة كما فى شرعه انتهى وقال ايضا فى كتاب التوحيد قد تقدم الرد على من انكر شق الصدر عند الاسراء وبينت انه ثبت فى غير رواية شريك فى الصحيحين من حديث ابى ذر وان شق الصدر ايضا وقع عند البعثة كما اخرجه ابو داود والطيالسى فى مسنده وابو نعيم والبيهقى فى دلائل النبوة انتهى وقال العراقى قد انكر وقوع الشق ليلة الاسراء ابن حزم وعياض وادعى انه تخليط من شريك وليس كذلك فقد ثبت من غير طريق شريك فى الصحيحين وقال القرطبى لا يلتفت لانكاره لانه رواية ثقاة مشاهير هذا ووقع شق الصدر الكريم ايضا فى حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه حين كان ابن عشر سنين وهى عند عبد الله بن احمد فى زوائد المسند ذكره العسقلانى وقال صاحب الآيات البينات فى حديث شق الصدر وهو ابن عشر سنين رواه ابن حبان والحاكم والضياء فى المختار وصححوه (مع ان انسا قد بين من غير طريق) اى من طرق كثيرة (انه) اى انسا (انما رواه) اى الحديث (عن غيره) كمالك بن صعصعة وابى ذر مرفوعا (وانه لم يسمعه من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى من غير واسطة (فقال) اى انس (مرة) اى فى رواياته (عن مالك بن صعصعة) وهذا لا يضر لان مراسيل الصحابة بالاتفاق مقبولة محجوج بها (وفى كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة على الشك) اى من الراوى عن انس (وقال مرة كان ابو ذر يحدث) ولا منع من الجمع بان انسا سمع الحديث منهما جميعا فتارة اضاف الى واحد واخرى الى اخر فتدبر ثم رأيت الحلبى ذكر انه قال الحاكم فى الاكليل حديث المعراج صح سنده بلا خلاف بين الائمة نقله العدل عن العدل ومدار الروايات فيه على انس رضى الله تعالى عنه وقد سمع بعضه من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وبعضه من ابى ذر وبعضه عن مالك يعنى ابن صعصعة وبعضه عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (واما قول عائشة) اى كما رواه ابن اسحق وابن جرير (ما فقد جسده) بصيغة المجهول وفى اصل الدلجى وهو رواية ما فقدت بصيغة المتكلم (فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة لانها لم تكن حينئذ) اى حين اذ وقع الاسراء (زوجه) بالاضافة وفى نسخة زوجة اى له صلى الله تعالى عليه وسلم (ولا فى سن من يضبط) بضم الموحدة وكسرها اى بل ولا كانت حينئذ فى سن من يحفظ الامور (ولعلها لم تكن ولدت بعد) بضم الدال اى تلك الساعة (على الخلاف فى الاسراء) اى بناء على الاختلاف الواقع للعلماء فى زمن الاسراء (متى كان فان الاسراء كان فى اول الاسلام على قول الزهرى ومن وافقه بعد المبعث) وروى البعث بدل المبعث (بعام ونصف) وهو مخالف لما نقله النووى فيما مر عنه من انه بعده بخمسة اعوام (وكانت عائشة فى الهجرة) اى زمنها (بنت نحو ثمانية اعوام) فكان الاسراء على هذا قبل ولادتها بنحو ثلاثة اعوام ونصف اذ قد مكث بمكة بعد البعثة ثلاثة عشر عاما (وقد قيل كان الاسراء لخمس) اى من السنين (قبل الهجرة وقيل قبلها بعام والاشبه) اى الاظهر (انه لخمس) اى قبل الهجرة وهو مخالف

لما حكاه النووي عنه ثم اختلف في الشهر الذي اسرى به صلى الله تعالى عليه وسلم فيه فقيل في ربيع الاول وجزم به النووي في الفتاوى وقيل في ربيع الآخر وبه جزم ايضا في شرح مسلم تبعا للقاضي المصنف وقيل في رجب وجزم به النووي ايضا في الروضة وقال الواقدي في رمضان وقال الماوردي في شوال والله تعالى اعلم بالحال هذا ومعظم السلف والخلف من المحدثين والفقهاء ان الاسراء كان بعد البعثة لستة عشر شهرا على ما نقله النووي عن الحربي قال السبكي الاجماع على انه كان بمكة والذي نختاره ما قاله شيخنا ابو محمد الدمياطي انه قبل الهجرة بسنة وهو في ربيع الاول قال ولا احتمال بما تضمنته التذكرة الحمدونية انه في رجب واحياء المصريين ليلة السابع والعشرين منه بدعة (والحجة لذلك) اي لابطال كونه مناما ذكره الدلجي والاظهر ان يكون مراده لما ذكره من الادلة والاقوال المختلفة في تاريخ وقت المعراج بخصوصه (تطول ليست من غرضنا) فضربنا صفحا عن اطالتها لئلا يقع احد في حد ملالتها (ماذا لم تشاهد ذلك عائشة) اي سواء ولدت قبله او بعده (دل على انها حدثت بذلك عن غيرها) اي بناء الكلام حكاية لقول من اخبرها باقيا على صورته الاول كقولك لمن قال هذه تمرتك دعني من تمرتك قال ذو الرمة سمعت الناس ينتجعون غيثا برفع الناس اي سمعت هذا القول وكأنها قالت سمعت من فلان او فلانة ما فقدت جسد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فلم يرجح خبرها على خبر غيرها) اي لروايتها له عن مجهول او لعدم ثبوته (وغيرها يقول خلافه مما وقع نصا في حديث ام هانئ وغيره) اي وفي غير حديث ام هانئ كحديث ابي ذر ومالك بن صعصعة (وايضا) مصدر آض بمعنى عاد ورجع والمعنى وقلت معاودا (فليس حديث عائشة رضي الله تعالى عنها) اي ما فقدت جسده (بالثابت) اي عند ائمة الحديث لقادح في سنده عنها اذ فيه ابن اسحق وقد تكلم فيه مالك وغيره (والاحاديث الاخر) بضم ففتح جمع آخر اي الواردة في الاسراء (اثبت) اي اكثر ثبوتا واصح رواية من حديثها (لسنا) وفي نسخة صحيحة ولسنا (نعني) اي لا نريد بقولنا والاحاديث الاخر اثبت (حديث ام هانئ) اي ما اسري برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو في بيتي (وما ذكرت فيه خديجة) بصيغة المفعول اي ولا نعني حديث عمر الذي ذكرت فيه خديجة لعدم ورودهما في الصحيح (وايضا فقد روي في حديث عائشة ما فقدت) اي جسده (ولم يدخل بها الا بالمدينة) جملة حالية مؤذنة بعدم صحة حديث ما فقدت عنها اذ الاسراء كان بمكة اجماعا (وكل هذا) اي وكل ذلك سابقا ولاحقا (يوهنه) اي بالوجهين اي يضعف حديث ما فقدت ويروى يوهنونه بفتح الواو وكسر الهاء مشددة وبالواو ضمير الجماعة ذكره الحجازي وفيه نظر (بل الذي يدل عليه صحيح قولها انه) بفتح الهمزة وكسرها اي ان اسراءه كان (بجسده لانكارها ان يكون رؤياه لربه) اي ليلة الاسراء (رؤيا عين ولو كانت عندها مناما لم تنكره) اي لم تنكر كون رؤيته لربه مناما (فان قيل فقد قال الله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى فقد جعل ما رآه للقلب) اي لا للبصر (وهذا) اي الجعل (يدل على انه رؤيا نوم ووحي) بالرفع عطف على رؤيا وقدمه الدلجي في قوله ووحي بالجر عطف على نوم اي رؤيا وحي فيه (لا مشاهدة عين وحس) اي لا على انه مشاهدة عين وحس بصري فهو عطف تفسيري وقال الانطاكي مشاهدة نصب اي لا رؤيا مشاهدة عين فحذف المضاف واعرب المضاف اليه باعرابه انتهى وبعده لا يخفى (قلنا) اي في الجواب عنه (يقابله) اي يعارضه (قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى) اي ما مال عما رآه وما تجاوزه (فقد اضاف الامر) في الرؤية (الى البصر وقد قال اهل التفسير في قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى اي لم يوهم القلب) بالرفع (العين) بالنصب وفي نسخة عكس ذلك (غير الحقيقة) اي غير حقيقة ما رآه (بل صدق رؤيتها) ويؤيده قراءة التشديد (وقيل ما انكر قلبه ما رأت عينه) اي فيكون ضمير رأى راجعا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم لا الى الفؤاد والله تعالى اعلم بالمراد وحاصله ما قيل انه لم يقل قلبه لما رآه لم اعرفك ولو قال لكذب اذ قد عرفه كما عرفه بصره اذ الامور القدسية يدركها القلب اولا ثم يوردها على البصر ثانيا بدليل حديث مسلم هل رأيت ربك قال رأيته بفؤادي كذا قرره الدلجي ولا يخلو عن خلجان في القلب لعله يظهر بعد ذلك بتوفيق الرب

﴿ فصل ﴾

(واما رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم لربه جل) اي عظم شانه (وعز) اي وغلب سلطانه (فاختلف السلف فيها) اي في رؤيته له سبحانه وتعالى بعين بصره (فانكرته عائشة رضي الله تعالى عنها) اي كونها او وقوعها او قول مسروق لها هل رأى محمد ربه وفي اصل الدلجي فانكرتها عائشة اي الرؤية المذكورة (حدثنا ابو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ) اي للحديث (بقراءتي عليه قال حدثني ابي) اي عبد الملك ووهم الحلبي في قوله ابوه هو القاضي سراج وكانه وقع في اصله ابو الحسين ابن سراج وهو مخالف للنسخ المعتمدة (وابو عبد الله بن عتاب) بفتح فتشديد (قالا) اي كلاهما

(ثنا القاضي يونس بن مغيث) بضم ميم فغين معجمة مكسورة فتحتية فمثلثة قال ابن ماكولا في اكماله وابو محمد ابن عبدالله بن محمد بن مغيث الاندلسي يعرف بابن الصفار مشهور بالعلم والادب جمع من اشعار الخلفاء من بني امية كتابا وابنه يونس بن عبدالله بن محمد بن مغيث ابو الوليد قاضي الجماعة بقرطبة سمع ابابكر محمد بن معاوية القرشي المعروف بابن الاحمر والعباس بن عمرو الصقلي وروى عنه ابو عمر ابن عبد البر النمري وابو محمد ابن حزم قاله الحميدي (ثنا ابو الفضل الصقلي) بكسر الصاد وسكون القاف نسبة الى صقلية جزيرة من جزائر بحر الغرب ذكره الحلبي وغيره وضبط في بعض النسخ بضم الصاد وضبطه ابن خلكان بفتحتين وتبعه الحجازي وزاد تشديد اللام وقال التلمساني بفتح الصاد والقاف وكسرهما واللام مخففة فيهما (ثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده) اى قاسم وثابت (قالا) اى كلاهما (ثنا عبدالله بن علي ثنا محمود بن آدم) هو مروزي يروى عن ابن عيينة وابي بكر ابن عياش وجماعة وعنه البخاري وابو بكر ابن ابي داود وطائفة توفي سنة ثمان وخمسين ومائتين (ثنا وكيع) تقدم ذكره (عن ابن ابي خالد) هو اسمعيل ابن سعيد البجلي الكوفي عن ابن ابي اوفى وابي جحيفة وقيس وخلق وعنه شعبة وغيره حافظ امام وكان طحانا تابعي ثقة احد الاعلام اخرج له الائمة الستة (عن عامر) وهو الصواب لا ما وقع في بعض النسخ عن مجاهد ذكره الشمني وزاد الحلبي فانه ليس له شئ من الكتب الستة عن مسروق وهو عامر بن شراحيل ابو عمرو الشعبي الهمداني قاضي الكوفة احد الاعلام ولد في خلافة عمر وروايته عن علي في البخاري وروى عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه والمغيرة وخلق قال ادركت خمسمائة من الصحابة وقال ما كتبت سوادا في بياض ولا حدثت بحديث الا حفظته مات سنة ثلاث ومائة اخرج له الائمة الستة وقال الدلجي قد روى المصنف هنا حديث مسلم بسند آخر شاهدا لانكار هاذلك يقظة وهو بفتح الشين وسكون العين واختلف في نسبته وقد يضرب به المثل في الحفظ فيقال احفظ من الشعبي وقال الزهري العلماء اربعة ابن المسيب بالمدينة والشعبي بالكوفة والحسن بالبصرة ومكحول بالشام وقال مكحول ما رأيت افقه من الشعبي في زمانه (عن مسروق انه قال لعائشة يا ام المؤمنين هل رأى محمد ربه) يعني ليلة الاسراء في حال اليقظة (فقالت لقد قف شعري) بفتح القاف وتشديد الفاء من القفقفة وهي الرعدة اى اقشعر وقام شعر جسدي من الفزع (مما قلت) اى طالبا مني تصديقي بثبوت رؤيته ربه اولا ثبوتها او لكوني سمعت ما لا ينبغي ان يقال (ثلاث من حدثك) كذا بكاف الخطاب ثبت بخط القاضي المصنف وعند العزفي بحذفها وكلاهما صحيح والمعنى من اعلمك اوروى واخبر (بهن فقد كذب) وفي نسخة كذبك اى افترى فرية بلا مرية فيهن وبيانها قولها (من حدثك ان محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت) اى للاستشهاد على دعوى المراد (لا تدركه الابصار الآية) اى وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير واجيب بان الآية دالة على انه لا تحيط به ولا بحقيقته حاسة بصر اذا تجلى بنور كماله وصفة كبرياء جلاله لحديث مسلم نور انى اراه اى حجابه نور فكيف اراه اذ كمال النور يمنع الادراك من غاية الظهور واما اذا تجلى بما يسعه نطاق القدرة البشرية من صفات جماله الصمدية فلا استبعاد لرؤية بدون احاطة فنفي الاية رؤيته على سبيل الاحاطة لا يوجب نفي رؤيته بدونها لا محالة (وذكر) مسروق (الحديث) اى الخ قال التلمساني الاولى هذه والثانية قولها رضي الله تعالى عنها من زعم انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتم شيئا من الوحي ثم قرأت يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الآية والثالثة من زعم انه صلى الله تعالى عليه وسلم يخبر بما يكون في غد فقد اعظم الفرية ثم قرأت ان الله عنده علم الساعة الآية انتهى وزاد الانطاكي ولكنه رأى جبريل مرتين وقال الغزالي في الاحياء والصحيح ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما رأى الله تعالى ليلة المعراج لكن النووي صحح الرؤية في الفتاوى ونقله عن المحققين والله سبحانه وتعالى اعلم قال الحلبي هذا الحديث الذي ساقه القاضي هنا هو في البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وهو في البخاري في التفسير عن يحيى عن وكيع بالسند الذي ساقه القاضي فهو بدل ولو رواه القاضي من طريق البخاري كان يقع له اعلى من هذا ويتعجب عدول القاضي عن اخراج هذا الحديث من احد هذه الكتب مع انه بين القاضي وبين شيخ الشيخ البخاري وكيع سبعة وهذا الذي ساقه بينه وبين وكيع ثمانية فالذي في الصحيح اعلى لينوع وليظهر كثرة الشيوخ والمسموعات والله سبحانه وتعالى اعلم بالنيات وقال جماعة اى من المحدثين والمتكلمين (بقول عائشة وهو المشهور) اى كما رواه الشيخان (عن ابي مسعود) اى انه رأى جبريل (ومثله) اى في كونه مشهورا ما رواه البخاري (عن ابي هريرة رضي الله تعالى) انه قال (انما رأى جبريل عليه السلام واختلف عنه) اى عن ابي هريرة اذ قد روى عنه انه قال رآه بعينه كابن مسعود وابي ذر والحسن وابن حنبل (وقال بانكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين) جوز ان يكون المشار اليه ما اشتهر من قول ابي هريرة انه رآه بعينه

وان يكون ما انكرته عائشة اي بانكار ما انكرته وما قالها ولذا اكده بالجملة الثانية دفعا لتوهم كون انكارهم انكارا لانكارها كما حققه الدلجي ونقل الحلبي انه حكى ابو عبدالله ابن امام الجوزية عن عثمان بن سعيد الدارمي الحافظ انه ذكر مسئلة الرؤية ما نقضه وهي مسئلة خلاف بين السلف والخلف وان كان جمهور الصحابة بل كلهم مع عائشة كما حكاه عثمان بن سعيد الدارمي اجماعا للصحابة (وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه رآه بعينه) وبه قال انس وعكرمة والربيع (وروى عطاء عنه) اي عن ابن عباس (بقلبه) اي انه رآه بعين بصيرته وعطاء هذا هو ابن ابي رباح بفتح الراء وبالموحدة ابو محمد المكي الفقيه احد الاعلام يروى عن عائشة وابي هريرة رضي الله تعالى عنهما وخلق وعنه ابو حنيفة والليث والاوزاعي وابن جريج وامم اخرج له الائمة الستة وقد اخرج هذا الحديث مسلم عن عطاء عن ابن عباس في صحيحه في باب الايمان عن ابي بكر ابن ابي شيبة عن حفص بن غياث عن عبد الملك بن ابي سليمان عن عطاء عنه (وعن ابي العالية عنه) اي عن ابن عباس (رآه بفؤاده مرتين) وابو العالية هذا هو رفيع ابن مهران الرياحي بكسر الراء والمثناة تحت وهذه الرواية اخرجها مسلم في الايمان (وذكر ابن اسحق) اي محمد ابن اسحق بن يسار الامام في المغازي عن عبدالله بن ابي سلمة (ان ابن عمر ارسل الى ابن عباس يسئله هل رأى محمد ربه) اي بعين بصره اذ لا خلاف في رؤيته ببصيرته (فقال نعم) والحاصل انه اختلفت الرواية عن ابن عباس في مسئلة الرؤية (والاشهر عنه) اي عن ابن عباس (انه رأى ربه بعينه روى ذلك) اي القول الاشهر (عنه من طرق) اي باسانيد متعددة اقتضت الشهرة (وقال) اي في بعض طرقه وهو ما رواه الحاكم والنسائي والطبراني ان ابن عباس قال تقوية لقوله انه رأى ربه بعينه (ان الله اختص موسى بالكلام) اي من بين سائر الانبياء عليهم السلام فلا ينافي انه صلى الله تعالى عليه وسلم وقع ايصاله الكلام على وفق المرام وكذا قوله (وابراهيم بالخلة) بضم الخاء فانه صلى الله تعالى عليه وسلم جمع له بين كونه خليلا وحبيبا (ومحمدا بالرؤية) اي البصرية هذا ولا منافاة بين قول ابن عباس رآه بعينه وبين قوله رآه بفؤاده لامكان الجمع بينهما بثبوت الرؤية للبصر والبصيرة كما يشير اليه قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى اي ما كذب فؤاده مرئيه بل صدقه وطابقه ووافقه (وحجته) اي دليل ابن عباس اي على انه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه (قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى) اي بعينه اذ لا يقال ما كذب الفؤاد ما رأى بقلبه فالمعنى ما اعتقد قلب محمد خلاف ما رأى ببصره وهي مشاهدة ربه تعالى بفؤاده بجعل بصره فيه او ببصره بجعل فؤاده فيه لان مذهب اهل السنة ان الرؤية بالارادة لا بالقدرة هذا والراجح كما قال النووي عند اكثر العلماء انه رآه بعيني رأسه ليلة الاسراء واثبات هذا ليس الا بالسماع منه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مما لا شك فيه وانكار عائشة وقوعها لم يكن لحديث روته ولو كان لحديث ذكرته بل احتجت بقوله تعالى لا تدركه الابصار قلنا المراد بالادراك الاحاطة اذ ذاته تعالى لا تحاط ولا يلزم من نفيها نفي الرؤية بدونها وبقوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا قلنا لا تلازم بين الرؤية والكلام لجواز وجودها بدونه كذا قرره الدلجي فيما نقله عن النووي وفيه انه لا يعرف حديث مسموع مرفوع بل كل من عائشة وابن عباس مستدل باية من الكتاب والله تعالى اعلم بالصواب (افتمارونه على ما يرى) اي افتشكونه او افتجادلونه بالاستفهام الانكاري وانما وقع الجدل والشك في رؤية البصر اذ لا يشك احد في رؤية البصيرة ولعل الاستدلال بهذه الآية بناء على ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب والا فالظاهر ان الشك انما وقع من الكفار في نفس الاسراء او ما رأى في عالم السماء (ولقد رآه نزلة اخرى) وهي فعلة من النزول اقيمت مقام المرة ونصبت نصبها قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كانت له في تلك الليلة مرجات لحط عدد الصلوات ولكل مرجة نزلة ذكره الدلجي وفي الاحتجاج بهذه الآية نظر ظاهر اذ جمهور المفسرين على ان ضمير المفعول راجع الى جبريل عليه السلام لا سيما ومع الاحتمال يضعف الاستدلال (قال الماوردي) سبق ذكره (قيل ان الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد فرآه محمد مرتين) اي حيث كان قاب قوسين او ادنى وعند سدرة المنتهى (وكلمه موسى مرتين) اي مرة وقت ارساله الى فرعون ومرة بعد هلاكه ورجوعه الى الطور وفيه ان قائل هذا مجهول فالاستدلال به غير معقول (وحكى ابو الفتح الرازي) الله اعلم به كذا ذكره الدلجي وقال التلمساني هو سليمان بن ايوب مات غرقا سنة سبع واربعين واربعمائة (وابو الليث السمرقندي) تقدم ذكره (الحكاية) اي التي ذكرها الماوردي (عن كعب) وفيه ان كعب الاحبار هو من اهل الكتاب والتواريخ فلا يكون قوله حجة في هذه المسئلة (وروى عبدالله بن الحارث) هو زوج اخت محمد بن سيرين روى عن جماعة من الصحابة وروى هذا الحديث مرسلا كذا ذكره الشمني تبعا للحلبي وفي كون هذا الحديث مرسلا نظر ظاهر في المقول ولا يخفى على من له الالمام بعلم الاصول وقال الانطاكي هو ابو الوليد عبد الله بن حارث البصري

روى عن عائشة وابى هريرة وزيد بن ارقم وابن عباس وابن عمر وغيرهم وعنه ابنه يوسف والمنهال بن عمرو وعاصم الاحول وخالد الحذاء وجماعة وثقه ابو زرعة والنسائى واخرج له الائمة الستة (قال) اى عبد الله بن الحارث (اجتمع ابن عباس وكعب فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا قد رأى ربه عزوجل مرتين فكبر كعب حتى جاوبته الجبال وقال) اى كعب او ابن عباس (ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلمه موسى ورآه محمد بقلبه) اى وبعينه ايضا قاله الدلجى اقول الظاهر ان هذا قول كعب وانه مخالف لقول ابن عباس وتكبيره كان لتعظيم الامر وتفخيم القدر واما ماقاله ابو الفتح اليعمرى فى سيرته فى الاسراء مالفظه وروينا من طريق الترمذى حدثنا ابن ابى عمر ثنا سفيان عن مجالد عن الشعبى قال لقى ابن عباس كعبا بعرفة فسأله عن شئ فكبر حتى جاوبته الجبال فقال ابن عباس انابنو هاشم نقول ان محمدا رأى ربه فقال كعب ان الله تعالى قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين فقال الحلبى لم ار هذا الحديث فى اطراف المزى فان كان فى الجامع فلعله سقط من نسختى وان كان من طريقه فى غير الجامع فلم اقف عليه قلت وعلى تقدير ثبوته فلعله عنه روايتان (وروى شريك عن ابى ذر فى تفسير الاية) اى قوله تعالى ما كذب الفؤاد مارأى (قال رأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ربه) فيه انه مبهم يحتمل احتمالين واغرب الدلجى هنا حيث قال اى بقلبه بشهادة اول الاية وهو مناقض لماسبق عنه من تقرير الرواية بالبصر فتدبر (وحكى السمرقندى) اى كرواية ابن ابى حاتم (عن محمد بن كعب) اى القرظى كما فى نسخة صحيحة وهو تابعى جليل (وربيع بن انس) هو ايضا تابعى مشهور (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سئل هل رأيت ربك قال رأيته بفؤادى ولم اره بعينى) وهذا الحديث صريح فى طرفى الاثبات والنفى ولايضر كون الحديث مرسلا لانه حجة عند الجمهور لاسيما وقد اعتضد بما رواه ابن جرير عن محمد بن كعب عن بعض اصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مرفوعا واماقول الدلجى لعله فى المرة الاولى اذ قد روى ابن عباس انه رآه مرتين فلا يقاوم الحديث من وجوه يعلمها اهله (وروى مالك بن يخامر) بضم تحتية فخاء معجمة مخففة فالف فميم مكسورة فراء لاينصرف للعلمية ووزن الفعل يقال له صحبة والاصح انه تابعى روى عن جماعة من الصحابة منهم عبد الرحمن بن عوف وروى عنه معاوية بن ابى سفيان وجماعة من التابعين وفى نسخة وروى عن مالك ابن يخامر (عن معاذ عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال رأيت ربى) فيه احتمالان ان كان فى الاسراء لكن قال المزى حديث مالك بن يخامر عن معاذ مبين فى بعض الروايات انه فى النوم (وذكر كلمة) اى جملة من الكلام وقال الانطاكى من دأب السلف اذا وقع فى الحديث لفظ يستعظمون التصريح به ان يعبروا عنه بقولهم وذكر كلمة اى كلمة عظيمة (فقال يامحمد فيم يختصم الملأ الاعلى الحديث) وهذا حديث جليل ولفظه طويل ونفعه جزيل فلابد من ايراده ليقع الوقوف على مراده فقد رواه احمد وغيره عن معاذ قال صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صلاة الغدوة ثم اقبل علينا فقال انى ساحدثكم انى قمت من الليل فصليت ماقدر لى فنعست وفى رواية فوضعت جنبى فاذا انا بربى فى احسن صورة وهو حال منه صلى الله تعالى عليه وسلم اومن ربه ولااشكال فيه كما قال البيضاوى اذ قد يرى النائم غير المتشكل متشكلا وعكسه ولابعد ذلك خللا فى الرؤيا ولا فى خلد النائم فقال يامحمد فيم يختصم الملأ الاعلى وفى رواية المصابيح فيم يختصم الملأ الاعلى يامحمد قلت انت اعلم اى رب مرتين قال فوضع كفه وفى رواية يده بين كتفى فوجدت بردها بين ثديى وفى رواية فوجدت بردانامله بين ثديى فعلمت مافى السماء والارض وفى الرواية الثانية فتجلى لى كل شئ وعرفت مافى السماء والارض ثم تلا هذه الاية وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين ثم قال فيم يختصم الملأ الاعلى يامحمد قلت فى الكفارات قال وما هن قلت المشى على الاقدام الى الطاعات والجلوس فى المساجد بعد الصلوات وفى رواية خلف الصلاة وابلاغ الوضوء اماكنه على المكاره وفى رواية فى المكاره من يفعل ذلك يعش بخير ويمت بخير ويكن من خطيئته كيوم ولدته امه ومن الدرجات اطعام الطعام وبذل السلام وان يقوم بالليل والناس نيام ثم قال قل اللهم انى اسئلك الطيبات وترك المنكرات وفعل الخيرات وحب المساكين وان تغفرلى وترحمنى وتتوب على واذا اردت فتنة فى قوم فتوفنى غير مفتون قال الانطاكى واعلم ان من العلماء من امتنع من الكلام فى تأويل قوله عليه الصلاة والسلام فى احسن صورة منهم احمد بن حنبل روى انه هجرا باذور فى تأويله قوله عليه الصلاة والسلام ان الله خلق آدم على صورته ومنهم من تكلم فيه فقيل قوله فى احسن صورة يحتمل ان يكون حالا من الرائى وهو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومعناه رأيته وانا فى احسن صورة وصفة من غاية انعامه ولطفه تعالى على و يحتمل ان يكون حالا من المرئى وهو الرب جل جلاله وصورته تعالى ذاته المخصوصة المنزهة عن المماثلة وقال الخطابى الصورة ترد فى كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشئ

وعلى معنى صفته بقال صورة هذا الامر كذا وكذا اى صفته وقال وهو المراد هنا وقال فى جامع الاصول الرؤية انا فى احسن صفته ثم المراد بالاختصام تقاوضهم فى فضل تلك الاعمال واى بقع الهمزة بمعنى يا وقوله من بين متعلق بقوله فقال فيم يختصم الخ اى جرى السؤال من ربى والجواب منى مرتين وقوله فوضع كفه بين كتفى كناية عن تخصيصه تعالى اياه بمزيد الفضل وايصال الفيض اليه والا فلا كف ولا وضع حقيقة كما ان من عادة الملوك اذا اراد احدهم ان يقرب بعض خدمه من نفسه ويذكر معه احوال مملكته ان يضع يده على ظهره ويلقى ساعده على عنقه تلطفا به وتعظيما لشأنه واليد الراحة والضمير فى بردها يعود الى الكف وارادة قوله بين ثدى قلبه وهو كناية عن وصول ذلك الفيض الى قلبه الشريف وهذا كله يحتاج اليه اذا صح الحديث فى القضية والله اعلم (وحكى عبد الرزاق) وهو ابن همام بن رافع الحافظ الكبير الصنعانى احد الاعلام صاحب التصانيف روى عن عبيد الله ابن عمر وعن الاوزاعى والثورى ومعمر وخلائق وعنه احمد واسحق وابن معين وجماعة وقد وثقه غير واحد واخرج له الائمة الستة ونقموا عليه التشيع وهو غير ثابت فقد نقل كان يحب عليا رضى الله تعالى عنه ويبغض من قاتله وقد قال سلمة بن شبيب سمعت عبد الرزاق يقول والله ما انشرح صدرى قط ان افضل عليا على ابى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهم (ان الحسن) اى البصرى (كان يحلف بالله لقد رأى محمد ربه) فيه احتمالان (وحكاه) اى نقل مثله (ابو عمر الطلمنكى) بفتح الطاء المهملة واللام والميم فنون ساكنة فكاف مكسورة وهو الامام الحافظ المقرئ ابو عمر بضم العين روى عنه ابن عبد البر وابن حزم وغيرهما وكان رأسا فى علم القراآت ذا عناية تامة بالحديث اماما فى السنة توفى فى ذى الحجة سنة تسع وعشرين واربعمائة (عن عكرمة) تقدم ذكره (وحكى بعض المتكلمين) قال الحلبى لا اعرفه (هذا المذهب عن ابن مسعود وحكى ابن اسحق) اى صاحب المغازى (ان مروان سأل ابا هريرة هل رأى محمد ربه قال نعم) ومروان هذا ابن عبد الحكم ابن ابى العاص ابن امية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الاموى ولد سنة اثنتين ولم يصح له سماع ولا رؤية روى عن عثمان وعلى وزيد بن ثابت وروى عنه عروة ومجاهد وعلى بن الحسين دولته تسعة اشهر وايام وقتله ابنه عبد الملك بعده اخرج لمروان الستة غير مسلم الا ان البخارى روى حديث الحديبية عنه مقرونا بالمسور بن مخرمة (وحكى النقاش عن احمد بن حنبل انه قال انا اقول بحديث ابن عباس بعينه رآه رآه) اى كرره (حتى انقطع نفسه) بفتح الفاء (يعنى نفس احمد) اى ابن حنبل كما فى نسخة صحيحة وهذا التفسير من المصنف او غيره قال بعض الحنابلة من العلماء كلاما معناه ان احمد لم يقل انه رآه ليلة الاسراء وانما رآه فى النوم يعنى الحديث الذى فيه رأيت ربى فى احسن صورة الحديث يعنى رؤيا الانبياء وحى (وقال ابو عمر) الظاهر انه اراد به ابن عبد البر فانه الفرد الاكمل الاشهر خلافا للحلبى ومن تبعه حيث قال الظاهر انه ابو عمر المتقدم يعنى الطلمنكى (قال احمد بن حنبل رآه بقلبه وجبن) بفتح الجيم وضم الموحدة وقيل تفتح اى خاف احمد وتأخر (عن القول برؤيته بالابصار) اى الحسية (فى الدنيا وقال سعيد بن جبير لا اقول) اى انه (رآه ولا لم يره) وهذا يدل على غاية الاحتياط منه وعلى تعارض الادلة عنده (وقد اختلف فى تأويل الآية) اى آية ما كذب الفؤاد ما رأى او قوله تعالى ولقد رآه نزلة اخرى (عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود رضى الله تعالى عنهم فحكى) بصيغة المجهول (عن ابن عباس وعكرمة رآه بقلبه وعن الحسن وابن مسعود رأى جبريل وحكى عبد الله بن احمد بن حنبل) هو الامام الحافظ الثبت محدث العراق روى عن ابيه وخلائق وعنه النسائى وغيره (عن ابيه انه قال رآه) وقد سبق الكلام عليه من جهة مبناه ومعناه (وعن ابن عطاء فى قوله الم نشرح لك صدرك قال شرح صدره للرؤية وشرح صدر موسى للكلام) اى اجابة لدعائه عليه الصلاة والسلام رب اشرح لى صدرى ومابينهما بون بين اذ الاول مراد ومطلوب لا محبوب والثانى مريد وطالب للمرغوب (وقال ابو الحسن على بن اسمعيل الاشعرى رضى الله تعالى عنه) كذا فى النسخ والاولى ان يقال رحمه الله لانه ليس من الصحابة (وجماعة من اصحابه انه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (رأى الله تعالى ببصره وعينى رأسه) قال الحلبى هذا هو الشيخ القدوة امام المتكلمين على بن اسمعيل بن ابى بشر ابن سالم بن عبد الله ابن موسى بن بلال بن ابى بردة بن ابى موسى عبد الله بن قيس ابو الحسن الاشعرى كان اولا معتزليا ثم ترك ذلك برؤيا رآها فى نومه للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكان لايتكلم فى علم الكلام الا ان يجب عليه قياما فى الحق وكان حسبا عطيا لا باطل ولا يبارى قال القاضى ابو بكر الباقلانى افضل احوالى ان افهم كلام ابى الحسن ولد سنة اثنتين ومائتين ومات قبل الثلاثين والثلاثمائة على الاصح قال الشيخ ابو محمد الجوينى والد امام الحرمين كان شافعيا تفقه على الشيخ ابى اسحق المروزى وقال اللمسانى وابو الحسن هذا مالكى المذهب (وقال) اى الاشعرى (كل آية) اى معجزة (اوتيها نبى من الانبياء عليهم السلام فقد اوتى مثلها) اى حقيقة وغيرها صورة (نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم

وخص من بينهم بتفضيل الرؤية) اى بزيادة حصول الرؤية واللقاء ووصول الدرجة العليا فى ليلة الاسراء (ووقف) اى توقف (بعض مشايخنا) جمع مشيخة وهو القياس اوشيخ على غير قياس (فى هذا) اى فى ذلك كما فى نسخة (وقال ليس عليه دليل واضح) اى على ثبوت وقوعه (ولكنه جائز ان يكون) اى وجاز ان لايكون وهذا يحتمل ان يكون من كلام القاضى وان يكون من كلام الاشعرى (قال القاضى ابو الفضل رحمه الله) اى المصنف (والحق الذى لاامتراء) افتعال من المرية اى لاشك (فيه ان رؤيته تعالى فى الدنيا جائزة عقلا وليس فى العقل مايحيلها) اى شئ من توهم واحتمال يحكم باستحالتها الجزم بجواز وقوعها فيها (والدليل على جوازها فى الدنيا سؤال موسى لها) اى حيث قال رب ارنى انظر اليك مع اعتقاده انه تعالى يجوز ان يرى فيها فسألها (ومحال) بضم الميم اى ومن المحال (ان يجهل نبى مايجوز على الله ومالا يجوز عليه بل لم يسأل الا جائزا غير محال) اى غير مستحيل كما فى نسخة لاستحالة سؤال الانبياء مايكون من المحال (ولكن وقوعه ومشاهدته) اى لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم خاصة من الغيب الذى لايعلمه الا من علمه الله تعالى) بتشديد اللام اى اطلعه اياه (فقال له الله تعالى) اى لموسى اى غير نااف للجواز (لن ترانى) اى دون لن ارى المؤذن بنفيه اى المشعر بنفى جوازه بل فيه مايدل على نفى وقوعه فقط حيث قال لن ترانى (اى لن تطيق) اى تحمل تجلياتى (ولن تحتمل رؤيتى) اى فى الدنيا لانها دار الفناء واللقاء انما يكون فى دار البقاء وحال الاسراء يعد من امر الآخرة بدليل الكشو فات الذاخرة والمقامات الفاخرة المقتضية لخرق العادة فى قوة بنية نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فى تلك الحالة (ثم ضرب) اى بين (له مثالا) وفى نسخة مثلا (مماهوا قوى من بنية موسى) بكسر موحدة وسكون نون فتحتية اى من تركيب بناء جسده واعضاء جسمه (واثبت) تفسير لاقوى (وهو الجبل) اى بحسب الهيكل الصورى حيث قال ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى (وكل هذا ليس فيه مايحيل رؤيته فى الدنيا) اى يقتضى ردها او روى وقوعها محالا (بل فيه جوازها على الجملة) اى دليل جواز وقوعها فى الجملة حيث علق وقوع رؤيته على استقرار الجبل فى مكانه بعد تجلى رؤيته والتعليق بالممكن يفيد الامكان اذ معنى التعليق هو ان يقع على تقدير ووقوع المعلق عليه والمحال لايقع على تقدير اصلا (وليس فى الشرع) اى فى الكتاب والسنة (دليل قاطع على استحالتها) اى استحالة جوازها (ولا امتناعها) اى ولادليل على امتناع وجودها (اذ كل موجود) اى لانه سبحانه وتعالى موجود بل واجب الوجود وكل موجود جائز الرؤية (فرؤيته جائزة غير مستحيلة) كما قال الاشعرى (ولاحجة لمن استدل على منعها) اى امتناع جوازها (بقوله تعالى لاتدركه الابصار لاختلاف التأويلات فى الاية) اى ومع الاحتمالات لايصلح ان تكون حجة اذ قد قيل المراد بالادراك الاحاطة ولايلزم منه نفى مطلق الرؤية وقيل ليس عاما فى الاوقات فيخص ببعضها ضرورة الجمع بين الادلة ولا فى الاشخاص اذ هو فى قوة قولك لاكل بصر يدركه فيخص ببعضهم لقوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وقد اغرب عز الدين بن عبد السلام فى قوله لاتراه الملائكة (واذ ليس) عطف على الاختلاف وقيل على قوله كل موجود ولايخفى بعده اى ولانه (لايقتضى قول من قال فى الدنيا) اى بمنعها فى الدنيا (لاستحالة) اى الرؤية لانه ليس نصا فى المنع بل اخذ بتأويل واحتمال لايقتضى الاستحالة (وقد استدل بعضهم بهذه الاية) اى آية لاتدركه الابصار (نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة) اذ مفهوم نفى الاحاطة جواز الرؤية (وقد قيل) اى فى تأويل الاية (لاتدركه ابصار الكفار) على ان اللام للعهد بقرينة قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون (وقيل لاتدركه الابصار لاتحيط به) اى كما مر مرارا (وهو قول ابن عباس وقد قيل) اى فى التأويل (لاتدركه الابصار) اى انفسها (وانما يدركه المبصرون) اى بسببها وبقوة الهيئة فيها وهو بضم الميم واسكان الباء وكسر الصاد قال تعالى فمن ابصر فلنفسه والمعنى ان الادراك انما يكون للمبصر بواسطة البصر لاللبصر نفسه (وكل هذه التأويلات لاتقتضى منع الرؤية ولا استحالتها) اى بل تقتضى جوازها (وكذلك لاحجة لهم) اى على منعها (بقوله لن ترانى الاية وقوله تبت اليك لماقدمناه) اى للتأويل الذى قدمناه وهو قوله اى لن تطيق مما يؤذن بجوازها كسؤال موسى اياها (ولانها) اى آية لن ترانى (ليست على العموم) وفى نسخة من العموم اى فى نفيها لجميع افراد الانسان فى جميع الازمان لجواز ان يراه غير موسى ممن يخلق الله فيها استعدادها في رؤية آياتها كليلة الاسراء فان لن لنفى المستقبل فقط ولاتفيد توكيد النفى فى الاستقبال ولاتأبيده على ماعليه اهل السنة خلافا للزمخشرى واهل الاعتزال حيث يدعون انها تفيد التوكيد والتأبيد ورد بقوله تعالى ولن يتمنوه ابدا وبقوله فلن اكلم اليوم انسيا اذ يلزم تكرار الابد وعدم فائدة التقييد باليوم (ولان من قال معناها لن ترانى فى الدنيا انما هو تأويل) اى عما لايقتضى استحالة ولا منعا فيها مطلقا لجواز اختصاص المنفى بموسى دون غيره على انه قد يقال ان حالة الاسراء ممالايعد من احوال الدنيا بل

انما هو من مقامات العقبى او حالة اخرى كالبرزخ (وايضا ليس) وفى نسخة فليس (فيه) اى فى قوله تعالى لن ترانى (نص الامتناع) اى من الرؤية مطلقا (وانما فيه) اى آية لن ترانى مفتخذيا امتناعها (فى حق موسى) اى خصوصا ولا يلزم من منع الخصوص منع العموم مع انه قابل للتقييد بذلك المكان والزمان (وحيث تطرق التأويلات) بحذف احدى التائين اى تردد وتتابع وتزاحم ويؤيده انه فى نسخة تطرق وتقويه قوله (وتسلط الاحتمالات) عطف تفسير (فليس للقطع) اى لقاطع المنع (اليه) اى الى امتناع الرؤية (سبيل) اى طريق ودليل (وقوله تبت اليك) اى مأولى بقولهم (اى من سؤال) اى من الاقدام على دعائى (مالم تقدره لى) روى بضم التاء وفتحها وفتح القاف بلا بلا لام الامر مع التاء وتشديد الدال فيكون المعنى مالم تقدره لى فى الازل وكتبته على فى سابق علمك واما سكونها فمعناه مالم تجعله فى قدرتى ووسعى كذا ذكره التلمسانى (وقال ابو بكر الهذلى) بضم هاء وفتح ذال معجمة (فى قوله لن ترانى اى ليس لبشر ان يطيق ان ينظر الى فى الدنيا) اى والاسراء ليس من الدنيا بل من الاخرى (وانه) اى الشأن (من نظر الى) اى فى الدنيا (مات) اى فى الحال بدليل صعق موسى حين رأى الجبل قال المرى ويؤيده ما فى مسلم من حديث الدجال فاعلموا انه اعور وان الله سبحانه وتعالى ليس باعور وان احدا منكم لن يرى ربه حتى يموت (وقد رأيت لبعض السلف والمتأخرين ما معناه ان رؤيته تعالى فى الدنيا ممتنعة) اى لا من حيث ذاتها لثبوت جوازها فيها كما مر الكلام عليها وانما امتنعت فيها (لضعف تراكيب اهل الدنيا) اى بنيتهم (وقواهم) بضم القاف وتخفيف الواو اى حواسهم (وكونها متغيرة عرضا) بفتحتين وضبطه بعضهم بفتح الغين المعجمة والراء والضاد المعجمة اى هدفا للاسباب فى ض والآفات سهام وفى نسخة صحيحة وكونها معرضة بتشديد الراء المفتوحة اى هدفا (للآفات) من نوائب مقلقة ونوائب للاكدار مقلقة تقتضى نقصانها (والفناء) اى ما يوجب زوالها (فلم تكن لهم قوة على الرؤية) اى فى الدنيا (فاذا كان) اى الشأن (فى الآخرة وركبوا تركيبا آخر) اى اقوى وابقى من الاول (ورزقوا قوى) بضم وتخفيف واو منونا جمع قوة اى اعطوا حواس وفى نسخة قوة (ثابتة) من الثبوت وفى نسخة ثانية بالنون والباء (باقية) اى تامة وافية (واتم) بصيغة الفاعل او المفعول اى اكمل (الله انوار ابصارهم) الظاهرة (وقلوبهم) اى وبصائرهم الباطنة (قووا بها) بفتح قاف وضم واو واصله قويوا فأعل بالنقل والحذف وهو جواب الشرط اى صاروا ذوى قوة فى الآخرة (على الرؤية) وهذا امر ظاهر وقول باهر لا غبار عليه ولا شقاق لديه اذ لا مرية ان الله تعالى يخلقهم فى العقبى على خلق اكمل منهم فى الدنيا من جهة جميع القوى كما جاءت الاخبار فيه فى الاكل والشرب والجماع وغير ذلك فلا ينكر زيادة قوة السامعة والباصرة ونحوهما هنالك لاسيما وقد نفى الشرع اثبات الرؤية التامة فى الدنيا واثبتها للخاصة فى العقبى فلابد من الجمع بين الادلة كما هو دأب الائمة وهو لا ينافى استواء القدرة الكاملة فى حال الزاهد والمستقلة الشاملة فاندفع قول الدلجى وهذا منهم دعوى بلا بينة اذ القادر على خلق ذلك لهم فى الآخرة قادر على خلقه لهم فى الدنيا فلا وجه لتخصيص ذلك بالآخرة ولا دليل عليه اذ الرؤية بمجرد خلقه غير مشروطة بشئ (وقد رأيت نحو هذا) اى مثل هذا القول المنقول عن بعض السلف بعينه (لمالك بن انس) وهو امام المذهب (رحمه الله قال لم ير) بصيغة المجهول اى ما يرى الله سبحانه وتعالى (فى الدنيا لانه) اى الله تعالى (باق ولا يرى الباقى بالفانى) اى بالحس الفانى او بالمكان الفانى (فاذا كان) اى امر الرؤية (فى الآخرة ورزقوا ابصارا باقية) اى وابصارا قوية (رؤى الباقى بالباقى) وضبط الانطاكى رئى بكسر الراء وسكون الياء ثم همزة على بناء المجهول (وهذا) اى الذى قاله مالك او ما سبق هنالك (كلام حسن مليح) اى ومرام مستحسن صريح ولا عبرة بمنع الدلجى هذه الدلالة (وليس هو) اى امتناعه وفى نسخة صحيحة وليس فيه اى فى امتناعه فى الدنيا (دليل على الاستحالة) اى على كونه محالا فى العقبى او مطلقا او فى ذاته بل ليس امتناعه واستحالته (الا من حيث ضعف القدرة) اى قدرة العبد وضعف بنيته ومثله حالته وقوته (فاذا قوى الله تعالى من شاء من عباده) اى على ما شاء من مراده (واقدره) وفى اصل الدلجى وقدره بتشديد الدال اى وجعله قادرا (على حمل اعباء الرؤية) بفتح الهمزة وسكون العين فوحدة بعدها الف ممدودة جمع عبء بالكسر وهو الحمل الثقيل ومنه العباء اى تحمل اثقالها تحت تجلى جمالها وجلالها (لم تمتنع) اى الرؤية (فى حقه) اى فى اى وقت كان وفى اى شخص بان روى ابن عطاء ان الله سبحانه وتعالى اوحى الى ايوب عليه السلام انك لتنظر الى غدا فقال يارب أبهاتين العينين فقال اجعل لك عينين بقل لهما فى البقاء فتنظر الى الباقى بالبقاء وحكى انه دخل على ابن الماجشون رجل ينكر حديث القيامة وان الله يأتيهم فى صورته فقال له يا بنى ما تنكر هذا قال ان الله تعالى اعظم من ان يرى فى هذه الصفة فقال يا احمق ان الله تعالى ليس تتغير عظمته ولكن عيناك حتى تراه كيف شاء فقال الرجل اتوب اليه ورجع عما كان عليه (وقد تقدم ما ذكر فى قوة بصر موسى وتحبد

عليهما الصلاة والسلام ونفوذا دراكهما) بالذال المعجمة اى مضيه وبلوغه (بقوة الهية معطاها) بصيغة المجهول اى اعطيا ها (لادراك ماادركاه ورؤية مارأياه) فى الجملة اذرؤية موسى كانت مترتبة على النظر حين تجلى الرب على الجبل بخلاف رؤية نبينا الاكمل (والله تعالى اعلم) اى بحقيقة الحال وحقيقة المآل (وقد ذكر القاضى ابو بكر) يعنى الباقلانى لان القاضى ابابكر بن العربى معاصر للمصنف اذمولده سنة ثمان وستين واربعمائة ومماته سنة ثلاث واربعين وخمسمائة ومولد المصنف سنة ست وسبعين واربعمائة ومماته سنة اربع واربعين وخمسمائة ذكره الشمنى ونسبه بالنون على غير قياس اذ القياس ان يقال بالهمز بدله (فى اثناء اجوبته على الايتين) الدالتين على نفى الرؤية وهما لاتدركه الابصار ولن ترانى (مامعناه) اى الذى مؤداه لالفظه ومبناه (ان موسى عليه الصلاة والسلام راى الله تعالى) اى بواسطة تجلى ربه للجبل (فلذلك خر) بتشديد الراء (صعقا) فكسر وروى بفتحتين اى سقط مغشيا عليه والا فالصعق بمجرد رؤية الجبل دكا بعيد فى النظر السديد (وان الجبل رأى ربه فصار دكا) اى مدكوكا مدقوقا (بادراك) متعلق برأى (خلقه الله تعالى له) اى فى الجبل كما قاله الماتريدى عن الاشعرى وقال الامام الرازى فى المعالم خلق الله تعالى فى الجبل حياة وعقلا وفهما وخلق فيه الرؤية فرأى بها (واستنبط) اى القاضى ابو بكر (ذلك) اى رؤيتهما ربهما (والله تعالى اعلم من قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه) اى وبقى على حاله وشانه عند تجلى ربه (فسوف ترانى ثم قال فلما تجلى ربه للجبل) اى بلا كيف (جعله دكا وخر موسى صعقا وتجليه للجبل وهو ظهوره له) اى ظهورا تاما بلا كيف (حتى رآه) اى بناء (على هذا القول) اى الذى عزاه للقاضى ابو بكر (وقال جعفر) اى الصادق (ابن محمد) اى الباقر فى حكمة الواسطة فى الرؤية (شغله) اى سبحانه وتعالى اى موسى (بالجبل حتى تجلى) الاظهر حين تجلى (ولولا ذلك) اى الشغل بالجبل (لمات) اى موسى (صعقا بلاافاقة) اى بعده مطلقا قال المصنف (وقوله هذا) اى قول جعفر (يدل على ان موسى رآه) اى رؤية بواسطة من وراء حجاب فلا ينافى قوله تعالى لن ترانى بلاواسطة وهذا جمع سديد وقد ابعد الدلجى بقوله هنا وهذا بعيد (وقد وقع لبعض المفسرين) اى حيث قال (فى الجبل) اى فى حقه (انه رآه) اى رأى تجلى ربه بادراك وعلم حقه فى خلقته فاندك اذالادراك بمجرد التجلى بلاادراك بعيد كيف وقد نقل الماتريدى عن الاشعرى ان معنى التجلى ان الله تعالى خلق فيه حياة وعلما ورؤية فرآه وهذا نص منهما على اثباتها كذا ذكره الدلجى (وبرؤية الجبل له) اى لربه تعالى (استدل من قال برؤية نبينا له) اى الله سبحانه وتعالى (اذ جعله) اى جعل الله تعالى ماذكر من رؤية الجبل له (دليلا على الجواز) اى للرؤية قال الدلجى ذكر الضمير نظرا لما بعده والاولى ماقدمناه مع ان المصدر يؤنث ويذكر فتدبر (ولامرية) بكسر الميم وتضم اى ولاشك (فى الجواز) اى جواز الرؤية (اذليس فى الايات) اى آية لاتدركه الابصار وآية لن ترانى وآية فان استقر مكانه فسوف ترانى (نص فى المنع) اى للرؤية بل هى مشيرة الى الجواز فى مقام المرام كما سبق عليه الكلام (واما وجوبها) اى وجوب وقوعها (لنبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم (والقول) اى الجزم (بانه راه بعينه فليس فيه قاطع) اى من قواطع الادلة اى على وقوع الرؤية (ولانص) اى دليل صريح يعول فى ثبوت وقوعه عليه (اذالمعول فيه) اى المعتمد عليه فى هذا الاستدلال (على آيتى النجم) اى قوله تعالى ماكذب الفؤاد مارأى مازاغ البصر وماطغى (والتنازع فيهما مأثور) اى والاختلاف فى معنى الآيتين بين الائمة فى كتب التفسير والسير مذكور ومسطور (والاحتمال) اى العقلى والنقلى (لهما ممكن) اى من حيث دلالتهما على الرؤية وعدمها لعدم صراحتهما بها (ولااثر قاطع متواتر عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك) اى بكونه رآه بعينه وفى نسخة صحيحة لذلك اى لماذكر (وحديث ابن عباس رضى الله تعالى عنه) اى الذى تقدم من انه رآه بعينه (خبر عن اعتقاده) اى الذى نشأ عن استنباطه (لم يسنده الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى حتى يعتبر (فيجب) بالنصب (العمل) وفى نسخة العلم (باعتقاد مضمنة) بتشديد الميم المفتوحة اى مفهومه ومضمونه من رؤية ربه بعينه (ومثله حديث ابى ذر فى تفسير الآية) اى قوله رأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ربه (وحديث معاذ) اى رأيت ربى فى احسن صورة (محتمل) بكسر الميم (للتأويل) اى على ماتقدم من انه رآه بفؤاده اوفى منامه (وهو) اى والحال ان حديثه (مضطرب الاسناد والمتن) اى ومن المعلوم ان اضطراب احدهما موجب لضعف الحديث فلايصلح الاستدلال لاسيمامع ماسبق من الاحتمال ثم اضطرابه من حيث الاسناد فانه تارة يروى عن عبد الرحمن بن عابس الحضرمى مرسلا فان عبد الرحمن ليس بصحابى وتارة عن معاذ بن جبل واضطرابه من حيث المتن فانه رواه الطبرى فى كتابه باسناده عن مالك بن يخامر عن معاذ بن جبل قال احتبس علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن صلاة الغدوة حتى كادت الشمس تطلع فلما صلى الغدوة قال انى صليت الليلة ماقضى لى ووضعت جنبى فى المسجد فاتانى ربى فى احسن صورة الحديث ورواه احمد بن حنبل

الى هذا الباكي وهو ابي قد من الليل فصليت ما قدر لي فنعست في صلاتي حتى استيقظت فاذا انا بربي عز وجل في احسن صورة الحديث فهذا اختلاف متن الحديث كما ترى وهو باتي الاسناد واحد والاختلاف في متن حديث واحد موجب الاضطراب (وحديث ابي ذر الآخر) بالرفع على انه صفة لحديث (مختلف) بكسر اللام اي من حيث اللفظ والمبنى (محتمل) اي من حيث المعنى (مشكل) اي حيث لا يمكن الجمع بينهما ولا ترجيح احدهما او محتمل لان يكون رآه ولم يره او رآه بعينه او بقلبه مشكل من حيث اطلاق النور على الذات وانه لا يعلم النور من صفات الصفات (فروى) وروى مروي وهو حديث ابي ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك فقال (نور) اي هو نور عظيم (انى اراه) الهمزة مفتوحة والنون مشددة مفتوحة بمعنى كيف اي كيف يتصور اني ارى الله تعالى فان الشيء يرى بالنور وهو اذا غشي البصر حجبه عن رؤية ما وراءه من كمال الظهور فالضمير في اراه عائد الى الله تعالى كما صرح الامام ابو عبد الله المازري اي كمال النور منعني من الرؤية وتمام الظهور كما جرت العادة بشدة الانوار الابصار فيمنعها من الابصار قال الحلبي هكذا رواه جميع الرواة في جميع الاصول اي جميع اصول مسلم والروايات ومنه حجابه النور فكيف اراه (وحكي بعض شيوخنا انه روي نوراني) اي بفتح النون والراء بعدها ألف نون مكسورة وتحتية مشددة منونة و (اراه) بضم همزة على ما ذكره الحجازي قال المزي وهذا تحريف والصواب الاول ويدل عليه قوله رأيت نورا وقوله حجابه النور انتهى وقال التلمساني يحتمل ان يكون معناه راجعا الى ما سبق ولا يخفى بعده وغرابته فالاول دال على نفي رؤيته واستبعاده والثاني على اثباته واستبعاده (وفي حديثه الآخر) اي وفي حديث ابي ذر (سألته) اي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رأيت ربك (فقال رأيت نورا) اي رأيت نورا كيف اراه وفي شرح الدلجي قال المصنف وهذه الرواية لم تقع لنا ولا رأيتها في اصل من الاصول اي اصول مسلم وتدل ان يكون ذاته تعالى نورا اذ النور جسم يتعالى الله عنه ومن ثمة كان تسميته سبحانه وتعالى في الكتاب والسنة نورا بمعنى ذي النور اي منوره او هو النور كما قيل نور السماء بالشمس والقمر والنجم ونور الارض بالانبياء والعلم وروي بالنبات والاشجار او المراد بالنور حجابه هذا وفي تخريج احاديث الاحياء للعراقي في كتب المحبة قال ابن خزيمة في القلب من صحة اسناده شيء اي من حيث ان في رواية احمد عن ابي ذر رأيته نوراني اراه ورجالها رجال الصحيح (وليس يمكن الاحتجاج بواحد منهما) اي من حديثي ابي ذر (على صحة الرؤية) اي وقوعها وتعليلها التعارض متنيهما وتناقض اسناديهما (فان كان الصحيح) اي متنا او اسنادا (رأيت نورا فهو قد اخبر انه لم ير الله تعالى وانما رأى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله تعالى والى هذا) اي الى معنى قوله رأيت نورا (يرجع قوله نوراني اراه) اي كيف اراه مع حجاب النور المغشي) بصيغة الفاعل مخففا او مشددا اي المغطي (للبصر وهذا) اي حديث نوراني اراه (مثل ما في الحديث الآخر) اي من حيث المعنى (حجابه النور) كما رواه الطيالسي عن ابي موسى الاشعري واصله في مسلم واوله ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام (وفي الحديث الآخر) اي الذي رواه ابن جرير عن محمد بن كعب عن بعض الصحابة (لم اره بعيني ولكن رأيته بقلبي) ردده هنا (مرتين وتلا) اي قرأ الراوي شاهد الصحة رؤيته ربه بقلبه (ثم دنا) اي قرب نبينا (فتدلى) اي زاد في التقرب اليه سبحانه وتعالى فكان قاب قوسين او ادنى (والله قادر على خلق الادراك الذي في البصر في القلب) اي على ان يخلقه في القلب (او كيف شاء) اي بان يخلق ادراك الرؤية في السمع او غيره وان يخلق ادراك السمع في البصر ونحوه (لا اله غيره) اي حتى يمانعه ويدافعه عن مراده في عباده (فان ورد حديث نص بين) بتشديد الياء المكسورة اي ظاهر لا يحتمل تأويلا (في الباب) اي في باب الرؤية من ثبوتها ووقوعها (اعتقد) بصيغة المجهول وفي نسخة احتمل (ووجب المصير اليه اذ لا استحالة فيه) اي في جواز الرؤية وحصولها (ولا مانع قطعي) اي من جهة شهود العقل او ورود النقل (يرده) اي عند المحقق (والله الموفق) اقول والله سبحانه وتعالى اعلم انه يمكن الجمع بين الادلة في هذه المسئلة المشكلة بان ما ورد مما يدل على اثبات الرؤية انما هو باعتبار تجلي الصفات وما جاء مما يشير الى نفي الرؤية فهو محمول على تجلي الذات اذ التجلي للشيء انما يكون بالكشف عن حقيقته وهو محال في حق ذاته باعتبار احاطته وحياطته كما يدل عليه قوله تعالى لا تدركه الابصار وقوله سبحانه وتعالى ولا يحيطون به علما ومما يؤيده انه قال تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا في ذكر الرب والجبل تلويح لما قررنا وكذا في قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة تلميح الى ما حررنا وكذا في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ستروين ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته تصريح بما قررنا والحاصل ان ما علم يقينا من معرفته في الدنيا يصير عين اليقين حال العقبى مع ان التجليات الصفاتية الكاشفة عن الحقيقة الذاتية لا نهاية لها في المقامات العلية والحالات السرمدية ولست المشي في السير الى الله تعالى يكون في الجنة ايضا سائرا في الله كما قال بعض الاكابر

وان الى ربك المنتهى مع انه لانهاية لاخرويته كما انه لابداية لاوليته فهو الاول والآخر والظاهر والباطن والله اعلم بالظواهر والضمائر وما كشف للعارفين من الحقائق والسرائر

فصل

في فوائد متفرقة مما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم في ليلة الاسراء (واما ماورد في هذه القصة) اى قصة الاسراء (من مناجاته الله عزوجل) اى مكالمته سرا (وكلامه معه) جهرا اومن محدثته صلى الله تعالى عليه وسلم له سبحانه وتعالى وكلام الله معه عز شانه (بقوله) اى بدليل ما ورد من قوله تعالى (فاوحى الى عبده ما اوحى الى ما تضمنته الاحاديث) اى مع ماوردت به السنة مماسيذكر في هذا المعنى (فاكثر المفسرين على ان الموحى هو الله تعالى الى جبريل وجبريل الى محمد الاشذ وذا منهم) اى الاطائفة قليلة من المفسرين خارجة عن جمهورهم منفردة عنهم (فذكر عن جعفر بن محمد الصادق) صفة جعفر (قال اوحى الله اليه بلا واسطة) اى كما يقتضيه مقام الكرامة وحالة المباسطة (ونحوه عن الواسطى) اى منقول (والى هذا) اى الى قولهما (ذهب بعض المتكلمين ان محمدا كلم ربه في الاسراء) اى في ليلته اوحالته (وحكى عن الاشعرى) اى القول بانه كلمه فيها (وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس وانكره) اى نفى تكليمه بلا واسطة (آخرون) وسنراه مايردهم (وذكر النقاش عن ابن عباس في قصة الاسراء عنه صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله دنا فتدلى قال) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فارقني جبريل) اى في مقام معين له كما اخبر الله سبحانه وتعالى عن الملائكة بقوله ومامنا الا له مقام معلوم وقال معتذر الودنوت انملة لاحترقت (فانقطعت الاصوات عنى) اى بعد مفارقة جبريل مني وحصل الرعب والوحشة في قلبي (فسمعت كلام ربى وهو يقول لى ليهدأ) بكسر لام الامر فسكون ففتح فهمز ساكن اى ليسكن (روعك) بفتح الراء اى فزعك وان روى بضم الراء فالمعنى ليطمئن نفسك فاني معك واصل الروع بالضم القلب ومنه الحديث نفث جبريل في روعى فيحتمل انه ذكره لانه محل الروع فسمى باسم ماحل فيه اوسمى كله باسم القلب الذى فيه الروع فسمى باسم بعضه (يامحمد ادن) بضم همز ونون امر من الدنو (ادن) كرر للتأكيد ولافادة زيادة القرب والتأييد فالدنو بالنسبة اليه صلى الله تعالى عليه وسلم دنو رتبة وقربة ومكانة لادنو مكان ومسافة ومساحة اوالمراد الدنو الى عرشه المحيط بعلو العالم وفرشه (وفي حديث انس في الاسراء نحو منه) اى موقوفا عليه اومرفوعا عنه فان صح رفعه وكذا وقفه لانه يعطى حكمه فلا كلام فيه مع انه يمكن الجمع بان ما اوحى اليه من الوحى الجلى وهو القرآن المبين فلا يكون الا بواسطة جبريل الامين كما قال تعالى نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وما اوحى اليه من الوحى الخفى فهو بلا واسطة احد وبلا تقييد لغة كما هو قضية الالهام مما لايخفى على علماء الاعلام ومشايخ الاسلام من هداة الانام (وقد احتجوا) اى الآخرون (في هذا) اى القول بانه كلمه بلا واسطة (بقوله تعالى وماكان لبشر) اى لآدمي (ان يكلمه الله الا وحيا) اى كلاما خفيا يدرك بسرعة لابتأمل وروية وهو امابطريق المشافهة به كما وقع لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم اوعلى سبيل الهتف كما حصل لموسى عليه السلام في وادى الطور بطوى (او من وراء حجاب) اى كما وقع لسائر الانبياء من الوحى الخفى ولبعض الاصفياء من الالهام الجلى (او يرسل) اى الله تعالى الى البشر (رسولا) من الملائكة (فيوحى) اليه اى بالواسطة بان يبلغ الملك الرسول من البشر (باذنه مايشاء) اى من الاحكام والانباء وهذا الذى ذكرناه اظهر مما ذكره المصنف بقوله (فقالوا هى) اى الآية الدالة على انواع الكلام اومكالمته تعالى للبشر (على ثلاثة اقسام من وراء حجاب كتكليم موسى) هذا احدها (وارسال الملائكة) الاظهر الملك بصيغة الافراد لان المشهور ان جبريل هو صاحب الوحى ولعل وجه الجمع انه لايخلو عن صحبة جماعة من الملائكة كما يستفاد من قوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا (كحال جميع الانبياء) الاولى كحال سائر الانبياء جميعها (واكثر احوال نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وهذا هو القسم الثاني قال الواحدى المفسر في قوله تعالى ومارسلنا من قبلك من رسول ولانبي الآية اذا تمنى الآية الرسول الذى ارسل الى الخلق باخبار جبريل اليه عيانا وحاوره شفاها والنبي الذى تكون نبوته الهاما اومناما فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا هذا كلام الواحدى قال النووى في تهذيبه فيه نقص في صفة النبي فان ظاهره ان النبوة المجردة لاتكون برسالة ملك وليس كذلك (والثالث قوله) اى ما افاده (الا وحيا) وهو ومابعده احوال اى الاموحيا اومسمعا من حجاب اومرسلا (ولم يبق من تقسيم صور الكلام) اى المستحضرة في هذا المقام تم الكلام كذا في النسخ الكرام وقال التلمسانى الكلام كذا ثبت بخط القاضى المصنف وبخط العراقى لمكالمة وهو الصواب بدليل قوله (الا المشافهة مع المشاهدة) فاختص بها نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم والله سبحانه وتعالى اعلم وحاصل قوله انه لم يبق من تقسيم صور الكلام الخ انه ينبغى ان يحمل قوله وحيا

على المشاهدة مع المشاهدة اذ لم يبق من التقسيم الا هذا (وقد قيل الوحي ههنا) اى فى عالم السماء او فى هذه الآية
الاخرى (هو ما يلقيه) اى يقذفه الهاما (فى قلب النبي) صلى الله تعالى عليه وسلم اى قلبا نبيا او النبي من الانبياء
(دون واسطة) اى من الوحي الخفي كما سبق اليه الاشارة (وقد ذكر ابو بكر البزار) بتشديد الزاى ثم راء نسبة الى عمل بزر
الكتان زيتا بلغة البغداديين (عن على رضي الله تعالى عنه فى حديث الاسراء ما هو اوضح) اى اظهر واصرح
(فى سماع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لكلام الله تعالى من الآية) اى من الاستدلال بها وهما من الاقسام الثلاثة
وقال الدلجي من آية فاوحى الى عبده ما اوحى وهو بعيد كما لا يخفى (فذكر فيه) اى على مرفوعا او موقوفا يقتضي ان
يكون فى الحكم مرفوعا (فقال الملك) بفتح اللام (الله اكبر الله اكبر فقيل لى) فيه دلالة على ان الحديث مرفوع
وفى نسخة له اى للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه اشارة الى ان الحديث موقوف او نقل بالمعنى (من وراء الحجاب
صدق عبدي انا اكبر انا اكبر وقال) اى الله تعالى من وراء الحجاب (فى سائر كلمات الاذان مثل ذلك) اى صدق عبدي
مع ما يناسب ما قبله من النداء وفيه انه انما يدل على كلام مطلقا واسطة لا مع المشافهة والمشاهدة كما يقتضيه اقسام
الآية (ويجيء الكلام فى مشكل هذين الحديثين) اى حديث ابن عباس وعلى (فى الفصل بعد هذا) اى الفصل (مع
ما يشبههما) اى ما ورد فى حديث غيرهما (وفى اول فصل من الباب منه) اى سيجيء الكلام على دفع اشكال المرام ومعنى
منه يعود الى ما فى قوله مع ما يشبههما (وكلام الله تعالى لمحمد) عليه الصلاة والسلام (ومن اختصه من انبيائه) كموسى
عليه السلام (جائز غير ممتنع عقلا ولا ورد فى الشرع قاطع يمنعه) اى يمنع جوازه نقلا (فان صح فى ذلك خبر) اى فى كلامه
لغير موسى عليه السلام منهم (اعتمد عليه) بصيغة المجهول وفى نسخة احتمل عليه (وكلامه تعالى لموسى
كائن) اى واقع (حق) اى ثابت (مقطوع به نص ذلك فى الكتاب) اى بقوله وكلم الله موسى (واكده بالمصدر)
اى بقوله تكليما (دلالة) بفتح الدال وتكسر اى علامة (على الحقيقة) اى ودفعا لتوهم ارادة المجاز فى القضية بناء على
ما ذهب اليه المحققون من ان الفعل اذا اكد بالمصدر دل على الحقيقة ولذا يقال اراد زيد ارادة ولا يقال اراد الجدار
ارادة لانه لا يتصور منه حقيقة الارادة (ورفع مكانه) اى المحل المشعر بعلو قربه المعنوي (على ما ورد فى الحديث)
اى جاء التصريح فى بعض الحديث الصحيح به (فى السماء السابعة) اى على ما رواه البخاري فى التوحيد ان موسى
فى السماء السابعة وابراهيم فى السادسة ثم قال بتفضيله لكلام الله تعالى وهو موافق لما فى الاصل وقيل صوابه
السادسة لان موسى فيها وابراهيم فى السابعة والسابعة لموسى غلط ويؤيده انه قال الحاكم تواترت الاحاديث انه
فى السادسة ثم هذه الرفعة فى المقام (بسبب كلامه) اى تكليم الله تعالى اياه عليه السلام (ورفع محمد فوق هذا كله)
كما اشار اليه قوله سبحانه وتعالى ورفع بعضهم درجات (حتى بلغ مستوى) اى مكانا مستويا لا ترى فيه عوجا ولا امتا
(وسمع صريف الاقلام) اى صوت جريانها بما كتبه من الاقضية والاحكام (فكيف يستحيل فى حق هذا) اى النبي
عليه الصلاة والسلام (او يبعد) اى يستغرب ويستبعد عنه (سماع الكلام فسبحان من اختص) وفى نسخة من خص
(من شاء بما شاء) اى من جزيل كرمه وجميل نعمه (وجعل بعضهم فوق بعض درجات) اى فى مقامات العاليات

(فصل)

اى فى تتمات هذه القصة ومكملات هذه القضية (واما ما ورد فى حديث الاسراء) اى اما حديث سيره الى السماء
(وظاهر الآية من الدنو والقرب من قوله دنا فتدلى) اى حيث ظواهر الضمائر اليه صلى الله تعالى عليه وسلم لا الى
جبريل كما قيل (فكان قاب قوسين) اى قدرهما (او ادنى) اى بل اقرب وكون او للتنويع انسب (فاكثر المفسرين ان
الدنو والتدلي منقسم ما بين محمد وجبريل عليهما السلام) اذ قد دنا كل منهما من الآخر (او مختص باحدهما) اى ان
محمدا او جبريل دنا (من الآخر) وفيه انه لم يكن بينهما بعد حتى يقال دنا فتدلى فتدبر قال النووي المراد بالقاب فى
الآية عند جميع المفسرين هو المقدار ثم اعلم ان من ذهب الى ان الدنو والتدلي ما بين محمد وجبريل يقول المعنى دنا
جبريل من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فتدلى اى نزل عليه وذلك ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سأله ان يريه
على صورته التى جبل عليها فقال انك لن تقوى على ذلك قال بلى قال فاين تشاء ان اتخيل لك قال بالابطح قال لا يسعني
قال فبمنى قال لا يسعني قال فبعرفات قال ذلك بالحرا ان يسعني فواعده فخرج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
للوقت فاذا جبريل قد استوى له اى قام فى صورته التى خلقه الله تعالى عليها له ستمائة جناح وهو بالافق الاعلى اى فى
جانب المشرق فى اقصى الدنيا عند مطلع الشمس فسد الافق من المغرب فلما رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
كبر وخر مغشيا عليه فتدلى جبريل عليه السلام فنزل عليه حتى اذا دنا منه قدر قوسين اى فى قرأه فى صورة الآدميين
كما فى سائر الاوقات فضمه الى نفسه وقال لا تخف يا محمد فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ما ظننت ان احدا من خلق الله

هكذا قال كيف اورأيت اسرا فيل عليه السلام ان العرش لعلى كاهله وان رجليه قد خرقتا تخوم الارضين السفلى وانه ليتصاغر من عظمة الله حتى يصير كالوضع يعنى كالعصفور الصغير قيل ولم ير جبريل عليه السلام احد من الانبياء فى صورته الحقيقية غير محمد فانه رآه فيها مرة فى الارض ومرة فى السماء ليلة المعراج عند سدرة المنتهى ذكره الانطاكى (اومن السدرة المنتهى) وهذا فى غاية من البعد على مالايخفى (قال الرازى وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) اى كما رواه ابن ابى حاتم (هو محمد دنا فتدلى من ربه وقيل معنى دنا قرب) بضم الراء (وتدلى زاد فى القرب) اظن لامعنى له غيره (وقيل هما بمعنى واحد) اى جمع بينهما للتأكيد اى قرب غاية القرب والاول اظهر لان التأسيس هو الاكثر ولان زيادة المبنى تفيد زيادة المعنى وقال ابن الاعرابى تدلى اذا قرب بعد علو (وحكى مكى والماوردى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) اى كما رواه ابن جرير (هو الرب دنا من محمد) اى تجلى بوصف القرب له واما قول الدلجى دنو علم فليس فى محله اذلا خصوصية له ولا بمقامه ثم لامعارضة بين قولى ابن عباس اذنسبة القرب بينهما مثلا زمة بل اضافته الى الرب هو الحقيقة فانه لولا قربه لما تصور تقربه كما حقق فى قوله سبحانه وتعالى يحبهم ويحبونه (فتدلى اليه) اى نزل اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (اى امره وحكمه) يعنى على حذف مضاف او ارتكاب مجاز والانسب فى معناه قرب الرب منه فتقرب اليه والاول يسمى قرب الفرائض والثانى قرب النوافل هكذا قرره بعض ارباب الفضائل (وحكى النقاش عن الحسن) اى البصرى (قال دنا) اى الرب الامجد (من عبده محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فتدلى فقرب منه) اى قرب مكانة لاقرب مسافة وقرب انعام لاقرب اقدام وقرب عناية لاقرب غاية (فاراه ماشاء ان يريه من قدرته وعظمته) اى مما لااطلاع لاحد على تفصيل جملته وفيه ايماء الى تفسير قوله تعالى لقدرأى من آيات ربه الكبرى (قال) اى الحسن اوالنقاش وهو الاقرب والانسب (وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هو) اى مجموع قوله دنا فتدلى (مقدم ومؤخر) اى فيه تقديم وتأخير كما بينه بقوله (تدلى الرفرف) وهو بساط اخضر من نحو الديباج وقيل ماتدلى من الاسرة من غالى الثياب والبسط وقيل هى المرافق وقيل النمارق والطنافس وقيل كل ثوب عريض وقيل هو البساط مطلقا (لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم) وفى نسخة حتى (رفع) بصيغة المجهول اى له (فدنا من ربه) اى دنوا بالنسبة اليه (قال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما سبق عنه (فارقنى جبريل) اى فى مقام قرب الجليل وقال اودنوت انملة لاحترقت (وانقطعت عنى الاصوات) اى اصوات الملائكة وسائر المخلوقات (وسمعت كلام ربى) اى بجميع الحواس من جميع الجهات وهذا فى المعنى هو تجلى الذات بجميع الصفات (وعن انس فى الصحيح) اى على مارواه شريك ابن ابى نمير (عرج بى جبريل الى سدرة المنتهى ودنا الجبار) اى القاهر لعباده على وفق مراده (رب العزة) اى الغلبة والقوة فى القدرة (فتدلى) اى الجبار (حتى كان منه) اى من سيد الابرار (قاب قوسين)اى قدره وهو غاية القرب فى الكونين (اوادنى) اى بل اقرب مما يوصف بالقرب للمريد فانه فى مقام المريد اقرب من حبل الوريد (فاوحى اليه بماشاء) اى من غير واسطة احد من العبيد ثم التقدير فى الآية مكان مسافة قربه مثل قدر قوسين عربيين وفى انوار التنزيل والمقصود من الآية تحقيق استماعه لما يوحى اليه بنفى البعد الملبس (واوحى اليه خمسين صلاة) اى بان يصلى هو والامة فى كل يوم وليلة (ثم خففت حتى قال يا محمد هى خمس وهى خمسون) اى خمسون حقيقة اوحكما لايبدل القول لدى فى انها خمسون فى الجملة وفى رواية انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة هذا الحديث فى الصحيح من رواية شريك عن انس وقد استغرب الذهبى فى الميزان هذا اللفظ فقال بعد ان ذكر حديث الاسراء الى ان قال ثم علا به فوق ذلك مما لايعلمه الا الله حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين اوادنى وهذا من غرائب الصحيح كذا ذكره الحلبى (وعن محمد بن كعب) اى القرظى كما فى نسخة (هو) اى المراد بمن فى الآية (محمد دنا من ربه فكان قاب قوسين) اى فى مقام قربه لكمال حبه ووقع فى اصل الدلجى هو محمد دنا محمد فتكلف له بان وضع الظاهر موضع المضمر لكمال العناية بذكره الا انه مخالف لما فى الاصول (وقال جعفر بن محمد) اى الصادق (ادناه ربه منه) اى غاية الدنو وهو يحتمل جعل فاعل دنا الرب او محمد والاول اقرب (حتى كان منه كقاب قوسين) ما احسن هذه العبارة من زيادة الكاف المفيدة بحسب الاشارة الى انه ليس مقدار قوسين فى المسافة فى مقام القرب المعنوى بل يشبه به باعتبار القرب الحسى كما يستفاد هذا المعنى من قوله الآتى (وقال جعفر بن محمد) اى الصادق ولم يطلقه للا يشتبه بجعفر الطيار (والدنو من الله لاحدله) اى لايدخل تحت حدود العبارة ولا فى ضمن وجود الاشارة على وفق سائر حقايق صفاته فضلا عن حقيقة ذاته (ومن العباد بالحدود) اى والدنو من العباد لايتصور الا بالحدود الغائية المنتهية الى غاية ونهاية فى الشهود (وقال) اى جعفر (ايضا)

اى حال كونه معا ودا منتقلا الى معنى الكلام فى الدنو ومقام المرام (انقطعت الكيفية عن الدنو) اى عن معرفة كنهه وحقيقته (الاترى كيف حجب جبريل عليه السلام) بفتح الحاء اى الرب الجليل (عن دنوه) اى دنو الجليل فكيف يطمع غيره الى معرفة سواء السائل مع اختلاف القال والقيل (ودنا محمد الى ما اودع قلبه) بصيغة المفعول اوالفاعل (من المعرفة والايمان) اى من كمال المعرفة وزيادة الايمان المنجية الى مقام الاحسان وشهود العرفان (فتدلى بسكون قلبه الى ما دناه) اى قربه اليه واشرق بانوار المعارف واسرار العوارف لديه (وزال عن قلبه الشك والارتياب) اى عن توهم حاول الشك حول ذلك الجناب فى حصول فتح هذا الباب والله تعالى اعلم بالصواب وهذا معنى خاص فى الآية على طريق الاشارة القريب الى معنى العبارة (قال القاضى ابو الفضل رحمه الله تعالى) اى المصنف (اعلم ان ما وقع من اضافة الدنو والقرب هنا من الله) اى لعبده (اوالى الله) اى من عبده (فليس بدنو مكان) اى مسافة بل دنو عناية ومكانة (ولا قرب مدى) بفتح الميم والدال منونا اى ولا قرب غاية وتنزيهه تعالى الله عن الاتصال والانفصال والحلول والاتحاد وما يقوله ارباب الضلال والاضلال (بل كما ذكرنا عن جعفر بن محمد الصادق ليس بحد فيوحد) اى يحس ببصر اويدرك بنظر (وانما دنو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من ربه وقربه منه) عطف تفسير (ابانة عظيم منزلته) اى اظهار عظمته ومرتبته (وتشريف رتبته) اى واظهار شرف رتبة قربته الناشئة من نهاية محبته وغاية طاعته (واشراق انوار معرفته) اى بذاته وصفاته (ومشاهدة اسرار غيبه) اى مغيباته فى ملكوت ارضه وسمواته (وقدرته) اى على ما تعلقت به مشيئته من وجود مخلوقاته (من الله تعالى) اى من جهته سبحانه وتعالى وهو متعلق بابانة ووقع فى اصل الدلجى زيادة الواو العاطفة وهو مخالف لما فى الاصول المعتبرة (له) اى سبحانه وتعالى فى حق نبيه اولنبيه فى مقام قربه (مبرة) بفتح الميم والباء وتشديد الراء بمعنى البر اى مزيد جزيل فوائده اليه وجميع عوائده عليه (وتأنيس) اى وزيادة انس (وبسط) اى غاية انبساط (واكرام) اى وظهور احسان وانعام (ويتأول) بصيغة المجهول (فيه) اى فى دنوه سبحانه وتعالى من نبيه (ما يتأول فى قوله) اى على ما ورد فى الكتب الستة عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعا (ينزل ربنا الى سماء الدنيا كل ليلة) اى يأول دنوه تعالى منه بما يأول به نزوله سبحانه وتعالى (على احد الوجوه) اى من ان نزوله انما هو يكون (نزول افضال واجمال وقبول واحسان) والمعنى انه تعالى يتجلى ذلك الزمان بهذه الصفات من افاضة الفضل وافادة الكرم ورعاية القبول ونهاية الاحسان (قال الواسطى من توهم) اى من المريدين (انه بنفسه) اى بحوله وقوته (دنا) اى قرب من ربه (جعل ثمه) بفتح المثلثة وتشديد الميم اى فى ذلك المقام (مسافة) اى ولا مسافة فى قربه للاستحالة (بل كلما دنا بنفسه من الحق) اى زعمه (تدلى بعدا) اى فى حقيقة امره ونتيجة حكمه (يعنى) تفسير من المصنف اوغيره اى بعدا (عن درك حقيقته) بسكون الراء وفتحها اى بعدا عن ادراك حقيقته وتصور حقيته اذ هو منزه عن شمول احاطته (اذ لا دنو للحق ولا بعد) اى دنو مسافة ولا بعد مساحة واما قربه تعالى فاى قرب فتمثيل لكمال علمه واحاطته (وقوله فكان قاب قوسين او ادنى) يحتمل احتمالين فى المعنى (فمن جعل الضمير) اى فى دنا وروى فان جعل الضمير (عائدا الى الله لا الى جبريل عليه السلام على هذا) اى يحتاج الى تأويل وهو انه (كان) اى الدنو (عبارة عن نهاية القرب) اى المعنوى (ولطف المحل) اى المقام الانسى (واتضاح المعرفة) من باب الافعال اوالافتعال اى وضوح المعرفة فى مقام المشاهدة وروى المنزلة بدل المعرفة (والاشراف) بالفاء وفى نسخة بالقاف اى الاطلاع (على الحقيقة) اى المنزهة عن المسافة (من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) اى من جهته ورعايته (وعبارة) بالنصب عطف على عبارة سابقة (عن اجابة الرغبة) اى مرغوباته (وقضاء المطالب) باداء مطلوباته (واظهار التحفى) بفتح المثناة الفوقية والحاء المهملة وتشديد الفاء المكسورة اى المبالغة فى ظهور البر والاحسان اوفى اظهار العلم والايقان يقال تحفى فلان باصحابه اى بالغ فى بره وتلطفه بالسؤال عن حاله ومنه قوله تعالى انه كان بى حفيا قال الزمخشرى هو اللطيف فى البر (وانافة المنزلة) اى رفعة الرتبة اوزيادتها وروى ابانة من البيان (والمرتبة) اى القربة (من الله له ويتأول فيه) اى فى هذا الدنو (ما يتأول فى قوله) اى المروى فى صحيح البخارى (من تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا) هذا الحديث القدسى والكلام الانسى تمثيل لقرب معنى القرب المعنوى فى لباس القرب الحسى فانه واقع فى النفس الانسى (ومن اتانى يمشى) اى فى طاعته (اتيته هرولة) اى سنة مسرعا بجراء عطيته اوبتوفيق عبادته فالدنو فى الآية والقرب فى الحديث (قرب بالاجابة والقبول واتيان بالاحسان وتعجيل المأمول) اى واسراع لتحصيل المسئول لكن بين المقامين اون بين وبين القربين تباين بتعين فلا تقاس الملوك بالحدادين لتفاوت مراتب المقربين ومنازل السالكين من المحسنين والمحبوبين نفعنا الله ببركاتهم اجمعين

﴿ فصل ﴾

(فى ذكر تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم فى القيامة بخصوص الكرامة حدثنا القاضى) اى الشهيد (ابو على) اى الحافظ ابن سكرة (ثنا ابو الفضل) اى بن خيرون (وابو الحسين) بالتصغير وفى نسخة ابو الحسن بفتحتين والاول هو الصواب على ماحققه الحلبى وهو المبارك بن عبد الجبار (قالا) اى كلاهما (حدثنا ابو يعلى) وهو المعروف بابن زوج الحرة (ثنا السنجى) بكسر السين وسكون النون فجيم منسوبا (ثنا ابن محبوب) هذا هو ابو العباس المحبوبى راوى جامع الترمذى عنه (ثنا الترمذى ثنا الحسين بن يزيد الكوفى) هو الطحان (ثنا عبد السلام بن حرب) اى النهدى يروى عن عطاء بن السائب وغيره وعنه ابن معين ونحوه اخرج له الائمة الستة (عن ليث) اى ابن ابى سليم الكوفى احد الاعلام روى عن مجاهد وطبقته ولا نعلم انه لقى صحابيا وعنه شعبة وخلق وفيه ضعف يسيرة من سوء حفظه وكان ذا صلاة وصيام وعلم كثير وبعضهم احتج به (عن الربيع بن انس) تقدم (عن انس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا اول الناس خروجا) اى من القبر (اذا بعثوا) بصيغة المفعول اى اثيروا من قبورهم ونشروا (وانا خطيبهم) اى متكلم عنهم فيما بينهم (اذا وفدوا) اى قدموا على ربهم (وانا مبشرهم) اى بما يسرهم (اذا أيسوا) اى قنطوا من رحمة ربهم من شدة حسابهم وهول عذابهم (لواء الحمد) اى يومئذ كما فى الجامع الصغير (بيدى) اى لانفراده بالحمد الذى يلهم به اولانه يحمده الاولون والآخرون تحت لوائه كما قال آدم ومن دونه تحت لوائى يوم القيامة ولذا سمى مقاما محمودا وهو قيامه بالشفاعة العظمى واصل اللواء الراية ولا يمسكها الا صاحب الجيش وموضع اللواء شهرة مكان الرئيس ليعتمدوا عليه ويرجعوا اليه (وانا اكرم ولد آدم) اى هذا الجنس (على ربى) اى عنده (ولا فخر) اى ولا اقول هذا فخرا من ارتجى بل تحدثا بنعمة ربى (وفى رواية ابن زحر) بفتح زاى وسكون حاء مهملة فراء وهو عبيد الله بن زحر الافريقى العابد يروى عن على بن يزيد وابن اسحق وطبقتهما وله مناكير ضعفه احمد وقال النسائى لا بأس به وقد اخرج له البخارى فى الادب المفرد (عن الربيع بن انس فى لفظ هذا الحديث) لعله من طريق اخرى للمصنف غير طريق الترمذى فاندفع به قول الحلبى هذه الرواية ليست فى الكتب الستة فضلا عن قول الترمذى وتوجيه قول الدلجى ان هذه رواية ابى نعيم فى الدلائل عن ابن زحر ثم رأيت التلمسانى ذكر انه ثبت بخط القاضى وفى رواية ابن زحر والربيع بن انس يعنى بالعطف وعند العرفى عن الربيع عن انس يعنى كما فى الاصل وعلى كلا الوجهين المروى عنه هو انس بن مالك (انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا) اى مقدمهم وفى الحديث قريش قادة ذادة (وانا خطيبهم اذا انصتوا) اى سكتوا ولم يقدروا ان يتكلموا فاعتذر لهم عما فعلوا (وانا شفيعهم اذا حبسوا) اى وقفوا يوم القيامة فيموج بعضهم فى بعض فيفزعون الى الانبياء فيقول كل نفسى نفسى فيأتونه فيشفع لهم الشفاعة العظمى لفصل القضاء (وانا مبشرهم اذا ابلسوا) بضم همز وسكون موحدة وكسر لام فسين مهملة اى يئسوا وتحيروا ومنه قوله تعالى فاذاهم مبلسون وبه سمى ابليس وكان اسمه عزازيل هكذا ذكره التلمسانى وروى يئسوا بتقديم الياء على الهمز من اليأس وروى بتقديم الهمز على الياء من الاياس وهو قطع الرجاء (لواء الكرم) اى الذى ترتب عليه الحمد (بيدى) اى تبصر فى واصل اللواء العلم والراية ويجوز ان يراد به حقيقته وهو الاولى لان الرئيس علامته اللواء ويجوز ان يكون اشارة لرفعة مقامه وظهور مرامه ويؤيد الاول ماورد من انه يكون يوم القيامة لكل متبوع لواء يعرف به انه قدوة حق اواسوة باطل وجاء فى حديث عقبة ابن عامر انا اول من يدخل الجنة الحمادون لله تعالى على كل حال يعقد لهم يوم القيامة لواء فيدخلون الجنة ثم قيل اللواء ماكان مستطيلا والراية ماكان مربعا والاظهر ان اللواء هو الراية العظيمة فهى اعم والله تعالى اعلم (وانا اكرم ولد آدم على ربى ولا فخر) اى ولا اقول فخرا بل امتثل امرا (ويطوف على الف خادم) اى من افضل خدام اهل الجنة (كانهم لؤلؤ مكنون) اى مصون عن الغبار والصفار مثل الدر فى الصدف على طراوته اوالمصان المدخر لنفاسته وفى اللؤلؤ اربع لغات الهمز فيهما وتركه وهمز الاولى مع ترك الثانية وعكسه ويسمى كباره المرجان لقوله تعالى كانهن الياقوت والمرجان لان المراد الحمرة والبياض والله تعالى اعلم وخلاصة المعنى انهم فى الحسن والبياض والصفاء والضياء كانهم لؤلؤ مستور فى صدفه لم تمسه الايدى من الكن وهو الستر (وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) كما روى الترمذى وصححه (واكسى) بصيغة المجهول اى والبس (حلة) اى عظيمة (من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش) تلويح بقربه من ربه وكرامته فى مقام حبه (ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيرى) يعنى به المقام المحمود وصدر الحديث على ما فى الجامع الصغير من رواية الترمذى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعا انا اول من تنشق عنه الارض فاكسى حلة الحديث (وعن ابى سعيد رضى الله تعالى عنه) اى الخدرى

كما فى نسخة وقد رواه احمد والترمذى وحسنه وابن ماجه عنه مرفوعا (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيامة) قيده به لظهور سيادته ووضوح رياسته مطلقا فيه لكل احد من غير منازع ولا مدافع وفى الاصول ولا فخر هنا ايضا (وبيدى لواء الحمد ولا فخر) اى الا بمثل هذا (وما من) وفى نسخة ولا نبى وفى نسخة نبى يومئذ وما من نبى (يومئذ آدم) بالنصب ويجوز رفعه (فمن سواه) بكسر السين وضمها اى فمن بعده ولو كان افضل منه كابراهيم ونوح وموسى وعيسى عليهم السلام كما يستفاد من العطف بالفاء دون الواو (الا تحت لوائى) ووقع فى اصل ابدلى آدم يومئذ فمن سواه فتكلف فى توجيهه بقوله اعتراض بين النفى والاستثناء افاد ان آدم بالرفع بدلا او بيانا من محله (وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر) وفى الاصول هنا زيادة وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر (وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) كما رواه مسلم وابو داود (انا سيد ولد آدم يوم القيامة واول من ينشق عنه القبر واول شافع واول مشفع) بفتح الفاء المشددة اى اول مقبول فى الشفاعة وانما ذكر الثانى باعادة اول لانه قد يشفع انسان فيشفع الثانى منهما قبل الاول ذكره النووى فى البخارى تحبس المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فيريحنا من مكاننا الى ان قال فيأتونى فاستأذن على ربى فى داره فيؤذن لى عليه فاذا رأيته وقعت ساجدا فيدعنى ماشاء ان يدعنى فيقول محمد ارفع وقل تسمع واشفع تشفع (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) كما روى الترمذى والدارمى (انا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر) اى بهذا قيل يعارض هذا الحديث ونحوه ماروى عنه عليه الصلاة والسلام اللواء يحمله يوم القيامة على واجيب بان حديث على هذا ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات قيل ولئن صح فالجواب ان عليا لما كان حاملا للواء بامره اضاف حمله الى نفسه والاولى ان يقال لواء على خاص له اولاشياعه وكذا لابى بكر واتباعه وكذا لكل امام وشيخ مقتدى مع تلامذته ومريديه لما تقدم والله تعالى اعلم (وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر) اى بهذا بل لى عند الله فوق ذلك مما افتخر به هنالك (وانا اول من يحرك حلق الجنة) اى بابها للاذن بدخولها والحلق بفتحتين وقد تكسر حاؤه جمع حلقة (فيفتح لى) بصيغة المجهول (فادخلها فيدخلها معى) اى من امتى (فقراء المؤمنين) اى المهاجرين وغيرهم على مراتبهم (ولا فخر) اى فى هذا المقام الا بالفقر واما حديث الفقر فخرى فموضوع كما صرح به الحفاظ ثم الفقر قد يكون مذموما كما ورد كاد الفقر ان يكون كفرا ومنه اعوذ بك من الفقر والمحمود منه انما هو بغنى النفس كما ورد ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس ونعم ماقيل

﴿ غنى النفس ما يكفيك عن سد حاجة * فان زاد شيئا عاد ذاك الغنى فقرا ﴾

وقد قال الله تعالى والله الغنى وانتم الفقراء والفقير الحقيقى هو الذى يرى دوام افتقاره فى حال اضطراره واختياره (وانا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر) اى الا بالعبدية لهم وبالحضور مع ربهم (وعن انس رضى الله تعالى عنه) كما روى مسلم (انا اول الناس يشفع) وفى نسخة يشفع بتشديد الفاء المفتوحة (فى الجنة) اى رفع درجات المطيعين ولدخول العصاة من المؤمنين (وانا اكثر الناس) اى من الانبياء (تبعا) ولفظه فى مسلم على مافى الجامع الصغير انا اكثر الانبياء تبعا يوم القيامة وانا اول من يقرع باب الجنة (وعن انس رضى الله تعالى عنه) كما فى الصحيحين (قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انا سيد الناس يوم القيامة وتدرون لم ذلك) كأنه قيل الله ورسوله اعلم فقال اولما علم انهم لايدرون ماهنالك قال (يجمع الله الاولين والآخرين وذكر حديث الشفاعة) وهو اذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم فى بعض فيأتون آدم ليشفع لهم فيقول لست لها الى ان قال فيأتونى فاقول انا لها الحديث اى انا الكافى لها والمتكفل بها ومن ثم قيل انا لها احد من بين البشر (وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه انه عليه الصلاة والسلام قال اطمع ان اكون اكثر الانبياء اجرا يوم القيامة) لانه اعظمهم فى المشقة بما كلفه من عموم الدعوة مع تمرد الكفرة وعتو الفجرة اوالمعنى اكثرهم اجرا لكون امته اكثرهم نفرا (وفى حديث آخر) اى عنه او عن غيره (اماترضون ان يكون ابراهيم وعيسى فيكم) اى محشورين فى جملتكم (يوم القيامة) اما تخصيص ابراهيم عليه السلام فلقوله تعالى ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا ولموافقته فى كمال التوحيد فى مقام التفريد كما يشير اليه قوله تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا ولكونه جده ومنجده واما عيسى عليه السلام فلانه يتعبد فى ملته بعد نزوله من رفعته ويدفن بعد موته فى تربته (ثم قال انهما فى امتى يوم القيامة اما ابراهيم فيقول انت دعوتى) اى اثر اجابة دعائى حيث قلت فى دعائى ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم (وذريتى) اى وانت من ذريتى المذكورة فى دعوتى ايضا بقولى ربنا انى اسكنت من ذريتى لمراد الآية ولا نزاع انه من نسل ولده اسمعيل وانه لم يبعث منهم نبى سواه فهو المجاب به دعوته

(واماعيسى عليه السلام فالانبياء) اى جميعهم (اخوة) اى اولاداب واحد حقيقة وكذا حكما لاتفاقهم فيما بعثوا لاجله من توحيد وايمان بما يجب تصديقه ودعوة الخلق الى الحق وارشادهم الى نظام معاشهم وتمام مرادهم فى معادهم فتساويهم فى اصولهم اعتقادا كان لهم كاب واحد ولتفاوتهم واختلافهم فى بعض فروعهم عملا (بنوعلات) بفتح عين مهملة وتشديد لام اى اولاد امهات مختلفات وابوهم واحد بنو الاخياف لمن امهم واحدة والاباء مختلفون وبنو الاعيان لمن امهم واحدة وكذا ابوهم واحد كما بينه بقوله (وامهاتهم شتى) بفتح شين وتشديد تاء جمع شتيت كرضى جمع مريض اى متفرقات فى نسبة الولادات التى يتولد منها الاختلافات (وان عيسى اخى) اى بالخصوص من حيث انه بشرنى قبلى وقام بدينى بعدى وروى وان عيسى (ليس بينى وبينه نبى) ففيه كمال اتصاله بى وكانه جارلى فى مقامى (وانا) ويروى فانا (اولى الناس به) اى احقهم ببره اواخصهم باتصاله بى وقدروى البخارى ومسلم انا اولى الناس بعيسى ابن مريم فى الاولى والآخرة الانبياء بنو علات امهاتهم شتى ودينهم واحد وليس بيننا نبى واما ماذكره فى مستدرك الحاكم من ان فيمابين عيسى ومحمد عليهما السلام بعض الانبياء كخالد بن سنان فاسانيده لاتقاوم الصحيح وعلى فرض صحته فالمعنى ليس بيننا نبى مرسل (قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم اى فى الحديث السابق (اناسيد الناس) وفى نسخة ولد آدم (يوم القيامة) انى بقيده ليفيد ظهوره كقوله تعالى والامر يومئذ لله ومالك يوم الدين والملك يومئذ الحق للرحمن (هوسيدهم فى الدنيا ويوم القيامة) اى وما بعده من العقبى (ولكن اشار عليه السلام لانفراده) اى الى اختصاصه (فيه بالسودد) بضم السين وسكون الواو وفتح الدال الاولى (والشفاعة) اى العظمى (دون غيره اذلجاء الناس اليه فى ذلك) تحتمل اذان تكون تعليلية وان تكون حينية ظرفية (فلم يجدوا سواه) اى ملجأ وملاذا يعتمدون عليه (والسيد هوالذى يلجأ الناس اليه فى حوايجهم) اى فى قضائها (فكان حينئذ) اى وقت يلجاون اليه ويتضرعون لديه (سيدامنفردا من بين البشر لم يزاحمه احد فى ذلك) اى ممن استحق السيادة (ولا ادعاه) اى احد ممن لايستحقها وهذامنه صلى الله تعالى عليه وسلم (كما قال تعالى) اى يوم القيامة (لمن الملك اليوم) فلا يجيبه احد من هول ذلك المشهد فيجيب نفسه بقوله بعد (لله الواحد القهار والملك له تعالى) اى والحال ان حقيقة الامر ناطقة بان له الملك (فى الدنيا والآخرة لكن فى الاخرة) لكون زوال اسبابه وارتفاع وسائطه (انقطعت دعوى المدعين لذلك) اى للملك اوالملك فى الجملة (فى الدنيا) اى لغفلتهم عن نعت المولى (وكذلك لجأالى محمد جميع الناس فى الشفاعة) اى ليريحهم من هول تلك الساعة (فكان سيدهم فى الاخرى دون دعوى) اى من احد كان يدعى السيادة فى الدنيا (وعن انس رضى الله تعالى عنه) كما فى مسلم (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آتى) بمد الهمزة اى اجئ (باب الجنة يوم القيامة فاستفتح) اى فاطلب فتحها لادخلها (فيقول الخازن) اى رضوان (من انت) قيل اسم خازن النار مالك وناسب كل اسم ماوكل عليه فالجنة دار الكرامة والرضى فناسب رضوان والنار دار المشقة والعذاب والشدة فناسب مالك كذا ذكره التلمسانى ولا يبعد ان يقال لان الجنة انما تحصل بالرضى عن المولى والنار انما تنشأ عن طلب الملك والملك فى الدنيا (فاقول محمد فيقول لك) اى بسببك (امرت ان لا افتح لاحد قبلك) او امرت ان افتح لك حال كونى لا افتح لاحد قبلك (وعن عبدالله بن عمرو) اى ابن العاص كما فى الصحيحين (قال قال رسول صلى الله تعالى عليه وسلم حوضى) اى مسافته اودوره ومساحته (مسيرة شهر) اى قدر سير شهر (وزواياه) بفتح الزاى جمع زاوية اى نواحيه (سواء) بفتح السين ممدودا اى مستوية اى لتربيع ارضه لايزيد طوله على عرضه قيل اركانه اربعة وسقاته اربعة ابو بكر وعمر وعثمان وعلى رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فمن ابغض واحدا لم يسقه الاخرون واورد التلمسانى حديثا فى هذا المعنى ولكن الله تعالى اعلم بصحة المبنى (وماؤه ابيض) افعل تفضيل وهو حجة للكوفى على البصرى اى اشد بياضا (من الورق) بكسر الراء وسكونها وحكى كسر الواو وسكون الراء ونسب الى الفراء وحكى فتحهما الصغانى وادعى انه قرئ بهما فى قوله تعالى بورقكم اى الفضة او الدراهم المضروبة وفى نسخة من اللبن بدل من الورق والاول هو المذكور فى جمع نسخ صحيح مسلم والثانى وقع فى نسخ المصابيح والجمع بتعدد الرواية (وريحه اطيب من المسك) اى من ريحه وفى تخصيصه ايماء الى انه افضل نوع من جنس الطيب (كيزانه) جمع كوز (كنجوم السماء) اى كثرة واضاءة وهى من ذهب وفضة كما فى رواية ثم قيل المراد به الكثرة لاعددها على الحقيقة والصواب ماقاله النووى من ان العدد على ظاهره ولامانع شرعا ولاعقلا مما ثبت نقلا لاسيما وقدورد مؤكدا بالقسم فى حديث والذى نفسى بيده لآنيته اكثر من عدد نجوم السماء (من شرب منه لم يظمأ) اى لم يعطش (ابدا) اى بعده وفيه اشكال سيذكر فى اخر الفصل حله (وعن ابى ذر رضى الله تعالى عنه نحوه) اى على مارواه مسلم (وقال) اى ابوذر فى حديثه هذا (طوله مابين عمان) بضم العين وتخفيف الميم من قرى اليمن وبفتح العين وتشديد

الميم من قرى الشام بالبلقاء من اقصى حوران والمعروف انه غير مصروف والمعنى ان مسافة ما بين طرفيه طولا مثل المسافة منها (الى ايلة) بهمزة مفتوحة وتحتية ساكنة قرية فى آخر طرف الشام بساحل البحر متوسطة بين المدينة ودمشق ومصر على مراحل بينها وبين مصر قيل هى التى قال الله تعالى واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر هذا وقد قال ابن قرقول عمان التى فى الحوض رويناه بفتح العين وتشديد الميم وهى قرية بالشام من عمل دمشق وكذا قاله الخطابى وحكى ايضا فيه تخفيف الميم وفى الترمذى من عدن الى عمان البلقاء والبلقاء بالشام قال البكرى ويقال فيه ايضا عمان بالضم والتخفيف وزعموا انه المراد بالحديث لذكره مع ايلة جرباء واذرح والكل من قرى الشام واما عمان التى ببلاد اليمن فبالضم والتخفيف لا غير ووقع فى كتاب ابن ابى شيبة ما يدل على انها المراد فى حديث الحوض لقوله ما بين بصرى وصنعاء اليمن ومثله فى البخارى وفى مسلم وعرضه من مقامى الى عمان بالفتح والتشديد عند الصدفى وعند غيره بالضم والتخفيف وقال ابن الاثير حديث الحوض من مقامى الى عمان هى بفتح العين وتشديد الميم مدينة قديمة بالشام من ارض البلقاء فاما بالضم والتخفيف فهو صقع عند البحرين وله ذكر فى الحديث وقال السهيلى بالضم والتخفيف قرية باليمن سميت بعمان بن سنان من ولد ابراهيم فيما ذكروا وبالفتح والتشديد قرية بالشام قرب دمشق سميت بعمان بن لوط بن هاران كان يسكنها فيما ذكروا وقال الحافظ المزى يتعين الضم والتخفيف فان فى الحديث الآخر ايلة وصنعاء (يشخب) بفتح الخاء وضمها من شخب اللبن كمنع ونصر اى يسيل سيلا ناشدا متواليا وقيل يصب بصوت وفى رواية يغت بغين معجمة وتاء مثناة ومعناه اتباع الصب ورواية يعب بعين مهملة وباء موحدة ومعناه الشرب بسرعة فى نفس واحد وفى رواية ابن ماهان يثعب بثاء مثلثة وعين مهملة وباء موحدة ومعناه يتفجر (فيه) اى فى ذلك الحوض (ميزابان) بكسر الميم وسكون الياء وقد يهمز اذا سهله السهيلى وقد يشدد تثنية ميزاب وهو مثعب الماء اى الجدول الذى يجرى منه الماء الى الحوض لكن فى التعبير عنه بالميزاب اشعار بان ارض الموقف فى اسفل (من الجنة) اى من انهارها (وعن ثوبان منه وقال) اى ثوبان فى روايته اى فيما رواه مسلم (احدهما من ذهب والآخر من ورق) اى فضة وانما نوع للزينة كما فى الحلى المرصعة والعمارات المزخرفة (وفى رواية حارثة بن وهب) اى فيما رواه الشيخان عنه وهو بالحاء المهملة وبعد الراء ثاء مثلثة خزاعى له صحبة وهو اخو عبد الله بن عمر بن الخطاب لامه (كما بين المدينة وصنعاء) بفتح الصاد وسكون النون ممدودة قاعدة اليمن ومدينته العظمى وهى من عجائب الدنيا كما قاله الشافعى واما صنعاء الروم فقرية فى ناحية ربوة دمشق والله تعالى اعلم (وقال انس رضى الله تعالى عنه ايلة وصنعاء وقال ابن عمر) اى فيما رواه الشيخان عنه (كما بين الكوفة والحجر الاسود) واختلاف الروايات يدل على ان المراد كثرة طوله واما ورد تقديره تمثيلا لكل احد بحسب بعده وتقريبا لفهمه (وروى حديث الحوض ايضا انس) كما فى الصحيحين (وجابر بن سمرة) فيما رواه مسلم وفى نسخة وجابر وسمرة على تقدير صحته فقد روى جابر بن عبد الله حديثا فى الحوض وهو فى مسند احمد واما سمرة فلم يعرف حديثه فالصواب هو النسخة الاولى (وابن عمر) كما رواه الشيخان وابو داود (وعقبة بن عامر) كما رواه مسلم وغيره (وحارثة بن وهب الخزاعى) بضم اوله كما رواه البخارى والترمذى (والمستورد) بصيغة الفاعل على ما رواه الشيخان وهو ابن شداد بالشين المعجمة كما افاده الحلبى (وابو برزة) بفتح الموحدة وبتقديم الراء على الزاى (الاسلمى) فيما رواه ابو داود وابن حبان والبيهقى (وحذيفة بن اليمان) كما رواه مسلم وغيره (وابو امامة) على ما رواه ابن حبان والبيهقى وهو صدى بن عجلان على ما هو الظاهر والا ففى الصحابة خمسة يقال لهم ابو امامة (وزيد بن ارقم) فيما رواه احمد بن حنبل والبيهقى (وابن مسعود) كما رواه الشيخان (وعبد الله بن زيد) كما فى الصحيحين (وسهل بن سعد) بروايتهما ايضا (وسويد) بالتصغير (ابن جبلة) بفتح الجيم والموحدة تابعى وقيل صحابى فكان ينبغى تأخيره عن المتفق على صحبته رواه عنه البيهقى وابو زرعة الدمشقى فى مسند اهل الشام ووقع فى اصل الحلبى هنا زيادة قوله وابن بريدة وتفرع له اعتراض على المصنف لكنه مخالف لما فى النسخ المصححة هذا وفى حاشية قال الصواب سويد بن غفلة بفتح الغين المعجمة والفاء وهو مخضرم عاش مائة وعشرين سنة ومات عام الفيل كذا فى الاصل ولعله تحريف وصوابه والدجال اقبل (وابو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه) فيما رواه مسلم (وعبد الله الصنابحى) بضم الصاد المهملة فنون بعده الف فموحدة مكسورة فحاء مهملة فياء نسبة قيل هو صحابى نسب الى جده صنابح رواه احمد وابن ماجه عنه (وابو هريرة رضى الله تعالى عنه) كما فى الصحيحين (والبراء) بفتح الباء وتخفيف الراء اى ابن عازب كما فى نسخة رواه احمد والطبرانى عنه (وجندب) بضم الجيم والدال وبفتح رواه الشيخان عنه وهو عبد الله بن سفيان البجلى والا ففى الصحابة من يقال له جندب غيره اثنا عشر قال ابن الاثير متى اطلق اسم جندب من غير ذكر ابيه فهو جندب بن عبد الله هذا والا فاسم ابى ذر

الغفاري جندب بن جنادة الغفاري مشهور بكنيته (وعائشة) كما في مسلم (واسماء بنتا ابي بكر رضي الله عنه) على ما في الصحيحين (وابو بكرة) اي الثقفي رواه الطبراني واسمه نفيع مصغرا وهو ممن اعتزل يوم الجمل ولم يقاتل مع احد من الفريقين وكان يقول انا مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال السهيلي وقد تدلى من سور الطائف على بكرة فسمى ابابكرة وهو من افاضل الصحابة (وخولة) بفتح الخاء المعجمة (بنت قيس) كما رواه احمد وغيره عنها وهي انصارية نجارية زوج حمزة بن عبد المطلب (وغيرهم) رضي الله تعالى عنهم كابي بكر الصديق في صحيح ابي عوانة والبيهقي وعمر للبيهقي في البعث وابي بن كعب واسامة بن زيد وحذيفة بن اسيد بفتح فكسر والحسن بن علي وسلمان الفارسي وسمرة بن جندب وابي الدارء وابي معوذ كلهم في الطبراني واسيد بن حضير في الصحيحين وابن عباس في البخاري وام سليم في مسلم وجابر بن عبدالله وعائذ بن عمرو وثابت بن ارقم وخولة بنت حكيم رواه احمد في مسنده عنهم ولقيط ابن صبرة في زيادات المسند وخباب بن الارث في المستدرك وكعب بن عجرة في الترمذي والنسائي وبريدة في مسند البزار وعتبة بن عبيد والعرباض بن سارية في صحيح ابن حبان والنواس بن سمعان في كتاب ابن ابي الدنيا وعثمان ابن مظعون في تاريخ ابن كثير وعبدالرحمن بن عوف في الطبراني ومعاذ بن جبل في حادي الارواح ذكره الدلجي وقال زعم المصنف تواتر حديث الحوض والظاهر ان تواتره معنوي لالفظي لقول ابن الصلاح وغيره لايكاد يوجد شرط هذا وفي نسخة بعد قوله وسويد بن جبلة وابو بكر وعمرو بن بريدة ونقل عن ابن جبيران هذه الزيادة وقعت في طرة الام بخط المؤلف بغير علامة تخرج اليها ثم ابن بريدة قال الحلبي هو تابعي فحديثه مرسل قلت المرسل حجة عند الجمهور فكيف اذا كان مع جمع حديثهم مشهور هذا وممن روى حديثا في الحوض ولم يذكره القاضي خولة بنت حكيم وعبد الله بن عباس اخرجهما احمد في مسنده كما ذكره الحلبي وقد جمع ذلك كله الامام الحافظ ابو بكر البيهقي في كتاب البعث والنشور باسانيده وطرقه المتكاثرات واختلف في ان الحوض هل هو قبل الصراط او بعده اوله حوضان احدهما بعده والاخر قبله والله تعالى اعلم هذا وقد قال المصنف ظاهر الحديث ان الشرب من الحوض يكون بعد الحساب والنجاة من النار فهذا هو الذي لايظمأ بعده قال وقيل لايشرب منه الامن قدر له السلامة من النار قال ويحتمل ان من شرب من هذه الامة وقدر عليه الدخول لايعذب فيها بالظمأ بل يكون عذابه بغير ذلك لان ظاهر الحديث ان جميع الامة تشرب منه الامن ارتد ومات كافرا قال وقيل ان جميع المؤمنين يأخذون كتبهم بايمانهم ثم يعذب الله من يشاء من عصاتهم وقيل انما يأخذ بيمينه الناجون خاصة قال وهذا مثله والله تعالى اعلم

﴿ فصل ﴾

(في تفضيله بالمحبة والخلة) بضم المعجمة وتشديد اللام وسبق فيهما الكلام وسيأتي ما يحقق به المرام في هذا المقام (جاءت بذلك) اي بتفضيل تفضيله (الآثار الصحيحة) اي من الاخبار الصريحة (واختص) بصيغة المفعول اوالفاعل (صلى الله عليه وسلم على السنة المسلمين بحبيب الله) يعني والسنة الخلق اقلام الحق لاسيما وهذه الامة لاتجتمع على الضلالة مع كونه جاء صريحا في بعض الاحاديث بانه حبيب الله (انا) اي اخبرنا (ابو القاسم بن ابراهيم الخطيب) هو الامام المقرئ يعرف بابن النحاس بالحاء المعجمة المشددة (وغيره) اي وغير ابي القاسم ايضا من المشايخ (عن كريمة) بفتح الكاف وكسر الراء هي الحرة الزاهدة (بنت احمد) اي ابن محمد بن حاتم المروزي سمعت جامع البخاري من الكشميهني وسمعت زاهد بن احمد السرخسي وحديثها كثير وكانت مجاورة بمكة الى ان ماتت رحمها الله كذا ذكره الامير في اكماله على مانقله الحلبي فما في بعض النسخ بنت محمد غير صحيح (ثنا) اي حدثنا (ابو الهيثم) اي الكشميهني (وحدثنا) بالواو الدالة على تحويل السند وفي اصل الحلبي واخبرنا (حسين بن محمد الحافظ سماعا عليه) هو ابن سكرة (ثنا القاضي ابو الوليد) اي الباجي (ثنا عبد بن احمد) بالوصف لابالاضافة هو ابوذر الهروي (ثنا ابو الهيثم) اي الكشميهني (ثنا ابو عبدالله محمد بن يوسف) اي الفربري (ثنا محمد بن اسمعيل) اي الامام البخاري (ثنا عبدالله ابن محمد) الظاهر انه المسندي ومسندي هو من طلبة ابي عامر والا فقد روى البخاري عن اربعة كل منهم اسمه عبدالله بن محمد على ماذكره الحلبي وقال الكلاباذي هو عبدالله بن محمد بن جعفر اليمان ابوجعفر المعروف بالمسندي لانه كان وقت طلبه يتتبع الاحاديث المسندة ولايرغب في المقاطيع والمراسيل (ثنا ابو عامر) اي عبدالملك بن عمرو ابن قيس اي العقدي بفتح العين والقاف بصري اخرج له الستة (ثنا فليح) بضم الفاء وفتح اللام فمثناة تحتية ساكنة فحاء مهملة ابن سليمان العدوي مولاهم المدني واسمه عبد الملك ولقبه فليح محتج به في الصحيحين وقال ابن معين وابو حاتم والنسائي ليس بالقوي اخرج له الائمة الستة (ثنا ابو النضر) بالضاد المعجمة هو سالم بن ابي امية المدني التابعي (عن بسر) بضم موحدة وسكون سين مهملة (ابن سعيد) اي ابن الحضرمي المدني الزاهد مات ولم يخلف كفنا

(عن ابي سعيد) اى الخدرى (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابابكر) اى خليلا والمعنى جعلته مخصوصا بالصداقة والمحبة وهو فعيل من الخلة بالضم وهى الصداقة اى تداخل باطن القلب فالخليل الصديق الوادّ فعيل بمعنى الفاعل كما فى هذا الحديث وانما قال ذلك لقصر خلته على حب ربه وربما ورد بمعنى مفعول وهو المناسب لقوله (وفى حديث آخر وان صاحبكم خليل الله) كما سيأتى مصرحا فى حديث ابن مسعود وربما يفرق بينه صلى الله تعالى عليه وسلم وبين ابراهيم عليه السلام بهذا التغاير فى المعنى مع الاشتراك فى المبنى والحديث الاول رواه البخارى فى فضل ابى بكر وقد رواه مسلم والترمذى والنسائى ايضا (ومن طريق عبدالله بن مسعود وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) كما رواه الدارمى والترمذى عنه (قال جلس ناس) اى جمع (من اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ينتظرونه) اى خروجه اليهم ووصوله اليهم رجاء انزال فيضه عليهم (فخرج) اى من مقامه متوجها اليهم (حتى اذا دنا منهم) اى قرب (سمعهم) وفى رواية فخرج سمعهم اى حال كونه قد سمعهم (يتذاكرون) اى يتذاكرون كلاما فيما بينهم (فسمع حديثهم) اى تحدثهم فيه (فقال بعضهم عجبا) اى تعجبا (ان الله) بالكسر او تعجب سبحان الله بالفتح (اتخذ ابراهيم من خلقه خليلا) اى كما اخبر تعالى وقد سقط لفظ ابراهيم من اصل الدلجى فقال يريد ابراهيم عليه السلام (وقال آخر) اى بعض او صحابى آخر (ماذا) اى ليس هذا وهو اتخاذه ابراهيم خليلا (باعجب من كلام موسى كلمه الله تكليما) اى كما اخبر تعالى (وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه) الفاء فصيحة اى اذا ذكرتم خليل الله وكليمه فى مقام الافتخار فاذكروا عيسى فانه كلمة الله خلقه بامر كن من غير اب او اضافته للتشريف اى كلمه مقبولة عنده سبحانه ودعوته مستجابة لديه وهو روح مجرد من عند ربه نفخ فيه من غير واسطة او رحمة منه (وقال آخر آدم اصطفاه الله) اى فى اصل خلقته من غير واسطة من اب وام فى فطرته وجعله ابا البشر وجد الانبياء والاصفياء وذكره فى كتابه بوصف الاجتباء وحاصل كلامهم انه يتوهم من هذه الاوصاف لهم انهم افضل من نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم حيث ما بلغهم صريحا انه اختص ببعض المقامات العاليات كما يشير اليه قوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات (فخرج عليهم) اى وصل اليهم (فسلم) فتكراره لبناط به غير ما نيط به اولا او خرج اولا من مكان الى آخر فسمع قولهم ما دام ثم خرج منه وسلم عليهم (وقال قد سمعت كلامكم) اى فى تخصيص بعض الرسل ببعض الفضائل (وعجبكم) اى واظهار تعجبكم باختصاصهم ببعض الشمائل كما بينه قوله (بان الله) الخ وتكلف الدلجى حيث قدره عاملا بقوله اى ادركت عجبكم وجعله من قبيل قلدته سيفا ورمحا وعلفتها تبنا وماء باردا وتبعه الانطاكى ورأيت بخط قطب الدين عيسى الصفوى انه لا حاجة الى هذا التكلف فان المراد سماع ما يدل على تعجبهم هذا وفى نسخة صحيحة ان الله وهى بكسر الهمزة او فتحها (اتخذ ابراهيم خليلا وهو كذلك) اى خليله او اتخاذه محقق (وموسى نجي الله) اى كما قال الله تعالى وقربناه نجيا من المناجاة وهى المكالمة سرا (وهو كذلك) اى نجيه او امره كذلك (وعيسى روح الله وهو كذلك) اى ذو روح خلقه منه بلا واسطة اب (وآدم اصطفاه الله) اى اجتباه (وهو كذلك) اى صفاه بالنبوة والرسالة كما قال الله تعالى الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس (الا) اى تنبهوا الخصائصى مع اشتراكى معهم فى الاصطفاء كما قال (وانا حبيب الله) بمعنى محبوبه الذى هو اخص من كل مرتبة ومقام عند ربه (ولا فخر) اى ولا اقوله فخرا بل تحدثا بنعمته شكرا (وانا حامل لواء الحمد) كما قال فى حديث آخر وآدم ومن دونه تحت لوائى (يوم القيامة) اى فى المحشر الاكبر فى المقام المحمود الذى يحمده الاولون والآخرون (ولا فخر) اى الا بقربى (وانا اول شافع) اى فى الشفاعة العظمى او كل مرتبة من مراتب الشفاعات الحسنى (واول مشفع) اى مقبول الشفاعة (ولا فخر) اى بالنسبة الى ما لى من الذخر (وانا اول من يحرك حلق الجنة) بفتح الحاء واللام وبكسر اوله اى حلق بابها (فيفتح الله لى) اى يامر رضوان الجنة بان يفتح لى كما فى رواية (فيدخلنيها) اى الله بفضله وكرمه كما قال الا ان يتغمدنى الله برحمته (ومعى فقراء المؤمنين) اى مع تفاوت مراتبهم مقدمون على اغنيائهم على اختلاف احوالهم وهو لا ينافى ما ورد بلفظ ومعى فقراء المهاجرين لانهم افضل فقراء المؤمنين وقع فى اصل الدلجى ما يخالف الاصول المعتبرة (ولا فخر) اى بهذا ايضا لانه ورد فى الحديث القدسى والكلام الانسى اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (وانا اكرم الاولين والآخرين) اى من الخلائق اجمعين وهذا فذلكة الكلام ونتيجة المرام (ولا فخر) اى فى هذا المقام ايضا اذ الفناء عن السوى والبقاء فى حضرة اللقاء هو المقام الاسنى والحالة الحسنى (وفى حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) اى من احاديث الاسراء (من قول الله تعالى) وفى نسخة فى قول الله اى فى جملة قوله سبحانه وتعالى (لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم انى اتخذتك خليلا) اى كما اتخذت ابراهيم

بجمع له بين كونه خليلا وحبيبا فله فى المزية زيادة مرتبة المحبوبية كما اشار اليه قوله سبحانه وتعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله اى يحصل لكم حظ من المنزلة المحبوبية بواسطة المتابعة المطلوبية ويؤيده قوله (فهو مكتوب فى التوراة اسـ) كذا فى نسخة صحيحة من غير ضبط على هذه الصورة وهى الف بعدها سين مهملة ثم جرة وفى بعض النسخ مكتوب بازائها على الطرة ذكر ابن جبير بخطه فى كتابه ان هذه اللفظة وقعت فى الام المبيضة بخط المؤلف كما هى هنا مبهمة فحكيتها كما وقعت ذكره الشمنى ولا يبعد ان يكون بالتاء الفوقية فى آخر الكلمة وهى للربط فى الجملة بالفارسية وفى نسخة ضبط بكسر الهمزة وسكون السين المهملة وضم الموحدة وقيل بفتح الهمزة وسكون السين وضم المثناة فوق ولعلها كلمة سريانية بقرينة ذكرها فى التوراة اى انت كما فى نسخة (حبيب الرحمن) وفى نسخة احمد حبيب الرحمن ولعله مداولها هذا وقد قال الانطاكى كذا وقع فى النسخ خليلا ولعله مصحف فقد تقدم حديث ابى هريرة هذا فى فصل ذكر تفضيله عليه الصلاة والسلام بما تضمنته كرامة الاسراء ولفظ الحديث هنالك قد اتخذتك حبيبا قال وايضا لفظ الحبيب هنا انسب بآخر الحديث وهو قوله انت محمد حبيب الرحمن قال ثم انى وقفت على نسخة قديمة قد كان اللفظ فيها اولا انى اتخذتك حبيبا ثم غيرته ايدى التحريف فصيرته خليلا وعلامة الاهمال تحت الحاء كانت باقية فيها بعد والله يعلم المفسد من المصلح قلت حمل جميع النسخ على التصحيف بعيد عن صوب الصواب وميل الى التحريف لاسيما والنسخة القديمة ايضا ظهرت سقيمة وصححت سليمة هذا من جهة المبنى واما من حيثية المعنى فلاشك ان التأسيس اولى من التأكيد مع ما فى مغايرة العبارة من الاشارة الى الجمع بين النعتين الجليلين والوصفين الجميلين ثم الظاهر ان هذا رواية اخرى عن ابى هريرة لمغايرة الفظهما فى المحلين من الكتاب والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب (قال القاضى ابو الفضل رحمه الله تعالى) كذا فى الاصول المعتبرة ووقع فى اصل الدلجى هنا فصل (اختلف) بصيغة المجهول وفى نسخة اختلفوا (فى تفسير الخلة) بالضم (واصل اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع الى الله) اى المعرض عما سواه بزيادة نعته بانه (الذى ليس فى انقطاعه اليه ومحبته له اختلال) اى نقص وخلل لديه فعليه اشتقاقه من الخلال وهو وسط الشئ فان الود يتخلل النفس ويخالطها بحيث لا يخل بحصول خلل فيه حال خلاله وفى هذا المعنى قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا وقوله سبحانه وتعالى ففروا الى الله (وقيل الخليل المختص) اى بوصف الخلة سواء يكون مشتقا من الخلة بضم الخاء كما سبق او من الخلة بالفتح بمعنى الفقر والحاجة من الخل اذكل خليل محتاج الى ان يسد خلل خليله وفى الحديث اللهم سادالخلة اى الحاجة والفاقة او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان فى الخصال كما ورد المرء على دين خليله وقيل هو المختص بخدمة مولاه او الذى اختصه الله تعالى لجعله من خلاصة عباده وسلالة عباده ولكن لا يظهر وجه الاشتقاق فى هذين القولين وان كان الدلجى ذكرهما واقتصر عليهما ثم رأيت الانطاكى قال المختص يعنى بالصداقة والمحبة يقال دعا فلان فخلل اى خص (واختار هذا القول) اى الاخير (غير واحد) اى كثير من الاخيار (وقال بعضهم اصل الخلة) بالضم (الاصطفاء) اى الاختيار من الصفوة او الصفاء اى يختار كل خليل رضى خليله او يصفو معه فى كل حالة تخليله (وسمى ابراهيم خليل الله لانه يوالى فيه ويعادى فيه) اى يحب فى الله ويبغض فى الله او لابتغاء رضاه ليس له عرض سواه ففى البخارى الحب فى الله والبغض فى الله من الايمان اى من كماله (وخلة الله له) اى لابراهيم (نصره) اى على عدوه (وجعله اماما لمن بعده) كما قال تعالى انى جاعلك للناس اماما فلم يبعث نبى بعده الا كان من ذريته مأمورا باتباع ملته قال الدلجى وفى نسخة وجعله اماما لمن بعده بشهادة اجعل هذا بلدا آمنا والظاهر انه تصحيف وتوجيهه تحريف (وقيل الخليل اصله الفقير المحتاج المنقطع) اى عن الاعوان والاخوان او عما سوى الله تعالى فى الاكوان (مأخوذ من الخلة) بفتح الخاء (وهى الحاجة) اى شدتها الملجئة الى الفاقة (فسمى بها) اى بالخلة يعنى بالاتصاف بها فى اطلاق الخليل ووقع فى اصل الدلجى به بالضمير المذكر وهو واضح دراية او ثبت رواية اى فسمى بالخليل (ابراهيم لانه قصر حاجته) اى حصرها (على ربه) اى على طلبها من ربه او على حصول قربه ليس له مأمول غيره فى قلبه ويؤيده قوله (وانقطع اليه بهمه) اى بهمته وهمته وعزيمته ونيته او المراد بالهم ما يهمه ويغمه لقوله (ولم يجعله) اى همه (قبل غيره) بكسر القاف وفتح الموحدة اى عند غيره والمعنى لم يكل همه الى احد غيره اذ ليس للغير اثر وجود فى نظره وكان هذا حال الخليل فى المقام الجليل (اذ جاءه جبريل وهو فى المنجنيق) بفتح الميم والجيم وقيل بكسر اوله لانه آلة للرمى ويؤيد الاول ما فى كتب اللغة انها هى آلة ترمى بها الحجارة معربة واصلها بالفارسية من چه نيك اى ما اجودنى ويقال جنق اذا رمى بالمنجنيق قالوا كانجنق مرة وزشق اخرى (ليرمى به فى النار) بصيغة المجهول (فقال الك حاجة قال اما اليك فلا) وزيد فى رواية فقال فاسئل ربك قال حسبى من سؤالى علمه بحالى (وقال ابو بكر بن فورك) بضم الفاء وفتح الراء غير منصرف

وقد يصرف (الخلة) بالضم (صفاء المودة) اى خلوص المحبة التى لا يتخللها نوع من المخالفة (التى توجب الاختصاص) اى فى حالتى المسرة والمضرة من المحبوب للمحب وعكسه (بتخلل الاسرار) بفتح الهمزة جمع سر اى يدخل فى قلوب الاخيار وصدور الاحرار والجملة حالية ولو قرئت بالباء الجارة وصيغة المصدر لكان له وجه وجيه (وقال بعضهم اصل الخلة المحبة) اى مطلقا فى اللغة (ومعناها) اى مؤداها (الاسعاف) بكسر الهمزة اى انجاز الحاجة بلا مهلة (والالطاف) بالكسر اى الاعانة على وجه الاطاعة (والترفيع) اى رفعه على نفسه فى مقام انسه وهو معنى قول بعضهم الترفيع التعظيم والتكريم (والتشفيع) اى قبول شفاعته وحصول رعايته (وقد بين) اى الله تعالى (ذلك) اى هذا المعنى (فى كتابه) اى فى مفهوم المبنى (بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله) اى اتباع ابنيه عزير والمسيح على حذف المضاف المقدر او نزلوا انفسهم منزلتهما فى المقام المعتبر قدر وكذا قوله (واحباؤه) اى محبوبوه او محبوه ويلزم كونهم محبيه للملازمة الغالبة فى نسبة المحبية والمحبوبية كما يشير اليه قوله سبحانه يحبهم ويحبونه (قل فلم يعذبكم بذنوبكم) اى ان صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم اذ من كان بهذه المكانة لا يعذب بهذه المثابة وقد عذبكم فى الدنيا بالقتل والاسر والمسخ والاصر وسيعذبكم فى النار الموقدة باعترافكم اياما معدودة (فاوجب) اى الله بطريق الاشارة المفهوم من العبارة (للمحبوب ان لا يؤاخذ) بفتح الخاء اى لا يعاقب (بذنوبه) وان كان قد يعاتب بعيوبه فالحبيب لا يعذب حبيبه بالنار والوالد لا يرمى ولده فى النار (قال) اى الله سبحانه وتعالى (هذا) اى هذا الكلام او قال ذلك البعض خذ هذا او الامر هذا او هذا كما ذكر (والخلة اقوى) اى فى النسبة (من البنوة) بتقديم الموحدة على النون وضمهما وتشديد الواو (لان البنوة قد يكون فيها) اى توجد معها (العداوة) اى الوحشة المخالفة (كما قال الله تعالى ان من ازواجكم واولادكم) اى بعضهم (عدوا لكم) بالمخالفة الدينية او الدنيوية (فاحذروهم) اى عن المخالطة والملاطفة (الاية) اى وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم (ولا يصح ان يكون عداوة مع خلة) اى مع صداقة على الحقيقة فانهما ضدان لا يجتمعان على وجه الكمال نعم قد توجد عداوة من حيثية وصداقة من حيثية كمحبة ولد عاق وعداوة والد حان وعلى هذه الجهة مدار معاشرة العامة بل وهذا داء الخاصة (فاذا) بالتنوين اى فحينئذ (تسمية ابراهيم ومحمد) وفى نسخة تسميته اى تسمية الله ابراهيم ومحمدا عليهما الصلاة والسلام (بالخلة اما بانقطاعهما الى الله) اى بالكلية (ووقف حوائجهما عليه) اى حتى فى الامور الجزئية (والانقطاع عمن دونه) اى فى الاحوال الظاهرية (والاضراب) اى الاعراض والانصراف (عن الوسائط والاسباب) اى فى الخواطر السرية كما قال ارباب الاشارات التوحيد اسقاط الاضافات (او لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما) اى من بين الانبياء والاصفياء (وخفى الطافه) بفتح الهمزة اى ولزيادة الطافه الخفية (عندهما) اى من اخفى الشئ اذا ستره لا من خفيته بمعنى اظهرته وحديث خير الذكر الخفى يحتملهما على ما ذكره الدلجى لكنه بمعنى الظهور بعيد كما لا يخفى نعم لو قيل المعنى هنا ظهور الطافه لظهر له وجه وفى نسخة وحفى بالحاء المهملة وكسر ثمرة الطافه اى ولزيادة مبالغته فى اكرامه من حفى اذا بالغ فى الاكرام واستقصى عن سؤال المرام ومنه قوله تعالى يسألونك كأنك حفى عنها ومنه ايضا حديث ان امرأة دخلت عليه عليه الصلاة والسلام فسألها فاحفى وقال انها كانت تأتينا فى زمن خديجة وان كرم العهد من الايمان (وما خالل) اى خالط وباشر (بواطنهما من اسرار الهيته) اى وانوار صمديته (ومكنون غيوبه) اى ومن استتار مغيباته (ومعرفته) اى نعت بيانه ذاته وصفاته (او لاستصفائه) اى اختيار الله سبحانه وتعالى (لهما) ومنه حديث محمد خيرة الله من خلقه (واستصفائه قلوبهما عمن سواه) اى تخليصهما من التعلق بالعوائق من الخلائق (حتى لم يخاللهما حب لغيره) بل اذا احبا احدا احباه لله سبحانه وتعالى ولذا دعا صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله اللهم لا تجعل لفاجر على يدا يحبه قلبى وبقوله اللهم انى اسألك حبك وحب من يحبك (ولهذا) اى المعنى المستفاد من هذا المبنى (قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه) بتشديد التاء وكسر السين وروى من لا يسع قلبه (لسواه) اى على جهة الشركة فى المحبة الاصلية (وهو) اى هذا المعنى هو (عندهم معنى قوله عليه الصلاة والسلام) اى كما رواه البخارى ان من آمن الناس على فى صحبته وماله ابا بكر (ولو كنت متخذا خليلا) اى من الناس ارجع فى المهمات عليه والجأ فى الملمات اليه (لاتخذت ابا بكر خليلا لكن اخوة الاسلام) ورواية المصابيح ولكن بالواو اى ليس بينى وبينه خلة لكن اخوة الاسلام ثابتة بينى وبينه فى اعلى المرتبة فيقوم مقام المتخذ له خليلا قال التلمسانى كذا وقع فى النسخ الصحيحة من الشفاء اخوة بالالف وفى الاكمال خوة دون الف ثم قال كذا للعذرى ولغيره بالالف وقوله عليه الصلاة والسلام او كنت متخذا خليلا الخ قال فى المشارق او كنت متخذا خليلا افتقر اليه والجئ اليه فى جميع امورى لكان ابا بكر ولكن الذى الجئ اليه وافتقر اليه هو الله تعالى او او كنت منقطعا الى

مخلوق لكان ابابكر لكن مرافقة الاسلام انتهى وفيه ايذان الى ان الخلة فوق الاخوة والمودة (واختلف العلماء من ارباب القلوب) اى اصحاب القلوب الصافية والالباب الواعية من المشائخ الصوفية الجامعين بين المعارف اليقينية البهية والاخلاق السنية الرضية (ايهما ارفع) اى اى الخصلتين اوالحالتين اعلى اواغلى فى الدرجة العلية والرتبة الجلية (درجة الخلة) اى درجة الخلة ارفع من درجة المحبة (اودرجة المحبة) اى ارفع من درجة الخلة فهما مرفوعان بناء على انهما بدل من ايهما المرفوع ويجوز نصب درجة على انه تمييز ذكره التلمسانى وهوبعيد جدا لاسيما مع وجود او الترديدية وكونهما معرفة بالاضافة نعم لوثبت الجرلكان له وجه من حيث انه بدل من المضاف اليه فى ايهما والصحيح مااشرنا اليه من انهما مرفوعان بالابتداء وان خبرهما ارفع مقدرا مع تقدير الاستفهام فى اولهما (فجعلهما بعضهم سواء) اى فى المرتبة ليس بينهما تفاوت فى الدرجة (فلايكون الحبيب الاخليلا ولاالخليل الاحبيبا لكنه خص ابراهيم عليه السلام بالخلة ومحمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بالمحبة) اى بناء على الغلبة ولكن فى هذا الاختصاص دلالة باهرة واشارة ظاهرة الى زيادة درجة المحبة على رتبة الخلة كما لايخفى على ارباب المعرفة (وبعضهم قال درجة الخلة ارفع) اى من مرتبة المحبة وهذا بعيد جدا الاان يراد بالخلة معنى الخصوص وبالمحبة معنى العموم وليس الكلام فيه لافى المنطوق ولافى المفهوم (واحتج) اى ذلك البعض لمازعمه (بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فيما رواه البخارى (لوكنت متخذا خليلا غيرربى) اى لاتخذت ابا بكر خليلا (فلم يتخذه) اى غير ربه خليلا (وقد اطلق المحبة لفاطمة وابنيها) اى الحسنين رضى الله تعالى عنهم (واسامة) اى وكذا لاسامة ابن مولاه زيد بن حارثة الملقب بحب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقد كان اسامة اسود كالغراب وابوه زيدا بيض كالقطن (وغيرهم) اى كابى بكر وعمر وعائشة فلو كانت المحبة ارفع من الخلة لم يتخذ غيربه مماذكر حبيبا كمالم يتخذ غيره خليلا وفيه انه لم يطلق على احد منهم بكونه حبيبا وانما اراد بمحبتهم المحبة الطبيعية الناشئة عن النسبة الجزئية او الحالة الصادرة عن تحقق الشمائل الرضية مع انه صلى الله تعالى عليه وسلم سمى حبيب الله بمعنى محبوبه فاين هذا المعنى من ذلك المبنى فليس له شريك فى هذا الوصف على وجه الكمال كما لايخفى وهذا هو المشهور عند الجمهور ولذا قال (واكثرهم جعل المحبة) اى الخالصة دون المودة العامة (ارفع) اى درجة (من الخلة) اى مع انها من مراتب الخاصة (لان درجة الحبيب نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ارفع من درجة الخليل ابراهيم عليه السلام) يعنى اختصاص هذا الوصف بمن هو اكمل يدل على انه افضل من سائر اوصاف الكمل والا لكان الانعكاس اولى فتأمل فانه اندفع به ماذكره الدلجى بقوله وانت خبير بان ارفعية المحبة على الخلة انما هى من ارفعية موصوفها لامن حيث ذاتها ثم ممايدل على هذا التحقيق الموجب للتوفيق ان الخليل انما هو فعيل بمعنى الفاعل مسندا الى ابراهيم عليه السلام واما الحبيب فيحتمل ان يكون بمعنى فاعل اومفعول ولاشك ان نسبة المفعولية فى هذا المقام اتم من نسبة الفاعلية فى المرام كما يشير اليه قوله سبحانه وتعالى يحبهم ويحبونه لاسيما ومحبة الله تعالى كاملة سابقة ذاتية ابدية ازلية ومحبة العبد ناقصة لاحقة عرضية غرضية واماحديث لوكنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت ابابكر وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا فهو محمول على انه اتخذه ان يكون خليلا خاصا لايتخذ غيره خليلا على مايدل عليه سباق الكلام وسياقه فهو بمعنى الفاعل على حاله وليس كما توهم الدلجى انه بمعنى المفعول والحاصل انه يقال محمد حبيب الله والله حبيب محمد ولايقال الله خليل ابراهيم مع جواز ابراهيم خليل الله وقد صرحوا بان المعنى الاول اصح يعنى كونه مشتقا من الخلة بالضم لانها تتصور من الجانبين والحاجة لاتتصور من الجانبين فلايجوز ان يقال الله تعالى خليل ابراهيم لمافيه من ايهام ان يكون مأخوذا من الخلة التى هى الحاجة (واصل المحبة) اى المأخوذة من حبة القلب اواصل معناها (الميل الى مايوافق المحب) اى يلائم طبعه ويستلذبه وهذا ظاهر فى كونه اسم الفاعل من احبه فهو محب على ماصرح به الانطاكى وضبطه الحلبى بضم الميم وفتح الحاء اى المحبوب وتبعه الدلجى وزاد عليه قوله من ارادة طاعاته وابتغاء مرضاته لكنه مخالف للرواية وغير مناسب للدراية لانه ليس اصل المحبة هذا بل نتيجة محبة المحب للمحبوب ان لاتقع منه المخالفة كما قالت رابعة رضى الله تعالى عنها

تعصى الاله وانت تزعم حبه * هذا لعمرك فى الصنيع بديع
لوكان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

هذا وقد قال الانطاكى وفى بعض النسخ وقع محب بفتح الحاء والظاهر انه خطأ لماسيأتى فى كلام المصنف من ان حقيقة المحبة الميل الى مايوافق الانسان (ولكن هذا) اى التعريف (انمايصح فى حق من يصح الميل) اى وجود ميلان القلب (منه) اى الى محبوبه اومطلقا (والانتفاع بالوفق) بفتح الواو وسكون الفاء اى وفى حق من يتصور منه الانتفاع

والارتفاق بالشيء الذي فيه الموافقة او على وفق ميل القلب وهوى النفس اليه (وهي) اى المحبة بمعنى الميل (درجة المخلوق) اى صفته ورتبته (واما الخالق) اى الذي قدس عن الخلق والميلان وسائر نعوت الحدثان (فمنزه عن الاغراض) بامين المعجمة وهي العلل والحاجات وكذا عن الاعراض بالعين المهملة وهي الامراض والآفات (فمحبته لعبده تمكينه من سعادته) اى بالاشارة على طاعته وعبادته (وعصمته) بالرفع والعطف الجلي في تجويز الجر اى ومحافظته من ارتكاب معصيته (وتوفيقه) اى على ارتكاب الحسنات واجتناب السيئات (وتهيئة اسباب القرب) بضم فسكون ولابعد ان يكون بضم ففتح اى من النوافل كصلاة وصوم وصدقة وتسبيح وتحميد وتكبير وتهليل وسائر القربات (واما صفة رحمته عليه) اى بقبول ما منه اليه وجعله مقربا لديه (وقصواها) بضم القاف مقصورة اى غاية الصفة ونهايتها بالنسبة الى الخالق (كشف الرب الحجب عن قلبه) اى كشف الرب الحجب الظلمانية والنقب الانسانية عن قلب المحب لجمال الذات الربانية وكمال الصفات الصمدانية (حتى يراه بقلبه) اى يرى جمال ربه بعين قلبه (وينظر اليه) اى الى تجلي ربه في مقام حضرته (ببصيرته) اى بعين بصيرته فيفنى عن نفسه وحسه ويبقى ببقاء ربه فيكون صحوا بعد ما كان محوا ومكرا بعد ما كان فكرا وشكرا وحاضرا في الحضرة بعد ما كان غائبا في الغفلة (فيكون كما قال) اى سبحانه وتعالى (في الحديث) اى القدسي والكلام الانسي على ما رواه البخاري لا يزال العبد يتقرب الى حتى احبه (فاذا احببته) اى اظهرت حبي له فان حبه سبحانه وتعالى قديم غير حادث بعد تقرب عبده (كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به) وفي رواية زيادة ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها اى كنت حافظ اعضائه وحامي اجزائه ان تحرك بغير رضاي وان تسكن الى غير قضائي والحاصل انه حصل سلطان محبة ربه آخذا بمجامع قلبه فلا يهمه الامر صفة محبوبه ولا يسعى بجميع جوارحه الا في سبيل مطلوبه وقيل اى كنت اسرع الى قضاء حوائجه من سمعه في الاسماع وبصره في النظر ولسانه في النطق وهنا معنى ادق من هذا وهو انه يظهر للعبد في هذا المقام ما يتم به المرام وهو انه يشاهد ان قوة سمعه وبصره ولسانه وسائر اركانه انما هي من آثار قدرة ربه وقوته عرشا به وليس المراد منه الحلول والاتحاد والاتصال على ما توهمه اهل الضلال كما قال (ولا ينبغي ان يفهم) بصيغة المفعول (من هذا) اى الحديث (سوى التجرد لله) اى تجرد القلب عن غير حب الرب (والانقطاع الى الله) اى ترك الالتفات الى ما سواه (والاعراض عن غير الله) اى بالتوجه الكلي الى مولاه حتى كأنه يسمع منه ومن رأى له فيما يحراه (وصفاء القلب لله) اى بحيث لا يخطر بباله سواه كما قال العارف بالله ابن الفارض

(ولو خطرت لي في سواك ارادة ۞ على خاطري سهوا حكمت بردتي)

(واخلاص الحركات لله) وكذا جعل السكنات في رضاه لان من احب لله وابغض لله واعطى لله ومنع لله فقد استكمل ايمانه وقد قال تعالى ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين (كما قالت عائشة رضي الله تعالى عنها كان خلقه القرآن) اى في جميع الشان (يرضى برضاه ويسخط بسخطه) اى لا ينشأ عنه شيء من الهوى ولا ينظر في جميع احواله الى غرض السوى بل يداوم على التخلق باخلاق المولى (ومن هذا) اى المقام (عبر بعضهم عن الخلة) اى التي هي خلاصة المرام لسلالة الكرام من الانام (بقوله قد تخللت مسلك الروح مني) اى تداخلت حبي اياك تخالط الروح من بدني وهو كالماء في العود الطري وكالطراوة في اللؤلؤ المدني (وبذا) اى وبذلك التخلل المأخوذة من الخلة (سمي الخليل) اى ابراهيم وغيره (خليلا فاذا ما) زائدة (نطقت) اى عنك (كنت حديثي) اى منك لما قيل من ان الاناء يترشح بما فيه ولما ورد من احب شيئا اكثر ذكره (واذا ما سكت) اى بك او عن غيرك او عن بيان حالي معك (كنت الغليلا) بالغين المعجمة والف الاطلاق اى حرارة العطش وفي نسخة الدخيلا اى الذي يداخل في الامور ويتخلل عما في الصدور (فاذا) بالتنوين وقد يكتب بالنون اى حينئذ (مزية الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم عادلت عليه الآيات) وفي نسخة الآثار وهي ملائمة لقوله (الصحيحة) المشتهرة الملتقاة بالقبول من الامة كحديث لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر خليلا وفي رواية ولكن اخي وصاحبي وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا وكحديث انا حبيب الله ونحو ذلك من شواهد الاحاديث الصحيحة المطابقة للآيات الصريحة (وكفى بقوله تعالى) اى كفى شاهدا ودليلا قوله سبحانه وتعالى (قل ان كنتم تحبون الله الآية) اى فاتبعوني يحببكم الله وهذه الغاية القصوى في المقام الاسنى حيث جعل متابعته شرط صحة دعوى محبته له تعالى ورتب على متابعته محبته سبحانه وتعالى له ولسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام تمنوا كونهم في امته ومتابعة ملته لتحصيل هذا المرام وهو مرتبة المحبوبية والمرادية المجذوبية الاصلية لاهل الكمال من السادة الصوفية ولذا قالوا جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين وقد قال الله تعالى الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب فالجملة الاولى اشارة الى مقام المراد

فی مرتبة المرید والثانیة الی مقام المرید فی حال الانابة ووصف المستزید والحاصل ان هذه الآیة الشریفة لما كانت دالة علی المرتبة المنیفة (حكی اهل التفسیر ان هذه الآیة لما نزلت قال الكفار انما یرید محمد ان نتخذه حنانا) بفتح الحاء المهملة وتخفیف النونین ای معبودا ومسجودا (كما اتخذ النصاری عیسی ابن مریم) وهذا باطل قطعا من وجهین احدهما انه صلی الله تعالی علیه وسلم لم یرد هذا المعنی اصلا بل لما قیل له انسجد لك قال لو امرت ان یسجد احد لاحد لامرت ان تسجد المرأة لزوجها وایضا انما نزل القرآن من اوله الی آخره علی رد اهل الشرك العنید واثبات التوحید علی وجه التجرید والتفرید فكیف یتصور له ان یرید خلاف ذلك حیث یكون مناقضا لما هنالك ولكنهم علی زعمهم وقیاس الكاملین علی نفوسهم ومقتضی طباعهم صدر هذا الكلام عنهم وظهر هذا المرام منهم وثانیهما ان التشبیه فی كلامهم غیر صحیح لان عیسی ابن مریم لم یرد اتخاذ النصاری له الها معبودا كما ظنوا لانه من صغره الی حال كبره كان یقول انی عبد الله وابرئ الاكمه والابرص واحیی الموتی باذن الله ولم یخطر بباله وجود من سواه فضلا عن اشراكه مع مولاه واما ما ذكره الدلجی من قوله الحنان الرحمة او العطف ای نتخذه موضع حنان من الرحمة فنرحمه ونعطف علیه ونتبرك به كما تخذت النصاری عیسی ابن مریم حنانا فلا یناسب التشبیه الذی یلایم التنزیه ولا یسبب لما قاله اهل التفسیر (فانزل الله غیظا لهم) ای زیادة غیظ فی حالتهم (ورغما) بفتح الراء ویضم وحكی كسرها ای ردا (علی مقالتهم هذه الآیة) ای الآیة وهی قوله (قل اطیعوا الله والرسول) لان اطاعة كل واحد مستلزمة لاطاعة الآخر وفیه ایماء له خفاء الی ان الرسول لا یأمر بالمنكر فتدبر (فزاده شرفا بامرهم بطاعته وقرنها بطاعته ثم توعدهم علی التولی) ای الاعراض (عنه) ای ابتداء وانتهاء (بقوله فان تولوا) یحتمل الماضی والمضارع ای تتولوا (فان الله لا یحب الكافرین) ای لا یرضی عنهم ولا یثنی علیهم وفی وضع الظاهر موضع المضمر تسجیل علی كفرهم لئلا یشمل الفاجرین بنوع من التولی لا یكون موجبا للكفر وفیه ایضا تنبیه نبیه علی ان مدار الامر علی الخاتمة ونوع خص علی التوبة الموجبة للمحبة والمغفرة والمثوبة (وقد نقل الامام ابو بكر بن فورك) بضم اوله وهو غیر منصرف للعلمیة والعجمة وقد یصرف (عن بعض المتكلمین كلاما فی الفرق بین المحبة والخلة یطول جملة اشاراته) ای وتفصیل عباراته (یرجع الی تفضیل مقام المحبة علی الخلة ونحن نذكر منه طرفا) بفتحتین ای شیئا یسیرا من الكلام (یهدی الی ما بعده) ای من مقام المرام (فمن ذلك قولهم الخلیل یصل) ای الی من اتخذه خلیلا (بالواسطة) ای اخذا لوصوله الیه بها دلیلا (من قوله تعالی وكذلك نری ابراهیم ملكوت السموات والارض) ای ولیكون بواسطة اراءة الله له ذلك من الموقنین لما هنالك (والحبیب یصل الیه) ای لحبیبه كما فی نسخة (به) ای بذاته دون واسطة من اراءة كائناته اخذا له (من قوله تعالی فكان قاب قوسین) ای قدرهما (او ادنی) ای بل ادنی من قابهما (وقیل الخلیل الذی تكون مغفرته فی حد الطمع) ای لانه من المریدین وهذا المعنی مأخوذ (من قوله تعالی والذی اطمع ان یغفر لی خطیئتی) ای یوم الدین (والحبیب هو الذی مغفرته فی حد الیقین) ای الناجز الذی غیر متوقف ولا متأخر الی حین لیكون صاحبه من المرادین (من قوله تعالی لیغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) ای من جمیع ما یصح فیه العتاب دون العقاب لعدم مناسبته فی هذا الباب وفی عطف ما تأخر اعتناء عظیم فتدبر فان الغفر ان السابق یشمل الواقع واللاحق (الآیة) ای ومع زیادة اتمام النعمة وكمال المنة بالهدایة الخاصة والنصرة العامة المستفادة من تتمة الایة التی هی قوله سبحانه وتعالی ویتم نعمته علیك ویهدیك صراطا مستقیما وینصرك الله نصرا عزیزا هذا وقد ذكر فرقا آخر بینهما بقوله (والخلیل قال ولا تخزنی یوم یبعثون) ای لكونه طالبا فی الطریق (والحبیب قیل له یوم لا یخزی الله النبی) ای لانه مطلوب فی مقام التحقیق وهذا المعنی فی التوفیق هو الذی بینه المصنف بقوله (فابتدئ) ای الحبیب (بالبشارة) ای بنفی الخزی والفضاحة عنه (قبل السؤال) ای بحصول المنال فی المآل بخلاف الخلیل حیث وقع منه السؤال ولم یقع جواب حصوله لا فی الحال ولا فی الاستقبال فیكون بین الخوف والرجاء فی تحسین المآل ثم ذكر فرقا آخر فقال (والخلیل قال فی المحنة) ای فی ابتلائه بنمرود حین القاه فی النار (حسبی الله) ای كافی فی دفع بلائی ورفع عنائی فكانت علیه بردا وسلاما (والحبیب قیل له یا ایها النبی حسبك الله) ووجه الفرق ان بونا بینا بین من یقول هو حسبی و بین من یقال له انا حسبك فان كل احد یدعی انه محب لله ولكن الكمال هو ان یقول الله انا محبوبه او محبه ونظیر هذا الفرق ما وقع بین قول یحیی وعیسی علیهما السلام حیث قال فی الاول وسلام علیه یوم ولد ویوم یموت و یوم یبعث حیا وقال الثانی والسلام علی یوم ولدت و یوم اموت و یوم ابعث حیا ولا شك ان السلام الاول فی هذا المحل افضل لانه شهادة من الله تعالی علی سلامته فی جمیع حالاته بخلاف الثانی فانه یخبر به عن حال نفسه وان كان صادقا فی مقاله ولا یتصور تخلف فی وقوعه ثم هذا لا ینافی كون عیسی افضل من یحیی لانه قد یوجد فی المفضول

ما لا يوجد في الفاضل مع انه قد يقال ابن عيسى كان في مقام الانبساط والبقاء فطال لسانه وكان يحيى في مقام القبض والفناء فكل لسانه فقام الحق عنه في الانتهاء كما قام هو بحقه سبحانه وتعالى في الابتداء حيث لم يبهم عصمته في الاشياء ومن كان الله له ومن ترك حظ نفسه قام الله معه هذا (والخليل قال واجعل لي لسان صدق) اي في الآخرين كما في نسخة اي ثناء جميلا وذكرا جزيلا فيمن يجيء بعده الى يوم الدين فاستجيب له فان امم الاوهم محبون له ومثنون عليه ويتمنون ان ينتسبوا اليه ولا يبعد ان يقال المراد بالآخرين هذه الامة من السابقين واللاحقين (والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك) اي فوق المنابر والمنائر مقرونا بذكره به بل مكتوبا على ساق عرشه واشجار جنته وقصورها ونحور حورها (اعطى) اي الحبيب صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك المنال في الحال (بلا سؤال) واجيب دعوة الخليل عليه السلام في الاستقبال (والخليل قال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام) اي بعدني واياهم عن عبادتها وهذه لغة نجد ولغة الحجاز جنبني واراد بنيه اصلبه حتى يصدق عليه ان دعاءه مستجاب عند ربه لظهور الكفر من بعض احفاده وفيه ايماء الى ان عصمة الانبياء بتوفيق الله وحفظه (والحبيب قيل له) اي من غير سؤال منه (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) اي الذنب المدنس (اهل البيت) بالنصب على المدح او النداء ولعل المراد باهل البيت من كان في زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم من اولاده وذريته وازواجه جميعا والخليل قال الملائكة لسارة زوجته رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت فمن هنا نشأ فرق آخر بين نسبة اهل بيت الحبيب ونسبة اهل بيت الخليل (وفيما ذكرناه) اي من الخلاف في تفسير الخلة والمحبة وما صدر من اهل المعرفة (تنبيه على مقصد اصحاب هذا المقال من تفضيل المقامات والاحوال) اي للمحبة والخلة وتفاوت مرتبة كل منهما في الحال والمآل وهو بالضاد المعجمة او المهملة كما في النسخ المختلفة (وكل يعمل على شاكلته) اي طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلال او على عادته وجبلته التي طبع عليها في اوائل الاحوال كما قال الله تعالى فاما من اعطى واتقى الآيتين (فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا) اي وبمن هو اخطأ مسلكا ودليلا فسبحان من اراد جعله مهيبا عزيزا ولو شاء صيره مهينا ذليلا

فصل

(في تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم) اي على غيره (بالشفاعة) اي العظمى تحت اللواء الممدود (والمقام المحمود) كالتفسير لما قبله (قال الله تعالى عسى ان يبعثك ربك) اي يقيمك (مقاما محمودا) اي يحمده فيه الاولون والآخرون (اخبرنا الشيخ ابو علي الغساني) بفتح الغين المعجمة وتشديد السين المهملة (الجياني) بفتح الجيم وبتشديد التحتية (فيما كتب) اي به كما في نسخة (الي) اي مرسلا او واصلا الي (بخطه) اي اجازة فان القاضي لم يسمع منه شيئا (ثنا) اي حدثنا (سراج بن عبد الله القاضي ثنا ابو محمد الاصيلي ثنا ابو زيد) اي المروزي (وابو احمد) اي الجرجاني (قالا) اي كلاهما (ثنا محمد بن يوسف) اي الفربري (ثنا محمد بن اسمعيل) اي البخاري (ثنا اسمعيل بن ابان) بفتح الهمزة وفيه الصرف وعدمه والاجود الصرف هو ابو اسحق الوراق ازدي كوفي روى عنه احمد وابن معين والدارمي وابو حاتم وخلق ووثقه احمد وجماعة وقال البخاري صدوق وقال غيره فيه تشيع ذكره الحلبي قلت هو لا ينفي كونه صدوقا (ثنا ابو الاحوص) بحاء وصاد مهملتين له اربعة آلاف حديث (عن آدم بن علي) اي العجلي (قال سمعت ابن عمر رضي الله تعالى عنهما يقول) اي موقوفا لكنه لكونه مما لا يقال مثله من قبل الرأي يكون في الحكم مرفوعا (ان الناس يصيرون) اي يكونون (يوم القيامة جثى) بضم الجيم مخففة مقصورا منونا جمع جثوة بضم جيمها وقد تكسر وحكي الفتح وهي ما جمع من تراب ونحوه ثم استعير للجماعة ومنه حديث عامر رأيت قبور الشهداء جثاء اي تربة مجموعة واما قول بعضهم جمع جاث وهو الذي يكون معتمدا على ركبتيه فبعيد بل لا يصح لان فاعلا لا يجمع على فعل مخففا وفي نسخة جثاء مضموم الجيم ممدود الآخر اي جماعات واحدها جثوة وفي اخرى بتشديد المثلثة جمع جاث وهو من يجلس على ركبتيه ومنه حديث علي انا اول من يجثو للخصومة بين يدي الله اي يحضرون فيه جماعات متخاصمين ومنه قوله تعالى وترى كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها وهو الملائم لقوله (كل امة تتبع نبيها يقولون) اي قائلين لانبيائهم باسمائهم (يا فلان اشفع لنا) اي لخصوصنا او لعمومنا (يا فلان اشفع لنا) اي وهكذا واحدا بعد واحد وهو يقول لست لها (حتى تنتهي الشفاعة) اي العظمى (الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فذلك) اي الوقت (يوم) بالرفع وروي بالنصب اي فذلك الحال في يوم (يبعثه الله المقام المحمود وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه) اي فيما رواه احمد والبيهقي (سئل عنها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعني قوله) اي يريد ابو هريرة بضمير عنها آية هي قوله (عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا فقال) اي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم جوابا لمن سأل

(هي الشفاعة) اي المراد بها مقام الشفاعة الكبرى لاهل الموقف عامة ولا يبعد ان يكون الضمير راجعا الى المقام المحمود وتأنيثه باعتبار الخبر فتدبر (وروى كعب بن مالك) اي كما رواه احمد (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة فاكون انا وامتي على تل) اي مكان مرتفع (و يكسوني ربي حلة خضراء) لعله اشارة الى مقام سعادة السيادة (ثم يؤذن لي) اي في القول بعد ان الخلق ما كانوا ينطقون (فاقول ماشاء الله ان اقول) اي من محامد الحق وشفاعة الخلق (فذلك المقام المحمود) وهذا لا ينافي ما ورد عن بعضهم منهم مجاهد ان المقام المحمود هو ان الله يجلس معه محمدا على كرسيه كما ورد به حديث وتعقبه القرطبي بانه قول غريب وانه ان صح يتأول على انه يجلسه مع انبيائه وملائكته ثم ذكر كلام ابن عبد البر قريبا منه على ما نقله الحلبي وفيه انه تأويل بعيد عن المقام غير سديد في حصول المرام بل المراد بالمعية انفراده صلى الله تعالى عليه وسلم عن البرية في مرتبة المزية كقول موسى ان معي ربي وسيأتي ما يؤيد هذا التأويل في مقام التفصيل (وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما) اي في رواية (وذكر حديث الشفاعة) اي العظمى (قال فيمشي) اي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (حتى يأخذ بحلقة الجنة) بسكون اللام وتفتح (فيومئذ) اي فحينئذ (يبعثه الله المقام المحمود الذي وعده) بصيغة الفاعل او المفعول اي وعده الله سبحانه وتعالى ان يقيمه يوم القيامة وفي رواية فاستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فاذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله ان يدعني الى ان قال عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال هذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم (وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه) كما رواه احمد وغيره (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه) اي المقام المحمود الموعود (قيامه عن يمين العرش مقاما ما يقومه غيره يغبطه) بفتح الياء وكسر الباء اي يتمناه (فيه الاولون والآخرون) وفي اصل الدلجي به وجعلها اما ظرفية اوسببية (ونحوه عن كعب) اي كعب الاحبار (والحسن) اي البصري (وفي رواية هو المقام الذي اشفع فيه لامتي) اي اصالة ولغيرهم تبعا او جعل الكل امة له لانه اخذ الميثاق منهم بانهم اوادركوه لآمنوا به واتبعوه كما ورد لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي (وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه) على ما رواه احمد (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اني لقائم المقام المحمود) اللام المفتوحة للتأكيد في خبر ان وتوهم الدلجي حيث قال اي والله اني لقائم ثم قال وهذا مرشد الى جواز القسم في الامر العظيم انتهى ولا خلاف في جوازه مطلقا الا ان بعض العارفين لم يحلفوا من جهة امر الدنيا لحقارتها (قيل وما هو) وللدارمي عنه قيل له ما المقام المحمود (قال ذلك يوم) روي بالنصب على انه ظرف مضاف الى الجملة وبالرفع والتنوين فيقدر فيه (ينزل الله تبارك وتعالى على كرسيه) اي يتجلى عليه كتجليه سبحانه على الطور وهو صلى الله تعالى عليه وسلم جالس على الكرسي كما سبقت به الرواية ولا يبعد ان يكون ينزل بضم اوله وكسر الزاي اي يوم يجلسه الله على كرسيه اشعارا للمقام عليه لكن يوافق المعنى الاول بقية الحديث الذي اشار اليه بقوله (الحديث) اي بطوله مع تتمة قوله فيئط اي يصوت كما يئط الرحل الجديد من تضايقه به اي لعظمة تجليه عليه وهو اي الكرسي يسع السماء والارض ويجاء بكم حفاة عراة غرلا بضم فسكون اي قلفا غير مختونين لقوله تعالى كما بدأكم تعودون فيكون اول من يكسى ابراهيم لانه اول من عري في ذات الله حين القي في النار والظاهر ان الاول هنا اضافي لقوله عليه الصلاة والسلام فيما سبق ويكسوني ربي حلة خضراء مع انه لا يدع ان يكون في المفضول بعض ما لا يوجد في الفاضل لا سيما وهو في مقام البنوة وحالة التبعية في مرتبة النبوة يقول الله تعالى اكسوا خليلي فيؤتى بريطتين اي ملاءتين رفيعتين بيضاوين من رياط الجنة ثم اكسى على اثره بفتحتين وبكسر فسكون اي على عقبه وهو يحتمل ان يكون خلعة اخرى بعد ما سبقت له الكسوة الاولى ثم اقوم عن يمين الله اي يمين عرشه او كرسيه او بجانب يمينه حال تجليه مقاما يغبطني الاولون والآخرون اي يتمنون ان يعطوا مثل ما اعطي ولا ينالونه ابدا (وعن ابي موسى) اي الاشعري مات بمكة وقيل بالكوفة (عنه عليه الصلاة السلام) كما رواه ابن ماجه (خيرت) بصيغة المجهول اي جعلت مخيرا ورواية المصابيح اتاني آت فخيرني (بين ان يدخل نصف امتي الجنة) اي من غير حساب وعذاب (وبين الشفاعة) اي في هذا الباب (فاخترت الشفاعة) اي من اول الوهلة (لانها اعم) اي في المنفعة والظاهر ان هذه الشفاعة دون الشفاعة العظمى مختصة بهذه الامة اما لادخال جماعة الجنة بغير محاسبة اولمن استحق دخول النار فلا يدخلها اولمن دخلها فيخرج منها وفي الجملة الشفاعة ثابتة على ما اجمع عليه اهل السنة لقوله تعالى يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا ولا عبرة بمنع الخوارج وبعض المعتزلة مستدلين بقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين فانه مخصوص بالكافرين واما تخصيصهم احاديث الشفاعة بزيادة الدرجات في الجنة فباطل لتصريح الادلة باخراج من دخل النار من المؤمنين منها كما يشير اليه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم

(أترونها) بالاستفهام الانكاري بمعنى الظن وبضم التاء وفتح الراء اي اتظنون الشفاعة التي اخترتها (للمتقين) اي عن المعاصي خاصة (ولكنها) وفي نسخة لا ولكنها الشفاعة (للمذنبين الخطائين) وفي نسخة للمؤمنين اي الكاملين وفي اخرى للمتقين بفتح النون وتشديد القاف المفتوحة والظاهر انه تصحيف ثم رواية ابن عرفة أترونها للمتقين ولكنها للمذنبين الملوثين فتأنيث يناسب النقية في مقام المقابلة ثم رأيت الحلبي قال وهو كذا في اصلنا لسنن ابن ماجه وهو اصل صحيح وقد قابله المحسن وقد كتب تجاهه على الهامش ن ق وعليها تصحيح مرتين والله تعالى اعلم ثم الخطائين بتشديد الطاء اي المبالغين في الخطأ اي بالعمد او الكثرة او العظمة ويؤيده قوله عليه السلام فيما رواه ابو داود والترمذي شفاعتي لاهل الكبائر من امتي وفي نسخة الخاطئين وفي اخرى للخاطئين باعادة العامل تأكيدا

(وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه) اي قال كما في نسخة وقد رواه البيهقي عنه وكذا اخرجه ابو عبد الله الحاكم وصححه (قلت يا رسول الله ماذا ورد) من الورود اي نزل (عليك في الشفاعة) ما استفهامية وذا موصولة بمعنى الذي وصلته ما بعده وفي نسخة صحيحة ماذا رد بضم راء وتشديد دال اي ماذا اجيب عليك في مقام الشفاعة او في امرها وفي اخرى بصيغة الفاعل لله او الملك (فقال شفاعتي) اي ورد على شفاعتي او اجيب شفاعتي (لمن شهد ان لا اله الا الله) اي وان لم يكن من امتي وقيل التقدير واني رسول الله اكتفاء باحد الجزئين عن الآخر علما بانه لا بد من الاتيان به في صحة الاسلام وقيل هذه الكلمة صارت علما لكلمتي الشهادة (مخلصا) اي لا كرها ولا نفاقا ولا رياء (يصدق) بتشديد الدال اي يطابق ويوافق (لسانه) بالنصب على انه مفعول او الرفع على انه فاعل وقوله (قلبه) عكس ذلك

(وعن ام حبيبة) اي ام المؤمنين كما رواه البيهقي والحاكم (أريت) بضم الهمزة وكسر الراء اي اظهر الله لي (ما تلقى) اي من الفتن والمتاعب (امتي) وفي اصل الدلجي من امتي اي بعضهم (من بعدي) متعلق بتلقى وفي نسخة بعدي اي بعد ذهابي الى ربي (وسفك بعضهم دماء بعض) وهو مصدر مضاف الى فاعله معطوف على ما تلقى ولا يبعد ان يكون سفك ماضيا عطفا على ما تلقى اي وما سفك ويؤيده قوله (وسبق) اي وما سبق (لهم من الله ما سبق للامم قبلهم) اي من الابتلاء ببعض الظلم (فسألت الله ان يؤتيني) اي يعطيني (شفاعة) وفي نسخة تولي شفاعتهم بتشديد اللام المكسورة اي يجعلني متوليا لشفاعتهم (يوم القيامة فيهم) اي في حقهم (ففعل) اي اعطاني ما سألت

(وقال حذيفة) كما رواه البيهقي والنسائي وهو وان كان موقوفا لكنه مرفوع حكما (يجمع الله الناس في صعيد واحد) اي ارض مستوية لا ترى فيها عوجا ولا امتا (حيث يسمعهم الداعي) اي صوته وهو بضم الياء وكسر الميم وهذا على الفرض والتقدير وقال الدلجي لعله بعد الشفاعة لفصل القضاء ايتها الخلائق هلموا الى الحساب انتهى ويرد عليه ما يأتي من بقية الحديث في الكتاب (وينفذهم البصر) بفتح الياء وضم الفاء والذال المعجمة وفي نسخة بضم الياء وكسر الفاء اي يبلغهم ويجاوزهم بصر الناظر بحيث لا يخفى احد منهم من الاكابر والاصاغر لاستواء الصعيد الظاهر وعن ابي عبيد ينفذهم بصر الرحمن اي يأتي عليهم جميعهم وفيه ان بصره تعالى دائما يحيط بهم وقد يدفع بان اثباته مقيدا لا ينافي دوامه ولعل وجه التخصيص هو افادة هول المقام او ظهور ذلك الوصف على وجه الكمال والتمام على سائر الانام كما ذكروا في قوله سبحانه مالك يوم الدين وعن ابي حاتم ان المحدثين يروونه بالذال المعجمة وانما هو بالمهملة اي يبلغ اولهم وآخرهم حتى يراهم كلهم من نفد الشيء واغتدته قال الحجازي وفيما قاله نظر اذ في الصحاح نفذ البصر بالمعجمة القوم بلغهم وجاوزهم ونفد بالمهملة فني ولعله من انفذ فيضم اول مضارعه انتهى وقال النووي محصله خلاف في فتح الياء وضمها وفي الذال والدال وفي الضمير في ينفذهم والاصح فتح الياء وبالذال المعجمة وانه بصر المخلوق انتهى قال ابو عبيد وحمل الحديث على بصر المبصر اولى من حمله على بصر الرحمن لان الله يجمع الناس يوم القيامة في ارض يشهد جميع الخلائق حساب العبد الواحد على انفراده ويبصرون ما يصير اليه هذا وقد روي ان صفوف اهل الجنة مائة وعشرون صفا منها ثمانون لامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وباقيها لغيرهم زاد كعب ما بين كل صفين كما بين المشرق والمغرب (عراة) لا ثياب على بدنهم ولا نعال بارجلهم وفي رواية حفاة وزاد الشيخان في روايتهما غرلا بضم الغين المعجمة وسكون الراء جمع اغرل وهو الاقلف (كما خلقوا) اي اول مرة (سكوتا) اي غير ناطقين (لا تكلم) بحذف احدى التائين اي لا تتكلم (نفس) اي بما ينفع او ينجي من جواب او شفاعة (الا باذنه) كقوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا في موقف واما قوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ففي موقف آخر او المأذون فيه هو الجوابات الحقة والممنوع منه هو الاعتذارات الباطلة (فينادي) بصيغة المفعول (محمد) بالرفع والتنوين على انه نائب الفاعل وفي رواية بالضم على حذف النداء ويؤيد الاول قوله (فيقول لبيك) اي اجيبك اجابة (وسعديك) اي ساعدت طاعتك مساعدة بعد مساعدة

(والخير في يديك) اى بتصرفك وفى حيز ارادتك وقدرتك فى الدنيا والعقبى كما قال الله تعالى وان لنا للآخرة والاولى
(و الشر ليس اليك) اى منسوبا وان كنت خالقه ادبا اولا يتقرب به اليك اصلا اولا يصعد اليك وانما يصعد اليك
الخير قولا و عملا اوليس الشر بالنسبة الى حكمك وحكمتك فانك لاتحكم باطلا ولا تخلق عبثا والا فمن المعلوم
عند اهل الحق من اهل السنة والجماعة ان جميع الكائنات خيرها وشرها ونفعها وضرها وحلوها ومرها من الله
تعالى ومنسوبة الى خلقه على وجه اراده (والمهتدى) اى فى الحقيقة وفى نسخة والمهدى (من هديت) اى بخلق
الهداية وتوفيق الطاعة وتحقيق الرعاية (وعبدك بين يديك) اى حاضر معتمد عليك (ولك) اى الحكم والقضاء
(واليك) اى مرجع الخلق والامر فى الابتداء والانتهاء (لاملجأ) بالهمز مقصورا (ولامنجى) بالقصر وقد يهمز
للازدواج وقد يبدل همز الاول الفا للمشاكلة اى لامستند ولامعتمد ولاملاذ ولامعاذ (منك) اى من قضائك
(الااليك) اى بالرجوع الى ساحة فنائك (تباركت) اى تكاثر خيرك (وتعاليت) اى تعظم شانك (سبحانك رب
البيت) بالنصب على النداء وجوز رفعه على الابتداء اى انت رب البيت والاضافة للتشريف (قال) اى حذيفة
(فذلك) اى المجمع المذكور والمقال المسطور هو (المقام المحمود الذى ذكره الله) اى ذكره فى كتابه المشهور بقوله عسى
ان يبعثك ربك مقاما محمودا (وقال ابن عباس) لفظه موقوف وحكمه مرفوع (اذا دخل اهل النار النار واهل
الجنة الجنة) لعل تقديم اهل النار للاشعار بانهما مر الابرار والفجار اولان ذكر النعمة اوقع فى النفس بعد ذكر
النقمة اوترهيبا فى اول الوهلة من اهوالها وترغيبا فى الجنة نظرا الى حسن مآلها (فتبقى آخر زمرة) اى جماعة
(من الجنة) اى من زمر اهلها باقية فى النار (وآخر زمرة من النار) اى ثابتة فيها (فتقول زمرة النار) اى من الكفار
(لزمرة الجنة) اى الواقعة فى النار من الفجار (ما نفعكم ايمانكم) اى المجرد عن الطاعة حيث لم يدخلكم الجنة
(فيدعون ربهم و يضجون) بفتح الياء وكسر الضاد المعجمة وتشديد الجيم اى و يصيحون لما يجزعون من شماتة الاعداء
فى فظاعة البلاء ولذا قيل النار ولاالعار (فيسمعهم اهل الجنة فيسئلون آدم وغيره بعده فى الشفاعة لهم) ولعل
الحكمة فى سؤالهم من غير نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم اولا ليظهر اختصاصه بذلك المقام آخرا (فكل) اى فكل
واحد منهم (يعتذر) اى بما عوتب عليه و بما ناسب من صورة الذنب اليه (حتى يأتوا محمدا فيشفع لهم) اى فيشفع فى
حقهم وتقبل شفاعته لهم (فذلك المقام المحمود) اى فى الجنة وهو لاينافى كونه المقام المحمود ايضا فى الموقف
(ونحوه) اى مثل قول ابن عباس فيما رواه احمد والطيالسى (عن ابن مسعود ايضا ومجاهد) اى موقوفا اومقطوعا
(وذكره) اى مثله اونحوه (على بن الحسين) اى ابن على بن ابى طالب قيل لم يعجب من ولد السرارى الاثلاثة على بن
الحسين بن على بن ابى طالب وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب والقاسم بن محمد بن ابى بكر الصديق رضى الله
تعالى عنهم (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى مرسلا رواه الحاكم عن اهل العلم عنه موصولا (وقال جابر بن
عبدالله) اى كما رواه مسلم (ليزيد الفقير) هو يزيد بن صهيب الفقير لانه كان يشكو فقار ظهره فهو فعيل بمعنى مفعول
وفقرات الظهر خرزاته من عجب الذنب الى نقرة القفا ثنتان وثلاثون فقرة وقد ضربت عائشة مثلا فى عثمان فقالت
ركبوا منه الفقر الاربع استعارته من فقار الظهر لماارتكبوا منه لانها موضع الركوب اى انتهكوا فيه اربع حرم حرمة
الصحبة والصهورة والخلافة والبلدة روى عنه ابو حنيفة ومسعر وجماعة ثقة اخرج له الشيخان وغيرهما (سمعت)
بفتح التاء اى اسمعت (بمقام محمد يعنى الذى يبعثه الله فيه) اى من المقام المحمود (قال) اى يزيد (قلت نعم) اى سمعت
اللفظ الذى افاد نيه (قال) اى جابر (فانه مقام محمد) اى الخاص به (المحمود الذى يخرج الله به) اى بسببه
(من يخرج) بضم ثم كسر اى من يخرجه من عصاة عامة المؤمنين اوخاصة هذه الامة والاول اظهر لماسبق فتدبر
(يعنى من النار) اى يريد اخراج من يخرجه من النار (وذكر) اى جابر (حديث الشفاعة فى اخراج الجهنميين) اى فوجا
فوجا من النار على حسب مراتب الفجار (وعن انس رضى الله تعالى عنه نحوه) اى فى رواية الشيخين (وقال) اى انس
(فهذا) اى الاخراج المذكور (المقام المحمود الذى وعده) اى الله سبحانه وتعالى وفى نسخة بصيغة المجهول
(وعن سلمان) اى الفارسى وهو سلمان الخير وسلمان بن الاسكار عاش ثلثمئة وفى اصل التلمسانى عن شيبان بدل عن سلمان
قال وهو بشين معجمة وياء مثناة من اسفل و بعدها موحدة لعله شيبان بن عبد الرحمن النحوى انتهى والظاهر انه
محرف لمخالفته سائر النسخ المعتبرة والاصول المعتمدة (المقام المحمود هو الشفاعة فى امته يوم القيامة) اى بالاصالة
وفى غيرهم بالتبعية اولانه هو البادئ فى مقام الشفاعة و يتبعه الانبياء فى تلك الساعة (ومثله عن ابى هريرة رضى الله
تعالى عنه) كما فى الصحيحين (وقال قتادة) تابعى مشهور (كان اهل العلم) اى من اكابر الصحابة واجلاء التابعين (يرون)
بصيغة الفاعل من الرأى او بصيغة المفعول اى يظنون (المقام المحمود شفاعته يوم القيامة) اى لعامة الخلق

في اراحتهم من عذاب الموقف (وتلى) اى وكان واحلى (ان المقام المحمود) اى هو كما في نسخة (مقامه صلى الله عليه
والسلام للشفاعة) اى العظمى في الساعة الكبرى (مذاهب السلف) اى السالفين (من الصحابة والتابعين وعامة
ائمة المسلمين) اى من المجتهدين والمفسرين والمحدثين وسائر علماء الدين رضى الله تعالى عنهم اجمعين (وبانت) اى وبطلت
ماذكر وعلى وفق ماسطر (سائت) الشفاعة (مفسرة) اى مبينة (في صحيح الاخبار) اى ما كادت تتواتر عن الاخيار
(عنه عليه الصلاة والسلام وجاءت مقالة في تفسيرها شاذة) اى منفردة (عن بعض السلف) وهو مجاهد مع انه
لعل الثقات صحيفة في اصول الروايات وحصول الدرايات (يجب ان لا تثبت) اى ضد الاثبات لعدم الاتيان
(انه بصدها) اى لم يقوها (صحيح اثر) من منقول (ولاسديد نظر) اى من معقول واستظهار السديد والسداد ماكان
موافقا للحق والرشاد ومنه قوله تعالى وقولوا قولا سديدا (ولو صحت) اى على فرض صحة بعض اسانيدها حيث
لا تقاوم مايعارضها (لكان لها تأويل غير منكر) اى معروف معتبر عند ارباب النظر جمعا بين الادلة
كما هو طريق المحققين من الائمة وحاصله انه روى عن مجاهد انه قال يجلسه معه على العرش وعن عبدالله بن سلام
قال يقعده على الكرسي وامثال ذلك فظاهره منكر من القول فيجب رده وانكاره على قائله او تأويله بحسن الظن
بقائله وبعضهم اول ذلك بان يجلسه مع انبيائه وملائكته على ما حكاه الطبرى وقد قدمنا تأويلا آخر فتدبر (لكن
ما ورد من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يرده) بتشديد الدال اى يرد ظاهر ماجاء بخلافه ويدفعه فيتعين ان يؤول فيرد
اليه ولا ينعكس الامر عليه وفي نسخة ترده بفتح التاء وكسر الراء وتخفيف الدال اى ترد عليه ويلائمه قوله (ولا يجب
ان يلتفت اليه) اى بتأويل وقال وقيل لانه تضييع عمر في توضيح امر (مع انه لم يأت) اى خلافه (في كتاب ولا سنة)
اى ثابتة حتى يحتاج الى التأويل ومعالجة (ولا اتفق) وفي نسخة ولا اتفقت (على القول به امة) اى جماعة من المجتهدين
وعلماء الدين حتى يحتاج الى التأويل بجمعه ارباب اليقين (وفي اطلاق ظاهره منكر من القول وشنعة) بضم فسكون
اى وشناعة في العبارة بانى دفعها بالاشارة (وفي رواية انس وابى هريرة وغيرهما) على مافي الصحيحين ونحوهما
(دخل حديث بعضهم في حديث بعض) اى فيما ذكرناه هنا عنهم (قال عليه الصلاة والسلام يجمع الله الاولين
والآخرين يوم القيامة) اى ويقوم الناس لرب العالمين (فيهتمون) بتشديد الميم اى فيحزنون حزنا شديدا الا انه
لا يهتم احد الا بنفسه ولا يلتفت الى غيره ولو كان اقرب اهله ويقصدون ازالة هذا الهم العظيم والكرب الفخيم
وذلك لما وجد في حديث ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله ولا بعده مثله (اوقال فيلهمون) اى الى طلب
الشفاعة بالوسيلة الى احد من كبراء البرية (فيقولون لو استشفعنا الى ربنا) اى لكان حسنا اولى مما يكون فيه نجاتنا
او لو للتمني ولا جواب له (من طريق آخر) اى لهذا الحديث باعتبار اسناده او راويه (عنه) اى عن النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم (ماج الناس بعضهم في بعض) اى دخلوا فيما بينهم واضطربوا اضطراب ماء البحر حال شدة غليانه
ايماء الى قوله تعالى وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض واشارة الى قوله تعالى او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج
من فوقه موج (وعن ابى هريرة) اى في حديث الشيخين (فتدنو الشمس) اى تقرب من رؤسهم قدر الميل كما في رواية
على اختلاف في ان المراد منه ميل الفرسخ او ميل المكحلة ثم قيل الشمس في الدنيا وجهها الى جهة السماء وهي
ظاهرة لنا من جهة القفا فينقلب امرها في العقبى (فيبلغ الناس) بالنصب وقيل بالرفع (من الغم) بيان مقدم لقوله
(ما لا يطيقون) اى الصبر عليه والتحمل لديه وهذا معنى قوله (ولا يحتملون) اى لا يقدرون ولا يستطيعون (فيقولون)
اى بعضهم لبعض (الا تنظرون) اى الا تختارون (من يشفع لكم) اى الى ربكم في ازاحة الموقف عنكم (فيأتون آدم)
بدؤا بما بدأ الله به ليظهر جلالة ما ختم الامر به (فيقولون) اى له جمل مقصودهم من الشفاعة لعودهم
(زاد بعضهم) اى في بيان ما اجمل من القول (انت آدم ابو البشر) اى فيتعين عليك الشفقة والمرحمة على الذرية مع
كونك معظما مكرما عنده سبحانه وتعالى من جملة الطائفة البشرية (خلقك الله بيده) اى بقدرته من غير واسطة
في خلقته (ونفخ فيك من روحه) اى الخاص بتشريفه وكرامته (واسكنك جنته) اى واظهر عليك نعمته ورحمته
(واسجد لك ملائكته) اى تعظيما لشانك وتفخيما لبرهانك (وعلمك اسماء كل شئ) اى دليلا على ظهور سلطانك
(اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا) من الاراحة بمعنى الازاحة واعطاء الراحة بالازالة من محل الغضب
الى موضع حكمه الرب من دار الثواب او دار العقاب (فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا) اى عظيما لكونه عجيبا
(لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله) اى فلا يمكنني الشفاعة فيه لا سيما (ونهاني عن الشجرة) اى اكلها (فعصيت)
اى بذوقها وهي شجرة الكرم وقيل السنبلة وقيل شجرة العلم عليها معلوم الله تعالى من كل لون وطعم ذكره الحنفي
وفيها اقوال اخر وهي الحنطة والتين والكافور ذكرها الحجازي (نفسي نفسي) اى اهم عندي من غيري او ارحم

نفسي اوخاص نفسي ولا اجترئ على غير مقامي (اذهبوا الى غيري) من الانبياء والاصفياء عموما (اذهبوا الى نوح) اى خصوصا لانه اول اولى العزم من الرسل (فيقولون) اى فيأتون نوحا فيقولون (انت اول الرسل الى اهل الارض) اى من الكفار والفجار فلاينافى ان آدم ايضا مرسل الى اولاده الابرار وكذا شيث بن آدم وادريس جد نوح ولدشيث على ماعليه علماء الاخبار (وسماك الله عبدا شكورا) اى وصفك به حيث قال فى كتابه انه كان عبدا شكورا اى مبالغا فى الشكر مع انه تعالى قال وقليل من عبادى الشكور (الاترى ما نحن فيه) اى من الغم والحزن (الاترى ما بلغنا) بفتح الغين وجوز اسكانها اى وصلنا من الشدة (الاتشفع لنا الى ربك) اى ليكون خلاصنا بسببك (فيقول ان ربى غضب اليوم) اى اظهر (غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله) اى لانقطاع تكليف من يؤاخذ بترك ما كلفه (نفسي نفسي) فيه ايماء الى قوله تعالى يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها (قال) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فى رواية انس ويذكر) اى نوح اعتذارا عن ترك الشفاعة فى تلك الساعة (خطيئته التى اصاب) اى اصابها وتابها (سؤاله ربه) بيان او بدل مما قبله (بغير علم) حال من الضمير فى سؤاله ووجه العتاب انه كان الاولى ان يفوض الامر الى المولى ولم يقل ان ابنى من اهلى حتى لا يقال انه ليس من اهلك عندى (وفى رواية ابى هريرة) اى زيادة فى قول نوح (وقد كانت لى دعوة) اى مستجابة فى حق العامة (دعوتها على قومى اذهبوا الى غيرى) اى من بعدى من اكابر اخوانى (اذهبوا الى ابراهيم فانه خليل الله فيأتون ابراهيم فيقولون انت نبى الله تعالى) اى ورسوله (وخليله من اهل الارض) اى فى زمانه (اشفع لنا الى ربك الاترى ما نحن فيه) اى من الكرب (فيقول ان ربى قد غضب اليوم غضبا فذكر مثله) اى مثل آدم او مثل نوح او مثل ما تقدم (ويذكر ثلاث كلمات) اى فى صورة كذبات وهى انى سقيم وفعله كبيرهم هذا وانها اختى لسارة (كذبهن) اى وليست كذاب وانما هى معاريض وتوريات حيث اراد بقوله فعله كبيرهم هذا معنى التبكيت بدليل قوله تعالى ان كانوا ينطقون وبقوله انى سقيم اى سأسقم لان من عاش يسقم او يهرم ويموت وبقوله اختى اختى فى الاسلام الاان الاولى لمراتب الانبياء تركها (نفسي نفسي لست لها) اى للشفاعة العظمى لكونى متلوثا بنوع من الخطايا (ولكن عليكم بموسى) استدراك لدفع ما ارهقهم من خيبة الامل ووصمة الخجل وعليكم اسم فعل والباء زائدة لمزيد الاستعانة اى الزموا موسى واستعينوا به على الشفاعة عند المولى (فانه كليم الله تعالى) ويقتضى انه ممن طال لسانه لا ممن كل بيانه (وفى رواية فانه عبد) وفى نسخة عبدالله (آتاه الله التورية) اى وهى من اعظم الكتب الالهية واولها (وكلمه) اى تكليما (وقربه) اى تشريفا وتكريما (نجيا) اى مناجيا (قال فيأتون موسى فيقول لست لها) اى للحال التى ظننتم انى مستعد لها (ويذكر خطيئته التى اصاب) اى اصابها ووقع فيها (وقتله النفس) اى وقتله القبطى وهو عطف تفسيرى بدليل رواية بعض رواة البخارى بدون عاطفة وقد عده خطيئة كما عده من عمل الشيطان فى الآية وسماه ظلما واستغفر به منه جريا على عادة الانبياء فى استعظامهم محقرات جائزة صدرت عنهم اذ لم يكن هذا عن عمد بل وقع خطأ فى كافر حربى ظالم على مسلم سبطى قبل الاذن بقتله وقد ابعد الدلجى فى شرحه للخطيئة بعجلته الى ربه فانها فى نفسها نقيصة ومن ثم عتبه عليها بشهادة وما اعجلك عن قومك يا موسى فانه سؤال عن سببها تضمن انكارها من حيث انها نقيصة انضم اليها اغفال قومه انتهى ولايخفى ان هذه جراءة عظيمة ونقيصة فخيمة من الدلجى حيث اثبت خطيئة لكليم الله تعالى هو عنها نزيه وقد لاطفه سبحانه وتعالى بقوله وما اعجلك عن قومك يا موسى ليترتب عليه الجواب بالوجه الاولى كما قال تعالى وما تلك بيمينك يا موسى قال هى عصاى اتوكأ عليها واهش بها على غنمى ولى فيها مآرب اخرى فكذا فى الجواب هنا قال هم اولاء على اثرى وعجلت اليك رب لترضى اى ما تقدمتهم الا بخطى يسيرة ابتغاء لمرضاتك فى المسارعة الى امتثال امرك والمبادرة الى الوفاء بوعدك (ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله تعالى) اى ذو روح خاص من خلقه اجراه فيه بنفخ جبريل فى جيب درع امه فاحدثه فى بطنها بلاتوسط مادة او اضافته للتشريف كبيت الله وناقة الله (وكلمته) اى حيث كان بكلمة كن او كان يكلم الناس فى المهد بطريق خرق العادة فكذا ينبغى ان يتكلم فى مقام الشفاعة وهول الساعة فى موقف القيامة (فيأتون عيسى فيقول لست لها) اى مجازا او مأذونا لامرها (عليكم بمحمد) فان علمه ووصفه معلم بكون المقام المحمود له خاصة (عبد) بالجر على انه صفة لمحمد وبالرفع على تقدير هو عبد (غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر) اى بالنص فى كتابه واما غيره فمن ابهم فى جوابه والحاصل انه غير معاتب بما صدر عنه فيطلب هذا المقام منه (فأوتى) بصيغة المفعول المضارع المتكلم من اتى يأتى وابدال الهمزة الثانية واوا اللاجتماع الذى وقع فيه الاجماع والمعنى فيأتونى كما فى رواية وهى بتشديد النون اى فيجيئونى ويطلبون الشفاعة منى (فاقول انا لها) اى كائن او معد او مختص او مدخر او مأذون

او يطوف (فانطلق) اى الى جهة العرش او باب الجنة (فاستأذن على ربى) اى فى الطلوع الى الكرسى او فى الدخول الى الجنة وفى مقام الشفاعة لما ورد مصرحا به فى مكان لا يقف فيه داع الا اجيب ليس فيه بينه وبين ربه حجاب (فيأذن لى) اى ويتجلى على بظهور آثار الجمال وسر مكاشفة استار الكبرياء والجلال (فاذا رأيته) اى علمته بهذا الحال من اوصاف الكمال (وقعت ساجدا) اى شكرا لما انعم على من الافضال هذا ولا يبعد ان يكون المراد بالرؤية رؤية الذات الجامعة لجوامع كمال الصفات فانه جائز فى الآخرة عند اهل السنة والجماعة خلافا للمحرومين من سعادة الزيادة ثم الحكمة فى نقله صلى الله تعالى عليه وسلم من موقف العرض والحساب المؤذن بجملة السآمة والملامة الى موقف الرحمة والكرامة لتقع الشفاعة موقع الاجابة كى يجرى دعاءه موقف الخدمة فانه احق بالاستجابة لموضع الحرمة وقد جاء فى مسند احمد ان هذه السجدة والسجدة الآتية بعدها مقدار كل سجدة جمعة من جمع الدنيا وجاء فى بعض الاخبار ان كل يوم مقدار عشر سنين فهاتان السجدتان كل سجدة مقدار سبعين سنة (وفى رواية فآتى) اى فاجئ (تحت العرش فاخر ساجدا وفى رواية) اى بدل فآتى تحت العرش (فاقوم بين يديه) اى يدى العرش او بين يدى ربه فى مقام العبودية والخلوص عن الواسطة الغيرية (فاحمده بمحامد لا اقدر عليها) اى الآن كما فى نسخة اى لا اعرفها فى الدنيا ولا اقدر على ان اعرفها رواية ولا ينتهى محامد احمده بها لانحصرنى الآن (الآن) اى لكنه سبحانه وتعالى (يلهمنيها) اى فى ذلك المقام لتكميل المرام وفى نسخة الآن يلهمنيها وفى اخرى ان يلهمنيه الله وفى نسخة بمحامد لا اقدر عليه قال النووى هكذا هو فى الاصول يعنى فى اصول مسلم قال وهو صحيح ويعود الضمير عليه الى الحمد (وفى رواية فيفتح الله على بمحامد) وفى نسخة بمحامده (وحسن الثناء عليه) عطف تفسيرى على ما قاله الدلجى والاظهر هو التأسيس بالمغايرة فان الثناء اعم من الحمد كما لا يخفى مع ان الحمد قد يرد بمعنى الشكر (شيئا) اى عطاء (لم يفتحه على احد قبلى) اى ولا بعدى من باب الاكتفاء او بالبرهان الاولى او المعنى قبل وقتى هذا (قال فى رواية ابى هريرة رضى الله تعالى عنه فيقال يا محمد ارفع رأسك) اى رفع الله قدرك (سل) اى لنفسك (تعطه) بهاء السكت على بناء المفعول مجزوما على جواب الامر (واشفع) اى فى حق غيرك (تشفع) بتشديد الفاء المفتوحة اى تقبل شفاعتك ولا ترد دعوتك (فاقول يا رب امتى) اى اسألك عفوهم اولا وعفو غيرهم آخرا او لوحظ فى الامة معنى التغليب للاشرفية او كان جميع الامة فى تلك الحالة كامته لرجوعهم الى حضرته والتجائهم الى دعوته والتكرير للتأكيد او امتى حقيقة امتى مجازا وهذا كله اذا اريد به المقام المحمود من الشفاعة الكبرى هو الظاهر من السياق والسباق واللحاق (فيقول) اى الله سبحانه وتعالى او ملك بامره وفى نسخة فيقال (ادخل من امتك) اى من اهل الاجابة (من لا حساب عليه) اى لا مؤاخذة ولا عتاب اما عدلا واما فضلا وهو الاظهر فضلا (من الباب الايمن) اى الابرك او الاقرب لكونه يمينا فان ابواب الجنة من جهة اليمين لا شك انها كثيرة كما يشير اليه قوله (من ابواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب) اى ان اختاروا دخولهم منها وهذا غاية التعظيم ونهاية التكريم انه يعرض عليهم جميع الابواب ويختار لهم الافضل الابرك الاقرب الى ذلك الجناب قال المؤلف فى شرح مسلم للجنة ثمانية ابواب باب الصلاة وباب الصدقة وباب الصوم ويقال له الريان وباب الجهاد وباب التوبة وباب الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وباب الراضين ثم قال فهذه سبعة ابواب جاءت فى الاحاديث واما الثامن فهو الباب الايمن الذى يدخل منه من لا حساب عليه والله تعالى اعلم (ولم يذكر) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فى رواية انس رضى الله تعالى عنه) اى عنه (هذا الفصل) اى من الكلام وهو قوله عليه الصلاة والسلام فى رواية ابى هريرة فيقال يا محمد ارفع رأسك الى قوله فيما سواه من الابواب (وقال) اى فى رواية ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (مكانه) اى بدل ما سبق (ثم اخر) بفتح همزة وكسر خاء معجمة فتشديد راء اى اسقط (ساجدا) اى لله توسلا به لانه اقرب حال يكون العبد من ربه فى مقام قربه (فيقال لى يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك) اى كل كلامك (واشفع تشفع وسل تعطه) اى جميع مرامك (فاقول يا رب امتى امتى فيقال انطلق فمن كان فى قلبه مثقال حبة) اى وزنها (من برة) بضم موحدة وتشديد راء اى حنطة (او شعيرة) شك من الراوى فى رواية مسلم (من ايمان) اى من ثمراته من اعمال القلب كشفقة على مسكين او خوف من الله تعالى او نية صادقة او نحو ذلك والله تعالى اعلم لان نفس الايمان لا يتجزأ ويدل عليه ما جاء فى رواية اخرى وكان فى قلبه من الخير ما يزن كذا (فاخرجه) اى من النار او من موقف النار (فانطلق) اى فاذهب (فافعل) اى ما امرت به من اخراج من يستوجب العذاب قال الغزالى وفى مفهوم هذا الحديث ان من ايمانه يزيد على مثقال حبة من برة او شعيرة لا يدخل النار اذ لو دخل لامر باخراجه اولا قال ومن اهل النار من يعذب قليلا ومنهم من يعذب الف سنة

واقصاه فی حق المؤمنین سبعة آلاف سنة قال وذلك آخر من یخرج من النار علی ماورد فی الاخبار (ثم ارجع الی ربی) ای مقام الخطاب (فاحمده بتلك المحامد وذكر مثل الاول) ای مثل ماتقدم اومثل ذكر الراوی الاول وهو قوله ثم اخر ساجدا الخ (وقال فیه) ای فی هذا الحدیث من روایة مسلم (مثقال حبة من خردل) ای من ایمان والخردل بالدال و یقال بالذال حب الرشاد والواحد خردلة (فافعل) وفی نسخة قال فافعل (ثم ارجع) ای الی ربی كما فی نسخة صحیحة (وذكر مثل ماتقدم وقال) وفی نسخة ثم قال (فیه) ای فی الحدیث من روایة مسلم (من كان فی قلبه ادنی ادنی ادنی) ثلاث مرات كذا فی اصول مسلم علی ماذكره النووی (من مثقال حبة من خردل) وهذا كله مثل للقلة لان الایمان والمعرفة عرض لایوزن بالكمیة وانمایختلف باعتبار الكیفیة (فافعل) وفی نسخة قال فافعل ای فی المرة الثالثة ماامرت به من الاخراج (وذكر فی المرة الرابعة) ای من روایة البخاری (فیقال لی ارفع رأسك وقل تسمع كما فی نسخة ای یجب قولك وتستجب دعوتك (واشفع تشفع وسل) وفی نسخة واسئل (تعطه فاقول یارب ائذن لی فیمن) ای فی شفاعة من (قال لااله الاالله) ای فی اخراج من اكتفی بالتوحید المقرون باقرار النبوة من النار وادخاله فی دار الابرار وفی هذا اشعار بان ماسبق من تقدیر مثقال حبة ونحوها من الایمان ثمرته المعبر عنها بالایقان اوالعمل بالاركان لامجرد الایمان الذی هوالتصدیق القلبی والاعتراف اللسانی فكانه اراد بمن قال لااله الا الله من لم یصدر عنه عبادة سواه (قال لیس ذلك) ای الامر باشفاعة فی حقه راجعا (الیك) ولعل وجهه انه لم یصدر عنه ما یوجب المتابعة الباعثة علی الشفاعة وانماوقع منه مجرد اطاعة الامر الالهی بالتوحید الربانی وقبول ارسال النبی الصمد انی هذا ولما كان النفی موهما ان لا شفاعة لهم اصلا ولا خلاص لهم فضلا وانمایجب عذابهم عدلا كمایوهم المعتزلة فی هذه المسئلة فصلا استدرك سبحانه واكده بالقسم وعظم شانه بقوله (ولكن وعزتی وكبریائی) ای ارتفاع مقامی (وعظمتی وجبریائی) بكسر الجیم والراء ممدودا قیل اتی به كذا اتباعا والصحیح انه لغة فی الجبروت ای وجبروتی المشعر بالجبر والقهر المشیر الی انی لاابالی (لاخرجن من النار من قال لااله الاالله) ای ولومرة من غیر تكرار واكثار یعنی من شهد انه لامعبود موجود قادر علی كل شیئ سواه و به خص عموم حدیث البخاری اسعد الناس بشفاعتی من قال لااله الاالله خالصا من قلبه ای وعمل عملا صالحا لربه ویؤیده حدیث الشیخین ولم یبق الارحم الرحمین فیقبض قبضة من النار فیخرج منها قوما لم یعملوا خیرا قط ای غیر لااله الاالله (ومن روایة قتادة عنه) ای عن انس رضی الله تعالی عنه (قال) ای النبی علیه الصلاة والسلام (فلاادری فی الثالثة اوالرابعة) اعتراض بین قال ومقوله افاد صدور شك اما من انس اومن قتادة فی ایتهما قال (فاقول یارب مابقی فی النار الامن حبسه القرآن) ای منعه ترك الایمان بمانزل به القرآن وقوله (ای من وجب علیه الخلود) حاصل المعنی وخلاصة المبنی وهذا تفسیر قتادة قیل ومعناه من اخبر القرآن انه مخلد فی النار وهم الكفار (وعن ابی بكر) ای الصدیق رضی الله تعالی عنه بروایة احمد وابن حبان (وعقبة بن عامر) ای بروایة ابن ابی حاتم وابن مردویه (وابی سعید) ای بروایة الترمذی (وحذیفة) ای بروایة ابی داود فی البعث (مثله) ای مثل حدیث انس (قال فیاتون محمدا فیؤذن له) ای فی الشفاعة (وتأتی الامانة والرحم فتقومان) بالتأنیث تغلیبا (جنبتی الصراط) بفتح النون ویسكن ای جانبیه وناحیتیه وطرفیه یمنة ویسرة والمعنی انهما یمثلان اویجسمان فیشهدان للامین والواصل وعلی الخائن والقاطع وقال بعضهم ویجوز ان تحمل الامانة علی الامانة العظمی المؤذن بها ایة اناعرضنا الامانة والرحم علی صلتها الكبری المشیر الیها قوله تعالی یاایها الناس اتقوا ربكم الی قوله تعالی واتقوا الله الذی تساءلون به والارحام فیدخل فی الحدیث معنی التعظیم لامر الله والشفقة علی خلق الله فكانهما اكتنفتا جنبتی الصراط المستقیم و الدین القویم هذا وقدجاء ان الصراط صعوده الف سنة واستواؤه الف سنة وهبوطه الف سنة وفی مسلم عن ابی سعید بلغنا انه احد من السیف وادق من الشعر وهذا جاء مسندا مرفوعا عنه علیه الصلاة السلام واما قول الحلبی فان قیل الصراط مم هو فالجواب انه شعرة من جفون عین مالك فغیر منقول المبنی ولامعقول المعنی فلایجزم بهذا الجواب بل یقال فی مثل هذا لاادری لانه نصف العلم والله تعالی اعلم بالصواب (فذكر) وفی نسخة وذكر بالواو (فی روایة ابن مالك) كما اخرجه ابوداود فی البعث (عن حذیفة فیاتون محمدا فیشفع فیضرب الصراط) بصیغة المجهول ای فیوضع علی متن جهنم جسرا ممدودا فی حدیث الحاكم علی شرط مسلم ورواه غیره ایضا یوضع الصراط مثل حد الموسی (فیمرون) ای علیه كما فی نسخة وجاء فی روایة فیتهافت اهل النار فیها و ینجو اهل الجنة منها كما قال تعالی ثم ننجی الذین اتقوا ونذر الظالمین فیها جثیا (اولهم كالبرق) ای الخاطف كما فی روایة (ثم كالریح والطیر) ای وكالطیر (وشد الرجال) بالجیم ای عدوهم وجریهم وقدخطئ من رواه بالمهملة وهو العرفی

وجمله جمع رحل وهي رواية ابن ماهان والمراد به هنا الناقة فان الرحل ما يوضع على البعير ثم يعبر به تارة عن البعير مجازا لكن الاول هو الصحيح المعروف بخط المصنف مضبوط بالجيم وهو كذا لكافة رواة مسلم وعند الهروي الرجال بالحاء قال ابن قرقول وهو تصحيف هذا وقد اغرب بعضهم في قوله ان المرور للصراط اهم (ونبيكم) بالرفع يعني تقصد على طريقة التجريد (على الصراط) اي مستعليا (يقول اللهم سلم سلم) التكرير للتكثير اي بالنسبة الى كل احد من دعوة التحرير ويؤيده قوله (حتى يجتاز الناس) وحتى تحتمل الغاية والعلة (وذكر) اي النبي عليه الصلاة والسلام (آخرهم جوازا) بفتح الجيم اي مرورا على الصراط ولو روي بكسرها لجاز ويكون معناه مجاوزة عنه (وفي رواية ابي هريرة رضي الله تعالى عنه فاكون اول من يجيز) بضم الياء وكسر الجيم وبالزاي اي من يمضي عليه ويقطعه وفي نسخة يجوزه وهما لغتان يقال جاز واجاز بمعنى كما ذكره النووي وزاد في نسخة صحيحة يومئذ (وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) اي كما رواه الشيخان (عنه عليه الصلاة والسلام يوصم) يجوز تذكيره وتأنيثه (للانبياء منابر) اي على قدر مراتبهم (يجلسون عليها ويبقى منبري لا اجلس عليه قائما) اي نارا كالجلوس حال قيامي (بين يدي ربي منتصبا) اي على هيئة طالب الحاجة عند صاحب النعمة (فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد ان اصنع بامتك فاقول يارب عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته) اي بتوفيق طاعته (ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي) اي لقة صبره في متابعتي (ولا ازال اشفع حتى اعطى) بصيغة المفعول للمتكلم (صكاكا) بكسر الصاد جمع صك بفتح الصاد فارسي معرب اي كتبا (برجال) اي باشخاص كتب فيها اسماؤهم (قد امر بهم الى النار) اي اولا فيقع خلاصهم بالشفاعة آخرا (حتى ان خازن النار) بكسر الهمزة وفتحها (ليقول) بفتح اللام المؤكدة (يا محمد ما تركت لغضب ربك في امتك من نقمة) بكسر نون وسكون قاف ويقال انها ككلمة اي عقوبة وفي نسخة بقية اي من نفس باقية (ومن طريق زياد) اي ابن عبد الله (النميري) بضم النون وفتح الميم بصري اختلف في توثيقه وتضعيفه (عن انس) كما رواه البيهقي وابو نعيم (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال انا اول من تنفلق) بالفاء بعد النون اي تنشق وتنفرق (الارض عن جمجمته) بضم الجيمين اي عن رأسه ومنه قوله تعالى فالق الحب والنوى اي شاقهما للانبات والمعنى انه اول من ينشق عنه القبر في بعث (ولا فخر) اي ولا اقول فخرا بل اتحدث شكرا او امتثال امرا (وانا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر ومعي لواء الحمد يوم القيامة وانا اول من يفتح له الجنة) اي بابها (ولا فخر) اي فيه وفي قوله ايضا (فآتي) الفاء تفصيلية اي فاجيء (فآخذ بحلقة الجنة) بسكون اللام وتفتح والمعنى فاحركها كما في رواية (فيقال من هذا فاقول محمد فيفتح لي فيستقبلني الجبار تعالى) اي يتجلى بالصفات العلى (فاخر له ساجدا) اي استعظاما لله على مراده وطلبا منه لرضائه على عباده (وذكر نحو ما تقدم) اي من رواية ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (ومن رواية انيس) تصغير انس وفي نسخة من رواية انس والاول هو الصواب وهو رجل من الانصار روى عنه شهر بن حوشب ولم ينسبه ولم يرو عنه غيره حديثه كذا في الاستيعاب وقال اسناده ليس بالقوي (سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لاشفعن يوم القيامة لاكثر مما في الارض من حجر وشجر) وقد رواه احمد بسند حسن عن بريدة اي لاشفعن الخ والمعنى لعدد هو اكثر مما في الارض جميعهما من حجر وشجر والقصد الكثرة او المراد بهذا النوع من الحجر والشجر فتدبر وقد ابعد الدلجي حيث قال ولا يستبعد ان يستغيث به صلى الله تعالى عليه وسلم النباتات والجمادات مما لا يعقل فرقا من حر نار جهنم وبرد زمهريرها نعوذ بالله منها (فقد اجتمع من اختلاف هذه الآثار) وفي نسخة صحيحة من اختلاف الفاظ هذه الآثار اي الاخبار المنقولة عن الاخيار (ان شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم) اي للخلق (ومقامه المحمود) اي بين يدي الحق (من اول الشفاعات) وهو الشفاعة العظمى لفصل القضاء (الى آخرها) وهو اخراج المؤمنين من النار (من حين يجتمع الناس) بفتح النون وفي نسخة بالتنوين اي من وقت فيه يجتمع الناس (للحشر) وهذا الجار والمجرور خبران او ما قبله هو الخبر وهذا ظرف لوقوع الشفاعات وظهور مقامه المحمود فيه ومن ابتدائية اي فابتداؤهما من حيث اجتماعهم للحشر بعد سؤالهم الانبياء ليشفعوا كما يشير اليه قوله (وتضيق بهم الحناجر) حتى لا يكاد احد منهم يخرج نفسا من تفاقم الهم وتراكم الغم بصوادع القول وصوارع الهول فيرتفع الى الحنجرة وهي رأس الغلصمة حيث تراه نائتا فيضيق ومنه قوله تعالى وبلغت القلوب الحناجر وهذا كناية عن ضيق الاحوال عند مشاهدة الاهوال (ويبلغ منهم) اي يؤثر فيهم (العرق) اي عرق الخجالة (والشمس) اي حرارتها مع دنوها (والوقوف) اي تعب القيام على ارجلهم (مبلغه) اي نهاية وصوله وغاية حصوله (وذلك) اي وجميع ما ذكر من انواع التعب الحاصل لعامة الخلق (قبل الحساب) اي الذي يترتب عليه الثواب والعقاب (فيشفع حينئذ لاراحة الناس من الموقف) بالراء اي لتخليصهم من تعبه وبالزاي لازالتهم وتبعيدهم من نصبه (ثم يوضع الصراط)

اى على ظهر جهنم كما ورد (و يحاسب الناس كما جاء فى الحديث عن ابى هريرة وحذيفة رضى الله عنهما) اى كما سبق (وهذا الحديث اتقن) بالتاء الفوقية والقاف اى احكم وبالقول احق ولوروى بالياء التحتية مجاز ومعناه اثبت (فيشفع فى تعجيل من لاحساب عليه من امته الى الجنة) اى اولا (كما تقدم فى الحديث) اى السابق (ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب) اى استحق العقاب لارتكاب المعاصى من المؤمنين (ودخل النار منهم حسب) بسكون السين وفتحها ونصبه على المصدر اى وفق ومثل (ما تقتضيه الاحاديث الصحيحة) اى بالدلالات الصريحة (ثم فيمن قال لااله الا الله) اى وعمل عملا ما يقتضاه (وليس هذا) اى قبول شفاعته لمن قال لااله الا الله (لسواه صلى الله تعالى عليه وسلم) اى من بين الشفعاء (وفى الحديث المنتشر) اى المشتهر (الصحيح) اى الوارد فى الصحيحين (لكل نبى دعوة) اى عامة (يدعو بها) اى لامته اوعليهم وقد دعا بها كل منهم فى الدنيا كما وقع لنوح وصالح وهود وموسى عليهم السلام (واختبأت) وفى رواية ادخرت (دعوتى شفاعة لامتى يوم القيامة) اى لاجل النفع العام فى اهم المقام (قال اهل العلم) اى بعضهم (معناه) اى معنى حديث لكل نبى دعوة لكل منهم (دعوة اعلم) بصيغة المجهول اى اعلم (انها) اى تلك الدعوة (تستجاب لهم) اتى بضمير الجمع نظرا الى معنى كل وافرد فى اعلم باعتبار لفظه وفى رواية اعلموا بصيغة الجمع مجهولا وهو ظاهر (ويبلغ) بصيغة المجهول اى يوصل (فيها مرغوبهم) و يحصل مطلوبهم (والا) اى وان لم يكن كذلك ولم يحمل على ما هنالك (فكم) اى فكثيرا (لكل نبى منهم من دعوة مستجابة) اى استجيبت لهم فى الدنيا (ولنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم منها) اى من اصناف الدعوة (مالا يعد) اى مالا يحصى (لكن حالهم) اى فى باقى دعواتهم (عند الدعاء بها) اى بالدعوة التى لم يعلموا باستجابتها (بين الرجاء والخوف) وهو لاينافى غلبة رجاء المراد على خوف فوته فى بعض المواد (وضمنت لهم) بصيغة المجهول مخففا اى جعلت مضمونة (اجابة دعوة) اى واحدة (فيما شاؤه) اى ارادوه واختاروه (يدعون بها على يقين من الاجابة) حال من ضمير يدعون (وقد قال محمد بن زياد) اى الجمحى البصرى يروى عن ابى هريرة و عائشة رضى الله تعالى عنهما وغيرهما وعنه شعبة و الحمادان وآخرون ثقة (وابو صالح) اى السمان الزيات الكوفى هو من الائمة الثقات روى عن عائشة وابى هريرة وغيرهما وعنه بنوه وخلق سمع منه الاعمش الف حديث توفى بالمدينة واسمه ذكوان بالذال المعجمة (عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه فى هذا الحديث لكل نبى دعوة دعا بها) اى استعجل بها (فى امته) اى فى هلاكهم اونجاتهم (فاستجيب له وانا اريد ان اوخر دعوتى) بهمز و يبدل وفى نسخة صحيحة ادخر بالدال المشددة اى اجعلها ذخيرة اوقت الشدة (شفاعة لامتى يوم القيامة وفى رواية ابى صالح عن ابى هريرة) كما فى الصحيحين (لكل نبى دعوة مستجابة) اى فى حق عامة امته (فتعجل كل نبى دعوته) اى طلب حصولها فى الدنيا وانى ادخرت شفاعتى لامتى فى العقبى اى فان نفعها اعم واتى زاد مسلم فهى نائلة اى واصلة وشاملة ان شاء الله تعالى من مات لا يشرك بالله شيئا (ونحوه فى رواية ابى زرعة عن ابى هريرة) وابو زرعة هذا هو عارم بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلى الكوفى يروى عن جده وغيره وروى عنه خلق من التابعين وثقه ابن معين وغيره (وعن انس مثل رواية ابن زياد عن ابى هريرة فتكون هذه الدعوة المذكورة مخصوصة بالامة مضمونة الاجابة) اى فى حق العامة (والا فقد اخبر صلى الله تعالى عليه وسلم انه سأل) اى ربه (لامته) اى لبعضهم اولكلهم (اشياء من امور الدين والدنيا اعطى بعضها ومنع بعضها) اى من حيث انها لم تكن مضمونة الاجابة (وادخر لهم هذه الدعوة) اى لعامة الامة التى هى مضمونة الاجابة (ليوم القيامة) وفى نسخة صحيحة ليوم الفاقة اى لوقت شدة الحاجة (وخاتمة المحن) اى وغاية انواع المحنة ونهاية اصناف الشدة (وعظيم السؤل) بسكون الهمز و يبدل هو الامنية (والرغبة) عطف تفسيرى (جزاه الله) اى عنا (احسن ما جزى) اى الله تعالى (نبيا عن امته) اى ورسولا عن دعوته (وصلى الله تعالى عليه وسلم تسليما كثيرا) اى سلاما كثيرا يترتب عليه مراما كبيرا هذا وقد ثبت انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال سألت ربى لامتى ثلاثا فاعطانى ثنتين ومنعنى واحدة سألته ان لايهلك امتى بالسنة فاعطانيها وسألته ان لايهلك امتى بالغرق فاعطانيها وسألته ان لايجعل بأسهم بينهم فمنعنيها وفى مسلم استأذنت ربى فى ان استغفرلها يعنى امه فلم يؤذن لى واستأذنت فى ان ازور قبرها فاذن لى والله سبحانه وتعالى اعلم ثم قيل آخر من يخرج من النار هناد بعد سبعة آلاف سنة قال الحسن ياليتنى كنت هنادا يعنى لقطعه بحسن الخاتمة خوفا من سوء العاقبة فنسئل الله تعالى العافية

فصل

(فى تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الجنة بالوسيلة) وهى منزلة القربة والوصلة (والدرجة الرفيعة) اى العالية التى ليس فوقها درجة (والكوثر) فوعل من الكثرة ومعناه الخير الكثير والعطاء الوفير وفى الحديث اعطيت الكوثر وهو نهر

فى الجنة يعنى ويصب منه فى حوض الكوثر يوم القيامة (والفضيلة) اى الصفة الزائدة التى تعجز عن بيانها الواصفون مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولا بعد ان يراد بهما انواع الفضيلة فهو تعميم بعد تخصيص (حدثنا القاضى ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمى) تقدم (والفقيه ابو الوليد هشام بن احمد) سبق (بقراءتى عليهما قالا ثنا) اى حدثنا (ابو على الغسانى) بتشديد السين المهملة مر ذكره (قال ثنا النمرى) بفتح النون هو الحافظ ابن عبد البر (ثنا ابن عبد المؤمن) اى عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن القرطبى (ثنا ابو بكر التمار) بتشديد الميم نسبة الى التمر (ثنا ابو داود) وهو محدث العصر صاحب السنن (ثنا محمد بن سلمة) اى المرادى ابو الحارث المصرى وكان احد الائمة الاثبات (ثنا ابن وهب) سبق ذكره (عن ابن لهيعة) بفتح فكسر حضرمى مصرى ضعيف وكان قاضى مصر (وحيوة) بفتح الحاء المهملة وسكون التحتية ابن شريح المصرى التجيبى كان عابدا مجاب الدعوة روى عنه البخارى وغيره (وسعيد ابن ابى ايوب) اى المصرى ثقة (عن كعب بن علقمة) وفى نسخة عن كعب عن علقمة والاول هو الصواب كما صرح به الحلبى وغيره وهو تابعى روى عن سعيد بن المسيب وطائفة وعنه الليث وجماعة (عن عبد الرحمن بن جبير) بضم الجيم وفتح الموحدة مصرى فقيه مقرئ ثقة وكان مؤذنا (عن عبد الله بن عمرو بن العاص) وفى نسخة العاصى بالياء والصواب الاول (انه سمع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول) قال الحلبى هذا الحديث اخرجه القاضى كما ترى من سنن ابى داود وقد اخرجه ابو داود فى الصلاة واخرجه مسلم ايضا فيها بالسند الذى اخرجه ابو داود سواء الا انه قال عن ابن وهب عن حيوة بن شريح وسعيد بن ايوب وغيرهم كلهم عن كعب بن علقمة به واخرجه الترمذى فى المناقب وقال صحيح والنسائى فى الصلاة وفى اليوم والليلة وانما اخرجه المصنف من عند ابى داود ولم يخرجه من عند مسلم للتنوع فى الروايات ولان بينه وبين ابى داود فى هذا الحديث خمسة اشخاص بالسماع ولو روى بالاجازة عن ابى على الغسانى كان بينه وبينه اربعة وليس كذلك مسلم فان مسلما يقع له بالسماع بينه وبينه ستة وتارة خمسة فوقع له حديث مسلم موافقة فى شيخه انتهى وحاصله انما اسنده الى ابى داود دون مسلم لقرب سنده اليه (اذا سمعتم المؤذن) اى صوته وفى نسخة يؤذن اى حال كونه يؤذن او حين اذانه (فقولوا مثل ما يقول) اى من كلمات الاذان جميعها الا الحيعلتين لحديث مسلم وغيره عن عمر المتقدم منه انه يقال عند سماعهما لا حول ولا قوة الا بالله ثم هل الامر بالقول المعلق بالسماع واجب على من سمع حيث لا مانع او مندوب قال النووى فيه خلاف ذكره الطحاوى والصحيح عن الجمهور ندبه واختلفوا هل يندب عند سماع كل مؤذن او الاول فقط والاصح يندب اجابة الكل وكون الاول آكد (ثم صلوا على) قال الحلبى صرفه عن الوجوب الاجماع (فانه) اى الشان (من صلى على مرة) كذا فى الاصول وكانها سقطت من اصل الدلجى فقال اى مرة بقرينة المقام (صلى الله عليه) اى بها كما فى اصل الدلجى وقال بالمرة او بالصلاة مرة لكنه هو غير موجود فى الاصول والمعنى رحمه وضعف اجره (عشرا) اى باعتبار اقل المضاعفة الموعودة بقوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها (ثم اسئلوا) وفى نسخة ثم سلوا (الله لى الوسيلة فانها منزلة) اى عطية كائنة (فى الجنة لا تنبغى) وفى نسخة لا ينبغى اى لا يحصل او لا يليق (الا لعبد) اى كامل (من عباد الله) اى من انبيائه واصفيائه (وارجو ان اكون انا هو) ثم جوز ان يجعل انا مبتدأ خبره هو والجملة خبرا لكون وان يجعل تأكيدا لاسمها وخبرها وضع موضع اياه او وضع اسم اشارة اى انا ذلك العبد واتى بلفظ الرجاء تأدبا وايماء الى انه لا يجب على الله شئ (فمن سأل الله لى الوسيلة) اى هذه الدرجة وفى معناه كل ما يتوصل به الى زيادة الرتبة (حلت) بتشديد اللام اى نزلت ووقعت (عليه الشفاعة) اى وجبت وجوبا واقعا عليه وقيل غشيته وقيل حقت وثبتت له وفى الحديث ايذان بجواز سؤال الدعاء من المفضول ليفوز من الفاضل المدعو له مع ثواب الله سبحانه وتعالى لهما بمائدة عظيمة وعائدة جسيمة من نحو شفاعة وسعادة قربة مع الايماء الى ان مراتب القرب الى الله تعالى لا تتصور فيها الانتهاء (وفى حديث آخر) كما رواه الترمذى (عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه الوسيلة اعلى درجة فى الجنة وعن انس رضى الله تعالى عنه) كما فى البخارى (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينا انا اسير فى الجنة اذ عرض لى) اى ما جاءنى وظهر لى (نهر) بفتح الهاء وتسكن (حافتاه) بتخفيف الفاء اى جانباه وطرفاه (قباب اللؤلؤ) بكسر القاف جمع قبة وهى بيت صغير مستدير ووقع فى اصل الدلجى فيه لؤلؤ مثل القباب وهو ليس من نسخ الكتاب ولا اظنه انه رواية فى هذا الباب بل هو من تصرف الكتاب فى اصل التلمسانى اللؤلؤ والدار فقيل هما بمعنى وقيل اللؤلؤ الكبير (قلت لجبريل ما هذا) اى الذى اراه (قال هذا الكوثر الذى اعطاكه الله تعالى) اى خاصة (قال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم ضرب) اى جبريل (بيده الى طينه) بالاضافة وفى نسخة الى طينة بالتنكير وتاء التأنيث اى من طينه (فاستخرج مسكا) اى شيئا هو مسك او كمسك وسماه طينا جريا على غالب العادة فى كون مقر الماء طينا او بحسب الصورة (وعن عائشة وعبد الله بن عمرو) بالواو (مثله) اى مثل حديث

انس قبله (قال) اى فى حديثهما (ومجراه) اى جريان مائه (على الدر) اسم جنس واحده درة وكذا قوله (والياقوت) اى ومن تحتهما المسك كالطين تحت حصى الماء فلا منافاة بين حديثهم (وماؤه احلى) اى اكثر حلاوة واشد لذاذة (من العسل وابيض) وفى رواية واشد بياضا (من الثلج) وفى رواية ابيض من اللبن قال الدلجى ولا يلزم من كونه احلى من العسل الاستغناء به عن انهار العسل المصفى فى الجنة لانها ليست للشرب انتهى ولا يخفى ان نفى كونها للشرب يحتاج الى بيان حجة فى تحقيق المدعى والتحقيق ان الانهار الاربعة عامة لاهل الجنة والكوثر موضوع للخاصة مع انه قد يقال التقدير وماؤه احلى من العسل الموجود فى الجنة باعتبار كمال اللذة (وفى رواية عنه) اى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فاذا هو) اى ماؤه (يجرى) اى على وجه الارض من غير نهر (ولم يشق) بصيغة الفاعل وفى نسخة بصيغة المفعول (شقا) اى لم يمل الى شق من احد طرفيه بل يجرى جريا مستويا كما اراده سبحانه او تمناه صاحبه من اهل الجنة (عليه) اى على النهر (حوض) اى عظيم (ترد عليه) وفى نسخة صحيحة ترده (امتى) اى ضيافة فى الجنة او يوم القيامة والثانى اظهر لقوله (وذكر) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (الحوض) ومطلقه ينصرف الى الاشهر مع احتمال التعدد فتدبر ومعنى كون الحوض على النهر اعتماده عليه من حيث ان ماءه يمتد من مائه ومنتهى اليه اذ النهر فى الجنة والحوض خارجها لما ورد ليردن على الحوض اقوام اعرفهم و يعرفوننى ثم يحال بينى و بينهم فاقول انهم منى فيقال لا تدرى ما احدثوا بعدك فاقول سحقا سحقا لمن غير بعدى (ونحوه) اى ونحو ما ذكر عن المذكور بن مروى (عن ابن عباس وعن ابن عباس ايضا) كما فى البخارى (قال الكوثر الخير الذى اعطاه اياه) اى ومنه الحوض وغيره ولعله لم يصفه بالكثير كما فى بعض الروايات لما يستفاد من الصيغة للمبالغة (وقال سعيد بن جبير والنهر الذى فى الجنة من الخير الذى اعطاه الله) اى لانه مقصور على النهر او الحوض بل الكوثر اتم واعم والله تعالى اعلم (وعن حذيفة فيما ذكر عليه الصلاة والسلام عن ربه) اى راويا عنه (واعطانى الكوثر نهرا من الجنة) بنصب نهرا على انه بدل او بتقدير اعنى او على المدح ووقع فى اصل الدلجى مخالفا للنسخ نهر بالرفع فقال خبر حذف مبتدأه اى هو لشهادة رواية اعطيت الكوثر وهو نهر فى الجنة (يسيل) اى ينصب (فى حوضى) اى يوم القيامة او فى الجنة (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) كما روى ابن جرير وابن ابى حاتم بسند صحيح (فى قوله) اى فى تفسير قوله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى قال) اى ابن عباس (الف قصر من لؤلؤ ترابهن المسك وفيه) اى وفى كل قصر او فيما ذكر من القصور وقد اخطأ التلمسانى بقوله صوابه فيهن (ما يصلحهن) بضم الياء وكسر اللام اى ما يصلح القصور و يزينهن و يحسنهن من الخدم و الازواج والاثاث واصناف الحور وانواع الحور (وفى رواية اخرى) اى مبينة للاولى (وفيه) اى وفى كل قصر (ما ينبغى) اى يليق له (من الازواج) اى نساء الجنة من الحور وغيرها من نساء الدنيا وهن افضلهن واكملهن جمالا لما قدمن فى الدنيا اعمالا (والخدم) اى من غلمان كانهن لؤلؤ مكنون والله تعالى اعلم وقد ذكر الدار قطنى من طريق مالك بن مغول عن الشعبى عن مسروق عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى اعطانى نهرا يقال له الكوثر لا يشاء احد من امتى ان يسمع خرير ذلك الكوثر الا سمعه فقلت يا رسول الله كيف ذلك قال ادخلى اصبعيك فى اذنيك وسدى فالذى تسمعين فيهما من خرير الكوثر ونقله السهيلى ذكره التلمسانى

﴿ فصل ﴾

(فان قلت اذا تقرر) اى ثبت وتحرر (من دليل القرآن وصحيح الاثر) وفى نسخة الآثار ووقع فى اصل الدلجى الاخبار (واجماع الامة) اى من اتفاقهم (كونه صلى الله تعالى عليه وسلم اكرم البشر) يعنى والبشر خير من الملك كما هو مقرر (وافضل الانبياء) وهم اعم من الرسل (فما معنى الاحاديث الواردة بنهيه عن التفضيل) اى بين الانبياء (كقوله فيما حدثناه الاسدى قال حدثنا السمرقندى ثنا) اى حدثنا (الفارسى) بكسر الراء وهو عبد الغفار (ثنا الجلودى) بضم الجيم واللام (ثنا ابو سفيان) وهو ابراهيم (ثنا مسلم) وهو صاحب الصحيح (ثنا ابن مثنى) وفى نسخة محمد بن مثنى بضم ميم وفتح مثلثة وتشديد نون منون (ثنا محمد بن جعفر) وهو غندر وقد تقدم (ثنا شعبة) اى ابن الحجاج (عن قتادة سمعت ابا العالية) يراد به هنا رفيع بن مهران فانه الذى روى عنه قتادة واما زياد بن فيروز فيروى عنه ايوب السختيانى ومطر الوراق و بديل بن هبيرة كما حققه الحلبى (يقول حدثنا ابن عم نبيكم صلى الله تعالى عليه وسلم يعنى) اى يريد به (ابن عباس) وهو عبد الله (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) قال الحلبى وهذا الحديث فى البخارى ومسلم وابى داود (ما ينبغى) اى ما يصح او ما يصلح (لعبد ان يقول انا خير من يونس ابن متى) بفتح الميم وتشديد المثناة فوق مقصورا وقد تقدم انها امه والمراد بعبد كل مكلف ثم يختلف الحكم بحسب انا فان لم يكن نبيا فقد كفر لما فيه من الانتقاص الذى

به كبرا فيهي اذ ذاك الخير منه وان كان نبيا فيبقى له التواضع لما كرهه للنبوة كما قرره السبكي واستدرك صلى الله
تعالى عليه وسلم بذلك انه لا يجوز لاحد من امتي ان يطلق ويقول انا خير من يونس ابن متى تفضيلا له عليه وعلى
من ذلك التواضع لربه قاله التوربشتي وانما خص يونس بالذكر دون غيره من الرسل لما قصه الله تعالى في كتابه
من توليه عن قومه وتضجره منهم وما ضيق عليه ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم وقال وهو مليم
وقال اذ ابق الى الفلك المشحون فلم يؤمن صلى الله تعالى عليه وسلم ان يخامر بواطن ضعفاء امته ما يؤدي الى تنقيصه
دون ان ذلك ليس بقادح فيما حمله الله من كرامة النبوة وشرف الرسالة وانه مع ما صدر منه كاخوانه من المرسلين
انتهى وقد يقال وجه تخصيصه من بين الانبياء لكونه صلى الله تعالى عليه وسلم لما وقع عروجه الى السماء ليلة
الاسراء وحصل له مقام قاب قوسين او ادنى مع سائر الكرامات وكان معراج يونس بطن الحوت في ظلمات
ربما يتوهم متوهم ان معراج السموات اقرب الى الرب فيكون صاحبه افضل واجب فدفع بان الامكنة بالنسبة
الى الله تعالى مستوية اذ هو بذاته تعالى منزه عن المكان ولو كانت اعلى في ظهور الشان (وفي شرح هذا الطريق عن ابي
هريرة قال يعني) اي يريد ابو هريرة بالقائل (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما ينبغي لعبد الحديث) اي الى
كما تقدم (وفي حديث ابي هريرة) اي كما رواه الشيخان (قال اليهودي الذي قال) اي حين اسب هو ورجل من الانصار
(والذي اصطفى موسى على البشر) اي في زمانه ولكنه باطلاقه المتبادر كان يعم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فضربه
انه هو (فصكه رجل من الانصار) اي غيرة على نبينا المختار (وقال تقول ذلك) اي اتقول هذا القول (والنبي بين
اظهرنا) اي بيننا موجود وظاهرا دعاوة مسعود (فبلغ ذلك) اي الخبر (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اي فدعا
الانصاري فاخبره بذلك (فقال لا تفضلوا) بضم اوله وتشديد الضاد المكسورة اي لا توقعوا التفضيل (بين الانبياء)
اي بمجرد الاهواء والآراء وزاد بعضهم ثم قال ولا اقول ان احدا افضل من يونس ابن متى ثم ان النسخ والاصول
بالضاد المعجمة واغرب الطيبي حيث قال ومعناه بالصاد المهملة اي لا تفرقوا بينهم بتفضيل وبالمعجمة لا توقعوه بينهم
انتهى وهو صحيح المعنى وانما الكلام في ثبوت المبنى مع ما فيه من منع وحثه لقوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم
على بعض ولا بد من اعتقاد التفضيل بالاجمال او التفصيل واما قوله تعالى لا نفرق بين احد منهم فالمعنى نؤمن بكلهم
تعريضا لليهود فيما حكاه الله تعالى عنهم ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض (وفي رواية) اي للشيخين ولابي داود
والنسائي (لا تخيروني) بضم التاء وكسر الياء المشددة اي لا تفضلوني (على موسى) فانه تواضعا او ردعا عن تفضيل
يوجب نقصا او فتنة مفضية الى عصبية وحمية جاهلية او كان هذا قبل ان يعلم انه سيد ولد آدم والله تعالى اعلم (فذكر)
اي الراوي (الحديث) اي بقيته وهي قوله قال فان الناس يصعقون يوم القيامة فاصعق فاكون اول من يفيق فاذا
موسى باطش بجانب العرش فلا ادري اكان فيمن صعق فافاق قبلي او كان فيمن استثنى الله تعالى وفي رواية فلا ادري
احوسب بصعقة ام لا وهي لعد ان يغشى على الانسان من صوت شديد يسمعه وربما مات ثم استعمل في الموت كثيرا
والمراد بها ههنا ما ماله وخر موسى صعقا قال المصنف رحمه الله تعالى وهذا من اشكل الاحاديث لان موسى قد مات
فكيف تدركه الصعقة وانما يصعق الاحياء فيحتمل ان تكون هذه الصعقة صعقة فزع بعد البعث حين تنشق السماء
ويؤيده قوله فيفيق فانه انما يقال افاق من الغشي وبعث من الموت وبه جزم التوربشتي حيث قال واما الصعقة
في الحديث فهي دهشة عند نفخة الفزع واما البعث فلا تقدم لاحد على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فيه
واختص موسى عليه السلام بهذه الفضيلة لا يوجب له تفضيلا على من فاز بسوابق جمة ولواحق عمة (وفيه) اي
وفي هذا الحديث (ولا اقول ان احدا خير من يونس ابن متى وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه) كما في رواية البخاري
(ومن قال انا خير من يونس ابن متى) اي من جميع الوجوه (فقد كذب) او قد يكون له خصوصية في نوع من الفضيلة
قال السبكي ويجوز رجوع انا الى المتكلم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم او الى كل قائل اي لا يقول ذلك احد وان بلغ
في العلم والعبادة او غيرهما من الفضائل ما بلغ فانه لم يبلغ ما بلغه يونس من درجة النبوة انتهى ولا يخفى ان ما في الحسنة
السابق يحتمل الاحتمالين واما هنا فالاحتمال الى العقل بعيد عن موضع تحقيق وتأييد لان جزاءه حينئذ فقد كفر
كما سبق تقرر وايضا ما كان احد يتوهم منه انه يدعي كونه افضل من يونس حتى ينهى عنه وانما كان يتوهم
بعضهم ان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم افضل منه في امر النبوة والرسالة اوفى علو المرتبة وفضيلة الدرجة فيهام
اما اعلاما بتسوية نسبة النبوة والرسالة واما تواضعا لربه وهضما لنفسه واما قبل علمه بعلو مقامه (وعن ابن
مسعود لا يقولن احدكم انا خير من يونس ابن متى وفي حديثه) اي ابن مسعود (الآخر) اي الذي رواه مسلم
وابو داود والترمذي (قال) اي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (رجل فقال يا خير البرية) اي الخلائق من براه الله

يبرأه برأ اى خلقه فهو فعيل بمعنى مفعول والتاء للمبالغة فى الكثرة واصله مهموز كما قرأ به نافع وابن ذكوان ثم ابدلت الهمزة ياء وادغمت وهى قراءة الباقين فقول صاحب النهاية ولم يستعمل مهموزا مبنى على عدم علمه بالقراءة (فقال ذلك) وفى نسخة ذلك باللام (ابراهيم) قاله تواضعا واكراما لكونه ابا اولانه امرنا باتباعه اوقبل العلم بانه افضل منه (فاعلم) جواب الشرط السابق اى فان قلت الخ فاعلم (ان للعلماء فى هذه الاحاديث) اى الناهية عن التفضيل بين الانبياء (تأويلات) اى وجوها اربعة اوخمسة تقدم بيان بعضها فى حل لفظها (احدها) اى الوجه الاول منها (ان نهيه عن التفضيل) اى فيمابينهم (كان قبل ان يعلم انه سيد ولد آدم فنهى عن التفضيل اذيحتاج الى توقيف) اى الى سماع فى تفضيل الانبياء اذلادرك فيه لعقول العلماء (وان من فضل) اى احدا منهم على غيرهم (بلاعلم) اى يقينى اوظنى يصلح للاستدلال (فقد كذب) اى فى ذلك المقال (وكذلك) اى مأول (قوله لااقول ان احدا افضل منه) اى من يونس (لايقتضى تفضيله هو) اى يونس على اطلاقه وقدابعدالدلجى فى قوله اى هو صلى الله تعالى عليه وسلم على يونس لدخوله فى عموم النكرة فى سياق النفى انتهى ووجه غرابته لايخفى مع عدم ملايمته للمدعى بحسب المعنى (وانماهو) اى قوله هذا (فى الظاهر كف) بتشديد الفاء اى منع منه صلى الله تعالى عليه وسلم لغيره (عن التفضيل) اذمن شانه ان يكون منشأ للنقص اوالتجهيل (الوجه الثانى انه قاله صلى الله تعالى عليه وسلم على طريق التواضع) اى مع اخوانه واقرانه اولربه فى عظمة شانه (ونفى التكبروالعجب) اى عن باطنه تعليما لامته وارشادا الى طريقته (وهذا) اى الوجه من التأويل (لايسلم من الاعتراض) اى فى صحة التعليل فان عدم جريه على موجب علمه اخبار بخلاف وقوعه وهو ينافى منصب النبوة وفيه ان هذا الاعتراض انمايرد لوثبت نفيه تواضعا بعدعلمه بكونه افضل الانبياء او بتفصيل التفضيل بين الاصفياء واماقبل العلم فلايرد اعتراض اصلا مع احتمال حمل التواضع من حيث انه لامفضول الاوقد يوجد فيه مالايوجد فى الفاضل فليس احد منهم افضل مطلقا على ان من تواضع لله رفعه الله وقدابعد التلمسانى حيث قال الاعتراض هوانه لايظهر حينئذ فائدة تخصيص يونس عليه السلام بالذكر انتهى وتبعه الانطاكى و بعد كلامهما لايخفى لانه كما قال الخطابى انماخص يونس عليه السلام لان الله تعالى لم يذكره فى جملة اولى العزم من الرسل فكانه قال فاذا لم آذن لكم ان تفضلونى على يونس فلان لاتفضلونى على غيره من اولى العزم بالاولى (الوجه الثالث ان لايفضل بينهم تفضيلا يؤدى الى تنقص بعضهم) اى طلب نقصان فى المرتبة اوظهور منقصة فى المنقبة لبعضهم (اوالغض) بغين وضاد مشددة معجمتين اى النقص منهم جميعا كذا ذكره الدلجى وفيه ان النسخ كلها (منه) بضمير الافراد الراجع الى بعضهم فالاولى ان يفسر الغض بالاغماض الذى هوكناية عن الاعراض (لاسيما) كلمة استثناء مركبة من سى بمعنى مثل ومن ماوهى اماموصولة فيرتفع الاسم بعدها خبر مبتدأ محذوف كما فى جاء القوم لاسيما اخوك اى لامثل الذى هواخوك واما زائدة فينجر مابعدها سى لانها كما فى اكرم القوم لاسيما اخيك اى لامثل اخيك إكراما وقول امرئ القيس ولاسيما يوم بدارة جلجل ورد مرفوعا ومجرورا والمعنى هنا خصوصا اذاكان التفضيل المتنازع فيه (فى جهة يونس عليه السلام اذاخبر الله عنه بما اخبر) اى فى تنزيله بقوله ولاتكن كصاحب الحوت اذنادى وهو مكظوم و بقوله فالتقمه الحوت وهو مليم و بقوله اذابق الى الفلك المشحون فوقع النهى عن التفضيل عليه (لئلا يقع فى نفس من لايعلم) اى مقام قربه وانه تدارك نعمة من ربه (منه) متعلق بيقع اى لئلا يقع فى نفس الجاهل بمقامه من جهة منزلته (بذلك) اى بسبب مااخبرالله عنه (غضاضة) بفتح اوله مرفوعة على انها فاعل يقع اى نقص وحقارة (وانحطاط) اى تنزل (من رتبته) بضم الراء اى مرتبته (الرفيعة) اى العالية التى هى اصل النبوة والرسالة (اذقال تعالى) بدل من قوله اذاخبرالله تعالى (عنه) اى حكاية عن حاله ورواية عن مآله حيث قال فى موضع (اذذهب مغاضبا) اى فارق قومه وخرج عنهم احال كونه مغاضبا عليهم لاصرارهم على الكفر والعدوان وعدم رجوعهم الى الايمان والاحسان و كان خروجه وذهابه لم يكن عن اذن من الرحمن ولذا عبر عنه بقوله (اذابق) بفتح الباء وحكى كسرها (الى الفلك المشحون) اى المملوء فان اصل الاباق هوالهرب من السيد فحسن اطلاقه عليه ههنا لهربه من قومه بغير اذن ربه (فظن ان لن نقدر عليه) اى لن نضيق عليه اولن نقضى عليه بالعقوبة و ينصره قراءته مثقلا وروى الزمخشرى ان معاوية قال لابن عباس رضى الله تعالى عنه ضربتنى امواج القرآن البارحة فغرقت فيها فلم اجدلنفسى خلاصا الابك قال وماهى يامعاوية فقرأ هذه الآية فقال او يظن نبى الله ان لايقدر الله عليه فقال انه هذا من القدر لامن القدرة قال ابن عرفة اى من الارادة اى فظن ان لن نريد عقوبته (فربما يخيل لمن لاعلم عنده حطيطته) اى حط مرتبته ونقص منزلته عن رتبة نبوته ورفعة رسالته (بذلك) اى بسبب ماذكر ومن جهة مااخبر (الوجه الرابع منع التفضيل) اى نهيه

(في حق النبوة والرسالة) اي باعتبار اصلهما وحقيقة ماهيتهما لا في ذوات الانبياء وزيادة خصائص الاصفياء (فان
الانبياء فيهما على حد واحد) اي سواء غير متعدد (انتهى) اي مادة النبوة والرسالة (شيء واحد) وهو البعثة المجردة
الحاصلة بالوحي فقط وتسمى النبوة او منضمة الى تبليغ الغير وتسمى الرسالة وهي في حد ذاتها شيء واحد (لا تتفاضل)
اي بالنسبة الى اصحابها فلا يقال مثلا نبوة آدم افضل من نبوة غيره منهم ونظيرهما حقيقة الايمان فانها شيء واحد
بالنسبة الى المؤمنين حال الايقان وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام لا تفضلوني على اخواني المرسلين فانهم سواء
كما مثلت (واما التفاضل في زيادة الاحوال) اي الناشئة منها من تحسين الاخلاق والاعمال (والخصوص) اي
والخصوصيات في مقامات ارباب الكمال (والكرامات) اي المعجزات وخوارق العادات (والرتب) اي ومراتب
العبادات والمجاهدات (واللطف) اي وانواع الملاطفة واصناف المخالطة من حسن المعاشرة والمجاملة والمداراة
مع الامة كاختلاف مراتب اهل الايمان من ظهور ثمرات الايقان ونتائج الاحسان ولوائح العوارف ولوامع
المعارف وخوارق العادات للاولياء ومراتب الاجتهادات للعلماء والاصفياء (واما النبوة في نفسها) وكذا الايمان
في حد ذاته (فلا تتفاضل) اي لا تتفاوت في حالاتها ولا تتزايد في مقاماتها (وانما التفاضل بامور اخر) اي كما سبقت
الاشارة اليها (زائدة عليها) اي على حقيقتها (ولذلك منهم رسل) اي بعض الانبياء موصوفون بزيادة وصف الرسالة
على نعت النبوة (ومنهم اولوا العزم) اي الجد والاحتياط والحزم (من الرسل) اي بناء على ان من تبعيضية وهو
المعتمد لا بيانية ثم هم مجموعون في آيتين احداهما قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم
وموسى وعيسى ابن مريم وفي تقديم منك اشعار باوليته وافضليته صلى الله تعالى عليه وسلم على بقيتهم والباقي
ذكر على ترتيب وجودهم حين بعثتهم وان كان بعض افضل من بعض في مقام كرمهم وجودهم وسرهم (ومنهم)
اي وكان من الانبياء (من رفع مكانا عليا) كادريس عليه السلام وهو سبط شيث وجد نوح كما قال تعالى ورفعناه
مكانا عليا اي رفع الى السماء وقيل الى الجنة (ومنهم من اوتي الحكم) اي النبوة او الحكمة او فهم التوراة (صبيا)
اي حال صغره كيحيى عليه السلام كما قال تعالى وآتيناه الحكم صبيا قيل اوتي النبوة وهو ابن ثلاث سنين وقيل قرأ
التوراة وهو صغير (واوتي) اي اعطي (بعضهم الزبور) وهو داود عليه السلام ووقع في اصل الملتقى هيهنا الزبر
بضمتين جمعا اي صحفا من زبوره اي مكتوبة كما قال تعالى وآتينا داود زبورا (وبعضهم البينات) اي المعجزات
الظاهرات او البينات للنبوة بحسب الدلالات كعيسى عليه السلام كما قال تعالى وآتينا عيسى ابن مريم البينات
اي كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات (ومنهم من كلم الله تعالى) كموسى كلمه مرتين ليلة الحيرة
وعلى الطور (ورفع بعضهم درجات) تفضيلا له على غيره في المقامات وهو نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم اذ لا تحصى
درجات كمالاته ولا يعم مراتب مقاماته وحالاته مع مشاركته لكل من الانبياء في ظهور آياته واقتران زيادة معجزاته
وخصوصياته ولعله ابهم اعتمادا على ما فهم لانه كالمتعين من حيث انه الفرد الاكمل لا سيما في مقام الختم المؤذن
بكونه الافضل (قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الآية) فالتفضيل ثابت مقطوع به في الجملة
بين ارباب النبوة وكذا بين اصحاب الرسالة لقوله (وقال) اي الله سبحانه وتعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض)
اي بفضائل سنية وشمائل بهية وفواضل انسانية منزهة عن علائق حيوانية وعوائق شهوانية ونحوها في الدنيا
ومراتب جلية ودرجات علية وامثالها في العقبى فان الدنيا مزرعة للآخرة (قال بعض اهل العلم والتفضيل المراد
انما في الدنيا) اي غير منحصر في العقبى لانه غير موجود في الاخرى (وذلك) اي سبب تفضيلهم في الدنيا (بثلاثة
احوال) اي يعرف بثلاثة اوصاف (ان تكون آياته) اي خوارق عاداته (ومعجزاته) المقرونة بالتحدي في
الخصوص عامة (ابهر) اي اظهر (واشهر) ولا شك ان معجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم اظهر واشهر ولو لم يكن
الا القرآن لكفى دليلا للبرهان (او تكون امته ازكى) اي اتقى (واكثر) اي ازيد من غيرهم كيفية وكمية اما الكيفية
فقد قال تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس واما الكمية فقد ثبت انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال صفوف المؤمنين
مائة وعشرون وامتي منهم ثمانون وفي نسخة اظهر بالظاء المعجمة بدل اكثر والاظهر هو الاول فتدبر وعلى تقدير صحته
فلعل معناه اغلب (او يكون) اي النبي المفضل (في ذاته افضل واطهر) بالطاء المهملة اي انور وقد تحقق بالجمع
على الدلجي وفسره باشهر ثم ما يدل على افضلية نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم في ذاته انه سبحانه وتعالى خلقه قبل
جميع موجوداته بل جعله كالعلة الغائية في مراتب مخلوقاته وجعله اولا وآخرا في مقامات كائناته وجعل نور مشكاته
محل ورود انوار ذاته واسرار صفاته ومعدن ظهور تجلياته هذا (وفضله) اي وفضل كل نبي (في ذاته راجع الى
ما خصه الله تعالى به من كرامته) اي من اكرم الله له بمناقب عظيمة ومراتب جسيمة (واختصاصه) باجراء ولي

اختصاص كل نبي بمقام علي وحال جلي (من كلام) اي كما وقع لموسى في الطور ولنبينا في مقام دنا بل ادنى في معرض الظهور (اوخلة) اي كما ثبت للخليل ولنبينا الجليل مع زيادة المحبة الخاصة والحالة الجامعة بين المحبية والمحبوبية بل الوسيلة لكل محب ومحبوب في المرتبة المطلوبية والمجذوبية (اورؤية) اي بصرية كما اختص به نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على ما تقدم اورؤية بصيرية وهي مقام المشاهدة برفع الحجب الجسمانية كما يحصل للكمل من الافراد الانسانية (اوماشاء الله من الطائفه) اي الخفية وهي بفتح الهمزة جمع لطف وهو برد قيق (وتحف ولايته) اي العلية وهي بضم التاء وفتح الحاء جمع تحفة بمعنى الهدية (واختصاصه) اي اياهم بالمراتب الجليه (وقد روى) كما في تفسير ابن ابي حاتم ومستدرك الحاكم عن وهب بن منبه (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان للنبوة) اي المقرونة بالرسالة (اثقالا) اي تكاليف مثقلة ذات مرارة تعرض لها بسبب التبليغ بشارة ونذارة كما اشار اليه قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا (وان يونس) اي لعدم تحمله وغلبة ضجره في مقام صبره عند ترك انقياد قومه واصرارهم وشدة عنادهم وتمادي اضرارهم (تفسخ منها) اي انسلخ منها وتجرد عنها (تفسخ الربع) بالنصب اي كتفسخه تحت الحمل الثقيل وهو بضم الراء وفتح الباء اي الفصيل وهو ولد الناقة يولد في الربيع والمعنى ان يونس عليه السلام لم يستطع ان يحمل اعباء النبوة كما ان الربع لايستطيع ان يحمل الاثقال الكبيرة (لحفظ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اي بنهيه عن التفضيل بينهم (موضع الفتنة من اوهام) اي التي هي اوهام (من يسبق اليه) اي الى فهمه من وهمه والوهم هو الاحتمال المرجوح عند تردد حكم العقل (بسببها) اي بسبب انفا لها من سآمة وضجر وضيق نفس وقلة صبر (جرح) بفتح الجيم وسكون الراء اي طعن (في نبوته) وفي نسخة بفتح حاء وراء وجيم اي ضيق والظاهر انه تصحيف (اوقدح) اي عيب (في اصطفائه) اي بالرسالة اوفي اجتبائه الثابت في قوله تعالى فاجتباه ربه فجعله من الصالحين (وحط من رتبته) اي وضع من رفعته (ووهن في عصمته) اي ضعف فيها بتوهمه ذلك (شفقة) علة لحفظ اي راعى هذا المعنى المفاد من المبنى اي مخافة (منه صلى الله تعالى عليه وسلم على امته) ورحمة على اهل ملته كيلا يقع احد في وهدة غفلته و يتزجر عن الاقدام على جرأته (وقد يتوجه على هذا الترتيب) اي على ما رتب من ان يونس ممن خصه الله تعالى بعهد النبوة والطاف الكرامة (وجه خامس وهو ان يكون انا) اي في الحديث السابق (راجعا الى القائل نفسه اي لا يظن) يعني لايتوهم (احد) اي من العلماء والاولياء (وان بلغ من الزكاء) ان وصلية اي وان وصل من الفهم العالي وهو بالزاي في خط المصنف وعند العرفي بالذال المعجمة ومعناه قريب من الاول فتأمل (والعصمة) اي من الافعال الردية (والطهارة) اي من الاخلاق الدنية (مابلغ) اي من الغاية والنهاية في مرتبة الولاية (انه خير من يونس لاجل ماحكاه الله تعالى عنه) اي من ظهور تضجره وتبرمه وقلة صبره على تمادي قومه في ترك الايمان بما جاءبه (فان درجة النبوة افضل) يروى اعظم (واعلى) اي من درجة الولاية ولهذا فرق بين الحفظ والعصمة حيث خصت العصمة للانبياء والحفظ للاولياء اذلا يتصور حصول الذنب عمدا من ارباب النبوة بخلاف اصحاب الولاية ولذا لما سئل جنيد ايزني العارف اطرق مليا ثم قال وكان امر الله قدرا مقدورا وبهذا يتبين انه لا يوجد في النبي مايكون سببا لسلب النبوة اوالايمان والمعرفة بخلاف الولي فانه قد يخرج عن مرتبة الولاية بارتكاب الكبيرة و يخاف عليه من سوء الخاتمة نسئل الله العافية ولعل هذا التفصيل يبين لك معنى قوله (وان) بكسر الهمزة وفتحها (تلك الاقدار) اي المقدرات جمع قدر محركة وتسكن (لم تحطه عنها) بتشديد الطاء اي لم تنزله عن درجة النبوة (حبة خردل) وهي حبة الرشاد (ولا ادنى) اي اقل منها بقدر ذرة بل اقول انها كلها كانت اسباب زيادة مثوبة ورفعة درجة من حيث انها نشأت عن الغضب في الله والهجرة في مرضاته الا ان بعضها كان خلاف الاولى بالنسبة الى المقام الاعلى فان حسنات الابرار سيئات الاحرار فعوتب في ذلك تنبيها لما هنالك (وسنزيد في القسم الثالث في هذا) اي المبحث (بيانا) اي شافيا كافيا (ان شاء الله تعالى) اي اراد كونه جامعا مانعا (فقد بان لك الغرض) بفتح الغين المعجمة والراء اي المقصود (وسقط بما حررناه شبهة المعترض) اي المردود (وبالله التوفيق) اي على طاعة المعبود (وهو المستعان) اي في كل مورود (لا اله الا هو) اي الواجب الوجود صاحب الكرم والجود وهو نعم الاله ولا اله سواه

﴿ فصل ﴾

(في اسمائه عليه الصلاة والسلام وما تضمنته من فضيلته) اي المشعرة بتفضيله على سائر الكرام اعلم ان ابن العربي المالكي في الاحوذي شرح الترمذي حكى عن بعضهم ان لله تعالى الف اسم وللنبي صلى الله تعالى عليه وسلم الف اسم ثم ذكر منها على التفصيل نيفا وستين قال الحلبي وقد رأيت مجلدين في القاهرة مصنفا يقال له المستوفى في اسماء المصطفى لابن دحية الحافظ جمع فيه للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فوق الثلثمائة قلت وكان شيخ مشايخنا السيوطي

اختصره في كراريس وسماها بالبهجة البهية في الاسماء النبوية واقتصرت منها على التسعة والتسعين وفق عدد اسماء الله الحسنى الثابتة بالطرق المرضية اذ قد قال ابن فارس هي الفان وعشرون وفي الجملة كثرة الاسماء تدل على شرف المسمى المشعرة بكثرة النعوت والاوصاف (حدثنا ابو عمران) بكسر اوله (موسى ابن ابي تليد) بفتح فكسر (الفقيه) بالرفع (ثنا) اي حدثنا (ابو عمر الحافظ) اي ابن عبد البر (ثنا سعيد بن نصر ثنا قاسم بن اصبغ) بفتح همزة وسكون مهملة وفتح موحدة فغين معجمة غير مصروف الامام الحافظ محدث الاندلس سمع ابن قتيبة وابن ابي الدنيا وروى عنه حفيده قاسم بن محمد والحافظ الباجي وفي آخر عمره قطع الرواية خوفا من الغلط وانتهى اليه علو الاسناد والحفظ والجلالة وتوفي بقرطبة سنة اربعين وثلاثمائة (ثنا محمد بن وضاح) بتشديد الضاد المعجمة (ثنا يحيى) اي راوي الموطأ (ثنا مالك) اي الامام (عن ابن شهاب) اي الزهري (عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه) قال التلمساني لم يثبت في رواية يحيى هكذا وانما ارسله ابن شهاب عن محمد ابن جبير عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قيل وارساله هو الصحيح عن مالك في الموطأ ووصله غيره عن مالك وغيره عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورواه ابن بكير والقعنبي وابن القاسم وعبد الله بن يوسف واسمعيل ابن ابي اويس كيحيى ووصله معن بن عيسى وعبد الله بن نافع وابو مصعب ومحمد بن المبارك الهروي ومحمد بن عبد الرحيم ورواه القعنبي عن مالك مرسلا وعن ابن عيينة مسندا والاكثر عن ابن شهاب عن محمد بن جبير ورواه حماد بن سلمة عن جعفر ابن ابي وحشية عن نافع بن جبير بن مطعم عن ابيه يعني جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل صحابي اسلم بعد الحديبية قال الحلبي هذا الحديث اخرجه القاضي من الموطأ كما ترى وهو في البخاري ومسلم وابي داود والنسائي والحاكم يخرجه من عند البخاري مثلا فانه بين القاضي وبين مالك في هذا الحديث ستة اشخاص ولو اخرجه من طريق البخاري كان بينه وبين مالك في بعض الطرق ثمانية اشخاص فاجتمع له في رواية هذا الحديث علو لا يجتمع له اذا رواه من عند البخاري وكذا يجتمع اذا اخرجه من بقية الكتب والله تعالى اعلم (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لي خمسة اسماء) اي عظيمة او شهيرة (انا محمد) اسم مفعول من التحميد مبالغة الحمد نقل من الوصفية الى الاسمية سمي به رجاء ان يحمده الاولون والاخرون بالهام الله تعالى وكان كذلك في الدنيا والعقبى وعن ابن قتيبة ان من اعلام النبوة انه لم يسم قبله احد باسمه صيانة من الله تعالى لاسمه اذ قد سماه به في كتبه وبشر به الانبياء قبله فلو تسمى به غيره وقع الاشتباه ولربما انتشرت دواعي النبوة ووقعت الشبهة وقامت الفتنة لكن لما قرب زمنه وبشر بقربه اهل الكتاب تسمى به قليلون لم يدع احد منهم النبوة لئلا تقع الشبهة والله تعالى ولي العصمة (وانا احمد) اسم تفضيل بمعنى الفاعل او المفعول كما سيأتي بيانه من المنقول (وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر) اي الكفر العام او غلبته على دين الاسلام ولم يقل به ليعود ضمير الصلة الى الموصول لان قصده الاخبار عن نفسه مع ان ضميرها عبارة عنه فلم يبال بعوده اليه لامن اللبس لديه وقال التلمساني روي الكفر ومعناه يذهب اصله والتشريع به حتى لا يكون معتقدا ومذهبا وروي الكفرة جمع كافر فالتقدير دين الكفرة او نفس الكفرة قتلا وسبيا وجلاء (وانا الحاشر) اي الجامع (يحشر الناس) بصيغة المجهول (على قدمي) بتخفيف الياء وكسر الميم على الافراد اي على سابقتي كذا قيل وبتشديد ها مع فتح الميم على التثنية قال النووي كذا ضبطوه بالوجهين اي على اثري وبعد ظهوري وقيامي من قبري بدليل حديث انا اول من تنشق عنه الارض كما ذكره البغوي في شرح السنة وبهذا المعنى يغاير قوله (وانا العاقب) اي الآتي عقب الانبياء ليس بعدي نبي وفي الصحاح العاقب يعني آخر الانبياء وكل من خلف بعد شيء فهو عاقبه وبالجمع بينهما اشار الى حديث نحن الاولون الآخرون وقيل معنى على قدمي على اثري وزمان نبوتي وليس بعدي نبي بشهادة رواية وانا الحاشر الذي يحشر الناس خلفه وعلى ملته دون غيره فيكون قوله وانا العاقب كانه تاكيد لما قبله (وقد سماه الله في كتابه محمدا) اي بقوله وما محمد الا رسول ومحمد رسول الله (واحمد) اي بقوله حكاية عن عيسى ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد (فمن خصائصه تعالى له) مصدر مضاف الى فاعله اي فمن ما خصه الله سبحانه وتعالى به (ان ضمن) بتشديد الميم اي تضمين الله سبحانه (اسماءه) اي من نحو احمد ومحمد مع انهما اعلام له (ثناءه) اي ما يثنى به عليه (فطوى) بالفاء لا بالواو كما وقع في اصل الدلجي اي فادخل (اثناء ذكره) اي خلال ذكر اسمه (عظيم شكره) كقوله وانك لعلى خلق عظيم وانك لتهدي الى صراط مستقيم (فاما اسمه احمد فافعل) اي للتفضيل (مبالغة) اي لافادته ثبوت زيادة الحمد وحذف متعلقه لافادة الشمول والا فافعل ليس من صيغ المبالغة كالحماد لكن في المعنى ابلغ منه (من صفة الحمد) اي ماخوذ منه (ومحمد مفعل مبالغة) اي للمبالغة (من كثرة الحمد) اي المحمودية المستفاد من مصدره الذي هو التحميد الموضوع باعتبار بنائه للتكثير والمبالغة في التكرير قال التلمساني وقد ضمن اسمه سورة الحمد انتهى وقد اشار اليه العارف

الجامی حيث قال فی الم الف لام الحمد ميم يعنی بطريق التبديل علی قواعد التعمية فيصير المعنی محمد وان الاشارة به فی ذلك اليه صلی الله تعالی عليه وسلم فانه الكتاب الجامع واللباب اللامع (فهو صلی الله تعالی عليه وسلم اجل من حمد) ای اعظمهم بفتح فكسر (وافضل من حمد) بضم فكسر ای اكرمهم ففيه لف ونشر مرتب لمعنيی احمد ومحمد وضبط فی بعض النسخ بعكس ماذكر فيكون لفا ونشرا مشوشا ولا يبعد ان يكون المعنيان مستفادين من احمد وحده لان افعل قد يبنی للفاعل وقد يبنی للمفعول ويراد بقوله (واكثر الناس حمدا) كون مصدره بمعنی المفعول وان احتمل كونه للفاعل ايضا والحاصل ان صفة الحامدية والمحمودية فيه بلغت غاية الكمال ونهاية الجمال (فهو احمد المحمودين واحمد الحامدين ومعه لواء الحمد يوم القيامة) ای المسمی بيوم الدين (ليتم له) بفتح ياء وكسر تاء وروی بصيغة المجهول (كمال الحمد ويشتهر) من باب الافتعال وفی نسخة ويتشهر من باب التفعيل ای ويتظاهر هيئته وتنتشر (فی تلك العرصات) بفتح الراء جمع عرصة بسكون الراء وهو فی الاصل كل موضع واسع لابناء فيه من فناء الدار وساحتها وجمع للمبالغة كما فی عرفات والمراد به مقامات يوم القيامة ومواقفها ولا يبعد ان يكون وجه الجمع هو ان كل عرصة مخصوصة بامة (بصفة الحمد) ای العامة للخلق (ويبعثه ربه هناك مقاما محمودا كما وعده) ای فی كتابه بقوله عسی ان يبعثك ربك مقاما محمودا (يحمده فيه الاولون والآخرون بشفاعته لهم) ای عامة وخاصة (ويفتح) ای الله تعالی (عليه فيه) ای فی ذلك المقام (من المحامد) جمع محمدة بمعنی الحمد (كما قال عليه الصلاة والسلام مالم يعط غيره) ای احد من العالمين (وسمی امته) ای وصفهم (فی كتاب انبيائه بالحمادين) كما فی حديث الدارمی عن كعب يحكی عن التوراة قال نجد مكتوبا فيها محمد رسول الله عبدی المختار لافظ ولا غليظ ولا سخاب بالاسواق ولا يجزی بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام وامته الحمادون يحمدون الله تعالی فی السراء والضراء يحمدون الله فی كل منزل ويكبرونه علی كل شرف رعاة للشمس يصلون الصلاة اذاجاء وقتها يتأزرون علی انصافهم ويتوضؤن علی اطرافهم مناديهم ينادی فی جو السماء صفهم فی القتال وصفهم فی الصلاة سواء لهم بالليل دوی كدوی النحل (فحقيق) ای واذا اختص بما منحه الحق من مناقب حميدة ومراتب محمودة فجدير (ان يسمی محمدا واحمد) ای لا كثرية حامديته واظهرية محموديته (ثم فی هذين الاسمين) ای العظيمين الوسيمين (من عجائب خصائصه) ای غرائب خصوصياته (وبدايع آياته) ای الدالة علی كمال صفاته (فن آخر) ای نوع آخر من انواع كراماته (وهو ان الله جل اسمه حمی) ای حفظ اسمی حبيبه ومنع بالقدرة ان يسمی بهما احد (قبل زمانه) ای لئلا يشاركه احد فی علو شانه كما يشير اليه قوله تعالی لم نجعل له من قبل سميا (اما احمد الذی اتی فی الكتب) ای من نحو الانجيل (وبشرت به الانبياء) كموسی وعيسی عليهما السلام (فمنع الله تعالی بحكمته) ای بارادته وقدرته (ان يسمی) وفی نسخة يتسمی (به احد غيره) ای علی جهة العلمية (ولا يدعی به مدعو قبله) ای علی نسبة الوصفية (حتی لايدخل لبس) بفتح اللام ای التباس واشتباه صوری (علی ضعيف القلب) ای ممن ينظر الی مجرد الاسم ولم يتفكر فی حقيقة مسماه (اوشك) ای تصوری فی معدن النبوة ومنبع الرسالة فيستوی عنده الاسمان مع ان مسمياهما لايستويان كما وقع لبعض ارباب العقول الخالية من المعقول والمنقول من التسوية بين اله العالمين وبين الاله المنحوت من الحجر والطين ولهذا قال الله تعالی قل هل يستوی الاعمی والبصير ام هل تستوی الظلمات والنور قال الانطاكی وهذا الذی ذكره المؤلف هو الصواب ونقل الحافظ ابو حفص الانصاری عن القشيری قولا فی تسمية الخضر باحمد ثم قال وقدردها ابن دحية والله تعالی اعلم (وكذلك) ای كاسمه احمد (محمد ايضا) ای حمی (لم يسم) وفی نسخة لم يتسم (به احد من العرب ولاغيرهم الی ان شاع) ای باخبار الرهبان وغيرهم (قبيل وجوده عليه الصلاة والسلام وميلاده) ای وقبيل زمان ولادته (ان نبيا) ای عظيم الشان فی آخر الزمان (يبعث) ای يرسل (اسمه محمد فسمی قوم) ای جمع قليل من العرب (ابناءهم بذلك رجاء ان يكون احدهم هو) ای اياه يعنی النبی المبعوث (والله اعلم حيث يجعل رسالته) وفی قراءة رسالاته (وهم) ای المسمون بمحمد قبل ميلاده (محمد ابن احيحة) بضم همزة وفتح حائين مهملتين بينهما تحتية ساكنة (ابن الجلاح) بجيم مضمومة وتخفيف اللام فی آخره مهملة وعده من الصحابة ابن عبد البر وابو موسی (الاوسی) بفتح الهمزة نسبة الی قبيلة من الانصار (ومحمد بن مسلمة) بفتح فسكون ففتح (الانصاری) احد بنی حارثة شهد بدرا وغيرها ومات بالمدينة قيل وفی عده منهم نظر ذكره الشمنی وغيره (ومحمد بن براء) بفتح موحدة وتشديد دال مهملة بعدها الف ممدودة وفی نسخة صحيحة بباء موحدة فراء ممدودة وعده من الصحابة ابو موسی (البكری) بفتح وسكون (ومحمد بن سفيان بن مجاشع) بضم الميم وكسر الشين المعجمة واختلف فی صحبته علی ماقاله ابونعيم وابوموسی قال التلمسانی والصحيح انه لم يسلم (ومحمد بن عمران) بكسر العين

وسكون الميم وفى نسخة حمران بضم الحاء من الحمرة وانتصر عليه التلمسانى (الجامى) بضم الجيم (ومحمد ابن خزاعى) بضم الخاء وبالزاى المعجمة (السلمى) بضم ففتح (لاسابع لهم) وزاد بعضهم على المصنف اسماء اخر لا فائدة فى ذكرها (ويقال اول) وفى نسخة ان اول (من سمى) بصيغة المجهول وفى نسخة تسمى (بمحمد محمد بن سفيان) اى ابن مجاشع التميمى (واليمن تقول) اى واهل اليمن يقولون (بل) وفى نسخة محمد بن سفيان باليمن ويقولون بل (محمد بن اليحمد) اى هو المسمى به اولا واليحمد بضم الياء وسكون الحاء وكسر الميم على ماضبطه المحققون كالنووى وغيره وفى نسخة بفتح الياء وضم الميم وفى اخرى بالفتح والكسر وفى القاموس يحمد كيمنع وكيعلم قال التلمسانى وروى الجد مصدر جد (من الازد) بفتح الهمزة وسكون الزاى قبيلة عظيمة فى اليمن فيكون هو السابع على ماهو الشائع (ثم حمى الله تعالى كل من تسمى به ان يدعى النبوة) اى بنفسه (او يدعيها احد له) اى ويتبعه (او يظهر عليه سبب) اى من خرق العادات (يشكك) بكسر الكاف الاولى اى يوقع فى الشك (احدا) اى من اهل زمانه (فى امره) اى شأنه (حتى تحققت السمتان) بكسر السين وفتح الميم اى العلامتان الدالتان على المحمدية والاحمدية (له صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى بعض النسخ السيمتان بياء بعد السين والصواب الاول هذا وتحققت بصيغة الفاعل على ماهو المتبادر وضبطه الانطاكى بضم التاء والحاء على بناء المجهول وهو خلاف الظاهر (ولم ينازع) بفتح الزاى اى لم يعارضه احد (فيهما) اى فى النعتين الموصوفين (واما قوله وانا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر) اى يزيله ربى بسببى (ففسر) بصيغة المجهول اى بين (فى الحديث) اى نفسه من غير احتياج الى تفسير غيره غايته ان محوه محمل محتمل كما بينه بقوله (ويكون محو الكفر) اى اذهاب اثره (اما من مكة وبلاد العرب) اى ايام حياته (وما زوى) بضم الزاى وكسر الواو اى قبض وجمع (له من الارض) كما ورد ان الله زوى لى الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وان امتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها (ووعد) بصيغة المجهول (انه يبلغ ملك امته) اى بعد مماته فعلى هذا يكون المحو خاصا (او يكون) حقه ان يقول واما ان يكون (المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة) اى فى الحجة على كل دين وملة فى جميع الامكنة والازمنة (كما قال الله تعالى ليظهره) اى ليغلبه ويعليه والضمير الى دين الحق او الى الرسول المطلق (على الدين كله) اى على الاديان جميعها بمحو ادلتها وبرهانها وظهور بطلانها وابطال سلطانها (وقد ورد تفسيره فى الحديث) اى على ما رواه البيهقى وابو نعيم (انه الذى محيت به سيئات من اتبعه) قال الدلجى لقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وفيه ان هذا حكم عام غير مختص به عليه الصلاة والسلام فالاولى ان تحمل السيئات على الصغائر والاتباع على معظم الحسنات واجتناب الكبائر بشهادة قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات وقوله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ولا يبعد ان يكون هذه الخصلة من خصائص هذه الامة (وقوله وانا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى) قد سبق تحقيق مبناه وتدقيق معناه الا انه زاد الموصول هنا ثم لم يقل على قدمه لان قصده الاخبار عن نفسه كما فى قول على * انا الذى سمتنى امى حيدرة * واعاده هنا ايضا ليفسره بقوله (اى على زمانى وعهدى) والمراد بالناس الخلق الآتون بعده كما بينه بقوله (اى ليس بعدى نبى) اى يكونون على عهده وفيه ايماء الى ان عيسى بعد نزوله يكون تابعا له فى دينه وحاكما على وفق قوله كما قال الله تعالى وخاتم النبيين بكسر التاء وفتحها (وسمى عاقبا لانه عقب) بفتح القاف اى خلف (غيره من الانبياء) وجاء بعدهم لتكميل الخير وزيد فى بعض النسخ المصححة هنا وفى الصحيح انا العاقب الذى ليس بعدى نبى (وقيل معنى على قدمى اى يحشر الناس بمشاهدتى) اى بشهود منى وبحضرة عندى (كما قال الله تعالى لتكونوا شهداء على الناس) اى شاهدين لهم او شاهدين عليهم (ويكون الرسول عليكم شهيدا) اى شاهدا ومطلعا او مزكيا ومثنيا وبهذا الذى قررناه دفع قول الدلجى وهذا مخالف لظاهر الآية المفاد منها بالتعدية بعلى ولو كانت كما زعم لكانت باللام على ان على قد تأتى بمعنى اللام فى الكلام كقوله تعالى ولتكبروا الله على ما هداكم وزيد فى بعض النسخ هنا (وقيل على قدمى) اى معناه (على سابقتى) اى سبق قدمى وتقدم قيامى من قبرى وتحقق تقدمى فى مقامى (قال الله تعالى ان لهم قدم صدق عند ربهم) اى مراتب تقدم مترتب على تفاوت صدق لهم فى حالهم عند ربهم ووقوفهم على قدر مقامهم (وقيل على قدمى اى قدامى وحولى اى يجتمعون الى فى القيامة) يعنى ويلجأون الى فى طلب الشفاعة (وقيل قدمى على سنتى) اى على قدر متابعتى ومقدار طاعتى فى الدنيا ليكون لهم القرب والمنزلة فى العقبى وفى نسخة وقيل قدمى سنتى (ومعنى قوله لى خمسة اسماء) اى مع ان له اسماء كثيرة (قيل انها موجودة) اى الخمسة جميعها مذكورة ومسطورة (فى الكتب المتقدمة) اى باجمعها (وعند اولى العلم) اى ومشهورة عند العلماء من الانبياء والاصفياء (من الامم السالفة) اى الماضية فهذا وجه تخصيصها (والله اعلم) اى بما اراد نبيه بها (وقد روى) اى كما فى الدلائل لابى نعيم وفى تفسير ابن مردويه من طريق ابى يحيى التيمى وهو متاع

عن سيف بن وهب وهو ضعيف عن ابى الطفيل (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى نسخة عليه الصلاة والسلام (لى عشرة اسماء) الجمهور على ان مفهوم العدد ليس بحجة فلا معارضة بينه وبين ماسبق من حديث لى خمسة اسماء (وذكر منها) اى من جملة العشرة (طه ويس حكاه مكى) اى كما سبق واعاده هنا لبيان مبناه وتبيان معناه (وقد قيل فى بعض تفاسير طه انه ياطاهر ياهادى وفى يس ياسيد) ايماء بذكر الحروف الواقعة فى اوائل المسميات الى تلك الصفات غايته انه مع تصريح ياء النداء فى يس وتقديره فى طه (حكاه) اى هذا التأويل (السلمى) بضم ففتح وهو ابو عبد الرحمن محمد بن عبد الخبير صاحب تفسير الحقائق (عن الواسطى) وهو الامام الجليل الصوفى محمد بن موسى (وجعفر بن محمد) اى وعنه ايضا وهو الامام جعفر الصادق ابن الامام محمد الباقر احد اكابر ائمة اهل بيت النبوة (وذكر غيره) اى غير ابى محمد مكى (لى عشرة اسماء فذكر) اى ذلك الغير (الخمسة) اى الاسماء (التى فى الحديث الاول) وهى محمد واحمد والماحى والحاشر والعاقب (قال) اى ذلك الغير فى بيان الخمسة الاخر (وانا رسول الرحمة) الخ واما تفسير الدلجى قال كما رواه ابن سعد عن مجاهد مرسلا فهو وان كان يناسب المقام الا انه ينافى المرام هذا وقد جاء انا رحمة مهداة وقال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين (ورسول الراحة) اى لما يترتب على الراحة الرحمة فى الدنيا والآخرة والاظهر ان المراد بالراحة نفى الكلفة ورفع المشقة عن هذه الامة لقوله تعالى و يضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم ولقوله وماجعل عليكم فى الدين من حرج ولقوله عليه الصلاة والسلام عليكم بدين العجائز (ورسول الملاحم) بفتح الميم وكسر الحاء المهملة جمع ملحمة وهو الحرب الشديد واصلها معركة القتال وهى موضعه ولفظ مجاهد فيما رواه ابن سعد عنه مرسلا انا رسول الرحمة انا رسول الملحمة واضيف اليهما لحرصه على المجاهدة المأمور بها ومن ثم قال على كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يكن احد منا الى العدو اقرب منه ثم لا تعارض بين كونه رسول الرحمة ورسول الملحمة اذ هو سلم لاوليائه وحرب لاعدائه كالنيل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين وكالقرآن شفاء ورحمة للمؤمنين وداء ونقمة للمنكرين وقد قال تعالى فى حقه بشيرا ونذيرا اى للمطيعين والعاصين ولعل رحمته كانت غالبة تخلقا باخلاق ربه حيث قال فى الحديث القدسى والكلام الانسى سبقت رحمتى غضبى كما يشير اليه تقديم البشير فى مقام العموم وهو لا ينافى تقديم الانذار حال خطاب الكفار المفيد فى ذلك المحل تقديم التخويف فتأمل قال التلمسانى وروى ان قوما من العرب قالوا يارسول الله افنانا الله تعالى بالسيف فقال ذاك انقى لآخركم فهذا معنى الرحمة المبعوث بها صلى الله تعالى عليه وسلم والله تعالى اعلم (وانا المقتفى) بصيغة الفاعل من باب الافتعال وفى نسخة المقفى بضم ففتح فتشديد فاء مكسورة بصيغة الفاعل كما صرح به شمنى وهو انسب بقوله (قفيت) بتشديد الفاء وفى نسخة بتخفيفها وفى نسخة قفوت (النبيين) اى جئت بعدهم وتبعت هديهم اوارى به المولى الذاهب والمعنى انه آخر النبيين ذاذا قفى فلا نبى بعده واما قول الدلجى قال الله تعالى ثم قفينا على آثارهم برسلنا فوهم ان الوصف بصيغة المفعول وليس كذلك (وانا قيم) بتشديد الياء المكسورة (والقيم الجامع) اى للخير (الكامل) اى للفضائل والفواضل فى تحسين الشمائل (كذا وجدته) اى بخط بعض العلماء اوفى تصنيف بعض العلماء (ولم اروه) اى عن احد من ائمة الحديث فى طريق الانباء لكن رواه الديلمى فى فردوسه ولم يسنده فى مسند الفردوس وفى النهاية حديث اتانى ملك فقال انت قثم وخلقك قيم اى حسن مستقيم (وارى) بفتح الهمزة والراء اى اذهب او بضم الهمزة وفتح الراء اى واظن (ان صوابه قثم بالثاء) اى المثلثة المفتوحة بعد القاف المضمومة وهو غير مصروف لانه معدول عن قاثم وهو المعطى (كما ذكرناه بعد) اى كما سيأتى ذكره بعد ذلك (عن الحربى) اى منقولا عنه بلفظ قثم بالمثلثة وهو المأخوذ من القثم بمعنى الجمع كما اشار اليه بقوله (وهو اشبه) اى من حيث اللفظ (بالتفسير) اى الذى سبق قريبا من قوله الجامع الكامل واستحسن كلامه الحلبى ولا يبعد ان تكون الروايتان ثابتتين وكون احدهما اشبه بالتفسير لا يفيد صوادها وتصحيف غيرها معانه قد يكون التفسير حاصل المعنى لا اصل المبنى على ان قوام الشئ واستقامته لا يكون الا بكماله وجامعيته فى حد ذاته و يؤيد ماقررناه و يقوى ماحررناه قوله (وقد وقع ايضا) اى القيم بالتحتية (فى كتب الانبياء) اى الماضية ومنها رواية المصنف (قال داود عليه السلام اللهم ابعث لنا محمدا مقيم السنة) اى مقومها بطريق الوفرة (بعد الفترة) اى الفتور فى الطاعة (فقد يكون القيم بمعناه) اى بمعنى المقيم الوارد بمعنى المقوم كما فسر الدعاء الوارد اللهم انت قيم السموات بمعنى مقومها ومقيمها ومدبرها وقد ابعد الدلجى فى تقييد قوله معناه بالمثلثة (وروى النقاش عنه عليه الصلاة والسلام فى القرآن) اى مذكور ومسطور (سبعة اسماء محمد) وهو قوله تعالى محمد رسول الله (واحمد) وهو قول عيسى عليه السلام يأتى من بعدى اسمه احمد (وطه ويس) وفى نسخة تقديم وتأخير بينهما وسبق بيانهما (والمدثر والمزمل) اى فى اوائل

سورهما (وعبد الله) كما في قوله سبحانه وتعالى وانه لما قام عبد الله ولعله اقتصر عليها لشهرتها والا فله صلى الله عليه وسلم اسماء كثيرة كالنبي والرسول والخاتم والحريص والعزيز والرؤف والرحيم وامثال ذلك مما دل على صفته هنالك (وفي حديث) اي ثابت (عن جبير) بالتصغير (ابن مطعم) بضم ميم وكسر عين (رضي الله تعالى عنه هي) اي اسمائي (ست) التاء بتذ ولعل وجه التذكير تأنيث الضمير (محمد واحمد وخاتم) بكسر التاء وفتحها (وعاقب وحاشر وماح) اسم فاعل من المحو وقد سبق معانيها في ضمن مبانيها (وفي حديث ابي موسى الاشعري رضي الله تعالى عنه) كما رواه مسلم (انه كان صلى الله عليه الصلاة والسلام يسمي لنا نفسه اسماء) اي متعددة (فيقول انا محمد واحمد والمقفي) بكسر الفاء المشددة اي الذاهب المولي فعناه آخر الانبياء والمتبع لهم كانما فكل شيء يتبع شيئا فقد قفاه (والحاشر) اي الجامع للحشر والباعث للبشر (ونبي التوبة) اي من حيث انه يتوب صلى يده جمع كثير من اهل دينه اولان توبة هذه الامة حاصلة بمجرد الندامة وما يتبعها من الملامة بخلاف توبة الامم السالفة فانها كانت بارتكاب الامور الشاقة اولانه كثير التوبة بالرجعة والاوبة لحديث البخاري اني لاستغفر الله تعالى في اليوم مائة مرة اولان باب التوبة يغلق في آخر هذه الملة (ونبي الملحمة) بفتح الميم والحاء القتال العظيم وهو كقوله بعثت بالسيف (ونبي الرحمة ويروى المرحمة والراحة) روايات اربع (وكل) اي من الالفاظ المذكورة (صحيح ان شاء الله تعالى) اي كما سيأتي وجوهها مسطورة (ومعنى المقفي معنى العاقب) وقد سبق بيانه وقيل المتبع للنبي (واما نبي الرحمة والتوبة والمرحمة والراحة فقد قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) يعني والرحمة مرادفة للمرحمة ومتضمنة للراحة ومتسببة عن التوبة (وكما وصفه) اي سبحانه وتعالى (بانه) اي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لكونه منعوتا بالرحمة الموجبة للراحة والباعثة على التوبة المقتضية للمرحمة (يزكيهم) اي يطهر امته عن دنس المعصية (ويعلمهم الكتاب والحكمة) اي السنة وكلها اسباب الرحمة وبواعث التوبة (ويهديهم الى صراط مستقيم) اي ويدلهم على دين قويم (وبالمؤمنين رؤف رحيم) اي وعلى العاصين كافة كريم حليم (وقد قال) اي النبي عليه الصلاة والسلام (في صفة امته انها امة مرحومة) اي مغفور لها متاب عليها كما رواه الحاكم في الكنى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بسند ضعيف ورواه ابو داود والطبراني والحاكم في المستدرك والبيهقي في شعب الايمان بسند صحيح امتي هذه امة مرحومة ليس عليها عقاب في الآخرة انما عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل والبلايا (وقد قال تعالى فيهم) اي في حقهم اصالة وفي حق غيرهم تبعا حيث نزل فيهم (وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) اي بموجبات الرحمة او بها كافة على البرية (اي يرحم بعضهم بعضا فبعثه عليه الصلاة والسلام ربه تعالى) اي على وجه الاكرام (رحمة لامته) اي خاصة (ورحمة للعالمين) اي عامة اذ هو رحمة للكفار من عذاب الاستيصال في هذه الدار (ورحيما لهم) اي لخصوصهم وعمومهم بحسب استحقاقهم (ومترحما) اي متكلفا لاظهار الرحمة اوممالغا في استنزال الرحمة (ومستغفرا لهم) اي طالبا للمغفرة لذنوب امة الاجابة وتوفيق الايمان لامة الدعوة (وجعل) اي الله سبحانه وتعالى (امته امة مرحومة) اي لكونه نبي الرحمة (ووصفها بالرحمة) اي بكونها راحمة كما قال تعالى رحماء بينهم لكونه نبي الرحمة فهم جامعون بين الراحمية والمرحومية كما يشير اليه قوله (وامرها بالتراحم) اي بان يترحم بعضهم على بعض (واثنى عليه) اي ومدح التراحم وبالغ فيه ليكون سببا لرحمته سبحانه وتعالى عليهم وفي نسخة واثنى عليها اي على صفة الرحمة (فقال ان الله يحب من عباده الرحماء) كما رواه الشيخان عن اسامة بن زيد الا انه بلفظ يرحم بدل يحب (وقال) اي في حديث آخر رواه ابو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص (الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم) بالجزم والرفع (من في السماء) اي من الملأ الاعلى او من في السماء ملكه وعرشه او من هو معبود في السماء زاد الترمذي والرحم شجنة من الرحمن اي قطعة مأخوذة من صفة الرحمن من وصلها وصله الله تعالى ومن قطعها قطعه الله تعالى وهو حديث مسلسل بالاولية لبعض ارباب الرواية لكن اسانيده غير صحيحة عند اصحاب الدراية لانقطاع التسلسل من عمرو بن دينار عن ابي قابوس عن مولاه ابن عمرو (واما رواية نبي الملحمة) على ما اخرجه ابن سعد عن مجاهد (فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف) اي وضرب السيف بعد انقطاع المقال وثبوت الحجة ووضوح المحجة حال الجدال بنفسه (صلى الله تعالى عليه وسلم وهي) اي هذه الرواية او الاشارة (صحيحة) وعلى تصحيح المدعى صريحة قال تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم (وروى حذيفة مثل) حديث (ابي موسى) كما رواه احمد والترمذي في الشمائل (وفيه) اي وفي حديث حذيفة (نبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم وروى الحربي) اي كابي نعيم في الدلائل عن يونس بن ميسرة (في حديثه عليه الصلاة والسلام انه قال اتاني ملك فقال) اي لي كما في نسخة (انت قثم) بالمثلثة (اي مجمع) يعني لانواع العطايا فان القثم هو الاعطاء (قال) اي الحربي (والقثوم) بفتح القاف (الجامع للخير) يروى والقثم ويؤيده قوله (وهذا) اي قثم

(اسم هو فى اهل بيته عليه الصلاة والسلام معلوم) اى عند اهله وهو قثم ابن العباس وقثم عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ايضا هذا وقال التلمسانى والجامع اما للخير اوما افترق فى غيره اوجمع الله به شمل الامة وكان قدافترق الملة ثم قال وقثم عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو شقيق الحارث بن عبدالمطلب و به سميت محلة بسمرقند لانه دفن فيها انتهى والصحيح ان قثم عمه مات صغيرا وان المحلة التى بسمرقند دفن فيها قثم بن العباس على ماذكره المغرب ونقله الانطاكى (وقد جاءت من القابه عليه الصلاة والسلام) وهى الصفات الغالبة عليه (وسماته) بكسر اوله جمع سمة وهى العلامة (فى القرآن) اى نعوته المعلمة المعلومة فيه مما نسب اليه (عدة كثيرة) اى جملة معدودة مبينة لديه (سوى ماذكرناه) اى ومعنـاه قررناه (كالنور) اى فى قوله تعالى قد جاءكم من الله نور (والسراج المنير) اى فى قوله تعالى وسراجا منيرا (والمنذر) اى فى قوله تعالى وتنذر يوم الجمع وليكون من المنذرين (والنذير والمبشر) اى فى قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (والبشير) قال تعالى فقدجاءكم بشير ونذير (والشاهد) كما سبق لقوله تعالى وشاهد ومشهود (والشهيد) قال تعالى وجئنابك على هؤلاء شهيدا (والحق المبين) لقوله تعالى لقدجاءكم الحق من ربكم وهواولى من قول الدلجى لما فى حديث البخارى اللهم انت قيم السموات والارض ومن فيهن وفيه ومحمد حق اذفيه ان هذا ليس فى القرآن والكلام فى اسماء مذكورة فيـه مع انه خبر عنه لاوصف له كما فى بقيـة الحديث والجنـة حق والنار حق الا ان حق المصنف كان ان يقول و المبين بالعطف للاشارة الى انهمـا وصفان مستقلان وللاشعار الى قوله تعالى لتبين للناس مانزل اليهم فان وصفه عليه الصلاة والسلام بمجموع الحق المبين غير معروف لافى الكتاب ولافى السنة ولعـله ذكرهمـا بحذف العاطف (وخاتم النبيـين) كما قال تعـالى ولكن رسول الله وخاتم النبيـين وهو بفتح التاء على الاسم اى آخرهم وبالكسر على الفاعل لانه ختم النبيين فهو خاتمهم ذكره الانطاكى والتحقيق ان المراد بالفتح مايختم به من الطابع فقوله اى آخرهم حاصل المعنى لاجل المبنى (والرؤف الرحيم) جمع بينهما غير عاطف كما جاء فى الاية بالمؤمنين رؤف رحيم والرأفة شدة الرحمة فاخر لمراعاة الفاصلة اوللتعميم والتتميم (والامين) لقوله تعالى عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين على احد القولين فى تفسيره وحديث انى لامين فى الارض امين فى السماء وكان قبل البعثة يسمى امينا (وقدم الصدق) اى من حيث انه اوحى اليه ان يبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم فهو اولى بهذا الوصف من غيره وكان حق المصنف ان يأتى به منكرا على طبق وروده وقيل سمى قدم صدق لانه يشفع لهم عند ربهم (ورحمة للعالمين) لقوله تعـالى وماارسلنـاك الارحمة للعالمين (ونعمـة الله) اى انعم به على من آمن به فى الدارين ذكره الدلجى والاولى ان يقال لقوله تعالى وبنعمـة الله هم يكفرون كما قاله المفسرون (والعروة الوثقى) اى من حيث ان من آمن به فقد تمسك من الدين بعقد وثيق لاتحله شبهة ذكره الدلجى والاظهر لقوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت و يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى اى بعهد المصطفى وذمة المجتبى قال الانطاكى قيل انه محمد عليه الصلاة والسلام وقيل هو الاسلام (والصراط المستقيم) اى من حيث هداية من آمن به اليه ودلالته عليه كذا ذكره الدلجى ولعـله مأخوذ من قوله تعالى يهـدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام و يخرجهم من الظلمات الى النور باذنه و يهديهم الى صراط مستقيم اى الى نبى كريم ودليل قويم قال الانطاكى قوله الصراط المستقيم قيل هو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقيـل هو طريقه عليه الصلاة والسلام وقيل هو طريق الجنة وقيل طريق اهل السنة والجماعة وقيل هو الاسلام وقيل هو القرآن انتهى والكل متقارب البيان فى معرض البرهان وزيد فى نسخة هناطه و يس وهى غير صحيح لقول المصنف سوى ماذكرناه وقدذكرا فيما قدمناه وحررناه (والنجم الثاقب) اى المضئ كأن يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه بظهوره وهو مأخوذ من قوله تعالى والسماء والطارق ومأادراك ماالطارق النجم الثاقب ولعـل فى ايراده ايماء الى انه مشبـه به (والكريم) قال تعالى انه لقوله رسول كريم (والنبى الامى) اى الذى لايقرأ ولايكـتب قال تعـالى فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى (وداعى الله) لقوله تعـالى وداعيـا الى الله باذنه ولقوله سبحانه وتعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وكان الاظهر ان يقال والداعى الى الله ثم رأيت قوله تعالى اجيبوا داعى الله قال البغوى يعنى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم (فى اوصاف كثيرة) اى مع صفات اخر كثيرة (وسمات جليلة) اى نعوت عظيمة شهيرة (وجرى منهـا) اى من اسمائه (فى كتب الله المتقدمة) كالتوراة والزبور والانجيل (وكتب انبيـائه) اى الماضية من الصحف الوافية (واحاديث رسوله) اى الثابتة (واطلاق الامة) اى من العلماء والائمة (جملة شافية) فاعل جرى اى جملة من الاسماء والصفات شافية فى حصول المهمات (كتسميتـه بالمصطفى) وهو وان شاركه سائر الرسل حيث قال الله تعـالى يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس الاية الا انه هو الفرد الاكمـل من هذا الجنس الافضل وكذا قوله (والمجتبى) من قوله تعالى الله يجتبى اليـه من يشـاء و يهدى اليـه من ينيب (وابى القاسم)

وهو كنية بولده القاسم (والحبيب) لما سبق من حديث الاوانا حبيب الله (ورسول رب العالمين) فانه اولى
من اطلق عليه من بين المرسلين (والشفيع المشفع) اى المقبول شفاعته التى قدرامته وسائر اهل محبته (والمتقى)
اسم فاعل من الاتقاء واصله الموتقى من الوقاية وهو من يتقى نفسه عما يوجب العذاب وعما ينبغى اجتنابه
(والمصلح) اى للمفسده غيره من امر الدين فى التوراة ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء اى ملة
ابراهيم وسميت عوجاء لتغيير العرب اياها (والطاهر) اى بحسب الباطن والظاهر (والمهيمن) اى المبالغ
فى المراقبة لاحوال الامة (والصادق) اى قولا ووعدا وفعلا (والمصدوق) اى من يأتيه الصدق من عند ربه
شهادة فى حق امره (والهادى) اى للخلق الى الحق (وسيد ولد آدم) من المبدأ والمختم عموما (وسيد المرسلين) اى
خصوصا (وامام المتقين) اى من الاولياء الصالحين والعلماء العاملين (وقائد الغر) بضم العين وتشديد الراء
اى بيض الوجوه من آثار انوار الوضوء اطلاقا لاسم الجزء على الكل اذالغرة بياض الجبهة قدر الدرهم (المحجلين)
بتشديد الجيم المفتوحة اى المبيضين ايديا وارجلا من انوار الطهارة وآثار العبادة (يوم القيامة) وفيه اشارة
الى ما استدل به الائمة على ان الوضوء من خصائص هذه الامة وقيل لا وانما المختص الغرة والتحجيل لحديث
هذا وضوئى ووضوء الانبياء من قبلى واجيب بضعفه وعلى فرض صحته احتمل ان يكون الانبياء اختصوا بالوضوء
دون اممهم (وخليل الرحمن) لحديث مسلم وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا يعنى نفسه (وصاحب الحوض المورود)
اى يوم القيامة وقد ورد فيه احاديث صحيحة وفى بيان اختصاصه صريحة (والشفاعة) اى العظمى (والمقام
المحمود) عطف تفسير اومغاير ان اريد بالشفاعة جنسها الشامل لجميع انواعها (وصاحب الوسيلة) لحديث
مسلم سلوا الله لى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لاتنبغى الالعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن سأل لى
الوسيلة حلت عليه الشفاعة (والفضيلة) اى المرتبة على مرتبة الوسيلة لحديث الشيخين من قال حين يسمع النداء
اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته
حلت له شفاعتى يوم القيامة وفى رواية النسائى وابن حبان والبيهقى المقام المحمود (والدرجة الرفيعة) اى العالية
(وصاحب التاج) اى الخاص به فى الجنة يلبس فيها لجزاء من اهلها فقد روى ابوداود عن سهل بن معاذ
عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ القرآن وعمل بما فيه البس والداه تاجا يوم القيامة ضوؤه احسن من ضوء
الشمس فى بيوت الدنيا لوكانت فيكم فما ظنكم بالذى عمل بهذا الحديث فما ظنكم بالذى جاء به ونزل عليه وهو
سيد الاولين والآخرين ومااعد الدلجى وغيره حيث فسروا التاج بالعمامة وقالوا كانت اذذاك خاصة بالعرب
فهى تيجانهم ومن ثم قيل العمائم تيجان العرب انتهى وتعبيره بقيل غير مرضى اذورد فى حديث رواه الديلمى
فى مسند الفردوس عن على وابن عباس مرفوعا (والمعراج) اى وصاحبه الخاص به (واللواء) لحديث آدم
ومن دونه تحت لوائى يوم القيامة (والقضيب) اى السيف فعيل بمعنى الفاعل من قضب اذا قطع وقيل العصا
فهو فعيل بمعنى المفعول لانه مقطوع من الشجر (وراكب البراق) اى فى ليلة الاسراء (والناقة) اى وراكبها
فى حجة الوداع وغيرها (والنجيب) عطف تفسير للناقة فانه عرفا يطلق على الخفيف السريع من الابل واهله زيد لمراعاة
السجع فى مقابلة القضيب (وصاحب الحجة) اى القاطعة (والسلطان) اى السلطنة الغالبة والدولة القاهرة
(والخاتم) اى وصاحب الخاتم بفتح التاء وهو خاتم النبوة اقرب ويكسرها وهو ملبوس اليد انسب واما قول
الدلجى لان الله تعالى ختم به الانبياء والشهادة وخاتم النبيين اى آخرهم فليس فى محله اذ يأباه اضافة الصاحب
اليه (والعلامة) اى وصاحب العلامة الدالة على نبوته وادامته وكم من علامة ظاهرة على رسالته وكرامته
(والبرهان) اى صاحب البرهان الظاهر والتبيان الباهر (وصاحب الهراوة) بكسر الهاء اى العصا وهو القضيب
فانه سطيح واراده نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم اذ كان كثيرا ما تحمل بين يديه ويمسكها ويمشى بها وتغرزله فيصلى
اليها وقد افردت رسالة لها وقال الهروى الهراوة هى العصا الضخمة وتبعه الجوهرى (والنعلين) اى وصاحبهما
اذكان يمشى بهما واما ماقيل باخبر من يمشى بنعل فرد اى طاق واحد لم تخصف مع غيرها على عادة عرب البادية وهم
يمدحون رقته ويعدلونه من لباس الملك ونعمته (ومن اسمائه فى الكتب) اى من التوراة وغيرها (المتوكل) اى على ربه
دون غيره فى جميع امره (والمختار) اى من بين البرية (ومقيم السنة) كما ورد عن داود اللهم ابعث مقيم السنة اى مظهر
الملة (والمقدس) اى المنزه عن المنقصة (وروح القدس) بضم الدال وسكونها وسمى به لمجيئه بما فيه حياة الارواح
التى بها قوة الاشباح (وروح الحق) لاحياء الحق به فهو بمنزلة روحه (وهو معنى البارقليط) بالباء الموحدة وبفتح الراء
وتكسر ويسكون القاف وقد تسكن الراء وتفتح القاف وكسر اللام بعدها ياء مثناة ساكنة فطاء مهملة (فى الانجيل)

اى باللغة العبرانية قيل واكثر النصارى على ان معناه المخلص (وقال ثعلب) هو العلامة المحدث شيخ اللغة والعربية ابو العباس احمد بن يحيى البغدادى المقدم فى نحو الكوفيين مات سنة احدى وتسعين ومائتين (البارقليط الذى يفرق بين الحق والباطل) اى فرقا بينا وفصلا معينا بحيث لايشتبه احدهما بالاخر اصلا وقطعا (ومن اسمائه فى الكتب السالفة) باللام والفاء اى السابقة (ماذ ماذ) بفتح ميم فالف فذال معجمة منونة فيهما وفى نسخة بضم الذال من غير تنوين على انه غير مصروف للعلمية والعجمة وفى نسخة بسكون الذال ولعله اجراء للفصل مجرى الوصل قال الحلبى ماذ بميم ثم الف لاهمزة ثم ذال معجمة ساكنة كذا فى النسخة التى وقفت عليها وينبغى ان تضم الذال لانه لاينصرف للعجمة والعلمية اى انت ماذا او ياماذ وان كان فى الاصل صفة انتهى وفيه بحث لايخفى واما ماضبطه الدلجى بميم مضمومة فاشمام الهمزة ضمة بين الواو والالف ممدودة فغير مطابق للرواية وغير موافق للدراية ثم رأيت الحجازى نسبه الى السهيلى منقولا عن رجل اسلم من علماء بنى اسرائيل قال (ومعناه طيب) ولعل التكرار كناية عن غاية من الطيب فان الظاهر ان مجموع اللفظين هو الاسم (وحمطايا) بكسر الحاء المهملة وفتحها وسكون الميم وطاء مهملة ثم ياء تحتية وفى نسخة بفتح الحاء والميم مشددة اى حامى الحرم ومحمى الحرم وفى النهاية لابن الاثير مالفظه وفى حديث كعب انه عليه الصلاة والسلام فى الكتب السابقة محمد واحمد وحمياطا كذا بفتح الحاء وسكون الميم فياء تحتية بعدها الف فطاء فالف قال ابو عمر وسألت بعض من اسلم من اليهود عنه فقال معناه يحمى الحرم ويمنع من الحرام ويعطى الحلال انتهى (والخاتم) بالخاء المعجمة (والحاتم) بالحاء المهملة وهذا هو المطابق للنسخ المعتمدة والحواشى المعتبرة وهو الموافق لترتيب ما سيأتى من معنييهما وعكس الحلبى فى ضبطهما فقال الحاتم بالحاء المهملة والخاتم هذا بالخاء المعجمة (حكاه كعب الاحبار) وقد سبق عنه الا انه بلفظ حيا طا (وقال) الاظهر قال (ثعلب) كما فى اصل الحلبى والدلجى (فالخاتم) اى بالمعجمة وفتح التاء اوكسرها (الذى ختم الله به الانبياء والحاتم) اى بالمهملة وكسر التاء لاغير وهو من له السماحة والملاحة والحلاوة والرحمة والراحة (احسن الانبياء خلقا) بفتح الخاء اى صورة وبشاشة (وخلقا) بضم الخاء اى سيرة ولطافة (ويسمى) اى هو صلى الله تعالى عليه وسلم (بالسريانية) بضم السين وسكون الراء وبتشديد الياء الثانية وهى اللغة الاولى التى تكلم بها آدم والانبياء والالسنة ثلاثة سريانى وعبرانى وعربى وهو لاهل الجنة وفى الموقف سريانى قال السيوطى وسؤال القبر بالسريانية اقول ولعله مختص بالامم الماضية لئلا يخالف ظواهر الاحاديث الواردة واما العبرانية فسميت بذلك لان ابراهيم عليه السلام انما نطق بالعبرانية حين عبر النهر فارا من النمرود وقد كان النمرود قال للطلاب الذين ارسلهم فى طلبه اذا وجدتم من يتكلم بالسريانية فردوه فلما ادركوه استنطقوه فحول الله لسانه عبرانيا ذكره السهيلى (مشفح) بضم ميم وفتح شين معجمة ففاء مشددة مفتوحة فحاء مهملة منونة وفى نسخة بالقاف بدل الفاء وهو اصل الحاشية الحجازية ولا يعرف له معنى فى العربية واما قول الدلجى غير منصرف للعلمية والعجمة فغير ظاهر لانه مع مخالفته للنسخ المصححة غير صريح فى العلمية بل ظاهر فى الوصفية (والمنحمنا) بضم ميم فنون ساكنة فحاء مهملة مفتوحة فميم مكسورة فنون مشددة مفتوحة وهو مقصور كذا فى النسخ بالقلم ذكره الحلبى وتبعه الدلجى وعبر عنه بقيل ثم قال وقيل جميع حروفه مفتوحة الا المهملة فساكنة انتهى وهو اصل صحيح من النسخ المعتمدة وفى نسخة بضم الميم الاولى وكسر الميم الثانية وضبطه الحجازى بفتح الميم والمهملة وسكون النون الاولى وتشديد الثانية ثم فى آخره الف فى اكثر النسخ وفى بعضها ياء مبدلة من الف كالمصطفى هذا وقد قال ابو الفتح اليعمرى فى سيرته والمنحمنا بالسريانية هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قال الحلبى وهذا الكلام يحتمل معنيين احدهما ان يكون معناه بالسريانية محمد بالعربية ويحتمل غير ذلك قلت وفى سيرة ابن سيد الناس هو بالسريانية اسم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهو فى المعنى الثانى اظهر فتدبر وقال ابن اسحق هو بالزنجانية محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (واسمه ايضا فى التوراة احيد) بفتح همزة فسكون حاء مهملة فكسر تحتية فدال مهملة مضمومة غير منونة وفى نسخة بضم الهمزة وكسر الحاء وسكون الياء التحتية وفى نسخة وهى موافقة لما ذكره الحلبى بضم فسكون ففتح وفى اخرى بضم ففتح وفى اخرى بكسر التحتية وهى التى اقتصر عليها الدلجى وفى اخرى بضم ففتح فسكون وفى اخرى بفتح فسكون ففتح وهو مختار الحلبى وصوبه الانطاكى لحديث اورده ابو حذيفة اسحق بن بشر فى كتاب سماه المبتدأ واسنده الى ابن عباس انه عليه الصلاة والسلام قال اسمى فى القران محمد وفى الانجيل احمد وفى التوراة احيد قال سميت احيد لانى احيد امتى عن نار جهنم يوم القيامة انتهى ووجه تصويبه غير ظاهر كما لايخفى (روى) وفى نسخة وروى (ذلك) اى كون اسمه فى التوراة احيد (عن ابن سيرين وهو تابعى جليل وكان ثقة حجة كثير العلم والورع قيل كان يصوم يوما و يفطر يوما وله سبعة اوراد فى اليوم والليلة

هنا وقد قال المصنف انه مما نقل من الكتب في الاسماء (ومعنى صاحب القضيب اي السيف) يعني بدليل انه (وقع تفسيره) اي المراد (مفسرا في الانجيل) اي مبينا بقرينة اقترانه بما يدل عليه (قال) اي الله سبحانه وتعالى في الانجيل عند نعته عليه الصلاة والسلام (معه قضيب من حديد) اي معه سيف حديد مشابه للقضيب طولا وعرضا وطراوة واشتدادا او سيف قاطع من حديد حاد (يقاتل به) بكسر التاء اي يجاهد به اعداءه (وامته كذلك) اي معهم قضبان يقاتلون بها اعداءه ويتابعون اهواءه ويتبعون اقتداءه (وقد يحمل) اي القضيب في الحديث (على انه القضيب الممشوق) اي الطويل الدقيق (الذي كان يمسكه عليه الصلاة والسلام) اي بيده حال القيام وعند خطبته للانام وموعظته لاصحابه الكرام (وهو الآن عند الخلفاء) اي وكانوا يتداولونه واحدا فواحدا على سيرة الخلفاء (واما الهراوة التي وصف بها) اي بكونه صاحبها وحاملها (فهي في اللغة العصا) اي مطلقا والصحيح على ما ذكره الجوهري تبعا للهروي (واراها) بضم الهمزة اي واظنها ان المراد بها ههنا (والله تعالى اعلم العصا المذكورة في حديث الحوض) اي حيث قال (اذود) بضم الذال المعجمة اي ادفع وامنع واطرد (الناس) اي العصاة (عنه) اي عن حوضي (بعصاي) اي التي في يدي حينئذ (لاهل اليمن) اي اذود الناس لاجلهم حتى يتقدموا وفي هذا كرامة لاهل اليمن في تقديمهم للشرب منه مجازاة لهم بحسن صنيعهم وتقدمهم في الاسلام وفي نسخة لاهل اليمن وهي رواية مسلم في المناقب وهي التي حملها الدلجي اصلا والحلبي صوبها وقال المراد بها الجهة المعروفة عن يمين الكعبة انتهى والاظهر ان المراد باهل اليمين اصحاب اليمين من ارباب الجنة ويدخل في عمومهم اهل اليمن وتخصيصهم لان السابقين يفهم منه بالاولى كما لا يخفى هذا وقد ضعف النووي هذا الظن من القاضي بان المراد من وصفه بها تعريفه بصفة يراها الناس معه ويستدلون بها على صدقه وانه المبشر به المذكور في الكتب السالفة فلا يصح تفسيرها بعصا تكون في الآخرة والصواب ما قاله الائمة في تفسير كونه صاحبها انه يمسك القضيب بيده كثيرا وقيل لانه كان يمشي والعصا بين يديه وتغرز له فيصلي اليها وهذا في الصحيح مشهور هكذا ذكره الدلجي وقرره تبعا للحلبي حيث قال وتعقبه النووي بان هذا ضعيف وباطل الى آخر ما ذكره واقول لعل وجه ما اختاره المصنف هو الاحرى بحمل هذا النعت على الدار الآخرة لان اخذ العصا من الانبياء في الدنيا فما لم يحمل على هذا المعنى لم يتميز عن اخوانه بالوصف الاول بخلاف الصفة الاول فانه النعت المختص به في المعنى لاسيما وعامة العرب لا يمشون الا بالعصا فلا يصلح ان يكون علامة لخاتم الانبياء مع ان احدا اياها انما كان احيانا ثم لا يلزم من ذكر نعوته في الكتب السابقة ان لا يكون بعضها متعلقا بالدار الآخرة وبعضها بالاحوال السابقة (واما التاج فالمراد به العمامة) فيه بحث فان المراد به غير معلوم الا انه المعتاد واما باعتبار اللغة والعرف فهو مستعمل في غير العمامة على اختلاف في عرف العامة واما ما ورد في الحديث وظاهره انه اراد المعنى المجازي حيث نزل العمامة منزلة التاج واقامها مقامه في مرتبة الوقار والرواج كما يدل عليه او يشير اليه قوله (ولم تكن) اي العمامة (حينئذ) اي حين وجوده صلى الله تعالى عليه وسلم (الا للعرب) اي وكان الناس كلهم اصحاب التيجان امام العمامة او بدونها (والعمائم) اي بدون التيجان (تيجان العرب) اي اكتفاء بها عن غيرها وفيه اشعار بانهم من اهل القناعة الدنيوية وموصوفون بعدم التكلف في موجبات الرعاية العرفية والحاصل ان الاصح ان يراد بقوله صاحب التاج تاج الكرامة يوم القيامة كما قدمناه (واوصافه) اي نعوته من اسمائه (والقابه) اي المعبرة بانواع مدحه وثنائه (وسماته) بكسر السين اي شمائله وعلامات فضائله (في الكتب) اي الماضية والمعدمة (كثيرة وفيما ذكرناه منها) اي وان كانت قليلة يسيرة (مقنع) بفتح الميم والنون اي محل كفاية ومكان قناعة (ان شاء الله تعالى) اذ احصاؤها غير ممكن كما لا يخفى (وكانت كنيته المشهورة ابا القاسم) لحديث البخاري كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في السوق فقال رجل يا ابا القاسم فالتفت اليه فقال انما دعوت هذا فقال سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي ولعل وجهه انه كان يدعى بالكنية تعظيما ولا يدعى باسمه للنهي الوارد عنه تكريما وزيد في رواية فاني انا جعلت قاسما اقسم بينكم وفيه اشارة الى ان المراد بابي القاسم هو الموصوف بهذا الوصف وهو لا ينافي كونه ابا لولده مسمى بالقاسم (وروى عن انس رضي الله تعالى عنه) كما في مسند احمد والسوق (انه لما ولد له ابراهيم) اي ابن نبينا عليه الصلاة والسلام من مارية (جاءه جبريل عليه السلام فقال له السلام عليك يا ابا ابراهيم) فهي كنيته ايضا وهو يحتمل انه صلى الله تعالى عليه وسلم قد سمى ولده ابراهيم قبل نزول جبريل عليه السلام ويحتمل ان تكون تسميته وقعت في ضمن تكنيته اياه تهنئة وفي الجملة صار صلى الله تعالى عليه وسلم ابا ابراهيم كما كان ابوه ابراهيم فكانه صلى الله تعالى عليه وسلم احيى اسم جده عليهما الصلاة والسلام ثم قيل وكنيته ايضا ابو الارامل وهو لقب في المعنى وان كان كنية في المبنى فان معناه مراعي الارامل ومحافظ احوالهن ومتعهدهن والله سبحانه وتعالى اعلم

فصل

(في تشريف الله تعالى له بما سماه به من اسمائه الحسنى) انيث الاحسن لان الاسماء في معنى الجماعة (ووصفه به من صفاته العلى) بضم العين جمع العليا ووصفه بفتح الواو والصاد والفاء عطفا على سماه ويحتمل كونه مصدرا معطوفا على تشريف الله (قال القاضي ابو الفضل) يعني المصنف نفسه (وفقه الله) اى لما يحمد ويرضاه (ما احرى هذا الفصل) بالنصب فان الصيغة للتعجب اى ما احقه واخلقه وا جدره واليقه (بفصول الباب الاول) اى من هذا الكتاب وهو المعنون بالفصل في ثناء الله تعالى عليه واظهار عظيم قدره لديه كما اشار في ضمن تعليله وجه الاحرى اليه بقوله (لانخراطه) اى لانضمامه (في سلك مضمونها وامتزاجه) اى اختلاطه (بعذب معينها) بفتح ميم وكسر عين اى بحلاوة مائها وعلو صفائها (لكن لم يشرح الله) وفي نسخة لكن الله لم يشرح (الصدر للهداية الى استنباطه) اى استخراجه من اماكنه وهو استدراك على وجه الاعتذار عما فاته من جعل هذا الفصل من تلك الفصول المناسبة لهذا الاسرار المتضمنة للانوار (ولا انار الفكر) بالنون اى لا اشرقه ولا اضاء له وفي نسخة بالثاء المثلثة اى ولا بعثه ولا هيجه (لاستخراج جوهره والتقاطه) اى من بحره وبره الشامل لعموم كرم علمه وبرحله (الا عند الخوض) اى الشروع والدخول (في الفصل الذي قبله) اى فشرح الصدر للهداية الى ذلك اولا على وفق ما هنالك (فرأينا ان نضيفه اليه) اى بتعقيبه لزيادة عليه (ونجمع به شمله) اى تفرقه عند حصوله لديه (فاعلم) اى ايها الطالب الراغب (ان الله تعالى خص كثيرا من الانبياء) اى الذين هم من جملة الاصفياء (بكرامة خلعها) اى القاها (عليهم) وفي نسخة عليه وعليهم اى البسهم خلعة الكرامة الواصلة اليهم والحاصلة لديهم وفي نسخة جعلها اى صيرها اعلاما عليهم (من اسمائه) بان ذكر فيهم صفات هي مبادي اشتقاق وصف له واخذ من بنائه (كتسمية اسحق واسمعيل) اى ابني ابراهيم الخليل على خلاف في المراد بالمبشر به من احد اولاد الخليل وكان الاولى تقديم اسمعيل لانه اكبر ولكونه جدا لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ولعلها قدمه قوله سبحانه وتعالى الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق (بعليم) في قوله تعالى وبشروه بغلام عليم (وحليم) في قوله سبحانه وتعالى فبشرناه بغلام حليم وجمع بينهما الاشعار بان الكمال هو الوصف باجتماع العلم والحلم المنبعث عنهما جميع الفضائل البهية والشمائل السنية وقد اغرب الدلجي حيث جعل الوصفين نشرا مرتبا على الابنين اذ لم يقل احد بالتفضيل بينهما وانما اختلفوا في ان ايهما المراد به مع الاتفاق على ان المبشر به احدهما ولذا قال الانطاكي ولعل المؤلف من اجل الاختلاف جمع هنا بين اسحق واسمعيل وقد افرد السيوطي رسالة في تعيين الذبيح وتوقف في ان ايهما الصحيح لكن المعتمد عند المفسرين والمحدثين المعتبرين انه اسمعيل لحديث انا ابن الذبيحين وغيره من ادلة ليس هذا محل بسطها (وابراهيم بحليم) اى في قوله تعالى ان ابراهيم لاواه حليم ولعل الاكتفاء به للعلم بانه عليم اوللزومه اولغلبة حلمه على علمه ولذا استغفر لوالده (ونوح بشكور) اى في قوله سبحانه وتعالى انه كان عبدا شكورا (وعيسى ويحيى ببر) بفتح الباء وتشديد الراء مبالغة بار في قوله تعالى وبرا بوالدتي وبرا بوالديه (وموسى بكريم) اى في قوله سبحانه وتعالى وقد جاءهم رسول كريم في الدخان (وقوى) اى في قوله سبحانه حكاية عن بنت شعيب وتقريرا لكلامها ان خير من استأجرت القوى الامين وفي نسخة بدلهما بكليم والظاهر انه اصل سقيم (ويوسف بحفيظ عليم) اى في قوله سبحانه حكاية عن يوسف مقررا شانه ومعتبرا بيانه حيث انطق لسانه بقوله اني حفيظ عليم (وايوب بصابر) اى في قوله تعالى انا وجدناه صابرا وفيه ان الصابر غير معروف من اسمائه وانما الصبور من اسمائه سبحانه على المشهور (واسمعيل بصادق الوعد) اى في قوله تعالى عند ذكره انه كان صادق الوعد ولعل وجهه قوله سبحانه وتعالى ولن يخلف الله وعده وحديث صدق الله وعده والا فصادق الوعد والصادق المطلق ليس من الاسماء المشهورة (كما نطق به) وفي نسخة صحيحة بذلك اى بما خص انبياءه (الكتاب العزيز) اى بانبائه على وفق اشتقاق اسمائه (في موضع ذكرهم) بالاضافة اى في مواضع ذكرهم ووصفهم وشكرهم فيها كما قدمناه وفي نسخة صحيحة من مواضع بدل في ولعلها بمعناها او بيان لما لابهام مبناها (وفضل نبينا محمدا (صلى الله تعالى عليه وسلم) اى على سائر الانبياء والاصفياء بزيادة اشتقاق بناء الاسماء في الانباء (بان حلاه) بفتح الحاء المهملة وتشديد اللام اى زينه (منها) اى من اسمائه سبحانه (في كتابه العزيز) اى البديع المنيع المشتمل على التعجيز اوالقوى الغالب على سائر الكتب بنسخها على وجه التميز وقد قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (وعلى السنة انبيائه) اى كما نقله بعض اوليائه (بعدة كثيرة) اى بجملة كبيرة وهي بكسر العين والباء للسببية و الباء الاولى بيانية اى بسبب تعداد نعوت كثيرة

واوصاف عزيزة (اجتمع لنا منها جملة بعد اعمال الفكر) بكسر الهمزة اى استعماله (واحضار الذكر) بضم الذال وكسرها والمعنى بعد افراغ الوسع تفكرا وتذكرا (اذ لم نجد) اى من العلماء المصنفين (من جمع منها فوق اسمين ولا من تفرغ فيها لتأليف فصلين) اى ليعرف منه بيان فرعين او اصلين (وحررنا) بحاء ورائين مهملات ويروى جردنا بجيم ودال اى اخرجنا (منها فى هذا الفصل نحو ثلاثين اسما) اى مما اشتق من اسماء الله الحسنى والصفات العلى (ولعل الله تعالى) اى ارجوا من كرمه انه (كما الهم) اى ارشد (الى ما علم) بتشديد اللام اى عرف (منها وحققه يتم اسميه) اى بكمالها (باباته مالم يظهره لنا الآن) اى باظهار اسراره وابداء انواره (ويفتح غلقه) بفتحتين اى انغلاقه واشكاله وامتثاله واشباهه اذا عرفت ذلك (فمن اسمائه) اى الله سبحانه وتعالى (الحميد) وهو فعيل بمعنى المفعول او الفاعل والاول اظهر ولذا قدمه بقوله (ومعناه المحمود لانه حمد نفسه) اى ازلا (وحمده عباده) اى ابدا وقد يقال هو المحمود فى ذاته سواء حمد او لم يحمد على لسان مخلوقاته مع انه وان من شئ الا يسبح بحمده فى مراتب تعيناته فهو المحمود فى كل فعال وجميع حال انه هو المولى لكل نوال (ويكون) اى الحميد (ايضا) اى كما يكون بمعنى المحمود (بمعنى الحامد لنفسه) اى فى نفسه او فى كلام قدسه تعليما لعباده على وفق مراده (ولاعمال الطاعات) بمعنى ثنائه وشكر اهله وجزائه وقد يقال له الحامدية والمحمودية فى جميع مراتب الربوبية فهو الحامد وهو المحمود لان نظر الشهود سوى الله وانه ما فى الوجود (وسمى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى نبيا وهو مرفوع او منصوب وهو الاظهر فتدبر (محمدا واحمد فمحمد بمعنى محمود) بل ابلغ منه (وكذا) اى محمد او محمود (وقع اسمه فى زبر داود) بضم الزاى والباء اى فى صحف المزبورة بمعنى المكتوبة والمراد بها الزبور ووقع فى اصل التلمسانى على ما ضبطه بكسر الزاى وسكون الباء اى فى كتابه وهو سير معروف فى الرواية والدراية (واحمد بمعنى اكبر) اى اعظم (من حمد) بفتح الحاء (واجل من حمد) بضم الحاء وفيه ايماء الى ان افعل التفضيل قد يكون بمعنى الفاعل وهو اكبر وقد يكون بمعنى المفعول وهو هنا اظهر والجمع بينهما اظهر لحيازته شرف الحامدية والمحمودية المشيرة الى مرتبة المحبية والمحبوبية فاحمد بهذا الاعتبار يكون ابلغ من محمد فى نظر النظار مع ما فيه من الاشارة الى الصفة الجامعة بين مرتبة المجذوبية المطلوبية ومرتبة المرادية المحبوبية بالنسبة الازلية الممتدة الى الابدية بخلاف وصف الحامدية المشعرة بتعلق الحادثة الكونية كما علم تحقق هذا المعنى فى قوله تعالى يحبهم ويحبونه من تدقيق المبنى (وقد اشار الى نحو هذا) اى مما قررناه وحررناه (حسان) اى ابن ثابت بن المنذر بن حرام بالراء الانصارى النجارى عاش هو والثلاثة فوقه من آبائه كل واحد مائة وعشرين سنة وقد عاش حسان ستين فى الاسلام وستين فى الجاهلية وقد شاركه فى الوصف الثانى حكيم بن حرام قيل وغيره ايضا (وشق) بفتح الشين اى الله تعالى (له) صلى الله عليه وسلم (من اسمه) قطع همزة الوصل ضرورة واو قال من نعته او وصفه لخلص (ليجله) اى ليعظمه بالمشاركة فى الجملة الاسمية من حيث تلاقى اسميهما اشتقاقا من مأخذ واحد ولم يرد الاشتقاق الاصطلاحى لان مدلوليهما متحد بل اراد كون اسمه بمعنى اسمه كما يشير اليه قوله (فذو العرش محمود وهذا محمد) فمحمود مأخوذ من معنى الحمد على ما سبق وقد ورد يا الله المحمود فى كل فعاله والحاصل ان لفظ شق من شق الشئ جعله شقين اى نصفين ومعناه انه اعطاه من معنى اسمه جزأ من معناه وقيل شق بمعنى اشتق اخذ منه وصاغه من حروف اسمه هذا وقد قال الامام حجة الاسلام فى المقصد الاسنى فى اسماء الله الحسنى الحميد من عباد الله تعالى من حمدت عقائده واخلاقه واعماله واقواله وهو نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ومن قرب منه من الانبياء والاولياء فكل واحد منهم حميد بقدر ما حمد من اوصافه والحميد المطلق هو الله سبحانه وتعالى (ومن اسمائه تعالى الرؤف الرحيم) اى ذو الرأفة والرحمة وقدم الابلغ منهما لامر غير مرة (وهما بمعنى) اى واحد (متقارب) اى المؤدى وان كانت الرأفة شدة الرحمة (وسماه) اى نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (فى كتابه بذلك) اى بما ذكر من الوصفين او بالجمع بين النعتين (فقال بالمؤمنين رؤف رحيم ومن اسمائه تعالى الحق المبين ومعنى الحق الموجود) اى دوامه الثابت قيامه (والمحقق امره) لانه الثابت مطلقا لوجوب شانه واما غيره فلا وجود له فى حد ذاته لامكانه وهذا وجه قوله كل شئ هالك الا وجهه والى هذا المعنى اشار لبيد بقوله * الا كل شئ ما خلا الله باطل * وهذا المراد بنحو مشايخنا ابو الحسن البكرى قدس الله سره السرى بقوله استغفر الله مما سوى الله (وكذا المبين اى المبين) بمعنى الظاهر (امره) اى امر وجوده وشان ربوبيته (والهيته) اى بوصف احديته وواحديته ثم قوله (بان وابان بمعنى واحد) يعنى ان بان ههنا بمعنى ابان فهما لازمان وقد يكون ابان متعديا فيكون المبين بمعنى المظهر وهذا معنى قوله (ويكون بمعنى المبين لعباده امر دينهم) اى ما يتعلق به من معاشهم فى دنياهم (ومعادهم) اى وامر معادهم فى عقباهم وهذا المعنى فى حقه تعالى (وسمى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم

(بذلك) اى بما ذكر من الاسمين (فى كتابه فقال) اى بعد قوله بل متعت هؤلاء وآباءهم (حتى جاءهم الحق ورسول مبين) وهذا على قول بعض المفسرين من ان المراد بالحق هو الرسول الامين خلافا لمن قال ان المراد بالحق هو الكتاب المبين (قال وقل انى انا النذير المبين) اى ظاهر الانذار اومظهر الاخبار (وقال) اى بعد قوله يا ايها الناس (قد جاءكم الحق من ربكم) يعنى به محمدا اوالقرآن (وقال فقد كذبوا بالحق لما جاءهم قيل) اى المراد بالحق (محمد) اى كذبوا بالنبى الثابت نبوته المتحقق معجزته بدليل الآيات السابقة المشيرة اليه فلا التفات الى قول الدلجى وهذا القيل مما لا دليل عليه (وقيل القرآن) وكلاهما صحيح وفى المدعى صريح فان تكذيب كل منهما يستلزم تكذيب الآخر سواء تقدم الاول اوتأخر فتدبر (ومعناه) اى ومعنى الحق (هنا) اى فى كل من التفسيرين (ضد الباطل والمحقق صدقه وامره) اى شانه جميعه المحقق بكسر القاف الاولى وهو مرفوع عطفا على ضد الباطل فهو خبر بعد خبر اشعارا بان للحق معنيين مشهورين واما قول الحلبى بفتح القاف الاولى المشددة وهو مبتدأ وصدقه الخبر وامره معطوف على الخبر فهو مرفوع ايضا فخطأ من جهة البناء الصرفى والاعراب النحوى (وهو بالمعنى الاول) اى فيما سبق فتأمل (والمبين) على انه نعت الرسول الامين معناه (المبين امره ورسالته) اى الظاهر والواضح بناء على ان ابان لازم (اوالمبين) بتشديد الياء المكسورة اى المظهر والمخبر (عن الله تعالى مابعثه به) اى من امر الرسالة لتعليم الامة بناء على ان ابان متعد (كما قال الله تعالى لتبين للناس مانزل اليهم) اى من مرغوب ومرهوب (ومن اسمائه تعالى النور ومعناه ذوالنور) يعنى على مضاف مقدر (اى خالقه) اوسمى نورا مبالغة كما عدل فمعناه النور ومبناه الظهور لانه تعالى ظاهر بذاته وصفاته ومظهر حقائق مخلوقاته اومعنى ذى النور ان حجابه النور بحيث لوانكشفت سبحات وجهه لاحرقت ما انتهى اليها بصره من خلقه اولان ظهور الاشياء انما هو بنوره وتبين الامور ليس الا لظهوره واما اطلاق النور عليه سبحانه بناء على ما هو فى عرف الحكماء من انه كيفية تدركها الباصرة اولا ثم بها تدرك سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من القمرين على الاجرام المحاذية لها فلا يصح حقيقة الا انه قد يجوز من حيث ان ظهوره تعالى بذاته الموصوف بالقدم مبرأ عن ظلمة العدم وان ظهور غيره ووجوده فائض عنه تعالى ثم تحقيق هذا المبنى وتدقيق هذا المعنى عند قوله تعالى الله نور السموات والارض حيث قيل من جملة معانيه (اومنور السموات والارض) اى كما قرئ به فى الآية على ان النور بمعنى التنوير مصدر بمعنى الفاعل وقوله (بالانوار) اى بسبب الانوار الحسية من الكواكب القمرية والشمسية (ومنور قلوب المؤمنين بالهداية) اى الوهبية اى بسبب امداد الانوار المعنوية فى الافلاك القلبية (وسماه) اى النبى عليه السلام (نورا) اى على احد التفسيرين (فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل) اى المراد بالنور (محمد وقيل القرآن) وقيل المراد بهما محمد لانه كما هو نور عظيم ومنشأ لسائر الانوار فهو كتاب جامع مبين لجميع الاسرار (وقال فيه) اى فى حق نبيه (وسراجا منيرا) اى شمسا مضيئا لقوله تعالى وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا ففيه تنبيه نبيه ان الشمس اعلى الانوار الحسية وان سائرها مستفيض منها فكذلك النبى عليه السلام اعلى الانوار المعنوية وان باقيها مستفيد منه بحكم النسبة الواسطية والمرتبة القطبية فى الدائرة الكلية كما يستفاد من حديث اول ماخلق الله نورى واما الحق فهو فى مقام المطلق (سمى بذلك) اى بما ذكر من النور والسراج المنير (لوضوح امره) اى امر رسالته وبيان نبوته (وتنوير قلوب المؤمنين) عموما (والعارفين) خصوصا (بما جاء به) وما ظهر لهم من الانوار والاسرار بسببه قال الحلبى ولعل ابن سبع استنبط من هذا ومن الحديث الذى سأل فيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ربه ان يجعل فى جميع اعضائه وجهاته نورا وضم ذلك لقوله واجعلنى نورا ماقاله من انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان من خصائصه انه كان نورا وكان اذا مشى فى الشمس اوالقمر لايظهر ظل والله سبحانه وتعالى اعلم (ومن اسمائه تعالى الشهيد) من الشهود بمعنى الحضور (ومعناه العالم) اى بظاهر ما يمكن مشاهدته كما ان الخبير هو العالم بباطن مالم يمكن احساسه (وقيل) اى فى معناه (الشاهد على عباده يوم القيامة) الاولى اطلاقه لقوله تعالى وكفى بالله شهيدا ولعل وجه تقييده المناسبة فى اطلاقه على صاحب الرسالة (وسماه) اى الله نبيه فى كتابه (شهيدا وشاهدا) كان الاولى تقديم شاهدا ليلائم ترتيب ماربته (فقال انا ارسلناك شاهدا) اى عالما اومطلعا (وقال) اى فى موضع آخر (ويكون الرسول عليكم شهيدا وهو بمعنى الاول) اى الا انه ابلغ وادل والاظهر انه من مادة الشهادة فتأمل فانه المعول (ومن اسمائه الكريم ومعناه الكثير الخير) اى النفع (وقيل المفضل) بضم الميم وكسر الضاد اى ذو الافضال بالنوال قبل السؤال (وقيل العفو) وفيه ان عفوه من جملة كرمه (وقيل العلى) اى الرفيع الشان عظيم البرهان يتعالى كرمه عن النقصان (وفى الحديث المروى) اى مما رواه ابن ماجه (فى اسمائه تعالى الاكرم) وكذا جاء فى التنزيل اقرأ وربك الاكرم (وسماه كريما بقوله انه لقول رسول كريم قيل) اى المراد به

(محمد وقيل جبريل) وهو الاظهر وعليه الاكثر (قال عليه السلام انا اكرم ولد آدم) وسنده قد تقدم وفي لفظ انا اكرم الاولين والآخرين اي افضلهم (ومعاني الاسم) اي اسم الكريم والاكرم على ما تقدم (صحيحة في حقه عليه السلام) اي بالكمال والتمام اذ من جملة ما صدر عنه من الكرم والانعام ما يدل عليه قول صفوان ابن امية وقد اعطاه غنما بين جبلين ان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر وهذا غاية الكرم في ابن آدم (ومن اسمائه تعالى العظيم) من عظم الشيء اذا كبر حجما وهيئة ثم استعير لما كبر قدرا ورتبة (ومعناه الجليل الشأن الذي كل شيء دونه) اي في الظهور والبرهان هذا وقيل الكبير اسم للكامل في ذاته والجليل في صفاته والعظيم فيهما فهو اجل منهما (وقال تعالى في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) في كلامه القديم (وانك لعلى خلق عظيم) فله العظمة المعنوية باعتبار الخلق قد الهيبة (ووقع في اول سفر) بكسر اوله اي اول دفتر (من التوراة) اي من اسفارها (عن اسمعيل) اي ابن الخليل والمعنى عن جهته وفي حقه (وسيلد عظيما) بالخطاب وفي نسخة بالغيبة بناء على جهتي التعبير من رعاية المبنى والمعنى سيلد ولدا عظيما ويكون نبيا كريما (لامة عظيمة) اي في الكمية او الكيفية كما يشير اليه قوله تعالى كنتم خير امة وخيرية كل امة تابعة لخيرية نبيها (فهو عظيم) اي في ذاته (وعلى خلق عظيم) اي في صفاته وتعبيره بعلى الموضوع للاستعلاء تمثيل لتمكنه من غاية الاستيلاء (ومن اسمائه تعالى الجبار) فعال للمبالغة من الجبر بمعنى القهر على ما هو في الاصل ثم قد يستعمل في الاصلاح المجرد كقول علي رضي الله تعالى عنه يا جابر كل كسير ومسهل كل عسير وتارة في القهر المجرد ومنه ما ورد لا جبر ولا تفويض ومن ثم قيل كما قال (ومعناه المصلح) اي لامور عباده على وفق مراده (والقاهر) اي فوق عباده فلا موجود الا وهو مقهور تحت قدرته وهدف لارادته ومشيئته (وقيل العلي) اي الرفيع البرهان (العظيم الشأن وقيل المتكبر) اي المتعالي عن كل احد في كل زمان ومكان ولا يستغني عنه احد في كل شأن واوان (وسمي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في كتاب داود) وفي نسخة في كتب داود اي زبوره او غيره (بجبار) الاظهر ان يقول بالجبار لقوله (فقال) اي مناديا له في عالم الارواح ومستحضرا له في عالم الاشباح (تقلد ايها الجبار سيفك) اي للكفار (فان ناموسك) بالالف قال التلمساني يهمز ويسهل والناموس وعاء العلم وصاحب سرك الذي تطلعه على باطن امرك وجبريل عليه السلام قال الانطاكي والمراد هنا والله تعالى اعلم ما يوحى اليه وهو القرآن انتهى والاظهر ان يقال في المعنى اي اعتبارك واقتدارك وانوار علومك واسرارك (وشرائعك) اي احكامك واخبارك (مقرونة بهيبة يمينك) اي قوة تصرفك وغلبة قهرك وكثرة نصرك على وفق عينك (ومعناه في حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اي باعتبار معانيه في حقه سبحانه والمناسبة اللائقة بما يه في شأنه (اما لاصلاحه الامة بالهداية والتعليم) اي باظهار العناية والرعاية مما يحتاجون في البداية والنهاية (او لقهره اعداءه) اي ولعله احبائه (او لعلو منزلته على البشر) اي جنس بني آدم في القوى الفاضلة النفسية والمصالح الانسية (وعظيم خطره) بفتحتين اي قدره ومزيته على غيره (ونفي) اي الله تعالى (عنه في القرآن جبرية الكبر) التي لا تليق به وفي نسخة جبرية الكبر والاظهر جبرية القهر او لقوله (فقال وما انت عليهم بجبار) اي بمسلط وقهار تقهرهم على الايمان وتقدرهم على العرفان او ما انت عليهم بوصف الجبارية بل بنعت الرأفة والرحمة (ومن اسمائه تعالى الخبير) مبالغة من الخبرة وهي العلم بالامور الخفية (ومعناه المطلع بكنه الشيء) بضم الكاف اي مطلع على غايته ونهايته (العالم) وفي نسخة والعالم (بحقيقته) اي بماهيته وكيفيته (وقيل معناه المخبر قال الله تعالى فاسئل به خبيرا) واختلف في المراد بالسائل والمسؤل (قال القاضي بكر بن العلاء) هو بكر بن محمد بن العلاء ابن محمد بن زياد القشيري من اولاد عمران بن الحصين رضي الله تعالى عنه مات سنة اربع واربعين وثلثمائة ذكره التلمساني وقال الانطاكي هو المالكي (المأمور بالسؤال هو غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمسؤل الخبير هو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اي فاسئل به اي عما ذكر او عما ذكر مما تقدم من خلق الاشياء ووصف الاستواء خبيرا يخبرك بحقيقة الانباء او هو سيد الانبياء (وقال غيره) اي غير بكر (بل السائل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمسؤل الله تعالى) وهو اظهر الاقوال وقيل سل جبريل او من وجد الله في كتبه المتقدمة (فالنبي خبير بالوجهين المذكورين) اي ما قدمه القاضي آنفا من قوله الخبير اما معناه العالم بحقيقة الشيء او المخبر (قيل) اي في توجيه الوجهين (لانه عالم على غاية من العلم بما اعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته) يعني فيصلح ان يكون سائلا (مخبر لامته بما اذن) اي ابيح (له في اعلامهم به) بما يفهمهم مما شاء ومن ذا فيصح ان يكون خبيرا بمعنى مخبرا فيصير مسؤلا (ومن اسمائه تعالى الفتاح) اي كما قال الله تعالى وهو الفتاح العليم (ومعناه الحاكم بين عباده) كقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا اي احكم لان الحكم فتح امر مغلق بين الخصمين وقد بين الله الحق واوضحه وميز الباطل وادحضه بانزال الكتاب المبين

واقامة البراهين في امر الدين (او فاتح ابواب الرزق) اى على انواع الخلق من اسباب النعمة الدنيوية والاخروية (والرحمة) اى من قبول التوبة وحصول المغفرة (والمنغلق) بالنون الساكنة والغين المعجمة المفتوحة واللام المكسورة اى المشكل (من امورهم عليهم او يفتح قلوبهم) اى اعين بصيرتهم فقوله (و بصائرهم) عطف تفسير وفي نسخة وابصارهم فالمعنى ابصارهم الباطنة والظاهرة (لمعرفة الحق) اى وتمييزه عن الباطل (و يكون) اى الفتاح (ايضا بمعنى الناصر) وكان الاظهر ان يقول و يكون الفتح بمعنى النصر (كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح اى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وقيل معناه) اى معنى الفتاح (مبدئ الفتح والنصر) يعني ملاحظة المعنيين من الفتح وهو الافتتاح والفتح ولايبعد ان تكون الدال مفتوحة فمعنى جاءكم الفتح اى مبتدأه واوله وهذا كله بناء على النسخ المعتمدة من بناء الكلمة على الابتداء من باب الافتعال وفي اصل الدلجي مبدئ الفتح والنصر من الابداء من باب الافعال ولذا قال اى مظهرهما (وسمى الله تعالى نبيه محمدا عليه السلام الفاتح في حديث الاسراء الطويل) اى على ماسبق بطوله (من رواية الربيع بن انس عن ابى العالية وغيره عن ابى هريرة) اى مرفوعا (وفيه من قول الله تعالى يعني الحديث القدسي (وجعلتك فاتحا وخاتما) بكسر التاء فيهما (وفيه من قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في ثنائه على ربه وتعديد مراتبه) اى قياما بشكره (ورفع لى ذكرى) اى بعد ماشرح صدرى ووضع عني وزرى (وجعلني فاتحا وخاتما) اى اولا بالنبوة في عالم الارواح وآخرا بالرسالة في عالم الاشباح (فيكون) اى فيحتمل ان يكون (الفاتح هنا بمعنى الحاكم) اى بين الخصوم بما اعطى له من العلوم (والفاتح لابواب الرحمة على امته) اى لكونه رحمة للعالمين وامته امة مرحومة (والفاتح) الاظهر اوالفاتح (ابصارهم لمعرفة الحق والايمان بالله) اى على جهة الصدق (اوالناصر للحق) اى بجد لان اعدائه وتبيان احبابه (اوالمبدئ بهداية الامة) بكسر الدال بمعنى البادئ المأخوذ من الفتح بمعنى الافتتاح ومنه الفاتحة (اوالمبدأ) بضم الميم وفتح الموحدة وتشديد الدال المهملة ثم همزة مقصورة اى المبتدأ كما في نسخة (المتقدم في الانبياء) اى عند خلق انوارهم وتقسيم اسرارهم (والخاتم لهم) اى بالمنع عن اظهارهم (كما قال عليه الصلاة والسلام كنت اول الانبياء في الخلق) اى في حال الخلقة (وآخرهم في البعث) اى في بعثة الدعوة (ومن اسمائه تعالى في الحديث) اى على مارواه الترمذى وغيره عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعا (الشكور) وفي القرآن ان ربنا لغفور شكور وهو مبالغة الشاكر (ومعناه المثيب) اى المجازى بالجزاء الجزيل (على العمل القليل) فيرجع الى صفة الفعل (وقيل المثنى على المطيعين) فيرجع الى صفة الذات وقيل الشكور لمن شكره فيكون من قبيل المقابلة واما قول الدلجي المجازى عباده على شكرهم فليس من باب المشاكلة كما وهم بل يرجع الى الاخص من الاول فتأمل (ووصف بذلك نبيه نوحا عليه الصلاة والسلام فقال انه كان عبدا شكورا) ولقد قال ايضا في حق هذه الامة ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور اى لكل مؤمن كامل عالم عامل فان الايمان نصفان نصفه صبر ونصفه شكر فالاول باجتناب المعصية والثاني بارتكاب الطاعة وقد قال تعالى اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور وقيل الشكور هو المعترف بالعجز عن اداء الشكر هذا وقد قال الانطاكى لم يقع هذا من القاضي موقعه لانه في معرض تحرير ما فضل الله تعالى به نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وماخلع تعالى عليه من اسمائه واما من خص بكرامة غير محمد من الانبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام فقد قدمهم في اول الفصل وذكر نوحا عليه الصلاة والسلام في جملتهم وكان في ذلك غنية عن اعادة ذكره هنا مرة اخرى (وقد وصف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نفسه بذلك) اى الوصف (فقال) اى في الحديث المتقدم كما ذكره الترمذى وغيره لما قيل له حين انتفخت قدماه من قيام الليل اتتكلف هذا وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر (افلا اكون عبدا شكورا) يعني وعلى مشقة عبادته صبورا (اى معترفا بنعم ربي عارفا بقدر ذلك) اى بمقدار انعامه عندى (مثنيا عليه) اى بلساني وجناني (مجهدا نفسى) اى في القيام باركاني (في الزيادة) اى في تحصيلها (من ذلك لقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم) اى نعمة على نعمة والحاصل ان المبالغة في القيام بشكر المحنة موجبة لزيادة مراتب المنة ومقتضية لازالة مثالب المحنة (ومن اسمائه تعالى العليم) قال تعالى وهو العليم الحكيم (والعلام) كان حقه ان يقول علام الغيوب اوعلام الغيب اذلم يرد العلام في اسمائه سبحانه وتعالى (وعالم الغيب والشهادة) اى في آية وفي اخرى عالم الغيب اما للاكتفاء واما على برهان الاولى وغيوبته بالنسبة الى غيره والا ففي الحقيقة لاغيب بالنسبة اليه تعالى (ووصف نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بالعلم) اى في الجملة مع المشاركة لغيره (وخصه بمزية منه) اى بفضيلة زائدة منه على غيره لاختصاصه بفضل منه عليه (فقال وعلمك مالم تكن تعلم) اى من المعارف الدينية والعوارف اليقينية (وكان فضل الله عليك عظيما) اى بالنسبة الى غيرك من الانبياء والاصفياء وان

اعطى كل منهم حظا حسنا (وقال) اى فى مرتبة التكميل بعد مرتبة الكمال (ويعلمكم الكتاب) اى قراءته ومبنى
(والحكمة) اى السنة لسانه معنى (ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون) اى بعقولكم مالا طريق الى معرفته سوى
الوحى بابتداء نبوته واظهار رسالته وفى تكرير الفعل ايماء الى انه نوع آخر فدر ولعل المراد به احوال الحقيقة
وعما سبق من الكتاب والسنة احكام الشريعة والطريقة وقد روى الشريعة اقوالى والطريقة افعالى
والحقيقة احوالى (ومن اسمائه تعالى الاول) اى وجودا بلا ابتداء (والآخر) اى شهودا بلا انتهاء (ومعناهما
السابق للاشياء قبل وجودها) اى ازلا (والباقى بعد فنائها) اى ابدا لحديث اللهم انت الاول فليس قبلك
اى قبل ابتدائك شئ وانت الآخر فليس بعدك اى بعد انتهائك شئ وانت الظاهر فليس فوقك اى فوق ظهورك شئ
باعتبار مظاهر افعالك وصفاتك وانت الباطن فليس دونك اى دون بطونك شئ باعتبار حقيقة ذاتك اقض
عنى دينى واغننى من الفقر اى فاتك المنى المعنى (وتحقيقه) اى تحقيق كونه اولا وآخرا (انه ليس له اول) اى وهو
موجد الاشياء ومفنيها (ولا آخر) الا انه معنى الاشياء ومبيدها فهما بهذا المعنى من صفات التنزيه له تعالى وان
كان باعتبار مؤداهما من افادة كونه ازليا وابديا يكون وصفا ثبوتيا (وقال عليه الصلاة والسلام كنت اول الانبياء
فى الخلق) اى فى بدء عالم الخلق (وآخرهم فى البعث) اى فى نهاية عالم الامر (وفسر بهذا) اى بكونه اول الانبياء خلقا
(قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم) اى عهدهم بتبليغ دعوة الحق والرسالة الى الخلق (ومنك ومن نوح)
اى وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وخصوا بالذكر لانهم اشهر ارباب الشرائع وهم اولوا العزم من الرسل (فقدم
اى الله سبحانه محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ذكره على المقدمين من الانبياء المذكورين مع انه متأخر
فى الوجود عنهم فى عالم الاشباح لسبق رتبته وتقدم نبوته فى عالم الارواح وقد روى اول ما خلق الله نورى وفى لفظ
روحى وورد انه اول من قال بلى فى الميثاق (وقد اشار الى نحو منه عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه) اى فيما تقدم
من قوله بابى انت وامى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك آخر الانبياء وذكرك اولهم اى فى الانبياء
فقال واذ اخذنا من النبيين الآية (ومنه) اى ومن قبيل قوله كنت اول الانبياء الخ اى باعتبار النسبة الاولية
والسابقية والعلية فى الجملة من مرتبة المزية (نحن الآخرون) اى فى الخاتمة (السابقون) اى فى البعثة يوم القيامة
او المعنى لهم قبل الخليقة كما صرح به فى حديث مسلم (وقوله) اى ومنه قوله (انا اول من تنشق الارض عنه)
وفى نسخة عنه قبل الارض (واول من يدخل الجنة) اى هو وامته من الباب الايمن من ابوابها كما ورد فى بعض
طرق الحديث (واول شافع واول مشفع) اى مقبول الشفاعة (وهو خاتم النبيين) اى لا نبى بعده (وآخر الرسل)
تأكيد لما قبله (صلى الله تعالى عليه وسلم) اى وعليهم اجمعين قال الدلجى وهو صلى الله تعالى عليه وسلم سمى بالاول
والآخر انما هو من حيث كونه اولا فى الخلق وآخرا فى البعث لا من حيث معناهما فى حقه تعالى ولا التفات
الى ما ذكر هنا انتهى ولا يخفى انه لا خصوصية للفرقة بهذين الوصفين من بين سائر الصفات السابقة واللاحقة
اذ لا يتصور اشتراك المخلوق مع الخالق فى نعت من النعوت بحسب الوصف الحقيقى وانما يكون بملاحظة المعنى
المجازى او العرفى فالله سميع بصير عليم حى قدير مريد متكلم وقد ثبتت هذه الصفات ايضا لبعض المخلوقات ولكن
بينهما بون بين ولا يخفى مثل هذا على ذى دين وقد افرد المصنف كما سيأتى فصلا فى بيان هذا الفصل لئلا يعدل احد عن
مقام العدل هذا وقد روى الثعلبى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نزل جبريل فسلم على
فقال فى سلامه السلام عليك يا اول السلام عليك يا آخر السلام عليك يا ظاهر السلام عليك يا باطن فانكرت ذلك
عليه وقلت يا جبريل كيف تكون هذه الصفة لمخلوق مثلى وانما هذه صفة الخالق الذى لا تليق الا به فقال يا محمد
اعلم ان الله امرنى ان اسلم بها عليك لانه قد فضلك بهذه الصفة وخصك بها على جميع النبيين والمرسلين فشق لك اسما
من اسمه ووصفها من وصفه وسماك بالاول لانك اول الانبياء خلقا وسماك بالآخر لانك آخر الانبياء فى العصر وخاتم
الانبياء الى آخر الامم وسماك بالباطن لانه تعالى كتب اسمك مع اسمه بالنور الاحمر فى ساق العرش قبل ان يخلق
اباك آدم بالفى عام الى ما لا بداية له ولا نهاية فامرنى بالصلاة عليك فصليت عليك يا محمد الف عام بعد الف عام حتى
بعثك الله بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وسماك بالظاهر لانه اظهرك فى عصرك هذا على الدين كله
وعرف شرعك وفضلك اهل السموات والارض فما منهم من احد الا وقد صلى عليك صلى الله عليك فربك محمود وانت
محمد وربك الاول والآخر والظاهر والباطن وانت الاول والآخر والظاهر والباطن فقال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم الحمد لله الذى فضلنى على جميع النبيين حتى فى اسمى وصفتى (ومن اسمائه تعالى القوى وذو القوة
المتين) وهو تفسير لما قبله (ومعناه القادر) اى التام القدرة الكامل القوة (ووصفه الله) اى نبيه (بذلك فقال

ذی قوة عند ذی العرش مكين قيل) ای المراد به (محمد وقيل جبريل ومن اسمائه تعالى الصادق) ای كما رواه ابن ماجه فی الاسماء الحسنى (فی الحديث المأثور) ای المروی عن ابی هريرة مرفوعا وقد يؤخذ من قوله تعالى ومن اصدق من الله قيلا والحمد لله الذی صدقنا وعده (وورد فی الحديث) ای الصحيح عن ابن مسعود (ايضا اسمه عليه الصلاة والسلام بالصادق) ای فيما يقوله (المصدوق) ای فيما يخبره يعنی المشهود له بصدقه فی كلامه سبحانه وتعالى بقوله وما ينطق عن الهوى (ومن اسمائه تعالى) ای فی القرءان (الولی) ای من قوله تعالى الله ولی الذين آمنوا كذا ذكره الدلجی وكانه غفل عن قوله تعالى فالله هو الولی وقوله تعالى وهو الولی الحميد (والمولى) قال تعالى فنعم المولى (ومعناهما) ای معنى كل من الولی والمولى (الناصر) والاظهر المغايرة بينهما لقوله سبحانه وتعالى فنعم المولى ونعم النصير فالولی هو المتصرف فی امر عباده على وفق مراده وكذلك المولى فی وصفه تعالى بالمعنى الاعم من معنى النصير كما لا يخفى على الناقد البصير وهو لا ينافی انه قد يراد بالولی والمولى الناصر كما بينه المصنف بقوله (وقد قال الله تعالى انما وليكم الله ورسوله وقال عليه الصلاة والسلام انا ولی كل مؤمن) رواه البخاری عن ابی هريرة وروى احمد وابو داود عن جابر نحوه وقال الله تعالى النبی اولى بالمؤمنين من انفسهم (وقال عليه الصلاة والسلام) ای على ما رواه الترمذی وحسنه (من كنت مولاه فعلی مولاه) ای من احبنی وتولانی فليتوله فانه منی قال الشافعی ولاء الاسلام كقوله تعالى ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم وقد قال عمر لعلی رضی الله تعالى عنهما اصبحت مولى كل مؤمن ای وليه على لسان نبيه قيل سببه ان اسامة بن زيد قال لعلی لست مولای انما مولای رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال من كنت مولاه فعلی مولاه (ومن اسمائه تعالى العفو) ای كثير العفو (ومعناه الصفوح) ای كثير الاعراض عن الاعتراض واصله امالة صفحة العنق عن الجانی ثم استعمل مجازا فی المعانی (وقد وصف الله تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا) وفی نسخة صحيحة بهذا نبيه (فی القرءان و) فی (التوراة) اما التوراة فكما سيأتی واما القرءان فكما قال المصنف (وامره بالعفو) ولا شك انه كان ممتثلا لامره فيتحقق وصفه به (فقال خذ العفو) ای هذه الخصلة الحميدة وهی المجاوزة عن مرتكب السيئة اذا كانت بنفسك متعلقة وتمامه وأمر ای الناس بالعرف ای المعروف شرعا وعرفا او نقلا وعقلا واعرض عن الجاهلين ای المعاندين من المجادلين (وقال) ای عز وجل (فاعف عنهم) ای تجاوز (واصفح) ای تغافل (وقال له جبريل وقد سأله) ای النبی (عن قوله) ای معنى قوله تعالى (خذ العفو) ای الاية (قال ان تعفو عمن ظلمك) ای وتصل من قطعك وتعطی من حرمك (وقال فی التوراة) زيد فی نسخة والانجيل قال الانطاكی قال شيخنا برهان الدين الحلبی هذا الحديث ذكره البخاری فی صحيحه من رواية عبد الله بن عمرو وليس فيه ذكر الانجيل (فی الحديث المشهور) ای الذی رواه عبد الله بن عمرو بن العاص فيما سبق (فی صفته) ای نعته فی التوراة (وليس بفظ) ای سیئ الخلق (ولا غليظ) ای جافی القلب (ولكن يعفو) ای يمحو فی الباطن (ويصفح) ای ويعرض فی الظاهر فاشتق له من اسمه العفو لاتصافه بكثرة العفو (ومن اسمائه تعالى الهادی وهو) ای الهداية فی صفة الحق (بمعنى توفيق الله تعالى لمن اراد من عباده) ان يخلق الاهتداء فيه فيصير مهتديا به فالمراد بالهداية هنا الدلالة الموصلة الى المطلوب ومنه قوله تعالى انك لا تهدی من احببت ولكن الله يهدی من يشاء وقد يستعمل بمعنى البيان ومجرد الدلالة كما فی قوله تعالى واما ثمود فهديناهم وقوله سبحانه وتعالى وهديناه النجدين وهذا معنى قوله (وبمعنى الدلالة) ای على طريق الحق وبيان سبيل الرشد (والدعاء) ای وبمعنى الدعاء وهو قريب مما قبله (قال تعالى والله يدعو) ای عامة الخلق بدعوة الحق (الى دار السلام) ای دار الله التی فيها رؤيته التی هی اعز المرام او دار يسلم الله تعالى وملائكته على من فيها بوجه الدوام او دار السلامة من الآفة والملامة (ويهدی) بتوفيقه (من يشاء) بتخصيصه (الى صراط مستقيم) ای دين قويم (واصل الجميع) ای جميع انواع الهداية مما هو بمعنى التوفيق وهو خلق الاهتداء وما هو بمعنى الدلالة وما هو بمعنى الدعاء (من الميل) ای والاقبال (وقيل من التقديم) يعنی مكان من هدى مال الى ما هدى اليه او قدم اليه وكلا القولين غير معروف فی كتب اللغة مع انه لا يظهر وجه الدلالة على سبيل الاصالة ثم لا فائدة فيه غير الاطالة (وقيل فی تفسير طه انه) ای معناه باشارة مبناه (يا طاهر يا هادی يعنی) ای يريد به او بهما (النبی صلى الله تعالى عليه وسلم وقال تعالى له) ای فی حقه عليه الصلاة والسلام (وانك لتهدی الى صراط مستقيم) ای لتدعو كما قرئ به والمعنى تدل الخلق الى طريق الحق (وقال فيه وداعيا الى الله باذنه) ای بامره ای بتيسيره زيد فی نسخة وسراجا منيرا والحاصل انه صلى الله عليه وسلم موصوف بكونه هاديا الا انه مختص بالمعنى الثانی وهو مجرد الدلالة والدعاء (فالله تعالى مختص بالمعنى الاول) وهو التوفيق لمن يشاء بخلق الاهتداء (قال تعالى انك لا تهدی من احببت) ای لا تقدر ان تخلق فيه قبول الهداية وانما وظيفتك مجرد الدعوة والدلالة

ولكن الله يهدي من يشاء) بتوفيقه الاجابة وقبول الهداية (وبمعنى الدلالة ينطلق على غيره) اى فيطلق على غيره سبحانه وتعالى فاستعمال الهداية فى حق البارئ بالمعنى الاعم وهو ارادة المعنيين واختصاصه تعالى بالمعنى الاول واختص من غيره بالمعنى الثاني ولذا زيد فى نسخة هنا فهو فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم بمعنى الدلالة اى لاغير (ومن اسمائه تعالى المؤمن المهيمن) بكسر الميم الثانية وقد تفتح (قيل هما بمعنى واحد) وهذا مبني على قول فاسد كما سيجيء معربا عنه بقيل من ان الصيغة للتصغير وان الهمزة مبدلة بالهاء فان التصغير الذى وضع للتحقير غير مناسب لوصف الملك الكبير فالصحيح ان المهيمن مأخوذ من هيمن على كذا صار رقيبا اليه وحافظا عليه ثم قد يقال ان معناهما واحد من آمن غيره من الخوف على ان اصله مؤامن قلبت الهمزة الاولى هاء والثانية ياء وقيل هو بمعنى الامين او المؤتمن (فمعنى المؤمن فى حقه تعالى المصدق وعد عباده) اى وعده عباده كما فى نسخة اى الاجر ما وعدهم فى الدنيا من نعيم العقبى كما جاء فى التنزيل وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده او بالمعنى الاعم كما فى الحديث صدق وعده ونصر عبده واعز جنده وهزم الاحزاب وحده (والمصدق) اى بذاته (قوله الحق) بنصبه على انه مفعول قوله اى من كلمته الثابتة فى اياته كما قال تعالى فورب السماء والارض انه لحق (والمصدق لعباده المؤمنين) كما اشار فى التنزيل رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه (ورسله) حيث قال فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله (وقيل الموحد نفسه) اى بقوله شهد الله انه لا اله الا هو وقوله سبحانه انني انا الله لا اله الا انا فهو مؤمن بتصديقه لنفسه (وقيل المؤمن) بتخفيف الميم بعد الهمزة الساكنة وفى نسخة بتشديدها بعد الهمزة المفتوحة وهو وهم لا حاجة اليه اى معطي الامن والامان (عباده فى الدنيا من ظلمه) اى لتنزهه عن وقوعه وفى نسخة من غضبه وهي فى غير محلها لعموم عباده كما يدل عليه عطف خواصهم عليه بقوله (والمؤمنين فى الآخرة من عذابه) اى من عذابه المخلد او من تعذيبه فان ما يقع لبعض المجرمين فهو من باب تهذيبه او اراد بالمؤمنين الكاملين (وقيل المهيمن بمعنى الامين) فعيل من الامانة (مصغر منه) اى من الامين بزيادة ميمه اولى فصار مؤيمن كذا ذكره الدلجي وهو غير متجه فى العربية بل الصواب انه مصغر على ما قيل من المؤمن على ان اصله مؤيمن (فقلبت الهمزة هاء) اذ كثيرا ما يتعاقبان قلبا كما قيل اراق وهراق وايهات وهيهات واياك وهياك وقد قدمنا ما يتعلق به من التحقيق والله ولى التوفيق (وقد قيل ان قولهم) اى قول المؤمنين (فى الدعاء) اى فى عقبه (آمين) اى بالمد والقصر (اسم) وفى نسخة انه اى آمين اسم (من اسماء الله تعالى) والظاهر انه بجملته ساد مسد خبر ان الاول فتأمل وقال الانطاكي انه بفتح الهمزة وهو للتعليل اى لانه اسم من اسماء الله تعالى كما روي ذلك عن مجاهد قال الانطاكي فمعناه يا امين استجب انتهى ولا يخفى ان هذا تركيب فى المعنى بين القولين فى المبنى قال النووي فى التهذيب وهذا لا يصح لانه ليس فى اسماء الله تعالى اسم مبني ولا غير معرب مع ان اسم الله تعالى لا يثبت الا قرآنا او سنة متواترة وقد عدم الطريقان ذكره فى قوله ان الله جميل يحب الجمال انتهى ولا يخفى ان ورود آمين ثبت آحادا بل كاد ان يثبت متواترا باعتبار جمع معنى ما ورد افرادا الا ان المراد به اسمه سبحانه فى محل الاحتمال والله تعالى اعلم بالحال ثم قد ورد فى الحديث آمين خاتم رب العالمين على لسان عباده المؤمنين كما رواه ابن عدي والطبراني فى الدعاء عن ابي هريرة لكن المشهور فى معناه استجب وهو اسم مبني على الفتح يمد ويقصر والمد اكثر وورد فى حديث قال بلال يا رسول الله لا تسبقني بآمين اى بعد قراءة الفاتحة فى الصلاة واول الكلام وقع مقلوبا والمعنى قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى التأمين لبلال لا تسبقني بآمين هذا وفى القاموس آمين بالمد والقصر وقد يشدد الممدود ويمال ايضا عن الواحدي فى البسيط اسم من اسماء الله تعالى او معناه اللهم استجب او كذلك فليكن او كذلك فافعل انتهى فتأمل (ومعناه معنى المؤمن) ولعله مأخوذ من الامن مقصورا بمعنى المؤمن كان البديع بمعنى المبدع ويكون المد متولدا من اشباع الحركة (وقيل المهيمن بمعنى الشاهد) فهو مغاير للمؤمن من جهة المعنى على ما قدمناه من تحقيق المعنى اذ معنى الشاهد العالم الذى لا يعزب عنه مثقال ذرة او الذى يشهد على كل نفس بما كسبت من خير او شر (والحافظ) اى وبمعنى الحافظ والواو بمعنى او اى الحافظ لعباده احوالهم والمحصي عليهم افعالهم واقوالهم (والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم امين) اى مأمون يعني معصوم ومصون او صاحب الامانة وطالب الديانة (ومهيمن) اى بمعنى عالم وشاهد ورقيب (ومؤمن) اى مصدق او معطي الامن (وقد سماه) اى الله (امينا) اى عند بعض المفسرين (فقال مطاع ثم امين) وقيل المراد به جبريل الامين (وكان عليه الصلاة والسلام) اى فيما بين اهل الجاهلية (يعرف بالامين وشهر به قبل النبوة وبعدها) اى لكمال امانته ووضوح ديانته وحفظ الله سبحانه اياه عن خيانته

(وسماه العباس) اى فى شعره كما فى نسخة (مهيمنا فى قوله) اى من ابيات انشأها اوانشدها فى مدحه عليه السلام (ثم احتوى بيتك المهيمن من * خندف علياء تحتها النطق) وقدمر بيانه مبنى ومعنى فالمهيمن مرفوع على انه فاعل احتوى وهو المناسب للمرام فى هذا المقام (وقيل المراد بايها المهيمن) فيكون المراد به الله تعالى (قاله القتيبى) بالتصغير وفى نسخة بدون التحتية وفى اخرى بالعين بدل القاف والظاهر الاول فانه الامام ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة وقد صرح به التلمسانى بانه منسوب الى قتيبة بالتصغير لكن ذكر الانطاكى عن الاصمعى ان الاقتاب هى الامعاء واحدتها قتبة وتصغيرها قتيبة وبها سمى الرجل والنسبة اليها قتبى كما تقول جهنى فى جهينة حكاه عن الجوهرى وغيره ثم هو عن الدينورى بكسر الدال وفتح النون وقيل المروزى النحوى صاحب كتاب المعارف وادب الكاتب كان فاضلا سكن بغداد وحدث بها عن اسحق بن راهويه وابى حاتم السجستانى وتلك الطبقة وله تصانيف كثيرة مفيدة منها غرائب القرآن وغريب الحديث ومشكل القرآن ومشكل الحديث ومنها التاريخ وطبقات الشعراء وغير ذلك توفى سنة ست وسبعين ومأتين على ما صححه ابن خلكان (والامام ابو القاسم القشيرى) هو عبد الكريم ابن هوازن النيسابورى صاحب الرسالة وولى الله توفى سنة خمس وستين واربعمائة (وقال تعالى) اى فى حق نبيه (يؤمن بالله) اى يصدق بوجوده لما شاهد عنده من كرمه وجوده (و يؤمن للمؤمنين) اى يصدقهم بعلمهم بخلوصهم واللام مزيدة للفرق بين ايمان الشهود والتصديق وايمان الامان بوجود التحقيق فقوله (اى يصدق) تفسير لمطلق الايمان وقيل عدى بالباء واللام لانه قصد تصديق بالله الذى هو نقيض الكفر به وقصد السماع من المؤمنين وان يسلم لهم ما يقولون ويصدقهم لكونهم صادقين عنده ونحوه قوله تعالى وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وقالوا انؤمن لك واتبعك الاذلون (وقال) اى كما فى حديث مسلم على ما مر مبنى ومعنى (انا امنة) بفتحتين (لاصحابى) اى ذوامن اوهو من باب رجل عدل (فهذا بمعنى المؤمن) اى معطى الامن والامان لاهل الايمان اذكانت الصحابة فى ظل حرم كنفه آمنين واما قول الدلجى جمع امين كبررة جمع بر فهو غير موافق اصلا لانه غير مطابق وزنا وحملا (ومن اسمائه تعالى القدوس) بضم القاف و يفتح صيغة مبالغة من القدس وهو الطهارة والنزاهة ولذا قال (ومعناه المنزه عن النقائص) اى ازلا (المطهر من سمات الحدث) بكسر السين جمع سمة وهى العلامة اى من صفات الحدوث ابدا وقد يقال فى معناه المبرأ من ان يدركه حس او يتخيله وهم او يحيط به عقل او يتصوره فهم لما قيل ما خطر ببالك فالله وراء ذلك (وسمى بيت المقدس) اى على ما ورد وهو بفتح الدال المشددة وضم الميم وقيل بفتح الميم وكسر الدال مخففا والظاهر ان بيت مرفوع على نيابة الفاعل والمفعول الثانى مقدر وترك لظهوره وثقل تكرره اى سمى بيت المقدس بيت المقدس وجزم الانطاكى بان بيت بالنصب على انه المفعول الثانى لسمى والمفعول الاول القائم مقام الفاعل مستكن فيه اى وسمى بيت المقدس بيت المقدس انتهى ولا يخفى ان تقديرنا اولى لان المفعول الثانى بالحذف احرى لكونه فضلة والمفعول الاول بالثبات انسب لكونه كالعمدة (لانه يتطهر) بصيغة المجهول اى يتنظف (فيه من الذنوب) بناء على انه يعبد فيه علام الغيوب (ومنه الوادى المقدس) اى كما جاء فى القرآن وهو بمعنى المطهر او المبارك وهو الاظهر (وروح القدس) اى ومنه روح القدس بضم الدال وسكونها فى قوله تعالى وآتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس بضم الدال وسكونها اى قويناه بجبريل (ووقع فى كتب الانبياء) اى الكرام والمعنى فى جميعها او بعضها (فى اسمائه عليه الصلاة والسلام) اى فى بيان نعوته وصفاته (المقدس) اى وقع المقدس فى جملة اسمائه وسماته (اى المطهر من الذنوب) يعنى والمبرأ من العيوب (كما قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) اى على فرض وقوع ذلك فتدبر (اوالذى يتطهر به من الذنوب و يتنزه باتباعه عنها) اى عن العيوب (كما قال تعالى ويزكيهم) اى يطهرهم مما لا يليق بهم صدوره عنهم (وقال ويخرجهم من الظلمات الى النور) اى من ظلمات انواع الكفر الى نور وحدة الايمان والشكر او من ظلمات الشبهة فى الدين بما يهديهم الله به و يضيء لهم نور اليقين ولا يخفى بعد هذا المعنى من هذا المبنى فان صيغة المفعول بمعنى الآلة للدلالة غير معقول ولا منقول وعلى تقدير انه منقول فيلزم منه ان يكون هذا النعت لاتباعه اكثر قبول (او يكون) اى النبى عليه الصلاة والسلام (مقدسا بمعنى مطهرا من الاخلاق الذميمة) بالذال المعجمة اى الردية (والاوصاف الدنية) بتشديد الياء التحتية واصله الهمز من الدناءة بمعنى الرداءة كما فى نسخة وهذا المعنى يقارب ما سبق من قوله المطهر من الذنوب لان المراد به الطهارة من ذنوب الظواهر وعيوب السرائر (ومن اسمائه تعالى العزيز) من عز يعز بالكسر (ومعناه الممتنع اى بذاته (الغالب) باعتبار صفاته (او الذى لا نظير له) من قوله فلان عزيز الوجود فى نظار باب الشهود وهو معنى البديع المنيع (اوالمعز لغيره) فهو فعيل بمعنى مفعل كبديع بمعنى مبدع على قول وقد يقال معناه القوى

من عزيعز بالفتح ومنه قوله تعالى فعززنا بثالث اى قوينا (وقال تعالى ولله العزة) اى القوة والغلبة والمنعة (ولرسوله اى الامتناع) يعنى بظهور السلطان (وجلالة القدر) اى بارتفاع الشان له سبحانه وتعالى ولمن اعزه كرسوله فعزته بربه فى الآية وكذا قوله تعالى وللمؤمنين لان عزتهم بربهم اولا وبنبيهم آخرا هذا وذكر الحلبى انه قال المعلق اراد به الشيخ تاج الدين محمد الباقى اليمنى فى الاكتفاء فى شرح الشفاء منه ولقائل ان يقول يجوز ان يكون هذا الوصف ايضا للمؤمنين لشمول العطف اياهم فلا اختصاص للنبى والعرض اختصاصه وعجيب من القاضى كيف خفى عليه مثل هذا الشان انتهى ولايخفى ان قوله والعرض اختصاصه يحتاج الى البيان فانه غير ظاهر فى معرض البرهان فان اكثر الاوصاف المتقدمة انما هى واقعة بالصفة الجامعة ومنها المؤمن حيث اطلق عليه سبحانه وعلى رسوله وعلى كل فرد من افراد اتباعه على انه لايلزم من وصف الشئ بالشئ اختصاصه به ولانفيه عن غيره نعم كان الاحسن ان يستدل بقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز على ان ما بعده وهو قوله عليه ماعنتم كلام منقطع عما قبله وصفة اخرى له (وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة) يعنى بطريق الاشارة لا على سبيل العبارة حيث اثبت له هذا الفعل وان لم يذكر بطريق الوصف (والنذارة) بكسر النون ولعل الانذار يؤخذ من قوله تعالى تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا على ان ضمير يكون راجع الى الموصول على تجويز عوده الى الفرقان والى عبده المعنى به رسوله (فقال) اى عز وجلا (يبشرهم) بالتشديد والتخفيف (ربهم برحمة منه) للعامة (ورضوان) للخاصة (وقال تعالى ان الله يبشرك بيحيى) اى فى موضع (و) فى محل آخر يبشرك (بكلمة منه) اى اسمه المسيح عيسى (وسماه الله تعالى) اى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم (مبشرا ونذيرا) اى فى قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وزيد فى نسخة وبشيرا اى وسماه بشيرا فى قوله سبحانه وتعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وهو فعيل بمعنى مفعل كالنذير (اى مبشرا لاهل طاعته) يعنى بدار الثواب (ونذيرا) اى ومنذرا ومخوفا (لاهل معصيته) يعنى دار العقاب (ومن اسمائه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس) ولعل فى الطاء ايماء الى طاهر وفى الهاء الى الهادى وفى الياء الى يدالله مبسوطة وفى السين الى انه سيد او سميع (وقد ذكر بعضهم ايضا) اى المفسرين (انهما من اسماء محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى نسخة وشرف وكرم فهو طاهر وهاد كما تقدم وقد سبق ان يس معناه ياسيد كما يدل عليه قوله سبحانه آل يس على ماذكره بعض المفسرين وقد قال بعض العلماء المعتبرين ان طه ايضا منادى بحذف حرف النداء وان المعنى يامشبها بالقمر ليلة البدر فان الطاء والهاء اربعة عشر على حساب ابجد الجمل فتأمل واغرب الدلجى فى قوله ان هذا قيل بلا بينة ولادليل يعتمد والله تعالى اعلم بمراده بهما انتهى ولايخفى ان المراد خفى فى المقطعات وسائر المتشابهات وانما ذكر ماذكر بناء على الاحتمالات الناشئة من العبارات او المبنية من الاشارات

فصل

(قال القاضى ابوالفضل) اى المصنف (وفقه الله تعالى) لما يحبه ويرضاه (وهاهنا) اى فى هذا المقام (اذكر نكتة) اى جملة مفيدة (اذيل بها هذا الفصل) بتشديد التحتية المكسورة اى اجعل لها ذيلا لتمام المرام فى مقام الفصل ووقع فى اصل الدلجى وغيره وها انا على ان ها حرف تنبيه بعده مبتدأ اوخبر نبه به عن حاله فى ذكره بعد فكره وكذا ذكره الحجازى وقال ويروى اذكر (واختم بها هذا القسم) اى من بين اقسام بيان الفصل بالفصل بين الفرع والاصل (وازيح الاشكال بها) بضم الهمزة وكسر الزاى اى وازيل بها الاغلاق الواقع (فى ماتقدم) اى من متشابه الحديث وغيره (عن كل ضعيف الوهم) بسكون الهاء ويحرك (سقيم الفهم) اى حذرا من وقوعه فيما يرديه (تخلصه) اى تلك النكتة تنجيه (من مهاوى التشبيه) بفتح الميم وكسر الواو جمع مهواة وهى الحفرة العميقة المهلكة اى مهالكه فى مباديه اوثنا هيه ويروى وساوس جمع وسوسة وهى حديث النفس والشيطان (وتزحزحه عن شبه التمويه) بضم الشين وفتح الموحدة اى وتبعده عن الشبهات الموهمة الخالية عن التنزيه لان الطريق القويم والدين المستقيم هو اعتقاد التنزيه المتوسط بين التعطيل والتشبيه (وهو) قال الدلجى اى ضعيف الوهم وهو وهم والصواب اى ذلك الاشكال (ان يعتقد) اى ضعيف الخيال (ان الله جل اسمه) اى وصفه ورسمه (فى عظمته) اى فى ذاته (وكبريائه) اى فى صفاته (وملكوته) اى فى ارضه وسمواته (وحسنى اسمائه) اى واسمائه الحسنى (وعلى صفاته) بضم العين وفتح اللام مقصورا اومعناه الرفيعة اى وصفاته العلى وضبط وفى نسخة صحيحة بفتح العين وكسر اللام وتشديد الياء مجرورا ومعناه الرفيع اى وصفاته العلية ونعوته السنية (لايشبه) اى الله سبحانه (شيئا من مخلوقاته ولا يشبه به) بصيغة المجهول اى ولا يمثل به شئ من مكنوناته لكمال ذاته وجلال صفاته (وان ماجاء) اى من الاسم والصفة

مما اطلقه الشرع) اى فى الكتاب والسنة (على الخالق) اى تارة (وعلى المخلوق) اى اخرى لما بينهما من الاشتقاق اللغوى (فلا تشابه بينهما فى المعنى الحقيقى) بل اطلاقه على غيره سبحانه وتعالى انما هو بالطريق المجازى (اذ صفات القديم)، اى الازلى الابدى لان ماثبت قدمه استحال عدمه (بخلاف صفات المخلوق)، اى المشاهد حدوثه بالدليل العقلى والنقلى (فكما ان ذاته تعالى لا تشبه الذوات) اى وان وقع الاشتراك فى اطلاق الذات (كذلك صفاته) كالعليم والحليم والصبور والشكور والسميع والبصير والحى والمريد والمتكلم والقادر (لا تشبه صفات المخلوقين) اى من جميع الجهات (اذ صفاتهم) اى لحدوثها (لا تنفك) اى لا تزول (عن الاعراض) بالعين المهملة (والاعراض) اى عن عروضهما (وهو تعالى منزه عن ذلك) اذ لا عرض يعرض هنالك لانه لا يعترى ذاته عرض ولا تعلل افعاله بغرض واما مايشبه فى فعله من العلة فهو محمول على سبب الحكمة (بل لم يزل بصفاته واسمائه) اى موجودا ولا يزال بذاته ونعوته فى نظر ارباب التوحيد واصحاب التفريد مشهودا واما صفات الافعال كالخالق والرازق والمحيى والمميت فهى قديمة ايضا على مااختاره المحققون من الماتريدى ومتابعيه خلافا للاشعرى ومتابعيه وليس هذا محل تبيين مبانيها وتعيين معانيها واما قول الدلجى من انه سبحانه وتعالى موصوف بسمع و بصر يزيد الانكشاف بهما على الانكشاف بالعلم فهو خطأ نشأ من القياس حيث يوجب التشبيه باوصاف الخلق من قبول نعت الزيادة والنقصان باعتبار بعض الحواس مع انه سبحانه وتعالى يجب التنزه له عن ذلك اذ ليس كمثله شئ هنالك لا ذاتا ولا صفة ولا فعلا اصلا (وكفى فى هذا) اى حسبك فى كون ذاته وصفاته سبحانه وتعالى لا تشبه ذات مخلوقاته وصفات مكوناته فى جميع حالاتهم وعلو مراتبهم ودرجاتهم (قوله ليس كمثله شئ) قيل الكاف زائدة فى هذا المقام اذ الكلام يتم بدونه فى حصول المرام وقيل بزيادة المثل مبالغة فى نفى المثل كما فى قولهم مثلك لا يبخل فانه اذا نفى عن مشابهه ومناسبه كان نفيه عنه اولى فى مراتبه وقيل المعنى ليس كذاته وصفته شئ وقال التلمسانى والمحققون على ان لا صلة لان المراد منه نفى المماثلة من وجه وهذا لانه لم يقل احد بان لله مثلا من كل وجه وانما قالوا بالمماثلة من وجه فيحتاج الى نفى هذه المماثلة ومن شأنهم انهم يقولون عند ثبوت المماثلة من كل وجه هذا مثله وعند ثبوتها من وجه هذا كمثله انتهى وهنا وجه ادق وهو بالبيان احق وهو ان نفى مثل المثل يوجب نفى المثل (ولله در من قال) الدر فى الاصل اللبن حال كثرته وقصد به هنا عمله اوخيره (من العلماء العارفين) اى الجامعين فى العلم والمعرفة الباهرة بين الانوار الظاهرة والاسرار الباطنة (المحققين) اى فى تبيان المبنى والمدققين فى برهان المعنى (التوحيد اثبات ذات غير مشبهة) بكسر الباء مخففة او بفتحها مثقلة اى غير مشبهة (للذوات) اى لسائر ذوات الموجودات وفيه رد على الوجودية والاتحادية والحلولية (ولا معطلة من الصفات) اى الصفات الكاملات القديمات اذ التعطيل نفيها واليه ذهب المعتزلة هربا من تعدد القدماء مبالغة فى التوحيد قلنا لا محذور فى تعدد الصفات وانما المحذور تعدد الذات (وزاد هذه النكتة) اى معناه (الواسطى بيانا) اى وضوحا وبرهانا وظهورا وتبيانا (وهو مقصودنا) اى ليعرف معبودنا ومشهودنا (فقال ليس كذاته ذات) اى لا تصافه بالقدم وحدوث غيره بالعدم (ولا كاسمه) اى الخاص به (اسم) اى كاسم الله والرحمن فانهما لا يطلقان على غيره (ولا كفعله فعل) اى من خلق ورزق واحياء وافناء وايجاد وامداد (ولا كصفته صفة) اى لقدمها وحدوث غيرها ولكمالها ونقصان ماعداها (الا من جهة موافقة اللفظ اللفظ) اى مطابقة لفظة وصف الخلق لنعت الحق كالعليم والحليم وغيرهما مماسبق (وجلت) بتشديد اللام اى عظمت (الذات القديمة ان تكون لها صفة حديثة) اى حادثة وجدت او جديدة بعد عدم لانها ان كانت صفة كمال فخلوه عنها قبل حدوثها مع جواز اتصافه بها نقص اتفاقا ولا استحال اتصافه بها اجماعا وايضا لا يجوز ان تكون ذات القديم محلا للحوادث كما فى علم الكلام تمام المرام (كما استحال ان تكون للذات المحدثة صفة قديمة) لامتناع وجود صفة قبل موصوفها وهو من العلوم الضرورية والامور البديهية (وهذا) اى الكلام من زبدة المشايخ الكرام (كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة) اى من العلماء والائمة (رضى الله عنهم) اى اجمعين (وقد فسر الامام ابو القاسم القشيرى قوله) اى قول الواسطى (هذا) اى المذكور سابقا (ليزيده بيانا) اى و برهانا لاحقا (فقال هذه الحكاية) اى مازاده الواسطى آنفا مما تقدم عنه الرواية (تشتمل على جوامع مسائل التوحيد) اى مما عليها مدار ارباب الدراية وهى اعتقاد ان لا شريك له فى الالهية والصفات الذاتية والفعلية واستحقاق العبودية بمقتضى النعوت الربوبية (وكيف) استفهام تعجب اوانكارى اى ولا (تشبه ذاته) اى الغنية بصفاته (ذات المحدثات) اى المفتقرة الى موجدها فى جميع الحالات (وهى) اى والحال ان ذاته تعالى (بوجودها) اى بوجوب وجودها وثبوت شهودها واتصافها بكرمها وجودها (مستغنية) اى عن جميع الاشياء كما قال والله الغنى وانتم الفقراء (وكيف يشبه فعله فعل الخلق) يجوز كونه فاعلا

او مفعولا وفي نسخة من فعل الخلق (وهو) اي والحال ان فعله لا يعلل بغرض ولا عرض ولا عوض يحصل به منه (لغير جلب انس) لاستغنائه عن جليس وانيس (او دفع نقص) اي ولا دفع نقص (حصل) اي تداركا لما به يكمل (ولا لخواطر) باللام وروي بالباء فاللام تعليلية والباء سببية اي ولا يكون بحصول خواطر باعثة له عليه (واغراض) بالعين المعجمة (وجد) اي شيء منها لامتناع ان يكون فعله معللا بغرض وتصحف على الدلجي بقوله وجد بكسر الجيم وتشديد الدال فقال ولا يكون فعله تعالى باجتهاد على انه مستدرك بقول المصنف (ولا بمباشرة ومعالجة) اي لا بانفراده ولا بالواسطة بل كما قال تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون (وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه) اي من الغرض والعرض والمباشرة والمعالجة (وقال آخر) غير معروف كما ذكره الحلبي (من مشايخنا) اي مخاطبا المريديه (ما توهمتموه باوهامكم وادركتموه بعقولكم) اي وادركتموه باكمل احوالكم وافضل مراميكم (فهو محدث) بفتح الدال اي حادث (مثلكم) واختصره بعض العارفين فقال ما خطر ببالك فالله وراء ذلك (وقال الامام ابو المعالي) عبد الملك اي ابن ابي محمد (الجويني) بالتصغير وهو المشهور بامام الحرمين ولد سنة تسع عشرة واربعمائة وحج وجاور بمكة والمدينة اربع سنين ثم عاد الى وطنه نيسابور وهو من جملة مشايخ الغزالي (من اطمأن الى موجود انتهى اليه فكره) اي وتقرر فيه ذهنه وتصور انه بعينه لا يتصور غيره (فهو مشبه) بكسر الموحدة والمشددة اي فهو من اهل التشبيه لله بذلك الموجود مما سواه (ومن اطمأن) اي سكن (الى النفي المحض) اي ذاتا وصفة (فهو معطل) اي من اهل تعطيل الكون من ان يكون له مكون كالدهرية او المعتزلة (وان قطع بموجود) اي من غير توهم تشبيه وتصور تعطيل (اعترف بالعجز عن درك حقيقته) بفتح الراء وسكونها اي ادراك حقيقته من جهة ذاته وصفاته (فهو موحد) كما روي عن الصديق الاكبر العجز عن درك الادراك ادراك ويؤيده حديث سبحانك لا نحصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك ويقويه قوله تعالى ولا يحيطون به علما وهذا احد محامل ما ورد عليكم بدين العجائز (وما احسن قول ذي النون المصري) وهو الزاهد الواعظ العارف بالله كان ابوه نوبيا وصار حالا فصيحا حكيما توفي سنة خمس واربعين ومائتين قال الدار قطني روى عن مالك بن انس احاديث في اسنادها نظر (حقيقة التوحيد ان تعلم ان قدرة الله في الاشياء) اي في ايجادها (بلا علاج) اي بلا معالجة ومزاولة ومباشرة واستعمال آلة (وصنعه) اي وتعلم ان صنعه (لها بلا مزاج) اي بلا خلط شيء بشيء او بانشائه لتركيبه في الابداء بل خلق الاشياء اما ابداعا بدون مادة كالسموات او تكوينا منها كالانسان من نطفة بحسب ما تعلق القدرة بمقدورها على وفق الارادة (وعلة كل شيء صنعه) اي مجرد صنعته وظهور قدرته بحسب ارادته (ولا علة لصنعه) لان افعاله لا تعلل (وما تصور) بصيغة المفعول او الفاعل اي وما خطر (في وهمك فالله بخلافه) اي بخلاف ذلك قال المصنف (وهذا الكلام عجيب نفيس) اي مرام غريب (محقق) اي ثابت في مقام العلم مدقق (والفصل الاخير) وفي نسخة الآخر بكسر الخاء وهو الفقرة الثالثة يعني قوله وما تصور في وهمك فالله بخلافه (هو تفسير) اي توضيح وتعبير (لقوله ليس كمثله شيء والثاني) اي من الفصول وهو قوله وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه تفسير (لقوله تعالى لا يسئل عما يفعل) اي كما اشار اليه الحديث القدسي والكلام الانسي خلقت هؤلاء للجنة ولا ابالي وخلقت هؤلاء للنار ولا ابالي ومجمله في التفسير قوله تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير وغايته ان فعله وقع اولا فضلا وثانيا عدلا (والثالث) اي من الفصول وهو قوله التوحيد الخ (تفسير لقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون) اي ليس هناك الا ظهور اثر القدرة على وفق الارادة من غير تصور العلة (ثبتنا الله تعالى واياك على التوحيد) اي على العلم بالوحدانية له سبحانه من جهة الذات (والاثبات) اي من جهة الصفات (والتنزيه) اي واعتقاد ان ذاته ليست كسائر الذوات وصفاته ليست كصفات المحدثات (وجنبنا) اي ابعدنا (طرق الضلالة والغواية من التعطيل والتشبيه) اي من جهة ذاته وصفته (بمنه وفضله ورحمته) اذ لا يجب عليه شيء لبريته

﴿ الباب الرابع ﴾

اي من القسم الاول (فيما اظهره الله تعالى على يديه من المعجزات) اي الامور الخارقة للعادة الشاهدة بصدق دعوى الرسالة (وشرفه به من الخصائص) اي الخصوصيات (والكرامات) حتى لعلماء امته واولياء ملته قال الحلبي نقل بعض مشايخي فيما قرأته عليه بالقاهرة عن الزاهد مختار بن محمود الحنفي شارح القدوري ومصنف القنية في رسالته الناصرية انه قيل ظهر على يد نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم الف معجزة وقيل ثلاثة آلاف انتهى ولعله اراد غير المعجزات التي في القرآن كما سيأتي في كلام المصنف من البيان (قال القاضي ابو الفضل) اي المؤلف رحمه الله تعالى (حسب المتأمل) بسكون السين اي كافيه (ان تحقق ان كتابنا هذا) اي المسمى بالشفاء (لم نجمعه لمنكر نبوة نبينا)

اى ورسالته (ولا طاعن فى معجزاته فنحتاج) هو بالنصب بتقدير ان اى حتى نحتـاج نحن معه فى بحث الدين (الى نصب البراهين) اى الادلة النقلية والعقلية (عليها) اى على اثبات معجزاته (وتحصين حوزتها) بمهملة مفتوحة فواو ساكنة ثم زاى مفتوحة واصلها بيضة الملك ودارتها باجمعها من حواليها واطرافها وناحيتها اى وحفظ افرادها مجموعة محصنة (حتى لايتوصل الطاعن اليها) اى الى مقدماتها بالتردد فى اثباتها (ونذكر) بالنصب عطفا على فنحتاج اى وحتى نظهر (شروط المعجز) وهو النبى المدعى (والتحدى) بالنصب اى ونبين التحدى وهو بكسر الدال المشددة طلب المعـارضة وهو شرط كونه معجزة (وحده) بالنصب ايضا وهو بفتح الحـاء وتشديد الدال اى وتعريفه بانه طلب المعارضة (وفساد) اى ونذكر فساد (قول من ابطل نسخ الشرايع) كاليهود وغيرهم (ورده) اى ونذكر رد قول مبطله والحاصل انالم نجمعه لشيء من ذلك فلم نحتج الى ذكر مايدفع شيئا مما هنالك (بل الفنا) بتشديد اللام اى جمعنا كتابا هذا (لا هل ملته) اى لا هل اجابة دينه وشريعته من امته (الملبين) بتشديد الموحدة المكسورة اى المجيبين (لدعوته المصدقين لنبوته ليكون) اى مافى تأليفنـا هذا (تأكيدا فى محبتهم له ومنماة) بفتح الميم مفعلة من النمواى ومزيدا (لاعمالهم) اى وفق متابعتهم له (وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) اى بضم ايقانهم الى مجرد ايمانهم (ونيتنا) اى قصدنا وغرضنـا (ان نثبت) بالتخفيف والتشديد اى نذكر (فى هذا البـاب امهـات معجزاته) اى معظمها تهـا واصولها (ومشاهير آياته) اى من فصو لهـا (لتدل) بالتـاء الفوقية اى تلك المعجزات الواضحـات والكرامات البينـات (على عظيم قدره) وفى نسخة عظم قدره بكسر العين وفتح الطاء اى على عظمة مقدار قربه (عندربه) اى وفق كمال حبه وفى نسخة لندل بالنون اى بسبب تأليفنا ووقع فى اصـل الدلجى بصيغة التذكير فقال اى مانواه من اثباتها (واتينا) بفتح الهمز اى وجئنا (منها) اى بعد ان نوينا اثباتها (بالمحقق) بفتح القاف اى بالثابت وقوعه فى القرآن القديم (والصحيح الاسناد) اى الواقع فى الحديث الكريم كحنين الجذع وتسبيح الحصى وتكثير الطعام والشراب (واكثره) اى اغلب ماذكر فى هذا الباب (مما بلغ القطع) اى العلم القطعى اوالامر اليقينى (اوكاد) اى قارب ان يبلغه التواتر المعنوى دون اللفظى وحذف خبر كاد مراعاة لسجع ماسبق من الاسناد اوالا كتفاء للعلم بالمراد (واضفنا اليها) اى الى المعجزات الثـابتة بالكتاب والسنة (بعض ماوقع فى مشاهير كتب الائمة) من نحو صحاح الستة (واذا تأمل المتأمل المنصف) اى الخارج عن وصف التعسف يقال انصف اذا اعطى الحق من نفسه (ماقدمناه من جميل اثره) اى مآثره الجميلة ومفاخره الجزيلة (وحميد سيره) اى شمائله الحميدة وفضائله السعيدة (وبراعة علمه) اى وتفوقه على جميع العلماء (ورجاحة عقله وحلمه) اى رزانتهما وزيادتهما على سائر العقلاء والحلماء (وجملة كماله) اى وجمل كمالاته العلية (وجميع خصاله) اى اعماله واحواله السنية (وشاهد حاله) من ظهور شمائله البهية (وصواب مقاله) اى من حكمه الجليـلة (لم يمتر) جواب اذا اى لم يشك (فى صحـة نبوته وصدق دعوته) اى فى نسبة رسالته تبليغ دعوة الحق الى عامة الخلق (وقدكفى هذا) اى ماذكرنا (غيرواحد) اى ممن تأمل فى حال كونه داخلا (فى اسلامه) اى من جهة انقياده (والايمان به) اى من حيث اعتقاده (فروينا) بصيغة المجهول وقد تشدد واوه وروى بصيغة الفاعل ايضا والمعنى فوصل الينـا رواية (عن الترمذى) وهو صاحب الجامع (وابن قانع) وهو الحافظ عبد البـاقى ابن قانع وهو بالقاف والالف والنون والعين المهمـلة وقد تصحف بابن نافع بالنون اولا والفـاء بعد الالف وقد سبق ترجمتهمـا (وغيرهما) اى من المخرجين (اسانيدهم ان عبدالله بن سلام) بتخفيف اللام وهو من الصحابة الكرام (قال لما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة) اى الامينة السكينة (جئته) جواب لما اى اتيته (لانظر اليه) اى الى وجه امره وظهور شانه والتأمل فى تحقيق بيانه وتدقيق برهانه (فلما استبنت وجهه) اى رأيت ظاهر وجهه الدال على صدق سره وباطنه وفى رواية فلما تبينت وجهه اى ابصرت وجهه ظاهرا (عرفت) اى ظهر لى من امارات صدقه اللائحة عـلى صفحة وجهه لان الظاهر عنوان الباطن (ان وجهـه ليس بوجه كذاب) وتركيبه بالاضـافة ويجوز بالوصفيـة للمبالغة (حدثنابه) اى بالحديث الآتى بعد اتمام سنده والمراد بحديث عبدالله بن سلام هذا بعينه (القاضى الشهيد ابو على رحمه الله) وهو الحافظ ابن سكرة (ثنا ابو الحسين) بالتصغير هو الصواب على ماتقدم فى صدر الكتاب (الصيرفى وابو الفضل بن خيرون) بفتح الخاء المعجمة وسكون التحتية وضم راء وسكون واو ونون منصرف ويمنع (عن ابى يعلى البغدادى) بالدال المهملة اولا والمعجمة ثانيا وهو افصح من عكسه وكذا من اهمالهما واعجامهما وهو معروف بابن زوج الحرة (عن ابى عـلى السنجى) بكسر المهملة فنون ساكـنة فجيم فياء نسبة (عن ابن محبوب) وهو المحبوبى (عن الترمذى) صاحب الجامع (ثنا محمد بن بشار) بفتح الموحدة وتشديد المعجمة (حدثنا عبد الوهاب الثقفى) اى الحافظ احد الاشراف عن ايوب ويونس وحميد وعنه احمد وابن اسحق وابن عرفة

وثقه ابن معين ومن اختلط بآخره اخرج له الائمة الستة (ومحمد بن جعفر) وهو غندر وقد سبق (وابن ابي عدي) بصري
ثقة روى عن حميد وطبقته وعنه جماعة ثقة اخرج له اصحاب الكتب الستة (ويحيى بن سعيد) هذا هو القطان
البصري احد الاعلام عن هشام وحميد والاعمش وعنه احمد وابن معين وابن المديني قال احمد ما رأت عيناي مثله
وقال بندر امام اهل زمانه يحيى القطان واختلفت اليه عشرين سنة فما اظن انه عصى الله قط (عن عوف ابن ابي جميلة)
بفتح الجيم وكسر الميم وهو عوف (الاعرابي) لم يدخل درب الاعراب قاله ابن دقيق العيد اخرج له الائمة الستة
(عن زرارة) بضم الزاي في اوله (ابن اوفى) وفي نسخة ابن ابي اوفى قال الحنفي والصواب الاول وهو قاضي البصرة
روى عن عمران بن حصين والمغيرة بن شعبة وعنه قتادة وغيره حافظ ثقة كبير القدر امّ في داره فقرأ فاذا نقر في الناقور
فشهق فمات قال الحنفي وقد ذكر سبب موته كذلك الترمذي في جامعه في باب ما جاء في وصف صلاة رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم بالليل مسنده اخرج له الائمة الستة (عن عبد الله بن سلام الحبر) اي على ما تقدم انه
قال الحنفي وحديثه المذكور هنا على ما اخرجه القاضي عياض من جامع الترمذي اخرجه في الزهد وقال صحيح وهو
وسنن ابن ماجه ايضا في الصلاة عن محمد بن بشار باسناده وفي الاطعمة عن ابي بكر بن ابي شيبة عن ابي اسامة
عن ابي عوف نحوه وكما روي ان ابا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه في اول امره لما نظر اليه صلى الله تعالى
عليه وسلم وتأمل في دلائله الكريمة كان يقول خلق هذا الامر عظيم فلما دعاه الى الاسلام قال هذا الذي كنت ارجوه منك
في سابق الايام (وعن ابي رمثة) بكسر راء وميم ساكنة ثم مثلثة (التيمي) تيمين وفي نسخة التميمي وبهما قيل في حقه
على ما ذكره الحنفي (اتيت) وفي نسخة قال اتيت (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اي حضرته (ومعي ابن لي) لا يعرف
اسمه (فاريته) بصيغة المجهول اي فاراني بعض من يعرفه من اصحابه وغيرهم (فلما رأيته) وظهر لي ما عليه من لوائح
الصدق ولوامع الحق (قلت هذا نبي الله) رواه ابن سعد (وروى مسلم وغيره ان ضمادا) بكسر الضاد المعجمة وهو ابن ثعلبة
من ازد شنوءة وكان صديقا له صلى الله تعالى عليه وسلم قبل بعثه بالنبوة (لما وفد عليه) اي جاء اليه بمكة وقد سمع
بعض قريش يقول محمد مجنون فقال يا محمد اني راق هل بك شيء ارقيك (فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) تنبيها
لما نسب اليه بالجنون كان العقل مما يستهزئ من دلالة كلامه عليه (ان الحمد لله) بكسر الهمزة وتشديد النون ونصب
الحمد وفي نسخة واقتصر عليها الشمني بفتح الهمزة وكسر النون المخففة ورفع الحمد ووجهه غير ظاهر وان اختاره
كثير من الشراح واقتصر عليه بعض المحشين بلفظ الحديث على ما في الحصن الحصين وان قول معقد خطبته ان الحمد
لله فبسط هناك بالوجهين واما هاهنا فلا يصح كون ان المصدرية بعد القول لاقتضائه الجملة ولا التفسيرية لوجود
القول الصريح وهي لا تكون الا مقرونة بما فيه معنى القول كالوحي والنداء وامثال ذلك (نحمده) جمع بين الجملة
الاسمية والفعلية تأكيدا للمضية فان الاولى تفيد الثبات والدوام والثانية تدل على تجدد الانعام اوالاولى خبرية
والثانية انشائية اوالاولى نظرا الى افراده ووحدته والثانية اشتراكا لغيره من امته واهل ملته واما كون النون
للعظمة على ما ذكره الدلجي فلا يلائم مقام العبودية (ونستعينه) اي في الحمد وغيره (من يهده الله) وفي نسخة صحيحة
من يهد الله (فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له) بحذف المفعول في جميع الاصول وفيه نكتة لا تخفى على اصحاب
الوصول (واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له) تأكيد لما قبله (وان محمدا عبده ورسوله) افرد الفعل في مقام
التوحيد كما يناسبه مرام التفرد ولان الشهادة امر خفي لا يطلع عليه كل احد بخلاف ظهور الحمد والاستعانة
بالحق فانه ظاهر على جميع الخلق وهذا كله اول معاجلة الدخول على الفن في العبارة والشروع في الاشارة (قال) اي
ضماد (له) للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم (اعد على كلماتك هؤلاء) اي كررها الذي والظاهر هاهنا فانه كما قيل

﴿ اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره * هو المسك ما كررته يتضوع ﴾

ثم هؤلاء اشارة الى الكلمات فان هؤلاء قد يستعمل لغير العقلاء وقد جاء في رواية انه عليه السلام اعادها عليه ثلاث
مرات فقال لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء (فقد بلغن قاموس
البحر) بالقاف والميم اي وصلن الى وسطه او قعره اولجته وموج بحره وبين شجته تعجبا من فصاحة مبانيها وبلاغة
معانيها وفي نسخة قاعوس بالعين المهملة وفي اخرى قابوس بالموحدة وفي اخرى ناعوس بالتاء الفوقية اوالنون
مع العين المهملة والمعاني متقاربة ولعل بعض النسخ مصحفة (هات) بكسر التاء اي اعطني (يدك) اي اليمنى (ابايعك)
بسكون العين جزما على جواب الامر اي لابايعك على الايمان فبايعه وهو عن اسلم في اول الاسلام على ما ذكره
ابن عبد البر واما قول الحنفي هات امر من هاتى يهاتي فهو خلاف المشهور وما عليه الجمهور من انه اسم فعل
ولذا ذكره صاحب القاموس في مادة هيت وقال هات بكسر التاء اي اعطني لكن ذكره في الفعل المعتل ايضا

وقال هات يارجل اى اعط والمهاتاة مفاعلة منه و يؤيده انه يقال للمرأة هاتى (وقال جامع بن شداد) بتشديد الدال الاولى وجامع هذا محار بى اسدى كوفى يقال له ابوصخرة روى عن صفوان بن محرز وعدة وعنه القطان وابن عدى وهو ثقة توفى سنة ثمان عشرة ومائة على ماقاله ابن سعد ذكره الحلبى والحديث رواه البيهقى عنه انه قال (كان رجل منا) اى من اهل زماننا (يقال له طارق) وهو ابن شهاب ابوعبدالله المحاربى وله صحبة ورواية (فاخبرانه رأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة فقال) اى النبى عليه الصلوة والسلام له ولرفقائه (هل معكم شئ تبيعونه قلنا هذا البعير) اى معنا للبيع (قال بكم) اى تبيعونه من الثمن (قلنا بكذا وكذا) لعل العطف لبيان عددين (وسقا من تمر) بفتح الواو وتكسر اى ستين صاعا على مافى حديث (فاخذ) اى النبى عليه الصلوة والسلام (بخطامه) اى برسنه الذى يقاد به (وسار الى المدينة) وفيه دلالة على صحة المعاطاة فى المعاملة (فقلنا) اى فيما بيننا (بعنا) اى بعيرنا (من رجل لاندرى من هو) اى باسمه ولا برسمه (ومعنا ظعينة) اى امرأة مسافرة اوفى هودجها اوتحمل اذاظعنت اى ارتحلت على راحلتها وقد ابعد الدلجى فى قوله اى امرأة سميت ظعينة لانها تظعن اى تسير مع زوجها حيث سار (فقالت انا ضامنة) اى متضمنة وفى نسخة بالاضافة وهى مصحفة (لثمن البعير) مبالغة فى ضمانها بقبول الذمة لكمال الهيبة وزوال التهمة (رايت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر) اى فى وقت كماله من القدر (لايخيس) بفتح الياء اى لايغدر (بكم فاصبحنا) اى على ذلك المنوال (فجاء رجل بتمر) اى كثير (فقال انارسول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اليكم يأمركم ان تأكلوا من هذا التمر) اى مقدار ماشئتم ضيافة لكم (وتكتالوا) اى وان تكتالوا (حتى تستوفوا) اى حتى تقبضوا قيمة بعيركم وافية (ففعلنا وفى خبر الجلندى) بضم الجيم واللام وسكون النون ودال مهملة والف مقصورة اوممدودة على اختلاف فى اللغة وعبارة القاموس وجلنداء بضم اوله و بفتح ثانية ممدودة و بضم ثانية مقصورة اسم ملك عمان ووهم الجوهرى فقصره مع فتح ثانية انتهى وقوله (ملك عمان) بضم العين وتخفيف الميم على مااختاره الحلبى وقال وفى نسخة عوض عمان غسان انتهى والظاهر انه سهو اوتصحيف كما لايخفى وذكر الدلجى انه بفتح العين وتشديد الميم مدينة قديمة بالشام من ارض البلقاء واماماهو بالضم والتخفيف فصقع عند البحرين وحاصله انه روى وسيمة فى كتاب الردة عن ابن اسحق فى خبر الجلندى ملك عمان (لما بلغه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدعوه الى الاسلام) اى مع سائر الانام وهو يحتمل ان يكون بالكتابة او بارسالة (قال الجلندى والله لقددلنى على هذا النبى الامى) اى على صدق قضيته وثبوت حقيقته (انه) اى كونه عليه الصلوة والسلام (لايأمر بخير) اى احدا (الاكان اول آخذيه) بصيغة الفاعل اى عامل له (ولاينهى عن شئ) اى احدا (الاكان اول تارك له) وفى نسخة عن شر بدل عن شئ وهو الملايم لمقابلة قوله بخير (وانه) اى عليه الصلاة والسلام (يغلب) بصيغة المعلوم اى على اعدائه (فلايبطر) بفتح الطاء اى لايطغى اولايفتخر عند احبائه (ويغلب) بصيغة المجهول (فلايضجر) بفتح الجيم اى لايجزع ولا يفزع بناء على قوله تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس ولما فى حكم ابن عطاء * مادمت فى هذه الدار لاتستغرب وقوع الاكدار * وكما قيل الحرب سجال والقول بعضهم

(فيوما علينا ويوما لنا * و يوما نساء ويوما نسر)

وفيه تنبيه على حسن الرضى تحت حكم القضاء مع العلم بان فى غالبيته نصرة الاولياء وفى مغلوبيته كثرة الشهداء كما قال تعالى قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين فكل امر المؤمن مقرون بخير فى الكونين وقد قال تعالى ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كماتألمون وترجون من الله مالايرجون (و يفى بالعهد و ينجز) بضم الياء وكسر الجيم (الموعود) اى و يصدق الوعد (واشهدانه نبى) فلله دره واما تم نظره حيث حملته محاسن جملته على الاقرار بنبوته من غير حاجة الى اظهار حجته و بيان معجزته (وقال نفطويه) بكسر النون وسكون الفاء وفتح الطاء المهملة والواو فتحتية ساكنة فهاء مكسورة وقد سبق ذكره (فى قوله تعالى يكاد زيتها يضئ) اى يفيض بالانوار من حيث ذاته (ولولم تمسسه نار) تفيد انارته باستنارة صفاته (هذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم يقول) اى كانه تعالى يقول (يكاد منظره) اى يقرب ظاهر رؤيته (يدل على نبوته وان لم يتل قرآنا) من التلاوة وروى وان لم يقل من القول والفاعل فيهما ضميره صلى الله تعالى عليه وسلم اى وان لم ينضم لرؤيته تلاوة قراءته الدالة على انواع معجزته (كما قال ابن رواحة) اى فى نعته وهو بفتح الراء انصارى نقيب بدرى احد شعرائه صلى الله تعالى عليه وسلم حضر احدا والخندق واستشهد بمؤتة بضم الميم اميرا فيها سنة ثمان من الهجرة (لولم تكن فيه آيات مبينة) بكسر التحتية وفتحها اى لولم يوجد فى حقه آيات ظاهرة اومعجزات باهرة (لكان منظره ينبيك بالخبر) اصله ينبئك بالهمز فسكن ضرورة ثم جوز ابداله لغة هذا وقد نسب الشيخ تقى الدين ابن تيمية هذا البيت الى حسان مع تغير شطره الثانى حيث قال

وما احسن قول حسان

(لو لم تكن فيه آيات مبينة * كانت بديهته تأتيك بالخبر)

انتهى ولا يخفى انه يمكن الجمع بالتوارد فى المعنى وان كان احدهما اظهر فى المعنى (وقد آن) اى حان (ان نأخذ) اى نسرع (فى ذكر النبوة) وهى حالة الولاية قبل الرسالة (والوحى) اى وبيان الوحى الشامل لحال النبوة (والرسالة) اى وبيان نعت الرسالة وما تميز به عن مرتبة النبوة (وبعده) اى وبعد فراغ هذا الشان نشرع (فى معجزة القرآن) اى وما يتعلق به من البيان (وما به) اى فى القرآن (من برهان) اى حجة (ودلالة) بفتح الدال وتكسر اى وبينة من آية وعلامة تبين مراتبها وتعين معانيها ثم فى هذا الباب ثلاثون فصلا

(فصل)

(اعلم ان الله تعالى قادر على خلق المعرفة) اى جميع المعارف الجزئية من العلوم الشرعية والعرفية (فى قلوب عباده) اى على وفق مراده كما حكى عن سنته سبحانه فى بعض الانبياء وكما روى عن مجاهد اوحى الله الزبور الى داود عليه السلام فى صدره (والعلم) اى وعلى خلق العلم الكلى الاجمالى المتعلق (بذاته) اى الاسنى (واسمائه) اى الحسنى (وصفاته) اى العلى (وجميع تكليفاته) اى التى الزمها عقلاء مخلوقاته (ابتداء) اى بافاضة جذبة من جذباته (ودون واسطة) اى من ارسال ملائكته (ان شاء) اى او تعلق به مشيئته واقتضته حكمته (كما حكى عن سنته فى بعض الانبياء) اى وروى عن بعض الاولياء من امته حيث حصل لهم العلم اللدنى من الالهام الالهى فى امور خارقة العادة ظهر تحقيقها عند اصحاب الارادة (وذكره بعض اهل التفسير فى قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا) اى وحى الهام او رؤيا منام كما وقع لام موسى عليه السلام (وجائز) اى فى قدرته بعد تعلق ارادته وفق حكمته (ان يوصل اليهم جميع ذلك) اى ما ذكر من العلوم الكلية والمعارف الجزئية (بواسطة) اى من ملك اوحى او رؤيا (يبلغهم كلامه) اى مما يقتضى مرامه (وتكون تلك الواسطة اما من غير البشر كالملائكة مع الانبياء او من جنسهم كالانبياء مع الامم) وفى معناهم الاولياء مع اتباعهم فيما ينبغى لهم اتباعهم (ولا مانع لهذا) اى لما ذكر من تعلق الابتداء والواسطة فى الابداء (من دليل العقل) اى وقد ثبت بدليل النقل (واذا جاز هذا) اى نقلا وعقلا (ولم يستحل) اى ولم يعد ذلك محالا اصلا (وجاءت الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم) اى الباهرة وآياتهم الظاهرة (وجب) اى على المرسل اليهم (تصديقهم فى جميع ما أتوا به) اى من الامور الواجبة عليهم (لان المعجزة مع التحدى) اى طلب المعارضة (من النبى) اى ممن يصح ان يكون له نعت النبوة ولم يكن من اهل الاستدراج والسحر والمكر والحيلة (قائم مقام قول الله تعالى) اى شهادته فى تحقيق دعوته (صدق عبدى فاطيعوه) اى فى الاصول (واتبعوه) اى فى الفروع (وشاهد على صدقه فيما يقوله) اى من اخبار الاولين وانباء الآخرين واحوال الدنيا واهوال العقبى فان التصديق بالفعل كالتصديق بالقول وتوضيحه انه اذا ادعى نبى الرسالة ثم قال آية صدقى فى دعواى ان الله تعالى ارسلنى ان يفعل كذا ففعل الله تعالى ذلك كان ذلك من الله تصديقا له فيما يدعيه من الرسالة بما فعل من نقض العادة فيكون ذلك كقوله عقيب دعواه صدقت ويستحيل من الحكيم تصديق الكاذب اللئيم ونظير هذا ان الرجل اذا قام فى محفل عظيم وقال معشر الاشهاد انى رسول الملك اليكم ودعواه هذه بمرأى من الملك ومسمع ثم قال فان كنت ايها الملك صادقا فى دعواى فخالف عادتك وانتصب قائما وضع يدك على رأسى ثم اقعد فاذا فعل الملك ذلك اضطر الحاضرون الى تصديق الملك اياه وعلم صدقه بالضرورة فى دعواه (وهذا كاف) اى المدعى والتطويل فيه خارج عن الغرض) اى الاصلى ههنا (فمن اراد تتبعه) اى مستقصى (وجده مستوفى فى كتب ائمتنا) اى ائمتنا كما فى نسخة (رحمهم الله) حيث بالغوا فى تحقيق امر التوحيد وما يتعلق به من امر النبوة وما يلزمه من اظهار المعجزة وغيرها مع الادلة العقلية والنقلية وبيان المذاهب الباطلة كالحكماء والدهرية ثم المراد بالائمة علماء هذه الامة وابعد الدلجى فى قوله يعنى المالكية اذ لا دخل لهذه المباحث فى الفروع الفقهية الخلافية (فالنبوة فى لغة من همز) وهو نافع من بين القراء (مأخوذة من النبأ وهو الخبر) وتعديته بالهمزة تارة كقوله تعالى انبئونى وبالتضعيف اخرى كقوله سبحانه نبئ عبادى (وقد لا تهمز على هذا التأويل) اى مع بقائه على هذا المبنى وارادته من المعنى (تسهيلا) اى تخفيفا اوجبه كثرة الاستعمال بجعل الهمزة واوا وادغامها فى مثلها كالمروة واما فى نحو النبى فبقلب الهمزة ياء وادغامها فيما قبلها واما فى الانبياء فبابدال الهمزة ياء لانكسار ما قبلها (والمعنى) اى حينئذ على القراءتين (ان الله تعالى اطلعه على غيبه) اى بعض مغيباته او على غيبه المختص به من قدر به (واعلمه انه نبيه فيكون نبيا) اى فى المعنى (منبأ) اى فى المعنى وهو بضم الميم وسكون النون وفتح الموحدة بعدها الهمزة المنونة او بتخفيف

وتشديد الموحدة (فعيل بمعنى مفعول) اى ولو كان على زنة مفعل (اويكون) اى النبي (مخبراعن مابعثه الله به ومنبئا) بالتخفيف اوالتشديد مكسورا اى معلما (بما اطلعه الله تعالى عليه ففعيل بمعنى فاعل اويكون) اى النبي (عند من لم يهمزه) اى ولم يقل بتسهيله وادغامه بعد تبدله (من النبوة) اى مأخوذا من النبوة بفتح النون وسكون الموحدة (وهو) ذكر باعتبار ماالخبربقوله (ماارتفع من الارض) اوبمعنى الرفعة (ومعناه) اى حينئذعلى طبق مبناه (ان له رتبة شريفة ومكانة نبيهة) اى منزلة لطيفة (عند مولاه منيفة) بضم الميم وكسر النون اى زائدة اومرتفعة واصلهامن اناف اذا اشرف ثم هو ايضا بهذا المعنى يحتمل ان يكون فى المبنى بمعنى الفاعل والمفعول اى مرتفع الشان اورفيع البرهان (فالوصفان فى حقه مؤتلفان) اى الوصفان بالمعنيين من الخبر والرفعة وبالمبنيين من البناء للمفعول والفاعل باعتبار كل منهما فى حق النبي مجتمعان بل متلازمان واما قول الدلجى فالوصفان من كونه منبأ اومنبئا فقاصرعن استيفاء حق الموصوف كما لايخفى على اهل المعروف (واما الرسول فهو المرسل) من ربه الى مكلفى خلقه لانفاذ حكمه (ولم يأت فعول بمعنى مفعل الانادرا) اى قليلا وقوعه بل ولم يعلم لغيره وروده (وارساله) اى لكونه ليس بحقيقى بل على وجه حكمى هو (امر الله له بالابلاغ) وروى بالبلاغ اى تبليغ امره (الى من ارسل اليه) قال تعالى ياايها الرسول بلغ ماانزل اليك من ربك ثم هذا الارسال قديكون بواسطة الملائكة وقديكون بدون الواسطة كما وقع لموسى اذناداه ربه بالوادى المقدس طوى اذهب الى فرعون انه طغى (واشتقاقه) اى اخذه من حيث المبنى (من التتابع) اى من حيث المعنى لقوله (ومنه قولهم جاء الناس ارسالا) بفتح اوله جمع رسل بفتحتين (اذا تبع بعضهم بعضا) اى فى الأتى وقد وردانهم صلواعليه صلى الله تعالى عليه وسلم ارسالا اى بعضهم تبع بعضا (فكانه) اى الرسول (الزم) بصيغة المجهول (تكرير التبليغ) بالنصب على انه مفعول ثان وفى نسخة التزم تكرير التبليغ فهو مفعول اول (او) وفى نسخة بالواو (الزمت) وفى نسخة التزمت (الامة اتباعه) فهذا بيان التفرقة بين النبي والرسول بحسب المبنى وعلى مقتضى اصل اللغة فى المعنى (واختلف العلماء) اى بحسب الاصطلاح الشرعى والعرفى (اهل النبي والرسول بمعنى) واحد فيكونان مترادفين فى اطلاق كل منهما على الآخر (او بمعنيين) اى متباينين اومتغايرين بان يكون النبي اعم والرسول اخص (فقيل هما سواء) اى فى المعنى فكل منهما انسان اوحى اليه بشرع مجدداوغيرمجدد (واصله) اى اصل هذا المعنى باعتبار المبنى مأخوذ (من الانباء) اى الاخبار (وهوالاعلام) يعنى فيلزم معنى النبوة اذا كانت من الانباء معنى الرسالة التى بمعنى الاعلام والابلاغ وفيه انه لايلزم من انباء الله تعالى لعبده امرا ان يكون مأمورا باعلامه لغيره (واستدلوا) لكونهما سواء فى المعنى (بقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولانبي فقد اثبت) اى الله تعالى (لهما الارسال معا) اى ولم يجعل للعطف حكما بمغايرة بينهما (ولا يكون) وفى نسخة قال ولا يكون والصحيح قالوا ولا يكون والاظهر فلا يكون (النبي الا رسولا ولا) اى ولا يكون (الرسول الانبيا) اى بناء على ذلك المعنى وفيه ان الارسال هنا بالمعنى اللغوى وهو البعث والاظهار لا بالمعنى الاصطلاحى والا لكفى ان يقول وما ارسلنا من قبلك احداوسيأتى زيادة بيان لهذا المبحث (وقيل هما مفترقان من وجه) يعنى ومجتمعان من وجه اذالعطف يقتضى التغاير فى الجملة لاسيما وجود لا المزيدة للتأكيد والمبالغة (اذاقداجتمعا) تعليل للقضية المطوية اى اجتمع ما دونهما معنى (فى النبوة) اى على تقدير انها مهموزة وهى مأخوذة من الانباء (التى هى الاطلاع) اى لهما من عنده سبحانه وتعالى (على الغيب) اى على بعض الامور الغيبية من الامور الدينية والدنيوية والاخروية (والاعلام) اى وكذا الاعلام لهما من عندربهما (بخواص النبوة) اى والرسالة والمعنى باختصاصهما بامورلاتوجد فى غيرهما (اوالرفعة) اى اواجتمعا فى الرفعة (بمعرفة ذلك) اى شان النبوة والرسالة (وحوز درجتهما) اى احاطة مرتبة كل منهما (وافترقا فى زيادة الرسالة للرسول) اى باختصاص الارسال (وهوالامر بالانذار) وهو الاعلام بالشئ الذى يحذرمنه (والاعلام) تفسيرا واخص مما قبله لشموله التبشير وتبيين احكام الاسلام (كما قلنا) اى بنافيما سبق من الكلام (وحجتهم) اى ودليل اصحاب هذا القيل من الاجتماع من وجه والافتراق من آخر لاكما قال الدلجى اى من قال بافتراقهما فتدبر (من الآية) اى من جهة الآية المتقدمة (نفسها) اى بعينها (التفريق بين الاسمين) اى ضرورة كون المعطوف غيرالمعطوف عليه كما هو الاصل فى تغاير المتعاطفين (ولو كانا شيئا واحدا) اى هنا (لما حسن تكرارهما فى الكلام البليغ) اى البالغ غاية البلاغة المعجز لارباب الفصاحة عن قدرة المعارضة باقصر سورة (قالوا) اى هؤلاء (والمعنى) اى المراد بالآية (وما ارسلنا من رسول) وفى نسخة من نبى (الى امة) اى مأموربالعبادة والدعوة (اونبى) اى مأمور بالعبادة فقط (وليس بمرسل الى احد) اى من الخلق بدعوة الى طريق فالاول كامل والثانى مكمل فهواخص وذاك اتم واعم والله تعالى اعلم

(وقد ذهب بعضهم الى ان الرسول من جاء بشرع مبتدأ) اي مجدد بان لا يكون مقررا الشرع من قبله (ومن لم يأت به) اي بشرع مبتدأ وقد اوحي اليه (فهو نبي غير رسول وان امر) اي ولو امر (بالابلاغ والانذار) لانه لم يأت بزيادة من الاحكام والآثار (والصحيح) وكذا المشهور (والذي عليه الجماء) بفتح الجيم وتشديد الميم ممدودا وفي نسخة الجم (الغفير) بالغين المعجمة والفاء اي الجمع الكثير وهم الجماهير (ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا) فالنبي انسان اوحي اليه سواء امر بالتبليغ ام لا بخلاف الرسول فانه نبي مأمور بتبليغ الرسالة سواء تكون هذه الرسالة تقدمت او تجددت (واول الرسل آدم عليه السلام) اي الى بنيه وكانوا مؤمنين وكذا شيث وادريس عليهما السلام واما نوح عليه السلام فاول رسول الى كفار قومه (وآخرهم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) اي اجماعا يشهد له قوله تعالى وخاتم النبيين وحديث لا نبي بعدي (وفي حديث ابي ذر) اي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مرفوعا على ما رواه احمد وابن حبان (ان الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الفا) اي وذكر) اي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الرسل منهم) اي من الانبياء (ثلاثمائة وثلاثة عشر) وفي رواية خمسة عشر جم الغفير اي الجمع الكثير فهو من باب صيد الجامع (اولهم آدم) اي اول الرسل آدم وهو في مستدرك الحاكم ايضا في ترجمة عيسى ابن مريم باسناده الى ابي ذر قال دخلت على رسول صلى الله تعالى عليه وسلم وهو في المسجد فاغتنمت خلوته فقال لي يا اباذر ان للمسجد تحية ركعتان فركعتهما ثم قلت يارسول الله انك امرتني بالصلوة فما الصلوة قال خير موضوع فمن شاء اقل ومن شاء اكثر ثم ذكر الحديث الى ان قال قلت كم النبيون قال مائة الف واربعة وعشرون الف نبي قلت كم المرسلون منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر وذكر باقي الحديث وتعقبه الذهبي في تلخيص المستدرك فقال قلت السعدي ليس بثقة انتهى وفي الصحيحين في باب الشفاعة قالوا يا نوح انت اول الرسل الى اهل الارض الحديث قال القاضي في شرح مسلم وتبعه النووي ومثل هذا يسقط الاعتراض بآدم وشيث ورسالتهما الى من معهما وان كانا رسولين فان آدم انه ارسل لبنيه ولم يكونوا كفارا بل امر بتعليمهم الايمان وطاعة الله وكذلك خلفه شيث بعده فيهم بخلاف رسالة نوح الى كفار اهل الارض قال القاضي وقد رأيت ابا الحسن ابن بطال ذهب الى ان آدم وادريس رسولان هذا وذكر بعضهم ان عدد اصحابه عليه السلام كعدد الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الفا وذكر ابو زرعة انه مات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه مائة الف واربعة عشر الفا ولعله اقتصر على ذكر الصحابة الكبار او الرواة منهم والله تعالى اعلم ثم قيل والرسل ثلاثمائة واربعة عشر وقيل كعدد اصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوزه الا مؤمن وهم ثلاثمائة وبضعة عشر وكذا عدد اهل بدر وقيل ان عدد الرسل مأخوذ من لفظ حروف محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وجملته ثلاثمائة واربعة عشر وان مدة الجملة خمسة عشر فالميم ثلاثة احرف ميم وياء وميم والحاء حرفان حاء والف والميمان المضعفان ستة احرف والدال ثلاثة احرف دال والف ولام فاذا عددت حروف اسمه كلها ظواهرها الجلية وبواطنها الخفية حصل لك ثلاثمائة واربعة عشر فالثلاثة عشر والثلاثمائة على عدد الرسل الجامعين للنبوة وبقي واحد من العدد وهو مقام الولاية المفرق على جميع الاولياء والاقطاب التابعين للانبياء فاسمه جامع للنبوة والولاية وفيه انه هو اصلهم وما افترق فيهم اجتمع فيه ومن هذه الزبدة ما في البردة

(وكلهم من رسول الله ملتمس * غرفا من البحر او رشفا من الديم)

هذا وقد ذكر الشاطبي في حديث ابي ذر بانه طويل جدا ومن جملته بابي انت وامي يارسول الله فكم كتاب انزل الله قال انزل الله تعالى مائة كتاب واربعة كتب انزل على شيث بن آدم خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين وعلى ابراهيم عشر وروى عشرين وعلى موسى من قبل انزال التوراة عشر صحائف وانزال التوراة والانجيل والزبور والفرقان الحديث ثم اعلم ان الاحوط ان لا نعين في الانبياء والرسل عددا معينا ولا حدا محدا بل نؤمن ان اولهم آدم وآخرهم نبينا الخاتم وان ما بينهما من الانبياء والمرسلين كانوا على الحق المبين لانك متى حصرتهم على عدد يحتمل ان يكونوا ازيد من ذلك او انقص مما هنالك فيؤدي اما الى انكار بعض الانبياء او الى شهادة غير النبي بانه نبي وهذا طريق الماتريدي (فقد بان) اي ظهر وتبين (لك معنى النبوة والرسالة وليستا) اي النبوة والرسالة (ذاتا لمن) اتصف (به) (ولا وصف ذات) اي قائمة بها (خلافا للكرامية) بتشديد الراء والياء المنسبة للنسبة وفي نسخة بتخفيف الراء على انه لغة بمعنى الكرم او الكرامة وفي اخرى بكسر الكاف على انه جمع الكريم والمعول هو الاول على انه صيغة مبالغة لكونه كاملا في الكرم او جاء طائفة والله تعالى اعلم والحاصل انهم ينتسبون الى محمد بن كرام ومحمد هذا كنيته ابو عبدالله السجزي سمع على ابن حجر وغيره مات بالقدس سنة خمس وخمسين ومائتين وهو صاحب المقالة كذا ذكره الحلبي وفي القاموس ومحمد بن كرام كشداد امام الكرامية القائل بان معبوده مستقر على العرش وانه جوهر تعالى

الله عن ذلك علوا كبيرا وكان قد سجن بنبـ ابور ثمانية اعوام لاجل بدعته ثم اخرج فسار الى بيت المقدس وما يلى الشام (فى أطويل لهم) اى فى كثرة تعليل (وتهويل) اى تخريف وتخييل (ليس عليه تعويل) اى اعتماد من جهة دليل اذ قالوا هما صفتان قائمتان بذات الرسول سوى الوحى وامر الله لهما بتبليغ والمعجزة والعصمة وصاحبهما لا تصافه بهما رسول وان لم يرسله الله ويجب عليه ارساله لا غير فهو اذا ارسل مرسل وكل مرسل رسول بلا عكس اى وليس كل رسول مرسلا اذقد لا يرسله قالوا ويجوز عزل المرسل عن كونه مرسلا دون الرسول اذلا يتصور عزله عن كونه رسولا على ما زعموا كذا ذكره الدلجى وقال التلمسانى ان الكرامية قائلون بان الانبياء الرسل مجبولون على النبوة والرسالة وانهم انبياء مذخلقوا من دون ان يوحى اليهم واستدلوا على ذلك بما روى عن ابى هريرة قال قالوا يارسول الله متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد (واما الوحى) اى وان كان يطلق على معان من الصوت الخفى والالهام والاشارة ونحوها (فاصله الاسراع) لحديث اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان شرا فانته وان كان خيرا فتوحه اى فاسرع اليه وهاؤه للسكت كذا ذكره الدلجى والظاهر انه تصحف عليه وانه بالجيم وسكون الهاء الاصلى على انه امر من التوجه ويؤيده ان لفظ الحديث على ما فى الجامع الصغير للسيوطى اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فاذا كان خيرا فامضه وان كان شرا فانته رواه ابن المبارك فى الزهد عن ابى جعفر عبدالله بن مسور الهاشمى مرسلا و فى معناه حديث اذا اردت امرا فعليك بالتؤدة حتى يريك الله منه المخرج رواه البخارى فى الادب المفرد والبيهقى فى شعب الايمان عن رجل من بلى مرفوعا (فلما كان النبى) اى جنسه (يتلقى) اى يأخذ و يتلقن (ما يأتيه من ربه بعجل) اى بسرعة من غير تؤدة (سمى وحيا) ولعله من هذا القبيل كان سرعة اخذ نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فى تناول التنزيل عند قراءة جبريل حتى نزل تسلية له فى التحصيل قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه (وسميت انواع الالهامات) اى الواردة لافراد الانسان والحيوانات (وحيا) كقوله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه وقوله سبحانه وتعالى واوحى ربك الى النحل الآية (بتشبيهها) اى لها (بالوحى الى النبى) اى فى تلقيها بعجلة والالهام هو القاء شئ فى الروع يبعث على الفعل او الترك يختص به الله من يشاء من عباده ومخلوقاته (وسمى الخط) اى الكتابة (وحيا لسرعة حركة يد كاتبه) او لسرعة ادراك الخط من صاحبه ووحى الحاجب) اى اشارته (واللحظ) اى ايماء العين (سرعة اشارتهما) اى حركتهما (ومنه) اى ومن قبيل اطلاق الوحى على الاشارة المطلقة (قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا اى اوما) اورمز) اى اشار باحد اعضائه (وقيل كتب) اى لهم على الارض ان سبحوا (ومنه) اى من كون الوحى بمعنى الاشارة بالسرعة (قولهم) كما فى حديث ابى بكر رضى الله تعالى عنه (الوحاء) بفتح الواو (الوحاء) بمد و يقصر على ماذكره الجوهرى وقيل ان كرر مد وقصر وان افرد مد والتكرير للمبالغة ونصبه على الاغراء ومعناه كما قال (اى السرعة السرعة) بضم السين وقيل بفتحها ايضا بمعنى الزموها ويقال الوحاء الوحاء بكسر الواو اى البدار البدار بمعنى المبادرة والمسارعة (وقيل اصل الوحى السر) اى الاسرار (والاخفاء) ومن ثمة قالوا هو الاعلام على وجه الخفاء (ومنه) اى ومن كون الوحى هو السر (سمى الالهام وحيا) اى لخفائه على غير اهله (ومنه قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم) يعنى من المشركين (اى يوسوسون فى صدورهم) يعنى لاغوائهم (ومنه واوحينا الى ام موسى اى القى فى قلبها) بصيغة المجهول كما صرح به الحلبى وغيره و يجوز ان يكون بصيغة المعلوم اى قذف الله تعالى الهاما اومناما ان ارضعيه اى ما امكنك اخفاؤه فاذا خفت عليه الآية (وقد قيل ذلك) اى ما ذكر من الوحى بمعنى الالهام او المنام (فى قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الاوحيا اى ما يلقيه فى قلبه) يعنى الهاما اومناما (دون واسطة) اى كما يفهم من المقابلة بقوله او من وراء حجاب كموسى عليه السلام او يرسل رسولا كجبريل اوغيره من الملائكة فالواسطة اما معنوية او صورية ودونها مختصة بالواقعة القلبية والله سبحانه وتعالى اعلم بحقائق القضية

(فصل)

(اعلم ان معنى تسميتنا ما جاءت به الانبياء) اى من الآيات الخارقة للعادة (معجزة هو ان الخلق) اى المرسل اليهم (عجزوا) بفتح الجيم وهى اللغة الفصحى ومنه قوله تعالى اعجزت وتكسر على لغة فالمستقبل على عكسهما اى لم يقدروا حيث ضعفوا (عن الاتيان بمثلها) فكانها اعجزتهم عن معارضة اظهر نظيرها والا فالمعجز فى الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى كانه قادر على اقدار العبد بنحوها او على اظهارها على يد مظهرها والتاء للمبالغة او لكونها وصفا للآية الخارقة للعادة (وهى) اى المعجزة (على ضربين) اى صنفين من حيث كونه مقدورا للبشر وغير مقدور لهم (ضرب هو من نوع قدرة البشر) اى الجبلة اى بالقوة على تقدير خلق القدرة فيه بان يمكن دخوله تحت قدرتهم (فعجزوا عنه) اى شاء

على صرفهم (فتعجيزهم) اى تعجيز الله تعالى اياهم (عنه) بصرف توجههم عنه (دل الله دل على صدق نبيه) لانه
كصريح قوله صدق عبدي في دعواه الرسالة جرى العادة بخلقه تعالى عقيبه علما ضروريا بصدقه كمن قال بجمع انا
رسول الله اليكم ثم تلا فوقهم بجبلا ثم قال ان كذبتموني وقع عليكم وان صدقتموني انصرف عنكم فكلما هموا بتصديقه
بعد عنهم او بتكذيبه قرب منهم فانهم يعلمون حينئذ ضرورة صدقه مع قضاء العادة بامتناع صدور ذلك من الكاذب
(كصرفهم) اى كصرف الله تعالى لكفار اليهود (عن تمني الموت) بقوله تعالى قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله
خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ثم اخبر عنهم بقوله ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم
بالظالمين وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم لو تمنوا اليهود الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار كما رواه البخاري
وغيره (وابك زهم) بالجر عطفا على صرفهم اى وكاعجاز المشركين وغيرهم (عن الاتيان بمثل القرآن على رأي
بعضهم) اى انه بناء على صرفهم كالنظام من المعتزلة والمرتضى من الشيعة والحق ان عجزهم عنه انما كان لانه
في رتبته في فصاحته وبلاغته وغرابة اساليبه وجزالة تراكيبه مع اشتماله على اخبار الاولين وآثار الآخرين
وتضمنه للامور الغيبية الواقعة سابقا ولاحقا فهو معجزة من جهة المبنى ومن حيثية المعنى (ونحوه) اى وكعجزهم
عن نحو الاتيان بمثل القرآن من سائر خوارق العادة (وضرب) اى نوع من المعجزة (هو خارج عن قدرتهم)
اى حتى بالقوة (فلم يقدروا على الاتيان بمثله) اى بالكلية (كاحياء الموتى) اذ ليس من جنس افعال البشر ولا الملك
واما احياؤهم بدعاء عيسى معجزة له فانما كان من الله تعالى لانه بدليل قوله تعالى واحيي الموتى باذن الله (وقلب
العصا حية) اى تسمى معجزة لموسى (واخراج ناقة من صخرة) اى بلا واسطة واسباب معهودة معجزة لصالح (وكلام
شجرة) اى اومى من قبل الله تعالى لاوليائه عليه الصلاة والسلام باظهار كلمة الاسلام (ونبع الماء من الاصابع)
وفي نسخة من بين الاصابع معجزة لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كما وردت به الاخبار الصحيحة والآثار الصريحة
(وانشقاق القمر) معجزة لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كما صح به الخبر ونص القرآن بقوله تعالى اقتربت الساعة
وانشق القمر والمعنى ان ذلك وامثاله (مما لا يمكن) وفي نسخة مما لا يجوز (ان يفعله احد الا الله تعالى فيكون ذلك)
اى هذا الضرب الذي لا يفعله الا الله وفي نسخة وكون ذلك (على يد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اى صورة (من
فعل الله تعالى) اى حقيقة كما حقق في قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى (وتحديه) اى وطلبه معارضة
النبي (من يكذبه ان يأتي بمثله تعجيز) وفي نسخة تعجيز له اى عن ذلك (واعلم ان المعجزات التي ظهرت على يد نبينا صلى الله
تعالى عليه وسلم ودلائل نبوته وبراهين صدقه) اى في دعوى رسالته واعلاء دعوته كانشقاق القمر ومجيء الشجر
وتسليم الحجر وحنين الجذع واما سقوط شرف بناء الاكاسرة وخرور الاوثان ليلة ولد واظلال الغمام قبل البعثة فهو
من الارهاصات لا المعجزات خلافا لما توهمه عبارة الدلجي (من هذين النوعين معا) اى جميعا باعتبار البعض
والبعض فمنها ما هو من نوع قدرة البشر ومنها ما هو خارج عنها (وهو) اى نبينا (اكثر الانبياء معجزة وابهرهم آية)
اى انورهم (واظهرهم برهانا) اى حجة وبيانا (كما سنبينه) في محله ان شاء الله تعالى وحده (وهي) اى معجزاته (في كثرتها
لا يحيط بها ضبط) اى لجزئياتها (فان واحدا منها) اى مما هو اعظمها (وهو القرآن) اى من حيث آياته وسوره
المشتملة على دلالات بيناته (لا يحصى) بصيغة المجهول اى لا يحصر ولا يعد (عدد معجزاته بالف ولا الفين ولا اكثر)
لما اورثه من فنون البلاغة وصنوف الفصاحة من جملتها افادة المعاني الكثيرة في المباني اليسيرة الى غير ذلك
من فوائدها العجيبة واصنافها الغريبة التي عجز عنها الخطباء والبلغاء من العرب العرباء (لان النبي) وهو الرسول
الاعظم والنبي الافخم صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم (قد تحدى بسورة منه) اى طلب المعارضة باقصر سورة
من سور القرآن (فعجز عنها) بصيغة المجهول اى فعجز جميع اهل المعاني والبيان عن الاتيان بمثل سورة من القرآن
تصديقا لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض
ظهيرا اى معاونا ونصيرا (قال اهل العلم واقصر السور) اى سور القرآن وفي نسخة سورة بالضمير (انا اعطيناك الكوثر)
اى الى آخره وكان الاظهر الاقصر ان يقول واقصر السور سورة الكوثر لانها ثلاث آيات حروفها اقل من حروف
آيات سورة هي ثلاث مثلها كقل هو الله احد كذا قرره الدلجي وهو وهم منه لان سورة الاخلاص اربع آيات
نعم سورة العصر نحوها في عدد الآيات لكنها اطول منها باعتبار الحروف والكلمات في عددها (فكل آية)
اى منه (او آيات منه) اى من القرآن وسورة (بعددها) اى طويلة بعدد اقصر سورة من جهة الآيات او الحروف
او الكلمات (وقدرها معجزة) فقوله تعالى فأتوا بسورة اعم من ان تكون حقيقية او حكمية (ثم فيها) اى في سورة
الكوثر (نفسها) اى بعينها (معجزات) اى متعددة وصفها (على ما سنفصله) اى نبينه (فيما انطوى) اى اشتمل القرآن

واحتوى (عليه من المعجزات) اى التى لاتكاد تستقصى (ثم معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم) اى الثابتة لدينا والواصلة الينا (على قسمين) اى باعتبار مايكون حصوله قطعيا ووصوله ظنيا (قسم منها علم) اى لنا من طريق كونه (قطعا) كذا قدره الدلجى بناء على جعله لفظ علم مصدرا والصحيح انه فعل ماض مجهول وان قطعا صفة لمصدر مقدر اى علم ذلك القسم علم قطع كما يدل عليه عطف قوله (ونقل الينا تواترا) اى نقل تواتر وفى نسخة متواترا (كالقرآن) فانه لكون طريق وصوله الينا تواترا صار علمه لدينا قطعا (فلامرية) بكسر الميم وقد تضم اى ولاشك ولاشبهة ويروى بلامرية (ولاخلاف) اى بين ائمة الامة (بمجئ النبى به وظهوره من قبله) بكسر القاف وفتح الباء اى من جهته وهو عطف تفسير لزيادة تقرير (واستدلاله بحجته) اى واستشهاد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بحجة القرآن على صدق محجته وتصديق نبوته وارسال الله تعالى اياه الى كافة بريته (وان انكر هذا) اى ماذكر من مجيئه به وظهوره من قبله واستدلاله به (معاند) اى حائد يرد الحق مع علمه (جاحد) اى منكر له ملحد فى حكمه (فهو) اى انكار ذلك (كانكاره وجود محمد فى الدنيا) حيث انكر كل منهما انكار مكابرة ومحاهدة لتحقق وجودهما بثبوت مشاهدة وان كان احدهما حسيا والآخر معنويا والحاصل ان وجوده صلى الله تعالى عليه وسلم وشهوده لاينكره احد من الموجودين (وانما جاء اعتراض الجاحدين) اى المنكرين والملحدين (فى الحجة فيه) اى فى كونه حجة له قال الدلجى والصحيح فى الاحتجاج به اوفى ثبوت الحجة بكتابه كما ورد فى طعن المشركين اذقالوا اساطير الاولين ماانزل الله على بشر من شئ هذا سحر مبين (فهو) اى القرآن (فى نفسه) اى فى حد ذاته (وجميع ماتضمنه) اى من سوره وآياته (من معجز) الاولى من معجزاته (معلوم ضرورة) اى بديهة لاتقتضى رؤية كما شهد به الاعداء من اهل الخبرة كالوليد بن المغيرة اذ قال فى حقه لما تلى عليه بعضه ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمعرق وان اعلاه لمثمر وما هو من كلام البشر (ووجه اعجازه معلوم ضرورة ونظرا) كان الاولى ان يقول ووجه اعجازه مفهوم ضرورية ونظرية لئلا يقع تكرار صريح فى العبارة اما ضرورة فلان سلاسة مبناه وجزالة معناه ونظم آياته والفة كلماته وصباحة وجوه فواتحه وخواتمه فى بداياته ونهاياته فى اعلى مراتب البلاغة واغلى مناقب الفصاحة لايحتاج العلم به الى الدلالة فيحكم العقلاء باعجازه فى البداهة واما نظرا فلا فتقار بعض وجوهه الى النظر والتفكر فى خصوص ذلك الامر (كما سنشرحه) اى نبين ذلك القدر (قال بعض ائمتنا) اى ائمة المالكية وفى نسخة صحيحة بعض مشايخنا (ويجرى هذا المجرى) اى مجرى كون القسم الاول من معجزاته الذى علم قطعا ونقل الينا تواترا (على الجملة) اى فى الجملة باعتبار المعنى لابطريق المبنى (انه) فاعل يجرى اى الشان (قد جرى على يده) وفى نسخة صحيحة على يديه (صلى الله تعالى عليه وسلم آيات) اى علامات اومعجزات (وخوارق عادات) اى شاملة المعجزات وكرامات (ان لم يبلغ واحد منها) اى لم يصل امر واحد من تلك الامور (معينا) اى مشخصا ومبينا (القطع) بالنصب اى العلم القطعى بالنسبة الى غير الصحابى (فيبلغه) اى العلم اليقينى (جميعها) اى باعتبار معانيها دون مبانيها (على يديه) اى بناء على ما صدر لديه (ولايختلف مؤمن ولا كافر) كان الاولى ان يقول وكافر بدون لا او يقول ولايخالف مؤمن ولا كافر (قد جرت على يديه عجائب) اى آيات غرائب مما ازاغت ابصارهم وحيرت بصائرهم (وانما خلاف المعاند) اى مخالفته مع الموحد (فى كونها) اى فى وصول العجائب فائضة (من قبل الله تعالى) اى من جهة المبدأ الفياض كما يقوله المؤمن الموحد اوحاصلة من تلقاء نفسه عليه الصلاة والسلام وانه شاعرا وساحر ونحوهما كما تفوه به المشرك الملحد (وقد قدمنا كونها) اى كون المعجزة فائضة (من قبل الله تعالى) اى لاواصلة من تلقاء نبيه (وان ذلك) اى المعجز مع التحدى (بمثابة قوله) اى الله سبحانه وتعالى (صدقت) اى ياعبدى فيما ادعيت من رسالتى (فقد علم وقوع مثل هذا) اى الذى قدمناه (ايضا من نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم (ضرورة) اى بديهة (لاتفاق معانيها) اى مع قطع النظر عن اختلاف مبانيها فى كونها خوارق عادات وعلى صدق صاحبها علامات (كما يعلم ضرورة) اى عند الاخباريين وكذا عند بعض العامة (جود حاتم) بكسر التاء اى ابن عبدالله بن سعد الطائى مشهور بين العرب والعجم مات على كفره (وشجاعة عنترة) بفتح العين المهملة وسكون النون وفتح التاء الفوقية فراء بعدها وهو العبسى (وحلم احنف) اى ابن قيس التميمى (لاتفاق الاخبار الواردة عن كل واحد منهم) اى من المؤرخين والاخباريين (على كرم هذا) يعنى حاتما (وشجاعة هذا) يعنى عنترة (وحلم هذا) يعنى احنف فاشار الى كل واحد بما للقريب تنزيلا له فى ذهنه منزلته (وان كان كل خبر) اى من اخبار هؤلاء الثلاثة (بنفسه) اى بانفراده ويروى فى نفسه (لايوجب العلم) اى القطعى (ولايقطع بصحته) لعدم تواتر كل واحد منها منفردا فى كل عصر وطبقة ثم اعلم ان حاتما هذا والعدى قدم المدينة ابنه على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سنة تسع فى شعبان

وكان نصرانيا فاسلم واسلمت اخته بنت حاتم وابن عدي رضي الله تعالى عنهما واما عنترة فهو ابن معاوية بن شداد وكان عنترة شديد السواد وامه زبيبة امة سوداء كانت لابيه وكان من اشهر فرسان العرب واشدهم باسا وفي القاموس عنتر كجعفر وجندب في الذباب والعنترة صوته والشجاعة في الحرب هذا ولو قال كشجاعة علي لكان اظهر فانه بهذا الوصف بين العرب والعجم اشهر واما الاحنف فهو بفتح الهمزة ثم حاء مهملة ساكنة ثم نون مفتوحة ثم فاء روى عن عمر وعثمان وعلي وعدة وعنه الحسن وحميد بن هلال وجماعة وكان سيدا نبيلا اخرج له الائمة الستة مخضرم وقد اسلم في عهده عليه السلام ودعا له ولم يتفق له رؤيته قال صاحب القاموس تابعي كبير

(والقسم الثاني) اي من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم (هو ما لم يبلغ) اي لم يصل علمه (مبلغ الضرورة والقطع) اي قطعا يصير ضروريا بديهيا ولا فكريا قطعيا (وهو) اي هذا القسم الذي بمنزلة الجنس (على نوعين نوع مشتهر) اي عند الخاصة (منتشر) اي عند العامة وكلاهما بصيغة الفاعل (رواه العدد الكثير) اي من الصحابة والتابعين (وشاع الخبر به عند المحدثين) اي من المخرجين والمصنفين (والرواة) اي من المتأخرين (ونقلة السير) بفتح النون والقاف جمع ناقل والسير بكسر السين وفتح الياء جمع سيرة اي ومن الذين نقلوا سير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من صفاته وآياته ومعجزاته (والاخبار) بفتح الهمزة اي الاحاديث المتعلقة بسيد الابرار صلى الله تعالى عليه وسلم الواردة عن مشيخة العلماء الاخيار (كنبع الماء من بين اصابعه) او من اصابعه كما في بعض طرقه (وتكثير الطعام) اي المأكول والمشروب كما في حديث انس وغيره وكحنين الجذع وكلام الضب والذراع مما رواه الشيخان وغيرهما (ونوع منه) وهو الذي غير مشتهر ولا منتشر (اختص به) اي بنقله (الواحد) اي تارة (والاثنان) اي اخرى (ورواه العدد اليسير) اي ولو وصل الى مرتبة الجمع في بعض طرقه (ولم يشتهر) اي هذا القسم (اشتهار غيره) اي الثابت بالعدد الكثير والجم الغفير (لكنه اذا جمع الى مثله) اي في جنسه (اتفقا في المعنى) اي المراد به ثبوت الاعجاز في المدعى (واجتمعا على الاتيان بالمعجز كما قدمنا) اي من انه لا مرية في جريان معنيهما على يديه وانه اذا انضم بعضها الى بعض افاد القطع لديه (قال القاضي ابو الفضل) اي المصنف (وانا اقول صدعا بالحق) اي جهرا به ومنه قوله تعالى فاصدع بما تؤمر (ان كثيرا من هذه الآيات) اي الواردات كحنين الشجر اليه وتسليم الحجر عليه وتسبيح الحصى في يده (المأثورة) اي المروية (عنه عليه السلام) اي ولو كانت آحادا مبنى (معلومة بالقطع) لتواترها معنى (اما انشقاق القمر) اي على يديه بمكة حين سأله كفار قريش آية (فالقرآن نص بوقوعه) اي في الجملة لانه قطعي الدلالة واما قول الدلجي اما انشقاق القمر فانه متواتر لفظا اذ القرآن نص بوقوعه فليس على اطلاقه (واخبر عن وجوده) اي ثبوته وحصوله لقوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وقرئ وقد انشق اي اقتربت وقد حصل من آيات اقترابها انشقاق القمر قبلها (ولا يعدل عن ظاهره) اي من تحقق وقوعه وثبوت وجوده الى تأويله بانه سينشق يوم القيامة وانه جيء بالماضي لتحقق وقوعه في مستقبله (الا بدليل) وحمله عليه وصرفه اليه (وجاء) اي وقد ورد (برفع احتماله) اي احتمال الدليل الدال على صرف الآية عن ظاهرها (صحيح الاخبار) اي الاخبار الصحيحة والآثار الصريحة (من طرق كثيرة) كخبر الصحيحين وغيرهما (ولا يوهن) وكان الانسب في ترتيب السبب ان يقال فلا يوهن بالفاء وهو بضم الياء وكسر الهاء مخففا او مثقلا اي لا يضعف (عزمنا) اي حزمنا (خلاف اخرق) اي مخالفة جاهل احمق افعل من الخرق ضد الرفق (منحل عرى الدين) بضم ميم وسكون نون وحاء مهملة مفتوحة ولام مشددة مضاف الى عرى بضم العين وفتح الراء جمع عروة وهي ما يتمسك به في امر الديانة ومنه قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها اي لا انقطاع لها (ولا يلتفت) بصيغة المجهول اي ولا ينظر (الى سخافة مبتدع) بفتح السين المهملة والخاء المعجمة اي رقة عقل ضال عدل عن الحق المبين (يلقي) بضم الياء وكسر القاف اي يوقع (الشك) اي التردد والشبهة (على قلوب ضعفاء المؤمنين) فرعا قلة ووقعت في ضلالة المبتدعين (بل نرغم بهذا انفه) بصيغة الفاعل المتكلم من ارغم الله انفه بالرغام بالفتح وهو التراب والمعنى نذله (وننبذ) بفتح النون الاول وكسر الواحدة اي نطرح (بالعراء) اي بالصحراء والفضاء ومكان الخلاء (سخفه) بضم السين المهملة والفتح وسكون الخاء المعجمة اي رقة عقله وكثافة جهله والمعنى نلقي جهله بالعراء لا شيء يستره من البناء وفي بعض النسخ يرغم وينبذ بصيغة التذكير وبناء المجهول وانفه وسخفه مرفوعان (وكذلك) اي وكانشقاق القمر في كثرة رواة طرقا صريحة واسانيد صحيحة (قصة نبع الماء) اي من بين اصابعه او من اصابعه (وتكثير الطعام رواه) اي قصة النبع والتكثير (الثقات) اي من الرواة (والعدد الكثير) اي من الاثبات والمراد منهم طبقة الاتباع (عن الجماء) وفي نسخة الجم (الغفير) اي عن الجمع الكثير من التابعين (عن العدد الكثير من الصحابة) فمن روى نبع الماء بالزوراء

تقرب مسجده بالمدينة السكينة الشيخان عن انس رضى الله تعالى عنه وبالسمر البخارى عن ابن مسعود وممن روى تكثير الطعام البخارى والنسائى عن الشعبى عن جابر فى قضاء دين والده والشيخان والترمذى والنسائى عن انس فى قصة ابى طلحة يوم الخندق (ومنها) اى ومن جملة المعجزات او من جملة رواية الثقات (مارواه الكافة) اى الجماعة (عن الكافة) اى عن مثلهم فى الكثرة (متصلا) اى نقلا متصلا غير منقطع اصلا (عمن حدث بها) اى بالمعجزة او بتلك الرواية الدالة عليها (من جملة الصحابة) بيان لمن وفى نسخة من جلة الصحابة بكسر الجيم وتشديد اللام اى اكابرهم او معظمهم و يؤيده قوله (واخيارهم) على ماضبط فى نسخة صحيحة من فتح الهمزة ثم الياء التحتية لكن فى اكثر النسخ اخبارهم بكسر الهمزة ثم الموحدة مجرورا ولا يظهر وجهه ولعله مرفوع عطفا على مارواه اى ومنها نقل الصحابة (ان ذلك) اى ماذكر من تكثير الطعام (كان فى موطن اجتماع الكثير منهم) اى من الصحابة وغيرهم (فى يوم الخندق) اى حول المدينة فى غزوة الاحزاب وكانت سنة خمس (وفى غزوة بواط) بضم الباء الموحدة وتفتح جبل من جبال جهينة وكانت سنة اثنتين (وعمرة الحديبية) بتخفيف الياء الثانية وتشدد وكانت سنة ست فى ذى القعدة ووهم من قال فى رمضان وانما كان الفتح فيه (وغزوة تبوك) بفتح الفوقية وضم الموحدة ممنوعا وقد يصرف وكانت فى السنة التاسعة وهى آخر غزواته صلى الله تعالى عليه وسلم بذاته وهو موضع بطرف الشام بينه وبين المدينة اربع عشر مرحلة (وامثالها من محافل المسلمين) اماكن اجتماعهم (ومجمع العساكر) اى مكان جمع المجاهدين وكان الاولى ان يؤتى بصيغة الجمع فيهما او بافرادهما (ولم يؤثر) بصيغة المفعول من الاثر اى ولم ينقل (عن احد من الصحابة مخالفة الراوى) اى منهم فى قصتهما (فيما حكاه) اى رواه (ولا) اى ولانقل عن احد منهم (انكار لما ذكر) بصيغة المجهول اى ذكره بعضهم (اذهم) اى بقية الصحابة (رأوه) اى شاهدوه منه صلى الله تعالى عليه وسلم (كما رواه) اى عنه (فسكوت الساكت منهم) اى اذ وقعت الرواية فى مكانهم اوزمانهم (كنطق الناطق) اى بمنزلة راو بذا الراوى منهم به (اذهم المنزهون) اى المبرأون عن السكوت على باطل والمداهنة فى كذب) بفتح الكاف وكسر الذال او بكسر فسكون وهذا شهادة قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس و بدلالة قوله عليه الصلوة والسلام خير القرون قرنى فكلهم عدول رضى الله تعالى عنهم (وليس هناك رغبة) اى ميل وطمع (ولارهبة) اى خوف وفزع والمعنى انه ماكان هناك موجبة من مداراة مع الخلق ومداهنة فى الحق (تمنعهم) من الانكار وتحملهم على السكوت الذى هو بمنزلة الاقرار (ولوكان ماسمعوه منكرا عندهم وغير معروف لديهم) اى ولو فى الجملة (لانكروه) اى ذلك المسموع وانكروا على ناقله ايضا (كما انكر بعضهم) اى بعض الصحابة (على بعض) اى آخرين (اشياء رواها) اى نقلها بعضهم (من السنن والسير وحروف القرآن) بيان لاشياء والمراد بالسنن الاحاديث المتعلقة بالاحكام و بالسير الروايات المختصة بشمائله عليه الصلوة والسلام و بحروف القرآن قراآته كانكار عمر رضى الله تعالى عنه على هشام بن حكيم بن حزام اذ سمعه يقرأ سورة الفرقان على غير ما اقرأه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجاء به اليه فقال سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما اقرأتنيها فقال اقرأ ياهشام فقرأ فقال هكذا انزلت ثم قال اقرأ ياعمر فقرأ فقال هكذا انزلت ان هذا القرآن انزل على سبعة احرف فاقرأ واما تيسر منه رواه الائمة الستة (وخطأ بعضهم بعضا) بتشديد الطاء اى نسب بعضهم بعضا الى الخطأ فى اجتهاداتهم واستنباطاتهم (ووهمه) بتشديد الهاء اى ونسب بعضهم بعضا الى الوهم فى رواياتهم (فى ذلك) اى فى جميع ماذكر من السنن والسير والقراآت (مماهو معلوم) اى عند ارباب الدرايات كتخطئة ابن عباس رضى الله تعالى عنهما نوفا البكالى فى قوله ان موسى الخضر ليس موسى بنى اسرائيل (فهذا النوع) اى الذى رواه العدد اليسير لا الجمع الكثير (كله) اى جميع افراده (يلحق) بفتح الياء على ماقاله الحلبى وغيره وكذا بفتح الحاء والاظهر ان يكون بصيغة المجهول ووقع فى اصل الدلجى ملحق بالميم وصيغة المفعول وهو نسخة ايضا والمعنى يوصل (بالقطعى من معجزاته) و يعطى حكمه من كراماته (لما بيناه) من ان رواية بعضهم وسكوت بعضهم بمنزلة وقوع الاجماع فان هذه الامة لا تجتمع على الضلالة (وايضا فان امثال الاخبار التى لا اصل لها) اى كالموضوعات (وبنيت على باطل) اى غرض فاسد من الخيالات (لابد مع مرور الازمان) اى مضى الاوقات (وتداول الناس) اى فى الروايات (واهل البحث) اى عن حال الرواة (من انكشاف ضعفها) اى لافتراق من تبين ضعف امرها (وخمول ذكرها) اى وخموده عند اهل المعرفة بسندها (كما يشاهد) بصيغة المجهول وفى نسخة بضم النون وكسر الهاء اى كما يرى و يعلم و يظهر (فى كثير من الاخبار الكاذبة والاراجيف الطارئة) بالهمزة و يبدل اى الحكايات العارضة (واعلام نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) بفتح الهمزة اى معجزاته التى هى لشهرتها وانتشارها كالاعلام جمع علم دلت على عجز من ناواه ورد من عاداه (هذه الواردة) اى كل واحد منها (من طريق الاحاد) اى المفيدة للظن لكنه اذا ضم بعضها الى بعض

صارت متواترة وهو حجة للقطع معنى (لاتزداد) اى بايراد تلك الآحاد (مع مرور الزمان الا ظهورا) اى انجلاء
للتوقيد بها وامدادا وارتفاعا المنكر ها عنادا (ومع تداول الفرق) اى اللامور فرقة فرقة كذا قرره الدلجى
بناء على ما وقع فى اصله وفى اكثر النسخ تداول القرون وهو المناسب لمقابلة ما سبق من قوله تداول الناس (وكثرة
طعن العدو) اى الاعداء فانه يطلق على الجمع والفرد مع افراد لفظه ولذا قال (وحرصه على توهينها) اى اضعافها
(وتضعيف اصلها) اى باعتبار مبتنيها واسنادها (واجتهاد الجحد) اى بذل الطاقة وسعه عادلا عن الحق قال الدلجى
وفى نسخة واجتهاد بلاتا ء اى تعبيد اى ايقاعها فى مشقة وجد وكد ومبالغة (على اطفاء نورها) يعنى وهى لاتزداد
مع ذلك (الاقوة وقبولا) اى للمنصف المذعن للحق (ولا للطاعن) اى ولا تزداد للذام العائب (عليها الاحسرة وغليلا)
بفتح الغين المعجمة اى حرارة وعطشا بهلاك من كان عليلا (وكذلك) اى وكاعلامه بفتح الهمزة فيما ذكر من الازدياد
(اخباره) بكسر الهمزة اى اعلامه (عن الغيوب) كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم مما اخبر به عن المغيبات
فى حديث الحاكم بلاء يصيب هذه الامة حتى لايجد الرجل ملجأ يلجأ اليه من الظلم وقد وجد هذا بشهادة اهل العلم
(وانباؤه) بكسر الهمزة اى واخباره (بما يكون) اى فى الآخرين (وكان) اى وبما كان فى الاولين او بما يكون
فى الغيوب وبما كان من العدم (معلوم) اى كل ذلك معلوم كونه (من آياته) اى علاماته الدالة على صدق حالاته وصحة
معجزاته (على الجملة) اى من غير نظر الى الطرق المفصلة (بالضرورة) اى بالبداهة العقلية فهو فى الجملة قطعى الدلالة
من غير احتياج علما بكونه منها الى كسب من تفكر واستدلال بالادلة (وهذا حق) اى امر ظاهر (لا يغطى عليه)
ولا مرية لديه (وقد قال به) اى بكون اخباره بما يكون الخ (من ائمتنا) اى الاشعرية (القاضى) قال الحلبى الظاهر
انه ابو بكر الباقلانى المالكى (والاستاذ) بالدال المهملة وقيل بالمعجمة (ابو بكر) اى ابن فورك بضم الفاء من الشافعية
(وغيرهما) اى من الائمة الحنفية والحنبلية والمشايخ الماتريدية من اكابر اهل السنة والجماعة (وعندى اوجب
قول القائل) بالنصب وفى اصل الدلجى ما اوجب اى ما اثبت قوله وفى نسخة وما عندى اوجب قول القائل (ان هذه
القصص المشهورة) اى فى باب المعجزات وخوارق العادات (من خبر الواحد) اى انما هى من خبر الآحاد وهى لا تفيد
الاطمئنان لاعلاقينا وما الجاه الى قوله هذا الا (قلة مطالعته) اى ملاحظة هذا القائل (للاخبار) اى للاحاديث
الصريحة (وروايتها) اى وقلة معرفته بالاسانيد الصحيحة (وشغله بغير ذلك من المعارف) بضم الشين وفتحها وبضمتين
اى وكثرة اشتغاله بغير ما ذكر من الادلة النقلية المفيدة للعلوم اليقينية من الآلات والادوات العربية والمعارف
الحربية التى مأخذها الامور الظنية والعوارف الوهمية (والا) اى وان لم يكن موجب قوله ذلك قلة اعتنائه بما
هنالك (فمن اعتنى) اى اهتم (بطرق النقل) اى اسانيد المنقول فى هذا الباب (وطالع الاحاديث والسير) اى كتبها
على ما رتب فى الابواب (لم يرتب) من الارتياب اى لم يشك (فى صحة هذه القصص المشهورة) اى الروايات المأثورة
والحكايات المذكورة وتبين له انها (على الوجه الذى ذكرناه) اى على الطريق الذى قررناه والنهج الذى حررناه من
انها من باب التواتر معنى وان كانت من احاديث الاحاد مبنى (ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر عند واحد) اى من اهل
الحديث والقراءة مثلا (ولا يحصل عند آخر) اذا كان عاريا عن معرفتهما اصلا وفرعا (فان اكثر الناس يعلمون
بالخبر كون) وفى نسخة ان وفى اخرى كون ان (بغداد موجودة وانها مدينة عظيمة) اى كبيرة مشهورة (ودار الامامة
والخلافة) ومحل العلماء ومنزل الاولياء بغداد عمرت فى زمن ابى جعفر المنصور العباسى اخى السفاح سنة نيف
واربعين ومائة وكانت قبل ذلك مبقلة وسبق انه يجوز فى دالها الاعجام والاهمال والمرجح اهمال الاول واعجام الثانى
كما صرح فى رواية الشاطبية (وآحاد من الناس) اى الذين فى اطراف العالم واكنافه (لا يعلمون اسمها فضلا عن
وصفها) اى من سمعها ووصفها (وهكذا) اى وكعلم بعض الناس بغداد وجهل غيرهم بها (يعلم الفقهاء من اصحاب
مالك) اى مثلا من حيث تقليدهم لامامهم مالك (بالضرورة) اى بالبديهة الضرورية من غير احتياج الى التفكر والروية
(وتواتر النقل) وفى نسخة صحيحة والنقل المتواتر (عنه) اى عن مالك الامام (ان مذهبه ايجاب قراءة ام القرآن) اى
سورة الفاتحة من غير البسملة (فى الصلاة للمنفرد والامام) اى دون المأموم وان لم يسمع قراءة امامه بل يكره له
فى الجهرية قراءتها وهذا موافق لمذهب الامام ابى حنيفة رحمه الله على تفصيل فى كتبهم والشافعى يوجبها على المأموم
ايضا (واجزاء النية) اى وان مذهبه الاكتفاء بالنية (فى اول ليلة من رمضان) اى لجميع ايامه (عما سواه) اى من
بواقى لياليه (وان الشافعى) اى وكذا يعلم الفقهاء من اصحابه ورعايا غيرهم ايضا بالضرورة ونقل المتواتر عنه وكذا
عن ابى حنيفة انه (يرى) اى وجوبا لا ندبا (تجديد النية كل ليلة) او قبل نصف النهار الشرعى عند ابى حنيفة
(والاقتصار) اى وان الشافعى يرى الاقتصار (فى المسح على بعض الرأس) وهو ما يطلق عليه اسم المسح اخذا باليقين

ومالك يرى وجوب مسح كله احتياطا وابو حنيفة عمل بحديث مسلم فى صحيحه صلى الله تعالى عليه وسلم على الناصية وهو ربع الرأس ودلائلنا حجة عليهما (وان مذهبهما) اى مالك والشافعى (القصاص) اى القود (فى القتل بالمحدد) اى مما يجرح كالسنان (وغيره) مما لا يجرح كالعصا (وايجاب النية فى الوضوء) اى فى اوله (واشتراط الولى فى النكاح) اى فى عقده (وان اباحنيفة يخالفهما فى هذه المسائل) اى لما قام عنده مما صح من الدلائل كما بيناه فى شرحنا المسمى بالمرقاة للمشكاة فى حل المشكلات لكل طالب وسائل وما يتوقف عليه من الوسائل (وغيرهم) اى من الفقهاء المذكورين ونحوهم كالحنبليين (ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولاروى) وفى نسخة صحيحة ولارأى (اقوالهم) اى ولا عرف مشار بهم (لايعرف) وفى نسخة صحيحة ولايعلم (هذا) اى ماذكر من هذه المسائل وامثالها (من مذاهبهم) اى ولو كان على منهجهم وادعى بانه فى مشربهم لكنه ما باشر الاعلوما اخروضيع عمره فيما لاينفعه فتدبر (فضلا عمن) وفى نسخة عما (سواه) اى ممن لم يباشر العلوم اصلا ولم يمازج كتابا ولافصلا ولافرعا ولااصلا (وعند ذكرنا آحاد هذه المعجزات) اى اجمالا كافيا (نزيد الكلام فيها بيانا) اى شافيا (ان شاء الله تعالى)

(فصل)

(فى اعجاز القرآن) اى بيان اعجازه فى اطنابه وايجازه (اعلم وفقنا الله واياك ان كتاب الله العزيز) اى الغالب على سائر الكتب لكونه معجزا ولكونه ناسخا لغيره فى بعض احكامه (منطو) اى مشتمل ومحتو (على وجوه من الاعجاز) اى انواع (كثيرة) واصناف غزيرة (وتحصيلها) مبتدأ اى وتحصيل وجوهه الكثيرة بطريق اجمالها (من جهة ضبط انواعها) اى مع اندماج اصنافها واندراج اجناسها (فى اربعة اوجه) اى منحصرة فيها (اولها حسن تأليفه) اى تركيبه بين حروفه وكلماته وآياته وسوره وقصصه وحكاياته (والتئام كلمه) اى وانتظام كلماته فى سلك مبانيها المناسبة لمقتضى معانيها المتناسقة بين اعاليها وادانيها (وفصاحته) اى ووضوح بيان معانيه مع اقتصاد مبانيه (ووجوه ايجازه) اى من قصر وحذف لاكتفاء وايماء (وبلاغته) اى فى عجائب التراكيب وغرائب الاساليب وبدائع العبارات وروائع الاشارات (الخارقة) اى المتجاوزة (عادة العرب) من فصاحتهم وبلاغتهم (وذلك) اى ماذكر من عادتهم (انهم كانوا ارباب هذا الشأن) اى من جهة الفصاحة (وفرسان الكلام) اى ميدان البراعة (وقد خصوا من البلاغة والحكم) بكسر ففتح جمع حكمة وهى كمال العقل واتقان العمل (مالم يخص به غيرهم من الامم) اى سابقة ولاحقة (واوتوا من ذرابة اللسان) بفتح الذال المعجمة اى حدته وبساطته وسلاطته (مالم يؤت) اى مثله (انسان) اى ممن عداهم وكان الاولى ان يقول الانسان ويراد به جنسه لانه انسب فى مقام سجعه (ومن فصل الخطاب) اى بيان المراد فى الفصول والابواب (مايقيد الالباب) بكسر التحتية الثانية المشددة اى يمنع ارباب العقول الخالصة ان يأتوا بمثل كلامهم وعلى نهج مرامهم (جعل الله لهم ذلك) اى ما خصوا به (طبعا وخلقة) اى سليقة وجبلة (وفيهم) اى وجعل ذلك فيهم (غريزة) اى سجية (وقوة) اى وقدرة بديعة (يأتون منه) اى من الكلام الوافى للمرام (على البديهة) من غير الروية (بالعجب) اى العجاب (ويدلون) بضم الياء واللام اى يتوسلون (به الى كل سبب) اى من الاسباب فى السؤال والجواب وسائر فصول الخطاب (فيخطبون) اى الخطب البليغة (بديها) اى من جهة البديهة (فى المقامات) اى على حسب مايلائمها من المقالات (وشديد الخطب) اى فى الامر العظيم الشان والحال الذى يقع فيه تفخيم البيان (ويرتجزون به) اى يوردونه مرجزا فى حال الحرب (بين الطعن والضرب) فالطعن بالرمح ونحوه والضرب بالسيف وغيره (ويمدحون) اى بعضهم بعضا اظهار المفخرة اوكسبا لمحمدة اوجلبا لفائدة (ويقدحون) ويطعنون ويذمون بعضهم بعضا ايضا لاحد الاغراض السابقة وهذا المعنى بحسب التقابل هو المناسب للمرام وابعد الدلجى فى قوله ويقدحون افكارهم فيستخرجون سحر الكلام فى احسن النظام (ويتوسلون) اى به الى من يقصدون منه نجاح مآربهم (ويتوصلون) اى به الى الفوز بمطالبهم (ويرفعون) اى بمدحهم من ارادوا (ويضعون) اى بذمهم من شاؤا (فيأتون من ذلك) اى الكلام على وجه الاجمال وطريق الكمال (بالسحر الحلال) وهو مالطف مبناه وشرف معناه ويستعار للكلام البليغ وقد وردان من البيان لسحرا اى سواء كان نثرا اوشعرا فانه ربما سحر الانسان وصرفه عن حيز التبيان والسحر فى الشرع حرام الا انه حلال فى مقال وقع فى مقام مرام (ويطوقون) بكسر الواو المشددة اى يحملون (من اوصافهم) اى صفاتهم الحميدة وسماتهم المجيدة من طوه اهلا لتلك الاحوال نعوتا (اجمل من سمط اللآل) بكسر السين هو الخيط مادام فيه الخرز والا فهو سلك وفى نسخة بضمها على انه جمع سمط واختاره اليمنى لكن فى القاموس ان جمعه سموط هذا وقد قال الحلبى اللؤلؤة الدرة وجمعها اللؤلؤ واللآلى انتهى وفيه مسامحة اذ اللؤلؤ جنس واللآلى جمع وقد حذف المصنف ياءه مراعاة

للسمع وله مره ى ا واصل ٥ يه له لى الكبر اسعب (يخدعون الالباب) ى مـ ماتهم (و يدلون الصواب) اى
يهودونه ى ٥ ا يهم حسب ما ر ون راماتهم ق ه لانهم على وق مقاما م (ويدسون) بضم لنا وكسرالها اى
ر بلون (لحى) كسرا ٥ ره وفتح ايها جمع احد كسر وسكون وهو الحمد والصحة واصدرا مداوه (و يدسون)
ـسـدد اما السمد المكسوره وفى نسخة فتح ا ا الاول وكسرالها ٥ وبعده ه الثانه اى تحركون و يدون
(الدمن) بكسر الدال المهمله وفتح الميم جمع دمنه وهى فى الاصل ما دمنه الابل وحوها باو الها واثرها اى ٥ ده
فى مرا صهاثم اسـ ل فى الحقد للمده فى باصه واكويه من دمائم حاطره ٥ فى نسخه الرمن بفتح الزاى وكسر الميم المعقد
والموح وفى نسخه الدمن بفتح الدال المهـ ه وكسر الم مراد رهوا مجع وهو وان كان حالف ما قبله من مراعاة
السجع الا انه ابعد من التكرار المعنوى واقرب للمقابل المطلى بقوله (ويجرون الحسان) بتشديد الراء المكسوره
اى حاوه على الطاء والمعاقد والجبان بفتح الجيم والموحده المخففه صد الشجيع (و يد سطون) بضم السين اى
و يعدون (يد الجعد البنان) اى البخيل الام البنان واصل الجعد فتح الجيم وسكون العين وهو الاقعس فى لمه
صد السبط المسترسل والبنان بفتح لموحده ومعه الى من اطراف الاصابع جمع بنانه ومنه قوله تعالى بلى قادرين
على ان نسوى بنانه (و يصيرون) بتشديد التحتيه السد اى محولون (الدهن كاملا) بحسن رها يهم ومن عسهم
(و مركون النبيه) اى المشهور باسابه وا ٥ عن يوم الجاهل له (خاملا) اى متروكا بابه ومجهولا بينه (منهم
البدوى) اى من يسكن البادية لا ح ٥ كون حا يهم صد المعرفه باديه (ذو اللفظ الجزل) بفتح الجيم وسكون الزاى
اى صاحب الالفاظ اى ٥ بها الجزالة والا لاسه الكا به فى الدلالة من مر ٦ ب الفصاحه والبلاغه (والقول الفصل)
اى البين امره والمبين حكمه (والكلام الفخم) اى العظيم المرام (والصبع الجوهرى) منسوب الى جوهر وهو معرب
واحده جوهره وهذا مدح بر ل ووصف جليل كذا ذكره الحلبى واقتصر عليه وو ٥ ع فى اصل الدلجى بلفظ
الجوهرى اى السديد الصوت العالى ولو وارده من جهر بصوته اذا جهر شدده وفى حديث العباس انه نادى
صوت جهورى والظاهر انه تصحيف فى لمبنى وتحريف فى المعنى اللهم الا ان يتكلف كما اقتصر عليه الدلجى
بقوله المراد بالصبع الحلية والجهورى الذى يداه ٥ ر من قولهم جهر الصوت اذا اظهره ورفعه اذا الصبع لا يصله والملام
لا يلائمه كما لا يخفى على من تأمله (و المرع الغوى) بفتح الميم والزاى واى والمشرب الصافى (ومنهم الحضرى) بفتحتين
ى من يسكن الحضر ضد البادية من المصر والقريه (ذو البلاغه البارعه) اى الفائقه اللائقه (والالفاظ الناصعه)
ى الخالصه من شوائب الركاكه للبلاغه ما٥ بها وفصاحه فيها (والكلمة الجامعه) اى لمعان كثيرة يشمله
فى ضمن ٥ ن امره (والطبع السهل) اى المنقاد للاهل كالماء فى سلاسته والنسيم فى لطافته (والتصرف فى اء ل
القلل الكامله) اى التيسر المو ٥ اسهوله المعونه (الامر) اى وفى فعول الحكم (الروى الرفق الحـ ـد) اى الجزل
الحسن فى المبنى والمطلب الطرف فى المعنى (وكلا الفريقين) اى الذين تكلم كل (فى كل مقام نطاق) لما قصد من المرام
(فلهما فى البلاغه الجد الـ ـعد) اى الواصله الى مقام اسهـ ـد والعبد وقد المصنف الحضرى قبلهما الى ـ ى كلا
وهو مذهب الكوفى ولختار رأى البصرى وهو انـ ـ د الضمير باعتبار على اللفظ و به جا القرآن فى قوله سبحانه وتعالى
كلتا الجنتين آتت اكلها (والقوه الدافعه) اى الساحقه للامور الفاعه ومنه قوله تعالى بل نقذف بالحق على
الباطل فيدمغه وفى حديث على داع حش الاباطيل (والقدح) بكسر القاف اى السهم والمراد به
وحده الازلام لا الذى عـ ل ان راس كما سوهم من نظر الحلبى نعم هو اصله لكن قصدها وصله لـ ـ د قوله (الفلج)
بكسر اللام اى الفوز ٥ ا سـ (والمهيع) بفتح الميم والتحتيه اى الصريق الواسع (الناهج) اى السبيل السالك الواضح
فى حدـ ـ على انهموا الفلج والزموا المهيع (لا تسكون ان الكلام طـ ع مرادهم) اى منقاد لما يرون من ارادتهم
(والبلاغه لا تلث جيادهم) بكسر الميم ٥ كسر العين وهو حبل ٥ ر ٥ به الدابه ذكره الحلبى فكم من ا صداى تعدوه
عما ارادوا والاظهر انه مانه ٥ هو من القود وهو السوق من قدام اى تقودونه حيث شاؤا من روائع الطائفه
وبدائع جوارحه (فرحوا) بفتح الواو اى جاوا وجمعوا (ضموا) اى من مانعها (واستصوبوا ونبها) اى استخرجوها
من ـ السها ليالها (ودخلوا من كل باب من ابوابها وعلوا صرحها) اى قصورا باهرا (للولوع امستابها و ٥ ا و ا
فى الحضر والهوى) بفتح الميم اى فى العظيم والظاهر (و عبروا فى امث) بفتح العين المعجمه وتشديد المثناه اى الهزول
(والسمين) ومنه قول ابى ٥ اس لمى امه الملى بان عل بـ ٥ مالك بن مروان فعليه حيه من سمين هزيله والمعنى
فه روا فى كلامهم بين اسلوب واسلوب واراد وارادوا ان تفنـ ـ ان وشمرا بهمه ـ فى كل مراد (ويقولوا) اى
٥ مدهم (فى القـ ـل والكثر) بضم اولهما اى فى القليل والكثير مدحا وهجوا واخبارا واطنابا (ويجيلوا)

بالسين المهملة والجيم مأخوذ من السجل وهو الدلو اى تناوبوا وتراسلوا (فى النظم والنثر) اى تفاخروا وتكاثروا وعن ابن الحنفية رحمه الله تعالى انه قرأ هل جزاء الاحسان الا الاحسان فقال هي مسجلة للبر والفاجر اى مرسلة مطلقة فى الاحسان الى كل واحد من افراد الانسان ومنه قولهم الحرب سجال (فما راعهم) اى ما افزعهم شئ اليم (الا رسول كريم) اى جاءهم بخلاف هواهم لكن معه هداهم وطريق مناهم حين اتاهم (بكتاب عزيز) اى بديع منيع رفيع حيث لا نظير لمثله (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) اى لا يتعلق البطلان به بوجه من وجوهه (تنزيل من حكيم حميد) يحمده خلقه بما ظهر عليهم من نعمه (احكمت آياته) اى نظمت نظما محكما متقنا لا يغشاه خلل لا لفظا ولا معنى (وفصلت كلماته) اى ميزت وبينت ما يحتاج اليه فى ابواب الدين من عقائد واحكام واخبار ومواعظ ووعد ووعيد على وجه اليقين (وبهرت بلاغته العقول) اى غلبتها (وظهرت فصاحته على كل مقول) اى نظما ونثرا (وتظافر) بالظاء المشالة اى تظاهر وتغالب على غيره (ايجازه واعجازه) اى مبنى ومعنى ومنه قوله ان اظفركم عليهم وهو الموافق لما فى النسخ المصححة وتصحف على الدلجى فقال تضافر بالصاد من تضافر القوم تعاونوا (وتظاهرت حقيقته ومجازه) اى تعاونت لبلوغهما اقصى مراتبهما (وتبارت) بمثناة فوقية فموحدة اى تعارضت (فى الحسن مطالعه ومقاطعه) والمعنى تجارت فيه فواتح سوره وآياتها وقصصها وخواتمها تسارعا وتسابقا لا يتصور له لاحق فضلا عن ان يوجد له سابق ثم التبارى معتل لا مهموز وفى الحديث نهى عن اكل طعام المتباريين اى المتسابقين المتعارضين بفعلهما ليغلب احدهما الآخر فى ضعفهما وانما كرهه لما فيه من المباهاة والرياء او لاشتمالهما على عدم الرضى لاعطائهما بسيف الحياء ويمكن حمل كلام المصنف على هذا المعنى اى تعارضت مطالعه ومقاطعه فى الحسن وتغالبت كأن كل واحدة منهما غالبت اختها وعارضت شبيهتها (وحوت) اى جمعت (كل البيان) بالنصب اى جميع ما يحتاج الى البيان من جهة الاديان (جوامعه) اى بكلم قليلة وحكم جزيلة (وبدائعه) اى على اوفق ايجاز واوثق اعجاز (واعتدل مع ايجازه) اى استقام قاله الدلجى والاظهر توسط بين غاية الاطناب ونهاية الايجاز (حسن نظمه) وفى نسخة حسن لفظه بجزالة بلاغته وغرابة براعته (وانطبق) اى احتوى (على كثرة فوائده) اى من معانيه (مختار لفظه) اى من ايجاز مبانيه (وهم افسح) اوسع (ما كان فى هذا الباب) اى باب السؤال والجواب (مجالا) اى قوة واحتمالا وفى نسخة صحيحة افصح بالصاد وهو ظاهر المراد (واشهر فى الخطابة) اى فى باب المخاطبة والمحاورة (رجالا) ولو قال فى الخطاب لكان سجعا لما فى الكتاب من لفظ الباب ثم نصب مجالا ورجالا كليهما على التمييز المحول عن الفاعل فيهما والجملتان حاليتان اى مجالهم ورجالهم اذ مجالهم فى باب البلاغة اظهر ورجالهم فى باب الفصاحة اشهر (واكثر) اى من غيرهم (فى السجع) اى فى الكلام المقفى فى النثر (والشعر) بزيادة قيد الموزون فى النظم (ارتجالا) اى انتقالا من كلام الى كلام ومن مرام الى مرام بقوة تفننهم فى نوعى الكلام ووقع فى اصل الدلجى بالجيم فقال اى بدون تروى ومهلة اذ كان لهم سجية وطبيعة انتهى وفى القاموس ارتجل الكلام تكلم به من غير ان يهيئه وفى نسخة سجالا اى تارة وتارة باعتبار المناوبة او المبالغة (واوسع) اى ممن عداهم (فى الغريب) اى غريب الاستعمال (واللغة) بالمعنى الاعم المتناول للقريب والغريب على وجه الكمال (مقالا) اى قالا مما يوجب حالا ومنالا (بلغتهم) متعلق بكتاب او حال منه اى حال كونه بالسنتهم (التى بها يتحاورون) اى يتجاوبون فى محاوراتهم (ومنازعهم) بفتح الميم اى محال المنازعة بمعنى المجاذبة فى الاعيان والمعانى (التى عنها يتناضلون) بالضاد المعجمة اى يتغالبون بالكلام من النظم والنثر (صارخا بهم) اى حال كون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم او القرآن المعظم داعيا لهم ومناديا عليهم (فى كل حين) اى زمان من ليل ونهار منفردين او مجتمعين تسجيلا عليهم بانكارهم للدين واستكبارهم عن الحق معرضين (ومقرعا) بتشديد الراء المكسورة بعد القاف اى وموبخا (لهم بضعا وعشرين عاما) بكسر الموحدة وقد تفتح ما بين الثلاث الى التسع والمراد به هنا ثلاثة على الصحيح من انه بعث على رأس الاربعين وعاش ثلاثا وستين وقيل خمسا وستين وقيل ستين وقد جمع بين الاقوال الثلاثة كما هو مقرر فى محله ولعل المصنف لوقوع اختلاف ما اطلق بضعا وعشرين عاما (على رؤس الملاء) اى من اشرافهم ورؤسائهم (اجمعين ام يقولون افتراه) اقتباس اورده شاهدا بثبوت نبوته وام بمعنى بل والهمزة للانكار اى بل ايقولون اختلقه محمد وجاء من عنده وكذب على ربه (قل) اى لهم ان كان الامر كما زعمتم وتوهمتم (فأتوا) على صورة الافتراء (بسورة) اى باقصر سورة (مثله) اى تماثله فى بلاغة مبانيه وفصاحة معانيه فانكم عربيون مثلى بل انتم مشهورون بالخطابة نظما ونثرا من قبلى (وادعوا من استطعتم من دون الله) اى استعينوا بمن يمكن استعانتكم به من غيره تعالى على الاتيان بسورة مثله لا به تعالى لى قادر عليه بانفراده (ان كنتم صادقين) اى فى انه اتى به من عنده (وان كنتم فى ريب) اى فى شك وشبهة

(مما نزلنا على عبدنا) اى فى كل سورة (فأتوا بسورة من مثله الى قوله ولن تفعلوا) وهو قوله ان كنتم صادقين فى انه سبحانه وتعالى ما انزله عليه وما اوحاه اليه فان لم تفعلوا اى فى الحال ولن تفعلوا اى فى الاستقبال فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة وفيه الآية متنادية عليهم بعجزهم عن المعارضة فى الازمنة الحاضرة مع اخباره سبحانه وتعالى ان الخلق كلهم عاجزون عن الاتيان بمثله الى يوم القيامة (وقوله) اى واصرح من هذا كله قوله تعالى (قل لئن اجتمعت الانس) ومنهم اصناف العرب (والجن) ومنهم انواع الملائكة (على ان يأتوا بمثل هذا القرآن) فى كماله مبناه وجمال معناه (الآية) يعنى قوله لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا اى متعاونين على الاتيان بمثله وقال الدلجى ولم يدرج الملائكة فى الفريقين مع عجزهم ايضا عنه لانهما المتحديان به اتوى ولا يخفى ان ادراجهم معهم كما قررناه والاولى فانه اظهر فى التحدى لاسيما وقد قال بعض العلماء بان نبينا مبعوث الى الملائكة بل الى الخلق كافة كما قررناه فى محله اللائق به (وقيل) اى فى آية اخرى وفى نسخة وقال (فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) اى مختلقات من عند انفسكم وحاصله انه الزمهم الحجة باتيان قرآن مثله ثم ارخى العنان بتنزله الى عشر سور منه ثم تحداهم بسورة واحدة كائنة من عندهم تسهيلا للامر عليهم وتسجيلا بنداء العجز لديهم كذا قرره الشراح وهو المتبادر مما يأتى فى كلام المصنف على ما حرره وفيه انهم من اول الوهلة طولبوا المعارضة لا بعد تمام القرآن سورة وسورة والقرآن كما يطلق على الكل يطلق على البعض كما عرف فى علم الاصول بما يؤيده من دليل المنقول والمعقول فالوجه ان المراد بالقرآن قدر ما يتعلق به المعجزة وهو اقصر سورة او قدرها من آيات وحروف وكلمات ونحوه قوله تعالى قل فأتوا بحديث مثله ان كنتم صادقين وعلى كل تقدير فالتحدى بعشر سور مثله ثم كان الزام وا ثبات عجزهم (وذلك ان المفترى) بفتح الراء على ما صرح به الحلبى وغيره (اسهل) اى اهون تلفيقا (ووضع الباطل والمختلق) بفتح اللام اى المكذوب (على الاختيار) اى اختيار المعارض (اقرب) اى انسب توفيقا واروج تلفيقا ومع ذلك لم يجدوا اليه طريقا (واللفظ) اى امسد وضعه فى المعنى الفصيح (اذا تبع المعنى الصحيح كان اصعب) اى تركيبا واتعب تهذيبا وهذا ايضا وجه عجزهم عن المعارضة لان القرآن جمع بين غرائب المعانى وعجائب البيان (ولذلك) وفى نسخة ولهذا اى ولكون المبنى اذا تبع المعنى اصعب فى المدعى (قيل فلان يكتب كما يقال له) فيحقق الكلام ما قيل له من احسان معانيه عن ازهار مبانيه ويراعى جمع ما اوتيه بتحريره ويدفع كل ما ينافيه بتقريره حتى يستحسنه المملى اذ هو مرامه فى شأنه ما كان عاجزا هو عن اداء بيانه (وفلان يكتب) اى ما يقال له الا انه (كما يريد) اى نفسه لانه كما يراد منه بحسب انفسه (وللاول) اى من الكاتبين (على الثانى فضل) اى مزيد سديد (وبينهما شأو بعيد) وفى نسخة صحيحة شأو بعيد وهو بفتح الشين المعجمة وسكون الهمزة فواو اى مدى ونهاية وسبق وغاية والمعنى فرق بعيد وفصل عريق لاتيان الاول بالمأمور به مفرغا فى قالب مراد آمره دون الثانى لاتيانه بمأموره فى قالب مراد نفسه اذا عرفت ذلك (فلم يزل) صلى الله تعالى عليه وسلم (يقرعهم) بتشديد الراء (اشد التقريع) تفسير قوله (ويوبخهم غاية التوبيخ) اى اسوأه ولا يبعد ان يكون احدهما بمعنى يهددهم بل هو اولى لان التأسيس بالنسبة الى التأكيد اعلى (ويسفه احلامهم) بتشديد الفاء اى ينسب عقولهم الى السفه ويعدهم سفهاء كقوله تعالى سيقول السفهاء وقوله الا انهم هم السفهاء (ويحط) بضم الحاء وتشديد الطاء اى ينكس (اعلامهم ويشتت) بتشديد التاء الاول اى يفرق (نظامهم) ويفرق مرامهم (ويذم آلهتهم) اى يعيبها فى حد ذاتها بقوله الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها (واياهم) اى ويعيبهم على عبادتها بقوله ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم وقوله مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وامثالهما (ويستبيح ارضهم وديارهم واموالهم) اى بالاستيلاء عليها (وهم) اى والحال انهم (فى كل هذا) اى مما ذكر من الاحوال (ناكصون) اى راجعون القهقرى الى ورا (وعن معارضته محجمون) بحاء ساكنة فجيم مكسورة اى متأخرون (وعن مماثلته) لظهور مباينته (يخادعون انفسهم بالتشغيب) اى بتهييج الشر واثارة الفتنة والمخاصمة بين القريب والغريب وفى نسخة بالتكذيب وجمع بينهما اصل الدلجى وهو لا يناسب التهذيب خصوصا مع تكرار الباء وعدم العاطف المفيد للجمع او الترتيب (والاغراء بالافتراء) اى الحث والالزام على وجه الترام نسبة سيد الانبياء بالافتراء على خالق الاشياء وقد تصحف الاغراء على الدلجى بتوهم الاعتزاء على ما فى بعض النسخ فقال من عزاه اذا نسبه واضافه الى آخر ما ذكره (وقولهم) اى ويقول بعضهم كالوليد بن المغيرة كما حكى الله عنه بقوله ثم ادبر واستكبر فقال (ان هذا) اى ما هذا (الا سحر يؤثر) اى يروى عن اهل بابل وغيرهم وانما قال هذا الكلام حين سمع النبى عليه الصلوة والسلام يقرأ حم السجدة فقال لقد سمعت من محمد

كلاماليس بكلام انس ولاجن وانه ليعلو ولايعلى فقيل قدصبا الوليد فقال ان اخيه انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما احماه فقال لهم تزعمون ان محمدا مجنون هل رأيتموه يخنق وزعمتم انه كاهن هل رأيتموه تكهن وانه شاعر هل رأيتموه يقول شعرا قالوا لافقال ماهو الاساحر اما رأيتموه يفرق بين المرء واهله وولده ومواليه فاهتز النادى فرحا وفى نسخة زيدهنا ان هذا الاقول البشر (وسحر مستمر) اى وقول بعضهم كما حكى الله تعالى عنهم وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر اى هواوهذا سحر مطرد دائم صادر عنه اوذاهب باطل كما قاله قتادة ومجاهد رحمة الله تعالى عليهما اوقوى محكم يغلب كل سحر كما قاله ابو العالية والضحاك (وافك افتراه) اى وقال الذين كفروا ان هذا الاافك افتراه اى كذب صرفه عن وجهه واختلقه من تلقاء نفسه واعانه عليه قوم آخرون (واساطير الاولين) اى وقالوا هذا اوهو اقاويلهم المزخرفة التى سطرها المتقدمون اكتتبها اى استكتبها لنفسه فهى تملى عليه بكرة واصيلا (والمباهتة) اى والاغراء بالمباهتة من بهته اذا رماه بما يتحيرمنه والمعنى ويخادعون انفسهم باكاذيب وافترا آت يحيط بهم ضررها ويحيق بهم مكرها ولايتخطاهم اثرها (والرضى بالدنيئة) بالهمز وقد يسهل اى وبرضاهم منه بالخصلة الردية (كقولهم قلوبنا غلف) جمع اغلف اى هى مغشاة باغطية لايصل اليها هداية ولارواية (وفى اكنة) اى وقالوا قلوبنا فى اكنة اى فى اغطية (مما تدعونا اليه) اى مانعة من وصوله اليها فضلا عن حصوله لديها (وفى آذاننا وقر) اى ثقل وصمم (ومن بيننا وبينك حجاب) اى حاجز مانع من تقربنا اليك ومن نفعنا بما لديك وزيد من تلو بحابان الحجاب ابتدأ منهم وانتشأ عنهم وامتد مستوعبا للمسافة المتوسطة بينهما بحيث لم يبق فراغ فيها (ولاتسمعوا) اى وقال الذين كفروا لاصحابهم واحبابهم لاتسمعوا (لهذا القرآن والغوا فيه) اى بخرافات الكلام وساقطات المرام (لعلكم تغلبون) اى قارئه بتشويش خاطره الباعث على ترك قراءته (والادعاء مع العجز) اى وبمجرد دعواهم مع ظهور عجزهم عن مدعاهم (بقولهم لونشاء لقلنا مثل هذا) ولعمرى اى مانع كان لهم لوساعدتهم الاستطاعة ان يشاؤا ذلك حيث تحداهم وقرعهم بالعجز مع فرط انفتهم واستنكافهم ان يغلبوا لاسيما فى ميدان الفصاحة والبيان والتجأوا الى معالجة السلاح من السيف والسنان والعاقل لايترك الاسهل ويتبع الاثقل (وقد قال لهم الله تعالى وان تفعلوا فان لم تفعلوا ولن تفعلوا) فاخباره صدق وكلامه حق (ومن تعاطى ذلك) اى ومن تجرأ على قصد المعارضة فى ميدان الفصاحة والبلاغة (من سخفائهم) اى سفهائهم (كمسيلمة) اى الكذاب بهذيانات مخترعات منها قوله ياضفدع الا تنقين اعلاك فى الماء واسفلك فى الطين لاالماء تكدرين ولاالشراب تمنعين ومنها قوله حين سمع اول سورة النازعات والزارعات زرعا والحاصدات حصدا والذاريات قمحا والطاحنات طحنا والخافرات حفرا والباردات بردا واللاقمات لقما لقد فضلتم على اهل الوبر وماسبقكم اهل المدر ومنها قول آخر الم تركيف فعل ربك بالحبلى اخرج من بطنها نسمة تسعى وقال آخر الفيل ماالفيل وماادراك ما الفيل له ذنب وثيل ومشفر طويل وان ذلك من خلق ربنا لقليل (كشف عواره) بفتح العين المهملة وتضم وقيل الضم افصح اى اظهر عيب نفسه (للجميعهم) اى من عقلائهم اذلم يكن ماعارضه به من بديع كلامهم وبليغ نظامهم بل كان مما ينفر عنه الطبع السليم وينبو عنه السمع القويم من قلة سلاسته وكثرة ركاكته واغرب من هذا انه لما قتل مسيلمة على يد المسلمين من الصحابة قال رجل من بنى حنيفة يرثيه

(لهفى عليك ابا ثمامه * لهفى على ركن اليمامه)

(كم ايةلك فيهم * كالشمس تطلع من غمامه)

حكاه السهيلى وقال كذب بل كانت اياته معكوسة وراياته منكوسة فانه كما يقال تفل فى بئر قوم سألوه ذلك تبركا فملح ماؤها ومسح رأس صبى فقرع قرعا فاحشا ودعا لرجل فى ابنين له بالبركة فرجع الى منزله فوجد احدهما قد سقط فى البئر والآخر قد اكله الذئب ومسح على عينى رجل استشفى بمسحه فابيضت عيناه (وسلبهم الله تعالى ما ألفوه) اى استعملوه (من فصيح كلامهم) اى فى صحيح مرامهم وهذا يوهم ترجيح القول بالصرفة كما فهم الدلجى وصرح بقوله ولااقول به بل الصارف عن معارضته كمال بلاغته وانا اقول وانما صرفوا عن ما ألفوا لما اراد الله بهم من فضاحتهم والا لو عارضوا بطبق كلمات محاوراتهم لربما اوهموا الضعفاء انهم قاموا بمعارضتهم كما يشير اليه قوله (والا فلم يخف على اهل الميز) اى اصحاب التمييز (منهم انه) اى كلامهم هذا فى مقام معارضتهم (ليس من نمط فصاحتهم) بضم النون والميم اى من نوعها (ولاجنس بلاغتهم) اى فنها (بل ولوا) اى اهل الميز من عقلائهم ولو كانوا من فصحائهم وبلغائهم (عنه مدبرين) اى اعرضوا عن الاتيان بمثله مولين بادبارهم عن نحوه (واتوا مذعنين) اى منقادين مقرين بكونهم عاجزين غايته انهم صاروا مفترقين (من بين مهتد) اى مصدق به وبمن انزل عليه من جهة رسالته

(وبين مفتون) اى متحير فى بديع بلاغته وعظيم فصاحته متعجب من عجزهم عن معارضته (ولهذا) اى ولكونه ليس من نمط فصاحتهم وجنس بلاغتهم (لما سمع الوليد بن المغيرة من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية) يعنى وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون (قال) اى الوليد (والله ان له لحلاوة) وفى نسخة حلاوة اى لذة عظيمة يدركها من له سجية سليمة (وان عليه لطلاوة) بفتح الطاء وقد تضم اى رونقا وحسنا فائقا (وان اسفله لمغدق) بغين معجمة اسم فاعل من الغدق بفتحتين وهو كثرة الماء تلويحا بغزارة معانيه فى قوالب مبانيه وفى نسخة لمغدق من غيرميم وضبط بفتح عين مهملة فسكون ذال معجمة استعارة من النخلة التى ثبت اصلها وهى العذق وهو رواية ابن اسحق وبفتح معجمة وكسر مهملة من الغدق وهو الماء الكثير وهو رواية ابن هشام قال السهيلى ورواية ابن اسحق افصح لانها استعارة تامة يشبه آخر الكلام اوله قال الحلبى فوجه اللفظ الذى قاله القاضى من الكلام على رواية ابن اسحق وابن هشام (وان اعلاه لمثمر) اشارة الى غزارة نفعه وزيادة رفعه بكرم فوائده وعظم عوائده (ما يقول هذا) اى مثل هذا (بشر) اى مخلوق وفى اصل الدلجى ما هذا بقول بشر وفى حاشية الحلبى قال العراقى فى كتاب الاحياء عند آداب تلاوة القرآن حديث ان خالد بن عقبة جاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اقرأ على فقرأ عليه ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية فقال اعد فاعاد فقال ان له لحلاوة الخ كما هو فى الاحياء وذكره ابو عمر وابن عبد البر فى استيعابه بغير اسناد ورواه البيهقى فى شعب الايمان من حديث ابن عباس بسند جيد الا انه قال الوليد بن المغيرة بدل خالد بن عقبة كما قال القاضى وكذا ذكره ابن اسحق فى السيرة فان صح ما قاله العراقى تبعا لما فى الاستيعاب فانهما قضيتان والله تعالى اعلم بالصواب (وذكر ابو عبيد) بالتصغير وفى نسخة ابو عبيدة بزيادة تاء وهو الامام الحافظ القاسم بن سلام بتشديد اللام البغدادى معدود فى من اخذ من الشافعى الفقه وكان اماما بارعا فى علوم كثيرة منها التفسير والقرا آت والحديث والفقه واللغة والنحو والتاريخ قال الخطيب كان ابوه سلام عبدا روميا لرجل من اهل هراة سمع ابو عبيد اسمعيل ابن جعفر وشريكا واسمعيل بن عياش وابن علية وغيرهم وروى عنه محمد بن اسحق الصاغانى وابن ابى الدنيا والحارث ابن ابى اسامة وآخرون توفى سنة اربع وعشرين ومائتين (ان اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر) ما مصدرية او موصولة وعائدها محذوف اى اجهر بامرك او بالذى تؤمر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او افرق بين الحق والباطل على ان اصل الصدع بالحجة هو التمييز والابانة وتتمة الآية واعرض عن المشركين اى ولا تبال بانكار من انكر وباشراك من كفر (فسجد) اى الاعرابى لله واغا دلنا ابداه (وقال سجدت لفصاحته) اى لوصوله نهاية فصاحته وبلوغه غاية بلاغته (وسمع آخر) اى اعرابى آخر او رجل آخر من المشركين (رجلا) اى من المسلمين (يقرأ فلما استيأسوا منه) اى حين يئسوا من يوسف اذ لم يجبهم وزيادة السين والتاء للمبالغة (خلصوا نجيا) اى انفردوا واعتزلوا متناجين فى تدبير امرهم ووحده لكونه مصدرا او فعيلا (فقال اشهد ان مخلوقا) اى احدا من الانام (لا يقدر على مثل هذا الكلام) اى فى غاية النظام ونهاية المرام (وحكى ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان يوما) اى من الايام (نائما فى المسجد) ولعله كان معتكفا فى مسجد سيد الانام (فاذا هو) اى عمر (بقائم) اى واقف (على رأسه) ووقع فى اصل الدلجى وعلى رأسه قائم فقال جملة حالية (يتشهد شهادة الحق) اى يأتى بكلمتى الشهادة على وجه الاخلاص وطريق الصدق (فاستخبره) اى عمر عن سبب ذلك الخبر والمعنى انه طلب منه خبره وما اوجب اثره (فاعلمه) اى ذلك القائم (انه) اى باعتبار اصله (من بطارقة الروم) بفتح الباء الموحدة جمع بطريق بكسرها وهو كالامير والوزير فى اقتهم (ممن) اى وانه من جملة من (يحسن كلام العرب) اى فهمه (وغيرها) اى وغير لغة العرب او كلامهم من كلام الترك والعجم والهند ونحوها (وانه سمع رجلا من اسراء المسلمين) اى من اسرائهم فى ايدى اعدائهم (يقرأ آية من كتابكم فتأملتها فاذا) اى هى كما فى نسخة (قد جمع) بصيغة المجهول اى اجتمع (فيها ما انزل الله على عيسى ابن مريم من احوال الدنيا) اى من علائق المعاش (والآخرة) اى من لواحق المعاد (وهى) اى تلك الآية الجامعة (قوله تعالى ومن يطع الله) فى فرائضه (ورسوله) اى فى سننه او فى جميع ما يأمرانه وينهيانه (ويخش الله) اى ويخف خلافه وعقابه وحسابه (ويتقه) فيه قرا آت مشهورة فى محلها مسطورة اى ويتق الله فيما بقى من عمره فى جميع امره (الآية) تمامها فاولئك هم الفائزون اى الظافرون بالمراد فى المبدأ والمعاد (وحكى الاصمعى) وهو عبد الملك بن اصمع المصرى صاحب اللغة والغريب والاخبار والملح ولد سنة ثلاث وعشرين ومائة (انه سمع جارية) اى بنتا او امة او كذا خادمة تتكلم بعبارة فصيحة واشارة مليحة وهى خماسية او سداسية وهى تقول استغفر الله من ذنوبى كلها فقال لها مم تستغفرين ولم يجر عليك قلم فقالت * استغفر الله لذنبى كله * قتلت انسانا بغير حله *

(مثل غزال ناعم فى دله * انتصف الليل ولم اصله)

(فقال لها قاتلك الله ما افصحك) اى هى حقيقة بان يقال لها ذلك تعجبا من فصاحة قولها كما يقال قاتله الله ما اعجب فعله اى بلغ فى الكمال غاية لم يصل غيره اليها فاستحق ان يحسد فيه فيدعى عليه (فقالت او) بفتح الواو (بعد هذا) بصيغة المجهول والمفهوم من الدلجى ان اصله بصيغة الخطاب المعلومة حيث قال عطف على مقدراى ايعجبك وتعده (فصاحة بعد قوله تعالى واوحينا الى ام موسى) اى اشرنا اليها الهاما اومناما (ان ارضعيه) اى اخفيه ما امكنك فيه (الآية) وهى قوله تعالى فاذا خفت عليه اى من لحوق الهم فالقيه فى اليم ولا تخافى عليه ضياعه ولا تحزنى فراقه انا رادوه اليك لتقرى عينا وجاعلوه من المرسلين عنا بمرأى منا (فجمع) اى الله سبحانه وتعالى (فى آية واحدة بين امرين) هما ارضعيه والقيه (ونهيين) اى لا تخافى ولا تحزنى (وخبرين) يعنى واوحينا فاذا خفت عليه (و بشارتين) اى رادوه وجاعلوه (فهذا) اى الجمع بين المذكور فى الآية ذكره الدلجى والاظهر ان هذا الذى ذكر من غاية الفصاحة ونهاية البلاغة فى هذه الآية وغيرهما ماسبق ذكره (نوع من انجازه) اى اعجاز القرآن (منفرد) وفى نسخة مستقل (بذاته غير مضاف الى غيره) اى من انواعه المتعلقة بصفاته من حيث اخباره عن مغيباته وانبائه عن احكام عباداته ومعاملاته ومأموراته ومنهياته (على التحقيق) اى عند اهل التوفيق (وعلى الصحيح من القولين) اى اللذين سبق ذكرهما بالتصريح فان الاول وهو الاولى هو القول بانه خارج عن قدرة البشر وثانيهما انه صرفهم عن معارضته خالق القوى والقدر فتأمل وتدبر (و كون القرآن) اى نزوله باعتبار ظهوره ووصوله (من قبل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بكسر القاف وفتح الموحدة اى من جانبه وطرف حصوله (وانه اتى به معلوم ضرورة) اى بديهة لا يفتقر الى اقامة بينة ولا قيام حجة (وكونه عليه الصلاة والسلام متحديا به) اى طالبا لمعارضته ولو باقصر سورة (معلوم ضرورة وعجز العرب عن الاتيان به) اى المتحدين به الموجودين فى زمنه (معلوم ضرورة وكونه) اى القرآن (فى فصاحته) اى وبلاغته (خارقا للعادة معلوم ضرورة للعالم) بكسر اللام وفى نسخة صحيحة للعالمين اى للعلماء (بالفصاحة ووجوه البلاغة) اى لمقاماتها المقتضية (وسبيل من ليس من اهلها) اى من المعرفة بفنون الفصاحة ووجوه البلاغة (علم ذلك) بكسر العين وفى نسخة بصيغة الماضى معلوما وقيل مجهولا والاول هو المعول اى هو ان يعلم كون القرآن فى الفصاحة والبلاغة معجزة خارقا للعادة (بعجز المنكرين) اى لكونه كلام الله تعالى (من اهلها عن معارضته واعتراف المقرين) اى بكونه كلامه (و) اعتراف (المفترين) اى القائلين بافترائه (باعجاز بلاغته) اى لهم عن مناقضته (وانت) اى ايها المخاطب (اذا تأملت) اى من جهة الاعجاز الباهر فى الاعجاز الظاهر (قوله تعالى ولكم) اى ولغيركم (فى القصاص حيوة) اى المودع فيه من بدايع التركيب وروائع الترتيب مع ما فيه من المطابقة بين معنيين متقابلين وهما القصاص والحياة ومن الغرابة بجعل القتل الذى هو مفوت الحياة ظرفا لها ومن البلاغة حيث اتى بلفظ يسير متضمن لمعنى كثير فان الانسان اذا علم انه اذا قتل اقتص منه دعاه الى ردعه عن قتل صاحبه فكانه احيى نفسه وغيره فيرتفع بالقصاص كثير من قتل الناس بعضهم بعضا فيكون القصاص حياة لهم مع ما فى القصاص من زيادة الحياة الطيبة فى الآخرة وهو اولى من كلام موجز عندهم وهو القتل انفى للقتل فى قلة المبانى وكثرة المعانى وعدم تكرار اللفظ المفر للحظ وفى الايماء الى ان القصاص الذى بمعنى المماثلة سبب للحياة دون مطلق القتل بالمقابلة اذ ربما يكون سببا لفتنة فيها قتل فئة وفساد جماعة (وقوله) بالنصب (ولو ترى اذ فزعوا) اى عند موتهم اوبعثهم او وقت هلاكهم (فلا فوت) اى لهم من الله بهرب وسبب غريب (واخذوا من مكان قريب) اى من ظهر الارض الى بطنها او من الموقف الى النار قعرها او من نحو صحراء بدر الى قليبها (وقوله تعالى ادفع) اى سيئة من اساء اليك من الكائنات (بالتى) اى بالحسنة التى (هى احسن) الحسنات او بالخصلة التى هى احسن الاخلاق فى المعارضات من الحلم والصبر والعفو وما يمكن دفعها به من المستحسنات (فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم) اى صديق قريب رفيق (وقوله وقيل يا ارض ابلعى ماءك) اى انشفى (ويا سماء اقلعى) اى امسكى (الآية) يعنى وغيض الماء اى نقص وقضى الامر اى امر هلاك الاعداء وانجاء الاحباء واستوت استقرت السفينة على الجودى جبل بالموصل او الشام روى انه ركبها عاشر رجب وهبط منها بعد استقرارها عليه عاشر شهر المحرم وصامه فصار سنة وقيل بعدا للقوم الظالمين اى هلاكا لهم حين وضعوا العبادة فى غيره موضعها وفى نداء الارض والسماء مع انهما ليستا من العقلاء ايماء الى باهر عظمته وقاهر قدرته حيث انقادتا لما اريد منهما ايجادا واعداما كما حكى الله سبحانه وتعالى عنهما بقوله فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين امتثالا لامره وانقيادا لحكمه مهابة من عظمته ومخافة من سطوته وان اردت تفصيل

مايتعلق بهذه الآية في الجملة فعليك بشرح الدلجي حيث ذكر بعض مايتعلق بها من حسن مبانيها ولطائف معانيها و بدائع الحكم التي اودعت فيها (وقوله تعالى فكلا) اي عقب ارسالنا الانبياء الى اممهم وتكذيبهم لهم كلا منهم (اخذنا بذنبه) عاقبناه باصراره على كفره وعدم رجوعه الى توحيد ربه (فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا) اي ريحا عاصفا فيه حصباء وهم قوم لوط (الآية) تمامها ومنهم من اخذته الصيحة وهم ثمود ومدين ومنهم من خسفنا به الارض وهو قارون ومنهم من اغرقنا وهم قوم نوح وفرعون مع قومه (واشباهها) بالنصب اي امثال هذه الآية ووقع في اصل الدلجي واشباهه فقال اي اشباه ماذكر (من الآي) اي من سائر آيات القرآن (بل اكثر القرآن) اي وبل اذا تأملت اكثر القرآن اي مما هو يحمل من ايجاز لا يرام واعجاز لا يسام (حققت) جواب اذا تأملت اي عرفت (ماينته من ايجاز الفاظها) اي مبانيها (وكثرة معانيها وديباجة عبارتها) اي بما يكسوها زينة اشارتها (وحسن تأليف حروفها) اي من غير تنافر فيما بينها (وتلاؤم كلمها) بفتح فكسر اي توافق كلماتها وتناسبها في مقاماتها قال الدلجي وقد تخفف همزة تلاؤم فتصير ياء من الملايمة اي الموافقة لاواوا وما روى في الحديث بها فتحريف لااصل له لان الملاومة مفاعلة من اللوم انتهى ولا يخفى ان تخفيف الهمزة المضموم بعد الالف لا يعرف الا بالواو كالتاوش واما عروض المشابهة بعد التخفيف فلا عبرة به اصلا كما حقق في تخفيف رآه وامثالها (وان تحت كل لفظة منها) اي من مبانيها (جملا) اي من جمل الكلام المجمله (كثيرة) اي من معانيها (وفصولا جمة) اي غزيرة من الفصول المهمة والامور المتمة (وعلوما زواخر) لها في مقام الكثرة فواخر كما قال ابن عباس

(جميع العلم في القرآن لكن * تقاصر عنه افهام الرجال)

وقد سئل بعض الحكماء من بعض العلماء مافي كتاب الله تعالى من علم الطب فقال كله في نصف آية هي قوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال صدقت وبالحق نطقت (ملئت الدواوين) اي الدفاتر (من بعض ما استفيد منها) اي مما يعسر احصاؤه (وكثرت المقالات في المستنبطات عنها) اي مما لا يمكن استقصاؤه (ثم هو) مبتدأ اي القرآن الكريم (في سرد القصص الطوال) اي في ايرادها متتابعة (واخبار القرون السوالف) اي اهلها السوابق متوالية (التي يضعف) اي يعجز (في عادة الفصحاء عندها الكلام) اي اطوالها (ويذهب ماء البيان) اي عند ارادة تقرير فصولها (آية) خبر المبتدأ اي علامة ظاهرة (لمتأمله) اي لمتذكره وحجة باهرة لمتدبره (من ربط الكلام) اي من جهة ارتباط اجزاء كلامه (بعضه ببعض) في ترتيب مقامه وتحصيل مرامه (والتئام سرده) اي وتناسب ماقبله لما بعده (وتناصف وجوهه) اي توافق ضروبه وتعانق فنونه كان كلا منها انصف الآخر في اخذ حظه من قولهم تناصفوا اذا انصف بعضهم بعضا من نفسه (فقصة يوسف على طولها) اي المشتملة على دررها وغررها من بيان ابوابها وفصولها (ثم اذا رددت) اي تكررت (قصصه) بكسر القاف جمع قصة بخلاف فتحها فانه مصدر قص كما يستفاد من قوله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص وليس كما يتوهم جمع بانه جمع (اختلفت العبارات) اي ايجازا واطنابا وتفننا في بيانها غيبة وخطابا (عنها) اي عن تلك القصة (على كثرة ترددها) اي مع كثرة ترددها وتكرارها (حتى تكاد كل واحدة) اي من القصص (تنسى) بضم التاء وكسر السين مخففا ومثقلا اي تذهب على خاطر المستمع المصغي المتأمل (في البيان) اي في مراتب بيانه ومناقب شانه من القصص (صاحبتها) اي نظيرتها (وتناصف) بضم التاء وكسر الصاد اي وتحاكي (في الحسن) اي في حسن نمط التمها حال مقابلتها مرآة (وجه مقابلتها) بكسر الباء (ولا نفور للنفوس من ترديدها) اي ولا تنفر النفوس النفيسة من سماع تكريرها وتعداد تقريرها (ولا معاداة) اي من احد (لمعادها) بضم الميم اي لمكررها والضمير للقصص على منوال ماقبلها ووقع في اصل الدلجي لمعاده بافراد الضمير المذكر فقيل اي القرآن والحاصل انه كما قال الشاطبي

(وخير جليس لا يمل حديثه * وترداده يزداد فيه تجملا)

وكما قال غيره

(اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره * هو المسك ما كررته يتضوع)

ولكن هذا بالنسبة الى صاحب قلب سليم لا الى من له طبع سقيم

(فصل)

(الوجه الثاني من اعجازه) اي من وجوه ضبط انواع اعجاز القرآن (صورة نظمه العجيب) لما فيه من بدائع التركيب وروائع الترتيب (والاسلوب) بضم الهمزة واللام الفن (الغريب) وكان المناسب ان يقول واسلوبه الغريب (المخالف) اي بغرابته مع نهاية فصاحته وغاية بلاغته (لاساليب كلام العرب) اي لما اودع فيه من دقايق البيان

وحدائق العرفان وحسن العبارة ولطف الاشارة وسلامة التركيب وسلاسة الترتيب (ومناهج نظمها) اى طرق مبانيها الواضح البين عند اهلها (ونثرها) اى خطبا ورسائل وغيرها (الذى جاء عليه) اى نزل على وفقه القرآن ايماء بان ما تحيروا عنده انما هو كلام منظوم من عين ما ينظم كلامهم منه ليعلموا انه ليس من كلام النبى الكريم بل هو منزل عليه من عند الله العظيم (ووقفت مقاطع آيه) اى اواخر وقوف فواصلها من التام والكافى والحسن باختلاف محالها وزيد فى اصل الدلجى هنا لفظ عليه فقال اى على الاسلوب الغريب الذى قصرت عن وصف كنه اعجازه العبارة اذ الاعجاز كالملاحة يدرك ولا يوصف بالاشارة (وانتهت فواصل كلماته اليه ولم يوجد قبله) اى من الكتب المتقدمة (ولا بعده) اى ولا يتصور ان يوجد بعده (نظيرله) اى شبيهه ومثله فى حسن المبانى ورونق المعانى (ولا استطاع احد مماثلة شئ منه) اى لجزالة فصاحته وفخامة بلاغته (بل حارت فيه عقولهم) اى تحيرت (وتداهت) بالدال المهملة وفى نسخة تولهت بالواو اى اندهشت (دونه) اى عنده (احلامهم) اى فهومهم فى تصوره وتدبره (ولم يهتدوا الى مثله) اى الى اتيان شبهه (فى جنس كلامهم من نثر ونظم اوسجع) اى فى احدها (اورجز) بفتح الراء والجيم وفى آخره زاى وهو من بحور الشعر وانواعه وقيل لايسمى شعرا ولذا عطف عليه بقوله (اوشعر) وعلى الاول يكون تعميما بعد تخصيص وضبط فى بعض النسخ بفتح الزاى وسكون الجيم فى آخره راء والظاهر انه تصحيف لعدم المناسبة بين السابقة واللاحقة (ولما سمع كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم الوليد بن المغيرة) وهو والد خالد رضى الله تعالى عنه لكن هلك على دينه لقلة تقيده (وقرأ عليه القرآن رق) بتشديد القاف اى تأثر باستماعه لما القى عليه (فجاءه ابوجهل) وهو ابن اخيه (منكرا عليه) اى رقته لديه (قال) وفى نسخة فقال اى الوليد (والله ما منكم احد اعلم بالاشعار) اى بانواع الشعر (منى والله مايشبه الذى يقول شيئا من هذا) اى من جنس الشعر (وفى خبره الاخر) اى عن الوليد كما رواه البيهقى عن ابن عباس (حين جمع قريشا عند حضور الموسم) اى قرب ورود اهله وهو بفتح ميم وكسر سين قال اليمنى موسم الحاج مجمعهم سمى بذلك لانه معلم يجتمع اليه وهو يصلح ان يكون اسما للزمان والمكان انتهى والظاهر الاول فتأمل (وقال) وفى نسخة فقال (ان وفود العرب) جمع وفد وهو القوم يجتمعون ويردون البلدة والقرينة لا ترد تحوجهم الى النقلة (ترد) اى يجيئون اليكم وينزلون عليكم (فاجمعوا فيه رأيا) بفتح الهمزة وكسر الميم من اجمع الامر وازمعه اذا نواه وعزم عليه اى اجمعوا بالعزم على رأى فيه صلى الله تعالى عليه وسلم ومنه قوله تعالى فاجمعوا كيدكم وقرأ ابوعمرو بهمزة الوصل وفتح الميم ووجهه ظاهر ولا يبعد ان ينضبط هنا كذلك ايضا اى اجمعوا رأيا فيه لا يوجد ماينا فيه كما اشار اليه بقوله (لايكذب بعضكم بعضا) وهو بتشديد الذال وتخفف كما قرئ بهما فى قوله تعالى فانهم لايكذبونك والمعنى لاينسب بعضكم بعضا الى الكذب (قالوا) وفى نسخة فقالوا (نقول كاهن) وهو من يزعم انه يخبر عن الكائنات فى الازمنة الآتية ويدعى معرفة اسرار المغيبات الماضية وكان فى العرب كهنة كشق وسطيح وهما اللذان خبرا ببعث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فمنهم من زعم ان له رأيا من الجن يلقى اليه اخبارا يسترقها من السماء ويلقطها مما يراه فى اطراف الارض ومنهم من زعم انه يعرف الامور بمقدمات اسباب من كلام من يسئله اوفعله اوحاله ويخصونه باسم العراف كمن يزعم معرفة المسروق ومكان الضال وحلوان الكاهن والعراف حرام (قال) اى الوليد (والله ما هو بكاهن) اذ لم يعهد منه صلى الله تعالى عليه وسلم انه سلك طريقهم فى تزوير اقاويل باطلة روجها بسجع فى كلمات متقابلة اذ كانوا يروجون اخبارهم المزورة واقوالهم المصورة باسجاع من خرفة تزوق السامعين يستميلون بها قلوبهم واوهامهم ويستصغون اليها اسماعهم وافهامهم ولا يتكلمون الا بالسجع المتكلف فى تأدية مرامهم ومن ثم عاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قول من قال فى حديث قتل الجنين كيف ندى من لا اكل ولا شرب ولا استهل ومثل ذلك يطل اى يهدر وفى رواية بطل انما هذا من اخوان الكهان لما تضمنه سجعه من الباطل ومالبس تحته طائل والافقد ورد السجع فى كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا (ما هو) اى ليس كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم المعنى به القرآن اومطلق مايظهره فى عالم البيان (بزمزمته) اى بزمزمة الكاهن (ولا سجعه) وهو صوت خفى لايكاد يفهم فكانه والله تعالى اعلم اذا اراد حضور قرينه من الجن زمزم له فحضر عنده واخبره والنفى الثانى بمنزلة الدليل للنفى الاول فتأمل اومعطوف عليه بحذف الباء كما سيأتى فى قرانه هذا وقيل زمزمة الكهان صوت يديرونه فى خياشيمهم وافواههم من غير صريح نطق وربما افهموا به من الفهم (قالوا مجنون) اى مصاب اختلط عقله من مس الجن على مايعتقدون فيما يزعمون ولقد رأى رجل قوما مجتمعين على انسان فقال ما هذا قالوا مجنون قال هذا مصاب انما المجنون الذى يضرب بمنكبيه و ينظر فى عطفيه و يتمطى فى مشيته وما احسن مقابلته

بالمصابية المعطى في دفعه عن صوب الصواب لكونه اصيب بآفة في عقله الخارج عن دائرة اولى الالباب (قال) اي الوليد (ما هو بجنون ولا بخنقه) بفتح الخاء المعجمة وكسر النون واسكانها وفتحها وبالقاف مصدر لدخول حرف الجر عليه ولا المزيدة لتأكيد النافية السابقة والمقصود انه ليس بفعل من كان به قال الحلبي الخنق بكسر النون كذا في غير مؤلف في اللغة ولكن في مطالع ابن قرقول قال يضبط المصدر بفتح النون والاسكان ولم يتعرض للكسر فتحصل من ذلك ثلاث لغات في المصدر انتهى وفي القاموس اقتصر على الاول حيث قال خنقه خنقا ككتف فهو خنق ايضا وخنيق ومخنوق انتهى والمصدر هنا بمعنى المفعول اي ليس هو ممن اصابه الجن وخنقه ولا وسوس في صدره لعدم ظهور اثره في امره كما افاده بقوله (ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال) اي الوليد (ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله) اي اصنافه بحوره مأخوذ من الشعور وقال الحلبي هو مصدر شعرت بالشيء بالفتح اشعر به اي فطنت له ومنه قولهم ليت شعري اي ليتني علمت وفي الاصطلاح هو الكلام المقفى المقصود به الشعر ليخرج ما لم يقصد مما وافق في الوزن والتقفية كما جاء في القرآن والسنة وعبارات الائمة من غير قصد ويقال في كلامه سبحانه وامثاله انه غير مقصود بالذات والا فلا يتصور بدون ارادته وقوع شيء من الكائنات (رجزه وهزجه) بفتحتين فيهما (وقريضه ومقبوضه ومبسوطه) بيان لبعض انواعه واصول اصنافه هذا وقوله قريظه في النسخ بالظاء المشالة وفي اصل الدلجي بالضاد المعجمة فقال فعيل بمعنى مفعول من القرض وهو لغة القطع وسمي الشعر قريضا لان قارضه اي الشاعر يورده قطعا قطعا انتهى وهو الموافق لما في القاموس في حرف الضاد من قوله قرضه قطعه وجازاه كقارضه والشعر قاله ومنه لي الحلبي وسمي قريضا لكونه يقرض ويقال قرظه اذا مدحته ويجوز ان تكتب هذه اللفظة بالضاد والظاء (ما هو بشاعر) تأكيد للاول وفي نسخة وما هو بشاعر انطقه الله تعالى بالصدق وما وفقه للحق فاقر به في الظواهر وما الغمه في السرائر فهو ممن اضله الله على علم بقدرته القاهرة وارادته الباهرة (قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده) بالجر فيهما على انهما معطوفان على مدخول الباء اي ولا هو نفث الساحر اي نفخه ولا عقده في خيطه عند نفثه ومنه قوله تعالى ومن شر النفاثات في العقد (قالوا فما نقول قال ما انتم بقائلين شيئا من هذا) اي مما رميتموه به من الاباطيل (الا وانا اعرف انه باطل) اي وليس تحته طائل (وان اقرب القول انه ساحر) بفتح الهمزة على انه مع اسمه وخبره خبران الاول فتأمل ولا تتبع طريق الدلجي في ضبط الهمزة بالكسر على انه مقول اقول مقدر حيث قال واقرب القول فيه ان يقال انه ساحر (ثم قال) اي الوليد (فانه سحر) اي كلامه مشابهه حال كونه (يفرق) اي به كما في نسخة اي بكلامه المماثل للسحر (بين المرء وابنه) اي اعز اولاده واقاربه وفي نسخة وابيه اي والده الذي هو اقرب اصلا قد واجداده (والمرء واخيه) اي شقيقه واقوى قريبه ورفيقه (والمرء وزوجه) اي امرأته او الشخص الشامل للمرأة وزوجها باحد معنييه (والمرء وعشيرته) اي عموم قرابته بواسطة المخالفة في دينه وملته (فتفرقوا) اي راضين على هذا القول من ذلك المجلس (وجلسوا على السبل) اي سبل الوافدين وطرق الواردين (يحذرون الناس) اي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومتابعته واقتفاء منهجه وطريقه (فانزل الله تعالى في الوليد) اي ما يشير الى الوعيد الاكيد تهديدا شديدا (ذرني ومن خلقت وحيدا) حال من التاء في ذرني اي اتركني معه وحدي فانا اكفيكه او من العائد المحذوف اي ومن خلقته وحيدا لا مال له ولا ولد له فريدا او تهكم به صرفا له عن كونه لقب مدح له لانه وحيد قومه في الدنيا تقدما ورياسة ويشار الى ذمه وعيبه بما يقتضي ان يكون وحيدا في شره (الآيات) اي من قوله تعالى وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا الى قوله سبحانه وتعالى فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر (وقال عتبة بن ربيعة) اي ابن عبد شمس ابن عبد مناف قتل في بدر كافرا وقد قتل قبله حمزة حين كبر هو وعلي جليسه (حين سمع القرآن يا قوم قد علمتم اني لم اترك شيئا الا وقد علمته وقرأته وقلته والله لقد سمعت) اي من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (قولا والله ما سمعت مثله قط ما هو) اي ليس قوله (بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة) وقال النضر بن الحارث نحوه (وفي حديث اسلام ابي ذر) اي الغفاري بكسر المعجمة وقد رواه مسلم (ووصف) اي والحال انه قد وصف ابو ذر (اخاه انيسا) بضم الهمزة وفتح النون وسكون التحتية صيغة مصغر وكان ابو ذر ارسله قبل اسلامه الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة والقصة مشهورة وهو صحابي معروف (فقال) اي ابو ذر (والله ما سمعت باشعر) اي باكثر شعرا واحسن نظما (من اخي انيس لقد ناقض) اي عارض (اثني عشر شاعرا) اي معروفا (في الجاهلية انا احدهم وانه) اي انيسا (انطلق الى مكة وجاء الى ابي ذر) بتقدير بالمعنى او الالتفات في المبنى وفي نسخة وجاءني (بخبر النبي) اي باخبار بعثته واظهار نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم (قلت فما يقول الناس) اي في وصفه ونعته

(قال يقولون شاعر كاهن ساحر) اى هم مختلفون بين قول شاعر وكاهن وساحر اوهم قائلون بانه لايخلو عن واحد من هؤلاء الطوائف المذكورة اومدعون بانه جامع بين هذه الاوصاف الثلاثة المسطورة ثم قال اخوا بى ذر (لقد سمعت ماقال الكهنة) اى كثيرا (فما هو) اى قوله (بقولهم) اى لعدم المناسبة (ولقد وضعته) اى كلامه (على اقراء الشعر) بفتح الهمزة وسكون القاف فراء ممدودة اى طرقه والقواعد اى انواع بحوره (فلم يلتئم) اى لم يلايم على شئ من اوزانه (ومايلتئم) اى ومايتفق (على لسان احد بعدى) اى غيرى ايضا (انه شعر) اذالشعراء اتفقوا على ذلك لما استوزنوا كلامه على اقراء شعرهم هنالك (وانه) اى النبى عليه الصلوة والسلام (لصادق) اى فى دعوى الرسالة فى قوله نقلا عن ربه وماعلمناه الشعر وماينبغى له (وانهم لكاذبون) فى كونه شاعرا اوكاهنا اوساحرا (والاخبار فى هذا) اى المعنى المذكور والمدعى المسطور (صحيحة) اى اسنادا (كثيرة) متناصرة صحيحة دلالة (والاعجاز) اى عن الاتيان بمثل هذا القرآن (بكل واحد من النوعين) اى اللذين احدهما (الايجاز والبلاغة بذاتها) اى بانفرادها فهما مرفوعان كما فى بعض النسخ على انهما خبران لمبتدأ مقدر وفى بعضها بكسرهما على كونهما بدلين من النوعين وفى نسخة والايجاز والبلاغة بذاتهما على انهما عطف بيان لما قبلهما والحاصل ان الايجاز والبلاغة كلاهما نوع كما سبق ذكره حيث عبر عنهما بصورة نظمه العجيب والنوع الآخر وهوالذى بينه بقوله (اوالاسلوب الغريب بذاته) اى مع قطع النظر عن بقية صفاته وفى نسخة ان بدل اوواووجهه لايظهر فتأمل وتدبر ثم صرح بمقصوده فى ضمن وروده تحت قوله (كل واحد منهما) اى من النوعين وهو النظم العجيب والاسلوب الغريب (نوع اعجاز على التحقيق) اى عند ارباب التوفيق واصحاب التدقيق وفى نسخة نوع ايجاز والظاهر انه تصحيف اذ فى المعنى تحريف (لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما) اى لابالنظم العجيب ولا بالاسلوب الغريب (اذكل واحد) اى من النوعين (خارج عن قدرتها) اى عن قدرة العرب العرباء (مباين لفصاحتها وكلامها) اى مغاير لفصاحتهم وبلاغتهم من الشعراء والخطباء (والى هذا) اى القول بان كل واحد منهما نوع اعجاز بذاته (ذهب غيرواحد) اى كثيرون (من ائمة المحققين) بسلامة فطنتهم وصحة فطرتهم (وذهب بعض المقتدى بهم) بفتح الدال اى بعض من يقتدى الناس بهم ويميلون فى الجملة الى تقليدهم وقبول قولهم (الى ان الاعجاز فى مجموع البلاغة) اى المتضمنة للفصاحة (والاسلوب) اى من جهة الغرابة والحاصل ان تحقق الاعجاز بهما مجتمعا لابكل واحد منهما منفردا (واتى على ذلك) اى واستدل على ماذهب اليه اى من ان الاعجاز فى مجموعهما (بقول تمجه الاسماع) بضم الميم وتشديد الجيم اى تدفعه الطباع السليمة وتقذفه الفهوم المستقيمة (وتنفر منه القلوب) اى من اول الوهلة ومبدأ المقدمة (والصحيح ماقدمناه) اى من كون الاعجاز لكل واحد منهما بذاته منفردا (والعلم بهذا كله ضرورة قطعا) عند اصحاب الذوق من ان وجه الاعجاز امر من جنس البلاغة يدرك كالملاحة ولايوصف ولاطريق اليه من جهة الصنيع الامعرفة علوم المعانى والبيان والبديع مع معونة فيض الهى يورث العلم بكون ذلك ضرورة قطعا (ومن تفنن) وفى نسخة ومن تكلم (فى علوم البلاغة) وفى نسخة فى فنون البلاغة اى ومن علم فنون البلاغة وصنوف الفصاحة (وارهف خاطره) بالنصب اى رقق وحدد ذهنه بتوجه جنانه (ولسانه) اى بتحصيل بيانه (ادب هذه الصناعة) فاعل ارهف والمعنى ان من اكثر ممارستها واطال خدمتها حتى صارت له بديهة فعرفتها (لم يخف عليه ماقلناه) اى قدمناه كما فى اصل الدلجى من ان كلا منهما نوع اعجاز بذاته منفردا عند اهل التحقيق بصفاته (وقد اختلف ائمة اهل السنة) وفى نسخة ائمة المسلمين (فى وجه عجزهم عنه) اى عن الاتيان بمثله (فاكثرهم يقول) اى قالوا مستمرين على قولهم (انه) اى وجه عجزهم (مماجمع) بصيغة المجهول وفى نسخة بصيغة الفاعل اى جمع الله (فى قوة جزالته) اى لطائف معانيه (ونصاعة الفاظه) اى شرائف مبانيه بخلوصها من شوائب الركاكة وتنافر الكلمات والغرابة (وحسن نظمه وايجازه) اى واستحسان نظم المعانى الكثيرة فى ضمن المبانى اليسيرة من غير خلل فى مبناه ولاقصور فى معناه (وبديع تأليفه واسلوبه) اى على صنيع منيع ليس على اساليب نظم الشعراء ولانثر الخطباء (لايصح ان يكون فى مقدور البشر) لاشتماله على لطائف وشرائف فى باب البلاغة والفصاحة الى ان خرج عن طاقة الخلق فتعين انه من كلام الحق (وانه من باب الخوارق الممتنعة عن اقدار الخلق) بفتح الهمزة اى مقدوراتهم (عليها كاحياء الموتى وقلب العصا وتسبيح الحصى) اى ممالايقدر عليه غيره تعالى (وذهب الشيخ ابوالحسن) اى على بن اسمعيل بن اسحق بن سالم بن عبدالله بن امير العراقين بلال ابن ابى بردة ابن ابى موسى الاشعرى امام السنة (الى انه) اى القرآن (مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر) اى فى الجملة ممن هو ماهر فى وجوه البلاغة وباهر فى فنون الفصاحة (ويقدرهم الله عليه) بضم الياء

وكسر الدال اي وان نعطيهم القدرة والقوة على الاتيان بمثله لانه من جنس نتائج افكارهم وكرائم اسرارهم (ولكنه) الضمير للشان (لم يكن هذا ولا يكون) اى هذا وفى نسخة زيد هذا هو الشان اى الشان عدم قدرتهم عليه (فعجزهم الله عن هذا وعجزهم عنه) بتشديد الجيم اى وجعلهم عاجزين عن امر المعارضة فى ميدان المقاومة (وقال به جماعة من اصحابه) اى من علماء الامة لكن هذا هو القول بالصرفة وقدمنا انه مرجوح عند اكابر الائمة (وعلى الطريقين) اى من ان كونه معجزا لذاته عن مقاومته او بتعجيزه سبحانه وتعالى اياهم عن معارضته (عجز العرب عنه ثابت) اى بلا شبهة (واقامة الحجة عليهم) اى واقع (بما يصح ان يكون فى مقدورهم) وفى نسخة مقدور البشر اى على ماذهب اليه الاشعرى وبعض اتباعه (وتحديهم) اى وطلب معارضته صلى الله تعالى عليه وسلم اياهم (بان ياتوا بمثله قاطع) اى ملازمة (وهو) اى تحديه ان ياتوا بمثله مع كونه مما يصح ان يكون فى مقدورهم (ابلغ فى التعجيز واحرى) اى الق واولى (بالتقريع) اى بالتوبيخ (والاحتجاج) مبتدأ اى والاستدلال على عجزهم (بمجئ بشر مثلهم) وفى نسخة منهم اى من جملتهم (بشئ ليس من قدرة البشر لازم) اى على القول بانه معجز بنفسه للعرب واساويه الغريب (وهو) اى كونه ليس من قدرة البشر (ابهر آية) اى اظهر علامة (واقمع) اى اقهر (دلالة) اى فى ثبوت الحجة (وعلى كل حال) اى تقدير من قول الانتصار بالصرفة والبلاغة (فما اتوا) بقصر الهمزة اى فما جاؤا (فى ذلك) اى فى معارضته (بمقال) اى فى مقام جدال (بل صبروا على الجلاء) بفتح الجيم اى الخروج من اوطانهم (والقتل) اى وعلى قتل ابنائهم واخوانهم (وتجرعوا كاسات الصغار) بفتح الصاد الحقارة (والذل) اى المسكنة والمهانة (وكانوا) اى والحال انهم كانوا (من شموخ الانف) بضم الشين المعجمة اى من شماخته ورفعته كبرا وعلوا وهو بفتح الهمزة وسكون النون عضو معروف وجمعه انوف وفى نسخة بضمتين على انه جمع انف وضبطه الحلبي بهمزة ممدودة بمعنى وضم نون على انه جمع آخر (واباءة الضيم) بكسر همزة فموحدة فالف بعدها همزة اوياء فتاء وفى نسخة بغيرتاء وفى اخرى الصبر بدل الضيم وكلاهما بفتح الصاد اى وكانوا من منوع الضيم تحاميا عنه وتباعدا منه (بحيث لا يؤثرون ذلك) اى لا يختارون ما ذكر من الجلاء والقتل والصغار والذل (اختيارا) اى طوعا ولا يرضونه (الا اضطرارا) اى كرها (والا) اى وان لم يكن الامر من عجزهم وصبرهم على ذلهم (فالمعارضة) اى للقرآن وسائر المعجزات (لو كانت من قدرهم) بضم وفتح اى مقدوراتهم (والشغل بها اهون عليهم) والظاهر ان يقال فالشغل باداة او لكان الشغل ولعل الجملة حالية وهو بضم فسكون وبضمتين وبفتح وبفتحتين اى الاشتغال بالمعارضة اسهل اليهم (واسرع بالنجح) بضم نون فسكون جيم اى بالظفر على المراد (وقطع العذر) اى العذرة عند العباد فى البلاد (وافحام الخصم) اى الزامه (لديهم) اى عندهم (وهم) اى والحال انهم (ممن لهم اقتدار) وفى نسخة قدرة (على الكلام) وفى نسخة وهم من هم قدرة بفتح الميم قدرة بفتح القاف والدال جمع قادر وفى اخرى وهم ممن هم قدرة بفتحتين وقدرة فى الجميع مرفوعة وفى اصل الدلجى وهم منهم قدرة بالنصب فعل تمييز للضمير المتصل قبله والجملة حالية من ضمير اليهم (وقدوة) عطف على قدرة وهو بضم القاف وكسرها وحكى فتحها اى اقتداء واسوة (فى المعرفة به) اى بالكلام (لجميع الانام) متعلق بالقدوة (وما منهم) اى من احد (الا من جهد جهده) بضم الجيم وفتحه اى بذل جده وبالغ اجتهاده (واستنفد) بالفاء والدال المهملة اى استفرغ (ما عنده) اى من قوة طاقته (فى اخفاء ظهوره) اى ظهور نور القرآن او علو نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم من جهة رفعة الشان (واطفاء نوره ويأبى الله الا ان يتم نوره ويعلو ظهوره) وهو مقتبس من قوله تعالى يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره (فما جلوا فى ذلك) اى فما اظهروا فى مقام المعارضة مما اجتهدوا فيه غاية المجاهدة (خبيئة) بفتح الخاء المعجمة وكسر الموحدة فتحتية ساكنة فهمزة مفتوحة او مبدلة مدغمة اى مخبوءة ومخفية (من بنات شفاههم) بفتح الموحدة قبل النون اى من كلمات صدرت من افواههم والشفاه بكسر الشين المعجمة جمع الشفة بفتحها وتكسر وشفتا الانسان طبقاه (ولا اتوا بنطفة) اى ولا جاؤا بقطرة يسيرة (من معين مياههم) اى من طوافح انهار بلاغتهم واسرار فصاحتهم بل صاروا بكما فى معارضتهم (مع طول الامد) اى الزمان (وكثرة العدد) اى الاعوان (وتظاهر الوالد وما ولد) الاولى ان يقال والوالدين ومعاونتهم ومعاضدتهم فى مقام الرد واما ما فى نسخة من الامل باللام بدل الامد بالدال فتصحيف وتحريف (بل ابلسوا) بصيغة الفاعل اى آيسوا من المعارضة وتيئسوا من المقاومة (فما نبسوا) بفتح النون والموحدة المخففة وقيل المشددة وبضم السين المهملة اى فما نطقوا (ومنعوا) بصيغة المفعول اى فما عطوا القدرة على المقاومة (فانقطعوا) اى عن المعارضة (فهذان نوعان) وفى نسخة صحيحة نوعان (من اعجازه) اى اجتماعا او انفرادا

(فصل)

(الوجه الثالث من الاعجاز) اى من وجوهه (ماانطوى) اى اشتمل واحتوى (عليه من الاخبار) بكسر الهمزة اى الاعلام (بالمغيبات) اى الكائنات فى الازمنة السابقة (ومالم يكن ولم يقع) اى بعد (فوجد) اى فى الايام اللاحقة (كما ورد) اى مطابقا لماورد (على الوجه الذى اخبر كقوله تعالى) خطابا للنبى عليه الصلوة والسلام واصحابه الكرام (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله) تعليق لعدته بالمشيئة تعليما لعباده وايماء الى عدم وجوب شئ على الله تعالى فى تحقيق مراده وتلويحا بان بعضهم لايدخله لعلة من موت اوغيبة اوحكاية لما قاله ملك الرؤيا اوالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لاصحابه حالة الرواية (آمنين) حال من واو لتدخلن والجملة الشرطية معترضة (وقوله وهم من بعد غلبهم) اى والروم من بعد غلبة الفرس لهم (سيغلبون) الفرس وكانوا مجوسا والروم نصارى فورد خبر غلبة الفرس اياهم مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس اميون لاكتاب لنا وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن عليكم فنزلت الآية الى قوله فى بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لايخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لايعلمون يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون فقال ابو بكر رضى الله تعالى عنه لايقرن الله اعينكم فوالله لتظهرن الروم على فارس فى بضع سنين فقال ابى بن خلف كذبت اجعل بيننا و بينك اجلا فراهنه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلا الاجل ثلاث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال البضع مابين الثلاث الى التسع فزايده اى فى الابل وماده فى الاجل فجعلها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابى بعد قفوله من احد بجرح من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بسرف كافرا وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية فاخذ ابو بكر القلائص من ورثة ابى فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تصدق بها و به اخذ ائمتنا الحنفية جواز العقود الفاسدة فى دار الحرب واجاب الشافعية بانه كان قبل تحريم القمار والله تعالى اعلم (وقوله) اى وكقوله تعالى (هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره) اى ليغلب دين الحق ويعليه (على الدين كله) اى على جنس الدين جميعه بتمام افراده بتسليط المسلمين على اهله بالعزة والغلبة والقهر والقوة فضلا عن الحجة (وقوله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم الآية) اى فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم اى من الانبياء السالفة واممهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدوننى لايشركون بى شيئا (وقوله اذا جاء نصر الله والفتح) اى مكة (الى آخرها) اى الى آخر السورة اوالى آخر مايتعلق به معنى الآية وهو قوله ورايت الناس يدخلون فى دين الله افواجا (فكان جميع هذا كما قال) اى وقع كله اخبر عنه اى فكان جميعه كما قال معجزة ومن اعلام النبوة (فغلبت الروم فارس فى بضع سنين) اى يوم الحديبية قيل عند رأس سبع سنين وكان حقه ان يقول ايضا ودخل اهل الاسلام فى المسجد الحرام آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين غير خائفين فى عام عمرة القضاء وكان صلح الحديبية مقدمة فتح مكة وهذا وان كان باعتبار الآية الواردة فيه مقدما لكن وقوعه عن قضية غلبة الروم صار مؤخرا (ودخل الناس فى الاسلام) اى بعد فتح مكة (افواجا) اى فوجا بعد فوج من اهل مكة والطائف واليمن وغيرها (فمامات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفى بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام واستخلف) اى الله تعالى كما فى نسخة (المؤمنين فى الارض) اى فى عامة البلاد (ومكن فيها دينهم) اى ثبته فيمابين العباد (وملكهم اياها) اى الارض و بلادها (من اقصى المشارق الى اقصى المغارب) اى ليتم نظام مرادهم ويكمل امور معاشهم ومعادهم (كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فيما رواه مسلم عن ثوبان مرفوعا (زويت لى الارض) بضم الزاى وكسر الواو جمعت وطويت لاجلى (فاريت) بصيغة المجهول وفى اصل الدلجى فرأيت (مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتى مازوى لى منها) اى باسرها (وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) اى من التحريف بالزيادة والنقصان بما تواتر عند علماء الاعيان من قراء الزمان (فكان كذلك) اى بمقتضى حفظه (لايكاد يعد) بصيغة المجهول اى يحصر (من سعى فى تغييره) اى من مبانيه (وتبديل محكمه) اى فى معانيه (من الملحدة) اى المائلة عن الحق الى الباطل كالحلولية والاتحادية وامثالهما (والمعطلة) اى القائلة بتعطيل الكون من المكون كالدهرية ونحوها (لاسيما القرامطة) بالرفع على ان سى بمعنى مثل وماموصولة صدر صلتها محذوف اى ولامثل الذين هم القرامطة وبالجر على ان مازائدة وبالنصب على انها اداة استثناء وهم طائفة معروفة وقال بعضهم فرقة من الاباضية وهم اتباع حمدان القرمطى (فاجمعوا كيدهم وحولهم) اى جهدهم (وقوتهم) اى جلدهم (اليوم) اى الى يومنا هذا (نيفا) بفتح النون وسكون الياء مخففة وقيل مشددة مكسورة اى زيادة (على خمسمائة عام) اى بالنسبة الى تاريخ زمن المصنف واما الآن فهو نيف والف (فاقدروا) اى القرامطة

وغيرهم من الملاحدة ونحوهم (على اطفاء شيء من نوره ولا تغيير كلمة من كلامه) وفي نسخة صحيحة من كلمه بفتح وكسر ويجوز بكسر فسكون (ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه) اى لامن حروف مبانيه ولا من حروف معانيه ولا رديدهم في اعراب بل ولفظه مما يشد فيه في باب (والحمد لله) اى على تمام هذه المنة واتمام هذه النعمة (ومنه) اى ومن اعجاز القرآن في اخبار الغيب من مستقبل الزمان (قوله تعالى سيهزم الجمع) اى جمع اهل الكفر (ويولون الدبر) اى الادبار كما قرئ به وافرد لقصد الجنس ولارادة كل واحد ولمراعاة الفواصل وعن عمر رضي الله تعالى عنه لما نزلت لم اعلم ماهو حتى كان يوم بدر سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يلبس درعه ويقول سيهزم الجمع فعلمته (وقوله تعالى) اى ومنه قوله تعالى (قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم) اى قتلا (الآية) اى ويخزهم اسرا وينصركم عليهم نصرا ويشف صدور قوم مؤمنين اى مما امتلأت منهم ضجرا قيل هم خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بطون من اليمن وردوا مكة واسلموا فلقوا من اهلها اذى كثيرا فقال لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اصبروا فان الفرج قريب (وقوله تعالى) اى وكذا منه قوله تعالى (هو الذي ارسل رسوله بالهدى الآية) وقد سبق وهذا من التكرير في التعبير (وقوله لن يضروكم الا اذى) اى ضررا يسيرا كطعن في الدين وتهديد في التخمين (وان يقاتلوكم الآية) اى يولوكم الادبار اى منهزمين ثم لا ينصرون اى لا ينصر احد لهم ولا يدفع البأس منهم (فكان كل ذلك) اى فوقع هنالك كل ذلك كذلك من هزم جمعهم وتعذيبهم وشفاء صدور المؤمنين بنصرهم عليهم وانحصار الاذى في ضررهم وانهزامهم كبني قريظة والنضير وامثالهم (وما فيه) اى وكما في القرآن من كشف اسرار المنافقين واليهود ومقالهم) اى من ايضاح اقوالهم وافضاح احوالهم (وكذبهم في حلفهم وتقريعهم بذلك) اى ومن توبيخ الله اياهم بسوء اعمالهم وتقبيح آمالهم وتفضيح مآلهم (كقوله) اى كما في قوله سبحانه وتعالى (ويقولون في انفسهم) اى فيما بينهم او في نفوسهم (لولا يعذبنا الله بما نقول) اى هلا يعاقبنا لو كان نبيا في محمد طعنا منافيه وفي الاسلام ودفعا عنا بالسام بدل السلام قال الله تعالى وهو العليم الخبير حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير (وقوله) اى وكقوله تعالى في حق المنافقين (يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك الآية) يقولون لو كان لنا من الامر شيء كما زعم محمد ان الامر كله لله وان حزبه هم الغالبون ما قتلنا هنا ههنا اى في المعركة (وقوله) اى وكقوله تعالى في حق اليهود (من الذين هادوا) اى بعض اليهود منهم قوم (سماعون للكذب الآية) اى اكالون للسحت الخ (وقوله من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه) اى يميلونها عن مواضعها التي وضعها الله تعالى فيها بازالتها من مكانها واثبات غيرها في محلها او يتأولونها على ما يشتهون فيها (الى قوله طعنا في الدين وقد قال مبدئا) بالهمزة او الياء اى حال كونه تعالى مظهرا (ما قدره الله) بتشديد الدال اى ما قضاه (واعتقده) ويروى وما اعتقده (المؤمنون) اى مقتضاه الواقع (يوم بدر) على وفق رضاه من الظفر باحدى طائفتين العير والنفير (واذ يعدكم الله احدى الطائفتين) اى القافلة الراجعة من الشام او الطائفة الآتية من بيت الله الحرام (انها لكم) حاصلة من اموال احداها اوغنيمة اخراها (وتودون) اى تتمنون وتحبون (ان غير ذات الشوكة) وهي السلاح يعني العير المقبلة مع ابي سفيان (تكون لكم) حيث لا حدة فيها ولا شدة بخلاف ذات الشوكة من النفير وهو الجمع الكثير ممن نفروا مع ابي جهل من مكة لاستنقاذ العير واستخلاصهم من ايدي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه متقوين بكثرة عددهم وعددهم (ومنه) اى ومن اعجازه سبحانه وتعالى (قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين) اى الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدي او الحارث بن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب بن اسد قيل وكذا عمه ابو لهب وعقبة ابن ابي معيط والحكم ابن ابي العاص الا انه اسلم يوم الفتح والباقون اهلكوا بانواع من العقوبة (ولما نزلت) اى هذه الآية فيهم على ما رواه الطبراني في الاوسط (بشر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابه بان الله كفاه اياهم) اى شرهم واذاهم ورواه البيهقي وابو نعيم بمعناه (وكان المستهزؤن نفرا بمكة) اى جماعة ترصدي للواردين بها والصادرين منها (ينفرون الناس عنه) بتشديد الفاء اى يصدونهم عن الايمان به (ويؤذونه) اى يهجونه واضرابه (فهلكوا) اى بضروب البلاء وفنون الفناء فتم نوره وكمل ظهوره (وقوله والله يعصمك من الناس) عدة من الله تعالى بعصمة روحه من غوائل عدوه (فكان كذلك) اى كما اخبره من لا خلف في خبره (على كثرة من رام ضرره) اى مع كثرة من قصد ضره (وقصد قتله والاخبار بذلك معروفة) اى مشهورة في كتب المغازي وباب السير (صحيحة) اى مذكورة عند ارباب الاثر فعصمه الله تعالى وحفظه حتى انتقل من دار الدنيا الى منازل الحسنى في العقبى

(فصل)

(الوجه الرابع) اى من وجوه اعجاز القرآن (ما انبأ به) اى واعلم (من اخبار القرون السالفة) اى الماضية (والامم

البائدة) اى الهالكة الفانية (والشرايع الدائرة) اى الدارسة (مما كان لايعلم منه القصة الواحدة الا الفذ) بفتح الفاء وتشديد الذال المعجمة اى الفرد الواحد المنفرد عن اقرانه فى علو شانه (من احبار اهل الكتاب) بالحاء المهملة اى من علمائهم (الذى قطع عمره) اى صرفه (فى تعلم ذلك) اى الخبر الواحد من السنة كبرائهم اومن كتب فضلائهم (فيورده النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على وجهه) اذ لاينطق عن الهوى ان هو الاوحى يوحى (ويأتى به على نصه) اى كاقرأه عليه جبريل من غير تصرف فى لفظه (فيعترف العالم) اى منهم كما فى نسخة (بذلك) اى بسبب ما اورده (بصحته وصدقه) متعلق بيعترف (وان مثله لم ينله بتعليم) اى لم يصل اليه بواسطة تعليم وتعلم من الخلق وحينئذ قد يغترف من بحر تحقيقه و يتشرف بتوفيق تصديقه لعلمه انه اخبر الخلق بوحى من الحق (وقد علموا) اى جميعهم قبل ذلك (انه صلى الله تعالى عليه وسلم امى) اى فى جميع امره (لايقرأ ولايكتب) اى فى جميع عمره (ولااشتغل بمدارسة) اى مع العلماء (ولامثافنة) بالمثلثة والفاء والنون اى ولامجالسة مع الشعراء والفضلاء وفى نسخة بالقاف والموحدة ولعلها مصحفة اوبراد بها المزاحمة فى المعرفة من ثقوب الذهن وهو وصوله الى الصواب ثم هذا فيما بينهم (ولم يغب عنهم) اى غيبة يمكنه التعلم فيها من غيرهم (ولاجهل حاله احد منهم) اى منذ كان صغيرا الى ان بعث كبيرا لانه كان من اعيانهم والحاصل انه كما قال صاحب البردة ذائقا من هذه الزبدة * كفاك بالعلم فى الامى معجزة * (وقد كان اهل الكتاب) اى من اليهود والنصارى (كثيرا ما) اى فى كثير من الاوقات (يسألونه صلى الله تعالى عليه وسلم عن هذا) اى عن اخبار القرون الماضية (فينزل) بصيغة الفاعل او المفعول مخففا او مشددا (عليه من القرآن ما يتلوا عليهم منه ذكرا) اى بيانا لاعمالهم واحوالهم وماجرى لهم فى مآلهم (كقصص الانبياء مع قومهم) اى اقوامهم من اممهم اجمالا تارة ومفصلا اخرى وعموما مرة وخصوصا كرة كما اشار اليه بقوله (وخبر موسى والخضر) بفتح وكسر روى بكسر فسكون قيل لانه اذا جلس اوصلى اخضر ماحوله وفى البخارى انه جلس على فروة فاذا هى تهتز خلفه خضراء والفروة الارض اليابسة اوالحشيش اليابس وفى اسمه اختلاف وكذا فى كونه نبيا مرسلا اوغيره اووليا وبه جزم جماعة واغرب ماقيل فيه انه من الملائكة وقيل انه ابن آدم وقيل ابن فرعون وقال الثعلبى نبى على جميع الاقوال معمر محجوب عن الابصار واختلف فى حياته وقد انكرها جماعة منهم البخارى وقال ابن الصلاح هو حى عند جماهير العلماء والصالحين والعامة معهم على ذلك وانما شذ بانكارها بعض المحدثين قال الحلبى ونقل النووى عن الاكثرين حياته وقيل انه لايموت الافى آخر الزمان وفى صحيح مسلم فى احاديث الدجال انه يقتل رجلا ثم يحييه قال ابراهيم بن سفيان راوى مسلم يقال انه الخضر وكذا قال معمر فى مسنده واما ما استدل به البخارى ومن تبعه كالقاضى ابى بكر ابن العربى على انه مات قبل انقضاء المائة لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ارأيتكم ليلتكم هذه فانه على رأس مائة سنة لايبقى ممن هو على ظهر الارض احد فالجواب ان هذا الحديث عام فيمن يشاهده الناس و يخالطونه لافى من ليس كذلك كالخضر بدليل ان الدجال خارج عن هذا الحديث لما روى مسلم من حديث الجساسة الدال على وجود الدجال فى زمن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى بقائه الى زمن ظهوره مع ان مسلما روى عن ابن عمر ان المراد بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم على رأس مائة سنة لايبقى ممن هو على ظهر الارض احد انخرام ذلك القرن (ويوسف واخوته) كما هو مبين فى سورته باحسن صورته (واصحاب الكهف) قال الحلبى واختلف فى بقائهم الى الآن فروى عن ابن عباس انه انكر ان يكون بقى منهم شئ بل صاروا ترابا قبل المبعث وقال بعض اصحاب الاخبار غير هذا وان الارض لم تأكلهم ولم تغيرهم وانهم على مقربة من القسطنطينية وفى مكانهم اقوال وروى انهم سيحجون البيت اذا نزل ابن مريم قال الامام السهيلى القيت هذا الخبر فى كتاب البدء لابن ابى خيثمة هذا وقد اختلف فى عددهم ومدة اقامتهم (وذى القرنين) روى الحاكم فى المستدرك انه صلى الله تعالى عليه وسلم سئل عن ذى القرنين فقال لاادرى انبى هو ام لا وجاء فيه عنه عليه السلام انه كان ملكا مسح فى الارض بالاسباب وقيل فى قوله تعالى وآتيناه من كل شئ سببا اى علما يتبعه وفى قوله تعالى فاتبع سببا اى طريقا يوصله وقال ابن هشام فى غير السيرة السبب حبل من نور كان ملك يمشى به بين يديه فيتبعه واختلف فى تسميته بذى القرنين كما اختلف فى اسمه واسم ابيه فاصح ماقيل فى ذلك ما روى عن ابى الطفيل عامر بن واثلة قال سأل ابن الكواعلى ابن ابى طالب فقال ارأيت ذا القرنين انبيا كان ام ملكا فقال لانبيا كان ولاملكا ولكن كان عبدا صالحا دعا قومه الى عبادة الله فضربوه على قرنى رأسه ضربتين وفيكم مثله يعنى نفسه وقيل ذو القرنين ملك الخافقين و اذل الثقلين وعمر الفين ثم كان فى ذلك كلحظة عين (ولقمان وابنه) تقدم ذكرهما وفى سورته بعض حكمته (واشباه ذلك من الانبياء) كخبر نوح وابنه وابنى آدم (وبدء الخلق) اى ابتدائهم وانتهائهم (وما فى التوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء)

اى من اهل الكتاب (فيها) اى حين تلاها عليهم (ولم يقدروا) اى وما قدر احد منهم (على تكذيب ما ذكر منها)
بصيغة الفاعل او المفعول اى تكذيبه فى شئ ذكر من الكتب المذكورة (بل اذعنوا) اى انقادوا له (المدلية) اى
الملهم بصدقه (فمن موفق) بتشديد الفاء المفتوحة اى موافق (آمن) اى بالقرآن وما انزل عليه (بما سبق له) اى
فى الازل (من خير) اى من سابقة ارادة السعادة له (ومن شقى) اى مخذول (معاند حاسد) وزيد فى نسخة خاسر جاهل
وفى الحجازية روى خاسر وروى جاهل اى لم يصدقه بما سبق له فى الازل من سابقة ارادة الشقاوة له (ومع هذا
لم يحك عن احد) وفى اصل الدلجى ولم يؤثر عن واحد (من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له) اى مع مبالغتهم
فى معاندتهم له (وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما فى كتبهم) اى بما وجب العلم بانه رسول الله
الى كافة الناس (وتقريعهم) اى توبيخهم وردعهم (بما انطوت عليه مصاحفهم) اى بما اشتملت عليه كتبهم وكان
الاظهر ان يقول صحفهم او صحائفهم (وكثرة سؤالهم له عليه الصلوة والسلام) اى اختبارا وامتحانا (وتعنيتهم اياه)
اى تكليفهم له بما يشق عليه بكثرة سؤالهم (عن اخبار انبيائهم واسرار علومهم ومستودعات سيرهم) اى كل ذلك
تعنتا وعنادا لا تفهما وارشادا (واعلامه لهم بمكنون شرائعهم) اى مخفيها ومستورها (ومضمنات كتبهم مثل
سؤالهم) اى على لسان قريش اذنا والهم ساوه (عن الروح) كما رواه الشيخان (وذى القرنين واصحاب الكهف)
كما رواه ابن اسحق والسهيلى فان اجاب عنها او سكت فليس بنبى وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبى فسألوه
كما رواه الشيخان قصص اصحاب الكهف وذى القرنين وانهم امر الروح كما هو عندهم فى التوراة (وعيسى عليه الصلوة
والسلام) اى وسؤالهم عن عيسى فانه لاهل الكتابين (وحكم الرجم) فانه لليهود (وما حرم اسرائيل على نفسه)
اى وسؤالهم عنه كما روى الترمذى اى حرم باجتهاده او باذن من ربه لحوم الابل والبانها فانه لهم بقوله تعالى كل
الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية (وما حرم عليهم) بصيغة
المجهول (من الانعام) اى وسؤالهم عنه فانه بقوله سبحانه وتعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية
(ومن طيبات كانت احلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم) اى وسؤالهم عنها فانه بقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا
حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الآية (وقوله) اى ومثل قوله تعالى (ذلك) اى سيماهم فى وجوههم من اثر السجود
(مثلهم فى التورية ومثلهم فى الانجيل) اى كزرع اخرج شطأه فآزره الآية والمراد وصفهما العجيب الشان فيهما
(وغير ذلك من امورهم التى نزل فيها القرآن) اى لكشف مستورهم (فاجابهم) اى عن ذلك كله (وعرفهم بما اوحى
اليه من ذلك) اى من بيانه (انه) بفتح الهمزة متعلق بما سبق وما بينهما معترضة اى فلم يحك عن احد منهم انه (انكر ذلك
او كذبه بل اكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقالته) وفى نسخة صحيحة مقاله وفى اخرى بفتح الصاد وتشديد الدال
على انه فعل ماض ومقاله مفعوله (واعترف بعناده) اى انه اذ نفسه (وحسده اياه) وفى نسخة صحيحة وحسدهم
(كاهل نجران) بفتح النون وسكون الجيم طائفة من النصارى حين حاجوه فى عيسى فدعاهم الى المباهلة كما فى آيتها
وسيأتى تفصيل حكايتها (وابن صوريا) بضم الصاد وكسر الراء مقصورا وفى نسخة ممدودا ويقال له ابن صورى وقد
ذكر السهيلى عن النقاش انه اسلم ونقل ذلك الذهبى فى تجريد الصحابة (وابنى حطب) بالحاء المعجمة يهوديان معروفان
هكذا على كرهما (وغيرهم ومن باهت فى ذلك) اى فيما لم ينكر منه ولم يكذب فيه (بعض المباهتة) اى نوع من
المباهتة (وادعى ان فيما عندهم من ذلك لما حكاه) اى النبى عليه الصلوة والسلام (مخالفة دعى) بصيغة المجهول اى
فقد دعى من جانب ربنا سبحانه وتعالى (الى اقامة حجته وكشف دعوته) اى من ان عنده فيما حكاه مخالفة كما ادعته
لابراهيم عليه السلام فى تحليل لحوم الابل والبانها وروى وكشف عورته (فقيل له) اى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم
(قل فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين) روى انه صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجترؤا
ان يأتوا بها وهذا برهان عظيم على نبوته وصدق دعوته (الى قوله الظالمون) يعنى فمن افترى على الله الكذب اى بزعمه
ان ذلك حرم على بنى اسرائيل وعلى من قبلهم قبل نزول التوراة من بعد ذلك اى بعد ظهور الحق له وثبوت الحجة عنده
فاولئك هم الظالمون بعدم انصافهم من انفسهم ومكابرتهم وعنادهم بعد ما تبين الحق لهم (فقرع) بتشديد الراء
(ووبخ) بتشديد الموحدة اى فاظهر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم التقريع والتوبيخ لهم (ودعا) اى دعاهم
(الى احضار ممكن غير ممتنع) وهو الاتيان بالتوراة فلم يقدروا على ذلك وتفرقوا باختلافهم هنالك (فمن معترف
بما جحده) اى انكره اما بالسانه او بانصافه (ومتواقح) بالقاف والحاء اى ومن قليل حياء (يلقى) بضم الياء
وكسر القاف اى يضع (على فضيحته) اى الكاشفة عيبه التى هى ظاهرة (من كتابه يده) بانصاف على انه مفعول
يلقى وفى اصل الدلجى من كتابة يده بالاضافة والظاهر انه تصحيف بل تحريف وهى آية الرجم سترها بالفصيحة لا بيده

سبب اهلنك حالا قال الحلبي وقد جاء في صحيح البخاري ان عبد الله بن سلام قال له ارفع يدك يا عور وسماه بعض الحفاظ عبد الله بن صوريا الاعور الحبر الذي تقدم ذكره وانه اسلم بعده (ولم يؤثر) بصيغة المفعول اى ولم يرو واحد (ان واحدا منهم) اى من اهل الكتاب (اظهر خلاف) قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (من كتابه) وفي نسخة من كتبه (ولا ابدى) اى ولا اظهر (صحيحا ولا سقيما من صحفهم) جمع صحيفة والظاهر من تغاير المتعاطفين ان الصحيفة تطلق عن الكتاب الصغير والكتاب اذا اطلق فالمراد به الكبير وان كان معناه الاعم لاسيما حال الجمع بينهما وهذا اولى مما قال الدلجي من انه جمع بينهما وتفننا وترنساوبما يؤيد ما قدمناه حديث عيينة بن حصين انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتب له كتابا فلما اخذه قال يا محمد اترى انى حامل الى قومى كتابا كصحيفة المتلمس وهو شاعر معروف قدم هو وطرفة الشاعر على عمرو بن هند فنقم عليهما امرا فكتب لهما كتابين الى عامله بالبحرين يأمره بقتلهما واعطى كلا صحيفة وقال انى كتبت لكما بجائزة فاجتازا بالحيرة فقرأ المتلمس صحيفته فاذا فيها الامر بقتله فالقاها في الماء ومضى الى الشام وقال لطرفة اقرأ صحيفتك والقها فانها كصحيفتي فابى ومضى الى العامل فقتله فصار مثلا (قال تعالى يا اهل الكتاب) اللام لام الجنس والمراد بهم اليهود والنصارى جميعهم (قد جاءكم رسولنا) يعنى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم (يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) كنعته صلى الله تعالى عليه وسلم وآية الرجم مما في التوراة وبشارة عيسى به عليهما السلام مما في الانجيل (و يعفو عن كثير) اى مما يخفونه مما لا ضرورة الى تبيينه او عن كثير منكم لحلمه حيث لا يؤاخذه بجرمه (الآيتين) يعنى قوله تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام و يخرجهم من الظلمات الى النور باذنه و يهديهم الى صراط مستقيم

فصل

(هذه الوجوه الاربعة) اى المتقدمة في فصولها السابقة (من اعجازه) اى اعجاز القرآن (بينة) اى واضحة ولائحة (لا نزاع فيها) اى ليس لاحد فيها منازعة (ولا مرية) اى لاشك ولا شبهة (ومن الوجوه البينة في اعجازه من غير هذه الوجوه) الاربعة الواردة في حق تعجيز الادلة (آى) بهمزة ممدودة اى آيات (وردت بتعجيز قوم) اى جماعة خاصة (في قضايا) اى احكام مختصة (واعلامهم) بالجراى وباخباره تعالى عنهم (انهم لا يفعلونها) اى كقوله تعالى ولا يتمنونه ابدا واما شرح الدلجي بقوله ولن يفعلوا ففيه ان هذا من الامور العامة لا من القضايا الخاصة (فما فعلوا ولا قدروا على ذلك) اى بل عجزوا عن المعارضة هنالك (كقوله لليهود) على مانص عليه في سورة الجمعة بقوله قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء الله الآية (قل ان كانت لكم الدار الآخرة) اى الجنة ومافيها من المثوبة (عند الله خالصة) اى لكم (من دون الناس) اى باقيهم او المؤمنين كما ادعيتم بقولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا (الآية) اى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين اى في دعواكم على وفق متمناكم لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاقها واحب الخلاص من دار الاكدار اليها ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم اى من الاعمال السيئة الموجبة لدخول النار المؤبدة (قال ابو اسحق الزجاج) بتشديد الجيم الاولى (في هذه الآية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة لانه) اى الله سبحانه وتعالى (قال لهم فتمنوا الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه احد منهم وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والذى نفسى بيده لا يقولها) اى لا يتمناه بهذه التمنية او لا يتصور في نفسه هذه الامنية (رجل منهم الا غص بريقه) بفتح الغين المعجمة وتشديد الصاد المهملة لا بضم اوله لانه لازم لا يبنى مفعول له ذكره الدلجي والظاهر ما ضبطه في بعض النسخ من انه بصيغة المجهول وان معناه شرق بريقه في حلقه بعد بلعه وفي القاموس الغصة الحزن وما اعترض في الحلق فاشرق (يعني يموت مكانه) الاظهر مات مكانه ولفظ الحديث هذا رواه البيهقي من طريق الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس مرفوعا ورواه احمد بسند جيد عن ابن عباس عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولفظه لو ان اليهود تمنوا الموت لماتوا (فصرفهم الله عن تمنيه) اى تمني الموت (وجزعهم) بتشديد الزاى اى ادخل الخوف قلوبهم (ليظهر) بضم الياء وكسر الهاء او بفتحهما اى ليبين او ليتبين (صدق رسوله) اى في دعوى رسالته (وصحة ما اوحى اليه) بصيغة المفعول او الفاعل (اذ لم يتمنه) اى الموت (احد منهم وكانوا على تكذيبه احرص) اى من غيرهم (لو قدروا) اى على ما امكنهم من المكيد (ولكن الله تعالى يفعل ما يريد فظهرت بذلك) اى بصرفهم عن تمنيهم مع كونهم على تكذيبه احرص من غيرهم (معجزته وبانت) اى ظهرت (حجته قال ابو محمد الاصيلي) بفتح فكسر (من اعجب امرهم انهم) اى الشان (لا يوجد منهم جماعة ولا واحد) اى منهم من يوم امر الله بذلك نبيه) اى بقوله تعالى قل ان كانت لكم الدار الآخرة الى قوله فتمنوا الموت (يقدم عليه) بضم الياء وكسر الدال اى على تمني الموت (ولا يجيب اليه) اى الى تمنيه اذا قيل له تمنه (وهذا) اى امتناعهم من تمنيه (موجود) اى ثابت فيما بينهم

(مشاهد) بفتح الهاء اي معلوم (لمن اراد ان يتحقه منهم وكذلك) اي مثل ما تقدم من آية التحدي (آية المباهلة) بفتح الهاء من البهلة وتضم اللعنة فهي الملاعنة والدعاء باللعنة على الظالم من الفريقين وباهل بعضهم بعضا وتباهلوا اي تلاعنوا والابتهال الاجتهاد في الدعاء واخلاصه (من هذا المعنى) اي من حيثية عدم الاجابة الى ما دعيت اليه الامة (حيث وفد) بفتح الفاء اي قدم (عليه اساقفة نجران) جمع اسقف بضم الهمزة والقاف وتشديد الفاء رئيس دين النصارى وقاضيهم ونجران بنون مفتوحة وجيم ساكنة بلدة كان فيها النصارى بين مكة واليمن على نحو سبع مراحل من مكة (وابوا الاسلام) بفتح الهمزة والباء وضم الواو اي وامتنعوا عن قبول الاسلام والايمان واصروا على اعتقادهم الفاسد في حق عيسى عليه السلام (فانزل الله عليه آية المباهلة) اي الملاعنة (بقوله فمن حاجك) اي جادلك وخاصمك (فيه) اي في عيسى عليه السلام وانكر خلقه وزعم انه اله بعد (الآية) يعني فقل تعالوا اي هلموا بالعزم والرأي ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اي يدع كل منا ومنكم ابناءه ونساءه واعزاءه والصقهم بقلبه وقدمهم على الانفس لمخاطرة الانسان بنفسه لهم ومدافعته عنهم كذا ذكره الدلجي والاظهر ان المراد بانفسنا اقرب اقاربنا كما يأتي بخروجه صلى الله تعالى عليه وسلم مع الحسنين وفاطمة وراءهما وعلي وراءها فترتيبهم على مراتبهم ويؤخذ منه علو مناقبهم ثم نبتهل اي نتضرع الى رب العالمين فنجعل لعنة الله على الكاذبين اي منا ومنكم (فامتنعوا منها) اي بعد ما دعاهم اليها (ورضوا باداء الجزية) اي عوضا عنها (وذلك ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبي) اي بما جاءكم من امر الحق من ربكم (وانه ما لاعن قوما نبي قط) اي ابدا (فبقي كبيرهم ولا صغيرهم) وتمام الحديث فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوه وانصرفوا فاتوه وهو محتضن حسنا وآخذ بيد الحسن وفاطمة تمشي وراءه وعلي وراءها وهو يقول اذا دعوت فامنوا فقال اسقفهم يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو سألوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا فاذعنوا له وبذلوا له الجزية كل سنة الفي حلة وثلاثين درعا من حديد فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لو باهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله نجران حتى الطير على الشجر (ومثله) اي ومثل من حاجك فيه (قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا) والاظهر ان المثل هنا بمعنى النظير فان المحاجة من القضايا الخاصة وهذه الآية من الامور العامة (الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاخبرهم) اي الكفار وغيرهم (انهم) اي احدا منهم (لا يفعلون) اي المعارضة في الازمنة المستقبلة (كما كان) اي كما تحقق عدم فعلهم في الايام الماضية (وهذه الآية ادخل) اي من جهة المعجزة (في باب الاخبار عن الغيب) اي من حيث انه سبحانه وتعالى نفى عنهم صدور ما طلب منهم تحديا في المستقبل ابدا (ولكن دونها) اي هذه الآية (من التعجيز) اي لقريش وامثالهم (ما في التي قبلها) اي من التعجيز لنصارى نجران بخصوصهم اذ كل منهما طلب منه الاسلام فابوا وادعوا انهم على الحق وكذبوا النبي المطلق فطولبوا المصدقة فعجزوا

﴿ وصل ﴾

(ومنها الروعة) بفتح الراء اي الخشية (التي تلحق قلوب سامعيه واسماعهم عند سماعه) اي سماعهم له على لسان نبيه (والهيبة) اي العظمة (التي تعتريهم) اي تصيبهم وتحصل لهم (عند تلاوته لقوة حاله) اي حالته في تمام حلاوته وفي نسخة لقوة جلالته (وابانة خطره) بفتحتين اي رفعة قدره وعظمة امره (وهي) اي روعته او تلاوته (على المكذبين به اعظم) اي اصعب منها على المصدقين به (حتى كانوا) اي المكذبون (يستثقلون سماعه ويزيدهم نفورا) اي هربا من استماعه (كما قال الله تعالى) اي فيما اخبر عنهم واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا (ويودون انقطاعه) اي تلاوته (لكراهتهم له) اي كما قال الله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون (ولهذا) اي ولما ذكر من ودادهم انقطاعه وكراهتهم تلاوته واستماعه (قال عليه الصلاة والسلام) اي كما رواه البيهقي وغيره عن الحكم بن عمير مرفوعا (ان القرآن) وفي نسخة صحيحة ان هذا القرآن (صعب) اي شديد (مستصعب) بكسر العين وفتح وهو تأكيد (على من كرهه) وفي اصل التلمساني بكرهه (وهو) اي القرآن (الحكم) بفتحتين اي الحاكم بين الحق والباطل والفاصل بين البر والفاجر المبين لكل نفس جزاء ما عملت من خير او شر المميز بين السعيد والشقي بالثواب والعقاب (واما المؤمن) اي به كما في نسخة (فلا تزال روعته به) اي روعة القرآن بالمؤمن (وهيبته اياه مع تلاوته توليه) بضم التاء وسكون الواو اي تعطيه (انجذابا) وفي نسخة انجيابا اي اقبالا عليه (وتكسبه هشاشة) بفتح الهاء اي ارتياحا واستبشارا وفرحا وخفة (لميل قلبه اليه وتصديقه به) اي بما لديه (قال الله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) اي ترتعد وتنقبض مما فيه

من الوعد بالعقوبة (ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) اى تسكن وتطمئن الى مافيه من ذكر الوعد بالرحمة والمغفرة (وقال) اى الله سبحانه وتعالى (لو انزلنا هذا القرآن على جبل الآية) اى لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله اى متشققا ومتقطعا من هيبته (ويدل على ان هذا) اى مايغشى قلوب سامعيه واسماعهم عند تلاوة تاليه (شئ خص) اى القرآن (به) اى دون سائر كتب الله تعالى وصحفه (انه) بدل من هذا اوتقديره وهو انه (يعترى) اى يصيب (من لايفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره) اى المتعلقة بجمل مبانيه كما هو مشاهد فى كثير من العوام انه يحصل لهم هذا المقام من وصول المرام بل وقد يحصل لمن لم يكن مؤمنا به (كما روى عن نصرانى انه مر بقارئ) اى بمن يتلو القرآن (فوقف يبكى فقيل له لم) اوثم (بكيت) وفى نسخة ثم نبكى (فقال للشجى) بفتح معجمة فسكون جيم وفى بعض النسخ بفتحتين مقصورا وهو الظاهر اى للحزن الذى اصابه من استماعه فرق قلبه وخشع بدنه اوللطرب الذى حصل له من اثر كلام الرب (والنظم) اى لما جمع بين المعانى الدقيقة البيان و بين الفصاحة والبلاغة فى ميدان التبيان (وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الاسلام وبعده) اى فى قليل من الايام (فنهم من اسلم لها لاول وهلة وآمن به ومنهم من كفر) اى استمر على كفره اوكفر حينئذ ثم رجع بعده الى ربه ولعله تعالى اشار الى هذا المعنى فى قوله تعالى الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله ومانزل من الحق ولايكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم اى اشتدت اواسودت (فحكى فى الصحيح) بل روى فى الصحيحين (عن جبير ابن مطعم قال سمعت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ فى المغرب بالطور) اى بسورة الطور (فلما بلغ هذه الآية ام خلقوا من غير شئ) اى من غير موجد ومحدث وخالق فلا يعبدونه (ام هم الخالقون) اى انفسهم (الى قوله المسيطرون) يعنى قوله تعالى ام خلقوا السموات والارض بل لايوقنون فى قولهم هو الله اذا سئلوا من خلق السموات والارض اذلو ايقنوا فى خالقيته لما اعرضوا عن عبوديته قضاء لحق ربوبيته ام عندهم خزائن ربك اى حتى يعطوا النبوة من شاؤا ام هم المسيطرون اى الغالبون على الاشياء يدبرونها كيف ارادوا وام فى المواضع الثلاثة منقطعة بمعنى بل والهمزة لانكار القضية (كاد قلبى ان يطير) اى فزعا بما اعتراه من الروعة والهيبة اوفرحا لما حصل له من شرح الصدر وسعة القلب فى معرفة الرب ويؤيده قوله (للاسلام وفى رواية اخرى) اى عنه (وذلك اول ماوقر الايمان) اى تمكن وثبت واستقر (فى قلبى) وفى نسخة الاسلام بدل الايمان (وعن عتبة) بضم فسكون (ابن ربيعة) اى ابن عبد شمس بن عبد مناف قتل كافرا بالله فى بدر والحديث رواه البغوى فى تفسيره (انه كلم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه) اى ممالم يوافق اعتقاداتهم الباطلة وضلالاتهم العاطلة (فتلا عليه حم كتاب فصلت الى قوله فانذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) اى قوم هود وصالح (فامسك عتبة بيده على فيه) اى فم النبى عليه الصلاة والسلام كما فى نسخة (وناشده الرحم) اى اقسم وسأله بالقرابة التى بينهم (ان يكف) اى يمسك عن تلاوته وقف فى قراءته (وفى رواية) اى لابن اسحق فى سيرته عن محمد بن كعب القرظى (فجعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ وعتبة مصغ) اى مستمع اليه (ملق بيديه) وفى نسخة يديه اى مرسل لهما (خلف ظهره معتمد عليهما) اى مستند اليهما (حتى انتهى) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (الى السجدة) اى آيتها ونهايتها (فسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ومن معه لله سبحانه وتعالى (وقام عتبة لايدرى بما يراجعه) اى يحاوره ويراده (ورجع الى اهله ولم يخرج الى قومه حتى اتوه) اى جاؤا اليه وعاتبوا عليه بما جرى لديه (فاعتذر لهم) اى عن انقطاعه عنهم وعدم خروجه اليهم (وقال والله لقد كلمنى) اى محمد عليه الصلاة والسلام (بكلام ماسمعت اذناى بمثله قط) اى لجزالة مبانيه وفخامة معانيه (فادريت) اى ماعلمت (ما اقول له) اى شيئا مما يناقضه وينافيه (وقد حكى عن غير واحد) اى عن كثيرين (ممن رام معارضته) اى قصد مناقضته (انه اعترته روعة وهيبة) اى اصابته فزعة وخشية (كف) اى منع نفسه وامتنع (بها) اى بتلك الروعة المقرونة بالهيبة (عن ذلك) اى عما قصده من محاولة المجادلة (فحكى ان ابن المقفع) بضم الميم وفتح القاف وتشديد الفاء المفتوحة اوالمكسورة فعين مهملة (طلب ذلك ورامه) اى قصده (وشرع فيه) اى فيما بداله على ظن ان كلامه يفيد مرامه من المعارضة لما فى القرآن من فنون البلاغة وفنون الفصاحة التى صار بها معجزة (فمر بصبى يقرأ وقيل ياارض ابلعى ماءك فرجع) اى قبل ان يسمع بقية الآية (فمحا) اى مسح وغسل (ماعمل) اى على منوال القرآن ظنا منه ان مهملاته تصلح كونها معارضا فى مقام مناقضاته ومرام مجادلاته (وقال اشهد ان هذا لايعارض وماهو من كلام البشر) اى حتى يناقض (وكان) اى ابن المقفع (من افصح اهل وقته) اى فى دقة فهمه وحدة فطنته (وكان يحيى ابن حكم) بفتح الحاء المهملة والكاف وفى المشتبه للذهبى ابن حكيم بزيادة ياء (الغزال) بتشديد الزاى وذكره الذهبى فى قسم المخفف من المشتبه واختاره الشمنى

(يحيى الاندلسي) بفتح الهمزة والدال وقيل بضمهما اقليم بالمغرب وضم اللام متفق عليه (في زمنه تحكي) بصيغة المجهول (انه رام) اي اراد (شيئا من هذا) اي الذي ذكر من المعارضة (فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على مثالها) اي ليأتي على اسلوبها (وينسج) بكسر السين وضمها (بزعمه) بضم الزاي وفتحها اي وينظم الكلام ويسرد المرام بمقتضى ظنه وموجب وهمه (على منوالها قال) اي يحيى المذكور (فاعترتني منه خشية ورقة) اي اصابتني هيبة ولينة (حملتني على التوبة) اي عن تلك الارادة التي هي اقبح المعصية (والانابة) اي وعلى الرجوع الى الله تعالى والاقبال عليه في طلب العفو والمغفرة

(فصل)

(ومن وجوه اعجازه المعدودة) اي عند علماء الاعيان (كونه آية باقية) اي على صفحات الزمان متلوة في كل مكان (لا تعدم ما بقيت الدنيا) اي لا تفقد مدة ما اراد الله تعالى بقاء الدنيا واهلها في خير وعافية (مع تكفل الله تعالى بحفظه) اي من النقصان والزيادة (فقال) اي الله سبحانه وتعالى ردا لانكارهم واستهزائهم في يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) اي بجعلنا القراء على حفظه ولذا ورد أهل القرآن اهل الله وخاصته (وقال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) اي لا يجد اليه سبيلا ليلحقه (الآية) يعني تنزيل من حكيم حميد (وسائر معجزات الانبياء عليهم السلام) اي وعدا سائر معجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (انقضت بانقضاء اوقاتها) اي مضت بانقطاع ساعاتها (فلم يبق) وفي نسخة ولم يبق (الا خبرها) اي عند ارباب اثرها (والقرآن العزيز) اي البديع المنيع (الباهرة اياته الظاهرة معجزاته) اي اللائحة مبانيه واللامعة معانيه (على ما كان عليه) اي في اول مبانيه (اليوم) بالنصب اي الى يومنا هذا (مدة خمسمائة عام وخمس وثلاثين سنة) وفي نسخة وسبع عطف بيان وقال الدلجي اليوم خبر المبتدأ اعني القرآن وما بينهما صفات له هذا وفي نسخة منذ خمسمائة عام الخ وهذا تاريخ زمن المصنف رحمه الله تعالى ولذا قال (لاول نزوله اي الى وقتنا هذا) ونقول وكذا مدة الف وزيادة عشر الى زماننا هذا (حجته قاهرة) اي بينة غالبة وفي نسخة ظاهرة اي مبينة (ومعارضته ممتنعة والاعصار) اي اهلها من ارباب القرى واصحاب الامصار (كلها طافحة) اي مملوءة وفائضة (باهل البيان) اي في الفصاحة (وحملة علم اللسان) اي اللغة (وائمة البلاغة وفرسان الكلام) اي في ميدان المرام (وجهابذة البراعة) اي المهرة في تقدم الصناعة وهو بفتح الجيم وكسر الموحدة جمع الجهبذ والبراعة مصدر برع اذا فاق (والملحد) اي والحال ان المائل عن الحق الى الباطل (فيهم كثير والمعادي للشرع عتيد) اي المخالف والمناوي لهم حاضر مهيئ في مقام النكير وفي نسخة عنيد بالنون اي معاند شرير (فما منهم من اتى بشيء يؤثر) اي يروى (في معارضته ولا الف كلمتين) اي ولا ركب بهما والف بينهما (في مناقضته ولا قدر فيه على مطعن صحيح) اي لم يجد في القرآن محلا يتعلق به طعن صحيح او عيب صريح (ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك) اي في طعنه (الا بزند شحيح) اي باخراج النار عند وريه فهو بقدحه وتحقيقه ان الزند بفتح الزاي وسكون النون قد يراد به موصل طرف الذراع في الكف وقد يطلق على العود الذي يقدح به النار وهو الاعلى والزندة بالهاء هي السفلى وهو في المدن قطعة حديد تضرب بحجر صلد والظاهر ان القاضي قصد معنى الزند ووصف كلا منهما بالشحيح اما العضو فشحه ان لا يخرج درهما او دينارا واما زند النار فشحه بكونه لا يخرج نارا وفي الجمع بينهما اشارة الى غاية القلة (بل المأثور) اي المروي والمحكي (عن كل من رام ذلك) اي قصد الطعن فيه (القاؤه في العجز بيديه والنكوص على عقبيه) اي التأخر في الرجوع بالقهقرى اي الى الورى

(فصل)

(وقد عد جماعة من الائمة) وهم علماء السلف (ومقلدي الامة) بفتح اللام وهم فضلاء الخلف (في اعجازه وجوها كثيرة منها ان قارئه لا يمله) بفتح الميم وتشديد اللام اي لا يسأمه (وسامعه لا يمجه) بضم الميم وتشديد الجيم اي لا يدفعه (بل الاكباب) اي الاقبال والادءاب (على تلاوته يزيده حلاوة) اي لذة (وترديده) اي تكراره (يوجب له محبة) اي يقتضي زيادة مودة فقد ورد من احب شيئا اكثر ذكره (لا يزال غضا طريا) اي لا يزول طراوته وطلاوته (وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه) اي تمام نظام المرام (يمل مع الترديد) اي في السمع (ويعادى) بفتح الدال اي ويكره في الطبع (اذا اعيد) لقولهم المعادات معاداة ولقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فضل كلام الله على غيره كفضل الله على خلقه (وكتابنا) اي الذي فيه خطابنا وعتابنا وثوابنا وعقابنا (يستلذ به في الخلوات ويؤنس) بالهمز ويسهل وبالنون مخففا ومشددا اي ويستأنس (بتلاوته في الازمات) بفتح الهمز والزاي جمع ازمة بفتح فسكون وهي الشدة اي في اوقات الآفات (وسواه من الكتب) اي المؤلفات المصنوعة والمركبات الموضوعة (لا يوجد فيه ذلك) اي

ماذكر من اللذة والانية المطوعة (حتى احدث اصحابها الها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم) اى تنشيط انفسهم وغيرهم (على قراءتها واهدا) اى لما اختص به القرآن من حسن البيان المستغنى عن الاتيان بانواع الالحان (وصف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم القرآن بانه لايخلق) كمارواه الترمذى وغيره عن على كرم الله وجهه مرفوعا القرآن لايخلق وهو بفتح الياء وضم اللام لافتحها كما فى نسخة نقلها الحلبى وتبعه الحجازى او بضم ياء وكسر لام اى لايبلى (على كثرة الرد) اى مع كثرة ترديده وتكريره (ولاتنقضى عبره) بكسر ففتح جمع عبرة اى لاتنتهى مواعظة المعتبرة (ولاتفنى عجائبه) اى لاتنفد عجائب مبانيه وغرائب معانيه (وهو الفصل) اى البالغ فى الفرق بين الحق والباطل (ليس بالهزل) اى امره جدكله (لايشبع منه العلماء) اى تدبرا وتبصرا وعبارة واشارة (ولاتزيغ) اى ولاتميل (به الاهواء) عن طريق السواء (ولاتلتبس به الالسنة) اى ولاتشتبه به اللغات المختلفة المتناقضة (هو الذى لم تنته الجن) اى طائفة من جن نصيبين وفى صحيح مسلم انهم كانوا من الجزيرة ولامنع من الجمع (حين سمعته ان قالوا) اى لم يتوقفوا عن قولهم لبعضهم اولقومهم حين رجوعهم اليهم (انا سمعنا قرآنا عجبا) اى مقروأ عجيبا من جهة جزالة مبانية ومدلولا غريبا من فخامة معانيه بديعا فى بلاغته ومنيعا فى فصاحته (يهدى الى الرشد) اى صوب الصواب اوالى طريق الثواب والعقاب هذا وذكر ابو على الغسانى فى مناقب عمر بن عبدالعزيز قال بينا عمر يمشى بارض فلاة فاذا هو بجثه ميتة فكفنها بفضل ردائه ودفنها واذا قائل يقول ياسرق اشهد سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لك ستموت بارض فلاة و يدفنك رجل صالح فقال من انت يرحمك الله تعالى فقال رجل من الجن الذين سمعوا القرآن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يبق منهم الااناوسرق هذا سرق قدمات (ومنها جمعه لعلوم) اى كلية (ومعارف) اى جزئية (لم تعهد العرب عامة ولامحمد قبل نبوته خاصة بمعرفتها) اى بعلم شئ منها (ولاالقيام بها) اى الدوام والثبات عليها (ولايحيط بها احد من علماء الامم) اى من احبار اليهود والنصارى وغيرهم (ولايشتمل عليها كتاب من كتبهم) اى من السماوية وغيرها (فجمع) بصيغة المجهول اى فجمع الله (فيه من بيان علم الشرائع) اى اصولها وفروعها من النقليات (والتنبيه) اى فى اثناء التعبيرات (على طرق الحجج) اى انواع الدلالات (العقليات) وفى نسخة العقلية (والرد على فرق الامم) اى من ارباب الضلالات (ببراهين قوية) اى قاهرة (وادلة بينة) ظاهرة (سهلة الالفاظ) اى المبانى (موجزة المقاصد) بصيغة المجهول اى مختصرة المعانى (رام المتحذلقون) بالحاء المهملة والذال المعجمة من الحذق زيدت فيه اللام للمبالغة والتاء للمطالبة اى قصد المبالغون فى الحذاقة اذا ظهروا المهارة فى مقام الفصاحة والبلاغة (بعد) اى بعد ورودها فى عالم وجودها (ان ينصبوا ادلة مثلها) اى مشابهتها فى الجملة (فلم يقدروا عليها) اى على ان يقربوا اليها اوانى لهم القدرة على مقاومة المعجزة (كقوله تعالى اوليس الذى خلق السموات والارض) اى مع كبرهما وسعة قدرهما (بقادر على ان يخلق مثلهم) اى مع صغر جرمهم بلى جواب من الله ايماء الى ان لاجواب سواه اى بلى قادر على خلقهم ابتداء وايجادهم انتهاء وهو الخلاق العليم يعنى الايعلم من خلق (وقل) اى وكقوله سبحانه وتعالى قل (يحييها الذى انشأها اول مرة) اى لبقاء قدرته وفق ارادته وقابلية المادة على حالته وهو بكل خلق عليم اى باعضائه واجزائه (ولو كان فيهما آلهة الاالله) اى غيره (لفسدتا) اى لخرجتا عن نظامهما واختلتا عن مرامهما لوجود التمانع المانع من اتمامهما (الى ماحواه) اى منضما الى ماجمعه القرآن اومع مااشتمله الفرقان (من علوم السير) بفتح فكسر جمع سيرة اى المفهومة من اخبار الانبياء والاصفياء (وانباء الامم) اى احوالهم الاعم من الاحباء والاعداء (والمواعظ) اى بالترغيب فى ولائه والترهيب عن بلائه (والحكم) بكسر ففتح اى الكلمات المرشدة الى تكميل النفوس الانسانية باقتباس العلوم الربانية كقوله تعالى حكاية عن لقمان يابنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة اوفى السموات اوفى الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير (واخبار الدار الآخرة) اى من النعيم المقيم والجحيم الاليم (ومحاسن الآداب والشيم) بكسر ففتح اى الاخلاق فى جميع الابواب (مما تقدم ذكره) اى بيانه بقوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين وان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية (قال الله جل اسمه) اى عظم اسمه ومسماه (مافرطنا فى الكتاب) اى القرآن الجامع للفصول والابواب (من شئ) يحتاج اليه ارباب الالباب (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ) اى مما يحتاج اليه فى امر الدين (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل) اى بينالهم فيه بعض الامثال الحكمية ليقتبسوا المعانى الحقيقية من صور المبانى الحسية (وقال عليه الصلوة والسلام) اى كمارواه الترمذى عن على وتقدم بعضه واورده هنا بتغير بعض لفظه وزيادة فى صدره (ان الله انزل هذا القرآن آمرا) اى بكل معروف واجبا كان اوندبا (وزاجرا) اى ناهيا عن كل منكر حراما كان اومكروها

(وسنة خالية) اى طريقة متبعة ماضية (ومثلا مضروبا) اى مبينا ومعينا فى الالسنة الجارية (فيه نبأكم) اى الخبر المتعلق بكم (وخبر من كان قبلكم) اى من الامم السالفة (ونبأ ما بعدكم) اى مما يكون الى يوم القيامة (وحكم ما بينكم) بفتح الحاء والكاف اى والحكم الذى تحتاجون اليه فيما بينكم من حالكم وعليكم (لا يخلقه) بضم الياء وكسر اللام اى لا يبليه (طول الرد) اى كثرة تكراره وترديد اخباره (ولا تنقضى عجائبه) اى لا تنتهى غرائبه (هو الحق) اى الحكم العدل (ليس بالهزل) بل هو الجد فى بيان الفصل (من قال به صدق) اى فى قوله (ومن حكم به عدل) اى فى حكمه (ومن خاصم به فلج) بفتح الفاء واللام والجيم اى غلب على مرغوبه وظفر بمطلوبه (ومن قسم به) بتخفيف السين ويجوز تشديده اى عين قسط كل واحد ونصيبه فى حكم متعلق به (اقسط) اى عدل فى امره واصاب فى حكمه يقال اقسط فهو مقسط اذا عدل ومنه قوله تعالى ان الله يحب المقسطين وقسط فهو قاسط اذا جار ومنه قوله تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا فهمزة اقسط للسلب كما فى شكا اليه فاشكاه اى ازال شكواه (ومن عمل به اجر) بصيغة المفعول اى اثيب على عمله من عند ربه وفضله (ومن تمسك به) اى تشبث علما وتعلق عملا (هدى) بصيغة المجهول اى هداه الله فاهتدى (الى صراط مستقيم) اى مذهب قويم ودين كريم (ومن طلب الهدى من غيره) اى من غير بابه (اضله الله) اى اعماه عن جنابه (ومن حكم بغيره) اى عدولا عن حكمه وامره (قصمه الله) اى كسره واهلكه وفى الحديث استغنوا عن الناس ولو بقصمة السواك وهى بالكسر ما انكسر منه بابه وفى رواية ولو بشوص السواك على ما رواه البزار والطبرانى والبيهقى عن ابن عباس وفى النهاية شوص السواك غسالته وقيل ما يتفتت منه عند تسوكه (هو الذكر الحكيم) اى المشتمل على الحكم والاحكام والحاكم على وجه الاتقان والاحكام (والنور المبين) اى الظاهر او المظهر لليقين (والصراط المستقيم) اى ذو الاستقامة المنتهى الى الفوز بالسعادة والكرامة معاشا ومعادا (وحبل الله المتين) من المتانة وهى القوة اى عهده المحكم الذى لا ينقطع وسبب وصول وعده الذى لا يمتنع وقال ابن الاثير حبل الله نور هداه وقيل عهده وامانه الذى يؤمن من العذاب والحبل للعهد والميثاق انتهى (والشفاء النافع) اى لكل داء وبلاء (وعصمة لمن تمسك به) اى معتصم وثيق لمن تشبث به وتعلق بذيله وفيه وفيما قبله اقتباس من قوله واعتصموا بحبل الله (ونجاة لمن اتبعه) بتشديد التاء اى تبعه علما وعملا (لا يعوج) بتشديد الجيم (فيقوم) بفتح الواو المشددة ونصب الميم اى لا يميل عن صوب الاستقامة فيحتاج الى تقويم العدالة (ولا يزيغ) اى ولا يميل عن منهج الحق (فيستعتب) اى فيحتاج الى العتب فى عدوله عن نهج الصدق (ولا تنقضى عجائبه ولا يخلق) بالوجهين (على كثرة الرد) اى الترداد والتكرار فى العد (ونحوه) اى نحو هذا الحديث فى المعنى مع اختلاف فى المبنى (عن ابن مسعود) كما رواه الحاكم عنه مرفوعا (وقال) اى ابن مسعود (فيه) اى فى مرويه (ولا يختلف) بالفاء اى ليس محلا للاختلاف بل وقع مبناه ومعناه على وجه الائتلاف والمعنى ما وجد فيه احد تخالفا يسيرا ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وفى نسخة بالقاف فهو بمعنى لا يخلق على كثرة الرد كما سبق (ولا يتشان) بتشديد النون بعد الالف مأخوذ من الشن كما صرح به الهروى وابن الاثير فى هذا الحديث وقال الحجى هو الصواب وهو الجلد اليابس البالى اى لا تذهب طلاوته ولا تبلى طراوته حين تكثر تلاوته وترداد قراءته لما اودع فيه من بدائع الكمال وروائع الجمال وفى نسخة صحيحة ولا يتشانأ بنون مخففة بعدها همزة من الشنئان ولكن ينبغى ان يضبط بصيغة المجهول واما ما ذكره الحلبى من انه بفتح اوله ثم مثناة فوق مفتوحة ثم شين معجمة ثم الف ثم نون ثم همزة ممدودة ونسبه الى النسخة التى وقف عليها فلا يصح وجه اى لا يتباغض ولا يكره ولا يمل (فيه نبأ الاولين والآخرين) اى بما وقع لهم فى الدنيا وما سيقع لهم فى العقبى (وفى الحديث) اى القدسى من رواية ابن ابى شيبة مرسلا لكن بلفظ انزلت على محمد توراة محدثة فيها نور الحكمة وينابيع العلم لتفتح بها اعينا عميا وقلوبا غلفا وآذانا صما وروى ابن الضريس فى فضائل القرآن عن كعب انه قال فى التوراة (قال الله تعالى لمحمد انى منزل عليك) بالتخفيف والتشديد اى ملق اليك (توراة) اى كتابا كالتوراة او ما يجمع مضمون ما فى التوراة (حديثة) اى جديدة الانزال اى قريبة العهد من الملك المتعال (تفتح بها اعينا عميا) اى عن سنن الحق (واذانا صما) اى عن استماع الصدق (وقلوبا غلفا) اى ممنوعة عن طريق الوفق وممتنعة عن وصول الرفق (فيها ينابيع العلم) اى هى منابع العلوم الكثيرة والمعارف الغزيرة (وفهم الحكمة) اى وفيها معرفة الحكم الربانية والاحكام الحكمية الصمدانية (وربيع القلوب) اى وفيها من الانوار والاسرار نظير ما يشتمل عليه فصل الربيع من ازهار ثمار الاشجار بواسطة الامطار (وعن كعب) اى كعب الاحبار ويقال كعب الحبر (عليكم بالقرآن) اى خذوا بمجامعه والزموا بمعانيه (فانه فهم العقول) اى غاية فهوم عقول الفحول (ونور الحكمة) اى لعين البصر

والبصيرة ونظر العبرة (قال الله تعالى ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل) اى اليهود والنصارى (اكثر الذى هم فيه يختلفون) اى كلامهم فيما بينهم اوكل صنف منهم من التشبيه والتنزيه وعزير وعيسى وما فيه من انواع التنبيه (وقال هذا بيان للناس) اى لاحوالهم واحكامهم وآمالهم فى مآلهم (وهدى) لمافيه كمالهم (الآية) اى وموعظة للمتقين اى نصائح فى اعمالهم بهاجالهم وخص المتقين لكونهم المنتفعين (لجمع فيه) بصيغة المجهول اى فجمع الله فى كلامه ماالراد من مرامه (مع وجازة الفاظه) بفتح الواو اى مع اختصار مبانيه (وجوامع كلمه) اى باعتبار اكثار معانيه (اضعاف مافى الكتب) اى المنزلة على الانبياء (قبله التى الفاظها على الضعف) بالكسر اى الزايد (منه) اى من القرآن (مرات) لاشتمالها على الاطناب الموجب لتكثير كلمات واحتواء القرآن على ايجاز بحسب البلاغة والفصاحة موجب اعجاز (ومنها جمعه فيه) اى جمع الله سبحانه وتعالى فى كلامه عزشانه (بين الدليل ومدلوله) اى برهانه وتبيانه (وذلك) اى وسبب ذلك الجمع فى معرض البيان (انه احتج بنظم القرآن) اى بادخال جواهر معانيه فى سلك مبانيه (وحسن وصفه) اى وبحسن وصفه حيث صبغ حلى كلماته فى قوالب مقاماته وفى نسخة رصفه بالراء بدل الواو اى تركيبه وصفه من تهذيبه (وايجازه) اى باتيان معان كثيرة فى مبان يسيرة وفى اصل الدلجى وايجازه اى كل منطيق فصيح (وبلاغته) اى الرائعة المنضمة الى فصاحته البارعة (واثناء هذه البلاغة) اى فى خلالها (امره ونهيه ووعده ووعيده فالتالى له) ممن يدرك معانيه (يفهم مواضع الحجة والتكليف) باعتبار مبانيه (معا) اى مجتمعين فى بيان علومه (فى كلام واحد) اى باعتبار منطوقه ومفهومه (وسورة منفردة) اى باعتبار عبارتها واشارتها فيفهم مثلا من قوله تعالى فلاتقل لهما اف تحريم غيرالاف بالاولى وان الكف عنه اقوى ومن قوله فصل لربك وانحر انه حجة لوجوب صلاة العيد والاضحية وانه مكلف بهما فى القضية (ومنها ان جعله) اى الله سبحانه (فى حيز المنظوم) بفتح الحاء وتشديد التحتية المكسورة اى فى مقامه (الذى لم يعهد) اى لم يعرف مثله ولم يسبق قوله بجعله ذاقرائن انها فواصل معلومة القوافى كقوافى الابيات المنظومة (ولم يكن فى حيز المنثور) اى المتفرق الخارج عن هيئة المنظوم (لان المنظوم اسهل) اى من المنثور (على النفوس) اى فى درك مبانيه (واوعى للقلوب) اى واحفظ لها فى اخذ معانيه (واسمح) بالحاء المهملة افعل تفضيل من السماح وهو بمعنى الجود والكرم والمسامحة هى المساهلة وتسامحوا تساهلوا ومنه حديث السماح رباح اى اسهل قبولا واقرب وصولا (الى الآذان) بمد الهمزة جمع الاذن والمراد بها الاسماع واغرب الدلجى فى قوله اسمح بحاء مهملة من الاسماح لغة فى السماح انتهى ووجه غرابته لا يخفى وقال الحلبى بالحاء المهملة من سمح العود اذا لان انتهى وهو تكلف مستغنى عنه مع ان صاحب القاموس استاذه ذكر اسمحت الدابة لانت بعد استصعاب وعود سمح لاعقدة فيه انتهى وكلاهما لايلايم المقام كما لايخفى على طباع الكرام هذا وقدم الحلبى على هذا قوله اسمخ هو من سماخ الاذن اى اسرع استقرارا فى سماخ الاذن انتهى ويؤيده انه فى نسخة اسمع بالعين المهملة (واحلى على الافهام) لاشتمال مافيه من التلاوة على انواع من الحلاوة مع زيادة الطراوة والطلاوة (فالناس اليه اميل والاهواء اليه اسرع) اى واقبل والحاصل ان منهجه ليس على طريق الشعراء فى نظمهم وقوافيهم ولا على طريق الخطباء فى التزام سجعهم فى اواخر مبانيهم بل كلام بديع منيع يباين كلام غيره سبحانه وتعالى مع عظمة شانه وسلطنة برهانه (ومنها تيسيره) اى تسهيله (تعالى حفظه لمتعلميه) اى طالبى تعلمه نظرا (وتقريبه) اى تهوينه (على مستحفظيه) اى طالبى حفظه غيبا (قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر) تمام الاية فهل من مدكر كما فى نسخة اى من متعظ واصله مذتكر (وسائر الامم) اى وبواقيها (لايحفظ كتبها الواحد) اى كل مايطلق عليه اسم الواحد (منهم) فاللام للعهد الذهنى الذى هو فى المعنى نكرة وهى فى سياق النفى تفيد العموم وحينئذ يناسب قوله (فكيف الجماء) وفى نسخة الجم اى فيستبعد ان يحفظه الجم الغفير والجمع الكثير (على مرور السنين عليهم) وفى نسخة الاعوام جمع عام بمعنى سنة (والقرآن) اى بحمد الله والمنة (ميسر) وفى نسخة متيسر (حفظه على الغلمان) بكسر الغين جمع غلام اى الاولاد الصغار (فى اقرب مدة) اى كسنة واقل او اكثر بحسب مراتب جودة الذهن والفطنة والفطرة (ومنها مشاكلة بعض اجزائه بعضا) اى مشابهته فى تناسب مبانيه وتجاذب معانيه (وحسن ائتلاف انواعها) اى امرا ونهيا ووعدا ووعيدا وقصة وموعظة (والتئام اقسامها) اى توافقها فى سلامة التركيب وسلاسة الترتيب (وحسن التخلص) اى الانتقال (من قصة الى اخرى والخروج من باب الى غيره على اختلاف معانيه) اى المأخوذة من تفاوت مبانيه (وانقسام السورة الواحدة الى امر ونهى وخبر واستخبار ووعد ووعيد واثبات نبوة) اقول وقد اجتمعت هذه الوجوه فى آية وهى قوله تعالى قالت نملة ياايها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده مع زيادة الاعتذار بقوله

وهم لا يشعرون مع التنبيه ابهم فى صدر الآية بانداء وتنزيل الحال منزلة العقلاء وغير ذلك من الاشارات والايماء وتوحيد) اى فى الذات (وتمجيد) اى فى الصفات (وترغيب) اى الى الطاعة بالمثوبة (وترهيب) اى عن المعصية بالعقوبة (الى غير ذلك من فوائده) اى منضمة الى ما عدا ذلك من منافعه وعوائده مما يلتقط من مساقط مواقعه كضرب مثال وبيان حال واشعار ايثار يوجب للسالك وصوله (دون خلل يتخلل فصوله) اى انواع ابوابه مما يقتضى حصوله وابعد الدلجى فى حمل الفصل بمعنى الفاصلة (والكلام الفصيح) كان الاظهر ان يقول اذ الكلام او لان الكلام الفصيح ولو كان على المنهج الصحيح والعرض الصريح (اذا اعتوره) اى تداوله وفى اصل الدلجى اذا اعتراه اى غشيه وأتى به (مثل هذا) اى الذى يتخلل الفصول وهو فى الحقيقة بمعنى الفضول (ضعفت قوته) اى نزلت مرتبته فى فن البلاغة (ولانت جزالته) اى وهانت منزلته عن درجة عظمة الفصاحة (وقل رونقه) اى حسنه وبهجته فى تأديته الحلاوة (وتقلقلت الفاظه) اى اضطربت مبانيها واختلفت معانيها وفى نسخة تقلقت بلام واحدة مشددة اى صارت قلقة فى المبنى وقلقة فى المعنى (فتأمل) اى فى بيان المراد (اول ص) اى سورتها حيث صدرها بقوله ص اى يا صادق والقرآن ذى الذكر اى صاحب العز والشرف الوافق (وما جمع فيها من اخبار الكفار وشقاقهم)وخلافهم مع سيد الابرار بقوله تعالى حكاية عنهم بل الذين كفروا فى عزة وشقاق اى استكبار عن الحق واستدبار عن الصدق (وتقريعهم) اى وعن توبيخهم وتخويفهم (باهلاك القرون من قبلهم) بقوله تعالى كم اهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص (وذكر من تكذيبهم لمحمد) صلى الله تعالى عليه وسلم (وتعجبهم مما اتى به) اى حيث قال تعالى وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب (والخبر عن اجتماع ملاهم) وفى نسخة عن اجماع ملأهم (على الكفر) وذلك لما روى ان عمر رضى الله تعالى عنه لما اسلم شق ذلك على قريش فقال اشرافهم لابى طالب انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء فاقض بيننا وبين ابن اخيك فقال له هؤلاء قومك يسألونك القصد فلا تمل عليهم كل الميل فقال ماذا تسألونى قالوا ارفضنا وآلهتنا وندعك والهك فقال أرأيتم ان اعطيتكم ما سألتم أمعطى انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا قال قولوا لا اله الا الله فقالوا أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا الشئ عجاب اى فى غاية من العجب (وما ظهر من الحسد فى كلامهم) اى من قوله تعالى حكاية عن مرائهم أأنزل عليه الذكر من بيننا (وتعجيزهم) اى بقوله تعالى فليرتقوا فى الاسباب (وتوهينهم) اى وتحقيرهم بقوله سبحانه وتعالى جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب ووعيدهم بخزى الدنيا) وفى نسخة بخزى فى الدنيا اى بهزمهم فيها (والآخرة) اى بذوق عذاب اليم بها (وتكذيب الامم قبلهم) اى انبياءهم ورسلهم (واهلاك الله لهم) اى للمكذبين منهم بقوله كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اولئك الاحزاب ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب (ووعيد هؤلاء) يعنى قريشا واضرابهم (مثل مصابهم) بقوله تعالى وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق (وتصبير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى حمله على الصبر (على اذاهم) اى الذى من جملته ما فعلوا فى تكذيبهم له وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب فبلاه بقوله تعالى اصبر على ما يقولون اى لا تبال بقولهم ولا تكترث بفعلهم وكن معنا مشاهدا لنا فى آياتنا وقد رتبنا على كاشانيه (وتسليته) اى الشاملة (بكل ما تقدم ذكره) اى بيانه عنهم (ثم اخذ) اى شرع بعد تسليته (فى ذكر داود)اى بقوله تعالى واذكر عبدنا داود ذا الايد انه اواب اى كثير الرجوع الى ابواب رب الارباب فانت كذلك لازم الباب ولا تلتفت الى ما صدر من ارباب الحجاب واما ما ذكره الدلجى هنا فما لا يصلح ان يفسر به فصل الخطاب ولذا اعرضت عن ذكره فى الكتاب والله تعالى اعلم بالصواب (وقصص الانبياء) اى حكاياتهم كسليمان وايوب وابراهيم واسحق ويعقوب وغيرهم عليهم السلام مع ما اشتمل عليه من عظيم الثناء وكريم العطاء (كل هذا) اى الذى ذكره اول ص (فى اوجز كلام واحسن نظام) اى واتم مرام (ومنه) اى من اعجاز القرآن او من هذا القبيل الذى ذكر اول ص من ايجاز القرآن (الجملة) الاولى الجمل (الكثيرة) اى من جهة المعانى (التى انطوت) اى اشتملت (عليهم الكلمات القليلة) اى من حيثية المبانى (وهذا) اى ما ذكر (كله) اى جميعه (وكثير مما ذكرنا انه ذكر فى اعجاز القرآن الى وجوه) اى مع وجوه او منضما الى وجوه (كثيرة ذكرها الائمة لم نذكرها) اى نحن فى وجوه اعجازه (اذ اكثرها داخل فى باب بلاغته) اى المتممة لمراتب فصاحته (فلا يجب ان يعد) بصيغة المجهول اى فلا يليق ان يجعل على حدته وفى نسخة صحيحة فلا نحب اى لا نود ان نعد بنون المتكلم فيهما (فنا مفردا) وفى نسخة منفردا اى من انواع بلاغته (فى اعجازه الا فى باب تفصيل فنون البلاغة) وفى نسخة صحيحة بالضاد المعجمة (وكذلك) اى مثل ما هو داخل فى بابها (كثير مما قدمنا ذكره عنهم يعد فى خواصه) اى التى لا توجد فى غيره (وفضائله) اى الزائدة عن نحوه

(لااعجازه) بالجر وفى نسخة صحيحة لافى اعجازه (وحقيقة الاعجاز) اى مابه العجز (الوجوه الاربعة التى ذكرناها) اى فى فصولها (فليعتمد عليها ومابعدها) واما ماعداها مما ذكرنا فانما هو (من خواص القرآن وعجائبه التى لاتنقضى) اى لاتنتهى غرائبه وهذا غاية التحقيق (والله ولى التوفيق)

(فصل)

(فى انشقاق القمر وحبس الشمس) قال اليمنى لايسمى قمرا الابعد مضى ثلاث ليال من الشهر والكرة الارضية اكبر منه بمقدار مائة وعشرين مرة ومن جملة خواصة انه يبلى الكتان اذاترك فى سمره و يعفن اللحم اذا ترك تحته واما الشمس فيقال انها تنور العالمين العلوى والسفلى وان الله جعل فيها خواص اصلاح العالم من الحيوان والنبات والمعدن (قال الله تعالى اقتربت الساعة) اى قربت غاية القرب (وانشق القمر) روى ان الكفرة سألوه آية فانشق ويؤيده قراءة حذيفة وقدانشق القمر ويقويه قوله (وان يروا آية) اى معجزة (يعرضوا) اى عن الايمان بها (ويقولوا سحر مستمر) اى دائم لترادف الآيات وتتابع المعجزات (اخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضى) اى فيجب تحققه حقيقة ولايجوز صرفه الى المجاز بلاضرورة وحمله على انه سينشق يوم القيامة وانه عبر بالماضى لتحقق وقوعه فى المستقبل (واعراض الكفرة عن آياته) اى واخبر تعالى باعراضهم عن آياته وهذا ممايدل على وقوعه فانه لايتصور الاعراض الحقيقى قبل تحققه (واجمع) وفى نسخة صحيحة بالفاء اى فلهذا اجمع (المفسرون) اى من السلف (واهل السنة) اى ارباب الحديث اواهل السنة والجماعة الجامعون بين الكتاب والسنة من السلف والخلف (على وقوعه) قال الانطاكى فى قول القاضى اجمع المفسرون نظر فقد نقل السجاوندى والنسفى فى تفسيرهما عن الحسن البصرى ان معناه سينشق عند الساعة وكذا ابو الليث قال فى تفسيره واكثر المفسرين قالوا ان هذا قدمضى انتهى و يمكن دفعه بانه اراد بالمفسرين المشهورين منهم اوانه لم يطلع على خلافهم وعلى تقدير الخلاف لايلزم عدم وقوع انشقاق القمر فى عهده صلى الله تعالى عليه وسلم اذ اجمعوا على تحققه بالاحاديث السنة وانما الخلاف فى معنى الآية هل يراد به الانشقاق الماضى اوالانشقاق الآتى والله سبحانه وتعالى اعلم (اخبرنا الحسين بن محمد الحافظ) اى ابو على الغسانى (من كتابه) لان المصنف ليس له الا الاجازة فى بابه (ثنا) اى حدثنا (القاضى سراج بن عبدالله ثنا الاصيلى ثنا المروزى) تقدم ذكرهما (ثنا الفربرى) بكسر الفاء وفتح الراء وقيل غيره وقدسبق ذكره (ثنا البخارى) اى صاحب الجامع الصحيح (ثنا مسدد) بفتح الدال المهملة المشددة وهوكاسمه مسدد بصرى اسدى (ثنا يحيى) اى ابن سعيد روى عنه احمد وغيره واخرج له الائمة الستة (عن شعبة) اى ابن الحجاج امير المؤمنين فى الحديث (وسفيان) اى ابن عيينة احد الاعلام وهو الاعور الكوفى (عن الاعمش عن ابراهيم) اى النخعى (عن ابى معمر) بفتح الميمين ازدى كوفى مخضرم (عن ابن مسعود) اى موقوفا كماساقه القاضى عن البخارى وقداخرجه البخارى فى تفسيره وقداخرجه ايضا عنه مسلم والترمذى والنسائى وقال الترمذى حسن صحيح (قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى زمانه (فرقتين) اى فلقتين كما فى رواية الترمذى عن ابن عمر بمعنى قطعتين وفى الصحيحين بلفظ شقين بكسر الشين المعجمة اى نصفين وفى لفظ فى حديث جبير فانشق القمر باثنين وفى رواية ابى نعيم فى الدلائل فصار قرنين (فرقة) بالنصب على البدلية ويجوز رفعها على الابتدائية اى منهما فرقة (فوق الجبل) اى جبل حراء اوابى قبيس (وفرقة دونه) اى اسفل منه اوقريب منه هذا وقدقال الحجازى يجوز النصب والضم افصح منه ومنه قوله تعالى قدكان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله قلت وقد يقال الضم اصح اذافصل النعت والافالبدل فى مثل هذا التركيب افصح كما حقق فى قوله تعالى الحمد لله رب العالمين (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لمارآه منشقا (اشهدوا) الظاهر انه خطاب للكفار فانهم اهل الانكار والمعنى اشهدوا على نبوتى اوالخطاب للمؤمنين فالمعنى اشهدوا على معجزتى واخبروا من بعدى من امتى (وفى رواية مجاهد) اى فى الصحيحين عن ابن مسعود زيادة قوله (ونحن مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفى بعض طرق الاعمش ونحن بمنى) وفى نسخة زيادة قوله بمنى وهذا لايعارض قول انس وذلك كان بمكة لانه لم يصرح بانه عليه الصلوة والسلام كان ليلتئذ بمكة فمراده ان الانشقاق كان وهم بمكة قبل ان يهاجروا الى المدينة وفيه ايماء الى انه لم يشاهد القضية بالرؤية بل وصلت اليه بالرواية لانه اذذاك كان ابن اربع اوخمس بالمدينة (ورواه) اى الحديث المذكور (ايضا عن ابن مسعود الاسود) اى كما ذكره احمد فى المسند واسود هذا تابعى جليل روى عن عمر رضى الله تعالى عنه وعلى ومعاذ وغيرهم له ثمانون حجة وعمرة وكان يصوم حتى احتضر ويختم القرآن فى ليلتين (وقال) اى عن ابن مسعود (حتى رأيت الجبل بين فرجتى القمر) بضم الفاء وتفتح اى فلقتيه (ورواه) اى الحديث المسطور (عنه) اى عن ابن مسعود (مسروق انه) اى انشقاقه (كان بمكة) كما رواه البيهقى فى دلائله

(وزاد) اى مسروق فى رواية عنه (فقال كفار قريش سحركم ابن ابى كبشة) بفتح كاف فسكون موحدة فشين معجمة يعنون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وابو كبشة اسم رجل تأله قديما وفارق دين الجاهلية وعبد الشعرى فشبهه المشركون النبى صلى الله عليه وسلم به وقيل بل كانت للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم اخت من الرضاعة تسمى كبشة وكان ابوه من الرضاعة يكنى بها وقيل بل كان فى اجداده لامه من يكنى بذلك قيل وذكر بعضهم ان جماعة من جهة ابيه وامه يكنون بابى كبشة (فقال رجل منهم) وروى من القوم قيل انه ابو جهل (ان محمدا ان كان سحر القمر) اى ابويكم وقت السحر (فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض) اى اهلها (كلها) اى جميعها (فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا) اى الانشقاق (فاتوا) اى جاء بعضهم من بلد آخر (فسألوهم) اى اهل مكة من قريش (فاخبروهم انهم رأوا مثل ذلك) اى كما ذكر من انشقاق القمر فرقتين (وحكى السمرقندى نحوه) اى بمعناه مع اختلاف فى مبناه (وقال) اى السمرقندى فيما رواه (فقال) وفى نسخة قال (ابو جهل هذا سحر) نوع من الاختلاف (فابعثوا الى اهل الآفاق) اى بنسبتهم الى اختلاف المطالع فى حيز الخلاف والشقاق (حتى تنظروا أرأوا ذلك ام لا) اى او مارأوا ذلك كذلك هنالك (فاخبر اهل الآفاق انهم رأوه منشقا) اى بوصف الانشقاق (فقالوا) يعنى الكفار (هذا سحر مستمر) اى دائم بنعت الاستمرار وذاهب وماض وزائل ومار (ورواه) اى الحديث السابق (عن ابن مسعود علقمة) اى ابن قيس الليثى النخعى ولد فى حياته عليه الصلاة والسلام وروى عن اصحابه الكرام كابى بكر وعمر وعثمان وغيرهم (فهؤلاء الاربعة) اى مجاهد وابو معمر والاسود ومسروق وعلقمة (عن عبد الله) اى رووه كلهم عن ابن مسعود على وفق مارواه عنه معمر فتدبر (وقد رواه غير ابن مسعود) اى من الصحابة (كما رواه ابن مسعود) اى فليس هو شاذا فى هذه الرواية (منهم) اى ممن رواه (انس وابن عباس رضى الله تعالى عنهما) كما رواه الشيخان عنهما وهما وان لم يدركا باعينهما فقد سمعا من حضر وروى ومرسل الصحابة بالاجماع حجة (وابن عمر) اى فيما رواه مسلم والترمذى (وحذيفة) اى ابن اليمان كما عند ابن جرير وابن ابى حاتم وابى نعيم فى الدلائل (وعلى) اى ابن ابى طالب قال الدلجى لا يعرف مخرجه (وجبير بن مطعم) اى على مارواه احمد والبيهقى عنه (فقال على من رواية ابى حذيفة الارحبى) بفتح الهمزة فسكون الراء ففتح الحاء المهملة فموحدة مكسورة فياء نسبة الى قبيلة من همدان وقيل الى مكان اخرج له مسلم والترمذى والنسائى وفى نسخة الارجى بجيم بعد راء ساكنة وفى اخرى بزاى بدل الراء قال الحلبى وكلاهما تصحيف والصواب ماتقدم والله تعالى اعلم (انشق القمر) هذا مقول على كرم الله وجهه وفى نسخة وانشق القمر بالواو العاطفة اما على كلام سبق له اوارادالحكاية (ونحن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى وقد شاهدناه (وعن انس سأل اهل مكة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان يريهم آية) اى معجزة بامره وعلامة ظاهرة على صدق ماادعاه من النبوة والرسالة (فاراهم انشقاق القمر مرتين) اى فرقتين كما فى نسخة صحيحة (حتى رأوا حراء بينهما) وهو جبل على ثلاثة اميال من مكة على يسار المار منها الى منى وهو بكسر الحاء المهملة ممدود ويقصر ويصرف ولا يصرف ويؤنث ويذكر وقد خطأ الخطابى فتح الحاء وقصر الراء ونقل النووى والصحيح انه مذكر مصروف (ورواه) اى الحديث (عن انس قتادة) اى بهذا اللفظ (وفى رواية معمر وغيره عن قتادة عنه) اى عن انس (اراهم القمر مرتين) اى شقين اوفلقتين ويؤيده انه فى نسخة فرقتين وقيل يعنى كرتين وقوله (انشقاقه) بالنصب بدل اشتمال من القمر وفى صحيح مسلم فاراهم انشقاق القمر مرتين قال الحلبى هذه المسئلة فتشت عنها كثيرا حتى وجدتها فى كلام ابى عبد الله ابن امام الجوزية ذكرها فى كتابه اغاثة اللهفان فذكر كلاما وفيه ان المرات يراد بها الافعال تارة والاعيان تارة واكثر ما تستعمل فى الافعال واما الاعيان فكقوله فى الحديث انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مرتين اى شقين وفلقتين ولما خفى هذا على من لم يحط به علما زعم ان الانشقاق وقع مرة بعد مرة فى زمانين وهذا مما يعلم اهل الحديث ومن له خبرة باحوال الرسول وسيره انه غلط وانه لم يقع الانشقاق الا مرة واحدة انتهى وقال شيخى العراقى فى سيرته التى نظمها انه انشق مرتين بالاجماع وان ذلك متواتر وقد راجعته بكتاب وذكرت له فيه كلام ابن القيم فلم يرد جوابه على القول ولعله اعرض عن الجواب اكتفاء بما بين فى الكتاب ان ارادة الفلقتين بالمرتين هو الصواب وقال العسقلانى واظن قوله بالاجماع يتعلق بقوله انشق لا بمرتين فانى لا اعلم من جزم من علماء الحديث بتعدد الانشقاق واول قائل مرتين اراد فلقتين وهذا الذى لا يتجه غيره جمعا بين الروايات هذا (ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد) اى النوفلى (ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله عتبة) اى ابن مسعود وابن اخى عبد الله بن مسعود وهو الفقيه الاعمى احد الفقهاء السبعة معلم عمر بن عبد العزيز وكان من بحور العلم (ورواه عن ابن عمر مجاهد ورواه عن حذيفة

ابو عبد الرحمن السلمي) بضم ففتح هو الامام مقرئ الكوفة يروي عن عمر وعثمان وعنه عاصم ابن ابي النجود وابو اسحق (ومسلم ابن ابي عمران الازدي) والمقصود نفي توهم ان يكون احد من الرواة وقع منفردا او شاذا في الرواية بل ثبت تعدد الصحابة والتابعين في اسناد هذه الحكاية (واكثر طرق هذه الاحاديث) اى مما بيننا و بين السلف (صحيحة والاية مصرحة) بكسر الراء اى ودلالة الاية في هذه القضية صريحة فتكاد ان تصير متواترة معنوية وان لم تكن لفظية (ولايلتفت) بصيغة المجهول اى ولاينظر عن صوب اقبال قبول (الى اعتراض مخذول) اى متروك النصرة من المبتدعة كطبقة المعتزلة وجمهور الفلاسفة وعامة الملاحدة الواقع في قول مائل الى المجاز وعادل عن الحقيقة في مدلول الاية متشبثا باصلهم الفاسد بان الاجرام العلوية لايأتي فيها الانخراق والالتيام ومتمسكا (بانه) اى الشان (او كان هذا) اى الانشقاق واقعا اولووقع هذا الامر (لم يخف على اهل الارض) اى كلهم اذ هو شئ ظاهر لجميعهم وهذا المقدار بيان الاعتراض واما بيان خذلانه فهو قوله (اذ لم ينقل لنا عن اهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة) اى انتظروا انشقاق القمر حتى نظروا شقاقه اوراوا خلافه في تلك الليلة وهذا معنى قوله (فلم يروه انشق) اى مع ان القاعدة الاصولية مضبوطة بان رواية المثبت مقدمة على رواية النافي بلاشبهة كما في رواية الهلال مثا هدة هذا ومن المعلوم انهم لم يترصدوه لكونهم غافلين عن القضية ذاهلين عن المقدمة المطوية وانما اراد المصنف فرض الوقوع في البلية فبطل قول الدلجي بعد قوله فلم يروه انشق وفيه نظر لتوقف رصده على معرفة انه سينشق في ليلة فيرصدونه ثم قال المصنف على طريق ارخاء العنان مع الخصم في ميدان البيان (ولو نقل الينا عمن لايجوز تمالؤهم) اى توافقهم وتواطؤهم (لكثرتهم) اى المتعاضدة (على الكذب لما كانت علينا به) اى بسبب نفيهم على فرض ترصدهم (حجة) اى دلالة قاطعة ملزمة (اذليس القمر في حد واحد لجميع اهل الارض) اى لاختلاف مطالعه وتباين مقاطعه كما بينه بقوله (فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على الاخرين) وفي نسخة على آخرين (وقد يكون) اى القمر في مرءى (من قوم بضد ما هو من مقابلتهم) اى بضد مرءى من قوم مخالفيهم (من اقطار الارض) اى جوانبها(او يحول بين قوم و بينه) اى بين القمر (سحاب او جبال) وكذا حجاب (ولهذا) اى ولكونه ليس في حد واحد من العباد (نجد الكسوفات) اى لاحد النيرين (في بعض البلاد دون بعض) اى من البلاد حتى لايوجد فيها كسوف اصلا وقد نقل الحافظ المزي عن ابن تيمية ان بعض المسافرين ذكر انه وجد في بلاد الهند بناء قديما مكتوبا عليه بني ليلة انشق القمر (وفي بعضها) اى ونجد الكسوفات في بعض البلاد اوفي بعض الاوقات بالنسبة الى بعض العباد (جزئية) اى وقوعها باعتبار بعض اجزائه (وفي بعضها كلية) اى وقوعها يستوفي اطرافه كلها (وفي بعضها لايعرفها) اى الكسوفات (الا المدعون لعلمها) اى الماهرون والحاذقون بمعرفتها (ذلك تقدير العزيز) اى الغالب بقدرته (العليم) اى المحيط علمه بارادته وحكمته ووقع في اصل المصنف الحكيم بدل العليم ولايرد عليه انه مخالف للفظ التنزيل لانه ماقصد به الاية اذ ليس عليه شئ من الدلالة هذا (وآية القمر كانت ليلا) اى مبهما وقته ومجهولا ساعته قال الخطابي الحكمة في وقوعها ليلا ان من طلبها من الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بعض من قريش خاص فوقع لهم ذلك ليلا ولو اراد الله تعالى ان يكون هذه المعجزة نهارا لكانت داخلة تحت الحس قائمة للعيان بحيث يشترك فيها الخاصة والعامة لفعل ذلك ولكن الله تعالى بلطفه اجرى سنته بالهلاك في كل امة اتاها نبيها بآية عامة يدركها الحس فلم يؤمنوا وخص هذه الامة بالرحمة فجعل آية نبيها عقلية وذلك لما اوتوه من فضل الفهم بالنسبة الى سائر الامم والله سبحانه وتعالى اعلم (والعادة من الناس بالليل) اى بحسب الاغلب (الهدو) بضم الهاء والدال فواو مشددة اوساكنة بعدها همزة على اصل الكلمة ومعناه قوله (والسكون) اى عن الحركة والمشي والتردد في الطرق مع قطع النظر عن ملاحظة مافي السماء وترصدهم الى مراكز القمر ناظرين اليه غير غافلين عنه ولعل ذلك انما كان في قدر اللحظة التي هي مدرك البصر (وايجاف الابواب) بهمزة مكسورة وتحتية ساكنة فجيم اى اغلاقها بسرعة (وقطع التصرف) اى بالتردد في داخل البيوت من اغلاقها واعماقها (ولايكاد يعرف من امور السماء) اى لاسيما في فصل الشتاء (شيئا) اى من امر السماء لحجاب البناء وعدم توجه نظرهم الى صوب الهواء (الامن رصد ذلك) اى انتظره قصدا لما هنالك ومنه قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد اى بالطريق المنتظر (واهتبل به) بفوقية فموحدة اى تحيل واعتنى بنظره (ولذلك) اى ولكون آيته كانت ليلا وفي نسخة وكذلك (ما يكون الكسوف القمري) اى بخلاف الشمسي النهاري (كثيرا) خبر كان اى لم يكن وقوعه كثيرا (في البلاد) وجعل الدلجي كثيرا حالا من اسم كان وخبرها في البلاد (واكثرهم لايعلم به) اى والحال ان اكثر الناس او اكثر اهل البلاد لايعلم بكسوف القمر (حتى يخبر) اى بوقوعه في السمر والمعنى لايقع فيها كثيرا مع عدم

تعلق العلم به الا يسيرا (وكثيرا ما) اي واحيانا كثيرة (يحدث الثقات) اي من العلماء بالهيئة الفلكية (بعجائب يشاهدونها من انوار) اي ظاهرة (ونجوم طوالع عظام) اي باهرة (تظهر في الاحيان بالليل) اي في بعض الاوقات والساعات منه (ولا علم لاحد بها) اي من غيرهم وفي نسخة ولا علم عند احد منها ثم هذا مما يتعلق بانشقاق القمر على ما نزل به الآية وورد فيه صحيح الخبر وصريح الاثر واما رد الشمس له صلى الله تعالى عليه وسلم فاختلف المحدثون في تصحيحه وضعفه ووضعه والاكثرون على ضعفه فهو في الجملة ثابت باصله وقد يتقوى بتعاضد الاسانيد الى ان يصل الى مرتبة حسنة فيصح الاحتجاج به (وخرج) بتشديد الراء اي اخرج (الطحاوي في مشكل الحديث) وهو الامام الحافظ العلامة صاحب التصانيف المهمة روى عنه الطبراني وغيره من الائمة وهو مشتهر من اكابر علماء الحنفية لم يخلف مثله بين الائمة الحنفية وكان اولا شافعيا يقرأ على خاله المزني ثم صار حنفيا توفي سنة احدى وعشرين وثلثمائة وطحا من قرى مصر قال بعضهم كان اولا شافعيا ثم تقلد مذهب مالك كذا نقله التلمساني ولعله انتقل من مذهب مالك الى مذهب ابي حنيفة كما يشهد به كتبه في الرواية والدراية (عن اسماء) واصله وسماء من الوسامة فابدلت واوه همزة وقيل جمع اسم والاول اولى وهو منقول عن سيبويه وعلل وجهه ان اطلاق الجمع على المفرد بعيد جدا مع ان اسم الجمع لا يجعل علما ابدا (بنت عميس) بضم مهملة وفتح ميم فتحتية ساكنة وسين مهملة وتقدمت ترجمتها (من طريقين) اي باسنادين وكذا الطبراني رواه باسانيد رجال بعضها ثقات (انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يوحى اليه) اي مرة (ورأسه في حجر علي) اي ابن ابي طالب كرم الله وجهه (فلم يصل) اي علي العصر (حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اي بعدما افاق من الاستغراق (اصليت يا علي قال لا فقال) اي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك) اي لما بينهما من الملازمة (فاردد عليه) اي لاجله (الشمس) اي شروقها كما في نسخة بالتحريك ويسكن وهو منصوب على الظرفية اي في ارتفاعها او على البدلية اي ضوءها (قالت اسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت) اي رجعت على ادراجها من مغربها بعدما غربت ووقفت على الجبال والارض) وروي وقعت بالعين بدل الفاء (وذلك بالصهباء) بالمد ويقصر وهو موضع على مرحلة من خيبر وكذا رواه ابن مردويه بسند فيه ضعف عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال نام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في حجر علي ولم يكن صلى العصر حتى غربت الشمس فذكر نحوه (قال) اي الطحاوي (وهذان الحديثان ثابتان) اي عنده وكفى به حجة (ورواتهما ثقات) اي فلا عبرة بمن طعن في رجالهما وانما جعله حديثين لروايته من طريقين هذا وقال ابن الجوزي في الموضوعات حديث رد الشمس في قصة علي رضي الله تعالى عنه موضوع بلا شك وتبعه ابن القيم وشيخه ابن تيمية وذكروا تضعيف رجال اسانيد الطحاوي ونسبوا بعضهم الى الوضع الا ان ابن الجوزي قال ما اتهم به الا ابن عقدة لانه كان رافضيا يسب الصحابة انتهى ولا يخفى ان مجرد كون راو من الرواة رافضيا او خارجيا لا يوجب الجزم بوضع حديثه اذا كان ثقة من جهة دينه وكان الطحاوي لاحظ هذا المبنى وبنى عليه هذا المعنى ثم من المعلوم ان من حفظ حجة على من لم يحفظ والاصل هو العدالة حتى يثبت الجرح المبطل للرواية واما ما قال الذهبي تبعا لابن الجوزي من انه ولو قيل بصحته لم يفدردها وان كان منقبة لعلي وقوع صلاته اداء لفواتها بالغروب فمدفوع لقيام القرينة على الخصوصية مع احتمال التأويل في القضية بان يقال المراد بقولها غربت اي عن نظرها او كادت تغرب بجميع جرمها او غربت باعتبار بعض اجزائها او ان المراد بردها حبسها وبقاؤها على حالها وتطويل زمان سيرها ببطء تحركها على عكس طي الازمنة وبسطها فهو سبحانه قادر على كل شيء شأنه واما ما ذكره الذهبي من قوله وقد روى هشام عن ابن سيرين عن ابي هريرة ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لم ترد الشمس الا على يوشع بن نون وذكره ابن الجوزي من ان في الصحيح ان الشمس لم تحبس لاحد الا ليوشع فالجواب ان الحصر باعتبار الامم السالفة مع احتمال وروده قبل القضية اللاحقة (وحكى الطحاوي ان احمد بن صالح) وهو ابو جعفر الطبري المصري الحافظ سمع ابن عيينة ونحوه وروى عنه البخاري وغيره وقد كتب عن ابن وهب خمسين الف حديث وكان جامعا يحفظ ويعرف الحديث والفقه والنحو مات بمصر سنة مائتين وثمان واربعين وكان ابوه من اهل طبرستان وجرت بين احمد هذا وابن حنبل مذاكرات وكتب كل واحد منهما عن صاحبه وكان يصلي بالشافعي (كان يقول لا ينبغي لمن سبيله) وفي نسخة لمن يكون سبيله (العلم) اي بسير سيد الانبياء (التخلف عن حفظ حديث اسماء لانه من علامات النبوة) وآيات الرسالة (وروى يونس بن بكير) بالتصغير وهو الحافظ ابو بكر الشيباني عن هشام بن عروة والاعمش وهو محمد بن اسحق بن يسار امام المغازي وعنه كريب وابن نمير والعطاردي قال ابن معين صدوق وقال ابو داود ليس بحجة يوصل كلام ابن اسحق بالاحاديث اخرج له مسلم متابعة وقد خرج له البخاري في الشواهد واخرج له

ابو داود والترمذي وابن ماجه (فی زیادة المغازی روایته) ای فی روایته کما فی نسخة (عن ابن اسحق) ای امام اهل المغازی (لما اسری برسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم) ای لیلة المعراج (واخبر قومه بالرفقة) بضم الراء ویجوز تثلیثها ای الجماعة من الرفقاء (والعلامة التی فی العیر) بکسر العین المهملة ای القافلة من الابل والدواب یحمل الطعام وغیره من التجارات (قالوا) ای الکفار (متی یجیئ) ای القافلة الی مکة (قال یوم الاربعاء) بالمد وهو بتثلیث الباء والاجود کسرها کذا فی المحکم وقال ابن هشام فیه لغات فتح الهمزة وکسر الباء وکسر الهمزة وفتح الباء وکسرهما قال وهذه افصح اللغات (فلما کان ذلک الیوم) ای الموعود وهو بالرفع علی انه نعت لذلک المتقدم الذی هو اسم کان التامة کقوله تعالی وان کان ذو عسرة وفی بعض النسخ المعتمدة ضبط بالنصب ولا وجه له (اشرفت قریش) ای اقبلت (ینظرون) ای ینتظرون (وقد ولی النهار) بتشدید اللام المفتوحة ای ادبر اوله واقبل آخره (ولم یجیئ) ای العیر (فدعا رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم فزید له فی النهار ساعة) ای بسط فی ساعاته (وحبست علیه الشمس) ای بطئ تحرکها وقیل توقفت وقیل ردت علی ادراجها کما تقدم والله تعالی اعلم هذا وقد حبست الشمس له صلی الله تعالی علیه وسلم فی یوم من ایام الخندق حین شغل عن صلاة العصر کما ذکره المصنف فی غیر هذا الکتاب وحبست لداود کما ذکره الخطیب فی کتاب النجوم وضعف رواته کما نقله عنه مغلطای فی سیرته وفی تفسیر البغوی انها حبست لسلیمان علیه السلام لقوله تعالی ردوها علی ونوزع بان الضمیر عائد الی الصافنات الجیاد وایضا لم یکن هناك مأمورون صالحون لرد الشمس علیه مع مخالفته للحدیث الصحیح الصریح فی حصر حبس الشمس لیوشع مما بین الامم المتقدمة نعم ذکر الشیخ معین الدین فی معراج النبوة انها حبست لابی بکر رضی الله تعالی عنه ایضا والله سبحانه وتعالی اعلم هذا وقد قال بعضهم حدیث رد الشمس له صلی الله تعالی علیه وسلم لیس بصحیح وان اوهم تخریج القاضی له فی الشفاء عن الطحاوی من طریقین فقد ذکره ابن الجوزی فی الموضوعات وقال ابن تیمیة العجب من القاضی مع جلالة قدره وعلو خطره فی علوم الحدیث کیف سکت عنه موهما صحته وناقلا ثبوته موثقا رجاله انتهی وفی المواهب قال شیخنا قال احمد لا اصل له وتبعه ابن الجوزی فاورده فی الموضوعات ولکن قد صححه الطحاوی والقاضی عیاض واخرجه ابن منده وابن شاهین من حدیث اسماء بنت عمیس وابن مردویه من حدیث ابی هریرة انتهی قال القسطلانی وروی الطبرانی ایضا فی معجمه الکبیر باسناد حسن کما حکاه ابن العراقی فی شرح التقریب عن اسماء بنت عمیس ولفظه ان رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم صلی الظهر بالصهباء ثم ارسل علیا فی حاجة فرجع وقد صلی النبی صلی الله تعالی علیه وسلم العصر فوضع علیه الصلاة والسلام رأسه فی حجر علی فقال له النبی صلی الله تعالی علیه وسلم صلیت العصر قال لا یارسول الله فدعا الله تعالی فرد علیه الشمس حتی صلی العصر قالت فرأیت الشمس طلعت بعد ما غابت حین ردت حتی صلی العصر قال وروی الطبرانی ایضا فی معجمه الاوسط بسند حسن عن جابر ان رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم امر الشمس فأخرت ساعة من النهار انتهی وقال الخطابی انشقاق القمر آیة عظیمة لا یکاد یعدلها شئ من آیات الانبیاء وذلك انه ظهر فی ملکوت السموات خارجا عن جملة طباع ما فی هذا العالم المرکب من الطبایع فلیس مما یطمع فی الوصول الیه بحیلة فلذلك صار البرهان به اظهر قلت وفی معناه الشمس بل سلطانها اکبر وابهر وانور الا انها لکمال قرب غروبها لم تظهر للاکثر فتدبر واما ما قال الجوزجانی بعد ان نقل عن ابن الملقن فی شرح العمدة انه روی الحسن وغیره عن ابی هریرة رضی الله عنه مرفوعا لم تحبس الشمس الا لیوشع حیث سار الی بیت المقدس هذا الحدیث فیه رد لحدیث اسماء فقد قدمت الجواب عنه واما قوله وهذا حدیث منکر مضطرب لانه علیه الصلاة والسلام افضل من علی ولم ترد الشمس له بل صلی العصر بعد ما غربت فمردود علیه لانها انما ردت علی علی ببرکة دعائه صلی الله تعالی علیه وسلم مع ان کرامات الاولیاء فی معنی معجزات الانبیاء وقد سبق عن البغوی انها ردت علیه ایضا فما صلی العصر الا فی وقتها مع ان المفضول قد یوجد فیه ما لا یوجد فی الفاضل کما یلزم من القول بعدم حبسها الا لیوشع فتأمل وتوسع

(فصل)

(فی نبع الماء من بین اصابعه وتکثیر برکته صلی الله تعالی علیه وسلم) وفی نسخة وتکثیره ببرکته (اما الاحادیث فی هذا) ای فی هذا النوع من جنس المعجزة (فکثیرة جدا) منصوب علی المصدر وارید به المبالغة فی الکثرة فان ذلك فی مواطن متعددة واعداد مختلفة کما ذکره ابن حبان فی صحیحه ففی بعضها اتی بقدح وفی بعضها زجاج وفی بعضها جفنة وفی بعضها میضأة وفی بعضها مزادة وفی بعضها کانوا خمس عشرة مائة وفی بعضها ثمانمائة وفی بعضها زهاء ثلاثمائة وفی بعضها ثمانین وفی بعضها سبعین انتهی وفی صحیح البخاری فی حدیث جابر فی قصة نبع الماء من بین اصابعه انهم

كانوا ألفا وأربعمائة وفي رواية عنهم انهم كانوا خمس عشرة مائة وهذه القصة كانت بالحديبية وفي عددهم أقوال مختلفة ثم هذه المعجزة أعظم من تفجر الماء من الحجر كما وقع لموسى عليه السلام فان ذلك من عادة الحجر في الجملة قال الله تعالى وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وأما من لحم ودم فلم يعهد من غيره صلى الله تعالى عليه وسلم والله تعالى أعلم (وروى حديث نبع الماء من بين أصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم جماعة من الصحابة منهم أنس وجابر وابن مسعود) أما حديث أنس فرواه الشيخان عنه أيضا الا ان المصنف ساقه شاهدا بسنده الى الامام مالك عنه فقال (حدثنا أبو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه ثنا القاضي عيسى بن سهل ثنا أبو القاسم حاتم ابن محمد) وقد تقدم ذكرهم (ثنا أبو عمر بن الفخار) بفتح الفاء وتشديد الخاء المعجمة (حدثنا أبو عيسى) هو يحيى بن عبد الله بن يحيى بن كثير الليثي وقد سبق ذكره (ثنا يحيى) وفي نسخة عن يحيى وهو يحيى بن يحيى الليثي وفي نسخة صحيحة قبل قوله ثنا يحيى ثنا عبيد الله بن يحيى عن أبيه يحيى ويؤيده ما قال الحلبي انه سقط رجل بين أبي عيسى وبين يحيى وهو عبيد الله أبو مروان ولا بد منه وقد تقدم على الصواب وكذا يأتي على الصواب أيضا وحاصله أن عبيد الله روى عن يحيى عن أبيه ويحيى عن مالك (قال ثنا مالك) وهو امام المذهب (عن اسحق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك) وهو عم اسحق لامه (رأيت) وفي نسخة قال أي أنس رأيت (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحانت صلاة العصر) أي وقد قرب وقتها أو دخل فان الحين الوقت (فالتمس الناس الوضوء) بفتح الواو أي ماء الوضوء بضمها وفي نسخة بضمها والمعنى ماء بتقدير مضاف والمؤدى واحد وقيل يطلق على كل لكن الظاهر ان أحدهما مجاز (فلم يجدوه فأتي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي جيء (بوضوء) أي في اناء (فوضع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في ذلك الاناء يده وأمر الناس أن يتوضؤا منه) أي من الماء أو من الاناء أو من ماء ذلك الاناء (قال) أي أنس (فرأيت الماء ينبع) بتثليث الموحدة والضم أشهر أي يفور (من بين أصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم) قال النووي في كيفية النبع قولان أحدهما ان الماء كان يخرج من نفس أصابعه وينبع من ذاتها وهو قول أكثر العلماء وثانيهما انه تعالى أكثر الماء في ذاته فصار يفور من بين أصابعه (فتوضأ الناس) أي منه (حتى توضؤا من عند آخرهم) أي الى انتهاء أولهم فالقضية معكوسة للمبالغة والمراد جميعهم وقال النووي من هنا بمعنى الى وهي لغة (ورواه أيضا عن أنس قتادة) كما في صحيح مسلم (وقال) أي أنس أو قتادة عنه (بإناء) أي فأتي بإناء (فيه ماء يغمر أصابعه) بسكون الغين المعجمة وضم الميم أي يغطيها ويسترها (أو لا يكاد يغمر) شك من الراوي (قال) أي قتادة لأنس كما صرح به الترمذي (كم كنتم) أي حينئذ وكم اسم استفهام وسؤال عن العدد (قال زهاء ثلثمائة) بضم زاي وهاء ممدودة أي كانوا قدر ثلثمائة (وفي رواية عنه) أي عن أنس (وهم بالزوراء) بفتح الزاي وسكون الواو وراء ممدودة مكان يعرف بالمدينة قرب المسجد (عند السوق) وفي البخاري بالسوق أي سوق المدينة قال الداودي وهو مرتفع كالمنار (ورواه أيضا حميد) بالتصغير وهو الطويل وكان طوله في يديه مات وهو قائم يصلي ثقة لكنه مدلس أخرج له الائمة الستة (وثابت) تقدم ذكره (والحسن) أي ابن أبي الحسن البصري (عن أنس) أي كلهم عنه الا ان البخاري انفرد بالاولى والثالثة واتفقا على الثانية (وفي رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين) أي كانوا ثمانين أي رجلا كما في نسخة (وبنحوه عن ثابت عنه) أي بنحو مروى حميد عن أنس في العدد ورد عن ثابت عن أنس (وعنه) أي وعن أنس (أيضا) أي رواية ثابت أو غيره (وهم نحو من سبعين رجلا) لعل رواية السبعين والثمانين في غير قصة الحديبية لما سبق من تعدد القصة ثم رأيت النووي قال انهما قصتان جرتا في وقتين فحدث بهما جميعا أنس (وأما ابن مسعود ففي الصحيح) أي للبخاري وغيره (من رواية علقمة عنه) كما في نسخة أي عن عبد الله بن مسعود (بينا) أي بين ساعات وأوقات (نحن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي حاضرون (وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ماء) قيل انما طلب الماء كيلا يظن انه موجد للماء فان ذلك لله سبحانه وتعالى وفيه ان الكل من عنده تعالى (فأتي) أي جيء (به) أي بنحو سقاء (فصبه في اناء ثم وضع كفه) أي مع أصابعه (فيه فجعل الماء ينبع) أي فشرع يخرج (من بين أصابع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي كما ينبع من الارض وفي نبعه احتمالان من زيادة الكمية أو الكيفية وهو أظهر كما يدل عليه طلبه فضل الماء ويشير اليه ما سبق من الترجمة في قوله تعالى وتكثيره ببركته (وفي الصحيح) أي للبخاري وغيره (عن سالم) أي الاشجعي (ابن أبي الجعد) وهو من ثقات التابعين روي عنه انه قال اشتراني مولاي بثلاثة دراهم وأعتقني فقلت بأي حرفة أحترف فاحترفت بالعلم فما تم لي سنة حتى أتاني أمير البلد زائرا فلم آذن له (عن جابر عطش الناس) بكسر الطاء (يوم الحديبية) بالتخفيف وتشديد بئر بين مكة وجدة قيل جادة وأما قول الدلجي بين مكة والطائف فوهم (ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين يديه ركوة) جملة حالية

والركوة بفتح الراء وتضم اناء من جلد نحو الابريق ذكره الدلجي وهو تفسير ملايم اوضع اليد فيه اللهم الا ان يقال المراد به وضع اليد على فيه عند خروج الماء منه ثم رأيت في القاموس ان الركوة مثلثة زورق صغير انتهى وهو يحتمل ان فيه تكبير ثم رأيت التلمساني ذكر انها للماء من الادم كالتور يتوضأ منه (فتوضأ منها واقبل الناس نحوه) اى متعطشين اليه (وقالوا) عطف على واقبل الناس وجعل الدلجي الواو للحال اى قائلين (ليس عندنا ماء الا ما في ركوتك) اى التي هي موجودة في حضرتك (فوضع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يده في الركوة) اى ثانيا (فجعل الماء يفور) اى يرتفع متدفقا (من بين اصابعه كامثال العيون) اى كامثال مياهها شبه اواصابعه بمنابع عيون الماء اى بين كل اصبعين يفور الماء كالعين (وفيه) اى في حديث سالم (فقلت) اى لجابر (كم كنتم) اى يومئذ (قال لو كنا مائة الف) اى مثلا (لكفانا) اى لكونه معجزة (كنا) اى لكنا كنا (خمس عشرة مائة) يعني الفا وخمسمائة وقيل ثمانين الفا ورجلا اواربعين اوخمسة وعشرين رجلا اوالفا وستمائة بناء على الاختلاف في عدد من بايع تحت الشجرة قال الحلبي فيقال اربع عشرة مائة وكذا هو في الصحيح واكثر الروايات كما قال البيهقي انه الف واربعمائة هذا وقال اليمني قوله كنا خمس عشرة مائة هذه اللغة الى الآن بنجد سمعتها منهم لاتألف السنتهم الآلاف بل يقولون عشر مائة واحدى عشرة مائة وعشرون مائة وهلم جرا (وروى مثله) اى مثل حديث سالم كما في مسند الدارمي (عن انس عن جابر) وهو من رواية الاصاغر عن الاكابر فانهما صحابيان قال الحلبي كذا في النسخة التي وقفت عليها الآن بالشفاء وعلى عن التي بين انس وجابر صح يعني ان انسا رواه عن جابر فان صح ذلك فرواية انس عن جابر ليست في الكتب الستة (وفيه) اى وفي هذا الحديث (انه كان بالحديبية) يعني فالاختلاف مبني على اختلاف عدد من حضر في تلك القضية (وفي رواية وليد بن عبادة بن الصامت) الوليد هذا ولد في حياته عليه الصلاة السلام روى عن ابيه وعنه ابنه عبادة (عنه) اى عن جابر (في حديث مسلم الطويل) صفة للحديث (في غزوة بواط) بضم الموحدة وتخفيف الواو في آخره طاء مهملة (قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد بالوضوء) بفتح الواو وتضم وفي نسخة صحيحة الوضوء من غير الباء اى ناد الناس له او به اونصبه على الاغراء اى اعطوا اوناولوا الماء وهو بيان النداء (وذكر الحديث بطوله وانه) اى الشان (لم نجد) بالنون وفي نسخة بالياء وفي اصل الدلجي لم يجدوا (الا قطرة) اى شيئا قليلا من الماء (عزلاء شجب) بالاضافة وهو بفتح العين المهملة فسكون الزاى فلام ممدودة فم المزادة الاسفل والشجب بمعجمة مفتوحة فجيم ساكنة فوحدة ما بلى من القربة وعتيق من السقاية (فاتى) اى فجئ (به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فغمره) بالراء اى فغطاه وستره وفي اصل الدلجي بالزاء اى فكسبه بيده وعصره (وتكلم بشئ) اى من الاسماء او الدعاء والثناء (لا ادرى ما هو وقال ناد بجفنة الركب) بفتح الجيم وسكون الفاء وهي اكبر قصاع الاطعمة والركب اسم جمع اوجمع للراكب كالصحب وهم العشرة فصاعدا والباء مزيدة ولما كانت الجفنة محل الآية نودي بت فكانها تعقل اوعلى حذف اى ياقوم هاتوها اوعدى النداء بالباء لتضمنه معنى الاتيان اى ائت بها او احضرها (فاتيت بها) اى فجئت بها اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقال الحلبي هو مبني لما لم يسم فاعله اى فأتوني بها وفي نسخة فأتيتها بضم همزه وكسر ثانيه (فوضعتها بين يديه وذكر) اى جابر (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (بسط يده في الجفنة وفرق) بتشديد الراء ونشر (اصابعه وصب جابر عليه) اى الماء (وقال) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (بسم الله) اى وعلى بركة رسول الله وروى بسم الله كما امره على ما في اصل المؤلف (قال) اى جابر (فرأيت الماء يفور) اى يظهر مرتفعا (من بين اصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت) اى ارتفع ماؤها ودار (حتى امتلأت) ورواية مسلم ثم فارت الجفنة فدارت كذا ذكره الدلجي تبعا للحلبي قيل لان المقام مقام آية فكلما نبع الماء استدارت الجفنة وحديث جابر هذا ليس في شئ من الكتب الستة الا في مسلم على ما صرح به الحلبي وغيره (وامر الناس بالاستقاء) اى بأخذ الماء (فاستقوا حتى رووا) اى باجمعهم وهو بضم الواو الاولى واصله رويوا كرضوا ولقوا (فقلت هل بقي احد له حاجة) يجوز ان تكون هل نافية كما في قوله تعالى فهل ترى لهم من باقية وفي حديث وهل ترك لنا عقيل من دار اى ما بقي من محتاج الى الماء (فرفع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى يده كما في اصل الدلجي وغيره (من الجفنة وهي ملأى) فعلى من الملئ ويجوز ان تكون هل استفهامية ورفعه يده بعد جوابهم ما بقي لاحد حاجة ولا يبعد ان يكون المراد بقوله فقلت تردده في نفسه انه هل بقي لاحد حاجة اليه ام لا فرفع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مشاهدة لنفي البقاء فيكون كرامة اخرى (وعن الشعبي) بفتح اوله تابعي جليل فحديثه هذا مرسل وهو حجة عند الجمهور خلافا للشافعي (اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اى جئ (في بعض اسفاره باداوة ماء) وهي بكسر الهمزة اناء صغير من جلد يتخذ للماء ويسمى المطهر (وقيل ما معنا يا رسول الله ماء غيرها) اى غير ما في الاداوة هذه

وهي لم تكف الجماعة شربا ولا وضوءا (فسكبها) اى صبها (فى ركوة) اى اناء صغير من جلد يشرب فيها الماء كانت معه كما فى نسخة (ووضع اصبعه) بتثليث الهمزة والباء والاشهر كسر الهمزة وفتح الباء والمراد الجنس اى اصابعه (وسطها) بفتح السين وسكونها اى فى وسطها (وغمسها) اى غمس اصابعه وادخلها (فى الماء وجعل الناس يجيئون) اى يأتون اليه (ويتوضؤن) اى منه (ويقومون) اى عنه وفى نسخة صحيحة ثم يقومون (قال الترمذى) اى صاحب الجامع (وفى الباب) اى وفى الاحاديث الواردة فى هذا النوع من الكتاب (عن عمران بن حصين) وهو كما سيأتى فى الفصل الآتى من هذا الباب (ومثل هذا) اى ما ذكر من خوارق العادة (فى هذه المواطن الحفلة) بفتح الحاء المهملة وكسر الفاء اى الممتلئة المجتمعة الغزيرة وفى نسخة الحفيلة بزيادة الياء وهما بمعنى (والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة) بضم التاء وسكون الهاء وفتحها اى لا تتوصل تهمة كذبه (الى المحدث به) بكسر الدال المشددة اى المخبر به (لانهم) اى السلف من الصحابة والتابعين (كانوا اسرع شئ الى تكذيبه) اى تكذيب من اخبر به لو عرفوا انه كاذب فى خبره (لما جبلت) بصيغة المجهول اى خلقت وطبعت (عليه النفس) اى النفوس كما فى نسخة صحيحة (من ذلك) اى الاسراع الى التكذيب (ولانهم كانوا ممن لا يسكت على باطل) اى باجمعهم لانكارهم على الباطل ولو من بعضهم لكونه فرض كفاية على كلهم (فهؤلاء) اى المذكورون من الصحابة وغيرهم (قد رووا هذا) اى الحديث الذى سبق من نبع الماء من بين اصابعه (واشاعوه) اى نقلوه وافشوه (ونسبوا حضور الجماء الغفير له) وفى نسخة الجم الغفير اى الجمع الكثير كما فى قصة الحديبية (ولم ينكر احد من الناس) اى ممن حضر تلك الوقعة (عليهم ما حدثوا به عنهم انهم فعلوه) اى من شربهم وسقيهم (وشاهدوه) اى باعينهم فى غيرهم (فصار كتصديق جميعهم له) فيكون اجماعا سكوتيا منهم

﴿ فصل ﴾

(ومما يشبه هذا) اى النوع (من معجزاته) وهو نبع الماء من بين اصابعه الكريمة (تفجير الماء ببركته وابتعاثه) بالرفع اى ثورانه وجريانه (بمسه) اى بيده بجارحته (ودعوته) اى بلسانه او جنانه (فيما روى مالك) اى رواه كما فى نسخة (فى الموطأ) بتشديد الطاء المفتوحة فهمزة وقيل بالف مقصورة وكذا اخرجه مسلم فى صحيحه (عن معاذ بن جبل فى قصة غزوة تبوك) وهى غزوة معروفة كانت سنة تسع من الهجرة (وانهم وردوا العين) اى التى كانت فيها (وهى تبض) بكسر الموحدة وتشديد المهملة اى تلمع وتبرق او المعجمة اى تقطر وتسيل واختاره النووى (بشئ) اى قليل (من ماء) اى مما يسمى ماء (مثل الشراك) بالجر على انه نعت لشئ او ماء وفى نسخة بالرفع على تقدير هو وفى اخرى بالنصب على الحال من شئ اى مماثلا للشراك فى طوله وعرضه وهو سير رقيق يجعل فى النعل والمقصود المبالغة فى حد القلة (فغرفوا) اى اغترف القوم (من العين بايديهم حتى اجتمع) اى الماء كما فى نسخة (فى شئ) اى من الاناء فيما لديهم (ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه ثم اعاده) اى الماء المغسول به (فيها) اى فى العين التى بها ماء يسير (فجرت) العين (بماء كثير) اى سالت (فاستقى الناس) اى فشربوا منه واستقوا دوابهم (قال) اى معاذ (فى حديث ابن اسحق) اى فيما رويه امام اهل المغازى عنه (فانخرق) بالنون والخاء المعجمة والراء اى انفجر وجرى (من الماء ما له حس) بكسر الحاء المهملة وتشديد السين اى حركة وصوت لجريه (كحس الصواعق) جمع صاعقة وهو صوت شديد ربما كان معه نار لطيفة حديدة لا تمر بشئ الا اتت عليه واهلكته لكنها مع حدتها سريعة الخمود (ثم قال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يوشك) اى يسرع ويدنو ويقرب (يا معاذ ان طالت بك حياة) اى مدة عمرك (ان ترى ما ههنا) اى الموضع الذى ههنا لاجل كثرة ما فيه من الماء (قد ملئ) بصيغة المجهول اى امتلاء (جنانا) بكسر الجيم جمع جنة بالفتح وهى البستان الكثير الاشجار وهى مرة من مصدر جنه جنا اذا ستره فكأنها مرة واحدة لشدة التفافها واظلالها ونصبه على التمييز قال الحلبى هذا ذكره ابن اسحق فى طريق تبوك وقت الرجعة ولفظه ثم انصرف قافلا يعنى من تبوك الى المدينة وكان فى الطريق ماء ما يروى الراكب والراكبين والثلاثة بواد يقال له وادى المشقق فذكر القصة والله تعالى اعلم (وفى حديث البراء) اى على ما رواه البخارى عنه (وسلمة بن الاكوع) اى كما رواه مسلم عنه (وحديثه) اى حديث سلمة (اتم) اى من حديث البراء (فى قصة الحديبية) وهم اربع عشرة مائة اى الف واربعمائة (وبئرها لا تروى) اى بضم التاء وكسر الواو اى لا تكفى باهلها (خمسين شاة) قال المزى المعروف عند اهل الحديث خمسين شاة بفتح الهمزة والمد وهى النخلة الصغيرة ذكره الشمنى وقال التلمسانى هو الصواب (فنزحناها) اى نزعنا ما فيها كله (فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على جباها) بفتح الجيم والموحدة المخففة مقصورا ما حول فمها وبالكسر ما جمع فيها من الماء وليس مرادا هنا وروى شفاها بفتح

المعجمة والفاء مقصورا اى جانبها وطرفها (قال البراء واتى) اى جئ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (بدلو) اى فيه ماء (منها فبصق) اى بزق فيه (فدعا) اى بالبركة فى مائها وكب مافى الدلو فيها وهذه رواية البراء من غير شك ورد دبها (وقال سلمة) اى ابن الاكوع (فاما دعا واما بصق فيها) بكسر الهمزة على الشك فيهما ولعله اطلع على احدهما دون الجمع بينهما بخلاف البراء فمن حفظ حجة على من لم يحفظ وعلى كل تقدير (فجاشت) بالجيم والشين المعجمة اى فارت البئر وارتفع ماؤها وصف الكثير (فارووا انفسهم وركابهم) اى سقوا ذواتهم ودوابهم (وفى غير هذه الروايتين) اى رواية البراء ورواية سلمة وكان اولى ان يقول وفى غيرهاتين الروايتين كما فى نسخة اوفى هذه الرواية عنهما (هذه القصة) اى قصة زيادة ماء البئر وفى نسخة فى هذه القصة (من طريق ابن شهاب) اى الزهرى (فى الحديبية) وقد ابعد الدلجى حيث قال هذه القصة اى قصة الحديبية لما اله الى قصة الحديبية فى الحديبية (فاخرج) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (سهما من كنانته) بكسر الكاف اى جعبته وهى كنانته التى فيها سهامه لانها تكنها وتسترها (فوضع) اى سهمه وهو بصيغة الفاعل ويؤيده نسخة وضعه بابراز الضمير وفى نسخة ضبط بصيغة المفعول وهو اتم مبنى واعم معنى (فى قعر قليب) اى عمق بئر لم تطو يعنى لم تبن وقيل عادية وهو يؤنث ويذكر ولذا قال (ليس فيه ماء فروى الناس) بكسر الواو اى بانفسهم ودوابهم (حتى ضربوا بعطن) بفتح المهملتين منزل الابل حول الماء لتبرك فيه اذا شربت لتعاد الى الشرب مرة اخرى وهو ضرب مثل للاتساع والاستغناء لاسيما فى باب الاستقاء والمعنى حتى رووا ورويت ابلهم قال التلمسانى والذى نزل بسهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هو البراء بن عازب وقيل ناجية (وعن ابى قتادة وذكر) على مارواه البيهقى عنه (ان الناس شكوا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم العطش فى بعض اسفاره فدعا بالميضأة) بكسر الميم وسكون التحتية وفتح الضاد المعجمة والهمزة مقصورا وقد يمد فوزنها مفعلة او منفعالة من الوضوء بزيادة الميم للآلة اى مطهرة كبيرة يتوضأ منها والمعنى فطلبها (فجعلها فى ضبنه) بكسر ضاد معجمة وسكون موحدة فنون فهاء ضمير اى حضنه بين كشحه وابطه (ثم التقم فمها) اى ادخله فى فمه تشبيها له باللقمة لانه ادخل فمه فيها كانوهم التلمسانى (والله اعلم) اى وانا لا اعلم (نفث) اى انفخ بريق او بلا ريق (فيها ام لا) اى ام لم ينفث (وشرب الناس حتى رووا) بضم الواو اى بانفسهم ودوابهم (وملؤا كل اناء معهم فخيل) اى بصيغة المجهول اى تصور فى ذهنى (انها) اى الميضأة ملأى (كما اخذها منى) اى على حالها ما نقص شئ منها وقال التلمسانى وروى اليه اقول والظاهر انه تصحيف لديه (وكانوا اثنين وسبعين رجلا وروى مثله) اى مثل مروى ابى قتادة (عمران بن حصين) بالتصغير (وذكر الطبرى) وهو محمد بن جرير (حديث ابى قتادة على غير ماذكره اهل الصحيح وان) وفى نسخة صحيحة اذ على انه بيان لما ذكره الطبرى مخالفا لغيره وهو ان (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خرج بهم) اى باصحابه (ممدا) اى معينا (لاهل موتة) بضم الميم وسكون الهمزة ويبدل قرية بين تبوك وحوران من الشام (عند ما بلغه قتل الامراء) اى امرائه وهم زيد ابن حارثة مولاه عليه الصلاة والسلام وجعفر بن ابى طالب وعبدالله ابن ابى رواحة (وذكر) اى الطبرى (حديثا طويلا فيه معجزات) اى باهرة (وآيات) اى علامات وكرامات ظاهرة (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى تعظيما لقدره وتفخيما لامره (وفيه اعلامهم) اى اخباره لاصحابه (انهم يفقدون الماء) بكسر القاف اى يعدمونه ولا يجدونه (فى غد) فهو من اعلام النبوة لقوله تعالى وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا (وذكر) اى الطبرى (حديث الميضأة) اى كما سبق (قال) اى ابو قتادة (والقوم) اى اصحابه (زهاء ثلاثمائة) اى قدرها تخمينا قال المزى الوجه نصب زهاء ولكن اهل الحديث يرفعونه ذكره الشمنى (وفى كتاب مسلم) يعنى صحيحه (انه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (قال لابى قتادة) اى بعد ما قال لهم انهم يفقدون الماء فى غد (احفظ على) اى لاجلى وفى نسخة علينا (ميضأتك فانه) اى الشان (سيكون لها نبأ) اى خبر عظيم قال القاضى فى الاكمال قال الامام للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا الحديث معجزتان قولية وهى اخباره بالغيب انها سيكون لها نبأ وفعلية وهى تكثير الماء القليل (وذكر) اى الطبرى (نحوه) اى نحو ما سبق مما ذكره غيره (ومن ذلك) اى ومما يدل على تفجر الماء من بين اصابعه (حديث عمران بن حصين) اى كما فى الصحيحين عنه انه قال (حين اصاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه عطش) اى شديد (فى بعض اسفارهم) وفى نسخة من اسفارهم فوجه (رجلين) بتشديد الجيم اى فارسلهما وهما على بن ابى طالب وعمران بن حصين (من اصحابه) كما صرح بهما فى بعض طرق هذا الحديث (واعلمهما انهما يجدان امرأة) لا يعرف اسمها الا انها اسلمت بعد ذلك (بمكان كذا) وفى نسخة بتكرار كذا ويعين الموضع فى حديث صاحبه حاطب ابن ابى بلتعة وهو روضة خاخ (معها بعير عليه مزادتان) تثنية مزادة بفتح الميم ظرف من جلد يحمل فيه الماء كالراوية اكبر من القربة وميمها زائدة وهى من مادة الزيادة لزيادتها على القربة ولا يبعد ان تكون

ماخوذة من الزاد والله تعالى اعلم بالمراد ثم قيل هي الراوية مجازا وانما الراوية هو البعير الذى يحملها (الحديث) اى بطوله والمعنى ذهبا على اثرها وطلبناها (فوجداها واتيا بها النبى) وفى نسخة الى النبى (صلى الله تعالى عليه وسلم فجعل) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فى اناء) اى مما عنده (من مزادتيها) اى بعض مائهما (وقال فيه ماشاء الله) اى من ثناء ودعاء او اسماء (ثم اعاد الماء) اى رد الماء المأخوذ (فى المزادتين ثم فتحت) بصيغة المجهول ولا يبعد ان يكون بصيغة الفاعل (عزاليهما) بفتح العين المهملة والزاى ثانية عزلاء وهو فمها الاسفل واللام مفتوحة وقيل هو جمع فاللام مكسورة (وامر الناس) وفى نسخة (ثم امر الناس) (فملؤا اسقيتهم) جمع سقاء وهو اناء من جلد يتخذ للماء (حتى لم يدعوا) بفتح الدال اى لم يتركوا (شيئا) اى من اوانيهم (الا ملؤه قال عمران) وفى نسخة وعن عمران بن حصين (ويخيل الى) بصيغة المضارع المجهول من التخييل وفى نسخة بصيغة الماضى المعلوم من الخيل اى وتصور عندى وتقرر فى ذهنى (انهما) اى المزادتين (لم تزدادا) وفى نسخة بصيغة الافراد اى كل واحدة منهما (الا امتلاء) بكسر التاء على المصدرية اى من زيادة البركة فى الكمية والكيفية (ثم امر) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابه ان يزودوها من زادهم زيادة على ما توهمت انهم اخذوا من مزادتيها وفق مراده (فجمع) بصيغة المفعول (للمرأة) وفى نسخة لها (من الازواد) جمع الزاد اى من جنسها (حتى ملاء) اى ذلك الزاد وفى نسخة ملؤا (ثوبها وقال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (اذهبى فانا لم ناخذ من مائك شيئا) اى من كميته (ولكن الله سقانا) اى بسبب زيادة كيفيته ببركة اسمائه (وعن سلمة بن الاكوع) وفى نسخة وقال سلمة (قال النبى) وفى نسخة نبى الله (صلى الله تعالى عليه وسلم هل من وضوء) بفتح الواو اى امعكم او اعندكم اوانى ماء وضوء (فجاء رجل باداوة) بكسر الهمزة اى اناء صغير من جلد يتخذ للماء (فيها نطفة) اى شئ يسير من الماء (فافرغها) اى صبها (فى قدح فتوضأنا كلنا) بالرفع توكيدا (ندغفقه دغفقة) بدال مهملة وغين معجمة ففاء فقاف اى نصبه صبا كثيرا (اربع عشرة مائة) بيان لقوله كلنا اى الف واربعمائة (وفى حديث عمر) كما رواه ابن خزيمة فى صحيحه والبيهقى والبزار عنه (فى جيش العسرة) اى الضيق والشدة وهى غزوة تبوك سنة تسع من الهجرة وكانت فى نهار حر ووقت الثمر وكثرة ظلال الاشجار (وذكر) اى عمر رضى الله عنه (ما اصابهم) اى المسلمين (من العطش) اى الشديد (حتى ان الرجل) بكسر الهمزة وتفتح (لينحر بعيره) بفتح اللام المؤكدة (فيعصر فرثه) اى ما فى كرشه (فيشربه فرغب ابو بكر) اى مال وتوجه (الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى الدعاء) اى امره او فى حمله على الدعاء (فرفع يديه) اى يدعو ربه ويتضرع لديه ويثنى عليه ويلتجئ اليه (فلم يرجعهما) من رجع المتعدى اى لم يرد يديه بعد رفعهما اليه وفى نسخة فلم ترجعا من رجع اللازم اى لم تتغير اليدان عن حالهما (حتى قالت السماء) اى امطرت فان القول يستعمل فى جملة من الفعل وقيل مالت وروى قامت بالميم اى اعتدلت بالسحاب او قامت توجهها بالخيرات (فانسكبت) اى فانصب ماؤها بكثرة (فملؤا ما معهم من آنية) اى جميع اوانيهم (ولم تجاوز) اى السماء المراد بها السحاب وفى نسخة بالتذكير اى ولم يتعد المطر (العسكر) ما انتهى عنهم بل كان السحاب كالظلة عليهم وفيه ايماء الى انه ما كان من القضايا الاتفاقية بل كان معجزة وكرامة خاصة لديهم (وعن عمرو بن شعيب) اى ابن محمد بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص اخرج له الائمة الاربعة (ان ابا طالب قال للنبى صلى الله عليه وسلم وهو رديفه) جملة حالية تحتمل احتمالين حلاها التلمسانى حيث جزم بان ضميره للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمضاف لابى طالب والرديف الراكب من خلف (بذى المجاز) بفتح الميم والجيم وزاى فى آخره سوق عند عرفة من اسواق اهل الجاهلية (عطشت) بكسر الطاء قال الحلبى وهذا الحديث الذى ذكره القاضى هنا معضل ولا اعلمه فى الكتب الستة والرواية عن ابى طالب معلوم ما فيها انتهى وذكر الدلجى عن ابن سعد انا اسحق بن يوسف الازرق ثنا عبد الله بن عون عن عمرو هو ابن دينار ان ابا طالب قال كنت بذى المجاز ومعى ابن اخى يعنى نبى الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت له عطشت (وليس عندى ماء) اورده وروى معى وعنده مثلث العين ذكره التلمسانى (فنزل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى عن البعير (وضرب بقدمه الارض فخرج الماء فقال اشرب) قال الدلجى الظاهر ان هذا كان قبل المبعث يعنى فيكون من الارهاصات ولا يبعد ان يكون بعد النبوة فهو من المعجزات ولعل فيه ايماء الى انه سيظهر نتيجة هذه الكرامات من بركة قدم سيد الكائنات فى اواخر الزمان قريب الالف من السنوات عين فى عرفات تصل الى مكة وحواليها من آثار تلك البركات هذا وابو طالب لم يصح اسلامه واما قول التلمسانى وروى اسلامه باسناد صحيح وروى اسلام ابويه فرد ودود عليه كما بينت هذه المسئلة فى رسالة مستقلة ردا على السيوطى فى رسائله الثلاث (والحديث) اللام للجنس اى والاحاديث (فى هذا الباب كثيرة) اى غير ما ذكر فى هذا الكتاب (ومنه الاجابة بدعاء

(فصل)

(ومن معجزاته تكثير الطعام) اى كمية اوكيفية (ببركته) اى بركة حصول وجوده اووصول يده (ودعائه) اى لربه مقرونا بثنائه (قال) اى المصنف (ثنا القاضى الشهيد ابو على رحمه الله تعالى) هو الحافظ ابن سكرة (حدثنا العذرى) بضم مهملة فسكون معجمة (ثنا الرازى ثنا الجلودى) بضم الجيم وتفتح (ثنا ابن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج) يعنى صاحب الصحيح (ثنا سلمة بن شبيب) بفتح الشين المعجمة وكسر الموحدة الاولى بعدها تحتية ساكنة وهو ابو عبد الرحمن النيسابورى حجة اخرج له مسلم والاربعة مات سنة ست واربعين ومائتين بمكة (ثنا الحسن بن اعين) بفتح فسكون ففتحتين ثقة اخرج له الشيخان وابو داود والنسائى (ثنا معقل) بفتح الميم وكسر القاف صدوق تردد فيه ابن معين اخرج له مسلم وابو داود والنسائى (عن ابى الزبير) بالتصغير حافظ ثقة روى عنه مالك والسفيانان واخرج له مسلم والاربعة واخرج له البخارى مقرونا بقوله كان مدلسا واسع العلم (عن جابر ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم يستطعمه) اى يطلب طعاما منه لاهله (فاطعمه شطر وسق شعير) الوسق بفتح الواو وتكسر ستون صاعا وشطر الشئ نصفه وهو بفتح اوله ولا يصح كسره قال النووى والشطر هنا معناه شئ كذا فسره الترمذى (فمازال) اى ذلك الرجل السائل المستطعم منه عليه الصلاة والسلام (يأكل منه) اى من ذلك الطعام (وامرأته وضيفه) اى كذلك فهما مرفوعان اومعهما فهما منصوبان ويروى وصيفه بواو فمهملة (حتى كاله) اى ليعرف نقصانه وكاله ويوجب اكتياله مايبين حاله ومآله ففنى بهذه الحركة وزالت عنه البركة (فاتى) اى الرجل (النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره) اى بانه كاله وجرب حاله (فقال لو لم تكله) اى وماجربته (لاكلتم منه) اى كلكم طول عمركم (ولقام بكم) اى باودكم مدة بقائكم وفى هذا الحديث ان البركة اكثر ماتكون فى المجهولات والمبهمات وكان الصوفية من هنا قالوا المعلوم شوم قيل والحكمة فى ذلك ان الكائل يكون متكلا على مقداره لضعف قلبه وفى تركه يكون متكلا على ربه والاتكال عليه سبحانه وتعالى مجلبة للبركة واما الحديث الآخر كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه فقالوا المراد ان يكيله عند اخراج النفقة منه لئلا يخرج اكثر من الحاجة اواقل بشرط ان يبقى الباقى مجهولا ثم هذا الرجل هو جد سعيد بن الحارث وذلك انه استعان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى نكاحه امرأة فالتمس النبى صلى الله عليه الصلاة والسلام ماسأله فلم يجد له فبعث ابا رافع الانصارى وابا ايوب بدرعه فرهناها عند يهودى فى شطر وسق من شعير فدفعه عليه الصلاة والسلام اليه قال فاطعمنا منه ثم اكلنا منه سنة وبعض سنة ثم كلناه فوجدناه كما ادخلناه كذا ذكره التلمسانى وهو خلاف ظاهر ماحرره القاضى ويمكن الجمع بينهما (ومن ذلك) اى ممايدل على ماهنالك من تكثير الطعام ببركته ودعائه عليه الصلاة والسلام (حديث ابى طلحة المشهور) بالرفع صفة لحديث وهو المروى فى الصحيحين عن انس فى قصته وابو طلحة هذا هو عم انس بن مالك زوج ام سليم انصارى نجارى خزرجى بدرى احد الفقهاء قال فيه صلى الله تعالى عليه وسلم صوت ابى طلحة فى الجيش خير من فئة ذكرانه قتل يوم حنين عشرين رجلا واخذ سلبهم روى عنه ابنه عبد الله وابن زوجته انس بن مالك (واطعامه) بالرفع (صلى الله تعالى عليه وسلم ثمانين اوسبعين رجلا) وجزم مسلم فى روايته بثمانين رجلا (من اقراص) اى قليلة (من شعير جاء) وفى نسخة اتى (بها) اى بتلك الاقراص وفى نسخة به اى بما ذكر (انس تحت يده) اى ابطه يعنى حال كون انس واضعالها تحت ابطه من كال قلتها (فامر بها) اى بالاقراص او بنتها (ففتت) بضم الفاء وتشديد الفوقية الاولى مفتوحة اى فجعلت فتاتا والمعنى كسرها باصابعه وثردها وفى حديث اذا اقل طعامكم فاثردوه (وقال فيها) اى فى حق الاقراص (ماشاء الله ان يقول) اى من ثناء ودعاء واسماء وامر بمجئ عشرة عشرة حتى اكل القوم كلهم الحديث بطوله قال النووى وانما اذن صلى الله تعالى عليه وسلم لعشرة عشرة ليكون ارفق بهم فان القصعة التى فتت فيها تلك الاقراص لايتحلق عليها اكثر من عشرة الابضرر يلحقهم لبعدها عنهم وقيل لئلا يقع نظر الكثير على الطعام اليسير فيزداد حرصهم ويظنون انه لايكفيهم فتذهب بركته ويحتمل ان يكون لضيق المنزل وهو اقرب (وحديث جابر) اى ومن ذلك جابر كما رواه البخارى عنه (فى اطعامه صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الخندق) اى زمن حفره وهو يوم الاحزاب (الف رجل من صاع شعير وعناق) بفتح اوله وهى الانثى من اولاد المعز مالم يتم لها سنة (قال جابر فاقسم بالله لاكلوا) اى منه (حتى تركوه) اى على حاله وفى اصل الدلجى لاكلوا حتى شبعوا غاية للاكل حتى تركوه غاية للشبع (وانحرفوا) اى مالوا الى حرف اى جانب وطرف والمعنى وانصرفوا (وان برمتنا) بكسر الهمزة حالية والبرمة بضم الموحدة هى القدر من حجر اومدر (لتغط) بفتح التاء وكسر الغين المعجمة وتشديد المهملة اى تغلى من حرارة النار تحتها حتى يسمع غطيطها وهو صوت غليانها

(تامّي) اي على هيئتها الاولى وماهيتها بكمالها كانه لم يؤخذ منها شيء وماكافة مصححة لدخول الكاف على الجملة وهي مبتدأ والخبر محذوف اي مثل ماهي قبل ذلك (وان عجينا ليخبز) اي كما هو وكل ذلك بعد ان شبعوا وتركوا وانصرفوا (وكان) اي وقد كان (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تصق) اي تزق (في العجين والبرمة وبارك) اي ودعا لهما بالبركة (رواه عن جابر سعيد بن ميناء) بكسر الميم ممدودا ويقصر ويجر ولا يجر بناء على انه مفعال او فعلاء وحديث سعيد هذا عن جابر في الصحيحين (وابن) بفتح الميم عطف على سعيد وهو ابن الحبشي المكي وامه ام ايمن حاضنة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومولاته اخو اسامة بن زيد لامه استشهد يوم حنين وحديثه عن جابر في الخندق اخرجه البخاري في المغازي وزيد في بعض النسخ الصحيحة ههنا بعد قوله ابن (وعن ثابت عنه عن رجل من الانصار وامرأته ولم يسمهما) اي الراوي عنهما لكن جهالتهما لا تضر لكونهما صحابيين (قال) اي ثابت او كل من الرجل والمرأة (وجيء بمثل الكف) اي من العجينة (فجعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يبسطها) اي يدلكها ويوسعها (في الاناء ويقول ماشاء الله) اي من الدعاء والثناء (فاكل منه من في البيت والحجرة) بضم الحاء وتفتح ناحية قريبة من الدار (والدار) اي وما حولها من الفناء (وكان ذلك) اي الطعام (قداماسلاء ممن قدم معه صلى الله تعالى عليه وسلم لذلك) اي المرام (وبقي) اي ذلك الطعام (بعدما شبعوا مثل ماكان في الاناء) اي سابقا ببركته عليه الصلاة والسلام (وحديث ابي ايوب) اي ومن ذلك حديث ابي ايوب بدري مشهور وهو خالد بن زيد انصاري نجاري عقبي بدري نزل عنده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في خروجه من بني عمرو ابن عوف حين قدم المدينة فلم يزل عنده حتى بنى مسجده ومساكنه شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ووفد على ابن عباس البصرة فقال اني اخرج لك عن مسكني كما خرجت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن مسكنك واعطاه مااغلق عليه ولما قفل اعطاه عشرين الفا وار بعين عبدا مرض في غزوة القسطنطينية فقال اذامت فاحملوني فاذا صاففتم العدو فادفنوني تحت ارجلكم فدفن عند باب القسطنطينية فقبره معروف مع نورها قال مجاهد فكانوا اذا امحلوا كشفوا عن قبره فيمطرون وحديثه هذا رواه الطبراني والبيهقي عنه (انه صنع لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولابي بكر من الطعام زهاء مايكفيهما) بضم الزاي اي مقدار ما يشبعهما وفيه اشعار بكمال اختصاصهما (فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ادع ثلاثين من اشراف الانصار) خصهم بالدعوة كي يسلموا بالالفة ومشاهدة المعجزة اذ كان ذلك اول الهجرة وسماهم انصارا لعلمه بانهم يسلمون على يديه وينصرون دينه (فدعاهم فاكلوا حتى تركوا) وفي نسخة تركوه اي الاكل او الطعام والثاني اظهر في المرام لقرينة المقام ولقوله (ثم قال ادع ستين وكان مثل ذلك) اي فدعاهم فاكلوا حتى تركوه (ثم قال ادع سبعين فاكلوا حتى تركوه وماخرج منهم احد حتى اسلم) اي اظهر الاسلام او ثبت على ذلك المرام قال التلمساني في الاصل هكذا الا حتى اسلم وصوابه حتى اسلم (وبايع) اي على الجهاد ونصرته عليه الصلاة والسلام لما شاهد المعجزة في بركة ذلك الطعام (قال ابو ايوب فاكل من طعامي مائة وثمانون رجلا) وكان عشرين اكلوا بعد المائة والستين (وعن سمرة بن جندب) بضم الجيم والدال وتفتح وحكي بكسرهما وكان الاظهر ان يقول وحديث سمرة بن جندب وهو ما رواه الترمذي والبيهقي وصححاه والنسائي عنه وامثاله (اتي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اي جيء (بقصعة) بفتح القاف لا بكسر (فيها لحم فتعاقبوها) اي تناوبها في تناولها الصحابة جماعة بعد جماعة (من غدوة) بضم وسكون فتحتين لانها معرفة (حتى الليل) اي الى آخر نهار تلك الغدوة مع اخذ بعض الوقت من العشية (يقوم قوم ويقعد آخرون) جملة مستأنفة مبينة للتعاقب والمناوبة فلا ينافي ماقال التلمساني هكذا في الاصل والمعروف من حديث سمرة من غدوة الى الظهر وقال فقيل لسمرة هل كان يمد قال في اي شيء تعجب ماكان يمد الا من ههنا واشار الى السماء (ومن ذلك حديث عبد الرحمن ابن ابي بكر) على ما في الصحيحين عنه (كنا عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثين) اي رجلا (ومائة) اي رجلا وهو لغة في مائة وثلاثين (وذكر) اي عبد الرحمن (في الحديث) اي في حديثه هذا (انه عجن صاع) من طعام بصيغة المفعول وفي نسخة عجن صاعا (من طعام وصنعت شاة) بصيغة التأنيث للمجهول ويحتمل المتكلم على بناء الفاعل وفي اصل الدلجي وصنع شاة اي فرغ من شانها وهذا ايجاز بليغ اذ بسطه ان يقول وذبحت وسلخت وقطعت وهذا ان كان صانعه اذ العادة ان يحجز واحد عن القيام بامورها كلها فقد روي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان في بعض اسفاره يأمر باصلاح شاة فقال رجل يارسول الله علي ذبحها وقال آخر علي سلخها وقال آخر علي طبخها فقال عليه الصلاة والسلام وعلي جمع الحطب فقالوا انا نكفيك فقال قد علمت انكم تكفوني ولكني اكره ان اتميز عنكم لان الله يكره من عبده ان يراه متميزا بين اصحابه وقام عليه الصلاة والسلام وجمع الحطب في ذلك المقام

(فشوى سواد بطنها) على بناء المنعول ويحتمل الفاعل والمراد بسواد بطنها كبدها خاصة اوممالبقيهامافي جوفها واختاره الهروى والنووى الاول وخص الكبدلانه اصل الحياة وقيل القلب (قال) وفي نسخة ثم قال اى عبدالرحمن (وايم الله) بهمزة وصل اوقطع وضم الميم ويكسر وهو من الفاظ القسم كعمر الله وعهد الله واصله وايمن الله كما في نسخة وهوجمع يمين والمعنى اقسم ببركة الله وقدرته وقوله (مامن الثلاثين ومائة) اى احد (الاوقدحزله) بفتح الحاء وتشديد الزاى (حزة) بفتح الحاء وتضم اى قطع له قطعة من سواد بطنها قال الحلبي قوله حزة بفتح الحاء في النسخة التي وقفت عليها ولااعرفها واحفظها الا بالضم وهى القطعة المحزوزة واما بالفتح فالمرة من الحز وليست المراد هنا انما المراد القطعة انتهى ولايخفى ان الظاهر ان المرة من الحز هو المراد في هذا المقام والله تعالى اعلم بالمرام ثم رأيت الشمنى جوز الوجهين فتم النظام (ثم جعل) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (منها) اى من لحم الشاة ومامعه من الطعام (قصعتين) اى جفنتين كبيرتين (فاكلنا اجمعون وفضل) بفتح الضاد في الماضي وضمها في المستقبل وبكسرها في الماضي وفتحها في المضارع اى وزاد (في القصعتين) وقيل الاول من الفضل في السوددوالثاني من الفضلة وهى بقية الشيء وقد سوى بينهما الجوهرى حيث قال فضل منه شيء مثل دخل يدخل وفيه لغة اخرى مثل حذر يحذر (فحملته) اى ذلك الزائد (على البعير ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي عمرة الانصارى عن ابيه) اى ابي عمرة وهو انصارى بدرى له حديث في بركة الطعام في بعض غزواته عليه الصلاة والسلام رواه عنه ابنه عبد الرحمن قال ابن المنذر قتل ابوعمرة مع على رضى الله تعالى عنه بصفين اخرج له النسائى فقط كذاقرره الحلبي وقال الدلجي حديثه هذا رواه ابن سعد والبيهقي عنه انتهى وليس بينهما تناف اذ حصر الاول بالنسبة الى صحاح الستة وهما خارجان عنهم البتة (ومثله) اى مثل مروى عبدالرحمن (لسلمة بن الاكوع وابي هريرة) كما رواه البخارى عنهما (وعمر بن الخطاب) كما رواه ابو يعلى بسند جيد عنه (فذكروا) اى هؤلاء الثلاثة (مخمصة) بفتح الميمين اى مجاعة شديدة (اصابت الناس مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في بعض مغازيه فدعا ببقية الازواد) جمع الزاد والباء زائدة كما في نسخة اى فطلبها ليبرك فيها فتكثر كميتها اوكيفيتها (فجاء الرجل بالحثية من الطعام) بفتح الحاء المهملة وسكون المثلثة فتحتية اى باليسير منه ويكون قدر الغرفة وفي نسخة بضم الخاء المعجمة وسكون الباء الموحدة فنون فتاء وهى مايحمل في الحضن (وفوق ذلك) اى في الكثرة اوالقلة (واعلاهم) اى في الزيادة (الذي يأتي بالصاع من التمر فجمع على نطع) بكسر النون وفتحها مع سكون الطاء وبفتحتين وكعنب بساط من الاديم كذا في القاموس وقال الحلبي تلميذه افصحهن كسر النون وفتح الطاء انتهى وتبعه الشمنى وهو مايتبادر من عبارة القاموس وكذا هو على خلاف ماهو المشهور على السنة العامة من فتح النون وسكون الطاء مع انه اخف انواع هذه اللغة هذا وقدوقع في اصل الدلجي فجعله باللام بدل فجمعه بالميم فاحتاج لقوله اى ماجمع من الازواد والظاهر انه تصحيف والله تعالى اعلم بالمراد (وقال سلمة فحزرته) بفتح الحاء المهملة والزاى فسكون الراء اى خمنته وقدرته (كربضة العنز) بفتح الراء وسكون الموحدة فمعجمة وقيل بكسر الراء وصوب لانه للهيئة والفتح للمرة اى مثل جثتها اذا بركت والعنز هى الانثى من المعز واشار سلمة بهذا الى قلة التمر (ثم دعا الناس) اى طلب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (باوعيتهم) الاوعية والازودة واحد وقوله في نص الحديث حتى ملأ القوم ازودتهم قال القاضي في الاكمال كذا الرواية فيه في جميع اصول شيوخنا والازودة هى الاوعية كما قال في الحديث الآخر اوعيتهم (فمابقي في الجيش وعاء) بكسر الواو اى ظرف واناء (الاملؤه وبقي منه) اى قدر ماجعل كما في نسخة اى جمع اولا (واكثر) اى وقد يقال اكثر (ولووردهاهل الارض لكفاهم) اى لما فيه من خير كثير ولعل هذا معنى قوله تعالى بقية الله خير لكم (وعن ابي هريرة رضى الله تعالى عنه) كما روى ابن ابي شيبة والطبرانى في الاوسط بسند جيد انه قال (امرنى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان ادعوله) اى اطلب لاجله (اهل الصفة) بالضم والتشديد اى من فقراء المهاجرين وكانوا كثيرين ممن لم يكن له منزل فأووا موضعا مظللا من مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم فعن ابن سعد بسنده الى ابي هريرة قال رأيت ثلاثين رجلا من اهل الصفة يصلون خلف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليس عليهم اردية ثم قال ابو الفتح اليعمرى منهم ابوهريرة وابوذر وواثلة بن الاسقع وفي صحيح البخارى من حديث ابي هريرة لقدرأيت سبعين من اهل الصفة وقدعد من اهل الصفة ابونعيم في الحلية مائة ونيفا فيهم ابوهريرة وابن الاسقع واصحاب بئر معونة وفي عوارف المعارف للسهروردى انهم كانوا نحوا من اربعمائة والله تعالى اعلم وعد منهم سعد بن ابي وقاص وعمار بن ياسر وعقبة بن عامر وسلمان وبلال وصهيب وحذيفة وغيرهم قال في نظم الدرر واهل الصفة اضياف الاسلام لايأوون على اهل ولامال ولاعلى احد اذا اتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صدقة بعث بها اليهم ولم يتناول منها شيئا واذا اتته هدية ارسلها اليهم واشركهم فيها وقال صاحب الكشاف اصحاب الصفة كانوا نحو

او ثمانية رجال من مهاجرى قريش لم يكن لهم مسكن فى المدينة ولا عشيرة فكانوا فى صفة المسجد يتعلمون
القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون فى كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ومن كان عنده فضل طعام اتى بهم انا امسى (فتبعتهم) بتشديد الموحدة اى تتبعتهم (حتى جمعتهم فوضعت
بين ايديهم صحفة) اى قصعة مبسوطة (فاكلنا منها ما شئنا وفرغنا وهى مثلها حين وضعت) يعنى انها ما زادت
ولا نقصت (الا ان فيها اثر الاصابع) اى اصابع الآكلين وانها زادت (وعن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه)
كما رواه احمد والبيهقى بسند جيد انه (قال جمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بنى عبد المطلب وكانوا اربعين)
اى رجلا (منهم قوم) اى بعض (يأكلون الجذعة) اى الشاة الجذعة وهى بفتح الجيم وسكون الدال المعجمة
الداخلة فى السنة الثانية اذا كانت من المعز وما اتى عليه ثمانية اشهر من الضأن قيل والمراد بها هنا الابل كما ورد
مفسرا فى بعض الاحاديث وهو منها ما يدخل فى الخامسة او الرابعة (ويشربون الفرق) بفتح الفاء والراء وتسكن
مكيال يسع ثلاثة آصع بكيل الحجاز وقيل انه يسع اثنى عشر صاعا بصاع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك ستة عشر
رطلا (فصنع لهم مدا من الطعام) اى قدر مد وهو بضم الميم مكيال وهو رطل ورطلان او رطل وثلث او ملء كفى الانسان
المعتدل اذا ملأهما ومد يده بهما وبه سمى مدا قال صاحب القاموس وقد جربت ذلك فوجدته صحيحا (فاكلوا)
اى منه (حتى شبعوا وبقى كما هو) اى كأن لم يؤكل شئ منه (ثم دعا بعس) بضم عين وتشديد سين مهملتين قدح كبير
من خشب يروى الثلاثة والاربعة ونحوهم (فشربوا حتى رووا) بضم الواو (وبقى كانه لم يشرب منه) اى شئ
(وقال انس) اى على ما رواه الشيخان واللفظ لمسلم (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حين ابتنى) اى تزوج ودخل
(بزينب) اى بنت جحش قال الحلبى المعروف ان مثل هذه القصة اتفقت فى بنائه بصفية وفى شرح مسلم للمصنف
ان الراوى ادخل قصة فى قصة وقال بعضهم فى حديث الصحيح يحتمل انه اتفق الشيئان يعنى الشاة والخبز (امره)
اى انسا (ان يدعو له قوما سماهم) اى جماعة بينهم باسمائهم وخصصهم ثم عممهم بعطف غيرهم حيث قال (وكل من لقيت)
اى فدعوتهم (حتى امتلأ البيت والحجرة) وهى موضع مفرد عنه وقيل يريد بالبيت الصفة وهكذا جاء مفسرا
فى حديث انس الآتى فى آخر هذا الفصل وهو قوله تزوج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبعثت ام سليم حيسا
الى قوله حتى ملؤا الصفة والحجرة الحديث وكان لكل واحد من نسائه صلى الله تعالى عليه وسلم حجرة هى بيتها
(وقدم) وفى نسخة وقدم (اليهم تورا) بفتح الفوقية اناء من صفر او حجارة كالاجانة وهى التى تسمى مركنا طست او سطلا
وقيل كان (فيه قدر مد من تمر جعل حيسا) اى بضم سمن واقط اليه وربما يجعل عوضا عن الاقط دقيق او فتيت
او سويق (فوضعه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (قدامه) اى بين يديه (وغمس ثلاث اصابعه) اى فيه (وجعل
القوم) اى شرعوا (يتغدون) بتشديد الدال المهملة المفتوحة من الغداء وهو خلاف العشاء وفى نسخة بالدال المعجمة
وهو ما يؤكل اعم من العشاء والغداء قال الحلبى فى النسخة التى وقفت عليها بالدال المعجمة وهو غير مناسب لان الغذاء
بكسر الغين وبالدال المعجمة اعم من الغداء بفتح الغين وبالدال المهملة وفى صحيح مسلم فدعا الناس بعد ارتفاع
النهار فذكر القصة وفيه ايضا من حديث اطعمنا الخبز واللحم حين امتد النهار اى ارتفع وهذا صريح فى ان ذلك
كان فى صدر النهار فيتعين مناسبة الدال المهملة لكن فيه ان المعنى الاخص مندرج فى المعنى الاعم والله تعالى
اعلم (ويخرجون) اى حتى خرج آخرهم (وبقى التور) اى عامة (نحوا مما كان) وهو تمييز لنسبة بقى او حال من التور
(وكانوا) وفى نسخة وكان القوم (احدا او اثنين وسبعين) وفى اصل الدلجى احدا وثلاثين او اثنين وسبعين (وفى رواية
اخرى فى هذه القصة) اى قصة وليمة زينب (او مثلها) اى او فى مثل هذه القصة وهى قصة وليمة صفية (ان القوم
كانوا زهاء ثلاثمائة) بضم الزاى اى قدرها (وانهم اكلوا حتى شبعوا) بكسر الباء (وقال لى) اى النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم بعد ان شبعوا (ارفع) اى التور وفى اصل التلمسانى لترفع بلام الامر وتاء المخاطب وهو قليل ومنه قوله تعالى
فبذلك فلتفرحوا فى قراءة شاذة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام لتأخذوا مصافكم هنا وعن ابن عمر مرفوعا
اذا وضعت القصعة فليأكل احدكم مما يليه ولا يتناول من ذروة القصعة فان البركة تأتيها من اعلاها ولا يقوم الرجل
حتى ترفع المائدة ولا يرفع يده وان شبع حتى يرفع القوم وليعذر فان ذلك يخجل جليسه ولعله يكون له بالطعام حاجة
رواه يحيى بن ابى كثير عن عروة عن ابن عمر فرفعته (فلا ادرى) وفى اصل الدلجى فما ادرى (حين وضعت كانت
اكثر ام حين رفعت) بصيغة التأنيث على بناء المجهول فيهما ولعل التأنيث باعتبار معنى التور من الاجانة ونحوها
ولا يبعد ان يكون بصيغتى الفاعل للمتكلم على ان المفعول محذوف والتقدير وضعته ورفعته واقول بل حين رفعت
لحصول البركة وتعلق المعجزة حين رفعها بخلاف حال وضعها (وفى حديث جعفر) اى الصادق (بن محمد) اى الباقر

(عن ابيه) اى ابي جعفر محمد (عن على) اى ابن ابى طالب جد والد محمد وهو زين العابدين على بن الحسين بن على كذا رواه ابن سعد منقطعا لان محمدا ووالده لم يدركا عليا فقول الحلبي رواية الباقر عن على مرسلة فيه نوع مسامحة (ان فاطمة طبخت قدرا) اى طعام قدرا وذكرت المحل وارادت الحال (لغدائهما) بفتح الغين المعجمة والدال المهملة (ووجهت عليا) اى ارسلته (الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى اصل التلمساني فى النبي اى فى طلبه والتوجه اليه اوفى بمعنى الى (ليتغدى معهما) اى فجاءها (فامرها فغرفت لجميع نسائه صحفة صحفة) وهن كن تسعا عائشة وحفصة وزينب وام حبيبة وام سلمة وسودة وميمونة قرشيات وصفية قرظية وجويرية مصطلقية (ثم له عليه الصلاة والسلام ثم لعلى ثم لها) اى ولاولادها اوولمن كان معها (ثم رفعت القدر وانها لتفيض) بفتح الفوقية اى لتفور وتسيل من جوانبها (قالت) اى فاطمة (فاكلنا) وفى نسخة واكلنا (منها ماشاء الله) اى ان نأكل منها (وامر) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (عمر بن الخطاب ان يزود) بتشديد الواو المكسورة اى يعطى الزاد (اربعمائة راكب من احمس) بفتح الهمزة والميم اسم رجل نسب اليه قبيلة معروفة والحماسة الشجاعة والشدة فى الديانة واذا سميت قريش الحمس لتشددهم فى دينهم وذلك انهم كانوا ايام منى لايستظلون ولايدخلون البيوت من ابوابها وفى رواية اربعمائة راكب من مزينة وهى قبيلة من مضر (فقال يارسول الله ماهى الا اصوع) بضم الواو جمع صاع قال الجوهري وان شئت ابدلت من الواو المضمومة همزة وفى نسخة آصع بهمزة ممدودة وصاد مضمومة قال ابن قرقول وجاء فى كثير من الروايات آصع والصواب اصوع (فقال اذهب) اى فزودهم منه (فذهب فزودهم منه وكان) اى الذى اعطاهم (قدر الفصيل) اى ولد الناقة اذا فصل عن امه اى فطم (الرابض) بكسر الموحدة اى الحقير اوالبارك (من التمر وبقى) اى التمر بعد تزويدهم منه (بحاله) اى كان لم يؤخذ منه شئ (من) اى هذا الحديث من رواية دكين) بالتصغير واوله دال وقيل راء (الاحمسى) رواها ابو داود فى الادب الا انه قال عن دكين بن سعيد المزني قال اتينا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فسألنا الطعام اى الزاد فقال ياعمر اذهب فاعطهم فارتقى بنا الى علية بضم العين وتشديد اللام المكسورة فتحتية مشددة اى غرفة فاخذ المفتاح من حجزته بالزاى ففتح اى فاعطانا ما اعطانا قال الحلبي يقال له الاحمسى والمزني والخثعمى له صحبة وليس له فى الكتب الا فى سنن ابى داود وليس له فيه الا هذا الحديث وهومختصر منه (ومن رواية جرير) يعنى ايضا (ومثله من رواية النعمان) بضم النون (ابن مقرن) بتشديد الراء المكسورة وقيل بالسكون والتخفيف احمسى ايضا اسلم مع اخوته الستة وقال السهيلي بنو مقرن المزني هم البكاؤن الذين نزل فيهم قوله سبحانه وتعالى ولاعلى الذين اذاما اتوك لتحملهم الآية (الخبر) بالرفع اى الحديث هذا (بعينه) اى من غيرزيادة ونقصان فيه على مارواه احمد والبيهقى بسند صحيح عنه (الا انه قال) اى النعمان (اربعمائة راكب من مزينة) اى كما مر عن ابى داود هذا والخبر مرفوع على انه خبر ومثله مبتدأ وابعد الدلجى بقوله منصوب باعنى (ومن ذلك) اى من قبيل تكثير الشئ ببركة دعائه وعظمة ثنائه (حديث جابر فى دين ابيه بعد موته) كما رواه البخاري عنه (وقد كان) اى جابر (بذل لغرماء ابيه اصل ماله) اى اراد ان يبذل لهم اوعرض عليهم ورضى لهم ان يأخذوا جميع ماله و بذل بالمعجمة اى اعطى واما بالمهملة فبمعنى العوض (فلم يقبلوه) اى استحقارا لاصل ماله لعدم الوفاء بكماله كما بينه بقوله (ولم يكن فى ثمرها) اى ثمر البساتين المعبر عنها باصل ماله اوثمر نخيل جابر اوابيه بكماله (كفاف دينهم) بفتح الكاف اى وفاء لادائه قال الدلجى ومنه قول الحسن ابدأ بمن تعول ولاتلام على كفاف اى اذالم يكن عندك كفاف فلاتلام على عدم اعطائه انتهى والكفاف قوت الرزق والاظهر ان المعنى فلا تلام على تحصيل مايكفيك من المال عن السؤال وتشتت البال ثم صدر الكلام وهو قوله ابدأ بمن تعول من حديثه عليه الصلاة والسلام كما رواه الطبراني عن حكيم بن حزام (فجاءه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعدان امره) اى جابرا (بجدها) بفتح الجيم وتشديد الدال المهملة اى بقطع ثمرها (وجعلها بيادر فى اصولها) بفتح الموحدة وكسر الدال المهملة جمع بيدر اى جعلها كومات تحت نخيلها (فمشى فيها) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ودعا) اى بالبركة فيه (فاوفى) اى اعطى (منه جابر غرماء ابيه وفضل) تقدم الكلام عليه وقال التلمساني تثلث ضاده والكسر اعلى اى زاد (مثل ماكانوا يجدون) بضم الجيم وكسرها وتشديد الدال المهملة اى يقطعون (كل سنة وفى رواية مثل ما اعطاهم) اى فضل (قال) اى جابر (وكان الغرماء يهود) خبر كان غير منصرف علم طائفة من اليهود (فعجبوا) بكسر الجيم اى فتعجبوا (من ذلك) اى لما اعظم موقعه عندهم مع خفاء سببه اذ هو شأن العجب وسبب تعجبهم هو وفاء دينهم الكثير من الشئ اليسير مع زيادته بدعائه و بركته فان هذا وامثاله مما ذكر سابقا ولاحقا من اعلى المعجزات واعظم الكرامات (قال ابو هريرة) على مارواه البيهقى عنه (اصاب الناس مخمصة) اى مجاعة شديدة (فقال لى رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم هل من شيء) اى هل عندك بعض شيء فمن تبعيضية لا زائدة كما قاله الدلجي ثم تنكير شيء للتقليل فيفيد المبالغة في المطلبة ولو بشيء يسيرا وقد وحقير (قالت نعم) اى عندي (شيء) اى قليل (من التمر في المزود) بكسر الميم وفتح الواو وعاء من جلد يجعل فيه الزاد (قال ائتني به) اى فاتيته به (فادخل يده فاخرج قبضة) بفتح القاف اى مرة من القبض بمعنى مقبوضة كالغرفة بمعنى المغروفة وهي ماخوذة من القبض وهو الاخذ بجميع الكف وبالضم اسم للشيء المقبوض كالغرفة بالضم بمعنى المغروف والرواية بالفتح كما ذكر الحجازي وهو ملء الكف قال الحلبي ويفتح ايضا ويؤيده ما في القاموس القبضة وضمه اكثر ما قبضت عليه من شيء هذا وفي نسخة بالصاد المهملة ففي القاموس قبصه تناوله باطراف اصابعه وذلك المتناول القبصة بالفتح والضم والقبصة من الطعام ما حملت كفاك وبضم انتهى ولا يخفى ان هذا المعنى ابلغ في المعنى (فبسطها) اى يده (ودعا بالبركة) اى لما فيها (ثم قال ادع عشرة) اى فدعوتهم (فاكلوا حتى شبعوا ثم عشرة) بالنصب اى دعوتهم (كذلك) على ما في نسخة اى فاكلوا حتى شبعوا وهكذا بقية من هنالك (حتى اطعم الجيش كلهم وشبعوا) اى وتركوا فضلهم وقد سبقت الحكمة في الاقتصار على العشرة في الجفنة وقيل خصت العشرة لان لها فضلا حيث ان الله تعالى اقسم بها وفي العشر ليلة القدر وفيها ليلة النحر وفيها يوم عاشوراء وقال تعالى واتممناها بعشر وقال تلك عشرة كاملة (وقال) وفي نسخة قال وفي نسخة ثم قال اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (خذ ما جئت به) اى مع الزيادة الحاصلة من البركة (وادخل يدك) اى فيه (واقبض منه) بكسر الموحدة (ولا تكبه) بفتح التاء وضم الكاف وتشديد الموحدة المفتوحة وقد تضم اى لا تقلبه (فقبضت) اى فاخذت (على اكثر ما جئت به فاكلت منه واطعمت) اى غيري ايضا (حياة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى مدة حياته (وابي بكر وعمر الى ان قتل عثمان) وهو مقام خمس وثلاثين (فانتهب مني) بصيغة المجهول اى سلب (فذهب) اى فاستمر غائبا عني في المكان ولعل فقده حينئذ لفساد الزمان (وفي رواية) اى مسندة للترمذي (لقد) وفي نسخة فقد (حملت من ذلك التمر كذا وكذا) كناية عن تعدد مقدار ما حمله (من وسق في سبيل الله عز وجل وذكرت مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك) اى من الرواية (وان التمر) بكسر الهمزة والجملة حالية (كان بضع عشرة تمرة) وروى بضعة عشر والاول اولى (ومنه) اى ومن تكثير الطعام ببركة دعائه عليه الصلاة والسلام (ايضا) كما في نسخة اى كما وقع مكررا في مقام المرام (حديث ابي هريرة) كما رواه البخاري (حين اصابه الجوع) يعني ابا هريرة (فاستتبعه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اي فامره ان يتبعه فتبعه (فوجد) اى النبي او ابو هريرة (لبنا) اى قليلا (في قدح) اى صغير (قد اهدي اليه) اى الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (وامره) اى ابا هريرة (ان يدعو اهل الصفة) اى يطلبهم اليه. (قال) ابو هريرة رضي الله تعالى عنه (فقلت) اى في نفسي (وما هذا اللبن) اى ما تأثيره (فيهم) والاستفهام بمعنى النفي اى لا يغني من شبعهم شيئا (كنت) اى انا وحدي (احق ان اصيب منه شربة) اى مرة واحدة واغرب التلمساني في قوله بضم الشين (اتقوى بها) يعني ولعلها تكفيني ام لا ومع هذا امتثلت الامر (فدعوتهم) اى فحضروا (وذكر) اى ابو هريرة (امر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له ان يسقيهم) بفتح الياء الاولى وضمها ولفظ الدلجي وامرني ان اسقيهم ولعله نقل بالمعنى وتغير في المبنى (فجعلت) اى شرعت (اعطي الرجل فيشرب حتى يروى) بفتح الياء والواو (ثم ياخذه الآخر) اى فيشرب (حتى) يروى وهكذا حتى (روي جميعهم) بكسر الواو ولفظ الدلجي حتى رووا جميعهم بضم الواو على صيغة الجمع (قال) اى ابو هريرة (فاخذ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم القدح) اى قدح اللبن (وقال بقيت انا) تاكيد لضمير بقيت ليصح عليه عطف قوله (وانت) نحو قوله تعالى اسكن انت وزوجك الجنة (اقعد) امر ادب (فاشرب فشربت ثم قال اشرب) اى فشربت كما في اصل الدلجي (وما زال يقولها) اى كلمة اشرب (واشرب حتى قلت لا) اى لا اشرب او لا اقدر على زيادة الشرب (والذي بعثك بالحق) اى الى كافة الخلق (ما اجد) وفي نسخة صحيحة لا اجد (له مسلكا) اى مساغا وهو يحتمل ان يكون جواب القسم او مستانفا مبينا لامتناعه كانه علة له (فاخذ) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (القدح فحمد الله) اى على ما منحه من البركة (وسمى وشرب الفضلة) اى البقية وفيه ايذان بان افضل القوم يكون آخرهم شربا كما ذكره الدلجي وفي الحديث ساقي القوم آخرهم شربا رواه الترمذي وابن ماجه عن ابي قتادة وغيرهما عن غيره وفيه تنبيه ايضا على وجه حكمة تاخير ابي هريرة عن القوم مع الايماء الى وجه اختيار الايثار لا سيما حال المخمصة والاضطرار والله تعالى اعلم بهذه الاسرار وعن عبد الله بن الحارث عن ابيه عن ابي عبد الرحمن السلمي قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اتخذوا عند الفقراء ايادي فان لهم دولة قيل يا رسول الله وما دولتهم قال ينادي يوم القيامة يا معشر الفقراء قوموا فلا يبقى فقير الا قام حتى اذا اجتمعوا قيل ادخلوا الى

صفوف اهل القيامة فمن صنع معكم معروفا فاوردوه الجنة قال فجعل يجتمع على الرجل كذا وكذا من الناس فيقول له الرجل الم اكسك فيصدقه و يقول الآخر يافلان الم اكلمك فلانا فلا يزال يخبرونه بما صنعوا اليه وهو يصدقهم حتى يذهب بهم جميعا حتى يدخلهم الجنة فيبقى قوم لم يكونوا يصنعون المعروف فيقولون ياليتنا كنا نصنع المعروف حتى ندخل الجنة وعن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان ممن كان قبلكم ملك مسرف على نفسه وكان مسلما واذا اكل طعامه طرح ثفالة طعامه على مزبلة فكان يأوى اليها عابد فان وجد كسرة اكلها وان وجد بقلة اكلها وان وجد عرقا تعرقه قال فلم يزل كذلك حتى قبض الله ذلك الملك فادخله النار فخرج العابد الى الصحراء مقتصرا على بقلها ومائها انه سبحانه وتعالى قبض ذلك العابد فقال له هل لاحد عليك معروف تكافئه قال لا يارب قال فمن اين كان معاشك وهو اعلم به منه قال كنت آوى الى مزبلة ملك فان وجدت كسرة اكلتها وان وجدت بقلة اكلتها وان وجدت عرقا تعرقته فقبضته فخرجت الى البرية مقتصرا على بقلها ومائها فامر تعالى ان خذ بيده فادخله الجنة من معروف كان منه اليك وهو لم يعلم به اما انه لو علم به ما ادخلته النار (وفى حديث خالد بن عبد العزى) اى ابن سلامة الخزاعى له صحبة روى عنه ابنه مسعود الا ان حديثه ليس فى الكتب الستة على ما فى التجريد كما ذكره الحلبى وقال الدلجى حديثه هذا رواه البيهقى عنه (انه اجزر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى عطاه (شاة) اى تصلح للجزر وهو الذبح ولا تكون الا من الغنم فلا يقال اجزرت القوم ناقة لانها قد تصلح لغير الذبح اذ نزل عليه بالجعرانة وظل عنده وامسى ثم بدت له صلى الله تعالى عليه وسلم العمرة فارسل الى رجل من تهامة يقال له محرش ابن عبد الله ليأخذ به طريقا الى مكة يأمن فيه على نفسه لخوفه من دخولها وحده فانحدر به الى الوادى حتى بلغ الشعاب قال يامحرش من هذا المكان الى الكروما والاه فهو لخالد وما بقى من الوادى فهو لك ثم سار به حتى قضى نسكه وا حله محرش اى خلقه ثم رجعا الى خالد (وكان عيال خالد) بكسر العين اى من يعوله (كثيرا) اى عددهم (يذبح الشاة) حال او استيناف مبين لكثرتهم واللام فى الشاة للجنس فهو فى حكم النكرة اى قد يذبح خالد شاة (فلا تبدعيله) بضم الفوقية وكسر الموحدة وتشديد الدال المهملة من بد الشئ وابده فرقه واعطى كل واحد بدته اى نصيبه على حدته قال الهروى وفى الحديث اللهم احصهم عددا واقتلهم بددا اى متفرقين واحدا بعد واحد والمعنى لا تكفى الشاة كلهم اذا فرقت عليهم (عظما عظما وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بكسر الهمزة جملة حالية (اكل من هذه الشاة) اى التى اجزرها اياه (وجعل فضلتها) اى بقيتها (فى دلو خالد ودعا له بالبركة فيثر) بفتح الموحدة فضم المثلثة بعدها راء اى كثر (ذلك لعياله) و فى نسخة صحيحة بالنون والمثلثة المفتوحتين اى انتثر ذلك لعياله حتى وسعهم وقيل اى صبه واخرجه ورمى به (فاكلوا وافضلوا) اى ودخلوا فى زيادة البركة (ذكر خبره الدولابى) بضم الدال المهملة انصارى رازى سمع محمد بن بشار وغيره من طبقته بالحرمين والعراق ومصر والشام وغيرها وصنف التصانيف وروى عنه ابن ابى حاتم وابن عدى والطبرانى وغيرهم قال الدار قطنى تكلموا فيه وماتبين فى امره الا خير توفى بين مكة والمدينة بالعرج فى ذى القعدة سنة عشر وثلثمائة هذا وقد قال ابن ماكولا فى الاكمال ما لفظه واما خناش اوله خاء معجمة مضمومة و بعدها نون وآخره شين معجمة فهو ابو خناش خالد بن عبد العزى فى الصحابة ذكره ابو بشر الدولابى فى كتاب الاسماء والكنى بسنده الى ان قال عن مسعود بن خالد عن خالد ابن عبد العزى بن سلامة انه اجزر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شاة وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة فلا تبدعيا له عظما عظما وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اكل منها ثم قال ارنى دلوك يا اباخناش و وضع فيها فضلة الشاة ثم قال اللهم بارك لابى خناش فانقلب به فنثره لهم وقال تواسعوا فيه فاكل عياله وافضلوا ذكره الحلبى (ومن حديث الآجرى) بهمزة ممدودة وضم جيم وتشديد راء وبعده ياء نسبة صاحب كتاب الشريعة وهو ابو بكر محمد بن الحسين ابن عبد الله البغدادى منسوب الى عمل الآجر (فى نكاح النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لعلى فاطمة) اى فى تزويجها له (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم امر بلالا بقصعة من اربعة امداد او خمسة) اى من دقيق خبز شعير او حنطة (وذبح جزور) اى بعير (اولمتها) وفى نسخة وبذبح جزورا بصيغة المضارع وفى اخرى وبذبح جزور بمصدر مضاف (قال) اى بلال (فاتيته بذلك) اى فجئت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالذى امرنى ان يصنعه من القصعة (فطعن) فى رأسها) اى فى اعلاها بيديه لتنزل البركة عليه (ثم ادخل الناس) ى امرهم بالدخول عليه (رفقة رفقة) بضم الراء ويجوز تثليثها اى جماعة بعد جماعة (يأكلون منها) وفى نسخة صحيحة فأكلوا منها (حتى فرغوا) اى عنها (وبقيت منها فضلة) وفى نسخة فضلة منها اى بقية وزيادة (فبرك) بتشديد الراء اى فدعا بالبركة (فيها وامر بحملها الى ازواجه) اى من النساء التسع (وقال) اى لهن بعد ارساله اليهن (كلن) اى بانفسكن (واطعمن من

فشبكي) اى اتاكى وحضر عند ڪن مان البركة نوا فى كلكن (وفى حديث انس) كارواه الشيخان (زوج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ببعض نسائه) قال الحلبى تقدم ان هذا كان فى ابتنائه بصفية (فصنعت اى ام سليم) بالتصغير (حيسا) تقدم مبناه ومعناه (فجعلته فى تور) سبق كذلك (فذهبت) اى انا وفى نسخة فبعثنى (به) اى بالتور (الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال صنعه وادع لى فلانا وفلانا) اى كابى بكر وعمر خصوصا (ومن لقيت) اى من غيرهما عموما (فدعوتهم) اى المعينين جميعهم (ولم ادع) بفتح الدال اى ولم اترك احدا احدا المفيد اى فى طريقى ذاهبا وآيبا (الادعوته وذكر) اى انس (انهم) اى المدعوين والمجتمعين لاكما قال الدلجى اى الذين دعاهم (كانوا زهاء ثلثمائة) اى مقدارهم تقريبا (حتى ملؤا الصفة والحجرة فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم تحلقوا) بفتح اللام المشددة اى استديروا واكالحلقة المفرقة (عشرة عشرة) اى كل عشرة حلقة اوكل حلقة عشرة (ووضع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يده على الطعام) اى المسمى بالحيس الذى صنعته ام سليم وجاءبه انس اليه عليه الصلاة والسلام (فدعا فيه) اى بما شاء الله من الدعاء (وقال ماشاء الله ان يقول) اى من اصناف الاسماء وانواع الثناء (فأكلوا حتى شبعوا كلهم وقال لى ارفع) فرفعته (فما ادرى حين وضعت كانت اكثرام حين رفعت) بصيغة المجهول فيهما ولايبعد ان يضبط بصيغة المتكلم المعلوم وتأنيث الضمير مع انه راجع الى التور باعتبار الآنية ووقع فى اصل الدلجى وضع ورفع بصيغة التذكير فيتعين كونهما للمفعول كما لايخفى (واكثر احاديث هذه الفصول الثلاثة) اى التى اولها فصل نبع الماء من بين اصابعه (فى الصحيح وقد اجتمع على معنى حديث هذا الفصل) وفى نسخة حديث الفصل هذا ووقع فى اصل الدلجى حديث هذه الفصول (بضعة عشر) بكسر الباء وتفتح اى ثلاثة عشر اواكثر (من الصحابة) واما قول الجوهرى تقول بضع سنين و بضعة عشر رجلا فاذا جاوزت العشر لاتقول بضع وعشرون فهو منقوض بقوله عليه الصلاة والسلام صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ ببضع وعشرين درجة ولقوله فى حديث مسلم وغيره الايمان بضع وسبعون شعبة (رواه عنهم) اى روى معنى حديث هذا الفصل اوهذه الفصول عمن ذكر من الصحابة (اضعافهم من التابعين ثم) اى بعدهم رواه عن اضعافهم منهم (من لايعد) بصيغة المجهول اى لايحصر وفى نسخة لاينعد (بعدهم)اى من تابعيهم (واكثرها) اى واكثر احاديث هذه الفصول الثلاثة (وردت فى قصص مشهورة) بكسر اتفاق اى حكايات مأثورة (ومجامع مشهودة) اى محصورة مما تقدم فيها (ولايمكن التحدث عنها الابالحق) اى على وفق الصدق حذرا من التكذيب فى رواية منها (ولايسكت الحاضر لها) اى المشاهد لها (على ما انكر منها) حذرا من ان ينسب اليه مالايليق بجنابه

(فصل)

(فى كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة واجابتها دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم قال) اى المصنف (حدثنا احمد ابن محمد بن غلبون) بفتح فسكون فضم موحدة وهو منصرف وقد يمنع بناء على ان مطلق المزيدتين علة عدم الانصراف (الشيخ الصالح فيما اجازنيه) هذه لغة حكاها ابن فارس والمعروف اجازلى ذكره الحلبى وغيره (عن ابى عمر) وفى نسخة ابى عمر وبالواو (الطلمنكى) بتشديد لام مفتوحة فميم مفتوحة ونون ساكنة (عن ابى بكر الهندى) بكسر الدال (عن ابى القاسم البغوى) بفتحتين وهو الحافظ الكبير المسند البغوى الاصل البغدادى ابن بنت احمد ابن منيع العوى روى عن احمد بن حنبل عاش مائة وثلاث سنين وتوفى ليلة عيد الفطر سنة سبع عشرة وثلثمائة وله ترجمة فى الميزان وقال فى آخرها وهذا الشيخ الحجازى يعنى به ابا العباس احمد بن الشحنة راوى صحيح البخارى وغيره بينه وبين البغوى اربعة انفس وهذا شئ لانظير له فى الاعصار وذلك ان الحجازى توفى سنة ثلاث وسبعمائة فيكون بين وفاته ووفاة البغوى اربعمائة سنة وبضع عشرة (حدثنا احمد بن عمران الاخنسى) بفتح الهمزة وسكون المعجمة روى عنه ابن ابى الدنيا وغيره (ثنا ابوحيان) بتشديد التحتية (التيمى)وفيه ان الاخنسى لم يدركه على ماصرح به المزى ولعله اسقط محمد بن فضيل ويؤيده انه وجد فى نسخة صحيحة قبله ثنا محمد بن فضيل ويؤيده ما سيأتى مما ساق المصنف فى اول فصل فى الآيات فى ضروب الحيوانات حدثنا فى اسناده حدثنا ابو العلاء احمد بن عمران ثنا محمد ابن فضيل الخ والله تعالى اعلم (وكان) اى ابوحيان (صدوقا) وقد روى عن ابى زرعة والشعبى وعنه يحيى القطان وابواسامة اخرج له الائمة الستة (عن مجاهد) تابعى جليل (عن ابن عمر) وقد رواه الدارمى والبيهقى والبزار ايضا عنه (قال كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى سفر فدنا) اى قرب (منه اعرابى) اى بدوى (فقال يا اعرابى ابن تريد قال اهلى) اى اريد اهلى اواهلى اريدهم وفى نسخة الى اهلى اى مرادى التوجه اليهم (قال هل لك) اى ميل ورغبة (الى خير) اى من اعمالك اوخير مخص لك فى حالك ومآلك (قال وماهو) اى ذلك الامر اوالخير (قال تشهد) اى

ان تشهد اى شهادتك اوخبر معناه امر اى اشهد (ان) مخففة من المثقلة حذف اسمها اى انه (لا اله) موجود او معبود او مشهود (الا الله وحده) حال مؤكدة اى متوحدا ومنفردا (لاشريك له) اى فى وحدانية ذاته وسبحانية صفاته (وان محمدا عبده ورسوله) الى كافة مخلوقاته (قال من يشهد لك على ما تقول) اى من دعوى التوحيد والرسالة (قال هذه الشجرة السمرة) بفتح فضم وهي بدل مما قبلها فانها من الطلح شجر عظام من العضاة له شوك كثير وظل يسير قالوا وهو شجر الصمغ العربي (وهي بشاطئ الوادي) اى طرفه وجانبه (فاقبلت) اى بمجرد قوله عليه الصلاة والسلام هذه الشجرة تشهد على حقية الاسلام وفى نسخة صحيحة فادعها فانها تجيبك وفى اخرى فادعها له تجبك قال اى الاعرابي فدعوتها فاقبلت وهذا ابلغ فى قبول الاجابة والمعنى فشرعت الشجرة فى الاتيان اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (تخد الارض) بضم الخاء المعجمة وتشديد الدال المهملة ومنه الاخدود وهو الشق فى الارض اى حال كونها تشق الارض وسعى اليه على ساق بلا قدم (حتى قامت) اى وقفت كما فى نسخة (بين يديه فاستشهد ها ثلاثا) اى طلب منها ان تشهد له ثلاث مرات (فشهدت) اى ثلاثا (انه) اى الامر (كما قال) اى النبي عليه الصلاة والسلام ان الله واحد لاشريك له وانه عبد الله ورسوله (ثم رجعت الى مكانها وعن بريدة) بالتصغير وهو ابن الحصيب بن عبدالله الاسلمي اسلم حين مر به عليه الصلاة والسلام مهاجرا ثم قدم المدينة قبل الخندق وشهد الحديبية ومات بمدينة مرو بخراسان غازيا واما بريدة بن سفيان الاسلمي فلا صحبة له وان ذكره بعضهم من الصحابة بل هو تابعي متكلم فيه كما رواه البزار عنه انه قال (سأل اعرابي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم آية) اى علامة تكون معجزة دالة على صدق الرسالة (فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك قال) اى بريدة (فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها) اى من جهاتها كلها واضطربت فى مكانها وارتفعت فى شانها متوجهة بجميع دواعيها الى داعيها (فقطعت عروقها) اى المتعلقة باصولها (ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها) حالان متداخلان او مترادفان (مغبرة) بتشديد الراء والباء (حتى وقفت بين يدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت السلام عليك يارسول الله) قال الدلجي لعله صلى الله تعالى عليه وسلم رد عليها السلام مكافاة لها لا وجوبا اذ ليست مكلفة انتهى وتعليله غير مستقيم كما لا يخفى (قال) وفى نسخة فقال (الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها) بكسر الموحدة سماعا وتفتح قياسا (فرجعت) اى بعد امره لها (فدلت عروقها) بتشديد اللام اى ارسلتها ومكنتها (فى ذلك) اى المكان قال التلمسانى الموضع سقط عند العرفى وثبت عند غيره (فاستوت) اى قائمة (فقال الاعرابي ائذن لى) يقرأ فى الوصل بسكون همزة الاصل وفى الابتداء بهمزة الوصل وابدال همزة الاصل بالياء اى مرنى (اسجد لك) جواب الامر وفى نسخة صحيحة ان اسجد لك (قال لو امرت احدا ان يسجد لاحد) اى غير الله سبحانه وتعالى (لامرت المرأة ان تسجد لزوجها) اى لما عليها من حقوقه (قال فأذن لى) وفى نسخة فقال ائذن لى (اقبل) وفى نسخة ان اقبل (يديك ورجليك فاذن له) اى فقبلها (وفى الصحيح) اى صحيح مسلم (فى حديث جابر بن عبدالله) اى الانصارى كما فى نسخة وهما صحابيان جليلان (الطويل) نعت الحديث (ذهب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقضى حاجته) كناية عن فعل الغائط او البول (فلم ير شيئا يستتر به) اى من عيون الانس والجن فتحير فى امره (فاذا بشجرتين) اى ثابتتين او نابتتين (بشاطئ الوادي) اى فى جانبه (فانطلق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ذهب (الى احداهما فاخذ بغصن من اغصانها فقال) اى لها كما فى نسخة انقادى على (اى استسلمى لى واطيعينى باذن الله) اى بامره وتيسيره (فانقادت معه كالبعير المخشوش الذى يصانع قائده) اى يلاينه وينقاد له وهو بالخاء والشينين المعجمات الذى جعل فى انفه خشاش وهو بالكسر عود يربط وعليه حبل ويجعل فى انفه ويشد به الزمام لينقاد بسهولة ثم ان كان من شعر فهو خزامة او من صفر او حديد فهو برة بضم موحدة فتخفيف راء (وذكر) اى جابر (انه) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فعل بالاخرى) اى من الشجرتين (كذلك) اى مثل ما فعل بالاولى (حتى اذا كان بالمنصف) بفتح الميم واسكان النون وفتح الصاد وتكسر اى وسط الطريق (بينهما) اى بين موضعيهما وهو بيان او تأكيد (قال) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الشجرتين (التئما) اى اجتمعا وانضما (على باذن الله فالتأمتا وفى رواية اخرى) اى لمسلم وغيره (فقال ياجابر قل لهذه الشجرة) اى التى بشاطئ الوادي (يقول لك رسول الله الحقى) بفتح الحاء اى اجتمعى واتصلى (بصاحبتك) اى بنظيرتك وهي الشجرة التى فى مقابلتك (حتى اجلس خلفكما) اى فاقضى حاجتى مستترا بكما وفى اصل الدلجى حتى يجلس بناء على المعنى (ففعلت فرجعت) اى الشجرة عن حالتها التى كانت عليها وفى نسخة فزحفت بالزاى والحاء المهملة والفاء اى انتقلت من محلها (حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما) الظاهر ان القضية متكررة وان الشجرة الواحدة ما كانت تصلح ان تكون سترة (فخرجت احضر) بضم الهمزة وسكون الحاء المهملة وكسر المعجمة اى

أندر وأجري وإنما فعل ذلك رضي الله تعالى عنه لئلا يحس به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قريب منه فيتأذى بقربه (وجلست أحدث نفسي) أي بهذا الأمر الغريب والحال العجيب (فالتفت) أي فنظرت إلى أحد طرفي (فإذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي قادما نحوي فأبصرته (مقبلا والشجرتان قد افترقتا) أي من شأن اجتماعهما وانتقلتا إلى موضعيهما (فقامت كل واحدة منهما على ساق) أي في ثبوتها (فوقف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقفة) أي خفيفة (فقال برأسه) أي فأماله وأومأ به إلى الشجرتين (هكذا يمينا وشمالا) تفصيل لإمالته إجمالا ولعله كان ودع الشجرتين أو أراد به السلام على الملائكة وأما قول الدلجي وتبعه التلمساني أومأ برأسه إذنا لهما بالرجوع إلى مكانهما فيأباه المقام كما لا يخفى على أهل الوفاء (وروى أسامة بن زيد نحوه) أي كما رواه البيهقي وأبو يعلى بسند حسن عنه (قال قال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في بعض مغازيه) أي غزواته (هل تعني) بالمرقبة أي تقصد وتعين (مكانا لحاجة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي لقضاء حاجته فيه وتصحف على الدلجي وضبطه لفظ يعني بالتحتية وتكلف بقوله هل استفهام المكنى به عن المستفهم عنه استغناء بالتصريح به عن تقييده الراوي بقوله يعني مكانا لحاجته ثم هذا إنما يصح بناء على نسخة هل ترى يعني مكانا الخ وقد تبعه التلمساني فقال أي ترى أو تجد وهو إنما حذفه للعلم به وإنما حذفه الراوي لأنه لم يسمعه أو لم يفهمه أو لم يجده في أصله انتهى وكله تكلف وتعسف مستغنى عنه (فقلت إن الوادي ما فيه موضع بالناس) أي ليس فيه مكان مستتر عنهم بل كله خال عنهم ولم يلتفت إلى كلامه حيث لم يكن على وفق مراده (فقال هل ترى من نخل أو حجارة) أي أو أوقف بعده وأغرب التلمساني في قوله إن بالناس معمول إن أي ناس أو ملآن أو عامر أو مكان نعيد هذا ثم قال موضع نستتر فيه أو نقضي الحاجة وحذف للعلم به (قلت أرى نخلات) بفتح الخاء (متقاربات) بكسر الراء وتفتح وفي أصل التلمساني مقاربات (قال انطلق وقل لهن رسول الله) وفي نسخة إن رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم يأمركن أن تأتين لمخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي لستره بكن (وقل للحجارة) أي لجنسها من الحجارات (مثل ذلك) أي كما قلت للنخلات من الإتيان لمخرجه (فقلت لهن ذلك فوالذي بعثه بالحق) فيه تلويح إلى جواز القسم بالأمر العظيم ذكره الدلجي والصواب أنه قسم بالله الكريم (لقد رأيت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة) أي ورأيت الحجارة (يتعاقدن حتى صرن ركاما) بضم الراء أي متراكمة بعضها فوق بعض (خلفهن) أي وراء النخلات (فلما قضى حاجته قال لي قل لهن) أي لمجموع النخلات والحجارات (يفترقن) أي ليفترقن أو مجزوم على جواب الأمر مبالغة في تأثيره فيهن نحو قوله تعالى قل للذين آمنوا يقيموا الصلاة الآية ثم قال جابر (فوالذي نفسي بيده) وغاير بين القسمين تفننا (لرأيتهن) أي النخلات والحجارة (يفترقن) أي بجميع أفرادهن (حتى عدن) بضم العين أي صرن على حالهن ورجعن (إلى مواضعهن وقال يعلى بن سيابة) بسين مهملة بعدها تحتية مخففة مفتوحتين لقب فموحدة أمه وأبوه مرة وله صحبة أيضا حضر الحديبية وخيبر والفتح والطائف وفي تجريد الذهبي أن يعلى بن مرة بن وهب الثقفي بايع تحت الشجرة ولهذا أبا مرة ولم يتعرض لكونه ابن سيابة وقد ذكره في التهذيب فجعلهما واحدا وكذا المزي جعلهما واحدا ثم قال وزعم أبو حاتم أنهما اثنان انتهى وسيأتي قريبا في كلام المصنف ما يؤيد الأول وقد روى حديثه هذا أحمد والبيهقي والطبراني بسند صحيح عنه أنه قال (كنت مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في مسير) أي سير سفر (وذكر نحوا من هذين الحديثين وذكر) أي يعلى (فأمر) أي المصطفى (وديتين) بفتح الواو وكسر الدال المهملة وتشديد التحتية أي نخلتين صغيرتين وضبطهما الشمني بفتح الواو وسكون الدال وتخفيف الياء (فانضمتا) أي اجتمعتا وفي أصل الحجازي فانضما قال وصححه المزي بالتأنيث وكذا رأيته في النسخ المصححة (وفي رواية أشاءتين) بفتح الهمزة والشين المعجمة الممدودة يعني وديتين وضبط في نسخة بكسر الهمزة وهو سبق قلم مخالف لما في كتب اللغة (وعن غيلان بن سلمة الثقفي) بفتحتين نسبة إلى قبيلة ثقيف وغيلان هذا بفتح الغين المعجمة أسلم بعد الطائف وله عشر نسوة فأمره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن يمسك أربعا ويفارق سائرهن فذهب فقهاء الحجاز إلى أنه يختار أربعا كما شاء وفقهاء العراق إلى أنه يمسك الأربع اللاتي تزوجها أولا وهو ممن وفد على كسرى وخبره معه عجيب قال له كسرى ذات يوم أي ولدك أحب إليك فقال له غيلان الصغير حتى يكبر والمريض حتى يبرأ والغائب حتى يؤوب فقال له كسرى زه مالك ولهذا الكلام هذا من كلام الحكماء وأنت من قوم جفاة لا حكمة فيهم فما غذاؤك قال خبز البر قال العقل هذا من البر لا من اللبن والتمر وكان شاعرا توفي في آخر خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه (مثله) أي نحو ما سبق من مروي غيره (في شجرتين) أي من اجتماعهما وافتراقهما (وعن أبي مسعود عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مثله في غزاة حنين) بفتح العين أي غزوته (وعن يعلى بن مرة) وهو أبوه

(وهو ابن سيابة) وهى امه (ايضا) اى هما واحد لا اثنان كما توهم بعضهم (وذكر) اى يعلى (اشياء) اى من خوارق العادات (رآها من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فذكر ان طلحة) بالتنوين واحدة الطلح شجر عظيم من شجر العضاة وبه سمى طلحة (اوسمرة) تقدم انها بضم الميم وانها من شجر الطلح فاوشك من الراوى كذا قرره الشراح وارادوا الشك فى رواية المبنى مع اتحاد المعنى والاظهر ان السمرة نوع خاص من جنس شجر الطلح ويحتمل ان يكون او بمعنى بل (جاءت) اى احداهما واخراهما (فاطافت به) اى الممت به وقاربته على ما فى القاموس وفى اصل الدلجى فطافت به اى دارت حوله صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم رجعت الى منبتها فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انها) اى الشجرة المذكورة (استأذنت) اى ربها (ان تسلم على) اى فأذن لها فجاءت وسلمت (وفى حديث عبد الله بن مسعود) اى عند الشيخين (آذنت) بهمزة ممدودة وفتح الذال والنون اى اعلمت (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالجن) اى باتيانهم اليه وحضورهم لديه (ليلة استمعوا له) اى لقرائته اولكلامه (شجرة) فاعل آذنت وهى سمرة على ما فى بعض السنن قال الدلجى وفيه تلويح بانه لم يرهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم فى بعض اوقات قراءته انتهى وفيه انه ثبت تصريح بتوجهه صلى الله تعالى عليه وسلم اليهم للقراءة عليهم وقد اخبر ببعض صورهم مما رآه لديهم نعم فيه ايماء باتيان الشجرة فى حضورهم حال الابتداء (وعن مجاهد عن ابن مسعود نقل الحافظ العلاء عن ابى زرعة انه مرسل ولا مضرة فانه عند الجمهور حجة (فى هذا الحديث) اى المتقدم آنفا (ان الجن قالوا من يشهد لك) اى بانك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (قال هذه الشجرة) اى الحاضرة (تعالى يا شجرة) بفتح اللام وسكون الياء وقد تكسر لامه كما قرئ فى تعالوا بالضم واغرب التلمسانى حيث جزم بان اللام مكسورة واقتصر عليها اى ارتفعى الى عن مقامك واطلبى من عندى مرامك (فجاءت تجر عروقها) اى من محل اصولها (لها) اى لعروقها (قعاقع) بفتح القاف الاولى وكسر الثانية جمع قعقعة وهى حكاية حركة شئ يسمع له صوت من سلاح ونحوه (وذكر) اى مجاهد اوابن مسعود (مثل الحديث الاول) اى فى مبناه (اونحوه) اى باعتبار معناه من اتيان الشجرة و بيان الشهادة ورجوعها الى مكانها الاول فتأمل (قال القاضى ابو الفضل) اى المصنف (فهذا ابن عمرو بريدة وجابر وابن مسعود ويعلى بن مرة واسامة بن زيد) راعى الترتيب بينهم لا باعتبار مراتبهم بل على حسب رواياتهم لكن كان حقه على هذا ان يقدم اسامة ويعلى على ابن مسعود والا فهو اجل الصحابة بعد الخلفاء الاربعة ثم قوله (وانس بن مالك وعلى بن ابى طالب وابن عباس) بناء على ما سيأتى عنهم وقوله (وغيرهم) اى كالحسن وابن فورك وابن اسحق من الائمة المذكورين هنا ومنهم عمر اوعمرو على اختلاف فيهما (قد اتفقوا على هذه القصة نفسها) اى باعتبار مبناها اومعناها (ورواها عنهم من التابعين اضعافهم) اى فى العدة لا فى الرتبة (فصارت فى انتشارها) اى فشوهذه القصة (من القوة حيث هى) اى على حالها الاول (وذكر ابن فورك) بضم الفاء يصرف ويمنع وهو الاظهر (انه صلى الله تعالى عليه وسلم سار فى غزوة الطائف) وهى كانت فى السنة الثامنة بعد الفتح و بعد حنين وفى اصل الدلجى زيد وحنين (ليلا) اى من الليالى (وهو وسن) بفتح الواو وكسر المهملة صفة مشبهة من الوسن بفتحتين و هو اول النوم ومقدمته ومنه السنة واصلها الوسنة كالعدة والمعنى ليس بمستغرق فى النوم بل هو نعسان (فاعترضته) اى ظهرت فى عرض وجهه (سدرة) اى وهو سائر (فانفرجت له نصفين حتى جاز) اى جاوز (بينهما وبقيت) اى تلك الشجرة (على ساقين) من غير التئام لهما (الى وقتنا) اى هذا كما فى نسخة (وهى) اى تلك الشجرة (هناك) اى فى طريق الطائف (معروفة معظمة) قلت ولعلها كانت واما فى زماننا هذا فليست مشهورة (ومن ذلك) اى ومن قبيل ما ذكر من اجابة الشجرة (حديث انس) كما رواه ابن ماجة والدارمى والبيهقى عنه (ان جبريل قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وراه) اى وقد رآى جبريل النبى عليهما الصلاة والسلام (حزينا) اى من تكذيب قومه له فالجملة حال من ضمير قال (اتحب ان اريك آية) اى علامة على صحة نبوتك وصدق رسالتك (قال نعم) اى احب ان تريني آية من آيات ربى ليطمئن قلبى (فنظر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى شجرة) اى بعيدة كائنة (من وراء الوادى) اى الذى كان فيه والمعنى من قدامه اوخلفه (فقال) اى لجبريل ويحتمل عكس هذا القيل (ادع تلك الشجرة) اى فدعاها (فجاءت تمشى) اى اليه (حتى قامت) اى وقفت (بين يديه قال) كامر (مرها فلترجع) اى الى منبتها كما فى نسخة وفى نسخة الى مكانها اى فامرها بالرجوع الى محلها (فعادت الى مكانها) اى مما كانت فيه اى فى ابتداء حالها (وعن على نحو هذا) اى الحديث الذى رواه انس (ولم يذكر) اى على (فيه اى فى مرويه وفى نسخة فيها اى فى هذه الرواية (جبريل) يعنى بل فيه (قال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على ما رواه ابو نعيم عنه (اللهم ارنى آية) اى معجزة اطمئن بها وادفع الحزن عنى بسببها ويكون من جملة نعتها (لا ابالى) اى لا اكترث ولا احزن

(من كذبني بعد ما قد جاءته) أي نخره به (وذكر) أي علي (نحوه) أي مثل حديث أنس (وحزنه صلى الله تعالى عليه وسلم لتكذيب قومه) أي لا لمصيبة حاله وفيه ماله فكان حزنه لأمر دينه ومن صفاته رأفته فإن قلت سبق في حديث هند ابن أبي هالة ابن ابن القيم قال إنه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يجوز أن يكون حزنه على الكفار لأن الله تعالى قد نهاه عنه قلت لعل الحزن في الحديث المتقدم هو قبل النهي عن حزنه على الكفار على أن حزنه لتكذيب قومه لا يلزم أن يكون حزنا عليهم لجواز أن يكون لما يسوءه أنه مما هو منصوص منه وهو الكذب عليه (فطلبه) بالرفع أي وأسند تاوئه (الآية) أي المعجزة (لهم) أي لا ليستقيم أمره أو ليزداد هو فيه (لا له) أي لا للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لكمال يقينه في معرفته وعدم ترديده في نبوته (وذكر ابن إسحاق) أي إمام المغازي وكذا رواه أبو نعيم عن أبي أمامة (أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أرى ركانة) بضم الراء وهو ابن عبد يزيد صحابي من صارعه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأما ركانة المصري الكندي في غير منسوب فمختلف في صحبته كذا حققه الحلبي ورآه ماري (مثل هذه الآية) أي المعجزة (في شجرة دعاها) أي طلبها (فأتت) أي جاءت إليه (حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت) أي إلى محلها (وعن الحسن) أي رواه البيهقي مرسلا (أنه عليه الصلاة والسلام شكا إلى ربه من قومه) أي بعضهم (وأنهم يخوفونه) أي بضربه أو حبسه أو إخراجه أو قتله (وسأله آية) أي علامة (يعلمها) أي يزيد عليه بها وتطمئن بسببها (أن لا مخافة عليه) أن مخففة من المثقلة أي أنه كذا ذكر الدلجي والظاهر أن أن هذه مصدرية ومحلها نصب على المفعولية والمعنى تعرف بها عدم المخافة عليه من أن تصل أذيتهم إليه (فأوحي إليه) بصيغة المفعول وفي نسخة بصيغة الفاعل وفي أخرى فأوحى الله إليه (أن ائت وادي كذا) وروي أن ائت وادي كذا أي اقصد أو اطلب وأن مصدرية أو مفسرة (فيه شجرة) أي عظيمة وهي بالرفع مبتدأ خبره الجار قبله قال التلمساني أو بالنصب بفعل مضمر أي فاطلب فيه شجرة أو اطلبها هي ولا يخفى تكلفه بل تعسفه كما يدل عليه قوله (فادع غصنا منها) أي من الشجرة أو أغصانها (يأتك) وفي نسخة يأتيك بإثبات الياء على أنه مرفوع أو مجزوم على لغة (ففعل) أي ما ذكر (فجاء) أي الغصن منها (يخط الأرض خطا) أي يشقها شقا بأثره في الإتيان إليه (حتى انتصب) أي وقف (بين يديه) أي أمامه وقدامه وأعرب التلمساني حتى فعل انتصب بقوله حتى وغرابته من جهة المبنى والمعنى لا تخفى (فحبسه ما شاء الله) أي من زمان بقائه لديه (ثم قال له ارجع كما جئت) أي على وجه خرق العادة (فرجع) أي يخط الأرض خطا حتى قام بمقامه (فقال يا رب علمت أن لا مخافة علي) أي بعد إراءتك لي هذه الآية وكأن صاحب البردة أشار إلى هذه الرواية بقوله

(جاءت لدعوته الأشجار ساجدة * تمشي إليه على ساق بلا قدم)

(كأنما سطرت سطرا لما كتبت * فروعها من بديع الخط في اللقم)

(ونحوه) أي من مروي الحسن كما رواه البزار وأبو يعلى والبيهقي بسند حسن (عن عمر رضي الله تعالى عنه) أي ابن الخطاب وفي نسخة عن عمرو أي ابن العاص (وقال) أي أحدهما (فيه) أي في مرويه أو وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في دعائه بعد قوله اللهم (أرني آية لا أبالي من كذبني بعدها وذكر) وفي نسخة فذكر أي الراوي المختلف فيه نفس الحديث (نحوه) أي نحو ما رواه الحسن (وعن ابن عباس) كما رواه البخاري في تاريخه والدارمي والبيهقي (أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لأعرابي أرأيت) أي أخبرني (إن دعوت هذا العذق) بكسر العين المهملة وسكون الذال المعجمة أي العرجون بما فيه من الشماريخ والعرجون عود العذق الذي تركب الشماريخ وهي العيدان التي عليها البسر والعذق بالفتح النخلة كلها (من هذه النخلة) أي الباسقة (أتشهد أني رسول الله قال نعم فدعاه فجعل ينقز) بضم القاف وبكسر وبالزاي أي فشرع يثب إليه متوجها لديه (حتى أتاه) أي أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فقال ارجع فعاد إلى مكانه وخرجه الترمذي) بتشديد الراء أي أخرجه في جامعه (وقال هذا حديث صحيح) ووقع في أصل الدلجي وغيره حسن صحيح فقيل جمع بينهما لرواية من طريقين أحدهما يقتضي صحته والأخرى حسنه أو حسن لذاته صحيح لغيره باعتبار تعاضد رواياته أو حسن أنه صحيح بعد

(فصل)

(في قصة حنين الجذع له صلى الله تعالى عليه وسلم وقصة) بضم الصاد أي معنى ولو بعد (هذه الأخبار) أي الأحاديث الثابتة الواردة في كلام الأخيار ونحوها إلى عدة الأخبار (حديث أنين الجذع) وفي نسخة حنين الجذع أي شوقه إليه وبكائه لديه صلى الله عليه وسلم والجذع بكسر الجيم أصل النخلة والمراد به هنا ما كان من عمد المسجد وكان يتكئ عليه حال الخطبة وسيجيء بعد القصة (وهو) أي وحديث هذا (في نفسه) في اعتباره (مشهور)

اى عند السلف (منتشر) اى عند الخلف (والخبر به) اى بانينه وحنينه باعتبار معناه (متواتر) اى يفيد العلم القطعى لمن اطلع على طرق الحديث الاحادى المفيد بانفراده العلم الظنى قال الحلبى وكذا قال غيره انه متواتر وقد ابعد التلمسانى حيث قال اراد به التواتر اللغوى يقال تواترت الكتب اى جاء بعضها فى اثر بعض من غير ان ينقطع والاول اظهر فتدبر وقد قال السهيلى حديث خوار الجذع وحنينه منقول بالتواتر لكثرة من شاهد خواره من الخلف وكلهم نقل ذلك اوسمعه من غيره فلم ينكره انتهى وسببه مابينه المصنف بقوله (قد خرجه) بتشديد الراء اى اخرجه (اهل الصحيح) اى ممن التزم الصحة فى رواياته الواردة فى كتابه كالبخارى ومسلم وابن حبان وابن خزيمة (ورواه من الصحابة بضعة عشر) بكسر الموحدة وتفتح اى ثلاثة اواكثر الى تسعة اذا البضع منها اليها (منهم) اى بعضهم وهم عشرة منهم (ابى بن كعب) وهو اقرأ الصحابة وقد رواه عنه الشافعى وابن ماجه والدارمى والبيهقى (وجابر بن عبد الله) اى الصحابى ابن الصحابى وسيأتى حديثه (وانس بن مالك) وهو خادمه عليه الصلاة والسلام وحديثه فى الترمذى وصححه (وعبدالله بن عمر) وهواشهر من ان يذكر (وعبدالله بن عباس) اى عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وسهل ابن سعد) الساعدى رضى الله تعالى عنهما وحديثه رواه الشيخان (وابو سعيد الخدرى) رواه عنه الدارمى (وبريدة) بالتصغير وقد سبق ذكره (وام سلمة) اى ام المؤمنين رواه عنها البيهقى (والمطلب) بتشديد الطاء (ابن ابى وداعة) بفتح الواو وهو من مسلمة الفتح وقد رواه عنه الزبير بن بكار فى اخبار المدينة (كلهم) اى جميع المذكورين وغيرهم (يحدث) افرد ضميره باعتبار لفظ كل اى يحدثون (بمعنى هذا الحديث) اى وان كانت الفاظهم مختلفة فى باب التحديث وعلى هذا المبنى حصل التواتر فى المعنى (قال الترمذى وحديث انس صحيح) اى اسناده (قال) وفى نسخة وقال (جابر) اى ابن عبدالله كما فى نسخة صحيحة (كان المسجد) اى مسجد المدينة وهو المسجد النبوى (مسقوفا على جذوع نخل) بمعنى نخيل فانه اسم جنس ثم بناه عمر ثم عثمان رضى الله تعالى عنهما (وكان) وفى نسخة فكان (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى دائما اوغالبا (اذا خطب يقوم الى جذع) اى معين (منها) اى من تلك الجذوع (فلما صنع له المنبر) بصيغة المجهول وقد صنعه له غلام امرأة من الانصار اوغيره من اثل الغابة وله ثلاث درجات (سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار) بكسر مهملة فمعجمة جمع عشراء بضم وفتح ممدودة وهى الناقة الحامل اوالتى اتى لحملها عشرة اشهر على القول الاشهر وظاهر هذا الحديث ان الجذع بمجرد صنع المنبر قبل طلوع سيد البشر صدر منه البكاء لما احس من علامة قرب البعد عن مقام دنا وحال الاتكاء (وفى رواية انس) اى وهى قوله فلما قعد على المنبر خار الجذع كخوار الثور اى صاح كصياحه (حتى ارتج) بتشديد الجيم اى اضطرب وارتعد (المسجد) اى باهله (لخواره) بضم الخاء المعجمة وبالواو وفى نسخة بالباء السببية بدل اللام للعلة وفى نسخة بضم الجيم فهمزة مفتوحة بعدها الف وهو اظهر فى هذا المقام باعتبار تمام المرام فى القاموس جار جؤارا اذا رفع صوته بالدعاء وتضرع واستغاث والبقرة والثور صاحا واما الخوار بضم الخاء المعجمة من صوت البقر والغنم والظباء والسهام انتهى قال الحجازى واما بالخاء المعجمة والواو المخففة فصياح الثور ولا اعلم به رواية انتهى والحلبى جعله اصلا ونسب الاول الى نسخة فى الهامش والمينى اقتصر على الثانى وجوز الشمنى الوجهين والحاصل ان رواية الجيم اعم وفى الدراية اتم والله تعالى اعلم (وفى رواية سهل) اى ابن سعد الساعدى (وكثر بكاء الناس لما رأوا به) اى من الحنين والانين من جهة التبعد عن خدمة سيد المرسلين اومن خشيته من التنزل فى درجته وهو بكسر اللام وتخفيف الميم ويجوز بفتح اللام وتشديد الميم كما قرئ بهما فى قوله تعالى وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا (وفى رواية المطلب) اى ابن ابى وداعة السهمى وزيد فى نسخة صحيحة وابى ويشير اليه قول الحلبى وهو بضم الهمزة وفتح الموحدة ثم ياء مشددة (حتى تصدع) بتشديد الدال اى تشقق (وانشق) عطف تفسير قاله الدلجى وغيره والاظهر ان المعنى واستمر على انشقاقه (حتى جاء) اى اتاه (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فوضع يده عليه) اى تسلية لما لديه (فسكت) اى حيث سكن اليه وسيأتى فى رواية انه عانقه بيديه (زاد غيره) اى غير المطلب ومن معه وقال الدلجى فى رواية الشافعى عن ابى بن كعب فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ان هذا بكى لما فقد) بالوجهين اى بعد (من الذكر) اى الموعظة البليغة فى الخطبة ومنه قوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله (وزاد غيره) اى غير ذلك الغير وفى رواية ابى يعلى عن انس (والذى نفسى بيده) اى بتصرف قدرته وقبضة ارادته (لولم التزمه) اى اعتنقه (لم يزل هكذا) اى باكيا (الى يوم القيامة تحزنا) بضم الزاى اى اظهار الحزن الزائد على الصبر (على رسول الله) اى على فراقه (صلى الله عليه وسلم) وما احسن من قال من بعض ارباب الحال

(الصبر يحمد فى المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم)

(فامر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدفن تحت المنبر) اى حتى يقرب الى الذكر ومايتبعه من اثر الخير

(كذا في حديث المطلب) اي السهمي (وسهل بن سعد) اي الساعدي (واسحق) اي ابن عبدالله ابن ابي طلحة وهو تابعي روى عن ابيه وعدة وعنه مالك وابن عيينة وجماعة وهو حجة ثقة اخرج له الائمة الستة (عن انس) وهو عمه من امه (وفي بعض الروايات عن سهل فدفنت تحت منبره او جعلت في السقف) اي في سقف المسجد شك من الراوي ولعل وجه التانيث كونه جذع النخلة فاكتسب التانيث من الاضافة وفي اصل التلمساني فدفن قال وفي طريق فدفنت فاراد الخشبة وقال البرقي المادفنه وهو جماد لانه صار في حكم المؤمن لحبه وحنينه قلت والاظهر دفنه تحت منبره ليكون على قربه ولايحرم من سماع ذكره واما المنبر فقد احترق اول الليلة من رمضان سنة اربع وخمسين وستمائة وكان ذلك على الناس من اعظم مصيبة (وفي حديث ابي) اي ابن كعب (فكان) اي اولا (اذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلى اليه) وهو لاينافي انه عند خطبته كان يعتمد عليه (فلما هدم المسجد) اي عند ارادة تجديده وتوسيعه في تجديده وهو في خلافة عثمان رضي الله عنه لمزيد قيمة من جهة القبلة توسعة للامة اوفي ايام ابن عبدالعزيز او المدينة في احد الايام الثلاثة (اخذه ابي وكان عنده الى ان اكلته الارض) كذا في النسخة الصحيحة والمراد بها الدابة التي يقال لها الارضة سميت بفعلها واضيفت اليه في آية سبأ بقوله دابة الارض تاكل منسأته قال الرى المشهور عند اهل الحديث الارضة (وعاد رفاتا) بضم الراء فسين فتاء فوقية اي وصار دقاقا وفتاتا قال الحلبي قوله الى ان اكلته الارض كذا في النسخة التي وقفت عليها بالشفاء والحديث المذكور اعني حديث ابي وهو مطول في مسند احمد وفيه الارضة وهي دابة تاكل الخشب وهو باختصار في سنن ابن ماجه في الصلاة انتهى وهذا يدل على تصحيح رواية جعله في السقف وينبغي ان يحمل رواية دفنه تحت منبره بعد ان اكلته الارض عنده اي حفظا له عن تفرقه وصونا له عن مهانته وتحرقه وما احسن مناسبة ماتحت منبره كون قبره لحصول دوام ذكره وتمام شكره فان منبره على حوضه وحوضه داخل في روضه (وذكر الاسفرائني) بكسر الهمزة وسكون السين وفتح الفاء وتكسر وراء ممدودة بهمزة دون ياء نسبة الى بلد في العجم في خرسان وفي نسخة بنون بين يائين والظاهر ان المراد به ابو اسحق ويحتمل انه ابو حامد (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دعاه الى نفسه فجاء يخرق) بضم الراء وكسرها اي يشق (الارض فالتزمه) اي اعتنقه تودعا منه (ثم امره فعاد الى مكانه) والحاصل ان قصة حنين الجذع واحدة رجوعها الى معنى واحد في المآل وماوقع في الفاظها من اختلاف الاقوال عما ظاهره التغاير الموجب للاشكال فمن تفاوت نقول الرجال والله تعالى اعلم بحقيقة الحال (وفي حديث بريدة فقال يعني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اي خطابا للجذع (ان شئت اردك الى الحائط) اي البستان (الذي كنت فيه) اي او على حالك قبل ان تصير محولا كما بينه بقوله (ينبت لك) بصيغة الفاعل ويجوز بالبناء للمفعول اي يخرج لك (عروقك) وتثبت في محل اصولك (ويكمل) بفتح فسكون فضم وبضم ففتح فتشديد ميم مفتوحة اي ويتم (خلقك) اي خلقتك على ماعليه فطرتك (ويجدد لك خوص) بضم الخاء ورق النخل (وثمرة) بالمثلثة (وان شئت اغرسك) بكسر الراء (في الجنة) اي الموعدة (فيأكل اولياء الله تعالى من ثمرك) اي تمرك (ثم اصغى له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اي القى له سمعه وقرب رأسه اليه (يستمع مايقول) اي ما يرده عليه (فقال بل تغرسني في الجنة فيأكل مني اولياء الله تعالى) اي في دار النعمة (واكون) اي ثابتا وباقيا (في مكان لاابلى فيه) بفتح الهمزة واللام اي لا اخلق ولااعتق ولاافنى قال الحلبي ابلى بفتح الهمزة ووقع في النسخة التي وقفت عليها ابلى بضموم الهمزة بالقلم ولايصح قلت يصح ان يكون نحو ولامن ابلاه متعدى على كما صرح باشاده صاحب القاموس (فسمعه) اي كلام الجذع (من يليه) اي يقربه والصقه اي للنبي عليه الصلاة والسلام قيل وممن سمعه ابن عمر رضي الله عنهما قال غاب الجذع ولم ير بعد ذلك ذكره التلمساني (فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد فعلت) اي قلت او جزمت على هذا الفعل او غرست كما اردت (ثم قال) اي النبي عليه الصلاة والسلام (اختار دار البقاء على دار الفناء فكان الحسن) اي البصري (اذا حدث بهذا) اي الحديث (بكى وقال ياعباد الله الخشبة) اي مع كونها في حد ذاتها ليست من اهل الرقة والخشية (تحن) بفتح فكسر فتشديد نون اي تميل (الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شوقا اليه لمكانه) اي لمكانة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عنده سبحانه وتعالى او لاجل مكانه المتبعد من مكانها (فانتم احق ان تشتاقوا الى لقائه) ولله در القائل من اهل الفضائل

(والقى حتى في الجمادات حبه * فكانت لاهداء السلام له تهدى)
(وفارق جذعا كان يخطب عنده * فان انين الام اذ تجد الفقدا)
(يحن اليه الجذع ياقوم هكذا * اما نحن اولى ان نحن له وجدا)

﴿ اذا كان جذع لم يطق بعد ساعة * فليس وفاء ان نطيق له بعدا ﴾

(رواه) اى الحديث الذى مر (عن جابر حفص بن عبيد الله) بالتصغير (ويقال عبد الله بن حفص) قال الحلبى ويقال جعفر بن عبد الله والصواب الاول وانه حفص بن عبيد الله بن انس بن مالك روى عن جده وابى هريرة رضى الله تعالى عنه وغيرهما وعنه ابن اسحق واسامة بن زيد وجماعة قال ابو حاتم لا يثبت له السماع الا من جده انتهى وحديثه هذا عن جابر فى البخارى (وابن) اى الحبشى مولى ابن ابى عمرة المخزومى قال الذهبى فى الميزان ماروى عنه سوى ولده عبد الواحد ففيه جهالة لكن وثقه ابو زرعة وقال ابن القطان اذا وثق وروى عنه واحد انتفت الجهالة وقد اخرج البخارى وحده لايمن (وابو نضرة) بفتح النون وسكون الضاد المعجمة واسمه المنذر بن مالك تابعى روى عن على مرسلا وعن ابن عباس وابى سعيد وعنه قتادة وعوف قال الحلبى وقع فى النسخة التى وقفت عليها الآن بالشفاء ابو بصرة بنقطة تحت الباء وهذا شئ لا نعرفه ولا اعلم ابا بصرة غير واحد واسمه جميل وهو صحابى غفارى وليس له شئ عن جابر فيما اعلم (وابن المسيب) تابعى جليل (وسعيد بن ابى كرب) بفتح فكسر وهو منصرف وفى نسخة بفتح وسكون وهو همدانى وثق (كريب) بالتصغير روى عن مولاه ابن عباس وعائشة وجماعة وعنه ابناه وموسى بن عقبة وطائفة وثقوه (وابو صالح) اريد به ذكوان السمان وقد تقدم (ورواه) اى الحديث الذى سبق (عن انس بن مالك الحسن) اى البصرى (وثابت) وهو كاسمه ثابت (واسحق ابن ابى طلحة) مر ذكره (ورواه عن ابن عمر نافع) اى مولاه وهو من اعلام التابعين (وابو حية) بتشديد التحية كلبى كوفى روى عن عمرو هناك ابو حية روى عن على (ورواه ابو نضرة) وهو الذى سبق ذكره قال التلمسانى وهو فى الموضعين فى الاصل بموحدة من اسفل وصاد مهملة وصوابه بنون مفتوحة وضاد معجمة وهكذا عند الحلبى والانطاكى (وابو الوداك) بتشديد الدال اى روايا الحديث المتقدم كلاهما (عن ابى سعيد وعمار) بن ابى عمار بتشديد الميم اى روى الحديث المذكور (عن ابن عباس وابو حازم) بكسر الزاى وهو سلمة بن دينار الاعرج المدنى احد الاعلام (وعباس) بتشديد الموحدة (ابن سهل) اى ابن سعد الساعدى كلاهما (عن سهل بن سعيد) اى عن ابيه (وكثير بن زيد) اى الاسلمى او الايلى (عن المطلب) اى ابن ابى وداعة (وعبد الله بن بريدة) وهو قاضى مرو وعالمها (عن ابيه والطفيل بن ابى) بالتصغير فيهما كنيته ابو بطن لعظم بطنه (عن) ابيه اى ابى بن كعب (قال القاضى ابو الفضل) اى المصنف (رضى الله تعالى عنه فهذا حديث كما رواه اخرجه) وفى نسخة خرجه (اهل الصحة) اى من ارباب الحفظ والثقة (ورواه من الصحابة من ذكرنا) اى من اجلائهم (وغيرهم) بالرفع (من التابعين ضعفهم) اى زائد عليهم او قدرهم مرتين منضمين (الى من لم نذكره) اى للاختصار او لعدم الاستحضار او لعدم الاشتهار (و بمن دون هذا العدد) اى و بجمع اقل من هذا العدد المذكور وفى نسخة و بدون هذا العدد (يقع العلم) اى القطعى (لمن اعتنى بهذا الباب) اى اهتم بشانه وجمع جميع ما يتعلق ببيانه (والله المثبت) بتشديد الموحدة و يجوز تخفيفها اى من شاء من عباده (على الصواب)

(فصل)

(ومثل هذا) اى ما ذكر من حنين الجذع (وقع له فى سائر الجمادات) اى بنيتها او جملتها من غير النباتات التى هى قريبة من الحيوانات فهو فى باب المعجزة اقرب وفى خرق العادة اغرب (حدثنا القاضى ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمى) وفى نسخة ابن محمد (حدثنا القاضى ابو عبد الله محمد ابن المرابط) بضم الميم وكسر الموحدة اذن له ابو عمرو الدارانى (ثنا المهلب) بتشديد اللام المفتوحة (ثنا ابو القاسم ثنا ابو الحسن القابسى) بكسر الموحدة (ثنا المروزى ثنا الفربرى) بفتح الفاء و تكسر (ثنا البخارى) صاحب الصحيح ثنا محمد بن المثنى (بتشديد النون المفتوحة) ثنا ابو محمد الزبيرى بالتصغير نسبة الى جده فانه محمد بن عبد الله بن الزبير وليس من ولد الزبير بن العوام بل هو كوفى مولى لبنى اسد قال بندار مارأيت احفظ منه وقال آخر كان يصوم الدهر (قال ثنا اسرائيل) اى ابن يونس ابن ابى اسحق اسمعيل السبيعى الكوفى احد الاعلام وثقه احمد وغيره وضعفه ابن المدينى وغيره اخرج له الائمة الستة (عن منصور) اى ابن المعتمر ابو عتاب السلمى من ائمة الكوفة يروى عن ابى وائل وزيد بن وهب وعنه شعبة والسفيانان (عن ابراهيم) اى ابن زيد النخعى (عن علقمة) اى ابن قيس (عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال لقد كنا) اى نحن معشر الصحابة معه صلى الله عليه وسلم (نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل) جملة حالية والحديث هذا قد ساقه القاضى كما رأيت من رواية البخارى وهو من علامات النبوة وخوارق العادة وقد اخرجه الترمذى فى المناقب وقال حسن صحيح ذكره الحلبى (وفى غير هذه الرواية عن ابن مسعود) وفى اصل الدلجى وفى رواية عنه ايضا وقال كما فى الترمذى (كنا نأكل مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه) اى تسبيح الطعام والجملة حالية من ضمير نأكل (وقال انس) وفى نسخة وعن

انس كما روى ابن عساكر في تاريخه (اخذ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كفا من حصى) اى حجارة دقاق (فسبحن في يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح ثم صيرهن) اى حولهن واضعه لهن (في يد ابي بكر فسبحن ثم) اى بعده وقعن (في ايدينا فسبحن وروى مثله) اى مثل حديث انس (ابوذر رضي الله عنه) على ما رواه البزار والطبراني في الاوسط والبيهقي عنه (وذكر) اى ابوذر (انهن سبحن في كف عمر وعثمان رضي الله تعالى عنهما) ولعل القضية متعددة وقال علي) وفي نسخة وعن علي (كنا بمكة مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فخرج الى بعض نواحيها) اى جهاتها واطرافها (فما استقبله) اى ما واجهه (شجرة) وفي نسخة شجر (ولا جبل) اى حجر كما روى (الا قال له السلام عليك يارسول الله) رواه الدارمي والترمذي بسند حسن قال ابن اسحق وهذا مما بدئ به صلى الله تعالى عليه وسلم من النبوة (وعن جابر بن سمرة عنه عليه الصلاة والسلام اني لاعرف)وفي رواية الآن (حجرا بمكة كان يسلم على) اى يقول السلام عليك يارسول الله رواه مسلم (قيل انه الحجر الاسود) و قيل انه الحجر المتكلم ومال اليه القابسي وقال انه الحجر المبنى للجدار المقابل لدار ابي بكر قال السهيلي روى في بعض المسندات انه الحجر الاسود (وعن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت)اى شرعت (لا امر) بفتح همزة وضم ميم وتشديد راء من المرور (بحجر ولا شجر) وفي نسخة صحيحة بتقديم شجر على حجر وهو الاظهر فتدبر (الا قال السلام عليك يارسول الله وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه) كما رواه البيهقي (لم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر الا سجد له)اى انقاد وتواضع له بنحو السلام او سجود التحية والاكرام كاخوة يوسف عليه السلام له او كالملائكة لآدم عليه السلام بجعله قبلة (وفي حديث العباس) على ما رواه البيهقي ايضا (اذا اشتمل عليه) اى على عمه (النبي صلى الله عليه وعلى بنيه) اى بني عمه وهم عبد الله وعبيد الله والفضل وقثم (بملاءة) بميم مضمومة ولام فالف ممدودة ريطة كالملحفة قطعة واحدة واما قول الدلجي بهمزة ممدودة فسهو وقلم من اوهم نشأ له تبعا للحلبي في قوله بهمزة مفتوحة ممدودة (ودعالهم) اى للعباس و بنيه (بالستر من النار) بفتح السين مصدر والاسم بالكسر بمعنى الحجاب و يؤيد الاول قوله (كستره اياهم بملاءته)كان قال يارب هذا عمي وصنوابي وهؤلاء بنوه فاسترهم من النار كستري اياهم بملاءتي هذه (فامنت) بتشديد الميم اى تكلمت بكلمة آمين (اسكفة الباب) بضم الهمزة والكاف و تشديد الفاء اى عتبته (وحوائط البيت) جمع حائط بمعنى الجدار اى وجدرانه المحدقة به من جميع نواحيه (آمين آمين) كرر اما تأكيدا او تقريرا لوقوعه مكررا او باعتبار كل من الاسكفة والحوائط وآمين بالمد ويقصر مبني على الفتح ومعناه استجب او افعل وفي الحديث آمين خاتم رب العالمين (وعن جعفر) اى الصادق (ابن محمد عن ابيه) اى محمد الباقر ابن زين العابدين علي بن الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهم (مرض النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاتاه جبريل بطبق) اى من سعف اوغيره (فيه رمان وعنب) اى من فواكه الدنيا او الجنة (فاكل منه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اى من مجموعهما او من كل منهما او من طبقهما (فسبح)اى ما في الطبق هنداكاه قال الدلجي لم ادر من رواه قلت يكفي انه رواه المصنف وهو من اكابر المحدثين ولولا ان الحديث له اصل لما ذكره ولذا قال القسطلاني في المواهب ذكره القاضي عياض في الشفاء ونقله عنه عبدالحافظ ابو الفضل في فتح الباري (وعن انس رضي الله تعالى عنه) كما رواه احمد والبخاري والترمذي وابن ماجه عنه انه قال (صعد) بكسر العين اى طلع (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم احدا) بضمتين وهو جبل عظيم قرب المدينة (فرجف بهم) بفتح الجيم اى اضطرب من هيبتهم وارتعد من خشيتهم (فقال اثبت احد) اى يا احد (فانما عليك نبي)اى ثابت النبوة (وصديق)اى مبالغ في ثبوت الصداقة (وشهيدان) اى ثابتان في مرتبة الشهادة ومنزلة حسن الخاتمة بالسعادة ووقع في اصل الدلجي بعد قوله فرجف بهم فضربه برجله وهو غير موجود في النسخ المعتبرة وفي اصل التلمساني او صديق او شهيد فهي كالواو للصاحبة او للتفصيل (ومثله) اى مثل ما روى انس في احد روى (عن ابي هريرة في حراء) بكسر الحاء ومد الراء منصرفا وممنوعا وقصره وهو جبل بمكة على يسار الذاهب الى منى (وزاد)اى ابو هريرة (معه) اى مع ما ذكر (وعلي) اى قوله وعلي بالعطف على ما قبله والمعنى روى ومعه علي (وطلحة والزبير وقال فانما عليك نبي او صديق او شهيد) وفي رواية وسعد ابن ابي وقاص بدل وعلي فتحركت الصخرة فقال اسكن حراء فما عليك الانبي او صديق او شهيد رواه مسلم والترمذي في مناقب عثمان ولم يذكر سعد او قال اهدأ بدل اسكن (والخبر) اى الذي رواه مسلم والترمذي عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه رواه الترمذي والنسائي (في حراء ايضا عن عثمان قال) اى عثمان (ومعه عشرة من الصحابة انا فيهم وزاد) اى عثمان (عبد الرحمن) اى ابن عوف كما في نسخة (وسعدا) وهو ابن ابي وقاص (قال) وفي نسخة وقال اى عثمان (ونسيت) بفتح فكسر والاولى بضم فكسر مشددا (الاثنين) لعلهما طلحة والزبير (وفي حديث سعيد

ابن زيد) اى كما رواه ابوداود والترمذى وصححه والنسائى وابن ماجه (ايضا مثله) اى مثل الخبر المروى قبله (وذكر عشرة وزاد) اى سعيد (نفسه) اى ذكرها فيهم (وقد روى) بصيغة المجهول اى فى حديث الهجرة من السيرة (انه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (حين طلبته قريش قال له ثبير) بفتح المثلثة وكسر الموحدة اسم لجبل بظاهر مكة على ما فى القاموس وفى النهاية جبل معروف انتهى والمشهور انه جبل عظيم بمنى قبالة مسجد الخيف على يسار الذاهب الى عرفات واما قول الشمنى جبل بمزدلفة فمعناه انه متصل باخر مزدلفة واما قول الحجازى جبل عظيم بالمزدلفة على يمنة الذاهب من منى الى عرفة فالظن انه سهو وهو من اسمائه وليس بمراد هنا (اهبط يارسول الله) اى انزل عنى (فانى اخاف ان يقتلوك على ظهرى فيعذبنى الله تعالى) اى بمشاهدة هذا الامر فوقى وتحمل هذا الفعل منى (فقال حراء الى) اى النبى واصعد الى وارتفع لدى (يارسول الله) وكان الخوف غالبا على ثبير والرجاء على حراء (وروى ابن عمران النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ) اى على المنبر (وماقدروا الله حق قدره)اى وعاموه حق عظمته اوما عرفوه حق معرفته بجعلهم له شريكا فى الوهيته ووصفهم اياه بما لايليق بربوبيته (ثم قال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يمجد الجبار نفسه) بتشديد الجيم اى يذكر ذاته بوصف المجد والشرف والعظمة و وى يحمد (يقول) كذا فى نسخة وهو جملة حالية (انا الجبار انا الجبار) بالرفع باثبات التكرار وهو الذى يجبر العباد على وفق ماراد ويقهرهم بالافناء فى البلاد (انا الكبير) اى العظيم الذات الكريم الصفات قال الحجازى انا الجبار مرتين واما الكبير وروى مرتين (المتعال) اى المتعالى وهو الرفيع الشان المنزه عن التعلق بالزمان والمكان ونحوهما من سمات الحدثان وصفات النقصان (فرجف المنبر)اى اضطرب اضطرابا شديدا وذلك لعظمة الله وهيبته (حتى قلنا ليخرن) بفتح اللام والياء وكسر الخاء المعجمة وتشديد الراء والنون اى ليسقطن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (عنه) اى عن المنبر (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) كما رواه البزار والبيهقى (قال كان حول البيت) اى على جدرانه ذكره الدلجى (ستون وثلثمائة صنم مثبتة الارجل) بفتح الموحدة المخففة اوالمشددة اى مسمرة (بالرصاص بفتح الراء على مافى القاموس قيل ويكسر (فى الحجارة) اى من احجار البيت ولا يبعد ان تكون الاصنام موضوعة على حجارات كائنة حول البيت منصوبة بتسميرها فيها بالرصاص وكذا كانت الاصنام داخل البيت وفوقه ايضا قال الدلجى وروى ابو يعلى نحوه اى عنه وانه قال (فلما دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المسجد) اى المسجد الحرام وهو يطلق على الكعبة وما حولها من البقعة (عام الفتح) اى سنة فتح مكة (جعل) اى شرع (يشير بقضيب) اى بسيف لطيف او عود ظريف (فى يده) حال من قضيب (اليها) متعلق بيشير قال الحلبى وفى رواية صحيحة بقضيب يشبه القوس والقوس قضيب انتهى والتشبيه يحتمل ان يكون من حيثية طوله وعرضه اومن جهة انحراف فى وسطه (ولا يمسها) اى بيده تجنبا عنها لابعدها كما ذكره الدلجى (ويقول) اى مامره الله به ان يقول (جاء الحق) اى ظهر الحق واهله (وزهق الباطل)اى اضمحل وذهب اصله (الآية) اى ان الباطل كان زهوقا اى غير ثابت فى نظر اهل الحق دائما (فما اشار) اى به كما فى نسخة اى بقضيبه (الى وجه صنم الا وقع لقفاه ولا) اى ولا اشار به (لقفاه الا وقع لوجهه)اى سقط عليه هيبة مما اشار به اليه (حتى مابقى منها صنم)اى الا خر ساقطا اما الى وجهه واما الى قفاه (ومثله فى حديث ابن مسعود) اى على مارواه الشيخان عنه (وقال) اى ابن مسعود (فجعل يطعنها) بفتح العين ويضم وهو اولى من عبارة الحلبى بضم العين ويفتح لما فى كلام استاذه صاحب القاموس طعنه بالرمح كمنعه ونصره ضربه مع ما فى الفتح من الخفة المعادلة لثقل العين كما حرر فى يسع و يضع و يدع ويقع ثم المراد بالطعن هنا مجرد الاشارة لما سبق صريحا فى العبارة والمعنى يشير اليه فى صورة الطاعن لديه (ويقول) اى كما امر به فى آية اخرى (جاء الحق ومايبدئ الباطل ومايعيد) اى ظهر الحق ولم يبق للباطل ابتداء ولا اعادة اومايبدئ الصنم خلقا ولايعيده اولايبدئ ضرا لاهله فى الدنيا ولايعيده فى العقبى (ومن ذلك) اى من قبيل ماذكر عن الجمادات (حديثه) اى خبره الذى رواه الترمذى و البيهقى (مع الراهب)وهو بحيرا بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة مقصورا وقيل ممدودا واسمه جرجس او جرجيس بزيادة ياء ابن عبد القيس من نصارى تيماء او بصرى ذكره ابن مندة وابو نعيم فى الصحابة لايمانه به صلى الله تعالى عليه وسلم قبل بعثته (فى ابتداء امره) اى امر ظهوره (اذ خرج تاجرا) ظرف لحديثه معه اولابتداء امره (مع عمه) اى ابى طالب وفيه انه لم يكن فى خروجه معه تاجرا بل تعرض له عند خروجه فقال تتركنى وليس لى احد فاخذه معه وانما خرج تاجرا بعد ذلك مع ميسرة غلام خديجة وفى هذه لقى نسطور الراهب وقصته معه مشهورة وفى كتب السير مسطورة فقوله تاجرا حال من عمه لامن ضمير خرج (وكان الراهب) اى بحيرا (لا يخرج) اى فى عادته (الى احد) اى ممن كان ينزل

ذلك المكان (فخرج) اى فى ذلك الزمان (وجعل يتخللهم) اى شرع يطلب احدا فى خلال من كان فى تلك المحال (حتى اخذ بيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له اشياخ من قريش) اى من المشركين (ما علمك) اى ما سبب علمك به ومعرفتك عنده به (فقال انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا له ولا تسجد) اى الاشجار والاحجار (الا لنبي وذكر القصة) اى على ما ورد عند اهل الاخبار من انه قال وانى لاعرفه بخاتم النبوة اسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما اتاهم به كان صلى الله تعالى عليه وسلم فى رعية الابل فقال ارسلوا اليه (ثم قال) اى الراهب او الراوى (فاقبل وعليه غمامة تظله فقال انظروا الى الغمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم سبقوه) وفى نسخة قد سبقوه (الى فىء الشجرة) بفتح الفاء وسكون التحتية بعدها همزة اى الى ظلها (فلما جلس مال الفىء) اى فىء الشجرة (اليه) فقال انظروا مال الفىء اليه ثم قال انشدكم لله تعالى ايكم وليه قالوا ابو طالب واذا بسبعة من الروم قد اقبلوا فسألهم فقالوا ان هذا النبي قد خرج من بلاده فى هذا الشهر فوجهوا الى كل جهة جماعة ووجهونا الى جهتك فقال افرأيتم امرا اراده تعالى ايقدر احد يدفعه قالوا لا فاقاموا عنده ثلاثة ايام ولم يزل يناشدعمه حتى رده وبعث معه ابو بكر بلالا وزوده الراهب زيتا وكعكا قيل وذكر ابي بكر وبلال فيه وهم

(فصل)

(فى الآيات) اى الشاهدة بثبوت نبوته وصدق رسالته وما خص به من بدائع الكرامات وبدائع المعجزات (فى ضروب الحيوانات حدثنا سراج بن عبد الملك ابو الحسين الحافظ) سبق ذكره (حدثنا ابي) قال الحلبي تقدم ابوه فاضبط وفى بعض النسخ بصيغة التصغير تصحيف وتحريف (ثنا القاضي ابو يونس ثنا ابو الفضل الصقلي) بفتح الصاد وكسر وسكون القاف (حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه عن جده) اى كليهما (قال حدثنا ابو العلاء احمد بن عمران ثنا محمد بن فضيل) بالتصغير وهذا هو الاصل الصحيح ووقع فى اصل المؤلف باسقاط ثنا محمد بن فضيل (ثنا يونس ابن عمرو) بالواو وقال ابن معين ثقة وقال ابو حاتم لا يحتج به (ثنا مجاهد عن عائشة) قال يحيى بن سعيد لم يسمع منها قال وحدثت شعبة بذلك فانكر ان يكون سمع منها وتبعه على ذلك يحيى بن معين وابو حاتم الرازي وحديثه عنها فى الصحيحين وقد صرح فى غير حديث بسماعه منها والله تعالى اعلم (قالت كان عندنا داجن) بكسر الجيم ما يألف البيت من الحيوان كالشاة والطير مأخوذ من المداجنة وهي المخالطة والملازمة (فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى نسخة صحيحة عندنا ونحن (قر وثبت مكانه) اى الداجن (فلم يجئ ولم يذهب) اى ولم يغير شأنه توقيرا له وتكريما وهيبة منه وتعظيما (واذا خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جاء وذهب) اى تردد واضطرب وهذا الحديث رواه احمد والبزار وابو يعلى والطبراني والبيهقي والدارقطني وهو صحيح وفى المدعى صريح (وروى عن عمر) رضي الله تعالى عنه بصيغة المجهول اشعارا بضعفه فقد قال الحافظ المزي لا يصح اسنادا ولا متنا وقال ابن دحية انه موضوع لكن قال الدلجي نقلا فى قدرواه الائمة فنهايته الضعف لا الوضع ممن رواه الطبراني والبيهقي قال وروي ايضا باسانيد عن عائشة وابي هريرة رضي الله تعالى عنهما وما ذكرنا هو امثلها (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى محفل) بفتح الميم وكسر الفاء اى مجمع (من اصحابه اذ جاء اعرابي قد صاد ضبا) بفتح الضاد المعجمة وتشديد الموحدة حيوان معروف يقال اذا فارق جحره لم يهتد اليه وهو لا يشرب واطول الحيوان روحا بعد ذبحه ويعيش سبعمائة سنة فصاعدا ويقال انه يبول فى كل اربعين يوما قطرة (فقال) اى الاعرابي (من هذا قالوا نبي الله فقال واللات) بواو القسم (والعزى) وهما صنمان كانوا يعبدونهما فى وسط الكعبة (لا امنت بك) اى بنبوتك ورسالتك وفى نسخة لا او من بك (او) بسكون الواو (يؤمن) بالنصب اى الى ان يؤمن او حتى يؤمن كما فى نسخة (بك هذا الضب) اى فلا او من انا ايضا بك حينئذ (وطرحه بين يدي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اى القى الضب بين جهتي يديه يعني قدامه (فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يا ضب فاجابه بلسان مبين) اى بين او مبين حروفه (يسمعه القوم جميعا لبيك) اى اجابتي لك مرة بعد مرة (وسعديك) اى وساعدني اطاعتك كرة بعد كرة (يا زين من وافى القيامة) اى يا زينة من اتاها وحضرها (قال) اى النبي عليه الصلاة والسلام (من تعبد) اى من اتخذته الها (قال الذي فى السماء عرشه) اى ملكوته سبحانه (وفى الارض سلطانه) اى ملكه المظهر شأنه (وفى البحر سبيله) اى طريق آياته ولعله من باب الاكتفاء فان فى البر كثيرا من عجائباته (وفى الجنة رحمته) اى ثوابه من آثارها للمطيعين (وفى النار عقابه) اى من آثار سخطه للعاصين (قال فمن انا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين) اى آخرهم وهو بفتح التاء على ما قرأ به عاصم بمعنى ختموا به وبكسرها بمعنى ختمهم ويؤيده قراءة ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين (وقد افلح) اى فاز

(من صدقك) بتشديد الدال اى اطاعك (وقد خاب) اى خسر (من كذبك) اى عصاك (فاسلم الاعرابى ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهورة) بالرفع (عن ابى سعيد الخدرى) كما رواه احمد والبزار والبيهقى وصححه (بينا) وفى نسخة بينما على ان ما زائدة كافة واما الف بينا فقيل هى اشباع فلا تمنع الجر وقيل مانعة له منه وهو المشهور عند الجمهور (راع يرعى غنما له عرض الذئب لشاة منها) اى وقت رعى غنمه فاجأ عروض الذئب اى ظهوره فى تعرضه لشاة من جملة قطيع الغنم (فاخذها) اى الراعى (منه فاقعى الذئب) اى الصق استه بالارض ونصب ساقيه وفخذيه ووضع يديه على الارض (وقال للراعى الاتتقى الله) اى اما تخاف والمعنى خف الله تعالى فالاستفهام للتوبيخ لا للانكار الداخل على النفى المفيد لتحقق مابعده كما ذكره الدلجى (حلت بينى و بين رزقى) بضم الحاء اى منعت رزقى عنى وهو جملة مبينة قائمة مقام العلة (قال الراعى العجب) اى كل العجب (من ذئب يتكلم بكلام الانس) اى فى مقام الانس (فقال الذئب الا اخبرك باعجب من ذلك) اى واغرب فيما هنالك (رسول الله بين الحرتين) بفتح الحاء وتشديد الراء تثنية حرة وهى ارض ذات حجارة سود حول المدينة السكينة (يحدث الناس بانباء من قد سبق) وفى نسخة صحيحة مابدل من وانما كان اعجب لانه اخبار عما لم يعلم به غير الرب (فاتى الراعى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبره) اى بكلام الذئب له (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له) اى للراعى (قم فحدثهم) اى الحاضرين والغائبين (ثم قال) اى النبى عليه الصلاة والسلام بعد ان حدثهم الراعى اوقبله (صدق) اى الراعى فى قوله و بالحق نطق فى نقله (والحديث فيه قصة) اى طويلة اوعظيمة وهو الاظهر لقوله (وفى بعضه طول) اى فى بعض الفاظه طول اى ليس هذا محل بسط تلك الفصول وروى انه لما جاء الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واخبره صدقه ثم قال انها امارات بين يدى الساعة فقد اوشك الرجل ان يخرج فلا يرجع حتى يحدثه نعلاه وسوطه بما احدث اهله بعده وفى رواية قال والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الانس وحتى يكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله و يخبره فخذه بما احدث اهله بعده (وروى حديث الذئب عن ابى هريرة) اى من طرق (وفى بعض الطرق عن ابى هريرة فقال الذئب انت اعجب واقفا على غنمك) حال (وتركت) اى والحال انك قد تركت (نبيا) اى خدمته وصحبته مع انه نبى عظيم ورسول كريم (لم يبعث الله نبيا قط اعظم منه عنده قدرا) اى رفعة ورتبة (قد فتحت له ابواب الجنة) اى وكذا لمن تبعه من اكابر الامة (واشرف اهلها) اى واطلع اهل الجنة (على اصحابه ينظرون قتالهم) اى فى الغزوة وينتظرون وصالهم بالشهادة وحسن مآلهم فى الجنة (ومابينك) اى والحال انه لاحائل بينك (و بينه الاهذا الشعب) بكسر اوله اى قطع هذا الوادى وهو ماانفرج بين الجبلين (فتصير فى جنود الله) اى احزابه المجاهدين (فقال الراعى من) وفى نسخة ومن (لى بغنمى) اى من يقوم لى برعاية غنمى (قال الذئب انا ارعاها حتى ترجع فاسلم الرجل اليه غنمه ومضى) اى الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وما عنده من غنمه (وذكر) اى الراعى (قصته) اى مع الذئب (واسلامه ووجوده النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى على وفق ماحكاه الذئب له (يقاتل فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عد) بضم العين وسكون الدال المهملة اى ارجع (الى غنمك تجدها) جواب الامر اى تصادفها (بوفرها) بفتح الواو وسكون الفاء اى بتمامها وكمالها ما نقص شئ منها (فوجدها كذلك) اى كما اخبره (وذبح للذئب شاة منها وعن اهبان) بضم الهمزة (ابن اوس) بفتح اوله اى وروى عنه ايضا (وانه) بكسر الهمزة ويجوز فتحها (كان صاحب القصة) اى الحكاية (والمحدث بها ومكلم الذئب وعن سلمة بن عمرو بن الاكوع) على مافى الروض الانف (وانه كان صاحب هذه القصة ايضا) فيه ايماء الى تعدد القصة وتكرر القضية (وسبب اسلامه) اى فى هذه الرواية (بمثل حديث ابى سعيد) متعلق بروى المقدرة قبل قوله وعن اهبان والحاصل انه اختلف فى اسم الراعى المتكلم معه الذئب فقيل هو اهبان بن اوس السلمى ابوعقبة سكن الكوفة وقيل اهبان بن عقبة وهو عم سلمة بن الاكوع وكان من اصحاب الشجرة وقيل اهبان بن عباد الخزاعى وقيل اهبان بن صيفى وعن الكلبى هو اهبان بن الاكوع وعند السهيلى هو رافع بن ربيعة وقيل سلمة بن الاكوع والجمع ممكن بحمل القصة على تعدد القضية والخلاف المراد باهبان فى الرواية (وقد روى ابن وهب مثل هذا) اى مثل ماجرى فى اخذ الذئب شاة (انه جرى لابى سفيان بن حرب) اى والد معاوية (وصفوان بن امية) بالتصغير (مع ذئب وجداه اخذ ظبيا) اى اراد اخذه (فدخل الظبى الحرم فانصرف الذئب) اى تعظيما للحرم المحترم (فعجبا) بكسر الجيم اى فتعجبا (من ذلك) اى من انصرافه عما هنالك (فقال الذئب اعجب من ذلك) اى مما تعجبتما (محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة) اى الى سببها وهو الايمان (وتدعونه الى النار) اى موجبها وهو الكفران فهذا مقتبس من قوله تعالى حكاية عن مؤمن آل فرعون وياقوم مالى ادعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار تدعوننى لاكفر بالله واشرك به ما ليس لى به علم وانا ادعوكم الى العزيز الغفار لاجرم

ان ما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وان مردنا الى الله وان المسرفين هم اصحاب النار فستذكرون ما اقول لكم وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد (فقال ابو سفيان) اى لصفوان (واللات والعزى لئن ذكرت هذا) اى الخبر (بمكة) اى فيما بين اهلها (لتركتها خلوفا) بضم الخاء المعجمة واللام اى بلا رجال ولا اسلام كذا في النهاية و يقال حي خلوف اذا غاب رجالهم وبقي نساؤهم وقيل اى متغيرا اخذا من خلوف فم الصائم والمعنى ان اهلها بعد سماعهم هذا تغيرت احوالهم وذهبوا الى المدينة ولم يبق احد منهم الا دخل في الاسلام منهم ولعل هذا كان سبب اسلامهما في آخر امرهما (وقد روي مثل هذا الخبر) اى الذي جرى لابي سفيان واحبابه (وانه) بفتح الهمزة وكسرها (جرى لابي جهل واصحابه) الا انه لم يسلم لما سبق له من الشقاوة الابدية في كتابه هذا وعند ابن القاسم عن انس كنت مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في غزوة تبوك فشردت على غنمي فجاء الذئب فاخذ منها شاة فاشتدت الرعاء خلفه فقال الذئب طعمة اطعمنيها الله تعالى تنزعونها مني فبهت القوم فقال ما تعجبون الحديث وفي الروض ايضا في غزوة ذات السلاسل وهي في آخر الكتاب بالفظه وذكر في هذه السرية صحبة رافع ابن ابي رافع لابي بكر وهو رافع ابن عميرة وهو الذي كلمه الذئب وله شعر مشهور في تكلم الذئب له وكان الذئب قد اغار على غنمه فاتبعه فقال له الذئب الا ادلك على ما هو خير لك قد بعث الله نبيه وهو يدعو الى الله فالحق به ففعل ذلك رافع واسلم (وعن عباس بن مرداس) بكسر الميم وكان الاولى ان يقول ومن ذلك حديث عباس بن مرداس (لما تعجب من كلام ضمار) بكسر الضاد المعجمة وبفتح وميم مخففة فالف فراء ذكره الصغاني وغيره وفي نسخة بالدال (صنمه) بالجر بدل من ضمار او بيان فانه اسم صنم كان يعبده هو ورهطه (وانشاده) اى ومن قراءته برفع صوته (الشعر الذي ذكر فيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) روي ان مرداس لما احتضر قال لابنه عباس اي بني اعبد ضمارا فانه سينفعك ولا يضرك فتفكر عباس يوما عند ضمار وقال انه حجر لا ينفع ولا يضر ثم صاح بأعلى صوته يا الهي الاعلى اهدني التي هي اقوم فصاح صائح من جوف الصنم

(اودى ضمار وكان يعبد مدة * قبل البيان من النبي محمد)

(وهو الذي ورث النبوة والهدى * بعد ابن مريم من قريش مهتدى)

(قل للقبائل من سليم كلها * اودى ضمار وعاش اهل المسجد)

فحرق عباس ضمارا ثم لحق بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم واسلم (فاذا صاح سقط) اى وقع ونزل بين يديه (فقال يا عباس العجب من كلام ضمار ولا تعجب من نفسك) اى بتخلفك عن موافقتك (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدعوك) وفي نسخة صحيحة يدعوك (الى الاسلام وانت جالس) اي بعيد عن مقام المرام (فكان) اى كلام الطائر (سبب اسلامه) والحديث هذا كما في الطبراني الكبير بسند لا بأس به قريب مما هنا (وعن جابر بن عبد الله) كما روى البيهقي عنه (عن رجل) وهو اسلم او يسار وهو رجل اسود استشهد في غزوة خيبر كما ذكره ابو الفتح اليعمري في سيرته (اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وآمن به وهو) اى النبي عليه الصلاة والسلام (على بعض حصون خيبر وكان) اى الرجل (في غنم يرعاها لهم فقال يا رسول الله كيف بالغنم) اى مع اصحابها (قال احصب) بفتح الهمزة وكسر الصاد اى ارم بالحصباء وهي دقاق الحصى (وجوهها) اى لترجع الى دور مالكيها (فان) اى لان وفي نسخة بان اى بسبب ان (الله سيؤدي عنك امانتك ويردها الى اهلها) اى بكمالها من غير خلاف لها (ففعل فسارت كل شاة) اى في طريقها (حتى دخلت الى اهلها وعن انس) كما رواه احمد والبزار بسند صحيح (دخل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حائط انصاري) اى بستان واحد من الانصار (وابو بكر وعمر ورجل من الانصار) اى معه (وفي الحائط غنم) وهو محركتين الشاء لا واحد لها من لفظها والواحد شاة وهو اسم مؤنث للجنس يقع على الذكور والاناث وعليهما جميعا (فسجدت له) اى للنبي عليه الصلاة والسلام سجود التحية والاكرام وانقادت له باظهار الاسلام فانه مبعوث الى كافة الانام كما اختاره بعض الاعلام والظاهر ان سجودها كان بوضع الجبهة بعد القيام لقوله (فقال ابو بكر نحن احق بالسجود لك منها) اى فانها مع قلة عقلها اذا كانت تسجد لك فكيف نحن مع كثرة انتفاعنا بك لكن امرنا متوقف على اذنك (الحديث) بتثليث المثلثة وسيأتي تمامه (وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه) كما رواه البزار بسند حسن (دخل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حائطا فجاء بعير فسجد له وذكر) اى ابو هريرة (مثله) اى مثل حديث انس لا مثل حديث ابي هريرة كما توهم الدلجي فقالوا هذه بهيمة لا تعقل سجدت لك ونحن نعقل فنحن احق ان نسجد لك فقال لا يصلح لبشر ان يسجد لبشر او صلح لامرت المرأة ان تسجد لزوجها لما له من الحق عليها (ومثله) اى مثل حديث ابي هريرة (في البعير) وفي نسخة صحيحة في الجمل (عن ثعلبة بن مالك) كما رواه

ابو نعيم قال المزى قدم ثعلبة من اليمن على دين يهود فنزل فى بنى قريظة فنسب اليهم ولم يكن منهم ولم يعرف من الصحابة من اسمه ثعلبة ابن ابى مالك غيره واسم ابى مالك عبدالله (وجابر بن عبدالله) كما رواه احمد والدارمى والبزار والبيهقى عنه (و يعلى بن مرة) كما رواه احمد والحاكم والبيهقى بسند صحيح عنه (وعبدالله بن جعفر) كما رواه مسلم وابو داود عنه قال ابو هريرة (كان لا يدخل احد الحائط) اى ذلك البستان من غير اهله (الا شد عليه الجمل) اى حمل وصال عليه حفظا للحائط واستغرابا لداخله ورعاية لصاحبه (فلما دخل عليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم دعاه) اى الجمل فجاءه خاضعا وانقاد له خاشعا (فوضع مشفره) بكسر الميم وسكون الشين المعجمة وفتح الفاء فراء اى شفته (على الارض وبرك) بتخفيف الراء اى ناخ (بين يديه فخطمه) اى فضوع فى رأسه بخطامه من رسنه وزمامه (وقال مابين السماء والارض شئ) اى من حيوان اوغيره (الايعلم) اى الا انه يعلم وفى نسخة لا يعلم اى ليس يوجد بينهما شئ لا يعلم قال المزى المعروف الايعلم وقد يكون رواية (انى رسول الله) اى اليه اوالى غيره (الا عاصى الجن والانس) اى الا كافر الثقلين والصيغة تحتمل الافراد والجمع بان حذفت نونه للاضافة (ومثله) اى مثل هذا المروى بعينه (عن عبدالله ابن ابى اوفى وفى خبر آخر فى حديث الجمل ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سألهم عن شانه) اى حاله معهم فى مآله (فاخبروه انهم ارادوا ذبحه) الاولى نحروه وكانه اراد ذبحه اللغوى (وفى رواية ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لهم) اى لاهل الجمل (انه شكا الى كثرة العمل وقلة العلف وفى رواية انه) اى الجمل (شكا الى انكم اردتم ذبحه بعد ان استعملتموه فى شاق العمل من صغره فقالوا نعم) قال بئس الجزاء ارادوه له كذا نقله الدلجى والظاهر اردتموه له وفى اصل صحيح تم الحديث بقوله نعم والله تعالى اعلم (وقد روى فى قصة العضباء) وهى الناقة المشقوقة الاذن ولقب ناقة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم تكن عضباء ذكره الفيروز آبادى فقيل انها والقصوى والجدعاء واحدة وقيل اثنان وقيل ثلاث ولم يكن بها عضب ولا جدع وقيل كان باذنها عضب (وكلامها للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وتعريفها له بنفسها) اى بذاتها وحالاتها (ومبادرة العشب اليها فى الرعى) اى فى رعيها وتجنب الوحوش عنها وندائهم) والاظهر وندائها (انها لك لمحمد) اى فى زمان حالك اوفى مآلك وانها لم تأكل ولم تشرب بعد موته حتى ماتت ذكره الاسفرائينى) حكى ابن عباس ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خرج ذات ليلة وناقة باركة فى الدار فمامر بها قالت السلام عليك يازين القيامة يارسول رب العالمين قال فالتفت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اليها فقال وعليك السلام فقالت يارسول الله انى كنت لرجل من قريش يقال له اعضب فهربت منه فوقعت فى مفازة فكان اذ غشينى الليل احترستنى السباع فنادت بعضها بعضا لا تؤذوها فانها مركب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم واذا اصبحت واردت ان ارتع نادتنى كل شجرة الى الى فانك مركب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حتى وقعت هنا قال فسماها عضباء شق لها اسما من اسم صاحبها ثم قالت الناقة يارسول الله ان لى اليك حاجة قال وما هى قالت تسأل الله ان يجعلنى من مراكبك فى الجنة كما جعلنى فى الدنيا قال صلى الله تعالى عليه وسلم قضيت ذكره التلمسانى (وروى ابن وهب ان حمام مكة اظلت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى جعلت عليه ظلا (يوم فتحها) بفتح فسكون وفى نسخة بفتحات (فدعا لها بالبركة) هذا وقد قيل انها من نسل الحمامة التى باضت على باب الغار بعد دخول سيد الابرار لكن قال الدلجى واما قصة العضباء فلم ادر من رواها ولا حديث حمام مكة (وروى عن انس) وفى نسخة عن ابن مسعود (وزيد بن ارقم والمغيرة بن شعبة) على مارواه ابن سعد والبزار والطبرانى والبيهقى وابو نعيم عنهم (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال امر الله ليلة الغار شجرة) وفى نسخة شجرا (فنبتت تجاه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بضم التاء المبدلة من الواو اى قبالته التى تقتضى مواجهته قال الدلجى هو مجاز عن انبتها كما فى كونوا قردة قلت الظاهر انه امر تكوين وانه على حقيقته كما حقق فى قوله تعالى انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون (فسترته) اى تلك الشجرة عن اعين الفجرة وقد ذكر قاسم بن ثابت فى الدلائل فيما شرح من الحديث انه عليه الصلاة والسلام لما دخل الغار ومعه ابو بكر انبت الله على بابه الراءة مثل الطاعة قال قاسم بن ثابت وهى شجرة معروفة تحجبت عن الغار اعين الكفار وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى الراءة من اعلاث الشجر وتكون مثل قامة الانسان ولها خيطان وزهر ابيض يحشى منه المخاد ويكون كالريش لخفته ولينه لانه كالقطن ذكره السهيلى والاعلاث من الشجر القطع المختلطة مما يقدح به من المرخ واليبس على مافى القاموس (وامر حمامتين فوقفتا) بالفاء وروى بالعين اى نزلتا (بفم الغار) اى لئلا يظن الاغيار دخول سيد الابرار ومن معه من اصحابه الكبار قال الدلجى فسمت صلى الله تعالى عليه وسلم عليهما اى دعا لهما وانحدرا الى الحرم فافرخا كل حمام فيه (وفى حديث آخران) وفى نسخة صحيحة وان (العنكبوت نسجت على بابه) اى على فم الغار (فلما اتى

(فمن له) اى لهذه الاحمال (وراوا انك) اى بما ذكر من وقوف الجمل ونسخ المكتوب (قالوا الوكال ونداها)
اى من دفعه هذا الوقت (لم يكن الجمال لى سابقه) اى ولا اطلع على المكتوب ولمافيه (وانه صلى الله تعالى عليه وسلم
سمع كلامهم ما حضروا) اى ولم يجد كوامرا منهم وفى هذا اشارة الى ان الله عز وجل امر المكتوب فمسحت على وجه
العير وارسل اليه جامعين وحشيين وان ذلك مما يصد المشركين عنه وان جمال الحرمين من دخل قبل
الجمعين (وعن عبد الله بن قرط) بضم القاف وسكون الراء له صحبة ورواية قال ان عبد الله كان اسمه فى الجاهلية
شيطانا فسماه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عبد الله اسهى من بارض الروم والحديث رواه الحاكم والطبرانى وابو نعيم
بسنده (قال قرب) بضم القاف وتشديد الراء المكسورة اى ادنى (الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بدنات) بفتحتين
جمع بدنة وحكى بضمتين وهى ناقة او بقرة ذكره الجوهرى وزاد ابن الاثير وهى بالابل اشبه وسميت بدنة لعظمها
وسمنها فلا يلتفت الى قول الدلجى وهى خاصة بالابل ولا يلزم من الحاقه صلى الله تعالى عليه وسلم البقرة بها
فى الاجزاء عن سبعة قول اسمها للبقرة شرعا لان الحديث وآية الحج عمدة ابنهى ولا يخفى انه اذا ثبت اطلاق البدنة
على البقرة فالحاقها بها بالاجزاء لا يلزم منه والحالفه دعا مكابرة ومنع الحديث وآية الحج انها مضادة . (خمس او ست
او سبع) شك من الراوى (لينحرها يوم عيد) اى من اعياد الاضحى (فزدلفن اليه) اسعاى من الزلف وهو القرب
ومنه قوله تعالى حكاية لمرتو بونا الى الله زلفى وازلفت الجنة للمتقين اى قربت الاخص و اى ازادى وبه المزدلفة والمعنى تقربن اليه
(بايتهن يبدأ) اى فى نحرها قال المزنى صوابه بايتهن يبدأ بالنحر وفيه بحث (وعن ام سلمة كان النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم فى صحراء) اى بادية قفر (فنادته ظبية يا رسول الله) فالتفت فاذا هى موثقة واعرابى نائم (قال) اى
لها ما حاجتك قالت (صادنى هذا الاعرابى ولى خشفان) بتثنية خشف وهو بكسر الخاء وسكون الشين المعجمة
ولد الظبية الصغير (فى ذلك الجبل فاطلقنى) بفتح الهمزة وكسر اللام اى من القيد وارسلنى (حتى اذهب الى ولدى
فارضعهما) بضم الهمزة وكسر الضاد (وارجع) اى اليك (قال او تفعلين) بفتح الواو اى اتفعلين هذا القول وتفعلين
هذا الرجوع وفى نسخة صحيحة وتفعلين بالهمزة مقدرة وفى رواية قال اخاف ان لا ترجعى قالت ان لم ارجع
فانا شر من يأكل الربا وشر من نام عن صلاة العشاء وشر من سمع اسمك ولم يصل عليك (قالت نعم فاطلقها فذهبت
ورجعت) اى بعدما ارضعت (فاوثقها) اى فربطها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على حالها (فانتبه الاعرابى) اى وهو
صلى الله تعالى عليه وسلم فى المحل الذى اوثقها (وقال يارسول الله الك حاجة قال تطلق) اى نعم هواى تطلق
او بصيغة الامر وفى نسخة صحيحة اطلق (هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو فى الصحراء)اى تجرى (وتقول)
اى الظبية (اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله) رواه البيهقى فى دلائل النبوة من طرق وضعفه جماعة من الائمة
حتى قال ابن كثير لا اصل له وان من نسبه الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقد كذب لكن طرقه تقوى بعضها
بعضا وقد رواه ابو نعيم الاصبهانى فى الدلائل باسناد فيه مجاهيل عن ام سلمة نحو ما ذكره المصنف وكذا رواه الطبرانى
نحوه وسنده الحافظ المنذرى فى الترغيب والترهيب من باب الزكاة (ومن هذا الباب) اى باب طاعة الحيوانات
من طرق حديث اسامة بن زيد بعض صحابته من تمام بركته صلى الله تعالى عليه وسلم (ما روى من) وفى نسخة فى (تسخير
الاسد لسفينة) غير منصرف للتأنيث والعلمية (مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اعتقته ام سلمة وشرطت
عليه ان يخدم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واسمه مهران عند الاكثر وكنيته ابو عبد الرحمن على الاشهر ولقبه
عليه الصلاة والسلام بسفينة لقصة مشهورة (اذ وجهه) اى كان التسخير حين ارسله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
(الى معاذ باليمن) اى حال اقامته بها لقصة (فلقى) اى سفينة (الاسد فعرفه) بتشديد الراء اى فذكر له (انه مولى رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه كتابه) اى مكتوبه عليه الصلاة والسلام الى معاذ او غيره (فهمهم) بميمين وهائين
فمعناه نوع من قول ما ليس من الفهم وهو فى الكلام بالجمجمة (وتنحى عن الطريق) اى وتبعه وتأخر الاسد عن طريق
سفينة (وذكر) اى سفينة (فى منصرفه) اى مرجعه (اليها مثل ذلك) قال الدلجى لم ادر من رواه كذلك وقد رواه
البيهقى ان لقيه الاسد انما كان حين ضل عن الجيش فى ارض الروم فلا يحمل على تعدد الواقعة كما اشار اليه
قول المصنف (وفى رواية اخرى عنه) اى عن سفينة كما رواه البيهقى والبزار (ان سفينة) اى من السفن (تكسرت به)
اى وهو فيها فى لجة البحر (فخرج الى جزيرة) وهى ارض جزر البحر عنها (فاذا الاسد) اى حاضر والمعنى فاجأه
بغتة (فقلت له انا مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجعل يغمزنى) بسكون الغين المعجمة وكسر الميم
او بضمها اى يشير الى و جعل يحرك ذنبه (بمنكبه) بفتح الميم وكسر الكاف اى بما بين كتفه وعنقه (حتى اقامنى)
اى دلنى (على الطريق) وفى ايراد هذا الحديث اشارة الى ان كرامات الاولياء معجزة النبى من حيث الدلالة على صدق

النبوة والرسالة فان الكرامة متفرعة على صحة المتابعة (واخذ عليه الصلاة والسلام) كان الاولى ان يقال ومن ذلك انه اخذ عليه الصلاة السلام (باذن شاة لقوم من بنى عبد القيس) قبيلة كبيرة مشهورة (بين اصبعيه) بكسر الهمزة وفتح الموحدة وجوز تثليث كل منهما فالوجوه تسعة (ثم خلاها) اى تركها (فصار لها ميسما) بكسر الميم وفتح السين اى صار اثر اصبعيه لها علامة وهو فى اصل الحديدة التى يكوى بها و يجعل بسببها علامة فاطلاقه على العلامة مجاز فى العبارة ظاهر العلاقة (وبقى الاثر فيها) اى فى اصل تلك الشاة (وفى نسلها بعد) بالضم اى بعدها قال الدلجى لاادرى من رواه (وماروى) اى ومن ذلك ماروى (عن ابراهيم بن حماد بسنده من كلام الحمار) فى سيرة مغلطاى كان له صلى الله تعالى عليه وسلم من الحمير يعفور وعفير و يقال هما واحد وآخر اعطاه سعد بن عبادة (اصابه) اى فى سهمه وفى نسخة الذى اصابه (بخيبر و قال) اى الحمار وهو كان اسود (له اسمى يزيد بن شهاب) يعنى ونعتى ان الله تعالى اخرج من نسلى ستين حمارا كلهم لم يركبه الانبى وقد كنت اتوقعك ان تركبنى ولم يبق من نسل جدى غيرى ولا من الانبياء غيرك وكنت ليهودى وكنت اعثر به عمدا وكان يجيعنى و يضربنى على ماروواه ابن ابى حاتم عن حذيفة وفى رواية يجيع بطنى ويضرب ظهرى (فسماه النبى صلى الله عليه وسلم يعفورا) بالقصر وفى نسخة بالتنوين وفى نسخة يعفور كيعقوب (وانه اى النبى عليه الصلاة والسلام كان يوجهه) اى يرسله (الى دور اصحابه) اى بيوتهم (فيضرب عليهم الباب برأسه و يستدعيهم) اى يطلب منهم اجابة الدعوة اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما مات) اى ودفن (تردى) اى رمى بنفسه (فى بئر) اى لابى الهيثم بن التيهان (جزعا) اى فزعا (وحزنا) بفتحتين او بضم فسكون (فمات) اى فصارت قبره رواه ابن حبان فى الضعفاء من حديث ابى منظور وقال لااصل له واسناده ليس بشئ وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات قلت قصة يعفور ذكرها غير القاضى فقد نقلها السهيلى فى روضه عن ابن فورك فى كتاب الفصول قال السهيلى وزاد الجوينى فى كتاب الشامل ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا اراد احدا من اصحابه ارسل هذا الحمار اليه فيذهب حتى يضرب برأسه الباب فيخرج الرجل فيعلم ان قد ارسل اليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفى رواية فاذا خرج اليه صاحب الدار اوما اليه ان اجب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا وقد اخرجه ابن عساكر عن ابى منظور وله صحبة نحو ما سبق و قال هذا حديث غريب وفى اسناده غير واحد من المجهولين ورواه ابو نعيم عن معاذ بن جبل كما تقدم والله تعالى اعلم (وحديث الناقة التى شهدت عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لصاحبها انه ما سرقها وانها ملكه) رواه الطبرانى عن زيد بن ثابت بسند فيه مجاهيل والحاكم من حديث ابن عمر قال الذهبى وهو موضوع وفيه نظر (وفى العنز) اى وفى حديث العنز كما فى نسخة صحيحة وهى الانثى من المعز (التى اتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى عسكره) اى حال كونه فيما بين جنده فى غزوة له (وقد اصابهم عطش) اى شديد (ونزلوا على غير ماء) اى لضرورة بهم (وهم زهاء ثلثمائة) احوال متتابعة مترادفة او متداخلة (فحلبها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاروى الجند) اى جميع العسكر (ثم قال لرافع) اى مولاه كذا قاله الدلجى لكن مولاه ابو رافع ولذا قال الحلبى رافع هذا لا اعرفه بعينه وفى الصحابة جماعة كثيرة يقال لكل منهم رافع (املكها) بفتح الهمزة وكسر اللام اى اوثقها واربطها واحفظها (وما اراك) بضم الهمزة اى ما اظنك تملكها وتحفظها (فربطها) اى وغفل عنها (فوجدها قد انطلقت) اى ذهبت برأسها بحيث لم يدر احد عنها (رواه ابن قانع) وقد سبق ذكره (وغيره) منهم ابن سعد وابن عدى والبيهقى عن مولى ابى بكر رضى الله عنه (وفيه) اى وفى حديث ابن قانع (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذى جاء بها) اى الله سبحانه وتعالى (هو الذى ذهب بها) فيه ايماء الى ان ايجادها واعدامها كليهما من خرق العادة (وقال) اى النبى صلى الله عليه وسلم (لفرسه عليه الصلاة والسلام) كذا فى بعض النسخ المصححة وانما محله قبله بعد قال كما لا يخفى ثم قيل كانت افراسه صلى الله عليه وسلم اربعة وعشرين اتفق منها على سبعة (وقد قام الى الصلاة) اى والحال انه قد اراد قياما اليها (فى بعض اسفاره) متعلق بقام كما هو اقرب او بقال وهو انسب (لا تبرح) اى لا تفارق مكانك (بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا وجعله قبلته) اى فى صوب قبلته او فى جهة مقابلته (فما حرك عضوا) اى من اعضائه وهو بضم اوله و يكسر (حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) اى حتى فرغ منها كما فى اصل الدلجى والحق فى بعض النسخ هنا وزعم بعضهم انه من الام (ويلتحق بهذا) بصيغة المجهول او المعلوم (ماروى الواقدى) بكسر القاف قاضى العراق يروى عن ابن عجلان وثور وابن جريج وعنه الشافعى رحمه الله والصغانى قال البخارى وغيره متروك وقد ذكر له ترجمة حسنة ابن سيد الناس فى اول سيرته وذكر فيها ثناء الناس عليه وجرحهم له وانه نسب الى وضع الحديث وفى آخرها استقر الاجماع على وهن الواقدى (ان النبى صلى الله عليه وسلم لما وجه رسله الى الملوك) اى لتبليغ الرسالة

اليهم وتحقيق الحجة لديهم (فخرج ستة نفر منهم) اى من رسله (فى يوم واحد فاصبح كل واحد منهم) اى صار لما بلغ عندهم
واراد تبليغهم (يتكلم بلسان القوم الذى بعث) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (اليهم) اى من الملوك واتباعهم
من غير تعلم لسانهم وتعرف بشأنهم قال الكلاعى فى الشفاء وفى حديث ابن اسحق قال عليه الصلاة والسلام ان الله
بعثنى رحمة كافة فادوا عنى يرحمكم الله ولا تختلفوا على كما اختلف الحواريون على عيسى فقال اصحابه وكيف اختلفوا
يا رسول الله قال دعاهم الى الذى دعوتكم اليه فاما من بعثه مبعثا قريبا فرضى وسلم واما من بعثه مبعثا بعيدا فكره
وجهه وتثاقل فشكا عيسى عليه الصلاة والسلام ذلك الى الله تعالى فاصبح المتثاقلون وكل واحد منهم يتكلم بلغة
الامة التى بعث اليها (والحديث فى هذا الباب) اى فى معنى هذا النوع من المعجزة (كثير) اى ورد بطرق متعددة وقضايا
متكثرة (وقد جئنا منه بالمشهور) اى فى صحته وثبوته (وما وقع) اى وبما ورد (منه فى كتب الائمة) اى المعروفين بالسنة والسيرة

(فصل)

(فى احياء الموتى وكلامهم) اى للاحياء قال القرطبى فى تذكرته وكذا نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم احيى الله على يديه
جماعة من الموتى قال الحلبى وقد ذكرت ما مضى قبيلا اى جماعة منهم (وكلام الصبيان) اى الاطفال قبل اوان التكلم
(والمراضع) جمع راضع على خلاف القياس وهو اخص من الاول فتأمل ويحتمل ان يكون العطف تفسيريا ووقع
فى اصل الدلجى وكلام الصبيان المراضع بالوصف بدون العاطف (وشهادتهم) اى الصبيان (له بالنبوة)
اى المتضمنة للرسالة (صلى الله تعالى عليه وسلم حدثنا ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه بقراءتى عليه والقاضى
ابو الوليد محمد بن رشد) بضم فسكون (والقاضى ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمى) سبق (وغير واحد)
اى وكثيرون من مشايخنا (سماعا) اى رواية (واذنا) اى اجازة (قالوا) اى كلهم (ثنا ابو على الحافظ) الطاهر انه
ابو على الغسانى (ثنا ابو عمر الحافظ) اى ابن عبد البر (ثنا ابو زيد) اى عبد الرحمن بن يحيى كما فى نسخة (ثنا احمد بن سعيد
ثنا ابن الاعرابى) تقدم (ثنا ابو داود) صاحب السنن (ثنا وهب بن بقية) بفتح موحدة وكسر قاف وتشديد تحتية
روى عنه مسلم والبغوى ثقة (عن خالد هو الطحان) بتشديد الحاء احد العلماء ثقة عابد زاهد يقال اشترى نفسه
من الله ثلاث مرات يتصدق بزنة نفسه فضة (عن محمد بن عمرو) اى ابن علقمة بن وقاص الليثى يروى عن ابيه وابى سلمة
وطائفة وعنه شعبة ومالك ومحمد بن عبد الله الانصارى (عن ابى سلمة) وهو احد الفقهاء السبعة على قول الاكثر
(عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) قال المزى فى اطراف كذا وقع هذا الحديث فى رواية سعيد بن ابن الاعرابى
عن ابى داود مسندا موصولا وعند باقى الرواة عن ابى سلمة وليس فيه ابو هريرة فهو مرسل (ان يهودية) وهى زينب
اخت عبد الله بن سلام وقيل زينب بنت الحارث (اهدت للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم بخيبر شاة مصلية) بفتح الميم وكسر
اللام وتحتية مشددة اى مشوية (سمتها) بتشديد الميم من السم لا من التسمية اى وضعت السم فيها (فاكل رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم منها والقوم) بالرفع ويجوز نصبه وفى نسخة واكل القوم اى منها ايضا (فقال ارفعوا ايديكم
اى عنها (فانها اخبرتنى) اى حينئذ (انها مسمومة فمات) اى من اكلها (بشر بن البراء) بفتح الباء وتخفيف الراء
وهو ابن معرور واياك ان تجمعها فانه تصحيف مغرور وهو خزرجى سلمى شهد العقبة وبدرا واحدا قيل انه مات فى الحال
وقيل لزمه وجعه حتى مات بعد سنة وقضية خيبر كانت فى اول السابعة او فى آخر السادسة (وقال) اى النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم (ما حملك) اى ابعثها اليهودية (على ما صنعت قالت) اى حملنى ما تردد فى باطنى من انك (ان كنت
نبيا لم يضرك الذى صنعت وان كنت ملكا) بكسر اللام اى ممن يدعى ملكا (ارحت الناس منك قال) اى ابو هريرة
كما رواه البيهقى عنه موصولا وابو داود عن ابى سلمة مرسلا (فامر بها) اى بقتلها (فقتلت وقد روى هذا الحديث)
اى حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (انس) اى كما فى الصحيحين (وفيه قالت اردت قتلك) ان لم تكن نبيا (فقال
ما كان الله ليسلطك على ذلك) ويروى ليسلطها على ذلك وليسلطك على اى على قتلى فانى نبى موعود كما لدينى وعصمة
روحى (فقالوا انقتلها) وفى رواية الا نقتلها (فقال لا) اى لا تقتلوها ولعل هذا كان قبل موت بشر فلما مات امر
بقتلها به (وكذلك روى) اى هذا الحديث وفى نسخة وكذلك عن ابى هريرة (من رواية غير وهب) اى ابن بقية وهو شيخ
ابى داود (قال) اى ابو هريرة رضى الله تعالى عنه (فما عرض لها) اى فما تعرض لها ولم يأمر بقتلها (ورواه ايضا
جابر بن عبد الله) كما رواه ابو داود والبيهقى عنه (وفيه) اى فى حديثه (اخبرتنى به هذه الذراع قال) اى جابر
(ولم يعاقبها) اى ولم يؤاخذها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بما صدر عنها قبل موت بشر منها (وفى رواية الحسن)
اى البصرى (ان فخذها كلمتنى انها مسمومة) قلت وفى الجمع بينهما اصابة الشهادة (وفى رواية ابى سلمة ابن عبد الرحمن

فقالت) اى الشاة بكلها اوببعض اجزائها (انى مسمومة) اى فلا تأكل منى (وكذلك ذكر الخبر ابن اسحق) اى امام المغازى (وقال فيه) اى فى حديثه (فتجاوزعنها) اى عفا ابتداء (وفى الحديث الآخر) الذى رواه الشيخان (عن انس انه قال فمازلت اعرفها) اى اثرسمها (فى لهوات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بفتح اللام والهاء جمع لهاة وهى اللحمة المعلقة فى سقف اقصى الفم (وفى حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) كما رواه ابن سعد وهو فى الصحيح (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه قال فى وجعه الذى مات فيه) وفى نسخة منه (مازالت اكلة خيبر) بضم الهمزة اى لقمتها وخيبر بلدة على اميال من المدينة السكينة اكل بها من الشاة المسمومة (تعادنى) بضم التاء وتشديد الدال اى ترادنى و تراجعنى وتعاودنى الم سمها فى اوقات معينة لهاوهو مأخوذ من العداد بكسر العين وهو اهتياج وجع اللديغ لوقت معلوم فانه اذاتمت له سنة من حين اللدغ هاجه به الالم (فالآن) وفى نسخة والآن اى وهذا الزمان الذى انافيه (اوان قطعت ابهرى) والاوان بفتح الهمزة ويكسر بمعنى الوقت وهو هنا بفتح النون لاضافته الى المبنى كما فى قوله على حين عاتبت المشيب على الصبا اوبضمها على انه مرفوع على الخبرية اى فهذا الزمان اوان قطعت على بناء الفاعل وهو الاكلة ومفعوله ابهرى وهو بهمزة مفتوحة وسكون موحدة وفتح هاء عرق يكتنف الصلب والقلب اذاقطع لم يبق معه حياة وهو الذى يمتد الى الحلق فيسمى الوريد والى الظهر فيسمى الوتين فكانه صلى الله تعالى عليه وسلم قال هذا اوان قتلنى السم فكنت كمن انقطع ابهره كذاذكره التلمسانى والظاهر انه على ظاهره وان السم سرى الى ابهره وقال الداودى الالم الذى حصل له من الاكلة هونقص لذة ذوقه قال ابن الاثير وليس ببين لان نقص الذوق ليس بالم قلت هوالم من العذاب الاليم كما يشهد به الذوق السليم (وحكى ابن اسحق) اى فى المغازى (ان) مخففة من المثقلة اى ان الشان (كان المسلمون) اى الصحابة والتابعون (ليرون) بفتح اللام وضم الياء اى ليظنون وفى نسخة صحيحة بفتح الياء اى ليعتقدون (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مات شهيدا) اى نوعا من الشهادة (مع مااكرمه الله به من النبوة) اى لئلا يخلو من نوع من ابواب السعادة وهذالاينافى قوله تعالى والله يعصمك من الناس اذا المراد به عصمته من القتل على ايديهم واما مادونه فقد احتمل صلى الله عليه وسلم فى ذات الله ومرضاته حتى سم وسحر وكسرت رباعيته كما يشير اليه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم حين اصيبت اصبع رجله بحجر فى طريقه

(هل انت الا اصبع دميت * وفى سبيل الله مالقيت)

وقد اجيب بان الآية نزلت بتبوك والسم كان بخيبر قبل ذلك والله تعالى اعلم (وقال ابن سحنون) بفتح السين وضم النون منصرفا وممنوعا وهو محمد بن سحنون بن سعيد التنوخى (اجمع اهل الحديث ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قتل اليهودية التى سمته) هو محمول على آخر امرها فلا ينافى ماورد من عدم التعرض لها فى ابتداء حالها فقول الدلجى ان دعوى ابن سحنون يردها مامر من حديث انس وابى هريرة رضى الله تعالى عنهما من رواية غير وهب ابن بقية ليس فى محله اذسبق ان كل واحد من الحديثين يحمل نفيه قبل موت بشر بن البراء وهذا معنى قول المصنف (وقد ذكرنا اختلاف الروايات فى ذلك) اى بحسب مابين التخالف هنالك (عن ابى هريرة وانس وجابر) اى ابتداء لاانتهاء كما يشير اليه قوله (وفى رواية عن ابن عباس انه دفعها لاولياء بشر بن البراء فقتلوها) اى بعدموت بشر بن البراء فارتفع النزاع وثبت ماذكره ابن سحنون من الاجماع (وكذلك) اى مثل هذا الاختلاف اونحوه قد اختلف (فى قتله للذى سحره قال الواقدى وعفوه عنه اثبت عندنا) اى من قتله (وروى) وفى نسخة وقدروى عنه (انه قتله) ولعله عفا عنه اولا بسبب سحره المتعلق بخاصة نفسه ثم قتله لما صدرعنه بالنسبة الى غيره اولدفع ضرره عن المسلمين فى آخر امره اواوحى اليه بعدعفوه ان يأمر بقتله وهذه الجملة معترضة (وروى الحديث) اى حديث الشاة المسمومة (البزار عن ابى سعيد) اى الخدرى (فذكر مثله) اى نحو ماسبق (الاانه قال) اى ابو سعيد (فى آخره) اى فى آخر حديثه (فبسط) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يده) اى مدها (وقال) اى لاصحابه كما فى نسخة (كلوا بسم الله) اى مبتدئين باسمه ومستعينين بذكره (فاكلنا) اى منها (وذكرنا اسم الله) اى عليها (فلم تضر منا احدا) عن الحافظ ابن حجر انه منكر ذكره الدلجى ولعل وجه الانكار عموم نفى الاضرار مع انه ثبت فى الصحيح موت بشر بن البراء منه كما سبق به التصريح وكذا تقدم انه صلى الله تعالى عليه وسلم تضرر منها الى ان توفى بسببها وحصل له مرتبة الشهادة بهاهذا والحديث رواه الجزرى ايضا فى الحصن بلفظ وامر الصحابة فى الشاة المسمومة التى اهدتها اليه اليهودية ان اذكروا اسم الله وكلوا فاكلوا ولم يصب احدا منهم شئ واسنده الى مستدرك الحاكم قال صاحب السلاح رواه الحاكم فى مستدركه عن ابى سعيد الخدرى وقال صحيح الاسناد انتهى لكن قال بعض مشايخنا وفيه تأمل لا يخفى اذ المشهور بين اصحاب الحديث وارباب السيرانه لم يأكل من تلك الشاة المسمومة احد من الصحابة الا بشر بن البراء اكل منها لقمة ومات منها وامر النبى

صلى الله تعالى عليه وسلم باحراق تلك الشاة ودفنها تحت التراب واحتجم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على كاهله من اجل الذى اكل من الشاة حجمه ابو هند بالقرن والشفرة وهو مولى لبنى بياضة من الانصار والله سبحانه وتعالى اعلم بالاسرار (قال القاضي ابو الفضل) اى المصنف (وقد خرج حديث الشاة المسمومة اهل الصحيح) اى الذين التزموا الصحة (وخرجه الائمة) اى البقية من اصحاب السنن المشتملة على الصحيح وغيره من الاقسام (وهو حديث مشهور) اى بين الخاص والعام عند الجمهور من علماء الاعلام (واختلف ائمة اهل النظر) اى من المتكلمين وغيرهم (فى هذا الباب) اى باب خلق الله تعالى الكلام فى الاجسام (فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله تعالى) اى فى محل من الموجودات اعم من الحيوانات والنباتات والجمادات كما بينه مثلا بقوله (فى الشاة الميتة) بتخفيف الياء ويجوز تشديدها (او الحجر او الشجر) ذكرها بالفاء او للتنويع (وحروف واصوات) برفعهما عطف على كلام (يحدثها الله تعالى فيها) اى يوجدها فى هذه الاشياء بلاحياة لها لعدم توقف ماذكر عليها (ويسمعها) بضم الياء وكسر الميم اى من شاء من خلقه (منها) اى من الاصوات والحروف (دون تغيير اشكالها) اى انواع صورها (ونقلها عن هيئتها) اى حالتها وصفتها وتمام حقيقتها (وهو) اى هذا القول (مذهب الشيخ ابى الحسن) اى الاشعرى (والقاضى ابى بكر) اى ابن الطيب الباقلانى (رحمهما الله) اقول فعلى هذا كلام الشاة من جنس سلام الحجر وكلام الشجر فلا يصلح ان يكون مستند الاخير الوارد على ماساقه المصنف كما لا يخفى بخلاف ما يستفاد من قوله (وآخرون ذهبوا الى ايجاده) اى الله سبحانه وتعالى (الحياة) وفى نسخة الى ايجاد الحياة لها اولا (ثم الكلام) بالنصب او الجر اى ثم ايجاد الكلام (بعده) اى بعد ايجاد الحياة بها مع عدم تغيرها عن حالها (وحكى هذا ايضا عن شيخنا) اى مبشر اهل السنة (ابى الحسن) اى الاشعرى (وكل) اى من القولين (محتمل) اى لايجاد الحياة فيها اولعدمها ولما كان التناقض بين القولين دفعه المصنف بحمل القول الثانى على الكلام النفسى لاستلزامه الحياة وحمل الاول على اللفظى لعدم استلزام خلقه فى محل حلولها فيه بقوله (والله اعلم اذلم نجعل) اى نحن ويجوز بصيغة الغائب اى ابو الحسن (الحياة شرطا لوجود الحروف والاصوات اذلا يستحيل وجودها مع عدم الحياة بمجردها) اى فيه (واما اذا كانت) اى الحروف والاصوات (عبارة عن الكلام النفسى فلابد من شرط الحياة لها) اى للاصوات (اذلا يوجد كلام النفس الامن حى) اقول وظاهر الآيات والاحاديث يؤيد القول الاول فامل منها قوله تعالى وان من شئ الايسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم وحديث ان الجبل ينادى الجبل باسمه اى فلا ن هل مربك احد ذكر الله تعالى فاذا قال نعم استبشر الحديث مع انه ليس هناك خرق للعادة فالصحيح من مذهب اهل السنة والصريح من مشرب الصوفية ان الاشياء لها معرفة بوجودها كما يدل عليه قوله سبحانه وتعالى وان منها لما يهبط من خشية الله وان لها السنة مسبحة لخالقها ولا يفهمها جنسها ومن اراد الله ادراكها (خلافا للجبائى) بضم الجيم وتشديد الموحدة بعدها الف ممدودة نسبة الى جبى قرية بالسواد وهو من متقدمى المعتزلة وكان اماما فى علم الكلام واخذه عن يعقوب بن عبد الله الشحام البصرى رئيس المعتزلة بالبصرة فى عصره وعنه اخذ الشيخ ابو الحسن الاشعرى علم الكلام وله معه مناظرات مستحسنة بعدما اقام على الاعتزال معه اربعين سنة ثم رجع حاله وحسن مآله ومال الى مذهب اهل السنة وصار امام الائمة قيل انه مالكى المذهب وقال السبكى اخذ فقه الشافعى عن ابى اسحق المروزى توفى عام ثلاثين وثلاثمائة واما الجبائى فمات سنة ثلاث وثلثمائة (من بين سائر متكلمى الفرق) اى فرق الاسلامية اذلم يوافقه احد منهم (فى احالته) اى عدم امكانه (وجود الكلام اللفظى والحروف والاصوات الامن حى مركب على تركيب من يصح منه النطق بالحروف والاصوات والتزم) اى الجبائى (ذلك) اى ماذكره من التركيب (فى الحصى) اى الذى سبح فى يد المصطفى (والجذع) اى الذى حن واِن (والذراع) اى الذى تكلم وبين (وقال) اى الجبائى (ان الله خلق فيها حياة وخرق) بالراء اى شق وبروى خلق (لها فما ولسانا وآلة) اى مما يتوقف النطق عليها (مكنها) بتشديد الكاف وفى نسخة امكنها اى اقدرها الله تعالى (بها من الكلام وهذا) اى ماادعاه دعوى بلا بينة منه فانه كما قال المصنف (لو كان) اى وجد ماذكره (لكان نقله والتهمم به) اى الاهتمام بنقله (اوكد) لكونه اقرب واعجب فنقله اعم (من التهمم بنقل تسبيحه) اى الحصى فى يديه صلى الله تعالى عليه وسلم (وحنينه) اى الجذع اليه (واخباره) اى الذراع له كذا فى شرح الدلجى ولم يوجد لفظ واخباره فى الاصول المعتمدة (ولم ينقل احد من اهل التفسير) اى شراح الحديث وفى نسخة من اهل السير اى ارباب التواريخ (والرواية) اى من المحدثين (شيئا من ذلك) اى مما ادعاه الجبائى (فدل) اى عدم نقلهم ماادعاه (على سقوط دعواه مع انه لاضرورة اليه فى النظر) اى فى نظر العقل وخبر النقل اذ المقام مقام خرق العادة وهو انما يكون على وفق القدرة والارادة وهو سبحانه وتعالى على كل شئ قدير (والله الموفق) اى لتيسير

كل عسير وفى نسخة والموفق الله لاسواه (وروى وكيع) الظاهر انه ابن الجراح وقد تقدم (رفعه) بالنصب وفى نسخة بصيغة الفعل اى رفع حديثه (عن فهد بن عطية) بالفاء فى اوله و بالدال فى آخره وفى نسخة بالراء وكلا هما لا يعرف على ماذكره الدلجى تبعا للحلبى وفى المواهب عن مهد بالميم والدال ولعله تصحيف وانما روى البيهقى عن سمر بن عطية بكسر السين المهملة وسكون الميم فى آخره راء عن بعض اشياخه (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اتى بصبى) اى بجئ به اليه (فدشب) اى صار شابا (لم يتكلم قط فقال له من انا فقال رسول الله) اى انت رسوله (وروى) بصيغة المجهول وقد رواه البيهقى وابن عساكر (عن معرض) بضم ميم وتشديد راء مكسورة وروى معرض بكسر اوله كأنه آلة (ابن معيقيب) بالتصغير وفى نسخة معيقب بحذف الياء الثانية (رأيت من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عجبا) وفى المواهب اسند الحديث الى معيقب اليمانى قال حججت حجة الوداع فدخلت دارا بمكة فرأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورأيت منه عجبا اى خرق عادة متضمنا لكرامة (بجئ) اى اليه (بصبى يوم ولد فذكر مثله) اى قال له من انا قال رسول الله (وهو حديث مبارك اليمامة) قال ابن دحية هو موضوع ذكره الدلجى ولعله موضوع باسناد غير معروف لما تقدم من ان الحديث هذا رواه البيهقى وابن عساكر فتأمل فانه محل زال (و يعرف) اى حديث المبارك ايضا (بحديث شاصونة) بضم الصاد وسكون الواو فنون فتاء وضبط فى بعض النسخ بتحتية بدل النون وفى اخرى بفتح الصاد والواو وسكون الياء فهاء مكسورة هو ابو عبيد من اهل اليمن (اسم راو يه) اى راوى حديث المبارك قال الحلبى هذا الصبى هو مبارك اليمامة وهو مذكور فى الصحابة قال الذهبى فى تجريده فى الصحابة مبارك اليمامة فى حديث معرض الصحابة (وفيه) اى فى مروى شاصونة (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم صدقت) اى فيما نطقت (بارك الله فيك) اى فى عمرك اوفى امرك (ثم ان الغلام لم يتكلم بعدها) اى بعد هذه الكلمة والشهادة (حتى شب) اى بلغ زمن التكلم وفيه ايماء الى ان المراد بالغلام هنا هو الصبى قبل ان يصير شابا فهذا غير الصبى الذى تقدم والله تعالى اعلم (وكان) وفى نسخة صحيحة وكان (يسمى مبارك اليمامة) اى لكونه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا له بالبركة اضيف الى اليمامة لانه كان من اهلها وفى القاموس ان اليمامة جارية زرقاء كانت تبصر الراكب من مسيرة ثلاثة ايام وبلاد الجو منسوبة اليها سميت باسمها وهى اكثر نخيلا من سائر الحجاز وهى دون المدينة فى وسط الشرق عن مكة هذا وقد جمع الجلال السيوطى رحمه الله جمع من تكلم وهو صغير فى هذه الابيات

(تكلم فى المهد النبى محمد * ويحيى وعيسى والخليل ومريم)

(ومبرى جريج ثم شاهد يوسف * وطفل لدى الاخدود يرويه مسلم)

(و طفل عليه مر بالامة التى * يقال لها تزنى و لا تتكلم)

(وماشطة فى عهد فرعون طفلها * وفى زمن الهادى المبارك يختم)

(وكانت هذه القصة بمكة فى حجة الوداع) بفتح الواو وتكسر وهى سنة عشر من الهجرة (وعن الحسن) اى البصرى (اتى رجل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى واسلم هو وامرأته (فذكر) اى الرجل له (انه طرح بنية) بالتصغير (له فى وادى كذا) يعنى انها هلكت على ظنه بها اوتردد فى حياتها ومماتها (فانطلق) اى فذهب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (معه الى الوادى) اى المعهود (وناداها) اى البنية ابوها اوالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الاظهر (باسمها يافلانة اجيبى) اى دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (باذن الله تعالى) اى بامره وتيسيره (فخرجت) اى من الوادى اوظهرت فيه (وهى تقول لبيك و سعديك فقال لها) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ان ابويك قد اسلما فان احببت ان اردك عليهما) اى بالحياة الاصلية اوالمجددة ورددتك عليهما والا فتركتك على حالك (فقالت) وفى نسخة قالت (لاحاجة لى بهما) وفى نسخة فيهما (وجدت الله خيرا لى منهما) والحديث عن الحسن لم يعلم من رواه كذا ذكره الدلجى ثم سياقه يحتمل ان يكون فى كلام الصغار او فى احياء الموتى لان القضية تحتملهما الا ان المصنف رحمه الله لم يرتب فى هذا المحل اذ كان اللائق به ان يذكر اولا ما يتعلق باحياء الموتى ثم يأتى بكلام الصبيان على طبق العنوان ثم رأيت الحديث فى دلائل البيهقى صريحا فى احيائها حيث ذكر انه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا رجلا الى الاسلام فقال لا اؤمن بك حتى تحيى لى ابنتى فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ارنى قبرها فاراه اياه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم يافلانة فقالت لبيك وسعديك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اتحبين ان ترجعى الى الدنيا فقالت لا والله يارسول الله انى وجدت الله خيرا لى من ابوى ووجدت الآخرة خيرا من الدنيا فكان حق المصنف ان يقدم هذا الحديث بهذا اللفظ فى صدر الباب ليكون مطابقا لعنوان الكتاب

نعم ذكر ما اخرجه ابو نعيم ان جابرا ذبح شاة وطبخها واثرد في جفنة واتى بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاكل القوم وكان عليه الصلاة والسلام يقول لهم كلوا ولا تكسروا عظما ثم انه صلى الله تعالى عليه وسلم جمع العظام ووضع يده عليها ثم تكلم بكلام فاذا الشاة قامت تنفض ذنبها كذا ذكره صاحب المواهب واما ما ذكروا عنه عليه الصلاة والسلام من احيا ابويه وايمانهما به على ما رواه الطبراني وغيره عن عائشة فاتفق الحفاظ على ضعفه كما صرح به السيوطي وقال ابن دحية هو موضوع مخالف للكتاب والسنة وقد بينته في رسالة مستقلة لتحقيق هذه المسئلة ردا على العلامة السيوطي في رسائله الثلاث المؤلفة وبيانا للدلالة المصنفة (وعن انس) كما رواه ابن عدي والبيهقي وابن ابي الدنيا وابو نعيم (ان شابا من الانصار توفي وله ام عجوز) اي مسنة بعد وجودها (عمياء فسجيناه) بتشديد الجيم اي غطيناه (وعزيناها) بتشديد الزاي اي امرناها بالصبر وحملناها على الشكر لوعد الاجر والحذر من الوزر ودعونا لها بان يجبر الله مصيبتها واولدها بالمغفرة (فقالت مات ابني) اي امات (فقلنا نعم فقالت اللهم ان كنت تعلم) اي من يقيني في هجرتي (اني هاجرت اليك والى رسولك رجاء) بالنصب اي من اجل امل (ان تعينني على كل شدة) اي واقعة لي (فلا تحملن علي) بتشديد الياء (هذه المصيبة) اذ ليست لحملها طاقة هذا ولا يبعد ان يكون ان بمعنى اذ لكن الاولى ما قدمته من ان الترديد فيه راجع الى الله سبحانه وتعالى بل الى معلومه من حيث عدم جزمها بكون هجرتها خالصة وقد ابعد الدلجي بقوله فجاهلا منها به (فما برحنا) بكسر الراء اي ما ذهبنا من مكاننا ولا زلنا في موضعنا (حتى كشف الثوب) كذا في اصل الدلجي اي الى ان كشفه وفي الاصول المعتمدة ان كشف الثوب اي فما زلنا كشفه وما فارقناه وفيه (عن وجهه) بعد دعائها الى احيائه (فطعم وطعمنا) بكسر العين اي فعاش مدة بعد ما طعم واكل واكلنا معه وفيه اشارة الى ان الكرامات نوع من المعجزات بل هي ابلغ منها حيث حصل للتابع ما يحصل للمتبوع من خوارق العادات هذا وليس فيه صريح دلالة على احيائه بعد اماتة لاحتمال اغمائه مع وجود سكته لكن ذلك انما يدعا الاثم (وروي) اي على ما نقله البيهقي (عن عبد الله بن عبيد الله الانصاري كنت فيمن دفن ثابت بن قيس ابن شماس) بتشديد الميم قال الحلبي ثابت هذا انصاري خطيب الانصار وقد شهد له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالجنة وذلك انه لما نزل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الآية احتبس ثابت عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان في اذنيه صمم فكان يرفع صوته وقال لقد علمتم اني من ارفعكم صوتا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانا من اهل النار فذكر ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال بل هو من اهل الجنة روى عنه بنوه وانس (وكان) اي ثابت (قتل باليمامة) وكانت وقعة اليمامة سنة اثنتي عشرة في خلافة الصديق (فسمعناه حين ادخلناه القبر يقول محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان) وفي نسخة وعثمان (البر) بفتح الموحدة (الرحيم) اي البار لقومه عامة والرحيم رحمة خاصة (فنظرنا) اي متحيرين مما فيه من حياة وموت (فاذا هو ميت) فهذا الحديث دليل كلام الموتى لا احيائهم كما لا يخفى (وذكر عن النعمان بن بشير) كما رواه الطبراني وابو نعيم وابن منده عنه وابن ابي الدنيا في كتاب من عاش بعد الموت عن انس (ان زيد بن خارجة) بالخاء المعجمة ثم الجيم (خر ميتا) اي سقط من قيام او قعود حال كونه ميتا ويجوز ان يكون التقدير وقد صار ميتا فمات به في عقبه ويؤيده ما في رواية ابن ابي الدنيا على ما نقله عنه التلمساني فبينا هو يمشي في طريق من طرق المدينة بين الظهر والعصر اذ خر فتوفي (في بعض ازقة المدينة) بكسر الزاي وتشديد القاف جمع زقاق اي بعض طرقها المسلوكة في داخلها (فرفع) اي جسده (وسجي) اي غطي وجهه (اذ سمعوه بين العشائين والنساء يصرخن) بضم الراء اي يبكين بصياحهن (حوله) اي ومعهن رجال من اهله (يقول انصتوا انصتوا) بفتح الهمزة وكسر الصاد فيهما اي اسكتوا واستمعوا والتكرير للتاكيد فنظروا فاذا الصوت من تحت الثياب (فحسر) بصيغة الفاعل اي كشف غطاءه (عن وجهه) وفي نسخة بصيغة المفعول ويؤيده انه في رواية فحسروا عن وجهه (فقال) اي القائل على لسانه كما في رواية (محمد رسول الله) صلى الله تعالى عليه وسلم (النبي الامي وخاتم النبيين) اي آخرهم (كان ذلك) اي كونه رسولا نبيا وخاتما كائنا (في الكتاب الاول) اي اللوح المحفوظ الذي كل ما فيه لا يبدل (ثم قال) اي زيد (صدق صدق) اي رسول الحق والتكرير للتاكيد او صدق فيما اخبره عن الابتداء كما انه صدق فيما انبابه عن الانتهاء (وذكر ابا بكر وعمر وعثمان) اي خيرا وبانهم صدقوا فيما عاهدوا الله عليه او بانهم ممن قال تعالى فيهم والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين وذلك لما كشف له من احوال الآخرة هذا وقد تصحف على الدلجي حيث قال صدق صدق امر مخاطب (ثم قال) اي زيد (السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته) وهو سلام وداع اما غيبة واما مشاهدة ويؤيده انه في رواية قال هذا رسول الله الخ ذكره التلمساني وروى زكريا وابن ابي الدنيا ...

انه تصحيف (ثم عاد ميتا كما كان) اى عود البدء واعلم ان صاحب الاستيعاب ذكر فى زيد بن خارجة بن زيد انه هو الذى تكلم بعد الموت لا يختلفون فى ذلك قال الذهبى وهو الصحيح وقيل هو ابوه وذلك وهم لانه قتل يوم احد قال ابن عبد البر توفى فى زمن عثمان فسجى بثوب ثم انهم سمعوا جلجلة فى صدره ثم تكلم فقال احمد احمد فى الكتاب الاول صدق صدق ابو بكر الصديق الضعيف فى نفسه القوى فى امر الله فى الكتاب الاول صدق صدق عمر بن الخطاب القوى الامين فى الكتاب الاول صدق صدق عثمان بن عفان على منها جه مضت اربع وبقى سنتان اتت الفتن واكل الشديد الضعيف وقامت الساعة وسيأتيكم خبر بئر اريس وما بئر اريس هذا وعن سعيد بن المسيب ان رجلا من الانصار توفى فلما كفن واتاه القوم يحملونه تكلم فقال محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اخرجه ابو بكر بن الضحاك والله سبحانه وتعالى اعلم

(فصل)

(فى ابراء المرضى وذوى العاهات) اى الآفات (قال) اى المصنف (اخبرنا ابو الحسن على بن مشرف) بضم الميم وفتح الشين المعجمة وتشديد الراء المفتوحة (فيما اجازنيه وقراته على غيره قال) اى ابو الحسن اوكل منه ومن غيره حد (ثنا ابو اسحق الحبال) بتشديد الموحدة (ثنا ابو محمد النحاس) بتشديد الحاء المهملة (ثنا ابن الورد) وهو راوى سيرة ابن هشام (عن البرقى) بفتح الموحدة وسكون الراء وهو ابو سعيد عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد الرحيم ابن ابى زرعة البغدادى الزهرى مولاهم (عن ابن هشام) هو الامام الاديب العلامة ابو محمد عبد الملك بن هشام بن ايوب صاحب السيرة قال السهيلى مشهور بكمال العلم متقدم فى علم النسب والنحو والادب واصله من البصرة قدم مصر وحدث بالمغازى وتوفى بمصر سنة ثلاث عشرة ومائتين (عن زياد البكائى) بفتح الموحدة وتشديد الكاف نسبة الى جده اشتهر بالبكاء وقيل سمى به لانه دخل على امه وهى تحت ابيه فبكى و صاح وقال انه يقتل امى روى عنه احمد وقال ابن معين لا بأس به فى المغازى خاصة (عن محمد بن اسحق) وهو الامام فى المغازى (ثنا ابن شهاب) وفى نسخة ابن هشام والاول هو الصواب والمراد به الزهرى وهو احد مشايخ ابن اسحق المذكور (وعاصم بن عمر بن قتادة) اى ابن النعمان الظفرى يروى عن ابيه وجابر وعنه جماعة صدوق وكان علامة فى المغازى مات سنة عشرين ومائة اخرج له اصحاب الكتب الستة (وجماعة) اى آخرون (ذكرهم) اى ابن اسحق (بقضية احد) اى فى غزوته (بطولها) اى بجميع ما يتعلق بها ومنها هذه القصة بخصوصها وقد رواها البيهقى ايضا (قال) اى ابن اسحق (قالوا) اى مشايخنا المذكورون (قال سعد ابن ابى وقاص) اى فى غزوة احد وهو احد العشرة المبشرة (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لينا ولنى السهم لا نصل له) بالصاد المهملة حديدة السهم والرمح وفى نسخة بالضاد المعجمة وهو تصحيف وتحريف (فيقول ارم به) اى فارمى به فيقتل من اصابه وهذا من خرق العادة ولعل هذا كان بعد فراغ السهام التى لها نصل (وقد رمى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى على ما رواه ابن اسحق والبيهقى عن عاصم ابن عمر بن قتادة مرسلا (يومئذ) اى يوم احد (عن قوسه) وهى المسماة بالكتوم لانخفاض صوتها اذا رمى عنها (حتى اندقت) بتشديد القاف اى انكسرت وفى نسخة حتى اندقت سيتها كذا فى السير (واصيب) وروى واصيبت (يومئذ عين قتادة يعنى ابن النعمان) بضم النون وهو تفسير من الراوى (حتى وقعت على وجنته) بتثليث الواو والفتح افصح اى سالت على اعلى خده فاتى به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يارسول الله ان لى امرأة احبها واخشى ان رأتنى تقذرنى فاخذها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيده وردها الى موضعها وقال اللهم اكسه جمالا وفى رواية انه اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له ماهذا ياقتادة فقال هذا ماترى يا رسول الله فقال ان شئت صبرت ولك الجنة وان شئت رددتها ودعوت الله لك فلم تفقد منها شيأ فقال يارسول الله ان الجنة اجر جزيل وعطاء جليل جميل ولكنى اكره ان اعير بالعور فردها الى واسأل الله لى الجنة ففعل فاعادها الى موضعها ودعا له بالجنة وهذا معنى قوله (فردها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه ابن اسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسلا ووصله ابن عدى والبيهقى عن عاصم عن جده قتادة ورواه البيهقى من وجه آخر عن ابى سعيد الخدرى عن قتادة (فكانت) اى عينه المردودة (احسن عينيه) لانها المقبولة وكانت ايضا احدهما نظرا ولا ترمد اذا رمدت الاخرى ولهذا ظهر ضعف قول التلمسانى يجوز ان يكون اكتفى بذكر احدى العينين عن الاخرى اذ روى انهما اصيبتا معا فردهما النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فبرئتا انتهى ويمكن الجمع بتفرق القضيتين هذا وقد وفد على عمر بن عبد العزيز رجل من ذريته فسأله عمر من انت فقال

(ابونا الذى سالت على الخد عينه * فردت بكف المصطفى ايما رد)

(فعادت كما كانت لاول امرها * فيا حسن ما عين ويا حسن ما رد)

فوصله عمر واحسن جائزته وقال

(تلك المكارم لا قعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد ابوالا)

واخرج البغوي وابو نعيم عن قتادة قال كنت يوم احد اتقي السهام بوجهي دون وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكان آخرها سهما ندرت منه حدقتي فاخذتها بيدي وسعيت الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما رآها في كفي دمعت عيناه فقال اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك بوجهه واجعلها احسن عينيه واحدهما نظرا (وروى قصة قتادة عاصم بن عمر بن قتادة) اى كما تقدم قبل وهو الذى قدم على عمر بن عبد العزيز كما سبق (ويزيد ابن عياض بن عمر بن قتادة) كذا في النسخ ولم يعرف في رواة الحديث بل ولا في جملة الناس احد يقال له يزيد بن عياض ابن عمر بن قتادة وقال الحلبي الصواب يزيد بن عياض عن ابن عمر بن قتادة فيكون سقط عن ذلك لان عاصم بن عمر شيخ يزيد هذا ويزيد بن عياض ليثي حجازي حدث عن نافع وابن شهاب والمقبري وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة وعنه علي بن الجعد وشبابة وعدة قال البخاري وغيره منكر الحديث وقد رماه مالك بالكذب وقد اخرج له الترمذي وابن ماجة ولا يحتمل ان يكون يزيد بن عياض يروى عن عمر بن قتادة لان عمر بن قتادة لم يرو عنه الا ولده عاصم ولا يعرف الا بروايته عنه وجده ذكره ابن حبان في الثقات (ورواها) اى قصة قتادة (ابو سعيد الخدري عن قتادة) وهي رواية الاكابر عن الاصاغر (وبصق) اى بزق (على اثر سهم في وجه ابي قتادة) كما رواه البيهقي من حديث ابي قتادة وهو الحارث بن ربعي وقيل غير ذلك (في يوم ذي قرد) بفتح القاف والراء وبدال مهملة وحكى السهيلي عن ابي علي الضم فيهما وهو منصرف ماء على ليلتين وقيل ليلة من المدينة بينها وبين خيبر ويقال لها غزوة الغابة كانت قبل خيبر بثلاثة ايام ذكره البخاري قال ابن سعد كانت في ربيع الاول سنة ست وفي البخاري بعد حنين بثلاثة ايام وقبل الحديبية وفي مسلم نحوه وقال ابن القيم في الهدي وهذه الغزوة كانت بعد الحديبية وقد وهم فيها جماعة من اهل المغازي والسير فذكروا انها قبل الحديبية ثم استدل على صحة ما قاله بما اورده مسلم (قال) اى ابو قتادة (فما ضرب علي) اى سرى (ولا قاح) من القيح وهي المدة لا يخالطها دم يقال منه قاح الجرح يقيح اذا حصل فيه مادة بيضاء (وروى النسائي) بلد بمصر وقيل باسناده في سننه وهو الذي تاخر بعد الثلاثمائة من اصحاب الكتب الستة سمع قتيبة وطبقته واصحاب مالك انتهى اليه علم الحديث وروى عنه الكناني وابن السني (عن عثمان بن حنيف) بضم مهملة وفتح نون وعثمان هذا هو اخو عبادة وسهل وله صحبة ورواية شهد احدا وما بعدها وهو واحد من تولى مسح سواد العراق لعمر وولي البصرة لعلي (ان اعمى قال يا رسول الله ادع الله ان يكشف لي عن بصري) اى يزيل عنه ما حجبه (قال انطلق) وفي نسخة صحيحة فانطلق اى فاذهب (فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم اني اسألك واتوجه اليك) اى ماشيا ومتوسلا (بنبيي) وفي رواية بنبيك (محمد نبي الرحمة يا محمد) فيه التفات (اني اتوجه بك الى ربك ان يكشف لي عن بصري اللهم شفعه في) بتشديد الفاء والياء اى اقبل شفاعته في حقي (قال) اى عثمان الراوي (فرجع) اى الاعمى (وقد كشف الله عن بصره) والظاهر ان قوله يا محمد من جملة الدعاء المأمور به فلا يكون التصريح باسمه من باب سوء الادب في ندائه فلا يحتاج الى تكلف الحلبي بقوله ولعله كان قبل علمه بتحريمه او قبل تحريمه بقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا هذا وقد رواه الترمذي ايضا وقال حسن صحيح غريب والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجة في الصلاة والحاكم والبيهقي وصححاه (وروى) اى كما رواه ابو نعيم والواقدي عن عروة (ان ابن ملاعب الاسنة) بضم الميم وكسر العين والاسنة بتشديد النون جمع سنان وهو الرمح ويقال له ملاعب الرماح ايضا وتعبيره بالملاعب ابلغ من اللاعب سمي به لتقدمه وشجاعته فكأنه يلاعبها قال الحلبي لا اعرف ابنه واما هو فعامر بن مالك عم عامر بن الطفيل وقد ذكره بعضهم في الصحابة لكن قال الذهبي في تجريده والصحيح انه لم يسلم وقد قدم المدينة فعرض عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الاسلام فلم يسلم ولم يبعد عن الاسلام في قصة بئر معونة (اصابه استسقاء) اى المرض المعروف بكثرة شرب الماء وسببه اجتماع ماء اصفر في البطن (فبعث الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اى واحدا يستشفيه (فاخذ) اى النبي عليه الصلاة والسلام (بيده حثوة من الارض) بفتح الحاء المهملة وسكون المثلثة لغة في حثية بالياء من حثا التراب عليه يحثوه ويحثيه والمعنى اخذ قبضة منها (فتفل عليها) اى بصق قال ابو عبيد النفث بالفم شبيه بالنفخ واما التفل فلا يكون الا ومعه شيء من الريق (واعطاها رسوله) اى الذي جاء من عنده (فاخذها متعجبا يرى) بضم الياء او فتحها اى يظن او يعتقد (ان قد هزئ به) بضم هاء وفتح وكسر زاي فهمز وان مخففة من المثقلة اكتفاء بمرفوعها واسمها ضمير الشان وضميره راجع الى ابن الملاعب وذلك

للشباع في هذا الباب ان ذلك تراب (فاتاه بها) اى الحثوة (وهو على شفا) بفتح الشين المعجمة مقصورا منونا وهو حرف كل شئ ومنه قوله تعالى وكنتم على شفا حفرة من النار اى حرفها وطرفها و يقال اشفى المريض على الموت ومابقى الاشفا اى قليل واشفى عليه اشرف اى والحال انه مشرف على الموت (فشربها) اى بانضمامها الى ماعنده من الماء فكانه عرف بالايماء اليه انه نافع للاستسقاء (فشفاه الله تعالى) اى عافاه مما ابتلاه (وذكر العقيلي) بضم المهملة وفتح القاف صاحب كتاب الضعفاء قال ابن القطان ابو صفر العقيلي مكى ثقة جليل القدر عالم بالحديث مقدم في الحفظ توفي سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة (عن حبيب بن فديك) مصغر فدك بالدال المهملة (ويقال فريك) اى بالراء وبالاول رواه البيهقي والطبراني ورواه ابن ابى شيبة بالثاني واما حبيب فبفتح الحاء المهملة وروى بضم المعجمة مصغرا (ان اباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيئا) وروى انه عليه الصلاة والسلام سأله عما اصابه قال كنت اقود جملا لى فوقعت رجلي على بيض حية فعميت (فنفث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى نفخ (في عينيه فابصر) اى بهما (فرأيته) اى ابى بعد ذلك (يدخل الخيط في الابرة وهو ابن ثمانين) اى سنة كما في رواية وفي رواية وان عينيه لمبيضتان في المواهب رواها ابن ابى شيبة والبغوى والبيهقي والطبراني وابونعيم (ورمى كلثوم بن الحصين يوم احد في نحره) اى صدره (فبصق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه فبرأ) بفتح الراء ويكسر وقيل برأ من المرض بفتح الراء وبرئ من الدين بكسرها قال الدلجي لا ادرى من رواه انتهى قال الحلبي كلثوم بن الحصين ابوذر الغفارى شهد احدا وبايع تحت الشجرة واستخلفه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على المدينة في عمرة القضاء وعام الفتح واصيب بسهم في نحره فسمى المنحور وجاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فبصق عليه فبرأ روى الزهرى عن ابن اخيه عنه وقد اخرج له احمد في المسند والبخارى في كتاب الادب المفرد وليس له في الكتب الستة شئ (وتفل) اى بصق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (على شجة عبد الله بن انيس) بالتصغير والشجة الضربة في الوجه والرأس فقط وقد يسمى بذلك مايكون في سائر الجسد مجازا (فلم تمد) بضم التاء وكسر الميم وتشديد الدال من امد الجرح صارت فيه مدة اى قيح والمعنى لم تحصل مادة من القيح في ذلك الجرح والحديث رواه الطبراني وذلك ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعث عبد الله بن رواحة في نفر من اصحابه منهم عبد الله بن انيس الى اليسير بن رزام وكان بخيبر يجمع غطفان لغزو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما قدموا عليه كلموه وقربوا له وقالوا ان قدمت على رسول الله استعملك واكرمك فلم يزالوا به حتى خرج معهم فحمله عبد الله بن انيس على بعيره حتى اذا كانوا بالقرقرة على تسعة اميال من خيبر ندم اليسير بن رزام على مسيره الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ففطن له عبد الله بن انيس وهو يدير السيف فاقتحم به ثم ضربه بالسيف فقطع رجله وضربه اليسير بمخرش في يده من شوحط فآمه فلما قدم عبد الله بن انيس على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تفل على شجته فلم تقح ولم تؤذه (وتفل في عيني على يوم خيبر وكان) اى على (رمدا) بفتح الراء وكسر الميم اى ذا رمد بفتحتين وهو وجع العين وفي الحديث لا هم الاهم الدين ولا وجع الاوجع العين (فاصبح بارئا) بكسر الراء بعدها همزة اى فصار معافى والحديث رواه الشيخان عن سهل بن سعد الساعدى ففى البخارى في غزوة خيبر انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اين على بن ابى طالب فقالوا يارسول الله يشتكى عينيه قال فارسلوا اليه فاتى به فبصق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في عينيه فدعا له فبرأ حتى كان لم يكن به وجع وفي رواية مسلم من طريق اياس بن سلمة عن ابيه قال فارسلني النبي صلى الله تعالى عليه الى على فجئت به اقوده ارمد فبصق في عينيه فبرأ وعند الطبراني من حديث على قال فمارمدت ولا صدعت منذ دفع الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الراية يوم خيبر وعند الحاكم من حديث على فوضع صلى الله تعالى عليه وسلم رأسى في حجره ثم بصق في راحته فدلك بها عينى وعند الطبراني فمااشتكيتهما حتى الساعة قال ودعا له صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اللهم اذهب عنه الحر والقر قال فمااشتكيتهما حتى يومى هذا (ونفث) اى ثلاث نفثات (على ضربة بساق سلمة بن الاكوع يوم خيبر فبرأت) بفتح الراء وفي نسخة فبرئت بكسر الراء وهى لغة اهل الحجاز وفي رواية فما اشتكاها قط رواه البخارى (وفي رجل زيد بن معاذ) اى ونفث فيها (حين اصابه السيف الى الكعب) اى الى كعب رجله (حين قتل ابن الاشرف) وهو كعب بن الاشرف اليهودى وقصته مشهورة (فبرئت) اى رجله رواه عبد بن حميد في تفسيره عن عكرمة ورواه ابن اسحق والواقدى ايضا لكن قالا بدل زيد بن معاذ الحارث بن اوس ورواه البيهقي من حديث جابر وذكر بدلهما عباد بن بشر وهو ممن حضر قتل كعب واما زيد بن معاذ فقال الحلبي لا اعرف انه ذكر في هذه الواقعة بل ولا في الصحابة احد يقال له زيد بن معاذ الا ان يكون احد نسب الى جده اوجدله اعلى بل الذى جرح في رأسه اورجله على الشك من الراوى في قتل كعب ابن الاشرف انما هو الحارث بن اوس بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بدرى قتل يوم احد وله ثمان وعشرون سنة

وقيل الذي حضر كما هو الحارث بن اوس بن النعمان الحارثي وقد حكى الذهبي القولين ثم قال وقيل هما واحد نسب الى جده الاعلى لكن افترقا بالنسب كما ترى انتهى وقد سمى في رواية البخاري الذين قتلوا كعبا فذكر منهم الحارث ابن مسلم وكذا ابن اسحاق في الجهاد فعليه الاعتماد هذا وقد قال بعضهم ان زيد بن معاذ هو ابن اخي سعد بن معاذ وانه نقله غير الدمياطي كذا قال ولعلهما اطلقا على المراد (وعلى ساق على بن الحكم) بفتحتين صحابي وهو اخو معاوية بن الحكم السلمي (يوم الخندق اذ انكسرت) اي تفث حين انكسرت ساقه (فبرأ) وفي نسخة فبرئ (مكانه) اي ولم يمتد زمانه وما نزل عن فرسه) اي والحال انه لم يقدر على نزوله عن فرسه انتهاء بسبب شفقه رواه ابو القاسم البغوي في معجمه واشتكى على بن ابي طالب) اي مرض او اشتكى وجعا (فجعل) اي شرع على او قصد (يدعو) اي يطلب الله تعالى ان يعافيه (فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم اشفه) روي بالضمير وهاء السكت وكذا قوله (او عافه) والشك من الراوي (ثم ضربه برجله) اي لصيبه بركة فعله بعد اثر قوله انه اشتكى ذلك الوجع بعد) بضم الدال اي ما اشتكاه بعد دعائه واصابة رجله لبعض اجزائه رواه البيهقي (وقطع ابو جهل يوم بدر يد ابن معوذ) بتشديد الواو المكسورة وتمم (ابن عفراء) بمهملة ففاء فراء ممدودة قال الحلبي والمعروف ان ابن ابي جهل عكرمة قطع ذلك بمعاذ بن عمرو بن الجموح حين ضرب اباه وكذا ذكره ابو الفتح اليعمري ابن سيد الناس عن القاضي عياض ثم قال معوذ صحابي معروف قتل يوم بدر وهو من جملة اربعة عشر قتيلا من المسلمين في وقعة بدر رضي الله تعالى عنهم اقول ولا منع من الجمع فتأمل (فجاء) اي معوذ او معاذ (يحمل يده فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم) اي عليها (والصقها فلصقت) بكسر الصاد (رواه ابن وهب ومن روايته ايضا) وكذا رواه البيهقي عن ابن اسحق (ان خبيب ابن يساف) بفتح الياء وفي نسخة اساف بكسر الهمزة وبفتح واما خبيب فهو بخاء معجمة وموحدتين بصيغة التصغير في النسخ وهو موافق لما في القاموس ومطابق لما ذكره الحلبي وضبطه الدلجي بمهملة وبائين بينهما مثلثة والظاهر من كلامه انه بفتح اوله وكسر ثانيه (اصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اي حال كونه معه اي بقربه (بضربة على عاتقه) اي ما بين منكبه وعنقه (حتى مال شقه) بكسر الشين وتشديد القاف اي احد شقيه بانفصاله عنه بحد سيفه (فرده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اي بامالته الى محله (ونفث عليه حتى صح) اي التأم قال الحلبي وخبيب هذا خزرجي شهد بدرا واحدا وما بعدهما وكان نازلا بالمدينة فأخر اسلامه حتى سار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى بدر فلحقه في الطريق فاسلم وشهد بدرا فضربه رجل على عاتقه يومئذ فال شقه فتفل عليه ولامه ورده فانطلق فقتل الذي ضربه وتزوج ابنته بعد ذلك وكانت تقول لا عدمت رجلا وشحك هذا الوشاح فيقول لا عدمت رجلا عجل اباك الى النار وتوفي في خلافة عثمان (واتته امرأة من خثعم) قبيلة معروفة (معها صبي به بلاء) اي عارض (لا يتكلم) اي بسببه (فاتي بماء فمضمض فاه) اي فمه (وغسل يديه) الطاهر الى رسغيه (ثم اعطاها اياه) اي الماء (وامرها بسقيه) اي تشرب الصبي منه (ومسه به) اي مسحه به ووقع في اصل الدلجي وامرها ان تسقيه ومس به اي مس صلى الله تعالى عليه وسلم الصبي بالماء (فبرأ الغلام وعقل عقلا يفضل) بضم الصاد المعجمة وفتح اي يزيد ويعلو (عقول الناس) رواه ابن ابي شيبة عن ام جندب مرفوعا (وعن ابن عباس جاءت امرأة بابن لها به جنون فمسح) اي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (صدره فثع ثعة) بمثلثة ومهملة مشددة فيهما اي قاء مرة (فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود) بتثليث الجيم ولد الكلب والسبع (فشفي) بصيغة المجهول اي برئ من جنونه وفي نسخة فسعى بفتح السين والعين المهملتين اي مشى واشتد عدوا والظاهر انه تصحيف ثم فاعل سعى الجرو وهو الاقرب او المثلي وهو الابن والحديث رواه احمد والبيهقي وابن ابي شيبة في مسند احمد ثنا حماد ثنا يزيد حدثنا حماد بن سلمة عن فرقد السبخي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان امرأة جاءت بولدها الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان به لمما وانه يأخذه عند طعامنا فيفسد علينا طعامنا قال فمسح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صدره ودعا له فثع ثعة فخرج من فيه مثل الجرو الاسود فشفي وقد ذكره احمد ايضا من طريق اخرى فقال حدثنا ابو سلمة حدثنا حماد بن سلمة عن فرقد فذكر نحوه الا انه قال فثع اي سعل انتهى والظاهر ان قوله سعل بيان لسبب قيئه اي فسعل فقاء (وانكفأت القدر) بهمزة مفتوحة بعد الفاء اي انقلبت البرمة وسقطت (على ذراع محمد بن حاطب) بحاء مهملة وطاء مكسورة فموحدة وفي نسخة بحاتم وهو غير صحيح والمراد به ابن الحارث بن معمر القرشي من بني جمح ولد بالحبشة قيل هو اول من سمي في الاسلام محمدا له صحبة (وهو طفل) جملة حالية (فمسح عليه ودعا له وتفل فيه فبرأ لحينه) اي على فوره رواه النسائي والطيالسي والبيهقي (وكانت في كف شرحبيل) بضم اوله ويقال له شراحيل (الجعفي) بضم الجيم (سلعة) بكسر السين وفتح وسكون اللام وهي زيادات تحدث في الجسد بين الجلد

والنعم كالغدة تكون من قدر حمصة الى قدر بطيخة اذا غمزت باليد تحركت (تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة) بكسر العين اى لجامها اوزمامها (فشكاها للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فما زال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يطحنها) بفتح الحاء اى يعالجها ويخصصها بكفه (حتى رفعها) اى ازالها من كفه (ولم يبق لها اثر) اى فى محلها رواه الطبرانى والبيهقى (وسألته جارية) اى بنت اومملوكة (طعاما وهو يأكل) جملة حالية (فناولها من بين يديه) اى بعض مالديه (وكانت) اى قبل ذلك (قليلة الحياء) لعلها لخالل كان بعقلها (فقالت انما اريد من الذى فى فيك) اى فى فمك (فناولها مافى فيه ولم يكن) اى من عادته (يسئل شيئا فيمنعه) بالنصب على جواب النفى (فلما استقر) اى مأكولها الذى ناولها (فى جوفها التى عليها من الحياء ما) اى شئ عظيم منه حتى بسببه (لم تكن امرأة فى المدينة) اى فضلا عن غيرها (اشد حياء منها) اى ببركته ويمن همته

(فصل)

(فى اجابة دعائه عليه الصلاة والسلام) اى لقوم وعلى بعض (وهذا باب واسع) اى متسع ذيله وما يتعلق به (جدا) بكسر الجيم وتشديد الدال منصوب على المصدر اى وسعا كثيرا (واجابة دعوة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لجماعة بما دعالهم) اى بالخير تارة (وعليهم) اى بالشر تارة وهذا مفهوم كلام المصنف بحسب الظاهر ولكن الاظهر ان المراد به انه دعا لبعض منهم بالمنفعة ولآخرين منهم بالمضرة ولذا قال التلمسانى فكانه اوصله نفعا وصب عليه شرا وهذا امر متواتر فى الجملة) وفى نسخة على الجملة اى لا على التفصيل (معلوم ضرورة) اى عند اهل السيرة (وقد جاء فى حديث حذيفة) اى من رواية احمد بن محمد بن حنبل فى مسنده (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دعا لرجل ادركت الدعوات) اى اثرها (ولده وولد ولده) وفيه تنبيه على صحة معنى ما يقال الولد سرابيه ويؤيده قوله تعالى وكان ابوهما صالحا قيل كان بينهما سبعة آباء (قال) اى المصنف (حدثنا ابو محمد العتابى) بتشديد الفوقية بقراءتى عليه ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد) بكسر التاء (ثنا ابو الحسن) وفى نسخة بالتصغير والاول هو الصحيح (القابسى) بكسر الموحدة (ثنا ابوزيد المروزى حدثنا محمد بن يوسف) اى الفربرى (حدثنا محمد بن اسمعيل) اى البخارى صاحب الجامع وقد اخرجه مسلم ايضا (ثنا عبدالله بن ابى الاسود) اى البصرى من رواية مالك (ثنا حرمى) بفتح الحاء والراء وهو ثابت بن روح وكنيته ابو عمارة ابن ابى حفصة (ثنا شعبة عن قتادة عن انس بن مالك قال قالت امى وهى ام سليم بنت ملحان (يارسول الله خادمك انس ادع الله قال اللهم اكثر ماله) اى حلالا (وولده) اى صالحا وبارك له فيما آتيته) اى اعطيته من المال والولد فاوتى مالا كثيرا واولادا مات له فى الطاعون الجارف سبعون ولدا من صلبه غير اولاد اولاده (ومن رواية عكرمة) اى على ما انفرد بها مسلم وهو ابن عمار الحنفى اليمامى وكان مجاب الدعوة (قال انس فوالله ان مالى لكثير وان ولدى وولد ولدى ليعادون) بضم الياء وتشديد الدال اى يعد بعضهم بعضا وليزيدون (اليوم على نحو المائة) قال التلمسانى وفى رواية الصحيحين والمصابيح ليتعادون بزيادة التاء (وفى رواية) وهى غير معروفة (وما اعلم احدا اصاب اليوم من رخاء العيش) اى سعة المعيشة وكثرة النعمة (ما اصبت) اى ببركة دعوة صاحب النبوة وبركة الملازمة والخدمة هذا واستدل بعضهم بدعائه عليه السلام لانس على تفضيل الغنى على الفقر واجيب بانه مختص بدعاء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وانه قد بارك فيه ومتى بورك فيه لم يكن فيه فتنة فلم يحصل بسببه مضرة (ولقد دفنت بيدى) بتشديد الياء (هاتين مائة من ولدى لا اقول سقطا) بكسر السين ويجوز ضمها وفتحها وهو الجنين الذى يسقط قبل تمامه (ولا ولد ولد) اى لا احسبها فى العدد قال الحلبى واعلم ان فى البخارى فى الصوم من رواية حميد عن انس قال حدثنى ابنتى امينة انه دفن لصلبى مقدم الحجاج البصرة عشرون ومائة قيل وكان مقدمه سنة خمس وسبعين وقد ولد لانس بعد ذلك اولاد كثيرة وتوفى سنة ثلاث وتسعين ونقل عن ابن قتيبة انه وقع على الارض من صلب المهلب ابن ابى صفرة البصرى ثلاثمائة ولد (ومثله) وفى نسخة صحيحة ومنه اى ومن دعائه المجاب (دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف بالبركة) على ما رواه البيهقى (قال) اى عبد الرحمن كما فى نسخة صحيحة (فلو رفعت حجرا لرجوت ان اصيب تحته ذهبا وفتح الله عليه) اى فتوحات كثيرة واموالا عزيزة (ومات فحفر الذهب) بصيغة المجهول اى استخرج مما كان مدفونا (من تركته) بفتح فكسر اى متروكاته بعد خيراته ومبراته (بالفؤس) بضم الفاء والهمزة وسكون الواو جمع فاس بالهمزة ويبدل كراس ورؤس وكاس وكؤس (حتى مجلت) بفتح الجيم ويكسر اى تنفطت من كثرة العمل (فيه الايدى واخذت كل زوجة) اى من زوجاته (ثمانين الفا وكن اربعا) فجملته ثلثمائة وعشرون الفا (وقيل مائة الف) بالنصب اى اخذت كل واحدة منهن مائة الف فجملته اربعمائة الف (وقيل بل صولحت احداهن لانه طلقها فى مرضه) اى الذى مات فيه (على نيف) بتشديد التحتية المكسورة وتسكينها اى زيادة

بمعنى كسر (وبمائتين الفا واوصى بخمسين الفا) اي الف دينار في سبيل الله كما صرح به عروة بن الزبير وكذا اوصى بالف
فرس في سبيل الله كما ذكره البخاري وغيره (بعد صدقاته الفاشية) اى الكثيرة الشائعة (في حياته ومعروفه العظيمة)
اي معروفاته الجزيلة قبل مماته (اعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق مرة بعير) بكسر العين اي بقافلة (فيها سبعمائة
بعير وردت عليه) اي جاءت من سفر تجارة (تحمل من كل شئ) اي من اجناس الاموال وانواعها (فتصدق بها) اى
بالابعرة السبعمائة (وما عليها) اى من انواع البضائع المختلفة (وباقتابها) جمع قتب بالتحريك وهو للبعير كالاكاف
لغيره (واحلاسها) جمع حلس بالكسر وهو كساء على ظهر البعير تحت القتب وفي ذكرهما مبالغة في الاستيفاء وتأكيد
للاستقصاء هذا وقد قال الحلبي الذي استحضره من صدقات عبد الرحمن بن عوف انه تصدق بشطر ماله اربعة
آلاف ثم باربعين الفا ثم باربعين الف دينار ثم تصدق بخمسمائة فرس في سبيل الله ثم بخمسمائة راحلة وفي الترمذي
انه اوصى لامهات المؤمنين بحديقة بيعت باربعمائة الف قال الترمذي حديث حسن وقال الزهري اوصى لمن بقي
من اهل بدر لكل رجل باربعمائة دينار وكانوا مائة فاخذوها واخذ عثمان فيمن اخذ واوصى بالف فرس في سبيل الله
انتهى وروي انه رضي الله تعالى عنه لما حث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الصدقة جاء باربعة آلاف درهم
وقال يا رسول الله كان لي ثمانية آلاف درهم فاقرضت ربي اربعة وامسكت لعيالي اربعة فقال صلى الله تعالى
عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله في ماله (ودعا لمعاوية) اي ابن ابي سفيان (بالتمكين
في البلاد فنال الخلافة) اي اصابها في الجملة او على وفق ما اراد اذ الصحيح انه لا يسمى خليفة على الاطلاق بعد نزول
الحسن والانعقاد للخلافة تمت بخلافة الحسن بعد ابيه بستة اشهر لقوله عليه الصلاة والسلام الخلافة بعدي في امتي
ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك رواه احمد والترمذي بسند صحيح وكذا ابن حبان عن سفينة ثم رأيت انه قيل صوابه
الامارة وقد روى ابن سعد دعاءه عليه الصلاة والسلام اللهم علمه الكتاب ومكنه في البلاد وقه العذاب وروي انه
عليه الصلاة والسلام قال لن يغلب معاوية وقد بلغ عليا هذه الرواية فقال لو علمت لما حاربته (ولسعد ابن ابي وقاص)
اي دعا له (ان يجيب الله دعوته فدعا) اي سعد (على احد الا استجيب له) رواه الترمذي موصولا ورواه البيهقي عن
قيس بن ابي حازم مرسلا بلفظ اللهم استجب له اذا دعاك وحسنه وقد استجيب له دعوات مروية في الصحيح وغيره
منها ان رجلا نال من علي كرم الله وجهه بحضرته فقال اللهم ان كان كاذبا فارني فيه آية فجاء جمل فتخبطه حتى قتله ومنها
ما رواه البخاري انه دعا على ابي سعدة اللهم اطل عمره واطل فقره وعرضه للفتن قال الراوي فلقد رأيته شيخا كبيرا
سقط حاجباه على عينيه يتعرض للجواري يغمزهن فيقال له فيقول شيخ مفتون اصابته دعوة سعد (ودعا) اي النبي
صلى الله عليه وسلم (بعز الاسلام بعمر او بابي جهل فاستجيب له في عمر) رواه الامام احمد والترمذي في جامعه وغيرهما
عن ابن عمر مرفوعا ولفظه اللهم ايد الاسلام باحب هذين الرجلين اليك بابي جهل او بعمر بن الخطاب وصححه ابن
حبان والحاكم في مستدركه عن ابن عباس اللهم ايد الدين بعمر بن الخطاب وفي لفظ اعز الاسلام بعمر وقال انه صحيح
الاسناد وفيه عن عائشة اللهم اعز الاسلام بعمر بن الخطاب خاصة وقال انه صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه
واما ما يدور على الالسنة من قولهم اللهم ايد الاسلام باحد العمرين فلا اصل له في المبنى وان كان يصح نقله بالمعنى
بناء على تغليب عمر على عمرو بن هشام وهو اسم ابي جهل وكان يكنى ابا الحكم فكناه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ابا جهل فغلبت عليه هذه الكنية (وعن ابن مسعود) وفي نسخة وقال ابن مسعود (ما زلنا اعزة) جمع عزيز اي اقوياء
وعظماء او ظاهرين قاهرين (منذ اسلم عمر) قلت وفي الاية اشارة الى هذه العزة حيث نزل عند اسلامه قوله تعالى
يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين فانه رضي الله تعالى عنه كان تمام الاربعين (واصاب الناس في بعض
مغازيه) اي سفر غزواته صلى الله تعالى عليه وسلم (عطش) اي شديد (فسأله عمر الدعاء) اي الاستسقاء (فدعا فجاءت
سحابة فسقتهم حاجتهم) بالنصب اي قدر كفايتهم (ثم اقلعت) بفتح الهمزة واللام اي انقشعت السحابة واضمحلت (ودعا
في الاستسقاء) اي يوم جمعة على المنبر في المدينة كما رواه الشيخان عن انس (فسقوا) بصيغة المفعول (ثم شكوا اليه
المطر) اي كثرته حيث خيف ضرره في الجمعة الثانية وهو على منبره (فدعا) اي بكشفه (فصحوا) بفتح الصاد وضم
الحاء وفتحها اي فانكشف ما بهم من السحابة (وقال لابي قتادة افلح وجهك) جملة خبرية في المبنى دعائية في المعنى
اي فاز وظفر (اللهم بارك له) اي لابي قتادة (في شعره) بفتح العين وسكون (وبشره) بفتحتين اي ظاهر جلده
حتى [illegible] احسنين (فمات) اي ابو قتادة (وهو ابن سبعين سنة) جملة حالية وكذا قوله (وكأنه ابن خمس عشرة)
بسكون الشين المعجمة وتكسر رواه البيهقي (وقال) اي النبي عليه الصلاة والسلام (للنابغة) اي الجعدي واسمه قيس
ابن عبد الله وقيل عكسه حين انشده قصيدته الرائية (لا يفضض الله) بضم الضاد المعجمة الاولى وكسر الثانية

على ان لا ناهية وضمها على ان لا نافية وهي ابلغ اى لا يسقط وقيل لا يكسر من فض كسر وفرق وروى لا يفض الله فاك من الفضاء وهو الخلاء اى لا يجعل الله فاك فضاء لا اسنان فيه (فاك) اى اسنانك واسنان فيك باعتبار احد المجازين كقوله تعالى واسئل القرية (فما سقطت له سن) رواه البيهقي وابن ابي اسامة وروى مثله عن عمه العباس قال يارسول الله انى مدحتك فقال لا يفضض الله فاك فانشد الابيات السابقة (وفي رواية فكان) اى النابغة (احسن الناس ثغرا) بفتح المثلثة وسكون الغين المعجمة اى سنا وقيل هو ما تقدم من الاسنان ويؤيد الاول عموم قوله (اذا سقطت له سن نبتت له اخرى وعاش عشرين ومائة) هو لغة في مائة وعشرين (وقيل اكثر من هذا) فقيل عاش مائة وثمانين سنة وقيل مائتين واربعين سنة وكان في الجاهلية يصوم ويستغفر وبقي الى ايام ابن الزبير واخرج له بقي بن مخلد حديثا واحدا وفي الشعراء جماعة غيره يقال لكل منهن النابغة واذا اطلق فهو المراد واختلف في سبب الدعاء له فقيل قوله

(بلغنا السماء في مجدنا وسنائنا * وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا)

فقال الى اين يا ابا ليلى قال فقلت الى الجنة فقال نعم ان شاء الله وقال الحديث وقيل قوله

(ولا خير في حلم اذا لم يكن له * بوادر تحمي صفوه ان يكدرا)

(ولا خير في جهل اذا لم يكن له * تأن اذا ما اورد الامر اصدرا)

وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اجدت فلا سقطت له سن (ودعا لابن عباس) كما رواه الشيخان (اللهم فقهه في الدين) اى علمه ما يحتاج اليه في امر الدين من الامور الواضحة للمجتهدين (وعلمه التأويل) اى تأويل الكتاب والسنة من آل يؤول الى كذا اذا رجع اليه واريد به صرف اللفظ عن ظاهره لدليل لولاه ما صرف عن حاله (فسمي) اى ابن عباس (بعد) بضم الدال اى بعد دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم له (الحبر) بفتح الحاء وتكسر اى حبر الامة وهو عالمها سمي به وهو المداد لمزاولته له غالبا في اداء المراد وفي نسخة البحر بدل الحبر اى بحر العلم (وترجمان القرآن) بفتح التاء وضم الجيم وضمهما وحكي فتحهما اى مفسره ومعبره والترجمان في الاصل من يترجم الكلام اى ينقله من لغة الى لغة اخرى وفي القاموس الترجمان كعنفوان وزعفران وريهقان المفسر للسان (ودعا لعبدالله بن جعفر) اى ابن ابي طالب (بالبركة في صفقة يمينه) اى تبايعه وسمي صفقة لوضع كل من المتبايعين يده في يد الآخر عرفا وعادة (فما اشترى شيئا الا ربح فيه) رواه البيهقي عن عمرو بن حريث (ودعا للمقداد) اى ابن الاسود (بالبركة فكان له) وفي نسخة صحيحة عنده (غرائر) بفتح الغين جمع غرارة بالكسر وهي جوالق (من المال) رواه البيهقي في الدلائل عن بضاعة بنت الزبير (ودعا بمثله) اى بمثل ما دعا للمقداد من البركة (لعروة ابن ابي الجعد) قال ابن المديني اخطأ من قال فيه عروة بن الجعد وانما هو ابن ابي الجعد انتهى وهو صحابي مشهور وحديثه هذا رواه البخاري (وقال) اى عروة كما رواه احمد (فلقد كنت اقوم) اى اقف كما في نسخة (بالكناسة) بضم الكاف موضع او سوق بالكوفة وكانوا يرمون فيه كناسات دورهم (فما ارجع) اى عنها (حتى اربح) بفتح الموحدة اى استفيد (اربعين الفا) يحتمل الدينار والدرهم (وقال البخاري في حديثه فكان) اى عروة (لو اشترى التراب) اى مثلا (ربح فيه وروى مثل هذا) اى الدعاء بالبركة (الغرقد) بغين معجمة فراء ساكنة (ايضا) قال الدلجي لا ادري من رواه (وندت) بنون وتشديد دال اى نفرت وذهبت على وجهها شاردة (له) اى للغرقد (ناقة فدعا) اى النبي عليه الصلاة والسلام على ما هو ظاهر الكلام (فجاء بها) وفي نسخة صحيحة فجاءه بها (اعصار ريح) بالاضافة والاعصار بالكسر ريح عاصف يستدير في الارض ثم يسطع الى السماء مستديرا كالعمود (حتى ردها) اى الاعصار الناقة (عليه) اى على غرقد (ودعا لام ابي هريرة) اى بالهداية كما رواه مسلم وغيره (فاسلمت) فعن ابي هريرة قال دعوت امي يوما الى الاسلام وهي مشركة فاسمعتني في رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما اكره فاتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانا ابكي فقلت يارسول الله ادع الله ان يهدي ام ابي هريرة فقال اللهم اهد ام ابي هريرة فخرجت مستبشرا بدعوته عليه السلام فلما صرت الى الباب فاذا هو مجاف فسمعت امي خشف قدمي فقالت مكانك يا ابا هريرة وسمعت خضخضة الماء ولبست درعها وعجلت عن خمارها ففتحت الباب ثم قالت اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فرجعت الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانا ابكي من الفرح فحمد الله وقال خيرا (ودعا لعلي ان يكفى) بصيغة المفعول اى يحفظ (الحر والقر) بضم القاف وفتحها وتكسر البرد او شديده اى شرهما (فكان) اى علي (يلبس في الشتاء ثياب الصيف وفي الصيف ثياب الشتاء ولا يصيبه) وروي ولا يسيئه وروي ولا يسوءه (حر ولا برد) اى مع اختلاف الاحوال والحديث رواه ابن ماجه والبيهقي (ودعا لفاطمة ابنته ان لا يجيعها) اى جوعا شديدا (قالت فما جعت بعد) اى بعد ذلك الدعاء ابدا رواه

عمران بن حصين (وبـ[illegible] ابنا وارمى بـ[illegible]ـه) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى نسخة (الطفيل) بالتصغير اى ابن
[illegible]خة وهو ابن طريف [illegible] الله كما ذكره الحارث الازدى الدوسى قتل يوم اليمامة وكان شريفا مطاعا فى قومه روى ابو الزناد عن
[illegible] ابى هريرة انه قال [illegible] الجزرية قبل مجيء الما قال الطفيل بن عمرو للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان دوسا قد غلب عليهم الزنى
[illegible]ـه عليهم فنـ[illegible] (دت عليه) اى بيان هلكت دوس حتى قال عليه السلام اللهم اهد دوسا (آية) اى علامة تكون كرامة
[illegible] عندهم (لايرة السيمانة (وعلم فقال اللهم نوره فسطع) اى ظهر ولمع (له نور بين عينيه فقال يارب اخاف ان يقولوا مثله)
[illegible] لغيره (واجلاسها) بكسر وسكون المثلثة اى تنكيل وعقوبة وهى مرفوعة وقيل منصوبة (فحول) اى فاجيب
الاستقصاء عن ذلك النور (الى طرف سوطه فكان يضئ فى الليلة المظلمة) وروى المظلمة (فسمى ذا النور) كالحسنين
الآف ممن واسيد بن حضير وعباد بن بشر وحمزة بن عمرو الاسلمى وقتادة بن النعمان كل سمى بذلك واما ذوا النورين
انهو لقب عثمان لانه زوج بنتين لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والحديث هذا رواه ابن اسحق بلا سند والبيهقى
عنه وابن جرير من طريق الكلبى (ودعا على مضر) على وزن عمر وهم قبيلة (فاقحطوا) بصيغة المجهول اى فدخلوا
فى القحط باحتباس المطر عنهم وانقطاع الخير منهم (حتى استعطفته قريش) اى طلبوا منه ان يعطف عليهم ويرحمهم
(فدعالهم) اى بالمطر (فسقوا) بصيغة المجهول اى فاعطوا مطرا فاخصبوا رواه النسائى عن ابن عباس والبيهقى
عن ابن مسعود واصله فى الصحيحين (ودعا على كسرى) بكسر الكاف وتفتح لقب لكل ملك الفرس وهو هنا
ابرويز بن هرمز بن قال الطبرى وتفسيره المظفر بن هرمز بن انو شروان وتفسيره بالعربية مجدد الملك(حين مزق كتابه)
بتشديد الزاى اى شق مكتوبه (ان يمزق الله ملكه)اى تمزيق الله ملكه فمزقه كل ممزق (فلم تبق له باقية) اى نفس
باقية اواثر وبقية قال السهيلى ولما دعا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عليه وقع امره فى الاضطراب الى ان قتله
ابن له يقال له شيرويه ومات ابنه الذى قتله بعد ايه بزمن يسير وشبيه ان ابرويز قيل له ان ابنك شيرويه يريد قتلك قال انا
قبلى فانا اقتله ففتح خزانة الادوية وكتب على حقة السم الدواء النافع للجماع وكان ابنه مولعا بالجماع فلما قتل اباه
وفتح الخزانة ورأى تلك الحقة تناول منها فمات من ذلك ومات سائر اولاده واكثر اقاربه بعد دعائه عليه الصلاة
والسلام لستة اشهر ومات عنهم الدولة حتى انقرضوا عن آخرهم (ولا بقيت لفارس) بكسر الراء مصروفا وممنوعا
اى لاهل فارس (رياسة فى سائر اقطار الدنيا) اى نواحيها رواه البخارى من طريق ابن عباس (ودعا على صبى قطع
عليه)اى بمروره بين يديه (الصلاة)اى صلاته كما فى نسخة (ان يقطع الله اثره)ومن جملته مشى قدميه كما قال ونكتب
ماقدموا وآثارهم (فاقعد)بصيغة المجهول اى صار مقعدا لايستطيع النهوض وفى رواية قطع صلاتنا قطع الله اثره
وفى اصل الدلجى دابره بدل اثره فتكلف فى وجهه بان الدابر فى الاصل الآخر ومنه قوله تعالى فقطع دابر القوم الذين
ظلموا اى آخرهم فلم يبق احد منهم ثم استعير للزمانة كما هنا بسلب قوة مشيه هذا والحديث رواه ابو داود والبيهقى ورواه
ابن حبان عن سعيد بن عبد العزيز عن يزيد بن مهران يقول مررت بين يدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وهو يصلى فقال اللهم اقطع اثره فما مشيت وقد ضعف عبد الحق وابن القطان اسناده وكذا ابن القيم وقال الذهبى
اظن انه موضوع ثم على تقدير ثبوته فيه اشكال وهو انه عليه الصلاة والسلام كيف يدعو على الصبى وهو غير مكلف
بالاحكام مع ان القاضى جزم بذلك فى مقام المرام وجوابه نقل عن البيهقى فى المعرفة ان الاحكام انما صارت متعلقة
بالبلوغ بعد الهجرة قال الحلبى وفى كلام السبكى انها انما صارت متعلقة بالبلوغ بعد احد ثم قال الحلبى او يقال ان هذا
من باب خطاب الوضع لانه اتلاف لايشترط فيه التكليف انتهى وتبعه الانطاكى وقرره التلمسانى وفيه ان الصلاة
صحيحة بالاجماع فليس من الاتلاف بلا نزاع نعم اتلاف لكمال الحال فى حضور البال وهو غير مقتض لهذا النكال
ولذا قال الدلجى واجيب هنا بما لا يشفى ثم اقول ولعل الصبى كان من اولاد الكفار وقدامره اهله بان يقطع الصلاة
على سيد الابرار فاراهم صلى الله تعالى عليه وسلم معجزة اظهارا للعزة ودفعا للمذلة او كان الصبى مراهقا فظنه
عليه الصلاة والسلام بالغا وفى قطعه قاصدا فتبين انه كان صبيا قاصرا او يكون من باب قضية الخضر مع الصغير
مكاشفا (وقال لرجل)هو بسر بضم الموحدة وسكون المهملة ابن راعى العير الاشجعى قيل كان منافقا (رآه يأكل بشماله)
فقال له (كل بيمينك فقال لا استطيع) اى ان آكل بيمينى لعذر بى (فقال لا استطعت) ان تأكل بيمينك دعا عليه
لكونه كاذبا فيما ادعاه (فلم يرفعها) اى يمينه بعد ذلك (الى فيه) اى فمه لا عند اكله ولا فى حال غيره والحديث رواه مسلم
عن سلمة بن الاكوع واستدل به على وجوب الاكل باليمين ولا دلالة فيه عند المحققين (وقال لعتبة) بضم اوله وفى نسخة
بالتصغير (ابن ابى لهب)اى ابن عبد المطلب بن هاشم (اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد) اى ليلا وهو
مسافر وقد جعله اصحابه بينهم محيطين به فتخطاهم بانيف فافترسه رواه ابن اسحق عن عروة بن الزبير عن هبار بن الاسود

والحاكم من حديث ابي نوفل ابن ابي عقرب عن ابيه والبيهقي من طريق عن عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله تعالى عنهم قال الحلبي واعلم ان عتبة اسلم يوم الفتح وكذا اخوه معتب ولم يهاجر من مكة وهذا هو المشهور و بعضهم جعل هذا عتيبة الاسد وجعل عتيبة المصغر هو الذي اسلم وصحب والمشهور ان المصغر عقير الاسد والمكبر هو الصحابي والله تعالى اعلم وسبب دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم ماروى عروة بن الزبير ان عتيبة ابن ابي لهب كان تحته بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واراد الخروج الى الشام فقال لآتين محمدا اولأوذينه فاتاه فقال يامحمد هو كافر بالنجم اذا هوى وبالذي دنا فتدلى ثم تفل في وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورد عليه ابنته وطلقها فقال عليه الصلاة والسلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فرجع عتيبة الى ابيه فاخبره ثم خرجوا الى الشام فنزلوا منزلا فاشرف عليهم راهب من الدير فقال لهم ان هذه ارض مسبعة فقال ابو لهب لاصحابه اغيثونا يامعشر قريش هذه الليلة فاني اخاف على ابني دعوة محمد فجمعوا جمالهم واناخوها حولهم واحدقوا بعتيبة فجاء الاسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتيبة فقتله هذا وفي نسخة زيد هنا وقال لامرأة اكلك الاسد فاكلها قيل هذا بخطه ليس من الرواية (وحديثه المشهور) اي كما رواه الشيخان (من رواية عبد الله بن مسعود في دعائه على قريش حين وضعوا له السلا) بفتح المهملة مقصورا هو للبهيمة كالمشيمة لبني آدم وهي جلد رقيق يخرج مع الولد من بطن امه ملفوفا فيه قال الشمني ان شقت عن وجه الفصيل ساعة ينتج والا قتلته وكذا اذا انقطع السلا في البطن فاذا خرج السلا سلمت الناقة وسلم الولد وان انقطع في بطنها هلكت وهلك الولد وقيل يخرج بعد الولد (على رقبته وهو ساجد مع الفرث والدم وسماهم) اي قريشا مجملا ومفصلا حيث قال اللهم عليك الملأ من قريش اللهم عليك بابي جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وامثالهم (فقال) وفي نسخة وقال اي ابن مسعود (فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر) اي معظمهم فان اشقاهم عقبة ابن ابي معيط الذي وضع على رقبته السلا حمل من بدر اسيرا فقتله علي بعرق الظبية بامر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له مقفلهم من بدر الى المدينة ولعل الحكمة في تأخير الاشقى ليشاهد العقوبة في اصحابه في الدنيا ولعذاب الآخرة اشد وابقى قال الحلبي وعمارة بن الوليد لم يقتل ببدر ايضا وانما جرى له قصة مع النجاشي مشهورة وقد سحر فصار متوحشا وهلك على كفره بارض الحبشة في زمن عمر رضي الله تعالى عنه (ودعا على الحكم بن ابي العاص) اي ابن امية بن عبد شمس بن عبد مناف وهو ابو مروان عم عثمان اسلم يوم الفتح وتوفي في خلافة عثمان (وكان يختلج بوجهه ويغمز) بكسر الميم (عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اي يجلس خلفه صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا تكلم يحرك شفتيه وذقنه حكاية لفعله ويرمز مشيرا بعينه اوحاجبه (اي لا) اي اراد به رد الكلام استهزاء وسخرية (فرآه) اي النبي عليه الصلاة والسلام مرة (فقال كن كذلك) وفي نسخة صحيحة كذلك كن (فلم يزل يختلج) اي يرتعد ويضطرب (الى ان مات) رواه البيهقي من طريق عن عبد الرحمن ابن ابي بكر وعن ابن عمر وعن هند بن خديجة و في رواية فضربه فصرع شهرين ثم افاق مختلجا قد اخذ لحمه وقوته وقيل مرتعشا وقال التلمساني قوله يغمز اما بعيب لانه كان يخبر المنافقين بسر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اولانه كان يحكي فعله صلى الله تعالى عليه وسلم في مشيه وامره ونحوه اولا بالفتح وتشديد الواو وهو خلاف الاخير وروي اي لا باي التفسيرية ولا النافية فعلى الاول معناه كان يختلج اولا قبل الدعوة ثم اختلج ثانيا بها ومعناه انه كان صحيحا ثم هلك بالدعوة فهو مفعول يختلج اي يختلج اولا اي قبل الدعوة ويجوز ان يريد بالاول زمن الصحة وبالثاني زمن السقم فيكون خبرا لكان اومفعول يختلج اولا ولا يشير الى ماكان عليه من الاستهزاء فكنى باولا عنه لان فعله انما كان عن جهالة ولا يخرجه ذلك عن عداد الصحابة فقد ذكر فيهم وعلى الثاني تفسير لفعله وحذف مابعدها تشنيعا لذكره لان ذكر مثل هذا لايليق لان فيه تنقيص النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومعناه لايكون كذلك الاولى اوالاحق وما شاكل هذا بموطن او بموطنين في غيبته اوحضوره والله تعالى اعلم (ودعا على محلم) بكسر اللام المشددة (ابن جثامة) بفتح الجيم وتشديد المثلثة (فمات) في حمص ايام ابن الزبير على ماقاله السهيلي (لسبع) اي بعد سبعة ايام (فلفظته الارض) بفتح الفاء واعجام الظاء اي قذفته الارض ورمته على ظهرها بعد دفنه في بطنها وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم بعد مالفظته الارض ان الارض لتقبل من هو شر منه ولكن اراد الله ان يجعله لكم عبرة فالقوه بين سوحي جبل فاكلته السباع والسوح هو الشق (ثم ووري) بضم اوله مجهول وارى اي ستر تحت الارض (فلفظته مرات) ظرف للفعلين (فالقوه) بفتح القاف اي رموه (بين صدين) بفتح الصاد وتضم اي جبلين اوواديين (ورضموا عليه) بفتح الراء والضاد المعجمة اي كوموا عليه (بالحجارة) رواه البيهقي عن قبيصة بن ذؤيب وابن جرير موصولا عن ابن عمر وقال الحسن بلغني انه دعا الحديث وسبب دعائه على محلم انه كان بعث سرية للغزو فيها محلم فامر عليهم عامر بن الاضبط فلما بلغوا بطن واد قتل محلم عامر اغدرا فجرى ماجرى والصد جانب الوادي

(وبعده رجل) اى من الصحابة على ما ذكره الدلجى واوله كان منافقا (بيع فرس) اى انكره (وهى) القصة (التى شهد فيها خزيمة) بالتصغير (للنبى صلى الله عليه وسلم) اى بانه اشتراه منه مع انه لم يره وجعل صلى الله عليه وسلم شهادته وحدها مقبولة من اثنين (فرده الى من بعده) بالضم اى بعد جحده وشهادة خزيمة له (النبى صلى الله عليه وسلم على الرجل) والمعنى رده على الرجل فرسه (وقال اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك له فيها) اى فى فرسه (فاصبحت شاصية برجلها) اى رافعة اسباب نفقتها من شصا بصره اى شخص (وهذا الباب اكثر من ان نحاطه) اى نجمع فصوله من فروعه واصوله

﴿ فصل ﴾

(فى كراماته وبركاته وانقلاب الاعيان) اى بتحولها وتغيرها عن حالتها الاولى (له فيما لمسه اوباشره صلى الله تعالى عليه وسلم) والكرامة اسم من الاكرام (انا) اى اخبرنا كما فى نسخة (احمد بن محمد) اى ابن غلبون الخولانى (ثنا) اى حدثنا (ابو ذر الهروى اجازة وثنا القاضى ابو على سماعا) تقدم انه الحافظ ابن سكرة (والقاضى ابو عبد الله محمد ابن عبد الرحمن وغيرهما) اى وغير القاضيين ايضا (قالوا) اى جميعهم (حدثنا ابو الوليد القاضى ثنا ابو ذر) اى الهروى (ثنا ابو محمد) وهو سرخسى (وابو اسحق) وهو المستملى (وابو الهيثم) وهو الكشميهنى (قالوا) اى الثلاثة (ثنا الفربرى) بكسر فتح على الاشهر (ثنا البخارى) اى صاحب الجامع الصحيح (ثنا يزيد بن زريع) بالتصغير وهو ابو معاوية البصرى الحافظ قال الحلبى وقد سقط واحد بين البخارى وبين يزيد بن زريع فان يزيد بن زريع ليس شيخا للبخارى وانما هو شيخ شيوخه والساقط هو عبد الاعلى بن حماد وقد اخرج البخارى هذا الحديث الذى ذكره القاضى فى كتاب الجهاد عن عبد الاعلى بن حماد عن يزيد بن زريع بالسند الذى ساقه القاضى قال الحجازى وكذا وجدته فى النسخة المعتمدة انتهى وعبد الاعلى هذا روى عن الحمادين مالك وعنه الشيخان وابو داود وابو يعلى والفربرى (ثنا سعيد) اى ابن ابى عروبة (عن قتادة عن انس بن مالك ان اهل المدينة فزعوا) بكسر الزاى خافوا واستغاثوا (مرة) اى وقتا من الاوقات (فركب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى قبل الناس حين خرج من المدينة (فرسا لابى طلحة) اى مستعارا منه (كان) اى الفرس (يقطف) بضم الطاء ويكسر اى يقارب خطوه فى سرعة وزيد فى اصل الدلجى به وقال اى ابى طلحة (اويه قطوف) بضم اوله شك ممن رواه عن انس ذكره الدلجى اومن بعده قال الجوهرى القطوف من الدواب البطئ وقال ابو زيد هو الضيق المشى وقد قطفت الدابة قطفا والاسم القطاف (وقال غيره) اى غير انس (يبطأ) بفتح الطاء المهملة المشددة فهمزة اى يضيق الخطى وهو من البطئ وعند الطبرى ثبطا اى ثقيلا وقال ابو عبيد فى قوله تعالى فثبطهم اى حبسهم (فلما رجع) اى من الفزع الى المدينة ولم ير باسا (قال) اى لابى طلحة (وجدنا فرسك بحرا) اى واسع الجرى سريع العدو (فكان) اى ذلك الفرس (بعد) اى بعد ركوبه او قوله هذا (لا يجارى) بضم الياء وفتح الراء من الجرى بالجيم اى لا يسابق ولا يبارى والمعنى لا يسبقه غيره حينئذ (ونخس جمل جابر) بالنون والخاء المعجمة المفتوحتين اى طعنه عند دبره او جنبه بعصى اونحوه (وكان) اى الجمل (قد اعيى) اى عجز عن المشى وتعب عن السير (فنشط) بكسر الشين المعجمة وفى مضارعه فتحها اى خف واسرع وفى النهاية وكثيرا ما يجيئ فى الرواية انشط وليس بصحيح (حتى كان) اى انتهى نشاطه الى ان صار جابرا (ما يملك) ويروى لا يملك (زمامه) رواه الشيخان (وصنع مثل ذلك بفرس لجعيل) بضم الجيم وفتح العين المهملة فتحتية ساكنة (الاشجعى خفقها) اى ضربها (بمخفقة) بكسر الميم وفتح الفاء اى بدرة (معه وبرك عليها) بتشديد الراء اى دعا بالبركة لها (فلم يملك) اى جعيل بعد ذلك (راسها نشاطا) بفتح النون اى من اجل اسراعها (وباع من نسلها) وفى نسخة من بطنها (باثنى عشر الفا) وهذا من اثر دعائه بالبركة لها وما قبله من اثر ضربه وتوجهه اليها بهمته ثم رواه مرتب الفاء لهما رواه البيهقى (وركب حمارا قطوفا) بفتح القاف (لسعد بن عبادة فرده) اى من محله الذى انتهى اليه اومن وصفه الذى كان عليه (هملاجا) بكسر فسكون ثم جيم اى سريع السير وهو فارسى معرب ويسمى الآن رهوانا (لا يساير) بصيغة المفعول اى لا تسايره دابة الا سبقها رواه ابن سعد من حديث اسحق بن عبد الله ابن ابى طلحة (وكانت شعرات من شعره) بفتح العين ويسكن اى من شعراته صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى نسخة (فى قلنسوة خالد بن الوليد) بفتح القاف واللام وضم السين ما يوضع على الرأس مثل الكوفية (فلم يشهد بها) اى فلم يحضر بها مشهدا (قتالا الا رزق النصر) بصيغة المفعول ونصب النصر اى اعطى الفتح والظفر رواه البيهقى (وفى الصحيح) اى من رواية مسلم وابى داود والنسائى وابن ماجه (عن اسماء بنت ابى بكر) اى الصديق رضى الله تعالى عنهما (انها اخرجت جبة طيالسة) بالاضافة كما فى شرح مسلم للنووى وفى نسخة بالوصف جمع طيلسان بفتح اللام وتثلث

فارسي معرب وفي نسخة طيالسية بزيادة تحتية وفسرت بالخلق وهوا ما من اصلها واما لما طرأ عليها لان هذه الجبة صارت بيد اسماء بعد موت اختها عائشة وهي ماتت بعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بنحو خمس واربعين سنة وفسرت بالاكسية وبالخضراء ثم طيالسة بالتنوين لانها في زنة رفاهية وثمانية (وقالت) اى اسماء (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يلبسها) بفتح الموحدة (فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها) جملة حالية او مستأنفة مبنية وهي بصيغة المفعول وفي نسخة بصيغة المتكلم هذا وقال المصنف (وحدثنا القاضي ابو علي) وهو ابن سكرة (عن شيخه ابي القاسم ابن المأمون) اخذ عن ابي محمد الباجي (قالت كانت عندنا قصعة) بفتح القاف ومن لطائف كلام ارباب اللغة لا تفتح الجراب ولا تكسر القصعة (من قصاع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بكسر القاف جمع (فكنا نجعل فيها الماء للمرضى يستشفون) وفي نسخة فيستشفون (بها) اى فيشفيهم الله تعالى ببركة نسبتها (فاخذ جهجاه) بالتنوين وهو بالجيمين والهاء ثين ابن سعد او سعيد او مسعود وقال الطبري المحدثون يزيدون في آخره الهاء والصواب جهجا بدون هاء في آخره (الغفاري) بكسر اوله حضر بيعة الرضوان وعن عطاء عنه انه كان يشرب حلاب سبع شياه فلما اسلم لم يتم حلاب شاة (القضيب) هو عصا النبي التي كان الخلفاء يتداولونها (من يد عثمان) اى وهو على المنبر (ليكسره على ركبته) اى معتمدا عليها (فصاح به الناس) وفي نسخة فصاح الناس به (فاخذته فيها الاكلة) بفتح فكسر ويسكن وبكسر فسكون وبفتحتين اى الحكة وفي نسخة بمد فكسر (فقطعها) اى ركبته وتذكير الضمير العائد الى الاكلة بتأويل الداء (ومات قبل الحول) رواه ابو نعيم في الدلائل وابن السكن في معرفة الصحابة وقال ابن عبد البر هو الذي تناول العصا من يد عثمان وهو يخطب وكانت عصا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي بعد عثمان بسنة ذكره الحلبي ثم كسر العصا ليس صريحا في كلام القاضي وهو صريح في كلام ابن عمر ولكني رأيت في حاشية على كتاب الروض الانف للسهيلي عن ابن دحية نقلا عن ابن العربي في كتاب العواصم انه لا يصح كسر العصا ممن اطاع ولا من عصى قلت وكذا يخالف بين قوليهما حيث قال القاضي مات قبل الحول وقال ابن عبد البر توفي بعد عثمان بسنة والله سبحانه وتعالى اعلم (وسكب) اى صب (من فضل وضوئه) بفتح الواو وبضم اى ماء وضوئه (في بئر قباء) بهمز مصروف ويمنع وقد يقصر ولعلها بئر اريس (فما نزفت) اى فنيت ولا نقصت وفي نسخة بصيغة المجهول ففي الصحاح نزفت ماء البئر اذا نزحته كله ونزفت هي فيتعدى ولا يتعدى ونزفت ايضا على ما لم يسم فاعله وحكى الفراء نزفت البئر اذا ذهب ماؤها (بعد) اى بعد صبه الى يومنا هذا رواه البيهقي عن انس (وبزق في بئر كانت في دار انس فلم يكن) اى ماء (بالمدينة) وفي نسخة في المدينة (اعذب منها) اى اطيب واحلى ماء من تلك البئر رواه ابو نعيم ولله در القائل من صاحب الشمائل

(ولو تفلت في البحر والبحر مالح * لاصبح ماء البحر من ريقها عذبا)

(ومر على ماء فسأل عنه فقيل) اى له كما في نسخة (اسمه بيسان) بكسر موحدة وتفتح فسكون تحتية (وماؤه ملح) بكسر فسكون مبالغة مالح اى اجاج (فقال بل هو نعمان) بضم اوله وفي نسخة صحيحة بفتحه واختاره التلمساني للمشاكلة واو كسر لكان له وجه وجيه لقضية حسن المقابلة وهو مأخوذ من النعمة بكسر اولها او فتحها (وماؤه طيب فطاب) اى بمجرد قوله صلى الله تعالى عليه وسلم قيل بيسان موضعان احدهما بالشام وهو المراد في حديث الدجال والآخر بالحجاز وهو الذي مر به عليه الصلاة والسلام في غزوة ذي قرد فسأل عنه فقيل له اسمه بيسان فقال هو نعمان وهو طيب فغير صلى الله تعالى عليه وسلم اسمه فغير الله وصفه ورسمه فاشتراه طلحة فتصدق به فسماه عليه السلام طلحة الفياض (فاتى) كذا في نسخة صحيحة والظاهر واتى بالواو كما في بعض النسخ المصححة وهو بصيغة المفعول اى وجيء (بدلو من ماء زمزم فمج) بفتح الميم وتشديد الجيم اى التي من فيه ماء (فيه) اى في الدلو وهو مؤنث وقد يذكر على ما في القاموس (فصار اطيب من المسك) رواه ابن ماجه وروى البيهقي عن وائل الحضرمي ولم يقل من ماء زمزم (واعطى الحسن والحسين) اى كلا منهما (لسانه فمصاه) بتشديد الصاد (وكانا يبكيان عطشا) جملة حالية وعطشا مفعول من اجله لا تمييز كما اختاره الحلبي (فسكتا) اى لسكون عطشهما رواه الطبراني عن ابي هريرة (وكان لام مالك) اى الانصارية روى عنها عطاء بن السائب بواسطة رجل او البهزة روى عنها طاوس والظاهر ان المراد بها الاول وقال الشارح الصواب ام انس بن مالك فسقط ذكر انس قاله ابو علي الغساني وهي ام سليم بنت ملحان (عكة) بضم مهملة فكاف مشددة اناء من جلد يجعل فيه السمن (تهدى) بضم التاء وكسر الدال اى ترسل (فيها للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم سمنا) اى ايتدم به (فامرها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان لا تعصرها) بضم الصاد اى امرها بترك عصرها (ثم دفعها اليها فاذا هي مملوءة سمنا فيأتيها بنوها يسألونها الادم) بضم فسكون وبضمتين جمع ادام وهو كل ما يؤتدم به (وليس

عندهم شيء) من الادم او من السمن (فتعمد اليها) بكسر الميم اي تقصد الى العكة (فتجد فيها سمنا فكانت تقيم ادمها)
وفي نسخة ادمهم اي تديم ذلك الادام (حتى عصرتها) رواه مسلم عن جابر (وكان يتفل) بضم الفاء وكسرها
(في افواه الصبيان المراضع) بفتح الميم اي اولاد المراضع كما قاله الحلبي وهو الظاهر وقال الدلجي جمع رضيع بمعنى
مرضع اسم مفعول (فيجزئهم) بضم الياء وكسر الزاي بهمزة وتسهل لا كما قاله الدلجي بفتح التحتية اي يكفيهم
(ريقه الى الليل ومن ذلك) اي من قبيل كراماته لسلمان (بركته) اي الحاصلة (في المسند) اي مسندها مطلقا (او غرسه)
اي من شجر وغيره كما في اصل الدلجي وفي النسخ المصححة وغرسه (لسلمان) بالواو وهو الظاهر لانه حديث مستقل
رواه البيهقي عن سلمان انه عليه الصلاة والسلام غرسه له (حين كاتبه مواليه) وهم يهود واصله من فارس من قوم
مجوس فخرج يطلب الدين وطرق اليقين وجعل ينتقل من دين الى دين حتى اخذه قوم من العرب فباعوه فكاتبوه
(على ثلاثمائة ودية) بتشديد التحتية صغير فسيل النخل (يغرسها لهم) بكسر الراء (كلها) بالرفع اي جميعها
(تعلق) بفتح اللام وتضم اي تمسك او تحبل (وتطعم) بضم التاء وكسر العين اي تعطي الثمرة او تدرك (وعلى اربعين
اوقية) بضم الهمزة وتشديد التحتية على المشهور وبحذف الهمزة وفتح الواو في لغة وهي كانت اربعين درهما من
فضة في زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم فالمراد هنا وزنها لقوله (من ذهب) قال الحلبي انما كانت لسلمان مولاه ففيه
مجاز ولكن جاء في بعض طرقه وهو في المسند انه عليه الصلاة والسلام اشتراه من قوم من اليهود بكذا وكذا درهما
وعلى ان يغرس لهم كذا وكذا من النخل يعمل فيها سلمان حتى تدرك (فقام النبي عليه الصلاة والسلام وغرسه له)
اي لسلمان اولا لكله (بيده الا واحدة) بالنصب (غرسها غيره) وهو عمر بن الخطاب على ماذكره ابن عبد البر بسنده
في الاستيعاب وهو في مسند احمد ايضا وفي طريق اخرى ذكرها البخاري في غير صحيحه ان الذي غرسها سلمان فيجمع
بينهما بان واحدة غرسها عمر واخرى غرسها سلمان او ان يكونا غرسا واحدة فلم تطعم ويكون الراوي مرة عزا غرسها
لعمر ومرة عزا غرسها لسلمان ان كان الراوي واحدا وهو بريدة كما رواه احمد وان كان غيره فيكون فيه مجاز كذا حققه
الحلبي ويؤيد الثاني من القولين قوله (فاخذت كلها) اي نبتت واثمرت (الا تلك الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم وردها) اي بيده الكريمة (فاخذت) اي اخذت عروقها ونبتت في محلها (وفي كتاب البزار) بتشديد
الزاي وفي آخره راء (فاطعم النخل) اي جنس ما ذكر (من عامه الا الواحدة) اي التي غرسها غيره عليه الصلاة والسلام
(فقلعها وغرسها فاطعمت من عامها واعطاه) اي سلمان (مثل بيضة الدجاجة) بفتح الدال وتثلث اي مقدارها
وزنا وحجما (من ذهب بعد ان ادارها) اي تلك القطعة التي هي كالبيضة (على لسانه) اي مبالغة للبركة في شانه
واذا جاز حمله على حقيقته فلا معنى لقول الدلجي لعله اراد بذلك انه برك عليها اي دعا فيها بالبركة فلم يسمعه من شاهده
فظن انه انما ادارها عليه (فوزن) اي سلمان (منها لمواليه اربعين اوقية وبقي عنده مثل ما اعطاهم) اي كمية
واريد منه كيفية وكان سلمان من المعمرين عاش على الاصح مائتين وخمسين سنة وقيل ثلثمائة وخمسين سنة وقيل
اربعمائة سنة مائة في المجوسية ومائة في اليهودية ومائة في النصرانية ثم لما اسلم قال يارب عمرني في الاسلام مائة
سنة فعاش مائة في الاسلام وكان يأكل من عمل يده ويتصدق بعطائه وهو واحد الذين اشتاقت اليهم الجنة ومناقبه
كثيرة وفضائله غزيرة مات بالمدائن سنة خمس وثلاثين وما ترك شيأ يورث عنه (وفي حديث حنش) بمهملة
فنون مفتوحتين فمعجمة (ابن عقيل) بفتح العين وكسر القاف وفي بعض النسخ المصححة بالتصغير وهو حديث طويل
رواه قاسم بن ثابت في الدلائل من طريق موسى بن عقبة عن المسور بن مخرمة عنه وقال شارح لم اره الا في كتاب
الصحابة لابن عبد البر ولا حيرا فعلى من رآه ان يرسمه هنا (سقاني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شربة من سويق
شربت اولها وشربت آخرها فما برحت) بكسر الراء اي مازلت (اجد شبعها) بكسر ففتح (اذا جعت وريها)
بكسر راء وتشديد تحتية (اذا عطشت) بكسر الطاء (وبردها اذا ظمئت) بكسر الميم من الظمأ وهو العطش الشديد
من كثرة الحر او شدة الحرارة (واعطى قتادة بن النعمان) بضم النون (وصلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة) جملتان
معترضتان وردتا اعتراضا بين اعطى ومفعوله الثاني كذا ذكره الدلجي والظاهر ان الجملة واحدة وان قوله في ليلة ظرف
لقوله صلى (عرجونا) بضم العين والجيم ويكسر مع فتح الجيم وقرئ بهما وهو اصل العذق الذي يعوج ويقطع منه
الشماريخ فيبقى على النخل يابسا ولعله هو العذق مطلقا وقيل اذا يبس واعوج وهو الملائم لقوله تعالى حتى عاد
كالعرجون القديم (وقال انطلق به فانه سيضيء لك بين يديك عشرا) اي عشرة اذرع او نحوها والعدد اذا حذف
مميزه جاز تذكيره وتأنيثه (ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا) اي جسما ذا سواد او حيا او شخصا
(فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق فاضاء له العرجون) هو اصل العذق كما تقدم (حتى دخل بيته ووجد

السواد فضربه حتى خرج) رواه احمد عن ابي سعيد بسند صحيح وفي توثيق عرى الايمان للبارزي فانه قد بدل فانه شيطان ولاتنافي فلعله تمثل بصورته اسود (ومنها) اى ومن كراماته مما كان سببا لانقلاب الاعيان (دفعه) اى اعطاؤه عليه الصلاة والسلام (لعكاشة) بضم اوله وتشديد الكاف وتخفيفه (جذل حطب) بكسر جيم ويفتح وسكون ذال معجمة اى اصل شجرة واراد به هنا عودا وقيل هو الحطبة او الخشبة الغليظة (وقال اضرب به حين انكسر سيفه) ظرف لدفعه (يوم بدر) اى زمن وقعته (فعاد) اى فتحول (في يده سيفا) وفي نسخة فصار فيكون مجازا عنه اذلم يكن قط سيفا فيعود (صارما) اى قاطعا (طويل القامة ابيض) اى بريق اللمعان (شديد المتن) من المتانة وهي القوة او قوى الظهر فان المتن هو اصل الشئ الذي به قوامه بمنزلة الظهر للاعضاء ومنه متن الحديث (فقاتل به) اى في وقعة بدر حتى انقضت (ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف) اى اقتال الكفرة (الى ان استشهد) اى عكاشة (في قتال اهل الردة وكان هذا السيف يقال له) وفي نسخة يسمى (العون) بالمصدر للمبالغة او بمعنى المعين او المعان والله المستعان رواه البيهقي وقال الخطابي يجب ان يعلم ان الذين لزمهم اسم الردة من العرب كانوا صنفين صنف منهم ارتدوا عن الدين ونابذوا الملة وعادوا الى الكفر وهم المعنيون بقول ابي هريرة وكفر من كفر وهم اصحاب مسيلمة ومن نحا نحوهم في انكار نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والصنف الآخر هم الذين فرقوا بين الصلاة والزكاة فاقروا بالصلاة وانكروا الزكاة يعني اعطاءها لاوجوبها وهؤلاء هم اهل بغي وانما لم يخصوا بهذه السمة لدخولهم في غمار اهل الردة بخلاف المسلمين فاضيف الاسم في الجملة الى الردة اذ كانت اعظم الامرين خطبا وصار مبدأ قتال اهل البغي مؤرخا بايام علي رضي الله تعالى عنه اذ كانوا منفردين في عصره ولم يختلطوا باهل شرك في دهره (ودفعه) اى ومنها دفعه عليه الصلاة والسلام (لعبد الله بن جحش) بفتح جيم فسكون مهملة (يوم احد وقد ذهب سيفه) جملة حالية اعتراضية (عسيب نخل) اى جريدة منه مما لا خوص عليه وما نبت عليه الخوص فهو سعف والخوص الاوراق (فرجع) اى انقلب (في يده سيفا) رواه البيهقي وفي سيرة ابن سيد الناس انه اعطى سلمة بن اسلم يوم بدر قضيبا من عراجين ابن طاب كان في يده فاذا هو سيف جيد فلم يزل عنده حتى قتل يوم جسر ابي عبيدة انتهى ونقله الواحدي باسناده (ومنه) اى ومن هذا النوع (بركته في درور الشياه الحوائل) بالهمز جمع الحائلة وهي الشاة العديمة اللبن (باللبن الكثير كقصة شاة ام معبد) بفتح الميم والموحدة وقصتها مارواه ابن سعد والطبراني عن ابي معبد الخزاعي انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما هاجر ومعه ابو بكر ومولاه عامر بن فهيرة وعبد الله بن الاريقط استأجره دليلا وهو على دين كفار قريش فاخذ بهم طريق الساحل فروا بقديد على ام معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية وكانت برزة تحتبي بفناء بيتها فتطعم وتسقى من مر بها وكانوا مرملين مسنتين فطلبوا منها لبنا فلم يجدوا فرأوا عندها شاة خلفها الجهد عن الغنم فقال اتأذنين لي ان احلبها قالت نعم فدعا بها فاعتقلها ومسح ضرعها وسمى الله فتفاجت ودرت ودعا باناء يربض الرهط فحلب فيه ثجا وسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب فيه ثانيا ثم تركه عندها وارتحلوا فجاء زوجها ابو معبد يسوق اعنزا عجافا يتساوكن هزالا فرأى اللبن فعجب فقال انى لك هذا قالت مر بنا رجل مبارك الحديث (واعنز معاوية) بفتح همزة وسكون عين وضم نون جمع قلة لعنز اى شاة انثى وفي اصل المعز في الصحيح من اصل المؤلف معونة بفتح الميم وضم العين وبالنون من العون والظاهر انه تصحيف فقد ذكر الطبري في كتاب الدلائل معاوية (ابن ثور) بفتح مثلثة وسكون واو وفد على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو شيخ كبير ومعه ابنه بشر فدعا له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومسح رأسه واعطاه اعنزا عشرا فقال محمد بن بشر بن معاوية بن ثور في ابيه

(وابي الذي مسح الرسول برأسه * ودعا له بالخير والبركات)

والتقدير وقصتها كما رواه ابن سعد وابن شاهين عن الجعد بن عبد الله (وشاة انس) اى وقصتها (وغنم حليمة مرضعته وشارفها) وهي المسنة من النوق وقيل من الابل وقيل من المز من المعز على مارواه ابو يعلى والطبراني وغيرهما باسناد حسن (وشاة عبد الله بن مسعود) اى كما رواه البيهقي (وكانت) اى تلك الشاة (لم ينز) بفتح الياء وسكون النون وضم الزاى اى لم يثب ولم يعل (عليها فحل) اى للضراب وروى انه صلى الله تعالى عليه وسلم مسح ضرع شاة حائل لالبن لها لابن مسعود فدرت وكان ذلك سبب اسلامه (وشاة المقداد) كما في الصحيح مسلم وكلها كانت مثل شاة ام معبد وقد درت ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم هذا وقصة شاة المقداد مختصرة ماروى عنه انه قال اقبلت انا وصاحبان لي وقد ذهب اسماعنا وابصارنا من الجهد يعني الجوع فعرضنا انفسنا على اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يقبلنا احد فاتينا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فانطلق بنا الى اهله فاذا ثلاث اعنز فقال احتلبوا هذا اللبن بيننا فكنا نحتلب فكان يشرب

كل انسان نصيبه ورفع للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم نصيبه فجئ من الليل فيشرب به فوقع في نفسي ذات ليلة ان النبي يأتي الانصار فيتحفونه ما به حاجة الى هذه الجرعة فشربتها ثم ندمت على ما فعلت خشية انه اذا جاء لم يجده فيدعو على فاهلك وجعل لا يجيئني النوم واما صاحباي فناما فجاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما دخل وكشف عن نصيبه فلم يجد شيئا فرفع رأسه الى السماء فقلت الآن يدعو علي فقال اللهم اطعم من اطعمني واسق من سقاني قال فاخذت الشفرة وانطلقت الى الاعنز ايها اسمن اذبحها له فاذا هي حفل كلهن فعمدت الى اناء فحلبت فيه حتى علته رغوة فجئت به اليه فشرب ثم ناولني فلما عرفت ان النبي قد روي واصبت دعوته ضحكت حتى القيت على الارض فقال ادنى سوأتك يا مقداد يعني انك فعلت سوأة من الفعلات فما هي قال فقلت يا رسول الله كان من امري كذا وكذا فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ما هذه الا رحمة من الله (ومن ذلك) اي من قبيل كراماته وزيادة بركاته كما رواه ابن سعد عن سالم بن ابي الجعد مرسلا (تزويده اصحابه سقاء) بكسر اوله اي وعاء (ماء بعد ان اوكاه) بالقصر بعد الكاف اي ربطه بالوكاء وهو خيط يشد به الوعاء (ودعا فيه فلما حضرتهم الصلاة نزلوا فحلوه) بضم اللام المشددة اي ففتحوا السقاء بحل الوكاء (فاذا به) اي فيه وفي نسخة فاذا هو فاجأهم ذلك الماء في السقاء (لبن طيب وزبدة) شاء وحدة وفي اصل الدلجي زبده بالاضافة اي زبد اللبن (في فيه) وفي نسخة فمه اي في فم السقاء (من رواية حماد ابن سلمة) متعلق بقوله تزويده قال الحلبي هو الامام ابو سلمة احد الاعلام قال ابن معين اذا رأيت من يقع فيه فاتهمه على الاسلام وقد تقدم عليه الكلام (ومسح على رأس عمير بن سعد) بضم عين وفتح ميم وفي نسخة عمر بن سعد كلاهما صحابي قال الحلبي وما اعرف من جرت له القصة منهما قلت ولا يبعد ثبوت القضية عنهما ففي كل نسخة اشارة الى احدهما لما روى الزبير بن بكار في اخبار المدينة عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد انه قال لعمير ولا لعمر فتدبر (وبرك) اي دعا بالبركة (فمات وهو ابن ثمانين سنة فما شاب) اي رأسه خصوصا او شعره عموما والله تعالى اعلم (وروى مثل هذه القصص) اي الروايات المتضمنة للحكايات الدالة على عموم البركات (عن غير واحد) اي عن كثيرين من الصحابة (منهم السائب بن يزيد) وقد سبق ذكره (ومدلوك) وهو ابن سفيان الفزاري مولاهم اسلم مع مواليه علق البخاري حديثه وقيل هو مولى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وذكره ابن حبان في ثقاته فقال مدلوك ابو سفيان كان يسكن الشام اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاسلم ودعا له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومسح رأسه فكان رأس ابي سفيان ما مسه من يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اسود وسائر رأسه ابيض (وكان يوجد لعتبة بن فرقد) اي ابن يربوع السلمي له صحبة ولي الموصل لعمر وكان شريفا وشهد خيبر وابتنى بالموصل دارا ومسجدا واما ابنه عمرو ففي الاولياء ذكره الذهبي (طيب يغلب طيب نسائه) اي رائحة وفائحة (لان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مسح بيده على بطنه وظهره) رواه البيهقي والطبراني (وسلت الدم) اي مسحه واماطه (عن وجه عائذ) بالذال المعجمة بعد الهمزة (ابن عمرو) اي ابن هلال ابو هبيرة المزني بايع تحت الشجرة وكان من الصالحين (وكان) اي وقد كان (جرح يوم حنين) وفي نسخة يوم احد (ودعا له فكانت) اي بعده كما في نسخة اي بعد سلته من موضعه (له غرة) اي بياض في وجهه من غير سوء (كغرة الفرس) وفي اصل الدلجي ولا كغرة الفرس اي بل اعلى منها رواه الطبراني (ومسح على رأس قيس بن زيد الجذامي) بضم الجيم له وفادة (ودعا له) اي بالبركة (فهلك) اي مات (وهو ابن مائة سنة ورأسه ابيض وموضع كف النبي) وفي نسخة كف رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم وما مرت يده عليه من شعره) اي بقية شعر رأسه (اسود فكان) اي قيس بسبب تلك الغرة في جبهته (يدعى الاغر) اي تشبيها لما في وجهه من البياض بغرة الفرس ذكره ابن الكلبي (وروى مثل هذه الحكاية) اي من مسح الرأس وظهور اثر المسح كما رواه البيهقي (لعمرو ابن ثعلبة الجهني) قال الحلبي هذا الآخر لا اعرفه وقال الدلجي لعله خزيمة بن سواد بن الحارث اذ قد روى ابن سعد عن وجه السعدي انه صلى الله تعالى عليه وسلم مسح وجهه فصارت له غرة بيضاء (ومسح وجه قتادة بن ملحان) بكسر الميم وسكون اللام قال الحلبي مسح رأسه ووجهه واول غابر مسحه كان على وجهه واذا اقتصر عليه (فكان لوجهه بريق) اي لمعان عظيم (حتى كان ينظر في وجهه) بصيغة المجهول (كما ينظر في المرآة) بكسر الميم والهمزة الممدودة رواه احمد والبيهقي (ووضع يده على رأس حنظلة بن حذيم) بكسر حاء مهملة وسكون ذال معجمة ففتح تحتية وفي نسخة بالجيم مصغرا وهو تصحيف وضبطه التلمساني بخاء معجمة مضمومة وراء مفتوحة وتحتانية من اسفل ساكنة قال وروى مثل ما قدمناه واخترناه قال وكذا ذكره ابو عمر وهو الذي روى حديث لا يتم بعد احتلام قال الذهبي حديثه في مسند احمد ولابيه صحبة وذكر في التجريد حنيفة والد حذيم انهما صحبة ولابنه حنظلة قيل ولابنه ايضا لكن قال موسى بن عقبة فيما نقله عنه ابن الجوزي وغيره ما نعلم اربعة ادركوا رسول الله صلى الله تعالى

عليه وسلم الا هؤلاء يعنى اباقحافة وابنه ابابكر وابنه عبد الرحمن وابنه محمد ويكنى اباعتيق قال الحلبى ومحمد ابو عتيق الصحيح انه تابعى ولو قال موسى بن عقبة عبد الله بن الزبير وامه اسماء وابوها ابو بكر وابو قحافة لكان صوابا فان هؤلاء لاخلاف فى صحبتهم (وبرك عليه) اى دعا له بالبركة (فكان حنظلة يؤتى بالرجل) اللام للعهد الذهنى فهو فى حكم النكرة اى برجل من الرجال (قد ورم وجهه) بكسر الراء اى تورم وانتفخ (والشاة) اى وبالشاة (قد ورم ضرعها) بفتح اوله اى ثديها (فيوضع) وفى نسخة فيضع اى محل الورم منها (على موضع كف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى من رأسه (فيذهب الورم) اى من وجه الرجل وضرع الشاة رواه البيهقى وغيره (ونضح) بالحاء المهملة وقيل بالمعجمة وقيل بمهملة ان اعتمد وبمعجم ان لم تعتمد اى رش (فى وجه زينب) اى ربيبته بنت ام سلمة (نضحة من ماء فما يعرف كان) وفى نسخة فما كان يعرف (فى وجه امرأة من الجمال مابها) اى مثل ماكان بوجهها من الكمال رواه ابن عبد البر فى استيعابه وروى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين ابتنى بام سلمة دخل عليها يتها فى ظلمة فوطئ على زينب فبكت فلما كان من الليلة الاخرى دخل فى ظلمة فقال انظروا ربائبكم لئلا اطأ عليها اوقال اخروا حكاه السهيلى هكذا ومن قصتها ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يغتسل فدخلت عليه فنضح فى وجهها بالماء فلم يزل ماء الشباب فى وجهها حتى كبرت وتوفيت يوم مات معاوية (ومسح على رأس صبى به عاهة) اى آفة من قرع ونحوه (فبرأ) اى زال مابه (واستوى شعره) اى على حاله بل احسن منه فى مآله وهذا الحديث لايعرف من رواه بهذا اللفظ الا ان ابانعيم روى عن الاوزاعى انه انطلق الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بابن له مجنون فمسح وجهه ودعا له فلم يكن فى الوقت احد بعد دعوته له اعقل منه اى ببركة دعائه وكان القياس ان يقال ولا احسن منه ببركة مسح وجهه هذا وزيد فى نسخة هنا وروى مثله فى خبر المهلب بن قبالة بفتح القاف والباء الموحدة المخففة وباللام وروى هلب بن قنافة بضم الهاء وسكون اللام وآخره موحدة وقنافة بضم القاف وفتح النون مخففة وبالفاء كذا ذكره ابو عمرو قيل وهو الصواب ولعلهما قصتان لرجلين وقال الطبرى هو المهلب بن يزيد بن عدى بن قنافة الطائى وفد على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو اقرع فمسح على رأسه فنبت شعره فسمى المهلب (وعلى غير واحد) اى ومسح على كثيرين (من الصبيان المرضى والمجانين) عطف على الصبيان (فبرؤا) بفتح الراء وتكسر اى فعوفوا من مرضهم وجنونهم (واتاه رجل به ادرة) بضم همزة وتفتح وسكون دال وبفتحتين اى نفخة فى خصيته (فامره ان ينضحها) بفتح الياء وكسر الضاد المعجمة اى يرشها (بماء من عين) اى عين ماء وفى نسخة من غس بفتح غين معجمة وتشديد سين مهملة (ومج) اى صب من فيه (فيها) اى فى تلك العين وفى نسخة فيه اى فى الماء اوفى ذلك المكان (ففعل) اى النضح (فبرأ) قال الدلجى لااعلم من رواه (وعن طاوس) يكتب بواو ويقرأ بواوين كداود والهمزة غلط فيهما وهو ابن كيسان اليمانى من ابناء الفرس وقيل اسمه ذكوان فلقب به لانه كان طاوس القراء كما قاله ابن معين روى عن ابى هريرة وابن عباس وعائشة وخلق وعنه الزهرى وسليمان التيمى وابنه عبد الله بن طاوس وجمع وهو رأس فى العلم والعمل توفى بمكة سنة ست اوخمس ومائة اخرج له الائمة الستة (لم يؤت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ماجئ (باحد به مس) اى جنون اوآفة (فصك) بتشديد الكاف اى ضرب (فى صدره الاذهب) اى مابه من المس (والمس الجنون) لانه يحصل بسببه كذا وقفه المصنف على طاوس ولم يعلم من رواه عنه من المخرجين (ومج) بتشديد الجيم اى صب من فمه (فى دلو) اى فيه ماء (من بئر) وسبق فى رواية القاضى من بئر زمزم (ثم صب) بفتح الصاد ويضم اى كب الدلو يعنى ماءه (فيها) فى تلك البئر (ففاح) اى سطع وانتشر (منها ريح المسك) اى مثل ريحه تشبيها بليغا والمشبه به لانه اعلى انواع الرائحة وان كان رائحة ماجه اتم اصناف الفائحة لان مصدرها الخاتمة والفاتحة رواه احمد عن وائل بن حجر وفى شرح التلمسانى فم اطيب من المسك هكذا رواه وصوابه فصار اطيب اوفعاد اطيب ويجوز ان يكون معناه فصار المج اطيب من المسك (واخذ قبضة من تراب) بضم القاف وتفتح اى مقبوضة منه (يوم حنين) وفى نسخه يوم بدر وهو اصل التلمسانى قال وروى حنين بحاء مهملة والكل صحيح والمعنى حين وقع من بعضهم الفرار ومن باقيهم القرار (ورمى بها فى وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه) اى قبحت مأخوذة من الشوهة وهو القبح واول من تكلم به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذكره التلمسانى (فانصرفوا يمسحون القذى) بقاف مفتوحة وذال معجمة والف مقصورة جمع قذاة وهى مايقع فى العين وغيرها من تراب وتبنة ونحوها اى يميطونها ويزيلونها (عن اعينهم) رواه مسلم عن سلمة بن الاكوع (وشكا اليه ابو هريرة النسيان) اى نسيان مايسمعه من الحديث والقرآن (فامره ببسط ثوبه) اى بفتحه ونشره لديه (وغرف) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (بيده فيه) اى تشبيها بمن اخذ شيئا والقاه فى ثوبه (ثم امره بضمه) اى بجمع ثوبه الى صدره (ففعل فما نسى شيئا) اى من امر فى عمره

رواه الشيخان (وما روى عنه فى هذا كثير) اى ما روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا المعنى وهو الدعاء لاذهاب النسيان كثير طرقه ولا سيما باب يكون المعنى وما روى عن ابى هريرة لاجل هذا كثير مع ان زمن صحبته يسير وهو اربع سنين (وضرب فى صدر جرير بن عبد الله) اى البجلى (ودعا له) اى بالثبات ظاهرا وباطنا ولذا خص الضرب بصدره لانه محل الرهبة والجزع (وكان) اى جرير (ذكر له) اوكان صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر له (انه لا يثبت على الخيل) اى حال جريها (فصار من فرسان العرب) بضم الفاء اى شجعانهم وفى نسخة من افرس العرب (واثبتهم) اى على الخيل من ركابهم كذا فى الصحيحين (ومسح رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب) اى ابن اخى عمر بن الخطاب (وهو صغير) جملة حالية من عبد الرحمن لا من زيد كما وهم الدلجى (وكان دميما) بدال مهملة اى قبيحا وذميما لكونه هزيلا قصيرا والدمامة بالمهملة فى الخلق وبالمعجمة فى الخلق بالضم وعلى هذا ينشد

﴿ كضرائر الحسناء قلن لوجهها ٭ حسدا وبغضا انه لدميم ﴾

(فدعا له بالبركة ففرع) بفاء وراء مفتوحتين فمهملة اى طال وعلا وغلب (الرجال) وفى نسخة الناس (طولا وتماما) رواه الزبير بن بكار عن ابراهيم بن محمد بن عبد العزيز الزبيرى عن ابيه

﴿ فصل ﴾

(ومن ذلك) اى من قبيل هذا النوع المكنون (ما اطلع عليه) بضم همز وسكون مهملة وفى نسخة بتشديدها مضمومة اى ما الهم اليه (من الغيوب) اى الامور المغيبة فى الحال (وما يكون) اى سيكون فى الاستقبال (والاحاديث فى هذا الباب) اى فى هذا النوع من انواع الكتاب (بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره) بصيغة المفعول فيهما ويجوز فتح الياء وكسر الزاى والغمر بفتح المعجمة الماء الكثير فى البحر الكبير اى لا يحاط غايته ولا يفنى نهايته (وهذه الجملة) اى الآتية وفى نسخة وهذه المعجزة (من جملة معجزاته المعلومة على القطع) اى على الوجه القطعى والطريق اليقينى (الواصل الينا خبرها على التواتر) اى لدينا (لكثرة رواتها) اى مع اختلاف مبانيها (واتفاق معانيها الدال على الاطلاع على الغيب) اى على اطلاعه صلى الله تعالى عليه وسلم على بعض المغيبات عنا (حدثنا الامام ابو بكر محمد بن الوليد الفهرى) بكسر الفاء المعروف بالطرطوشى (اجازة وقراءة) وفى نسخة وقراءته (على غيره) اى رواية (قال ابو بكر) احترازا عن غيره (ثنا ابو على التسترى) بضم التاء الاولى وفتح الثانية بينهما سين مهملة لا معجمة كما فى لسان العامة وهو احد رواة سنن ابى داود (ثنا ابو عمر الهاشمى ثنا اللؤلؤى) بهمزتين وقد تبدل الاولى راوى سنن ابى داود (ثنا ابو داود) وهو حافظ العصر صاحب السنن وانما اسند المصنف هنا من حديث ابى داود عن حذيفة ورواه عنه مع رواية الشيخين لما فى روايته من طريق آخر من الزيادة كما سيأتى (ثنا عثمان بن ابى شيبة) روى عنه الشيخان وغيرهما (ثنا جرير) بفتح الجيم وكسر الراء روى عنه احمد واسحق وابن معين وجماعة وله مصنفات (عن الاعمش) وهو سليمان بن مهران (عن ابى وائل) هو شقيق بن سلمة الاسدى الكوفى مخضرمى ادرك الجاهلية والاسلام لكن لم ير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكان من العلماء العاملين (عن حذيفة) اى ابن اليمان (قال قام فينا) اى خطيبا او واعظا او معناه خطيبا (مقاما) بفتح الميم فى مكان او قياما (فما ترك) وفى نسخة ما ترك (شيئا) اى مهما (يكون) اى يحدث من العدم (فى مقامه ذلك) ظرف لما ترك (الى قيام الساعة متعلق بيكون الا حدثه) وفى نسخة حدث به اى حدث بوجوده (حفظه) اى ما ذكره (من حفظه) اى جميعه (ونسيه من نسيه) اى بعضه او كله (قد علمه) اى عرف هذا الخبر (اصحابى هؤلاء) اى من الصحابة الحاضرين او الموجودين قال الدلجى لم ار هذه الزيادة من مختصرا رواية ابى داود اى لفظه وقد علمه اصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم (وانه) اى الشان (ليكون منه) اى ليحدث ويقع فيما اخبرنا به (الشئ) اى الذى قد نسيته فاراه موجودا فى الاعيان (فاعرفه) اى انه ما اخبرنا به (واذكره) اى اتذكره بعد ما نسيته (كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه) اى كما اذا غاب وجه الرجل عن الرجل فينساه (ثم اذا رآه عرفه) اى بعد نسيانه اياه قال الدلجى الى هنا رواية الشيخين وزاد ابو داود بسند آخر من طريق قبيصة بن ذؤيب عن ابيه عن حذيفة وان كان صيغة هنا يقتضى اتصاله به (ثم قال) اى حذيفة كما فى اكثر النسخ (ما ادرى انسى اصحابى) اى حقيقة (ام تناسوه) اى تكلفوا نسيانه لقلة اهتمامهم به لعنايتهم بما هو اهم منه ولما اراد الله من اختصاص كل منهم ببعض ما استفادوا منه (والله ما ترك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قائد فتنة) اى آمرها سابقها الى الضلالة ويجرها الى الجماعة بالطرق الباطلة او يحدث بدعة كعلماء المبتدعة من الخوارج والروافض والمعتزلة يحدث من زمانه صلى الله تعالى عليه وسلم (الى ان تنقضى الدنيا يبلغ من معه) اى مع قائد الفتنة (ثلثمائة فصاعدا) اى فاكثر والجملة فى موقع قائد (الا قد سماه) اى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك القائد (لنا) اى لاجلنا (باسمه واسم ابيه وقبيلته) حتى التى

تؤويه (وقال ابوذر) اى على مارواه احمد والطبرانى بسند صحيح وابو على وابن منيع عن ابى الدرداء رضى الله عنه انه قال (لقد تركنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى مات عنا (وما يحرك طائر جناحيه فى السماء الا ذكرنا) بتشديد الكاف اى افهمنا (منه) من ذلك الطائر او تحريكه (علما) اى حكما اجماليا اوتفصيليا (وقد خرج اهل الصحيح) اى من التزم صحة مارواه كالشيخين وابن حبان وابن خزيمة والحاكم فى كتبهم المعروفة (والائمة) كمالك واحمد وبقية اصحاب الكتب الستة وغيرهم ممن لم يلتزموا فى كتبهم الصحة (ما اعلم به) مفعول خرج اى مااخبر به (اصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم مما وعدهم به من الظهور) اى الغلبة (على اعدائه) وفى نسخة على اعدائهم (وفتح مكة) تخصيص بعد تعميم وهذا مما رواه الشيخان وغيرهما (وبيت المقدس) كما رواه البخارى عن عوف بن مالك (واليمن والشام والعراق) كما فى الصحيحين عن سفيان بن زهير (وظهور الامن حتى تظعن) بسكون المعجمة وفتح المهملة اى ترحل (المرأة من الحيرة) بمهملة مكسورة مدينة بقرب الكوفة واخرى عند نيسابور (الى مكة لا تخاف الا الله) على مارواه البخارى عن عدى بن ابى حاتم (وان المدينة) اى السكينة (ستغزى) بالغين والزاى على بناء المفعول وهو من الغزو اى ستحارب وتقاتل وفى رواية بمهملتين قال الحافظ المزى الرواية فى الحديث بالعين المهملة والراء يعنى من العرى اى تصير عراء والمعنى ستخرب ليس فيها احد فقد رواه الشيخان عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه بلفظ يتركون المدينة على خير ما كانت لا يغشاها الا العوافى وهذا لم يقع بعد كما اختاره النووى وغيره وانما يقع قرب الساعة وقال التلمسانى وقع هذا فى زمن يزيد بن معاوية ندب عسكرا من الشام الى المدينة فنهبها والوقعة معروفة بالحرة وهى ارض بظاهر المدينة ذات حجارات سود وقتل فيها كثير من ابناء المهاجرين والانصار وكانت فى ذى الحجة سنة ثلاث وستين وعقيبها هلك يزيد (وتفتح خيبر على يدى على فى غد يومه) كما رواه الشيخان عن سهل بن سعد بلفظ لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فدعا عليا وكان ارمد فبصق فى عينيه فبرأ وفتح الله على يديه (وما يفتح الله على امته من الدنيا ويؤتون من زهرتها) اى يعطون من بهجتها من كثرة المال وسعة الجاه كما رواه الشيخان من طرق (وقسمتهم) اى ومن تقسيمهم فيما بينهم (كنوز كسرى) بكسر الكاف وتفتح اى ملك فارس (وقيصر) اى وكنوزه وهو ملك الروم كما فى الصحيحين من طرق عن ابى هريرة وغيره (وما يحدث بينهم) اى بين امته (من الفتن) بكسر ففتح جمع فتنة وفى نسخة الفتون بالضم مصدر فتن بمعنى الافتتان (والاختلاف والاهواء) على مارواه الشيخان من طرق ولعل المراد بالاختلاف ظهور التنافس فى الملك واختلاف امر الامراء وبالاهواء ظهور المعتزلة والغلاة من اهل البدعة (وسلوك سبيل من قبلهم) اى وسلوكهم على نهج من تقدمهم من الامم فقد رواه الشيخان عن ابى سعيد بلفظ لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم فسئل اليهود والنصارى قال فمن (وافتراقهم) اى اختلافهم (على ثلاث وسبعين فرقة) اى طائفة كما رواه احمد وابو داود والترمذى والحاكم عن ابى هريرة قيل واصولهم ثمانية معتزلة عشرون فرقة وشيعة اثنان وعشرون فرقة وخوارج على سبع فرق ومرجئة على خمس فرق ونجارية ثلاث فرق وجبرية محضة فرقة واحدة ومشبهة فرقة واحدة وطرفهم مختلفة (الناجية منها) اى من تلك الفرق (واحدة) اى فرقة واحدة كما فى نسخة صحيحة وهم الذين قال فيهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم هم الذين على ما انا عليه واصحابى وهم اهل السنة والجماعة من الفقهاء كالائمة الاربعة والمحدثين والمتكلمين من الاشاعرة والماتريدية لخلو مذاهبهم من البدعة (وانه) اى الشان وفى نسخة وانها اى القصة وفى نسخة صحيحة وانهم (سيكون لهم) اى لامته (انماط) بفتح الهمزة جمع نمط وهو ضرب فراش ويغشى عليه الهودج ايضا وهذا فى الصحيحين عن جابر وفى الترمذى عن على (ويغدو) اى يصبح اويمر (احدهم فى حلة ويروح) اى يمسى اويرجع (فى اخرى ويوضع بين يديه صحفة) اى اناء كالقصعة المبسوطة (وترفع) اى من بين يديه (اخرى) اى صحفة اخرى (ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة) وفيه ايماء الى ان الدنيا تبسط عليهم بالسعة (ثم قال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مخاطبا لاصحابه الكرام (آخر الحديث) اى فى آخر الكلام (وانتم اليوم خير منكم يومئذ) بالواو العاطفة ردا لقولهم نحن يومئذ خير منا اليوم ظنا منهم انهم يصرفون الدنيا فى طرق العقبى فالمعنى ليس الامر كما تظنون بل وانتم اليوم خير لان ماقل وكفى خير مما كثر والهى وفيه تنبيه على ان الفقير الصابر افضل من الغنى الشاكر (وانهم اذا مشوا المطيطاء) بضم الميم وفتح الطائين بينهما ياء ساكنة والكلمة ممدودة وتقصر وهى مشية فيها مد اليدين والتبختر والخيلاء ومنه قوله تعالى ثم ذهب الى اهله يتمطى وفى نسخة المطيطيا بزيادة ياء بعد طاء مكسورة اومفتوحة (وخدمتهم بنات فارس والروم) اى بسببهم لهن (رد الله بأسهم) اى شدة عداوتهم بكثرة محاربتهم (بينهم) اى لطغيانهم بكثرة المال وسعة الجاه والاقبال (وسلط) اى

الله (شرارهم على خيارهم) لان الغالب غلبة اهل الشر في الشوكة والدولة الدنيوية والحديث رواه الترمذي عن ابن عمر كما قاله الدلجي واما ماذكره الحلبي من ان الحديث رواه الذهبي في ميزانه من ترجمة محمد بن خليل الحنفي الكرماني ولقبه وروى عن ابن المبارك عن ابن سوقة عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فذكر الحديث ثم قال لا يصح فلا يعارض ما تقدم فان عدم صحته محمول على رواته مع انه لا يلزم من عدم الصحة نفي الثبوت بطريق الحسن وهو كاف في الحجة هذا وقد ثبت انهم بعد ان فتحوا بلاد فارس والروم وغنموا اموالهم وسبوا ذراريهم واستخدموهم سلط الله على عثمان شرارا فقتلوه وعلى علي جماعة حتى قتله اشقاهم وهلم جرا الى ان قتل زياد بامر يزيد وشرارا من اعوانهم الحسين واصحابه خيار زمانهم وقد سلط بنوا امية سبعين سنة على بني هاشم ففعلوا مافعلوا (وقتالهم الترك) كما في الصحيحين بلفظ لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اقواما نعالهم الشعر وحتى تقاتلوا الترك صغار الاعين حمر الوجوه ذلف الانوف كأن وجوههم المجان المطرقة والظاهر ان المراد بهم التتار واول الفتنة متأخرة او وقعت وليس لتأنيها معرفة (والخزر) اي وقتالهم الخزر بضم معجمة وسكون زاي فراء طائفة من الترك جمع اخزر والخزر بفتحتين ضيق العين وصغرها وكذا ضبط الاصل ايضا في كثير من النسخ واقتصر عليه الشمني وفي حديث حذيفة كأني بهم جنس الانوف خزر العيون فالعطف تفسيري (والروم) وهم طائفة معروفة وقد سبق في الصحيح قتالهم مع قيصر فلا وجه لقول الدلجي لا ادري من روى حديث الطائفتين (وذهاب كسرى) اي ذهاب ملكه بذهابه (وفارس) اي وذهاب قومه اي من ارض العراق وغيره (حتى لا كسرى ولا فارس بعده وذهاب قيصر) اي ملك الروم من الشام ونحوه (حتى لا قيصر بعده) رواه الشيخان بدون فارس وذكر الحارث عن ابن محيريز من قوله فارس نطحة او نطحتان ثم لا فارس بعد هذا ابدا وقد وقع ما اخبر به من زوال ملكهما من اقليميهما فلم يبق من كسرى وقومه طارقة عين بدعوته صلى الله تعالى عليه وسلم ان يمزق كل ممزق وقيصر اعني به هرقل قد انهزم من الشام في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه الى اقصى بلاده فافتتح المسلمون بلادهما فلله الحمد والمنة واخذ السهيلي من هذا ان لا ولاية للروم على الشام الى يوم القيامة انتهى واراد بالروم كفارهم من الفرنج والنصارى ثم قيل التقدير ولا مثل كسرى ولا مثل قيصر لانه علم ولا تدخل عليه لا الا اذا كان اول بالنكرة (وذكر) اي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الروم ذات قرون) اي كلما هلك قرن خلفه قرن الى آخر الدهر قال الفارسي معناه ان هلاك رئيس منهم يليه خلفه آخر ولبثوا كالفرس لانهم مزقوا وقد ورد في هذا المعنى حديث وكأنه تفسير لهذا قال عليه السلام فارس نطحة او نطحتان ثم لا فارس بعد هذا ابدا والروم ذات قرون كلما هلك قرن خلف مكانه قرن اهل صخر وبحر هيهات آخر الدهر انتهى (وبذهاب الامثل فالامثل) اي الافضل فالافضل (من الناس) اي من الصحابة والتابعين واتباعهم ومن بعدهم والفاء مؤذنة بترتيب التفاضل فابتدا الامثلية للاول ثم للثاني وهكذا حتى تبقى حثالة لا يبالهم الله بالة (وتقارب الزمان) كما في حديث الترمذي لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فيكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة اي العرفية والساعة كالضرمة بالنار والمراد به آخر الزمان واقتراب الساعة لان الشيء اذا قل وقصر تقارب اطرافه والظاهر انه اريد به زمن عيسى فانه لكثرة الخيرات تستقصر الاوقات الاستلذاذ بالمسرات اوزمن الدجال فانه لكثرة اهتمام الناس بما دهمهم من همومهم لا يدرون كيف تنقضي ايامهم اواريد به تسارع الازمنة فيتقارب زمانهم في المحنة او المحنة اواريد به قلة البركة في اعمالهم مع كثرة الحركة في احوالهم (وقبض العلم) اي بقبض العلماء لحديث ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا كما رواه احمد والشيخان والترمذي وابن ماجه عن ابي هريرة (وظهور الفتن والهرج) بفتح الهاء وسكون الراء فجيم قيل انه حبشية ففي الصحيحين من حديث ابي هريرة يتقارب الزمان ويقبض العلم وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الهرج قالوا وما الهرج قال القتل القتل (وقال) اي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما في حديث الشيخين عن ام المؤمنين زينب (ويل) اي هلاك عظيم (للعرب من شر قد اقترب) ولعل المراد به فتنة عثمان في محنة المحاصرة وفتنة علي مع معاوية وفتنة الحسين مع يزيد وهلم جرا من المزيد ويفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد (وانه) اي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (زويت له الارض) اي جمعت وضمت (فارى) بصيغة المفعول وفي نسخة فرأى (مشارقها ومغاربها) ولفظ مسلم عن ثوبان ان الله زوى لي الارض فرأيت مشارقها ومغاربها اي جمعها لي وطواها بتقريب بعيدها الى قريبها حتى اطلعت على ما فيها جميعها (وسيبلغ ملك امته ما زوي له منها) وهذه الجملة من تتمة حديث مسلم عن ثوبان ولفظه وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها والمعنى زويت لي جملة الارض مرة

واحدة وستفتحها امتى جزءا فجزءا حتى تملك جميع اجزائها (ولذلك) اى ولاجل تقييده لها بمشارقها ومغاربها (كان امتدت) بتشديد الدال اى انبثت امته وانتشرت ملته وفى نسخة وكذلك كأن بكاف التشبيه والمعنى وكذا وقع ثم استأنف للبيان امتدت (فى المشارق والمغارب مابين ارض الهند) بدل او بيان للمشارق والمغارب (اقصى المشرق) بيان لارض الهند اوبدل منه (الى بحر طنجة) بفتح طاء وسكون نون وفتح جيم بلدة عظيمة بساحل بحر المغرب (حيث لاعمارة) بكسر اوله (وراءه) اى فيما وراء ذلك المكان (وذلك) اى ما ملكته امته (مالم تملكه امة من الامم ولم يمتد فى الجنوب) بفتح الجيم اى فى الجهة الغربية اذا توجهت للقبلة وهوريح تخالف الشمال تهب من مطلع سهيل الى مطلع الثريا (ولا فى الشمال) بكسر اوله وهو الجهة الشرقية اذا توجهت للقبلة (مثل ذلك) اى مثل امتداد جهتى المشرق والمغرب ولعل فى اتيانهما بلفظ الجمع ايماء الى ما هنالك وكذلك الى ظهور كثرة العلماء منهما بالنسبة الى غيرهما وان علماء المشرق اكثر واظهر من علماء المغرب فتدبر (وقوله) اى كما رواه مسلم عن سعد بن ابى وقاص مرفوعا (لايزال اهل الغرب ظاهرين على الحق) اى على طريق الحق ومنهج الصدق وسبيل الطاعة من الجهاد وتعليم العلوم للعباد (حتى تقوم الساعة) اى الى قرب القيامة (ذهب ابن المدينى) هو الامام ابو الحسن على بن عبد الله المدينى الحافظ روى عن ابيه وحماد بن زيد وخلق وعنه البخارى وابو داود والبغوى وابو يعلى قال شيخه عبد الرحمن ابن مهدى بن على ابن المدينى اعلم الناس بحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وخاصة بحديث ابن عيينة تلوموننى على حب على بن المدينى والله لاتعلم منه اكثر مما يتعلم منى وكذا قال يحيى بن القطان فيه وقال البخارى مااستصغرت نفسى الابين يدى على قال النسائى كان الله خلقه لهذا الشان توفى بسامرى هذا والمدينى نسبة الى المدينة المشرفة قاله ابن الاثير وقال ان اصل ابن المدينى منها ثم انتقل الى البصرة وقال ان الاكثر فيمن ينسب الى المدينة مدنى ثم قال واما المدينى فنسبة الى اماكن وساق سبعة واما الجوهرى فقال المدنى نسبة الى مدينة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم واما المدينى فنسبة الى المدينة التى بناها المنصور هذا وهو بفتح الميم وكسر الدال وسكون الياء لا بصيغة التصغير كما توهمه بعض معاصرينا من العلماء (الى انهم) اى اهل الغرب (العرب لانهم المختصون بالسقى بالغرب) بغين معجمة فسكون راء (وهى الدلو) اى العظيمة وفى نسخة وهو الدلو (وغيره) اى غير ابن المدينى (يذهب الى انهم اهل المغرب وقد ورد المغرب) اى بدل الغرب فارتفعت الشبهة فى مبناه (كذا فى الحديث بمعناه) لكن فيه انه لايعلم من رواه نعم يروى عن مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكون بالمغرب مدينة يقال لها فاس اقوم اهل المغرب قبلة واكثرهم صلاة وهم على الحق مستمسكون لايضرهم من خالفهم يدفع الله عنهم مايكرهون الى يوم القيامة (وفى حديث آخر من رواية ابى امامة) كما رواه احمد والطبرانى عنه مرفوعا (لايزال طائفة من امتى) اى امة الاجابة (ظاهرين على الحق) اى مستعلين عليه غير مختفين لديه (قاهرين لعدوهم) اى غالبين عليهم من قهره غلبه واللام للتقوية (حتى يأتيهم امر الله) اى بفنائهم اوخفائهم (وهم كذلك) اى لابثون على ماهنالك (قيل يارسول الله واين هم قال بيت المقدس) بفتح الميم وكسر الدال وضبط بضم الميم وفتح الدال المشددة ولعل مثل هذا الحديث حمل ابن المدينى على تأويل ماتقدم وقال غيره المراد باهل الغرب اهل الشام لانه غرب الحجاز بدلالة رواية وهم بالشام لكن لامنع من الجمع بان يوجد فى كل منهما جمع يقومون بامر الحق من اظهار العلم وافشاء شعار الدين والاجتهاد فى باب الجهاد مع الكفار والملحدين ويؤيده مارواه مسلم عن جابر بن سمرة مرفوعا لن يبرح هذا الدين قائما يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة (واخبر) اى النبى عليه الصلاة والسلام (بملك بنى امية) فيما رواه الترمذى والحاكم عن الحسن بن على ورواه البيهقى عن سعيد بن المسيب مرسلا وفى سنده على ابن زيد بن جدعان وهو ضعيف وعن ابى هريرة وفى سنده الزنجى وهو غير معروف ذاتا وحالا والمراد ببنى امية بنو مروان بن الحكم بن ابى العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف واول خلفائهم وافضلهم عثمان بن عفان ثم معاوية بن ابى سفيان وهو اول الملوك بقى تسع عشرة سنة وثلاثة اشهر ثم ابنه يزيد ثلاث سنين واشهر ثم معاوية ابن يزيد ومات بعد اربعين يوما ثم مروان بن الحكم ومات بعد سبعة اشهر ثم عبد الملك بن مروان ومات فى شوال سنة ست وثمانين ثم بويع ابنه الوليد وكان مدته تسع سنين ثم بويع اخوه سليمان بن عبد الملك وكانت ولايته سنتين ثم بويع عمر بن عبد العزيز بن مروان وولايته سنتان ثم بويع هشام بن عبد الملك بن مروان ومات سنة خمس وعشرين ومائة ثم بويع الوليد بن يزيد بن عبد الملك فقتل سنة ست وعشرين ومائة ثم بويع يزيد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المسمى بالناقص وكانت ولايته خمسة اشهر ثم بويع ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك فخلع نفسه ومدته سبعون يوما ثم بويع مروان بن محمد مروان بن الحكم سنة سبع وعشرين ومائة وقيل سنة اثنتين وثلاثين ومائة وهو آخرهم

وجميعهم اربعة عشر ماعدا عثمان رضي الله تعالى عنه (وولاية معاوية) اى ابن ابى سفيان وهو منهم لكن خص لانه متميز عنهم باشياء منها قوله (ووصاه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيما رواه البيهقى عنه بلفظ ما حملنى على الخلافة الا قول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لى يا معاوية ان ملكت وفى رواية اذا وليت فاحسن وضعفه البيهقى ثم قال فى ان له شواهد منها حديث سعيد بن العاص ان معاوية اخذ الاداوة فتبع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له يا معاوية ان وليت امرا فاتق الله واعدل ومنها حديث راشد بن سعد عنه سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لك ان اتبعت عورات الناس افسدتهم او كدت ان تفسدهم تقول ابو الدرداء كلمة سمعها معاوية منه صلى الله تعالى عليه وسلم فنفعه الله بها (واتخاذ بنى امية مال الله) بينهم (دولا) بضم ففتح جمع دولة بضم فسكون وقد يفتح اوله اى متداولة ومتناوبة فيها من غير استحقاق لها والحديث رواه الترمذى والحاكم عن الحسن ابن على ورواه البيهقى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه بلفظ اذا بلغ بنو ابى العاص اربعين رجلا اتخذوا دين الله دغلا وعباد الله خولا ومال الله دولا وعن ابى سعيد الخدرى اذا بلغوا ثلاثين الحديث (وخروج ولد العباس) اى ابن عبد المطلب وفى نسخة وخروج بنى العباس اى ظهورهم وغلبة امورهم (بالرايات السود) اى الاعلام الملونة بالسواد تفاؤلا بغلبتهم على العباد (وملكهم) بضم الميم اى بملكهم (اصناف ما ملكوا) اى ملك غيرهم من ملوك البلاد وقد رواه احمد والبيهقى باسانيد ضعيفة انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال تظهر الرايات السود لبنى العباس حتى ينزلوا بالشام ويقتل الله على ايديهم كل جبار وعدو لهم فى اسناده عبد القدوس وهو ضعيف وفى روايات تخرج الرايات السود من خراسان لا يردها شئ حتى تنصب بايليا وهى بيت المقدس وفى اسناده رشدين بن سعيد وهو ضعيف واما اولاده الخلفاء واحفادهم الامراء فاولهم ابو العباس السفاح بويع سنة اثنين وثلاثين ومائة ثم ابو جعفر المنصور ثم المهدى بن المنصور ثم الهادى ثم موسى بن الهادى ثم الرشيد ابو جعفر هارون بن المهدى ومات بطوس ثم الامين محمد بن الرشيد وقتل ثم المأمون بن الرشيد ثم المعتصم بالله وهو محمد بن هارون ثم الواثق واسمه هارون ابو جعفر ثم المتوكل ابو الفضل جعفر بن محمد المعتصم ثم المنتصر ابو جعفر محمد بن المتوكل ثم المستعين بالله احمد ابن محمد بن المعتصم وخلع نفسه ثم المعتز بالله بن المتوكل على الله ثم المهدى بالله ابو عبد الله بن الواثق ثم المعتمد ابو العباس بن المتوكل ثم المعتضد احمد بن احمد الواثق بن المتوكل ثم المكتفى على بن المعتضد ثم المقتدر جعفر بن المعتضد ثم القاهر محمد بن المعتضد وخلع نفسه عام اثنين وعشرين وثلاثمائة وقد ارتكب امورا قبيحة لم يسمع مثلها فى الاسلام قال بعضهم صليت فى جامع المنصور ببغداد فاذا انا بانسان عليه جبة عتابية قد ذهب وجهها وبقيت بطانتها وبعض قطن فيها وهو يقول ايها الناس تصدقوا على فانى كنت بالامس اميرا وصرت اليوم فقيرا فسألت عنه فقيل لى انه القاهر بالله وكانت له حربة يأخذها بيده فلا يضعها حتى يقتل انسانا ثم الراضى محمد بن جعفر ثم المتقى بعد اخيه وهو ابو اسحق ابراهيم بن المقتدر بالله ثم الفضل وهو المطيع لله بن المقتدر بالله وخلع نفسه ثم الطائع عبد الكريم ابن الفضل بن المطيع القادر ثم القادر بالله ثم ولده القائم بامر الله ثم ابنه المقتدى بامر الله ثم ابنه المستظهر بالله ثم ابنه المسترشد بالله ثم ابنه المستكفى بالله وكان خلفاء بنى العباس ثلاثين وكلهم ببغداد الى ان استولى عليهم الزمان سنة ست وخمسين وستمائة ولله الامر من قبل ومن بعد (وخروج المهدى) بفتح الميم وتشديد التحتية قال الحلبى واسمه محمد بن عبد الله من ولد فاطمة من ولد الحسن كما فى احاديث انتهى واصل احاديثه فى ابى داود فى سننه وقيل من اولاد الحسين وقيل من ذريتهما وليس المراد به احد الائمة الاثنى عشرية كما اعتقد الشيعة وانه مختف فى المكان وسيظهر فى آخر الزمان ولا احد المشايخ الذى انتسب اليه الطائفة المهدوية القائلة بانه جاء ومضى وان من لا يعتقد ذلك فهو ضال وقد افرد شيخ مشايخنا جلال الدين السيوطى رسالة مفردة فى معرفة المهدى فعليك بها وينبغى ان لا يتوهم ان المهدى هذا من بنى العباس واذا ذكر الدلجى احاديث مما يوهم انه هو ثم دفعه بان المراد غيره فقال رواه احمد والبيهقى باسانيد ليست بقوية عنه صلى الله تعالى عليه وسلم تقتل عند كنزكم هذا ثلاثة كلهم ولد خليفة لا يصير الى واحد منهم ثم تقبل الرايات السود من خراسان فيقتلونكم مقتلة لم تروا مثلها ثم يجئ خليفة الله المهدى فاذا كان كذلك فأتوه ولو حبوا على الثلج فانه خليفة الله وفى اسناده مجهول وفيه ابو اسماء وهو ضعيف وفى رواية اخرى يخرج رجل من اهل بيتى عند انقطاع من الزمان وظهور الفتن يقال له السفاح يكون عطاؤه حثيا فى سنده عطية العوفى وهو ضعيف قال الاسانى وعلامة وقته خسوف القمر اول ليلة من رمضان او ثلثه او السابع والعشرين وهى علامة لم تكن منذ خلق الله السموات والارض (وما ينال اهل بيته) اى وما يصيبهم من المحن كقصة الحسين وبقية ائمة اهل البيت (وتقتيلهم وتشريدهم) اى تطريدهم كالخسرة

فيما رواه الحاكم من حديث ابي سعيد ان اهل بيتي سيلقون بعدي من امتي قتلا وتشريدا وشدة الدهر (وقتل علي) كما رواه احمد عن عمار بن ياسر والطبراني عن علي وصهيب وجابر بن سمرة (وان اشقاها) اي اشقى الطائفة او الامة حيث تيسر له ما قصده فان من العصمة ان لا تقدر بخلاف من قصد قتل معاوية وابن العاص فكان اشقاهم بل اشقى الآخرين لما روى انه عليه الصلاة والسلام قال يا علي اتدري من اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم قال عاقر الناقة اتدري من اشقى الآخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك ولما جرح هذا الشقي عليا ادخل عليه فقال اطيبوا طعامه والينوا فراشه فان اعش فانا ولي دمي عفوا وقصاصا وان مت فالحقوه بي اخاصمه عند رب العالمين فلما مات علي اخرج من السجن وقطع عبد الله بن جعفر يديه ورجليه وكحل عينيه بمسمار محمى وجعل يقرأ اقرأ باسم ربك الذي خلق الى آخر السورة وان عينيه لتسيلان ثم امر به فقطعوا لسانه ثم جعلوه في قوصرة واحرقوه بالنار (الذي يخضب) بكسر الضاد اي يصبغ (هذه من هذه اي لحيته من رأسه) يعني بدمها قال الاسنوي في المهمات تبعا للنووي في تهذيبه ان الاشقى هو عبد الرحمن بن ملجم بميم مضمومة فلام ساكنة فجيم مفتوحة او مكسورة (وانه) اي عليا (قسيم النار) اي والجنة كما قيل (على حبه جنه * قسيم النار والجنه) فهو من باب الاكتفاء ويشير اليه قوله (يدخل اولياؤه الجنة واعداؤه النار) والمعنى ان الناس فريقان فريق معه وهم مهتدون اولياؤه وفريق عليه فهم ضالون اعداؤه فيكون سببا لدخولهما الجنة والنار ويلائمه ما ضبط في نسخة يدخل بصيغة المعلوم من باب الافعال لكن الحديث لا يعرف من رواه الا انه قد جاء ما يقوي معناه (فكان) اي علي (فيمن) وفي نسخة ممن (عاداه الخوارج) وهم الحكمية خرجوا عليه عند التحكيم وكانوا اثني عشر الفا اصحاب صلاة وصيام قال فيهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يحقر احدكم صلاته في جنب صلاتهم وصومه في جنب صومهم لا تجاوز قراءتهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية على ما جاء في طرق (والناصبة) بالموحدة الذين يتدينون ببغض علي رضي الله تعالى عنه وقد نصبوا له الحرب وقد روى مسلم تكون امتي فرقتين فيخرج من بينهما مارقة يلي قتلها اولاهم بالحق وهم الذين قتلهم علي بالنهروان وكانوا اربعة آلاف ولم يقتل من المسلمين سوى تسعة (وطائفة ممن ينسب) بالياء وروى ينتسب (اليه) اي الى حب علي كرم الله وجهه (من الروافض كفروه) اي لتركه في زعمهم الكاذب الخلافة لغيره وهي حقه فكانه رضي بالباطل وسكت عن الحق مع قدرته عليه (وقال) اي النبي عليه الصلاة والسلام (يقتل عثمان وهو يقرأ في المصحف) بضم الميم ويكسر ويفتح ورواه الترمذي عن ابن عمر ولفظه ذكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتنة فقال يقتل هذا مظلوما لعثمان وحسنه (وان الله) بفتح الهمزة وكسرها (عسى ان يلبسه) بضم اوله (قميصا) اي خلعة الخلافة والتلبس بها (وانهم) اي اهل الفتنة (يريدون خلعه) اي عزله عنها فامتنع من انخلاعها لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه الترمذي وحسنه عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال يا عثمان انه لعل الله ان يقمصك قميصا فان ارادوك على خلعه فلا تخلعه لهم فقتلوه ظلما وعدوانا فاهدر الله بدمه سبعين الفا قتلوا بصفين وغيرها (وانه) اي الشان (سيقطر دمه) بضم الطاء وفي نسخة بصيغة المجهول اي ستقع قطرات دمه (على قوله تعالى فسيكفيكهم الله) كما رواه الحاكم عن ابن عباس قال الذهبي انه موضوع لكن نقل المحب الطبري في الرياض ان اكثرهم يروى ان قطرة من دمه او قطرات سقطت على قوله تعالى فسيكفيكهم الله في المصحف ونقل عن حذيفة قال اول الفتن قتل عثمان وآخرها خروج الدجال والذي نفسي بيده لا يموت احد وفي قلبه مثقال حبة من حب قتلة عثمان الا تبع الدجال ان ادركه وان لم يدركه آمن به في قبره اخرجه السقلي الحافظ (وان الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا) كما رواه البيهقي فهو سد باب الفتنة كما اخبر به حذيفة (وبمحاربة الزبير لعلي) كما رواه البيهقي في دلائل النبوة من طرق انه صلى الله تعالى عليه وسلم اخبر بمحاربة الزبير لعلي وهو ظالم وذكره به علي يوم الجمل فقال بلى والله لقد نسيته منذ سمعته صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ذكرته الان والله لا اقاتلك فرجع يشق الصفوف راكبا فعرض له ابنه عبد الله فقال مالك فقال ذكرني علي حديثا سمعته من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لتقاتلنه وانت ظالم له فقال له ابنه انما جئت لتصلح بين الناس لا لمقاتلته فقال قد حلفت ان لا اقاتله قال اعتق غلامك وقف حتى تصلح بينهم ففعل فلما اختلف الامر ذهب (وبنباح كلاب الحوأب على بعض ازواجه) اي واخبر صلى الله تعالى عليه وسلم بنباحها وهو بضم نون وتكسر فموحدة اي صياحها والحوأب بمهملة ثم همزة مفتوحتين موضع بين البصرة ومكة نزلته عائشة لما توجهت للصلح بين علي ومعاوية فلم تقدر اتفاقا فكانت وقعة الجمل (وانه يقتل حولها) اي حول بعض الازواج وهي عائشة رضي الله تعالى عنها (قتلى كثير) اي جمع كثير من المقتولين قيل قتل يومئذ نحو من ثلاثين الفا وفي نسخة كثيرة نظرا الى الجماعة (وتنجو بعدما كادت) اي الى الهلاك كما رواه البزاز بسند

صحيح عن ابن عباس (فنبحت) بفتح الباء وكسرها اى كلاب ذلك الموضع (على عائشة عند خروجها) اى توجهها من
مكة (الى البصرة) كما رواه احمد وكذا البيهقي بلفظ لما اتت الحوأب سمعت نباح الكلاب فقالت ما اظنني الا راجعة
انى سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لنا ايتكن تنبح عليها كلاب الحوأب ترجعين لعل الله ان يصلح بك بين
الناس (وان عمارا) وهو ابن ياسر (تقتله الفئة الباغية) رواه الشيخان واقتصر مسلم قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
لعمار تقتلك الفئة الباغية زاد وقاتله في النار (فقتله) اى عمارا (اصحاب معاوية) اى بصفين ودفنه على رضى الله
تعالى عنه في ثيابه وقد نيف على سبعين سنة فكانوا هم البغاة على على بدلالة هذا الحديث ونحوه وقد ورد
اذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق وقد كان مع على رضى الله تعالى عنهما واما تأويل معاوية او ابن العاص
باب الباغى على وهو قاتل حيث جاء به على ما ادى الى قتله بجوابه ما نقل عن على كرم الله وجهه انه يلزم منه ان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم قاتل حمزة عمه والحاصل انه لا يعدل عن حقيقة العبارة الى مجاز الاشارة الا بدليل ظاهر من عقل
او نقل يصرفه عن ظاهره نعم غاية العذر عنهم انهم اجتهدوا واخطأوا والمراد بالباغية الخارجة المتجاوزة لا الطاغية
كما قاله بعض الملاحدة (وقال) اى النبي عليه الصلاة والسلام (لعبد الله بن الزبير ويل للناس منك) اى مشقة وهلاك
في الآخرة بقتله ظلما (وويل لك من الناس) اى في الدنيا فلقد حاصره الحجاج بمكة ورمى البيت بالمنجنيق فهدم ركنه
الشامى (وقال) اى النبي عليه الصلاة والسلام على ما رواه الشيخان (في قزمان) اى في حقه وهو بضم القاف وسكون
الزاى ذكره الحلبي رجل من المنافقين قاتل قتالا شديدا (وقد ابلى مع المسلمين) بفتح الهمزة واللام جملة حالية
اثبات شجاعته ومحاربته لغير الله بدليل قوله عليه الصلاة والسلام (انه من اهل النار) فقتل نفسه اى في خيبر
كما ذكره البخارى وصوبه المصنف واقره النووى ومسلم في حنين والخطيب تبعا لاصحاب السير في احد واقره النووى
ولعل الاشخاص متعددة فكل ذكره في قضيته (وقال) اى النبي عليه الصلاة والسلام (في جماعة فيهم) اى في حق
جماعة من جلسائه (ابو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة آخركم موتا في النار) اى يكون موته في نار الدنيا لانه يدخل
في نار العقبى كما توهم الدلجى على ما سيأتي فعامله موتا وهو ابهام او تورية وايهام (فكان بعضهم) اى تلك الجماعة
(يسأل عن بعض) اى عن حياته ومماته كما رواه البيهقي عن ابن حكيم الضبي اذا لقيت ابا هريرة سألنى عن سمرة فاذا
اخبرته بحياته وصحته فرح وقال كنا عشرة في بيت فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم آخركم موتا في النار فمات
منا ثمانية ولم يبق غيرى وغيره وفي رواية للبيهقي عنه وكان اذا اراد احد ان يغيظ ابا هريرة قال مات سمرة فيصعق ويغشى
عليه ثم مات ابو هريرة رضى الله تعالى عنه قبل سمرة (فكان سمرة آخرهم موتا هرم وخرف) بكسر الراء فيهما اى
اصابه خلل في بدنه وخلل في عقله (فاصطلى بالنار) اى استدفأ بها (فاحترق فيها) وفي تاريخ ابن عساكر عن ابن
سيرين ان سمرة اصابه كزاز وهو داء من البرودة او برد شديد لا يكاد يدفأ منه فامر بقدر عظيمة فملئت ماء واوقد تحتها
واتخذ فوقها مجلسا فكان يصل اليه بخارها فيدفئه فلم يلبث ان سقط به فاحترق ويوافقه ما رواه البيهقي عن بعض اهل
العلم انه مات في الحريق تصديقا لقول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد اغرب الدلجى حيث استدل به بانه
يدخل النار في الآخرة ثم يخرج منها ثم قال ويحتمل انه يورد النار بقتل زياد وابن زياد بحضرته خلقا كثيرا ثم ينجى
منها بايمانه بشهادة حديث البيهقي عن ابن سيرين كان سمرة عظيم الامانة صدوق الحديث يحب الاسلام واهله قال
عبد الله بن صبيح لابن سيرين بهذا وبصحبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نرجو له بعد تحقيق قول رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فيه الخير انتهى ولا يخفى ان هذا الحديث ما يقتضى دخوله في النار ثم نجاته منها بل ظاهر
نجاته منها ابتداء وان احتراقه في الدنيا يكون سبب خلاصه منها في العقبى على تقدير وقوع ذنب يستحقها وانه هو
موجب زيادة درجة عالية في الجنة وغرفها ثم حضوره مجلس زياد وابن زياد حين قتلهما خلقا كثيرا لا يدل على
استحقاق عذاب ولا استيجاب عقاب اذ لم يعرف انه كان راضيا بفعلهما وربما كان مكرها في حضوره عندهما هذا
وللبيهقي انه استجمر فغفل عنه اهله حتى اخذته النار ولا يخفى امكان الجمع بين هذا وما تقدم والله تعالى اعلم واما حديث
البيهقي عن اوس بن خالد كنت اذا قدمت على ابي محذورة سألنى عن سمرة واذا قدمت على سمرة سألنى عن ابي
محذورة فسألت ابا محذورة عن سؤالهما ايّاى فقال كنت انا وسمرة وابو هريرة في بيت النبي عليه الصلاة والسلام
فجاءنا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال آخركم موتا في النار فمات ابو هريرة رضى الله تعالى عنه ثم ابو محذورة ثم سمرة
فلا يخلو من الاشكال لما سبق من معارضته في المقال والله تعالى اعلم بالحال (وقال) اى النبي عليه الصلاة
والسلام كما رواه ابن اسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال (في حنظلة) اى ابن ابي عامر
الانصارى (الغسيل) اى مغسول الملائكة (سلوا زوجته عنه) اى عن حاله قبل موته (فانى رأيت الملائكة تغسله)

اى ابعد قتله شهيدا باحد مع ان الشهيد لا يغسل (فسأ لها وفقالت انه خرج جنبا) حين غسلت احدشق رأسه وسمع الهيعة وكان قد ابتنى بها تلك الليلة (واعجله الحال عن الغسل) اى عن تمامه لما دريه الى القتال ومسارعته للامتثال (قال ابو سعيد) اى الخدرى (ووجدنا رأسه يقطر ماء وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (الخلافة فى قريش) رواه احمد والترمذى ولعل المراد به ان الخلافة على استحقاقها فى طائفة من قريش وهم الخلفاء الاربعة فيكون اخبارا عن الغيب المطابق للواقع بعده واما اذا اريد به الحكم بان الخلافة منحصرة فيهم وان شرط صحة الخلافة ان يكون الخليفة واحدا منهم كما ذكره الدلجى فلا يلايم سياقه فى هذا الباب كما لا يخفى على اولى الالباب ويؤيد ما قدمناه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه البخارى عن معاوية (ولن يزال هذا الامر) اى امر الخلافة (فى قريش ما اقاموا الدين) يعنى فاذا لم يقيموا امر الدين على ما ينبغى انتقل الامر عنهم الى غيرهم فكان كما اخبرهم زاد البخارى فى رواية ولا يعاديهم احد الا كبه الله على وجهه اى فى الدنيا او فى العقبى قال النووى انعقد الاجماع فى زمن الصحابة ومن بعدهم على ان الخلافة مختصة بقريش لا تجوز لغيرهم ولا عبرة بمن خالف فيه من اهل البدعة (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (يكون) اى سيوجد (فى ثقيف) بفتح فكسر هو ابو قبيلة من هوازن (كذاب ومبير) بضم فكسر اى مهلك من ابار اهلك مأخوذ من البوار وهو الهلاك ومنه قوله تعالى وكنتم قوما بورا اى هلكى (فرأوهما الحجاج والمختار) اى فرأى السلف ان احدهما الحجاج وهو بفتح الحاء كليب بن يوسف والآخر المختار ابن ابى عبيد وان الثانى هو الكذاب والاول هو المبير فهما لف ونشر مشوش ففى حديث اسماء بنت ابى بكر من طريق مسلم وغيره انها قالت مشافهة للحجاج حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى ثقيف كذابا ومبيرا فاما الكذاب فقد رأيناه واما المبير فلا اخالك الا اياه وقال الترمذى فى جامعه ويقال الكذاب المختار والمبير الحجاج ثم ذكر بسنده الى هشام بن حسان قال احصوا ما قتل الحجاج صبرا فبلغ مائة وعشرين الفا انتهى واما المختار فهو الكذاب حيث زعم ان جبريل اتاه يوحى الكتاب فقد رواه البيهقى عن رفاعة بن شداد قال دخلت على المختار يوما فقال دخلت وقد قام جبريل من هذا الكرسى فاهويت الى السيف فذكرت حديثا حدثنيه عمرو بن الحمق الخزاعى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا امن الرجل رجلا على دمه ثم قتله رفع له لواء الغدر يوم القيامة فكففت عنه قال النووى فى شرح مسلم واتفق العلماء على ان المراد بالكذاب المختار ابن ابى عبيد وبالمبير الحجاج بن يوسف انتهى وكان المختار واليا على الكوفة ولقبه كيسان واليه ينسب الكيسانية كان خارجيا ثم صار زيديا ثم صار شيعيا وكان يدعو الى محمد ابن الحنفية ومحمد يتبرأ منه وكان ارسل ابن الاشتر بعسكر الى ابن زياد لقتال الحسين فقتله وقتل كل ما كان فى قتل الحسين ممن قدر عليه وكان غرضه فى ذلك صرف وجوه الناس اليه والتوسل به الى تحصيل الامارة لديه فكان يظهر الخير ويضمر الشر ولما ولى مصعب بن الزبير البصرة من جهة عبد الله بن الزبير قاتل المختار وقتله (وان) وفى نسخة صحيحة وبان (مسيلمة) بضم الميم وفتح السين ثم كسر اللام (يعقره الله) بكسر القاف اى يهلكه او يقتله او يهلكه قتلا فقتله وحشى بن حرب فى قتال اهل الردة زمن ابى بكر رواه الشيخان بلفظ ولئن توليت ليعقرنك الله (وان فاطمة) اى بنته الزهراء (اول اهله) اى اهل بيته كما فى نسخة (لحوقا به) اى موتا ووصولا اليه ففى الصحيحين عن الزهرى عن عروة عن عائشة مكثت فاطمة بعد وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم ستة اشهر (وانذر بالردة) اى وحذر صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابه وخوفهم وعرفهم بانها ستكون كما فى حديث الشيخين لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وفى حديث مسلم لا تقوم الساعة حتى يلحق قبائل من امتى بالمشركين وحتى تعبد قبائل من امتى الاوثان فوقعت الردة فى خلافة ابى بكر ارتد عامة العرب الا اهل مكة والمدينة والبحرين وكفى الله امرهم بالصديق صاحب مقام التحقيق (وان) وفى نسخة وبان (الخلافة) اى الحقيقية الحقية (بعده ثلاثون سنة ثم تكون) اى تصير الخلافة (ملكا) اى سلطنة بالغلبة فقد روى احمد والترمذى وابو يعلى وابن حبان عن سفينة بلفظ الخلافة بعدى فى امتى ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك (فكانت) اى الخلافة (كذلك) اى ثلاثين سنة (بمدة الحسن بن على) اى بمضى مدة خلافته وهى ستة اشهر تقريبا وفيه دلالة على ان معاوية لم يحصل له ولاية الخلافة ولو بعد فراغ الحسن له بالامارة ويشير اليه ما رواه البخارى فى تاريخه والحاكم فى مستدركه عن ابى هريرة بلفظ الخلافة بالمدينة والملك بالشام ثم اعلم ان خلافة ابى بكر كانت سنتين وثلاثة اشهر وعشرين يوما وخلافة عمر عشر سنين وستة اشهر واربعة ايام وخلافة عثمان احدى عشرة سنة واحد عشر شهرا وثمانية عشر يوما وخلافة على اربع سنين وعشرة اشهر وتسعة وتمامها بخلافة الحسن (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (ان هذا الامر) اى امر ملة هذه الامة (بدأ) بهمزة اى ابتدأ وبالالف اى ظهر (نبوة ورحمة) اى نبوة مقرونة

بالرحمة العامة (ثم يكون) اى الامر (رحمة وخلافة) اى رحمة فى ضمن الخلافة (ثم يكون) اى الامر (ملكا) قال الطيبى وفى اصل المؤلف ثم ملكا (عضوضا) بفتح العين اى سلطنة خالية عن الرحمة والشفقة على الرعية فكأنهم يعضون بالنواجذ فيه عضا حرصا على الملك ويعض بعضهم بعضا حثا على الهلاك وفيه ايماء الى ما قال عارف بهذا الباب الدنيا جيفة وطالبها الكلاب وفى النهاية ثم يكون ملك عضوض اى يصيب الرعية عسف وظلم فكأنهم يعضون فيه عضا بأسنانهم اى يتحملون فيه محنة شديدة فى شأنهم وفى رواية وسترون بعدى ملكا عضوضا وفى اخرى ثم يكون ملوك عضوض قيل وهو جمع عض بالكسر اى شرير خبيث (ثم يكون) اى الامر (عتوا) بضمتين فتشديد اى تكبرا (وجبروتا) بفتحتين فواو من الجبر بمعنى القهر مبالغة اى تجبرا وقهرا (وفسادا فى الامة) اى فى امر دينهم ودنياهم هذا ولفظ البيهقى ان الله بدأ هذا الامر نبوة ورحمة وكائنا خلافة ورحمة وكائنا ملكا عضوضا وكائنا عتوا وجبرا وفسادا فى الامة يستحلون الفروج والخمور والحرير وينصرون على ذلك ويرزقون ابدا حتى يلقوا الله تعالى وقد ابتدأ هذا الفساد من مدة امارة يزيد وولاية زياد وهلم جرا فى الزيادة الى يومنا هذا فيما بين سلاطين البلاد والله رؤف بالعباد (واخبر) النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (بشأن اويس) اى ابن عامر (القرنى) بفتحتين اى منسوب الى بطن من مراد قبيلة باليمن وغلط الجوهرى فى نسبته الى قرن المنازل روى انه كان به بياض فدعا الله فاذهبه الا قدر دينار او درهم ولهام كان بها بارا واوا قسم على الله لابره وقال من لقيه فليستغفر له وعن عمر مرفوعا يأتى عليكم اويس بن عامر مع امداد اهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرئ منه الا موضع درهم له والدة هو بها بر لو اقسم على الله لابره فان استطعت ان يستغفر لك فافعل قال الارزنجانى فى شرح المشارق الامداد جمع مدد والمراد هنا القافلة قال وكان عمر اذا اتى عليه امداد اليمن يسألهم افيكم اويس بن عامر فلما كانت السنة التى توفى فيها عمر قام على ابى قبيس فنادى باعلى صوته يا اهل الحجيج من اليمن افيكم اويس فقام شيخ طويل اللحية فقال انا لا ادرى من اويس ولكن ابن اخى يقال له اويس وهو اخمل ذكرا واهون امرا من ان نرفعه اليك وانه ليرعى ابلنا حقير بين اظهرنا فقال له عمر اين ابن اخيك قال بازاء عرفات فركب عمر وعلى سراعا الى عرفات فاذا هو قائم يصلى والابل حوله ترعى فسلما عليه وقالا من الرجل قال عبد الله قالا قد علمنا ان اهل السموات والارض كلهم عبيد الله فما اسمك الذى سمتك به امك قال يا هذان ما تريدان الى قالا وصف لنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اويسا القرنى واخبرنا ان تحت منكبه الايسر لمعة بيضاء فاوضحها لنا فان كانت بك فانت هو فاوضح منكبه فاذا اللمعة فاشتدا يقبلانه وقالا نشهد انك اويس القرنى فاستغفر لنا غفر الله لك قال ما اخص باستغفارى نفسى ولا احدا من ولد آدم ولكنه فى المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات يا هذان قد اشهر الله لكما حالى وعرفكما امرى فمن انتما قال على اما هذا فعمر امير المؤمنين واما انا فعلى بن ابى طالب فاستوى اويس قائما وقال السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته وانت يا ابن ابى طالب فجزاكما الله عن هذه الامة خيرا فقالا وانت جزاك الله عن نفسك خيرا فقال له عمر مكانك رحمك الله حتى ادخل مكة فآتيك بنفقة من عطائى وفضل كسوة من كسوتى فقال يا امير المؤمنين ما اصنع بالنفقة والكسوة اما ترى على ازارا ورداء من صوف متى اخرقهما وقد اخذت من رعايتى اربعة دراهم متى آكلها يا امير المؤمنين ان بينى وبينك عقبة كؤودا ولا يجاوزها الا كل ضامر مخف به فاخف يرحمك الله فلما سمع عمر ذلك ضرب بدرته الارض ثم نادى باعلى صوته الا ليت عمر لم تلده امه يا ليتها كانت عقيما فلم تعالج حملها الا من يأخذها بما فيها ولها ثم قال يا امير المؤمنين خذ انت ههنا حتى آخذ عنها فولى عمر ناحية مكة وساق اويس ابله فوافى القوم وخلا عن الرعاية واقبل على العبادة حتى لقى الله تعالى وروى الحاكم فى مستدركه عن على كرم الله وجهه مرفوعا خير التابعين اويس ولا ينافيه قول احمد وغيره ان خيرهم سعيد بن المسيب لان مرادهم به فى العلوم الشرعية لا فى اكبرية الدرجة العلية قال الحلبى وقد قتل مع على بصفين فى وقعتها وقال ابن حبان واختلفوا فى محل موته فمنهم من زعم انه مات على جبل ابى قبيس بمكة ومنهم من زعم انه مات بدمشق ويحكون فى موته قصصا تشبه المعجزات التى رويت عنه وقد كان بعض اصحابنا ينكر كونه فى الدنيا ثم ساق بسنده الى شعبة قال سألت عمرو بن مرة وابا اسحق عن اويس القرنى فلم يعرفاه اقول وانما هما لم يعرفاه لعدم كونه من رواة الحديث اذ لم يروشيئا وكان غلب عليه حب الخمول والعزلة والخلوة وكره الصحبة والخلطة وقد علم كل اناس مشربهم وعرف كل طائفة مذهبهم (وبامراء) اى وبان امراء (يؤخرون الصلاة عن وقتها) فقد روى مسلم من طرق عن ابى ذر ولفظه كيف انت اذا كانت عليك امراء يؤخرون الصلاة عن وقتها قلت فما تأمرنى قال صل الصلاة لوقتها فان ادركتها معهم فصل فانها لك نافلة زاد فى رواية اخرى والا كنت قد احرزت صلاتك قال النووى اى عن وقتها المختار لا عن جميع وقتها وروى يميتون الصلاة وهو بمعنى يؤخرون قال وقد وقع هذا فى زمن بنى امية (وسيكون فى امتى) وفى اصل الدلجى فى امته (ثلاثون كذابا فيهم اربع نسوة) رواه احمد والطبرانى والبزار منهم مسيلمة الحنفى والاسود العنسى باليمن

والمختار ابن ابي عبدالله الثقفي وسجاح بفتح السين فجيم زعمت انها نبية في زمن مسيلمة (وفي حديث آخر ثلاثون دجالا)
وفي نسخة رجلا (كذابا احدهم) وفي نسخة وهي الاولى آخرهم (الدجال الكذاب) اى الاعور الذي يقتله عيسى
ابن مريم كما رواه الشيخان عن ابي هريرة ولفظهما ان بين يدى الساعة ثلاثين رجلا كذابا (كلهم يكذب) وفي نسخة
يكذبون (على الله ورسوله) قال الحلبي وفي الصحيح قريب من ثلاثين وقد جاء تعيين عددهم في حديث آخر انهم
سبعة وعشرون دجالا فيهم اربع نسوة والدجل تمويه الشيء وتغطيته والمموه الدجال وهو الكذاب ايضا لانه يدجل
الحق بالباطل (وقال) اى النبي عليه الصلاة والسلام (يوشك) اى يقرب (ان يكثر فيكم العجم) اى ضد العرب
لا الفرس فقط (يأكلون فيئكم) بفتح الفاء وسكون الياء مهموزا اى اموالكم (ويضربون رقابكم) اى يريقون
دماءكم او يبالغون في ايذائكم وقد وقع في دولة الترك ومن بعدهم رواه البزار والطبراني بسند صحيح (ولا تقوم الساعة
حتى يسوق الناس بعصاه) اى يسترعيهم مسخرين له كراعي غنم يسوقها بعصاه وهو كناية عن طاعة الناس له
واستيلائه عليهم ولم يرد نفس العصا الا ان في ذكرها دليلا على خشونته وعسفه بهم في اطاعته (رجل) قال القرطبي
في تذكرته لعله الجهجاه (من قحطان) وهو ابو اليمن رواه الشيخان عن ابي هريرة رضى الله تعالى عنه ولفظهما
لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه (وقال) اى النبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه
الشيخان (خيركم قرني) ولفظهما خير امتي وفي رواية خير الناس قرني وهم الصحابة (ثم الذين يلونهم) وهم التابعون
(ثم الذين يلونهم) وهم الاتباع وثم تفيد التنزل في الرتبة الى ان يرتفع الاشتراك في الخيرية فيستقيم قوله (ثم يأتي بعد ذلك
قوم) وفي تغيير العبارة ايماء الى ما اشرنا اليه وفي رواية لهما ثم ان بعدكم قوما (يشهدون ولا يستشهدون) بصيغة
المجهول اى يبادرون بتأدية الشهادة قبل ان يطلب منهم اداؤها فانها لا تقبل واما حديث خير الشهود من يأتي
بالشهادة قبل ان يسألها فمعناه ان يظهر عند غير القاضي ان عنده الشهادة حيث جهل اوشك صاحب الشهادة
انها عنده ام لا او هل يظهر الشهادة ام يخفيها وقيل يشهدون بالزور قال الحلبي وقيل معناه يحلفون ولا يستحلفون
كما قال في رواية اخرى يسبق شهادة احدهم يمينه ويمينه كذبا شهادته واليمين تسمى شهادة ومنه قوله تعالى
فشهادة احدهم (ويخونون ولا يؤتمنون) بفتح الميم (وينذرون) بضم المعجمة وتكسر (ولا يوفون) اى بنذرهم
وفي رواية ولا يفون من وفى يفي (ويظهر فيهم السمن) بكسر ففتح وفي حديث يكون في آخر الزمان قوم يتسمنون
وفي رواية ويل للمتسمنات يوم القيامة وفي رواية ويخلف قوم يحبون السمانة وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم
لمالك بن الصيف البس في التورية ان الله يبغض الحبر السمين قال نعم قال له فانت الحبر السمين فقال ما انزل الله على
بشر من شيء (وقال) اى النبي عليه الصلاة والسلام (لا يأتي زمان الا والذي بعده شر منه) رواه البخاري ولفظه
قال الزبير اتينا انسا فشكونا اليه الحجاج فقال اصبروا فانه لا يأتي زمان الا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم سمعته
من نبيكم وفي رواية اشر منه وهو لغة كالخير في خير قال بعض الحفاظ الا والذي بعده شر منه فيما يتعلق بالدين قال
الحلبي والذي فهم الحسن غير ذلك حيث سئل الحسن فقيل له ما بال زمن عمر بن عبد العزيز بعد زمن الحجاج فقال
لا بد للناس من تنفيس يعني ان الله تعالى ينفس عباده وقتاما ويكشف البلاء عنهم حينا ما قلت وهو ما بينا في
ما سبق من التنزل في امر الدين كما هو مشاهد في نظر ارباب اليقين فان كلما يبعد عن النور يبقى في الظلمة في الظهور فالبعد
عن الحضرة يفيد هذا الترتيب في الحالة ويشير اليه صدر الحديث خير القرون قرني ثم وثم في الجملة بل جاء في حديث
رواه احمد والبخاري والنسائي عن انس مرفوعا لا يأتي عليكم عام ولا يوم الا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم
(وقال) اى النبي عليه الصلاة والسلام كما في الصحيحين (هلاك امتي على يدى اغيلمة) تصغير تحقير لاغلمة جمع غلام يعني
صبيان (من قريش) وفي رواية اعوذ بالله من امارة الصبيان وقال ان اطعتموهم اذلتكم وان عصيتموهم اهلكتكم
اذهم صغار الانسان (وقال ابو هريرة راويه) اى راوى هذا الحديث (لوشئت لسميتهم لكم) اى لبينتهم وقلت لكم
انهم (بنو فلان وبنو فلان) لكني ما شاء تسميتهم صريحا خوف الفساد والفتنة الا ان في العبارة اشارة بالكناية
والمراد يزيد بن معاوية فانه بعث الى المدينة السكينة مسلم بن عقبة فاباحها ثلاثة ايام فقتل من خيار اهلها
كثيرا فيهم ثلاثة من الصحابة وازيلت بكارة الف عذراء وبعده بنو مروان بن الحكم بن العاص فلقد صدر عنهم ما اوجب
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تبرأ منهم كما رواه الشيخان انه قال ان آل ابي فلان ليسوا لي باولياء ولكن لهم رحم
سأبلها ببلالها فالمكنى هو الحكم بن العاص وبنوه فانهم آله فكنى عنهم بعض رواة هذا الحديث حذرا منهم
اذ كانوا ولاة الامر واصحاب الشر هذا وقد قال القرطبي هم والله تعالى اعلم يزيد بن معاوية وعبيدالله بن زياد ومن
جرى مجراهم من احداث ملوك بني امية (واخبر) اى النبي عليه الصلاة والسلام (بظهور القدرية) كما رواه الترمذي

وابو داود والحاكم ان القدرية مجوس هذه الامة اشارة الى مدح امته وذمهم بجعلهم مجوسا حيث شابه مذهبهم مذهبهم فالمجوس اثبتوا الهين زعموا ان الخير من فعل النور وسموه يزدان والشر من فعل الظلمة وسموه اهرمن وقد قال الله تعالى وجعل الظلمات والنور اى خلقهما واما القدرية فزعموا خالقين خالق الخير وهو الله وخالق الشر وهو الانسان وقد قال تعالى الله خالق كل شيء وهو ما ينافى ان ينسب اليه الفعل خلقا وايجادا والينا عملا واكتسابا (والرافضة) بالفاء بمعنى الرفضة اى واخبر بظهور الطائفة الرافضة اى التاركة لجل الصحابة وقد رواه البيهقى من طرق كلها ضعيفة الا انها يقوى بعضها ببعض و يعضدها ما رواه البزار بلفظ يكون في امتى قوم في آخر الزمان يسمون الرافضة يرفضون الاسلام اى بالكلية لانهم يستحلون سب الصحابة ويكفرون اهل السنة والجماعة اوالمعنى يتركون كمال الاسلام وجماله ان لم يصدر منهم ما ينافى احكام الايمان وفى رواية يلفظونه اى يرمونه فاقتلوهم فانهم مشركون اى مشابهون لهم حيث لم يعملوا بالكتاب والسنة (وسب آخر هذه الامة اولها) اى واخبر بظهور هذا الامر من الرافضة وقد رواه ابو القاسم البغوى عن عائشة مرفوعا بلفظ لاتذهب هذه الامة حتى يلعن آخرها اولها وللترمذى من حديث طويل عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ولعن هذه الامة اولها فارتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وزلزلة وخسفا ومسخا وقذفا وآيات تتابع كنظام قطع سلكه والتتابع بالياء التحتية هو الوقوع فى الشر كانه بالموحدة يستعمل فى الخير هذا وقد ظهر امر السلف على لسان الروافض والخوارج جميعا ولعل مذمة الرافضة فى بعض الاحاديث وردت بالمعنى اللغوى الشامل لكل من الطائفتين وان كان العرف خصصها باعتبار الغلبة (وقلة الانصار) اى واخبر صلى الله تعالى عليه وسلم بقلتهم والاظهر ان المراد بهم طائفة معروفة من الصحابة وقد يتوسع ويراد بهم ذريتهم ايضا ولا يبعد ان يراد بهم انصار الدين ومعاونيهم حتى يشمل الاهل جزئى وغيرهم وقد رواه البخارى عن ابن عباس خرج علينا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه فجلس على المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فان الناس يكثرون ويقل الانصار اى بعدى (حتى يكونوا كالملح فى الطعام) كناية عن غاية قلتهم فيما بين اهل الاسلام وتمام الكلام فمن ولى منكم شيئا يضر فيه قوما وينفع آخرين فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم (فلم يزل امرهم يتبدد) اى يتفرق (حتى لم يبق لهم جماعة وانهم) اى واخبر انهم (سيلقون بعده اثرة) بفتحتين وبكسر فسكون وحكى بضم فسكون اى ايثار الناس انفسهم عليهم فيما هم اولى به من العطايا ومناصب القضايا ففى الصحيحين انكم سترون بعدى اثرة فاصبروا حتى تلقونى على الحوض قال اليعمرى كانت هذه الاثرة زمن معاوية (واخبر بشان الخوارج) اى قتل على بالنهروان وكانوا اربعة آلاف فقتلهم على فلا ذريعا ولم يقتل من معه الا تسعة (وصفتهم) اى وبيان حالهم وافعالهم حيث قال فرقة يحسنون القول ويسيئون العمل اوالعمل يدعون الى كتاب الله وليسوا منه فى شيء يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يرجعون اليه حتى يرتد الى فوقه هم شر الخلق والخليقة طوبى لمن قتلهم (والمخدج) بضم الميم وسكون المعجمة وفتح الدال المخففة وبالجيم اى الناقص وكان ناقص اليد واسمه نافع وفى نسخة مشدده اى ناقص الخلق (الذى فيهم) اى بان احدى يديه مثل ثدى المرأة (وان سيماهم التحليق) اى علامتهم المبالغة فى حلق شعورهم وقيل جلوسهم حلقا حلقا (ويرى) بصيغة المجهول وقال الدلجى بصيغة الخطاب العام (رعاء الغنم) وفى اصل الدلجى رعاء الشاة وهو نائب الفاعل اوالمفعول الاول والثانى قوله (رؤس الناس) اى رؤساءهم (والعراة الحفاة) وفى نسخة والحفاة العراة (يتبارون) بفتح الراء اى يتفاخرون (فى البنيان) اى فى اطالة بيوتهم وتحسينها وتزيينها فقد روى الشيخان معناه ببعض مبناه فلمسلم وان ترى الحفاة العراة رعاء الشاة يتطاولون فى البنيان وللبخارى واذا تطاول رعاء الابل البهم فى البنيان وله ايضا واذا كانت الحفاة العراة رؤس الناس فذلك من اشراطها ولمسلم وان ترى الحفاة العراة الصم البكم ملوك الارض وفيه اشارة الى ان ارباب الجهالة والقلة والذلة يغلبون على اهل العلم والغنى والعزة (وان تلد الامة ربتها) اى سيدتها فان ولد الامة من سيدها كسيدها لانه سبب لعتقها فهى مثلها بل اولى ايضا قال الحلبى وفى رواية ربها وفى رواية بعلها اى تلد مثل سيدها ومالكها وبتصرفها اراد به كثرة السبى والسرارى فى اوقات السعة اوفى ازمنة الفتنة اوكناية عن كثرة العقوق وقلة تادية الحقوق (وان قريشا) اى واخبر بان كفار قريش بالخصوص (والاحزاب) اى وسائر طوائف الكفار (لايغزونه ابدا) ولعله قال بعد غزوة الخندق فعن سليمان بن صرد انه عليه الصلاة والسلام قال حين اجلى الاحزاب عنه الآن نغزوهم ولايغزوننا نحن نسير اليهم (وانه) اى النبى عليه الصلاة والسلام (هو يغزوهم) اى يبدؤهم بالمحاربة كما وقع له ولاصحابه بفتح مكة واما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم فتحها لاتغزى قريش بعده اى لا يكفرون فيغزون وقوله فى رواية اخرى

لا تغزى هذه بعد اليوم الى يوم القيمة اى لا تعود مكة دار كفر تغزى عليه واما ماقيل من ان المعنى لا يغزوها كفار ابدا فان المسلمين قد غزوها مرات فيرده قصة القرامطة وكذا حديث يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة يقلعها حجرا حجرا (واخبر بالموتان) بضم الميم وتفتح اى بالوباء (الذى يكون بعد فتح بيت المقدس) كما رواه البخارى عن عوف بن مالك قال اتيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزوة تبوك وهو فى قبة من آدم فقال اعدد ستا بين يدى الساعة موتى ثم فتح بيت المقدس ثم موتانا يأخذ فيكم كقعاص الغنم القعاص بضم القاف داء يأخذ الغنم لا يلبثها ان تموت ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا ثم فتنة لا يبقى من العرب حى الا دخلته ثم هدنة تكون بينكم وبين بنى الاصفر فيغدرونكم فيأتونكم تحت ثمانين غاية اى راية تحت كل غاية اثنا عشر الفا انتهى وكان هذا الموتان فى خلافة عمر بعمواس من قرى بيت المقدس وبها كان عسكره وهو اول طاعون وقع فى الاسلام مات به سبعون الفا فى ثلاثة ايام وبنو الاصفر هم الروم لان جدهم المنسوبون اليه كان اصفر وهو روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم عليهما السلام (وما وعد من سكنى البصرة) بفتح الموحدة وتكسر وحكى ضمها الا انه لا يجوز فى النسبة اتفاقا فقد روى ابوداود عن انس انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال له يا انس ان الناس يمصرون امصارا وان مصرا منها يقال لها البصرة فان انت مررت بها او دخلتها فاياك وسباخها وكلاءها بتشديد اللام اى ساحلها وسوقها وباب امرائها وعليك بضواحيها اى نواحيها الظاهرة فانه يكون بها خسف وقذف ورجف وقوم يبيتون ويصبحون قردة وخنازير واعل هذه الامور وردت معنوية او ترد بعد ذلك صورية هذا وقد بنى البصرة عقبة بن غزوان فى خلافة عمر سنة سبع عشرة وسكنها الناس سنة ثمانى عشرة ولم يعبد الصنم قط على ارضها (وانهم) اى واخبر ان بعض امته (يغزون فى البحر كالملوك على الاسرة) كما فى الصحيحين بلفظ كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدخل على ام حرام بنت ملحان من خالات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من الرضاع وكانت تحت عبادة بن الصامت فدخل عليها يوما فاطعمته ثم جلست تفلى رأسه فنام ثم استيقظ يضحك فقالت مم تضحك قال ناس من امتى عرضوا على غزاة فى سبيل الله يركبون ثبج) اى وسطه ومعظمه وقيل ظهره (هذا البحر ملوك على الاسرة او كالملوك على الاسرة فقالت) ادع الله تعالى ان يجعلنى منهم فدعا لهم ثم نام ثم استيقظ يضحك فقالت مم تضحك فقال كالاول فقالت ادع الله تعالى ان يجعلنى منهم فقال انت من الاولين فركبت البحر فى زمن معاوية فصرعت عن دابتها بعد خروجها منه فهلكت والاسرة جمع سرير وهو بساط الملك (وان الدين) واخبر بان الايمان (لو كان منوطا) اى معلقا (بالثريا لناله رجال من ابناء فارس) وهم المشهورون الآن باسم العجم ولفظ الشيخين عن ابى هريره كنا عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذ نزلت سورة الجمعة فلما نزلت وآخرين منهم لما يلحقوا بهم قالوا من هم يارسول الله فوضع يده على سلمان الفارسى ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء وجمع اسم الاشارة مع ان المشار اليه واحد لارادة الجنس ولو هنا لمجرد الفرض والتقدير مبالغة لحدة فطنتهم وقوة فطرتهم واراد بآخرين التابعين اللاحقين بالصحابة السابقين واعلاهم فى هذا المقام الافخم هو الامام الاعظم والله تعالى اعلم (وهاجت ريح) اى هبت بشدة (فى غزاته) اى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى بعض غزواته وهى غزوة تبوك من ارض الشام على ماذكره الدلجى اوغزوة بنى المصطلق كما قرره الحلبى وهو اولى بالاعتماد (فقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (هاجت لموت منافق فلما رجعوا الى المدينة وجدوا ذلك) اى موت المنافق على وفاق ما اخبره هنالك وهذا المنافق هو رفاعة ابن زيد بن التابوت احد بنى قينقاع وكان من عظماء اليهود وكهف المنافقين كذا قاله ابو اسحق على ما ذكره الحلبى (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام كما رواه الطبرانى عن رافع بن خديج (لقوم من جلسائه) وهم ابو هريرة الدوسى وفرات بن حيان العجلى والرجال بن عنفوة اليمامى وهو المراد من قوله (ضرس احدكم) اى واحد منكم لا كل واحد منكم (فى النار اعظم من احد) اى هيئة وصورة فى هذا تلويح بان يموت احدهم كافرا لحديث ضرس الكافر فى النار مثل احد رواه مسلم وغيره (قال ابو هريرة فذهب القوم يعنى) اى يريد بقوله ذهب القوم (ماتوا فبقيت انا ورجل فقتل) اى ذلك الرجل (مرتدا يوم اليمامة) ناحية شرقى الحجاز معروفة (واعلم) اى واخبر صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه ابوداود والنسائى عن زيد بن خالد الجهنى (بالذى غل) اى خان فاخذ من الغنيمة قبل القسمة (خرزا من خرز يهود) بفتح الخاء المعجمة والراء فزاى وهى الجواهر وما ينتظم من نحوها والمراد بها هنا فصوص من الحجارة (فوجدت) اى تلك الخرز (فى رحله) اى بعد موته فعن زيد بن خالد الجهنى قال توفى رجل يوم خيبر فذكروه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ان صاحبكم قد غل فى سبيل الله قال ففتحنا متاعه فوجدنا خرزات من خرزات يهود ما تساوى درهمين (وبالذى) اى واعلم صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه الشيخان عن ابى هريرة

بالذى (غل الشملة وحيث هى) اى وبالمكان الذى هى فيه وهى كساء يشتمل به الرجل ولفظهما اهدى رجل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غلاما اسمه مدعم فبينما هو يحط رحلا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جاءه سهم عائر اى لا يدرى راميه فقتله فقالوا هنيئا له الجنة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كلا والذى نفسى بيده ان الشملة التى اخذها يوم خيبر من الغنائم قبل القسمة لتشتعل عليه نارا ذكره الدلجى وقال الحلبى الذى غل الشملة هذا كركرة قال النووى يقال بكسر الكافين وبفتحهما ذكره فى المبهمات وكذا هو فى سنن ابن ماجه فى الجهاد (وناقته) ضبط بالرفع فى النسخ ولعل التقدير وكذا ناقته اى قضيتها او وحيث هى ناقته كما فى اصل التلمسانى والظاهر جرها اى واعلم صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه البيهقى بناقته ومكانها (حين ضلت) اى ضاعت وفقدت (وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها) اى برسنها او زمامها وذلك انه صلى الله تعالى عليه وسلم حين قفل من غزوة بنى المصطلق اخذتهم ريح كادت ان تدفن الركب وهى التى اخبر انها هاجت لموت منافق وضلت ناقته عليه الصلاة والسلام فى تلك الليلة فقال رجل من المنافقين كيف يزعم انه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته الا يخبره الذى يأتيه بالوحى فاتاه جبريل عليه السلام واخبره بقول المنافق وبمكان الناقة واخبر صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابه بها وقال ما ازعم انى اعلم الغيب ولكن الله اخبرنى بقول المنافق وبمكان ناقتى وهى فى الشعب وقد تعلق زمامها بشجرة فخرجوا يسعون قبل الشعب فوجدوها حيث قال وكما وصف فجاؤا بها وآمن ذلك المنافق (وبشأن كتاب حاطب) بكسر الطاء وهو ابن ابى بلتعة وكان مكتوبه بالخفية (الى اهل مكة) وهم سهيل بن عمرو وعكرمة بن ابى جهل وصفوان بن امية من مسألة الفتح ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد توجه اليكم بجيش كالليل يسيل كالسيل واقسم بالله لو سار اليكم وحده لنصره الله عليكم فانه منجز له ما وعده وقيل كتب ان محمدا قد نفر فاما اليكم واما الى غيركم فعليكم الحذر ذكرهما السهيلى ولا منع من الجمع فتدبر ومن فضائل حاطب على ما فى نظم الدرر انه عليه الصلاة والسلام حين بعثه الى المقوقس قال له ان كان صاحبك نبيا فلم لم يدع على قومه حين اخرجوه من بلده فقال له حاطب منعه الذى منع عيسى من الدعاء على من رام صلبه فاسكته بذلك واعجبه هنالك (وبقصة عمير) وفى نسخة بقضية عمير وهو بالتصغير ابن وهب بن خلف (مع صفوان) اى ابن امية بن خلف (حين ساره) بتشديد الراء اى ناجاه صفوان بقتله صلى الله تعالى عليه وسلم (وشارطه) اى جعل له جعلا (على قتل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فخاب سعيهما وضاع كيدهما (فلما جاءه عمير للنبى) وفى نسخة الى النبى (صلى الله تعالى عليه وسلم قاصدا القتل واطلعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الامر) اى الذى جاء بصدده (والسر) اى المخفى من خبره (اسلم) اى عمير وكذا اسلم صفوان بعد حنين ذكره الحلبى والحديث رواه ابن اسحق والبيهقى والطبرانى (واخبر بالمال الذى تركه عمه العباس عند ام الفضل) اى زوجته وهى لبابة بنت الحارث اول امرأة اسلمت بعد خديجة وقيل بل هى فاطمة بنت الخطاب وفى نسخة ام الفضيل بالتصغير وهو غلط محض بل لم يعلم فى الصحابيات من يقال لها ام الفضيل بالتصغير وكان ذلك (بعد ان كتمه) اى العباس ذلك الخبر عن الغير (فقال) اى العباس (ما علمه غيرى وغيرها) اى وما هذا الا باعلام الله سبحانه اياك (فاسلم) اى فصار سبب اسلامه بعد ان فدى نفسه فقيل له لم لم تسلم قبل الفداء ليبقى لك ما افتديت به فقال لم اكن لاحرم المؤمنين مطمعا من مالى اقول ولعله اخر اسلامه بعد ان تحقق حاله لئلا يظن به انه انما اسلم ليدفع ماله والحديث رواه احمد عن ابن عباس والحاكم وصححه والبيهقى عن الزهرى وغيره مرسلا (واعلم انه) وفى نسخة بانه اى النبى عليه السلام (سيقتل) اى بيده (ابى بن خلف) كما رواه البيهقى عن عروة وسعيد بن المسيب مرسلا وسبق انه عليه السلام جرحه باحد فى عنقه فمات بسرف (وفى عتبة) وفى نسخة عتيبة وهى الصواب كما تقدم (ابن ابى لهب) اى واعلم صلى الله تعالى عليه وسلم فى شانه (ان يأكله كلب من كلاب الله) وفى نسخة يأكله كلب الله وابعد الدلجى فى تقديره هنا حيث قال وقال فى عتبة لعدم دلالة عليه ولزوم كسر همزة انه مع ان الرواية بالفتح (وعن مصارع اهل بدر) اى واعلم كما فى مسلم عن مواضع هلاك كفار قريش ممن قتل بها بقوله هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان (فكان كما قال) اى كما اخبر فى الحال (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام كما رواه الشيخان وغيرهما من طرق (فى الحسن) اى ابن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنهما (ان ابنى هذا سيد) اى كريم حليم (وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين) وفى رواية ولعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين اى جماعتين كثيرتين من اشياعه واتباع معاوية وقد بلغت كل فئة اربعين الفا قال الحسن البصرى فلما ولى ما اهريق بسببه محجمة دم وقال هشيم لما سلم الامر لمعاوية قال له معاوية قم فتكلم فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فان اكيس الكيس التقى وان اعجز العجز الفجور الا وان هذا الامر الذى اختلفت فيه انا ومعاوية حق لامرئ كان احق به منى او حق لى تركته لمعاوية ارادة

(اصلاح

اصلاح المسلمين وحقن دمائهم وان ادرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين ثم استغفر ونزل وفى رواية خطب معاوية ثم قال
قم يا حسن فكلم الناس فتشهد ثم قال ايها الناس ان الله هداكم باولنا وحقن دماءكم بآخرنا وان لهذا الامر مدة
والدنيا دول وان الله قال لنبيه عليه الصلوة والسلام قل ان ادرى اقريب ام بعيد ما توعدون انه يعلم الجهر من القول
و يعلم ما تكتمون وان ادرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين وفى شرح السنة قد خرج مصداق هذا الحديث فى الحسن
بترك الامر حين صارت الخلافة اليه وكان احق بها واهلها فسلمها الى معاوية وترك الملك والدنيا ورعا ورغبة فيما
عند الله واشفاقا على الامة من الفتنة لامن القلة والذلة اذ كان معه يومئذ اربعون الفا قد بايعوه على الموت فاصلح الله
به بين الفرقتين اهل الشام فرقة معاوية واهل العراق فرقة الحسن (ولسعد) اى وقال كما رواه الشيخان لسعد ابن ابى
وقاص فى مرضه بمكة وقد قال له سعد اخلف عن اصحابى (لعلك تخلف) بفتح اللام المشددة اى يؤخر موتك
(حتى ينتفع بك اقوام) اى من الابرار (ويستضر) وفى نسخة بصيغة المجهول اى ويتضرر (بك آخرون) اى اقوام
من الفجار زيد فى رواية اللهم امض لاصحابى هجرتهم ولا تردهم على اعقابهم لكن البأس سعد ابن خولة رثى له
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان مات بمكة وذلك لكراهتهم الموت بارض هاجروا منها حذرا من ردهم على
اعقابهم بموته فيها (واخبر) اى فيما رواه الشيخان عن انس (بقتل اهل مؤتة) بضم ميم فهمزة ساكنة ويبدل (يوم
قتلوا) اى امراء غزوها فقال اخذ الراية زيد بن حارثة فاصيب ثم جعفر ابن ابى طالب فاصيب ثم عبد الله بن رواحة
فاصيب ثم خالد بن الوليد من غير امرة ففتح الله على يديه (و بينهم) اى والحال ان بينه عليه الصلوة والسلام و بين اهل
مؤتة وامرائهم الكرام (مسيرة شهر او ازيد) اى بل اكثر ويؤيده ما فى نسخة بالواو فاو بمعنى الواو او بمعنى بل ولعل الدلجى
حمل او على الشك من الراوى فقال بل اقل من شهر لانها من ارض البلقاء آخر حوران الشام الى جهة مدينة الاسلام
(و بموت النجاشى) بفتح النون و يكسر وتخفيف آخره ويشدد لقب لكل من ملك الحبشة واسم هذا اصحمة وكان
ممن آمن واخبر عليه الصلاة والسلام بموته كما رواه الشيخان عن ابى هريرة (يوم مات) اى سنة تسع من الهجرة وهو
بارضه وصلى عليه صلاة الغائب عن اصحابه وقد احضرت جنازته لديه (واخبر فيروز) بكسر الفاء وتفتح وسكون
الياء وبضم الراء غير منصرف للعجمة والعلمية اى واخبره صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه البيهقى (حين ورد عليه) وفى نسخة
اذ ورد عليه اى حين وفد على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (رسولا من كسرى) اى ملك فارس وهو وزيره
(بموت كسرى ذلك اليوم) اى فى يوم ورود فيروز او فى يوم موت كسرى (فلما حقق فيروز القصة) اى ما قصه عليه
من موته فى وقته (اسلم) ففاز فيروز فوزا عظيما (واخبر اباذر) كما رواه احمد (بتطريده) اى باخراجه من المدينة الى الربذة
(كما كان) اى كما وقع فى زمان عثمان بن عفان وفى اصل الدلجى فكان كما كان اى فكان اخباره بتطريده كما كان
ثم لا ينافيه ما فى دلائل النبوة للبيهقى من ان امرأته ام ذر قالت والله ما سيره عثمان الى الربذة ولكن قال له رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم اذا بلغ البناء سلعا فاخرج فلما بلغه وجاوز خرج ابوذر الى الشام وذكر رجوعه ثم خروجه
الى الربذة وموته بها اذ يمكن حمل كلاميهما على ان تسييره عثمان لم يكن قهرا عليه اذ كان امكنه ان يمتنع منه الا انه
وافق حكمه امره صلى الله تعالى عليه وسلم بخروجه اختيارا فاختار خروجه من غير ان يكون هناك اكراه
واجبار والا فالامر باخراجه محقق بلا شبهة لقوله (ووجده فى المسجد) اى مسجد المدينة (نائما فقال) اى النبى
عليه الصلاة والسلام (له) اى لابى ذر (كيف بك اذا اخرجت منه) اى من هذا المسجد وما حواليه (قال اسكن المسجد
الحرام) اى وما حوله من الحرام (قال فاذا اخرجت منه الحديث) اى بطوله قيل كان اخرجه عثمان الى الشام لانه كان
اذا امر به عثمان يقرأ قوله تعالى يوم يحمى عليها فى نار جهنم ثم رضى عليه فرده الى المدينة ثم اخرجه الى الربذة قرية
خربة فسكنها الى ان مات (و يعيشه وحده ويموته وحده) اى واخبر ان اباذر يعيش وحيدا و يموت فريدا فكان
كما اخبره عليه الصلاة والسلام على ما رواه احمد وابن راهويه وابن ابى اسامة والبيهقى واللفظ له قالت ام ذر لما حضرت
اباذر الوفاة بكيت فقال وما يبكيك فقلت ومالى لا ابكى وانت تموت بفلاة من الارض وليس عندى ما يسع كفنا لى
ولا لك قال فابشرى ولا تبكى فانى سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لنفر انا فيهم ليموتن رجل منكم
بفلاة من الارض يشهده عصابة من المسلمين وليس من اولئك النفر احد الا وقد مات فى قرية وجماعة فانا ذلك
الرجل فابصرى الطريق فبينما انا وهو كذلك اذا انا برجال على رحالهم كانهم الرخم فالحفت بثوبى فاسرعوا
حتى دخلوا عليه فقال لهم كما قال ثم قال انتم تسمعون انه لو كان عندى ثوب يسعنى كفنا لى او لامرأتى لكفنت فيه انى
انشدكم الله ثم انشدكم الله ان لا يكفنى رجل منكم كان اميرا او عريفا او بريدا او نقيبا وليس منهم احد الا قارف
ما قال الا فتى من الانصار قال انا اكفنك يا عم فى ردائى هذا وثوبين فى عيبتى من غزل امى قال فكفنى فكفنه وقاموا

فدفنوه وعن ابن مسعود قال لما خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى غزوة تبوك تخلف ابو ذر بتلوم بعيره فقالوا يارسول الله تخلف ابوذر فقال دعوه ان يك فيه خير فسيلحقه الله بكم قال فلما ابطأ عليه بعيره اخذ متاعه فحمله على ظهره ثم خرج ماشيا يتبع اثر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى شدة الحر وحده فلما رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دمعت عيناه وقال يرحم الله ابا ذر يمشى وحده ويموت وحده ويبعث وحده فكان كذلك لما مات رضى الله تعالى عنه بالربذة لم يكن معه الا امرأته وغلامه فلما غسلاه وكفناه وضعاه على قارعة الطريق ينتظران من يعين على دفنه اذ اقبل عبدالله بن مسعود فى رهط من اهل العراق فاراهم الغلام قام اليهم وقال هذا ابوذر صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاعينونا على دفنه فنزل ابن مسعود وجعل يبكى واقاموه ويقول صدق رسول الله فى قوله (واخبران اسرع ازواجه به لحوقا) اى وصولا اليه بعد موته (اطولهن يدا فكانت زينب) اى بنت جحش (اسرعهن لحوقا به لطول يدها بالصدقة) رواه مسلم ولفظه عن ام المؤمنين عائشة قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اسرعكن لحوقابى اطولكن يدا فكن يتطاولن ايتهن اطول يدا فكانت زينب اطولنا يدا لانها كانت تعمل بيدها وتتصدق ورواه الشعبى مرسلا فقال قلن لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اينا اسرع لحوقابك قال اطولكن يدا فى الصدقة وللبخارى عن عائشة اجتمع زوجاته صلى الله تعالى عليه وسلم فقلن له اينا اسرع لحوقابك قال اطولكن يدا فاخذنا قصبة نذرعها وكانت سوداء بنت زمعة اطولنا ذراعا فتوفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكانت اسرعنا لحوقا به فعرفنا ان طول يدها فى الصدقة وكانت تحب الصدقة قال الدلجى وهو يخالف حديث مسلم والشعبى مع منافاة ما افاده قولها ان طول يدها كان بالصدقة من انه طول معنى لما افاد قولها كانت اطولنا ذراعا من انه طول حسا انتهى ولا منافاة لانها اولا ان المراد بالطول هو الحسى فتبين لها بعدها ان المقصود هو الطول المعنوى كما هو المعتبر عند ارباب النظر مع مافى العبارة من حسن الاشارة الى ان التلويح ابلغ من التصريح وان فى التعمية حسن التورية عند الفصيح ثم يمكن الجمع بين ما ورد فى الصحيحين ان تكون احداهما اسرع حقيقيا والاخرى اضافيا ولعل الاسرع منهما هى الاكثر منهما مبادرة الى الصدقة وهذا مما الهمنى الله من التحقيق والله ولى التوفيق ثم رأيت الحلبى قال زينب هذه بنت جحش توفيت سنة عشرين اواحدى وعشرين لازينب بنت خزيمة التى تدعى ام المساكين لانها توفيت فى آخر ربيع الاول على رأس تسعة وثلاثين شهرا من الهجرة (واخبر بقتل الحسين) اى ابن على رضى الله تعالى عنهما (بالطف) بفتح الطاء وتشديد الفاء مكان بناحية الكوفة على شط نهر الفرات واشتهر الآن بكربلاء كأنه مركب من الكرب والبلاء وحذفت الباء الاولى تخفيفا والاكتفاء بسبب الايماء واستشهد وهو ابن خمس وخمسين سنة ووجد به ثلاث وثلاثون طعنة وثلاث وثلاثون ضربة وكان جميع من حضر معه من اهل بيته وشيعته سبعة وثمانين منهم على بن الحسين الاكبر وكان يرتجز ويقول

(انا على بن الحسين بن على * نحن وبيت الله اولى بالنبى * تالله لايحكم فيها ابن الدعى)

وقتل من ولد اخيه عبدالله بن الحسن والقاسم بن الحسن ومن اخوته العباس بن على وعبدالله بن على وجعفر بن على وعثمان بن على ومحمد بن على وهو اصغرهم ومن ولد جعفر بن ابى طالب محمد بن عبدالله بن جعفر وعون بن عبدالله ابن جعفر ومن ولد عقيل بن ابى طالب عبد الله بن عقيل وعبد الرحمن بن عقيل وجعفر بن عقيل وقتل معه من الانصار اربعة والباقى من سائر العرب ودفنوا بعد قتلهم بيوم وذكر ابوالربيع ابن سبع فى مناقب الحسين عن يعقوب ابن سفيان قال كنت فى ضيعتى فصلينا العتمة ثم جلسنا فى البيت ونحن جماعة فذكروا الحسين بن على فقال رجل مامن احد اعان على قتل الحسين الا اصابه عذاب قبل ان يموت وكان فى البيت شيخ كبير فقال انا ممن شهدها وما اصابنى امر اكرهه الى ساعتى هذه فطفئ السراج فقام لاصلاحه فثارت النار فاخذته فجعل يبادر بنفسه الى الفرات ينغمس فيه فاخذته النار حتى مات قلت بل جمع له بين الاحراق والاغراق (واخرج بيده تربة) اى قبضة من التراب (وقال فيها مضجعه) بفتح الميم والجيم ويكسر اى مقتله اومدفنه رواه البيهقى من طرق ولفظ حديثه عن عائشة ان جبريل كان عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذ دخل حسين فقال جبريل من هذا فقال ابنى فقال ستقتله امتك وان شئت اخبرتك بالارض التى يقتل فيها فاشار بيده الى الطف من العراق فاخذ تربة حمراء فاراه اياها (وقال) اى النبى عليه السلام كما رواه ابن عدى والبيهقى (فى زيد بن صوحان) بضم اول المهملتين اختلف فى صحبته (يسبقه عضو منه الى الجنة فقطعت يده فى الجهاد) ولفظ البيهقى عن على قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من سره ان ينظر الى رجل يسبقه بعض اعضائه الى الجنة فلينظر الى زيد بن صوحان وفى اسناده هذيل بن بلال ضعفه البيهقى وفى الحديث ايماء الى

جواز تعلق الروح بالاجزاء من غير تمام الاعضاء كما حققه العلماء (وقال) اى النبي عليه الصلوة والسلام والتحية والثناء (في الذين كانوا معه) اى كما سبق ذكرهم من الشيخين وعثمان وغيرهم رضي الله تعالى عنهم (على حراء) اى وقد تحرك بهم كما في الانباء والمعنى قال في حقهم وعلو شانهم مخاطبا للجبل (اثبت) اى مع الثابتين من الاعلام (فانما عليك نبي وصديق وشهيد) وفي نسخة باو في الموضعين فهي للتنويع ولفظ مسلم ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان على حراء هو وابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحرك فقال اهدأ فما عليك الا نبي او صديق او شهيد زاد بعضهم سعدا مكان علي (فقتل علي وعمر وعثمان) كذا في النسخ ولعل تقديم علي لثبوت شهادته بصريح الخبر وفي اصل الدلجي فقتل عمر وعثمان وعلي (وطلحة والزبير وطعن سعد) اى وجرح وحصلت له الشهادة بسبب الجراحة وبشهادة الحديث وقال التلمساني اى اصابه طاعون وهو شهادة لكل مسلم انتهى لا كما قال الدلجي ولم تنله الشهادة كما لا يخفى على اهل الافادة (وقال) اى النبي عليه الصلوة والسلام كما رواه البيهقي (لسراقة) بضم السين وهو ابن مالك ابن جعشم بضمتين (كيف بك) اى كيف حالك (اذا لبست سوارى كسرى) تثنية السوار بكسر السين وتضم وجمعه اسورة وجمع الجمع اساور وهو ما يلبس في اليد وفيه تنبيه على هلكه وزوال ماله وملكه مع كمال شوكته وقوته منتقلا الى اصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم وائمة امته (فلما اتى عمر بهما) اى بجيء بسوار به (البسهما اياه) اى سراقة اظهارا لتحقق ما صدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم اخبارا (وقال) اى عمر الحمد لله الذى سلبهما كسرى) اى ملك العجم (والبسهما سراقة) اى واحدا من بدو العرب ولعل في تقديم المفعول الثاني ايماء الى الاهتمام بذكرهما وما يعقبه من شكرهما فاندفع اعتراض الدلجي ولو قال البسه اياهما لكان اولى (وقال) اى النبي عليه الصلوة والسلام كما رواه ابونعيم في الدلائل عن جرير بن عبدالله والخطيب في تاريخه (تبنى) اى ستبنى (مدينة بين دجلة) بكسر الدال وتفتح نهر مشهور بالعراق (ودجيل) بالتصغير بالاهواز عليه مدن كثيرة مخرجه من اصفهان (وقطربل) بضم قاف وسكون مهملة فضم راء وموحدة فلام مشددة ممنوعا من الصرف موضع بالعراق (والصراة) بمهملة مفتوحة نهر بالعراق وفي بعض الاصول بالهاء بدل الصاد ذكره الشمني قال الحلبي والهراة كذا في الاصل وهو بفتح الهاء بلد معروف وفي القاموس الهراة بلد بخراسان وقرية بفارس والنسبة هروى محركة (تجبي اليها) بضم التاء وسكون الجيم وفتح الموحدة اى تجمع وتجلب الى تلك المدينة (خزائن الارض) لانها صارت دار الملك يخسف بها) اى يستحق ان يخسف بها لكثرة ظلم اهلها ولان بناءها اسس على شفا جرف هار (يعني) اى يريد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (بها) اى بتلك المدينة (بغداد) معربان لغلتها وقد بناها ابو جعفر الداونيقي ثاني خلفاء بني العباس لكن قال احمد بن حنبل لم يحدث به اى بحديث بغداد ثقة ومداره على عمار بن سيف وهو مغفل وقال الذهبي في ميزانه حديثه منكر (وقال) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر لهذه الامة من فرعون لقومه) رواه احمد ورواه البيهقي عن سعيد بن المسيب مرسلا وحسنه قال وولد لاخي ام سلمة من امها غلام فسموه الوليد فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تسموا باسماء فراعنتكم فسموه عبد الله فانه سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد بن عبد الملك ثم رأينا انه ابن اخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك لفتنة الناس اذ خرجوا عليه لامور اقترفها فقتلوه فانفتحت به الفتن على الامة كذا ذكره الدلجي وقال الحديث في مسند احمد من حديث سعيد بن المسيب عن عمر رضي الله تعالى عنه وسعيد اختلف في سماعه من عمر وقد ذهب احمد الى انه سمع منه وقد ذكر هذا الحديث ابن الجوزي في موضوعاته من طريق احمد ثم نقل عن ابن حبان انه خبر باطل الى آخر كلامه (وقال) اى كما في الصحيحين (لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة) وهي الاسلام او الخلافة فوقع كما اخبر في حرب صفين فان صفوان بن عمر وقال كان اهل الشام ستين الفا فقتل منهم عشرون الفا واهل العراق مائة وعشرون الفا فقتل منهم اربعون الفا (وقال) اى النبي عليه الصلوة والسلام (لعمر) اى ابن الخطاب كما رواه البيهقي وشيخه الحاكم عن الحسن بن محمد مرسلا (في سهيل بن عمرو) اى في شانه وقد قال له عمر يا رسول الله دعني انزع ثنيته فلا يقوم خطيبا في قومه فقال دعها (عسى ان يقوم مقاما يسرك يا عمر فكان) اى الامر (كذلك) اى مثل ما اخبر عنه هنالك (فانه قام بمكة) اى عند الكعبة (مقام ابي بكر) اى في مرتبته وثبات حالته في المدينة (يوم بلغهم موت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بتخفيف اللام اى وصلهم خبر موته صلى الله تعالى عليه وسلم (وخطب بنحو خطبته) اى بمثل خطبة الصديق في المدينة يومئذ (وثبتهم) بتشديد الموحدة اى حملهم على الثبات في الدين (وقوى بصائرهم) بتشديد الواو اى وصار سببا لتقوية كشف بصائرهم في اليقين فقال من كان محمد اليه فان محمدا قد مات والله حي لا يموت وكانت خطبة ابي بكر من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت

الا ان ابا بكر رضي الله تعالى عنه راد عليه بتبيان الآيات البينة الدالة على موته صلى الله تعالى عليه وسلم زيادة كما في رواية قال البيهقي ثم الحق في ايام عمر بالشام مرابطا في سبيل الله حتى مات بها في طاعون عمواس (وقال لخالد) اي ابن الوليد (حين وجهه) بتشديد الجيم اي ارسله (لاكيدر) بالتصغير مالك كندة اختلف في اسلامه وصحبته (انك تجده يصيد البقر) اي بقر الوحش قال الخطيب كان نصرانيا ثم اسلم وقيل بل مات نصرانيا وجمع بينهما بانه اسلم ثم ارتد قال ابن منده وابو نعيم الاصبهاني في كتابيهما معرفة الصحابة ان اكيدر هذا اسلم واهدى للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم حلة سيراء فوهبها لعمر قال ابن الاثير اما الهدية والمصالحة فصحيحان واما الاسلام فغلط فانه لم يسلم بلا خلاف بين اهل السير وكان اكيدر نصرانيا فلما صالحه عليه الصلاة والسلام عاد الى حصنه وبقي فيه ثم ان خالدا حاصره زمن ابي بكر فقتله مشركا نصرانيا لنقض العهد قال وذكر البلاذري ان اكيدر لما قدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعاد الى دومة بضم الدال ويقال دومة الجندل موضع بين مكة وبرك الغماد والحجاز والشام فلما توفي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ارتد اكيدر ومنع ماقبله فلما سار خالد من العراق الى الشام قتله (فوجدت هذه الامور كلها في حياته وبعد موته) اي وقعت هذه الاخبار المذكورة جميعها الا ان منها ماوقع في حياته ومنها ماوقع اوسيقع بعد مماته (كما قاله عليه الصلاة والسلام) اي على نهج ما اخبر به عنه في ذلك المقام من المعنى المرام (الى) اي منضمة اومنتهية الى (ما اخبر به جلساءه من اسرارهم) اي خفيات افعالهم (وبواطنهم) اي مكنونات احوالهم كقوله لرجل وصف له بالعبادة هل حدثت نفسك انه ليس في القوم خير منك قال نعم وفي رواية وبواطنهم اي ومشاهدهم وفي اصل التلمساني ومواصلتهم اي مواصلة الناس من اهل الاسلام ونقل مايعتمدون الى اخوانهم الكفرة (واطلع عليه) اي والى ماانكشف عليه (من اسرار المنافقين) اي فيما بينهم (وكفرهم) اي من جهة تواطئهم كما ظهر منهم في غزوة تبوك وهم سائرون بين يديه انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات لما علمهم به فقالوا لا ماكنا في شيء من امرك بل كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر فوبخهم الله وكذبهم بقوله تعالى قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن (وقولهم فيه) اي ومن تكلمهم في حقه عليه الصلاة والسلام (وفي المؤمنين) اي من اصحابه الكرام كما وقع لرئيس المنافقين عبد الله ابن ابي حين قال لاصحابه وقد استقبله نفر من اصحاب النبي عليه الصلاة والسلام انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر فقال مرحبا بسيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق في دين الله ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رأيتموني فعلت فاثنوا عليه فنزلت فيهم واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا انؤمن كما آمن السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن لايعلمون واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن الآيات (حتى ان) مخففة (كان بعضهم) اي المنافقين (ليقول لصاحبه) اي رفيقه الطاعن في الاسلام واهله (اسكت) اي عن نحو هذا الكلام (فوالله لو لم يكن عنده من يخبره) اي شيء من الاشياء (لاخبرته حجارة البطحاء) اي صغار الحصى كما وقع يوم فتح مكة حين دخل النبي عليه الصلاة والسلام في البيت وامر بلالا ان يؤذن فقال عتاب بن اسيد لقد اكرم الله اسيدا انه لم يسمع هذا فقال الحارث ابن هشام اما والله لو اعلم انه حق لاتبعته وفي رواية اما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا فقال ابو سفيان لا اقول شيئا لو تكلمت لاخبرته عني هذه الحصباء فلما خرج قال لهم لقد علمت الذي قلتم واخبرهم فقال عتاب والحارث نشهد انك رسول الله مااطلع على هذا احد كان معنا فنقول اخبرك (واعلامه) اي ومن اخباره عليه الصلاة والسلام كما في الصحيحين عن عائشة (بصفة السحر الذي سحره به لبيد بن الاعصم) اي من يهود (وكونه) اي ومن كون سحره (في مشط) بضم الميم وسكون المعجمة وتثلث وبضمهما مايمشط به (ومشاقة) وفي نسخة صحيحة ومشاطة وكلاهما بضم اولهما بمعنى وهو مايسقط من الشعر عند امتشاطه (في جف طلع نخلة) بضم الجيم وتشديد الفاء اي وعاء في غشائه الذي يكون فوقه وروي جب بالموحدة وهما بمعنى وهو داخلها وقوله (ذكر) بالجر صفة طلع او نخلة على ان التاء للوحدة كالنخلة وليس بفعل ماض معلوم او مجهول كما يتوهم من اقوال الدلجي (وانه) اي السحر فيما ذكر (القي في بئر ذروان) بفتح الذال المعجمة وسكون الراء وهي بالمدينة بستان لبني زريق ويقال له بئر ذي اروان كذا في مسلم وكلاهما صحيح وما في مسلم اصح وادعى ابن قتيبة انه الصحيح ذكره النووي واما بالواو قبل الراء فموضع بين قديد والجحفة (فكان) اي فوقع الامر (كما قال) اي من خبر السحر (ووجد على تلك الصفة) اي الهيئة من كونه في مشط ومشاطة (واعلامه) اي ومن اخباره (قريشا) كما رواه البيهقي عن الزهري (باكل الارضة) بفتح الهمزة والراء دويبة تاكل

الخشب (مافي صحيفتهم التي تظاهروا) اى تعاونوا وتناصروا (بها على بنى هاشم وقطعوا بها ارحامهم) اى قرابتهم من بينهم وبينهم نسب يجمعهم (وانها) اى وبان الارضة (ابقت فيها كل اسم الله) وقد روى ابن ابى الدنيا فى سيرته مرسلا انها لم تترك فيها اسما لله الا لحسته وبقى فيها ما كان من شرك او ظلم او قطيعة رحم وقد ذكر الروايتين ابو الفتح اليعمرى فى سيرته واهل القضية متعددة اووقع وهم لبعض فى قلب الرواية والمذكور فى الاصل هو الانسب بالدراية فان لله الاسماء الحسنى باقية على صفحات الدهر بالنعت الاسنى ثم رأيت الحلبى اختار ان كونها لحست اسم الله اقوى وان كان فيه ابن لهيعة وهو مرسل والاخر ذكره ابن هشام انتهى ولا يخفى ان التعارض اذا وقع فيجمع بينهما ان امكن والا فيرجح والا فيحمل على التعدد اذا تصور بان يقال علقت واحدة فى الكعبة واخرى عندهم والله تعالى اعلم (فوجدوها) اى الصحيفة (كما قال) اى من اكل بعض ما فيها وابقاء باقيها (ووصفه) عطف على اعلامه اى ونعته عليه الصلاة والسلام (لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه فى خبر الاسراء) اى فى صبيحة ليلة اسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى منتهيا الى السماء (ونعته اياه) اى بيت المقدس اهم على ما مر (نعت من عرفه) اى كنعت من عرفه حق معرفته (واعلامهم) اى واعلامه اياهم (بعيرهم) بكسر العين اى بقافلة ابلهم (التى مر عليها فى طريقه) اى حين رجع من مسيره الى مقام تحقيقه (وانذارهم) اى اعلامهم (بوقت وصولها) وان جملا اورق يقدمها فى يوم كذا قبل ان تغيب الشمس فى مغربها (فكان) اى فوقع ذلك (كله كما قال) اى كما اخبره صلى الله تعالى عليه وسلم (الى ما) اى مع ما (اخبر به من الحوادث التى تكون) اى ستوجد ويأتى امرها (ولم تأت بعد) بضم الدال اى ولم تقع عقب زمن اخباره بل ستأتى بعد ازمان متباعدة عن اثاره (منها) اى من الحوادث التى تكون (ماظهرت مقدماتها) بكسر الدال المشددة وتفتح وفى نسخة مقدماته (كقوله) اى فيما رواه ابو داود (عمران بيت المقدس) بضم العين اى كثرة عمارته باستعلاء الكفار على امارته (خراب يثرب) اى سبب خراب المدينة المشرفة وضعف جماعته (وخراب يثرب خروج الملحمة) اى علامة ظهور الحرب والفتنة (وخروج الملحمة فتح القسطنطينية) بضم القاف والطاء الاولى وتفتح وبكسر الطاء الثانية بعدها ياء ساكنة فنون وتاء تانيث كذا فى النسخ المصححة وفى رواية السجزى بزيادة ياء مشددة وهى ام ملك الروم ثم كل سابقة مما ذكر علامة مستعقبة اللاحقة وفى حاشية الحجازى وقسطنطينية ويروى بلام التعريف وفيها ست لغات فتح الطاء الاولى وضمها مع تخفيف الياء الاخيرة ومع تشديدها ومع حذفها وحذف النون والقاف مضمومة بكل حال ثم اختلفوا اهل افتحت ام لا فقيل كان ذلك فى زمن عمر او عثمان وقيل لا بل انما ستفتح مع قيام الدجال والله تعالى اعلم بالحال (ومن اشراط الساعة) اى والى ما اخبر به من علاماتها المتقدمة كما فى الصحيحين ان من اشراط الساعة ان يرفع العلم ويكثر الجهل والزنى وشرب الخمر وتقل الرجال وتكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد (وآيات حلولها) اى علاماته المؤذنة بوقوعها وحصولها لحديث مسلم لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوفات خسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم (وذكر النشر والحشر) اى ومن ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم اياهما فى اشراط الساعة فالمراد بهما ما يقع قبل القيامة من التفرقة والجمع كما حكى النووى عن العلماء من ان آخر اشراطها فى الدنيا قبل النفخة الاولى نفخة الصعق اى الموت بدليل ذكره مع آيات حلولها ولقوله عليه الصلاة والسلام ويحشر بقيتهم النار تبيت معهم وتقيل معهم كما فى حديث مسلم يحشر الناس اى احياء الى الشام على ثلاث طرائق راغبين راهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير واربعة على بعير وعشرة على بعير ويحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث اصبحوا وتمسى معهم حيث امسوا واما ما بعد بعثهم من القبور فعلى خلاف هذه الصفة من ركوب الابل والتعاقب عليها بل هو على ما ورد من كونهم حفاة عراة غرلا كما بدأكم تعودون هذا ووقع فى اصل الدلجى والنشر بعد الحشر وفسره بالبعث وهو اعادة ما افناه ولا يخفى انه لا يناسب المقام مع انه لغة غير مطابق للمرام فالصواب ما قدمناه فى الاصل من النسخ المصححة المشيرة الى ان الحشر بعد النشر فى علامات الساعة بخلاف يوم القيامة فان الحشر قبل النشر لانه يجمع الخلق اولا ثم يفرق بينهم كما اخبر عنه سبحانه وتعالى بقوله فريق فى الجنة وفريق فى السعير (واخبار الابرار) جمع بر وبار أى وذكر اخبارهم بما يسرهم مجملا وتفصيلا لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اخبارا عن الله سبحانه وتعالى اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (والفجار) جمع فاجر من فاسق وكافر واخبارهم اى بما يسوءهم كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الفجار يوم القيامة يبعثون فجارا الا من اتقى الله وصدق (والجنة والنار) اى ومن ذكرهما (وعرصات القيامة) اى وذكر

مواطنها من الميزان والحوض والصراط وغيرها وكذا الاسباب الخاصة بالجنة والنار من عرصات القيامة هذا وان اردت تفصيل ذلك في الجنة فعليك بكتاب شيخ مشايخنا جلال الدين السيوطي المسمى بالبدور السافرة في احوال الآخرة (وبحسب هذا الفصل) بسكون السين والباء زائدة كافي قولهم بحسبك درهم اي حسبك والمعنى كفى هذا الفصل من كماله في انفصل (ان يكون ديوانا مفردا) اي دفترا منفردا (يشتمل على اجزاء وحده) اي متوحدا غير منضم الى غيره (وفيما اشرنا اليه من نكت الاحاديث التي ذكرناها كفاية) اي غنية لمن له دراية (واكثرها في الصحيح) اي رواية (وعند الائمة) اي من كتب اصحاب السنة (والله ولي التوفيق) اي بالهداية في البداية والنهاية

(فصل)

(في عصمة الله تعالى له) اي في وقايته وحمايته (من الناس وكفايته من آذاه) اي وكفاية الله اياه شر من آذاه من عاداه وروى وكفاية من آذاه (قال الله تعالى والله يعصمك من الناس) اي يمنعك منهم ويكفيك عنهم (وقال تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا) اي بمرأى منا ومرعى في حفظنا وجمع لعين مناسبة لضمير او مبالغة في تصبيرها (وقال اليس الله بكاف عبده) وفي انكار النفي مبالغة في اثبات الكفاية (قيل بكاف محمدا اعداءه المشركين) فالمراد بعبده الفرد الاكمل او المعهود الافضل ويؤيده ان المشركين كانوا يقولون له انا نخاف ان تعتريك آلهتنا بسوء لعيبك اياها وقد روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم بعث خالد بن الوليد الى العزى ليكسرها فقال له سادنها اني احذركها ياخالد ان لها شدة لايقوم لها شيء فعمد اليها خالد فهشم انفها فنزل اليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه اي بما لايقدر على نفع وضر في نفسه (وقيل) اي في معنى الآية (غير هذا) اي القول بقصر الكفاية على محمد بل كافيه ولا كافي غيره فيكون الاضافة للجنس ويؤيده قراءة حمزة والكسائي اليس الله بكاف عباده بصيغة الجمع (وقال انا كفيناك المستهزئين وقال واذ يمكر بك الذين كفروا الآية) وقد سبق معناهما وما يتعلق بهما وقد قال الله تعالى ايضا فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم اي بالاقوال والاحوال (اخبرنا القاضي الشهيد ابو علي الصدفي) بفتحتين وهو ابن سكرة (بقراءتي عليه والفقيه الحافظ ابو بكر محمد بن عبد الله المعافري) بفتح الميم وتضم وكسر الفاء هو الاشبيلي وهو المعروف بابن العربي سمع نصر بن ابراهيم المقدسي وطبقته وروى عنه جماعة توفي بفاس سنة ثلاث واربعين وخمسمائة وهو على دابته بباب فاس وقد كان سبق ما يفيد شهيدا معلوما (قالا) اي كلاهما (ثنا ابو الحسين) بالتصغير وهو الصواب (الصيرفي) وهو المبارك بن عبد الجبار (ثنا ابو يعلى البغدادي) وهو المعروف بابن زوج الحرة (ثنا ابو علي السنجي) بكسر السين والجيم بينهما نون ساكنة (ثنا ابو العباس المروزي ثنا ابو عيسى الحافظ) اي الترمذي كافي نسخة وهو صاحب الجامع (ثنا عبد بن حميد) بالتصغير وتقدم ان هذا من غير اضافة (ثنا مسلم بن ابراهيم) اي الازدي سمع ابن المبارك وغيره وروى عنه البخاري وابو داود والدارمي (ثنا الحارث ابن عبيد) هو ابو قدامة الايادي البصري روى عن ثابت البناني اخرج له مسلم واستشهد به البخاري (عن سعيد الجريري) بضم الجيم وفتح الراء روى عن ابي الطفيل ويزيد بن الشخير وعنه شعبة ويزيد بن هارون (عن عبد الله ابن شقيق) هو العقيلي البصري يروى عن عمر وابي ذر والكبار وعنه قتادة وايوب قال احمد ثقة يحمل عن علي رضي الله تعالى عنه (عن عائشة) قال الحلبي اخرجه الترمذي في التفسير عن الحارث بن عبيد عن سعيد الجريري عن عبد الله ابن شقيق قال ولم يذكروا عائشة (قالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحرس) بصيغة المجهول اي يحفظ من الاعداء (حتى نزلت هذه الآية والله يعصمك من الناس) اي يحرسك من قتلهم اياك (فاخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رأسه من القبة) هي بيت صغير من الخيام مستدير من بيوت العرب (فقال لهم ايها الناس انصرفوا) الى رحالكم وكونوا على حالكم (فقد عصمني ربي عز وجل) اي فقد تكفل بعصمتي وحافظتي من كيد اعدائي من غير واسطة لي (وروى ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له اصحابه شجرة يقيل) بفتح الياء وكسر القاف اي يستريح (تحتها) من القيلولة وهي نوم نصف النهار ومنه قوله تعالى اوهم قائلون ومنه شعر الهاتف بمكة في حديث الهجرة الى المدينة

(جزى الله رب الناس خير جزائه * رفيقين قالا خيمتي ام معبد)

اي نزلا فيها عند القائلة وهي وقت الاستراحة من الظهيرة (فاتاه اعرابي) اي بدوي (فاخترط سيفه) اي سله من غمده ومرجع الضمير اما هو عليه السلام واما الاعرابي (ثم قال من يمنعك مني فقال الله) اي الله يمنعني منك (فارعدت) وفي نسخة صحيحة فرعدت بالبناء للمفعول فيهما وفي نسخة فارتعدت وروى فذعرت بذلك فجيئة من الذعر وهو

الفزع لكن لايلائم اسناده الى قوله (يد الاعرابي) اى اصابته رعدة وحركة مضطربة من الخوف (وسقط سيفه) وفي اصل الدلجي وسقط السيف من يده (وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه) اى دما ونحوه (فنزلت الآية) اى آية والله يعصمك من الناس وماراوه من الزيادة فغير معروف عند ارباب الدراية (وقد رويت هذه القصة) اى مثلها (في الصحيح) اى للبخاري وغيره (وان غورث بن الحارث) فوعل آخره مثلثة و يهمل اوله و يعجم مكبرا ومصغرا كما في الرواية الاخرى وتقدم انه اسلم وصحب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وروى انه دعثور فعلول كبهلول وثيه مهملة ذكره التلمساني (صاحب هذه القصة وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عفا عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس وقد حكيت) وفي نسخة وهي الاولى وقد حكى (مثل هذه الحكاية انها) وفي نسخة وانها (جرت له يوم بدر وقد انفرد من اصحابه) جملة حالية (لقضاء حاجته فتبعه رجل من المنافقين وذكر) بصيغة المجهول والمعلوم (مثله) اى مثل قوله من يمنعك اومثل ما حكى من انه اخترط سيفه الخ فرد الله خاسئا (وقد روى) اى كما في سيرة ابن اسحق الكبرى موصولا عن جابر بن عبدالله (انه وقع له) اى للنبي عليه الصلوة والسلام (مثلها في غزوة غطفان) بفتحتين قبيلة (بذى امر) بفتحتين موضع معروف من ديارهم و يقال لها غزوة نجد ايضا وولى المدينة حينئذ عبد الله ابن ام مكتوم استعمله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليها حين خرج اليها تجار بالهم مع رجل اسمه دعثور (بالضم ابن الحارث) اى الغطفاني والظاهر ان الخبر بن واحد و يؤيده قول الذهبي في تجريده الاشبه انه غورث بن الحارث وقال الحجازي وروى غويرث (وان الرجل) اى المشار اليه (اسلم فلما رجع الى قومه الذين اغروه) من الاغراء اى الزموه وحثوه على فعله هذا وفي نسخة اغووه اى اضلوه (وكان) اى الرجل (سيدهم) اى رئيسهم (واشجعهم) جملة معترضة (قالوا له اين ماكنت تقول) اى من دعوى القدرة واظهار الشجاعة (وقد امكنك) اى والحال انك قد تمكنت من الفتك فيه (فقال اني نظرت الى رجل ابيض طويل دفع في صدرى فوقعت لظهرى) وفي نسخة الى ظهرى (وسقط السيف) اى من يدى (فعرفت انه ملك واسلمت قيل وفيه نزلت يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذهم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم) اى قصدوا ان يمدوها فتكا واهلاكا (فكيف ايديهم عنكم) اى فمنعها الله ان تمد اليكم (الآية) تمامها واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون وفي رواية ان المشركين رأوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه بعسفان قدصلوا الظهر جميعا فندموا ان لا كانوا اكبوا عليه وهموا ان يوقعوا بهم فعلا اذقاموا الى صلاة العصر فنزلت صلاة الخوف وقيل اتى صلى الله تعالى عليه وسلم بني قريظة ومعه الخلفاء الاربعة يستقرضهم دية مؤمنين قتلهما عمرو بن امية خطأ ظنهما كافرين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس نطعمك ونقرضك فجلس في صفة فهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة ليطرحها عليه فامسك الله يده فاخبره جبريل فخرجوا من عندهم سالمين (وفي رواية الخطابي ان غورث بن الحارث) وفي نسخة غويرث مصغرا واختاره الحلبي وتبعه الحجازي وروى الخطابي ان غورث اوغويرث بن الحارث المحاربي على الشك اهو بالعين المهملة او المعجمة ولم يشك في التصغير والمشهور ماذكره الحافظ المزي ان غورث بالمعجمة غير مصغر كما اورده المصنف فيما تقدم والله سبحانه وتعالى اعلم (المحاربي) بضم الميم وكسر الراء والموحدة (اراد ان يفتك) بكسر التاء الفوقية وتضم وحكى الفتح ايضا اى يأخذ على غرة وغفلة باطشا (بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اى يقتله فجأة (فلم يشعر) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم به (الاوهو قائم على رأسه منتضيا) بالضاد المعجمة والتحتية اى سالا (سيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب من وجهه) اى انقلب اوسقط ومن ابتدائية او بمعنى على وفي اصل الدلجي فاكب لوجهه اى عليه (من زلخة) بضم زاى وتشديد لام مفتوحة فخاء معجمة وقيل مشددة زلخها) بضم اوله وكسر ثانيه مخففة اى من اجل زلخة (بين كتفيه وندر) اى خرج وسقط (سيفه من يده والزلخة وجع الظهر) اى بحيث لايتحرك من شدته و يروى بتخفيف اللام من الزلخ وهو الزلق (وقيل في قصته) اى قصة غورث (غير هذا) اى ماذكر من نوع آخر وهو ماروى انه اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو عليه السلام متقلد بسيفه قال ابن هشام وكان محلى بفضة فقال يا محمد ارني سيفك فاعطاه اياه فجعل الرجل يهز السيف و ينظر مرة الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومرة الى السيف فقال من يمنعك مني يا محمد قال الله فتهدده اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فشام السيف ومضى فانزل الله هذه الآية (وذكر) بصيغة المجهول اى وذكر بعضهم وفي اصل الدلجي ذكر بصيغة الفاعل اى ذكر الخطابي (ان فيه) اى في غورث (نزلت يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذهم قوم الآية) اى كما سبقت (وقيل كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يخاف قريشا) اى من ان يقتلوه او يخذلوه (فلما نزلت هذه الآية) اى ونحوها من قوله تعالى والله يعصمك من الناس

وما احترنا من الجمع بينهما اولى مما قال الدلجي اي هذه الآية اوواقعة ينسيك (اسلمني) جواب لما اي وجد على قفاه اوكتفيه دمي لسراح من اذى من آذاه (ثم قال من شاء فليخذلني) اومن شاء فلينصرني فان ربي لا يخذلني فالامر للتهديد نحو قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر اولمن فليخذلني اي فليفعلني فانه لا يقدر على تلك فالامر للتعجيز (وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب) وهي العوراء اخت ابي سفيان ابن حرب زوجة ابي لهب عم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل بنت هشام اخت ابي جهل (تضع العضاه) بكسر العين وفي آخر الكلمة هاء وقفا ووصلا وهي اشجار عظام ذات شوك واول التقدير ترمي شوكها وقد تصحف على الحلبي حيث ضبط بفتح العين والضاد المعجمتين وهو مخالف لما في الاصول المعتمدة والحواشي المعتبرة (وهي جمرة) جملة حالية ولعل المراد تشبيه الشوك بالجمرة حال حدتها فان الجمرة هي النار الموقدة ثم اغرب بعضهم فذكر معناه انه شجر لجمره حرارة شديدة وقد قال اهل التفسير انها كانت تضع الشوك ولذا سميت حمالة الحطب على احد الاقوال ولعلها كانت تضع الشوك مرة والجمر اخرى اوكانت تجمع بينهما والله تعالى اعلم (على طريق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اي وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يمشي عليها (فكأنما يطأها كثيبا اهيل) بفتح فسكون فتحتية فلام وروى بميم وهو آتمي اي رملا سائلا حيث لم تضره اياها (وذكر ابن اسحق عنها) اي عن حمالة الحطب ورواه ابو يعلى والبيهقي وابن ابي حاتم عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله تعالى عنهما (انها) اي حمالة الحطب (لما بلغها نزول تبت يدا ابي لهب) وزيد في نسخة وتب (وذكرها) اي وبلغ ذكر الله اياها (بما ذكرها الله مع زوجها من الذم) اي بقوله وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد (اتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو جالس في المسجد ومعه ابو بكر وفي يدها فهر) بكسر الفاء وسكون الهاء بعدها راء حجر ملء الكف (فلما وقفت عليهما) اي قريبا من مكانهما (لم تر) جواب لما اي ما رأت (الا ابا بكر واخذ الله ببصرها) اي صرفه وحجبه (عن نبيه عليه الصلاة والسلام فقالت يا ابا بكر اين صاحبك فقد بلغني انه يهجوني) اي يذمني (والله لو وجدته) اي حاضرا اولو صادفته (لضربت بهذا الفهر فاه) اي فمه ثم رجعت خائبة خاسئة (وعن الحكم ابن ابي العاص) والد مروان بن الحكم عم عثمان بن عفان اسلم يوم الفتح وقد روى ابو نعيم في الدلائل والطبراني بسند جيد عنه (قال تواعدنا) اي اجتمعنا وتواطأنا معشرا من الكفار (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اي على قتل النبي المختار واستمر هذا الاصرار (حتى اذا رأيناه) اي في موضع (سمعنا صوتا خلفنا) اي صوتا عظيما من ورائنا (ما ظننا انه بقي بتهامة) اي بارضها والمراد بها هنا مكة (احد) اي حيا هكذا في الاصول وقع في اصل الدلجي لم يبق فتكلف بل تعسف حيث قال الظن وان لم يتعرف التي فليس بمعنى ال المتبقي ظاهر اللفظ اي ظننا انه لم يبق بتهامة احد هذا وتهامة اولها من ذات عرق الى البحر (فوقعنا) اي سقطنا (مغشيا علينا) اي من فزع ما سمعنا وهول ما ظننا (فما افقنا) اي ما انتبهنا (حتى قضى صلاته) اي فرغ عليه الصلاة والسلام منها (ورجع الى اهله) اي مضى كما في نسخة (ثم تواعدنا ليلة اخرى فجئنا) اي قاصدين له (حتى اذا رأيناه) اي غالبا في مكان (جاءت الصفا والمروة) اي حضرنا اوتصور شيء تصورتهما (فحالت بيننا وبينه وعن عمر تواعدت انا وابو جهم ابن حذيفة) بالرفع هو عبد الله بن حذيفة بن غانم العدوي اسلم عام الفتح وصحب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكان مقدما في قريش معظما وكانت فيه وفي بنيه شدة وقد ادرك بنيان الكعبة حين بناها ابن الزبير فعمل فيها ثم قال قد عملت في الكعبة مرتين مرة في الجاهلية بقوة غلام يافع وفي الاسلام بقوة شيخ فان وهو صاحب الانبجانية (ليلة) اي من الليالي حال قتله (قتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بالنصب على نزع الخافض وهو على كما في نسخة صحيحة (فجئنا منزله) اي لتفحص حاله (فسمعنا له) اي صوتا وفي نسخة فسمعناه اي صوته (فافتتح) اي ابتدأ القراءة (وقرأ الحاقة) اي الساعة الواجب وقوعها الثابت مجيئها وتحقق الامور فيها وتعرف حقيقتها (ما الحاقة) خبر المبتدأ اي اي شيء هي موضع الظاهر موضع المضمر تفخيما لشأنها وتعظيما لهولها (الى فهل ترى لهم من باقية) اي ما ترى لهم من نفس اوفئة اومن بقية وما بينهما معلوم من القرآن وتفسيره لا يحتاج الى البيان (فضرب ابو جهم على عضد عمر وقال) لعمر (انج) امر من نجا ينجو (وفرا) وفي نسخة وفرا اي ذهبا كلاهما (هاربين) اي شاردين وفيه مبالغة لا تخفى (فكانت) اي القصة وقال الدلجي اي المواعدة اوقراءة الحاقة (من مقدمات اسلام عمر) اي من مقدماته وكذا من اسلام ابي جهم على ما تقدم (ومنه) اي ومن قبيل احد نصر الاعداء ومخادعة اشد الاحياء (العبرة المشهورة) بكسر العين وهي ما يعتبر من القصة العامة (والعاقبة المحمودة عندما اخافته قريش) اي خوفوا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (واجتمعت) وفي نسخة واجمعت اي عزمت (على قتله وبيتوه) بتشديد التحتية اي دبروا له ليقتلوه غفلة على غرة وغفلة (فخرج عليهم من بيته) كما رواه ابن اسحق والبيهقي عنه عليه السلام

(فقام على رؤسهم وقدضرب الله على ابصارهم) اى حجبها عن رؤيته (وذر التراب) بذال معجمة فراء مشددة اى نثره وفرقه (على رؤسهم) قال الحلبي وكانوا مائة وفى نسخة بتخفيف الراء فهمزة وهو تصحيف وتحريف (وخلص منهم) اى نجا وتخلص من غيران يصيبه شئ وفى رواية انه خرج من ظهر البيت طأطأت له جارية اسمها مارية خادمته عليه الصلاة والسلام حتى تسور الجدار الذى للبيت من ظهره (وحمايته) اى ومنه حفظه بحجبه (عن رؤيتهم) اى له ولابى بكر (فى الغار) متعلق باحد المصدرين وقال الدلجى حال والتقدير وهما فى الغار وهو تكلف بل تعسف (بما هيأ الله) اى قدره (له من الآيات) اى من خوارق العادات (ومن العنكبوت) عطف بيان لبعض ماقبله (الذى نسج عليه) اى على باب الغار وهو غار ثور جبل بمنة مكة (حتى قال امية بن خلف) وهو ممن مات كافرا (حين قالوا) اى اصحابه (ندخل الغار) بصيغة الاخبار على تقدير الاستفهام وروى ادخل فعل امر اى رجاء ان يكون فيه مختفيا (ماار بكم فيه) بفتح الهمزة والراء وهو مقول امية اى اى شئ حاجتكم الداعية لدخولكم فى الغار (وعليه من نسج العنكبوت ماارى) بضم الهمزة وفتحها اى شئ اظن (انه قبل ان يوجد محمد) اى كائن اوموجود على باب الغار وفى نسخة انه الامن قبل ان يولد محمد وفى نسخة مارابكم بدل ماار بكم اى اى شئ اوقعكم فى الريبة وشبهة المظنة انه فى الغار والحال الخ (ووقفت) بالقاف وروى بالعين اى سقطت (حمامتان على فم الغار) وهو نقب فى الكهف (فقالت قريش) اى كلهم اوبعضهم (لوكان فيه احد لما كانت هناك الحمام) اى لكمال نفرته عن الانام (وقصته) اى ومن ذلك قصته عليه السلام كمارواه الشيخان عن البراء (مع سراقة بن مالك بن جعشم) بضم جيم وشين معجمة (حين الهجرة) بكسر الهاء وقال التلمسانى بفتح وبكسر (وقد جعلت قريش فيه) اى فى حق النبى (وفى ابى بكر) اى فى اخذهما (الجعائل) جمع جعيلة اوجعالة بالفتح وهى الاجرة على شئ فعلا اوقولا والجعل بالضم الاسم وبالفتح المصدر فتدبر وقد عين السهيلى ذلك فقال بذلت قريش مائة ناقة لمن يرد عليهم محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم (فانذربه) على بناء المفعول اى فاعلم سراقة بتوجهه صلى الله تعالى عليه وسلم مهاجرا الى المدينة (فركب فرسه واتبعه) بتشديد الفوقية اى تبعه رجاء ان يلحقه (حتى اذاقرب) بضم الراء اى دنا (منه دعا عليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لما رأى عليه من آثار الشر وتوهم الضرر (فساخت) بالخاء المعجمة اى غاصت وغابت فى الارض وانخسفت (قوائم فرسه فخرعنها) اى فسقط اوفنزل عنها (واستقسم بالازلام) جمع زلم بفتحتين اوبضم ففتح وهى سهام لاريش بها ولانصل كان يكتب على احدها افعل وعلى الآخر لاتفعل وغيرها مغفل وكان محلها داخل الكعبة عند السدنة كما فى تفسير قوله تعالى وان تستقسموا بالازلام وكان بعضهم يجعلها فى متاعه وجبته فاذا عرض له مهم اخرج منها سهما فان خرج له افعل فعل اولاتفعل لاتفعل وان خرج المغفل اعاد العمل وقيل كان المكتوب على الواحد امرنى ربى وعلى الثانى نهانى ربى والثالث غفل لاشئ عليه وقيل ان الازلام حصى بيض كانوا يضربون بها لذلك والاول اعرف واصل معنى استقسم ضرب بها لاخراج ماقسم الله له من امره ونهيه وطلب معرفة تمييزه بكونه ان خرج له مايحب فعله اوخرج له مايكره كف عنه وهذا كله بناء على زعمه (فخرج له مايكره) اى من الفال على كل حال ومع هذا ماالتفت عن تلك الحال (ثم ركب فرسه ودنا حتى سمع قراءة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو) اى النبى (لايلتفت) اى اليه اومطلقا (وابو بكر يلتفت) اى الى سراقة اوالى جوانبه اوالى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم اتينا) بصيغة المجهول اى لحقنا من طلبنا اولحقونا اواتانا البلاء وجاءنا العناء (فقال لاتحزن ان الله معنا) اى ناصرنا ومعيننا اومعية خاصة لنا من قرب الرب الينا وفيه ايماء الى ماورد من ان الله يتجلى للناس عامة ولابى بكر خاصة (فساخت) اى قوائم فرسه (ثانية) اى مرة اخرى (الى ركبتها وخرعنها فزجرها) اى صاح عليها ونهرها فنهضت اى فقامت ووثبت (ولقوائمها مثل الدخان) بتخفيف الخاء وتشدد اى من آثار الغبار المرتفع (فناداهم) اى النبى والصديق وعامر بن فهيرة مولى ابى بكر (بالامان) اى بطلبه (فكتب له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم امانا) اى امر بكتابته لقوله (كتبه ابن فهيرة) بضم الفاء وفتح الهاء وسكون الياء كان اسود وهو ممن عذب فى الله قتل ببئر معونة والتمس ليدفن فلم يوجد فرأوا ان الملائكة دفنته وهو قديم الاسلام اسلم قبل ان يدخل عليه السلام دار الارقم بن ابى الارقم ثم ماتقدم هو فى الصحيح قال التلمسانى اشتراه ابو بكر من الطفيل بن عبدالله بعدما اسلم فاعتقه وكان يرعى الغنم فى جبل ثور ثم يروح بها على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وابى بكر فى الغار وكان رفيقهما الى المدينة حين هاجرا وشهد بدرا واحدا وقتله عامر بن الطفيل يوم بئر معونة يروى عنه انه قال حين طعنت ابن فهيرة رأيت نورا خرج من الطعنة (وقيل ابو بكر) اى ونقل فى السير انه كتبه ابو بكر وجمع بان عامرا كتبه اولا فلم يرض سراقة الابكتابة ابى بكر لسيادته المعروفة فى قريش وان عامرا مولاه قال الحلبى وكتابه عليه الصلاة والسلام نيف واربعون نفرا ومنهم الخلفاء الاربعة

واكثرهم ملازمة لكتابته عليه السلام زيد بن ثابت ثم معاوية بن ابي سفيان بعد الفتح ذكر ذلك غير واحد من الحفاظ انتهى وقيل معاوية لم يكتب الوحي وانما كتب غيره والله تعالى اعلم (واخبرهم) اي سراقة (بالاخبار) اي اخبار الاغيار من كفار قريش وما جعلوه من الجعائل فيهما (وامره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان لا يترك احدا) اي ممن يلقاه من ورائه (يلحق بهم) بل يدفعه عن اتصاله اليهم ويلحق بالرفع وهو حال وفي نسخة بالنصب ووجهه اسقاط ان وابقاء عملها وهو قليل ومعناه هنا بعيد جدا (فانصرف) اي سراقة (يقول للناس) اي المقبلين اطلبهم (كفيتم) بصيغة المجهول (ما ههنا) اي ما تصور وجوده في جهته اوالمعنى ليس احد من تطلبونه ههنا واغرب التلمساني في قوله اغنتم من خروجكم وعصمتم عامنا (وقيل بل قال لهما) اي سراقة (اراكما دعوتما علي) اي بالضرر (فادعوا لي) اي بالمنفعة (فنجا) اي بعد ما دعواله (ووقع في نفسه ظهور النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اي فكان من مقدمات اسلامه (وفي خبر آخر) غير معروف عند اهل الاثر (ان راعيا عرف خبرهما) اي من التوجههما الى صوب المدينة ونحوهم (فخرج) اي من مكانه (يشتد) اي يعدو وعدوا سريعا (يعلم) اي حال كونه يريد ان يعلم وفي نسخة ليعلم (قريشا) اي باحوالهما (فلما ورد مكة ضرب) بصيغة المفعول اي ضرب بعض جهد (على قلبه) وحبس على خاطره (فما يدري ما يصنع) اي من كمال الذهول والغفلة والدهشة والوحشة (وانسي ما خرج له) اي لاجله وفي نسخة اليه اي الى حصوله (حتى رجع الى موضعه وجاء فيما ذكر ابن اسحق) اي في المغازي (وغيره) كابي نعيم في الدلائل عن ابن عباس انه اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ابو جهل بصخرة وهو) اي والحال انه عليه الصلاة والسلام (ساجد وقريش ينظرون) اي اليه كما في نسخة (ليطرحها عليه) وحلف لئن رآه ليدمغنه (فلزقت) بكسر الزاي اي الصقت كما في رواية (بيده ويبست) بكسر الموحدة اي جفت (يداه الى عنقه) اي مغلولتين اليد وممنوعتين من الحركة لديه في طرحها عليه (واقبل يرجع) اي وشرع راجعا (القهقرى) بفتح القافين مقصورا هو الرجوع الى الوراء وقوله (الى خلفه) تاكيد لما قبله اوتجريد لمعناه من اصله (ثم سأله) اي ابو جهل (ان يدعو له ففعل) اي دعا له ولم يؤاخذه كرما وشفقة وحلما ولما كان بينهما قرابة ورحما مما يقتضي لطفا ورحما (فانطلقت يداه) اي عقب ما دعا الله تعالى (وكان) اي ابو جهل (قد تواعد مع قريش بذلك) اي اطرح الصخرة عليه (وحلف) اي عندهم (لئن رآه) اي ساجدا كما في نسخة (ليدمغنه) اي ليصيبن دماغه وليهلكنه (فسألوه عن شانه) اي عن رجوعه بعد ظهور طغيانه (فذكر انه عرض لي) وفي نسخة له اي ظهر (دونه) اي بين يديه اوحواليه (فحل) اي من الابل اونحوه (ما رأيت مثله) اي عظمة وهيبة (قط) اي ابدا (هم) وفي نسخة فهم (بي) اي قصدني (ان ياكلني فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذاك جبريل) اي تمثل له بصورة الفحل (لودنا) اي قرب مني (لاخذه) اي الاخذ عزيز مقتدر (وذكر السمرقندي ان رجلا من بني المغيرة) وهو ابو جهل ابن هشام بن المغيرة واحد اقاربه (اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليقتله فطمس الله على بصره) اي محا قوة نظره (فلم يره) اي النبي صلى الله تعالى وسلم كما في نسخة (وسمع قوله فرجع الى اصحابه) اي وهو اعمى (فلم يرهم حتى نادوه) اي فعرف مكانهم ثم رآهم اواستمر على عماه (وذكر) اي السمرقندي (ان في هاتين القصتين) اي قصة ابي جهل والتي بعدها وروى القصتين (نزلت انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الآيتين) وفي نسخة الى قوله مقمحون والاقماح رفع الرأس وغض البصر وقد روى ابو نعيم في الدلائل عن ابن عباس بلفظ ان ناسا من قريش قاموا لياخذوه فاذا ايديهم مجموعة الى اعناقهم واذاهم عمي لا يبصرون فقالوا ننشدك الله والرحم فدعا حتى ذهب ذلك عنهم فنزلت يس الى قوله لا يؤمنون (ومن ذلك ما ذكره ابن اسحق) اي وغيره كما في نسخة صحيحة كالكلبي في تفسيره (في قصته اذ خرج الى بني قريظة) بالتصغير قال الحلبي والصواب ان يقول بني النضير كما في سيرة ابن سيد الناس وقال الحجازي وغيره الذي ذكره ابن اسحاق وغيره من اهل السير ان ذلك كان من بني النضير وهو سبب غزوهم لا من بني قريظة فان سببهم غزوة الخندق ثم قريظة والنضير اخوان هما ابناء الخزرج من ذرية هارون اخ موسى عليهما السلام (في اصحابه) وفي نسخة في نفر من اصحابه اي مع جماعة منهم الخلفاء الاربعة (فجلس الى جدار بعض آطامهم) بمد الهمزة اي ابنيتهم المرتفعة كالحصون فتخافتوا بينهم انكم لن تجدوه على مثل هذه الحالة من يعلو على مثل هذا الجدار ويرسل عليه ما يقتله فقال سلام بن مشكم لا تفعلوا فوالله ليخبرن بما هممتم به وانه لنقض ما بيننا وبينه من العهد واما نقض بني قريظة فسببه غزوة الخندق لانهم ظاهروا قريشا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ونقضوا العهد وسياتي من عند السمرقندي انه خرج الى بني النضير فذكر القصة فهذه هي الصواب (فانبعث) اي فقام واسرع اشقاهم (عمرو بن جحاش) بفتح الجيم وتشديد الحاء وبكسر وتخفيف والشين معجمة قتل كافرا (احدهم) وفي نسخة منهم اي احد منهم (ليطرح عليه رحى) بالقصر وبعد (فقام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اي بعد اخبار جبريل بذلك كما سياتي (فانصرف الى المدينة) اي وتبعه

اصحابه (واعلمهم) اى بعد انصرافه اوقبله (بقصتهم) اى تمالئهم على قتله (وقد قيل ان هذه الآية) وفى نسخة ان قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذهم قوم الآية) اى بتمامها (فى هذه القصة) اى قصة بنى النضير (نزلت وحكى السمرقندى انه) اى النبى عليه السلام (خرج الى بنى النضير يستعين فى عقل الكلابيين) اى فى دية الاثنين من قبيلة بنى كلاب بكسر اوله (اللذين قتل) اى قتلهما كما فى رواية (عمرو بن امية) اى الضمرى وفى نسخة الكلابى الذى قتله عمرو بن امية فالمراد به الجنس اذ صرح ابو الفتح اليعمرى فى السيرة انهما من بنى عامر وقتلهما عمرو على ظن انهما كافران بعد قتل اصحابه ببئر معونة ورجوعه الى المدينة عتيقا لعامر بن الطفيل العامرى وذلك للجوار الذى كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عقد لهما اذ كان بين بنى النضير وبنى عامر عقد لهما وحلف على يده صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يعلم به عمرو بن امية (فقال) اى له كما فى نسخة صحيحة (حيى) بالتصغير (ابن اخطب) بالخاء المعجمة وهو والد صفية ام المؤمنين (اجلس يا ابا القاسم حتى نطعمك) اى نضيفك مع اصحابك (ونعطيك ما سألتنا) اى من الاستعانة فى الدية (فجلس النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مع ابى بكر وعمر وتوامر) بالواو والهمزة وهو افصح اى تشاور (حيى معهم) اى مع يهود (على قتله فاعلمه جبريل بذلك فقام) اى وحده (كأنه يريد حاجته) اى قضاء حاجته واستمر على مشيته (حتى دخل المدينة) فلما استلبث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابه قاموا فى طلبه ثم سار اليهم وحاصرهم ست ليال فتحصنوا بحصونهم فقطع نخيلهم وحرقها تنكيلا لهم ثم قال لهم اخرجوا ولكم ما حملت الابل فنزلوا على ذلك وحملوا على ستمائة بعير فلحقوا بخيبر وهذه القصة بعينها هى الاولى وكان هذه عند القاضى قضية اخرى والله تعالى اعلم بما هو اولى واحرى هذا وحيى والد صفية ام المومنين يهودى قتل على كفره مع بنى قريظة صبرا (وذكر اهل التفسير الحديث) اى السياق المروى (عن ابى هريرة) وفى نسخة ومعنى الحديث عن ابى هريرة وفى اصل الدلجى وعن ابى هريرة والحديث فى صحيح مسلم وسنن النسائى (ان اباجهل وعد قريشا) اى وحلف عندهم وعهد (لئن رأى محمدا يصلى ليطأن رقبته) وفى نسخة على رقبته اى ليضعن رجله فوق رقبته صلى الله تعالى عليه وسلم واللام جواب قسم محذوف اى والله لا موطئة للقسم كما توهم الدلجى (فلما صلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى تلبس بالصلاة (اعلموه) اى اخبروا اباجهل (فاقبل) اى على قصد اذيته من وضع الرجل على رقبته (فلما قرب منه ولى) اى ادبر (هاربا) اى فارا (ناكصا على عقبيه) اى راجعا الى خلفه مخالفا لحلفه (متقيا بيديه) اى متحفظا بهما لشئ ظهر عليه متوجها اليه (فسئل) اى عن سبب رجوعه واتقائه (فقال لما دنوت منه) اى قربت (اشرفت) اى اطلعت (على خندق) اى واد او حفير (مملوء نارا كدت) اى قاربت (اهوى) بكسر الواو اى اسقط (فيه وابصرت هولا عظيما) اى امرا شديدا يهول ويفزع (وخفق اجنحة) اى وابصرت ضرب اجنحة وتحريكها (قد ملأت) اى الاجنحة لكثرتها (الارض) اى جميعها (فقال عليه السلام تلك) اى اصحاب تلك الاجنحة (الملائكة) اى لا الطيور (لودنا) اى ابوجهل منى حينئذ (لاختطفته) اى اخذته الملائكة بسرعة (عضوا عضوا) اى بان وقع كل عضو وجزء منه فى يد ملك او جمع منهم (ثم انزل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كلا) اى حقا (ان الانسان ليطغى ان راه) اى لاجل ان علم نفسه (استغنى) اى عن ربه (الى آخر السورة وروى) بصيغة المجهول وفى نسخة وروى والحديث لابى نعيم فى الدلائل (ان شيبة) وفى نسخة ان رجلا يعرف بشيبة (ابن عثمان الحجبى) بفتح الحاء والجيم منسوب الى الحجبة جمع الحاجب بمعنى البواب فانه كان من سدنة الكعبة المشرفة وفى نسخة الجمحى بالجيم المضمومة وفتح الميم فخاء وهى غلط كما صرح به الحلبى (ادركه) اى لحق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يوم حنين) وهو واد بقرب ذى المجاز او ماء بقرب الطائف من الحجاز (وكان حمزة قد قتل اباه وعمه) جملة معترضة مشيرة الى الباعث على القضية من اخذ الثأر كما فى عادة الجاهلية (فقال) اى عثمان (اليوم ادرك ثأرى) بمثلثة وهمزة ويجوز تخفيفها اى دم حميمى من ابى وعمى بانتقامى فيه (من محمد) اى بان اقتله بدل حمزة فانه ابن اخيه وهذا يرد قول من قال انه اسلم يوم الفتح ولعله اظهر اسلامه ولم يحقق مرامه ثم ان التلمسانى ضبط الثار بالتاء المثناة الفوقية وهو تصحيف وتحريف (فلما اختلط الناس) اى اشتغلوا فيما بينهم من الحرب (اتاه) اى شيبة بن عثمان (من خلفه ورفع سيفه ليصبه عليه) اى فيقتله (قال فلما دنوت منه ارتفع الى) اى لدى (شواظ) بضم اوله ويكسر اى لهب (من نار اسرع من البرق فوليت هاربا) اى حذرا منه (واحس بى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فدعانى) اى بجنته (فوضع يده على صدرى وهو ابغض الخلق الى) جملة حالية (فارفعها) اى يده (عنى الا وهو احب الى وقال لى ادن) اى اقرب الى العدو (فقاتل فتقدمت امامه اضرب) اى الناس (بسيفى واقيه بنفسى) اى واحفظه بدفع الناس عنه ووقايته منهم بتفدية نفسى (ولو لاقيت ابى) اى والدى فرضا (تلك الساعة لاوقعت به) اى بابى

وقوله (دونه) اي دون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم محيا وزاحفه اومدافعا منه واعلم ان في السيرة لابي الفتح اليعمري عن ابن سعد ان طلحة بن ابي طلحة وهو كبش الكتيبة صاحب اللواء قتله علي ثم حمل اللواء عثمان بن ابي طلحة فحمل عليه حمزة فقطع يده وكتفه حتى انتهى الى مؤتزره وبدا سحره اي رئته وفي التجريد والتهذيب للذهبي في ترجمة شيبة بن عثمان بن ابي طلحة ان عليا قتل اباه يوم احد ذكره الحلبي ففي نسبة قتلهما الى حمزة نوع مسامحة (ومن فضالة بن عمرو) بفتح الفاء اي ابن الملوح الليثي وفي نسخة عمير بالتصغير عوض عمرو بالواو وهو الموافق لما ذكره الذهبي في الصحابة على ما حرره الحلبي والحديث رواه ابن اسحق وابن سيد الناس (اذ دنت قبل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عام الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال أفضالة) وفي رواية زاد رسول الله (قلت نعم قال ماذا كنت) وفي رواية ماذا (تحدث به نفسك قلت لا شيء) وفي رواية زاد يا رسول الله كنت اذكر الله تعالى (فضحك واستغفر لي) اي قال غفر الله لك ما خطر ببالك او اراد به استحقاق الغفران بتوفيق الايمان وفي رواية فضحك النبي ثم قال استغفر الله (ووضع يده على صدري فسكن قلبي) اي واطمأن بمعرفة ربي (فوالله ما رفعها) اي يده عن صدري (حتى ما خلق الله شيئا احب الي منه ومن مشهور ذلك) اي مما ذكر من عصمة الله سبحانه وتعالى له على ما رواه ابن اسحق والبيهقي بلا سند وابو نعيم في الدلائل مسندا الى عروة (خبر عامر بن الطفيل) اي ابن مالك العامري سيد بني عامر في الجاهلية كذا قال الذهبي في تجريد الصحابة وقال روى عنه ابو ثعلبة ذكره المستغفري واجمع اهل النقل على ان عامرا مات كافرا وقد احدثته غدة وكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية قال الحلبي ولا شك فيما قاله الذهبي في قصته لما في صحيح البخاري بنحو من اللفظ الذي ذكره (واربد) بفتح فسكون ففتح (ابن قيس) هو لبيد ابن ربيعة لامه ولبيد صحابي وكان اربد شاعرا ايضا بعث الله عليه صاعقة فاحرقته كافرا بالله سبحانه وتعالى وفيه نزل قوله تعالى ويرسل الصواعق الآية (حين وفدا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اي متفقين على قتله (وكان عامر قال له) اي لاربد (انا اشغل عنك وجه محمد) اي بالكلام معه (فاضربه انت) اي من خلفه (فلم يره فعل شيئا) اي مما قاله (فلما كلمه في ذلك) اي بالمعاتبة عن تقصيره هنالك (قال له والله ما هممت) اي ما عزمت (ان اضربه الا وجدتك بيني وبينه أفأضربك) الهمزة الاولى استفهام انكاري والثانية للمتكلم وهو اربد والمخاطب هو عامر قال البرقي في غريب الموطأ وفد عامر واربد على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدعواه ان يجعل الامر بعده الى عامر ويدخلان في دينه فابى عليه الصلاة والسلام فقال له عامر اكون على اهل الوبر وانت على اهل المدر فابى عليه الصلاة والسلام فخرجا من عنده (ومن عصمته تعالى له) وفي نسخة ومن عصمته له تعالى وهو خطأ فاحش (ان كثيرا من اليهود) اي من احبارهم ورهبانهم (والكهنة) اي ممن يزعم انه يخبر عن الكوائن المستقبلة (انذروا به) اي اعلموا الناس بقرب نوره وخوفوهم بظهوره فان الانذار اعلام بتخويف (وعينوه لقريش) اي وبينوه لهم خصوصا من جهة نسبه وحسبه وعلامة ولادته وامارة سيادته وسعادته (واخبروهم بسطوته بهم) اي بغلبته عليهم وشوكته لديهم (وحضوهم) اي حثوهم وحرضوهم (على قتله) اي قبل ظهوره ونصره (فعصمه الله تعالى) اي من كيد كل عدو ومكره (حتى بلغ) بتخفيف اللام اي وصل وتم (فيه امره) وفي نسخة حتى بلغ عنه امره بتشديد اللام ونصب امره (ومن ذلك نصره بالرعب) بسكون العين وتضم اي بالخوف في قلب اعدائه (مسيرة شهر) اي من كل جانب له (كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم) اي كما رواه الشيخان

﴿ فصل ﴾

(ومن معجزاته الباهرة) اي آياته الظاهرة (ما جمعه الله له من المعارف) اي الجزئية (والعلوم) اي الكلية والمدركات العلية والغيبية او الاسرار الباطنية والانوار الظاهرية (وخصه) اي وما خصه به (من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين) اي ما يتم به اصلاح الامور الدنيوية والاخروية واستشكل بانه صلى الله تعالى عليه وسلم وجد الانصار يلقحون النخل فقال لو تركتموه فتركوه فلم يخرج شيئا او اخرج شيصا فقال انتم اعلم بامر دنياكم واجيب بانه انما كان ظنا منه لا وحيا وقال الشيخ سيدي محمد السنوسي اراد انه يحملهم على خوارق العوائد في ذلك الى باب التوكل وما هنالك فلم يمتثلوا فقال انتم اعرف بدنياكم ولو امتثلوا وتحملوا في سنة او سنتين لكفوا امر هذه المحنة انتهى وهو في غاية من اللطافة (ومعرفته) بالرفع عطفا على ما والاقرب جره بالعطف على الاطلاع (بامور شرائع دينه) اي احكامه المتعلقة بالعبادات والمعاملات (وقوانين دينه) اي من القواعد الكلية المندرج تحتها الفروع الجزئية (وسياسة عباده) اي الجامعة بين صلاح معاش الخلق ومعادهم (ومصالح امته) اي المتعلقة بامر زادهم في حق عبادهم وزهادهم (وما) اي ومعرفته بما (كان في الامم قبله) اي من احوالهم وما جرى لهم من نجاة وهلاك في مآلهم

(وقصص الانبياء والرسل) اى من دعاة الخلق الى دين الحق (والجابرة) اى من الكفرة والفجرة المنكرة (والقرون الماضية) اى فى الازمنة الخالية (من لدن آدم) بضم الدال وسكون النون وبسكون الدال وكسر النون ويروى من زمن اى من ابتداء زمن آدم (الى زمنه) اى زمن الخاتم سيد العالم صلى الله عليهما وسلم (وحفظ شرايعهم و كتبهم) اى مما قذفه الله فى قلبه فروى قلبه عن ربه (ووعى سيرهم) بسكون العين اى واحاطة انواع سيرتهم واصناف طريقتهم مع اتحاد جنس ملتهم (وسرد انبائهم) اى وذكر اخبارهم متتابعا (وايام الله فيهم) اى وقايع الكائنة فيهم من الهلاك والنجاة (وصفات اعيانهم) اى افاضلهم كذا قاله التلمسانى والاظهر ان المراد بهم جماعة معينة من المؤمنين كذى القرنين والخضر ولقمان ومن الكافرين كفرعون وقارون وهامان (واختلاف آرائهم) جمع رأى بمعنى اهوائهم كعبادة قوم ابراهيم الاوثان وقوم موسى العجل وقول النصارى بالاقانيم الثلاثة من العلم والحياة وروح القدس وتعبيرهم عنها بالاب والام والابن (والمعرفة بمدد هم) بضم الميم جمع مدة اى ايام مكثهم فى الدنيا جملة (واعمارهم) اى على اختلافها قلة وكثرة (وحكم حكمائهم) بكسر الحاء وفتح الكاف اى والمعرفة بما صدر من انواع الحكمة عن اصناف حكمائهم (ومحاجة كل امة) اى مجادلتهم ومغالبتهم (من الكفرة) اى بما يناسبهم فى الدعوة كابطال الاصنام بان ليس لها منفعة ولا قدرة لها على مضرة وكمحاجة نصارى نجران فى دعواهم ان عيسى ابن الله فدعاهم الى المباهلة فابوا و بذلوا له الجزية (ومعارضة كل فرقة من الكتابين) اى من اهل الكتابين وهما التوراة والانجيل (بما فى كتبهم) كمعارضة اليهود فى دعواهم ان من زنى منهم محصنا عقوبته التحميم والتجبية اى يسود وجوههما ويحملان على دابة يخالف بين وجوههما يجعل ظهر احدهما الظهر الآخر فقال صلى الله تعالى عليه وسلم انشدكم بالله ماتجدون فى التوراة على من زنى قال حبرهم اذ نشدتنا فعليه الرجم فامر صلى الله تعالى عليه وسلم بهما فرجما عند باب مسجده فى بنى غنم بن مالك بن النجارى (واعلامهم باسرارها) اى واعلامه اهل الكتاب باسرار كتبهم (ومخبئات علومهم) اى مخفيات اخبارهم و فى نسخة علومها (واخبارهم) اى واعلامه اياهم (بما كتموه من ذلك) كنعته صلى الله تعالى عليه وسلم فى التوراة والانجيل (وغيروه) اى بذكر اضداده وبتصحيفه اوتحريفه لمبناه اومعناه (الى الاحتواء) اى مع احتوائه واشتمال علومه فى شانه (على لغات العرب) اى مع كثرتها واختلاف مادتها وبنيتها وهيئتها فى تأديتها من متداولاتها (وغريب الفاظ فرقها) بكسر الفاء وفتح الراء اى غرائب معانى طوائف العرب من شواذها ونوادرها (والاحاطة بضروب فصاحتها) اى بانواع فصاحتها فى مفرداتها ومركباتها حيث خاطب كل فرقة بلغاتها كامر فى مخاطبته لاقيال حضرموت فى محاوراتها (والحفظ لايامها) اى وقايع العرب فى الحرب فى اوقاتها (وامثالها) اى كلماتها التى يضربون المثل بها كقولهم الصيف ضيعت اللبن ونحوها ومنه قوله عليه الصلاة والسلام حمى الوطيس اى اشتد حمى تنور الحرب (وحكمها) اى والحكميات الواردة فى لسانها مع اللطافة فى شان بيانها وسلطان برهانها (ومعانى اشعارها) كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد

(الاكل شئ ماخلا الله باطل * وكل نعيم لامحالة زائل)

وكانشاده نحو قوله (ستبدى لك الايام ماكنت جاهلا * وقوله * ويأتيك بالاخبار من لم تزود)

وامثالها (والتخصيص بجوامع كلمها) اى مما مبانيها يسيرة ومعانيها كثيرة وقد جمعت اربعين حديثا مما اشتمل كل على كلمتين فقط (الى المعرفة) اى منضمة الى المعرفة (بضرب الامثال الصحيحة) اى من الكلمات البديعة المشيرة الى المرادات الصريحة (والحكم البينة لتقريب التفهيم للغامض) اى الخفى بالنسبة الى الجاهل (والتبيين للمشكل) لكونه صلى الله تعالى عليه وسلم مبينا لما نزل (الى) اى مع (تمهيد قواعد الشرع) اى مما شرع لنا من طريق الاصل والفرع (الذى لاتناقض فيه) اى فيما ارسل الينا وفى نسخة فيها اى فى قواعده لدينا (ولاتخاذل) اى ولا تعارض (فيما انزل علينا) اى لاكثيرا ولا يسيرا كما قال الله تعالى ولوكان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (مع اشتمال شريعته) اى المتضمنة لمكارم الافعال (على محاسن الاخلاق) اى فى طريقته (ومحامد الاداب) اى المورثة لجامع الاحوال فى حقيقته (وكل شئ مستحسن مفصل) بالصاد اى مبين ومعين وفى نسخة بالمعجمة اى مفضل على غيره كما يشير الى هذا المرام قوله عليه الصلاة والسلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق (لم ينكر منه) اى من شرعه ولو هو (ملحد) اى جائر الكنه (ذو عقل سليم) اى وطبع قويم (شيئا) اى اصلا (الا من جهة الخذلان) وهو عدم توفيق العرفان فينكره من غير البرهان بل على جهة العدوان وطريق الطغيان (بل كل جاحد له) اى منكر لما ذكر (وكافر من الجاهلية به اذا سمع مايدعو اليه صوبه) اى فيما ظهر لديه (واستحسنه دون طلب اقامة برهان عليه) اى كما سبق من كلام المغيرة وابى جهل وابى طالب (ثم ما احل لهم من الطيبات) اى مما حرم على غيرهم منها كلحم كل ذى ظفر وشحم البقر (وحرم عليهم من

(الخبائث) كالميتة والدم ولحم الخنزير واحل امرهم كالخمر (وصان) اى وما حفظ (به انفسهم) اى دماءهم (واعراضهم) بفتح الهمزة جمع عرض (واموالهم من العقوبات والحدود) اى المرتبة على اسبابها كالقصاص وحد القذف والسرقة (عاجلا) اى فى الدنيا (والتخويف) وفى اصل الدلجى والتحريق (بالنار آجلا) اى فى العقبى (مما لا يعلم ولا يقوم به) اى يعمل كله (ولا يحصيه الا من مارس الدروس) اى من درس الكتب الالهية (والعكوف على الكتب) اى القيام والاطلاع على كتب العلماء الربانية (ومشافهة بعض هذا) بالسنة والقضاء والتنوين اى متابعة بعض ما ذكر (الى الاحتواء) اى مع الشمول شريعته لا على ضروب العلم وفنون المعارف كالطب) بكسر الطاء وتثلث (والعبارة) بكسر العين اى التعبير للرؤيا (والفرائض) اى المتعلقة بالارث (والحساب) اى كمية الاعداد (والنسب) بفتحتين اى معرفة الانساب (وغير ذلك من العلوم) اى انواعها او فى بعضها (مما اتخذ اهل هذه المعارف كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم فيها) قال الدلجى اى فى شريعته والظاهر فى هذه المعارف (قدوة) بضم القاف وكسرها وتفتح اى مقتدى (واصولا) اى قواعد كلية (فى علمهم) اى فى اساس علومهم (كقوله عليه الصلاة والسلام) على ما رواه ابن ماجه عن انس (الرؤيا لاول عابر) اى معبر ذى رأى ثاقب عالم بالعبارة على وجه الاشارة اذا اصاب وكان يحسن تعبيرها فاذا اعتبر شروطها وعبرها وقعت وكان ابن سيرين يقول انى اعتبر الحديث والمعنى انه يعبرها به كما يعبرها بالقرآن فيعبر الغراب مثلا رجل فاسق والمرأة بالضلع اخذا من تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم له فاسقا وتسميتها منه (وهى) اى الرؤيا (على رجل طائر) كما رواه ابو داود والترمذى وصححه اى قدر جار وقضاء ماض وحكم نافذ من خير او شر او نفع او ضر وقال ابن قتيبة اراد انها غير مستقرة يقال للشئ اذا لم يستقر هو على رجل طائر وعلى قرن ظبي وقال ابن الاثير هو من قولهم اقتسموا دارا فطار سهم فلان ناحية كذا يعنى ان الرؤيا هى التى يعبرها المعبر الاول فكانها سقطت ووقعت حيث عبرت كما يسقط الذى يكون على رجل الطائر بادنى حركة انتهى والحاصل ان هذا تمثيل وتصوير لجعلها على قدر قدره الله تعالى لصاحبها بشئ متعلق رجل طائر يسقط بادنى حركة فاذا عبرها اول عابر فكانها كانت على رجله فسقطت وكل حركة جرت لك من شئ فهو طائر ومنه قوله تعالى وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه اى حركاته فى عباداته ومعاملاته فى ذمته غير منفكة عنه (وقوله) اى كما رواه الشيخان وغيرهما هذا وقد قيل الرؤيا امثال يضربها ملك الرؤيا والله يعلم بها من يشاء روى ان امرأة اتت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت رأيت كان جائزة بيتى قد انكسرت فقال عليه الصلاة والسلام يرد الله غائبك فرجع زوجها ثم غاب فرأت مثل ذلك فاتت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فلم تجده ووجدت ابا بكر رضى الله تعالى عنه فاخبرته فقال يموت زوجك فذكرت ذلك للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هل قصصتها على احد قالت نعم قال هو كما قيل لك (الرؤيا ثلاث) اى ثلاثة انواع (رؤيا حق) بالاضافة اى ثابت موافق وصدق مطابق كرؤية الانبياء والاصفياء فانها تخرج على وجهها او على نحو ما اول بها (ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه) بما يراه فى منامه فهى اضغاث احلام وخيالات منام (ورؤيا تحزين) بالجر وفى نسخة بالرفع (من الشيطان) بان يرى فى منامه ما يكون سببا لحزنه كما فى حديث مسلم جاء رجل الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال رأيت فى المنام كان رأسى قطع فضحك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال اذا لعب الشيطان باحدكم فى منامه فلا يحدث به الناس وفى رواية اذا رأى فى منامه ما يحبه فليحمد الله واذا رأى ما يكره فليتعوذ من شرها ولا يحدث بها احدا فانها لا تضره (وقوله) اى فيما رواه الشيخان عن ابى هريرة مرفوعا (اذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب) وفى رواية اذا اقترب والمراد اقتراب الساعة ويؤيده حديث فى آخر الزمان لا تكاد رؤيا المؤمن تكذب وقيل المراد قصر الايام والليالى على الحقيقة وقيل تقارب الليل والنهار من الاعتدال لقول العابرين ان اصدق الازمان لوقوع العبارة وقت انفتاق الانوار والازهار ووقت ادراك الثمار حين يستوى الليل والنهار وفى بعض الاخبار اصدق الرؤيا بالاسحار رواه احمد والترمذى وابن حبان والبيهقى عن ابى سعيد هذا وكان الانسب للمصنف ان يرتب كل ما يتعلق بعلم من العلوم المذكورة على وفق ما قدمه من المعارف المسطورة لكنه رحمه الله شوش النشر وقدم الرؤيا على الطب ثم قال (وقوله) كما رواه الدارقطنى فى العلل عن انس وضعفه وابن السنى وابو نعيم فى الطب عن على وعن ابى سعيد وعن الزهرى مرسلا (اصل كل داء البردة) بفتحتين وقد تسكن الراء اى التخمة وثقل الطعام على المعدة وسميت بردة لانها تبرد المعدة فلا تستمرئ الطعام فى العادة وعلاجه اولا بالقئ وثانيا بالاسهال (وما روى عنه) اى عن النبى عليه الصلاة والسلام (فى حديث ابى هريرة) كما رواه الطبرانى فى الاوسط (من قوله المعدة) بفتح فكسر وقيل بكسر فسكون (حوض البدن) بجعلها الطعام بجمع الحوض الماء (والعروق اليها واردة) اى تتصاعد اليها بمنافع الطعام نفعا لابدان الانام (وان) وملية

(كان هذا) اى الحديث (حديثا) وفى نسخة وان كان هذا الحديث (لا تصححه) اى لا تحكم بصحته بل ولا بثبوته (لضعفه) اى لضعف سنده عند بعضهم (وكونه موضوعا) اى عند غيرهم (تكلم عليه الدارقطنى) اى بضعفه والله سبحانه وتعالى اعلم (وقوله) كما رواه الترمذى عن ابن عباس (خير ماتداويتم به السعوط) بفتح فضم ما يجعل فى الانف من الدواء (واللدود) ما يسقاه المريض فى احد شقى فمه (والحجامة) بكسر اوله (والمشى) بفتح فكسر فشدة المسهل ويقال بفتح ميم فسكون شين فتخفيف وسمى به لحمله صاحبه على كثرة المشى الى الخلاء (وخير الحجامة) اى وقوله عليه الصلاة والسلام كما رواه الحاكم عن ابن عباس وصححه خير الحجامة (يوم سبع عشرة) اى من كل شهر (وتسع عشرة) بسكون الشين وتكسر (واحدى وعشرين) زاد ابو داود عن ابى هريرة رضى الله عنه مرفوعا كان شفاء من كل داء هذا والتأنيث باعتبار مضاف مقدر اى يوم ليلة سبع عشرة مراعاة للاسبق منهما فان ليلة الشهر منه وقيل سبق الليل فى الوجود ايضا وفى قوله تعالى نسلخ منه النهار ايماء الى ذلك وانه اصل هنالك وابعد الدلجى فى قوله بحذفه المميز كما فى حديث من صام رمضان فاتبعه ستا من شوال فكانما صام الدهر كله فان لفظ اليوم مميز مستغنى عن مميز آخر واما قوله تعالى ذرعها سبعون ذراعا فلمجرد التأكيد (وفى العود) اى وفى قوله كما رواه البخارى عن ام قيس فى العود (الهندى) قيل هو القسط البحرى وقيل عود التبخر قاله ابن الاثير (سبعة اشفية) قيل المراد بها الكثير (منها ذات الجنب) كما فى حديث وخص بالذكر لانه اصعب داء قلما يحصل فيه شفاء (وقوله) اى كما رواه احمد والترمذى وابن ماجه والحاكم عن المقدام بن معدى كرب (ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه الى قوله فان كان لابد) اى بحسب ابن آدم اكلات يقمن صلبه فان كان لامحالة (فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس) والنفس بفتحتين بمعنى التنفس وفى الاصول المذكور لطعامه وشرابه ولنفسه بالاضافة (وقوله) اى فى علم النسب كما رواه احمد والترمذى (وقد سئل عن سبأ) بكسر الهمزة وبفتحها وبابدالها الفا كما قرئ بها فى قوله تعالى لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية (أرجل هو ام امرأة ام ارض فقال رجل) اى هو ابو قبيلة سميت به مدينة بلقيس باليمن ومن ثم قيل اسم مدينة (ولد عشرة) اى ولد له عشرة اولاد وهو بمكة (تيامن منهم ستة) اى اخذوا نحو اليمن فنزلوا وتوالدوا فيه واكثر قبائله منهم وهم كندة والاشعرون والازد ومذحج وانمار وحمير الذين منهم خثعم وبجيلة وفى الحديث الايمان يمانى والحكمة يمانية لان الايمان بدا من مكة لانها من تهامة وتهامة من اليمن (وتشاءم اربعة) اى اخذوا نحو الشام وهو من العريش الى الفرات وهم عاملة ولخم وجذام وغسان (الحديث بطوله) اى مما يدل على طول باعه فى هذا الفن (وكذلك جوابه فى نسب قضاعة) بضم القاف (وغير ذلك) اى من سائر النسب (مما اضطربت العرب) بصيغة الفاعل او المفعول ورجحه التلمسانى اى اضطربت واختلفت والتجأت او التجئت (على شغلها بالنسب) اى مع كمال اشتغالهم بعلم النسب (الى سؤاله) اى سؤالهم اياه (عما اختلفوا فيه من ذلك) ومن ذلك ما رواه احمد وابو يعلى والبزار والطبرانى عن عمرو ابن مرة الجهنى قال صلى الله تعالى عليه وسلم من كان هنا من معد فليقم فقمت فقال اقعد فقلت ممن نحن قال انتم من قضاعة بن مالك بن حمير (وقوله) اى كما رواه البزار وقال العسقلانى انه منكر (حمير) بكسر فسكون ففتح مع قبيلة معروفة من اليمن (رأس العرب) اى اساسها واصلها (ونابها) اى عمدة اهل كلامها الشرف فهم فانهم من ولد معد بن عدنان من ولد اسمعيل بن خليل الرحمن (ومذحج) بالذال المعجمة والحاء المهملة والجيم كمجلس على ما فى القاموس وقيل بفتح وهو قبيلة فعبارة الدلجى بالدال المهملة مهملة (هامتها) بتخفيف الميم وهى وسط الرأس اى اشرفها اورأسها (وغلصمتها) بفتح الغين المعجمة ثم لام ساكنة رأس الحلقوم وهو الموضع الثانى فى الحلق وهو اشارة الى تمكنهم فى الشرف وعلوهم واصالتهم وعظمهم (والازد) بالزاى الساكنة قبيلة من اليمن (كاهلها) بكسر الهاء مقدم الظهر ما بين كتفيه وهو محل الحمل اى عمدتها (وجمجمتها) بجيمين مضمومتين عظم الرأس المشتمل على الدماغ اى سادتها وقيل جماجم العرب هى القبائل التى تجمع البطون فكاهل مضر تميم (وهمدان) بفتح فسكون فدال مهملة قبيلة معروفة (غاربها) بكسر الراء ما بين السنام والعنق (وذروتها) بكسر الذال وضمها وبفتح وسكون الراء اى اعلاها والحاصل انه صلى الله تعالى عليه وسلم بين ما لهذه القبائل من الفضائل وهذا من علم الانساب (وقوله) اى فى علم الحساب كما رواه الشيخان عن ابى بكرة (ان الزمان قد استدار) اى رجعت اشهره الى ما كانت من حرمة وغيرها وبطل نسيئ الجاهلية من تأخيرهم حرمة شهر الى آخر وكانت حجة الوداع التى ذكر فى خطبتها هذا الحديث فى السنة التى استدار فيها (كهيئته) اى ترتيبه وصفته (يوم خلق الله السموات والارض وقوله) اى فى معرفة المساحة كما رواه الشيخان عن ابن عمرو (فى الحوض) اى الكوثر (زواياه سواء) اى مربع تربيعا مستويا لا يزيد طوله على عرضه (وقوله) اى فى معرفة جمع العدد كما رواه ابو داود (فى حديث الذكر) اى الاذكار حيث قال تسبح عشرا وتحمد عشرا وتكبر عشرا وتلك

ثلاثون (وان الحسنة بعشر امثالها ثلاث) اى الكلمات المذكورة دبر الصلوات المزبورة بمجموعها (مائة وخمسون على اللسان والف وخمسمائة فى الميزان وقوله) اى فيما رواه الطبرانى بسند ضعيف عن ابى رافع (وهو بموضع) اى فى موضع ليس بحمام وفى اصل التلمسانى ومر بدل وهو وعلى كل حال فالجملة حال (نعم موضع الحمام هذا) وهذا من علم الهندسة ومعرفة المساحة فكان الاولى ان يذكر الحوض لما بينهما من المناسبة (وقوله) كما رواه الترمذى عن ابى هريرة وصححه (ما بين المشرق والمغرب قبلة) اى لاهل المدينة ونحوهم ممن هو فى جنوبها او شمالها قال التلمسانى هذا فى طيبة ولكل مدينة بين مشرقها ومغربها لان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم جعل جميع ما يقع بين المشرق والمغرب قبلة ومساحة الكعبة لاتفى بما بينهما وانما تفى جهتها فهو حجة العامة فى عدم اشتراط اصابة عين الكعبة للنائى عنها وهذا من جملة علوم الهندسة المتعلقة بمعرفة القبلة وظاهره ان القبلة هى الجهة لا عين الكعبة والا فلا وجه للخصوصية فهو حجة للحنفية على الشافعية (وقوله) اى فى معرفة الفرس (عيينة) بالتصغير وهو ابن حصين الفزارى من المؤلفة قلوبهم شهد حنينا والطائف قال الذهبى وكان احمق مطاعا دخل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واساء الادب فصبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على جفوته واعرابيته وقد ارتد ثم اسر فمن عليه الصديق ثم لم يزل مظهر الاسلام وكان يتبعه عشرة آلاف قناة انتهى وقال غيره اسلم يوم الفتح وقيل قبله وقال الواقدى انه عمى فى خلافة عثمان (او للاقرع) اى ابن حابس التميمى وفد بعد الفتح وشهد مع خالد بن الوليد حرب اهل العراق وكان على مقدمته واستعمله عبد الله بن عامر على جيش سيره الى خراسان فاصيب هو والجيش بجوزجان وكان من المؤلفة (انا افرس) مأخوذ من الفراسة اى انا اعرف (بالخيل منك) وفى نهاية غريب الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم عرض الخيل وعنده عيينة فقال له انا اعلم بالخيل منك فقال له وانا افرس منك (وقوله) اى كما رواه الترمذى عن زيد بن ثابت (الكاتبه) اى لاحد من كتابه او لكاتبه الاخص به وهو زيد وقيل معاوية وفى ابى داود عن ابن عباس قال السجل كاتب كان للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقد سبق فى كلام الحلبى ان كتابه بلغوا ثلاثا واربعين الا ان ابن ابى سرح ارتد ثم رجع ومات ساجدا لله واما ابن خطل فقتل يوم الفتح وهو متعلق باستار الكعبة لقوله عليه الصلاة والسلام من قتل ابن خطل فهو فى الجنة واحلف فى قاتله (ضع القلم) اى اذا فرغت (على اذنك) اى فوقها (فانه) اى وضعه هذا (اذكر) اى اكثر تذكرا قال الحلبى لانه يقتضى التؤدة وعدم العجلة (للممل) بضم الميم الاول وكسر الثانى وتشديد اللام اى للممل كما فى نسخة من املات وامليت وبهما ورد القرآن وليملل الذى عليه الحق فهى تملى عليه (هذا) اى ما ذكر مما جمع له صلى الله تعالى عليه وسلم من المعارف والعلوم (مع انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لايكتب) والاظهر ان الاشارة الى ما سبق من تعلم بعض كتابه ما يتعلق بعلم الخط وادابه واما عدم كتابته فلحديث انا امة لانكتب ولا نحسب ذكره الدلجى وفيه ان نفى الشئ عن الجنس لايوجب انتفاءه عن جميع افراده بدليل انه كان فيهم من يكتب فالاولى هو الاستدلال بقوله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون (ولكنه) اى مع كونه اميا (اوتى علم كل شئ) اى اشياء (حتى قد وردت آثار) اى اخبار (بمعرفته حروف الخط وحسن تصويرها) اى من تطويلها وتدويرها (كقوله لا تمد) وفى نسخة لاتمدوا اى لاتطولوا (بسم الله الرحمن الرحيم) اى سينه من غير تبيين سنه مخافة ان يظن بأنه ممدودة فيقرأ بالباء والميم من غير سين بينهما المروى الدارمى عن زيد بن انس اذا كتبت فبين السين فى بسم الله الرحمن الرحيم (رواه ابن شعبان) وهو ابو اسحق المصرى المالكى له ترجمة فى الميزان قال فيها وهاه ابن حزم ولا ادرى لماذا انتهى ومات سنة خمس وخمسين وثلاثمائة (من طريق ابن عباس وقوله) اى كما فى مسند الفردوس (فى الحديث الآخر الذى روى عن معاوية انه كان يكتب بين يديه عليه الصلاة والسلام فقال له الق الدواة) بفتح الهمزة وكسر اللام امر من الاق الدواة اذا جعل لها ليقة واصلحها مداد ها وهو بمعنى مجرده لاق على ما فى القاموس فقول الجوهرى والاق لغة اى قليلة لارديئة (وحرف القلم) بتشديد الراء المكسورة امر من التحريف اى اجعل طرف شقه الايمن اردأ من الطرف الآخر قليلا لانه اسرع فى الكتابة وابدع فى اللطافة (واقم الباء) اى طولها (وفرق السين) اى سننها (ولا تعور الميم) اى لاتطمسها بل بين وسطها وهو بتشديد الواو بعد العين المهملة واما ما فى اصل الدلجى بالغاف بعد كونه عينا فاصلح فى نسخة قرئت على المصنف وعليها خطه فخطأ فاحش وتصحيف وتحريف لما فى القاموس غار الشئ قطعه من وسطه خرقا مستديرا كغوره (وحسن الله) اى جميع حروفه (ومد الرحمن) اى اكثر حروفه من الحاء والميم والنون او آخرها وهو الاول (وجود الرحيم) اى حروفه لاسيما الميم وقد روى الديلمى عن انس اذا كتب احدكم بسم الله الرحمن الرحيم فليمد الرحمن اى مدا ليمد له الرحمن مدا وقيل خص الرحمن بالمد لعموم الرحمة الشاملة للدنيا والآخرة وخص الرحيم بالتجويد لانه يخص اصحاب التوحيد (وهذا) اى ما ذكر مما شهد

بان مما اوتيه من المعارف معرفة حروف الخط (وان لم تصح الرواية) اى من احد رواة الحديث واصحاب الدراية (انه عليه الصلوة والسلام كتب) اى بيده (فلايبعدان يرزق علم هدا و يمنع الكتابة والقراءة) اى لحكمة تقتضى هنالك كما قدمنا ذلك قال الدلجى ولايبعد ايضا وان كان يحرم عليه التوسل اليهما معرفة ان يقعا منه فى وقت معجزة له وكرامة بشهادة مافى صحيح البخارى فاخذ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الكتاب فكتب هذا ماقاضى عليه محمد بن عبد الله وفيه فى عمرة القضاء انه قال لعلى امح رسول الله قال لا والله لاامحوك ابدا فاخذ الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا ماقاضى عليه محمد بن عبدالله انتهى ولايخفى ان لفظ كتب وقع مجازا لاشك فيه على ما قال له الحلبى وقال ابوا الوليد الباجى حقيقة وهو فى هذا القول شاذ منفرد عن الجماعة والمسئلة شهيرة وملخصها ان اللفظة صحيحة مبنى وهى مجاز معنى لانها ليست بصحيحة اصلا كما توهم عبارة المصنف هذا ووقع فى سيرة ابى الفتح اليعمرى مالفظه وقد روى البخارى ان النبى صلى الله تعالى عليه و سلم كتب ذلك بيده قال الحلبى قوله بيده لم ارها فى صحيح البخارى والله سبحانه وتعالى اعلم ثم اعلم ان المراد بالقراءة القراءة بالنظر لامطلق القراءة فالمعنى منع الكتابة و القراءة من الكتابة وقد ابعد التلمسانى فى جعل القراءة معطوفة على العلم اى رزق العلم والقراءة ومنع الكتابة انتهى و بعده لايخفى فى اعراب المبنى واغراب المعنى (وما علمه صلى الله تعالى عليه وسلم بلغات العرب وحفظه معانى اشعارها) اى خصوصا (فامر مشهور قدنبهنا على بعضه) اى بعض ماورد عنه فى لغات العرب لافى اشعارهم (اول الكتاب) وفى نسخة فى اول الكتاب اى على ماسبق من غرائب مبانيها و بيان معانيها ومنها قوله عليه الصلوة والسلام وقد انشده كعب بن زهير فى لاميته قوله (قنواء فى حرتيها للبصير بها * عتق مبين وفى الخدين تسهيل) فقال لاصحابه ماالحرتان فقالوا العينان فقال صلى الله تعالى عليه وسلم الاذنان وماقاله صلى الله تعالى عليه وسلم هو المعروف عند العرب الاول فى الحرتين ومنها ماانشده كعب بن مالك فى قصيدته العينية وفيها قوله

(مجالدنا عن جرمنا كل فخمة * مدربة فيها القوانس تلمع)

فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ايصلح ان يقول مجالدنا عن ديننا فقال كعب نعم فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فهو احسن فقال كعب مجالدنا عن ديننا على ماقاله نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (وكذلك حفظ كثير من لغات الامم) اى مماعدا العرب (كقوله فى الحديث سنه سنه) بفتح السين وتخفيف النون وتشدد فهاء ساكنة فيهما وفى رواية سناه سناه وفى اخرى سنا سنا بفتح مهملتها و كسرها رواية القابسى وشددنونها وخففها ابوذر وغيره قال ابن قرقول كلها بفتح السين وتشديد النون الاعند ابى ذر فانه خفف النون والاالقابسى فانه كسر السين وقال ابن الاثير فى النهاية قيل سنا بالحبشية حسن وهى لغة وتخفف نونها وتشدد وفى رواية سنه وفى اخرى اسناه بالتشديد والتخفيف فيهما وقال الهروى فى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم اخذ الخميصة بيده ثم البسها ام خالد وقال لها ابلى واخلقى ثلاث مرات ثم نظر الى علم فيها اخضر واصفر فجعل يقول ياام خالد سنا سنا بالحبشية حسن وهى لغة انتهى وام خالد هذه هى ابنة خالد بن سعيد التى ولدت بارض الحبشة وهى امرأة الزبير بن العوام وهى التى كساها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهى صغيرة وابوها اول من كتب بسم الله الرحمن الرحيم ومات باجنادين شهيدا استعمله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على صنعاء اليمن فلما توفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اراد ابو بكر رضى الله تعالى عنه ان يستعمله قال له لااعمل لاحد بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وهى) اى معنى هذه الكلمة (حسنة بالحبشية) اى باللغة المنسوبة الى الحبشة ولايبعد ان تكون عربية وحذف الحاء الايماء الى قصد الرمزية وقال عكرمة السنا الحسن ولايبعد ان يطلق السنا بمعنى النور و يراد به الحسن والظهور (وقوله) اى كما رواه الشيخان وغيرهما من طرق (و يكثر الهرج) بهاء مفتوحة فراء ساكنة فجيم (وهو القتل بها) اى بالحبشة وقد سئل عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال القتل ونص عليه كثير من ائمة اللغة فهو من توافق اللغتين واما قول ابن قرقول الهرج باسكان الراء فسره فى الحديث بالقتل بلغة الحبش فقوله بلغة الحبش من بعض الرواة والافهى كما عرفت عربية صحيحة (وقوله فى حديث ابى هريرة اشكنب درد) بفتح الهمز وسكون الشين و تفتح والكاف ساكنة فنون وفتح الباء وتكسر وتضم وتسكن فدالين مهملتين مفتوحتين بينهما راء ساكنة وفى نسخة الاولى منهما معجمة وفى اخرى دردم بميم فى آخره (اى وجع البطن بالفارسية) فان اشكنب هو البطن ودرد معناه الوجع ولعل اصلها اشكم بدردم بكسر الهمزة وفتح الكاف بعده ميم و باتصال الباء بدردم بالمهملتين وميم المتكلم فيكون فيه نوع تقريب اولفظ غريب هذا والحديث رواه ابن ماجه وفى سنده داود بن علية والكلام فيه معروف قال الذهبى فى ميزانه روى جماعة عن داود بن علية عن مجاهد عن ابى هريرة ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال يااباهريرة

اشكنب دَرد قلت لا الحديث اخرجه احمد في مسنده والاصح ما رواه الحارث عن ليث عن مجاهد مرسلا فقوله لا يدل على استفهام مقدر او ملفوظ ان حكى الشين مفتوحة فانه لغة ويدل ايضا على بطلان نسخة زيادة الميم لكنه فيه اشكال وهو انه لا يظهر وجه خطاب ابي هريرة بهذه الكلمة اللهم الا ان يحمل على المزاح والمطايبة في المخاطبة ثم رأيت الثعلبي ذكر الحديث ولفظه قال ابو هريرة دخلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مضطجع على بطنه فقلت له ما هذا يا رسول الله فقال اشكنب دردم ثم قال صلى الله تعالى عليه وسلم وتمام الحديث وعليك بالصلاة فانها شفاء من كل سقم ونقل الانطاكي من اكمال ابن ماكولا عن ابي الدرداء قال رآني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانا نائم مضطجع على بطني فضربني برجله فذكر الحديث قال وهو مخالف لما تقدم قلت ولا مانع من الجمع والله تعالى اعلم هذا وحديث الشب دودو يعني ثنتين ثنتين والتريك يعني واحدة مشهور على الالسنة العامة ولا اصل له عند الخاصة (الى غير ذلك) اي مع غير ما ذكر من المعارف السنية والعوارف البهية (مع انه لا يعلم بعض هذا ولا يقوم به) اي بكله (ولا ببعضه) اي عادة (الا من مارس الدرس) اي داوم المدارسة ولازم المدرسة (والعكوف على الكتب) اي المواظبة على مطالعة الكتب المطولة (ومثافنة اهلها) بالمثلثة والفاء والنون اي مجالسة اهل العلوم وفي نسخة بالقاف والموحدة بمعنى المباحثة (عمره) بالنصب اي في جميع ايام عمره من غير ضياع دهره (وهو) اي والحال انه عليه الصلاة والسلام (رجل) معروف وموصوف (كما قال تعالى) في حقه عند قوله فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي (امي) اي منسوب الى امه يعني كما ولدته امه (لم يكتب) اي بيده (ولم يقرأ) اي بنظره او مطلقا قبل بعثه (ولا عرف) اي هو صلى الله تعالى عليه وسلم (بصحبة من هذه صفته) اي بمصاحبة اهل الدراسة والقراءة والكتابة (ولا نشأ) اي ولا تربى (بين قوم لهم علم) اي دراية (ولا قراءة) اي رواية (لشيء من هذه الامور) اي التي يمكن بمدارستها الاتصاف بما رسمها (ولا عرف هو قبل) اي قبل بعثته ودعوى نبوته (بشيء منها) اي من امور القراءة والدراسة والكتابة وروي ولا عرف هو قبل شيئا (قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله) اي قبل نزول القرآن (من كتاب) اي من الكتب الالهية وغيرها (ولا تخطه بيمينك) اي ولا تكتبه من قبل ايضا وقوله بيمينك اي بيدك للتأكيد كما في قولهم رأيت بعيني وسمعت باذني (الآية) تمامها اذا لارتاب المبطلون اي لو كنت قارئا كاتبا لشك اهل الباطل المتعلق بغير الطائل اذ لا كل كاتب وقارئ قادر ان يأتي بهذا الكتاب الذي عجز عن الاتيان باقصر سورة منه جميع ارباب الالباب والحاصل ان صدور هذا النور وظهور هذه الامور على يدي الامي اظهر معجزة وابهر كرامة وابعد شبهة مما ظهر على يد القارئ الكاتب لا سيما وقد كان يحصل الارتياب لاهل الكتاب لكونه النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل هذا والجمهور على انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكتب وقيل كتب مرة واحدة وهو قول الباجي وصوبه بعضهم فانه لا يقدح في المعجزة كونه كتب مرة واحدة بل تكون معجزة ثانية قال القرطبي في مختصره قوله في البخاري فاخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الكتاب فكتب ظاهر قوي انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتب بيده وقد انكره قوم تمسكا بقوله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الآية ولا نكرة فيه فان الخط المنفي عنه الخط المكتسب من التعلم وهذا خط خارق للعادة اجراه الله تعالى على انامل نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم مع بقائه انه لا يحسن الكتابة المكتسبة وهذا زيادة في صحة نبوته انتهى ولا يخفى ان في قوله وما كنت تتلو من قبله اي من قبل نزول القرآن وحصول النبوة والرسالة اشارة الى انه كان ممنوعا من القراءة والكتابة وهو لا ينافي ان يعطيهما الله تعالى له بعد تحقق رسالته زيادة في الكرامة (انما كانت غاية معارف العرب النسب) اي علم النسب لكل قبيلة الى حدها من ابيها وجدها (واخبار اوائلها) اي وقائع سلفها من هزلها وجدها وتنعمها وكدها (والشعر) اوزانها وقوافيها (والبيان) اي النثر في الخطب وامثالها او ما يتعلق بعواقبها حتى كاد ان يكون بيانهم في شعرهم ونثرهم سحرا وشاع وذاع فيما بينهم ذكرا وفكرا وبلغوا غاية البلاغة ووصلوا نهاية الفصاحة نظما ونثرا (وانما حصل ذلك لهم بعد التفرغ لعلم ذلك) اي عمرا (والاشتغال بطلبه ومباحثة اهله عنه) اي عصرا (وهذا الفن) اي النوع من العلم بجميع اصنافه واغصانه في جميع احيانه وازمانه (نقطة من بحر علمه) اي ونكتة من نهر فهمه وشكلة من شطر كلمه (صلى الله تعالى عليه وسلم ولا سبيل الى جحد الملحد) اي انكار المائل عن الحق والمعاند (لشيء مما ذكرنا) اي من المطالب والمقاصد (ولا وجد الكفرة حيلة) اي مكيدة يتشبثون بها في عقيدة (في دفع ما قصصناه) وفي نسخة ما نصصناه اي حكيناه وبيناه (الا قولهم اساطير الاولين) اي هو يعني القرآن اقاصيص السابقين كما حكى الله عنهم بقوله وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا وقد تولى الله سبحانه وتعالى جوابهم بقوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون (واذا

(يعلمه بشر) اى من الاجسام والارواح (فرد الله قولهم) اى مقولهم هذا الا كما قال الدلجى هو اساطير الاولين وانما يعلمه بشر (بقوله لسان الذى يلحدون) وفى قراءة بفتح الياء والحاء اى يميلون (اليه اعجمى وهذا لسان عربى مبين ثم ماقالوه مكابرة العيان) بكسر العين اى المعاينة والمشاهدة (فان الذى نسبوا تعليمه اليه اما سلمان) اى الفارسى كما فى نسخة صحيحة وسماه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سلمان الخير (اوالعبد الرومى) وهو غلام حويطب بن عبد العزى اسلم وكان ذا كتب (وسلمان انما عرفه بعد الهجرة ونزول كثير من القرآن وظهور مالايعد من الآيات) اى القرآنية او المعجزات البرهانية والعلامات الفرقانية فلا يتصور انه كان يعلمه سلمان (واما الرومى فكان اسلم وكان يقرأ على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واختلف فى اسمه) اى كما سيأتى من انه يعيش اوبلعام اوجبر او يسار (وقيل بل كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يجلس عنده) اى اليه ويقبل عليه لماكان يلمح قابلية الهداية لديه (عند المروة وكلاهما اعجمى اللسان) اى وضعيف البيان (وهم الفصحاء اللد) بضم اللام وتشديد الدال جمع الالد وهو شديد الخصومة (والخطباء اللسن) بضم فسكون جمع السن وقيل جمع لسن بفتح فكسر وهو المنطلق اللسان فى ميدان النطق والبيان (قد عجزوا) بفتح الجيم وتكسر (عن معارضة ماأتى به) اى اظهره (والاتيان بمثله) بل عن الاتيان باقصر سورة من نحوه (بل عن فهم وصفه) وفى نسخة رصفه بالراء والظاهر انه تصحيف وقيل معناه الاتقان (وصورة تاليفه) اى تركيبه (ونظمه) اى سلكه فهم اذا عجزوا عن هذا كله (فكيف باعجمى الكن) افعل للمبالغة من اللكنة وهى بالضم العجمة فى اللسان والعى فى النطق والبيان وابعد الدلجى فى تعبيره اى ابكم (وقد كان سلمان او بلعام الرومى) بالموحدة المفتوحة وسكون اللام ويقال بلعم (او يعيش) بفتح التحتية الاولى وكسر العين قال الذهبى فى تجريده يعيش غلام ابن المغيرة قال عكرمة هو الذى نزل فيه يقولون انما يعلمه بشر وقال الحلبى يعيش رأيتهم قد ذكروه فى الصحابة (اوجبر) بفتح جيم وسكون موحدة هوغلام للفاكه بن المغيرة اسلم وقد روى ان مولاه كان يضربه و يقول له انت تعلم محمدا فيقول له لاوالله بل هو يعلمنى ويهدينى قال الحلبى مارأيت له ذكرا فى الصحابة وكذا فى قوله (او يسار) بفتح التحتية (على اختلافهم فى اسمه) اى اختلاف العلماء فى تعيينه اواختلاف السفهاء فى نسبته من كمال تحيرهم فى تبيينه (بين اظهرهم) اى كانوا كلهم فيمابينهم عارفين باخبارهم (يكلمونهم) وفى نسخة يكلمونه (مدى اعمارهم) بفتح الميم والدال مقصورا اى مدتها (فهل حكى عن واحد منهم) كسلمان والرومى (شئ) اى صدور شئ ما (من مثل ماكان يجئ به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) اى من الآيات الباهرة والمعجزات القاهرة (وهل عرف واحد منهم) اى وهم عندهم (بمعرفة شئ من ذلك) اى مماجاء به عليه الصلاة والسلام (ومامنع) اى وعلى الفرض والتقدير اى شئ منع (العدو) اى اعداء من المنكرين وروى المغرور (حينئذ على كثرة عدده) بفتح العين اى اعدادهم (ودؤب طلبه) بضم دال وهمزة فسكون واو وفوحدة اى جده وتعبه فى كده (وقوة جسده ان يجلس الى هذا) اى من سلمان اوغيره واخطأ الدلجى بقوله اى ماجاء به عليه السلام (فيأخذ عنه) وفى نسخة عليه (ايضا) اى على زعمه (مايعارض به) اى ماجاء به عليه السلام (ويتعلم منه مايحتج به على شغبه) بسكون الغين المعجمة وتفتح على لسان العامة اى على تهيج شره وخصامه كذا فى اصل الدلجى وهو ظاهر جدا وفى النسخ على شيعته فعلى للعلة اى لاجل مشايعيه ومتابعيه (كفعل النضر بن الحارث) تقدم انه قتل كافرا (بما كان يمخرق) من المخرقة بالخاء المعجمة وهى كلمة مولدة كما ذكره الجوهرى ان يزخرف (به من اخبار كتبه) اى مما لايجدى نفعا له ولغيره (ولاغاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن قومه) اى غيبة يمكن فيها من تعلمه (ولاكثرت اختلافاته) ترداداته (الى بلاد اهل الكتاب) وفى نسخة الكتب اى كالمدينة ونحوها من بلاد قومه (فيقال) بالنصب (انه استمد منهم) اى استفاد عنهم (بل لم يزل) اى من اول عمره الى آخر امره (بين اظهرهم) اى بينهم (يرعى) اى الغنم (فى صغره وشبابه) وقال الدلجى يرعى من المراعاة وهى الملاحظة والمحافظة وهو بعيد جدا (على عادة انبيائهم) اى انبياء سلفهم وفى اصل الدلجى ابنائهم باصلاح انبائهم وكذا فى نسخة صحيحة وهو ظاهر جدا (ثم لم يخرج عن) وفى نسخة من (بلادهم الا فى سفرة) اى واحدة (اوسفرتين) اى مرة مع عمه ابى طالب فرده من الطريق باشارة بحيرا واخرى فى تجارته لزوجته خديجة ومعه غلامها ميسرة والترديد باو نظرا الى ان الخرجة الاولى هل تسمى سفرة اولا فاندفع قول الحلبى وهاتان السفرتان ذكرهما جماعة وكان ينبغى ان يقول الا فى سفرتين على انه قد يقال المعنى بل سفرتين (لم يطل فيها) وروى فيهما (مكثه) بضم الميم وتفتح اى اقامته ولبثه (مدة يحتمل) بصيغة المعلوم او المجهول (فيها تعليم القليل) اى اليسير (فكيف الكثير) اى فكيف يحتمل فيهما تعليم الكثير والاستفهام للانكار (بل كان فى سفره فى صحبة قومه ورفاقة عشيرته) بفتح الراء (لم يغب عنهم ولاخالف حاله)

بالنصب او الرفع والمعنى وما اختلف حاله (مدة مقامه بمكة من تمايم) اى من علم عرف ومن بيان حاله لامن مدة تأمله الدلجى وفى نسخة ومن تعلم وهو الاظهر (واختلاف الى حبر) بفتح الحاء وكسرها اى عالم يهودى والفرس الدلجى قوله بكسر المهملة افصح من فتحها نعم كذلك فى معنى المداد الا انه ليس ههنا المراد (او قس) بفتح القاف وكسر وضمه شذا فسين مشددة اى عالم نصرانى وكذا القسيس (او منجم) اى متعاق علم النجوم (او كاهن) اى من زعم انه يخبر عن كائن (بل لو كان بعد) بضم الدال اى بعد مكثه وتصور تعلمه (هذا كله) لم كان وفى اصل الدلجى بل لو كان هذا كله بعد وهو ظاهر جدا وفى نسخة صحيحة بل لو كان هذا بعد كله (لكان شيء ما اتى به فى) وفى نسخة من (معجز القرآن) بل من معجزاته (قاطعا لكل عذر ومدحضا) اى مزيلا ودافعا (لكل حجة) اى ادحضة وفى نسخة صحيحة لكل شبهة (ومجليا) بضم ميم وسكون جيم وتخفيف لام مكسورة مخففة وفى نسخة بفتح الجيم وكسر اللام المشددة لا كما قال الحلبى باسكان الحاء والمعنى كاشفا وموضحا (لكل امر) اى مما يلوح عليه شائبة ريبة

﴿ فصل ﴾

(ومن خصائصه عليه الصلاة والسلام) اى خصوصيته فى حالاته (وكراماته وباهر آياته) اى غالب معجزاته (انباؤه) بفتح الهمزة اى اخباره الواقعة له (مع الملائكة والجن وامداد الله) اى اعانته (له بالملائكة) اى المقربين كما فى وقعة بدر وحنين (وطاعة الجن له) كجن نصيبين (ورؤية كثير من اصحابه لهم) اى للملائكة والجن وهذا اجمالى يتبين لك بعد تفاصيل احواله (قال تعالى وان تظاهرا) بتشديد الظاء وتخفيفها والخطاب لعائشة وحفصة اى وان تعاونا (عليه) اى على النبى بما يسوءه لديه من الافراط فى الغيرة لكثرة ميلهما اليه (فان الله هو مولاه) اى ناصره (وجبريل) بكسر الجيم وفتحها (الآية) اى وصالح المؤمنين كابى بكر وعمر والملائكة اى غيرهم بعد ذلك اى بعد نصره سبحانه وتعالى ظهير اى مظاهرون له (وقال تعالى اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا) اى بانى معكم مثالهم (وقال اذ تستغيثون ربكم) اى بدعائكم وندائكم يا غياث المستغيثين اغثنا اعنا على اعدائنا وعن عمر ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رأى الكفار الفا واصحابه ثلاثمائة اى فى بدر فرفع يديه مستقبلا يقول اللهم انجز لى ما وعدتنى اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الارض فما زال يهتف به حتى سقط رداؤه فقال ابو بكر يا نبى الله حسبك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك (فاستجاب لكم) اى ربكم (انى ممدكم) اى بانى معاونكم (الآيتين) اى بالف من الملائكة مردفين بكسر الدال اى متتابعين وبفتحها اى يردف بعضهم ببعض وكان الظاهر ان يقول الآية ولعله اراد الاشارة بالآيتين من السورتين اى الانفال والبقرة وهى قوله تعالى اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ويكون الايماء الى القصتين من بدر واحد حيث وقع الوعد فى الثانى مقيدا بشرط الصبر ولما فقد فقد المدد والنصر ولا يبعد ان يراد بالآيتين قوله اذ يوحى وقوله اذ تستغيثون بل هو الاظهر فتدبر (وقال واذ صرفنا) اى املنا ووجهنا (اليك نفرا من الجن) اى جن نصيبين (يستمعون القرآن الآية) اى فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين الآيات هذا وقد ورد انه لما حرست السماء نهضوا فوافوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بوادى النخلة منصرفه يقرأ فى صلاة الصبح فاستمعوا قراءته واما حديث ابن مسعود انه حضر معه ليلة الجن فثابت ايضا كما بينته فى محله وسيأتى ايضا تقريره بعده (حدثنا سفيان بن العاصى) كذا بالياء والاظهر انه بلا ياء فانه معتل العين لا اللام كما قدمنا (الفقيه) سبق ذكره (بسماعى عليه) اى فى حضورى لديه (حدثنا ابو الليث السمرقندى) اى من ائمة الحنفية (ثنا عبد الغافر الفارسى) بكسر الراء وسكن (حدثنا ابو احمد الجلودى) بضم الجيم وتفتح (ثنا ابن سفيان) وهو ابراهيم بن محمد بن سفيان راوى صحيح مسلم عنه (ثنا مسلم) اى القشيرى النيسابورى صاحب الصحيح (ثنا عبيد الله) مصغرا (ابن معاذ) بضم الميم قال ابو داود كان يحفظ عشرة آلاف حديث روى عنه مسلم وغيره (ثنا ابى) ابو معاذ بن معاذ التميمى العنبرى الحافظ قاضى البصرة قال احمد اليه المنتهى فى التثبت بالبصرة (ثنا شعبة) امام جليل فى الحديث (عن سليمان الشيبانى) اخرج له الائمة الستة (سمع زر بن حبيش) بالتصغير وزر بكسر الزاى وتشديد الراء هو ابو مريم الاسدى عاش مائة وعشرين سنة وكان من اكابر القراء المشهورين من اصحاب ابن مسعود وسمع عمر وعليا وعنه عاصم ابن ابى النجود وخلق (عن عبد الله) اى ابن مسعود (قال) اى الله سبحانه وتعالى (لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال) اى ابن مسعود (رأى) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (جبريل فى صورته) اى اصل خلقته (له ستمائة جناح) يدل على كمال عظمته كما يشير الى مزيته قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير وهذا الموقوف اخرجه البخارى

ومسلم والترمذي والنسائي قال التلمساني قيل رأه في صورته مرتين خاصة وماعداهما لم يره هو وغيره من الملائكة الافي صورة الانفي مبين ليأنس بهم ومن تمام الحديث له ستمائة جناح مثل الزبرجد الاخضر فغشي عليه (والخبر) اى الحديث والاثر (في محادثته) اى مكالمته عليه الصلاة والسلام (مع جبريل واسرافيل وغيرهم) بصيغة الجمع لتعظيمها اولان اقل الجمع اثنان وفي نسخة وغيرهما (من الملائكة) كعزرآئيل وملك الجبال ومالك خازن النار (وماشاهده من كثرتهم) كحديث اطت السماء وحق لها ان تئط مافيها موضع قدم الاوفيه ملك امارا كع اوساجد (وعظم صور بعضهم) كعزرئيل واسرافيل وسائر حملة العرش (ليلة الاسراء مشهور) اى رواه الائمة كخبر يامحمد هذا ملك الجبال يسلم عليك قال التلمساني وروى ابن عباس مرفوعا انه رأى ليلة المعراج في مملكة الله تعالى رجالا على افراس بلق شاكي السلاح طول كل واحد مسيرة الف سنة وكذلك طول كل فرس يذهبون متتابعين لايرى اولهم ولاآخرهم قال فقلت يا جبريل من هؤلاء قال ألم تسمع قوله تعالى ومايعلم جنود ربك الاهو قال انااهبط واصعد واراهم هكذا يمرون لا ادرى من اين يجيئون ولااين يذهبون ذكره النسفي في زهرا لرياض قاله الانطاكي (وقد رأهم) اى الملائكة وفي اصل الدلجي رأه اى جبريل (بحضرته بحضوره عليه السلام وهي بفتح فسكون وقال التلمساني ان الحاء مثلثة ويقال رابضا بسكون الضاد وفتحها (جماعة من اصحابه) اى الكرام (في مواطن مختلفة) اى متفاوتة الايام (فرآى اصحابه) اى بعضهم (جبريل عليه السلام في صورة رجل يسأله عن الاسلام) وفي نسخة زيادة والايمان والحديث رواه الشيخان وغيرهما من طرق متعددة والمعنى في صورة رجل غيرمعروف كما في اصل الحديث المذكور وقول الدلجي كدحية ليس في محله وان يحج بتوشيح شرحه (ورأى ابن عباس واسامة) اى ابن زيد كما في نسخة وهوابن حارثة (وغيرهما عنده) اى بحضرته (جبريل في صورة دحية) بكسر الدال وتفتح وهو ابن خليفة الكلبي المشهور بالحسن الصوري وقد اسلم قديما وشهد المشاهد كلها بعد بدر وارسله عليه السلام بكتاب معه الى عظيم بصرى ليدفعه الى هرقل اما رؤية ابن عباس له فرواها الترمذي ولفظه ابن عباس رأى جبريل مرتين واما رؤية اسامة له فرواه الشيخان عنه وفيهما ان ام سلمة رأته واما غيرهما كعائشة فروى رؤيتها البيهقي وقال التلمساني وحارثة بن النعمان رأى جبريل مرتين واقرأه جبريل عليه السلام وجرير بن عبدالله البجلي مسحه ملك وحنظلة ابن ابي عامر غسلته الملائكة وحسان بن ثابت ايده الله بجبريل لما صحته عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسعد بن معاذ نزل لجنازته سبعون الف ملك مانزلوا من قبل قط (ورأى سعد) اى ابن ابي وقاص كما في الصحيحين (على يمينه ويساره جبريل وميكائيل) لف ونشر مرتب على ماهو الظاهر المتبادر (في صورة رجلين عليهما ثياب بيض) بالوصف وتجوز الاضافة قال الحلبي في مسلم يعني جبريل وميكائيل ولم يسميا في البخاري فكونهما جبرئل وميكائيل لم يقله سعد وانما الراوي عنه قاله عنه اومن دونه ذكر ذلك والله تعالى اعلم قلت ولفظ مسلم رأيت عن يمين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن شماله يوم احد رجلين عليهما ثياب بيض مارأيتهما قبل ولا بعد يعني جبريل وميكائيل (ومثله) اى ومثل ماروى سعد (عن غير واحد) اى صدر عن كثير من الصحابة) وسمع بعضهم زجر الملائكة) بفتح الزاى وسكون الجيم اى حثهم وحملهم على السرعة (خيلها يوم بدر) اى كما رواه عن عمر (وبعضهم رأى تطاير الرؤس من الكفار) اى في بدر (ولايرون الضارب) كما رواه البيهقي عن سهل بن حنيف وابي واقد الليثي وقال ابوداود المازني على مافي رواية ابن اسحق اني لاتبع رجلا من المشركين يوم بدر لاضربه اذ رفع رأسه قبل ان يصل اليه سيفي فعرفت انه قتله غيري (ورأى ابوسفيان ابن الحارث) بن عبدالمطلب وهوابن عم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (يومئذ) اى يوم بدر (رجالا بيضا) بكسر الباء جمع ابيض ولم يضم الباء محافظة على الياء (على خيل بلق) بضم فسكون جمع ابلق والبلق محركة سواد وبياض كالبلقة بالضم (بين السماء والارض) وفي نسخة لايقوم لها شئ اى لايطيق ولايقاوم لتلك الرجال شئ اى مما خلق الله تعالى فان ملكا واحدا كاف في اهلاك اهل الدنيا جميعا فقد اهلك جبريل مدائن قوم لوط بريشة من جناحه وثمود بصيحة من صياحه هذا وقد روى البيهقي عن سهيل بن عمرو انه هو الذي رآهم لكن لامنع من الجمع بعد تحقق السمع (وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن حصين) كما رواه ابن سعد عن قتادة وفي مسلم انها كانت تسلم عليه (واري النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لحمزة جبريل في الكعبة فخر) اى سقط حمزة (مغشيا عليه) اى من عظمته وهيبته وحديثه هذا رواه البيهقي عن مسلم بن يسار مرسلا (ورأى ابن مسعود الجن) كما رواه البيهقي عنه (ليلة الجن) اى ليلة امر النبي عليه الصلاة والسلام ان ينذرهم (وسمع) اى ابن مسعود (كلامهم وشبههم) اى في الخلق والنطق (برجال الزط) بضم الزاى وتشديد الطاء قوم من السودان او الهنود طوال قال الحلبي وفي حديث مسلم عنه انه لم يكن مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الجن لكن ذكر ابن سيد الناس في سيرته

فالصحيح ان الحديث المشهور عن عبدالله بن مسعود من طرق متظافرة يشهد بعضها لبعض ويشيد بعضها بعضا فال ولم تعرف طريق ابن زيد الاعما فيها من الوضوء بنبيذ التمر فهي وقدصح الحديث الذي ذكره من غير طريق ابي زيد وهو في ابن ماجه من حديث ابن عباس وفيه الوضوء بنبيذ التمر لكن في الاسناد عبدالله بن لهيعة والعمل على تضعيف حديثه وهو من قبل صحابي والعمل على قبوله خلافا لبعض الناس اي من الشافعي واتباعه هذا وقد ورد من طريق عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خطب ذات ليلة ثم قال ليقم من لم يكن في قلبه مثقال ذرة من كبر فقام عبدالله بن مسعود فحمله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع نفسه فقال ابن مسعود خرجنا من مكة فخط رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حولي خطا وقال لا تخرج من هذا الخط فانك ان خرجت عنه لم تلقني الى يوم القيامة ثم ذهب يدعو الجن الى الايمان ويقرأ القرآن حتى طلع الفجر ثم رجع بعد طلوع الفجر وقال لي هل معك ماء اتوضأ به قلت لا الا نبيذ التمر في اداوة فقال تمرة طيبة وماء طهور واخذه وتوضأ به وصلى الفجر وقد روى ابو داود والترمذي وابن ماجه والدار قطني عن ابن مسعود نحوه وكذا الطحاوي وغيره وقد اثبت البخاري كون ابن مسعود مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بانني عشر وجها فلا يلتفت الى قول الدلجي واما حديث ابن مسعود انه حضر معه ليلة الجن فضعيف وفي صحيح مسلم انه لم يكن معه فانا نقول رواية البخاري اصح وارجح والقاعدة ان الاثبات مقدم على النفي عند الاثبات مع ان ليلة الجن كانت ست مرات او المراد بنفي كونه معه انه لم يحضر مجلس المحاورات والله اعلم بالحالات (وذكر ابن سعد) وهو مصنف الطبقات الكبرى والصغرى ومصنف التاريخ ويعرف بكاتب الواقدي سمع ابن عيينة وابن معين وحدث عنه ابن ابي الدنيا وغيره مات سنة ثلاثين ومائتين (ان مصعب بن عمير لما قتل يوم احد) اي وكان صاحب الراية (اخذ الراية ملك على صورته فكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول له) اي ظانا منه انه هو (تقدم) الى جهة العدو (يا مصعب فقال له الملك) اي مرة في جوابه (لست بمصعب) فعلم اصيغة الفاعل او المفعول اي عرف (انه ملك) لكن روى ابن ابي شيبة في مصنفه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال يوم احد اقدم مصعب فقال له عبدالرحمن بن عوف يا رسول الله الم يقتل مصعب قال بلى لكن قام مكانه وتسمى باسمه انتهى وفيه احتمال انه عرفه من اول الوهلة وانه لم يعرفه حتى عرفه ثم كان يقول له مصعب من قبيل تجاهل العارف وتنزيل المجهول منزلة المعلوم او تسمية له باسمه او على تقدير مضاف نحو نائبه والله تعالى اعلم (وقد ذكر غير واحد من المصنفين) كالبيهقي وابن ما كولا في اكماله (عن عمر بن الخطاب انه قال بينا نحن جلوس) يروى انا جالس (مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذ اقبل شيخ بيده عصا فسلم على النبي صلى الله تعالى وسلم عليه فرد عليه) اي السلام (وقال نغمة الجن) بفتح فسكون اي هذه حركته وصوته وفي نسخة نغمة جني (من انت) اي منهم (قال انا هامة) بتخفيف الميم وفي بعض الروايات الهام (ابن الهيم) بكسر فسكون تحتية وفي نسخة بفتح هاء وكسر تحتية مشددة او مخففة (ابن لاقيس) بكسر القاف او لاقس بزيادة تحتية (ابن ابليس) كان اسمه عزازيل قال التلمساني وهو ابو الجن كان آدم ابو البشر وقد ذكره البغوي في تفسيره عن مجاهد قال من ذرية ابليس لاقيس بالياء (فذكر انه لقي نوحا ومن بعده) اي من الانبياء وغيرهم (في حديث طويل) قال بعضهم انه موضوع كما ذكره الحلبي (وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم علمه سورا من القرآن) قال الحلبي وفي الميزان في حديثه المذكور انه عليه السلام علمه المرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت والمعوذتين وقل هو الله احد الحديث بطوله ذكر الانطاكي وغيره انه قال بينا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يمشي في بعض جبال مكة او عرفات اذا قبل شيخ اعرج بيده عصا يتوكأ عليها فقال السلام عليك يا محمد فقال صلى الله تعالى عليه وسلم مشية الجن ونغمتهم قال نعم من اي الجن انت قال انا الهام بن الهيم بن لاقيس فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كم اتى عليك قال انا كنت يوم قتل قابيل هابيل غلاما اطوف في الاكام واشيد الطايب الطعام وامنع من الاعتصام وآمر بقطيعة الارحام فقال صلى الله تعالى عليه وسلم بئس صفة الشاب المؤمل والشيخ المرجو قال مهلا يا محمد دعني عنك من اللوم انما جئتك تائبا وكانت توبتي في زمن نوح عليه الصلاة والسلام وعلى يديه ولقد كنت معه في السفينة وعاتبته في دعائه على قومه حتى بكى وابكاني وقال والله اصبحت من النادمين واعوذ بالله ان اكون من الجاهلين ولقد كنت مع هود حين دعا على قومه فاهلكهم الله بالريح العقيم فعاتبته في دعائه على قومه حتى بكى وابكاني وقال والله اصبحت من النادمين واعوذ بالله ان اكون من الجاهلين ولقد كنت مع صالح في مسجده حين دعا على قومه فاخذتهم الصيحة فعاتبته في دعائه على قومه حتى بكى وابكاني وقال والله اصبحت من النادمين واعوذ بالله ان اكون من الجاهلين ولقد كنت مع ابراهيم يوم قذف في النار واسعى بين المنجنيق واطفأ نيرانهم حتى جعلها الله عليه بردا وسلاما وان موسى بن عمران اوصاني ان بقيت الى ان يبعث عيسى ابن مريم ان اقرئه منه

السلام فلقيت عيسى فاقرأته السلام وقال لى عيسى ابن مريم ان بقيت الى ان تلق محمدا فاقرأه منى السلام فجئت اقرأ عليك السلام فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على عيسى عليه السلام مادامت السموات والارض وعليك يا هام فانك قد اديت الامانة فاحاجتك قال ان موسى علمنى التورية وعيسى علمنى الانجيل واحب ان تعلمنى شيأ من القرآن فاقرأه فى صلاتى فعلمه عشر سور من القرآن فلم يربعد انتهى لكن قال ابن نصر هذا الحديث موضوع وقال ابن الجوزى ايضا وقال العقيلى لا اصل له والله تعالى اعلم (وذكر الواقدى) وكذا روى النسائى والبيهقى عن ابى الطفيل (قتل خالد) اى ابن الوليد (عند هدمه العزى) تأنيث الاعز سمرة كانت لغطفان يعبدونها وكانوا بنوا عليها بيتا (للسوداء التى خرجت له) اى لخالد من الشجرة بعد قطعها (ناشرة) اى مفرقة (شعرها عريانة) اى واضعة يدها على رأسها داعية باويلها (فجزلها) بجيم وزاى مخففة وتشدد للمبالغة اى قطعها نصفين (بسيفه) وهو يقول يا عزى كفرانك لا غفرانك انى رأيت الله قد اهانك ويروى فجدلها بتشديد الدال اى فصرعها وفى رواية فخزلها بالخاء المعجمة والزاى المخففة اى فقطعها (واعلم) اى خالد (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال) اى له كما فى نسخة (تلك العزى) زيد فى رواية لن تعبد ابدا وفى رواية تلك شيطانة (وقال عليه السلام) كما فى الصحيحين عن ابى هريرة (ان شيطانا) من شطن اذا بعد لبعده عن الخير او من شاط اذا هلك لهلاكه فى الشر (تفلت) بتشديد اللام اى تخلص بغتة (البارحة) اى فى الليلة الماضية (ليقطع على صلاتى) والمعنى تعرض لى بغتة ليغلبنى فى اداء صلاتى غفلة (فامكننى الله منه) اى اقدرنى الله عليه (فاخذته فاردت ان اربطه) بكسر الموحدة وتضم (الى سارية من سوارى المسجد) اى منضما الى اسطوانة من اسطوانات مسجد المدينة (حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة اخى سليمان رب اغفرلى) اى ماصدر عنى فى امر دينى وهو بدل من دعوة اخى (وهب لى) اى من الدنيا (ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى) اى لا يتسهل لغيرى فى حياتى او بعد مماتى مبالغة فى زيادة خارقة للعادة (فرده الله خاسئا) اى خائبا وهذا صريح فى ان هذا الشيطان احد الجن المرئقة بالقيود لدلالة تفلت عليه ولاشارة التنكير اليه فلا وجه لقول الحلبى هذا الشيطان يحتمل ان يكون ابليس وانه جاء ليلقى فى وجهه عليه السلام شهابا من نار فاخذه ويحتمل ان يكون غيره والذى ظهر لى انهما قصة واحدة انتهى كلامه وقال القاضى يفهم منه ان مثل هذا مما خص به سليمان عليه السلام دون غيره من الانبياء واستجيبت دعوته فى ذلك ولذلك امتنع نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم من اخذه اما تواضعا او تأدبا او تسليما لدعوة سليمان عليه السلام قلت والتسليم اولى واسلم واما مانقل عن الحجاج انه قال لقد كان حسودا فصريح فى كفره وقال ابن عطية وهذا من فسقه وقال ابن عرفة كان بعضهم يقول هذا من جهله والله سبحانه وتعالى اعلم بحاله ومآله (وهذا باب واسع) اى لا يمكن استقصاؤه ولا يتصور استيعابه

(فصل)

(ومن دلائل نبوته) اى دلالات بعثته من اول حالته (وعلامات رسالته) وبخط القاضى وعلامة رسالته (ما ترادفت به الاخبار) اى تتابعت وتواترت الآثار (عن الرهبان والاحبار) اى من زهاد النصارى وعبادهم وعلماء اليهود وقوادهم كخبر الراهب بحيرا وكان فى زمنه اعلم النصارى وقد سافر به عمه ابو طالب فى اشياخ من قريش الى الشام فوافوا ببصرى من ديار الشام فنزل من صومعته وكان قبل ذلك لا ينزل لمن نزل به الحديث وقد تقدم وكخبر حبر بنى عبد الاشهل من اليهود اذاتى نادى قومه فذكر البعث والحساب والميزان والجنة والنار وذلك قبل مبعثه عليه السلام فقالوا ويحك هذا كائن وان الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيها جنة ونار ويجزون باعمالهم قال نعم ولوددت ان حظى من تلك النار ان توقدوا اعظم تنور ثم تقذفونى فيه وتطبقوه على وانى انجو به من النار غدا فقيل له ما علامة ذلك قال نبى يبعثه الله من هذه البلاد واشار بيده الى مكة قالوا متى فرمى بطرفه الى اصغر القوم فقال ان يعش هذا يدركه فلما بعث آمنا به وصدقناه وكفر هو به فقلنا له الست الذى قلت ماقلت واخبرتنا فقال ليس به (وعلماء اهل الكتب) اى من غيرهم وفى نسخة الكتاب على قصد الجنس وفى اصل الدلجى وعلماء اهل الزمان فهو من باب عطف العام على الخاص من صفته وصفة امته) كخبر عبد الله بن سلام قال فى التورية صفة محمد عليه الصلاة والسلام وعيسى ابن مريم يدفن معه وخبر كعب الاحبار قال نجد فى التورية محمد رسول الله عبدى المختار الى ان قال مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام وامته الحامدون يحمدون الله تعالى فى السراء والضراء الحديث وقد سبق (واسمه) اى محمد فى التورية واحمد فى الانجيل وقال وهب بن منبه فى الزبور يادادو سيأتى من بعدك نبى يسمى احمد ومحمدا صادقا سيدا لا اغضب عليه ابدا ولا يعصينى ابدا وقد غفرت له قبل ان يعصينى ما تقدم من ذنبه وما تأخر وامته مرحومة واعطيتهم من النوافل مثل ما اعطيت) الانبياء وافترضت عليهم الفرائض التى افترضت على الانبياء والرسل

حتى يأتوا يوم القيامة نورهم مثل نور الانبياء (وصلاماته) اى كما فى الانجيل صاحب المدرعة والعمامة والنعلين والهراوة ونحو ذلك (وذكر الخاتم الذى بين كتفيه) كما هو فى كتب اهل الكتاب وقد بينت فى شرح الشمائل هذا الباب (وما وجد فى ذلك من اشعار الموحدين) وفى اصل الدلجى وما وجد من ذلك فى اشعار الموحدين اى القائلين بالوحدة الالهية (المتقدمين) اى فى زمن الجاهلية (من شعر تبع) بضم التاء وتشديد الموحدة احد ملوك اليمن وشعره هذا بعد منصرفه من المدينة وكان قد نازل اهلها الاوس والخزرج واليهود فكانوا يقاتلونه نهارا ويضيفونه ليلا واستمر ثلاث ليال فاستحى فارسل ليصالحهم فخرج اليه من الاوس احيحة بن الجلاح ومن يهود بنيامين القرظى فقال له احيحة ايها الملك نحن قومك وقال بنيامين ايها الملك هذه بلدة لاتقدران تدخلها قال ولم قال لانها منزل نبى يبعثه الله من قريش فانشد شعرا منه

(اتى الى نصيحة كى ازدجر * عن قرية محجورة بمحمد)

قال التلمسانى وهو ابو كريب الذى كسا البيت ولم يسبقه اليه احد ومن شعره المتواتر عنه قوله

(شهدت على احمد انه * رسول من الله بارى النسم)

(فلو مد عمرى الى عمره * لكنت وزيرا له وابن عم)

فى ابيات كتبها واودعها الى اهله فكانوا يتوارثونها كابرا عن كابر الى ان هاجر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدفعوها اليه ويقال كان الكتاب والابيات عند ابى ايوب الانصارى رضى الله تعالى عنه (والاوس بن حارثة) والحارثة بحاء مهملة ابن لام الطائى وهو ممن يوحد الله تعالى من اهل الفترة (وكعب بن لؤى) بضم لام وفتح همزة وتبدل وتشديد تحتية وهو سابع اجداده عليه الصلاة والسلام واما ما فى نسخة لؤى بن كعب فغلط (وسفيان بن مجاشع) اى واشعارهم فيه صلى الله تعالى عليه وسلم لكنها غير مشهورة (وقس بن ساعدة) بضم القاف وتشديد السين اسقف نجران وكان من حكماء العرب ومن شعره

(الحمد لله الذى * لم يخلق الخلق عبث)

(لم يخلنا منه سدى * من بعد عيش واكترث)

(ارسل فينا احمدا * خير نبى قد بعث)

(صلى عليه الله ما * حج له ركب وحث)

وقد رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعكاظ وغيره ومن ثم عده ابن شاهين وغيره فى الصحابة (وما ذكر) عطف على ما ورد حداى وما نقل (عن سيف بن ذى يزن) بفتح الياء والزاى مصروفا ويمنع وهو من ملوك حمير ومن كان شريفا من اهل اليمن يقال له ذو يزن وقد ذكره الذهبى فى الصحابة وقال ما لفظه سيف بن ذى يزن اهدى الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حلة وهو مشهور انتهى وقال الدلجى خبره انه قال لجده عبد المطلب بن هاشم وقد وفد عليه ومن معه من قومه ليهنوه بنصرته على الحبشة انى مفض اليك من سر علمى ما لو غيرك لم ابح به اذ قد رأيتك معدنه فاكتمه حتى يأذن الله فيه فانى اجد فى علمنا الذى ادخرناه لانفسنا وحجبناه عن غيرنا خبرا عظيما فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة قال فما هو وقال اذا ولد بتهامة غلام بين كتفيه شامة كانت له الامامة ولكم به الزعامة الى يوم القيامة فقال ايها الملك لقد اتيت بخير ما آب به وافد ثم قال ايها الملك ابن لى ما ازداد به سرورا قال سيف هذا حينه الذى يولد فيه او قد ولد اسمه محمد يموت ابوه وامه ويكفله جده وعمه وقد ولدناه مرارا والله باعثه جهارا وجاعل لهمنا انصارا يعز بهم اولياءه ويذل بهم اعداءه ويضرب بهم الناس عن عرض ويفتح بهم كرائم اهل الارض يعبد الرحمن ويدحض الشيطان ويخمد النيران ويكسر الاوثان قوله فصل وحكمه عدل يأمر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله فقال ايها الملك قد اوضحت بعض الايضاح قال سيف والله انك لجده فهل احسست بشئ مما ذكرت لك قال نعم انه كان لى ابن كنت به معجبا وعليه شفيقا وانى زوجته كريمة من كرائم قومى آمنة بنت وهب فجاءت بغلام سميته محمدا مات ابوه وامه وكفلته انا وعمه قال له سيف فاحتفظ به واحذر عليه اليهود فانهم له اعداء ولن يجعل الله تعالى لهم عليه سبيلا واطو ما ذكرت لك عمن معك فلست آمن عليك ان يحسدوك او ينابذوك ولولا انى اعلم انى اموت قبل مبعثه لجعلت يثرب دار ملكى فانها مهاجره واهلها انصاره وبها قبره ولولا اخوفى عليه لاعلنت على حداثة سنه امره ولاوطأت على انوف العرب كعبه وقد صرفت ذلك اليك من غير تقصير منى معك واذا حال الحول فائتنى بخبره وما يكون من امره فمات سيف قبل الحول وقد ذكره الذهبى فى الصحابة مع ايمانه به فى حياته ولم يره فالحق انه مخضرم والله تعالى اعلم (وغيرهم) اى كالراهب الذى قال لسلمان الفارسى اذ قال له من توصينى اكون عنده بعدك اعبد الله اى بنى والله ما اعلم احدا

على ما كانا عليه اوصيك ان تكون عنده ولكن قد اظلك زمان نبى يبعث من الحرم مهاجره بين حرتين فى ارض سبخة ذات نخل فيه علامات لاتخفى بين كتفيه خاتم النبوة يأكل الهدية دون الصدقة فان استطعت ان تخلص اليه فافعل (وماعرف) بتشديد الراء على بناء الفاعل لا المفعول كما وهم الدلجى اى وماعلم (به من امره) اى بعضه (زيد ابن عمرو بن نفيل) بالتصغير قال الحلبى زيد هذا والد سعيد احد العشرة وهو ابن عم عمر بن الخطاب وكان زيد يتعبد فى المقبرة قبل النبوة على دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام ويتطلب احكامه الكرام ويوحد الله ويعيب على قريش ذبائحهم على الانصاب ولا يأكل مما ذبح على النصب وكان اذا دخل الكعبة قال لبيك حقا تعبدا ورقا عذت بما عاذ به ابراهيم جاء ذكره فى احاديث وتوفى قبل النبوة فرثاه ورقة بن نوفل بابيات معناها انه خلص نفسه من جهنم بتوحيده واجتنابه عبدة الاوثان وفى صحيح البخارى فى كتاب المناقب ذكره وبعض مناقبه قال الدلجى ذكر زيد عن راهب بالجزيرة اذ قال له وقد سأله عن دين ابراهيم عليه السلام انك من رأيت يعنى من الاحبار والرهبان فى ضلال انك تسأل عن دين هو دين الله ودين ملائكته وقد خرج فى ارضك نبى اوهو خارج يدعو اليه ارجع اليه فصدقه واتبعه فلقيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قبل ان يبعث بلدح فقال له اى عم مالى ارى قومك قد اشفوك قال اما والله ان ذلك لغير ثائرة منى اليهم ولكنى اراهم على ضلالة فخرجت ابتغى هذا الدين ثم اخبره بما عرف به راهب الجزيرة من امره صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال فرجعت فلم اختبر شيئا بعد فقدم صلى الله تعالى عليه وسلم له سفرة فيها لحم فقال انالا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه ثم مات قبل ان يبعث فقال صلى الله تعالى عليه وسلم انه يبعث يوم القيامة امة وحده كما رواه النسائى هذا وعد ابن منده له وغيره ممن رآه عليه السلام واجتمع به قبل البعثة من الصحابة الكرام توسع فى الكلام اذ لم يجتمع به صلى الله تعالى عليه وسلم بعدها مؤمنا (وورقة بن نوفل) اى وما عرف به من امره ورقة بن نوفل بن اسد عن رهبان كثيرين وقد اخبرته خديجة بنت خويلد بن اسد بما اخبرها به غلامها ميسرة من قول الراهب وانه رأى ملكين يظلانه فقال ان كان هذا حقا فمحمد نبى هذه الامة وقد عرفت ان لها نبيا ينتظر وهذا زمانه ثم انه كان يستبطئ الامر حتى قال شعرا

(تبكر ام انت العشية رائح * وفى الصدر من اضمارك الحزن قادح)
(لفرقة قوم لا احب فراقهم * كأنك عنهم بعد يومين نازح)
(فاخبار صدق خبرت عن محمد * يخبرها عنه اذا غاب ناصح)
(فذاك الذى وجهت يا خير حرة * بغور وبالنجدين حيث الصحاصح)
(الى سوق بصرى والركاب التى غدت * وهن من الاحمال قعص ذوالح)
(يخبرنا عن كل خير بعلمه * وللحق ابواب لهن مفاتح)
(بان ابن عبد الله احمد مرسل * الى كل من ضمت عليه الاباطح)
(وظنى به ان سوف يبعث صادقا * كما بعث العبد ان هود وصالح)
(وموسى وابراهيم حتى يرى له * بهاء ومنشور من الذكر واضح)
(ويتبعها حيا لؤى جماعة * شبابهمو والاشيبون الجحاجح)
(فان ابق حتى يدرك الناس دهره * فانى به مستبشر الود فارح)
(والا فانى يا خديجة فاعلمى * عن ارضك فى الارض العريضة سائح)

وهذه شواهد صدق بايمانه مع ذكر بعضهم بانه صحابى بل هو اول الصحابة من انه اجتمع به بعد الرسالة اذ صح انه صلى الله تعالى عليه وسلم اتاه بعد مجئ جبريل اليه واخباره له عن ربه بانه رسول هذه الامة بعد انزال اقرأ باسم ربك الذى خلق عليه وبعد قول ورقة له ابشر فانا اشهد انك الذى بشر به ابن مريم وانك على ناموس عيسى وانك نبى مرسل وقد ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم رآه فى الجنة وعليه ثياب خضر وفى مستدرك الحاكم انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا تسبوا ورقة فانى رأيته فى الجنة وعليه جبة اوجبتان واما مانقله الذهبى عن ابن منده انه قال الاظهر انه مات بعد النبوة قبل الرسالة فواه جدا ويرده مافى صحيح البخارى عنه صريحا (وعشكلان) بفتح العين والكاف وتضمان واقتصر عليه بعضهم (الحميرى) بكسر الحاء وفتح الياء نسبة الى حمير ابى قبيلة من اليمن ومنهم كانت الملوك فى الدهر الاول اى وماعرف به من امره من الرهبان لكنى لم ار من ذكره فى معرض البيان (وعلماء اليهود) وفى نسخة وعلماء يهود اى من كتبهم اومن اخبارهم عن احبارهم كقول عالم منهم كان بمكة يتجر فى نادى من قريش هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا لا نعلم قال الله اكبر اما اذا اخطأكم خبره فانظروا واحفظوا ما اقول لكم

ولد فى هذه الليلة نبى هذه الامة الاخيرة بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كأنهن عرف فرس فخرجوا متعجبين من قوله فسئل كل اهله فقالوا قد ولد الليلة لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمدا فاخبروا اليهودى به فقال اذهبوا نظره فدخلوا به على امه فرأى العلامة فخر مغشيا عليه ثم افاق فقالوا ويلك مادهاك فقال ذهبت والله النبوة من بنى اسرائيل افرحتم به معشر قريش ايسطون بكم سطوة يطير خبرها فى المشرق والمغرب (وشامول) بشين معجمة ثم ميم وفى آخره لام لا كاف كما فى اصل الدلجى (عالمهم صاحب تبع) وهو الذى من بالمدينة ومعه رهبان عندما قالوا له ان هذه مهاجر نبى آخر ارملتوا الى تبرح منها العلماء دركه او ابناؤه فاعطى كل واحد منهم مالا وجارية فسكنوا فيها وتوالدوا بها فكان الانصار من ذريتهم (من صفته وخبره) بيان لما عرف به زيد ومن ذكر من امثاله (واق) بضم همزة فكسر واو واما القاف كما فى نسخة فهو تصحيف والمعنى ما وجد (من ذلك) اى مما دل على ما ذكر من صفته وخبره (فى التوراة والانجيل مما قد جمعه العلماء) اى علماء هذه الامة (وبينوه) ففى التوراة ان الله تعالى قال لابراهيم عليه السلام ان هاجر تلد ويكون من ولدها من يده فوق الجميع ويد الجميع مبسوطة اليه بالخشوع وقال لموسى عليه السلام انى مقيم لهم نبيا من بنى اخوتهم مثلك واجرى قولى فى فيه يقول لهم ما آمرهم والرجل الذى لا يقبل قول النبى الذى يتكلم باسمى فانا انتقم منه وفى الانجيل قال عيسى عليه السلام انى اطلب الى ربى فارقليطا يكون معكم الى الابد وفيه على لسانه فارقليط روح القدس الذى يرسله ربى باسمى اى ابوة هو الذى يعلمكم ويمنحكم جميع الاشياء ويذكركم ما قلته وانى قد اخبرتكم بهذا قبل ان يكون حتى اذا كان تؤمنوا به وفارقليط معناه كاشف الخفيات وفيه اقول لكم الآن حقا انطلاقى عنكم خير لكم فان لم انطلق عنكم الى ربكم لم يأتكم الفارقليط وان انطلقت ارسلت به اليكم فاذا جاء يفند العالم ويوبخهم ويوقفهم على الخطيئة والبر اذن روح اليقين يرشدكم ويعلمكم ويدبر جميع الخلق لانه ليس يتكلم بدعة من تلقاء نفسه (ونقله عنهما) اى عن التوراة والانجيل وفى اصل الدلجى عنهم فان صح نسخة فالضمير الى العلماء لكنه لا يلائم قوله (ثقات من اسلم) وفى نسخة ثقات من اسلم بالاضافة (منهم) اى من علماء اليهود والنصارى (مثل ابن سلام) هو الحبر عبد الله بن سلام من علماء اليهود واخباره شهيرة كثيرة (وابنى سعية) بفتح فسكون فتحتية اوفنون والمعروف انهما اثنان ففى بعض النسخ وبنى سعية من غير الف لعله سهوا ويحمل على ان اقل الجمع اثنان واما قول الحلبى فيحتمل ان القاضى رأى معهما اسد بن عبيد فظنه اخاهما فهو من اطنب السوربه ثم قوله ويحتمل انه وقف على انهم ثلاثة ظن حسن وتوجيه مستحسن هذا وفى دلائل النبوة للبيهقى وسيرة ابن سيد الناس عن ابن اسحق قال اسد اوثعلبة ابنى سعية واسيد بن عبيد نفر من هديل ليسوا من بنى قريظة ولا النضير بنى نسبهم فوق ذلك وهم بنو عم القوم اسلموا تلك الليلة التى نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا قدم علينا قبل البعثة بسنين حبر من يهود الشام يقال له ابن الهيبان فاقام عندنا فكنا نستسقى به فحضرته الوفاة فجئناه فقال يامعشر يهود ماترونه اخرجنى من ارض الخمر والخمير الى ارض البؤس قالوا انت اعلم قال انما خرجت اتوقع مبعث نبى قد اظل زمانه ومهاجره هذه البلاد فاتبعوه فلا يسبقكم اليه احد فانه يبعث بسفك دماء من خالفه وسبى ذراريهم ثم مات فلما بعث حبر قال اولئك النفر الثلاثة وكانوا شبابا احداثا يامعشر يهود والله انه للذى كان يذكر لكم ابن الهيبان قالوا ما هو به قالوا بلى ثم نزلوا فاسلموا وخلوا اموالهم واولادهم واهليهم فى الحصن فردها عليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وبنيامين) سمى اخى يوسف (ومخيريق) بالتصغير وخاؤه معجمة قال السهيلى انه اسلم واوصى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال المصنف اوصى بسبعة حوائط قال الحلبى قاتل يوم احد حتى قتل وقال الواقدى كان حبرا عالما فآمن بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو من بنى النضير انتهى وقد صرح غير واحد من الحفاظ بانه اسلم (وكعب) اى كعب الاحبار (واشباههم ممن اسلم من علماء اليهود) اى ولو بعد موته عليه الصلاة والسلام قال كعب فانه تابعى مخضرم ولم ير النبى عليه الصلاة والسلام وانما اسلم فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه (وبحيرا) بفتح باء وكسر حاء فراء ممدودا ومقصورا ممن شهد له بالرسالة قبل دعوى النبوة فهو من الصحابة ان لم يشترط الاجتماع بعد البعث (ونسطور) بفتح النون وسكون السين وفى نسخة نسطور وفى نسخة بنون فى آخره بدل الراء (الحبشة) فيه تنبيه احترازا من نسطور الشام وهو الذى جرى له ما جرى مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى متجره لخديجة فى رحلته الثانية الى الشام (وصغاطر) بفتح اوله وكسر الطاء وهو الاسقف الرومى اسلم على يد دحية الكلبى وقت الرسالة فقتلوه وهو تابعى مخضرم وذكره الذهبى فى تجريد الصحابة (وصاحب بصرى) بضم موحدة وسكون مهملة مقصورا والمراد به عظيم بصرى كما فى البخارى (واسقف الشام) بضم همزة وقاف وتشديد فاء ولعله نسطوره المحترز عنه فيما تقدم (والجارود) اى ابن

العلاء وفد فی قومه علی رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم فقال والله لقد جئت بالحق ونطقت بالصدق والذی بعث بالحق نبیا لقد وجدت وصفك فی الانجیل وبشر بك ابن البتول فطول التحیة لك والشكر لمن اكرمك لااثر بعد عین ولاشك بعد یقین مدیدك فانا اشهد ان لااله الا الله وانك محمد رسول الله ثم آمن قومه (وسلمان) ای الفارسی (والنجاشی) وهو اصحمة (ونصاری الحبشة واساقف نجران) بفتح الهمزة وكسر القاف وتخفیف الفاء جمع اسقف ای علماؤهم ورؤساؤهم ونجران بفتح نون وسكون جیم موضع بالیمن فتح سنة عشر كذا فی القاموس وقال الذهبی فی تجرید الصحابة مالفظه اسقف نجران قال ابوموسی لاادری اسلم ام لا ولم یذكره غیره نقله الحلبی (وغیرهم ممن اسلم من علماء النصاری وقد اعترف بذلك) ای بصحة نبوته وعموم رسالته (هرقل) بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف وفی نسخة بسكون الراء وفتح القاف وفی اخری بفتح الهاء والقاف (وصاحب رومة) كذا فی اكثر النسخ وقال الحلبی صوابه رومیة بتخفیف الیاء كما فی الصحیح وهی مدینة ریاسة الروم وعلمهم (عالما النصاری ورئیساهم) كما فی البخاری ثم هرقل كتب الی صاحب له برومیة وكان نظیره فی العلم وسار هرقل الی حمص فلم یرم حمص حتی جاءه كتاب من صاحبه یوافقه علی خروج النبی صلی الله تعالی علیه وسلم وانه نبی وروی النصرانیة ورئیساها (ومقوقس) بضم المیم وكسر القاف الثانیة (صاحب مصر) ای ملك القبط قال الذهبی فی تجرید الصحابة المقوقس صاحب الاسكندریة اهدی لرسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم ولامدخل له فی الصحابة ذكره ابن منده وابونعیم ومازال نصرانیا ومنه اخذت مصر واسمه جریج انتهی وسماه الدار قطنی جریج بن سینا انتهی واثبته ابوعمر وفی الصحابة ثم امر بان یضرب علیه وقال یغلب علی الظن انه لم یسلم وكانت شبهته فی اثباته فی الصحابة روایة رواها ابن اسحق عن الزهری عن عبیدالله ابن عبدالله بن عتبة قال اخبرنی المقوقس انه اهدی لرسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم قدحا من قواریر وكان یشرب فیه قال الحلبی فالمذكور شخص آخر معدود فی الصحابة یقال له المقوقس فی معجم ابن قانع قال الذهبی لعله الاول (والشیخ صاحبه) وهذا لایعرف اسمه (وابن صوریا) بضم الصاد وكسر الراء ممدودا ومقصورا قال الحلبی اسمه عبدالله ذكر السهیلی عن النقاش انه اسلم وقال الدلجی اسلم ثم ارتد الی دینه والله تعالی اعلم (وابن اخطب) هو حیی ابوصفیة ام المؤمنین (واخوه) هو ابو یاسر بن اخطب قتلا كافرین صبرا مع اسری بنی قریظة (وكعب ابن اسد) صاحب عقد بنی قریظة وعهدهم موادعا لرسول الله صلی الله تعالی علیه ثم نقض العهد فقاتلهم النبی علیه السلام فغلبهم فقتل مقاتلهم وسبی ذریتهم فقتلوا صبرا ومعهم كعب بن اسد وكانوا ستمائة اوسبعمائة اوثمانمائة اوتسعمائة (والزبیر) بفتح الزای وكسر الباء (ابن باطیا) بكسر الطاء قال الدلجی وفی نسخة باطابلا تحتیة وقال الحلبی وفی غیر هذا المؤلف باطا بلامد ولاهمزة وهو ای الزبیر والد عبد الرحمن بن الزبیر الذی تزوج امرأة رفاعة القرظی الحدیث كما فی البخاری وقال ابن منده وابونعیم هو عبد الرحمن بن الزبیر بن زید بن امیة الاوسی (وغیرهم) ای وقد اعترف بثبوت نبوته وحقیة رسالته هؤلاء وغیرهم (من علماء الیهود ممن حمله الحسد) وهو ارادة زوال نعمة الغیر (والنفاسة) بفتح النون من نفست علیه الشیء نفاسة اذا لم تره یستأهله انفة (علی البقاء) ای بقائه علی الكفر فی الدنیا (والشقاء) ای تعبه بالعذاب فی العقبی وفی نسخة الشقاوة وفی اصل الدلجی وبعض النسخ علی البقاء علی الشقاء ای المداومة علی الشقاوة (والاخبار فی هذا) ای فیما ذكر من دلالات نبوته وعلامات رسالته (كثیرة لاتنحصر) ای بحیث لاتحصی ولاتستقصی (وقد قرع) بفتح القاف وتشدید الراء ای ضرب علیه السلام بشدة وابلغ بحدة (اسماع یهود) وفی نسخة الیهود (والنصاری بماذكر) ای اخبر النبی علیه الصلوة والسلام (انه فی كتبهم من صفته وصفة اصحابه) كقوله تعالی ذلك مثلهم فی التوریة ومثلهم فی الانجیل الآیة وفی الانجیل ایضا جد فی امری واسمع واطع یابن الطاهرة البتول انی خلقتك من غیر فحل الی آخر ماتقدم وفی التوریة ایضا قال موسی رب انی اجد فی التوریة امة خیر امة اخرجت للناس یأمرون بالمعروف وینهون عن المنكر ویؤمنون بالله فاجعلهم امتی قال تلك امة محمد قال انی اجد فیها امة هم الآخرون السابقون یوم القیامة فاجعلهم امتی قال تلك امة محمد قال اجد امة اناجیلهم فی صدورهم یقرؤنها وكان من قبلهم یقرؤن فی كتبهم نظرا ولایحفظونها فاجعلهم امتی قال تلك امة محمد الحدیث وفی الزبور یاداود یأتی بعدك نبی یسمی احمد ومحمدا صادقا سیدا امته مرحومة افترضت علیهم ان یتطهروا لكل صلاة كما افترضت علی الانبیاء وامرتهم بالغسل من الجنابة كما امرت الانبیاء وامرتهم بالحج وبالجهاد یاداود انی فضلت محمدا وامته علی الامم كلها اعطیتهم ستا لم اعطها غیرهم لااواخذهم بالخطأ والنسیان وكل ذنب فعلوه عمدا اذا استغفرونی منه غفرته لهم وماقدموه لآخرتهم طیبة به انفسهم عجلته لهم اضعافا مضاعفة ولهم فی المذخور عندی اضعاف مضاعفة واعطیتهم علی المصائب اذا صبروا وقالوا انا لله وانا الیه راجعون الصلاة

والهدى والرحمة الى جنات النعيم فان دعوتى استجيبت لهم فاما ان يروه عاجلا او اصرف عنهم سوأ او ادخره لهم فى الآخرة (واحتج) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (عليهم) حيث انكروا نعته ووصف امته (بما انطوت) اى اشتملت (عليه من ذلك) اى النوع (صحفهم) اى كتبهم (وذمهم) اى النبي عليه السلام (بتحريف ذلك) اى بتغيير مبناه او تغيير معناه (وكتمه) اى بعدم تبيانه (وليهم السنتهم) اى فتلها وصرفها (ببيان امره) اى وتبيان ذكره (ودعوتهم) بالمد وفى نسخة ودعواهم (المباهلة) بالنصب على نزع الخافض والمعنى وقرع اسماع نصارى نجران بما امره ربه به من دعواهم الى المباهلة اى الملاعنة الكاملة (على الكاذب) اى فى المباهلة فابوا احدرا من العقوبة وذاقوا الجزية كما مرت القصة (فما منهم) اى من اليهود والنصارى (الا من نفر) اى هرب وفى نسخة صحيحة نفر اى اعرض (عن معارضته وابداء) بكسر الهمزتين والمد وفى نسخة وابدى بصيغة الماضى اى اظهر (ما الزمهم من كتبهم اظهاره) كآية الرجم وغيره (ولو وجدوا) اى فى كتبهم (خلاف قوله لكان اظهاره) اى المسارعة اليه فى مقام الجدال (اهون عليهم من بذل النفوس والاموال وتخريب الديار ونبذ القتال) اى طرح المقاتلة بين الرجال (وقد قال لهم) اى لليهود حين قالوا عند ما قرع سمعهم قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية انها اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على ابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فرد الله عليهم بقوله تعالى (قل فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين) فبهتوا ولم يقدروا ان يأتوا بها فثبت انها لم تحرم الا عليهم بظلمهم وبغيهم وهو امر له بمحاجتهم ومداعتهم بما فى كتابهم تبكيتا وتوبيخا لهم (الى ما انذره) اى مع ما علم بظهوره ووجود نوره (الكهان) او بما وقره من احوال الناس وانبئهم عن خاف وماسلف (مثل شافع بن كليب) بالتصغير وفى نسخة بسين مهملة وهو من كهان العرب الا انه غير معروف النسب (وشق) بكسر اوله وتشديد ثانيه من كهانهم لم يكن له سوى عين واحدة ويد واحدة ورجل واحدة وكانه شق انسان (وسطيح) بفتح فكسر كاهن بنى ذؤيب من غسان بفتح معجمة وتشديد مهملة لم يكن فى بدنه عظم سوى رأسه بل جسده ملقى لا جوارح له لا يقدر على جلوس اذا غضب انتفخ فجلس وزعم الكلبى انه عاش ثلاثمائة سنة وانه خرج مع الازد ايام سيل العرم ومات فى ايام شيروبه بن هرمز والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة وهو الذى اول رؤيا الموبذان ان ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها بما حاصله ان ملكه يزول بظهور النبى عليه الصلاة والسلام وقد فتح بلاده فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه على يد الصحابة الكرام (وسواد بن قارب) بكسر الراء ازدى كان كاهنهم فى الجاهلية اخبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان رئيه اخبره ان الله بعث نبيا فانهض اليه على ما يأتى مفصلا (وخنافر) بضم الخاء المعجمة وكسر الفاء كاهن بنى حمير اسلم على يد معاذ ولم ير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فهو تابعى مخضرم (وافعى نجران) بفتح همزة وسكون فاء فعين مهملة مقصورا كاهنهم فى الجاهلية هو وهذا الظاهر المتبادر من السياق والسباق وقال الحلبى ما ادرى ما اراد القاضى أحية ام شخص اسمه افعى (وجذل بن جذل) بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة فيهما (الكندى) بكسر الكاف قبيلة وهو كاهنهم فيها (وابن خلصة) بفتح الخاء المعجمة واللام (الدوسى) بفتح الدال (وسعدى) بضم السين وفتح الدال مقصورا (بنت كريز) بالتصغير وفى آخره زاى وفى نسخة صحيحة سعد ابن بنت كريز وفى اصل الدلجى سعد بن كرز (وفاطمة بنت النعمان) ويروى نعمان وهو بضم النون الاول ولم تعرف لهم ترجمة (ومن لا يعد كثرة) اى من اخبر بظهوره وسطوع نوره (الى) اى مع (ما ظهر على السنة الاصنام من نبوته) اى من بيان حصول نبوته (وحلول وقت رسالته) كقول باجر صنم مازن الطائى وهو مازن الغاذن وقد عتر له عتيرة * يا مازن انهض واقبل * تسمع كلاما تجهل * هذا نبى مرسل * جاء بحق منزل * آمن به كى تعدل * عن حر نار تشعل * وقودها بالجندل * فقلت هذا والله لعجب ثم عترت له بعد ايام اخرى فقال يا مازن استمع تسر * ظهر خير بطن شر * وهو نبى من مضر * يدين الله الكبر * فدع نحيتا من حجر * تسلم من حر سقر * فقلت هذا والله لعجب وخير يراد وقدم علينا رجل من الحجاز فقلنا ما وراءك فقال ظهر رجل من تهامة يقول اجيبوا داعى الله اسمه احمد فقلت هذا والله نبأ ما سمعت منه فكسرته ورحلت اليه صلى الله تعالى عليه وسلم فشرح لى الاسلام فاسلمت وكقول صنم عمرو بن جبلة يا عصام يا عصام جاء الاسلام وذهب الاصنام وقول صنم طارق من بنى هند بن حرام يا طارق يا طارق بعث النبى الصادق (وسمع) بصيغة المجهول اى وما سمع (من هواتف الجن) هكذا فى اصل الدلجى وفى النسخ الجان وهو غير ظاهر فانه ابو الجن والهاتفة والهاتف هو الصائح بالشئ الداعى اليه كسماع ذياب بن الحارث هاتفا من صنم يا ذياب يا ذياب اسمع العجب العجاب بعث محمد بالكتاب يدعو بمكة فلا يجاب وكسماع ابن مرة الغطفانى جاء حق فسطع ودمر باطل فانقمع وكسماع خالد بن سطيح جاء الحق القائم والخير الدائم وكسماع سواد بن

قارب من رئيه وهو نائم ليلا قم فافهم واعقل ان كنت تعقل قد بعث نبي من لؤي بن غالب ثم قال شعر

(عجبت للجن واجناسها * وشدها العيس باحلاسها)
(تهوى الى مكة تبغي الهدى * ما مؤمنوا الجن كارجاسها)
(فانهض الى الصفوة من هاشم * واسم بعينيك الى رأسها)

ثم نبهني وافزعني وقال يا سواد ان الله بعث نبيا فانهض اليه تهتد وترشد ثم نبهني في الليلة الثانية وقال

(عجبت للجن وطلابها * وشدها العيس باقتابها)
(تهوى الى مكة تبغي الهدى * ليس قداماها كاذنابها)
(فانهض الى الصفوة من هاشم * واسم بعينيك الى نابها)

ثم نبهني في الثالثة وقال

(عجبت للجن واخبارها * وشدها العيس باكوارها)
(تهوى الى مكة تبغي الهدى * ليس ذووا الشر كاخيارها)
(فانهض الى الصفوة من هاشم * ما مؤمنوا الجن ككفارها)

فوقع في قلبي حب الاسلام فاتيته عليه الصلاة والسلام بالمدينة فلما رآني قال مرحبا بك يا سواد قد علمنا ما جاء بك فقلت له قد قلت شعرا فاسمعه مني ثم اني انشدت

(اتاني رئيي ليلة بعد هجعة * ولم يك فيما قد بلوت بكاذب)
(ثلاث ليال قوله كل ليلة * اتاك نبي من لؤي بن غالب)
(فشمرت عن ساقي الازار ووسطت * بي الذعلب الوجناء عقد السباسب)
(فاشهد ان الله لا رب غيره * وانك مأمون على كل غائب)
(وانك ادنى المرسلين شفاعة * الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب)
(فرنا بما يأتيك يا خير من مشى * وان كان فيما جاء شيب الذوائب)
(فكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة * سواك بمغن عن سواد بن قارب)

قال فضحك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال افلحت يا سواد (ومن ذبائح النصب) جمع نصب بمعنى منصوب للعبادة اي وما سمع منها كسماع عمر رضي الله تعالى عنه من عجل رآى رجلا يذبحه لنصب يقول يا آل ذريح امر نجيح رجل نصيح يقول لا اله الا الله (واجواف الصور) اي وما سمع من اجوافها كما مر عن مازن السلدن وغيره (وما وجد من اسم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والشهادة له بالرسالة مكتوبا في الحجارة والقبور) مفعول ثان اوجد اوحال من ضميره (بالخط القديم ما) اي الذي (اكثر مشهور) اي كما هو في كتب السير وغيرها مسطور (واسلام من اسلم بسبب ذلك معلوم مذكور) اي في كتب العلماء الاخيار بنقل الثقة في الاخبار

(فصل)

(ومن ذلك) اي مما يدل على نبوته ورسالته (ما ظهر من الآيات) اي خوارق العادات (عند مولده) اي قرب ولادته صلى الله تعالى عليه وسلم (وما حكته امه) اي آمنة بنت وهب انها اتيت فقيل لها قد حملت بسيد هذه الامة فاذا خرج فقولي اعيذه بالواحد من شر كل حاسد (ومن حضره) اي وما حكاه من حضره ولده (من العجائب) اي مما سيأتي قريبا (وكونه) بالرفع اي وجوده (رافعا رأسه) اي للدعاء (عند ما وضعته شاخصا بصره الى السماء) كما رواه البيهقي عن الزهري مرسلا (وما رأته) اي امه (من النور الذي خرج معه عند ولادته) حتى رؤيت منه قصور بصرى كما رواه احمد والبيهقي عن العرباض وابي امامة (وما رآته اذ ذاك) اي وقت ولادته (ام عثمان بن ابي العاص) اي الثقفي (من تدلي النجوم) اي نزولها ودنوها منه تبركا بحضرته (وظهور النور) اي الذي سطع منه باشتد (عند ولادته حتى ما تنظر) اي ام عثمان (الا النور) وفي رواية الا النور كما رواه البيهقي والطبراني عن ابنها عنها (وقول الشفاء) بكسر اوله ممدود او مقصور او الاول هو المفهوم من القاموس حيث قال الشفاء الدواء وسموا شفاء وقد صرح بالمد ايضا في اسماء الاسانيد وقال الحلبي الشفاء بكسر الشين المعجمة وبالفاء مقصور فيما اعلمه انتهى وا تحقق ان الشفاء مصدر في الاصل ثم نقلته العرب علما للمؤنث واما قول الدلجي بمعجمة مفتوحة ففاء مشددة فالظاهر انه تصحيف وتحريف (ام عبد الرحمن بن عوف) قال الذهبي وهي بنت عوف بن عبد الزهرية من المهاجرات (لما سقط عليه الصلاة والسلام على يدي) بالتثنية وفي نسخة بالافراد على ارادة الجنس (واستهل) بتشديد اللام اي رفع صوته بان عطس

وقال الحمد لله بدليل قولها (سمعت قائلا يقول رحمك الله) وقال الحلبي اي صاح وقال الدلجي عطس لا صاح من غير
ان يذكر الحمد لله فالجمع اولى كما لا يخفى والمناسب لعلو شانه وظهور برهانه ان لا يكون اول كلامه صبيا في مرامه
بل يكون ذكرا ملائما للمقام على طبق ما ورد عن آدم عليه السلام من انه عطس عند وصول روحه الى بعض اعضائه
الكرام (واضاء الى ما بين المشرق والمغرب) اي مما ينور بنوره من معمورة العالم وتحقيق هذا البحث قد تقدم
ويشير اليه قولها (حتى نظرت الى قصور الروم) اي بارض الشام رواه ابو نعيم في الدلائل عن ابنها عبد الرحمن بن عوف
عنها (وما تعرفت به حليمة) اي السعدية (وزوجها) المسمى بالحارث وذكر ابن اسحق بسنده انه اسلم (ظئراه) بكسر
اوله وسكون همزة تثنية الظئر وهي المرضعة وقد يطلق على ابي الرضاعة ايضا كما هنا وقد يقال انه للتغليب
(من بركته ودرور لبنها) اي نزوله بكثرة (له) اي لاجله صلى الله تعالى عليه وسلم ولولدها رضيعه بعد ان لم يكن لها لبن
يغنيه (ولبن شارفها) بكسر الراء اي درور لبن ناقتها المسنة (وخصب غنمها) بكسر الخاء المعجمة روى ابن اسحق وابن
حبان والطبراني وابو يعلى والحاكم والبيهقي بسند جيد عن عبد الله بن جعفر عنها انها قالت اخذته وتركته الراضع
ليته فخت به رحلي فاقبل عليه ثدياي فشرب حتى روي وشرب اخوه حتى روي وقام زوجي الى شارفنا فوجدها
حافلا فحلب ما شرب وشربت حتى روينا وبتنا بخير ليلة وقال والله اني لاراك قد اخذت نسمة مباركة الم تري ما بتنا به
الليلة من الخير والبركة قالت وكانت اتاني قمراء قد اذمت بالركب فلما رجعنا الى بلادنا سبقت حتى ما يتعلق بها حمار
فتقول صواحبي هذه اتانك التي خرجت عليها معنا فاقول والله انها لهي فقلن والله ان لها لشانا فقدمنا ارض بني
سعد وما اعلم ارضا اجدب منها وان غنمي لتسرح ثم تروح شباعا لبنا فنحلبها وما حولنا ارض تبض لها شاة بقطرة لبن
وان اغنامهم لتسرح ثم تروح جياعا فيقولون لرعيانهم ابصروا حيث تسرح غنم ابي ذؤيب فيسرحون فتروح جياعا ما
فيها قطرة لبن وتروح غنمي شباعا لبنا فنحلبها فلم يزل الله يرينا البركة ونتعرفها حتى بلغ سنتيه (وسرعة شبابه) اي
وما تعرف ظئراه من سرعة شبابه بالنسبة الى حبابه (وحسن نشأته) اي نمائه وبهائه في كبر جثته قبل تكامل هيئته
قالت والله ما بلغ سنتيه حتى صار غلاما جفرا فقدمنا به على امه ونحن احرص شيء به لما رأينا فيه من البركة بسببه ثم
قلنا لها ادعينا نرجع به حذرا عليه من وباء مكة فاذنت لنا بها حتى قالت نعم (وما جرى من العجائب) وهي ما عظم وقوعه
وخفي سببه (ليلة مولده صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه البيهقي وابن ابي الدنيا وابن السكن عن مخزوم بن هانئ
(من ارتجاج ايوان كسرى) اي اضطرابه جدا وتحركه شديدا مع احكام بنائه من غير خلل تناله والايوان بالكسر
الصفة العظيمة واصله اووان فاعل كديوان وسبق ان كسرى بكسر اوله ويفتح معرب خسرو لقب ملوك الفرس
كقيصر لقب ملوك الروم وتبع لملوك اليمن والنجاشي لملوك الحبشة (وسقوط شرفاته) بضم الشين المعجمة والراء وتفتح
وحكي سكونها جمع شرفة بضم فسكون وهو جمع قلة وصحت موضع كثرة لانهن اربع عشرة ولعل الحكمة في عدولها
عن الكثرة القلة تحقيرا لها ان خراب ما لها هذا وقد ملك منهم ملوك بعددها عشرة في اربع سنين واربعة الى خلافة
عثمان وفتح المسلمين (وغيض بحيرة طبرية) بفتحتين مدينة معروفة في الشام بناحية الاردن ذات حصن بينها
وبين بيت المقدس نحو مرحلتين وهي من الارض المقدسة والبحيرة مصغرة مع انها عظيمة وغيضها نقصها هذا
والمعروف ان الغائضة هي بحيرة ساوة من قرى بلاد فارس قال الحلبي اللهم الا ان يريد عند خروج يأجوج ومأجوج
فانهم اولهم يشربون ماءها ويجيء آخرهم فيقول لقد كان بها ماء انتهى وبعده عن السباق من السباق والسياق لا يخفى
وفي نسخة صحيحة بدل طبرية ساوة والله تعالى اعلم (وخمود نار فارس) اي انطفائها وقت غيض بحيرتها كانها
طفئت عائها (وكان لها الف عام لم تخمد) بفتح التاء وضم الميم وتفتح فانه ورد من باب نصر ينصر وباب علم يعلم (وانه)
اي النبي عليه الصلاة والسلام كما رواه ابن سعد وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما انه (كان اذا اكل مع عمه ابي طالب
وآله) اي واهل بيته (وهو صغير) جملة حالية معترضة (شبعوا) بكسر الباء (ورووا) بضم الواو (واذا) وفي نسخة فاذا
(غاب) اي عنهم (فاكلوا في غيبته لم يشبعوا) بفتح الباء وزيد في نسخة ولم يرووا بفتح الواو ولعل نسخة الاولى مبنية
على الاكتفاء او على تغليب شبع الطعام على ري الماء (وكان بنو ولد ابي طالب) بفتحتين وبضم وسكون اي بقية
اولاده او جميعهم (يصبحون) اي يدخلون في الصباح (شعثا) بضم اوله جمع اشعث اي متغيرة شعورهم متغيرة
وجوههم متغيرة الوانهم بقرينة المقابلة بقوله (ويصبح صلى الله تعالى عليه وسلم صقيلا) اي صافي اللون (دهينا)
اي مدهون الشعر براق الوجه (كحيلا) اي كانه مكحول العينين هذا واولاده عقيل وطالب وجعفر وعلي وام هانئ
وجمانة وام طالب فاسلموا كلهم الا طالبا مات كافرا ويقال ان الجن اختطفته ثم اعلم انه قال الحلبي استعمل القاضي
رحمه الله بنو بمعنى جمع والشيخ ابو عمرو بن الصلاح انكر كون بنو بمعنى جمع وقال ان ذلك مردود عند اهل اللغة

معدود فى غلط العامة واشباههم من الخاصة قال الزهرى فى تهذيبه اهل اللغة اتفقوا على ان سائر بمعنى الباقى وقال الحريرى فى درة الغواص فى اوهام الخواص ومن اوهامهم الفاضحة واغلاطهم الواضحة انهم يستعملون سائر بمعنى الجميع وهو فى كلام العرب بمعنى الباقى واستدل بقصة غيلان لما اسلم على عشر نسوة وقال له صلى الله تعالى عليه وسلم امسك اربعا وفارق سائرهن انتهى وقال ابن الصلاح ولا التفات الى قول صاحب الصحاح سائر الناس جميعهم فانه ممن لا يقبل ما ينفرد به وقد حكم عليه بالغلط وهذا من وجهين احدهما تفسير ذلك بالجميع وثانيهما انه ذكره فى سير وحقه ان يذكر فى سار وقال النووى وهى لغة صحيحة ذكرها غير الجوهرى ولم ينفرد بها وافقه عليها الجواليقى فى اول شرح ادب الكاتب الى آخر كلام النووى فى تهذيبه انتهى كلام الحلبى وتبعه الدلجى فى تفسيره السائر بالجميع وقال صاحب القاموس السائر الباقى لا الجميع كما توهم جماعات اوقد يستعمل له فقد ضاف اعرابى قوما فامروا الجارية بتطييبه فقال بطنى عطرى وسائرى ذرى انتهى ولا يخفى انه يحتمل كلام الاعرابى ان يكون السائر بمعنى الباقى بل هو المتبادر على ما هو الظاهر والتحقيق ان السائر بمعنى الباقى حقيقة وبمعنى الجميع مجاز اوانه مأخوذ من السؤر مهموزا وهو البقية الملائمة لمعنى الباقى بخلاف السور معتلا وهو سور البلد المناسب لمعنى الجميع وبهذا ارتفع الخلاف لمن نظر بعين الانصاف ويظهر فساد ما فى كلام ابن الصلاح من المناقضة ونوع من المعارضة (قالت ام ايمن) وهى بركة بنت محصن (حاضنته) اى مربيته ومرضعته ايضا على ما قيل وهى مولاته صلى الله تعالى عليه وسلم حبشية اعتقها ابو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واسلمت قديما وابنها ايمن بن عبد الحبشى ثم زوجها زيد بن حارثة زارها ابو بكر وعمر رضى الله عنهما واختلف فى زمن وفاتها (ما رأيته صلى الله تعالى عليه وسلم اشتكى) اى بلسانه (جوعا ولا عطشا صغيرا) اى حال كونه صغيرا (ولا كبيرا) اذ كان ربه يطعمه ويسقيه بمعنى يخلق فوتهما فيه وحديثها رواه ابن سعد وابو نعيم فى الدلائل (ومن ذلك حراسة السماء) بكسر الحاء اى حفظها من بلوغ الجن اليها (بالشهب) اى بالنجوم رجوما لئلا يكون لهم هجوما (وقطع رصد الشياطين) اى ترصدهم وانتظارهم ظهور شئ اليهم ونزول خبر عليهم (ومنعهم استراق السمع) اى بالكلية فانهم كانوا لا يسمعون الا القول الحق من ملائكة السماء فيلقونه الى اوليائهم فيكذبون معه ما شاؤا من انبائهم فمنعوا منه بظهور نوره صلى الله تعالى عليه وسلم فلما بعث اشتد الامر بهم وكثر الحرس عليهم كما قال تعالى حكاية عنهم وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا الايات (ومانشأ) بالهمز اى ومن ذلك ما ربى (عليه) وجبل اليه (من بغض الاصنام) كما فى حديث البيهقى عن زيد بن حارثة قال كان صنم يتمسح به المشركون اذا طافوا بالبيت فطفت به قبل البعثة فلما مررت بالصنم تمسحت به فقيل لى لا تمسه ثم طفنا فقلت فى نفسى لامسنه حتى انظر ما يقول فمسحته فقال الم تنه قال زيد فوالذى اكرمه بالذى اكرمه ما التمس صنما قط (والعفة) اى ومانشأ من النفرة (عن امور الجاهلية) اى معايبها (وما خصه الله به من ذلك) اى من الاعمال الرضية والاحوال الزكية (وحماه) اى وحفظه قبل بعثته من الصفات الرديئة والسمات الدنيئة (حتى فى ستره) بفتح السين اى تستره من التعرى وهو كشف العورة (فى الخبر المشهور عند بناء الكعبة) كما رواه الشيخان عن جابر والبيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما (اذ) اى حين (اخذ ازاره) اى بامر عمه العباس (ليجعله على عاتقه) وهو ما بين المنكب والعنق (ليحمل عليه الحجارة) اى ولم تظهر عليه الامارة (وتعرى) اى وانكشفت عورته (فسقط الى الارض) اى مائلا اليها وطمحت عيناه الى السماء (حتى رد) اى بنفسه (ازاره عليه فقال له عمه ما بالك) وفى نسخة مالك اى ما حالك (قال انى نهيت عن التعرى) وفى رواية وكنت وابن اخى نحمل الحجارة على رقابنا وازرنا تحتها فاذا غشينا الناس اتزرنا فبينا انا امشى ومحمد امامى خر لوجهه وهو ينظر الى السماء فقلت ما شأنك فاخذ ازاره وقال انى نهيت ان امشى عريانا قال فكنت اكتمها الناس مخافة ان يقولوا مجنون (ومن ذلك اظلال الله تعالى له بالغمام فى سفره) اى على ما مر فى حديث بحيرا الراهب كما رواه الترمذى والبيهقى (وفى رواية) اى لابن سعد عن نفيسة بنت منبه (ان خديجة رضى الله تعالى عنها ونساءها رأينه لما) بتشديد الميم اى حين (قدم وملكان يظلانه فذكرت) اى خديجة (ذلك) اى خبر الاظلال (لميسرة) اى غلامها قال الحلبى لا اعلم له ذكرا فى الصحابة وكان توفى قبل النبوة والا فلو ادركها لاسلم انتهى وفيه بحث لا يخفى والله تعالى اعلم (فاخبرها انه رأى ذلك منذ خرج معه فى سفره) اى من اول امره الى آخره (وقد روى ان حليمة رأت غمامة تظله وهو عندها) كما رواه الواقدى وابن سعد وابن عساكر فى تاريخه عن ابن عباس (وروى ذلك) اى تظليل الغمامة له (عن اخيه من الرضاعة) وفى رواية عن اخته بالفوقية وهى اصح كما فى سيرة ابى الفتح اليعمرى من ان حليمة بعد رجوعها من مكة كانت لا تدعه ان يذهب مكانا بعيدا فغفلت عنه يوما فى الظهيرة فخرجت تطلبه حتى وجدته

مع اخته فقالت في هذا الحر فقالت اخته يا امه ما وجد اخي حرا رأيت غمامة تظل عليه اذا وقف وقفت واذا سار سارت الحديث قال الحلبي فهذا صريح ان يكون ما في الاصل غلط تصحيف على الكاتب اللهم الا ان يروى ان اخاه من الرضاعة رأى ذلك ايضا والله تعالى اعلم (ومن ذلك انه نزل في بعض اسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشب ما حولها) اى كثر عشبه وهو الكلاء ما دام رطبا والمعنى انه نبت فيه عشب كثير (واينعت) بتقديم التحتية على النون (هى) اى الشجرة والمعنى ادركت ثمارها ونضجت ومنه قوله تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر وينعه اى نضجه (فاشرقت) بالقاف اى اضاءت بحسن صفائها كاشراق الشمس بضيائها وروى بالفاء اى علت وارتفعت (وتدلت) بتشديد اللام وفي اصل الدلجي بلامين اى استرسلت ونزلت (عليه اغصانها بمحضر من رآه) قال الدلجي لم ادر من رواه (وميل فيء الشجرة) اى ظلها (اليه في الخبر الآخر) اى المتقدم عن بحيرا الراهب (حتى اظلته وما ذكر) اى ومن ذلك ما ذكره الحكيم الترمذي في نوادر الاصول عن عبد الرحمن بن قيس وهو مطعون عن عبد الملك بن عبد الله بن الوليد وهو مجهول عن ذكوان (من انه كان لا ظل لشخصه في شمس ولا قمر لانه كان نورا) اى بجسمه والنور لا ظل له لعدم جرمه وهذا معنى ما في النوادر ولفظها لم يكن له ظل في شمس ولا قمر ونقله الحلبي عن ابن سبع ايضا (وان الذباب) اى ومن ذلك ما ذكر من ان الذباب (كان لا يقع على جسده ولا ثيابه) قال الدلجي لا اعلم من رواه انتهى وقال الحلبي نقل ايضا بعض مشايخي فيما قرأته عليه بالقاهرة عن ابن سبع انه لم يقع على ثيابه ذباب قط قلت فعلى جسده بالاولى كما لا يخفى (ومن ذلك تحبيب الخلوة اليه حتى اوحي اليه) اى بنزول القرآن عليه كما في الصحيحين ولفظ البخاري ثم حبب اليه الخلاء اى العزلة عن الملا (ثم اعلامه بموته ودنو اجله) كما رواه الشيخان وغيرهما (وان قبره بالمدينة) وفي نسخة في المدينة (وفي بيته) كما رواه ابو نعيم في الدلائل عن معقل بن يسار ولفظه المدينة مهاجري ومضجعي من الارض ورواه البيهقي عن ابي بكر رضي الله تعالى عنه ان قبره يكون في بيته (وان بين بيته ومنبره) وفي نسخة بين حجرته وبين منبره (روضة من رياض الجنة) كما يأتي ما فيه من الاحاديث الواردة (وتخيير الله له عند موته) اى بين الدنيا والآخرة كما رواه البيهقي في الدلائل عن عائشة بلفظ كنا نتحدث ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا يموت حتى يخير بين الدنيا والآخرة فسمعته في مرضه الذي مات فيه يقول مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا فظننا انه كان يخير وفي رواية قالت لما نزل به ورأسه على فخذي غشي عليه ثم افاق فاشخص بصره الى سقف البيت وقال اللهم الرفيق الاعلى وهي آخر كلمة تكلم بها وفي رواية ان جبريل قال له ان ربك يقرئك السلام ورحمة الله ويقول ان شئت شفيتك وان شئت توفيتك وغفرت لك قال ذلك الى ربي اصنع بي ما يشاء (وما اشتمل) اى ومن ذلك ما احتوى (عليه حديث الوفاة) كما رواه الشافعي في سننه والعدني في مسنده والبيهقي في دلائله (من كراماته وتشريفه) اى بخدمة الملائكة له بعموم رسالته اليهم وارسال جبريل اليهم اليه يقول ان الله يقرئك السلام ورحمة الله وفي رواية قال يا محمد ان الله ارسلني اليك اكراما وتفضيلا وخاصة لك ليسألك عما هو اعلم به منك يقول لك كيف تجدك قال اجدني مغموما مكروبا (وصلاة الملائكة) اى ومن ذلك صلاة الملائكة (على جسده) اى بعد خروج روحه الشريفة (ما رويناه) بصيغة الفاعل ويحتمل المفعول (في بعضها) اى في بعض الروايات والاسانيد من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال وان الملائكة يدخلون فلكم من حيث يرونكم ولا ترونهم فيصلون على صلاة الجنازة بغير تكبير وتسليم ثم صلى عليه اصحابه كذلك كما رواه يحيى بن يحيى في الموطأ بلاغا قال اخبرنا مالك انه بلغه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم توفي يوم الاثنين ودفن يوم الثلاثاء وصلى عليه الناس افذاذا لا يؤمهم احد ورواه الشافعي في الام بلفظ فقد صلى الناس على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرادى لا يؤمهم احد وذلك لعظم امر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتنافسهم في ان لا يتولى الامامة في الصلاة عليه واحد من الائمة صلوا عليه مرة بعد مرة اقول الاظهر انهم صلوا عليه في بيته ولا كان يسع ذلك المحل اما ما قوم كاف فصلوا افرادى لادراك فضله وتكرار الصلاة عليه من خصوصيات حكمه هذا ومن زعم ان المراد بالصلاة هنا الدعاء فقد عدل عن الحقيقة من غير قرينة صارفة (واستئذان ملك الموت عليه) اى ومن ذلك طلب اذن ملك الموت في الدخول عليه لقبض روحه (ولم يستأذن على غيره قبله) اى من الانبياء والاصفياء فضلا عما بعده من العلماء والاولياء وروى ان جبريل قال ان ملك الموت بالباب يستأذن عليك ولم يستأذن على احد قبلك ولا بعدك فقال ائذن له فقال السلام عليك يا محمد ان الله امرني ان اطيعك فيما امرتني به ان اقبض نفسك قبضتها وان امرتني ان اتركها تركتها (وندائهم الذي سمعوه ان لا تنزعوا) بكسر الزاي نفيا وخطابا اى لا تخلعوا (القميص عنه) اى عن بدنه (عند غسله) بضم الغين او فتحه وذلك حين قالوا ما ندري انجرده من ثيابه ام نغسله بها فالقى عليهم النوم فما منهم رجل الا وذقنه في صدره ثم سمعوا قائلا لا يدرون من

هو غسلوه وعليه ثيابه فغسلوه وعليه قميص يصبون الماء فوقه ورواه ابو داود والبيهقي وصححه واستشهد له بما رواه عن شيخه ابي عبد الله الحاكم من طريق بريدة قال اخذوا في غسله فاذاهم بمناد من داخل لاتخرجوا عنه قميصه (وماروى من تعزية الخضر والملائكة اهل بيته عند موته) اذ سمعوا قائلا لايرون شخصه يقول السلام عليكم اهل البيت ورحمة الله وبركاته ان في الله خلفا من كل هالك وعزاء من كل مصيبة ودركا من كل فائت فبالله ثقوا واياه فارجوا فان المصاب من حرم الثواب ورواه البيهقي في دلائل النبوة نقله الدلجي وقال الحلبي حديث تعزية الخضر رواه الشافعي من حديث جعفر بن محمد عن ابيه عن جده علي بن الحسين رضي الله تعالى عنه قال لما مرض النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الحديث وفي آخره قال علي اتدرون من هذا هذا الخضر وهذا مرسل وقد رواه الشافعي ايضا في الام باسناد ضعيف الا انه لم يقل الخضر بل سمعوا قائلا يقول وانما ذكره اصحاب الشافعي قاله النووي في شرح المهذب وقال بعض مشايخي اخرجه الحاكم في المستدرك من رواية انس وفيه فقال ابو بكر وعلي هذا الخضر لكن في اسناده عباد بن عبد الصمد وهو ضعيف وقد اخرجه الشافعي ايضا في غير الام وفيه فقال اتدرون من هذا هذا الخضر رواه الطحاوي عن المزني عنه في السنن المشهورة (الى ماظهر على اصحابه من كراماته) اي الظاهرة (وبركاته) اي الوافرة (في حياته وموته) اي بعد مماته (كاستسقاء عمر بعمه) اي العباس كما رواه البخاري (وتبرك غير واحد) اي كثيرين من الصحابة والتابعين (بذريته) كالحسنين وزين العابدين وصالحي اولادهم رضي الله تعالى عنهم اجمعين وارضاهم

(فصل)

(قال القاضي ابو الفضل رحمه الله قد اتينا) اي اوردنا (في هذا الباب) اي الرابع من ابواب الكتاب (على نكت) بضم ففتح اي لطائف وشرائف (من معجزاته واضحة) صفة نكت وقال الدلجي حال مما قبله (وجمل من علامات نبوته مقنعة) نعت جمل وهو بضم ميم وسكون قاف وكسر نون وفتح عين وقال الدلجي حال من جمل اي تغني من عرف حقيقتها (في واحد) خبر مقدم (منها) اي من النكت والجمل (الكفاية والغنية) بضم فسكون اي الاكتفاء و الاغناء في باب الاعتناء (وتركنا الكثير) اي من الانباء (سوى ماذكرنا) اي من النكت والجمل (واقتصرنا من الاحاديث الطوال) بكسر الطاء اي الطويلة الاذيال (على عين الغرض) اي نفس المراد (وفص المقصد) اي زبدة المقصود والفص للخاتم بفتح الفاء ويثلث والصاد مشددة والمقصد بفتح الصاد وتكسر قال الحلبي بكسر الصاد وجد بخط النووي (ومن كثير الاحاديث) اي واقتصرنا وقد ابعد الحلبي في تقديره واتينا (وغريبها) اي مما انفرد رواتها (على ماصح) اي سنده (واشتهر) اي نقله عند اهله (الايسيرا) اي شيئا قليلا (من غريبه مما ذكره مشاهير الائمة) اي من نقاد الائمة وحفاظ السنة بحيث انه خرج عن حيز الغرابة (وحذفنا الاسناد في جمهورها) اي اكثرها (طلبا للاختصار) اي حذرا من الاكثار الممل للنظار (وبحسب هذا الباب) بسكون السين وزيادة الباء اي ويكفي هذا الباب الرابع الموضوع في المعجزات (لوتقصى) بتاء وقاف مضمومتين فصاد مشددة مكسورة اي لو استقصى وضبطه الدلجي بالفاء اي او تتبع (ان يكون ديوانا) اي دفترا او مصنفا على حدة (جامعا) اي محيطا وحاويا (يشتمل على مجلدات عدة) بكسر فتشديد اي كثيرة وقال الدلجي وحسب مبتدأ خبره ان يكون ديوانا وجواب لو محذوف اي لامكن (ومعجزات نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم (اظهر) اي اكثر واجهر (من سائر معجزات الرسل) الاظهر من معجزات سائر الرسل (بوجهين) اي نظرا الى الكمية والكيفية كما يشير اليه قوله (احدهما كثرتها) اي مع شهرتها اذ الكثرة لاتستلزم الشهرة (وانه لم يؤت نبي معجزة الا وعند نبينا مثلها) اي شبيهها ونظيرها (او ماهو ابلغ منها) اي دلالة كانشقاق القمر والاسراء ونحوهما واما معجزة القرآن المجيد كما مثل به الدلجي فهذا ليس محلها (وقد نبه الناس على ذلك) اي على هذا المعنى على وجه الاستقصاء منها انه تعالى خلق آدم بيده فقد شرح صدر نبينا بنفسه وانه رفع ادريس مكانا عليا فقد رفعه في المعراج دنو الدنيا وغير ذلك مما يطول بيانها وقد سبق بعضها وسيأتي شيء منها (فان اردت تأمل فصول هذا الباب) اي من معجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (ومعجزات من تقدم من الانبياء) اي وقابل بين واحدة مع ما يناسبها من الانبياء (تقف على ذلك) اي المعنى (ان شاء الله تعالى واما كونها) اي معجزاته كثيرة فهذا القرآن) اي ظاهر كثرته (وكله معجز) اي والحال ان جميعه باعتبار كله وجزئه معجز (واقل مايقع الاعجاز فيه عند بعض ائمة المحققين) بل عند اكثر المدققين حيث قالوا اعجازه بالفصاحة والبلاغة (سورة انا اعطيناك الكوثر) اي اقصر سورة نحوها (او آية قدرها) لقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله وفي حكم السورة قدرها لااقلها (وذهب بعضهم) اي ممن قال بالصرفة (الى ان كل آية منه) اي من القرآن (كيف كانت) اي وجدت طويلة اوقصيرة (معجزة) خبران (وزاد آخرون) اي على ماذكر (ان كل جملة منتظمة منه) اي من القرآن وفي اصل الدلجي

متعلقة منه (معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين) ويؤيده ظاهر قوله تعالى فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين
واصل الاعجاز اولا كان بعشر سور ثم بسورة ثم بحديث كامل واسلوب التدريج على وجه الترقي (والحق) اي الثابت
عند الجمهور (ما ذكرناه اولا لقوله تعالى فأتوا بسورة مثله) وفي نسخة من مثله (فهو) اي اتيان نحو سورة
(اقل ما تحداهم) اي طلب معارضتهم (به مع ما ينصره هذا) اي يؤيده ويقويه (من نظر) اي نظر اعتبار وتفكر
واستبصار (وتحقيق) اي مشتمل على تدقيق (يطول بسطه) اي والقصد وسطه (واذا كان هذا) اي اكثر ما تحداهم
به اقل (ففي القرآن من الكلمات) اي الاسمية والفعلية والحرفية (نحو من سبعة وسبعين الف كلمة ونيف) بتشديد
التحتية وتخفيفها اي وبعض زيادة وجمع بتدوين نحو مبالغة في الملاحظة لقصد المحافظة (على عدد بعضهم) اي من
عد كلماته (وعدد كلمات انا اعطيناك الكوثر) اي الى آخرها (عشر كلمات فيجزأ القرآن) بتشديد الزاي فهمزة مبنيا
للمفعول وفي نسخة فيتجزأ بالهمز وفي اخرى بالالف وفي اصل الدلجي فتجزئ القرآن بصيغة المصدر المضاف (على
نسبة عدد انا اعطيناك الكوثر) اي كلماتها العشر (اربد) بالنصب وعلى اصل الدلجي وبعض النسخ بالرفع اي اكثر
(من سبعة آلاف جزء) اي حصة (كل واحد منها معجز في نفسه) اي مع قطع النظر عما قبله وما بعده وما فيه من اخبار
الله تعالى عن نبأ ما قبله وما بعده (ثم اعجازه كما تقدم) اي في محله (بوجهين) من طرق الاعجاز (طريق بلاغته) اي
باشتماله على لطائف الاعجاز (وطريق نظمه) اي بسلوكه بين الاطناب والايجاز (فصار في كل جزء من هذا العدد) اي من
السبعة آلاف (معجزتان) اي باعتبار الطريقين (فتضاعف العدد من هذا الوجه) اي الذي له جهتان فيصير اربعة
عشر الفا (ثم فيه) اي في القرآن من حيث مجموعه (وجوه اعجاز اخر) بضم ففتح (من الاخبار بعلوم الغيب) اي
مما تقدم او تأخر (فقد يكون في السورة الواحدة) اي حقيقة او حكما (من هذه التجزئة الخبر عن اشياء من الغيب)
كقصة موسى وهارون وفرعون وهامان وقارون (كل خبر منها بنفسه) اي بانفراده (معجز) اي مستقل في بابه
(فتضاعف العدد) اي فتزايد المبلغ المضاعف (كرة اخرى) اي في الجملة لا في نحو كل سورة فلا يصير ثمانية وعشرين الفا
على ما جزم به الدلجي (ثم وجوه الاعجاز الاخر التي ذكرناها) قال الدلجي وهي الهيبة وفيه انها مما سبق ذكره
(توجب التضعيف) اي الى ما لا يكاد يحصى ولا يستقصى (هذا) اي التضعيف الوافر (في حق القرآن) هو الظاهر
(فلا يكاد يأخذ العد) اي العدد كما في نسخة (معجزاته) اي لكثرتها (ولا يحوى) اي ولا يكاد يشمل (الحصر براهينه)
لعظمتها (ثم الاحاديث الواردة) اي الصريحة (والاخبار الصادرة) اي الصحيحة (عنه عليه الصلاة والسلام في هذه
الابواب) اي المذكورة فيها من المعجزات وخوارق العادات والاخبار عن المغيبات (وعن ما دل على امره) اي
ظهور امره وحكمه (مما اشرنا الى جمله) بضم ففتح اي الى جمل من مفصله (يبلغ نحوا من هذا) اي التضعيف
(الوجه الثاني) اي من وجهي كون معجزاته اظهر من معجزات غيره (وضوح معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم) اي
ظهورها وانتشارها واشتهارها (فان معجزات الرسل كانت) اي واردة على ايديهم (بقدر همم اهل زمانهم) اي حالا
ومقدارا في شأنهم (وبحسب الفن) بفتح السين (الذي قد سما فيه قرنه) اي علا وارتفع اهل عصره شهرة بمعرفة
ذلك الفن في دهره كما بينه بقوله (فلما كان زمن موسى عليه السلام غاية علم اهله السحر بعث اليهم موسى بمعجزة
تشبه ما يدعون قدرتهم عليه) اي وما يدعون مهارتهم لديه ويوجهون همتهم اليه (فجاءهم منها) اي على يد موسى
(ما خرق عادتهم) اي من انقلاب العصا حية تسعى واليد البيضاء بيضاء من غير سوء (ولم يكن) اي ذلك المعجز (في قدرتهم)
اي في نطاق قواهم وقدرهم (وابطل سحرهم) وما اظهروه من التخييل عند مكرهم (وكذلك زمن عيسى عليه السلام
اغنى) افعل تفضيل من الغاية اي انهى (ما كان) اي علم اهله (الطب) بكسر الطاء ويثلث وهو علاج الامراض
الظاهرة وفي نسخة اعنى بالعين المهملة بمعنى اعز وفي اخرى بالغين المعجمة والنون اي اوفى وفي اخرى بالمهملة والنون
اي اقصد وكلها صحيحة على ما لا يخفى (واوفر ما كان اهله) اي اكثر ما كان اهل قرنه في زمنه (فجاءهم) اي على يد
عيسى (امر لا يقدرون عليه واتاهم ما لم يحتسبوه) اي شيئا لم يظنوا وجوده لديه وامرا مفوضا اليه (من احياء الميت)
وروي الموتى وفي نسخة الميتة (وابراء الاكمه) اي الذي ولد ممسوح العين ذكره الدلجي قال الحلبي الاكمه هو الذي
يولد اعمى ويقال الاعشى وقد قال البخاري في الصحيح ان الاكمه من يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل انتهى وهو تفسير
للاعشى على ما لا يخفى (والابرص) من في بدنه بياض من المرض المعروف (دون معالجة ولا طب) اي بمداواة بل كان
يأتيه من اطاق الاتيان لديه ومن لم يطق ذهب اليه عليه الصلاة والسلام فربما اجتمع عنده الالوف من المرضى
وذوي العاهات فيداويهم بالدعوات والآيات (وهكذا سائر معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام) اي كانت
بقدر علم اهل زمانهم من الانام (ثم ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم وجملة معارف العرب وعلومها)

اى من الجزئيات والكليات (اربعة) اى من انواع المدركات واصناف الملكات (البلاغة) اى المقرونة بالفصاحة (والشعر) اى النظم المقابل للنثر (والخبر) بفتحتين اى الاخبار بانساب العرب وايامها من وقائعها ومعرفة تاريخها وتفصيل ماجرى فيها من ضروب خروجها وفنون رجوعها (والكهانة) بكسر الكاف وتفتح وهى مزاولة الخبر عن الكائنات واظهارها وادعاء معرفة اسرارها (فانزل) بصيغة المجهول اى فانزل الله تعالى كما فى نسخة وفى اخرى زيادة عليه (القرآن الخارق لهذه الاربعة فصول) اى المتقدمة وهى البلاغة والشعر والخبر والكهانة (من الفصاحة) اى من اجل فصاحة القرآن (والايجاز) اى وايجاز الفرقان (والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم) بفتح النون والميم اى نوعه ونهجه (ومن النظم الغريب والاسلوب العجيب الذى لم يهتدوا) اى فصحاؤهم وبلغاؤهم وخطباؤهم وشعراؤهم (فى المنظوم) اى من كلامهم (الى طريقه) اى فى مرامه (ولا علموا فى اساليب الاوزان) اى نظما ونثرا وفى اصل الدلجى فى اساليب الكلام والافنان من النثر المسجع والنظم المرصع (منهجه) اى طريقته السهلة الممتنعة (ومن الاخبار) بكسر الهمزة (عن الكوائن والحوادث) اى الكائنات والمحدثات من الاعيان والاكوان (والاسرار) اى فى البواطن (والمخبآت) اى فى الظواهر والضمائر (فتوجد على ماكانت) اى ذاتا او صفة (ويعترف المخبر) بفتح الباء اى من اخبر (عنها بصحة ذلك وصدقه وان كان) اى ولو كان ذلك المعترف المخبر (اعدى العدو) اى بكونه من اهل الكفر والنكر (فابطل) اى القرآن او النبى او الله سبحانه وتعالى (الكهانة التى تصدق مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها) بتشديد المثلثة اى اقتلعها (من اصلها برجم الشهب ورصد النجوم) بفتح الصاد اى جعلها معدة لحفظ السماء من استراق الشياطين السمع من الانباء حيث ترميهم بشهب منفصلة من نارها لا لانفسها لثبوتها فى مقارها كقبس اخذ من نار وهى ثابتة لم تنتقص مما لها من مقدار (وجاء) اى فى القرآن (من الاخبار) بفتح الهمزة (عن القرون السالفة) اى السابقة (وانباء الانبياء والامم البائدة) اى الهالكة ومنه حديث الحور العين نحن الخالدات فلا نبيد ابدا (والحوادث الماضية) اى الواقعات المتقدمة من المنفعة والمضرة (ما) اى شئ او الذى (يعجز من تفرغ لهذا العلم) اى فى صرف جميع عمره (عن بعضه) اى عن معرفة بعض امره (على الوجوه التى بسطناها) اى اوضحناها (وبينا المعجز فيها) اى معما وشحناها ورشحناها (ثم بقيت هذه المعجزة) المتعلقة بالفصاحة والبلاغة والاخبار عن الكوائن الحادثة الجامعة (لهذه الوجوه) اى المذكورة المسطورة المضمومة (الى الفصول الآخر) اى المتقدمة (التى ذكرناها فى معجزات القرآن) اى فيما مضى من البيان (ثابتة الى يوم القيامة) اى حال كونها مستمرة دائمة (بينة الحجة) اى ظاهرة الدلالة فى الاعجاز مع غاية الايجاز (لكل امة تأتى) اى بعد جماعة تنقضى (لاتخفى وجوه ذلك) اى المعجز المتقدم (على من نظر فيه وتأمل وجوه اعجازه الى) اى منضما الى (ما اخبر به من الغيوب) بضم الغين وكسرها اى المغيبات (على هذا) وفى نسخة على هذه (السبيل) فان السبيل يذكر ويؤنث ومنه قوله تعالى وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر (فلا يمر عصر ولا زمن) اى ولا ينقضى قرن ودهر (الا ويظهر فيه صدقه) اى زيادة صدقه او موجب تصديقه (بظهور مخبره) بضم الميم وفتح الموحدة (على ما اخبر) اى على طبقه ووفقه واغرب الدلجى بقوله على ما اخبر من وجوه الفصاحة والايجاز والبلاغة (فيتجدد الايمان ويتظاهر البرهان) فيستمر الايقان ويتقوى العرفان (وليس الخبر كالعيان) بكسر اوله اذ غاية افادة الخبر غالبا ظنية ونهاية افادة المعاينة يقينية (وللمشاهدة زيادة فى اليقين) اى المستفاد مثلا من المتواتر استدلالا (والنفس اشد طمأنينة) اى سكونا (الى عين اليقين) اى الذى تفيد المعاينة (منها) اى من الطمأنينة (الى علم اليقين) اى المستفاد بالتواتر استدلالا (وان كان كل) اى من علم اليقين وعين اليقين (عندها) اى عند النفس (حقا) اى ثابتا وصدقا لكن عين اليقين اسكن لها على ازدياد طمأنينتها واعون لها على عدم ترددها ووسوستها ومن ثم لما قيل للخليل اولم تؤمن اى بعلم الوحى المقدر والاستدلال بالخبر المكرر قال بلى اى ربى ولكن ليطمئن قلبى بمصاحبة علم العيان لعلم البرهان ومن ههنا قيل علمان خير من علم واحد (وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم) بل اندرس بعضها حال حياتهم كما اشار اليه بقوله (وعدمت) بصيغة المجهول اى وانعدمت (بعدم ذواتها) اى بعدم وجودها وتحقيق صفاتها وفى اصل الدلجى بعدم ذواتهم اى وجودا فى الدنيا والا فثبت ان الانبياء فى البرزخ احياء فالجملة تأكيد لما قبلها وعلى الاول تأسيس وهو اولى فى محلها (ومعجزة نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم (لاتبيد) اى لا تفنى ابدا (ولا تنقطع) اى ولا تنقضى سرمدا (وآياته) اى علاماته الدالة على صدقه (تتجدد) اى يوما فيوما (ولا تضمحل) بتشديد اللام اى ولا تزول اصلا (ولهذا) اى المعنى الاعلى (اشار عليه الصلاة والسلام بقوله) اى الذى هو غاية المرام فى هذا المقام المندرج (فيما حدثنا القاضى الشهيد ابو على) اى الحافظ ابن سكرة (حدثنا القاضى ابو الوليد) وهو الباجى (حدثنا ابو ذر) اى الهروى (ثنا ابو محمد) اى ابن

حمويه السرخسي (وابو اسحق) اي المستملي (وابو الهيثم) اي الكشميهني (قالوا) اي كلهم (حدثنا الفربري) بكسر الفاء وتفتح (ثنا البخاري) اي صاحب الجامع (ثنا عبد العزيز بن عبد الله) اي ابو القاسم الاويسي الفقيه عن مالك ونافع مولى ابن عمر (ثنا الليث) اي ابن سعد (عن سعيد عن ابيه) اي ابي سعيد المقبري روى ان عمر جعله على حفر القبور فسمي به توفي سنة مائة (عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) والحديث كما ترى رواه البخاري وقد اخرجه مسلم والنسائي ايضا (قال ما من الانبياء نبي) هو اعم من رسول (الا اعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر) اي ليس نبي منهم الا اعطاه الله من المعجزات شيئا الجأ من شاهده الى الايمان به فخص كل نبي بما اثبت دعواه من خوارق العادة التي اعطاه مولاه في زمانه وبعد انقراضه انمحق شأنه ولم يبق سلطانه ولم يبلغ برهانه كتلك العصا لموسى حية تسعى (وانما كان الذي اوتيت) اي بخصوص ما انعم علي (وحيا اوحاه الله الي) اي معجزا في اعلى طبقات البلاغة واقصى غايات الفصاحة كريم الفائدة عميم العائدة على السابقين واللاحقين من هذه الامة قرنا بعد قرن على مرور الازمنة ولذا رتب عليه قوله (فارجو) اي بسبب بقائه وقائم برهانه (ان اكون اكثرهم) وفي اصل الدلجي ان اكون اكثرهم (تابعا يوم القيامة هذا معنى الحديث) اي المذكور (عند بعضهم وهو) اي هذا المعنى المسطور هو (الظاهر) اي المتبادر (والصحيح) اي الصريح (ان شاء الله تعالى) اي فلا يعدل عما قدمناه (وذهب غيره واحد) اي كثيرون (من العلماء في تأويل هذا الحديث وظهور معجزة نبينا) اي وتأويل غلبة معجزة نبينا (عليه الصلاة والسلام الى معنى آخر) اي غير ما العادة منطوقا (من ظهورها بكونها) اي من قوة معجزة نبينا بسبب كونها (وحيا) اي خفيا (وكلاما) اي جليا (لا يمكن التخييل فيه ولا التحيل عليه) بالحاء المهملة من الحيلة (ولا التشبيه) اي من حيث انه لا يتصور فيه التمويه (فان غيرها) اي غير معجزة نبينا (من معجزات الرسل قد رام المعاندون لها) اي قصدوا لابطالها (باشياء طمعوا في التخييل بها) اي بتلك الاشياء (على الضعفاء) اي ليتوصلوا بذلك الى ابطال معجزات الانبياء (كالقاء السحرة حبالهم وعصيهم) اي في معارضة معجزة موسى بالقاء العصا (وشبه هذا) بالرفع اي وشبيه هذا الذي فعله سحرة فرعون (مما يخيله الساحر) اي يجنته على الضعيف في دينه وامر يقينه (او يتحيل فيه) اي يطلب الحيلة في دعواه انه صدق او في اثباته انه حق (والقرآن كلام) اي لله تعالى كما في اصل الدلجي كلام الله تعالى والاظهر انه اريد به هنا انه مطلق كلام اي اعجاز القرآن واقع في كلام (ليس للحيلة ولا للسحر ولا التخييل فيه) اي في الكلام (عمل) اي مما يوجب التمويه (فكان) اي القرآن (من هذا الوجه عندهم) اي عند ارباب هذا المعنى (اظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا خطيب ان يكون شاعرا او خطيبا بضرب من الحيل والتمويه) اي مما يكدر امر المعجزة وينافيه (والتأويل الاول) اي الذي هو القول (الخاص) اي الاظهر والانص (والارضى) عند النفوس الخالص (وفي هذا التأويل الثاني ما يغمض) اي بصيغة المفعول مخففا وقال الحلبي مشددا اي يعطى (الجفن) بفتح الجيم وسكون الفاء اي غطاء العين (عليه) وروي عنه (ويغضي) بصيغة المجهول من الاغضاء بمعنى الاغماض وفي اصل الدلجي بالفاء وهو تصحيف وتحريف كما لا يخفى والتحقيق انه لا منع من الجمع وان بناء الثاني على التدقيق والله ولي التوفيق وعلى كل تقدير ظهر الوجهان في ثبوت المعجزة للقرآن (ووجه ثالث) اي وهنا وجه آخر وفي نسخة صحيحة وجه بدون عاطفة والمعنى وجه ثالث في كون القرآن معجزا خارقا للعادة (على مذهب من قال بالصرفة) بفتح الصاد وقيل بكسرها وهو مذهب بعض المعتزلة والشيعة حيث قالوا صرف الله هممهم عن الاتيان باقصر سورة منه مع تمكنهم منه (وان المعارضة) اي بمثله في الجملة (كانت في مقدور البشر فصرفوا عنها) اي بسلب دواعيهم لا بسلب قدرتهم كما ذكره الدلجي فانه مذهب آخر كما سيأتي (او على احد مذهبي اهل السنة من الاتيان بمثله من جنس مقدورهم) اي من جنس كلامهم الذي لهم القدرة عليه (ولكن لم يكن ذلك) اي الاتيان بمثله بعدم تمكنهم منه (قبل ولا يكون بعد) اي قبل التحدي ولا بعده كما ذكره الدلجي والاظهر ان المراد بقوله قبل الزمان السابق وبقوله ولا يكون بعد الزمان اللاحق الى يوم القيامة ويؤيده قوله (لان الله لم يقدرهم) اي على الاتيان بمثله قبله (ولا يقدرهم عليه) اي بعده (وبين المذهبين فرق بين) بتشديد التحتية المكسورة اي ظاهر لتمكنهم على المذهب الاول منه الا انهم صرفوا عنه ولعدم تمكنهم منه على الثاني مع كونه من جنس مقدورهم (وعليهما) اي وعلى المذهبين (جميعا) اي جميعهما (فترك العرب) وفي نسخة بغير الفاء اي ترك معارضتهم الاتيان (بما في مقدورهم) اي في الجملة (او ما هو من جنس مقدورهم) اي في الصورة (ورضاهم بالبلاء) اي الفناء في ابدانهم (والجلاء) اي عن اوطانهم وهو بفتح الجيم الخروج من البلد (والسباء) بكسر السين ممدودا اي والسبي كما في نسخة اي اسر اطفالهم ونسائهم واعيانهم (والاذلال) اي لانفسهم في بعض الاحوال (وتغيير الحال) اي بمخالفتهم من الخير

الى الشر (وسلب النفوس) اى فى سال القتال (والاموال) اى [illegible] (والاسر [illegible]
قهرا (والتوبيخ) اى زجرا (والتعجيز) اى بالاذلال (والسعى [illegible]) (والوعيد) [illegible]
آية) خبر لقوله ترك والمعنى اظهر سلامة وابين دلالة (لاتيبس من [illegible]) [illegible]
والامتناع عن معارضة نحوه (وانهم) بكسر الهمزة ويجوز فتحها (مع [illegible]) وفى نسخة
مقدرتهم بضم الدال وفتح اى قدرتهم (والى هذا) اى المذهب الثانى (ذهب الامام ابو المعالى) [illegible]
محمد (الجوينى) بالتصغير النيسابورى وهو الملقب بامام الحرمين افصح الشافعية وله اليد الباسطة فى المطول من [illegible]
الكلام والاصول توفى سنة ثمان وسبعين واربعمائة (وغيره) اى من ائمة اهل السنة والجماعة (قال) اى ابو المعالى
(وهذا عندنا ابلغ من خرق العادة بالافعال البديعة فى انفسها كقلب العصا حية ونحوها) كاخراج اليد البيضاء
واحياء الموتى وغيرهما (فانه قد يسبق الى بال الناظر) اى قلب المتأمل (بدارا) بكسر الباء اى مبادرة ومسارعة من
اول وهلة قبل التأمل فى حقيقة امره وحقيقة سره (ان ذلك) اى ماذكر من قلب العصا حية ونحوها (من اختصاص
صاحب ذلك بمزيد معرفة فى ذلك الفن وفضل علم) اى فى ذلك النوع كاتوهم فرعون حيث قال انه لكبيركم الذى علمكم
السحر (الى ان يرد ذلك) اى السابق الى بال الناظر مماذكر من وهم الخاطر (صحيح النظر) اى فيتحقق الفهم ويضمحل
الوهم ويتبين للقلب الحى ان قلب العصا حية ونحوها ممالا يدخل تحت طوق البشر اذهو فعل القوى والقدر
(واما التحدى للخلائق) اى طلب المعارضة منهم باعتبار السابق واللاحق (المئين) وفى نسخة مئين جمع مائة وفى نسخة
فى المئين (من السنين بكلام من جنس كلامهم ليأتوا بمثله) اى على وفق مرامهم (فلم يأتوا) اى الخلائق بتمامهم
كما اخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله
ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (فلم يبق بعد توفر الدواعى على المعارضة عدمها) اى بترك المناقضة (الا ان منع الله
الخلق عنها) اى عن المعارضة لاحد الوجوه الثلاثة فى بيان المعجزة (بمثابة مالو قال نبى) اى وقد طلب منه آية وعلامة
دالة على صدق دعواه للنبوة (آيتى ان يمنع الله القيام عن الناس مع قدرتهم) وفى نسخة مع مقدرتهم (عليه وارتفاع
الزمانة عنهم) اى عن بعضهم الاستواء فى حال عجزهم ولايبعد ان تكون الواو بمعنى او التنويعية (فلو كان ذلك) اى
الذى قال ذلك النبى (وعجزهم الله عن القيام) اى فى ذلك المقام (لكان ذلك من ابهر آية واظهر دلالة) اى فى اقامة
البرهان وابانة التحقيق (وبالله التوفيق) ونظيره قوله تعالى لزكريا آيتك ان لاتكلم الناس ثلاث ليال سويا (وقد غاب
عن بعض العلماء) اى خفى عليه (وجه ظهور آيته) اى معجزته التى هى القرآن (على سائر آيات الانبياء) اى فى باقى
الازمان ولم يدر انها ببقائها معلومة لكل واحد فى كل اوان متلوة بكل مكان (حتى احتاج للعذر عن ذلك) اى الذى
زعمه من عدم ظهورها هنالك (بدقة افهام العرب وذكاء البابها) اى شدة فطانة فهومهم وحدة علومهم (ووفور
عقولهم) اى وكثرة تعقلهم وتأملهم (وانهم ادركوا المعجزة فيه) اى فى القرآن (بفطنتهم) اى ما الجأهم الى
الاعتراف بكونه من معجزتهم (وجاءهم من ذلك) اى مماادركوا فيه هنالك (بحسب ادراكهم) بفتح السين اى
بمقتضى ادراكاتهم لغاية فصاحته ونهاية بلاغته (وغيرهم) مبتدأ اى وغير العرب (من القبط) اى قوم فرعون
(وبنى اسرائيل) اى قوم موسى (وغيرهم) اى ممن بعدهم ماعدا العرب (لم يكونوا بهذه السبيل) اى بهذه الطريقة من
دقة الفهم وذكاء الفطنة (بل كانوا من الغباوة) بفتح الغين المعجمة وهى عدم الفطنة وكمال الجهالة (وقلة الفطنة) اى
فى بعض القضية (بحيث جوز عليهم) اى على عقولهم (فرعون انه ربهم) كما قال الله تعالى حكاية عنه انا ربكم الاعلى
وقد قال عز وعلا فاستخف قومه فاطاعوه واضل فرعون قومه وماهدى (وجوز عليهم السامرى) وكان من عظماء
بنى اسرائيل واسمه موسى بن ظفر (ذلك) اى كون ظهور ربهم (فى العجل فعبدوه بعد ايمانهم) اى بموجبات ايقانهم
(وعبدوا) اى طائفة من بنى اسرائيل (المسيح) اى عيسى ابن مريم (مع اجماعهم على صلبه وماقتلوه) اى اليهود (وما
صلبوه ولكن شبه لهم) اى كما اخبر الله عنهم والمعنى صلبوا من القى عليه الشبه بعد قتله كما قال تعالى وماقتلوه يقينا
بل رفعه الله اليه (فجاءتهم) اى اليهود (من الآيات الظاهرات البينة) اى الواضحة (للابصار) اى المنفتحة (بقدر غلظ
افهامهم) اى وغلظ اوهامهم (ما) فاعل جاء وفى نسخة مما (لايشكون فيه ومع هذا) اى المجيئ بالامور الظاهرة
والاحوال الواضحة (قالوا) وفى نسخة فقالوا اى خطابا بالنبيهم كماحكى الله عنهم بقوله تعالى واذ قلتم ياموسى
لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) اى معاينة ظاهرة (ولم يصبروا على المن والسلوى) اى على اكلهما وجعلوا الترنجبين
من الحلاوى والسمانى من طير الشوى طعاما واحدا وقالوا لن نصبر على طعام واحد (واستبدلوا الذى هو ادنى) اى
اقرب الى الدناءة وادون فى المقدار والمرتبة كالبقل والقثاء والفوم والعدس (بالذى هو خير) اى فى المرتبة واللذة

وعدم الحاجة الى الكد والمشقة واقرب الى الحيلة (والعرب على جاهليتها) اى على حالتها التى كانت عليها قبل ظهور النبوة من الجهل بامور الشريعة واحوال الديانة (اكثرها يعترف بالصانع) بل جميعها كما هو ظاهر قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ولذا جاء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بكلمة التوحيد وهو ان يقولوا لا اله الا الله لا بان يقولوا الله موجود لان هذا مما اجمع عليه اهل الملل والنحل ولا يلزم من قول بعضهم حيث قالوا وما يهلكنا الا الدهر ان الدهر خالقهم اذلم يقل به احدمنهم بل ارادوا به اى طول الزمان ودورة الدوران ينقضى ان شئ بعضنا ويموت بعضنا فنسبوا بعض الافعال الى الدهر كما قد يتفوهون به اهل العصر وقد قال تعالى انا الدهر اى خالقه او المتصرف فيه (وانما كانت) اى العرب (تتقرب بالاصنام الى الله تعالى زلفى) اى تقربا كما قال تعالى حكاية عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله (ومنهم من آمن بالله وحده) اى وصفه من عبد غيره (من قبل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم) اى من قبل ارساله (بدليل عقله وصفاء لبه) اى آمن بتوحيد ربه كزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة وكذا ورقة بن نوفل الا انه ادرك البعثة وآمن به وتشرف بالصحبة (ولما جاءهم) اى العرب (الرسول بكتاب الله) وهو القرآن الكريم والفرقان القديم (فهموا حكمته) اى لحدة فطنتهم وشدة معرفتهم (وتبينوا بفضل ادراكهم) اى بزيادة قابليتهم واهليتهم (لاول وهلة معجزه فآمنوا به) اى بعضهم اولا وجلهم آخرا (وازدادوا كل يوم ايمانا) اى واكتسبوا يوما احسانا وايقانا (ورفضوا الدنيا) اى تركوها (كلها) اى مالها او جاهها (فى صحبته) اى وبقى همته وبركة متابعته (وهجروا ديارهم واموالهم) اى وفارقوهما باختيارهم (وقتلوا آباءهم وابناءهم) اى وسائر اقاربهم واحبائهم (فى نصرته) اى فى نصرة دينه وقوة يقينه (وأتى) اى واورد ذلك البعض من العلماء (فى معنى هذا) اى المبنى من عبارات البلغاء واعتبارات الفصحاء واشارات العقلاء (بما يلوح له رونق) اى بما يلمع له ضياء ويلمح له صفاء (ويعجب منه) بصيغة المجهول اى ويبرق من اثره وظهوره بعد (زبرج) بكسر الزاى والراء بينهما موحدة ساكنة وفى آخره جيم اى زينة من ذهب او جوهر او وشى (لو احتيج اليه) اى الى كلامه (وحقق) اى امره فى مرامه (لكنا) روى فقد (قدمنا من بيان معجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وظهورها) اى ووضوح امرها (ما يغنى عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها) مثل معقولات المعانى بمحسوسات المبانى وقصد الاستغناء عن هذا الاستدلال ونحن نقول لا منع من الجمع فان الآيات والمعجزات لكل منها ظهر وبطن ولكل حد مطلع ورضى الله تعالى عنهم اجمعين (وبالله استعين) اى فى كل وقت وحين (وهو حسبنا) اى كافينا ووافينا وشافينا (ونعم الوكيل) اى اعتمادا واستنادا معاشا ومعادا باطنا وظاهرا اولا وآخرا والصلاة والسلام على خاتم الانبياء وعلى آله وصحبه نجوم الاقتداء والاهتداء وعلى اتباعهم من العلماء والاولياء والحمد لله الذى هدانا لهذا واغنانا عما سواه وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله اللهم اختم لنا بالخيرات اعمالنا وبالمبرات آجالنا وبالمسرات احوالنا اغفرلنا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الاحياء منهم والاموات انك قريب مجيب الدعوات آمين آمين آمين يارب العالمين ويا ارحم الراحمين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وقدتم نصف الكتاب بعون الملك الوهاب

ويتلوه القسم الثانى الذى ليس له ثانى فى هذا الباب والله الموفق للصواب واليه المرجع

والمآب حرره مصنفه الجانى فى اوائل جمادى الثانى من شهور عام عشرة

بعد الالف السابع من عالم المبانى رحمه الله تعالى

رحمة واسعة بمنه

امين

تم المجلد الاول بتوفيق الملك المتعالى ويتلوه طبع المجلد الثانى

ويكرمنا بختم طبعه من انزل على نبيه القرآن والسبع المثانى

طبع فى المطبعة العامرة سنة ١٢٨٥